





کتاب جی شرح شفای [illegible]

۹۷۵

هذا الكتاب المسمى شرح
شفا قاضي عياض رحمهم الله
لمالفه ولكاتبه ولناظره ولقارئه

الفقير
اسمعيل
المحتاج
نصر الحق الحاج علي
عفي عنه ١٦٢

عدد ورقه
٢٨٢

وقف عمدة ملوك الدوران وسليل سلسلة آل عثمان محيي السنة امام الامة
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان
ابن السلطان مصطفى خان لا زالت ايامه مصابيح الاقبال
ومساعيه الجميلة مفاتيح ابواب الآمال وانا الداعي لدولته
الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف الحرمين
المحترمين
غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
نحمدك يا من شرح بعلامات شفا لمرضى الاذهان من اسبابها دواء • ولعطشى الافهام
من مشارع بحارها رواء مورّدة من اياته ما هو اقرب امتزاجا بالافهام • وابعد انتزاحا
عن الانهام منبهة على ادراك رموزه الخفية موقظة لنيل كنوزه الخبيئة
كاشفة عن مخزون غرره استارها واصفة عن مكنون درره اسرارها ناظرا
بعضها الى بعض في نظم فرائده متناصره • اخذا بعضها بيد بعض في جمع فوائده
متقاصره مع تسهيل ما وعر من موارده • وتذليل ما جمح من شوارده وتحرير
يتراح عن دقايقه شبه الارتياب • وتقرير ترتاح في فهم حقايقه الالباب
وتهذيب تهتز لتلاوته اعطاف الاسماع وترقص لوروده ارداف الطباع
بتراكيب رشيقة ينشرح لها الخاطر واساليب انيقة ينفتح بها الناظر •
وان الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم لكتاب عزيز لا يهتدى
الى حسن تاليفه الافكار ولا تهب حوالى رصيفه رياح الانظار • قد
بعثني صدق الهمة الى فتح كنوزه ومنح الانام بيان خفي رموزه وابراز غوامض
نتيجة وضوحا واحراز نفايس تمييز صريحا • وايراد نتايج ابرزتها امهات
الانظار • وسوانح اسرار ميزتها عوامل الافكار • وبوارح استارتهم
لالباب الفوارح • وسرايح نكت تملأ القرايح • هذا مع ما الزمان
عليه من تفاقم الاحوال وتراكم الاهوال • وفرط الازدراء بالعلماء والاعتداء
والجاهلون لاهل العلم اعداء • على اني بطوارق النوائب مهين • وبوارق
النوايب لا اكاد ابين • ونوارد كرب اعزت بالقلب قلقا • وتواتر نوب
اورثت بالكبد حرقا • وتزاحم منايا اورثت الذهن فتورا • وتراجم صروف
اعقبت الفهم قصورا • لا للعزم من نصير • ولا في الحزم من تدبير فباله
من دهر لا يغنيا له على ذي فضيلة • ولا ينحى الا على ذي نقيصة ورذيلة •

فلقد

فلقد سطى في تحكماته بمن دهم النكبات • واساء في تكديراته بمعترك البليات
فاعتورتني الهموم متشابهها وغير متشابه • فادرعت له احمالا لا طويلا •
وصبرت عليه صبرا جميلا • صارفا عنان الهمة لنشر محاسن عباراته وبث
احاسن اشاراته موثرا لما هو اوفق بالمقام • واتق للمرام • وكانت معانيه
ابكارا • فافترعتها الفهم بصايب ادراكه • وثاقب اشراقه • ولم ار من انتق من
عمد في بيان لطايفها اذنه ولا اصرف في تبيان شرايعها ازمنه • وكنت
اود لو رايت لي سابقا اكون وراه مصليا • وفي حلبة رهانه مجليا • اذ لم
ادري له كفوا ابلا امرا • والفهم لقصوره يقدم رجلا ويؤخر اخرى لكن امدني
الله بوارف لطفه ووافر عطفه • فشرعت لوارد عباب مشرعا رويا
ولرايدي به من جناب مبانيه صراطا سويا • واوردت ما تمتنار من حقايق الافهام
وبمتازني دقايقه المرام • واذا اوعيت ما لم تسمع به فلا تبادر بالانكار وتأمل
لعلك تونس من جانب التامل جذوة نار فيضي فهمك بآيات بينات لقوم
يومنون • وما يعقلها الا العالمون • ومن كان في ريب مما اوردناه من
بدايع اللطايف وروايع العوارف فليات بحديث مثله ان شاء • فان
الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله اسأل هداية المرام • وعصمة يوم تزل
الاقدام بسم الله في كل مقام بدي به متعلق بفعل نحوي بعينه فعل
صنيّ بحسب المقام اذ هو الذي يتلوه في الوجود وتقديره موخرا اولى لاقتضاء
المقام اختصاصه بتقديم اسمه تعالى لانه اوفق للوجود وادخل في التعظيم
وادل على اختصاصه بالابتداء اي جعله من بين الاسماء منفردا به فالابتدا
مقصور على اسم الله قصر موصوف على صفته بنفي غيرها عنه اي باسمه تعالى ابدا
لا بغيره من اسماء الاصنام كاللات والعزى قصر افراد نقطعا لشركتها اذ كانوا
مشركوها يبدون باسمائها لمجرد الاهتمام وقصر عليها ولا يرد اقرأ باسم ربك
مقام امر بجعل الفعل مقرونا باسم الله فتقديمه اعني فعل الامر بايجاد القراءة
هنا اهم لكونها اول سورة انزلت على ان في الكشاف على ان معناه اقرا مفتتحا
باسم اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا فوجوب الابتدا بذكر الله لا بغيره
حاصل وان قدم عليه فعل الامر اعني اقرا ويكون معناه مفتتحا باسم الله اقرا
وكفى به شاهدا بان البسملة مامور بها في ابتداء كل قراءة اذ هو امر بايجاد
القراءة مطلقا بدون تعلقه بمقرو ودون مقرو فتكون مامورا بها في ابتداء
هذه السورة ايضا هذا وما ذكر من وجوب تقديم الاسم انما هو عند عدم
الداعي الى رعاية الاصل الذي هو تقديم العامل وكسرت الباء وان كان من حق
الحروف المفردة الفتح للزومها الحرفية والجر ولتشابه حركتها عملها وحذفت
الفها دون باسم ربك لكثرة الاستعمال وعوض عنها تطويل الباء كما كسرت لام
الامر ولام الاضافة داخلة على مظهر فرقا بينها وبين لام الابتدا او قد وقعت
التسمية قيدا للابتدا حالا منه اي ملتبسا ومتبركا باسم الله ابتدات والله
اصله اله من اسماء الاجناس حذفت همزته وعوض عنها اللام وكان قبل حذفها

قد وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب على مفهوم كلي هو المعبود بحق وهو بحذفها
علم خاص لذات معين هو المعبود بالحق اذ لم يستعمل في غيره تعالى ومن ثم كانت
لا اله الا الله كلمة توحيد اي لا معبود بحق الا ذلك الواحد الحق فهو من الاعلام
الخاصة من حيث انه لم يسم به غيره ومن الاعلام الغالبة من حيث ان اصله اعني اله
فالخصوص انما عرض له من حيث استعماله فيه دون غيره والا فقضية العبارة صحة
اطلاقه على المعبود بحق مطلقا كاصله الا انه كما مر لم يطلق الا على الواحد الحق
ولم يستعمل بمعنى المفهوم الكلي فهو علم خاص من حيث الاستعمال وغالب من حيث
الاستدلال فغلبته انتهت الى حد الاختصاص فاختص بالمعبود بالحق وغلبة
اصله لم تنته اليه فهو مفهوم عام غلب على المعبود بحق ولم يختص به وقد اشار في
الكشاف الى كون غلبته الى حد العلمية وغلبة اصله لا الى حدها بتعريف الحق
وتنكيره بقوله اما الله بالحذف فمختص بالمعبود بالحق والاله غلب على المعبود بحق
فحكمه بالاختصاص انما عليه بالحذف في مقابلة اصله بلا حذف ولذا لا اله لقوله
مختص بالمعبود بالحق على انه من الاعلام الخاصة بمعنى انه ليس من الاعلام
الغالبة بشهادة قوله في سورة ابراهيم ان لفظ الله اجري مجرى الاسماء الاعلام
لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة فكونه ماخوذا منه مشتقا
من اله او غيره لا ينافي كونه علما ولا يقتضي كونه صفة اذ لم يوضع له تعالى
باعتبار صفة بدون ملاحظة لخصوصية الذات بل وضع للذات بدون ملاحظة
صفة اذ ما يوضع ان وضع لشيء باعتبار بعض معانيه واوصافه بدون ملاحظة
لخصوصية الذات فهو صفة كالمعبود ومن ثم قالوا الصفة ما دل على ذات
باعتبار معنى هو المقصود او ما دل على ذات مبهم ومعنى معين مع وجوب ذكر
الموصوف معه لفظا او تقديرا لتعرف الذات وان وضع له بدون ملاحظة ما فيه
من المعاني كرجل وفرس او مع ملاحظة بعضها كالكتاب للمكتوب والنبات للجسم
النابت واسماء الزمان والمكان والاله هو اسم ذات استدل على ان المقصود
هو الذات او المعنى بان الاول يوصف ولا يوصف به والثاني عكسه فهو ايضا
اسم للدلالة فهو من قبيل الاول اذ قد ثبت استعماله اله واحد ولم يثبت شيء اله
الرحمن خاص لفظا اذ لم يسم به غيره تعالى وما شذ فلا يعتد به عام معنى اذ كان
صفة بمعنى كثير الرحمة ثم غلب على المبالغ في الرحمة والانعام بجلايل النعم في
الدنيا والاخرة فهو لو نوعه صفة لا موصوفا ولكونه بازاء المعنى دون الذات
من الصفات الغالبة اذ معنى الغلبة ان يكون الاسم عاما فيعرض له بحسب
الاستعمال خصوصا اما الى حد العلمية فيصير علما كالنجم للثريا والصعق للكوكب
بعد استعمالهما في غيرهما او لا الى حدها فيصير اسما غالبا كالاله او صفة غالبة
كالرحمن الرحيم عام لفظا اذ قد يسمى به غير الله خاص معنى اذ لا يرحم يوم القيامة
الا المومنين اي ذي الرحمة ومن ثم كان الرحمن ابلغ منه لكونه معناه كثير الرحمة
جدا لان زيادة البناء تفيد زيادة المعنى لانه قد يوخذ كما مر باعتبار الكمية
فيقال يا رحمن الدنيا لانه يعم المومن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المومن

او

او باعتبار الكيفية فيقال يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية
كلها جسام والدنيوية جليلة وحقيرة ولا ينقض بحذر لان الابلغ من حاذر لكونه
اكثر بناء او لكونه فيما اذا كان اللفظان المتلاقيان اشتقاقا متحدي النوع في
المعنى كغرث وغرثان وصد وصديان لا كحذر وحاذر لاختلافهما نوعا فيه ومنع صرفه
انما هو بالرجوع الى اصله وهو الحاقه باخواته فانها غير منصرفة اذ اصل فعلان
صفة من فعل بالكسر هو عدم الصرف وان كان الاصل في مطلق الاسم الصرف وليس
منعه من كون شرطه الذي هو وجود فعلى منتفيا باختصاصه بالله اذ شرط صرفه
الذي هو وجود فعلانة كذلك منتف به فلا عبرة بالغاء الشرط بهذا الاختصاص
العارض لان معنى الاشتراط انه اذا اطلق على مونث فان كان فعلى ففعلان
غير منصرف او فعلانة فمنصرف وههنا لم يطلق اصلا فلم يعلم مونثه فعلى ليمنع
او فعلانة لينصرف فانتفى شرط المنع اعني وجود رحمى وشرط وجود الصرف اعني
وجود رحمانة لم يعتبر فرجع الى الاصل الحاقا له باخواته قيل وقد يقال لو
اعتبر للزم اجتماع الصرف وعدمه فتعين تساقطهما والرجوع اليه واجيب جمعا
بينهما بجواز الصرف وعدمه اذ الاعمال اولى من الاهمال وكلاهما صفة مشبهة
من رحم بجعله لازما بنقله الى باب فعل بضم ثانيه اذ لا يشتق منه متعديا ذلك
والرحمة عطف وشفقة وميل روحاني لا جسماني ومن ثم جعل الانعام مسببا عن
العطف والرقة لا عن الاعتنا الجسماني وكلاهما في حقه تعالى محال فهو مجاز اما
عن نفس الانعام فتكون صفة فعل او عن ارادته فتكون صفة ذات واما تمثيل
للغائب اعني تمكنه تعالى من الانعام بالشاهد اعني تمكن الملك من ملكه فتفرض
حاله تعالى عن سبيل التمكن منه بحال ملك على رعيته ورق لهم فعمهم معروفه
فاطلقنا عليه تعالى واريد غايتهما التي هي فعل او ارادة لا مبدوهما الذي هو
الانفعال فهو استعارة تمثيلية هذا وقد جعل الحمد قيد الابتداء التاليفي حالا
منه كما جعل التسمية كذلك فكانه قال ابتدات ملتبسا او متبركا باسم الله
قايلا الحمد لله تسوية بينهما في الوجود والابتداء بهما مراعاة لمناسبة
بينهما فقد ورد كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر وفي رواية بحمد
الله فهو اجذم وقدمها عليه عملا بالكتاب وبالاجماع فوقع الابتداء بها حقيقة
وبه بالنسبة الى ما بعده اذ الابتداء امر عرفي يعتبر ممتدا من الاخذ في التاليف
الى الشروع في المقصود فلا تعارض بين خبريهما واصله النصب لانه من مصادر
ساغ استعمالها منصوبة باضمار افعالها وعدل الى رفعه كما في سلام عليكم
للدلالة على دوامهما وثباتهما فالنائب عن الفعل انما هو المصدر النكرة ولامه
كما في الاشارة الى معنى الحمد وتعيين ماهيته واللام انما تفيد التعريف اي التعيين
والاشارة فلا احاطة ولا شمول بمعنى الاستغراق وقد يقع المصدر المعرفة الواقع
موقع النائب عنه بان يكون تعريفه بها لزيادة معنى هو الاستغراق بشهادة
ما في الكشاف من انها للاشارة الى الجنس مع خلو الفعل عن ذلك فكونها للتعريف اي
التعيين والاشارة لا ينافي القصد بها الى تلك الزيادة ثم هي ان اشير بها الى نفس

المسمى فلام الجنس او الى حصة منه فلام العهد ومثله علم الشخص والاول ان قصد به
الماهية من حيث هي كالانسان حيوان ناطق والرجل خير من المراة فلام الحقيقة
والطبيعة ومثله علم الجنس كاسامة او الماهية من حيث وجودها في ضمن الافراد
فان وجدت قرينة البعضية كما في واخاف ان ياكله الذيب فلام العهد الذهني
ومثله النكرة في الاثبات فذوها والمجرد عنها بالنظر الى القرينة سواء ومن ثم
قالوا هو في المعنى كالنكرة اما بالنظر الى مدلول اللفظ فلا اسوي لما في المعرف
من اعتبار الاشارة والحضور الذهني بخلاف المنكر ولا يلزم من عدم اعتبار ذلك فيه
خلوه عنه وان لم توجد قرينة البعضية ففي المقام الخطابي يحمل على الاستغراق
حذرا من ترجيح احد متساويين بلا مرجح ومثله لفظة كل مضافا الى نكرة وفي الاستدلالي
يحمل على الاقل لانه المتيقن وهو لغة الوصف بالجميل الاختياري ذاتا او بواسطة
ليدخل وصفه تعالى بصفاته فان اثارها اختيارية وهو من شعب المدح اذ لا يكون
بالاختيار اذ تقول مدحته على صباحة خده ورشاقة قده ولا تقول حمدته فهو اعم
منه والوصف انما يكون باللسان فمورده خاص ثم ان كان بازاء نعمة او غيرها
فمتعلقه عام والشكر عكسه اذ هو لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه
منعما من حيث انه منعم على الشاكر فعلا او قولا او نية فان بذل جوارحه في طاعته
او يثني عليه بلسانه او يعتقد انه ذو النعمة اي الانعام فمورده اللسان
والجوارح والجنان ومتعلقه النعمة فهو اعم منهما من حيث مورده واخص من حيث
تعلقه وربما اجتمعا في ثناء اللسان بازاء نعمة والحمد عرفا فعل يشعر بتعظيم
المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره والشكر عرفا صرف العبد جميع ما انعم الله
عليه من سمع وبصر وغيرهما الى ما خلق له فبينهما عرفا عموم وخصوص مطلقا
كما بين الشكر لغة وعرفا وكما بينه عرفا والحمد لغة وبين حمد بهما عموم وخصوص
من وجه **المنفرد باسمه الاسما** من السمو اي العلو لانه سموه ورفعة لسماه
وشعار له اي الذي استاثر وانفرد باسمه الاعلى المنزه عن ان يسمى به غيره
او يشاركه فيه كما انفرد في الهيته باتصافه بصفات لم يشاركه فيها غيره
واستحق ان يكون منفردا وتسمى خواص الالهية كالايجاد من العدم وتدبير
العالم والغنى المطلق فهو تعالى متصف بانه فرد دون موجب ومؤثر هذا
وقد يجوز ان يريد باسمه الاسما لفظ الله فقط لدلالته على ذاته تعالى بدون
اعتبار معنى زايد به او اسمه الاعظم ان كان هو الحي القيوم او ذا الجلال
والاكرام او الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت فانه اشرف اسمائه
وارفعها او جميع اسمائه المختصة به تعالى على ما افادته اضافة المفرد من
العموم لدلالتها على اشرف المعاني وهو تعالى متصف بها ومسمى بالاسماء حقيقة
فهي اعلا وارفع واطلاق المنفرد عليه تعالى مع كون اسمائه توقيفية وعدم
ورود سمع به وان ورد اصله بمعنى الفرد جايز على قول القاضي والامام بجواز
اطلاق لفظ ما يصح وصفه تعالى به وان لم يرد به توقيف له تعالى نوع تصرف
ولا لذلك وصفه تعالى بما معناه ثابت له وفي نسخة المنفرد بتاء فوقية وراء

مستندة

مستندة اي المتوحد **المختص** بحركة فيه ما ذكر في المنفرد لا مرة رجحم بينهما في المعنى او زاده
رعاية للمقام اذ هو مقام مدح يحسن فيه الاطناب ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
لمن قال بحضرته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بيس
الخطيب انت حيث اوجز في مقام الاطناب بجمعهما ثانيا في ضمير واحد وكان
الاليق ابرازهما كالاول لاقتضاء المقام ذلك اي الذي انفرد **بالملك** لشهادة
تقديم الظرف في له الملك وله الحمد لافادته باختصاصه تعالى بهما لانه المبدي
لكل شي والقايم به ومنه اصول النعم وفروعها فالملك في الحقيقة له وكذا الحمد
واما ملك غيره فتسليط منه تعالى واسترعا له واما حمد غيره غيره فباذنه لجريان
نعمته تعالى على يديه فهو المتصرف فيه حقيقة بالاستيلاء **الاعز** من عزه اذا غلبه
اي الاقوى البالغ في العزة والمنيع ما لا يدرك ولا يرام لقوة سلطانه ونفاذ حكمه
بواضح برهانه اذ هو القاهر فوق عباده اي الغالب المقتدر الذي لا يغلب على
ملكه **الاحمى** من حماه اي منعه ودفع عنه فهو حمى اي محظور لا يقرب اي الامنع
الذي لا يعتري سرادق عزه تغلب فهو منيع لا يستباح وحصين لا يرتاح وفي
الحديث لا حمى الا لله ولرسوله ومن ثم منع الشافعي ان يحمي احد لنفسه سواه صلى
الله عليه وسلم **الذي ليس دونه** اي ليس قربه **منتهى** ينتهي اليه من اراد منه
قربا اذ ليس في جهة وحيز ومسافة وامتداد ولو كان سبحانه في جهة ومسافة
لكان بالضرورة للقرب منه منتهى لكن ليس له تعالى منتهى فليس في جهة فهو من
قبيل نفي الملزوم بنفي لازمه فدون هنا متضمنة لمعنى القرب **ولا وراه
مرمى** مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم ليس وراء الله مرمى فاليه انتهت
العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية يكون مطرح بصر احد او
مطمح نظره فاستعار لغاية الروية اسم المرمى الذي هو في الاصل منتهى السهم من
الغرض استعارة تحقيقية بجامع ان كلا منهما ينفذ الى غاية **الظاهر** وجوده
لكثرة دلايله واياته المثبتة في الافاق والانفس فما تدركه البصاير والابصار
وتشاهد منه اسرارا يضيق بها نطاق الاظهار المرشدة الى من كان هذا امره
ابانة رداء لاعلى اتصافه بكماله لانه جدير ان يكون جامعا لجهات الظهور
لا يغشى شرف عزه خفا او انه تعالى ظاهر ظهورا معنويا يعرفه كل احد بصفاته
وتصرفه في مصنوعاته الشاهدة باتها حادثة وكل حادث لابد له من محدث
لا تخيلا بالقوة الخيالية الحافظة لما يرتسم في الحس المشترك من صور المحسوسات
ولا توهما بالقوة الوهمية المدركة للجزئيات ومرونه عن ان يقول توهما
ليطابق تخيلا مراعاة الفواصل اورد هما على طريقة الاحتراس البديعي دفعا
لما عسى يتوهم من كونه ظاهرا انه يدرك بهما فهو تعالى مع كونه ظاهرا لا يتخيل
ولا يتوهم **الباطن** حقيقة ذاته لاستحالة ادراكها **تقدسا** تمييز او تعليل لكونه
باطنا اي تنزها وتبعدا عن ان يكنه حقيقة ذاته فهم او يدركها وهم اذ الادراك
هو الاحاطة بجوانب المرائي وحدوده وذلك عليه تعالى محال والا كان مركبا
في الاخرى لكن بلا احاطة ومقابلة اذ لا يحاط به علما تعاليا وتقدسا **لا عدما**

بضم اوله وسكون ثانيه لغة في العدم ورد احترازا عما عسى يتوهم من ان كونه
باطنا يقتضي عدمه ام عدم العلم به اذ قد ثبت بالبرهان القاطع قدمه فامتنع
عدمه وهذا ونفي الاحاطة بحقيقته تعالى لا يقتضي نفي العلم به وقد وهم من زعم
انه تعالى لو ظهر للعيون لزم محذورات كثيرة تعالى عنها بالمقابلة والحيز وانطباع
الجرم الكبير في الجرم الصغير مما هو من شروط الروية ولواحق الاجسام غافلا عن
كونه من تمسكات المعتزلة في منعهم رويته تعالى في الاخرة وعن انه لا مانع من ان
يرى سبحانه لا في حيز مقابلة ولا بتاثير حاسة اذ الروية عندنا امر خلقه الله في
الحي غير مشروط بضوء ومقابلة ونحوهما مما اشترطه فيها المعتزلة كالفلاسفة
وقد راعى هنا جانب الطباق بين لفظي الظاهر والباطن تزيينا للكلام وسع
كل شي رحمة وعلما تمييزان حولا عن كونهما فاعلين للاغراق في وصفه تعالى
بالرحمة والعلم مع المبالغة في عمومهما وكثيرا ما يحول عن المفعول كما في وفجرنا
الارض عيونا اي وفجرنا عيونها تحول عنه مبالغة وتمثيلا للكرة عيونها فكانها
كلها عيون وقدم الرحمة لانها المقصود بالذات اي وسعت رحمته وعلمه كل شي
على حسب حاله بمعنى عماه وشمله اذ لا يتناهيان تعلقا بمعنى اثبات اللاتناهي
في تعلقهما بالفعل ولا ذاتا بمعنى سلب التناهي عنهما وقد شبههما بمكان رحب
على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لهما السعة تخييلا او شبه شمولهما كل
شي بسعة الظرف لمظروفه متمكنا فيه ثم اشتق منها وسع كما شبه تمكن المصلوب
بالجذع في ولاصلبنكم في جذوع النخل بتمكن المظروف بالظرف فاستعير لمعنى
الظرفية فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل والحرف تبعية وهذا
وارد على وجه الاقتباس من قوله تعالى ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما وهو
ان يضمن الكلام شيا من القران او الحديث على وجه لا يكون فيه اشعار بانه
منه واسبغ على اوليايه اي اتم لهم نعما وافيه لتكونه واصلة للفوز في الدنيا
بتزكية انفسهم عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق المرضية وتزيين ابدانهم بالهيات
المطبوعة والحلي الحسنة وفي الاخرة بمغفرة ما فرط والرضى والتبوء مع الملاء
الاعلى هذا هو المراد هنا وما عدا ذلك كنفخ الروح واشراقه بالعقل مع الفهم
والفكر والنطق وكتخلق البدن وقواه ما يعرض له من كمال وصحة فالمومن والكافر فيه
سواء والنعم جمع نعم بمعنى انعام لانه ابلغ في الوصف من النعمة والانعام ايصالها
وهي في الاصل حالة يستلذ بها الانسان فاطلقت على ما يلتذ به من نعم عمما
بضم اوله وتشديد ثانيه جمع عميمة بمعنى عامة اي شاملة تامة بالهداية
والتوفيق وفي تصدير هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ما قبلها مما هو
اجراء الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعر به بينهما تلويح بزيادة
جمعيه وارتباط وهو بمعنى المعية فيعتبران بالنسبة الى المتعلق اعني اولياءه
وانه يسبغ عليهم نعمه العميمة صونا للكلمة عن الالغا اذ مجرد كونها حاصلة من
مجرد الاجراء بنوع مغايرة زايدة على مجرد التعاقب ليست في الموصوف فيعتبر
في المتعلق اي هو تعالى سابغ نعمه على من شاء من اوليايه وبعث فيهم اي في

المومنين

المومنين اذ هم المراد بالاوليا فيما مر بشهادة لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم اي منهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه وسهل اخذ ما يجب عليهم عنه ويكونوا
واثقين في احواله في الصدق والامانة وذلك اقرب لهم الى تصديقه والتشرف
به لكونه منهم انفسهم بفتح الفاء منصوب صفة رسولا اي اشرفهم وفصل بينهما
بما قبله لترادف الصفات متناسقة معطوفا بعضها على بعض على نهج واحد ويجوز
رفعه على انه خبر مبتدا محذوف اي هو انفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيه
لشرفه وفضله وفي الحديث اي الرقاب افضل قال انفسها عند الله فهو صلى الله
عليه وسلم اشرف بني هاشم اشرف قريش اشرف بني كنانة اشرف بني اسماعيل
اشرف العرب اشرف الناس عربا وعجما بضم اولهما وسكون ثانيهما لغة في العرب
والعجم وهما حالان لازمان من ضمير انفسهم وردا بيانا لنوعي النفوس بين واز كامم
اي اطهرهم محتدا بفتح اوله وكسر ثالثه اي مكان اقامته من حتد بالمكان اقام به
ويقال بالفا اي محفدا ومنمى بفتح الميم وسكون النون اي نموه وفي مزيل الخفا
انه مصدر بمعنى النمو اي الزيادة وليس مرادا هنا اذ المراد بهما مكة فان للامكنة
مدخلا في شرف الاخلاق وطهارتها ورفعتها وكرم الاوصاف ووسامتها وحسن الافعال
ونجابتها وهي ازكى البلاد واكرمها عند الله واحبها اليه والى رسوله بشهادة
حديث ما اطيبك من بلد واحبك الي وحديث انك لخير ارض الله واحب ارض الله
الى الله وهما تمييزان حولا عن كونهما فاعلين اي محتده ومنماه ازكى وارجحهم
عقلا وحلما تمييزان حولا عن اصلهما مبالغة في وصفه صلى الله عليه وسلم
بالعقل والحلم وهو ملكة يحمل على الصفح عن العثرات والعفو عن الزلات وقد فسر
بالاناة وفي قوله صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما
الله ورسوله الحلم والاناة اشعار بتغايرهما واوفرهم علما اي ازيدهم يقينا
بمعلوماته لمشاهدته اياها عيانا لا يغيب عنه منها شي وهذا يسمى عقلا مستفادا
من العقل الفعال المفيض للمعلومات على النفس في عالم المشاهدة او اللايق بمقامه
صلى الله عليه وسلم ان يفسر بان تصير النفس مشاهدة بجميعها دفعة واحدة مستمرة
لا يغيب عنها شي منها لصفا باطنه وتجرده عن جلباب البدن وعلايقه وهذا هو
الغاية القصوى في الكمالات العلمية لانه تعالى كمله صلى الله عليه وسلم ونزيا
به عن العلايق البشرية واطلعه على اسرار الملكوت واما غيره فهو انما يرتقي من
الضروريات الى استحضار النظريات متى اراد بلا تجشم كسب جديد بعد اكتسابها
منها ويسمى عقلا بالفعل لان النظريات وان كانت حينئذ بالقوة فهي قريبة من
الفعل جدا فكانها حاصلة لها بالفعل واوفرهم فهما اي ادراكا لما خصه الله به من
كرم الذكى وشرف الفطنة و من ثم كان صلى الله عليه وسلم اقواهم يقينا
وعزما بتصميم راي وقوة ثبات على شدايد الامور وعظايمها بما يقتضيه حمل
اعباء النبوة وتلقي الوحي وتبليغه اياه ودعوى الخلق الى الحق مع تثبيته بالعصمة
وتاييده بالحكمة ويقينا وعزما كعلما وفهما وردت مميزة للنسبة فيما قبلهما
واشدهم اي اقواهم لهم رافة ورحما بضم الراء اي رافة وعطفا اي ميلا وحنانا

[illegible]

بتسبب عنه الانعام وقد كان صلى الله عليه وسلم من الرحمة بقومه في مجاهدة لنفسه
ومبالغة في ان يومنوا كلهم حذرا من توليهم عن الايمان حتى عتبه الله بقوله لعلك
باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين اي اشفق عليها ان تقتلها حسرة وحزنا خيفة ان
لا يومنوا بسببه لما يأخذ من الوجد لعدم ايمانهم على طريقة الاستعارة المكنية
بمن فارقته احبته وبادت عنه اعزته فهو يتحسر عليهم وجدا وغما ان لا يكونوا
بعزبه ويهتدون بهديه واثبت له البخع تخييلا وقدم الابلغ من مميزي بسببه
اشد اذ هو اشد الرحمة محافظة على الفواصل زكاه روحا وجسما مميزان محولا
عن كونهما مفعولين اي طهر روحه وجسمه وفي الصحيح ان جبريل شق قلبه وغسله
بماء زمزم واخرج علقة سودا وقال هذا حظ الشيطان منك ذكاها والله اعلم
بما نقول [illegible] وفي غسله كما قال البلقيني بماء زمزم دون ماء الجنة
اشعار بانه افضل منه وذلك ان تقول ماء الجنة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم
لقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها وانما غسل به دون ماء لكونه
[illegible] وزمزم ماء لعله كحرم اسماعيل اذ هو اول ما نبع بمكة لاجله وايراد هذه النعوت
بلا عطف دون ما قبلها لكمال انقطاع بينهما لاختلافهما ثبوتا وسلبا اذ ما قبلها
مؤذن بصفات ثبوتية له صلى الله عليه وسلم وهذه منزهة له عما لا يليق بجنابه
وحاشاه عيبا ووصما اي منزهه عنهما اذ الحاشاة التنزيه ونصبهما بنزع
الخافض وعلى التمييز والوصم العيب والعار فعطفه عليه عطف تفسير كانه
قال نفي عنهما كذا بالوصف اي كذا للتوكيد مع ان المقام مقام تنزيه ومدح ه
واتاه بالمد اي اعطاه حكمة اي نبوة او تحقيق العلم واتقان
العمل بالامور على ما ينبغي واطلاقها على الشرايع وكل كلام وافق الحق اي الثابت
في نفسه لاشتمالها عليها وحكما لفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل بحيث
يعلمه كل احد ولا يلتبس عليه وفتح به صلى الله عليه وسلم اعينا عميا لا يبصرون
هداية ولا تستضيء بضياء توفيق فتهتدي به سطوع الحجج والايات فعرفوا ان دينه
هو الحق وقوله هو الصدق فاستجابوا له ودخلوا في دينه افواجا افواجا وفتح
به اذانا صما كان بها ثقلا لا تسمع منه لا عمي ولا غلف ولا صم فاطلاق ذلك
عليها مع كونها سليمة مجاز علاقته المشابهة تشبيها لها بآذان [illegible] وقلوبا نابت
مشاعرها على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها العمي والغلف تخييلا يفهم
بواضح ايات وباهر معجزاته فانجلت ابصارهم ورعت قلوبهم وقبلت اسماعهم
فامن به اي صدقه فيما جاء به وعزره بزاي ثم راء اي عظمه ووقره او منعه من عدوه
اذ اصل العزر المنع ومنه التعزير لانه كالحد يمنع من معاودة القبيح ونصره اي
اعانه على اعدائه من جعل الله له في مغنم من اضافة المشبه به الى المشبه كما
في لجين الماء التشبيه المؤكد اي جعل له في السعادة التي هي بحسبها في نفسها
وحصول الفوز بها كالمغنم اي الغنيمة فنسما اي نصيبا مقسوما وكذب به
اي كفر به بشهادة الباء وذكره في مقابلة امن به وان كان نوعا من الكفر الذي هو
عدم الايمان عما من شانه لانه اعظم [illegible] التصديق والتكذيب

بمن

ممن جاء في حقه فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولذا من ثم عرفه
الباقلاني بالجحد في شيء مما علم قطعا انه من احكامه وهو احسن من تعريفه بعدم
تصديقه او تكذيبه لتناوله الكفر بالله بدون التوسط في ككفر ابليس وصدف
اي اعرض عن اياته التي جاء بها شاهدة له بالرسالة واعظمها القران من كتب الله
عليه الشقاوة حتما اي واجبا كاينا وهو في الاصل مصدر حتم الامر بمعنى وجد ثم
استعمل بمعنى محتوم وقد اعاد ضمير عليه هنا وضمير له فيما مر على لفظ من كما في ومنهم
من ينظر اليك وقد يعود على معناه كما في ومنهم من يستمعون اليك ومن كان في هذه
الدنيا اعمى البصيرة لا يهتدي الى رشد فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا لا يرى
طريق النجاة وقد ضمن كلامه هذه الاية اقتباسا من غير اشعار بانها من القران
اذ هو شرطه وشبه من ليس فيه في الدنيا فلاح ولا ينهج في الاخرة طريق نجاح على
وجه الاستعارة المكنية بما لا يبصر لفساد حاسة بصره مثبتا له العمى تخييلا
او شبه فيهما على طريقة التمثيل حال البصر بحاسة خلق للانتفاع بما خلق له بناء على
مانع عارض يلزمه فهو امر عقلي مركب من امور على ما هو شان التمثيل قيل والثاني اسم
تفضيل من عمي كاجهل قابله لشهادة عطف واضل سبيلا عليه ومن ثم لم يمله ابو عمرو
لان تمامه استعماله بمن فصار الفه في حكم المتوسطة فلم تقبل امالة بخلاف الاول
فان الفه وقعت طرفا فقبلتها فعلى هذا فقد شبه فيهما عدم احتمال البصر الايات
والدلالة بعدم البصر عما من شانه بجامع الاشتمال على انتفاء المقبول لمانع ثم
استعمل لفظ المشبه به واشتق منه اسم التفضيل اعنى اعمى فتكون الاستعارة في المشبه
فيه تبعية وفي عدم البصر اصلية صلى الله عليه هو كالحمد لله جملة خبرية لفظا
انشائية معنى او خبرية لفظا ومعنى بنشائها الصلاة والحمد وردت هنا بصيغة
الماضي رجاء تحقق حصول المسؤول اعنى الرحمة عليه المامور بها في يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا اي ادعوا له بها ولما كان اجل ما ينصف به من النعم دين
الاسلام وكان بواسطته صلى الله عليه وسلم جعل الدعاء له تلو الثناء على الله ولم
يعطف هذه الجملة الدعائية على ما قبلها لانقطاع بينهما باختلافهما ثناء ودعاء
ولا يعزب عنك ان الاية حاكمة بوجوب الصلاة والسلام عليه كما ذكروا واستوضح
حديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وحديث رغم انف من
ذكرت عنده فلم يصل علي بحرمه مشعرا به وبه قال الحليمي من الشافعية والطحاوي
من الحنفية واللخمي من المالكية وابن بطة من الحنابلة صلاة تنمو اي تزيد منقفا عفة
اذ النمو الزيادة وهي هنا مجاز عنها في اقطار الجسم على تناسب طبيعي ومراد بذلك
تكريرها تكثيرا لها عليه وفي نسخة تنمي وهي اللغة الكثيرة قال الجوهري
نمى المال ينمي وربما قالوا ينمو وعن الكسائي لم اسمعه بالواو الا من اخوين من بني سليم
ثم سالت بني سليم فلم يعرفوه وتنمى اي ترفع الى الله فيضاعفها اضعافا كثيرة اذ هي مما
يرفع الى الله من الكلم الطيب وعلى اله وسلم تسليما هم مومنو بني هاشم والمطلب
ابني عبد مناف لشهادة قسمه صلى الله عليه وسلم بينهم سهم ذوي القربى اعني
خمس الخمس دون بني عميهم عبد شمس ونوفل فقال له عثمان بن عفان وجبير بن مطعم

لما خصصتهم به دوننا فقال نحن وبنو المطلب شيء واحد لم نفترق جاهلية ولا اسلاما
واصل الال اهل ابدلت الهاء همزة والهمزة الفا خص استعماله بذي الشرف والخطر
واضافته الى مضمر كما هنا جايزة وقيل هم كل مومن تقي فى لسنخة وصحبه فيكون
من عطف العام على الخاص لتشمل الصلاة باقيهم وعلى الثاني العطف لزيادة الشرف
والفضل **اما بعد** ظرف زماني غاي قطع عن مضاف اليه منوي فبني على الضم
وعامله اما لنيابتها عن فعل شرط والاصل مهما يكن من شي بعد ما ذكر فوقعت اما
موقع اسم هو مبتدي اعني مهما وفعل هو شرط اعني يكن متعلقا باعم الالفاظ وهو
شي لتضمنه معناهما فلتضمنها معنى الابتدا لزمها لصوق الاسم اللازم
للمبتدا ولتضمنها معنى الشرط لزمها الفا اللازمة له غالبا اقامة للازم اعني
الاسم والفا مقام ملزومه اعني مهما ويكن وابقا لاثره فى الجملة ولهذا مزيد بيان
ذكرته فى شرح المنفرجة واصل مهما ما الشرطية وما المزيدة لتاكيد الجزا فى عمومه
وايهما فاما ما نذهبن فقلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وبعد يوتى به للانتقال
من اسلوب الى اخر ويسمى اقتضابا ومنه هذا وان للطاغين لشر ماب وقد يذكر
الخبر كهذا اذكر وان للمتقين لحسن ماب ومثله التخلص الى المدح واحسنه ما كان في بيت
واحد والمتنبي ابو عذرته ومنه قوله فى سيف الدولة ابن حمدان • تودعهم
والبين فينا كانه • قنا ابن ابي الهيجا فى قلب فيلق • ولي من بديعية مدحه صلى
الله عليه وسلم بما ضمنتها انواع البديع موريا باسمائها • •
• راعي التخلص طوي نشر الفلا عجلا • يبغي التخلص للمختار ذي الكرم •
اشرق الله قلبي وقلبك بنور اليقين اي شرحه وملاه باليقين الذي هو
لوضوحه وخلوه من شوايب الاوهام وبه استيقان المعارف وتحقق
اللطايف كالنور الثاقب لظلمة الجهل لقوة تلالئه فهو من التشبيه الموكد
او شبهه بمصباح مضي استعارة مكنية ثم اثبت له النور تخييلا **ولطف لي**
ولك اي وفقنا وعصمنا بخلق قدرة الطاعة فينا اي رفق بنا ومن اسمايه
اللطيف اي الرفيق فى افعاله والعالم بدقايق المصالح وايصالها لمن اراد من
لطف بالفتح اي دفق واما بالضم فمعناه دق **بما لطف به لاوليايه المتقين** جمع
متقي من وقاه اي حفظه فاتقى اصله اوتقى قلبت واوه باكسر ما قبلها ثم اقلبت
تاء وادغمت فى التاء والوقاية فرط الصيانة وهو شرعا من نقى نفسه من العذاب
ببرائه من الشرك والزمهم كلمة التقوى اذ يتجنبه كلما يوثمه من فعل او ترك
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم او بتنزهه عما يشغل سره
عن الحق وبتبتله اليه تبتيلا وهو التقي الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق
تقاته وقد عدي لطف اولا باللام كما فى ان ربي لطيف لما يشا وثانيا بالباء كما فى
الله لطيف بعباده **الذين شرفهم بنزل حضيرة قدسه** وهي الجنة اذ يقال
لها حضيرة القدس لنزاهتها عن كادورات الدنيا وثاني الاضافتين لتشريفه
ويجوز ان يريد به ما يهيا لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل اهل الجنة
زيادة كبد الحوت واما هو فى ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون

دمعزه

بان ما يمنونه بدعايهم بالنسبة الى ما يعطونه مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف
واوحشهم اي جعلهم ذوي وحشة عبي الانس باحد **من الخليقة** فعيلة من الخلق
بمعنى مخلوقة وانسهم **بانسه** فى امن حرمه وحرز عزه وظل كنفه فهم به انسون ومن
غيره ايسون **وخصهم من معرفته** بصفاته لامتناع معرفة كنه ذاته **وخصهم من**
مشاهدة عجايب ملكوته من الملك والتاء للمبالغة واثار قدرته الشاهدة
بايرادها فى معرض الاتقان محكمة كتصوير الاجنة فى الارحام كيف يشاء واخراجها
عن منافذ ضيقة وخلق السموات ورفعها بغير عمد ووضع كواكبها مختلفة اشكالا
واوضاعا وحركات مما تشهد بكمال قدرته ونفاذ امره وتفرده بالالهية **بما يملا قلوبهم**
حبرة اي سرورا ظهر حبره اي اثره على وجوههم فكستها بهاء وجمالا وفى الحديث يخرج
من النار رجل قد ذهب حبره وسبره بكسرهما وقد تفتحان اي بهاوه وجماله قال
تعالى فهم فى روضة يحبرون اي يسرون وينعمون بانواع المسار **وولّه عقولهم**
بتدبرها وتفكرها **فى عظمته حيرة** بان جعل عقولهم ذات تحير ودهش مما ارهقها
من هيبة جلاله وبها جماله وحبر وحيرة تجنيس تصحيف **فجعلوا همهم به**
واحدا قايمين بحقوق الهيبة ووظايف عبوديته لا يلهيهم عنه مال ولا بنون
ولم يروا اي يعتقدوا ان **فى الدارين** الدنيا والاخرة **غيره** يلجا اليه ويعول فى الحمال
عليه **فهم بمشاهدة** اثار قدرته المشاهدة بانضافه بصفات **كماله** فى ذاته
وصفاته وافعاله **وجلاله** اي عظمته **يتنعمون** ويتلذذون فعلى ما قدرناه تكون
المشاهدة بصرية ويجوز ان تكون قلبية فهم بادراكها يبتهجون **وهم بين اثار**
قدرته علويات وسفليات متقنة بحجة بانه تعالى غني مطلقا **وبين عجايب عظمته**
من واحدية وكبريا وجبروت وقوة سلطان ونفاذ تصرف **يترددون** متحيرين
فيها اذ التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المطمين او يرددون التفكر
فيها وان عجزوا عن ادراك حقيقتها **وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون**
اما من عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا بهيبة المعز له العز او يعز بالفتح اذا اشتد وقوي
ومن اسمايه العزيز اي القوي الغالب وفى الحديث قال لعايشة هل تدرين لما
رفع قومك باب الكعبة قالت لا بعززا ان لا يدخلها الا من اراد واي تكبروا
او تشددا على الناس فهم به تعالى اعزة لا يحتاجون لغيره **لهجاين** حال من ضمير
يتعززون اي ناطقين **بصدق قوله** اي بقوله الصادق **قل الله ثم ذرهم**
فى خوضهم مقتبس من قوله تعالى الزاما لليهود ولقريش اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قل الله اي قل انزله
ثم اتركهم فى اباطيلهم **يلعبون** حال من ضمير ذرهم او من ضمير خوضهم اراد به
هنا الله لا احد يانسون به وينقطعون اليه ويعتمدون عليه سواه ولتشبيه
نفارضهم فى اكاذيبهم فى الاية بالخوض فى الماء استعارة تحقيقية قرنت بما يلايم
المشبه وهو اللعب تجريدا واليه وعليه جناس مضارع لتقارب حرفيهما المختلفين
مخرجا وفى الاختلاف انتاني الاول كما هنا وفى طامس ودامس او الوسط كينهون
وينئون او الاخر كالخيل بنواصيها الخير **فالف** جواب اما وما قبلها اعتراض للتنبيه

على اولياء الله وعلى ما منحهم من كريم فضله ومزيد بره ورحيق هديه وللدعاء له
ولمن سأله تأليف هذا الكتاب قوله كررت على السؤال في تأليف مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى اي المختار المعد صفتنا من الصفوة اي
خالصة الشيء فهو صلى الله عليه وسلم صفوة الله من خلقه بشهادة حديث
مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ه
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وحديث الترمذي ان
الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا و يتضمن
بيان ما يجب له صلى الله عليه وسلم من توقير اي تعظيم واكرام و يتضمن
بيان ما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر اي واجب ذلك القدر العظيم
فالاضافة بيانية او ما حكم من قصر في حق منصبه الشريف وقدره المنيف
قلامة ظفر مثل يضرب للشيء الحقير يقال هو احقر من قلامة وهي ما سقط من
الظفر وهذا وان شمله ما قبله فقد زاد مبالغة في الحث على اجتناب التقصير
في حقه صلى الله عليه وسلم ولو احقر ما يكون وانا اجمع لك ما لاسلافنا
وائمتنا في ذلك من مقال تخصيص بعد تعميم فان ما يجمعه فيه امام من معالم
اسلافه المالكية وائمة الاعلام منهم او اسلافه مطلقا وائمته المالكية ه
وابينه اي المقال بتنزيل صور ايضاحا للمعنى وايصاله الى الذهن في معرضها
وضرب امثال لكشف المعنى الممثل له برفع الحجاب عنه وابرازه في صورة
المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويوافقه عليه اذ المعنى الصرف
انما يدركه العقل مع منازعة الوهم له اذ من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة
اعلم خطاب لكل من يتأتى توجيهه اليه سد مسد مفعولي اه انك
حملتني من ذلك الذي سألتنيه امرا امرا اي عظيما شاقا وارهقتني
فيما ندبتني اي اغشيتني فيما دعوتني له عسرا من عسر الامر اذا التاث وعسر
الاتيان به فارقيتني اي اصعدتني بما كلفتني مرقا صعبا ملأ قلبي رعبا
اي خوفا وفزعا فان ما ندبتني اليه انما عسر لان الكلام في ذلك يستدعي
تقرير اصول يبنى عليها ما يجب له صلى الله عليه وسلم ويجوز ويمتنع و يستدعي
تحرير فصول لبيان ذلك وفي تقرير وتحرير واصول وفصول جناس لاحق
ويستدعي الكشف عن غوامض ودقائق من غمض الامر ودق اي خفي ولطف
استعيرتا لما يفتقر من المعاني الى اعمال فكر وعطف دقائق على ما هو اشد
منه غموضا من علم الحقائق بيان لما قبله وها هنا اي فيما قصد سلوكه
لجميع ما طلب منه مما يليق بكريم منصبه صلى الله عليه وسلم من مطامح بصر ناظر جمع
ومطارح نظر ما بحثه تضل فيها الاذهان ما لم يهتد في الاستكشاف
عنه بنور بصيرة فهم ونفس تقي وخاطر معوان وفهم مستارع نعمان ومن مستطلع
ثم شبهها بمفاوز واسعة جدا لا علم فيها ومداحض فاستعار لها اسم المهامه
والمجاهل والمداحض استعارة تحقيقية ورشحها بالحيرة والضلال والزلل ترشيحا
للمجاز وتناسبا للتشبيه فضلا عن البلاغة فقوله مهامه جمع مهمه اي مفاوز

فيح اي واسعة تحار فيها الافهام لاكتساب ما اغدقت اسافله واثمرت اعاليه
تعريف حقوقه كما تحار فيها محسوسة القطا اذا سلكتها جمع قطاة طائر
معروف سمي بصوته يضرب به المثل في الهداية لمعرفته في المجاهل مظان
الماء فاذا رآه قال قطا قطا فيعرف العرب قرب الماء و تقصر بها الخطا
من الاعيا لا اتساعها مع فقد ما يهتدى به فيها الى المقصود و فيه مجاهل
جمع مجهل اي مفازة لا علم فيها تضل اي تضيع بها الاحلام اي العقول ان
لم تقتد بعلم علم من اضافة المشبه به الى المشبه في التشبيه المؤكد اي بعلم
كالعلم و نظر سديد يدرك السداد اي الصواب و فيه مداحض جمع مدحضة
اي مزلقة وفي حديث الصراط انه دحض مزلة تزل فيها الاقدام ان لم
يعتمد على توفيق من الله وتأييد واعانة على نيل المراد ولقد افرط في
وصف ما سلكه لغرضه ان به مهامه ومجاهل ومداحض يعسر فيها اقتحام
مظان شواهده واقتناص شوارده لكني اصله لكن انني فحذفت همزته فالتقى
النونان ولم يفترقا فكان الادغام ثم كسر ما قبل الالف فقلبت ياء جيء به استدراكا
لدفع ما يتوهم من افراطه في الوصف انه لا يأتي بالمسئول اي قد اجبتك
لما ارجوه لي ولك من ذي النعم السابغة في هذا السؤال والجواب من نوال
وثواب عطف خاص على عام ومن بيانية وفي سببية جعل محصوليهما لكونهما
سببين لما رجاه له ولسائله كانهما ظرفان لهما بتعريف اي بسبب تعريف
قدره الجسيم من جسم الرجل اي عظم وخلقه العظيم مقتبس من قوله
تعالى وانك لعلى خلق عظيم مع ما منحه من جزيل المكارم وجميل الكرائم زاده شبهها
ما وصفته به خديجة من اصول المكارم بما زينه الله به انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ومما
يدان اي يطاع الله به ويتخذ دينا من حقه صلى الله عليه وسلم الذي سوا رفع
الحقوق ليستيقن متعلق بتعريف او علة لمحذوف اي عرفت قدره ليستيقن
بين الذين اوتوا الكتاب نبوته وما اعطي مما لم يعط بالد ويزداد بذلك الذين
امنوا ايمانا ولما اي ومن اجل ما اخذ الله من الميثاق على الذين اوتوا الكتاب
وهم العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه اقتباس حسن اورده في كلامه
من غير اشعار انه قرآن وكفى به شاهدا على ايجاب بيان الحق على العلماء ولا
يكتمون منه شيئا مع ما اسنده هنا الى ابي داود وحسنه الترمذي وصححه
الحاكم من سئل علما فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة والمراد
العلم الشرعي بشهادة حديث ابن ماجه من كتم علما مما ينفع الله به الناس
في الدين الجمه الله بلجام من نار لكن ظاهره انه عام في كل علم شرعيا او غيره
بشهادة ورود علم نكرة في حيز شرط وخصه كثير كالحليمي بالشرعي كعلم العقا
ئد والحديث والقرآن والفقه واصوله وممهداته كالبيان والنحو
لا الفلسفي كالالهي والرياضي والمنطق الا ان يراد بمعرفته الرد على اصحابه
ودفع شبههم وشرهم عن الشريعة وقد عد المنطق من الشرعي لكونه من مواد

الاصول وكون الاحكام الشرعية لابد من اثباتها او نفيها تصورا او تصديقا ولا كافل ببيان
التصور والتصديق غيره فوجب كونه شرعيا اذ المراد بالشرعي ما اخذ من الشرع او توقف
هو عليه وجود كعلم الكلام او كمالا كعلم النحو والمنطق والحديثان موذنان بالحث على تعلم
العلم وتعليمه والارشاد به وتحريم كتمه هذا وقد شبه فيهما ما يجعل من النار في فم فم سـ
الكاتم باللجام تشبيها بليغا بيانا لكونه من نار وهو الذي اخرجه من باب الاستعارة
والنمري في سنده او لهما بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر الميم ابو قبيلة وانما
فتحت في النسبة تفاديا من توالي كسرتين مع ياء النسبة فيما فاؤه مفتوحة او
مضمومة او مكسورة كنمر ودول وابل فيقال نمري ودولي وابلي بفتح الميم والواو والباء
فبادرت من المبادرة وهي الاسراع والفاء سببية اي بسبب ما رجوته وما اخذ
الله من الميثاق على العلماء وحديث من كتم علما اي اسرعت الى بيان نكت جمع نكتة بمثناة
فوقية وهي نقطة بياض في سواد او عكسه استعير للطائف الكلام ودقايقه مما
يحتاج في فهمه الى امعان نظر واتعاب قريحة من نكت بالارض اثر فيها سفرة وفي
نسخة سافرة اي كاشفة عن وجه الغرض المقصود بيانه من التعريف بقدره
صلى الله عليه وسلم وما يجب له ويجوز ويمتنع والغرض في الاصل مرمى السهم استعير
اسمه للمقصود المشبه هو به استعارة تحقيقية رشحها بالوجه الذي هو صفة
الغرض ترشيحا واسناد الاسفار الى النكت مجاز عقلي وفي المفتاح ان مثل هذا
استعارة مكنية تشبيها للنكت بالفاعل الحقيقي بقرينة نسبة الاسفار اليها
لدلالتها عليه كما اسندت الهداية التي هي خلق الله الى القران وذلك
لانكاره المجاز العقلي مودبا حال من ضمير بادرت من ذلك الحق المفترض
له صلى الله عليه وسلم علينا اختلستها استلبتها واختطفتها على استعجال لما
المرء بصدده علة لاختلاسه النكت مستعجلا واراد بالمرء نفسه بقرينة المقام
من شغل البدن والبال بما طوقه بالبناء للمفعول اي بسبب ما الزمه كالطوق
في عنقه من مقاليد المحنة جمع مقليد او مقلاد من قلده فتقلده وهو من اضافة
المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد اي من المحنة التي هي لتعلقها بالمرء وعود ها
عليه كالمقاليد في عنقه كالطوق وفي البخاري من ظلم قيد شبر ارض طوقه من سبع
ارضين التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل بتراكم غموم او رنت
القلب قلقا وتزاحم هموم او غرت الكبد حرقا وكادت ترد بعد حسن التقويم اي بعد
اعتدال الحال وخلو البال الى اسفل سفل بضم اوله وكسره ولو اراد الله بعبد خيرا
لجعل شغله وهمه كله في فعل ما مود وترك منهي وبنيهم رفع لنيابته عن فاعلها
لحذف مفعوله اي لجعل الله شغل العبد الذي اراد خيره فعل ما يحمد الله فاعله عليه
في محله او جعل شغله ترك ما يذم فاعله غدا في محله فالشغل هنا اعم من ان يكون
بفعل ما يحمد او بترك ما يذم وما ما له ظاهر موذن بان من شغله الله بما يذم محله
غدا يكون قد اراد خيره وليس مرادا فصرفناه عنه الى تركه ويجوز ان يكون محله
هو المفعول به القايم مقام الفاعل اريد به العبد اذ هو المحل المحمود عليه فعلا او
تركا بصدوره عنه وفي نسخة ولا يذم محله وهو غني عن البيان فليس ثم اي في

محل ما يحمد او يذم سوى نضرة النعيم اي بهجة التنعم ولمعانها في وجوه اهله وفي نسخة
حضرة النعيم او عذاب الجحيم اعاذنا الله منه ولكان عليه بخويصته عطف على
لجعل اي وللزم اصلاح نفسه والامر الذي يختص به وحفظها والجار والمجرور اسم
للزوم ومن ثم كان بخويصته في محل نصب والباء مزيدة وفي نسخة بخويصة نفسه
وفي تصغيرها ان شاء الله حب لزوم اصلاحها واستعمالها فيما يقربها الى الله زلفى
واستنقاذ مهجته هو وما بعده معطوف على خويصته اي وللزوم خلاص روحه
ونجاتها مما يرديها وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده غيره تعليما وافتاء
وارشادا او يستفيده من غيره جبر الله صدع قلوبنا اي كسرها لما اعتراها من طول رق
محن وبوارق احن وهذه جملة خبرية لفظا دعائية معنى او خبرية لفظا ومعنى انشا
بها الدعاء ومن ثم فصلها عما قبلها وشبه فيها القلوب باناء صدع استعارة مكنية
واثبت لها الصدع تخييلا وغفر عظيم ذنوبنا اي ذنوبنا العظيمة اي كبارها
اللهم وصغارها وجعل جميع استعدادنا اي ما نعده ونتخذه عدة لمعادنا الجسماني
الذي هو رجوعنا الى الحياة بالارواح الى ابدانها موجودة بعد عدمها او مجموعة
بعد تفرق اجزايها هذا واما المعاد الروحاني المحض على ما تراه الفلاسفة فهو رجوع ع
الارواح الى ما كانت عليه من التجرد والتبري من ظلمات تعلقها بابدانها متصلة بعالم
المجردات ملتذة بكمالها مبتهجة بادراكها باقية ابدا او متالمة بنقصانها برذايلها
بميلها الى شهواتها تالما عظيما مشتاقة الى مشتهياتها اشتياق عاشق مهجور
لدرجها الى الوصول لكن ذلك يزول على التدريج بطول عهدها لانها انما
اجترحتها بكونها آلية فينقطع تالمها به كعقوبة الفاسق عندنا واما
الارواح الساذجة التي غلب عليها سلامة الصدور وقلة الاهتمام بامور
الدنيا فلا تتالم لها لانتفاء اشتياقها الى الكمالات بعدم شعورها بها كغير
المكلف عندنا هذا والغزالي وان قال بالمعاد الروحاني مبالغة في تحقيقه
وبيان ثواب الارواح وعقابها لا ينكر المعاد الجسماني لتصريحه به في مواضع من
الاحياء وغيره ولا نغتر بما افتري عليه من انكاره له وجعل توفر دواعينا اي
كثرة بواعثنا فيما يكون سببا يحظينا ويقربنا اليه زلفى اسم مصدر اي ازدلافا
ودنوا وفيما يكون سببا يحظينا اي يفضلنا ويجعلنا ذوي حظوة ومنزلة عنده
واصله المراة تفضل عند زوجها ولما نويت اي عزمت واردت تقريبه اي دنو
ما يشكل جمعه الى الافهام وتسهيله عليها ودرجت براء مشددة اي رتبت
تبويبه اولا فاولا لكل باب في مرتبته على التدريج ابهج ترتيب وانق تقريب ومهدت
اي وطيت وسويت وثبت تاصيله باوثق واحكم وخلصت تفصيله اقساما وابوابا
ومسايل وغيرها من شوايب الاشكال وعيابه الاحتمال بافصح عبارة واوضح اشارة
بحيث تسبق الى الفهم معانيها الفاظها وانتخبت اي تصدت حصره وتحصيله
في اقسامه وابوابه وفصوله ترجمته جواب لما من الرجم استعير للتلفظ بمعنى
رميت تشبيها للفظ بالرجم ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية اي سميته بالكلمات المنتظمة مما تلفظت به من الحروف

وفي الشفا بتعريف حقوق المصطفى وقصر الشفا ليناسب قرينه اذ يجوز للكاتب ما يجوز
للشاعر وهو من شفا الطبيب المريض شبه ما يترتب على تعريف حقوقه صلى الله عليه وسلم
من المعرفة لانها تشفي من الجهل ومن باب الاستعارة اي المشبه بقوله بتعريف
حقوق المصطفى ويجوز ان تكون استعارة تحقيقية قرينتها ما يلايم المشبه تجريد
وتاصيل وتفصيل وتحصيل جناس لاحق وحصرت الكلام فيه اي في الشفا في
اقسام اربعة حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته لعدم صدق اسم الكل
على واحد منها وتوجه الكلام من التوجه بمعنى صار على جهته واحدة ونسق واحد
لا يختلف او بمعنى انقضى واسند الى الكلام مجازا عقليا اي تم الكلام فيه اي في
القسم الاول في اربعة ابواب مرتبة كما في مرتبته وهي جمع باب ويقال ابوبه هو
للمشاكلة اي اذا وقع في صحبة مشاكل كالاوبة واخبية وابنية واظهار عظيم
قدره لديه لغة في لدن بمنزلة عند يختص بالحضرة فعند اعم منه قال تعالى
والفيا سيدها لدا الباب قلبت الفه ياء لاتصاله بالضمير كالف على منفصلا و
بضمير قال تعالى ان لدينا انكالا ان علينا جمعه وقد اغرى به ذو الرمة في قوله
• فدع عنك الصبا ولديك هما • توقش في فوادك واختبالا •
في تكميله تعالى له صلى الله عليه وسلم المحاسن جمع حسن على غير قياس وكانه جمع
محسن خلقا بضم اوله وسكون ثانيه وخلقا بفتحهما ويجوز اسكان ثانيه
اي في جمعه له محاسن خلقته وخلقه لانها كانت ناقصة تكميلها له صلى الله عليه وسلم
كان منهما بمحل اسنى مع ما مدحه الله تعالى به بانه على خلق عظيم وقد سئلت
عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القران يأتمر باوامره
وينزجر بزواجره ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه ومع ما اتاه الله من جماع
وملاك الامر فكان صلى الله عليه وسلم يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويعطي
من حرمه ويعين على نوائب الحق بطلاقة وجه وسماحة نفس وكف اذى وبذل
ندى وغير ذلك مما اوتيه من مكارم الاخلاق وكرائم الشيم وقرانه من قرن
بين البعيرين جمعهما في قرن اي حبل استعاره هنا للجمع اي وجمعه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه صلى الله عليه وسلم نسقا مناسبا
بعضها بعضا مستوية في كمالها كجواهر منتظمة في نظام واحد فتشبيه الفضائل
بها استعارة مكنية واثبات النسق لها تخييل وهذا القسم اي الثالث
اكرمك الله جملة اعتراضية بين المبتدا وخبره وردت دعاء لمن خوطب كما في
• ان الثمانين وقد بلغتها • قد احوجت سمعي الى ترجمان • وقد يرد
الاعتراض للتنزيه في نحو ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون او
للتنبيه في مثل • واعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كل ما قدرا •
هو سر الكتاب خبر المبتدا من سر النسب اي محضه وافضله يقال هو في سر
قومه اي في اوسطهم استعير اسمه هنا لسر الكتاب بمعنى اشرفه واحسنه اذ
هو المقصود بالذات ولباب اي خالص ثمرة هذه الابواب اي ابواب هذا القسم ولما
كان سره لشرفه اذ هو الكافل ببيان ما يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم ويجوز وما

يصح

يصح ان يضاف اليه من الامور البشرية وافصاحه بتعظيم الله له وثنائه عليه وتكميله
له محاسن خلقه وخلقته وبما ورد بخبر بعظيم قدره ورفيع منزلته عند ربه وما شرفه
به من خصائص وكرامات وسوابق لطف وايات وتثبيته بالعصمة وتاييده بالحكمة
وما يجب علينا من حقوقه والايمان به ومحبته وطاعته ومناصحته ولزوم توقيره
وغير ذلك مما يقتضي بكماله من كل وجه ومن كان هذا شانه فجدير ان يوفي ابلغ
التوقير والتكريم فهو المقصود بالذات وغيره بالعرض لانه الباعث على تابعه وما
قبله مما ذكر هو له لا لغيره من الاقسام كالقواعد جمع قاعدة وهي اجمالا قانون
مشتمل بالقوة على جزئيات موضوعه تعرف احكام جزئياتها منه وتفصيلا مقدمة
كلية تصلح كبرى لصغرى عند الاستدلال بالشكل الاول او مقدما في قياس
استثنائي لاخراج الجزئيات وتسمى فروعا واخراجها من القوة الى الفعل تفريعا مسألة
بان يجعل في الشكل موضوع القانون الذي هو مثلا كل من اظهر معجزة دعواه ال
وكل من اظهر معجزتها صادق فينتج محمد صادق وفي القياس يجعل الكبرى مقدما
في نحو كلما كانت دعوى الرسالة صادقة كانت الرسالة ثابتة فما قبله له كالقواعد
والتمهيدات والدلائل على ما نورده في جملته مما يجب ويستحب ويجوز ويباح
ويحرم وغير ذلك من البينات اي الواضحة التي لم يطمثها اشكال ولم يتفرغها
احتمال وهو اي القسم الثالث المنجز اي الموفي من غرض هذا التاليف وعده
مما يليق بكريم قدره الشريف وعظيم جنابه المنيف مع ما اضيف الى ذلك من منح
الهبة خارجة عن طوق البشر وعند المتقضي بقاف وضاد معجمة اي المتتبع البلوغ
الغرض المقصود القاصي اي البعيد لموعدته بفتح ميمه وكسر عينه اي ما وعد به
ونسبة الحكم والانجاز والوعد والموعدة الى القسم مجاز عقلي اي لاجل ما وعد به
وعند المتقصي بقاف وصاد مهملة اي المتخلص عن عهدته بايراد ما التزمه فيه
مما هو مقصود بالذات وما يتبعه من ملايم ومناسب وبين المتقضي والمتقصي
جناس لاحق يشرق بفتح اوله وثالثه اي يشجي ويغص بريقه ويضيق بالتخلص
عن عهدته صدر العدو والغبي حسدا منه كما يضيق صدر من شرق بريقه عند
الموت والغبي ان اريد به ابليس فلامه عهدية او مع غيره فجنسية واسناد
شرق الى الصدر مجاز عقلي ويشرق من اشرقت الشمس اضاءت لا من شرقت لغة
اي طلعت كذا في الصحاح ويقال الضوء في مشارقه شرقت واشرقت اي اضاءت بها
اي بضوئها ويتلالا قلب المؤمن ويستنير باليقين اي العلم بما دابت الفهم في جمعه
وترصيفه واتعبت الفكر في تاليفه ليمتاز من معرفة ما اوتيه صلى الله عليه وسلم
كل رايد ويروي من مشارعه كل وارد وتشبيه اليقين بالنور استعارة بالكناية
واثبات الاشراق له تخييل وفي ليشرق ويشرق جناس التحريف ويملا انواره
اي اليقين الهادي للتي هي اقوم جوانح صدره اي الاضلاع التي تحت الترائب
مما يلي الصدر واحدتها جانحة والترائب عظام الصدر ما بين الترقوة الى الثندوة
واحدتها تريبة ويقدر بفتح اوله وضم ثالثه العاقل الحق قدره اي يعظمه
حق تعظيمه ويعرفه حق معرفته وهيهات لا يقدره عاقل حق قدره

اذ مبلغ العلم فيه انه بشر ۝ وانه خير خلق الله كلهم ۝
ويخفى عنه ما وراء ذلك **ويتشبث به المقود** اي يتعلق القود بالباب الاول من
التعلق بشي حسي تشبيها للباب به استعارة مكنية واثبت التشبث تخييلا واسند
الى القود مجازا عقليا او استعير او لا لفظ التشبث الحسي للملايمة والمناسبة
هنا تشبيها لها به بجامع الوجود ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية **في العصمة** هي عندنا على ما حكم به اصلنا من استناد
الحوادث ابتدا الى الله ان لا يخلق في معصوم ذنبا وعند الفلاسفة على ما ذهبوا
اليه من قولهم بالايجاب واعتبار استعداد القابل ملكة نفسانية تمنع من الفجور
وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات فان الزاجر عن المعصية والداعي
الى الطاعة وتتاكد وترسخ بتتابع الوحي الى الانبيا بالاوامر والنواهي اذ الصفات
النفسانية تكون في ابتداء حصولها احوالا اي غير راسخة ثم تصير ملكات ۝
راسخة في محالها على التدريج وقيل هي خاصة يمتنع بسببها صدور الذنب عنه
وكذب بانه لو كان صدوره عنه ممتنعا لما استحق بتركه مدحا اذ لا مدح ولا ثواب
بترك ممتنع لانه غير مقدور ولا داخل تحت نطاق الاختيار وبالانعقاد الاجماع
على انه مكلف بتركه مثاب به اذ لا تكليف بترك ممتنع ولا ثواب واما هي في قوله
تعالى والله يعصمك من الناس فبمعنى الحفظ والحراسة وربما سماها الحد عندنا
اذ هي عبارة عن ان لا يخلق الله فيه قتلا **وفيه** اي في الباب الاول **ستة عشر**
فصلا تمييز للنسبة العددية جعل الباب الذي هو عبارة عن مجموع الفصول
ظرفا لجميعها توسعا فالظرفية هنا مجازية ثم قد يجوز ان يكون شبه الباب
بالظرف بجامع الحصول فيهما فتكون استعارة مكنية ثم اثبت له ما هو من خواص
الظرف وهي في تخييلا او شبه استقرار الفصول فيه باستقرار المظروف بالظرف
ثم اثبت له في تخييلا ومنه لاصلبنكم في جذوع النخل ولهذا التركيب نظاير سابقة
ولاحقة يجري فيها ما قلناه هنا **وما يجوز طروه عليه** من طرا بهمز اخره ويجوز
ابدالها واوا وادغامها في الواو قبلها اي حدوثه له **من الاعراض البشرية**
من مرض ونسيان وسهو ونحوها **في تصرف وجوه الاحكام** جمع حكم وهو خطاب
الله يتعلق بفعل المكلف وقد يقع صفة لهما من حيث اطلاق المصدر اعني الحكم
على المفعول اعني المحكوم عليه اي في المحل لهذا الفعل او القول مباح او واجب او
مندوب او حرام او مكروه فاطلاق الحكم عليه تسامح وليس لمتعلقه من فعل او قول
منه صفة حقيقية لوجود قيام الصفة الحقيقية بموصوفها لانه حال الامر به
معدوم واراد بوجوهها انواعها المختلفة من ايجاب وتحريم ونحوهما واسند
التصرف اليهما مجازا عقليا لقيامها مقام المسند اليه ويتصرفها حكمها **على من**
نقصه او سبه او غيره من الانبيا بعظيم نكال واليم عذاب هذا وتشبيه الوجوه
بمن له تصرف استعارة مكنية واثبات التصرف لها استعارة تخييلية وذكر الوجوه
ايهام او تشبيه الاحكام بذوي وجوه استعارة مكنية واثبات الوجوه لها استعارة
تخييلية وذكر التصرف ترشيح وعلى الجارة متعلقة بالاحكام اي في بيان ما يستحقه

من

من انواعها من نسب اليه ما لا يليق به مما وردت به الادلة لوجوب قتل او ضرب
او تعزير او حبس **من تعريض ونص** بيان لما قبله والتعريض لفظ استعمل في معنى
دال على معنى اخر لم يوضع له وكانه امالة الكلام الى عرض اي الى جانب يدل على المقصود
ويسمى تلويحا اذ منه يلوح ما يريده مثل ان يذكر المحتاج للتسليم بلفظه ليدل على
طلب العطا فالتسليم مقصود وطلب العطا عرض قد اميل الكلام اليه من عرض اي
جانب فيجيئك لاسلم عليك كناية وتعريض ومنه اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي
فانه تعريض بتكذيبه صلى الله عليه وسلم حين قال لمالك بن الصيف اليهودي
البشر في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين ۝
فغضب وقال ذلك والنص ما دل صريحا على معناه **وبتمامها** اي فصول الباب
الثالث من القسم الرابع **ينتجز الكتاب** اي يتم وينقضي **وتلوح** اي تلمع الخمسة
فصول في الباب الثالث الذي ختم به الكتاب **في غرة الايمان** هي في الاصل بياض
فوق الدرهم في جبهة الفرس استعير لكل واضح معروف شبه الايمان بالفرس استعارة
بالكناية مثبتا له الغرة تخييلا بان جعل كتابه كانه **لمعة منيرة** اي مضيئة في غرته
تشبيها بليغا **وتلوح في تاج التراجم** هي الاقسام الاربعة وابوابها وفصولها
والتاج الاكليل شبه عصابة كانت الاعاجم تجعله على رؤوسها مرصعا بالجواهر
كالعمامة للعرب ومن ثم قيل العمايم تيجان العرب شبه التراجم بذوي تيجان استعارة
مكنية واثبت لها التاج تخييلا بعد ان جعلها كانها **درة خطيرة** ذات خطر اي عظم
ونفاسة تلوح في تاجها تشبيها بليغا **تزيح** اي تزيل وتذهب **كل لبس** اي اشتباه
من التبس بغيره اي اشتبه وفصل هذه عما قبلها لشبه انقطاع بينهما اذ ذلك
موذن موصف وجودي حسي وهذه بوصف عدمي معنوي **وتوضح كل تخمين وحدس**
اي تبين كل قول قيل بظن وتكشفه انكشافا تاما بازالة قناع الحدس اي الظن عنه
اذ التخمين القول بالحدس **وتشفي صدور قوم مومنين** مما يورد من سب الله
او رسوله او ملايكته او كتبه من منال الاذى وبذيئة من ونال الردي وعبر بالصدور
عن القلوب لكونها محالها وتقيدا بلفظ الاية المقتبس منها واسناد تزيح وتوضح ۝
وتشفي للفصول مجاز عقلي **القسم الاول** **في تعظيم العلي الاعلى**
رفعة ورتبة لا حسا اذ هو المنزه عن فوق عباده تمثيلا وتصويرا للمعاني وابرازها
في معرض المحسوسات تشبيها للحالة المعنوية بالحالة الحسية فهو استعارة تمثيلية
قرنت بالعلو والفوقية ترشيحا وجعل التعظيم ظرفا توسعا او شبه ان يكون من القسم
وهو كما في المفتاح شعبة من البلاغة تشهد دقة اعكفنا ها فجاءها باسنا اي جاءها
باسنا فاهلكناها في احد قولين وقس على نظاير ه سابقا ولاحقا اي القسم الاول
الذي يذكر فيه تعظيم العلي الاعلى **لقدر المصطفى** صلى الله عليه وسلم **قولا** ورد به
قرانه الكريم وفرقانه القديم **وفعلا** من معجزات باهرة وايات ظاهرة ونصبهما بنزع
الخافض **لا يخفى على من مارس** اي عالج وعانا **شيا** قليلا بقرينة السياق **من العلم او**
خص مبنيا للمفعول ترك فاعله للعلم به اي خصه الله **بادنى لمحة من فهم** من لمح
البصر اي رجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها تشبيها للمحة به ومن فهم بيان

من قرينة مع

لكونهامنه وبه خرج من باب الاستعارة الى كونه تشبيها بليغا كما في حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من بياض الفجر مع ما يمتد
معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود وصرفه بقوله من الفجر عن كونه استعارة
الى كونه تشبيها بليغا بتعظيم الله متعلق بخفا والبا بمعنى في اي لا خفا في تعظيمه
تعالى قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه اياه بعد تخميله بما ينوع الانسان وهي
وهي النطقية وتسمى كمالا اولا القوة بفضايل ومحاسن ومناقب عصمه قايمة
به لا تنفك عنه وتسمى كمالا ثانيا مما يتفاضل به افراد الانسان بعضها على بعض من
الكمالات الثانية واشرفها الكمالات العلمية التي اسناها معرفته تعالى لا ينضبط
لزمام اي لا تحصى كثرة لضابط يدخلها تحته لعد وحصر استعير من زمام البعير وهو
خيط يجعل في برة وهي حلقة تجعل في انفه وتنوه من نوهت باسمه رفعت ذكره
اي رفعه الله من عظيم قدره اي قدره العظيم ومن زايدة بما تكل اي تعيا وتعجز
عنه الالسنة والاقلام اسند الكلال اليهما مجازا عقليا تنزيلا لهما منزلة الفاعل
حقيقة فمنها ما صرح به اي نص عليه في كتابه ونبه به اي بما صرح به في كتابه
على جليل نصابه اي منصبه الجليل واثنى به اي بما صرح به في كتابه عليه من ذكر
اوصافه الجميلة واخلاقه الجليلة جمع خلق وهي السجية وحض العباد اي حثهم
وحرضهم وحملهم على التزامه اي التزام ما صرح به في كتابه من تعزيره وتوقيره
والاذعان لاوامره ونواهيه امتثالا واجتنابا عملا بمثل فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم او التزامه صلى الله عليه وسلم
واتباعه فيما جاء به من الدين وعلى كل فقوله وتقلد ايجابه من عطف بعض افراد
العام عليه تلويحا بفضله وامتيازا عنها بما له من اوصاف شريفة حتى كانه لم
يشمله لفظه ولم يعرف حكمه منه تنزيلا للتغاير في الصفة منزلة التغاير في
الذات كما في حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى اي الفضلى من قولهم للافضل
شبه الايجاب للالتزام المكلف ما فيه كلفة من واجب فعلا وتركا بشي يجعل في اوسط
العنق استعارة مكنية مثبتا لها التقلد تخييلا اي وحثهم على لزوم ما اوجبه
صلى الله عليه وسلم عليهم لان ايجابه من ايجابه وهذا احسن احتمالي يحيى تفضيله
فكان اي الله جل جلاله اي عظمت عظمته اذ جلال الله عظمته هو الذي
تفضل واولى اي انعم ثم طهر من عبادة الاصنام والتباعد عما يورث الاثام
وزكى مبالغة في التطهير وزيادة فيه لشرفه صلى الله عليه وسلم ثم مدح بذلك
اي بما تم ما منحه به وكاد يخرج عن ان يدرك بعد او يحصى بعد واحصى من عطف
شامل لما عطف عليه اذ كل ثناء مدح ولا عكس لان الثناء في الاصل يكون على جميل
اختياري من نعمة وغيرها والمدح يكون على الجميل مطلقا تقول اثنيت على علمه وكرمه
ومدحته ولا تقول اثنيت على صباحته وجهه ورشاقته بل مدحته وهما باعتبار
غايتهما كما سياتي ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى اي الاوفر وثم هنا للترتيب
الذكري فله الفضل على ما منحه به من صفات ظاهرة برفعه قدره وهو محاله
بدا وعودا نصبا بنزع الخافض اي في بدئه وعوده بتفضلاته تعالى عليه قال

مالك

مالك ابن نويره • جزينا بني شيبان امس بقرضهم • وعدنا بمثل البدء والعود احمد
ويقال رجع عوده على بدئه اذا رجع في طريق جاء منها وله على ذلك الحمد
اولى واخرى من قوله تعالى له الحمد في الاولى والاخرة ونصبهما بنزع الخافض
اي في الدنيا والاخرة ويجوز ان يكونا اسم تفضيل اي وله اولى الحمد واحراه
وقول بعضهم ان اسماء التفضيل لا تستعمل الا مضافة او موصولة بمن
او معرفة باللام يكذبه قوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى كانوا هم اظلم واطغى ونحوه
مما يوذن بجواز استعمالها بدون ما ذكر اختصارا او لتذهب النفس كل مذهب ممكن
ومنها اي ومما خصه تعالى به مما ابرزه للعيان اي اخرجه للمعاينة والمشاهدة
من خلقه بيان لما على اتم وجوه الكمال والجلال في ذاته وصفاته وافعاله والجلال
العظمة واراد بالوجوه انواع الكمالات من تناسب اعضايه واعتدال قامته
وحسن طلعته وبهاء هيئته وفصاحته وحسن هديه ودله وسمته وسكينته
ووقاره مع بشاشة وجهه وطلاقته وغيره مما اورده رواة شمايله عن ابن ابي
هاله وغيره وياتي في هذا امام من التشبيه في قوله بصرف وجوه الاحكام الجميلة
الحسنة البالغة في الحسن الحميدة فعيلة بمعنى مفعوله اي محمودة الكريمة
الشريفة المرضية مما يذهب اليه من افعال عميمة البر واقوال كثيرة النفع وتاييده
اي اعانته بالمعجزات جمع معجزة من خوارق العادات مقرونة بالتحدي مع عدم
المعارضة مما يصدق الله به انبياءه في دعوى النبوة سميت معجزة لاعجازها
عن الاتيان بمثلها وتسمى ايضا اية اي علامة دالة على تصديق الله لهم الباهرة
اي الغالبة من بهر القمر اضاء حتى غلب ضوءه ضوء الكواكب هذا وما ذكر سابقا
ولاحقا وان اذن بتكرار فحسن لكونه مقام مدح يذم فيه الايجاز ويحمد الاطناب
سيما في خطاب الاحبة ومن ثم قال موسى جوابا لقوله وما تلك بيمينك يا موسى
قال هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى وكان
يكفيه ان يقول عصاي قراءة نصب بنزع الخافض او تمييز او حالا اي حدثنا بقراءة
او من جهة قراءة او حال قراءة مني عليه لا بقراءته ولا بقراءة غيره ولا اجازة وهذا
على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبانا فرقا كالبخاري وقيدها بكونها
منه عليه احترازا لما ذكر ويسمى احترازا بديعيا كما في تخرج بيضاء من غير سوء الذي
للنبي المفعول اي جاء جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق وهو دابة ابيض
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه سمي براقا لسرعة سيره
لشهادة يضع حافره عند منتهى طرفه او لشدة صفايه ولكونه ابيض وعن المصري
خفقا لكونه ذا اللونين من قولهم شاة برقا اذا كان في خلال بياضها طاقات سود وفي لا
لان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوايمه كقوايم الثور وذنبه كذنب
الغزال لا ذكر ولا انثى فاستصعب عليه اما لبعد عهده بالانبيا لطول الفترة
بينه وبين عيسى او لانه لم يذلل اذ لم يركبه احد قبله ويرده ما يلوح به قول
جبريل له ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه وفي رواية فوالله
ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك

وانه صاحب الشفاعة واني احب ان اكون في شفاعته فقال انت في شفاعتي
وان لم يكن لازما من تفيهاد كوب الافضل منه نبويرم اتيت بدابة هي اشبه الدواب
وهو البراق التي كانت الانبيا تركبه وفيه ثم اتيت المسجد الاقصى فاوثقته بالحلقة
التي كانت الانبيا توثقه بها وروى مغلطاي ان ابراهيم كان يزورها من كل يوم من
الشام على البراق تشغفه بها وقلة صبره عنها فارفض عرقا بمثير خود عن كونه
ناعلا اي سال عرقه وجرى لما غشيه من الهيبة والخشية ولا يخفى مناسبة ما اسلع
هنا من طريق الترمذي لافصاحه باكرميته عند الله كالرواية الثانية الباب
الاول من القسم الاول في ثناء الله عليه الثناهنا باعتبار غايته فهو اما انعام
بانواعه من تكريم وتشريف وتعظيم فيرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك
فيرجع الى صفات الذات والا فهو في الاصل اما بمعنى الحمد او الشكر او المدح او عام
فيها ومورد ذلك كله الجوارح وهو في حقه تعالى فيكون مجازا مرسلا لكون العلا
غير المشابهة وفي اظهار عظيم قدره لديه اي عنده في اللوح المحفوظ لتعلم
الملايكة زيادة شرفه وتمييزه على غيره اذ هي المرادة هنا فيلتزموا توقيره وتعظيمه
اعلم خطاب لكل من يتاتى توجه الخطاب اليه ولم يرد به مخاطبا معينا ويجوز
ان يكون اراد به من ساله تاليف هذا الكتاب ان في كتاب الله العزيز اي
المنيع الذي لايتاتى ابطاله وتحريفه مع كثرة نفعه وعدم نظره ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى اي تذكره الجميل اي الحسن قالت الخنسا ترثي اخاها صخرا
اذا قبح البكاء على قتيل رايت بكاك الحسن الجميلا واسنادا لافصاح الى
الايات مجاز عقلي وعد محاسنه وتعظيم امره اي شانه وحاله ذاتا وصفة وفعلا
اذ قد جمع له علو الحال ونباهة الشان وتنويه اي رفعة قدره تعالى نوه
باسمه اي رفع ذكره واعتمدنا على ما ظهر معناه منطوقه وعلى ما بان نحواه
ولحنه اي مفهومه مما يلوح خلال تركيبها تعالى عرفت ذلك من فحوى كلامه وانه
ليلحن ويلحن بكلامه اي يميله ويزيله عن جهته الى تورية او تعريض ليفهمه مخاطبه
دون غيره قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول الفصل الاول اصله ان يوصل
بين اذ هو لغة الحجز وكثيرا ما يجري مجرى الابواب فيوصل بين كما قال هنا فيما جا
في كتابه العزيز من ذلك من الايات مجرى المدح والثنا وتعداد المحاسن كقوله
تعالى لقد جاءكم رسول بدا بهذه الاية لاشتمالها على ابلغ تعظيم واشرف
تكريم لجمعه فيها اسمين من اسمايه مع ما تضمنته من رافته ورحمته بقومه وحرصه
على ان يومنوا كلهم ولا يتخلف منهم احد بشهادة لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا
مومنين من انفسكم اي من جنسكم ونسبكم عربي قرشي مثلكم عزيز عليه ما عنتم
اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاوكم المكروه حذر وقوعكم في العذاب حريص
عليكم ان تومنوا كلكم بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الرؤف لكونه
ابلغ اذ الرافة اشد الرحمة وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفا اي اشرفكم واطيبكم
عنصرا هو ابن عباس وفاطمة وعايشة والضحاك وابو العالية وابن قسيط وفي
المستدرك عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قراها كذلك وقراة الجمهور

بالضم

بالضم قال اي المص اعلم الله بفتح اوله ما منا المومنين او العرب او اهل مكة او جميع
الناس على اختلاف المفسرين في المواجه بهذا الخطاب اذ بعث ثاني مفعولي
اعلم فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه بحليته ونعته في الكتابين ويتحققون
مكانته بكرم نسب وشرف وكفرهم به انما كان عنادا مع مجيئه لهم بايات ظاهرة
ومعجزات باهرة شاهدة بانه رسول الله وكانوا يعلمون صدقه اذ لم يشتهر بكذب
قط ويعلمون امانته اذ كان يدعى قبل ارساله بالامين فلا يتهمونه الفاء اما
سببية او فصيحة اي فبسبب انه منهم ومعرفتهم ذلك فيه فاذا كان الامر كما ذكر
فجدير ان لا يتهمونه بالكذب في دعواه الرسالة ولا يتهمونه في ترك النصيحة
لهم فيما ينفعهم في دنياهم واخراهم لكونه منهم اذ هو انفى للتهمة وفيه تعريض
ذما وتوبيخا لمن كذبه مع معرفته ذلك لقبح تكذيب من علم صدقه وامانته مع
مشاهدتهم ما اتى به من معجزات خارجة عن طوق البشر ففي كونه صلى الله عليه وسلم
ممن يعجز عن الاتيان بها مع اتيانه بها تحريض على تصديقه وحث على المسارعة الى
اتباعه اذ ما ياتي به من هو منهم من عجزهم شاهد صدق بصحة دعواه لكن الحسد
والانفة سلكا بهم اودية العناد بشهادة قول ابي جهل للعباس اذ ذاك هشم بابني عبد
المطلب بالنبوة والسدانة والسقاية فما تبقى لسائر قريش هذا وظاهر
صنيع المصنف ان المواجه به هم العرب ويجوز ان يكون جميع الناس لان النوع
الى النوع اميل ولما ياتي به اقبل فاذا جاءهم بما يعجز عن معارضته علموا انه ليس مما
يقدر عليه البشر فيومنوا ولو كان ملكا لما علموا ذلك بل ربما اعتقدوا انه في
وسعه ولما قدر واحد منهم ان يسمع تبليغه لضعف القوى البشرية عن سماعه
شهادة ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي اهلاكهم اذ بمجرد مشاهدته في صورته
تزهق ارواحهم ويذكر ان رجلا سمع يوم بدر ملكا يقول اقدم حيزوم فانفطرت
كبده فكونه بشرا منهم ارفق بهم وانه عطف على انه بعث وهو موذن بان بعثه لم
يكن في العرب بمجرد كونه من انفسهم بل مع كونه ما فيهم قبيلة الا ولها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة والمستثنى صفة قبيلة والاصل
عدم دخول الواو عليها كما في وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون لكن لما شابهت
الحال صورة دخلت لتوكد لصوقها بموصوفها ويجوز ان تكون حالا من قبيلة
لكونها في حكم الموصوف كانه قال لم تكن في العرب قبيلة من القبايل وفي نسخة
وهو اي ما ذكر انه ليس فيهم قبيلة الا لها عليه ولادة او قرابة عند قول ابن عباس
معنى قوله الا المودة في القربى كما رواه البخاري عنه لم يكن بطن من قريش الا
له فيهم قرابة فنزل الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة والظاهر انه نحو عنه وقال
به كثير من المفسرين اراد صلى الله عليه وسلم به استعطافهم ليكفوا شرهم واذاهم
عنه حتى يبلغهم وغيرهم ما ارسل به ثم نسخ باية الجهاد وكونه علة ثانية لنفي التهمة
بكذب او غيره فهو معطوف على كونه منهم ومن اشرفهم نسبا وحسبا وارفعهم محلا
وقدرا وافضلهم مجدا وكرما على قراة الفتح من النفاسة بمعنى الاكرمية وهذه اي
ما ذكر من انه اشرف واكرم وافضل نهاية المدح وانث اسم الاشارة باعتبار ما بعده

ثم وصفه بعد اي بعد مدحه بما ذكر باوصاف حميدة مبالغة في الحمد اي محمود بها كثيرا
واثنى عليه بمحامد جمع محمدة بمعنى الحمد كثيرة من اي بسبب او لاجل ما يأخذه من
شفقته ورقة قلبه وحرصه على هدايتهم ورشدهم الى طريق النجاح ليفوزوا
بالفلاح وحرصه على اسلامهم اي انقيادهم واذعانهم للجادة به وشدة عطف على
حرصه اي ومن شدة سعيه في ازالة ما يعنتهم بضم اوله وسكون ثانيه مخففا
من اعنته اي اوقعه في العنت ويضرهم ويكسبهم التوبيخ والذم في دنياهم
والباء زائدة وموردهم الخزي والنار في اخراهم لكراهته ذلك لهم وعزته
اي وشدة ما يعنتهم وشفقته عليه صلى الله عليه وسلم حذرا منه عليهم من وقوعهم
في مكروه يوذيهم ورافته ورحمته بمومنيهم اذ كانت شفقته بهم الى ما لا يدركها
فهم ولا يتخيلها وهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه روف رحيم ومثله
اي مثل لقد جاءكم رسول من انفسكم مما جاء مجي المدح والثنا لقد من الله على المومنين
اي انعم على من آمن به وتخصيصهم مع عموم نعمة بعثته لزيادة انتفاعهم بها
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نفيسهم ففي كونه نعمة ممتنا بها عليهم
من فخامة امره ورفعة قدره ورفعة محله ما لا مزيد عليه وقوله هو الذي بعث
في الاميين من العرب وان كانت بعثته عامة لانه منهم واكثرهم لا يكتبون ولا
يقرون بشهادة حديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب فالامي نسبة الى الام
اما بمعنى انهم على الحالة التي كانوا عليها في بطون امهاتهم او الى ام القرى مكة
رسولا منهم اي اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا لا يقرا ولا يكتب ويزكيهم
من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي الشريعة
او معالم الدين والمنقول والمعقول وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متعلقا
بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او امر الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم
في الدنيا بارسال رسول منكم او بما بعده اي بما ذكرتم من ارسال رسول فاذكروني
بالطاعة اذكركم بالثواب يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم اي يحملكم على ما تصيرون
به ازكيا وروي عن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن ابي
عمر العدني في مسنده في قوله من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا اي شرفا
وكرما مما يعد من مفاخر الابا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها نكاح اي تزوج
قال الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهما
سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية بشهادة حديث ابن عدي والطبراني خرجت
من نكاح ولم اخرج من سفاح وما ذكره الزبير بن بكار وغيره من ان كنانة تزوج
زوجة والده خزيمة بعد موته وهي برة بنت اد بن طابخة فولدت له النضر فمردود
بما ذكره الجاحظ من ان النضر ليس منها بل من بنت اختها برة بنت مرة بن اد ومن ثم
اشتبه على الناس وعلى تقدير صحته فقد كان ذلك مباحا قبل الاسلام بشهادة
الا ما قد سلف هذا والتاريخ قاض باستحالة ان يكون بينهما خمس مائة ام اذ بينه
صلى الله عليه وسلم وبين عدنان احد وعشرون ابا اجماعا وبين عدنان وادم
عند ابن اسحاق وغيره ستة وعشرون ابا فيكون بينه صلى الله عليه وسلم وبين ادم

سبعة واربعون ابا سبع واربعين اما فبين هذا وما ذكره الكلبي تفاوت كثير الا
ان يكون فذا عد امهاته وامهات اعمامه او امهات اعمام ابائه الى ادم وعن ابن
عباس في قوله وتقلبك قال كما رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم في دلائله
بسند صحيح من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا اي في الحالة اذ ظاهر هذا انه يعتبر
سن عدا من ابائه نبي الانبيا من لم يكن كمن شيث الى نوح الى هود الى ابراهيم واما
فاكثرهم من ادم الى اسماعيل ابيه لم يكن نبيا وروي عنه ان المراد بالساجدين
المصلون اي الذي يراك حين تقوم الى تهجدك وحدك وحين تقلبك فيهم اذا
اممتهم اي تصرفك فيهم بالركوع والسجود والقيام والقعود ولعله سر الاية
بهما او تردد ذلك في تصفح احوال المجتهدين اذ قد ورد انه صلى الله عليه وسلم
لما نسخ فرض قيام الليل طاف ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة
عباداتهم فوجدها كبيوت النحل لما سمعه من ذكر الله وتلاوة كتابه او تقلب
بصرك فيمن خلفك من المصلين بشهادة اتروني قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى علي
سجودكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر
علم الله عجز خلقه عن معرفة ما يطلب منهم من طاعته فعلا وتركا اذ ما خلق
الانس والجن الا ليعبدون فعرفهم عجزهم عن معرفته بدون رسول يبين لهم ذلك لكي انهم
لا ينالون الصفو اي الخالص من خدمته الا بارسال رسول يرشدهم اليه
فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم بشرا مثلهم في الصورة البشرية وباينهم
بما اوتيه من الصفات الملكية بشهادة حديث الوصال اني لست كهيئتكم البسه
الله من نعته اي من صفته الرافة والرحمة اي خلقهما فيه فصارا وصفا رحيما
شبه اولا البسهما اياه بخلقهما فيه وادخاله في جنسه ثم اشتق الفعل فجرت
الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا مشبها النعت باعتبار
غايته بثوب استعارة مكنية مثبتا له اللبس تخييلا واخرجه صلى الله عليه وسلم
الى الخلق سفيرا اي رسولا صادقا وجمعه سفرا ككتبة وفهما وجعل طاعته صلى
الله عليه وسلم طاعته اي مثلها في وجوب انقيادهم واذعانهم له امتثالا وجعل
موافقته صلى الله عليه وسلم في جميع احواله وافعاله امرا ونهيا وغيرهما
موافقته فلا يجوز مخالفته في شيء منها فليحذر الذين يخالفون عن امره وسيلي ما ذكر
من التركيب خليق باطلاق اسم التشبيه عليه نظرا الى ان المشبه به معرفة يحسن
دخول اداته عليه والى ظاهر جعل المشبه نفس المشبه به وفرد من افراد حقيقته
يصلح له لفظه كما يصلح لافراده لفظ حقيقته وليس استعارة لانها مبنية على طي
ذكر احد طرفيه ومن ثم تراهم يتناسون التشبيه فاذا طوي ذكر احدهما امكن
تناسيه وقد يتناسى مع ذكرهما كما في قوله

هي الشمس مسكنها في السما • فعز الفواد عزا جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود • ولن تستطيع اليك النزولا

حيث استعار الصعود لعلو الرتبة وبنى عليه ما بني على العلو المكاني من الحاجة
الى السما فليس المراد بذكر طي احدهما ان يكون الكلام خلوا عنه بل ان لا يذكر مع

الارض بطريق يبني عن التشبيه ومن ثم اطلقوا على ان القمر في لا تتجهوا من بلاغلا لته
نفدنا زاره على القمر استعارة وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه مبلغ
والله هو الامر فكانت طاعته في اوامره ونواهيه طاعة الله روي انه صلى الله
عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله ومن عصاني فقد عصى الله فقال المنافقون
لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى
فنزلت وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اطلاقا لاسم الحال على محله مبالغة في كونه
ذا الرحمة الذي هو سبب لاسعادهم واصلاح معاشهم ومعادهم وللكافرين امن
من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال والعالمين جمع عالم جمع ليشمل ما تحته من
الاجناس المختلفة وبالياء والنون تغليبا للعقلاء منهم والعالم مشتق من العلم وهو اسم
لما يعلم به كالخاتم لما يختم به غلب في كل جنس يعلم به الخالق اي يستدل به عليه اذ
هو لامكانه وافتقاره الى موجد واجب لذاته يدل على وجوده تعالى عالم الانس
وعالم الملك وعالم الجن وكذا عالم الحيوان وعالم الافلاك وعالم النبات وقيل
اسم لذوي العلم من انس وملائكة وجن وليس مجموع ما سوى الله بحيث لا يكون له
افراد بل اجزا فيمتنع جمعه وسائغا اي تجعله لها اجزا يتقدمها حتى يرد عليه
ومثله حديث انا فرطكم على الحوض لكن الفرط في الاصل هو الذي يتقدم الواردة
فيهيئ لهم الارسان والدلاء ويملأ الحياض ويستقي لهم وقال ابو الليث امام الهدى
السمرقندي سكون لام الحنفي رحمة للعالمين يعني للانس والجن وقيل لجميع
الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر
بتأخير العذاب حتى يموت قال ابن عباس فيما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم
في تفسيرهما والطبراني والبيهقي في دلائله هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ
عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء اشارة الى موجود في الذهن اذ الرحمة
معنى يوجده الله فيمن يشا من خلقه وبها يتفاوتون قال اي جبريل نعم كنت
اخشى العاقبة اي سوء خاتمتها فامنت لثنا الله علي بقوله ذي قوة اي صاحب
قوة شديدة كما في علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه هو جبريل فقد ورد انه
قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين
عند ذي العرش مكين اي عند الله ذي مكانة مطاع في الملائكة تطيعه ثم امين
على الوحي وهذا المحكم لم اعرف من رواه وروي عن جعفر بن محمد في قوله فسلام
لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم اي فبسببك يا محمد انما وقعت
سلامة اصحاب اليمين من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم اي اكرام الله اياه
فوضع الظاهر موضع المضمر ومن على هذا زائدة ويجوز ان تكون بمعنى لام التعدية
اي بسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من اجل اكرام الله اياك وما قاله تكلف
بعيد ومعنى الاية فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي يقال له
سلام لك اي مسلم لك انك منهم او يا محمد انك لا ترى فيهم الا ما تحب من سلامتهم
من العذاب او ان من كان منهم يقول يوم القيامة سلام وقال تعالى الله نور

السموات والارض اي منورهما وترى به فانه تعالى نورهما بالكواكب وبما افاض
عليهما من الانوار وبالملائكة والانبياء اذ النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة وبواسطتها
تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو
يستحيل اطلاقه عليه تعالى الا بتقدير مضاف او يكونه مجازا مرسلا من اطلاق
اسم المسبب على سببه المفيض له على الباصرة لبيد ذلك به عز قال كعب الاحبار
وسعيد بن جبير المراد بالنور الثاني هنا اي في هذه الاية من قوله مثل نوره هو
محمد صلى الله عليه وسلم فضمير له تعالى اي مثل محمد وقوله مثل نوره اي نور
محمد ان كان قولهما فهو مناقض لما قبله الا ان يقال الاضافة بيانية اي مثل
محمد الذي هو نور وهو بعيد او لغيرهما فلا تناقض وقال سهل بن عبد الله تبعا
لابن عباس المعنى الله هادي السموات والارض فهم بنوره يهتدون واضافته
اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى اضاءتا به او لاشتمالهما
على انوار حسية وعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى ما تعلق بهما
وعلى مدلولهما ثم قال مثل نور محمد اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة
اذ كان مستودعا في الاصلاب تختار له الامهات والاباء اذ قد جمع الله له
شرف الذات بتحليتها بجميع صفات الكمال وشرف النسب فلم يكن من ابائه من ادم
وحوا الى عبد الله وامنة الى من هو مختار لسنهادة حديث لما خلق الله ادم
اهبطني في صلبه الى الارض وحملني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار
في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
الى ان اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ومن ثم قال عمه العباس

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم	اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الـ	ارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشاد نخترق

وخندف لقب ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة امراة الياس بن مضر بن نزار
ابن معد بن عدنان فنوره صلى الله عليه وسلم في كل صلب انتقل اليه كمشكاة
صفتها كذا اي كصفة كوة نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح اي سراج ضخم
ثاقب كانه ينقب الجو بضوئه امتلات منه واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة
صدره كانه اي صدره كوكب دري اي مضي لتلالؤ نوره الناشئ من الايمان والحكمة
التي هي كمال العلم واتقان العمل توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم
ح اذ هو اصل النبوة صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا امثل قلبه المشبه بالمصباح
في صدره المشبه بالزجاجة متوقد امن نور ابراهيم كانه كوكب دري بتلالئه نورا
كالزهرة وفي شفائه كنور مشكاة فيها مصباح في قنديل من زجاج صاف كانه كوكب

مشرق لصفائه وضرب المثل بالشجرة المباركة لجعل ابراهيم كانه معدن عوارف
الخيرات والمنافع ومقتبس شرائف انوار الشرائع الذين هم الانبيا اذ غالبهم من
ذريته شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفع زيتونها اذ هو
فاكهة وادام ودوا وله دهن لطيف نفعه كثير فايض على كل احد وقوله يكاد
زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المقتبسة من شجرة النبوة
تبين للناس لما ظهر لهم من العلامات الشاهدة لها قبل كلامه ودعواه الرسالة
كهذا الزيت وهذا تاويل حسن لولا ما فيه من التكلف ونبوه عن ظاهر الاية
فان معناها مثل نوره اي صفته العجيبة الشان اضاءة واضافته الى ضميره
تعالى شاهد صدق بان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة اي كصفة مشكاة
فيها مصباح ثاقب نوره المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد
ذلك المصباح من شجرة مباركة زيتونة اي ابتدا ثقوبه من شجرة الزيتون
المتكاثر نفعه تروى ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال
الزيتونة منها تفخيم لشانها لا شرقية ولا غربية تقع عليها الشمس وقتا بعد
وقت بل بحيث تقع عليها جميع النهار بان تكون على قلة او بصحرا فان زيتونها
يكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو
الشام اذ زيتونها اجود الزيتون او لا في مقناة تغيب عنها دايما فتترك
زيتونها ولا في مضحاة تشرق عليها دايما وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات
ولا مقناة ولا خير فيهما في مضحاة يكاد زيتها يضي بنفسه ولو لم تمسسه
نار لشدة تلالوه وفرط بريقه نور على نور اي هذا النور الذي شبه به الحق
نور متضاعف تناصر فيه تضاعفه زيادة صفا الزيت وزهرة القنديل في انارة
نور المصباح وضبط المشكاة لاشعته حتى لم يبق مما هو عون على تقويته شي
يهدي الله لنوره الثاقب المشبه بالحق الذي يوفق لاصابة الحق من يشا بالهام
او بنظر في الدليل ويضرب الله الامثال للناس تقريبا لافهامهم ليعتبروا
فيؤمنوا والله بكل شي محسوسا او معقولا ظاهرا او خفيا عليم فيبين كل شي مما يمكن
ان يعلم به ويبقي فيها احتمالا لان بعيدة الكفوا فيها بادنى مناسبة اعرضنا عنها
وقد سماه صلى الله عليه وسلم الله تعالى نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين لوضوح اعجازه وكشفه ظلمات الشك والشرك وابانته ما خفي
علينا فجعله صلى الله عليه وسلم نورا مشبها له بجامع ان كلا يهتدى به وان كان
صلى الله عليه وسلم اقوى هداية واكثر فوزا ونفعا استعارة تحقيقية قرنها
بالهداية اما ترشيحا او تجريدا وهو اولى لان هدايته صلى الله عليه وسلم اقوى
هدى ان كان الضمير في يهدي به الله له صلى الله عليه وسلم اما ان كان للقران وهو
الظاهر فهو المشبه بالنور وعطفه تفسيري اي قد جاءكم نور هو كتاب مبين فيجوز
ان يكون استعارة تحقيقية مجردة لاقترانه بكونه يهدي به الله من اتبع منهم رضوانه
اي رضاه بالايمان اذ لا يحسن دخول اداة التشبيه عليه وان تكون تشبيها بليغا
وقال يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا وما بعده احوال مقدرة وردت بجزم بحيازته جميع

١

جهات

جهات الشرف والمدح اي مقدرا ان تشهد على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ومبشرا
للمومنين ونذيرا للكافرين وداعيا الى الله اي الى دينه وما يجب الايمان به من توحيده
وصفاته باذنه وسراجا منيرا وهاجا اوضح بانارته الحق سبيلا فجاز ايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فتشبيهه بالسراج استعارة تحقيقية رشحها بمرادف
للمشبه به بصيغة مبالغة تلوح على قوة انارته وتقويته ظلمات الضلال بضوئه
ومن هذا اي مما جاء في المدح والثناء لكونه نورا وسراجا منيرا بجامع كشف ظلمات
العماية عن نور بصيرته قوله تعالى الم نشرح لك صدرك استفهام افاد انكار نفي
الشرح مبالغة في اثباته اذ انكار النفي نفي له ونفي النفي اثبات اي شرحناه لك ومن ثم
عطف عليه ما بعده رعاية للمعنى ومعنى شرح وسع اي الم نوسعه بما اودعناه من
الحكم وازلنا عنه ضيق الغم والجهل له او الم نوسعه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة
الخلق قال ابن عباس كما رواه ابن ابي حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر في
تفسيريهما عن ابن عباس شرحه بالاسلام لانه امر حق ينفسح له ويسر بحصول
بشاشته اياه كمن بشر اي تهلل وجهه فرحا وسرورا افمن شرح الله صدره للاسلام فهو
على نور من ربه وقال سهل هو ابن عبد الله التستري شرحه بنور الرسالة التي
هي لوضوح بشائرها وظهور كونها حقه كالنور تشبيها موكدا باضافة المشبه به الى
المشبه او المشبه لكونها مشرقة الهداية بذي نور استعارة مكنية صيل لها بالنور وقال
الحسن بن ابي الحسن البصري ملاه حكما وعلما وهذا او غيره مما ذكر سابقا ولاحقا
كيفيات نفسانية واعراض لا تقوم بنفسها بل تحتاج الى محل تقوم بها فهي قائمة به صلى
الله عليه وسلم متعلقة بمعلوماتها شاهدها دفعة واحدة دايما لا يغيب عنه منها
شي وهذا الامر هو الغاية القصوى في الكمالات العلمية وقيل معناه اي معنى الم نشرح
لك صدرك الم نطهر قلبك من قبول الوسوسة حتى لا يقبل الوسواس بشهادة
حديث البخاري ان جبريل اخرج من قلبه صلى الله عليه وسلم علقة سودا وقال هذا حظ
الشيطان منك ووضعنا عنك وزرك اي عباك الثقيل الذي انقض ظهرك
من انقض الحمل ظهره اي اثقله واصله صوت الرحل من ثقل الحمل قيل ما سلف من ذنبك
وما ثقل عليك من فرطاتك يعني ما سلف منه كان قبل النبوة مما ليس بذنب حقيقة
كترك الافضل اذ الانبيا يتعاتبون بمثله وما رواه البخاري ان عمه العباس قال له
وهو ينقل الحجارة لبنا الكعبة لو جعلت ثوبك على عاتقك يقيك الحجارة ففعل فخر مغشيا
عليه فما روي بعد عريانا وقيل اراد اي الله تعالى به ثقل ايام الجاهلية بعدم علمه
بالحكمة والاحكام قبل الوحي بشهادة وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان اي تفاصيله وهو دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
قبله متعبدا بشرع وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة اذ قد تحمل بها من المشقة
بما راى من ضلال قومه وعجزه عن ارشادهم باصرارهم على الكفر عنادا وتجاوزهم في
ايذايه وتنكبهم عن التوحيد دعاهم اليه ما لا مزيد عليه حتى بينها حكاه ابو الحسن
علي بن حبيب الماوردي الشافعي وابو عبد الرحمن السلمي احد اعلام الصوفية وقيل
عصمناك اي حفظناك من كل ما يوثمك فلم تعلقه فيك ولولا ذلك اي حفظنا اياك

لا تقاتل الذنوب ظهرك حكاه ابو الليث السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال عيسى بن
ابي وغيره رفعه بالنبوة واعظم بها رفعة له ان خاطبه بالالقاب كيا ايها النبي يا ايها الرسو
يا ايها المزمل يا ايها المدثر النبي الامي وصلى عليه في ملائكته وامرنا بالصلاة عليه مما
افادنا عظم قدره عند ربه وقيل رفعه اذا ذكرت ذكرت معي واي رفع مثل ان
قرن اسمه باسمه في قول لا اله الا الله محمد رسول الله ومن يطع الله ورسوله
والله احق ان يرضوه وقيل في الاذان والاقامة والتشهد وذكر لك فيهما وعنك
ايهما اقبل ايضاح افادة للمبالغة قال الشافعي هذا اي ما افاده انكار الشرح
من اثبات الشرح ووضع الوزر ورفع الذكر تقرير من الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم على عظيم نعمه اي نعمه العظيمة حال كونها لديه واثبات منه تعالى له
صلى الله عليه وسلم عليها لشهادة المبالغة في اثباته بانكر بالهمزة نفيه وما عطف
عليه له صلى الله عليه وسلم ووضع الظاهر موضع المضمر لشموله غير ما ذكر من النعم
وصحة وصفها معه بالعظم هذا ويجوز ان يريد بتقريره له حمله على الاقرار
بما دخله النفي وهو الشرح مع غيره مما افاضه عليه من جميل الكرم وجزيل النعم
لا بالنفي اعني لم نشرح اذ التقرير لا يجب ان يكون بالحكم الذي دخله الهمزة بل بما يعرفه
المخاطب من ذلك الحكم اثباتا كما مر او نفيا كما في اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فان الهمزة فيه عيسى صلى الله عليه وسلم على انه ما قال ذلك والاول
اوجه وبحصره ما افاده قوله وبما يعرفه من هذا الحكم شريف منزلته من استعلائه
واستقراره وثباته صلى الله عليه وسلم على منزلته الشريفة عنده تعالى المشبهة على
طريقة الاستعارة المكنية بمرتفع كرسي عال حتى خيل بها بالاستعلا المفاد بحرفه
مقدرا وكرامته عليه صلى الله عليه وسلم بان شرح قلبه للايمان اذعانا وانقيادا
وتنور للحق والهدى وهي هنا من هداه بمعنى خلقها فيه اي لقبولهما ووسعه
لوعي العلم بما يوحى اليه من الاحكام وبذاته تعالى وصفاته وغير ذلك وحمل
الحكمة بما وافق الحق ورفع عنه صلى الله عليه وسلم ثقل امر الجاهلية من عبادة
اصنام وعهر وبعد وواد مما ليس بمرضي عند الله فلم يقترب منها شيئا لعصمته
وبغضه اما مصدر مضاف الى فاعله مجرور بعطفه على وعي العلم اي وسعه لكراهته
لسيرها اي ما اثر عنها فلم يلتفت اليها لاشتغاله بما حبب اليه من الخلا يتحنث بحراء
اي يتعبد به قبل وكان تعبده التفكر وما كانت عليه مما لا يليق بجنابه الشريف
وقدره المنيف او فعل ماض واللام بمعنى في اي كرهه فيها بظهور دينه اي منحه ذلك
مع ظهوره فيه على الدين كله اي على كل دين وحط عنه مهم اعبا جمع عبا بكسر اوله
اي ثقل الرسالة والنبوة لتبليغه مصدر مضاف الى فاعله ولامه تعليلية
متعلقة بحط اي ازال عنه ذلك ليسهل بتبليغه للناس ما نزل اليهم متلوا كان او
غيره من امر ونهي ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وانزلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم والتبليغ هنا كالتبيين في الآية اعم من ان يكون نصا على
المقصود وارشادا الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل وتنويهه عطف على تقرير
يعني ان ما افادته الهمزة وما بعدها شهود صدق بتعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة

ذكره يعني انه صلى الله عليه وسلم عند الله بمكان عظيم ورتبة جليلة وذكر رفيع وتكرير
هذا وامثاله تصريحا وتلويحا لكونه في مقام يحسن فيه الاطناب وقرانه مع اسمه اسمه
عطف على تنويهه من قرنه بالحرف اي جعله مصاحبه فاسمه تعالى مصاحب لاسمه صلى
الله عليه وسلم كلما ذكر قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة في مواطن كثيرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة ولا غيرهم الا يقول اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري كما في صحيح ابن حبان
ومسند ابي يعلى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي
وربك يقول تدري مستفهم عنه حذفت همزته تخفيفا لكثرة وقوعها في الاستفهام
اي اتدري كيف رفعت اسمك اي على اي حال رفعته اذ كيف اسم مبهم يستفهم به عن
الحال قلت الله ورسوله اعلم اراد بالرسول هنا جبريل لانه ارسله الله اليه قال
اي الله تعالى اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا معنى رفعنا لك ذكرك جعلت تمام
الايمان بذكرك معي فلا يصح ولا يعتد به شرعا ما لم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقيقة
وحدانيته تعالى وحقيقة رسالته صلى الله عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما
في صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجرا
احكام الاسلام في الدنيا من عصمته دمه وماله ونكاحه مسلمة والصلاة خلفه
وعليه ودفنه في مقابرنا ونحو ذلك لشهادة انه صلى الله عليه وسلم رتب فيما ورد
عنه على التلفظ بهما الكف عن الدم والمال لا النجاة في الآخرة فمن امن بقلبه ولم
يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله وكان تاركا للافضل وقال ابن عطا ايضا
جعلتك ذكرا من ذكري مبالغة في جعله بعضا منه من حيث انه لما كان في غالب
مواطن الخير لا يذكر الا معه وتابع ذكره جعله كانه بعضه مبالغة في التشبيه ومن ثم
قال فمن ذكرك ذكرني واعظم برفع في غاية الجلال ونهاية الكمال قال جعفر بن
محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا يذكرني بالربوبية من حيث ان
الرسالة تستدعي مرسلا والرسول يقتضي دليلا العقل والنقل بانه ذو الربوبية
واشار بعضهم كالماوردي بذلك في الشفاعة يعني رفع الله ذكره صلى الله عليه وسلم
في الموقف بين الاشهاد باشتهاره بانه صاحب الشفاعة والمقام المحمود ومن ذكره
صلى الله عليه وسلم معه تعالى اي مع ذكر الله ان قرن طاعته صلى الله عليه وسلم بطاعته تعالى
واسمه باسمه الاعلى اي صاحب بينهما اذ القران كما مر المصاحبة فقال اطيعوا
الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة بجهة
جامعة هي شرط للعطف بها وهي هنا اتحاد المسند شركت بينهما هنا في الطاعة لهما
والايمان بهما ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق احد غيره صلى الله عليه وسلم
اذ هو الحقيق بذلك لما منحه من عظيم قدر وتشريف فخر وكان ينبغي له ان اراد ان
هذا النظم لم يرد به التنزيل في حق غيره ان يعبر به بل يجوز وان اراد جمعه لغيره
معنى كقوله تعالى حكاية عن رسله فاتقوا الله واطيعون اذ معناه طاعتي طاعته
فمعارض بما ذكر وان اراد انه لم يرد فيه لغيره مثله فممنوع بشهادة من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقوله صلى

الله عليه وسلم حكاية عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ونحو ذلك وحديث حذيفة
اسنده المص هنا من طريق ابي داود ورواه ايضا النسائي وابن ابي شيبة لا تقولن
احدكم ما شاء الله وشاء فلان نهي اتى بالنون الثقيلة مبالغة في تاكيد النهي
عن التشريك في الحكم بين الله وبين غيره نبيه صلى الله عليه وسلم بواو في مقام
العطف المشركة هنا بينهما بجهة اتحاد المسند او رده موهم المامنعه من التشريك
بها في غير حقه صلى الله عليه وسلم لكن يجوز له ان يقول ما شاء الله ثم شاء فلان
لافادة ثم معنى مخصصا غير التشريك والجمعية هو التراخي وهو هنا المقصود
بالذات دونهما هذا ولك ان تقول ليس في الحديث دلالة على ما زعمه من المنع
لانه انما ورد موذنا بان مشية العبد لما كانت مرتبة على مشية الله لا توجد
الا بعدها فاذا شاءها الله له شاءها العبد نهاهم صلى الله عليه وسلم ادبا عن
العطف بواو الجمع دفعا للتوهم حصولهما معا ومن ثم قال الخطابي ارشدهم صلى
الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله على مشية من سواه واختار
ان تكون في تعقيبها مقترنة بثم التي للنسق اي الترتيب والتراخي بخلاف
الواو التي للاشتراك فانه يمتنع ايرادها عاطفة فيما يقصد ترتيبا ومثله
اي الحديث المتقدم في النهي الحديث الاخر الذي هو في ذلك عن التشريك بواو
العطف في غير حقه صلى الله عليه وسلم وفي هذا عن الجمع بينهما في ضمير واحد فيما
رواه مسلم ان خطيبا قيل هو ثابت بن قيس بن شماس خطب عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
في وقف المص عليه اشعار بخلاف هل وقف الخطيب عليه ام لا فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت ايضاح بعد ابهام قال ابو سليمان يعني
الخطابي كره منه اي من الخطيب الجمع بين الاسمين بحرف الكناية اي الفهما اطلاقا
للمعنى على الكل اي بضميرهما واراد بالكناية هنا اللغوية لا البيانية التي هي
ذكر لازم وارادة ملزومه مع جواز ارادة اللازم لانه ايهم الجمع بينهما من
التسوية وذهب غيره اي غير الخطابي الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما
وان تعجب فعجب قولهم ذلك مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وقوله للانصار فان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم
وقوله في تشهد الخ في حديث ابي داود من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا مما جمع صلى الله عليه وسلم فيه بين اسمه واسم
ربه تعالى في ضمير واحد ومن ثم مشهود صدق برد قالوا ومن ثم كان الصواب كما قال النووي
ان سبب النهي ان الخطبة شانها الايضاح لا بنائها على مواعظ وزواجر وتذكير بايام
الله فلا يليق بها رمز وتعقيد ولهذا كانت كراهته صلى الله عليه وسلم له كراهة ارشاد
بترك الاولى وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني والبيان في قوله تعالى ان
الله وملائكته الاكثر على النصب عطفا على اسم ان يصلون على النبي هل جملة
يصلون راجعة على الله والملائكة معا وخبر عنهم مشتركة بينهم في ضمير واحد ام لا
تكون لذلك بل راجعة الى الملائكة فقط لتغاير الصلاتين وخبر عنهم غير مشتركة

بينهم دالة على خبر الجلالة فاجازه اي اجاز رجوع جملة يصلون الى الله وملائكته
بعضهم ولم ير التشريك مانعا اذ لا محذور فيه ونهي الخطيب انما كان لتركه الاولى
الذي هو كما مر شان الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز ومنعه اي منع رجوعها
اليهم اخرون لعلة التشريك بينهم في ضمير واحد وخصوا الضمير في يصلون
بالملائكة وقدروا الاية هكذا ان الله يصلي وملائكته يصلون فجعلوا خبر
الثاني دليلا على خبر الاول كقوله • نحن بما عندنا وانت بما • عندك راض والراي
مختلف • ولم يجعلوا يصلون خبرا عن الاول مع كونه اقيس من حيث جعل السابق
قرينة اللاحق كقوله • فاني وقيار بها لغريب • لصرف الواو اياهم عن ذلك
لصراحتها في الجمعية وقراة ابن عباس رويت عن ابي عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا
على محل اسم ان او مبتدا خبره محذوف وهو مذهب البصريين وعورض بقولهم اذا
اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وان كان لفظهما
واحدا وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ولم ادر من رواه من فضيلتك
عند الله ان جعل طاعتك طاعته تقدم معنا وقد قال الله الظاهر انه ليس
من قول عمر وعطفه عليه لقربه منه معنى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله المحبة ميل النفس الى ما فيه كمال يحملها على ما يقربها
اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل كمال في نفسه او غيره انما هو
من الله وبه والى الله لم يكن حبه الا لله وفيه وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة
رسوله ولكونهما بالارادة اشبه منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز
عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم في الدنيا وحسن
ثوابهم في الاخرة وعبر عنها بالمحبة على طريقة الاستعارة التبعية فاستعير
اسمها لها او المشاكلة لوقوعها في صحبة يحببكم وروي عن جماعة كابن المنذر
عن مجاهد وقتادة انه لما نزلت هذه الاية قل ان كنتم تحبون الله قالوا اي
عبد الله ابن ابي وشيعته ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا اي رحمة وعطفا وبرا
على وجه الانكار استهزاء اي يريد ان نتخذه منسكا اي متعبدا نتعبد ونمسح ونتبرك
به ونتقرب به الى الله تعالى قال ابن الاثير ومنه قول ورقة وقد مر ببلال
وهو يعذب في الله والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اي لاتخذن قبره منسكا اعظم
كما اتخذت النصارى عيسى حنانا اذ قد افضى بهم تغاليهم فيه الى ان اعتقدوا
انه ابن الله بل اعتقدوا الاكثر من ذلك جهلا وكفرا وقد ذكرناه في شرح كتابنا
مقاصد المقاصد فانزل الله قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته
بطاعته تعظيما للقدر رغما بفتح الراء وسكون المعجمة اي غيظا لهم من ارغم الله
انفه الصقه بالرغام وفي حديث عائشة في الخضاب اسلتيه وارغميه من سلت
المراة خضابها عن يدها اي القت عنها المصم اي بقيته وقد اختلف المفسرون
في معنى قوله تعالى في ام الكتاب وفاتحته فهو فاضافته اليه سيما الجموع
الشخصي المفتتح بالتحميد المختتم اذ فاتحة كل شي اوله بالاستعادة بمعنى اللام
دون من كما في خاتم حديد بما هو مفهوم كلي يصدق على بعضه انما كانت امه لاشتمالها

على كليات معاينة من ثنا على الله ونعبد بالامر في اياك نعبد اي في جميع ما امرتنا به وبالنهي
في اياك نستعين اي في اجتناب كل ما نهيتنا عنه ووعد في انعمت ووعيد في غير المغضوب
وانما كانت الثلاثة اصول مقاصده لان الغرض الاصلي منه الارشاد الى المعارف الالهية
ومعرفة المبدا والمعاد ليشتغلوا بما ينتفعون به فيه ولانه كذلك الاستغفار من
هو الوعد وكذلك الاجتناب من زاجر هو الوعيد ولا يرد ان كثيرا من السور كذلك
لانها فاتحته وسابقة السور قد قصر مضمونها على ما ذكر مرتبا على وجه اجمالي اوله
ثنا واوسطها تعبد واخرها وعد ووعيد ثم فصل ذلك في سائر السور فاطلق بها ان
تسمى ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو
العالية هو ابو رفيع بن مهران الرياحي [illegible] البصري او زياد البراء
مشددة البصري والحسن ابن ابي الحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه بشهادة حديث خير القرون
قرني اي اهل زمانه وحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فكلهم خيار رفاقها
بثانية ورد كاشفة عن اوصافهم الحسنة لا للاحتراز اي واهل بيته واصحابه
الخيار الخيار انهم جماع المكارم وشرايف الكرايم حكاه عنهما اي عن ابي العالية
والحسن ابو الحسن الماوردي الشافعي ورواه في المستدرك عن ابي العالية وصححه
وحكى مكي عنهما ايضا وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو
بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله اي مثل قول مكي رواية
عن ابي العالية في تفسير قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم انه رسول الله
وصاحباه قال اي الليث فبلغ ذلك اي ما قاله ابو العالية الحسن بن عاصم فقال
صدق والله ونصح فطلب الهداية على هذا لاجل ان يومنوا به صلى الله عليه وسلم
اذ به الفوز في المبدا والمعاد كما ان الصراط في الاصل الجادة بسلوكه يحصل الفوز
بالمطلوب ومن ثم شبه صلى الله عليه وسلم به فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية
لتحقق معناها حسا وقرنت بها الملايم المستعار منه وهي الاستقامة ترشيحا
وتناسيا للتشبيه قضا لحق البلاغة وابدل منه صراط الذين انعمت عليهم بدل
كل توكيدا لما فيه من التكرار وتوضيحا لما فيه من البيان بعد الابهام والتفصيل
بعد الاجمال نصا على ان طريق المومنين المنعم عليهم هو الذي يشهد له بالاستقامة
على ابلغ وجه واكده فكان من البين الذي لا خفاء فيه ان الصراط المستقيم هو طريق
المومنين وعن بعضهم فقد استمسك اي تمسك بالعروة الوثقى انه
اي المشبه بها في الوثاقة هو محمد صلى الله عليه وسلم اذ من وثق به نجا ومن تبعه
اهتدى شبه صلى الله عليه وسلم بها من حيث انه مامون الانقطاع والثبات على
دعوة الخلق الى الحق بعروة وثيقة من حبل محكم مامون قطعه فاستعير له اسمها
استعارة تحقيقية وذكر التمسك ترشيحا للمجاز او شبه الثبات على الايمان
به وعلى دينه الحق بالتمسك بها بجامع الوثاقة وامن القطع ثم شق منه استمسك
فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية ولذلك على القول بانه
الاسلام الذي هو اذعان وقبول وانقياد لما علم مجيه من الدين ضرورة او شهادة

التوحيد التي بها النجاة في الدارين وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال اي سهل بن عبد الله التستري هي نعمة محمد صلى الله عليه وسلم
بمعنى انعامه به علينا اذ انعامه اصل النعم لصدورها عنه فانعمه علينا لا نحصي
عد انواعها فضلا عن عد افرادها تفضلا وجعل النعمة هنا بمعنى الانعام لان
وصفه تعالى به ابلغ منه لكونه من صفات الافعال التي اسماوه تعالى المشتقة
منها قديمة من حيث رجوعها الى القدرة لا الفعل فالمنعم مثلا من شانه الانعام
اي هو الذي بالصفة التي بها يكون الانعام وهي القدرة ولهذا مزيد بيان في كتا بنا
مقاصد المقاصد وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اي جاء بالحق
وامن به هو ومن تبعه بشهادة اولئك هم المتقون اكثر المفسرين على ان الذي
جاء بالصدق وصدق به هو محمد صلى الله عليه وسلم اراد به اياه ومن تبعه
كما اراد بموسى اياه ومن تبعه في ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون الا ان
هذا في الاسم وذاك في الصفة وقال غيرهم الذي صدق به هم المومنون
وقيل ابو بكر وقيل علي وذلك يقتضي اضمار الذي مع وجود صلته وهو لا يجوز
الفصل الثاني يا ايها النبي انا ارسلناك تقدم مع بيانه وبيان ما لا جله
ذكر من تسميته بذلك وذكر هنا تلويحا بانه صلى الله عليه وسلم جمع الله له ضروبا
اي اصنافا من رتب الاثرة بضم اوله وكسره مع سكون ثانيه وبفتحهما من اثره
بكذا خصه به ومنه استاثر الله بكذا اي انفرد به وجمع له جملة من اوصاف
المدحة بكسر اوله اي الثنا الحسن وهذا حديث اجمالي فصله بقوله فجعله
شاهدا على امته لنفسه اي وقت تحمل الشهادة او وقت ادائها اذ لا يكون
شاهدا عليهم وقت الارسال فهي على ما مر حال مقدرة بابلاغهم مصدر مضاف الى
مفعوله الاول اي بسبب الابلاغ اياهم الرسالة مفعوله الثاني وهي اي شهادته
عليهم لنفسه من خصايصه لقبولها منه وقت ادائها بدون طلب بينة بخلاف
غيره من الانبياء اذا جحدت اممهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله يطا لبهم
بالبينة وهو اعلم فنشهد لهم به فتقول اممهم لنا بما عرفتم ذلك فنقول باخبار
الله لنا في كتابه على لسان نبينا عنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا او لكونه حاكما
بكون الاجماع حجة لان الله وصفنا فيها بالعدالة والعدل هو الحقيق بالشهادة
وقبولها فاذا اشهد واجمعوا على شي وجب قبوله هذا ولا تغتر بقول من رد قول
المصنف وهي من خصايصه بان كل نبي يشهد على امته لنفسه تشبثا بقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وهم انبياؤهم فضلا عن طلب البينة منهم على ذلك
دونه ومبشرا لاهل طاعته بما يسرهم كالجنة ونذيرا لاهل معصيته بما يسوءهم
كالنار وداعيا الى الله باذنه لم يرد به حقيقة الاذن لفهمه من ارساله داعيا
بل استعير للتسهيل والتيسير اذ باذن المالك يسهل الدخول تلويحا بان الدعا الى التو حيد
وعبادته صعب لا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره وسراجا منيرا اي جلى به ظلمات
الشرك ويهتدي به الحق كما يجلى ظلام الليل بسراج منير ويهتدى به او امد الله

بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار وفي وصفه بالانارة اشعار
بان من السرج ما لا انارة له لقلة زيته ودقة فتيلته قال اي عطاء بن يسار لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاصي بالياء قال النووي تبعا للاكثر وقال ابن الصلاح
اثباتها كثير في الوصل جريا على العادة والمشهور حذفها قال وقد يشكل على من لم يتوغل
في العربية وربما انكره ولا وجه لانكاره فانه لغة اهل العرب قلت اخبرني عن
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر انما يتعدى بعن اذا لم يكن بمعنى
العلم فتعديته به هنا دون الباء نظرا للفظه قال اي عبد الله بن عمرو اجل حرف
ايجاب وتصديق كما قال ابن الحاجب للمخبر اي المتكلم بخبر كقام زيد او طلب كما هنا
وجواب بمعنى اجل والله قسم ورد مكذبا لليهود اذ زعموا انه صلى الله عليه وسلم
ليس موصوفا في التوراة ومؤذنا بجوازه في الامر المهم انه لموصوف في التوراة
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة من
الكاف او من الفاعل اي مقدرا او مقدرين شهادتك على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم
وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم ومبشرا ونذيرا وحرزا
اي حفظا بمعنى حافظا الا ان الوصف بالمصدر ابلغ لافادته جعل نفس الذات
هي المحفوظ والحرز مبالغة في تشبيهه به وتناسيا له فضلحق البلاغة للاميين
يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية
والامي من لا يحسن الكتابة نسبة الى امة العرب اذ كانوا لا يحسنونها غالبا او الى
الام كانه مثل ما ولدته امه وخصوا بكونه حرزا لهم مع كونه حرزا لمن تبعه ايضا
تشريفا لهم انت عبدي ورسولي اضافة تشريف وكان صلى الله عليه وسلم احب
اسمائه اليه عبد الله تواضعا وتذللا لا يجحد رسول الله وانه لما قام عبد الله سميتك
المتوكل اي عليه تعالى وكفى به مفوضا اليه اذ من توكل عليه كفاه ليس بفظ ولا
غليظ التفات من الخطاب الى الغيبة تفننا في الكلام وتصرفا فيه بما يورثه حسنا
وقبولا للاستماع ونشاطا للسامع وايقاظا للاصغاء اليه اي ليس جافيا ولا قاسي
القلب شديد القول ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا سخاب
بسين مهملة وخاء معجمة مشددة مبالغة من السخب وهو رفع الصوت لغة في
الصخب بالصاد اي الكثير رفعه بل ولا قليله اذ المراد نفيه مطلقا في الاسواق
وفي غيرها وخصها بالذكر لانها محال كثرة اجتماع الناس فيها من عاكف وباد الذين
لا يبلغهم الصوت عادة الا بقوة رفعه ولا يدفع بالسيئة منه السيئة الواصلة
اليه من غيره ولكن يدفعها بالتي هي احسن فكان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم ويتجاوز
عن الذنب ولا يؤاخذ به اذ كان بالحلم مشتملا وبالبر متسما ولن يقبضه الله اي يميته
حتى يقيم به الملة العوجاء اي ملة ابراهيم المامور هو باتباعها في قوله ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم ووصفها بالعوج مع كونها مستقيمة لان العرب
عوجتها بتغييرها مائلة عن الاستقامة متنافية في المعنى منحرفة عن الحق وهذه
في المعاني كالعوج في الاعيان بان يقولوا لا اله الا الله اذ بها استقامة كل شيء
وهي منهج النجاة ومنبع الحسنات ويفتح به اعينا عميا واذانا صما المعنى فيهما على

المجاز

المجاز الذي علاقته المشابهة المجوز كونه استعارة او تمثيلا اذ لا عمي ولا صمم لما لم ينظر
او لم يبصروا او لم يسمعوا او يعوا جعلوا كانما عميت اعينهم عن اجتلاء ادلة الحق وصمت
اذانهم عن استماعه ثم به صلى الله عليه وسلم يمن عليهم بفتحها كناية عن هدايتهم الى قبوله
ولا ينافي في هذا قوله تعالى وما انت بهادي العمي بشهادة تقديم المسند اليه وايلائه
حرف النفي بان الله هو المختص بخلق الهداية فيهم وهو صلى الله عليه وسلم انما يهديهم
باذن الله وتيسيره ويكشف به قلوبا غلفا اي غشاها غلافا كانها فيها مغطاة بها
خلقة لا يصل اليها حق ولا تفقهه حتى يمن بكشفها عنها فوجه كونه استعارة انه يشبه
عدم اجتلاء اعينهم للايات وادلة الحق وعدم نفوذه في الاذان والقلوب بالعمى
والصمم والجامع الاشتمال على انتفاء القبول المانع ثم استعمل اسم المشبه به
في المشبه واشتق من الفتح والكشف المجاز بين صيغة المضارع فتكون الاستعارة
في عميا وصما وغلفا اصلية وفي يفتح ويكشف تبعية ووجه كونه تمثيلا وهو ما يكون
وجه الشبه فيه منتزعا من عدة امور ان يشبه حال الاعين والاذان والقلوب
بحال اشياء مخلوقة للانتفاع بها مع المنع منه بطريق العمى والصمم والغلف ثم استعمل
اسم المشبه به في المشبه والجامع عدم الانتفاع بما خلق للانتفاع لمانع عارض لازم
له مع التكليف بالانتفاع فهو كما ترى امر عقلي مركب من عدة امور وذكر مثله
كما في البخاري تعليقا عن عبد الله بن سلام واسنده الدارمي وذكر مثله ايضا عن
كعب الاحبار فيما رواه الدارمي من طريق ابي واقد الليثي الصحابي عن ابن سلام
وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق كما رواه ابن ابي حاتم في تفسير سورة الفتح عن وهب
ابن منبه ولا صخب الابلغ من صاخب اي ولا كثير الصخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش وهو في الاصل كل سوء جاوز الحد في الاقوال والاحوال والامور والافعال
ونفي تزينه به عنه مع كونه لا يراه زينة انما هو باعتبار كون اهله يرونه زينة
وفخرا بشهادة افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فزين لهم الشيطان اعمالهم
ولا قوال مبالغة من القول للخنا من عطف الخاص على العام اذ هو الفحش في القول
وقد تفاحش وفحش بالضم اسدده لكل جميل اي اوفقه لكل حسن من القول
والعمل يقال رجل مسدد اذا كان يعمل بالسداد اي الصواب والقصد واهبه كل
خلق كريم صفة لكل ما يحمد ويرضى اي كل خلق محمود مرضي فيما يتعلق به من المنافع
فهو صلى الله عليه وسلم عام النفع كثيره بشهادة دلالة كل على الاحاطة بجميع الاخلاق
الكريمة وجمعها له ليخالق الناس كلا بخلق كريم يليق به واجعل السكينة اي الطما بينة
لباسه شبهها بجامع كونها وصفا قائما به باللباس فهو تشبيه معقول بمحسوس
واجعل البر اسم لكل فعل مرضي شعاره اي علامة كونه محمود السير مرضي السريرة
واصل الشعار ما ولي الجسد من الثياب وفي الحديث الانصار شعاري وسائر العرب
دثاري وهو ما فوق الشعار من الثياب فشبهه بجامع كونه وصفا قائما به بالشعار
لذلك واجعل التقوى ضميره اي سريرته فهي امر معنوي لا يعرف الا بظهور اثاره
وقد زين باطنه صلى الله عليه وسلم به كما زين ظاهره بانواع المحاسن والحكمة علمية
وعملية معقوله اي ما تعقله ليضع الامور مواضعها على قانون الحق ويبلغها

على منهاج الصدق وهي تحقيق العلم النافع واتقان العمل فالاولى هي العلم بالاشياء
كما هي اي على الوجه الذي هي عليه في نفس الامر بقدر الطاقة البشرية وتسمى
حكمة نظرية والثانية هي القيام بالامور على ما ينبغي على طريقة العدل وتسمى حكمة
عملية وبهما كمال النفس بترقيتها من مراتب قوتيها العاقلة والعاملة والمبينة في
كتابنا مقاصد المقاصد وشرحه وناهيك بكمال المويد من ربه بالحكمة المثبت بالعصمة
واجعل الصدق والوفا طبيعته وقد طبع عليهما وجبل فكان فيهما بغاية لم يدع فيهما
شاو المستبق ولا اشرف المستنم واجعل العفو وهو عدم المواخذة بالذنب والمعروف
وهو جماع مكارم الاخلاق خلقه المامور به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين اي عامل الناس بالعفو وامرهم بحميد الافعال واغض عن ما يسوءك
منهم وهذه اجمع اية لمكارم الاخلاق له ومن ثم استعظم خلقه في قوله انك لعلى
خلق عظيم لفرط احتماله الممارضة من قومه ومخالفته ومداراته لهم وقالت
عايشة كان خلقه القران اي ما فيه من مكارم الاخلاق فكان لا يواخذ بذنب
ويقبل من المحسن ويتجاوز عن المسيء ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن
ظلمه مما منحه من الاوصاف الحميدة ومكارم الاخلاق المجيدة واجعل العدل سيرته
اي طريقته ليوتسى به من يقتدي اذ هو المؤتسى به اي المقتدى به قال تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة اي فيه خصلة حسنة من حقها ان يوتسى بها وتتبع
وهي المواساة بنفسه واجعل الحق شريعته ناسخة جميع الشرايع والشريعة في الاصل
طريق الماء شبه بها ما شرعه لنا من الدين وبينه لانه طريق الى ما هو سبب للحياة
الابدية وجعله الحق بطريق الحصر المفاد بتعريف الجزئين مع ان الشرايع قبله كانت
ايضا لثباته دايما لا يعتريه نسخ وابطال الى فنا الدنيا بخلاف شرايعهم فقد عراها
النسخ فابطلها وازال احكامها ورفعها واجعل الهدي امامه فهو لكونه مهتديا
به مورد له مشارع الحق لخلقته فيه كالامام له فبه يقتدي والى الصدق يهتدي
واجعل الاسلام ملته اي دينه قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام اي لا دين
مرضيا سوى الاسلام وهو التوحيد واجعل احمد اسمه علم منقول من اسم تفضيل
مشتق من الحمد تلويحا بانه احمد الناس لربه اهدي به بعد الضلالة فضله عما
قبله لشبه انقطاع بينهما لان ذلك مزايا مخصوصة به قامت عليه وهذه مزايا
جارية على يديه الى غيره اي ادل به الخلق على الحق والملة او الدين مع نصب الحجة
وايضاح المحجة او اخلق فيهم الاهتدا لاتباع ذلك على لسانه لان الهدى المضاف
اليه تعالى يكون بمعنى الدلالة وبمعنى التوفيق وفي ابهام المحذوف من الفخامة
ما لا يوجد مع ايضاحه لانه اوقع في النفس باحتماله امورا جمة لتذهب
النفس كل مذهب ممكن وقد طابق بين الهدى والضلالة واعلم بهمزة مضمومة
ولام مشددة به بعد الجهالة من اردت تعليمه ممن استمر بها وارفع به بعد
الخمالة بخاء معجمة مفتوحة من اريد رفع قدره وظهور ذكره ممن هو خامل النباهة
ساقط الذكر واسمي به بعد النكرة اي اعرف به من هو في حكم النكرة غير معروف
ولا بشهرة موصوف واكثر به بعد القلة بالدخول في الاسلام بتتابع الناس في

دينه افواجا واغني به بعد العيلة اي الفقر مما يفي عليه وعلى اصحابه من الغنايم ه
واجمع به بعد الفرقة ممن كان في جاهليته ابعد الوداد متباينا في قطيعته عن السداد
كالاوس والخزرج اذ كانا لاب وام فتعادا وطالت بينهما الحروب الى ان اطفاها
بالاسلام وفيهم قال لهم الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي فجمع شملهم والم شعثهم
واولف به بين قلوب مختلفة نافر بعضها عن بعض متدابرين لا يتالفونه واولف
به بين اهواء متشتتة في الاحوال متعاندة في الاقوال وامم متفرقة في الاديان
فجعلهم امة واحدة في دين واحد ولا يذهب عنك ان الحذف فيما ذكر امثاله لا يجد
ذوق البلاغة الذي تجده معه مع الذكر لما في الحذف من فخامة تفقد معه واجعل
امته خير امة اخرجت للناس بشهادة كنتم خير امة اي وجدتم خير امة او كنتم في
علم الله خير امة او كنتم في الامم قبلكم موصوفين بكونكم خير امة اخرجت للناس
اي اظهرت وخيريتهم بخيرية نبيهم وكماله وبما وصفوا به مما استونف مبينا لكونهم
خير امة من قوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله وهو ه
متضمن للايمان بكل ما يجب الايمان به وانما اخر وكان حقه ان يتقدم لانه فصل
بذكر كونهم امروا ونهوا ايمانا به واظهارا لدينه وكمال هذه الاية شاهدا
بكون الاجماع حجة لحكمها بانهم امرون بكل معروف ناهون عن كل منكر بشهادة لام
الاستغراق وفي حديث اخر رواه الدارمي عن كعب موقوفا والطبراني وابو نعيم
في دلايله عن ابن مسعود اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في
التوراة عبدي احمد اضافة تشريف وتعظيم واحمد عطف بيان مثله اقسم بالله ابو
حفص عمر المختار واصله مختير اعلى بقلب يايه الفا لانفتاح ما قبلها اي المصطفى مولده
اي مكان ولادته بمكة ومهاجره اي مكان هجرته بالمدينة او قال طيبة امته من
حيث المجموع الحمادون اي الكثير والحمد لا غيرهم بشهادة تعريف الجزئين اذ هو من
طرق الحصر ومثله دينه الحق وقوله الصدق لله على كل حال من احوالهم من قيام
وقعود واضطجاع وفي سراء وضراء وهذا من الله غاية المدح لهذه الامة وقال
تعالى اورد هذه الايات تصديقا لفظا او معنى لما جاءت به هذه الاحاديث من كونه
صلى الله عليه وسلم مذكورا هو وامته في التوراة اسما وصفة منها الذين من
بني اسرايل يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه اي يجد من تبعه منهم
وصفه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم خبر المبتدا اعني الذين يتبعون
بالمعروف وينهاهم عن المنكر كعبادة الاصنام وقطيعة الارحام ويحل لهم الطيبات
مما حرم عليهم كالشحوم وكل ذي ظفر ويحرم عليهم الخبايث اي ما خبث كالميتة
والدم ولحم الخنزير او حكما كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي
كانت عليهم كتعين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضا الخاطية وقطع موضع
النجاسة واحراق الغنايم وظهور الذنوب على ابواب فاعليها شبهت بالاغلال
للزومها لهم لزوم الغل للعنق والاصر في الاصل الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه
عن الحراك لثقله فالذين امنوا به وعزروه اي عظموه ومنعوه من عدوه اذ اصل
العزر المنع ومنه التعزير لانه يمنع من العود الى القبيح واتبعوا النور الذي انزل

به اي اتبعوا القرآن مع اتباع النبي والعمل بسنته اولئك هم المفلحون اي الفائزون
بالرحمة الابدية ومنها قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم كل رسول ارسل الى
قومه خاصة ونبينا ارسل الى كافة الانس والجن جميعا حال من الكاف وامر بتبليغ
ما ذكر حتى لا يتوهم لاحد عذر بعد ذلك الذي له ملك السموات والارض صفة
لله وان فصل بينهما بمتعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوبا او
مرفوعا او مبتدأ خبره لا اله الا هو وعلى الوجه الاول هو بيان للجملة قبله اذ من ملك
العالم كان هو الاله وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر
على الاحيا والاماتة غيره فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله و
كلماته مما انزل عليه وعلى غيره من الرسل من كتبه ووحيه ولم يقل بالله وبي ملتفتا
من التكلم الى الغيبة لتجري هذه الصفات الامر بالايمان به وبالاتباع له ولما في
الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا
الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان اظهارا للنصفة
وتحاميا عن العصبية لنفسه واتبعوه لعلكم تهتدون. وان جعل رجا الاهتدا اثر اله
ولاتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يلتزم شرعه لم ينفك عن ربقة الضلالة و
ومنها فبما رحمة اي فبرحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه
لهم ما كان الا برحمة من الله وهي ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك جواب لو اي لتفرقوا عنك فامتناعه
لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شأن لو فالشرطية في الاية ينتج فيها استثناء
نقيض التالي لزوم نقيض مقدمه اي لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا غليظا و
فانتفا كونه فظا غليظا اللازم لانتفاء الانفضاض الثابت المرتب على كونه فظا
غليظا بطريق قياس الخلف اذ هو ما نقصد به اثبات مطلوب بابطال نقيضه و
قال السمرقندي ذكرهم الله منته المؤذن بها قوله فبما رحمة من الله لنت
لهم وهي انه جعل رسوله رؤوفا رحيما بالمؤمنين لين الجانب ولو كان فظا ا
خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن لم يتفرقوا فهو ليس بفظ بل سهلا سمحا
بفتح الاول وسكون ثانيه اي جوادا سهلا طلقا بسكون لامه اي متهللا الوجه
منبسط برا اي بارا محسنا لطيفا اي رفيقا بامته شفيقا في دعوته فاعف عنهم
بعدم مواخذتهم بما فرط منهم مما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما
للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي امر الحرب او فيما يصح ان يشاور فيه
استظهارا برايهم وتطييبا لقلوبهم ودفعا لاقدارهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للامة فاذا عزمت على ما اطمانت عليه نفسك بعد الشورى فتوكل على الله و
في امضاء امرك على الاصلح لك اذ لا يعلمه الا الله ان الله يحب المتوكلين فيهديهم
الله الى الصلاح ويبصرهم النجاح ومنها وكذلك اسم اشارة مجرور بكاف التشبيه
واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الاية قبلها
اي وما جعلناكم مهتدين الى صراط او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا
اي خيارا عدولا فهو وصف بالاسم ما هو بين اطراف ليس الى بعضها باقرب من بعض اذ هو

في

في الاصل اسم لمكان تستوي اليه المساحة من كل جانب ثم استعير للخصال المحمودة
لوقوعها بين افراط وتفريط كالشجاعة بين التهور والجبن والكرم بين الاسراف
والبخل ثم اطلق على من اتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لتكونوا علة للجعل اي لاجل ان تكونوا شهداء على الناس قبلكم وبعدكم ومعاصريكم
ويكون الرسول عليكم شهيدا اي مزكيا لكم وجيء بعلى لافادة الاستعلاء تلويحا بان
الرسول كالرقيب والمهيمن على امته قال تعالى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل
شيء شهيد وقدمت الصلة لاختصاصهم بتزكيته لهم روي ان الامم يوم يجحدون
تبليغ انبيائهم فيطلب الله منهم بينة عليه مع علمه به اقامة للحجة على المنكرين
فيؤتى بامة محمد فتشهد فيسال عنهم فيزكيهم وهذه غاية الشرف والكمال كما قال ابو
الحسن الشاذلي ابان الله فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه
الاية اي فيها بشهادة قوله وفي قوله اي وابان فضله وفضلهم في الاية الاخرى
هو سماكم وفي هذا اي سماكم الله في هذا القرآن المسلمين كما سماكم به من قبل في
كتبه المتقدمة ليكون الرسول متعلق بسماكم شهيدا عليكم يوم القيامة انه بلغكم
وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ رسلهم اياهم وكذلك اي وكابانته ذلك
فيما ذكر ابانته في قوله فكيف اسم مبهم غير متمكن يستفهم به عن حال الشيء اي كيف حال
هؤلاء الكفرة اذا جئنا من كل امة بشهيد هو نبيهم يشهد عليهم بقبيح عقائدهم
واعمالهم وجئنا بك على هؤلاء اي امتك شهيدا على من آمن منهم بايمانه
وعلى من كفر بكفره وعلى من نافق بنفاقه وقوله وسطا اي كما مر عدولا اخيارا ومعنى
هذه الاية اي وكذلك جعلناكم على نحو ما ذكرنا وكما هديناكم فلذلك خصصناكم
وفضلناكم بان جعلناكم خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم يوم القيامة
اذا انكروا تبليغهم اياهم رسالة ربهم ويشهد لكم الرسول بالصدق تزكية لكم واكرم
بفضيلة ذو وها شهود للانبياء على اممهم عند ربهم ومزكيهم سيد ولد ادم ما اعظمها
نعمة قيل كما رواه البخاري وتقدم ان الله اذا سال الانبيا هل بلغتم اممكم ما ارسلتم
به اليهم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد
صلى الله عليه وسلم للانبيا ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على من
خالفكم متسكع في ظلمات الاوهام ويتلفع بسحاب الاسقام والرسول صلى الله عليه وسلم
حجة عليكم فيما اقترفتموه وقال تعالى ما اكرمه به واثنى عليه وبشر الذين آمنوا ان
لهم قدم صدق اي سابقة رحمة ومنزلة رفيعة ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم اذ لم
ينالوها الا باتباعهم اياه عند ربهم وسميت قدما من حيث ان لها السبق كما سميت
اليد نعمة من حيث ان بها العطا وفي اضافته الى الصدق تلويح بزيادة فضل هو كونه
من السوابق العظيمة هذا ومعنى ما ذكره المصنف من الاقوال عن من ذكر ان القدم
الصدق لهم عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم او وفاته فهو سابقة خير وشفيع صدق
لعموم نفعه وعموم فضله كالغيث ان جئته وافاك ريعه وان ترحلت عنه لج في الطلب
الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة تقدم له نظائر
والمراد يذكر فيه ما خوطب به صلى الله عليه وسلم من تنزيله على وجه الشفقة والكر

فق

به والمبرة اي الاكرام والتوقير له واسناد الورود الى ما خوطب به مجاز عقلي وتشبيه
الملاطفة والمبرة بشريعة الماء بجامع الانتفاع استعارة مكنية واثبات الورود لها استعارة
تخييلية من ذلك اي مما خوطب به على ذلك الوجه الحسن قوله تعالى عفا الله عنك
عتاب على وجه الملاطفة والاكرام ورد كناية عن عدم مؤاخذته بالاذن لان العفو راديها
لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو وبالمعاتبة عليه اي لاي شيء اذنت للمنافقين في
التخلف عن غزوة تبوك حين استاذنوك واعتلوا باكاذيبهم وهلا تأنيت حتى يتبين
لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وكني يجتهاد لما على جواز الاجتهاد للانبيا وانما عوتب
لترك الافضل ومثلهم يعاتب عليه اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وقال ابو محمد
مكي هذا اي عفا الله عنك افتتاح كلام اي على طريقة مجاري العادات في مقام التعظيم
والتبجيل في مخاطبة الكرام دفعا لسآمتهم توقيرا لهم وتكريما وان لم يكن ثم ذنب فهو
بمنزلة اصلحك الله هل لا شرفتني بزيارتك وفي الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه
وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه
ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل
ان يخبره بالذنب ولا ذنب اذ قد يقع العتاب بلطف بدون ذنب استيناسا ورفعا
للهيبة في الخطاب كما يقع بين الاحبة بملاطفة وموانسة ابتلافا واستجلابا
للمودة وعن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب من جميع افات القلوب
خاشعا مخلصا لله لم اذنت لهم فبداه بالعفو عما لحقه من اذنه لهم من غير ان
يأمر الله به رفقا وشفقة واتقاء عليه فيكل لم يفعل شيئا لم يؤمر به غير هذا واخره
قد اسارى احد ولو بداه بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه لعل بدل
ويتصدع من هيبة هذا الكلام وعظمته وتأثر وقعه في القلوب لكن الله
برحمته وشفقته ورحمته اخبره مبتديا بالعفو حتى سكن قلبه وسلم من الدهش
لبه ثم قال لم اذنت لهم بالتخلف عن غزوة تبوك حتى يتبين لك الصادق في
عذره من الكاذب وهذا اي ابتداؤه صلى الله عليه وسلم بالعفو من عظيم منزلته
وكرم مأثرته عند الله ما لا يخفى على ذي لب اي عقل سليم من شوائب الوهم
ومن اكرامه اياه وبره ما من جوامع الكلم له لانها مع قلتها على معان كثيرة اي اكرمه
وبره بانواع المكارم والمبرات بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر بحيث ينقطع في توجه الفكر الى معرفة غايته شيء هي دون معرفة غايته
نياط القلب فاعظم بغاية ينقطع في معرفة غاية هي دون معرفتها عرق القلب
المعلق به من الوتين فيموت صاحبه ونياط بكسر اوله وتخفيف ثانيه اعل بقلب
واوه بالكسر ما قبلها ونياط مناط قال نفطويه بكسر اوله افصح من فتحه وامثاله
عند النحاة بواو مفتوحة ما قبلها ساكن ما بعدها وبالفارسية واو ساكنة
مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها ثم هاوا لتاخطا وعليه اهل الحديث تنادبا
من وقوع وبه اخر الكلام ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه
الاية وحاشاه من ذلك اي هو منزه من ان يعاتب او ينسب اليه ذنب بل كان مخيرا
بين اذنه لهم وعدمه اذ لم يتقدم نهي فلما ان اذن اعلمه الله بما اضمروه مما هو من

دائهم

دائهم وديدنهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا للنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم فعفى
هنا ليس بمعنى عفو بل بمعنى لم يلزمك ذنب كما في حديث عفى الله لكم عن صدقة الخيل
والرقيق اي لم توجبها عليكم ولا تقول العفو لا يكون الا عن ذنب الامن لا يعرف اساليب
الكلام يجب على المسلم المجاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعات وكفها عن الشهوات
الرائض فليت دابه مناسبة لكسرها من رضت الدابة جعلتها اطوع اردتي بزمام
الشريعة خلقه بتأديبه وتمرينه بما شرعه الله لنا وبينه من الاحكام فانقاد باوامر ها
وتنكب عن نواهيها واراد بالزمام الاحكام الشرعية التي هي عبارة عن الشريعة
فاستعار اسمه لها استعارة تحقيقية بجامع ان كلا منهما يمنع من مجاوزة الحد
ثم شبه الخلق بدابة صعبة ريضت به استعارة مكنية قرينتها تلك التحقيقية
وهذا مفيد لقولهم ان قرينتها تخييلية بالغالبية بشهادة الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ان يتأدب فاعل يجب بأدب القرآن مصدر بمعنى المفعول
اي بما يتأدب به منه في قوله وفعله ومعاطاته فيتسم بالعدل والصدق ويتصف
بالبر والحق ويأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين ويقول للناس حسنا
بما فيه خلق وارشاد ويؤتي كل ذي فضل فضله اذ الله يأمر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى ويغيرهم وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ومحاورته بمهملة
جمع محاورة اي مراجعة من حار اذا رجع فيتأدب فيها بالانصاف ويجتنب الاعتساف ف
ولا يكن كمن قال لاخيه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا مفتخرا بذلك
منفرزا به كافر النعمة ربه مرضا نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا في
غفلته تاركا نظره في عاقبة امره ولعمري ان اكثر الاغنياء ان لم يلمحوا بنحوه
فالسنة اخوانهم انطق بذلك فهو عنصر بضم اوله وثالثه ويجوز فتح ثالثه اي القرآن
اصل المعارف الحقيقية علمية وعملية فهي له لانه عليها وفيها منه كانما ركبت
منه وفي وصفها بكونها حقيقية تنبيه على ان المقصود به بيان انها في نفس الامر
كذلك لا للاحتراز وروضة الادب هي في الاصل ارض ذات مياه وازهار فهي اطيب
بقعة وانزهها شبه بها بجامع الانتفاع بعموم منافع ادابه الدينية والدنيوية
وعمومها وبوقوعها جزءا عن المشبه بها خرج من باب الاستعارة الى باب التشبيه
وليتأمل عطف على يتأدب امر من التأمل اي ولينظر مستبينا هذه الملاطفة
العجيبة الكائنة في السؤال من رب الارباب اي مالك الملوك منبها بالجهة كونها
عجيبة وما هي الا انه تعالى غني بذاته عما سواه فاختصاصه تعالى من شاء بقربه
سيما من صار بحيث كان قاب قوسين او ادنى امر عجيب يعجز عن ادراكه والى ذلك اشار المص
بقوله المنعم على الكل المستغني عن الجميع واطلق الانعام والاستغناء ليعم كل النعا
واستغنا فالعموم مستفاد من الاطلاق مع عدم قرينة التقييد وامتناع الترجيح
بلا مرجح اذ حذف المفعول يفيد التعميم كما في والله يدعوا الى دار السلام اي جميع
عباده ويستثير مجزوم عطفا على مدخول لام الامر اي يتعرف ويتفحص ويجوز ر نفعه
عطفا عليهما بشهادة نسخة اخرى مرفوعة ويستثير من اثاره ازعجه والهفه
وهنا بمعنى يبحث ويستخرج ما فيها اي في الملاطفة من الفوائد بيان لما كنحو ما مر

مما ان تاملته او ردك بحجة التعجب من صنعه تعالى به صلى الله عليه وسلم والكون
الملاطفة سببا والاعلى الفوائد جعلهما ظرفا لهما فكانهما منبعهما وليتامل اويتبين
في هذا المقام الشريف كيف ابتدا بالاكرام اللطف قبل العتب وانس بالعفو فذكره
قبل ذكر الذنب ليانس ويطمئن على تقدير ان كان ثم ذنب وقد قدمنا ان لا ذنب
من حيث ان عفا الله عنك تعالى عند نزول الاولى بل في مقام التعظيم والتبجيل
هذا مع مراعاته تعالى معه تقديم العفو وذكر الاذن المنبي عن ترك الرتبة
ونفاذ التصرف وقوته وايراد الكلام في صورة الاستفهام وقال تعالى لولا
ان ثبتناك اي تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم اي لقاربت ان تميل الى
اتباعهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن تداركناك بعصمتنا عن الركون اليهم
شيئا اي ركونا قليلا وهذا احاكم عدل بانه صلى الله عليه وسلم لم يهم باجابتهم مع
قوة الداعي اليها بان العصمة بتوفيق الله وحفظه قال بعض المتكلمين عاتب
الله الانبياء صلواته وسلامه عليهم عتاب رافة لطفا بهم ورفعا بعد الزلات
مما ليس لها حقيقة لعصمتهم كما سياتي وقد اجبناك عنها في شرح كتابنا مقاصد
المقاصد وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه اي الذنب وليس هذا
بعتاب بل ايقاظ وتنبيه له على انه تعالى ثبته بالعصمة ليكون بذلك اي بعتابه
اشد انتهاء عن الركون الى اتباعهم و يكون بذلك اشد محافظة بشرايط
المحبة من انقياده واذعانه لطاعة ربه اذ المحب لمن يحب مطيع وهذه اي عتابه
قبل وقوع الذنب وانث اسم الاشارة باعتبار ما بعده هو غاية العناية منه تعالى
به صلى الله عليه وسلم ثم انظر اما من كلام المصنف ومن تتمة كلام ذلك البعض
ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للماسور وحثا له على التامل كيف بدا
بثباته و باللوح به من سلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه من قرب ميله اليهم
وخيف ان يركن اليه اي الى ما عاتبه عليه من القرب ففي اثنا عتبه براته منه فكان
لا فائدة ايا ما ظرف لها وفي طي تخويفه اي تخويفه المطوي فيما ذكر اذ لم يفهم منه
صريحا تامينه وكرامته فكانهما احد مجان في باطنه مطويا فيهما هذا وقد اعلمنا
ان لا عتب ولا ذنب بل مجرد تنبيه بالعصمة حذرا من ركونه اليهم ورحمة له
وشفقة عليه ومن ثم قال المص ومثله اي مثل ولولا ان ثبتناك في الشفقة
والرحمة تصويبا وتسلية لحزنه قد نعلم انه هو ضمير الشان ومعنى قد زيادة
الفعل وكثرته كما في ۰ ولكنه قد يهلك المال نائله ليحزنك الذي يقولون
انك ساحر كذاب فانهم لا يكذبونك في الحقيقة قال علي كما رواه الترمذي وصححه
الحاكم قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما
جئت به فنزلت وحديث جبريل اعني انهم يعلمون انك صادق هنا اورده بصيغة
روي ولم اعرف من رواه ففي هذه الاية منزع بفتح ميمه وزايه مصدر ميمي بمعنى
مفعول اي منتزع لطيف الماخذ مستعار من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة
اي دقيق الادراك من تسليته صلى الله عليه وسلم بيان لمنزع ومن الملاطفة ۰
مصدر بمعنى التلطف اي منزع هو تسليته وتلطف له في القول بان قرر عنده ۰

ما اثلج

ما اثلج صدره واطمانت به نفسه انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له موكدا له
بان والجملة الاسمية معترفون بصدقه قولا واعتقادا اذ قد ورد ان الاخنس
ابن شريق قال لابي جهل يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني عن محمد اصادق ام
كاذب فقال والله انه لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء ۰
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقد كانوا يسمونه قبل النبوة ۰
الامين فدفع اي الله تعالى بهذا التقرير ارتماض نفسه براء شاكلة ثم مثناة
فوق مكسورة وضاد معجمة مصدر ارتمض من الرمض اي شدة الحر شبه بها ما اشتد
عليه واقلقه من وهج باطنه بسمة الكذب اي بسبب وصفهم اياه به ثم جعل اي الله
تعالى الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين كاذبين بشهادة الآيات فقال تعالى ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون اي ولكنهم يجحدون بآياته ويكذبونه فوضع المظهر
موضع المضمر تلويحا بانهم ظلموا بجحدهم او جحدوا بتمرنهم على الظلم والباء لتضمين
الجحد معنى التكذيب فحاشاه من الوصم اي نزهه الله من العيب وطوقهم بالمعاندة
اي سببها بتكذيب الآيات متعلق بالمعاندة حقيقة الظلم ثاني مفعولي طوق
جعل حقيقته لانتصافهم به وتماديهم فيه كالطوق في اعناقهم فاستعار رسمه لها
مشبها لها به استعارة مكنية مثبتا لها التطويق تخييلا فجحدهم مع علمهم به انما
كان حسدا او عنادا اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها
اي كذبوا بشهادة الآيات واستيقنتها باضمار قد بعد الواو اذ هي للحال اي جحدوا
بالسنتهم مستيقنة بها انفسهم وضمائرهم ظلما واي ظلم افحش ظلم من تيقن انها
آيات من عند الله ثم سماها سحرا مبينا تكبرا وعلوا اي ترفعا عن الايمان ونصبا على
العلة يجحد هذا او دعواه ان الجحد لا يكون الا من علم بعيد فقد يكون ممن جهل
ثم عزاه ربه اي صبره وحمله عليه وانسه فانس واطمان بما ذكره ممن قبله
من الانبياء ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية له صلى
الله عليه وسلم وهو موذن بان قوله فانهم لا يكذبونك ليس نفيا لتكذيبه بل
هو كقولك وقد اهين غلامك لم يهينوك وانما اهانوني فصبروا اي حبسوا
انفسهم على ما كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم فاصبر متاسيا بهم حتى
اتاهم نصرنا فيه تلويح بوعد النصر لمن صبر ولا مبدل لكلمات الله اي مواعيده ۰
مثل قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون انا لننصر
رسلنا فمن قرا فانهم لا يكذبونك بالتخفيف وهو نافع والكسائي فمعناه لا ۰ يجدونك
كاذبا من اكذبه اذا وجده كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب
وقيل لا يحتجون على كذبك بشبهة فضلا عن حجة ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد
وهو الباقون فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر
من خصائصه التي خص بها دون غيره وبر الله به او احسانه اليه او ارادته هو ان
الله خاطب جميع انبيائه صلوات الله وسلامه عليهم باسمائهم فقال يا آدم
انبئهم باسمائهم يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي يا يحيى خذ

خذ الكتاب بنبوة يا زكرياء انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وهذا اشرف لهم مع ما خصوا
به من شريف المناقب ولطيف المواهب ولم يخاطب هو صلى الله عليه وسلم الا بالقابه
بما خص به في النداء ودل على مبالغة في تعظيمه ورفعة منزلته عند ربه مثل
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يا ايها النبي حرض المومنين على
القتال يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه يا ايها المدثر قم فانذر الفصل
الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره اي قدره العظيم قال الله تعالى لعمرك
مبتدأ خبره محذوف اي لعمرك يا محمد قسمي انهم اي قوم لوط لفي سكرتهم الناشية
عن تخاليط ابتدعوها ومساوي ابتكروها المشبهة بما هم فيه من غفلة وشدة
غلمة وغوايته وعدم تمييز بين خطايهم وصواب ما اشير به عليهم الى البنات
استعارة تحقيقية مقرونة بما يلايم المشبه به اعني العمه المناد بقوله يعمهون
ترشيحا للمجاز اي يتحيرون فكيف يصغون لقولك وينجع فيهم نصحك وامنيته
اليهم تلو مجانسة انفسهم ودناءة همتهم ولامة طباعهم وخبث ضمايرهم
وشدة تمكنهم منها بانغماسهم فيها ولزومها لهم بتمكن المظروف بظرفه واثبات
لهم في الظرفية فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعية قال
المصنف اتفق اهل التفسير في هذا اي في لعمرك انه قسم من الله بمدة حياة
محمد صلى الله عليه وسلم تعظيما له اذ لم يقسم بحياة احد غيره وعن النصري ان ضمير
يعمهون لقريش والجملة بين الاخبار بفضايح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها
على ان من كان هذا دابه فجدير ان لا ينفعه تادب ولا يوثر فيه تانيب وتنفير للسامع
عن هذه القبايح الموترة للفضايح ودعوى المص الاتفاق على ذلك دعوى بينها
غير متقولة لقول جمع منهم انه قسم بمدة حياة لوط اي قالت الملايكة له ذلك
بشهادة سوق نفسه واصله اي لعمرك من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال
بل سويهما وخص القسم بالفتح تخفيفا لكثرة دوره على السنتهم ولامه للابتدا
وتدليس تهمل بدونه فينتصب بنصب المصدر كما في عمرك الله كيف يجتمعان
ومعناه كما رواه ابو الجوزا عن الاخفش وبقايك يا محمد ومعناه وعيشك
رواه ابن ابي طلحة عنه ايضا وعزى الى الاخفش وقيل وحياتك وكلها بمعنى واحد
وذكرها لاختلافها لفظا وهذه انث اسم الاشارة نظرا الى ما بعده اي وقسمه
تعالى بما ذكر نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف له صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في دلايله وابو نعيم وابو يعلى ما خلق الله
وما ذرا من الذرا وهو الخلق وفي الحديث ذرا النار اي انهم خلقوا لها ولا برا اي خلق
وفي الحديث نعوذ بالذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شر ما ذرا
وبرا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله بمعنى علمت اطلاقا
للسبب على مسببه اذ السماع قد يفيد العلم اي ما علمته اقسم بحياة احد غيره
واحد عام مفيد له كما قال ابو علي وغيره بحسب وضعه له لكونه كما في الصحاح اسما
لمن يصلح ان يخاطب واصله وحد بمعنى الواحد ثم وضع له مستويا فيه المفرد والمثنى
والمجموع والمذكر والمونث فليست كاحد من النسا مثلا ليس معناه كامراة منهن بل

نغم العين صح

معناه

معناه لستن جماعة واحدة من جماعتهن اي اذا استقصيت النساء جماعة جماعة لم يوجد
منهن جماعة تساويكن في الفضل ان اتقيتن واستعماله امامع كل او في كلام غير موجب كما
هنا وقال ابو الجوزا ما اقسم الله بحياة احد غير محمد لانه اكرم البرية عنده فعيلة
بمعنى مفعول له نقلت من الوصفية الى الاسمية فثبتت الهاء ثم هي ان اخذت من البراة وهو
التراب فلا همز او من برا فالهمز والاصح تركه تخفيفا وقال تعالى يس الله اعلم بما اراده به
وتسمى المعمة لانها تعم صاحبها خير الدارين والدافعة لدفعها عنه كل شي والقاضية
لقضايها له جميع حاجاته والقران الحكيم عطف على يس ان جعل مقسما به والا فواو
للقسم واسند اليه الحكمة اما بمعنى انه ذوها او ناطق بها او انه كلام حكيم فوصف
بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين جواب القسم موكد بان واللام واسمية الجملة ردا
على من قال له لست مرسلا على صراط مستقيم اي لمن الذين ارسلوا على الاستقامة في
الامور والتوحيد وهو خبر بعد خبر او حال من المستكن في المجرور فايدته وصف الشرع
بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما هذا وقد اختلف المفسرون
في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه كما في دلايل ابي نعيم وتفسير بن مردويه
من طريق ابي يحيى التيمي قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها اسمين طه
ويس واياه عنى الشريف الحميري في شعره ۝ يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة
على المودة الا آل ياسينا ۝ اي الا آل محمد صلى الله عليه وسلم فهما اسمان له
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر بن محمد انه اراد بقوله يس يا سيد مخاطبا
لنبيه صلى الله عليه وسلم فياؤه للنداء وسينه لسيد اكتفاء ببعض الكلمة لدلالته
على باقيها وقد كثر ذلك في كلام العرب وعن سيبويه كان منهم من يقول لصاحبه الا تا
اي الا تفعل فيقول بلي سافعل وانشد ابن جني ۝ كانت مناهلها بارض لا يبلغها
۝ لصاحب الهم الا الناقة الاجد ۝ اراد منا با هاجمع منية والاجد القوية والايقاد
للبعير الاحد وقال علقمة بن عبيدة ۝ كان ابريقهم ظبي على شرف ۝ مفدم بسبا
الكتان ملثوم ۝ اراد بسبايب الكتان جمع سبيبة اي شقة رقيقة منه وقال لبيد
۝ درس المنا بمتالع فابان ۝ فتقادمت في الحبس فالسوبان ۝ اراد درس المنازل
ومتالع وابان اسما جبلين والحبس اسم موضع وسيد اصله عند البصرية سيود اعلى
بقلب الواو ياء ثم ادغمت في الياء لاجتماعهما معها وسكون احداهما وعن ابن عباس
ايضا ان معنى يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم رواه ابن ابي حاتم وفي الكشاف
عن ابن عباس انها لغة طي فان صح فهو بمعنى يا انيسين فكثر النداء به فاقتصر على بعضه
وعن الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل انها لغة حبشية اذ هم يقولون للانسان يس
وقال اي ابن عباس كما رواه ابن جرير هو قسم من اطلاق المصدر على المقسم به وهو اي
يس اسم من اسماء الله تعالى رواه بن ابي طلحة عنه ايضا وقال ابن الحنفية محمد بن علي
ابن ابي طالب امه من بني حنيفة يس يا محمد رواه البيهقي في دلايله وعن كعب يس قسم
اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام واستشكل بانه كلام الله وهو
قديم لا يوصف بقبلية ولا بعدية وقد يجاب بان المراد به ابرازه في ام الكتاب اي اللوح

طبا

المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال اي الله والقران
الحكيم انك لمن المرسلين فان قرر انه من اسمايه وصح القول فيه انه قسم كان فيه من
التعظيم ما تقدم اذ هو نهاية الشرف والتكريم وغاية البر والتعظيم ويوكد فيه القسم
جعل يس لكونه مقسما به ظرفا للقسم توسعا اي ويوكد كونه قسما عطفا لقسم اخر
عليه وهو والقران الحكيم وان كان يعني يس بمعنى النداء اي المنادي فقد جاء قسم اخر
وذكر بعده لتحقق رسالته وتكذيب من انكرها ولتحقق الشهادة بهدايته مصدر
مضاف اما الى الفاعل اي بهداية الله من ارسل اليهم اي دعوتهم الى الاسلام واياما كان
اي من اسمايه او بمعنى النداء اقسم الله تعالى باسمه على القول انه من اسمايه وكتابه
انه من المرسلين بوحيه مصدر بمعنى الموحى اي هو مرسل الى عباده بما اوحي اليه على
صراط مستقيم من ايمانه اي هو على الثابتين على طريق ثابت لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق اذ هو اوسط الشرايع واكرمها واعدلها واعظمها قال النقاش لم يقسم الله
لاحد من انبيايه باسم من اسما على الرسالة انها ثابتة بسبب انكارهم اياها قسما
موكدا في كتابه الا له لشدة انكارهم لها وفيه اي وفي تخصيصه بالقسم دون غيره
من الانبيا من تعظيمه وتمجيده اي تكريمه وتشريفه على تاويل من قال انه اي يس
يا سيد ما فيه من مبالغة الوجاهة اي فيه ما سمعته ولا يعلم كنهه الا الله وقد قال صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم اورده من عاضد القول من قال ان معناه يا سيد
واكثر روايته كما في مسلم والترمذي انا سيد ولد ادم يوم القيمة اشار والله اعلم الى
ان جميع الخلايق يلجاون اليه ذلك اليوم وانه لا منازع له في سيادته وشرفه كما لا
منازع لله في ملكه فيه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وان نازعهما فيهما في الدنيا رعاع
الكفرة تكبرا وعتوا كبيرا ويوخذ منه جواز التحدث بالنعمة حيث لا فخر ولا عجب وقد
يقال التحدث بها من خصايصه الواجبة عليه كوجوب تبليغه ما يجب ان تعتقد
امته في حقه وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد فقيل لا نافية
للقسم اي لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زايدة
وتذكر ادخالها على فعل القسم توكيد القسم كما في لئلا يعلم اهل الكتاب اي اقسم به
وانت به يا محمد فعلى ما حكاه مكي من انها نافية لا اقسم به وانت لست حالا لانها بعد خروجك
منه او لا اقسم به وانت به على عظيم حرمته حل اي حلال يستحل التعرض لك
بالاذى والاخراج كما يستحل التعرض بالصيد في غيره وعلى الثاني وهو كونها زايدة
اقسم به وانت به حل او حلال لك ما فعلت وتريد ان تفعله فيه ساعة من نهار فهو
وعد بما احله له فيه يوم فتح مكة كقتل ابن خطل متعلقا باستار الكعبة ومقيس بن صبابة
او امن من دخل دار ابي سفيان فما فعله فيه يومه حل له على المفسرين اي لعشيري
كونها نافية وزايدة وقد احلها له يومه بشهادة حديث ان مكة حرمها الله يوم خلق السموات
والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت
حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وقيل الالف زايدة لعدمها في الامام اي لا اقسم وقري به
ولامه للابتدا دخلت على جملة من مبتدا وخبر هي انا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة
اللام فظهرت الالف وقال الواسطي في لا اقسم بهذا البلد اي نحلف لك بهذا البلد

الذي

الذي شرفته بمكانك اي بكونك اي باقامتك فيه حيا وبتربتك ميتا يعني المدينة
اظهار المزيد فضله وتلويحا بان شرف المكان بشرف اهله وهو غريب ولعل قايله ممن
قال السورة مدنية والاول من قولي البلد هي مكة ام المدينة اصح لان السورة مكية
لنزولها فيها وما بعده يصححه مبتدا وخبر اي والذي بعد القسم اعني وانت حل بهذا
البلد يصحح كونه مكة وليس بلازم لجواز ان يكون المراد بقوله وانت حل بها اي بالمدينة
بعد الهجرة ويجوز ان يريد بالاول القول الحاكم بان لا نافية للقسم وما بعده اي بعد الاول
وهو الثاني الحاكم بانها زايدة يصححه قوله وانت حل بهذا البلد اذ في كونه حلا به
اشعار بثبوته مع كونه زايدة ونحوه اي نحو القول الحاكم بان البلد مكة قول ابن
عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين اي المامون فيه او الامن من
امن الرجل امانة فهو امين يامن من دخله ومن ثم قال اي ابن عطا امنها الله
بمقامه فيها وكونه بها فان كونه اي وجوده امان حيث كان ثم قال اي الله تعالى
ووالد عطف على هذا البلد اي ولا اقسم بوالد هو ادم او ابراهيم وما ولد من قال
اراد ادم كمجاهد فهو عام في جميع ولده ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي اعتراض
بين المبتدا وخبره للتبرك وانث الضمير باعتبار جزء وهو قوله اشارة الى محمد صلى
الله عليه وسلم فهو المراد بقوله وما ولد فتتضمن السورة القسم به صلى الله عليه وسلم
في موضعين من حيث كونه ولدا لابراهيم وكونه والدا بشهادة ما في الكشاف ونقله
ابن الجوزي عن ابي عمران الجوني انه صلى الله عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره
القرطبي بقوله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد ونكره في الاية منهما
تعظيما لكماله واثر ما على من لمعنى التعجب اي باي شي اقسم اي بوالد عظيم حاز جهات
الشرف والكمال وبمولود عجيب الشان والجمال وخص بكونه المشار اليه على القول بان
الوالد ابراهيم ولانه المجاب به دعوته حال بنايه البيت ان يبعث من الامة المسلمة فيهم
بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي وقال
تعالى الم ذلك الكتاب اشارة الى ان جعل طايفة من الحروف او اسما للسورة
او للقران تنزيلا له منزلة المحسوس لبعد درجته ورفعة محله مبالغة في وصفه
ببعده وكونه هدى او لانه لما تكلم به وانقضى او وصل الى المرسل اليه صار متباعدا
اشير اليه بما يشار به الى البعيد قال ابن عباس فيما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم
هذه الحروف اي في اوايل السور اقسام جمع قسم بمعنى مقسوم به اقسم الله بها
فهي اما منصوبة بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه كما في الله لافعلن اي الزمت
الله اي اليمين به او مجرورة باضماره والفتح في موضع الجر فيما لا ينصرف منها كحروف
لانه علم للسورة وعنه اي ابن عباس ان معنى الم انا الله اعلم وعنه الالف الا الله هو
واللام لطفه والميم ملكه وعنه الر وحم ون مجموعها الرحمن وعن غيره فيها اي عن
غير ابن عباس في معنى هذه الحروف فقيل هي اسماء لله بشهادة قول علي يا كهيعص يا حم عسق
ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف
اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو اخرها فجمع بينهما تلويحا بان العبد ينبغي
ان يكون اول كلامه ووسطه واخره ذكر الله وقيل هي مما استاثر الله بعلمه وروي عن الخلفاء

الاربعة وغيرهم ما يقرب منه قيل ولو لهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم
يرد بها افهام غيره اذ يبعد ان يخاطبه بما لا يفيد وقال سهل بن عبد الله التستري
وروي عن ابن عباس الالف هو الله واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا
القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وحمل معناه الله انزل جبريل على محمد
بهذا القرآن الذي لا ريب فيه من حيث انه لوضوح شانه وسطوع برهانه لا يرتاب
عاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا من حيث انه لا يرتاب احد لكثرة
المرتابين بشهادة وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه
لم ينف عنهم بل عرفهم بما يزيله وهو ان يبذلوا قواهم في معارضة سورة منه غاية جهدهم
فاذا عجزوا وايقنوا ان لا شبهة فيه ولا ريبة وعلى الوجه الاول الذي رواه ابن
عباس يحتمل القسم ان هذا الكتاب يعني القرآن كله على القول بان المقسم به اسمه
حق لا ريب فيه لما اشتمل عليه مما يقتضي بانه مما يجب ان لا يرتاب فيه ثم فيه اي
في القسم او الكتاب من فضيلة قرن اسمه باسمه اما من اضافة المصدر الى اسم
الله او اسم نبيه نحو ما تقدم وقال ابن عطا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم
اي الله تعالى بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم التي هو منجر وفيما كفتانه عنها
وهي من حيث انه صلى الله عليه وسلم حمل الخطاب من ربه والمشاهدة له ليلة الاسراء
اذ قد راه وكلمه او من جبريل ومشاهدة تلك الاعباء الشاقة من امر ونهي وغيرهما
مما هي مضادة للطبع منافرة للنفس فحملها وحملها امنة ولم يؤثر ذلك فيه
اي لم يعتره بسببه جزع ولم يغشه هلع لعلو حاله وثبات جنانه وقوة يقينه
كالليث في عرينه وقيل هو اي ق اسم القرآن وقيل هو اسم الله فيصرف علما مما
لفقد تمام مانع صرفه ويجر باضمار حرف القسم وقرئ بالجر والتنوين وقيل جبل محيط
بالارض من زمردة خضراء منها خضرة البحر وقيل غير هذا كالقول بانه من بعض اسمائه
تعالى كالقاهر والقادر والقريب او هو امر بالوقوف عند اوامره او هو اعلام بقهر
الكفرة او بانقضاء امر رسالته صلى الله عليه وسلم او تنبيه على قيام الموتى من
قبورهم مما اكتفي به عن ذكر ما بقي والقرآن المجيد واو القسم ان جعل ق اسما للحرف
او ذكر للتحدي اي هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او للرمز بكلام كقولهم
يا محمد قد امرنا ونهينا او اسما للسورة خبر مبتدا محذوف اي هذه ق اي هذه
السورة التي اعجزت البلغاء او لفظ الامر واما للعطف حال ان جعل مقسما به
والجواب محذوف دل عليه ما في معنى ق من الدلالة على التحدي او الامر اي انه لمعجز
او الواجب العمل به والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب او لانه كلام المجيد
او لان من علم معانيه وعمل باحكامه مجد وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا
هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال اي جعفر بن محمد والنجم قلب محمد هوى انشرح
اي اتسع وانفسح بما افيض عليه من الانوار العلمية والحكم النبوية وبها الهداية
ورونق التوفيق اقسم بها تشبيها لما منحه من اشراق نور الجلال ورونق الكمال
بالنجم الى الثريا او الزهرة او غيرهما من النجوم مرادا بالهوى الذي هو النزول الغروب
او الانتثار يوم القيامة الانشراح مشبها به فاستعير له اسمه ثم اشتق منه انشرح

توقفت

توقفت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية وقال اي جعفر بن محمد هوى
انقطع صلى الله عليه وسلم عن غير الله من المتقلبين فكان معهم بظاهره لدعوتهم وتعليمهم
احكام شريعته مشتغلا بجنابه هذا او تفسير الهوى بالانشراح تحكم وتصرف في
اللغة والمشهور عنه انه انما اقسم هنا بالنزول ليلة الاسراء وهو المناسب لاستماعها
ولهذه الاية مزيد بيان يأتي وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر
محمد فهو على هذا المقسم والفجر بمعنى منفجر لما استعير له صلى الله عليه وسلم تشبيها
له به لان منه تفجر الايمان المشبه بالماء على سبيل الاستعارة المكنية ثم خيل له
بالتفجر وهو تفسير غريب والذي قاله المفسرون انه الصبح او قرنه بشهادة والصبح
اذا تنفس او المشار اليه بقوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من
الفجر او بصلاته والليالي العشر عشر ذي الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او
العشر الاول من المحرم او الاواخر من رمضان ونكرت لزيادة فضلها الفصل
الخامس في ذكر ما ورد به القرآن فنسبه تعالى جده بفتح اوله مقتبس من قوله وانه
تعالى جد ربنا اي عظمته وجلاله وفي الحديث كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وال
عمران جد بالدال المهملة في انفسنا اي عظم وجل وعن انس والحسن غناؤه بشهادة
حديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى منك غناؤه وانما ينفعه بما
وغناؤه مستعار من الجد الذي هو البخت ووصفه تعالى بالغنى المطلق عما لا يليق
به لعظمته او غناه له صلى الله عليه وسلم بما هو لايق بالغرض هنا لتحقق مكانته
عنده ويظهر شرفه وبدا بسورة الضحى لما تضمنته من كريم خطابه له وعميم نعمه
عليه تشريفا له وتكريما فاجل اسمه والضحى اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله
ضحاها او بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى والقى
السحرة فيه سجدا وان يحشر الناس ضحى اي بالنهار كله بشهادة ان يأتيهم باسنا
ضحى في مقابلة بياتا او مقابلة والليل اذا سجى اي ركد ظلامه او سكن اهله من سجى
البحر اي سكنت امواجه وقدم الليل في السورة قبلها لانه الاصل والنهار هنا اشرف فه
وقوله السورة منصوب بفعل محذوف كاعني والسورة طايفة من القرآن مترجمة
اقلها ثلاث ايات ثم هي ان كانت واوها اصلية فمنقولة من سور المدينة لانها محيطة
بطايفة منه مفرزة محوزة على حدة او محتوية على انواع من العلم كاحتواء سور المدينة ينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها
القاري من سورة الى اخرى او لها مراتب طولا وقصرا ورفعة وشرفا وثوابا وان
كانت مبدلة من همزة فلكونها قطعة وطايفة من القرآن فمن السورة التي هي بقية
الشيء اختلف في سبب نزول هذه السورة اي سورة والضحى فقيل كان ترك
النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام
ويصرح ما رواه البخاري اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين
او ثلاثا فقالت له امراة اني لارجو ان يكون شيطانك تركك لما رايت من عدم قيامك
فانزل الله والضحى وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبي انه صلى الله عليه وسلم اصيب في
اصبعه فرميت فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين او ثلاثا

لايقوم الليل فقالت له ام جميل امراة ابي لهب ما ارى شيطانك الا قد تركك لم اره قربك
منذ ليلتين او ثلاثا فنزلت وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله عليه وسلم
ويويد الاول رواية الحاكم انها امراة ابي لهب ولعلهما قالتا له ذلك وقيل انه لما قال
المشركون عند فترة الوحي ويدل عليه حديث مسلم والترمذي ابطا جبريل عن النبي
صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله سبحانه ما ودعك ربك
وما قلى تضمنت هذه السورة يعني سورة والضحى من كرامة الله تعالى له صلى
الله عليه وسلم ومن مزيدة او للتعظيم اي تضمنت شيئا عظيما اكرمه الله به وتنويهه
به من نوه بالشيء اي رفعه ونوهت باسمه اي رفعت ذكره وتعظيمه اياه بما خصه
ستة وجوه جمع كثرة في موضع جمع قلة توسعا وقد يكثر استعمال احدهما فيوثر
استعمال احدهما على الاخر كفلوس جمع فلس اوثر على افلس لقلة استعماله الوجه
الاول القسم له صلى الله عليه وسلم عما اخبره به في هذه السورة من ما دل على كريم كماله
وعظيم حاله فمن بيان لما اقسم له على شيه بقوله والضحى والليل اذا سجى بما احتمل
في هذا المقام واختاره هنا لكن الظاهر انه تعالى اقسم بما هو تنبيها منه تعالى
على شرفه وهذا اي القسم له على ذلك من اعظم درجات المبرة من البر وهو اسم للخير
والفعل مرضيا اذ قد اوتي صلى الله عليه وسلم ما لم يوته احد من مراتب متباعدة
ودعوة عامة وحجج متظاهرة وايات متكاثرة ومعجزات مستمرة باهرة وبينات
متعاقبة بتعاقب الدهور وفضايل علمية وعملية تفوت الحصر هذا وقد شبه المبرة
لكونها ارفع ببيت درجات في غاية الرفعة على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبتها
لها تخييلا الوجه الثاني بيان مكانته عنده اشارة الى اعتنايه به صلى الله عليه وسلم
وحظوته لديه بظاء معجمة وحاء مهملة مثلثة لانه على وزن فعله ولامه واو وبعدها
تاء تانيث من حظي عنده اذا كان ذا منزلة واحظاه على فلان اي فضله عليه بقوله
ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما قطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة
في الودع اي الترك اذ من ودعك د في الحديث غير مودع ربي اي غير قاطع طاعته
ولا مفارق لها وقرا عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغنا العرب عنه
بترك فلم تنطق به ماضيا وقد جاء في الحديث شر الناس من ودعه الناس اتقاء
فحشه وفي الشعر من نحو قوله • فكان ما قدموا لانفسهم • اعظم نفعا من
الذي ودعوا وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك وحذف مفعوله
ومفعول فاوى فاغنى فهداك اكتفا بذكره سابقا كما حذف من المذكرات في والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اي والذاكراته ومراعاة الفاصلة الوجه الثالث قوله عز قايلا
وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك في مرجعك اي ما يول اليه فيها
بالوحي والكرامة وكونك حبيبه ونصرك على اعدايك وغير ذلك من الانعامات
وهذا معنى ما قال سهل ما ادخرته لك من الشفاعة والمقام المحمود هذا
ظاهر في انه مقام الشفاعة الذي يحمد فيه الاولون والاخرون وبه قال الاكثرون
بشهادة حديث هو المقام الذي اشفع لامتي ويجوز ان يريد به كما هو ظاهرها لانه كل
مقام يتضمن كرامة او مقام الحمد خير لك مما اعطيتك في الدنيا من كمال النفس

ونناز

وتناز الامراو نهاية امرك خير من بدايته لتصاعدك في مدارج الرفعة ومعارج
الكمال الوجه الرابع قوله ولسوف خبر مبتدا محذوف دخله بعد حذفه لام الابتدا
لتاكيد مضمون الجملة اي ولانت سوف يعطيك ربك فترضى ما تقر به عينا لا
للقسم اذ لامه لا تدخل المضارع الا مع نون التاكيد وجمع بين حرفي التاكيد والتا خير
تلويحا بان العطا كاين لا محالة وهذه الاية اي ولسوف جامعة لما اعطاه وما
وعد من وجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين مما لا
يعلم كنهه سواه ففي ابهامه من التفخيم والتعظيم ليذهب النفس كل مذهب ممكن مما
لا يكون في بيانه والزيادة بالجر عطف على وجوه اي وجامعة للزيادة على ما اعطاه في
الدنيا وعلى في الاخرة وتشبيه الكرامة بصور حسنة استعارة مكنية واثبات
الوجوه لها استعارة تخييلية وجمعها لاختلاف انواع الكرامة قال ابن اسحاق
في سيرته يرضيه بالفلج هو على ما في الصحاح بفتح الفا واللام وبالجيم والاسم بضم
الفا وسكون اللام اي الفوز والظفر باعدايه في الدنيا كيوم بدر وقريظة والنضير
وفتح مكة والثواب في الاخرة مما اخفي له من قرة اعين وقيل يعطيه الحوض وفسر
نعما العطاء بالخير الكثير المفرط كثرة وتمسكا بما في البخاري ومسلم بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد اغفا اغفاءة ثم رفع راسه فقال نزلت علي انفا سورة
فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو
الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد
عليه امتي يوم القيمة انيته عدد نجوم السما قيل وانما يصح التمسك به اذا جعل
قوله هو حوض عايدا الى النهر والظاهر انه خبر عن الخير الكثير فهو الحوض بشهادة
روايتهما الاخرى الكوثر نهر في الجنة عليه حوضي اي يمد حوضي منه ففي مسلم ماوه
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من
ذهب والاخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة فمثناة فوقية معناه يجري جريا
متتابعا له صوت ويعطيه الشفاعة يحتمل ان يريد بها هنا العظمى لفصل القضا
بين اهل الموقف اذا فزعوا اليه بعد الانبيا ويحتمل ان تكون لامته لاستغراق
جميع شفاعاته وسميتها وروي عن بعض ال النبي صلى الله عليه وسلم هو
علي بن ابي طالب قال ليس اية في القران ارجى منها يعني ولسوف يعطيك ربك
فترضى ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار
رواه عنه ابو نعيم في الحلية موقوفا والديلمي في مسند الفردوس مرفوعا وروي انه
لما نزلت قال اذا لا ارضى ان يكون واحد من امتي في النار وهذا ان صح فيشكل بما ورد
من انه لا بد من دخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعاء
لجميع المومنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لا بد من دخول بعض منهم فيها ويعارضه رب
اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات الوجه الخامس
ما عدده الله عليه من نعمه جمع نعمة بمعنى الانعام وقرره من الاية اي نعمائه
واحدها الاء بالفتح وقد تكسر وتكتب بالياء كمعا ومعى وذكره وان كان بمعنى نعمائه
تفننا وتاكيدا لعدها او تقريرا فتله بكسر اوله وفتح ثانيه اي لذ وعند لوروده في مقام

يعني به الامتنان بها وتعديدها في بقية السورة من الم يجدك يتيما الى فاما اليتيم
تلويحا بانه تعالى كما احسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا فما عد وقد ورد دالة على
خلاف ترتيب السورة ما اشار اليه بقوله من هدايته مصدر مضاف الى فاعله اي
من هداية الله اياه الى ما هداه له من تعليمه بالوحي القران والاحكام التي يعبد
بها وكلفه بتبليغها او ارشاده الى ما تميز به عن قومه ورفضه مما لا يليق بجنابه
الشريف او الى الطريق اذ قد ضل في شعاب مكة صغيرا فرده ورقة الى جده ومن
بيانية لما عد وقدر وعطف على مدخولها قوله او هداية الناس به على اختلاف
التفاسير في فهدى فهو اما بمعنى هداه الله او بمعنى هدى به الناس ولاماله
عطف على مدخولها ايضا اي ومن انه وجده عائلا فاغناه بما اتاه واغناه به من
الرزق او بما جعله في قلبه من القناعة والغنا اي غنا النفس بشهادة حديث
ليس الغنا بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس وحديث القناعة مال لا ينفد وقد
رفعه الله عن رتبة الغنى بكثرة المال اذ قد خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاختار ان يكون عبدا فكان غناه بما اعطاه وقنعه به ومن انه وجده يتيما
مات ابوه قبل ولادته فاواه الى عمه فحدب بفتح اوله وكسر ثانيه اي رق له ورحمه
وعطف عليه عمه ابو طالب واسمه عبد مناف فاواه اليه واحسن تربيته وقيل
اواه الله ملحوظا بعين عنايته محفوظا في كنف رعايته بمراى منه ومسمع وقيل يتيما
لاستاذ اي لا نظير لك يماثلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصما اي محفوظة
ممنوعة معصومة عن ان يكون لها نظير وفي الكشاف انه من بدع التفاسير
ومعناه الم يجدك يتيما واحدا في قريش عديم النظير فاواك الله وانما جعله بدعة
لنبوه عن معنى الاية وصرفها عنه بلا داع شرعي ويجدك ووجدك في موضعيه من
الوجود اما بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوان له او المصادفة هو
فاحوال وقيل المعنى الم يجدك والناس في ضلال فهدى بك ضالا ووجدك وفيهم
عيلة فاغنى بك عائلا ووجدك وفيهم ايتام فاوى بك يتيما واخلق بهذا الحاقا
ببدع التفاسير لصرفه الايات عن معناه بلا دليل شرعي ذكره صلى الله عليه وسلم
ربه تذكير امتنان لا تسنان بهذه المنن جمع منة اي عطية واحسان وانه اي الشان
او هو صلى الله عليه وسلم على المعلوم من التفسير لم يهمله ربه تعالى هذا
وما بعد ضمير انه حال منه اي انه حال استعلا شانه على ما علم من تفسير الايات مراعى
بعين العناية في حال صغره وعيلته ويتمه تشبيها للمعلوم منه بمرتفع عال فلم
تسمه نقصا وعيث لم يخف انه به لم يهمله في وقت منها ويجوز ان يكون ضمير انه
له تعالى وعلى للمصاحبة كمع كما في واتى المال على حبه اي وانه تعالى مع ما علمناه
من تفسيرها لم يتركه فيما ذكر ولا قبل معرفته صلى الله عليه وسلم به تعالى وهذا
من عطف عام الاوقات على ما شملته القبلية وغيره ولا ودعه ولا قلاه اي ما تركه
ولا ابغضه كل ذلك مجاز عن تربيته الحسنة بما يصلحه في جميع احواله واذا كان
هذا حاله الكريم قبل بعثته ومعرفته ربه فكيف حاله بعد اختصاصه بالكرامات
السنية واصطفائه اي بعد ارساله واعلامه انه تعالى اصطفاه على جميع العالمين

لكرامته ومنزلته عنده والا فقد كان اصطفاه في الازل بشهادة كنت نبيا وادم
بين الماء والطين وفي رواية وادم منجدل في طينته اي وادم مراد ايجاده منهما
في وقته فلا ينبته ولا ايجاد له حذرا من توهم كونه من غيرهما والظرفية مجازية
والا لزم فساد تقييد الكريبة بالحال الوجه السادس ان مما انعم عليه ارشاده
الى الاقتدا به تعالى في الرفق ومكارم الاخلاق كما كان له فانه كان يتيما فاواه
وضالا فهداه وعائلا فاغناه فنهاه بقوله فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل
فلا تنهر اي مهما يكن من شيء فلا تنس نعمتي عليك فلا تقهر يتيما بل تعطف عليه
واو كما عطفت عليك فاويتك ولا تنهر سائلا بل تلطف به وبره بمعروف كما لو
لطفت بك وبررتك بمعروفي وقدم منصوبا لانما تضمن اما بمعنى الشرط اللازم
له الفا غالبا المانع من تقدير فعله مقدما لالتزامهم فاصلا بين الفا واما القائم
مقام فعله حذرا من دخول فعل على فعل ومن تقهر وتنهر جناس لاحق منه امره
باظهار نعمته عليه مصدر مضاف الى الفاعل عام في جميع ما انعم به عليه اذ اضافتها
المفرد تفيد العموم وشكر ما شرفه به عطف تفسيري اذ اظهارها شكرها بنشره
وارشاده ذكره مصدر ارشاد بذكره اي رفع من قدره بقوله واما بنعمة ربك
فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها لحديث التحدث بالنعمة شكر ومن التحدث
بها باظهارها خاص له صلى الله عليه وسلم عام لامته لانه امامهم فامره كامرهم اولانه
المامور والحكم يعمهم لاستوائهم فيه وقال تعالى حال لازمة من ضمير قال
اي متعاليا عما لا يليق بجنابه الاكرم والنجم اذا هوى الى لقد راى من ايات ربه
الكبرى اختلف المفسرون في النجم اختلافا مصحوبا باقاويل او مفصحا عن اقاويل
معروفة منها النجم على ظاهره فالمراد به اما جنس النجوم كما في قوله ٭

٭ احسن النجم في السماء الثريا ٭ والثريا في الارض زين النسا ٭

او هو الثريا لغلبته عليها او هو الزهرة لانهم كانوا يعتقدون نفعا فنبههم على انتقالها
او الذي يرجم به فهويه غروبه او انتثاره يوم القيمة او انقضاضه او طلوعه
اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد ومنها
انه هو القران لانه نزل حصصا موزعة دفعات من نجم الدية اداها حصصا
ومنه نجوم الدية لحصصها المؤداة واصله من النجم للكوكب الطالع لان النجوم
معالم للاوقات وعن جعفر بن محمد انه اي النجم المقسم به محمد عليه الصلاة والسلام
وكثيرا ما يذكر المص السلام بدون صلاة مع كون افراد نحوها عن الاخر مكروها وقال
اي جعفر هو اي النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم ففي قسمه به من التعظيم ما لا يخفى
وقد قيل في قوله والسماء والطارق اي البادي ليلا واصله لسالك الطريق خص
عرفا بالاتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب
اي المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله
عليه وسلم عبر عنه اولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتشبيها
له به بجامع ان كلا يهتدى به لكنه صلى الله عليه وسلم اعظم من هذا واكرم من به
يهتدى ٭ نكم به ظلام كفر انجلا وفضى ٭ دونق دينه دجنة الردي ٭ وقد

تضمنت هذه الايات من اولها الى لقد راى من ايات ربه الكبرى من فضله وشرفه
العد بكسر مهملة اي الكثير الذي لا تنقطع مادته ومنه ماء عد اي دايم لا انقطاع
له ما نكرة موصوفة محلها نصب بتضمنت وردت مخبرة بالتعظيم والتكثير اي بلغ
فضله وشرفه عظما وكثرة الى حيث يقف في احصايها دونه اي دون كل منهما العد
بفتح مهملة فاعظم بفضل وشرف يعجز عن احصايها دونهما العد ما اجزله واكثره
هذا لما نسبوه الى الضلال والغي وان ما ينطق به عن هواه ورايه اقسم جل اسمه
تكذيبا لهم على هداية المصطفى بتبريه لساحته عن الضلال فلم يعدل عن القصد
واقسم على تنزيهه عن الهوى فيما اخبر به من الحق اذ لم ينطق به عن هواه ورا[يه]
واقسم على صدقه فيما تلى من القران الكريم واقسم على انه وحي يوحى اوصله اليه
عن الله جبريل وهو اي جبريل الشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اي شديد قواه اذ هو الواسطة في ابداء الخوارق منها انه اقتلع
قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين ثم بعد قسمه وبراءة جنابه اخبر عن تفضيله بقصة الاسراء
اذ قد منحه في تلك الليلة من شرف الكرامة ورفع المكانة ما لا يعلمه غيره و
اخبر عن تصديق بصره فيما راى بقوله ما كذب الفواد ما راى ببصره من صورة
جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك
اولا بالقلب ثم بالبصر او ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قال له لكذب لانه عرفه
بفواده كما راه ببصره يقينا لا تخييلا اذ قد سيل هل رايت ربك قال رايته بفوادي
واخبر انه راى من ايات ربه الكبرى بقوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اي
والله لقد راى ليلة الاسرى الكبرى من اياته وعجايبه الملكية والملكوتية و
الكبرى صفة للايات والمفعول محذوف اي شيا منها او من تزيد وقد نبه على
مثل هذا اي رويته من ايات ربه في سورة الاسرا بقوله لنريه من اياتنا
ولما كان ما كاشفه اي باداه عليه الصلاة والسلام برويته بمعنى اطلع عليه
وراه ابتدا لا بمعنى دفع غطاه وان زعم لعدم مناسبة المقام اذ لا يقال رفع
غطا ما هنالك من ذلك الجبروت فعلوت مبالغة من الجبر اي القهر كالعظموت
من العظمة والمراد راى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد ببصره وشاهده
من عجايب الملكوت مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة لا تحيط خبر كان
به العبارة لقصورها لانها عن احصايه ادراكا ولا تستقل بحمل سماع ادناه
اي اقله العقول لعجزها عن حمله فضلا عن حمل اكثره رمز جواب لما اي رمز الله
عنه اي عن ما كاشفه صلى الله عليه وسلم واطلع عليه بالايما متعلق برمز والكناية
عطف على الايما وكلها اسما لمعنى واحد هو هنا ترك التصريح بشهادة قوله
الدالة على التعظيم لعدم استقلال العقول بسماع ادناه وقد تتفاوت بالاعتبار
جلا وخفا اي رمز واومى فكنى عنه بما تفخيما له وتعظيما فقال فاوحى اي جبريل
او الله الى عبده صلى الله عليه وسلم ما اوحى اي شيا عظيما لا يعلم كنهه سواه ففي
ابهامه من التفخيم ما ليس في ايضاحه وهذا النوع اي الرمز بالايما والكناية

من الكلام

من الكلام اي من انواعه تسميه اهل النقد والبلاغة العارفون بجيد الكلام وبهرجه
تشبيها لهم بصيارف ذهب وفضة يميزون الجيد عن البهرج استعارة تحقيقية مجردة
بالوحي والاشارة كما هنا لعدم الصراحة بالموحى به اسما لمعنى واحد اذ هي احد ما صدقاته
بالكناية والرسالة والالهام والكلام الخفي وقد تتفاوت وضوحا وخفا وهو اي
النوع المسمى بهما ابلغ ابواب الايجاز من حيث انه من جوامع الكلم يشير مع قلته الى
معان كثيرة مبهمة يذهب فيها الفكر كل مذهب ممكن متصرفا فيه هذا ولا يعزب عنك ان
كل كلام اما ناقص عن معناه او مساو له او زايد عليه ايجاز او مساواة واطناب واعلا
الاول من حيث ان المعاني هي المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك
كالقرب في الطريق فكان احق بالسلوك ويليه المساواة في الاستحسان لاتفاقهما
له في القرب واكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالطريق البعيد فتراه
مرفوضا غالبا وانت خبير بان لكل منها في الخطاب مقاما يستعمل فيه بحسب افهام
المخاطبين فتخاطب كلا بما يناسبه من لطايف العبارات ودقايق المعاني ما لا يناسب
الثاني وقال تعالى لقد راى اي ابصر من ايات ربه الكبرى الدالة على عظمته جل له
انحسرت الافهام اي عييت وكلت عن تفصيل ما اوحي اليه اذ لا يحيط به حد ولا
يحصيه عد وتاهت الاحلام اي ذهبت متحيرة في تعيين تلك الايات الكبرى فلم تهتد
الى معرفة شي منها لكثرتها على القول بعدم زيادة من او لسعة الملكوت على القول بزيادة
قال المصنف اشتملت هذه الايات على اعلام الله مصدر مضاف الى فاعله اي اخباره
بتزكية جملته اي بتطهير ذاته عليه الصلاة والسلام وعصمتها اي حفظها من
الافات في هذا المسرى اي مكان السرى او هو مصدر ميمي بمعنى السرى فزكى فواده
اي قلبه ولسانه وجوارحه اي اعضاه التي يكتسب بها فزكى قلبه بقوله ما كذب الفو
اد ما راى بل صدقه محققا له او ما فتر عن المشاهدة ولا كل وزكى لسانه بقوله وما
ينطق عن الهوى اي ما يصدر نطقه عن هواه ورايه وقد يحتج به من لا يجوز له الاجتهاد
واجيب بما لا يرضى وزكى بصره بقوله ما زاغ البصر اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم
عما راه وما طغى اي وما تجاوزه بل وقع عليه وقوعا مستيقنا وما عدل عن رويته
ما اسر برويته من العجايب وقال تعالى فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من
خنس اذا تاخر وهي ما عدا النيرين من السيارات ومن ثم وصفها بقوله الجوار الكنس
اي السيارات تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اي دخل كناسه اي بيته لا اقسم
اي اقسم على القول بزيادة لا انه اي القران لقول رسول قاله عن ربه كريم عند مرسله
ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي اي ما اوحي اليه من الحق الى الخلق مكين اي متمكن
المنزلة والجاه والكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش تلويحا بعظم
مكانته ومنزلته من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء اذ قد بلغ فيها ليلة
الاسرى فاطاعوه اجمع امين على ما اوحي اليه ويحتمل وصله بما قبله وما بعده
قال علي بن عيسى الرماني وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم لجميع
ما ذكر هنا من الاوصاف بعد اي بعد ذكره على هذا القول له صلى الله عليه وسلم
وقال غيره اي غير علي بن عيسى وهم الاكثرون هو اي الرسول الكريم جبريل فرجع له وصفا

اليه وما صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون تكذيب للكفرة فيما افتروه عليه اذ قالوا يايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقد تمسك به من نكب عن الحق وفضل جبريل عليه
لعدم فضايله وانتصاره على نفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم وضعف بان المقصود
منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا عد فضلهما والموازنة
بينهما ولقد راه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قيل عن ابن مسعود وغيره راى ربه
وقد مر لانه اوفى بغرضه وقيل راى جبريل في صورته التي خلق عليها وما هو صلى الله
عليه وسلم على ما يخبر به مما اوحي اليه وغيره من الغيب بظنين اي بمتهم من الظنة اي
التهمة ومن قرا بالضاد فمعناه ما هو ببخيل من الضن وهو البخل بالدعاء به الى
الله تعالى والتذكير بحكمه مصدر اضيف الى فاعله فعم اذا اضافة المفرد تفيد اي
ولا يبخل بتذكيرهم باحكام الله وتعليمه يحتمل عود ضميره الى الحكم اي ولا يبخل بتعليم كونه
واجبا او مندوبا او حراما او مكروها او مباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله عليه وسلم
اي ولا يبخل ان يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم منه شيئا ورجح ابو عبيدة قراءة المشالة
لانه لم ينسب اليه بخل بما ذكر بل اتهم وكذب فرد عليهم بالاية ما زعموا وهذه اشارة
الى ما دل عليه قوله وما هو على الغيب بظنين من انه ليس بمتهم ولا بخيل على قراءتي
الظا والضاد وانث اسم الاشارة نظرا الى انه صفة لمحمد باتفاق من المفسرين اذ
لم يقل احد منهم بعود الضمير اعني هو الى جبريل وقال تعالى ن اسم للحرف او للحوت واريد
به الجنس او الحوت الذي عليه الارض او للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه اشد
سوادا من الحبر يكتب به ويقصر الاول سكونه وكتبه بصورة مسماة والقلم هو ما كتب
به في اللوح المحفوظ او ما يكتب به اقسم الله تعالى بما اقسم به مما لا يعلمه غيره
او هو ما ذكر او غيره من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى اي تبعيده عما لا يليق بجنابه
الكريم مما غمصه بمعجمة ومهملة بينهما ميم اي عابه واحتقره الكفرة به وتكذيبهم
له فقالوا هذا ساحر كذاب وانسه وبسط له امله صلى الله عليه وسلم بقوله
محسنا حال من ضمير ما قبله خطابه مفعوله ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب
القسم ومقول القول وبنعمة ربك حال من اسم ما ورد اعتراضا بين اسمها وخبرها
اعني بمجنون للامتنان اي ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والعامل
فيها معنى النفي رد القولهم يايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وهذه اي
ما انسه وبسط امله به وانث اسم الاشارة نظرا الى لفظ المبرة في قوله نهاية
المبرة في المخاطبة واعلا درجات الاداب في المحاورة ثم بعد ان نزهه وبراه مما
نسبوه اليه اعلمه بما له عنده من نعيم دايم ابد الاباد وثواب غير منقطع لا ياخذه
لا يضبطه ولا يحيط به العد ولا يمتن به اي ولا يعد عليه فقال وان لك على
احتمال ان اسم لاجرا غير ممنون اي غير منقطع او غير ممنون به عليك فانه يعطيك
بلا واسطة ثم اثنى عليه بما منحه اي اعطاه من هباته وهداه اليه واكد ذلك
الذي يدل على ما منحه به تتميما للتمجيد من المجد وهو الكرم اي تتميما لنسبته اليه
بحرفي التاكيد ان واللام مع اسمية الجملة فقال وانك لعلى خلق عظيم استعظمه
لفرط احتماله اذا اوذي ومبالغته فيه فكان يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون

يرحم الله اخي موسى لقد اوذي اكثر من هذا فصبر ثم قيل عن عايشة انها سيلت عن خلقه
فقالت خلقه القران اي ما فيه من جماع مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هو ما امر الله به
بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل عن ابن عباس انه الاسلام
اي التوحيد والانقياد لامر الله وقيل عن الماوردي انه الطبع الكريم ومن ثم كان يخالق
الناس بمكارم اخلاقه ولطفه بهم وارفاقه وقيل عن الجنيد انما كان خلقك عظيما لانه ذلك
ليس لك همة الا الله فكان مع الخلق بجسمه مباينا لهم بقلبه قال الواسطي اثنى
اي الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم بحسن قبوله اي بتقبله الحسن لما اسداه اليه
اي انعم به عليه من نعمه بيان لما اسداه اليه وفضله على غيره من خلقه لانه جبله
اي طبعه على ذلك الخلق فسبحان اسم للتسبيح اي التنزيه وقد يجعل علما له فيقطع
عن الاضافة ويمنع الصرف ونصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن
السوء وقد يتعجب به فينون بمن كما في قول الاعشى ⁕ اقول لما جاءني فخره ⁕
⁕ سبحان من علقمة الفاخر ⁕ اي التعجب منه اذ يفخر اللطيف اي ذي اللطف والرفق والر افه
الكريم المحسن الذي عم بره ولطفه الجواد بتخفيف جيمه اي كثير الجود وفي حديث رواه
الترمذي في جامعه والبيهقي في الاسماء والصفات عن ربنا تعالى انه قال وذلك اني جواد
ماجد المجيد اي ذي المجد والكرم الذي يسر الخير وهدى اليه اي دل عليه او خلق الاهتدا
فيمن اراد هدايته له ثم اثنى على فاعله اي فاعل الخير وجازاه عليه بنحو قوله وما
تفعلوا من خير يوف اليكم ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور
حليم سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله تعجب من حاله تعالى في اتصافه بما يقتضي
اضافة لماية وفصله عما قبله لانه بدل منه لكونه تعجبا وانيابا دية ما افاده وصفه
تعالى بما ذكر قبل لا افصاحه بعموم نعمه وعموم كرمه وما تامة مرفوعة بالابتدا او عنه
ما افاده تنكيرها لتنكير شر اهر ذا ناب وخبر ما بعدها او استفهامية خبرها ما بعدها
او موصولة صلتها ما بعدها وخبرها محذوف وقد شبه نواله تعالى اي اعطاه لكثرته على
طريقة الاستعارة المكنية بما غمر واثبت له الغمرية تخييلا او شبه كثرته بغمر الماء
ثم اشتق منه اسم التفضيل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسمه تبعية وما
عطف عليه كذلك ثم سلاه عن قولهم اي ازال عنه ما حزنه من الغم وكربه من الهم
بعد هذا متعلق بسلاه اي بعد ما قالوه بما وعدهم من عقابهم بيان لما وتوعدهم
بقوله فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء زايدة
او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر هو الفتنة او باي الفريقين الجنون ابفريق المومنين
ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل
اي بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال
العقل ثم بعد ان مدحه وسلاه متوعدا اياهم عطف اي التفت وكر سبحانه وله المثل
الاعلى بعد مدحه صلى الله عليه وسلم على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه جمع
معيبة من العيب اي القبيح متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه احوال من ضمير عطف
وردت مؤذنة بانه تعالى لم يكل ذلك الى احد بل تولاه بنفسه تعظيما ونصرة له صلى
الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة اي صفة قبيحة والبضع بموحدة وكسرها وله ما بين

ذلك

افه

الثلاث الي التسع من خصال الذم فيه اي في عدوه بقوله فلا تطع المكذبين تهييج
لتصميمه على معاصاتهم ودوا لو تدهن اي لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك
وتوافقهم احيانا فيه ولا تطع كل حلاف كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن
اعتاد الحلف مهين اي حقير من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مغتاب مشاء بنميم
نقال للحديث على وجه الفساد مناع للخير اي كثير المنع عنه معتد متجاوز في
الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اي قاده بعنف وغلظة بعد ذلك
اي بعد ما وعد من مثالبه زنيم اي دعي كالوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثمانية عشر سنة
من مولده ان كان ذا مال وبنين علة لما بعده اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين اي قال ذلك حين تتلى عليه لكونه متمولا مستظهرا ببنيه من فرط غروره
والعامل فيه ما دل عليه قال من معنى التكذيب لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله
اي لا تطع من هذه مثالبه لاجل كونه ذا مال وبنين ثم ختم ذلك اي ما ذكره من مثا
لك الشقي بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره اي هلاكه بقوله
سنسمه على الخرطوم اي سنكويه على انفه اهانة له وخص الانف لان السمة
عليه ابشع وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت سمة عليه فكانت نصرة
الله له على عدوه اتم من نصرته صلى الله عليه وسلم لنفسه ورده تعالى على عدوه
ما افتراه عليه ورماه به من جنونه وغيره ابلغ من رده صلى الله عليه وسلم واثبت في ديوان
مجده اي كرمه وشرفه واعلى ديوان تثبت اولى واوجبه يا الكرم ما قبلها تشبيه مجده
لكثرته وصفا في ابانته بما ينضبط في ديوان استعارة مكنية واثبات له الديوان تخييلا

الفصل السادس في ذكر ما ورد من قوله تعالى في قرانه الكريم في جهته
اي في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والاكرام جعل لهما موردا كالماء
لعموم نفعهما سيما من اكرم بما لم يكرم به غيره طه مبتدا ان جعل اسما للسورة او
للقران ما انزلنا عليك القران لتشقى خبره ووضع القران فيه موضع العائد
وجواب ان جعل مقسما به واستئناف ان كان جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا
قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام لحديث تقدم في عدد هي عشرة
اسماء ذكر منها طه وقيل هو اسم لله تعالى قاله ابن عباس وقيل معناه يا رجل في
لغة عك ولعل اصله يا هذا فتلعبوا بيا طا واقتصروا على ها وقيل معناه يا انسان
تلعبوا وانوا بها السكت وقيل هي حروف مقطعة لمعان كما قال الواسطي اراد
بالطاء افتتاح ياطاهر وبالهاء افتتاح ياهادي وقيل هو امر من الوطء بان يطا
الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه واصله طا قلبت همزته
ها او طاها فقلبت همزته الفا والها كناية عن الارض واورد عليه كتابتهما على صورة
الحرف وكذا على تفسير يا رجل وقد يجاب بانه اكتفي بشطري الكلمتين وعبر عنهما
باسميهما اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم
واحدة وهو اي النهي عن اتعابه نفسه الذي لوح به النفي الذي افاده قوله ما انزلنا
عليك القران لتشقى اي لتتعب بفرط تاسفك على كفر قومك او بكثرة رياضتك وتهجدك
قيامك على ساق وقد نزلت الاية اي اول سورة طه ردا وتكذيبا لمن قال له وقد راى

كرة

كثرة عبادته كابي جهل انك شقيت بترك دينك وانزل عليك القران لتشقى او انزلت
مما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل وقد
اسند هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القران لتشقى ورواه ابن مردويه موصولا عن علي بلفظ لما نزل يا ايها المزمل
قم الليل الا قليلا فقامه كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فهبط
عليه جبريل فقال طه اي طا الارض بقدميك ما انزلنا عليك القران لتشقى وكثيرا
ما يعبر بالشقاء عن التعب كالشقي من رائض مهر وسيد القوم اشقاهم وعدل اليه
اشعارا بانه انزل عليه ليسعد ولا خفا بما في هذا النبا بمعنى في عدل اليه حذرا
لتكرار اي فيما في الاية والحديث من الاكرام وحسن المعاملة له صلى الله عليه وسلم
وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل وتقدم ان جعلت قسما
اقسم الله به لحق هذا الفصل بما اي بالفصل قبله لانبائه بما اقسم به تعالى عقبها
لمكانته عنده وبما افاد نهاية البر في مخاطبته واعلاء درجات الاداب في محاورته
ومثل هذا اي كون طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم اي مقسما به او هما او قبلهما
من نمط الشفقة والبر لمناسبة بينهما اذ النمط في الاصل الجماعة من الناس امرهم
واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالي ويرجع اليهم الغالي
قوله تعالى فلعلك لفرط اعراضهم وتباعدهم عن الايمان باخع نفسك على اثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث المجيد الذي انزله اسفا اي قاتل نفسك لذلك اي لعدم
ايمانهم غضبا او غيظا او حزنا شبهه صلى الله عليه وسلم لما يداخله من الوجد اسفا على
توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق اعزته فذهبت نفسه حسرات على اثارهم
باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم ومثله اي مثل فلعلك باخع نفسك بما ورد مورد
الشفقة والاكرام بشهادة لعل اذ هي للاشفاق قوله تعالى لعلك باخع نفسك وترك
بالاضافة اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين اي لئلا يؤمنوا او
خيفة ان لا يؤمنوا والبخع اصله ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذ
اقصى حد الذبح ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء اية اي دلالة ملجئة الى الايمان
او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين عطف على الجزاء اعني ننزل اذ لو قيل
انزلنا لكان صح واصله فظلوا لها منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع
وترك على اصله او لما وصفت الاعناق بما هو من صفات العقلاء اعني الخضوع جعلت
كهم او اريد الرؤسا او الجماعات من قولهم جاني عنق من الناس لفوج منهم ومن هذا
الباب اي باب الشفقة والاكرام قوله فاصدع بما تؤمر اي فاجهر من صدع بالحجة اذا
تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة
والعائد محذوف اي بما تؤمر به واعرض عن المشركين اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم روي انهم كانوا خمسة من اشراف قريش يبالغون
في ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال له جبريل امرت ان اكفيكهم فاشار الى
ساق الوليد بن المغيرة فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف لاخذه تكبرا فاصاب

بن عتبة فقطعه فمات والى احمص العاص بن وايل فدخل فيه شوكة فورمت رجله حتى صارت
كالرحى ثم مات والى انف ابن قيس عدي او الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد
يغوث وهو في اصل شجرة فصفق بنطحها براسه ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني
الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم
ولقد نعلم انك يضيق صدرك طعنا فيك وفي القران وفي الله فسبح بحمد ربك اي
فافزع اليه بالتسبيح والتحميد يكفيك ويكشف عنك غمك او ننزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين اي المصلين وكان صلى الله عليه وسلم
اذا حزنه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه لاحق كل
ملحوق ومنه ايضا قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية له عما كان يرى
من قومه ليتاسى بالانبيا فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون اي فاحاط
بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث هلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قال مكي
سلاه الله تعالى بما ذكر من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك وهون عليه ما يلقى
من المشركين من فرط الايذا واعلمه ان من تمادى اي استمر منهم على ذلك يحل به ما
اي شيء عظيم حل بمن قبله من اعداء الانبياء ومثل هذه التسلية بما ذكر قوله تعالى وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي وان يكذبك قومك فلا يهولنك تكذيبهم اياك
فقد كذب الامم انبياءهم قبلك ومن هذا قوله كذلك اي مثل تكذيب قومك لك وقولهم
افترى عليك معلم مجنون ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا افتراء عليه ساحر او
مجنون اتواصوا به اي بقولهم ساحر او مجنون ورد على جهة التعجب من توارد نفوسهم
عليه تكذيبا لهم مع تباين ازمانهم اي اوصى بعضهم بعضا به حتى تالوا جميعا بل هم قوم
طاغون اي متجاوزون الحد في العناد وهو اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ازمانهم
الى ان الجامع لهم عليه اشتراكهم في الطغيان الحامل عليه عزاه اي حمله الله على الصبر بما
اخبر به عن الامم السالفة ومقالتها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
الذي اخبر به عنهم تسلية له عن محنته صلى الله عليه وسلم بمثله من كفار مكة وانه صلى
الله عليه وسلم ليس اول من لقي ذلك من قومه ثم بعد ان سلاه طيب نفسه وارضاه وابان
اي اظهر عذره بقوله فتول عنهم اشفاقا عليه بترك معالجتهم اي اعرض عنهم بعد
ما بذلت في الدعوة جهدك وافرغت فيها وسعك ووفيت بما امرت بابلاغه اياهم فابوا
الا الاصرار والعناد فما انت بملوم اي في اعراضك بعد ما كررت عليهم مبالغا في اداء
ما بلغت وابلاغ ما حملت من الاحكام واصل ملوم ملووم اعل اعلال فعله بنقل ضمة
عينه الى فايه فاجتمع ساكنان فحذفت احدى واويه ومثله قوله تعالى واصبر لحكم
ربك فيه التفات من الخطاب الى الغيبة فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم وبقائك
في عنائهم وما يلحقك من المشقة ولا تجزع فانك منا بمرأى ومسمع بحيث نراك ونحفظك
وجمع العين لجمع الضمير مبالغة في كثرة اسباب الحفظ سلاه بهذا الذي ذكر
في اي كثيرة من هذا المعنى مثل ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا الفصل السابع في بيان
ما ورد في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته مما يشهد بفضله على الانبيا

صلوات

صلوات الله وسلامه عليهم وحظوة رتبته بجاء مهملة تضم وتكسر من حظي على ما مر فمنه
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين هو كما اختاره المص على ظاهره من اخذ الميثاق
عليهم بما ذكر او ميثاقهم الذي وثقوه على اممهم او ميثاق ذريتهم بني اسرائيل على حذف
مضاف او ميثاق اهل الكتاب وسماهم نبيين تهكما اذ كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة
من محمد لانا اهل كتاب ومنا النبيون لما اتيتكم من كتاب وحكمة اللام موطئة للقسم
لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية او موصولة صلتها ما بعدها اي الذي
اتيتكموه ثم جاءكم عطف على صلتها وعائدها محذوف اي جاءكم به رسول مصدق
وقراءة حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة
ثم مجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اي الله للنبيين
أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي قبلتم عهدي سمي اصرا لانه يؤصر اي يشد
قالوا اقررنا قال فاشهدوا بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم على اقراركم
وتشاهدكم من الشاهدين توكيد عظيم مع ما اذنت به الاية من اعلام الله انبياءه
بنبوته تنويها بعظيم شأنه واخذها دال الشرف قدره لعلمه تعالى بانهم لا يدركون زمانه
والى ميثاق بعقب واو بالكسر ما قبلها قال القابسي استخص الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به اي اظهره الله بما اتاه من الفضل وما ذكره
في الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي الى انبيائه فلم يبعث نبيا الا
ذكر له محمدا ونعته وذكر له صفته كما في التوراة على ما مر واخذ عليه ان ادركه
ليؤمنن به بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي
اي لاجل اخذ الميثاق بذلك وقيل اخذ عليه ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم
ان يبينوه لمن بعدهم وهكذا الى ان يبعث فيؤمنوا به وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين محمدا صلى الله عليه وسلم هذا لا يصح على القول بانه تعالى
اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل الخطاب بقوله ثم جاءكم الا لهم وانما
يصح عند من قال اخذ ميثاق معاصريه واضافته في الاية للنبيين نظرا الى انهم هم
الاخذون على اممهم وانهم يأخذونه على من بعدهم وهكذا الى ان يبعث او سموا نبيين
تهكما على ما مر قال علي بن ابي طالب كما رواه ابن جرير في تفسيره لم يبعث الله نبيا من ادم
فمن بعده نبيا بعد نبي الا اخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مراده كما رأيته في لا تهين
الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها
ساكن اي ليأخذن العهد بذلك على قومه قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعوة الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم لانهم اولو العزم ومشاهير
ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له وتكريما واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عظيما
شأنه او موكدا باليمين او كرر لشأن وصفه تعظيما له وقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم عليه ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج
عليهم بان امره في الوحي كنوح والنبيين من بعده وفي هذا وما بعده الى شهيدا تلويح ه

بفضله صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر بعض خبر هنا ذكره الدمياطي كله في اقتباس الانوار
قال اي عمر في كلام يبكي به النبي بعد موته من بكيته مخففا ومشددا اي بكيت عليه قال
جرير يبكي عمر بن عبد العزيز • الشمس كاسفة ليست بطالعة •
تبكي عليك نجوم الليل والقمر فقال بابي انت متعلق بمقدر ولحذفه ابدل من
ضمير المتصل ضمير منفصل اي افديك بابي وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عند الله ان بعثك اخر الانبيا وذكرك اولهم اي اول بعضهم بعد ذكرهم اجمالا لا
فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية تقدم الكلام عليها
بابي انت وامي اي افديك بهما يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده اي عند الله
ان اهل النار يودون اي يتمنون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فلم يصبنا هذا العذاب تمنوا
حيث لا ينفع التمني قال قتادة كابن ابي حاتم في تفسيره وابن لال في مكارم الاخلاق
وابي نعيم في دلايله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق
اي خلق روحه قبل ارواحهم او في عالم الذر او كتابته في اللوح او ظهوره للملايكة
واخرهم في البعث فلذلك اي فلاجل كونه اولهم خلقا وقع ذكره مقدما في الاية
السابقة هنا قبل نوح وغيره من اولي العزم قال السمرقندي في هذا اي وقوع ذكره
مقدما تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم
بعثا المعنى المراد من الاية هو انه اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر
وقال لهم اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم فلا تشركوا بي شيا فاني سانتقم ممن اشرك
بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فقالوا
شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب اجالهم
وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم فراى منهم الغني والحسن وغيرهما فقال
رب لو سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على
بعض اعادهم الى صلب ادم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه فذلك
قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم اي اخرج ذريته بعضا من صلب
بعض على ما يتوالدون فاكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه واخرجوا
من ظهره واشهد على انفسهم اي اشهد بعضهم على بعض وقوله الست بربكم قالوا بلى
شهدنا تخييل وتصوير للمعنى او نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم ما يدعوهم
الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل
تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل
وقال تعالى تلك الرسل اشارة الى من ذكرت قصصهم في السورة او الى كلهم واللام
استغراقية فضلنا بعضهم على بعض ثم فصله بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة
وهو موسى قبل ومحمد فكلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين قاب
قوسين او ادنى وقرى كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن
ثم قيل كليم الله بمعنى مكالمه قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات
بالدعوة العامة لانه بعث الى الاحمر والاسود اي العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على

بجزم

هولاء والادمة والسمرة على اولئك وقيل الانس والجن والمتكاثرة والايات المتعاقبة
بتعاقب الدهر والفضايل العلمية والعملية الغايبة الحصر واحلت له الغنايم
ولم تحل لاحد قبله وظهرت على يديه المعجزات فبهرت كل مضاد ومعاند وليس احد
من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها
جنسا لا نوعا كانشقاق القمر في مقابلة انفلاق البحر لموسى وفي ابهام درجات
تفخيم لشانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين عن ابن الكلبي
في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عايدة على محمد صلى الله عليه وسلم
اي من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه اي طريقته الواضح في دينه
من نهج الامر اذا وضح واجازه الفرا وحكاه عنه مكي فكان الله اخبر ابراهيم بمحمد
فامن به وشايعه في دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شايع قال تعالى
حتى توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة الشاهد بها حديث
كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وحديث متى وجبت لك النبوة قال
وادم منجدل في طينته وفي رواية وادم بين الروح والجسد وقيل المراد به
نوح فابراهيم ممن شايعه في دينه لاتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما
الفان وستمائة واربعون سنة ونبيان هود وصالح الفصل الثامن
في اعلام الله خلقه بصلاته عليه وولايته له بفتح الواو وان هي هنا بمعنى
الموالاة والنصرة ودفعه بالدال مصدر مضاف الى فاعله اي ودفع الله العذاب
بسببه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم جواب سوالهم انزال
الحجارة العذاب الاليم وانت فيهم بيان لما كان موجبا لامهالهم واللام لتاكيد النفي
وللدلالة او على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم اي ما كنت بمكة اي مدة كونك فيها
غير مستقيم وقد جرت سنته تعالى ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم
بين اظهرهم ومن ثم كان العذاب اذا نزل بقوم امر نبيهم بالخروج بمن امن وفيه تلويح
بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر فلما خرج من مكة مهاجرا الى المدينة وبقي من فيها
من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما بمعنى وما كان معذبهم
وفيهم من يستغفر من المومنين ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين او بمعنى نفي
الاستغفار او ولو كانوا ممن يومن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الاية
منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله الاية وهذا اي ما ذكر مما دل على امهالهم
وارجاء العذاب عنهم لاجل من فيها من المومنين مثل قوله تعالى لو تزيلوا اي
لو تفرقوا وتميز المومنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم اي من اهل مكة
عذابا اليما بالقتل والسبي ومثل قوله ولولا رجال مومنون ونساء مومنات
بمكة لم تعلموهم باعيانهم لاختلاطهم بمشركيها ان تطاوهم بدل اشتمال من رجال
ونساء او من ضمير هم في تعلموهم اي ان تدوسوهم فتهلكوهم وفي الحديث اخر وطاة
وطاها الله بوج واد بالطايف فتصيبكم منهم معرة من عره اذا عشيه بما يكره اي
فيصيبكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير
الكفار لكم به والاثم بتقصيركم في البحث عنهم بغير علم اي اذ يطاوهم غير عالمين بهم

جواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان يهلكوا مومنين ومومنات
بين اظهر الكفار جاهلين بهم فتصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله
في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي عنهم صونا لمن فيها من المومنين اي كان ذلك
لاجل ان يدخل الله في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء من مومنيهم او مشركيهم
او منهما فلما هاجر المومنون من مكة نزل وما لهم الا يعذبهم الله اي وما يمنع
من تعذيبهم بعد ان فارقتهم المومنون وكيف لا يعذبون وهذا اي ما ذكر مما دل
على ارجاء العذاب عنهم وهو فيهم من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم
عند ربه لكل احد ومن بين ما يظهر رداه اي دفعه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه
ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم لانه بعث رحمة للعالمين فلما اخلت مكة منهم عذبهم
الله بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين عليهم ايام وحكم فيهم سيوفهم
جزا وصفحا قتلا وطعنا واسرا واورثهم ارضهم اي مزارعهم وديارهم بيوتا وحصونا
ومعاقل واموالهم نقدا او مواشي وانانا ذوي انه صلى الله عليه وسلم جعل
عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم انكم في منازلكم وقال عمر اما
يخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة وربما لوح هذا بان مكة
فتحت عنوة وعليه اكثرهم وعن الشافعي رضي الله عنه فتحت صلحا ومن ثم كان
يجيز اجارة دورها وبيعها بشهادة حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع وقيل
فتح اعلاها صلحا واسفلها عنوة وفي الاية اي اية وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ايضا تاويل اخر هو ان الضمير بن عايدان على الكفار فيحتمل ان
يكون وهم يستغفرون في موضع الحال بتقدير ان لو كان اي وما كان الله معذبهم
وهم بحال توبة واستغفار عن كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبري وان يكون
اشارة الى من سبق في علم الله انه يومن منهم او من ذريتهم اي وما كان الله معذبهم
ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويومن به واختاره الزجاج وان يكون اشارة
الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب
الدنيا هذا وحديث انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم
الاستغفار اسنده هنا من طريق الترمذي وفي سنده ابن مهاجر ضعيف ورواه
ابن ابي حاتم عن ابن عباس موقوفا وابو الشيخ نحوه عن ابي هريرة ايضا موقوفا ونحو
منه اي من هذا الحديث في المعنى قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة
للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قال عليه الصلاة والسلام
انا امان لاصحابي وفي لفظ انا امنة لاصحابي رواه مسلم عن ابي موسى قال صلينا
المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء
فخرج علينا فقال ما زلتم هنا قلنا نعم فقال احسنتم او اصبتم قال فرفع راسه الى السما
وكان كثيرا ما يرفعها اليها فقال النجوم امنة للسما فاذا ذهبت النجوم اتى السماء
ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي

فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون اراد والله اعلم بذهاب النجوم انتثارها بشهادة واذا
الكواكب انتثرت وباتيان السما ما توعد انفطارها وتبديلها المؤذن به اذا السما انفطرت
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان اصحابه ما يوعدون ما انذرهم به من
الفتن والارتداد وباتيان امته ما يوعدون ما اخبرهم به من ظهور البدع واختلاف
الاراء والهرج وتخريب الكعبة وغير ذلك مما وقع اكثره وبقي ما لا بد من وقوعه ه
وبكونه امانا لاصحابه قيل من البدع فلم يكن منهم من ارتكب بدعة بشهادة اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقيل من الاختلاف والفتن وفيه ما فيه لكن يلزمنا
الكف عما جرى بينهم لصدوره عنهم اجتهادا بتاويلات صحيحة للمصيب اجران على اجتهاده
واصابته وللمخطي اجر على اجتهاده بشهادة حديث الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد ثم
فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطا فله اجر قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الامان الاعظم لا غير بشهادة تعريف جزئي الجملة الصغرى ما عاش وما دام مت
سنته باقية فيدكونه امانا اعظم بمدة حياته وبقا سنته فهو باق امانا اعظم
بهما فاذا اميتت سنته بموت اهلها فانتظروا البلا والفتن بشهادة حديث
ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلما حتى
لم يبق عالما او لم يبق عالم الا اتخذ الناس روساجهالا فافتوا بغير علم فضلوا
واضلوا قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي تقدم الكلام عليه
وقد ابان الله فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته
وامر بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما عباده بالصلاة عليه
والتسليم بان يقولوا السلام عليك ايها النبي او ينقادوا للاوامر وذلك يدل على
وجوب الصلاة والسلام عليه وفي الجملة كلما ذكر لحديث رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلا
منا على غير ملك ونبي تبعا وتكره استقلالا لكونها في العرف شعارا لذكر الانبياء ومن
ثم كره محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا والصلاة مطلقا من الملائكة استغفار بسعيهم
فيما يستدعي المغفرة من شفاعة والهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في
الجملة يعم المومن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل لعم
الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمومن فالمراد به الشفاعة وحيث خص به صلى الله عليه وسلم
فالمراد به السعي فيما يليق بجنابه والصلاة منا بني ادم دعا لحديث اذا دعي احدكم
الى طعام فليجب فان كان صائما فليصل اي فليدع وان كان مفطرا فليطعم ومنه قول
الاعشى • تقول بنتي وقد قربت مرتحلا • يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا •
• عليك مثل الذي صليت فاغتمضي • نوما فان لجنب المرء مضطجعا •
ومن الله رحمة مقرونة بتعظيم اي احسان او ارادته لاستحالة معناها الذي هو
العطف والحنو في حقه تعالى على ما مر وقيل ومعنى صل ابلغ من معنى رحم لتضمنه معنى العطف
ومن ثم عدي بعلى ولم يتعد بنفسه كرحم وفيه نظر اذ رحم كذلك وقيل يصلون يبادرون
من البركة وهي كثرة الخير اي يكاثرونه ويزايدونه عليه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم اصحابه الصلاة بين لفظ الصلاة والبركة في حديث قد امرنا ان نصلي عليك

فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص انها ماخوذة من كفاية الله وهدايته وتاييده وعصمته وصلاته عليه فزعم ان الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في اثبات كفايته له او لا نبيائه ان اريد بالعبد الجنس ويعضده قراءة حمزة والكسائي عباده والها هدايته قال ويهديك صراطا مستقيما اي يدلك بلطف الى دينه الحق والى تبليغ الرسالة واقامة مواسم الرياسة والياء تاييده قال وايدك بنصره بالمظاهرة على اعدائك والعين عصمته قال والله يعصمك من الناس اي يحفظك منهم وهو عدة وضمان من الله بعصمته من تعرض الاعادي له وازواجه لمعاديه والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي اي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه وقال تعالى وان تظاهرا بالتشديد والتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة اي تتظاهرا عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوءه فلن يعدم من يظاهره فان الله هو مولاه اي وليه وناصره اي يتولاه بذاته وجبريل يعينه وصالح المومنين اي ومن صلح منهم اتباعه وانصاره وقيل صالحهم هم الانبيا وقيل الملائكة بشهادة والملائكة بعد ذلك ظهير اي متظاهرون له وخص جبريل تعظيما له واريد بالصالح الجنس ومن ثم عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرتهم اي هي من جملة ما نصره الله به واما القول بانه الانبيا وقيل ابو بكر وقيل عمر وقيل علي فدعوى بلا بينة نعم ان صح حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم ابو بكر وعمر كان مثبتة صدق لكونهما المراد به

الفصل التاسع في بيان ما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم بما آتاه بما يفوت الحصر قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم لهذه الآيات من فضيلته والثناء عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما له اي الذي وشيا يقصر الوصف عن الانتهاء اليه لقصور الاحاطة به علما فابتدا جل جلاله بما قضاه باعلامه مصدر مضاف الى فاعله او مفعوله اي اعلام الله نبيه او اعلامه بما قضاه له من القضاء البين بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا اي انا نصلناك على اهل مكة ان تدخلها من قبل عام الحديبية اي بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته بعد صدهم عنها وهو وعد بفتحها وضرب الماضي لتحققه او اتفق له بعد نزولها سنة ست من فتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وسمي صلحا لانه كان بعد ظهوره على عدوه حتى سالوه الصلح لها وكان سببا لفتح مكة وبه تفرغ صلى الله عليه وسلم لساير العرب فغزاهم وفتح بلادهم حتى دخل الناس في دين الله افواجا وظهر له في الحديبية آية عظيمة هي ان ماءها نضب فلم تبق لها قطرة فتمضمض ثم مج فيها فدرت ما يحيى رووا كلهم وفتح الروم فانهم غلبوا فارس تلك السنة وعلم كونه فتحا له صلى الله عليه وسلم من سرور الروم وبانه عطف على باعلامه اي وبانه صلى الله عليه وسلم مغفور له غير مواخذ تاكيد لما قبله لتضمنه معنا ما كان ويكون لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال

اراد

غفران ما وقع وما يقع مما يصح ان تعاتب عليه كما في لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا عبس وتولى ان جاءه الاعمى وهو علة للفتح من حيث انه سبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء دينه وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا لتصير بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدي الظلمة وقال مكي جعل الله المنة بالفتح او بالهداية الى الاسلام سببا للمغفرة وكل من المنة او الهداية والمغفرة من عنده لا اله غيره منة حال او مفعول مطلق بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك بجمعه لك النبوة والملك وظهور دينك وفتح البلاد له وقيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا اقوال دينا ولها عموم الآية ولا مرجح فالاولى حملها على العموم فاعلمه بتمام نعمته عليه لخضوع متعلق بنعمته او بدل من بتمام او الباء فيه بمعنى من البيانية له ولما بعده اي خضوع متكبري عدوه له وفتح لهم البلاد يعني مكة عليه واحبها له وارفع ذكره مما اثنا عليه كله من نصره اياه على عدوه فتمم ما اشتمل له هذا وانما كانت مكة اكرم البلاد عليه فتحا لانها كانت مجمع الكفار والعرب تبع لهم ينتظرون بالاسلام ما يكون منهم فان اسلموا اسلموا وكان اهلها ينتظرون ما يكون من نبي الله في نصره عليهم وفتحه لها فكانت بذلك انعم لتوقف اكثر العرب على اسلامهم ومن ثم دخل الناس في دين الله افواجا بعد فتحها وكانت احبها اليه بشهادة حديث والله انك لاحب ارض الله الي واحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت وحديث ما اطيبك من بلد واحبك الي ولولا ان قومي اخرجوني ما سكنت في غيرك وكذلك مما شاهد بفضل مكة على المدينة وتامل حديث ودقة يظهر لك شرف حبه صلى الله عليه وسلم فانه اخبر بانهم يكذبونك له ثم بانهم يوذونه فلم تتحرك له نفسه ثم بانهم يخرجونه فاجمعت له وتحركت ثم قال او مخرجي هم بفتح الواو وتشديد الياء عطف اما على ما قبله وتقدم الهمزة على العاطف فان كان الاصل تقديمه لان الاستفهام له صدر الكلام وخصت بذلك دون اخواتها من اداة انه حيث لم يتقدم نحو وكيف تكفرون فاني تؤفكون فاين تذهبون لانها اصلية فقدمت تنبيها على اصالتها واما على مقدر بعدها اي امعادي ومخرجي هم بشهادة ما في الكشاف من مقدره بعدها في افلم يسيروا اي امكثوا ومخرجي كمصرخي جمع مخرج ومصرخ جمع سلامة بواو ونون وباضافته لياء المتكلم حذفت نون الجمع فاجتمعت الواو والياء وسبقتها بالسكون فقلبت ياء وادغمت فيها وفتحت تخفيفا حذرا من اجتماع كسرتين وكسرة نقل المتعلقة على اصل التقاء الساكنين لان ياء المتكلم ساكنة الاصل وهو خبر مقدم وهو مبتدا موخر ولا يجوز عكسه ولا يجوز ان يخبر عن نكرة بمعرفة لان اضافته لفظية فانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال هذا ولك ان تجعله مبتدا لانه صفة اعتمدت استفهاما وهم فاعله سد مسد خبره وان كان مضمرا لجريه مجرى الظاهر لكونه منفصلا وانما اخر لان السوال عن نفس اخراجه وهدايته بالجر عطفا على تمام ولذا ما بعده اي واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم بقوله ويهديك صراطا مستقيما المبلغ

الى الجنة والسعادة وينصره النصر العزيز بقوله وينصرك الله نصرا عزيزا اي نصرا
يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة او نصرا فيه عز ومنعة ومننه اي اعلمه بما
على امته المومنين بالسكينة التي جعلها في قلوبهم بقوله هو الذي انزل السكينة
في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي انزل فيها الطمانينة ليتثبتوا حيث
تقلق النفوس وتزل الاقدام ويزدادوا اتقانا مع تعليمهم برسوخ العقيدة وطمانينة
النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء صلى الله عليه وسلم به ليزدادوا ايمانا
بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر وبشارتهم اي واعلمه ببشارة امته بما لهم
عند ربهم وفوزهم العظيم لانه غاية طلب والعفو عنهم والستر لذنوبهم
بقوله ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر
عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما علة لما دل عليه قوله ولله جنود
السموات والارض اي دبر ما دبر من تسليط المومنين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها
فيدخلوا الجنة وهلاك عدوهم في الدنيا والاخرة وبعدهم عن رحمته وسوء نقمته
بمعنى انتقامه اي اعلمه بذلك بقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم وظنهم انه لا ينصر الله رسوله والمومنين عليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه
بالمومنين لا يتجاوزهم وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السوء لغتان الا ان المفتوح
غلب في ان يضاف اليه ما يذم والمضموم جرى مجرى الشر ووضع الواو في لعنهم واعد
لتوسع الف مع ان الغضب سبب اللعن وهو سبب للاعداد لاستقلال الكل بالوعيد
بدون اعتبار سببه ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا احوال
مقدرة وردت بحسبه بعض اوتيه فعدد بذلك محاسنه وخصائصه من شهادته
على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا اي يشهد يوم القيمة لهم
بالتوحيد ومبشرا لهم اي بتبشيرهم بالثواب في دار النجاة وقيل يبشرهم بالمغفرة
ومنذرا اي ينذر عدوه بالعذاب وقيل محذرا اي يحذر امته من الضلالات
ليومنوا بالله ثم به صلى الله عليه وسلم من سبقت لهم من الله الحسنى اي المثوبة
الحسنى والجنة بشهادة ليومنوا بالله ورسوله ويعزروه اي يجلوه وقيل
ينصروه على عدوه وقيل يبالغوا في تعظيمه ويوقروه اي يعظموه وقرا بعضهم
ويعززوه بزايين من العز اي يعززوه والاكثر من المفسرين والاظهر وفاقا لهم انهما
اي يعزروه ويوقروه انزل في حق محمد صلى الله عليه وسلم لانه اقرب ذكرا فيرجع
ضميراهما اليه وينصره قوله فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه ثم قال ويسبحوه اي ينزهوه ويصلوا له بكرة واصيلا اي غدوة وعشية
فمن ذا اي ضمير يسبحوه راجع الى الله تعالى وقيل الضماير الثلاثة لله واريد بتعزيره
تعالى تقوية لدينه ورسوله ومن فرقهما فقد ابعد والخطاب في الاية على قراءة الافعال
الاربعة بتاء له ولامته او لهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم قال ابن عطا جمع بالبنا
للمفعول وترك فاعله لانه لا يكون الا من الله للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة
يعني سورة الفتح نعم مختلفة من جهة ذواتها من بيانية لا افراد النايب من الفاعل

بعد

بعد الفتح المبين وهو من اعلام الله الاجابة من الله له صلى الله عليه وسلم اذ قد
سال له النصر في مواطن كثيرة والمغفرة وهي من اعلام المحبة التي هي منه تعالى اما ارادة
او فعل لتنزاهه عن الميل النفسي وتمام النعمة وهو من اعلام الاختصاص منه له
بما لم يوته احدا غيره والهداية وهي من اعلام الولاية له منه بالنصر والتاييد فالمغفرة
تبرئته منه له من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الله له اعلا الدرجة الكاملة التي
لا درجة فوقها والهداية هي الدعوة الى المشاهدة في مقعد صدق مقربا قرب منزلة
وكرامة لا قرب مماسة ومسافة وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه اي اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة
الحبيب عند محبه والا فالمحبة اصفى ولانها من جهة القلب بخلاف الخلة فانها
تخلل النفس وخالطها واقسم بحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم اي وحياتك يا محمد
وتقديره لعمرك قسمي وهي لغة في العمر بالضم خص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دور
القسم على السنتهم ونسخ به شرايع غيره بشهادة وما ارسلناك الا كافة للناس
وقوله بعثت الى الاحمر والاسود وعرج به الى المحل الاعلى فكان قاب قوسين او ادنى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وقد تلي عليك بيانه وبعثه الى
الاسود والاحمر اقتباس من الحديث لا على وجه انه منه قال تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس اي الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم
فقد كفتهم عن .. يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف
والتا للمبالغة كتا علامة اذا لا اسم الذي لحقته تدل بلوغ الغاية في الوصف الذي يدل
عليه ولا يجوز جعلها حالا من الناس واحل له ولامته الغنايم اقتباس من حديث
احلت لي الغنايم ولا تحل لاحد قبلي وفي رواية لنا الغنايم وجعله شفيعا ومشفعا
يوم القيامة في مقام محمود يحمده فيه كما روي عن ابن عباس الاولون والاخرون
ويشرف فيه على جميع الخلايق يسل فيعطى ويشفع فيشفع ليس احد الا تحت
لوايه ويستسمع بهذا زيادة بيان وجعله سيد ولد ادم اقتباس من قوله صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وفي البخاري انا سيد الاولين والاخرين ولا
فخر حال موكدة اي اقول هذا ولا فخر وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه بشهادة
والله ورسوله احق ان يرضوه مع ما تقدم وجعله احد ركني التوحيد ظاهره انه
لا بد في انبائه من الاتيان بهما وليس مراد الحصول بالاول فقط بل مراده انهما
جعلا علما على التصديق به تعالى وبما جاء صلى الله عليه وسلم به من الدين ثم قال
ان الذين يبايعونك اي يعقدون الميثاق معك على القتال انما يبايعون الله
لانه المقصود بالبيعة يعني بيعة الرضوان انما يبايعون الله ببيعتهم اياك
يد الله فوق ايديهم حال او استيناف موكد لما قبله على التخييل وهو ان يطلق اسم
صورة حقيقية على صورة وهمية مع قرينة مانعة من ارادة الحقيقة كان تشبه
المنية بسبع له اظفار فياخذ الوهم في اختراع لها ما هو من لوازمه من الاظفار
فيصورها ثم يطلق عليها اسم الاظفار الحقيقية وشبهها للمنية كما بلا اظفار المنية
نشبت بفلان وكاليد هنا فانها لو توهمت له تعالى اطلق عليها الوهم اسم الصورة

الحقيقية في المبالغ تمثيلا لاثبات لها الفوقية فايلا يد الله فوق ايديهم غير مريد حقيقتها
لتعاليه سبحانه عن الجوارح وصفات الاجسام قيل المراد بيد الله قوة الله اي قوته
في نصره رسوله فوق قواهم فاستعمال اليد الموضوعة للجارحة فيها لكون اكثر
ظهور سلطانها في اليد وبها تكون الافعال الدالة على القوة من اخذ ومنع وضرب
وغير ذلك فهو مجاز مرسل لكون علاقتها غير مشابهة وقيل المراد بها ثوابه المرتب
على مبايعتهم باذعانهم وانقيادهم لله ورسوله وقيل منة اي نعمته عليهم ببيعتهم
بما يحوزه من العز في الدنيا والثواب في الاخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك
على ان يبذلوا انفسهم واموالهم فاستعمالها فيهما لكونهما بمنزلة العلة الفاعلية
لها لصدورهما عنهما وقيل المراد عقده بمعنى ان الله تعالى هو الذي اوجد البيعة
وتم عقدها فاستعار لايجادها اسم اليد لكونه نشأ عنها فهو من اطلاق اسم
السبب على المسبب كذا قيل وانت خبير بانه لا علاقة بين ايجاد عقدها وبين اليد
سوى انه صدر عنها فالعلاقة بينهما هو السببية فهو مجاز مرسل لا استعارة وان
زعم لانتفاء علاقة المشابهة التي هي شرطها ولك ان تقول شبه عقدها بشخص
اليد فيها ثم خيل باثبات اليد له تعالى فعلى هذا يكون استعارة مكنية قرينتها هي
استعارة تخييلية قوله وتجنيس في الكلام لم يرد به التجنيس الصناعي بل اللغوي
بمعنى المناسبة لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد اليد بمعنى الجارحة
فبينهما وبين الايدي في الاية مناسبة وتاكيد لعقد بيعتهم اياه من حيث ان
بيعتهم معه صلى الله عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيد التي تعلو ايديهم
هي يد الله تخييلا على ما مر وعظم بكسر اوله وفتح ثانيه عطف على ما قبله اي وتاكيد
العظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له بيعتهم لله هو
تعالى لجعل طاعته طاعته كما مر وقد يكون من هذا اي من قوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله قوله فلم تقتلوهم بمعنى قربنا بنصركم وتسليطكم عليهم ولكن
الله قتلهم بها اذ هو الخالق للقتل وهم المباشرون له وما رميت رميا يوصل
التراب الى اعينهم ولم تقدر عليه ولكن الله رمى حقيقة وتبليغا واصابة تبليغ
رميه تعالى منهم حدا لم يبلغه رميك من ايصاله التراب الى اعينهم جميعا فلم يبق
منهم مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا واسرا وان كان الاول
يعني ان الذين يبايعونك من باب المجاز على ما مر وهذا اي فلم تقتلوهم من باب
الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة كما مر هو الله وهو خالق فعله اي
فعل المباشر ورميه وقدرته ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا هم
ومن ثم اسند الفعل اليه حقيقة ايضا وهو اي الله مسببه ولانه الضمير للشان
لم يكن في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت فاعمت ابصارهم
حتى لم يبق منهم من لم تملا تلك الرمية عينيه ترابا وكذلك قتل الملائكة حقيقة
وما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة ايضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق
فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة واكتسابا فلا خصوصية
لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة هذا ولم يظهر لي جهة كون

فلم

فلم تقتلوهم الاية مثل اية ان الذين يبايعونك نعم يجوز ان يكون منه من حيث ان
اللفظ يطلق على معناه وعلى ما هو كالة والمقصود منه فهنا قد اطلق اولا على ما وضع
له من تعلق القتل والرمي مع صدوره صورة فلم تقتلوهم وما رميت اذ رميت ثم اطلق
ثانيا على ما هو المقصود منه من قذف الرعب في قلوبهم ومنفعة الرمي وتاثيره
في قلوبهم ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق المسبب الذي هو القتل
والرمي على سببه الذي هو الرعب والمنفعة والتاثير وهذا مراده بقوله
هنا اي اية فلم تقتلوهم على المجاز العربي اي اللغوي اعني استعمال اللفظ في غير
ما وضع له لعلاقة بين المعنى المجازي والحقيقي هي هنا السببية وعلى مقابلة اللفظ
للمعنى ومناسبته له لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للمسبب
من اللفظ في سببه اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم هو
بالحصبا والتراب ولكن الله القى في قلوبهم الرعب ورمى قلوبهم بالجزع اي ان
منفعته القتل ومنفعة الرمي كانت من الله فهو القاتل والرامي بالمعنى الذي
هو ابتلاؤهم بالرعب وادخال التراب في اعينهم حتى انهزموا وانت القاتل والرامي
بالاسم من حيث مباشرتهما الفصل العاشر في ذكر ما اظهره الله في كتابه
العزيز اي المنيع الذي لا يعتري ساحة عزه ابطال وتحريف او الكثير النفع العديم
النظير من كرامته عليه عنده وفي بيان ما خصه به من ذلك الذي اظهره من
كرامته ومكانته سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل متعلق بانتظم اي سوى ما اكرم
به فنشبه على طريقة الاستعارة المكنية ذلك السوى بخرزات مثقوبة وما
ذكر بسلك نظمت فيه واثبت لها النظم تخييلا من ذلك الذي اكرم به ولم
ينتظم فيما ذكره قبل ما نصه الله من قصة الاسرا في سورة سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما نصه منه في سورة النجم
وقد تقدم الكلام عليه ومن ذلك ما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته هو
وقربه اذ كان قاب قوسين او ادنى ومشاهدته ما شاهد من العجائب كرؤيته
الانبيا وتمثيلهم له ووقوعه على مقاماتهم ورؤيته ربه وذهابه وايابه في برهة
من الليل مسيرة ما لا يعلمه الا الله وقد تعجب قريش من ذلك واحالوه ولا استحالة
بشهادة ما ثبت في الهندسة من ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي
كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها
الاعلى في اقل من ثانية وقد حكم علماء الكلام بان الاجسام متساوية في قبول
الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة
فيه صلى الله عليه وسلم او في البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه
والتعجب من لوازم المعجزات ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك
من الناس اي يحفظك من تعرض اعدائك لك روى الترمذي كان النبي صلى الله
عليه وسلم يحرس حتى نزل فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله ولا تعارض
بينهما وبين ما في البخاري وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم احد لخصوص
العصمة بالقتل او انها بعد ونعته وقوله اي ومنه عصمته بقوله واذ يمكر بك

الذين كفروا ذكره بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه لخلاصه من
مكرهم به اي واذكر اذ يمكرون بك في دار الندوة متشاورين في امرك بحضرة عدو
الله ابليس وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم فجئت ولن تعدموا مني رايا ونصحا
ليثبتوك بوثاق اوحبس اشارة الى قول ابي البختري اري ان تحبسوه وتسدوا وثاقه
الا كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الراي ياتيكم
من قومه من يخلصه اويقتلوك اشارة الى قول ابي جهل اي ان ناخذ وامن كل
بطن غلاما ونعطي كل واحد سيفا يضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل
فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش فاذا طلبوا عقلناه فقال ابليس صدق
الفتى اويخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو اري ان تحملوه على جمل وتخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم
فتفرقوا على راي ابي جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لا تنم الليلة في مكان
نومك فامر عليا ان ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا اعشيا لقتله
واخذ كفا من تراب فنثره على رؤوسهم يقرا يس والقران الحكيم الى قوله
لا يبصرون وقوله اي ومن عصمته بقوله الا تنصروه فقد نصره الله
اي ان لم تنصروه فسينصره من نصره اذ اخرجه الذين كفروا وليس معه الا
ابوبكر فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه اوان لم تنصروه فقد
اوجب له النصر من نصره في ذلك الوقت فلن يخذله بعد واسند اليهم الاخراج
لتسبب اذن الله له في الخروج عن همهم به فكانهم اخرجوه ثاني اثنين حال
من ضمير اخرجه اي احد اثنين ومنه مادفع الله به عنه في هذه القصة
اي قصة مكرهم به ولا يحيق المكر السيء الا باهله كما حفظه الله له من اذاهم
ليلة عزموا على قتله بعد تحزبهم اي تجمعهم لهلاكه بضم اوله وسكون ثانيه
اي هلاكه وبعد خلوصهم اي انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة
غيرهم نجيا مصدر وزنه وصفوا به كما في حبا واصدقا وجمعه انجية كندي
واندية اي متناجين على امره اي على صفة يؤذونه ليفوزوا بارتهم منه وظفروا
بالخيبة ومن الاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم مع ابي بكر الى الغار
ليلة راموا قتله كما مر ومن ذهولهم عن طلبه في الغار مع ترددهم حوله
فلم يهتدوا اليه والغار نقب باعلى ثور جبل عن يمنى مكة مسيرة ساعة ومما
ظهر لهم في ذلك اذ خرج عليهم وهم ببابه صلى الله عليه وسلم فلم يروه
ونثره التراب على رؤوسهم فلم يعلموا به حتى قيل الى غير ذلك من الايات ونزول
السكينة عليه اي امنه الذي تسكن عنده القلوب اي على النبي صلى الله عليه وسلم
او على ابي بكر وهو الحق لانه الذي كان منزعجا بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم
له لا تحزن ان الله معنا وقوله ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي مصحف حفصة
فانزل الله سكينته عليهما ومن قصة سراقة بن مالك حسب بفتح ثانيه
وقد يسكن اي على قدر وعدد ماذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة فانه تبعهما حين توجها منه مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما

نزده الله خاسيا ثم اسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف
ومنه قوله انا اعطيناك الكوثر فصل لربك التفات من التكلم الى الغيبة ومقتضى الظا مر
فصل لنا اي فدم على الصلاة او على صلاة العيد خالصا لوجهه شكرا لانعامه فانها جامعة
لانواع الشكر وانحر اي ضح بالبدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج ولا تدعهم
ولا تمنعهم الماعون وهذه السورة كالمقابلة للتي قبلها ان شانئك هو الابتر اعلمه صلى
الله عليه وسلم في هذه السورة بما اي ببعض ما اعطاه والا فقد اعطاه ما لا يحصى كثرة
والكوثر حوضه بشهادة حديث اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه
ربي عليه خير كثير هو حوضي ترده امتي يوم القيمة وهذا انما يصلح شاهدا اذا كان قوله
هو حوضي بيانا لقوله خير كثير فلا وقيل نهر في الجنة بشهادة حديث الترمذي رايت
في الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت ما هذا يا جبريل قال الكوثر الذي اعطاكه الله
وحديثه ايضا اعطاني الله الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي وقيل الخير الكثير ولعل
هذا هو الحق لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط فيها ويؤيده خبر ابن عباس في البخاري
الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاه الله قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر
في الجنة قال هو الخير الكثير الذي اعطاه مع ان سبب انزالها ان بعض سفهاء قريش او
كعب بن الاشرف قال ان محمدا قد اصبح ابتر قليل العدد مقطوعا من الولد فاعطيه عوضا
عن مصيبته بابي القاسم وحي باسم معنى الكثرة المفرطة المضادة لمعنى البتر اعني القلة
ردا لقوله مع تضمنه جميع ما قيل فيه مما مر او الشفاعة او المعجزات الكثيرة او النبوة
او المعرفة اقوال وهي مع حسنها وافصاحها باثبات اكرامه صلى الله عليه وسلم بمعانيها لم
افق لها على دليل ثم اجاب اي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم عدوه ورد عليه قوله
ان محمدا قد اصبح ابتر فقال ان شانئك هو الابتر اي ان عدوك ومبغضك وقد قيل
الابتر الحقير الذليل الذي لا ذكر له حسن ولا ثناء جميل او المنفرد الوحيد الذي لا ولد
له ولا عقب او الذي لا خير فيه واما هو صلى الله عليه وسلم فذكره الحسن وعقبه واثار
مفضله فباقية الى يوم القيمة وله في الاخرة ما لا يدخل تحت وصف قال تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال بكسر طائه
جمع طويلة واما بضمها فمفرد كرجل طوال الاول البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام
والاعراف والانفال مع براءة لانهما في حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بالتسمية
والقران العظيم ام القران لاشتمالها على كليات معانيه اذ اولها ثناء واوسطها تعبد بالامر
والنهي واخرها وعد ووعيد فكانها هو ولهذا مزيد بيان تقدم وقيل السبع ام القران
لحديث نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بن كعب وهو يصلي فلما فرغ لحقه فوضع
يده صلى الله عليه وسلم على يده ثم قال لارجو ان لا اخرج من المسجد حتى اعلمك سورة ما انزل
في التوراة والانجيل مثلها ثم قال كيف تقرا اذا فتحت الصلاة قال فقرات الفاتحة فقال
هي هذه السورة هي السبع المثاني وحديث ام القران هي السبع المثاني والقران العظيم
سايره اي باقي القران وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ايجابا كاقيموا الصلاة او
ندبا كافعلوا الخير او نهي تحريما فلا تقربوا الزنا او كراهة نحو ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون روي انهم كانوا يتصدقون بردي التمر فنزلت اي ولا تقصدوا الردي تتصدقون

به وبشرى للمومنين وانذارا للكافرين وضرب مثل نحو ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء م
متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان واعداد نعم بفتح همزته جمع عدد بمعنى
ونعم معدودة واتيناك نبا القران العظيم اي اعطيناك علم ما اشتمل عليه مما ذكر
ومن قصص ومواعظ وبلاغة واعجاز وثناء على الله بما هو اهله وغير ذلك وقيل سميت
ام القران مثاني لانها تثنى اي تكرر في كل ركعة اي صلاة تسمية للكل باسم جزيه او في
كل ركعة باعتبار الركعة بعدها وفي الفايق لانها تثنى تكرر في قومات الصلاة اي في كل قومة
اي في مجموع القومات وقيل بل لان الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له
دون الانبيا وهذا لا يخص الفاتحة بل جميع السور كذلك وسمي القران مثاني لان
القصص تثنى اي تكرر فيه والمثاني جمع مثناة وهي من التثنية بمعنى التكرير لما فيه
ايضا من تكرير امثال ووعد ووعيد واخبار وغير ذلك او من الثنا لما فيه من ثنا عليه تعالى
بصفاته العظمى واسمايه الحسنى وقيل عن جعفر بن محمد السبع المثاني اي انا اكرمناك
بسبع كرامات الهدى هو وما بعده بدل بعض من كل او خبر مبتدا محذوف اي هي الهدى
والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة فيجوز جرها على البدلية
ورفعها على الخبرية وهي سبع مقابلة لابواب جهنم السبعة فمن اكرم بها امن منها وانزلنا
اليك الذكر اي القران سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس اي الانس والجن
كما في الصحاح ولعله بطريق التغليب ما نزل اليهم فيه مما امروا به ونهوا عنه ونشابه
عليهم والتبيين اعم من ان يكون بنص على المراد او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل
العقل وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا للمومنين ونذيرا للكافرين تكفهم عن
الظلم والكفر وقد تقدم له فضل بيان وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم امره
به ان يعلمهم انه رسوله اليهم جميعا حال من اليكم فهذه اي الاية من خصايصه جمع خصيصة
لم يشاركه فيها احد لورودها شاهدة باختصاصه بعموم رسالته ومشعرة بان كل رسول
بعث الى قومه خاصة بشهادة وما ارسلنا من رسول الا بلسان اي بلغة قومه الذين هو
منهم وبعث اليهم ليبين لهم ما امروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر فخصهم بقومهم
ارسالا ودعوة وانذارا وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق مصدر بمعنى المخلوق
كافة من الكف لكفهم بدعوته عن ان يخرج منها احد منهم لاحاطتها بهم كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود اي العرب والعجم كما مر مع اختلاف لغتهم
فكان يخاطب كلا بلغته الا ان اولاها لغة قومه لانهم اولى الناس بالدعوة والانذار اليه
ثم من ثم امر اولا بانذار عشيرته ثم دعا وانذر من دعاه وانذره بلغته ثم اصحابه دعوا وانذروا
بما فهموا منه وترجموه لهم وقال النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
جمع امه اصلها امهة بشهادة امهتي خندف والياس ابي ومن ثم جمع على امهات ومن ثم خصه
بالادميات والامات بالبهايم وخندف لقب ليلى امراة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
وكان الياس على مقدمة سليمان لما غزا الى بلقيس قال اهل التفسير اولى بالمومنين
من انفسهم في جميع الامور اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد
على عبده اذ لا يامرهم الا بما فيه صلاحهم وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس فيجب
عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه عليهم انفذ من حكمها واتباع امره دون امرها وبينها

وشفقتهم

وشفقتهم عليه اتم عليه منها عليها وروي انه صلى الله عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال
ناس نستاذن اباينا وامهاتنا فنزلت وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات تنزيلا
لهن منزلتهن تكرمة له وخصوصية وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ولانهن ازواج له في الاخرة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات وامهات
الرجال في الحرمة عليهم كحرمة امهاتهم عليهم وقد قرى وهو اب لهم اذ كل نبي اب لامته
من حيث ان به حياتهم الابدية ومن ثم صاروا اخوة في الدين من حيث انتسابهم الى اصل
واحد وهو الايمان الناشي عنه صلى الله عليه وسلم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف
الامام الذي نسخه عثمان رضي الله عنه وعليه الناس وقراءة بن عباس رضي الله
تعالى عنهما قبل قوله وازواجه امهاتهم وابي بن كعب بعده وكان فضل الله عليك
عظيما فيما اعطاك وانعم عليك وقيل فضله لعظم النبوة اذ لا فضل اعظم منها وقيل
ما سبق له في الازل من صلات المكارم وهبات الكرايم واشار الواسطي الى انها
اي هذه الاية اشارة الى احتمال الرؤية اي رؤية ربه تعالى ليلة الاسرا التي لم
يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم بشهادة ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني فانه استدراك اريد به بيان كونه لا يطيقها مع ما افاده من جوازها بتعليقها
على ممكن واستقرار الجبل ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن الباب
الثاني من القسم الاول في تكميل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم المحاسن جمع
حسن على غير قياس خلقا وخلقا اي محاسن خلقته وخلقه والثاني السجية والطبيعة
وهو لصورة الانسان الباطنة التي هي نفسه وصفاتها حسنة وقبيحة بمنزلة
الاول لصورته الظاهرة واوصافها حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يترتبان
على اوصاف الباطنة اكثر من ترتبهما على اوصاف الظاهرة وقرانه عطف على تكميل
وقد تقدم بيانه جميع الفضايل الدينية نسبة الى دين الاسلام وهو توحيده
تعالى وما يجب الايمان به والدنيوية نسبة الى الدنيا والافصح فيها كنظايرها
مما اخره الف زيدت للتانيث رابعة اذا الحقتها يا النسبة حذفت الفها فيقال في دنيا
دنيي او دنياوي او لهما مكسورة وفي حبلى حبلي ويجوز جعلها كالفاصلة فتقلب
واوا فيقال دنيوي كما مر وفي اخرى اخروي كما تجعل المنقلبة كالزايدة فتحذف فيقال
في موسى موسي على الاصل ويجوز بلا حذف وقلب فيقال دنياوي وهي اضعفها
اعلم خطاب لكل من يتاتى توجيه الكلام اليه او لمن سأله تاليف هذا الكتاب
او جرد من نفسه من خاطبه حثا له على الاصغا الى ما يلقيه اليه ايها المحب لهذا
النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم اعتراض بين الخطاب وما
خوطب به وورد شاهدا انه تخصيص الخطاب بما جرى هو عليه ان خصال الجلال
والكمال من الكيفيات النفسانية وغيرها سواء كانت النفسانية في النفس ما عينا
ويسمى وجودا متاصلا ام بسورها ويسمى وجودا غير متاصل كالكرم بنصف الجلال
والاول اكثر وجودا في النسخ المعتمدة ولا يغرب عنك ما نقل عن الاصمعي انه كان ينكر
على من يصف به احدا من البشر اذ لا يوصف به لغة الا الله تعالى وقد رد بقول هدبة بن
خشرم . فلا ذا جلال هبنه لجلاله . ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد .

لهما
به الكريم وان لم يتصوره وقد تصور
البخيل وان لم يتصف به
العظمة وفي نسخة

في البشر نوعان احدهما ضروري دنيوي اقتضته جبلته اي طبيعته التي جبل عليها
وصورته التي خلق عليهما و اقتضته ايضا ضرورة الحياة الدنيا مما ليس اختياريا
ثم اقتضاد بها له بمعنى ايجاده فيه بشهادة قوله بعد مثل ما كان في جبلته من كمال
و ثانيهما مكتسب ديني وهو ما توقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلمية
التي اعظمها معرفة الله تعالى مما يحمد فاعله و يقرب الى الله زلفى اي قربة اسم
مصدر ازلفه ثم هي اي خصال الكمال على نوعين ايضا اي نوعين منها ما يتخلص اي يتمحض
لاحد الوصفين الضروري والمكتسب من غير امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق عليه
الاخر ضروريا او كسبيا ومنها ما يتمازج ويتداخل بان يكون ضروريا او كسبيا
اما الضروري المحض اي الذي لا يكون مكتسبا فليس للمرء فيه اختيار في حصوله
ولا اكتساب له مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته من اضافة
الصفة فيه جناس لاحق بين كمال وجمال وقوة عقله من اضافة الصفة الى موصوفها
اي عقل بمعنى تعقل هو قوة بها مبدا القلب بما ينتهي اليه درك الحواس فيهتدي الى
المبادي ويتمكن في ترتيبها فيهتدي له المطلوب فيدركه بتامله اي التفاته وتوجهه
اليه بتوفيق الله تعالى والهامه اذ الانحاء معدان للقلب اي الروح المسمى قوة عاقلة
ونفسا ناطقة وفيض المطلوب انما هو بالالهام وتوفيق الملك العلام فحاصل
معناه حصول شرايط التوصل الى المطلوب وانكشاف الحجب عنه والهدي الى طريق
يوصل اليه وقيل ذلك هو قوة للنفس الناطقة بها تتهيو لاكتساب العلوم
اذ الموجود ان كان لاختيارنا في وجوده ماثر فالعلم به يسمى نظريا والا فعمليا
ومن ثم جعل للنفس قوتان هي علمية هي مبدا الادراك باعتبار تاثرها عما فوقها
هي مستكملة في ذاتها محلة للنفس وتسمى عقلا نظريا وباعتبار تصرفها في الفروع
لحصول النظري كان للنفس اربع عقول هيولاني كاستعداد الطفل ثم بالملكة
كاستعداد الادمي بادراك الضروري ليحصل به النظري ثم بالفعل كالقدرة
بادراك النظري على استحضاره متى اراد ثم مستفاد ان استحضر مشاهدا
له وعملية هي مبدا العمل وتسمى عقلا عمليا والنفس باعتبار تكميلها لها وللبدن
اربع مراتب ما يهذب ظاهرا ثم باطنا ثم ما يتجلى به من المعارف ثم ما يتجلى لها من
جلال الله تعالى وجماله ولهذا مزيد بيان وشحنا به كتابنا مقاصد المقاصد وصحة
فهمه من اضافة الصفة الى موصوفها وهو قوة ادراكه لمعاني الاشياء وكثيرا
ما يعبر عنه بالنفس الناطقة وفصاحة لسانه اي طلاقته بتراكيب جارية على
قوانين العربية مع رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وقوة حواسه سمعا وبصرا
وشما وذوقا ولمسا وهي قوى يدرك بها ما جعلت له الا ان المرء يرتسم في الناظرة
هو صورة المحسوس في الخارج ومعنى محسوسيته حصول صورته فيها لا نفسه كما
ان الرسم في الذهن هو صورة المعلوم الخارجي ومعنى معلوميته حصول صورته فيه
لا نفسه ونهاية هذه الحواس الباطنة والمشهور انها ايضا خمس ذكرناها في كتابنا مقاصد
المقاصد و قوة اعضايه واعتدال حركاته بسلامتها من الافة والحركة اما امر موهوم
هو حصولات متعاقبة مستمرة في احياز متلاصقة فهي متصل ممتد ومن ثم لا توجد في

الاعيان

الاعيان لفقد تمامها ما دام المتحرك لم يصل الى منتهى فاذا وصل انقطعت وبطلت وفي الا ذهان
لان للمتحرك نسبة الى المكان الذي تركه والى الذي ادركه فاذا ارتسم في الخيال صورة
كونه في الاول ارتسم فيه قبل زوالها صورة كونه في الثاني فقد اجتمعتا فيه فيتخيل الذهن
على انهما شي واحد واما امر وجود محقق وهو الحصول في حيز بعد الحصول في اخر ثم لا بد
له مما منه وهو المبدا واليه وهو المنتهى وفيه كالاين والوضع والكم وبه وهو علته
الفاعلية اعني المحرك وله وهو علته المادية يعني المحل اعني المتحرك اذ لكونها عرضا
لا بد لها من محل تتقوم به وشرف نفسه اذ في الغالب من علت به ربا بنفسه عن
سفساف الامور الى اعاليها ودبت الصفات الى معاليها وعزة قومه وكرم اصله
اي طيب مكانه الذي نشا فيه واعتداله ويلحق به اي بالضروري المحض ما تدعو
ضرورة حياته اليه ما نكرة موصوفة بما بعدها وضمير المرء وضمير اليه لما اي
يلحق به شي من الامور العادية تدعو المرء شدة احتياج حياته اليه من غذايه
اما بفتح اوله وبدال مهملة فهو الطعام بعينه واما بكسره وبذال معجمة ما يتغذى
به من طعام وشراب وهو الاليق هنا اذ كل منهما تدعو ضرورة الحياة اليه ونومه
هو عرض يحدث من استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات الابخرة المتصاعدة اليها
بحيث يقف المشاعر الظاهرة من الاحساس وملبسه ومسكنه ومنكحه اسماء لما
يلبس ويسكن وينكح وماله وجاهه اي قدره ومنزلته وقد يلحق هذه الخصال
الاخروية اي التي تدعو ضرورة حياته اليه بالخصال الاخروية اذا قصد بها التقوى
ومعونة البدن على سلوك طريقها اي طريق الخصال الاخروية وكانت تلك
الخصال الملحقة بها على حدود الضرورة وداعية الحاجة من غير اسراف وزيادة
فوقها وكانت ايضا على قوانين الشريعة مما ابيح وجوز وهذا معنى قول الغزالي
وغيره تنصير العادات عبادات بالنية اذ الامور بمقاصدها واما الخصال
المكتسبة الاخروية فسايرها اي جميع الاخلاق العلية والاداب الشرعية
نسبة الى الشرع مما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم واستعمال ساير بمعنى جميع كثير
شايع وان كان بمعنى باقي اكثر الشاهد له امر غيلان في حديث البخاري وقد اسلم على
عشر نسوة اختر اربعا وفارق سايرهن اي باقيهن من الدين اي الايمان بما يجب تصد يقه
والطاعة في احكام الله تعالى والعلم بما للنفس وما عليها مما به نظام المعاش والفوز
بنجاة المعاد والحلم هو ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى والصبر هو حبس
النفس عند الجزع بمصيبة بان يتصور ما خلق لاجله ورجوعه الى ربه وتذكر نعمته
عليه فيرى ان ما ابقى له اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه والمصيبة كلما
اصاب من مكروه بشهادة خبر انه طفى سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا
لله وانا اليه راجعون فقيل المصيبة قال نعم كلما يوذي المومن فهو له مصيبة وقال
من استرجع عند المصيبة جبر مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه
والشكر اي الثناء على المنعم بما اولاكه من معروف بان يصرف جميع ما انعم الله عليك
من سمع وبصر وغيرهما الى ما خلقت لاجله والعدل هو ملكة يقتدر بها على اجتناب
ما لا يحل فعله والزهد فيما عدا الضرورات من المباحات وقد يقال هو ترك الحرام

ولا ريب في وجوبه وترك الشبهات والاشبه وجوبه لكونه ذريعة الى اجتناب الوقوع
في الحرام بشهادة حديث ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام واجتناب الوقوع فيه
واجب فالزهد مثله وترك ماسوى الله تعالى من يريد وجه الله وهو زهد الخواص
والتواضع اي الخشوع والتذلل ولين الجانب والعفو هو الصفح والتجاوز وعدم
المواخذة والعفة هي منع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي والجود صفة مدح بين طرفي
افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا اي بذل ما ينبغي فيما ينبغي والشجاعة صفة
مدح بين طرفي افراط يسمى تهورا واقداما على ما لا ينبغي وتفريط يسمى جبنا وحذرا
عن ما ينبغي هي استعمال قوة عصبية على ما لا ينبغي فيما ينبغي والحيا هو انقباض
عن القبح حذرا من الذم بين طرفي افراط يسمى وقاحة وجراة على القبايح وعدم
المبالات بها وتفريط يسمى خجلا وانحصارا عن العمل مطلقا فهو انكسار يعتري
القوة الحيوانية فيردها عن افعالها والمروة صفة مدح تحمل على التعاون والتعاضد
مما يورث الفا وغالبا الا انها قد تنفع وقد تضر لعدم العلم بسلامة العاقبة
والصمت مما يورث السلامة من افات اللسان وقلتا بشهادة حديث فاخذ
بلسانه وقال كف عليك هذا فقيل او نواخذ بما نتكلم به يا رسول الله فقال
وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصايد السنتهم والتوده مما يورث
الحفظ من الوقوع من ندامة الاستعجال قال صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس
ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة ومن ثمة قيل
قد يدرك المتاني بعض حاجته ✻ وقد يكون على المستعجل الزلل
والوقار اي الحلم والرزانة والرحمة اي الرقة والتعطف على مامر وحسن الادب
والمعاشرة والخلة كالخبرة والمونة والنصرة والنجاوهي اي هذه الكلمات
الثمانية المكتسب التي جماعها بكسر اوله اي جمع تلك الملكات بمعنى انه يصدق
على كل جزي جزي من جزيياته كما يقال جماع الخير اجتنبه اي جمعه حسن الخلق وهو
سجية حميدة تورث الاتصاف بما ذكر من الكلمات مع طلاقة وجه وانبعاث نفس
وملاطفة اذ به ايتلاف القلوب واتفاق الكلمة وانتظام الاحوال وملاك الامر
وفي حديث وخالق الناس بخلق حسن تلويح بانه يمكن اكتسابه والاماصح الاربعه ومثله
حديث يا معاذ حسن خلقك مع الناس انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم
بطلاقة الوجه وحسن الخلق وحديث ان الله اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه
بحسن الخلق والسخا وقد ورد خياركم احسنكم اخلاقا وورد اكمل المومنين ايمانا
احسنهم خلقا وورد ان العبد ليدرك بحسن الخلق درجة القايم الصايم ولما
نزلت خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال له جبريل ان تعفو عمن
ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه
القران ياتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه وبالجملة فحسن
الخلق خير كله وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو مخلوق مودع في الغريزة واصل
الجبلة لبعض الناس طبع عليه في اول خلقته ونشا عليه ولبعضهم [illegible] فيه
كتسبها ويقتدي بغيره فيها فتصير له كالغريزة ولكنه لا بد ان يكون [illegible]

اصولها

اصولها في اصل الجبلة شيعة خلق عليها يرجع فيما يكتسبه اليها بجذب طبعه اول
اليها قال ✻ كل امرء راجع يوما لشيمته ✻ ان التخلق ياتي دونه الخلق ✻
ويكون من هذه الاخلاق ذنوبه على مامر قريبا اذا لم يرد بها وجه الله والدار
الاخرة اما اذا اريد بها ذلك صارت بما يعرف به فيثاب عليها ثواب الغريزة ولكن ا
اي الغريزة وان لم يرد بها ذلك كلها محاسن وفضايل اي ملكات محمودة مختصة
بذويها لا تتجاوز منهم الى غيرهم باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا
في موجب اي سبب حسنها وتفضيلها على غيرها او بعضها على بعض اذ هو ذاتي
اقتضته ذواتها وطبايعها ام بخلق الله تعالى له في ذواتها قولان ثانيهما هو
الحق لاستناد جميع الكاينات اليه تعالى ابتداء اذ هو الخالق وحده وهي ملكات
محمودة مكملة للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة في الكمال باعتبار
زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن اعدل كانت النفس الفايضة اكمل والى
الخيرات اميل وللكمالات اقبل وعكسه عكسه ثم لا نزاع في انها من واجبات العقل
لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مويدا له ومعززا الحكم به ا
وانما النزاع في ان العاقل قبل وروده او بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال
ويحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب في الاخرة ام لا فعندنا لا اذ لا حكم
له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسالة الحسن والقبح
ولهذا فضل بيان وشحنا به شرح نظمنا درر القلايد وشرح كتابنا مقاصد
المقاصد فصل في تعداد خصال محمودة خص بها صلى الله عليه وسلم
ونذكر [illegible] بعض من الفصول مقتبسة من الكتاب والسنة اذا كانت [illegible]
الكمال والجمال لما ذكرنا من الفصل السابق ووجدنا الواحد [illegible] ايشرف [illegible]
الراي يصير شريفا رفيعا بواحدة منهما او اثنتين ان اتفقتا له في كل عصر
متعلق بيشرف او باتفقتا وفي نسخة اوان من عطف الخاص على العام اذ العصر
الدهر اي الزمان والاوان زمن مخصوص كزمن الربيع والداعي الى عطفه الخطابة
في ان كل وقت لا يخلو من احد يشرف بذلك ثم ما يشرف به اما ان يكون من نسب او
جمال اي حسن او قوة هي مقولة بالاشتراك على ما يكون بالفعل كالشجاعة وعلى ما
بالسنان كالاسنان كاتب بالقوة اي من شانه ذلك وعلى ما في النفس من ابصار وادراك
وفكر وتمييز وغضب وعلى ما في الحديد ونحوه من صلابته وامتناع من الثنا والشكر
وعلى ما يتمكن به من بروله افعال شاقة لاعتدال في الاعصاب من افراط وتفريط
من يبوسة ورطوبة وهي المرادة هنا والقدرة اخص منها لاشتراط الارادة فيها
اذ هي التمكن من اظهار القوة مع الارادة او سماحة اي جود وعطا والمسامحة
المساهلة حتى يعظم قدره غاية لوصفه بما ذكر اي يصير معظما ومبجلا ويضرب
باسمه الامثال مبالغة في تعظيمه بجعل اسمه مثلا يضرب به الامثال التي تضرب
اي يوصف بها للبيان اذ المثل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه
وابرازه في معرض المحسوس ويتقرر له بالوصف بذلك اي بما ذكر من الصفات
[illegible] الى الذي [illegible] بكسر همزته وضمها وسكون المثلثة وفتحها اي خلاصها مكرمة

بيكون

وذاطمة يفردبهما وهو منذ عصور خوال اي دهور ومواض عظامه دهم بوالـ
بيان لرمه كابي حفص عمر ومنذ بني على الضم بصلح كما في الصحاح ان يكون حرفا فيجر
ما بعده كمن فلا يدخل الا على زمان كما هنا وان يكون اسما فيرفع بالعلة على التدريج
في مثل ما رايته منذ يوم الجمعة اي اول انقطاع رويته يوم الجمعة على التوقيت فلا يكون
ما بعده الا نكرة في نحو ما رايته منذ سنة اي امد انقطاع رويته سنة وفيما هنا
اي امد بلا عظامه عصور خوال فما ظنك بعظيم قدرمن استفهام عما يورث
تعجبا من عظيم قدره اذ قد اجتمعت فيه هذه الخصال الحميدة والملكات النفسية
والتي ما لا يأخذه عد اي احصا منها ولا يعبر عنه مقال ولا يناله بكسب ولا اجله
الكبير المتعال اي العظيم الشان المستعلي على كل شي بقدرته او الكبير عن نعت
المخلوقين المتعالي عنه من بيانية لما بعدها فضيلة النبوة هي كون النبي مبعوثا
من الحق الى الخلق ثم هو ان كان من النباوة اي الرفعة لتشرفه او من النبي بمعنى
الطريق لكونه وسيلة الى الله تعالى فهي على الاصل بلا همز كالابوة او من النبا بمعنى
الخبر لانبائه اي اخباره عن الله تعالى فعلى قلب همزتها واوا ثم الادغام كالمروة
والرسالة هي كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده وقد مضت معناها فيما مر
والخلة هي صفاء مودة توجب الاختصاص وتخلل النفس وتخالطها والمحبة والحب
هي اصفاء مودة تنشق شغاف القلب وتصل الى الفواد وسياتي لهما فضل بيان
والاصطفا بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية بشهادة ان الله
اصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم واصله اصتفا افتعال من الصفوة اي الخلاصة
اعلي تقلب تابه طا لوقوعها بعد فا الافتعال صادا او ذا اذا كانت فاوه صادا
او ظاء فانها تقلب طاء ثم يجوز لك ان تظهرها مع فائه فا فتعل من الصبر اصطبر
ومن الضرب اضطرب ومن الظلم اظطلم وان تدغمها في الفا فتقول اصبر و
اضرب واظلم ولك في الثالث خاصة ان تدغم الفا فيها فتقول اطلم وزعم ابن
السراج انها افصح لغاته واما اذا كانت الفا طا لزم الادغام وجها واحدا فتقول
في افتعل من الطرد اطرد والاسرا قدمر بيانه والروية يحتمل ان يريد بها روية
صلى الله عليه وسلم من ايات ربه الكبرى كما مر بشهادة حديث البخاري راي رفرفا
اخضر في الجنة قد سد الافق وحديث مسلم راي جبريل في صورته له ستمائة جناح
والقرب والدنو بشهادة ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى على القول بانه
صلى الله عليه وسلم هو المراد لا جبريل والوحي مصدر وحى واوحى ثلاثيا ورباعيا
ومصدر الثلاثي ونقل الرباعي اكثر استعمالا وهو شرعا اعلام الله تعالى انبياءه
الشي بنحو كتاب او ملك او الهام ويجوز ان يراد به الموحى والشفاعة يجوز ان يريد
بها التي لفصل القضا حين يفزع الناس من هول الموقف اليه بعد فزعهم الى الانبيا
فيقول صلى الله عليه وسلم انا لها فلامها عهدية وان يريد بها ما خص به من الشفاعات
الخمس او الشفاعة مطلقها فلامها استغراقية وستري له مزيد بيان والوسيلة
هي في الاصل ما يتوصل ويتقرب به واراد بها هنا القرب من الله تعالى ومن الراحة

في الشفاعة والواسل الراغب الى الله تعالى قال لبيد
اري الناس لا يدرون ما قدر امرهم ○ بلى كل ذي دين الى الله واسل
او هي منزلة في الجنة كما ورد به الحديث والفضيلة لعلها صفة خاصة خصه الله
تعالى بها وشاملة لجميع ما منحه الله تعالى به والدرجة واحدة الدرجات اي الطبقات
من المراتب الرفيعة والمقام المحمود لحديث ابي حاتم يبعث الله تعالى الناس يوم القيمة
فاكون انا وامتي على تل فيكسوني ربي حلة خضرا فاقول ما شاء الله ان اقول
فذلك المقام المحمود وكفاك به شاهد ابانه غير الشفاعة وقد يكون هي
لاشعار قوله فاقول ما شاء الله ان اقول في مراجعة ربي في الشفاعة بذلك
وذلك هو المقام المحمود وكفاك به شاهدا بانه غير الشفاعة فلا تغاير بينهما وسيأتي في
القران والبراق والمعراج ظاهر العطف مغايرته للاسرا ويمكن ان يراد الاسرا من
المسجد الحرام بجسده يقظة ليلة سبع وعشرين من الهجرة وجزم به النووي في
السير من الروضة وفي فتاويه من ربيع الاول وفي شرحه لمسلم من ربيع الاخر
الى المسجد الاقصى فصاعدا والمعراج من الصخرة الى السماء استفاضة فالى الجنة
او العرش او طرف العالم اجاد اهذا او لا يعزب عنك ان البراق قد ركبته الانبيا
قبله كما ورد من طرق كثيرة وفي سيرة بن هشام عن ابن الزبير ان ابراهيم صلى الله
عليه وسلم كان يحج كل سنة على البراق وروي السهيلي انه احتمل هاجر عليه
وسياتي عن خذيفة نماذ ابلا يمي نبينا وجبريل صلى الله عليه وسلم ظهر البراق
حتى رجعا وايهما كان رديفا للاخر قيل جبريل الاحاديث وردت فيه بعضها
معضل وبعضها مرسل وبعضها محتمل لحديث ابن حبان ان جبريل حمله على البراق
رديفا له اذ الجملة الحالية يحتمل ان يكون منه صلى الله عليه وسلم فيكون هو
الرديف وان تكون من جبريل فيكون هو الرديف ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم
لابي ذر وقد راه يمشي امام ابي بكر اتمشي امامه وهو خير منك لصراحته بان من
كان خيرا لا يكون اماما والبعث الى الاحمر والاسود اي العرب والعجم والصلاة
بالانبيا ببيت المقدس عند الصخرة والشهادة بين الانبيا والامم يوم القيامة
كما مر وسيادة ولد ادم وتقدم حديثه مع حديث انا سيد الاولين والاخرين
ولا فخر ولواء الحمد هو والله تعالى اعلم ما يكون له صلى الله عليه وسلم في مقامه
المحمود سوفيه وفي الرياض النضرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال
ثلاث شقق ما بين السماء والارض مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب
وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة ابو بكر الصديق عمر
الفاروق عثمان ذو النورين علي الرضي والبشارة والنذارة بشهادة انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا والمكانة عند ذي العرش والطاعة والامانة بشهادة
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين واما المفسرون
على ان الموصوف في الاية هو جبريل وربما استدل من فضله على الانبيا اذ قد عدد
فضايله واقتصر على نفي الجنون على نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم
بمجنون ورد بان المقصود من تعدادها نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا

ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما والهداية بشهادة ويهديك صراطا مستقيما
ورحمة للعالمين بشهادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واعطاء الرضى بشهادة
ولسوف يعطيك ربك فترضى والسول فعل بمعنى مفعول اي المطلوب لانه افضل
الخلق فهو فيها احق والكوثر تقدم بيانه واسماع القول كما في حديث الشفاعة
وقل يسمع واتمام النعمة بشهادة ويتم نعمته عليك والعفو عما تقدم وما تاخر
بشهادة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر بشهادة الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك ورفعنا لك ذكرك وعزة النصر بشهادة وينصرك الله نصرا عزيزا ونزول
السكينة والتاييد بالملايكة بشهادة فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم
تروها اي بملايكة يوم بدر وحنين والاحزاب وايتاء الكتاب والحكمة بشهادة وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة والسبع المثاني بشهادة ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم وتزكية امته بشهادة وهو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا
عليهم اياته ويزكيهم يوم القيامة اذ استشهدوا للانبيا اذا انكرت اممهم والدعا الى الله
بشهادة قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة وداعيا الى الله باذنه على ما مر اي بامره
وصلاة الله وملايكته عليه بشهادة ان الله وملايكته يصلون على النبي والحكم بين
الناس بما اراه الله بشهادة انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس بما اراك الله ه
ووضع الاصر والاغلال عنهم بشهادة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
والقسم باسمه في لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واجابة دعوته في مواطن كثيرة ه
كبدر اذ قال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم
وتكليم الجمادات بشهادة حديث البخاري اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل هو
الحجر الاسود ومنه تسبيح الطعام والحصى وتكليم الحيوانات العجم كنطق الضب
والظبي والجمل واحياء الموتى اذ قد ورد انه صلى الله عليه وسلم نقل من غزاة فمات
بعير بعض الصحابة فدعى الله تعالى فاحياه حتى ركبه الى المدينة ثم مات واسماع
الصمم كامره صلى الله عليه وسلم الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتقعا قد لحتى
صرن كراسا ونبع الماء من بين اصابعه بشهادة قول جابر في البخاري فرايت الماء
ينبع من بين اصابعه وتكثير القليل بشهادة حديث انس في قصة ابي طلحة والزاد
من البخاري فانه امر بما بقي منه فجي بقليل منه فدعى وبرك فيه فكثر حتى ملوا كل
وعايهم وانشقاق القمر من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال انس رضي الله
تعالى عنه ساله قريش اية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفلق
فلقتين ذهبت فلقة وبقيت فلقة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رايت حرا على
فلقتي القمر ورد الشمس في الخندق صبيحة الاسراء وسياتي له مزيد بيان وقلب الاعيان
من اياته صلى الله عليه وسلم في مثل حديث عكاشة كان معه صلى الله عليه وسلم يوم
بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما ولا يصح ذلك الا على يد نبي والله تعالى هو القادر
عليه والنصر بالرعب بشهادة حديث نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وترابها طهورا نصرت بالرعب واهلكت عاد بالدبور والاطلاع على الغيب

بشهادة حديث خروج الدجال والدابة وثلاثة خسوفات وولاية العبيد والارذال ولا
بناني ولاية العبيد قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من
الناس اثنان الايمة من قريش الناس تبع لقريش لا تولوا عليهم وقد تكون ناشية عن امام
قرشي بشهادة حديث الحاكم الايمة من قريش ابرارها امراء ابرارها وفجارها امراء
فجارها ولكل حق فاتوا كل ذي حق حقه وان امرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا
فاسمعوا واطيعوا وظل الغمام وتسبيح الحصا وابرا الالام الاحاديث وردت
في ذلك الى ما الى فضل عظيم كثير لا يحوبه محتفل اي مهتم بجمعه لكثرته فيكاد يخرج
عن طوق من يهتم بذلك ولا يحيط بعلمه الا مانحه اي معطيه صلى الله عليه وسلم
ذلك ولا يحيط بعلمه الا مفضله على غيره به لا اله غيره الى ما اعد له فعله عدا
قبله لشبه انقطاع بينهما لان تلك فضايله شرف بها في الدنيا وهذا فواضل هبت
له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس اي الجنة ومراتب السعادة
والمثوبة والحسنى مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والزيادة
التي يعفته ونهما العقل ولا ينتهي اليهما ادراكا ولعله اراد بها روية ربه ومنا هيك
بها روية مجاز في توجيهه الى يختبل ما دونه ادانيها الوهم فما ظنك باداينها
فضلا عن اعاليها فصل في جمل من اوصافه صلى الله عليه وسلم ان قلت
اكرمك الله اعتراض بين القول الشرطي ومقوله دعا المخاطبه بالاكرام لتعظيمه
لا خفا على القطع بالجملة فضلا عن القطع بالتفصيل انه صلى الله عليه وسلم اعلا
الناس قدرا واعظمهم محلا الاحسن ان يقال اعظمهم قدرا واعلاهم محلا اذ العظمة
بالقدر اليق والعلو بالمحل اوفق واكملهم محاسن وفضلا المنصوبات كلها مميزات
للنسب فيما قبلها محولات عن اصلها للاعراف في نعته صلى الله عليه وسلم بسمات
الجلال وصفات الكمال وقد ذهبت هذا انما بعد جملة حالية اعتراضية بين مقول
القول الشرطي وجزايه لمطلب الوقوف على اوصافه صلى الله عليه وسلم مفصلة في
تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا اي حسنا شوقني الى ان اقف عليها
اي على خصال الكمال من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم خطاب
خاص او عام لمن يصلح توجيهه اليه ما سر نور الله قلبي وقلبك وضاعف في حب هذا
النبي الكريم حبي وحبك اعتراض دعاي بين فعل الامر ومعموله السد مسد مفعوليه
الذي هو انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة في جبلة الخلقة
وجدته صلى الله عليه وسلم جامعا لجميعها ومحيطا بشتاتها اي بمتفرقاتها بمحاسنها
دون اي بلا خلاف بين نقلة للاخبار بذلك اي بحيازته جميع الخصال المذكور
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة اي صورته صلى الله عليه وسلم وجمالها انما
وتناسب اعضايه في حسنها مما لم يكن مكتسبا في جبلة الخلقة فقد جاءت
الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث من ذكر هنا من الصحابة
رضي الله تعالى عنهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون اي نيره او حسنه
ادعج اي شديد الحلقة اجل اي ذا انجل بفتحتين وهو سعة شق العين اشكل اي في بياض
عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب فيفسره في مسلم بانه طويل شق العين والمشلة

بالعاجرة في سواد هما اهدب الاشفار اي كثير شعر حروف اجفان عينيه وهو الهدب
ابلج اراد ابلج الوجه اي مشرقه ولم يرد ابلج الحاجبين اي نقي ما بينهما لتنبيها د في حديث
ام معبد في دلائل البيهقي وغيرها انها وصفته بانه ابلج الوجه اقرن ازج اي دقيق
شعر الحاجبين اي طويلهما الى موخر العين مع تقوس اقنى اي مرتفع قصبة الانف
اي مرتفع قصبته مع استواء اعلاه قال في الصحاح فان كان فيه احديداب فهو
الاقنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا فمن راه متاملا عرفه اشممه
ومن لم يتامله ظنه اقنى وسيجي في حديث ابن ابي هالة في الكتاب من لم يتامل
بحسبه اشم فلا يعتل بالوجه عكس ما في الاصل افلج اي متباعد ما بين ثناياه مدور
الوجه واسع الجبين كث اللحية اي كثير شعرها بحيث تملا الصدر مع قصر فيه هو
وعدم انبساط سوا البطن والصدر اي مستويهما تلويح باعتدالهما خلقا وبان
حزوجهما او احدهما عن الاعتدال بروز الم ونظام منا ليس بمحمود واسع الصدر
حسا ومعنى اذ قد وسع كل احد شفقة وحلما عظيم المنكبين مثنى منكب وهو مجمع
عظم العضد والكتف اي ضخمهما وضخم العظام عبل العضدين عبل الذراعين
مثنى ذراع وهو ما بين مفصل الكف والمرفق وعبل الاسافل اي الفخذين والساقين
وذلك مما يوذن بكمال القوة وشدتها بشهادة حديث البخاري انه اعطي قوة
ثلاثين رجلا رحب الكفين واسعهما حسا ومعنى اذ قد وسع كل احد عطا وفي
ذلك اقول في نوع الترشيح من بديعية مدحته صلى الله عليه وسلم بها ضمنتها
انواع البديع مع اسمائها موريا بها

عم الورى بيد سحا برشحها ۞ عطاؤه ليس يخشى الفقر من عدم

ورحب القدمين اي واسعهما طولا وعرضا سائل الاطراف اي تام الاصابع طويلها
انور المتجرد بجيم فراء مشددة مفتوحة اسم مفعول اي كان ما تجرد من بدنه
عن ثيابه اشرق انور دقيق المسربة بفتح ميمه وضم رائه اي دقيق خيط الشعر
الذي بين صدره وسرته ربعة القد اي مربوع القامة رواه البيهقي وابن ابي
خيثمة في تاريخه ليس بالطويل البائن اي المفرط في الطول ولا بالقصير المتردد
اي ليست اجزاؤه كان بعضها داخل في بعض قصرا ومع ذلك اي ومع كونه ربعة فلم
يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله مزية خص بها تلويحا بانه لم يكن عند
ربه افضل منه رجل الشعر بكسر جيمه وفتحها اي بصفة بين الجعودة والسبوطة
فالشعر الذي يسبط فيتكسر يسيرا ليس بجعد ولا سبط اذا افتر ضاحكا اي اذا ابدا
اسنانه حال ضحكه افتر عن مثل سنا البرق اي ضوئه وعن مثل حب الغمام اي قطراته
او برده شبه بياض ثغره في صفائه ونقائه بضوء البرق وما يطفو على ثناياه من
ريقه بقطرات الغمام تشبيها بليغا اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه لصفائها
وشدة بياضها رواه الترمذي في شمائله والدارمي والبيهقي احسن الناس عنقا
لاعتداله ليس بمطهم اي لم يكن كما في الصحاح مدور الوجه مجتمعه ولا بمكلثم اي ولا
مجتمع لحم الوجه ولا كثير لحم الخدين بل مستوي الوجه اي فيه وفي انفه طول هذا
ولا يختلج ببالك ان هذا مخالف لما مر من كونه مدور الوجه الماخوذ من وصف علي رضي

الله تعالى عنه له صلى الله عليه وسلم لان المراد بتدويره هنا كونه مفرطا في الاستدا رة
وليس بمحمود وهنا لك بخلافه واياه اراد علي في وصفه له وهو المحمود متماسك
البدن اي ليس برهل ولا مسترخ ضرب اللحم اي خفيفه قال البراء بن عازب كما رواه
البخاري ومسلم ما رايت من ذي لمة هي ما يكون من شعر الراس يجاوز شحمة الاذن
فان لم يجاوزها فوفرة فان بلغ المنكب فجمة فهي فوق الوفرة ودون الجمة سميت لمة
لالمامها بالمنكبين في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهره
انها ثوب واحد لبسها دة وصفها بحمرا مع اتفاق اهل اللغة انها لا تطلق الا على ثوبين
بشهادة حديث وعليه حلة اتزر باحدهما وارتدى بالاخرى ولك ان تجيب بان
وصفها باعتبار لفظها لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة
كالشافعي ومالك وقال ابو هريرة علم اضافي جزؤه الثاني غير منصرف تنزيلا
له منزلة كلمة فاجري عليها احكامها الاعلام ما رايت احسن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه لحسنه وبهاء رونقه واذا ضحك فمن
صفا ثغره ورونق ثناياه يتلالا اي يضيء في الجدر جمع جدار وهو الحائط رواه الاما م
احمد والترمذي وابن حبان وقال جابر بن سمرة كما رواه الشيخان والحال انه قال
له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف لا بل مثل الشمس والقمر
تلويح بانه لا ينبغي ان يشبه وجهه به بل بهما اما في استدارتهما فيكون قوله
وكان اي وجهه مستديرا بيانا له اولان وجهه اتم اشراقا وابهج رونقا من رونق
السيف ولمعانه فيكون مثلهما استنارة وضيا ويكون قوله وكان مستديرا اوزنا
بزيادة دلت على المعنى الاول وعلى كل فهو تشبيه بليغ وقالت ام معبد عاتكة بنت
خالد من رواية البيهقي في دلائله عن اخيها حبيش بن خالد عنها فيما وصفته به
اجمل الناس اي اتمهم حسنا من بعيد واحلاه اي احلى الناس واحسنه من قريب
فوحدت الضمير حملا على لفظه او على الجنس كما في حديث خير نساء ركبن الابل صالح
نساء قريش احناه على ولد في صغره وارعاه على زوج في ذات يده اي احلا واحسن
هذا الجنس واحنى وارعى هذا الجنس اذ الناس والنسا في اسماء الاجناس وفي
حديث ابن ابي هالة الاتي يتلالا اي يضيء وجهه تلالا القمر ليلة البدر فانها
ليلة كماله وشرفه وقال علي رضي الله تعالى عنه في رواية الترمذي في جامعه وشما يله
في اخر وصفه له صلى الله عليه وسلم من راه بديهة اي مفاجاة كناية عن اول
اللقاء هابه ومن خالطه معرفة اي وعرف ما كان عليه من خفض الجناح ولين
الجانب وحسن العشرة ودوام البشر احبه يقول ناعته اي واصفه لم ار من الناس
احدا قبله ولا بعده مثله لكرم شمائله وشرف فضائله وعموم فواضله وحسن
خلقه وطلاقة وجهه والاحاديث في بسط صفته كثيرة مشهورة فلا نطول بسردها
وقد اختصرنا او وردنا على وجه الاختصار في وصفه نكت اي لطائف ودقائق
ما جاء فيها اي في تلك الاحاديث واوردنا جملة مما فيه كناية يجوز ان يكون ما هنا
بيانية اي جملة هي الكناية في وصفه او تبعيضية اي جملة هي بعض ما فيه كناية
فيه نكته لكونه نكت لطائف وملح دقائق صار له مزية على البعض الاخر او احببنا ايراده

هنا وردنه في المقصد الى المطلوب من وصفه صلى الله عليه وسلم وختمنا هذه الفصول
الكافلة بابراز ما ورد في وصفه بحديث جامع لذلك نقف عليه هنا لذلك ان شا
الله تعالى فصل من تلك الفصول واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه
ونزاهته اي بانته وتباعده عن الاقذار جمع قذر بذال معجمة اي الاوساخ والادناس
حسية ومعنوية ونزاهته عن عورات الجسد مما يعيبه ويشينه كنقص فيه
وخلل في عضو منه فكان صلى الله عليه وسلم قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص
لم توجد في غيره واني لغيره ذلك هيهات واين الثريا من يد المتناول ثم تممها
اي تلك الخصائص بنظافة الشرع من الاصار والاغلال التي كانت عليهم مما
الزموه لزوم الطوق للعنق على ما مر وخصال الفطرة اي الخلقة فان الله خلق
عباده قابلين للحق متمكنين من ادراكه غير نابين عنه حتى لو خلوا وما خلقوا
عليه لاخذهم اليه بشهادة حديث ان الله اخرج من ظهر ادم ذريته كالذر واشهدهم
على انفسهم بانه ربهم قالوا بلى فمعنى الفطرة هنا دين الاسلام اي خصاله بينه العشر
في حديث مسلم قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص
الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب
ابن شيبة راويه ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وروى ابو داود نحوه
الا انه قال بدل انتقاص الماء انتضاح وفي رواية انتفاض بفاء وضاد معجمة
وكلها كناية عن الاستنجا وقال صلى الله عليه وسلم بنى الدين على
النظافة اي الطهارة ومباعدة الادناس من ظاهره وباطنه وهذا الحديث وان
قال العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجده هكذا فقد رواه الرافعي في تاريخه
بسنده عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بعض حديث مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم
فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف ويشهد له حديث
الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة تنظفوا افنيتكم قال انس ما شممت بكسر
ثانيه وقد تفتح عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا عطف عام على خاص اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسنده هنا بطريق مسلم الى انس وتتمته ولا
مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيا الين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رايحة النبي صلى الله عليه وسلم
وعن جابر بن سمرة فيما رواه مسلم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا واما انا
فمسح خدي فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم
او ريحا بالف وكثيرا ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه ولهذا اورد بلفظ انه صلى
الله عليه وسلم مسح خده قال فوجد ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار
وكفاك هذا الحديث شاهدا بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم للصغير والكبير وقد
وسع الناس رافة ورحمة وعمهم فضلا ونعمة والجونة كما في الصحاح بالضم بلا
همز وربما همزت وعن غيره همزتها اصلية وقد تحذف وهي سفط مغشى بجلد يجعل فيه
العطار طيبه وعن غيره اي غير جابر بن سمرة مسها بطيب او لم يمسها يصافح صلى الله

عليه وسلم المصافح له فيظل ذلك المصافح له يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم في دار
انس على فراش امه ام سليم بنت ملحان فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسالها عن ذلك الشي عن جمعها اياه المعاد من السفل فقالت نجعله في طيبنا وهو
من اطيب بل اطيب الطيب وان اعدنا الضمير الى طيبنا اذ بانضمامه اليه صار
اطيبه وفي رواية نرجو بركته لصبياننا زاد البخاري فاوصى انس ان يجعل منه
في حنوطه وانما نام صلى الله عليه وسلم على فراشها لانها واختها ام حرام بنتي
ملحان كانتا خالتاه من الرضاعة وانكره فان صح ففي الحديث جواز
الخلوة بمن بينها وبينه محرمية والنوم عندهن لعصمته صلى الله عليه وسلم
وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله تعالى عنه والدارمي والبيهقي
من طريق ابن الزبير عنه ايضا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه وروى البزار وابو يعلى بسند جيد عن انس
كان اذا مر في الطريق من طرف المدينة وجد فيه رايحة المسك فيقال مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق وروى الحربي عن جابر رضي الله تعالى
عنه اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة فكان ينم
بكسر نونه من نمت الريح اي جلبت الرايحة على مسكا تمييز للنسبة في ينم محولا عن
كونه مفعولا اي يجلب على رايحة وفي رواية فيثج بضم مثلثه وقد تكسر اي يسيل
تشبيها له بثج دما الهدي اي سيلانها بسرعة وفي الحديث افضل الحج العج والثج
هذا وقد جمع بعضهم من اردفه النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين
ولم يذكر منهم جابر وحكي عن بعض المعتنين باخباره وشمائله وهو البيهقي عن
عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت
غايطه وبوله وفاحت له رايحة طيبة وقال انه موضوع واسند ابن سعد كاتب
الواقدي نحو هذا اي في ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رايحة طيبة خبرا
عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء
فلا يرى منك من الاذى فقال او ما علمت على معتقد راي اجهلت وما علمت ان الارض
تبتلع ما يخرج من الانبيا وروى الدارقطني في افراده قالت قلت يا رسول الله
اراك تدخل الخلا ثم يجيء الذي يدخل بعدك فما يرى لما منك اثرا فقال اما
علمت ان الله امر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبيا وهذا الخبر الذي اسنده ابن
سعد وان لم يكن مشهورا فقال ابن دحية بعد ان اورده هذا اسند ثابت وهو
اقوى ما في الباب وقال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
عبر بهما عن الخارجين استهجانا للتصريح باسمهما وهو قول لبعض اصحاب
الشافعي كالبغوي بشهادة الاستشفا ببوله ودمه واحاديث ستر وعليك حكاية
اي القول بطهارتهما الامام ابو نصر عبد السيد بن الصباغ في شامله وقد
حكى القولين عن العلماء في ذلك اي في كونهما طاهرين ام نجسين ابو بكر بن سابق
في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها اي حكى تخريج ما اسم

بنع للمالكية على مذهبهم من الاقوال بطهارتها من تفاريع الشافعية احى الله تعالى بهم
الاسلام فان لهم في كل عصر قدم صدق في استنباط الاحكام وتخريج الاقوال
من وقايع الاحوال لدقة افهامهم وجودة احلامهم لا من فتت لهم ايدى الاد وار
قلما سليما ولا ارتعب لهم فهما قويما والتخريج في اصطلاحهم ان ينص الشافعي
على حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا
بينهما فينقلوا نصه في كل صورة منهما الى الاخرى كمذهبي الاجتهاد في الاواني
والقبلة اذ قد منع في الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوزه في الثانية فنقلوا
منعه في تلك الى هذه وتجويزه في هذه الى تلك فصار في كل قولان منصوص ومخرج
المنصوص في كل هو المخرج في الاخرى وشاهد هذا القول بشهادة ما ذكر انه لم
يكن صلى الله عليه وسلم منه شيء يكره ولم يكن منه شيء غير طيب ومنه اي ومن الشاهد
بانه لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب حديث علي رضى الله تعالى عنه فيما رواه ابو
داود في مراسيله وابن ماجه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت بحاز عن
اردت شبه الذهاب اي المرور بالارادة بجامع التلازم بينهما غالبا ثم اشتق
منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية انظر ما يكون
اي يوجد من الميت فلم اجد شيا فقلت حيا وميتا قال لو سطعت اي ارتفعت منه
ريح طيبة لم ير مثلها قط تاكيد لنفي روية مثلها وكفى به حاكما بانه من اعلام
النبوة بعد موته اذ لم يخرج منه ما يخرج من الموتى ولم يتغير رايحته مع مكثه
قبل دفنه يومين وليلة لانكار اصحابه موته تعظيما له وتبعيد الموت ان ينزل
بساحته حتى قال العباس لعلي رضى الله تعالى عنهما ابن اخي قد مات لاشك وهو
من بني ادم ياسن كما ياسنون فذهبوا اليه فدنوه فوجدوه كما كان لم يتغير وما
تحقق عند موته الا انه راى قبله بيسير ان القمر رفع من الارض باسطان فقصها
عليه صلى الله عليه وسلم فقال هو ابن اخيك وروى ابن بكر في سيرته ان ام
سلمة رضى الله تعالى عنها وضعت يدها على صدره صلى الله عليه وسلم فمكثت
جمعا لا تاكل ولا تتوضى الا وجدت ريح المسك بين يديها ومثله اي مثل قول علي
رضى الله تعالى عنه طبت حيا وميتا قول ابي بكر رضى الله تعالى عنه حين قبله بعد
موته بعد مجيه من السنح طبت حيا وميتا رواه البزار عن ابن عمر رضى الله تعالى
عنهما باسناد صحيح وهو بعض خبر في البخاري والسنح بضم اوله وسكون ثانيه
وقد يضم من منازل بني الحرث بن الخزرج عن المدينة بنحو ميل ومنه اي
ومن الشاهد بما ذكر ما رواه الطبراني في اوسط معاجمه عن ابي سعيد الخدري
رضى الله تعالى عنه شرب والده مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه
وتسويغه اي تجويزه صلى الله عليه وسلم ذلك وقوله لن تصيبه النار رواه
البيهقي عن عمر بن السايب ومثله اي من الشاهد بما ذكر ما رواه الحاكم والبزار
والبيهقي والطبراني وغيرهم شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وروي الزبير بن بكار انه
لما ولدته داه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو وسمته امه فامكن

عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بما عينيك كبش بين ذياب في ثياب ليمنعهن
البيت وليقتلن دونه وهذا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات اذ قد
بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية واطاعه اهل الحجاز
واليمن والعراقين وحج بالناس ثمان سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعيد
على المدينة نايبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث اليه منها الى
مكة حتى ارسل له عبد الملك الحجاج فابتدا حصاره غرة ذي الحجة سنة اثنين
وسبعين وعمره اثنان وسبعون سنة واياما وسيمنح كيفية قتله وقد
روي نحو من هذا عنه صلى الله عليه وسلم في امراة شربت بوله فقال لها
حاديث في رواية ابي علي لن تشتكي وجع بطنك ابدا وكفاك بهذا وما قبله من الا
شهود صدق بطهارة الخارج منه صلى الله عليه وسلم وعليه كثير من ايمتنا
الخراسانيين فانه لم يامروا احدا منهم اي ممن شربه بغسل فمه ولا نهاه
عن عوده الى شربه لكن المعتمد في المذهب ان الخارج منه صلى الله عليه وسلم
كغيره من غيره بشهادة ما رواه ابن عبد البر ان سالم بن ابي الحجاج حجمه صلى الله
عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له اما علمت ان الدم كله حرام وفي رواية لا تعد
فان الدم كله حرام قيل ولا يعرف له اسناد وحديث هذه المراة التي شربت
بوله صحيح ولصحته الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح
من جامعيهما وانما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح
ولم يلتزماه واسم هذه المراة بركة وقيل هي ام ايمن الحبشية مولاته
وحاضنته ورثها من ابيه ثم اعتقها لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد
من بني الحارث فولدت له ام ايمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة مولاه زيد
ابن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله عليه وسلم واختلف في نسبها
اي في نسب بركة فقال ابن عبد البر وغيره هي مولاته ام ايمن وام اسامة بنت
ثعلبة وقيل هي بركة بنت يسار مولاة ابي سفيان بن حرب بن امية كانت
هي وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا مع ام حبيبة بنت مولاها ابي سفيان
وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج ام حبيبة وبقيت على الاسلام
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها له النجاشي واصدقها عنه اربع
مائة دينار او اربع مائة اوقية ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت
بركة هذه معها وكانت تخدمها او تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان
له قدح من عيدان بعين مهملة مفتوحة جمع عيدانة وهي النخلة الطويلة
وعن الاصمعي اذا صار للنخلة جذع يتناول منه فهي عضيد فاذا فاتت الايدي
فجبارة فاذا ارتفعت فوفله وعند اهل نجد عيدانة لوضع تحت سريره يبول
فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيا فسال بركة عنه
اي عن بوله الذي كان في القدح فقالت قمت وانا عطشانة وانا لا اعلم انه بول فشربته
الجملة الاسميتان في موضع الحال الاولى من ضمير قمت والثانية من ضمير شربته
اي انتهيت عطشانة فشربته جاهلة انه بول وقوله عطشانة كذا او ردوبه

عطشي لانه موت عطشان الا ان تكون لغة وروي عنهما بكماله ابن جريج عن
حكيمة بنت امية بنت ابي صيفي عن امها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ووضعه تحت
سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدمها
اين البول الذي كان في القدح قالت شربته فقال لصحة يا ام يوسف وكانت
تكنى ام يوسف فما مرضت قط حتى ماتت ورواه ايضا غيره اي غير ابن جريج كابي
داود وابن حبان والحاكم عن اميمة عن امها وروى الحاكم والدارقطني عن ام ايمن
قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت
فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح
قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك
ثم قال اما والله انه لا يتجعن بطنك ابدا وهذا قاض بانهما واقعتان
وقعتا كما قال ابن دحية لبركة ام يوسف وبركة ام ايمن وبيض ما في خصايص
تدريب البلقيني انهما شيئا واحد وكان صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو نعيم
والطبراني في الاوسط قد ولد مختونا مقطوع السرة وفي دلايل البيهقي بسند
ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما عن ابيه انه ولد معذورا مسرورا اي مقطوع
واعذر اي ختنه واما حديث الخطيب عن انس رضي الله تعالى عنه مرفوعا وصححه
الضيا في المختارة من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا لم ير احد سوأتي فلا
يعارضه حديث البخاري ان العباس قال له وهو ينقل الحجارة لبناء الكعبة لو
جعلت ازارك على عاتقك من الحجارة فنعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السما
ثم قام فقال ازاري ازاري فشد عليه ازاره اذ ليس فيه ما يدل على ان عورته
انكشفت لجواز ان يكون سترها ببعض وجعل بعضها على عاتقه سلمنا انكشافها
لكن ليس فيه ما يدل على ان احدا ابصرها لاحتمال سقوط او لعربة قبل ان
يراها احد سببه اذ قوله لم يطلع على عورتي وزعم الحاكم تواتر الاخبار هو
بولادته مختونا وتعقبه الذهبي بقوله ما اعلم صحته فكيف يكون متواترا
وقيل ختنه جبريل حين شق قلبه عند مرضعته حليمة وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته
وصنع له مادبة وسماه محمدا وعن كعب الاحبار ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين
ادم وشيث وادريس ونوح وسام ولوط وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى
ومحمد وعن ابن حبيب الهاشمي اربعة عشر اسقط منهم ذكر ادريس وسام ويحيى
وزاد هودا وصالحا وزكريا وحنظلة نبي اصحاب الرس وروي كما في طبقات
ابن سعد عن امه امنة قالت ولدته نظيفا ما به قذر وروى الترمذي
في شمايله وابن ماجه عن عايشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط تاكيد لنفي رويتها فرجه وروى البيهقي والبزار عن علي رضي الله تعالى
عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم ان لا ابي بان لا يغسله غيري فانه لا يرى
احد عورته الا طمست عيناه علة لترك غسله لغير علي وتعذبرين اقوام غيره
عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم بانه قد قدر على غض بصره

وفي السيرة عن يونس بن بكير انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السماء وعن
ابن اسحاق لما اختلفوا اهل يغسلونه في ثوبه ام لا نودوا ان غسلوه في ثوبه
وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال بت عند خالتي
ميمونة فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فتوضا وضوءا خفيفا
فصنعت مثله ثم قمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى ثم نام حتى سمع
بالبنا المفعول له غطيطه نايب عن الفاعل وهو صوت يخرجه النايم مع نفسه
فقام فصلى ولم يتوضا لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا من ان
يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه بشهادة انا معشر الانبيا تنام اعيننا ولا
تنام قلوبنا وحديث لتنم عينك وليعقل قلبك ولتع اذنك ومن ثم كانت رويا
الانبيا وحيا بشهادة يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ونوم صلى الله عليه
وسلم بعد نومه عن صلاة الصبح في الوادي يجوز ان يكون عن نقض قبل النوم
او بعده او عن مخامرته قلبه مع ندرته ليبين لامته وفيه بعد او تجديدا له
فصل فيما خص به صلى الله عليه وسلم من زيادة قوة ملكاته النفسانية
فمنها ما اشار اليه بقوله واما وفور عقله اي زيادته على عقل غيره وذكايه
اي حدة عقله وقوة حواسه سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا مما به يجلب النفس
العلوم الى ذاتها وفصاحة لسانه اذ كان من قوم نشات فيهم الفصاحة ومنهم
ارتضع الناس ثديها واعتدال حركاته حسية وغيرحسية وحسن شمايله
على ما مر فلا امرية اي لا شك انه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الناس واذكاهم
ومن تامل تدبيره اي نظره امر بواطن الخلق وظواهرهم اي ما يؤول اليه
عاقبتهم وسياسته من سوس مشددا مبنيا للمفعول اذا ملك امر العامة
والخاصة مع عجيب شمايله وبديع سيره اي شمايله العجيبة وسيره البديعة
التي لم ينلها غيره فضلا عما افاضه اي ابداه وبينه شبهه بجر عذب زاخر
عم نفعه تشبيها بليغا من العلم نظرا وعمليا وقرره من الشرع بيان لما
افاضه وقرره ولولاهما لكان استعارة وذلك كله دون تعلم سبق له من غيره
ولا ممارسة تقدمت منه بشي من ذلك ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر
جواب الشرط اي لم يشك في رجحان عقله صلى الله عليه وسلم على عقل غيره
ولا في ثقوب فهمه ادراكا للطايف العلوم ومهمات الامور ومعلمات الاحوال
لاول بديهة بدون مهلة وتروق فكانه بثقبها بتوقد فهمه كما يثقب النجم الظلام
بتوقد ضوئه وقوله فضلا مصدر لفعل محذوف فتقع متوسطا بين نفي واثبات
لنظا هكذا لا يلتفت لزيد فضلا عن ان يكرمه او معنى كتقاصرت همته
عن كذا فضلا عن ان يتوقاه اي لم يبلغه فضلا عن الذي فهو لاستبعاد وقوع
الادمي اعني ما دخله النفي بمعنى عن بعيدا عن الوقوع واستحالة ما فوقه
اعني ما دخله عن بمعنى عن بمنزلة المحال الذي لا يمكن وقوعه فما قبله هنا
وان كان مثبتا فقد نزل منزلة المنفي استبعادا بمعنى عدم وقوع من غيره بعيد
واريد استحالة ما بعده بمعنى عدم صدوره عن غيره اي لم ينل احد عقله بفضل

نشدلا عما افاضه وهذا اي ما ذكر لاحاجة الى تعريج لتحققه وقد قال وهب بن منبه
قرات في احد وسبعين كتابا من كتب الله تعالى المنزلة وفي معارف ابن قتيبة قرات من
كتب الله اثنين وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا ميز ان النسبة ارجح وافضل هذا ولا يقدح في كون
رايه افضل رجوعه في بدر الى راي الحباب بن المنذر اذ قال له وقد نزل صلى الله عليه وسلم
ادنى ماء من مياه بدر ارايت منزلك هذا يا رسول الله امنزلا انزلكه الله تعالى لا نتجاوزه
ام هو الراي والمكيدة فقال بل هو الراي والمكيدة فقال الراي ان نأتي ادنى ماء من القوم
فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا نملأه ماء ثم نقاتل ونشرب
ولا يشربون فقال لقد اشرت بالراي اذ رايه صلى الله عليه وسلم اولا كان هو الراي
من حيث ان بينه وبينهم رحما فراي الابقا والشفقة عليهم وان لا يعدموا رحمة ولا هو
يحرموا من الماء رجاء ان يفطنوا لذلك فيكفوا او يومنوا او بعضهم فرجوعه للحباب
كان لبيان جواز الافضل للمفضول ولا انفة في ذلك وبعد ان عرض له ما اوجب حرمانهم
واخذهم بلا شفقة عليهم قهرا وغلبة وهو تجمهم محاربين الله ورسوله لا لكون رايه
افضل من رايه صلى الله عليه وسلم وقد تبين ان كان صلى الله عليه وسلم افضل رايا في الامور
الدينية مما شرعه بيانا او اجتهادا واما الدنيوية فكان هو المصيب فيها غالبا وقد يظهر
الراي لغيرهم فيرجع اليه غير انف لشهادة حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم راى
اهل المدينة يابرون النخل فسالهم عنه فقالوا كيف نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان
خيرا فتركوه فنفسد ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشيء
من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من راي فانما انا بشر اخطي واصيب وحاشاه من
الخطا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها اي في جميع الاحد والاثنين وسبعين كتابا
ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله
صلى الله عليه وسلم الا كحبة اي لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة
حبة رمل من بين رمال الدنيا الى رمال الدنيا ويشهد له ايضا ما قال مجاهد فيما
رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه من فيهما يجوز ان تكون جارة وان
تكون موصولة وكذا ما ورد مثلها اي وما ذكر من انه يرى من خلفه كمن بين يديه فسر
مجاهد قوله تعالى وتقلبك في الساجدين تردد بصرك فيمن وراءك من المصلين
وتصفح احوالهم وفي الموطا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم
اترون قبلتي هذه فوالله لا يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري
ونحوه اي نحو حديث الموطا في الصحيحين عن انس رضي الله تعالى عنه اقيموا الركوع
والسجود فوالله اني لاراكم من بعدي وربما قال من بعد ظهري اذا ركعتم وسجدتم وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها مثله قالت ورويته صلى الله عليه وسلم مما اكرمه الله تعالى به
دون غيره زيادة زادها الله تعالى اياها في حجته على من كذبه وعلى صحة نبوته اذ هي
من معجزاته التي وردت شاهدة بصدقه وفي بعض الروايات لعبد الرزاق والحاكم اني لانظر
من ورائي كما انظر امامي وفي رواية اخرى لمسلم اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي

وبه صح

وحكي

وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء وفي رواية كما يرى في النور قال ابن دحية في الايات البينات
ضعفه ابن بشكوال وقال البيهقي اسناده ضعيف كما رواه ايضا من حديث ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وقال ليس
بالقوي وقال ابن الجوزي لا يصح وقال الذهبي فيه من جملة احاديث هذه موضوعة
وفي روضة الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما تزوج ام سلمة رضي الله تعالى عنها
دخل عليها في ظلمة واصابت رجله زينب فبكت ثم ليلة اخرى دخل في ظلمة ايضا فقال
انظروا زيانبكم لا امشي عليها والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم
الملائكة كخبر البخاري وغيره جبريل في صورته له ستمائة جناح على كرسي بين السماء
والارض قد سد الافق وفي ليلة الاسراء وبما قيل امر فيهم وعني وجاءت ايضا في رؤيته
الشياطين كخبر البخاري ان عفريتا تفلت علي البارحة في صلاة المغرب وبيده
شعلة من نار ليحرق بها وجهي فامكنني الله منه فذعته ثم اردت ان اربطه بسارية
من سواري المسجد فذكرت دعوة اخي سليمان وفي رواية لولا دعوة اخي سليمان لاصبح
يلعب به ولدان المدينة وجاءت ايضا في رفع النجاشي له لقب ملك الحبشة واسمه كما في
البخاري اصحمة اي عطية بن ابجر حتى صلى عليه يوم مات في رجب سنة تسع من الهجرة
اما حديث صلاته عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعي والقارع على
جواز الصلاة على الغائب واما حديث رفعه له فظاهره ان المرفوع هو نفسه حتى
قيل انه احضر بين يديه او روحه وعلى كل فلم تقع الصلاة كما زعم الا على حاضر وقيل
رفع له الحجاب او طويت له الارض حتى راه هذا اسنده ومن ثم انكره ابن جرير لعدم وجوده
في خبر ورواية عالم وانما الوارد في رواية ابي علي والبيهقي ان معاوية بن معوية
المزني رفع له وهو صلى الله عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه هذا وقد ورد ان النبي
لما بلغه وقعة بدر لبس مسحا وقعد على التراب ثم ارسل الى من قبله من المسلمين فلما
راوه قالوا ما هذا ايها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله تعالى اذا احدث لعبده
نعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا وانه احدث لنا ولكم نعمة عظيمة هي نصرة الله تعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على اعدائه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى به غنما
لسيدي وروى البيهقي ان سبب رجوع ملك ابيه اليه انه لم يكن ولد لابيه غيره
وكان لعمه اثنا عشر ولدا فقالت الحبشة لو قتلنا الملك وملكنا اخاه اذ لا ولد له
غير هذا الغلام ولاخيه اثنا عشر ولدا يتوارثون ملكه فقتلوه وملكوا اخاه ونشا
النجاشي مع عمه وغلب على عقله لحذقه ونجابته فقالوا لقد غلب هذا الفتى على امر
عمه وانا نخاف ان يملكه علينا فيقتلنا بابيه فقالوا لعمه اما ان تقتله او تخرجه عنا
فقال ويلكم قتلتم اباه بالامس واقتله اليوم فباعوه بستمائة درهم فقذفت به في
سفينة ثم عشية يوم بيع طلعت سحابة فخرج عمه يستمطر فاصابته صاعقة فمات
فذهبوا يولون ولده فاذا هو محمق فمرجوا في امرهم وضاق بهم ذرعا فقالوا والله
ان ملككم الذي لا يقيم امركم غيره هو الذي بعتموه غدوة فادركوه فجاءوا به وتوجوه
واجلسوه على سرير ملكه فقال الذي اشتراه اما ان تعطوني دراهمي او اكلمه فقالوا

لا نعطيك فقال ايها الملك ابعث من قومك غلاما بستمائة درهم فاسلموه لي ثم اردد كوني
فاخذوه مني ومنعوني دراهمي فقال اما ان تعطوه دراهمه او ليضعن غلامه يده في
يدي فيذهب به فاعطوه فكان ذلك اول عدله هذا او لايذهب عنك ان قوله كنت ارعى به
غنما لسيدي موذن بانه ذهب به الى بلاده واستخدمه ويؤيده قوله ثم جواني امرهم
لاسند عليه طول مدة وان قوله والذي بعثوه عذره موذن بانه لم يذهب به وروى
ابو داود لانه لا يزال يرى على قبره نور وجاءت ايضا في رفع بيت المقدس له كما في
الصحيحين حين وصفه لقريش فكذبوه في اخباره انه اسري به ليلة ثم الى ما شاء الله
ثم رجع الى مكة في ليلة وارتد كثير ممن اسلم واخبروا ابا بكر بذلك فقال لهم والله لقد
صدق انه ليخبرني ان الخبر ياتيه من السماء في ساعة واحدة من ليل او نهار فاصدقه
وهو ابعد مما تعجبون منه ثم قال يا نبي الله صفه لي فرفع له حتى نظر اليه فطفق
يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني
عن اشياء من بيت المقدس فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سالوني عن
شي الا انباتهم به وجاءت ايضا في رفع الكعبة له حتى راها حين بنى مسجده بالمدينة
ليجعل محرابه اليها ورواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع
ابن جبير بن مطعم مرسلا وهو غريب والمعروف ان جبريل هو الذي اعلمه بها واراه
سمتها لا انما رفعت له حتى راها بشهادة ما في جامع العتبية من سماع ملك
قال سمعت ان جبريل هو الذي اقام له قبلة مسجده اي اراه سمتها وبين له جهتها
ولا عليك ان تقول كيف يبين له جهتها ليجعل محرابه اليها قبل نسخ توجهه الى بيت
المقدس اذ قد كان حال بنائه بل وبعد فراغه منه يصلي اليه نحو خمسة عشر او ستة
عشر شهرا الا ان يقال لعله صلى الله عليه وسلم كان يتوقع نسخه وتوجهه الى
الكعبة بشهادة قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول
وجهك شطر المسجد الحرام اذ قويت رغبته فيه فتصور واقعا واخبره جبريل بانه
سيوجه اليها هذا واشكل منه خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين بنى مسجده يومه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة والصواب ان ذلك كان حين
حولت لا حين اذ لا خلاف في انه اول قدومه المدينة كان يصلي الى بيت المقدس الى ان
حولت بعد بنائه مسجده بما ذكر وحكي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يرى في الثريا
احدى عشر نجما وفي التعريف والاعلام انها اثنا عشر وكان يراها كلها ورد بان الحديث
ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لا تزيد على تسعة فيما ذكر بالجملة فذلك لحدة
بصره وقوة نظره وهذه الاخبار كلها محمولة على رؤية العين وهو ذكرا نظرا الى
ما بعده قول احمد بن حنبل وغيره فهي رؤية عين حقيقة وورد الشرع بظاهرها فيجب
القول به واغرب مختار بن محمود شارح القدوري فقال كان بين كتفيه عينان مثل سم
الخياط لا يحجبهما الثياب وذهب بعضهم كالنووي في شرح مسلم الى ردها
الى العلم فهي رؤية علم اي خلق الله له تعالى قوة ادراكية يدرك بها من وراءه وذلك
مما لا تنكره عادة وعقلا وشرعا اذ قد انخرقت له العادة كثيرا والظواهر تخالفه اي
وظواهر هذه الاخبار تخالف ما ذهب اليه البعض وفي مشارق الانوار عن بعضهم انما هو

بالتنانه يسيرا الى من وراءه فكانه قال لا يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم فاني التفت
في اثناء صلاتي التفاتا انظر ما تفعلون واياك ان تلم بها فيهما فانه قاض بتركه
خشوعه فيهما مع انه كان منها على اكمل خشوع واتم خضوع بشهادة حديث وجعلت
قرة عيني في الصلاة وما قدره اهل الزيغ حق قدره اذ قالوا لو كان يرى من خلفه
لما قال ايكم الذي ركع دون الصف فقال ابو بكرة انا يا رسول الله فقال زادك
الله حرصا ولا تعد فلو كان يرى من خلفه لما سال عنه قلنا الحديث بشهادة اخباره
بانه يرى من ورائه حاكم بانه راى رجلا ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه بمن هو
اما لكثرة الصفوف او لبعده عنه او نحو ذلك وقال ابن عبد البر هذا قبل ان يمنحه
الله هذه الفضيلة فقد كانت خصائصه تتزايد في كل وقت ولا احالة لعقل وعادة
وشرع في ذلك اي في كونه رؤية عين وهي من خصائص الانبياء وخصائصهم هذا
صريح في انهم كلهم يرون من وراءهم كما يرون من بين ايديهم قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه الطبراني في الصغير وابو بكر بن يعقوب في الاخبار بفوائد
الاخبار لما تجلى الله لموسى اي ظهر له بلا كيف ولا يعزب عنك ان المتجلي له كما في
الاية انما هو الجبل والتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل سؤال موسى ان يراه كان
يرى النملة على الصفا اي الصخرة الملساء في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ
بردان ونصف لحدة بصره وقوة النور وتقوية الظلام وقال الماتريدي تبعا
للاشعري معنى تجليه للجبل هو انه خلق فيه حياة حتى راه وهو نص على ان رؤيته
ممكنة وموذن بجهل منكريها ودعواهم ان موسى مع علمه بانه تعالى لا يرى وانما
طلبها لقومه اذ قالوا ارنا الله جهرة تبكيتا لهم بمنعهم ويكذبها كونه لم يقل ارهم
ينظرون اليك وكونه لم ينكر عليه كما انكر عليهم اذ قالوا اجعل لنا الها فهذا شاهد
صدق بانه لو بسال لهم وبان رؤيته تعالى جائزة ولا يبعد على هذا ان يختص بها
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من المزايا التي لم يمنحها غيره كالرؤية والدنو
والقرب في هذا الباب اي الثاني لعد الاسرا والخطوة بضم اوله وكسره لما
رأى من آيات ربه الكبرى كما تقدم ومر وقد جاءت الاخبار كخبر ابي داود والترمذي مرسلا
بانه صرع ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف اشد اهل
وقته قال الترمذي اسناده ليس بالقائم وقال البيهقي مرسل جيد
وروي باسناد موصولا الا انه ضعيف والمطلب هذا هو عم عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف وفي سيرة ابن اسحاق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه
فقال لو اعلم ان ما تقول حق لاتبعتك فقال ارايت ان صرعتك اتعلم انما اقول حق
قال نعم فلما بطش رسول الله صلى الله عليه وسلم به اضجعه لا يملك من امره شيئا
ثم قال عد يا محمد فصرعه ايضا فقال يا محمد ان ذا لعجب اتصرعني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعجب من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت امري
قال ما هو قال ادعو لك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله
عليه وسلم فقال لها ارجعي مكانك فرجعت فرجع ركانة فقال يا بني عبد مناف سحر

ما لكم اهل الارض فوالله ما رايت اسحر منه ثم اخبرهم بما راى منه صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم
واما خبر انه صارع ابا ركانة لعله عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف في الجاهلية
اي قبل بعثته وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك اي في كل مرة يصرعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخبر انه صارع ابا جهل فصرعه فلم يصحا بل لا اصل لهما وقال
ابو هريرة رضي الله عنه كما رواه الترمذي في شمائله والبيهقي في دلائله ما رايت احدا اسرع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو صلى الله عليه وسلم غير مكترث اي غير مبال ولا متاثر بمشيه هونا ورفقا
ومع ذلك يسبق من ماشاه كرامة خص بها اذ قد اعطي قوة زائدة على قوى البشر
بشهادة حديث كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا وكان يطوف على نسائه في غسل
واحد وكن تسعا وفي صفته صلى الله عليه وسلم انه كان ضحكه تبسما بشهادة حديث
البخاري قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم هذا وقد وردت
احاديث كثيرة صحيحة بانه كان يضحك كحديث الذي جامع في رمضان وربما يجمع بينهما
بانه كان في اكثر احواله تبسم وفي بعضها يضحك ضحكا اعلى من التبسم ودون الذي
تبدو فيه اللهوات وربما افرط تعجبه فيضحك حتى تبدو نواجذه فلو كان بان
مثله جائز وان الاقتصار في الضحك هو الذي ينبغي وعن عبد الرزاق ان سئل
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون
قال نعم وان ايمانهم لاعظم من الجبال وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
الاسوة الحسنة وانما يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك
فانها تميت القلب واذا التفت التفت معا وفي رواية جميعا اي بجميع بدنه
ينبغي ان يخص هذا بالتفاته وراءه اما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه
واذا مشى مشى تقلعا اي يرفع رجله رفعا بقوة لا اختيالا لا مقارب الخطا لشدة
عزمه كانما ينحط من صبب بفتح المهملة وبموحدتين اي كانما ينحدر من مرتفع
فصل في بيان اساليب كلامه صلى الله عليه وسلم واختلافها باختلاف
مخاطبيه اما فصاحة اللسان اي طلاقته وبلاغة القول اي الكلام لاشتماله
على مفردات فصيحة مطابقا لمقتضى الحال وقد راعى هنا اصطلاح علماء البيان
فخص الفصاحة باللسان لنطقه بالمفرد والمركب وهما يوصفان بها والمتكلم
والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد وهو دون المفرد يوصف بها
كالمتكلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اي من فصاحة
اللسان وبلاغة القول بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل اذ كان من اشراف
قريش ارومة واوسطهم جرثومة سلامة طبع نصب بنزع خافض اي مع او بسهولة
جبلة وانقياد طبيعة وبراعة منزع اي ومنزعا بارعا من برع الرجل بفتح رائه وضمها
اي فاق اقرانه والمنزع بفتح اوله وثالثه الماخذ ووصفه بصفة ذويها للمبالغة
ونسبها اليه مجازا عقليا للملابسة بينهما وايجاز مقطع اي ومقطعا موجزا اي وجيز
اي بكلام قل لفظه وكثرت معانيه والمقطع بفتح ميمه وطائه تمام الكلام ونصاعة

لفظ

لفظ اي ولفظا ناصعا اي خالصا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الالفاظ ومخالفة
القياس وجزالة قول اي وقوة لاجزائه لخلوها من شوائب الركة وضعف التاليف قد
نسجت جزعه على منوال تراكيب العربية وصحة معان اي معان صحيحة لا يتطرق الى الفا ظها
احتمال غير لائق وقلة تكلف فيما يورده من اساليب الكلام وتراكيبه ولو قال وعدم
تكلف لكان احسن وابلغ واوتي جوامع الكلم كالمؤكد لما قبله او المبدل منه ومن ثم
فصله عنه لان من جبلت طبيعته على ما ذكر من الملكات جدير ان يؤتى جوامع الكلم الجوامع
جمع جامعة للمعاني الكثيرة وخص ببدائع الحكم جمع حكمة وهي هنا كمال العلم واتقان
العمل اي بالحكمة البديعة من ابدع اذا اتى بشيء بديع مخترع غير مسبوق بمادة وزمان
ويقابله التكوين لكونه مسبوقا بمادة والاحداث لكونه مسبوقا بزمان وعلم
اي وخص بمعرفة السنة العرب فكان يخاطب العرب كل امة منها بلسانها
ويحاورها اي يجاوبها بلغاتها ويباريها اي يعارضها في منزع اي ماخذ بلاغتها
يقال هو يباريه اي يعارضه ويفعل مثل فعله وهما يتباريان حتى حرف تكون جارة
كالتي في انتهاء الغاية وعاطفة كالواو وقد تكون حرف ابتداء يستانف بها الكلام بعدها
كما هنا كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله
من تامل حديثه وسيره جمع سيرة وفي نسخة وسبره بباء موحدة اي نظر في صناعة
اساليبه وصياغة تراكيبه علم انه شيخ ذلك وتحققه بازالة ريب الافهام وازاحة
غيهب الاوهام وليس فعل ماض للنفي واصله بكسر ثانيه فسكن استثقالا ولا تقلب الفا
لعدم تصرفه من حيث استعماله بلفظ الماضي للحال والحاكم بانه فعل وان لم يتصرف تصرف
الافعال قوله لست لستما لستم كقولهم ضربت ضربتما ضربتم اي لم يكن كلامه صلى الله
عليه وسلم مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار بكسر
ميمه وبمعجمة ساكنة فمهملة او معجمة الهمداني بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همدان
قبيلة من اليمن قدم عليه صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين
فقال هذا وفد همدان ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد وطهفة بكسر اوله
وفتحه وثالثه النهدي قدم عليه بعد فتح مكة وقطن بن حارثة كما قال ابن سعد في
العليمي قدم عليه فسال له الدعاء له ولقومه في غيث السماء في حديث فصيح كثير الغريب
رواه ابن شهاب عن عروة والاشعث بن قيس الكندي قدم عليه مع كثير من قومه
وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم الم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير
في اعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام
جيء به الى ابي بكر اسيرا فعرض عليه فعلاته فلم ينكرها ثم قال يا ابا بكر استبقني و
زوجني اختك فزوجه ثم خرج فلم يلق ذات اربع الا عقرها ثم قال يا قوم
اغدوا وكلوا هذه وليمتي ولو كنت في بلدي لاولمت كما يولم مثلي اغدوا علي فخذوا
اثمان ما عقرت لكم ووائل بن حجر الكندي كذا هنا ولعله تاخير من تقديم اذ هي نسبة
الاشعث ونسبة وائل هو الحضرمي بشر به صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه ثم قدم
فاسلم فدعا له بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت خرج يوما من عند
زياد بن امية بالكوفة واميرها المغيرة بن شعبة فراى عدا يا يتعوق فرجع الى زياد

فقال لمعن اعزاب بنقاك الى خيبر فجاء اليه في يومه رسول معوية ان يسيرهم الى الهرة
واليا انفرد مسلم برواية ستة احاديث عنه وغيرهم اي وليس كلامه مع من ذكر
اولا هو مع من ذكر ثانيا من اقيال حضرموت بفتح همزة وسكون قاف وبتحتية
جمع قيل بفتح اوله وسكون ثانيه ثم بالفتح برصغار الملوك دون الملك الاعظم من
ملوك اليمن وفي الصحاح ان اصله بتشديد اليا اي الذي يقول قوله ويجمع ايضا على
اقوال ومن جمعه اقيال لم يجعل الواحد مشددا هذا وربما وقع في هذه الاسما
واشباهها تصحيف من ناقليها لقلة استعمال الالسنة لها وغرابتها وتوغلها في
الاعرابية حتى ظهرت فيها عنجهية اربابها وعظمتهم وكبرهم وجمعتهم وجهلهم
وترقيبلهم • عش بجد فلن يضرك نوكه • انما عيش من ترى بجدود •
• رب ذي اربة مقل من المال • وذي عنجهية مجدود •
وانظر كتابه الذي بعث به ذا المشعار بعد قومه عليه على ما ذكر ابو عبيدة وغيرهم
الى همدان بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاهل مخلاف خارف ويام واهل جناب الهضب وحقاف الرمل من همدان مع وافدها
ذا المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه ان لكم فراعها اي ما ارتفع من الارض
من فوقهم جبل فارع اي عال فلان فرع قومه اي علاهم ووهاطها بكسر اوله وبطاء
مهملة اي المواضع المطمئنة من الارض واحدها وهط وبه يسمي الوهط كان كرما
كان كرما لعمرو بن العاصي بالطائف او قرية به كان بها وعزازها بعين مهملة مفتوحة
فزايين اي ما صلب من الارض وخشن من فوقهم تعزز لحم الناقة اي اشتد وصلب
وفي الحديث نهي عن البول في العزاز لئلا يترشش تاكلون علافها جمع علف
وهو ما تاكله الماشية وترعون عفاءها اي ما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من
عفا الشي اي خلص وصفا وفي الحديث اقطعتهم من ارض المدينة ما كان عفا الناس
دفئهم فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذلك
مما خصهم به من اراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به نفسه او من معه من
مواشيهم اي من ابلهم وغنمهم صوفا او وبرا وما ينتفع به منها سميت دفا لانه
يتخذ منها ثياب تدفئ به وصرامهم بمهملة مكسورة اي نخيلهم سميت صراما لانها تصرم
اي تقطع واحدة صارمة بمهملة مكسورة وراء ساكنة ومن ثمرتهم وعليه مما
يجوز فتح الصاد ايضا لان الاسم عليه مما مصدر يقول صرمت النخل او الثمر صراما
بالكسر والفتح ما سلموا اي اعطو لنا الميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب
بمثلثة مكسورة فلام ساكنة اي لهم ما وجبت عليهم فيها الزكاة من نعمهم الهرم
من ذكور الابل الذي سقطت اسنانه بمعنى لا يوخذ فيها والناب اي ولهم الهرمة
من اناثها التي طال نابها والفارض اي المسنة من الابل وقيل من لم تعرف بشهادة كافر
ولا بكر والداجن اي ما يالف البيوت ولا يصل الى المرعى والكبش الحوري منسوب
الى الحوز وهو جلود الضان وقيل ما يدبغ من الجلود بغير قرظ اما ورد على اصله
ولم يبدل كما اعل ناب وعليهم فيها اي في نعمهم المدلول عليها بما ذكر وفي الصدقة
الصالغ بمهملة ومعجمة بينهما لام هو ولقال بالسين وهو من البقر والغنم ما كمل

ست

نز ست سنين والقارح اي ما دخل من الخيل في خامس سنة وفي القاموس هو من ذي الحا
بمنزلة البازل من الابل وانظر كتابه صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو نعيم في معرفة
الصحابة والديلمي في مسند الفردوس لنهد اللهم اصله يا الله حذف حرف الندا
وعوض عنه الميم بارك لهم في محضها بفتح اوله وبمهملة فمعجمة اي لبنها الخالص
ومخضها بفتح اوله وبمعجمتين اي ما مخض من لبنها واخذ زبده وهو مما سمي بالمصدر
ويسمي مخيضا اي وهو بتجنيس تصحيف ومذقها بفتح اوله فمعجمة ساكنة وهو مما
سمي بالمصدر ايضا اي ما خلط من لبنها بماء ويسمي مذيقا ايضا وابعث راعيها
اي مالكها لانها رعيته في الدثر بمهملة مفتوحة فمثلثة ساكنة اي المال الكثير
وقيل اراد به هنا الخصب والنبات وافجر له الثمد بمثلثة فميم مفتوحتين اي
الكثير لما المال القليل وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة فصله مما
قبله لكمال الانقطاع بينهما انشا وخبرا اي من واظب عليها لوقتها كان مسلما
ومومنا ايضا اذ ساواهما شرعا وان اختلفا مفهوما واحد وهو الاذعان والانقياد
واعلم اقام بقلب وافقه اللسان ومن اتى الزكاة اي اعطاها مستحقيها او الامام عادلا ليدفعها
لهم وهو افضل كان محسنا اليهم ببذلها لهم ومن شهد ان مخففة من المثقلة
اي انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله كان مخلصا في ايمانه واقتصر على احد
ركنيه لانهم كانوا عبدة اصنام فقصد به نفي الهية ما سوى الله تعالى مع استشهاده
عندهم بانه رسول الله واستيناسه منهم الايمان به بشهادة قدوم كبرائهم
عليه مومنين لكم يا بني نهد بفتح اوله وسكون ثانيه قبيلة من اليمن ودايع الشرك
جمع وديع من اعطيته ودعا اي عهدا ومينا قا اي اقررتكم على العهود والمواثيق
التي كنتم تتعاهدون بها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام قيل ويحتمل ان يريد
بها ما استودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر
بع عليه بلا عهد وشرط بشهادة رواية ما لم يكن عهد ولا موعد ولا يذكر هنا ووضايع
الملك بكسر ميمه مع سكون لامه جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تلزم المسلمين في
املاكهم من صدقة وزكاة اي ولكم الوظايف التي تلزمهم لا تتجاوزوها ولا نزيد عليكم
فيها شيا وقيل بضمها والمعنى ولكم ما وضعه ملوككم في الجاهلية عليكم وما نو
استاثروا به دونكم من مغنم وغيره لا ناخذه منكم ولا تلطط بمثناة فوق مضمومة
فلام ساكنة فمهملتين نهي لم يرد به واحد معينا كما رواه القتيبي بل الكل من ياتي
د توجيهه اليه من الط ولطط اذا منع في الزكاة اي لا تمنعها ورب ما قيل تلطي بابدال
الاخير ياء حذرا من توالي ثلاث طاات نظرا على تقليبه الفا او نهي اراد به المخاطبين
كما رواه غيره وكذا ولا تلحد وما بعده اي لا تظلم ولا تعدل عن الحق في الحياة ولا
تثاقل اي ولا تتكاسل عن الصلوات بل واظب على ايقاعها في اوقاتها وكتب لهم
في الوظيفة الفريضة اي الهرمة المسنة اي هي لكم لا توخذ منكم في الزكاة
وفي رواية عليكم في الوظيفة الفريضة اي عليكم في كل نصاب ما فرض عليكم
والعارض اي ولكم المريضة التي عرض لها افة لا توخذ منكم في الزكاة من قولهم
بنو فلان اكالون للعوارض تعيرا لهم اي هم لا ياكلون الا ما عرض له مرض فنحروه

مونه والفريش بفاء وشين معجمة اي الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء
وقيل ما لا يطيق من الابل حمل الاثقال وهذا هو المعروف في فرش بشهادة ومن
الانعام حمولة وفرشا نعم ورد انه يقال فرش وفريش وقيل ما انبسط على
الارض من نبات لا ساق له وذو العناق الركوب اي الفرس الذلول لا يؤخذ منكم
فيهما والفلو بفتح فائه مع ضم لامه وتشديد واوه او بكسرها مع سكون لامه وتخفيف
واوه يسمى فلوا لانه يفلى اي يفطم ويعزل عن امه الضبيس بمعجمة فموحدة فمثناة
تحتية فمهملة اي المهر الصعب العسر الاخلاق الذي لا يرض لا يؤخذ منكم فيها وقيد
الصفة للغالبية لا للاحتراز اذ غالب احوال الخيل الصعوبة لا يمنع بني لقوله
كالبدع وفصله عما قبله لفقد مناسبة بينهما اذ هو خبر بمعنى النهي سرحكم
من سرحت الماشية بتخفيفها وسرحتها هي يتعدى ولا يتعدى واذا رجعت قلت راحت تروح
واروحتها انا ومنه ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون اي حين تردونها
من مرعاها الى منازلكم وحين تخرجونها اليه اي لا نمنع ماشيتكم السارحة من
مرعى مباح تريده ولا نعدل عنه ولا يعضد طلحكم شجر عظام من شجر العضاه
رقيق اي ذهر تنظر له انوار طيبة الرائحة ولكون العرب يستحسنونه لخضرته
وحسن لونه كنى صلى الله عليه وسلم جبر الخواطرهم عن قطع ما الفوه وعدلهم
بقطعها يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو في الاية الموز وقرئ
بالعين ولا يحبس دركم بمهملة مفتوحة اي لا يمنع ماشيتكم ذوات الدر اي اللبن
من الخروج الى المرعى ليجتمع بموضع يعدها فيه المصدق لبعدها من الاضرار بها
بعدم رعيها وفي رواية لا يحبس دركم اي المصدق ليعدها بل انما يعدها عند اصحابها
ما لم تضمر والرماق براء مكسورة اي النفاق من رامقته رماقا اذا نظرت اليه
شزرا نظر العداوة او الضيق اي ما لم تضق قلوبكم عن الحق من قولهم عيش رماق
اي ضيق ودمق اي بمسكة الروح والنفس وتاكلوا الرباق جمع ربقة وهي في الاصل
اوالحي اي عروة تجعل في خيط يربط بها ما خيف ضياعه من البهم واراد بها هنا
عهود الاسلام ومواثيقه فشبه ما يلزم عنق المكلف من العهد بالربقة فاستعار
له اسمها استعارة تحقيقية مجردة ومشبها نقضه بالاكل كذلك فان البهيمة اذا
اكلت الربقة فقد خلصت من الربط اي ما لم تنقضوا عهود الاسلام التي الزمها
اعناقكم وتخلعوها منها بشهادة حديث من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه ومن اقر منهم بما سنذكر فله الوفا بالعهد اي بما عوهد
عليه والذوا الذمة امانا وضمانا وحرمة وحقا ومن ابى الانقياد والاذعان لما
عليه فعليه الربوة بكسراوله رائه اي الزيادة في الفريضة الواجبة عليه عقوبة
له ومثله حديث الشيخين ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصدقة فقيل
له قد منع احالد وفلان وفلان فقال اما خالد فانكم تظلمونه فقد احتبس
درعه واعتده في سبيل الله واما فلان فما ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله
ورسوله واما فلان فانها عليه ومثلها معها وفي رواية من اقر بالجزية فعليه
الربوة اي من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه

من الزكاة ومن كتابه لوايل بن حجر الذي رواه الطبراني في الصغير والخطابي
في الغريب الى الاقيال جمع قيل وهم رؤسا الملك الاعظم ووزراؤه العباهلة
جمع عبهل هم الملوك الذين اقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه وكذا كل شيء لا يمنع
عما يريد ولا يؤخذ على يده فيما قصد عبهل وقد عبهلت الابل اذا تركتها ترد متى
شاءت والتاء فيه لتاكيد الجمع كقشاعمة جمع قشعم والارواع جمع رائع اي الحسان
الوجوه والهيئات او الذين يروعون الناس اي يفزعونهم بجمالهم ومنظرهم هيبة
لهم وهذا الجمع كانصار واشهاد قليل في كلامهم جدا المشابيب جمع مشبوب اي
الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كانما وجوههم تلالا نورا وفيه اي
في كتابه لوايل في التيعة بفوقية مكسورة وتحتية ساكنة بعدها مهملة اي
الاربعين منها والخمس من الابل شاة لا مقورة الالياط جمع ليط وهو في الاصل
القشر اللازق بعوده اي اللازق به الجلد لا لتزاقه باللحم من الهزال اي مسترخيه
الجلد لهزالها ولا ضناك بكسر المعجمة يستوي فيه المذكر والمونث اي ولا كثيرة
اللحم لكرمها وانطوا الثبجة بمثلثة مفتوحة فموحدة مكسورة وثبج كل شيء
وسطه اي اعطوا في الزكاة الشاة الوسطى التي ليست ردية ولا خيارا والحق
بها التا لانتقالها من الاسمية الى الوصفية وفي السيوب الخمس جمع سيب
وهو الركاز قال ابو عبيدة ولا اراه الا اخذ من معنى العطية اذ السيب لغة
العطا والركاز عطاء من الله تعالى وقيل هي عروق الذهب والفضة تسيب
في الارض اي تتكون فيها وتظهر وقال الزمخشري هي المعدن والمال المدفون
في الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن اصابه ومن زنى مم بكر نكرة عامة هو
لوقوعها في سياق الشرط اثرا وها منونة وابدلت فيه نون من ميما لكثرة استعمال
ذلك لفظا في مثل ما نزلنا من ما اخرجنا من ما كانا فيه سيما اذا كان بعدها باء
كما هنا ولو كان معرفة لقال بالغنم ومن زنى من البكر كما قال ليس من امبر امصيام
في امسفر ومن الجارة تبعيضية او بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطي وترجمته
عنه اي ومن زنى من الابكار فاصقعوه بهمزة وصل ومهملتين بينهما قاف
مفتوحة واصلها الضرب على الراس وقيل بباطن الكف اي اضربوه ماية واستوفضوه
من استوفضت الابل اذا تفرقت في رعيها اي اطردوه او انفوه او غربوه عاما
ومن زنى مم ثيب يجري فيه ما مر في مم بكر اي ومن زنى من ذوي الاحصان
فضرجوه بالاضاميم جمع اضمامة لان بعضها يضم الى بعض او تضرجوه اي
تلطخوه بدمائه ولا توصيم في الدين اي ولا توانى ولا محاباة في اقامة الحدود
وهو بمعنى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولا غمة بمعجمة مضمومة فميم
مشددة وفي رواية ولا عمه بمهملة فميم مفتوحتين منهما وفي رواية ولا غمد
بمعجمة فميم ساكنة فدال اي لا ستر ولا اخفا ولا التباس في فرايض الله بل هو ظاهر
بينة تلالا لا كنور على علم يضي وكل مسكر خمرا او غيره كثيرا او غيره حرام
اي شربه ووايل بن حجر يترفل بفاء مشددة اي يتامر ويترأس على الاقيال
تشبيها لامارته بالثوب في التلبس به فاستعير لها ترفيله وهو اطالته هـ

واسئاله فكانه يرفل فيهما اي يجرد ذيلهما عليه زهوا اين كلامه هذا مع من ذكر
من الاقيال وكتابه لهم من كتاب لانس في الصدقة الذي رواه ابوداود والترمذي
والدارقطني وختمه ولم يدفعه له فدفعه ابوبكر رضي الله عنه بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا بحلاوة جزالة
الفاظ مالوفة وسلاسة تراكيب مانوسة وذاك بمراحل من غلاقة الفاظ غريبة
وقلاقة اساليب في النطق عسرة لانه لما كان كلام هولاء على هذا الحد غريبا
غير مالوف كانت بلاغتهم على هذا النمط وحشي وغير مانوس وكان اكثر
استعمالهم هذه الالفاظ الغير مالوفة ولا مانوسة استعملها معهم جواب لما
ليبين للناس ما نزل اليهم مما امروا به ونهوا عنه وما تشابه عليهم بنص او
ارشاد الى ما يدل على ذلك كالقياس ودليل العقل وليحدثهم بما يعلمون
ليفهموا بيسر وكقوله في حديث عطية السعدي الذي رواه الحاكم
وصححه البيهقي قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ما اغناك
الله فلا تسال الناس شيئا فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي
المنطاة وان مال الله مسئول ومنطى قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغتنا وهو قاض بان العليا هي المعطية والسفلى هي المعطاة ومثله حديث
مالك والشيخين وابي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف
عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هي المنفقة والسفلى هي
السايلة قال ابوداود وقد اختلف على ايوب عن نافع في هذا الحديث
قال عبد الوارث اليد العليا هي المتعففة وكذا قال عن حماد بن زيد عن ايوب
وقال اكثرهم عن حماد هي المنفقة قال الخطابي رواية المتعففة اشبه
واصح في المعنى لان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ذكر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام
على سببه الذي خرج عليه وعلى ما يطابقه في معناه اولى وقد توهم بعضهم
ان معنى العليا هو كون يد المعطي مستعلية فوق يد الاخذ من علو الشيء الى فوق
وليس ذلك عندي بالوجه وانما هو من علا المجد والكرم ويريد التعفف عن
المسئلة والترفع عنها وفي غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هي
الاخذة والسفلى هي المعطية قال وما ارى هولاء الا استطابوا السؤال
فاحبوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه في المشارق الى المتصوفة وقوله كما في
دلائل ابي نعيم في حديث العامري فقال له صلى الله عليه وسلم حين ساله سل عنك اي عما
شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد اي المانوس الاستعمال الجاري
على الالسنة كثيرا وفصاحته المعلومة المخرجة على قوانين العربية وجوامع كلمه
لمعان كثيرة بالفاظ قليلة وحكمه الماثورة عنه الدالة على كمال علمه واتقان
عمله فقد الف الناس فيها الدواوين جمع ديوان بكسر داله وقد تفتح وهو فارسي
معرب اصله دوان عوضت احدى واويه ياء بشهادة جمعه دواوين ولو

كانت

كانت الياء اصلية لجمع دياوين واول من وضعه في الاسلام عمر رضي الله تعالى عنه لحفظ ما يتعلق
بالناس وجمعت في الفاظها الرشيقة ومعانيها الانيقة الكتب ومنها اي من جوامع
كلمه ما لا يوازى اي ما لا يماثل ولا يقابل فصاحة تمييز للنسبة يوازى ولا يبارى
اي لا يعارض بلاغة تمييز للنسبة يبارى كقوله فيما رواه ابوداود والنسائي المسلمون
تتكافأ اي تتساوى دماؤهم في العصمة والحرمة فكل مسلم شريفا او وضيعا كبيرا او
صغيرا حرا او عبدا في ذلك سواء وفي القصاص والدية لا فضل فيهما لمسلم على مسلم
فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم
الدية يخص منها العبد اذ لا يكافئ حرا ويسعى بذمتهم ادناهم كعبد
وامراة فاذا اعطى احدهم امانا فليس لاحد منا اخفاره اي نقض امانه لشهادة حديث
البخاري ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين وهو منكر عام بشهادة نصه فيهما على الادنى ووقوع
مسلما في الثاني نكرة في سياق الشرط وقد اجاز عمر رضي الله عنه امان عبد على جميع
الجيش والنبي صلى الله عليه وسلم امان ام هانئ يوم الفتح مع حديث الترمذي ان المراة
لتاخذ على القوم اي تجير على المسلمين وابي داود ان كانت المراة لتجير على المومنين فيجوز
من امان الاحاد ولو فاسقا ومحجورا عليه بسفه او فقيرا او مريضا وشيخا هرما انما
يجوز لكافر او كفرة محصورين كمائة لا امان لبلد او ناحية حذرا من انسداد باب الجهاد
قال امام الحرمين ولو امن مائة الف فكل واحد لم يومن الا واحدا لكن اذا ظهر الخلل
رد الجميع قال الرافعي وهو الظاهر ان امنوهم معا فان صدر مرتبا فينبغي
صحة الاول فالاول الى ظهور الخلل واختاره النووي ثم قال وهو مراد الامام وهم يد
على من سواهم اي هم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم في وجوب الاتفاق
بينهم تعاونا وتعاضدا وتناصرا على من ناواهم وعاداهم كيد واحدة لا يسعهم ان يخذل
بعضهم بعضا بل يجب ان ينصر كل اخاه قال تعالى انما المومنون اخوة فهو من باب
التشبيه وقوله فيما رواه ابن لال في مكارم الاخلاق الناس كاسنان المشط
تماثلا وتساويا كما اي متساوون في اجراء الاحكام عليهم وفيما رواه الشيخان
المرء مع من احب في الجنة او في كل موطن خير او هي معية نسبية فمحبة بعضنا بعضا
ان لا نخالفه فيما يرضي الله ورسوله ومحبتنا لهما اتباعنا لاوامرهما واجتنابنا
نواهيهما ومحبتهما لنا توفيق الله تعالى لنا ورضاه عنا وارشاد رسوله لنا وفيه
حث على المحبة في الله وان الله يتفضل على من احب قوما ان يلحقه بهم في منازلهم وان لم
يكن له كاعمالهم وفيما رواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف لا خير في صحبة من لا يرى
لك مثل ما ترى له كجاهل قدمه المال وبذل الرشوة في فضائل دينية كناظر لم يمنعها
اهلها العلماء واعطاه مكافاة لرشوته فترأس وتصدر وتكبر عن ان يرى لاحد مثل
ما يرى له وتشبه بالظلمة في بسطهم وملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا
فما ابعده عن قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا وفيما رواه الشيخان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم
في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم قافه ومعدن كل شيء اصله اي اصول

يوتهم الشريفة تعقب امثالها ويسري كرم اعراقها الى فروعها لكن لايكون فيه خيار بمجرد
ذلك ومن ثم فرع بقوله اذا فقهوا اي مارسوا الفقه وتعاطوه فاذا اسند الى انه لاخيار فيه
الا بالفضل والتقوي فمن اتفق له ذلك مع اصل حميد شريف الاعراق كملت فضيلته
وربما يفضله عن غيره وفيما رواه ابن السمعاني في تاريخه بسند فيه من لايعرف حاله
ماهلك امرؤ عرف قدر نفسه فلازمته كيف رتبته وكتب عمر بن عبد العزيز الى
ولد وقد بلغه انه اتخذ له خاتما من فضة ثمن ليس بشي الي من لا قيمة له اما بعد
فانه بلغني انك اتخذت لك خاتما من فضة فاذا وصلك كتابي فبعه واشتر به طعاما
واطعمه المساكين واتخذ لك خاتما من حديد واكتب عليه رحم الله من عرف نفسه
فاستراح وفيما رواه الاربعة والحاكم المستشار موتمن على ما استشير فيه استظهارا
به وهو بالخيار بين ان يشير بالصلاح وان لايشير به شهادة رواية احمد وهو بالخيار
ان شاء تكلم وان شاء سكت وان تكلم فليجتهد في رايه فيما شاهد اصدق بان الاشارة
به بمجرد الاستشارة غير واجبة مالم يتكلم اي مالم يعزم المستشار على الاشارة به فاذا
عزم وجب ان يجتهد رايه فان اخطا فلا غرم عليه هذا وحديث ابي الهيثم بن التيهان
انه صلى الله عليه وسلم وهبه احدي عبدين فقال اختر لي يا رسول الله فقال ان
المستشار موتمن خذ هذا فاني رايته يصلي واستوص به معروفا وغيره مما ظاهره
الوجوب بالاخبار محمول على انه صلى الله عليه وسلم عزم على ان يشير عليه فوجبت
شهادة قوله في رواية احمد فاذا تكلم اي عزم المتكلم فليجتهد رايه وفيما رواه ابو
الشيخ في الثواب والديلمي رحم الله عبدا قال خيرا فغنم بسبب قوله الخير او سكت
عن ما لاخير فيه فسلم بسبب سكوته عن ذلك وقوله فيما رواه الشيخان في كتابه
لهرقل اسلم بفتح همزته من الرباعي تسلم بفتح اوله من الثلاثي جواب الامر او شرط
مقدر مع ان بعده اذ يجوز تقديره مع ما بعد كل كلام طلبي كالتمني والاستفهام والامر
والنهي اي ان اسلمت وفيه تجنيس التحريف باختلاف حركة اللام كحركة الباء بالبرد والبرد
في قوله جبة البرد جنة البرد وفيه تلويح بانه ينبغي سلوك منهج البلاغة على تجانس
الفصاحة ولمسلم واسلم يوتك جواب الامر او شرط مقدر بعده وللبخاري في الجهاد
واسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين مرة لايمانه بنبيه عيسى ومرة بايمانه به صلى
الله عليه وسلم وفيما رواه الترمذي ان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة
احاسنكم جمع احسن اخلاقا الموطئون من التوطئة بمعنى لين الجانب اكنافا جمع
كنف اي جانبا واخلاقا واكنافا تمييز النسبة احاسن وموطئون نحولا عن اصلهما ه
للاعراق في وصفهم بالاحسنية ولين الجانب اي احبكم الي واقربكم مني يومها ذوو ا
الاخلاق الاحاسن والجوانب الوطية الذين يالفون ويولفون لحسن اخلاقهم وسهولة
طباعهم ودقة قلوبهم ولين جوانبهم بحيث يتمكن باكنافهم من يالفهم لايشوبه بغاضهم
ولايفزعه لومهم زاد الطبراني في مكارم الاخلاق وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا
يوم القيمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون اي المكثرون كلاما المتشدقون
قولا حتى يملا اشداقهم به زاد الترمذي قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون ه
والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون ولا ينافي هذا ما مر انه اذا المعجب بنفسه

يدعوم اعجابه الى ان يتكبر وقوله فيما رواه البيهقي في شعبه اصيب رجل يوم احد
فقالت امه يا بني لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه بفتح اوله من عناه الامر اذا تعلقت به
عنايته وكان من غرضه وارادته بانبعاث هوي نفسه اليه موثرا له على ما يهمه مما
لم يعنيه ويبخل بما لايغنيه من امر دينه ودنياه من اقوال وافعال وتوسع في
الدنيا وطلب رياسة وحب محمدة وغير ذلك مما يجلب له شرا او لايذهب عنه ضرا اذ
قد يكون سببا لاعراض الله تعالى عنه بشهادة قول الحسن من علامة اعراض الله ه
تعالى عن العبد ان يجعل شغله فيما لايعنيه وهذا الحديث مما اعطيه من الجوامع
ولم يسبق اليه وان كان في صحف ابراهيم من حسب كلامه من عمله يوشك ان يقل
كلامه فيما لايعنيه فانه خاص بالكلام وفي هذا المقام مزيد بيان ذكرته في شرح
الاربعين فلا يصرفه في مصارفه ففيه حث على الاقتصار في الكلام وعلى الصدقة
والمواساة والاحسان الى ذوي الخلاق والاعتناء بمصالحهم والسعي في قضاء حوائجهم
وله ايضا كالترمذي توفي رجل فقالوا ابشر بالجنة فقال اتدرون فلعله تكلم فيما لا
يعنيه او بخل بما لاينقصه قال وهذا هو المحفوظ وبين يعنيه ويغنيه جناس
غريب لاختلاف حركة لهما ولاحق لاختلاف المهملة والمعجمة مخرجا اذ تلك من اقصى
الحلق وهذه من اعلاه وقوله فيما رواه الشيخان ذو الوجهين هو من ياتي كلا
بما لايحب من خير او شر لايكون عند الله وجيها اي لايكون عنده ذا قدر ومنزلة
ولاخفاء في ذمامة هذا فانه قبيح مرغوب عنه دون ما كان مداراة واصلاحا بين
الناس ونهيه فيما رواه الشيخان عن قيل وقال اي عما يتحدث به في المجالس
كقيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما فعلان ماضيان في كل منهما ضمير
ويجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسماء ولاضمير فيهما وعن ابي عبيدة انهما مصدران
تقول قلت قيلا وقالا وفيه ارشاد الى حفظ اللسان من كثرة الكلام بما لايجدي
نفعا وقيل اراد النهي عن كثرته ابتداء وجوابا وقيل عن حكاية اقوال الناس والبحث
عن ما لاخير فيه وكثرة السوال عن ما بايدي الناس او عن اخبارهم او عن المشابهات
والتكلف في تخرجها او عن سواله صلى الله عليه وسلم عما لم ينزل ولم يوذن فيه ه
بشهادة وسكت عن اشيا رحمة لكم من غير نسيان فلاتبحثوا عنها واضاعة المال
بصرفه فيما نهى الله ورسوله عنها او باهمال له وترك القيام به وتنميته او نحو
ذلك كدفع مال السفيه له ومنع وهات اي منع ما يجب اعطاوه وطلب ما ليس له
وعقوق اي عصيان الامهات جمع امهة وخصهن لان عقوقهن اقبح من عقوق
الاباء لانهن اكثر حنوا واعظم عطفا بشهادة من احق الناس بحسن صحابتي يا رسول
الله قال امك ثم من قال امك ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك ووأد البنات
بهمزة ساكنة بعد واو مفتوحة اي دفنهن حيات انفة وغيرة ومنهم من وأدهن
لونهن وخشية الاملاق وقوله فيما رواه احمد والترمذي والحاكم اتق الله حيث
ما كنت امر له او به او لكل من يتوجه الامر اليه ليعم كل مامور وافراد الضمير باعتبار
كل فرد اي اتقه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه في كل مكان واوان فانه معك اين كنت

وما زاد بشهادة رواية حذفها وتقواه متضمنة لما دل عليه حديث ان الله كتب الاحسان
على كل شيء ولما دل عليه حديث جبريل من الايمان والاسلام والاحسان فاذا اتيت
بما امرك به واجتنبت ما نهاك عنه فقد اتيت بجميع احكام التكليف واتبع السيئة
الصادرة منك صغيرة او كبيرة على ما شهد به ظاهر الحديث اي الحق الحسنة اياها
صلاة او صدقة او استغفارا او تسبيحا تمحها بجزوم مجزوم فاو اوج جوابا للامر
او جوابا بالشرط مقدر مع ان ما بعده اي ان تتبعها الحسنة تمحها بشهادة قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات وحديث ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يغدو الى
مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ورفعه بها درجة
وحط عنه بها سيئة هذا ثم ظاهره انها تمحوها حقيقة بعد كتبها لانه المتبادر الى
الفهم اذ الاصل الحقيقة ويجوز ان يكون محوها كناية عن ترك المواخذة فلا تمحى ليوم
القيامة ثم ظاهره ايضا انها لا تمحو الا سيئة واحدة والتضعيف لا يمحو اشياء من
السيئات وليس مرادا بل هي تمحو عشر سيئات بشهادة حديث تكبرون دبر كل صلاة عشرا
وتحمدون عشرا وتسبحون عشرا فذلك مائة وخمسون باللسان والف وخمسمائة في
الميزان ثم قال ايكم يعمل في اليوم الواحد الفا وخمسمائة سيئة فانه شاهد صدق
بان التضعيف يمحوها وخص من عمومه السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها
الا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة ان امكن والا فقد قال الايمة ينبغي ان
يكثر من الاستغفار والدعاء وان يكثر من الحسنات بشهادة حديث اذا اغتاب احدكم
من اغتابه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وفي هذا المقام مزيد فوائد ذكرته في شرح
الاربعين النووية وخالق الناس اي عاشرهم وعاملهم بما يجب ان يعاملوك به
بخلق حسن بطلاقة وجه وكف اذى اذ بذلك اجتماع القلب واتفاق الكلمة وانتظام
الاحوال وذلك جماع الخير وملاك الامر والخلق الحسن وان كان سجية جميلة طبع
عليها الانسان ففي الحديث تلويح بانه يمكن اكتسابه والا لما صح الامر به كما هنا
وفي حديث يا معاذ حسن خلقك للناس على ما مر وفيما رواه ابن السمعاني تاريخه
خير الامور اوساطها لانها ملكات محمودة كل منها بين طرفي افراط وتفريط كالكرم
بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وقوله فيما رواه البخاري
في الادب المفرد والترمذي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه احبب حبيبك هونا ما
هو في الاصل السكينة نصب على المصدر لان معناه احبب قليلا صفة لما اشتق منه
احبب وما مزيدة لتاكيد معنا القلة اي احببه حبا قليلا او على الظرف لانه من صفات
الاحيان اي احببه في حين قليل ولا تسرف في حبه فانه عسى ان يكون بغيضك
يوما ما والبغض نحو بغضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما اذ ربما انقلب
ذلك بتغير الاحوال بغضا فلا تكون قد اسرفت في بغضه فتستحيي منه اذا احببته
وقوله فيما رواه الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة على اصحابه فلا يهتدون
بسببه يوم يسعى نور المؤمنين بسبب ايمانهم بين ايديهم ويحتمل ان يراد بها الشدائد
كما اريدت بها في اية قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدائدهما وان يراد بها
الانكال والعقوبات في النار وجعله نفسها يحملها عليه مبالغة لكونه سببا لها

ثم ظاهر عموم ظلم النفس وغيرها لكن ذلك اقرب للعفو من هذا اذا كان مبنيا على
المسامحة وقوله فيما رواه الترمذي وغيره اللهم حذف حرف النداء وعوض عنه
الميم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي اي توفق بها قلبي اليك وتقربه لديك
او توفقنا بينة على الحق والا فقد كان صلى الله عليه وسلم من الهدى على اتم حال وانهم
بال وكفاك به شاهد ابان الهدى والاضلال من الله تعالى وان ما ينعم به على عباده
ولو في مقابلة طاعة محض فضل منه اذ له ان لا يثيب عليها فان الثواب ليس حقا
لازما عليه لهم يقبح تركه وترتيبه عليها انما هو في مجاري العادات من غير وجوب
عليه وبهذا ظهران قوله من عندك ليس معناه رحمة لا في مقابلة طاعة واذ زعم
لاشعاره بان ما كان في مقابلتها ليس بمحض الهدية والفضل بل ذلك لسببه تشريف
وتعظيم وتنويه وتكريم وتجمع بها امري اي تجعل بها حالي وشاني جميعا لا تشتت
فيه وتلم مضارع ثم ثلاثيا بها شعثي اي تجمع بها ما تفرق من امري وتصلح
بها غائبي اي بالايمان والاخلاق المرضية والملكات المرضية وترفع بها شاهدي
اي ظاهري بالاعمال الصالحة والهيئات المطبوعة والحلي الحسنة او اراد بها في
الاخرة بالرضى والنبوة مع الملاء الاعلى وفي الدنيا بالفوز والنصر على الاعداء وتزكي
بها عملي اي تزيد ثوابه وتنميه او تنزهه وتبعده عن شوائب الريا وتلهمني
بها رشدي الى ما يرضيك عني ويقربني اليك زلفى وترد بها الفتى بضم
الهمزة وكسرها مصدر بمعنى مفعول اي اليفي او مالوفي اي ما كنت الفه وتعصمني
بها من كل سوء يصونني عنه وصرفه عني اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء
اي النجاة مما قدرته علي وامضيته في الازل واسالك نزل الشهداء بضم النون
والزاي وقد تسكن وهو في الاصل ما يعد للضيف اراد به ما للشهداء من جزيل
الثواب وجميل الماب وقد فاز به صلى الله عليه وسلم اذ هو منهم مع ما منحه من
فضائل لا تحصى وفواضل لا تستقصى واسالك عيش السعداء هنيئا مريئا في الدنيا
والاخرة واسالك النصر على الاعداء بالقهر والغلبة هذا وكراهة ابن عباس وغيره
السجع في الدعاء محمول على ما اذا تكلفه واشتغل به عن الخشوع وصرفه عن قصده
الى ما رونقه الكافة عن الكافة اي جميع الرواة عن جميعهم وعن سيبويه لا يجوز
استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحال ومما لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم
نزل من ذلك اي مما ذكر مرقبة بقاف بعد راء بمعنى مرتبة شاء هدها وقد
وجدت نسخه لا يناس بها اي بتلك الرتبة غيره عليه فنزلها كلا فانها الثريا
من يد المتناول وحاز بها سبقا بفتح سينه وسكون بائه مصدر سبق وبفتحهما
ما يجعل من المال هنا في المسابقة لا يقدر مبني للمفعول هو قدره النايب عن فاعله
وقد جمعت بتاء انيث ساكنة مبنيا للمفعول من كلماته من تبعيضية او زائدة
وانث الضمير نظرا الى الكلمات التي لم يسبق اليها لاما بهما مجرى البلاغة
ويوجب حسن الفصاحة ولا قدر احد ان يفرغ اي يصب في قالبه عليها ابروزها
عنه في ابريز تركيب انيقة وتمييز اساليب رشيقة متاخية كمالا وحزالة ومتانة
فخامة وسلاسة لا تمتنفحوا اليها رياح الافكار ولا تزف لديها نعام الانظار والقالب

بفتح اللام اكثر من كسره مثال بحمل عليه الشيء فيحاكيه كقوله يوم حنين في رواية مسلم
والبيهقي الان حمي الوطيس هو في الاصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة
وقودها فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا وقرنها بالحمو
ترشيحا للمجاز وفيما رواه البيهقي في شعب الايمان مات حتف انفه اي بلا مباشرة
قتل قال ابن عتيك راويه والله ما سمعتها من احد من العرب قبله
هنا ولم يلزم من كونه لا يسمعها من احد قبله انها لم تقل قبله اذ قد وردت في قول
السموأل • وما مات منا سيد حتف انفه • ولا طل منا حيث كان قتيل •
وقيل هي لعبد الملك الحارثي وفيما رواه البخاري وغيره لا يلدغ المومن من جحر مرتين
هو ما خبر معناه ان المومن الفطن هو المتيقظ الحافظ الذي لا يوتى من جهة الغفلة
فيخدع مرة بعد مرة وهو لا يشعر او نهي معناه لا يخدع المومن ولا يوتى من جهة الغفلة
فيقع في مكروه وهو لا يعلم فليكن حذرا يقظا في امر دنياه واخرته وسبب الحديث
ان ابا عزة الجمحي اسر ببدر فمن عليه النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض
عليه فعاد ثم اسر باحد فقال يا رسول الله غلبت قلبي فقال لا ادعك تمسح عارضيك
بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المومن لا يلدغ من جحر مرتين ثم امر بضرب عنقه
قيل وهذا السبب يضعف الثاني ويقويه انه صلى الله عليه وسلم لما راى من نفسه
ميلا الى الحلم والعفو عنه جرد منها شخصا حازما ونهاه عنهما ثانيا فليس
من شيمة المومن الحازم الذي يغضب لله ويذب عن دينه ان ينخدع لغادر متمرد
مرة بعد اخرى فانتقم من عدو الله ولا نعفو عنه فان مقام الجزية والغضب لله يابى
الحلم والعفو ومن ثم قال ذو الرمة •
• ولا خير في حلم اذا لم يكن له • بوادر تحمي صفوه ان يكدرا •
• ولا خير في جهل اذا لم يكن له • حليم اذا ما اورد الامر اصدرا •
وقد شبه فيه جهة الغفلة بالحجر فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية ثم
قرنها بما يلائمه وهو اللدغ ترشيحا للمجاز وفيما رواه الديلمي السعيد من وعظ
بغيره اي من نصحته النوائب اللاحقة وذكرته عواقبها للاسوة فاتعظ اي قبل الموعظ
والشقي من وعظ به غيره لانهماكه فيما يردي به معرضا عما ينجيه في اخواتها اي
اخوات هذه الكلمات الثلاث اي جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات
ويا خيل الله اركبي والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن ما يدرك الناظر يحتمل ان يكون
هو الفاعل اي جعل الادراك بمعنى الحوق اي يلحقه العجب اذا نظر في مضمونها من
المعاني البديعة ويذهب به اي بالناظر الفكر ولا بد من الضمير اي يذهب
فكره ناظرا في اداني حكمها جمع حكمة فيتعجب في تامله فيها هذا شان الادانيها فما
الظن باقاصيها وقد قال له اصحابه كما رواه البيهقي في شعب الايمان ما راينا الذي
هو افصح منك مبتدا وخبر بما صلة الموصول وعايده ضمير افصح فقال وما يمنعني
ان اكون افصح او ان تروني او اذ لا تروا افصح مني وانما انزل القران الذي هو في
اعلا درجات البلاغة بلسان عربي مبين اي واضح وقال مرة اخرى كما رواه اصحاب
الغريب ولم يعرف له سند انا افصح العرب بيد اي كما في مشارق الانوار لاجل او كما

في المعنى من اجل او كما في النهاية وغيرها غير اني من قريش ونشات في بني سعد
وللطبراني انا اعرب العرب ولدت في قريش ونشات في بني سعد فانى ياتيني اللحن
فجمع له بذلك قوة عارضة اي جلادة وصرامة كلام اهل البادية وجزالتها التي
ضد الركاكة ونصاعة اي خلوص الفاظ الحاضرة من شوائب الركة ورونق اي
حسن كلامها فضلا عن ذلك الى التايد الالهي الذي مدده اي زيادته المتوالية
الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري لقصورهم عنه وقالت ام معبد رضي الله
تعالى عنها في وصفها له حلو المنطق شبهت كلامه لحسن رونقه ورقته وعذوبته
وسلاسته ... على وتيرة الاستعارة المكنية بذي حلاوة واثبتت له تخييلا
فصل اي مفصول بين ما يتبينه من خوطب به من غير التباس عليه مراعا
فيه مظان خواصه من وقف وفصل ووصل واستيناف وحذف ونحوها لا نزر
اي لا قليل يلوح بخلل ولا هذر يشعر بملال كان منطقه اي منطوقه خرزات
نظمن لصدور كلماته من محالها متتابعة متناسقة متتالية متوافقة ومن ثم
شبهه بخرزات منظومة تشبيها بليغا وكان جهير الصوت لما نزل العرب تتمدح
به وتذم ضده ... الصوت حسن النغمة اي الصوت بكلام تتقبله السماع وتالفه
الطباع فصل واما شرف نسبه ابا وامهات اي وشرف بلد مكة وشرف
منشاته في بني سعد فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا يخفى
منه فانه نخبة اي خيار بني هاشم وسلالة قريش وصميمها اي خالصهم سلالة
من خالصهم افضل العرب صفة لقريش واعزهم نفرا تمييز النسبة اعز الى
نزاية من قبل اي من جهة ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى
عباده وكفاك بموسه شاهدا بان المدينة من مفضول لانها لا تحوي بدنه الشريف
هذا وعن المحب الطبري ان بيت خديجة يلي المسجد الحرام في الفضيلة وقد اورد هنا
احاديث البخاري مسندا وهو بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا اي من
خير طبقاتهم كاينين طبقة بعد طبقة حتى كنت من القرن الذي كنت فيه اذ القرن
اهل كل زمان من الاقتران لانهم يقترنون في اعمارهم واحوالهم في زمان واحد
قال • اذا ذهب القرن الذي انت منهم • وخلفت في قرن فانت غريب •
وحتى هنا غاية لبعثت واراد به تقلبه في اصلاب ابائه حتى ظهر في القرن الذي وجد
فيه كانتقاله من ادم الى شيث بالنون بن اسماعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر
ثم من عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فالفاء في قوله فقرنا للترتيب في الفضل
تنزلا من ابعد ابائه الى اقربهم فاقربهم كما في نحو خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن
فالاجمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والصافات
ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات اكمل فضلا وقوله •
• كم من اب قد علا بابن ذوي شرف • كما علا برسول الله عدنان •
والكافل بذلك ما رواه البيهقي في دلائل النبوة والترمذي وحسنه ان الله خلق
الخلق انسا وملايكة وجنا فجعلني من خيرهم ... الانس من خير قرونهم بدل مما قبله
ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة من العرب وهم قريش ثم تخير البيوت اي ...

فجعلني من خيرهم بيتا فانا بفضل الله علي ولطفه في سابق علمه خيرهم نفسا اذ
جعلني نبيا ورسولا خاتما للرسل فتم بي دايرة الرسالة وجعلني نقطتها وخيرهم بيتا
اذ جيت من طيب الى طيب الى صلب عبد الله بالنكاح من اشرف القبايل والبطون
والافخاذ والفصايل فقوله ثم تخير القبايل بعد قوله فجعلني من خيرهم اشارة الى
الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن
والفخذ والفصيلة فكل طبقة تجمع ما بعدها فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وما رواه الترمذي واللفظ له
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم وكانوا ثلاثة عشر اسماعيل اذ كان رسولا
نبيا الى جرهم وعماليق الحجاز واصطفى من ولد اسماعيل كنانة بن ثابت
واصطفى من كنانة قريشا بن النضر واصطفى من قريش من بني هاشم ابن عبد
المطلب وما رواه محمد بن جرير الطبري والطبراني في معجمه الكبير والاوسط
ان الله اختار خلقه اي اختار منهم طايفة فحذف الجار واوصل الفعل اليه ثم
بين المختار بقوله فاختار منهم بني ادم لان البيان بعد الابهام اوقع في النفس
لالتفاتها اليه ثم اختار بني ادم اي منهم ثم بينه بقوله فاختار منهم العرب
ثم اختار العرب الجيل المعروف سواء اقام بالبادية ام الحاضرة ولا واحد له من
لفظه والنسبة اليه اعرابي وعربي منهم من بينه بقوله فاختار منهم قريشا
هم ولد النضر بن كنانة سموا قريشا لان قصيا قرشهم اي جمعهم في الحرم اذ كانوا
متفرقين ثم اختار قريشا اي منهم ثم بينه بقوله فاختار منهم بني هاشم
ثم اختار بني هاشم اي منهم ثم بينه بقوله فاختارني منهم فلم ازل خيارا
من خيار ويجوز ان يكون اختار خلقه بمعنى تخيرهم فاختار منهم بني ادم وهكذا
الا حرف استفتاح وتنبيه على تحقق ما بعده من احب العرب فبحبي اي بسبب
حبه اياي احبهم ومن ابغضهم فببغضي اي فبسبب بغضه اياي ابغضهم اي انما
احبهم لانه احبني وانما ابغضهم لانه ابغضني فحق لذلك قول بعض المالكية
من سبهم وجب قتله وروى ابن ابي عمر العدني في مسنده عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى مستقادا بما
بين الجهتين المسامتتين لبدن الانسان تحت نميا لسانهم وتلوحا بانهم من
الله بمكان يوجب اجلالهم قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملايكة بتسبيحه اي بقوله من التسبيح او بسببه فلما خلق الله ادم
القى ذلك النور في صلبه ظاهر الحديث انهم كانوا من كنت مومنا وكافرا ولعله عام
اريد به من كنت مومنا اذ لا تعظيم ولا اجلال للكافر او اريد به من قذف في اصلابهم
من ابايه منهم بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الى الارض في صلب ادم
الى قوله حتى اخرجني من ابوي لم يلتقيا من ادم وحوا الى عبد الله وامنة على
سفاح قط تاكيدا اعني التقاء كل ابوين من ابايه على زني في زمن من الازمان ويشهد
بصحة هذا الخبر شعر العباس المتقدم وسيأتي في مدحه صلى الله عليه وسلم
فهذا واما ما تدعو اليه الحاجة مما فصلناه فيما تقدم فعلى ثلاثة اضرب

اي

اي اصناف وفي اكثر النسخ ثلاثة ضروب استعمالا لجمع الكثرة مكان جمع القلة وكثيرا
ما يقام كل منهما مقام الاخر كما في يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وضرب المفضل
في قلته اورده هنا وضرب الفضل في كثرته اورده في فصل ثان وضرب تختلف
الاحوال فيه اورده في فصل ثالث فاما ما اورده هنا وهو ما المدح والكمال في
قلته اتفاقا من العرب وغيرهم وفي قلته على كل حال باصل الخلقة او المجاهدة
عادة وشرعا كالغذا المتقدم كونه بمعجمتين وبمعجمة ومهملة والنوم ولم تزل
العرب والحكما تتمادح وتتفاخر بقلتهما وتذم كثرتهما لان كثرة الاكل والشرب
دليل على النهم بفتحتين اي الافراط في الشهوة والطعام والحرص والشره بفتحتين
اي غلبة الحرص وغلبة الشهوة اما عطف على ما قبله فيكون سبب خبرا ثانيا لان او كثرة مي
مبتدا اذ كون خبرا له وذكره كدليل اما لان بمعنى كثير وغلبه بمعنى غلب او لانه صفة
لمحذوف اي امر سبب لمضار الدنيا ما يعصو تعاطيه فيها ويترتب عليه مضار الاخرة
جالب عطف على دليل او على مسبب لادوا الجسد كالمرض وخثارة النفس اي ثقلها
بلا طيب ونشاط وامتلا الدماغ من رطوبات ابخرة متصاعدة تورث باسترخاء
اعصابه بها النوم المفوت لخير كثيرة وقلته عطف على كثرة الاكل او على ان واسمها
وقليل الاكل دليل على القناعة وملك النفس اي وعلى قدرتها وحكمها على الامتناع
من ميلها الى الشهوات وقمع الشهوة عطف على ما قبله سبب خبرا ثانيا لقلته
او مبتدا اخر سبب للصحة من الالام والاسقام وصفا الخاطر من الكدورات
المتولدة من كثرته بانهماك النفس في الملاذ وحدة الذهن اي ذكايه وهي شدة قوة
للنفس معدة لاكتساب الاراء كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة اي الرذالة والفهه
وعدم الذكا عطف على ما قبله والفطنة عطف عليه وسبب خبر ثان لان او عدم الذكا
مبتدا خبره مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر لان النفس اذا توجهت الى
معرفة ومزاولة عمل ولم تجد له الة من صدق تخيل وصحة فكر وجودة حفظ لفقد
اعتدال المزاج فترت عنه واعتادت الكسل مع العجز واضاعة العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته عما يجري نفعا ويحيي ذكرا وموته بفقد مواتاة مزاجه وعدم غايته
ميلا الى الراحة والهوينا واخذا لانها لا تعبي والشاهد على هذا اي على كثرة الاكل
والنوم يورثان ما ذكر ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة منا ومن امثالنا وينقل
الينا متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكما السالفين كقول الحارث بن كلدة
افضل الدواء اللازم اي قلة الاكل وقول بعض الحكما خصلتان يقسو بهما القلب
كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام
اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم واشعار العرب
واخبارها كقول الاعشى من ابيات يرثي المنتشر بن وهب
تكفيه حزة لحم ان الم بها • من الشواء ويروي شربه الغمر
وقول قس بن ساعدة وقد قال له قيصر ما افضل الاكل قال ترك الاكثار
منه قال فما افضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما افضل العقل قال
وقوف الانسان عند علمه وصحيح الحديث ابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شريب

مما لا يغني لاستشهاد العلم به وكان صلى الله عليه وسلم اخذ من هذين الفنين اي الاكل
والنوم بالاقل لما يورثه من الملكات الرضية والسعادات المرضية وهذين من هذين
الفنين للتخطير عنوما اذا اراد الله بعبد امتلا وما هذه الحياة الدنيا بحقير او تقصيرا
لها عن ساحة التعظيم ومن ثمرة الكفي بادني ما هو من لذاتها وهي شهوتها تمثيلا
هوانا وعدم مبالاة بها هذا اي الذي اخذ به منهما ما لا يدفع شهوته بيان
لما حال من ضمير لا يدفع بشهوته بتواتره تعلمته وهو الذي امر به وحض عليه لما
ينشا عنه من خفة القلب وصفا البصيرة ونشاط البدن وانقياد القريحة هم
لاسيما بارتباط اي لاسيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما
بالاخر من حيث ان النفس اذا شبعت وكملت شهوتها تشوقت الى الراحة بالنوم
وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتخسر كثيرا وتندم عند الموت كثيرا الغفلة زادها
بشهادة ما اسنده هنا من طريق الطبراني واللفظ له ورواه النسائي والترمذي
والحاكم وصححاه ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه لما فاته من خيور كثيرة جعله
اولا وعاء كالاوعية البيت تحقيرا له وتهوينا لشانه ثم جعل شر الاوعية لانها استعملت فيما
هي له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب بالطعام فامتلاوه يفضي الى فساد الدين والدنيا
فيكون شرا منها حسب ابن ادم اي يكفيه اكلات بضم الهمزة مع ضم الكاف وفتحها جمع اكلة
بالضم لما يجعل في الفم واما بالفتح فهي المرة من الاكل يقمن صلبه اي ظهره تسمية للكل
باسم جزيه اذ كل شي من الظهر فيه فقار فهو صلب كناية عن انه لا يتجاوز ما يحفظه
من السقوط ويتقوى به على طاعة ربه فان كان لا محالة عن التجاوز عما ذكر فثلث
مبتدا اي ثلث منه لطعامك التفات من الغيبة الى الخطاب اعتبارا بشان المرشد اليه
وانه الذي لا ينبغي لمن خوطب به ان يتجاوزه ولم يرد به مخاطبا معينا بل كل من يأتي
توجيهه اليه وثلث لشرابك وثلث لنفسك ليحصل لك نوع صفاء ورقة وكسر
شهوة واستيلاء على نفسك الامارة بالسوء وتيسر مواظبة على العبادة وصحة بدنك
وتخلص من قسوة قلبك وبلادة طبعك وتشويش خاطرك وضياع عمرك بكثرة النوم
ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب اذ يجتمع مما يصعد منهما من كثرة
البخار الى الدماغ يثقل القلب وتفتر الفطنة ويكسل البدن قال سفيان الثوري
بقلة الاكل يملك سهر الليل لما قد علمت وقد شبه القدرة على السهر بالملكة ثم
ادخله في جنسه بجامع التمكن منه ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا فتخسروا كثيرا لنقص العمر الذي هو انفس الجواهر وترك العبادة والصدقة من
فضل طعامك اذ ما يتصدق به خزاينه فضل الله وما يوكل خزاينه الكف وقد روي
عن جمع كابي يعلى عنه صلى الله عليه وسلم ان احب الطعام الى ما كان على ضفف
بمعجمة وفاء مفتوحتين ثم فاء اخرى اي كثرة الايدي وفيه حث على ان الاولى ان لا ياكل
احد وحده وعلى كرم النفس وسماحة الطابع والمواساة في الطعام وانه المقصود منه
وانه قل لحصول الكفاية مع توقع بركة الحاضرين بشهادة حديث مسلم طعام الواحد
يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية حملا للاكل على

الاكتفا بنصف الشبع وقال ابن راهويه عن ابن جرير تاويله هو شبع الواحد قوت
الاثنين وهكذا وعن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط تمييز وتاكيد لنفي امتلا شبعا في وقت ما وهذا الحديث لم اعرف من رواه ولا
يعارضه ما اشبعه في الجملة لحديث مسلم عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفي رواية من خبز شعير يومين متواليين وقد
جمع بينهما بان دلالة المفهوم ضعيفة فليست بحجة ولان الامتلا صفة زايدة على
الشبع وفيهما نظر لان مفهوم الصفة حجة قوية والامتلا معتبر بمعنى اعلى الشبع
فليس زايدا عليه ولا عليك ان تجمع بينهما بحمل حديثها الاول ما كانت تعلمه دون
ما لم تعلمه اذ قد ورد انه شبع عن بعض اصحابه لحديث مسلم انه صلى الله عليه وسلم
اتى رجلا هو ابو الهيثم مالك بن التيهان من الانصار ومعه ابو بكر وعمر فقدم لهم
عذقا فيه بسر وتمر ورطب ثم ذبح لهم شاة فاكلوا منها ومن ... حتى شبعوا او رووا ان
انسانا راه مستحقرا ثم يقسم تمرا وهو ياكل منه اكلا ذريعا اي كثيرا وليس تمر صدقة وفي
رواية الا جائعا اي مستعجلا وكان صلى الله عليه وسلم في اهله لا يسالهم طعاما
قط لعدم اهتمامه به والتفاته الى ما هو اهم منه ولا يعترض على قولها لا يسالهم
طعاما بحديث بريرة رضي الله تعالى عنها فيما رواه الشيخان انه راى البرمة فيها لحم
اذ لعل سبب سواله ظنه اعتقادهم انه لا يحل له ولو لم يجدوا من ملكتهم فاراد بيان
سنته اذا كانت اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له اكلها هدية ولو كان ظنه
جهلهم حله له بعد ملكها اياه انه ان لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون
عليه به فصدق بتخفيف داله وتشديدها وقري به عليهم ظنه اي فصدق في ظنه
جهلهم ذلك فحذف الجار واوصل اليه الفعل ويجوز تعديه بنفسه اليه كما في صدق
وعده او محقق ظنه او وجده صادقا في جهلهم ذلك وبين لهم ... من الامر بقوله
هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة طعاما وشرابا
نامت الفكرة مجاز عن غفلتها عما يهمها فشبه الغفلة عنه بالنوم بجامع فوات
مهمات ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية كما
في لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وخرست الحكمة هي عرفا كمال النفس
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكات التامة على الافعال الفاضلة بقدر
طاقتها فخرسها مجاز عن ترك الاقتباس والاكتساب شبه تركهما بالخرس كذلك فوقعت
الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وقعدت الاعضاء مجاز عن
فتورها عن العبادة لما يعتريها بالنوم من استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات ابخرة
متصاعدة عن محلها اليه فشبه الفتور عنها بالقعود كذلك وفي صحيح البخاري
اما انا فلا اكل متكيا كثير من الناس يحسب ان المتكي هو المايل المعتمد على احد شقيه وليس
كما زعم بل هو المعتمد على الوطا الذي تحته اذ كل من استوى قاعدا على وطا فهو متكي
والاتكا هو التمكن على الوطا للاكل والقعدة في الجلوس له كالتربع وشبهه
على هيئة من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته من الاوطية والعالم
على هذه الهيئة ليستدعي الاكل ويستكثر منه بشره نفسه ونهمة شهوة والنفل ...

الله عليه وسلم انما كان جلوسه كجلوس المستوفز منتصبا غير مطمئن وكان ياكل كما رواه مسلم مقعيا اي ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه ويقول كما رواه البزار عن ابن عمر بسند ضعيف وابو بكر الشافعي في فوائده من حديث البراء انما انا عبد تواضعا منه وارشادا اليه اكل كما ياكل العبد لا كما ياكل الملوك والمترفهين زاد عن سعيد وابو يعلى بسند حسن الى عايشة واجلس كما يجلس العبد لا يمد رجليه عند جليسه تكريما وتعظيما وارشادا له ان يكرم من يجالسه ولا يغبنه بترفع ذي الوجاهة رامعونه عن الانقياد العادية تكبرا او زاد الديلمي وابن ابي شيبة وابن عدي واشرب كما يشرب العبد وكذلك اي ومثل كون الاكل كان قليلا نومه كان قليلا ليصرف نفيس اوقاته في طاعة ربه تقربا اليه يشهد بذلك الاثار الصحيحة التي عنت شهرتها كما مر عن بيانها ولا عليك ان تقول هذا كان الا حالا لانه اذ قد وردما يوذن بانه كان ينام كثيرا او مساويا ليقظته تقريبا كحديث النسائي قال انس ما كنا نشاء ان نري رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نايما الا رايناه وحديث ابي داود والترمذي والنسائي قالت ام سلمة كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما يصلي حتى يصبح ومع ذلك اي مع كون نومه قليلا فقد قال كما رواه الشيخان ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فنومه كله يقظة لتعي الوحي اذ الوحي اليه فيه اذ رويا الانبيا وحي بشهادة اني ارى في المنام اني اذبحك وكان نومه على جنبه الايمن استظهارا اي استعانة بذلك على قلة النوم لان الجانب الايسر اهني لهدو القلب واطمانانه واهني لهدو ما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينيذ اي حين اذ ينام على الايسر لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي جزاء شرط محذوف اي اذا كان النوم عليه اهني لهدوه او لسببه ذلك فيستدعي ذلك الاستغراق فيه اي في النوم والطول واذا نام النايم على الايمن تعلق القلب وقلق غير مستقر ولا مطمين فاسرع ذلك الافاقة ولم يغمره الاستغراق في النوم لوضع القلب مايلا طرفه الاسفل الى الايسر لتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم اذ الجوارح كلها مايلة الى الايمن لوضع الكبد فيه فصل والضرب الثاني مما تدعو ضرورة الحياة اليه وهو ما يتفق التمدح بين الناس بكثرته والفخر بوفوره والتميز بازدياده مما حاز صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفى وفاز بالمنصب الاصفى كالنكاح والجاه فيتفق فيه شرعا كما سياتي وعادة كما لا يكاد يخفى فانه اي النكاح دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة لا تجد الى انكاره دليلا والتمادح به سيرة ماضية لا يقيم جاحده دليلا واما التفاخر بكثرته والتمادح به في الشرع فسنة ماثورة بشهادة حديث ابن عباس في البخاري افضل هذه الامة اكثرها نساء حيث حث على النكاح والاكثار من النكاح بعد ما يباح فهو في الظاهر اخبار بان من كانت نساؤه اكثر فهو افضل مورد يا به مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم بعد جعله من الامة اذ من شرط اضافة اسم التفضيل ان يكون الى بعضه وقد تزوج صلى الله عليه وسلم احدى عشرة توفي قبله ثنتان خديجة وزينب بنت

خزيمة

خزيمة والباقيات بعده وحديث ابن عمر في تفسير ابن مردويه تناكحوا فاني مباه تعليل للامر بالتناكح بكثرة النسل اي مفاخر بكم الامم السالفة وللطبراني في الاوسط تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم اي اغالبهم بكم كثرة هذا والثلاثة مؤذنة باستحباب النكاح وفضله كثرة الاولاد اذ بها حصول ما قصده صلى الله عليه وسلم من المباهات والمغالبة وظهور فايدة الخلق كالعبادة ونهى كما روى الشيخان عن التبتل اي عن انقطاع الرجال عن النساء وعكسه وترك النكاح ارشادا لكثرة النسل ودوام الجهاد وكان التبتل من شريعة النصارى فنهى عنه امته مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذي نبه عليهما بقوله فيما رواه الطبراني من كان ذا طول والشيخان من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج لتسببهما عما يترتب على التزوج من الوطي كما انهما يتسببان عن التبتل حتى لم يره العلماء اي لم يروا النكاح مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن وقال سفيان الثوري ليس في النساء سرف والله اني لاشتاق الى العرس وكان زهاد الصحابة كعلي وابنه الحسن وابن عمر رضي الله تعالى عنهم كثير الزوجات والسراري والنكاح قال عمر رضي الله عنه اني اتزوج المراة وما لي فيها من ارب اطاوها وما لي فيها من شهوة فقيل له في ذلك قال حتى يخرج مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم وكان لعلي رضي الله عنه اشد حبا للنساء وقيل انه ارخى ستره على مائة حرة لانه كان مطلاقا ولما خطب بنت المسيب الفزاري خطبها اخوها الحسين وابن عمها جعفر شاور عليا رضي الله تعالى عنه فقال له اما الحسن فمطلاق شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له وكره غير واحد من العلماء ان يلقى الله تعالى عزبا تفاديا من ان يلقاه بغير اعفاف لنفسه بنكاح اذ العزب من لا اهل له فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته فضيلة وهذا يحيى بن زكرياء عليهما الصلاة والسلام قد اثنى الله تعالى عليه لكونه حصورا مع قول كثير من العلماء ان معناه هيوبا للنساء او لا ذكر له فكيف اثنى عليه بالعجز عما تعدم فضيلة يتمدح بكثرتها شرعا وعادة وهذا عيسى تبتل من النساء منقطعا الى ربه ومنه وتبتل اليه تبتيلا اي انفرد اليه بالطاعة ولو كان النكاح مما يتمدح به كثرة كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى عليه بكونه حصورا ليس كما قالوا انه هيوبا من الهيبة اي جبانا عن النكاح او لا ذكر له بل قد انكر ذلك حذاق المفسرين ونقاد العلماء بانه نقيصة وعيب لا تليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لشرف جنابهم وكرم مابهم وانما معناه اي معنى كونه حصورا انه معصوم من الذنوب لا ياتيها فحصور المعنى محصورا كركوب بمعنى مركوب بشهادة قوله كانه حصر اي منع عنها فوصفه على هذا متعلق بالذنوب لا بالنكاح وقيل هو الذي لا يقرب النساء لعدم مانع لنفسه من الشهوات فهو اسم فاعل كضروب بمعنى ضارب ووصفه على هذا متعلق بالنكاح وقيل هو الذي ليست له شهوة في النساء والجواب الثاني احسنهما فقد بان لك من الذي ذكرناه ان عدم القدرة على النكاح نقص وعيب غير لايق وانما الفضل في

ظ التحصن

ذنوب

اي المقدرة موجودة قايمة بمحلها ثم قمعها مبتدا اي قمع القدرة على النكاح مجاز عن قمع
النفس للملابسة بينهما اما بمجاهدة كعيسى او بكفاية من الله كيحيى فضيلة
خبر المبتدا زايدة على فضيلة القدرة على قمعها لكونها شاغلة في كثير من الاوقا[ت]
عما يورث منازل الابرار في دار القرار وحاصله اي مرغبة مميله الى الانام هي اي
الفضيلة الزايدة في حق من اقتدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله
عن طاعة ربه امتثالا واجتنابا درجة عليا في غاية قصوى وهي درجة نبينا
صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك
اي ما ذكر من كثرتهن عبادة ثم علله بقوله لتحصينه لهن مصدر اضيف لمفعوله اي
تحصينه اياهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها
اي كثرتهن ليست من حظوظ دنياه هو صلى الله عليه وسلم وان كانت من حظوظ
دنيا غيره فقال كما رواه الحاكم والنسايي حبب الي من دنياكم النساء والطيب
واضافهما اليهم اشارة الى حقارتها وتقلله منها وعدم ميله لانه بهما والتفاته اليهما
ومن ثم اورد الفعل مجهولا تلويحا بان حبه لهما وهما من دنيا غيره انما هو لاخرته
للفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملايكة في الطيب لمحبتهم اياه
ولانه اي الطيب مما يعين ويحرض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه
اي مقدماته كالقبلة والشهوة وكان حبه لهما اي النسا والطيب لاجل غيره
لمباهاته بالكثرة وكفايته للملايكة مطيعا ولاجل قمع شهوته وان كان قادرا على
قمعها بمجاهدة او بكفاية من الله تعالى وكان حبه الحقيقي الخاص … ادة في
مشاهدة جبروت اي عظموت مولاه بمشاهدة ملكوته ومناجاته ولذلك اي ولاجل
كون حبه الحقيقي فيهما ذكر ميز بين المحبتين جبريا وذاتيا وفضل بين الحالين
محبة ومناجاة فقال مورد الها جملة معطوفة على ما قبلها تعظيما لشانها وتفخيما
لامرها لكونها محبوبة لذاتها وجعلت قرة عيني في الصلاة من القرة وهي البرد
لان دمعة الفرح باردة اي وبلغت فيها امنيتي فانشرحت نفسي وقرت عيني فلا
استشرف لغيري فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية الله تعالى له وامنه
من فتنتهن وزاد عليهما اذ لم يتزوجا فضيلة بالقيام بهن ولم يشغله ذلك
عن قيامه بحقوق مولاه باضافة سحايب توفيق وغرايب تاييد وتوثيق وكان
صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة ذي مكنة من اظهار قوته على وفق ارادة
اذ القوة هي التمكن من اظهار الفعل وفق الارادة فهي مختصة بالحيوان لاشتراط
الشعور فيها والقوة اعم منها اذ تقال على ما في الحيوان وغيره كالفضة والنحاس
والحديد فاقدر صلى الله عليه وسلم في هذا اي الذي مدحه مما يتعلق بدنياه وحرمة
مولاه وكان ممن اعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره
من امته ثم حرم عليه التزوج على نسائه لما خيرهن بامر الله تعالى فاخترنه مكافاة
لهن ثم نسخ لتكون المنة له وقد اسند هنا من طريق النسايي وهو عند البخاري كان
يدور على نسائه اي بجماعهن في ساعة وهن احدى عشرة وفي رواية وهن تسع
ولا يذهب عنك انه صلى الله عليه وسلم لم يجتمع عنده احدى عشرة في وقت واحد

لوفاة خديجة قبل ان يتزوج غيرها ثم تزوج سودة بنت زمعة ثم عايشة ثم حفصة
ثم زينب بنت خزيمة فتوفيت بعد شهرين او ثلاثة ثم ام سلمة ثم زينب بنت جحش
ثم ام حبيبة زوجها له النجاشي ثم جويرية ثم ميمونة ثم صفية فهما اجتمع عنده
الا ما افاده الرواية الثانية ولا عليك ان تجمع بينهما بان من روى احدى عشرة
قد عد منهن مارية وريحانة سريتاه تغليبا للمتصفة بالزوجية على غير المتصفة
بها دون من روى تسعا واياك ان تتوهم كيف يدور عليهن في ساعة مع وجوب
القسم عليه لهن لجواز ان يكون في حالة ابتداء وفيها كقدوم من سفر وتمام نوبتهن
او باذن ذات النوبة ولا تغتر بقول ابن العربي انما فعله لعدم وجوبه عليه وقد
يستانس لوجوبه عليه بما رواه الترمذي عن عايشة رضي الله عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فيعدل فيقول اللهم هذه قسمتي فيما
املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك وقال انس رضي الله تعالى عنه تاييدا لدوامه
كان يدور عليهن في ساعة كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا لصحة بدنه
وكمال همته وعن طاوس وغيره قوة اربعين في الجماع قيده مع وجود كافيه
مطلقا لكونه سببا لظهورها لانها من الملكات التي لا تظهر متعلقها بالفعل وهي كما
مر اعم من القدرة لاشتراط القصد فيها وقالت سلمى مولاته في رواية ابن سعد
وابو داود عنها عن زوجها ابي رافع عن رافع و… منها طاف من الطواف والاطا فة
بمعنى الدوران فهو طايف ومطيف ومن ثم ورد لاطيفن وهو هنا كناية عن الجماع
على سايره نسايه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر
واطيب ورواية احمد ازكى واطيب واطهر اشارة الى ان التطهير للظاهر والتزكية
والتطيب للباطن فاولاهما لازالة الاخلاق الذميمة واخراهما للتحلي بالشيم
الحميدة وتلويحا بان غسل الجنابة لا يجب على الفور وان غسله من كل واحدة انما
كان على وجه الاستحباب المؤذن به اطهر واطيب وحديث مسلم فيما رواه الشيخان
لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وفي رواية على ستين وفي
اخرى على تسعين ولمسلم على سبعين امراة كلها تاتي بغلام يقاتل في سبيل الله
فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي فلم تات واحدة منهن بشيء
الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء
الله لم يحنث اي لم يفته مبتغاه وكان له دركا لحاجته انه فعل فدل ذلك على كمال
قدرته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس في اثبات قليلها نفي كثيرها ثم اجتماعهن عمهن
في عصمته اما من خصايصه كنبينا صلى الله عليه وسلم او كان لا حصر لعدد في شريعتنا
وانما هو في شريعتنا لضعف ابداننا وقصر اعمارنا ويوخذ من هذا جواز تعليق
فعل عند الاختيار بصدوره بمشيئة الله تعالى عليه والقسم عليه كما هنا اذ اللام
فيهما موطية له قال ابن عباس رضي الله عنهما ورواه ابن جرير في تفسيره موقوفا
كان في ظهر سليمان صلى الله عليه وسلم مائة رجل تمييز لما ابهم من العدد وكان
له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية تمييز لما ابهم منه ايضا وحكى النقاش ورواه
الحاكم عن محمد بن كعب القرظي انه كان له سبعمائة امراة وثلثمائة سرية وكان

داود صلى الله عليه وسلم على زهده واكله حال منه اي زاهدا واكلا من عمل يده شبهة
حاله بتمكنه من الزهد واستمراره عليه وتمسكه به بحال من اعتلا شيا وركبه تمثيلا
وابرازا للمعقول في معرض المحسوس تسع وتسعون امراة وتمنت بزوج اوريا
ماية اما بتزوجه اياها بعد نزول اوريا له عنها بسوا له على ما كان عادتهم في زمانه
بعد ان خطبها اوريا فارسل الله تعالى اليه ملكين اختبارا ليتنبه حيث لم يكتف
بزوجاته فلما تنبه استغفر ربه وخر راكعا واناب اي رجع الى ذكر الله هذا غاية
ما يعتاد في شريف لنزاهته وبراءة ساحته فيما نسبه اليه الحشوية وغيرهم من انه
راها فعشقها ثم تحيل في تزوجها فولدت له سليمان وقد نبه على ذلك اي على انه
كان لداود ما ذكر في الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخي في الدين او الصحبة
له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان كناية عن المراة اذ
الكناية والتمثيل فيما يورد تعريضا ابلغ في المقصود ومن ثم سلكا في قصتهما محبة
التمثيل والتعريض دون التصريح لكونه ابلغ في المعاتبة من حيث ان تامله اذا
احدبه الى الشعور بالمعرض كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه مع مراعاتهما
حسن الادب معه وتركهما مجاهرته بما عرضا به له وقد بالغ في تضرعه وتحزنه
وبكايه واستغفاره اعظاما له لما فرط منه نظرا الى ما له من كريم المناقب وعظيم
المراتب وفي حديث الطبراني في الاوسط بسند جيد عن انس رضي الله تعالى عنه
فضلت على الناس باربع بالسخا اي الجود فانه صلى الله عليه وسلم كان بالخير
اجود من الريح المرسلة والشجاعة هي على ما مر خلق عصبي بين افراط يسمى تهورا
وافراط يسمى جبنا يصدر فيما ينبغي على ما ينبغي واما الجاه فهو ان استقر صاحبه
واخذ به الى ما يضر باخرته فمذموم لاستدعايه العلو في الارض والفساد
المذموم شرعا والا فمحمود لا مطلقا بل عند العقلا في محل نصب على الحال في حال
كونه عند من لا ياخذ به الى ما يضر باخرته وفي حال كونه عادة ولا عليك ان تجعله
حالا بل تعلقه بحال مقدر دل عليه اسم المفعول اي جاريا عندهم في العادة وبقدر
جاهه صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بلواء الحمد والشفاعة
يكون عظمه في القلوب وقد كان ذا عظم لم يحزه كريم ومهابة لم يقترب بها عظيم
بشهادة اخذه صلى الله عليه وسلم من ابي جهل للاراشي عن ابله الذي اشتراها
ابو جهل منه ومطله فقالت قريش لابي جهل ما راينا مثل ما صنعت من انقيادك
لامر محمد مع فرط اذاك له وعداوتك اياه فقال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب بابي
وسمعت صوته فمليت رعبا وقد قال الله تعالى مدحا للجاه في صفة عيسى
صلى الله عليه وسلم وجيها اي عظيما في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة لما يترتب
عليه من التوسط شرا وبطرا فهو مضر ببعض الناس لعقبى الاخرة اي في الاخرة
التي هي عقبى اذ اللام في مثل هذا تفيد التاقيت والتخصيص بالوقت فلذلك
اي فيكون الجاه مضرا ببعضهم ذمه من ذمه ومدحه من مدحه ومن ثم ورد في الشرع
مدح الخمول بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم في البرا بن مالك رب اشعث اغبر
ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لابره وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب

الاتقيا

الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا او ورد فيه ذم
العلو في الارض قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا وقال صلى الله عليه وسلم ما ذيبان جايعان ارسلا
في غنم بافسد لهما من حب المال والجاه لدين المومن وفي رواية من حب الشرف وانما
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة اي الحيا مقرونا بهيبة
ووقار والمكانة اي التمكن من القلوب محبة وتبجيلا والعظمة مهابة واجلالا قبل
النبوة عند الجاهلية بشهادة ما روي عن ابي جهل وما ورد انه ساوم رجلا من
بني زبيد ثلاثة العرض هو خير ابله ثلث بثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضي فاشتراها منه ثم باع
منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى ثمنه ارامل بني عبد المطلب وابو جهل
مخزي ينظره ولا يتكلم ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك ان تعود
لمثل ما صنعت بهذا الاعرابي فترى مني ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له
امية بن خلف ذللت في يد محمد فقال ان الذي رايت مني لما رايت معه رايت رجالا
عن يمينه وبيساره يشرعون رماحهم الي لو خالفته لكانت اياها اي لاتوا علي
ورزق ايضا ما ذكر بعدها اي بعد النبوة وهم يكذبونه حال من الجاهلية اي
وحالهم انهم كانوا مكذبين له ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه في انفسهم
خفية لما تمكن من هيبته وعظمته في قلوبهم حتى اذا واجههم اعظموه وقضوا
حاجته ولعل هذا كان في بعض الاوقات فقد كانوا كثيرا ما يكذبونه ويوذونه في
نفسه جهرة بشهادة وضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد في الحجر وقول
ابي جهل حين قال لعمه ابي طالب عند موته قل لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله
لانقطه اترغب عن ملة عبد المطلب وتكذيبهم اياه صبيحة الاسرا واخبارهم في ذلك
معروفة سياتي بعضها ان شا الله تعالى وقد كان يبهت بناه للمفعول صورة
مع ذكر فاعله كما في فبهت الذي كفر فصيح من بنايه له اي فيدهش ويتحير ويعرف
اي يفزع من رويته من لم يره لما القي عليه من الهيبة والعظمة في قلوبهم كما
روي عن قيلة بقاف مفتوحة ثم يا مثناة تحت انها لما راته ارتعدت من
الفرق وفي رواية ابي داود والترمذي في الشمايل عن عبد الله بن حسان عن
جدته عنها انها راته في المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رايته المتخشع
في الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد فقال يا مسكينة عليك
السكينة اي الزي الطمانينة والوقار وفي حديث ابي مسعود عقبة بن عامر
الذي رواه البيهقي عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم موصولا
وصححه ان رجلا قام بين يديه صلى الله عليه وسلم فارعد فقال هون عليك
فاني لست بملك تفزع مني هذا فاما عظم قدره بالنبوة وشرف منزلته
بالرسالة وانافه اي رفعة مرتبته بالاصطفا واكرامه في الدنيا بذلك كله
فامر هو مبلغ النهاية ليس فوقه غاية فهو صلى الله عليه وسلم في الاخرة
سيد ولد ادم مقتبس من حديث البخاري انا سيد ولد ادم ولا فخر وهو لا يفيد

سيادته على ادم منطوقا بل يا لا لوية والكائن باقاد بهنا منطوقا حديثه ايضا انا سيد
الاولين والاخرين ولا فخر وعلى معنى هذا المفضل الذي اشتمل عليه من اوصاف
يتمدح بكثرتها ويفتخر بالتبرع بالتوسع بها نظمنا هذا القسم يعني الاول باسره اي
جميعه في سلك مدحه لصفات شريفة وسمات منيفة شبهها لكونها عبارة
عنه من حيث جميعها لا بمجموعها اذ هو ظرف بلا لي منظومة على طريقة الاستعارة
المكنية واثبت لها النظم تخييلا فصل واما الضرب الثالث مما تدعوا
ضرورة الحياة اليه فهو مال ليست فضيلة ذاتية ومن ثم تختلف الحالات
في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل من الناس لصاحبه لاجله كثرة
المال فانه لا يتمدح ولا يتفاخر به ولا تفضيل لاجله لشهادة ان الاكثرين هم
الاقلون يوم القيمة فصاحبه على الجملة لا في كل حال معظم عند العامة لانهم
وتلويهم بيد محبته غناة باعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكين اغراضه
عطف على توصله او على حاجاته بسببه والا اي ولم يكن المال موصوفا بما ذكر
لكان صاحبه معظما عند كل احد لكنه ليس كذلك فليس معظما عند كل احد
اذ ليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا
له في مهماته ومهمات من اعتزاه اي غشيه وقصده واملكه فضلا وتصريفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثنا الحسن والمنزلة في القلوب كانت
بسبب ذلك فضلا في صاحبه عند اهل الدنيا الوارد فيهم تعس عبد الدينار
والدرهم والخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ان اعطي رضي وان لم
يعط سخط واذا صرفه في وجوه البر اي انواعه ان هو كان فعل مرضي فتشبيه باعتبار
بذي وجوه فاستعار لها اسمها استعارة مكنية واثبت لها الوجوه تخييلا
وانفقه في سبيل الخير الذي ينبغي ان يهتم به وقصد بذلك الله والدار
الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال اي العامة والخاصة ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه في وجوهه مما تقدم كصرفه في مهماته او مهمات من
امله واكتساب محمدة او حسن ثنا او محبة حريصا على جمعه عاد كثره بضم
اوله اي كثيره كالعدم لانه لم ينتفع به ولم يتوصل به الى غرض كمن لا مال له
وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة اي طرقها جمع جدد
كمدد شبهها بارض صلبة يؤمن فيها العثار استعارة بالكناية ثم اثبت لها الجدد
استعارة تخييلية بل اخذ به حتى اوقفه في هوة رذيلة البخل اي في وهدة
دناءة وسحقه شبه تمكنه في الرذيلة التي هي كالهوة المسببة عن محله بتمكن
المظروف من ظرفه ثم اثبت له ما هو من خواص الظرف اعني في واوقفه في مذمة
النذالة اي السفالة والخسة شبه تمكنه في المذمة المسببة من النذالة
بتمكن المظروف من ظرفه كذلك فاذن الفا هنا منصحة عن شرط مقدر اي
ومتى كان المال كما وصف كان التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله اسم
فاعل اي مفضل المال ليست لنفسه وذاته وانما هو اي التمدح او المال
بالتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه

لمهاته

لمهماته ومهمات من امله ولا وجهه وجوهه من انواع البر وسبل الخيرات غير
ملي اي غير ثقة بالحقيقة وفي نفس الامر ولا غني بالمعنى فكانه فاقد غير واجد
اذ ما له لبخله كالمعدوم ولا ممتدح اي ولا ممدوح عند احد من العقلاء الذين
ليست همتهم جمعه من اي وجه كان بل هو فقير ابدا غير واصل لخسته وبخلته
الى غرض من الاغراض اذ ما بيده من المال الموصل لها اي الذي من شانه ان
يوصل الى الاغراض لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه
ليس في يده شي منه والمنفق ملي غني اي ثقة واجد غير فاقد بتحصيله فوايد
المال كصدقة وعتق وبر وصلة رحم ونكاح وان لم يبق في يده من المال شي
فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه اي تامل ما بلغك من طريقته
وسجيته في المال تجده قد اوتي ما لم يوت احد مما فات الحصر وجاوز العدد
فاعطي خزاين الارض ومفاتيح البلاد كناية عن فتحها عليه وعلى امته بعده
وجباية اموالها اليها واستخراج كنوزها ويلوح بالتوصل اليها كما يتوصل
بالمفاتيح الى ما اغلق عليه بشهادة رواية وبينا انا قايم اوتيت بمفاتيح خزاين
الارض فوضعت في يدي واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله بشهادة حديث
مسلم غزى نبي من الانبيا فلما فتح الله تعالى جمع ما غنموه فاقبلت النار لتاكله
فابت ان تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت
يد رجلين او ثلاثة فقال فيكم الغلول انتم غللتم فاخرجوا له مثل بقرة من
ذهب فوضعه في المال فاقبلت النار فاكلته فلم تحل الغنايم لاحد من قبلنا
ذلك بان الله راي ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا وفتح عليه في حياته بلاد
الحجاز سميت بها لحجزها بين نجد والغور واليمن وجميع جزيرة العرب وهي
ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف
الشام عرضا وما داني ذلك اي قارب جزيرة العرب من الشام والعراق
وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم بهدية فقبلها منهم ومن هداياهم ما كان
بعد توجيه رسله اليهم يدعوهم الى الاسلام كالنجاشي وكان في هديته
له خفان اسودان وقد ورد انه لبسهما ومسح عليهما والمقوقس ملك
مصر اهدى اليه مع حاطب بن ابي بلتعة وجاريتين لهما في القبط مكانة وكسوة
فاخرة وبغلة بيضا زاد الواقدي والف مثقال ذهبا واعطى حاطبا لنفسه
مائة دينار وخمسة اثواب فتسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية فولدت
له ابراهيم ووهب الاخرى لحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه فولدت عبد الرحمن
وذكر ابن عبد البر انهن ثلاث وانه وهب الثالثة لابي جهم بن حذيفة رضي الله
تعالى عنه وفروة بن عمرو الجذامي عامل هرقل كتب اليه ابتدا بسم
الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله النبي اني مقر بالاسلام مصدق به اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله وانه الذي بشر به عيسى بن مريم والسلام عليه
ثم ختمه وبعثه مع مسعود بن سعد وبغلة بيضا وفرس حمرا وثيابا فاخرة وثيابا

من سندس مخوصا بالذهب فقبلها واكرم رسوله ثم كتب له جوابه ولما بلغ هرقل اسلامه
حبسه ثم ارسل له ان رجعت الى دينك اعدتك الى ملكك فقال لا افارق دين محمد ابدا اما
انك تعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بشر به عيسى بن مريم ولكنك ضننت
بملكك واحببت بقاءه فقال صدق والانجيل لم يزل محبوسا حتى مات واكيدر دومة
واهدى اليه كما رواه البخاري جبة سندس فتعجب الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن عبادة في الجنة خير من هذه وممن هاداه وليس
بملك رفاعة بن زيد الجذامي وكان نسيبا وجيها في قومه قدم عليه في هدنة الحديبية
مسلما فعقد له على قومه وكتب لهم معه كتابا فاسلموا ثم رجع واهدى اليه غلاما
اسود يسمى مدعما قتل بخيبر وعطارد بن حاجب بن زرارة اهدى اليه حلة ه
فقبلها ثم قال فيها كما في الموطا وغيره انما يلبس هذه من لا خلاق له وسار اليها عمر
وقد كساه صلى الله عليه وسلم حلة اتكسونيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت
فقال لم اكسكها لتلبسها فكساها عمر اخا له مشركا وراهب نجران اهدى له
كما قال ابن اسحاق عصفيا وبردا هذا وانما قبل هدية المؤمنين وراهب نجران مع كفرهما
تالفا لهما ورجاء لاسلامهما او لكونهما من اهل الكتاب وقد حلت لنا ذبائحهم واطعمتهم
ومناكحهم فلا يعارضه عدم قبوله هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل رفد من
اذ لم يكن واجبا اسلامهم ولا متالفا لهم ولا كانوا ذوي كتاب فما استاثر بما هادوه به
بشيء منقول لا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه من انواع البر والخير واغنى به
غيره اذ كان يعطي عطاء من ليس يخشى الفقر وقوى به المسلمين على مهماتهم ونصر اعدائهم
وكفاك شاهدا بذلك حديث الشيخين ما يسرني ان لي احدا ذهبا تمييز لدفع الابهام
عن احد يبيت منه دينار الا دينارا استثناء من عام عبر عنه بالدرهم وبالرفع على
البدلية منه فكانه قال يسرني يبيت عندي شيء منه الا ما ارصده لدين لبلوغه النهاية عندي صح
في الكرم وتكامل محاسن الافعال فيه والشيم وفيه تلويح بما كان عليه من التقلل من الدنيا
وملازمة الفاقة بملازمة حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه
مرهون عند يهودي هو ابو الشحم وقال بعض الفقهاء ابو شحمة والمعروف الاول
في نفقة عياله بثلاثين صاعا وللترمذي والنسائي وللبزار باربعين وفي مصنف عبد ه
الرزاق وسق شعير وهو مؤذن بجواز الشراء نسيئة والرهن بالدين وفي الحضر وتقييده
في القران بالسفر خرج مخرج الغالب لا اشتراط فيه وان زعمه الضحاك ومجاهد بل ارشادا
الى اقامة التوثيق به مقام التوثيق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة اعوازها
فيه وجواز معاملة الكفار ان لم يتحقق حرمة ما معهم ورهن الة الحرب عندهم لا بيع
مسلم لهم ولو رقيقا وما يستعينون به على اقامة دينهم ومصحف وعدوله الى معاملته
اما بيانا للجواز او قلة الطعام هناك او لكون اصحابه لا ياخذون منه رهنا ولا يستامون
منه ثمنا او حذرا من ان يضيق عليهم واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما
موصولة او موصوفة اي على الذي او شيء تدعو ضرورته اليه وزهده عطف على
الضمير المجرور بالى او على ضرورته اي والى زهده او يدعو زهده فيما سواه اليه ذهابا
الى الاقتصاد المحمود اذ ما قل وكفى خير مما كثر والهى فالزيادة عليه لا تنبغي اذ لا خير

فيها

فيها ومن شعر قال المتنبي
ومن ينفق الساعات في جمع ماله ۞ مخافة فقر فالذي فعل الفقر
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد ميسرا بلا كلفة فيلبس في الغالب
الشملة يشتمل بها والكساء الخشن زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من
لا خلاق له تفاخرا ويلبس البرد الغليظ ويقسم على من حضره من اقبية الديباج
المخوصة بالذهب اي المنسوجة بمثل خوص النخل منه او المكفوفة به وفي رواية المزرورة
بالذهب اي التي لها ازرار منه والمطوقة به او التي زينت ازرارها به ويرفع منها
لمن لم يحضره كمخرمة بن نوفل بشهادة حديث الشيخين عن ابنه المسور قال ابي يا بني بلغني
ان النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه
في منزله فقال لي ادعه لي فاعظمت ذلك فقال يا بني انه ليس بجبار فدعوته فخرج
ومعه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه
ثم اعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال رضي الله عنه مخرمة زاد البخاري وكان في خلق مخرمة
شدة كان يفعل ذلك ايثارا للغير او توقيا لما يتباهى به اذ المباهات في الملابس والتزين اين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة اي الكرم والعظمة وهي اي الملابس التي
يتباهى ويتزين بها من سمات النساء وشعارهن والمحمود الممدوح منها نقاوة
الثوب هي بفتح النون النظافة وبضمها الخيار والتوسط في جنسه وكونه لبس
مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين المكتنفين
للتوسط افراطا وتفريطا بان يكون بحيث لا يشهره بكونه اسرافا مطغيا ولا تقتيرا مؤذيا
وغيره وما يعدم حالا لازما من الثوب وردا متناسقين بلا حرف نسق لمجيئهما اخذا احدهما
بيد الاخر متآخيين في كونهما في المعنى حكما عليه ووصفا له وقد ذم الشرع ذلك
اي ما ذكر من المباهات في الملابس والتزين بها وغاية الفخر فيه اي ذلك المذموم فيم
العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك اي
ومثل الفخر بما ذكر التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الالة وخدمه
ومركوباته بما يلهي عما يعني من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم هذا ومن ملك
الارض وجبي اليه ما فيها من كل زوج كريم فترك ذلك زهدا وتنزها كلا اهمالا له
لترك ما ذكر والزهد عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة في الاخرة ولا يا
يتصور من لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته
الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت وكفاك حجة على انه اعلى المقامات ه
وافضلها حديث ازهد في الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله تعالى له فهو
حائز لفضيلة المالية وللتنعم والتلذذ بالاعراض الدنيوية ومال الفخر في الغنا
عند الناس بهذه الخصلة اي المالية اذ كانت فضيلة بسبب ما مر ولانها ليست
فضيلة في نفسها كما زايد عليها في الفخر ومعرق في المدح اي زايد بهما على فضيلة المال
بالزائد اي اعراضه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها من زكاة وصلة رحم
وجهة بر فصل واما الخصال المكتسبة وتسمى اخلاقا وملكات نفسانية فهي
ما يكون تخلقا عن كسب من الاخلاق الحميدة اي المحمودة التي اتفق جميع العقلا

على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع
على جميعها وامر بها لانها مكارم اخلاق ينبغي التخلق والاتصاف بها ووعد السعادة
الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة في حديث السمت الحسن
والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وحديث ان الهدي الصالح
والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزءا من النبوة اي هذه الخصال
منحها الله تعالى انبياءه فهي من شمائلهم وفضائلهم وانه جزء من اجزائها فاقتدوا بهم فيها
لا ان النبوة تتجزى ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هي كرامة
يخص الله تعالى بها من يشاء وهذه الخصال جزء من خمسة وعشرين جزءا مما جاءت به
النبوة ودعت اليها الانبياء وتانيث اربع وخمس على معنى الخصال او القطعة مع ان الاجزاء
تجري مجرى الكل في التذكير والتانيث وهي اي الخصال المكتسبة المسماة بحسن
الخلق وهو اي حسن الخلق اعتدال في قوى النفس واوصافها اذ لها ثلاث قوى
نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة ولكل
طرفان فالحكمة طرف افراطها هو الجربزة كاستعمال الفكرة فيما لا ينبغي وتفريطها هو
الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم والعفة طرف افراطها هو الفجور بالانهماك
في اللذات وتفريطها هو الخمود كترك رخص شرعا وعقلا من اللذات والشجاعة
طرف افراطها هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغي وتفريطها هو الجبن كترك الاقدام
على ما ينبغي وهو التوسط فيها فضائل مجموعها اعتدال يسمى عدالة وحسن خلق
دون الميل الى منحرف اطرافها المائلة عن الاعتدال لانها كلها رذائل تزدري
بصاحبها ثم الاعتدال المسمى حسن الخلق ان كان كغيره من الكيفيات النفسية
راسخا بحيث يعسر زواله سمي ملكة تبعث النفس على افعال حميدة واكتساب شيم
شريفة فجميعها كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء حال من ضمير
كانت المشبهة لتمكنها واستقرارها فيه خلقا له عن اعتلاء اسبابها وركبه تمثيلا وتصوير
المعقول في صورة المحسوس اي كانت طالعة انتهائها في حال كمالها وحال الاعتدال
الى غايتها وان عطف على كمالها فلاية بدل من الضمير اي وفي حال اعتدالها حتى
عرفنا بذا استوثقت به ما بعده اي اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك
لعلى خلق عظيم استعظمه لفرط احتماله مضمات الاذى من قومه ومخالفته
ومداراته لهم وقيل هو ما امر به خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قالت
عائشة رضي الله تعالى عنها وقد سالها سعيد بن هشام عن خلقه صلى الله عليه وسلم
كان خلقه القرآن يجوز رفع احدهما اسما لكان ونصب الاخر خبرها زاد البيهقي
في دلائله كما يرضى برضاه ما فعل امتثالا لامر واجبا وندبا وكذا المباح وما
ترك اجتنابا حراما ومكروها وخلاف الاولى ويسخط بسخطه وما فعل انهما كالحرمة
وما ترك اعراضا عن امر وقال النبي صلى الله عليه وسلم في رواية احمد والبزار
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي رواية مالك في الموطا بلغني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي شرح السنة ان الله بعثني لتمام مكارم
الاخلاق وكمال محاسن الافعال اي الملكات النفسية المحمودة التي جمعها حسن الخلق

المترتبة

المترتبة عليه كالحلم والصبر والعطف والعفو والتواضع والعدل والجود والحياء والتؤدة
والوقار والصمت والرافة والصلة مما كادت تفوت الحصر فانها من حيث هي اما انها
كانت ناقصة فتممها بدينه وكفى به لاشتماله عليها كما في خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين ان الله يامر بالعدل والاحسان بعثت بالحنيفية السمحة او
كانت تامة منبثة في الانفس فبعث لجمعها بعد تفرقها بشهادة اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده فانه امر له بالاقتداء بهم في جميع اخلاقهم الرضية وافعالهم المرضية
فوجب ان تجتمع فيه كلها وفيما اتفقوا عليه من التوحيد في اصول الدين دون
الفروع فانها اذا نسخت لم تبق هدى والى هذا او ليشير حديث مثلي ومثل الانبياء كمثل
قصر احسن بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه
الا موضع تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بي النبيون قال انس رضي
الله تعالى عنه فيما رواه الشيخان كان احسن الناس خلقا لحيازته جمع المحاسن
والمكارم وتكاملها فيه وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا
مخلوقا مطبوعا عليها في اصل خلقته واول فطرته التي فطره الله تعالى عليها لم
يحصل باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية منحه الله تعالى بها
وهكذا لسائر الانبياء اذ كانت فيهم غريزة جبلوا وطبعوا عليها في اصل خلقتهم واول
فطرتهم لم تحصل لهم باكتساب ولا رياضة بل بجود الهي وخصوصية ربانية واما
غيرهم فقيل انها فيه جبلة وطبيعة لهم ومال اليه الطبراني وقيل مكتسبة لا جبلة
وطبيعة وقيل منها ما هو جبلة طبع عليه في اول خلقته ومنها ما هو مكتسب وقد يصير
غريزة وملكة تارة فرو على ما مر ويؤيده حديث الاشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما
الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله اشيء من قبل نفسي او جبلني الله
تعالى عليه فقال بل جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يرضاهما
الله ورسوله ومن طالع سيرهم الحميدة ومناقبهم المجيدة منذ صباهم الى مبعثهم
حقق ذلك وعرفه حق معرفته كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان
دعوا وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين بل غرزت فيهم هذه الاخلاق واو
العلم والحكمة اي الاصابة في القول والعمل في الفطرة اي في اول الخلقة قال
الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى المعرفة والنبوة
واصابة الحق او العلم بكتاب الله تعالى اي التوراة في حال صباه اذ قد روي انه نبي
وفهمها وهو ابن ثلاث او سبع وقال معمر كما رواه احمد في الزهد وابن ابي حاتم
في تفسيره عنه والديلمي عن معاذ رضي الله تعالى عنه ولم يسنده والحاكم في تاريخه
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند رواه كان ابن سنتين او ثلاث فقال
له الصبيان لم لا تلعب فقال ما للعب خلقت هذا والذي قاله معمر كان بو سعيد
ابن ثمان سنين وهو الاصح وما ذكر هنا تقريب في الرواية عنه بشهادة ما رواه ابن
قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاصي دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر
الى عباده واجتهادهم ثم رجع الى ابويه فمر في طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم
فلنلعب فقال اني لم اخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقيل في قوله

تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله مصدق يحيى بعيسى مؤمنا به وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه فهو اول من امن به سمي كلمة لوجوده بامره تعالى بلا اب نشابه المخترعات التي هي عالم الامر وقيل كما في تفسير محمد بن جرير الطبري صدقه وهو في بطن امه حال من الضمير اي من امن به يحيى حال كونه في بطنها فكانت ام يحيى وهي حامل به تقول لمريم اختها اذا دخلت عليها وهي حامل بعيسى والله انك لخير النسا وان ما في بطنك لخير مولود اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وكفاك بظاهرهم قاضيا بان مريم حملت مدة الحمل وعليه الاكثر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حملته ووضعته في ساعة واحدة نتصديقه به انما كان وهو ابن ثلاث كما مر وقيل الكلمة من الله كتابه اي بكتاب من الله وهو خلاف الظاهر بشهادة مريم ان الله يبشرك بكلمة منه المسيح عيسى بن مريم وقد نص الله في فرقانه القديم على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لا تحزني على قراءة من فتح ميم من تحتها كابن كثير وابي بكر وابي عمرو وعلى قول من قال ان المنادي عيسى كابي ابن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعلقمة والضحاك المنادي جبريل لانه كان بمكانه منخفض عنها ولا وجه لتخصيص القراة الاولى بالخلاف في المنادي مع وقوعه في الثانية ايضا ونص على كلامه في مهده فقال حكاية عنه اني عبد الله اتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا في سابق معلومه او تنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع كما في اتى امر الله وعن الحسن اكمل الله خلقه ونباه طفلا هذا وفي المسند رك عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم في المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ مسند احمد وابن ماشطة ابنة فرعون وفي تفسير سورة الانعام من البغوي وابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة ورضيع المتقاعد ورضيع التي قالت اللهم اجعل ابني مثل هذا او قال عز قائلا ففهمناها سليمان اي الحكومة والفتيا اذ تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها وقيمة نقصه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها واصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالاه اجتهادا الاول مثله قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثله قول الشافعي بالغرم للحيلولة في العبد المغصوب اذا ابق اما في شرعنا فلا ضمان عند ابي حنيفة بشهادة حديث جرح العجماء جبار اي هدر الا ان يكون معها حافظ او لم ترسلت عمدا واوجبه الشافعي ليلا لانها تجري العادة في حفظ الدواب بالليل دون النهار بقوله صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حايطا فافسدته على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية بالليل وكونه شاهدا بان جرح العجماء جبارا انما يكون جبارا اذا اتلفت في وقت لا يجب حفظها فيه كالنهار اما ما يجب حفظها فيه كالليل فجرحها ضامن وكلا من داود وسليمان اتينا حكما وعلما اي نبوة ومعرفة بموجب الحكم وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي اي في حال صباه

يلعب

يلعب مع الصبيان في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابو داود فيهما اما الاولى فروى ابن عساكر في تاريخه بسنده الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان امراة حسناء في بني اسرايل راودها على نفسها اربعة من اكابرها فامتنعت فاتفقوا ان يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها فلما كان عشية يوم رجمها جلس واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيا اربعة منهم بزي اولئك الاربعة واخر بزي المراة وشهدوا عليها بانها مكنت من نفسها كلبا فسالهم متفرقين عن لونه فقال احدهم اسود واخر احمر واخر اغبر واخر ابيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسالهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم واما الثانية فروى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بينما امراتان معهما ابنان لهما فاخذ ذيب احدهما فتحاكمتا الى داود في الاخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان فقال هاتوا السكين اشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله لا تشقه هو لها فقضى لها به بشهادة شفقتها عليه المعادة بقولها لا تشقه رحمك الله ورضى الكبرى بشقه لهما اشتراكا في المصيبة وحكى محمد بن جرير الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك اي مثل ما ذكر عن سليمان في صباه قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وذلك ان الله تعالى من عليه فاوحى الى امه ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فقذفته فيه فاخذه عدو لهما فرعون وحرم الله تعالى عليه المراضع ورجعه الى امه فلما تم رضاعه اتت به امراة فرعون فادخلته عليه فاخذ بلحيته فغضب وامر بقتله فقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا فكفله الى ان شب فكان من امره ما ذكر في تنزيله وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه لوجود الصلاح وحيازة محاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق وكفاك شاهدا على انه رشد مثله اضافته اليه صغيرا قبل بلوغه او قبل موسى وهارون او قبل محمد قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه اي سابق قضائه قبل ان اخلقه من العدم الى الوجود وقال بعضهم كالكواشي لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله تعالى قبل ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل مبالغة في الامتثال وتنزيلا للمطلوب منه منزلة الحاصل بتحليه حاصلا لتوفر العنايات فيه والدواعي الى تحصيله فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم في النار ومحنته من نمرود وهو ابن ستة عشر سنة وفي عين المعاني عن ابن جريج ست وعشرون اذ اقسم ليكيدن اصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما وان ابتلا اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين او ثلاث عشرة وهذا على قول احد الذبيح من هو والمشهور انه اسماعيل لانه وهب له اثر الهجرة وحديث انا ابن الذبيحين ابي اسماعيل وعبد الله اذ قد نذر عبد المطلب ان يسر الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة ذبح احدهم فتم متمناه فاسهم فخرج على عبد الله ففداه بماية من الابل ومن ثم شرعت الدية ماية ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في فتنة ابن الزبير ولان بشارته باسحاق كانت مقرونة بان يولد يعقوب

الثاني للاسر بذبحه مراهقا فيه وهذا هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين والقول
بانه اسحاق باطل وحسد من اليهود للعرب ان يكون اباهم هو الذبيح واما حديث سيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب
اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالذبيح قاله صلى الله عليه وسلم
ورواه البخاري وغيره يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وزوايد مدرجة من
الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح وان استدلال ابراهيم
الكوكب والقمر والشمس كان في نفسه وكان وهو ابن خمسة عشر شهرا
فحكاه الله تعالى عنه والحق انه كان زمان مراهقته او اول بلوغه تنبيها لقومه
على خطاياهم بعبادة الاصنام والشمس والقمر والكواكب وارشادا لهم الى الحق بطريق
النظر والاستدلال وتعريفا لهم ان النظر الصحيح مؤذن باشياء منها ليس بالاه لقيام
ما يدل على حدوثها وان لها محدثا دبر طلوعها وسيرها وانتقالها بشهادة قوله
تعالى يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الاجرام المحدثة المحتاجة الى من يحدثها وقيل
اوحى الله تعالى الى يوسف وهو صبي او بالغ وعن الحسن وله سبع عشرة سنة عند
ما قذفه اخوته بالقائه في الجب هو بئر على ثلاثة فراسخ من منزل ابيه بقوله
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا ايناسا وازالة للوحشة وبشارة بما يؤول
اليه امره اي لتخلص ولتحدثن اخوتك بما فعلوه وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو
شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك على ساحة اوهامهم بطول عهدهم به المغير
للهيئات والاشكال وذلك اشارة الى ما قال لهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون وقيل وهم لا يشعرون متعلق باوحينا الى البشارة بالوحي وهم
لا يشعرون وروى ابو نعيم في دلايله لما نشات اي نشيت وصرت شابا بغضت
الي الاوثان اي كرههما الله تعالى اليه فكرهها ومقتها اذ لم يكن فوقه احد يكرهها
اليه غير الله تعالى وبغض الي الشعر وحظره الي منعه وصار بحيث لو اراد قرضه
لم يتسهل عليه كاحظر المحظ بحيث انه لو اراده لم يهتد اليه تنقادا من الطعن فيه
وفي تنزيله لو امكنه التوصل اليهما ولتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض
ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله من المعازف وغيرها مما نهى الله تعالى
عنه الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد رواه البزار بسند صحيح عن علي
بلفظ ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله
بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشيء حتى اكرمني الله برسالته ولفظ المستدرك
في التورية ما هممت بقبيح مما يهم به اهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما
عصمني الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلا مكة يرعى غنما لاهله ابصر لي
غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان فجئت دارا من دور مكة فسمعت
غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك
الغناء وذلك الصوت ثم غلبتني عيني فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال
ما فعلت فقلت ما فعلت شيئا والله ما هممت بعد بسوء مما يعمله اهل الجاهلية حتى
اكرمني الله بنبوته فهم يختلفون على تلك الملكات ثم يتمكن الامر لهم ويترادف اي

يتابع نفحات الله تعالى معارف ورحما عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم مما
ذر بعينه فيض الهي وجود رباني حتى يصلوا الغاية التي ما وراءها مبنا وتشتوا ولا امر
فالمنتهم ويبلغون باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال
الشريفة والملكات الكريمة والنهاية التي ما فوقها نهاية دون ممارسة اي معالجة
في ارتياد رياضة في ازياد ازمنة بشهادة ما قال الله تعالى ولما بلغ اشده
اي بلغ موسى قوته وتمام عقله من ثلاثين الى اربعين سنة واستوى اي استحكم
شبابه وبلغ اربعين سنة وهو سن بعث الانبياء اتيناه حكما اي نبوة وعلما
بمصالح الدارين واتيناه قيل نبوته علم الحكماء وسمتهم فكان لا يتقول ولا يفعل
الا حقا ويتكلم عليهم وهو اوفق بنظم القصة اذ نبوته كانت بعد هجرته هذا وقد
نجد غيرهم اي غير الانبياء يطبع مخلوقا على بعض هذه الاخلاق الشريفة
دون جميعها ويولد عليها موجدة فيه وجودا متاصلا ليتسهل عليه بواسطة
خلقته واتصافه بها الاكتساب تمامها عناية بنصبه بنزع الخافض اي يتسهل
بعناية من الله تعالى به كما نشاهد من خلقته بعض الصبيان على حسن
السمت اي حسن الطريقة والقصد في تحري الخير وتخلية تحلية انصالحين رد
اذ السمت كما في الفائق اخذ النهج ولزوم المحجة او على الشهامة اي الجلادة
وذكاء الفؤاد او على صدق اللسان او على السماحة اي الجود بانبعاث النفس له
وقليل ما هم وكما نجد بعضهم اي بعض غير الانبياء يطبع ويولد على ضدها من الاخلاق
الردية كما نشاهد من خلقته بعض الصبيان على لامة الطبع ودناءة الهمة
وكذب اللسان وخسة النفس وكثير ما هم فبالاكتساب يكمل ناقصها الذي
طبع عليه ذلك الغير وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها الذي لم يطبع
على شيء منها او طبع على ضدها وبهما يعتدل منحرفها عن الاستقامة اليها هذا
تقسيم اذ قد ذكر او لا من يطبع على بعضها ومن يطبع على ضدها ثم اصناف
الى الاول ان كماله بالاكتساب والى الثاني ان استجلاب معدومها والاعتراف
اعتدال منحرفها بالرياضة والمجاهدة ومعنى الاستعلاء في على بعضها وعلى
ضدها تمثيل لتمكن كل بما طبع واستقر عليه بحال من استعلا شيئا وركبه
وباختلاف هذين الحالين اي الجبلي والكسبي قد تتفاوت الناس فيها نيله
وكرامة وتحصيلا وكل ميسر لما خلق له بصرفه تعالى له في افعاله على وفق ما قدره
تعالى واجراه عليه مستندا الى سابق علمه بخلق الصوارف والدواعي له وهذا
مقتبس من حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فييسر
لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة ولهذا
اي ولتفاوت الناس فيها قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق اي الحسن جبلة
جبل عليه او مكتسبة فحكى محمد بن جرير الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن
الذي هو جماعها جبلة وغريزة اي طبيعة وخلق في العبد وحكاه عن عبد
الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه والحسن البصري وبه قال هو اي ابن جرير
والصواب ما اصلناه فيما مر ان منها ما هو جبلة غريزية وما هو كسبي وكما شاهد

ما قد روى سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه كما في مقدمة كامل بن عدي ومصنف
ابن ابي شيبة عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب فلا يطبع عليهما بل قد
يحصلان تطبعا وتخلقا وقال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديثه
الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وسعيد بن منصور والجراة كالجرعة الشجاعة
والاقدام على الشيء ونحوه وذلك كرم والجبن ضدها غرائز جمع غريزة اي طبيعة
وقريحة يضعها الله تعالى حيث يشاء من خلقه فلا يكتسبان **فصل**
في بيان اصول هذه الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى
الله عليه وسلم بها واما اصلها فروعها اي افرادها من حيث انبعاثها من العقل وعنصر
ينابيعها اي اصلها الذي كانها تنبع منه اذ العنصر في الاصل ما ينشا عنه الشيء
ومنابع بينهما تثنيتها ونقطة دايرتها اي مركزها وقطبها الذي تدور هي عليه
فانه هو العقل الذي يكون ادراك النفس الانسانية باشراقه وافاضته نوره
ومن ثم كان نسبته اليها كنسبة الشمس الى الابصار وهو كما قال الحكما العقل
العاشر المسمى بالعقل الفعال الكامل من كل وجه الذي منه ينبعث العلم والمؤ
متكامل القوى الجسمانية كالمحركة والمدركة التي هي مراكب له بمعنى انه بها يستفيد
العلوم ابتدا او بمعرفتها تظهر اثار الادراك ومن مسخرة مطيعة لدبارها بالاخذ
والاعطا واستيفا اللذات والتحرك للادراكات بقدر ما يرى من المصلحة
ولاستعمالهم العلم في الكليات والمعرفة في الجزئيات غاير بينهما والا فمدرك
الكل هو النفس لكنها به تدرك الكليات بما مر وبالحواس تدرك الجزئيات
ويتفرع عن هذا اي كونه اصلا لما ذكر من حيث انبعاثها عنه وفيضانها منه على
النفس الانسانية ان نوره الذي يهتدي به للادراك فحالها بالنسبة اليه كحال ابصارنا
بالنسبة الى الشمس فكما ان افاضة نور الشمس تدرك المحسوسات كذلك بافاضة
نوره يدرك المعقولات ثم بكثرة ما يفاض عليه من المبدا الفياض ينشا عنه ثقوب
الراي واصابة الغرض وسالكة المسخرة فلا يكاد يخطي ويتفرع عنه جودة النظم
تنبيه فوق النفس بتصور ما يرد عليها من المعاني والاصابة للاغراض ويتفرع
عنه صدق الظن بجلال القوة الادراكية ويتفرع عنه النظر للعواقب لتميز
محمودها عن مذمومها بما يرغب فيه فيتقدم عليه او عنه فيحجم عنه ومصالح النفس
عطف على العواقب اي والنظر لما ينفعها وحمد عاقبته ويتفرع عنه سياسة
الناس بقانون العدل ولهجة الصدق وبهجة الحق والتدبير لامورهم معاشا
ومعادا ويتفرع عنه اقتناء الفضايل اي المزايا الحسنة بتبرعه النفس الانسانية
الى كمالها في قوتها اذ كلما ازدادت علما كملت قوتها العلمية وكلما ازدادت
تحصيلا للملكات المحمودة كملت قوتها العملية وبذلك يسهل اقتناؤها
وقد سمعتما ان لكل منهما اربع مراتب وتجنب الرذايل اي المزايا الردية بمخالفة
الهوى والميل الى منهج الهدى وقد اشرنا فيما تقدم من ايراد صفاته الشريفة الى مكانه
صلى الله عليه وسلم منه اي من العقل بمعنى انه الجابر له والمالك لامره لكنه ورد على طريقة

التجريد

التجريد مبالغة لتمكنه منه وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر اخر مثله فيها مبالغة لكمالها
فيه وهو هنا بمعنى انه بلغ العقل من الكمال وعلو الرتبة حدا صح معه ان ينتزع له صلى
الله عليه وسلم منه عقل اخر مثله فيهما وقد يكون بالباء التجريدية داخلة على المنتزع
منه كما في لئن سالت فلانا لتسالن به البحر بالغ في وصفه بالسماحة حتى انتزع منه
بحرا فيها وبالباء المعية في المنتزع كما في فلان يعدو وابن فرسه الى الوغا مستلئم اي تعدوا
به ومعه من نفسه مستعد للحرب بالغ في استعداده للحرب حتى انتزع منه اخر مثله
لابس للامة اي ذي درع وبعين المنتزع منه كما في لهم فيها دار الخلد اي في جهنم التي هي دار
الخلد انتزع منها دارا اخرى وجعلها فيها معدة للكفار تهويلا لامرها ومبالغة في
اتصافها بالشدة وبلا توسط حرف كما في

فلان بقيت فلا رحلن بغزوة ۞ تحوي الغنائم او يموت كريم

انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه واشرنا بما تقدم الى بلوغه منه ومن العلم
الغاية التي لم يبلغها ولم يتعد غارها ولم يمتط ذروة سنامها بشر سواه واجلاله
محله علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه منها غاية لم ينلها احد من اجل انحلاله
محله من ذلك اي من العقل والعلم وما يتفرع منه متحقق لاريب فيه وهذا احد
معاني اذ كما في ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اي ولن ينفعكم اليوم تمنيكم بعد ما منكم
لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا او لن ينفعكم لاجله اشتراككم في العذاب كما ينفع ذوي
شدة معا ونتم جميعا في حمل اعبابها دون كل واحد منهما وحده وذلك عند من
تتبع اي من علم ما ذكر من هذه الصفات بطريق تتبع مجاري احواله الجارية على سنن
الحق ومنهج العدل واطراد سيرته المرضية ونعت اخلاقه الرضية وطالع جوامع
كلامه الموجز لفظا الكثير معنى علمها بطريق المطالعة وطالع محاسن شمايله اي
اخلاقه الرضية اي الشمايل جمع شمال اي خلق وبدايع سيره اي سيره
البديعة اي الحسنة التي لم يسبق اليها ولم يحم طير رغبة احد فيها سواه عليها
وحكم حديثه جمع حكمة وهي الاصابة في القول اي حديثه المصيب غرض الحق وعلمه
بما في التوراة والانجيل اي وعلم انه عالم بما فيهما وما في الكتب المنزلة من احكام
ومواعظ وغيرهما وعلمه وحكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
بكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس وسياسات
الانام اي القيام عليهم بما يصلحهم وتقرير الشرايع اي بيان احكامها وتمهيدها
وتاصيل الاداب النفيسة اي تقريرها وتبيينها والشيم الحميدة الى فنون
العلوم التي علمها افاضة عليه من المبدا الفياض مما اتخذ اهلها كلامه صلى
الله عليه وسلم فيها قدوة اقتدوا به فيها واتخذوا اشاراته ورموزها حجة كالعبارة
مصدر عبر الرؤيا بالفير اي غير عاقبتها واخر امرها ومنه ادلتها اي ذكرت مالها ورجعها
والطب مثلث الطا مصدر طب اي عالج ووصف الدوا وهو اصطلاحا علم يعرف به
احوال بدن الانسان والحساب مصدر حسب اي عد وهو اصطلاحا علم يعرف به مقادير
العدد والفرايض جمع فريضة بمعنى التقدير او من الحد بمعنى القطع وهو اصطلاحا علم
يعرف به احوال المال الموروث ومن يرثه كله او بعضه ومن لا يرث من القرابة والنسب

من نسبت الرجل عزوته الى ابيه ورجل نسابه اي بليغ العلم بالانساب وتاء ه للمبالغة
وغير ذلك مما استخرج من العلوم دون تعلم له من بشر ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي لا ريب فيه امي نسبه الى الام كما روي في الحديث
انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اي بحسب على اصل جبلتنا وولادة امهاتنا لم نتعلم
حسابا ولا كتابا وقيل الامي من لا يكتب لا يعرف بشي من ذلك اي من تعليم ومدارسة
ومطالعة ونحوها مما ذكر حتى شرح الله تعالى صدره اي وسعه ونوره بالايمان
والعلم والحكمة ولذا امن من كونه نبيا بايات ظاهرة ومعجزات باهرة وعلمه ما لم
يكن يعلم واقراه القران على لسان جبريل بشهادة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان
علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه وعطفه على عام
تنا وله تلويح بفضله حتى كانه ليس من افراده اذ القران منبع كل علم يعلم ذلك
اي ما بلغه من العقل والعلم دون تعليم بالمطالعة في دلائل نبوته وسيره وشمائله
والبحث عنه بالضرورة اي بمجرد الالتفات الذهني اليه ويعلم ذلك ايضا بالبراهين
القاطعة بما قام من الارهاصات قبل بعثته والمعجزات بعدها على تحقق ذلك
ايضا بثبوت نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص مما يتبين بطرق الضرورة
ولا بسرد احاد القضايا مما يتبين بالنظر فيه اذ مجموعهما لا يمكن حصر
بحصيه عددا ولا يحيط به حفظ جامع بضبطه علما وبحسب عقله كانت
معارفه في نهاية لا تدرك وشرف لا يسام مرتقيا الى سائر ما علمه الله تعالى
واطلعه عليه من علم ما في الغيب مما سوف يكون في الشهادة وما كان فيها من
الاعيان وما علمه من عجائب قدرته وعظيم ملكوته مما شاهده ليلة الاسرا
وغيرها قال عز قائلا وعلمك ما لم تكن تعلم من الشرايع وخفيات الامور
وضماير القلوب وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك وانعم عليك
حارت العقول في تقدير فضله عليه فلم تدرك كيف تهتدي فيه الى بيانه وخرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك اي عجزت ان تنطق بما يحصي مما من الله تعالى
عليه به او تنتهي اليه فصــــل واما الحلم والعفو والاحتمال مع القدرة
بضم الدال وكسرها اي القدرة والصبر على ما يكره فكان صلى الله عليه وسلم منها
بمحل لا يسام لا يرام وبين هذه الالقاب فرق غير كلا عن الاخر فان الحلم حالة
توقر وثبات في الامور وتصبر على الاذى لا يستفز صاحبه الاذى الى الغضب
عند الاسباب المحركات للغضب ولا يحمله على انتقام وهو شعار العقلاء والاحتمال
حبس النفس عند ورود ما يغيرهما من الالام والمؤذيات عليهما وهذا من
عطف العام على الخاص ومثلها اي المذكورات الصبر اي في كونه حالة ثبات
وحبس ومعانيها متقاربة والظاهر ان الصبر لها كالجنس وهي له كالانواع
واما العفو فهو ترك المؤاخذة والتجاوز عن الذنب واصله المحو والطمس وهو
من امثلة المبالغة وهذا اي ما ذكر من الاخلاق الكريمة مما ادب الله تعالى به
نبيا صلى الله عليه وسلم فقال مما ادبه به خذ العفو اي المساهلة وترك
المواخذة والبحث عن مذام الاخلاق امره صلى الله عليه وسلم بالاخذ العفو وما سهل

من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة ولا طلب ما يشق عليهم حذرا من ان ينفضوا
من حوله وامر بالعرف اي المعروف وهو كل جميل يرضى عقلا وشرعا واعرض عما
يصدر عن الجاهلين من معايب وما يجدي نفعا ولا تمارهم والاية انزلت امرا
بمدارات الكافرين ثم منسوخة باية السيف او بمكارم الاخلاق فمعناها لا تقابل بل في
جاهلا بسفهه عليك هذا ولا تنس ما مر من ان ليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق
منها وروي عن تفسير محمد بن جرير وابن ابي حاتم وابي الشيخ ومكارم الاخلاق
لابن ابي الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه لما نزلت هذه الاية عليه يعني خذ
العفو سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم اتاه فقال
يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك بخ بخ هذا وايك الشرف والكرم وقال له حكاية عن وصية لقمان لابنه
يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك من المحن
الموروثة للمنح سيما في امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقال تعالى له فاصبر
كما صبر اولو العزم اي الثبات والجد من الرسل اصحاب الشرايع الذين اجتهدوا
في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة من طعن فيها ومشاهيرهم
نبينا ونوح وابراهيم وموسى وعيسى اوهم الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح
صبر على اذى قومه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على
فقد ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى على عدوه
فرعون وقال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على
خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال له وليعفوا اي باوزارهم
وليصفحوا بالاغماض عنهم الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم تكم
الى من اساء اليكم وروى البخاري لما نزلت قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه بلى احب
ورجع الى مسطح نفقته التي قطعها عنه بخوضه مع اهل الافك فيما قالوا
وقال له ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر لنفسه ان ذلك الصبر والغفران
منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف في عز السمن منوان بدرهم اي منه للعلم
به وامره صلى الله عليه وسلم بالصبر فيما ذكر ونحوه مع كونه له جبلة وخلقا
طلب له والدوام عليه كما في يا ايها الذين امنوا امنوا اي دوموا على الايمان ولا خفاء بما
يؤثر اي فيما يروى من حلمه واحتماله الاذى من قومه بشهادة قول ابي سفيان
وقد قال يا عم له اما ان لك ان تسلم بابي انت وامي ما احلمك ولا خفاء ان
كل حليم قد عرفت منه زلة من الزلل بمعنى الخطا والذنب وحفظت عنه هفوة
اي زلة غابر بينهما تفننا والكلية صادقة بغير الانبياء اما هم فاختيار كثيرين
انهم معصومون صغيرا وكبيرا من الزلات فهم في العصمة كهو فلا تفاضل فيما بينهم
وهو لا يزيد مع كثرة الاذى الواصل اليه منهم الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
المتجاوز منه اليه الا حلما هذا وروي عنه هنا بسنده الى مالك في موطائه
والشيخين وابي داود عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين خير لفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة

وابدانا بعمومه اذا كان هو او غيره فان الله ما جعل الخيرة في امرين جايزين الا
اختار ايسرهما ارشادا للامة وابتنا لدينه على اليسر يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر ان هذا الدين يسر كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جمعته
عليهم اي على قريش الاخشبين فقال بقوله دعني انذر قومي رجاء ان يوحدوا
الله او يخرج من اصلابهم من يوحده ما لم يكن له اثما اطلاقا للسبب على مسببه
مجازا مرسلا لعلاقة السببية اي ما لم تكن ايسرهما مما يترتب عليه اثم فلا يختر
الله تعالى فيهما لكون احدهما اثما او فلا اختاره والمخير عند الله ومن ثم
قال تاكيدا فان كان اثما كان ابعد الناس منه لعصمته وفيه تلويح باستحبا
الاخذ باليسر والارفق ما لم يكن حراما او مكروها وما انتقم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي ما الحقت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد
على مكروه اتاه من قبله الا ان تنتهك حرمة الله استثناء منقطع اي الا
ان يبالغ احد في خرق حرمة الله التي من اسبابها خرق حرمته صلى الله
عليه وسلم اذ من محارمه الله تعالى فينتقم لله تعالى اي بسبب حرمة الله
ممن ارتكبه لا بسبب حرمة نفسه ولمسلم ما نيل منه شي قط فينتقم من صاحبه
الا ان ينتهك شي من محارم الله فينتقم لله اي ما اصيب من احد باذى وعاقب
به انتصارا لنفسه لكن اذا بالغ في خرق شي من محارم الله التي من جملته حرمته
انتصر لله وعاقب له لا لنفسه فلم يكن انتقامه الا لله وان كان بانتهاك حرمة
نفسه وفي هذا التلويح ما يجب على الحلم والعفو واحتمال الاذى والانتقام لدين
الله وكم ورد عنه ما يوذن بمكارم الاخلاق وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته بفتح فتخفيف بابه كسرها عتبة بن ابي وقاص وشج وجهه
شجه عبد الله بن شهاب الزهري كلاهما يوم احد شق ذلك اي كسر رباعيته
وشج وجهه على اصحابه شديدا فقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا حذف مفعوله للتعميم وفاعله لتعظيمه ونحوهما امر
اي بعثني الله تعالى داعيا لمن يريد الله تعالى هدايته او لكل احد اليه
ورحمة لمن اخرجه من الكفر الى الايمان وللكافرين بتاخير العذاب في
الدنيا عنهم او لاقرب الناس الى الله والى رحمته لا لابعدهم عنها اذ
اللعن ابعد عن رحمته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون رواه البيهقي
في شعب الايمان مرسلا ثم اخرجه موصولا وهو في الصحيح حكاية عن نبي
ضربه قومه زاد ابن هشام في سيرته انها تنبيه اليمنى السفلى وجرح
شفته السفلى وان ابن قميئة جرحه في وجنته قال يعقوب بن عاصم
فمات حتف انفه اي سلط الله تعالى عليه تيسا فنطحه فقتله او فالقاه من
شاهق الجبل فمات واما ابن هشام فاسلم واما عتبة ففي تهذيب النووي ان ابن
منده عده من الصحابة وانكره ابو نعيم اذ لم يذكره فيهم احد قبله والحديث قاضي
بانه لم يدع عليهم فيعارضه حديث عبد الرزاق في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم
دعا على عتبة حين كسرها قلنا لا معارضة اذ لا يلزم من عدم دعائه على الجميع

عدمه على البعض ولا من عدم المبالغة فيه عدم صدوره منه في بعض الاحيان فان قيل كيف
دعا لهم بالهداية مع علمه بان بعضهم لا يؤمنون بنحو ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم قلنا يجوز ان يكون قبل الانذار او هو عام اريد به خاص او لان الهداية ممكنة
في نفسها غير ممتنعة لذاتها بل لاخبار الله بعدم وقوعها ولا خلف فيه فان قيل طلب الدعا عليهم
غير منحصر في اللعن فكيف يقول لم ابعث لعانا قلنا الدعاء على الكفرة لعن لهم اذ هو
البعد عن الرحمة مع ان النفي انما توجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم ابعث كثير
الدعا عليهم وقد روى البخاري وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام و
عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي
معيط وعمارة بن الوليد وروي عن عمر ولم يعرف بابي انت وامي اي تفدي او افدي
بهما يا رسول الله لقد دعا نوح وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فعالا من الدور مما يستعمل من الاسماء في العام اي احدا يدور في الارض ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا لكننا لم نهلك فلم تدع علينا فانتج رفع التالي رفع مقدمه فلقد وطي
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك بفتح الراء وتخفيف الباء فابيت ان تقول
الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فحذف مفعوله لتذهب النفس كل
مذهب ممكن انظر لم يرد به مخاطبا معينا بل كل من ياتي منه ما في هذا القول اي قول
عمر وما اشار اليه من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس
وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم ولم يتعرض
لهم بسوء حتى عفى عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعى وشفع لهم فقال اللهم اهد قومي
واغفر لقومي ثم اظهر الشفقة والرحمة بقوله لقومي باضافتهم اليه ثم اعتذر عنهم
بجهلهم اي بسببه فقال فانهم لا يعلمون كل ذلك رحمة اذ ما في بيت الا له فيه قرابة
وان لم يكونوا له اولياء بشهادة حديث الشيخين ان ال ابي فلان ليسوا لي باولياء انما
ولي الله وصالح المومنين ولكن لهم رحم ابلها ببلالها اي لا اواخي من ليس صالحا وان كان
قرابتي وانما احب الله لما يحق له على عباده واحب صالح المومنين واواليهم وادعي لذوي
رحمي فهم بصلة الرحم فتنبه على التبري ممن خالف وعلى موالات الصالحين قيل
المكنى عنه الحكم ابن ابي العاصي والكناية في بعض الرواة حذرا الفتنة شبه الرحم
بارض اذا بلت حق بلالها اثمرت وظهر في ثمارها النضارة واذا تركت يبست ولم
تثمر وكذا الرحم بقطعها تظهر العداوة وقد ورد بلوا ارحامكم اي صلوها وقد روى
الشيخان لما قال له الرجل هو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمي اعدل فان
هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
صلى الله عليه وسلم نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك نصب على المصدر يضاف
كما هنا ولا يضاف كويحا له وقد يرفع كويحه وويح له وفي الحديث ويح عمار تقتله الفئة
الباغية وهو كويس كلمة ترحم تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فلجهله رحمه مبينا
له ما جهله من انه صلى الله عليه وسلم الحري الخليق بالعدل بقوله فمن يعدل ان لم اعدل
شرط حذف جزاؤه لدلالة ما قبله عليه افاد انكار ان احدا يعدل دون ان يعدل هو ذاهبا
الي معنى ايعدل غيري وانا اجور كلا خبت وخسرت بضم تائهما على المتكلم وروي بفتحهما

من خطاب اي حرمت كل خير وخسرت ان لم اعدل شرط حذف جوابه ودل عليه ما قبله وذلك
ان شمية جزا توسعا لدلالته عليه ورد على سبيل الغرض اشارة الى ان لم يعدل فقد باء
بالخيبة والخسران وتلويحا بكمال اتصافه بالعدل والحلم والعفو وبراءة ساحته من الغرض
واسقاط ما وجب له عليه من قتل لرعاية لايمانه الظاهر وصبرا على اذاه اذ كان قد استحق
به النكال ومن ثم نهى من هو خالد بن الوليد او عمر وكلاهما اراد من اصحابه قتله وروى
البيهقي لما تصدى له غورث بن الحرث ليفتك به اذ جاء على حين غفلة منه ليقتله
ورسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع المضمر اي وهو منتبذ في
ناحية بعيد عن اصحابه تحت شجرة في ظلها وحده قايلا والناس قايلون في غزاة فى
ذات الرقاع في رابع سنة من الهجرة فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم من نومه الا وهو اي
غورث قايم والسيف صلتا اي حال كونه مسلولا في يده فقال من يمنعك مني فقال
صلى الله عليه وسلم الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لغورث من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه وعفى عنه وكان ذلك سببا لاسلامه
فجا الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس غير منازع ولا مدافع ورواه الشيخان
بدون سقوط السيف وقوله صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني وجواب غورث ومن
عظيم خبره صلى الله عليه وسلم في العفو عفوه عن زينب بنت الحرث قال ابو داود وهي
اخت مرحب اليهودية التي سمته اي جعلت له السم في الشاة بعد اعترافها على الصحيح
متعلق بعفوه لا باعترافها وان زعم اي عفوه عنها على الصحيح من الرواية بعد اعترافها
رواه الشيخان بشهادة رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وفي شرف
المصطفى قتلها وصلبها وجمع بينهما بانه عفى عنها لحق نفسه اذ كان لا ينتصر لها ثم
قتلها قصاصا بمن مات من اصحابه باكله منها كبشر ابن البراء اذ لم يزل معللا به حتى مات
بعد سنة ومن عظيم خبره في العفو انه لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به
اي بانه سحره واوحى اليه بشرح امره كما رواه احمد والنسائي والبيهقي في دلايله سحر
النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاءه جبريل فقال ان رجلا من
اليهود سحرك عقد لك عقدا في بير كذا وكذا فبعث فاخرجها فجاء بها فحلها فقام كانما
نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راى في وجهه حتى مات ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته فضلا كما مر مصدر فعل محذوف وقع هنا بين نفي واثبات لفظا لقصد
استبعاد الادنى اعني ما دخله النفي بمعنى عدم بعيدا عن الوقوع واستحالة ما فوقه
اعني ما دخله عن بمعنى عدم محالا اي انتفت معاقبته والذي فضل اي نفي منهما هو عدم
عتبه هذا او السحر من اوله نفوس خبيثة اقوالا او افعالا يترتب عليها امور خارقة
للعادة وتعلمه للعمل به حرام وفعله كبيرة واعتقاد حله كفر لكن لتاثيره زيادة بيان تاتي
وكذلك لم يواخذ كما رواه الشيخان عبد الله بن ابي راس من باض النفاق في افئدة
ضمايرهم وفرخ الحسد والكذب ولم يواخذ اشباهه من المنافقين بعظيم
ما نقل عنهم في جهته من الجرايم قولا وفعلا كقوله تعالى حكاية عن زعيم النفاق من
ابي يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه وبالاذل
نبي الله بل قال على المريسيع ماء لبني المصطلق قولا ابن ابي ودق لطمحلبنا له جعال من فقراء

المهاجرين

المهاجرين مساعد لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك
ياكلك اما والله لين رجعنا الاية ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل
طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن
ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين
ثم اخبره الله تعالى به فقال عمر رضي الله تعالى عنه دعني يا رسول الله اضرب عنقه
قال لا اذن لك يتحدث وفي رواية فكيف اذا تحدث ان محمدا يقتل اصحابه في حكم العلة
لترك قتله مع رعايته اسلامه الظاهري وروى الشيخان عن انس رضي الله تعالى
عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد او شملة مخططة او كساء اسود
مربع فيه معز غليظ الحاشية فجذبه وفي نسخة فجبذه بتوسط البا في الاول او معلم
اعرابي جذبة شديدة حتى اثرت حاشية البردة في صفحة عاتقه وهو ما بين
العنق والكتف فلم يتاثر من سوء ادبه ثم قال على عادة اجلاف العرب يا محمد
احملني على بعيري هاتين من مال الله تعالى الذي عندك فانك لا تحملني من
مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله
وانا عبده ثم قال صلى الله عليه وسلم ويقاد منك اي يفعل بك يا اعرابي مثل
ما فعلت بي ثم قال لا لم لا يقاد منك قال لانك لا تكافي بالسيية السيية فضحك
صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر هذا والابيك
الحلم والتجاوز عن جاهل جلف غليظ جاف كسر سورة غضبه وامتزاء مراجعه طلبا منه
للعفو عنه بقوله انك لا تكافي بالسيية السيية وروى الشيخان قالت عايشة رضي
الله تعالى عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها
قط تاكيدا لنفي انتصاره لنفسه حلما وكرما وصبرا على الاذى وامتثالا لامر ربه باخذ
العفو والامر بالعرف والاعراض عن الجاهلين ما لم تكن المظلمة حرمة من محارم الله
تعالى ان تكها احد فينتصر وان كان هو المظلوم لله لا لنفسه وما ضرب بيده شيا
قط شفقة ورحمة منه عليه الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ببعض هند اذا صلة
ممكنة على الطلى بعد الهامات لهم فما ضرب احدا من الاعدا الا كانت حتف انفه
وعذابا له بشهادة خبر ابي بن خلف وقد خدشه يوم احد في عنقه فجزع جزعا عظيما
بالم شديد فقيل له ما هذا الجزع فقال والله لو بصق محمد علي لقتلني وبين احترازه عن
ضرب عن بامره تاديبا او تعزيرا او حدا ولا يضرب خادما ولا امراة شفقة لهم ورحمة
اذ كان منهما محل امان اليه شا ولسبق ولام قالمستثم وهذا الحديث موذن لبغاية
مدحه مبالغة في تنزيهه وتبرية ساحة جنابه عما لا يليق به وجواز مدح الانسان
بما فيه من صفات الكمال وروى احمد والطبراني بسند صحيح انه جي اليه برجل حذف
فاعله وبني للمفعول لانكره لعدم العلم بهما فقيل نقاديا عن ان يكتم عنه ما يوذيه وتنبيها
على ارادته به ذلك واحتمال اعنها بقرينة ما دل عليها منه اذ هي امر خفي لا يطلع عليه الا
من جهته هذا اراد ان يقتلك فقال له تانيسا لنفسه وتسكينا لقلبه ليذهب عنه
ما راعه مؤكدا له لن تراع لن تراع اي لن تفزع بمكروه علما منه بان قتله محال ومن ثم قال
له منزلا لارادة قتله منزلة عدمها لاستحالة عدمها لاستحالته ولو اردت ذلك لن تسلط

على لعصمة الله تعالى اياه من الناس وروى البيهقي مفصلا ووصله ابن حبان والطبراني وابو نعيم بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم جاءه زيد بن سعية بمهملتين فتحتية مفتوحة فنون او بالمثناة التحتية وعن تجريد الذهبي زيد بن سعنه بالنون اصح واسيد بفتح الهمزة بن سعية بالياء اصح قبل اسلامه يتقاضاه في موضع الحال اي متقاضيا دينا له عليه وجيء به بمشارعا بعد ملجاء ماضيا قصد الاحضار صورة تقاضيه دينه لان المضارع مما يدل على الحال الحاضر الذي من شانه ان يشاهد كانه يبصر السامع اياه ويطلب منه مشاهدتها تعجيبا من جراته بسوء ادبه على اشرف موجود واكرم محمود عز به تعالى بشهادة قوله فجذب ثوبه على منكبه واخذ بمجامع ثوبه واغلظ اي قال له قولا فظا ثم لم يكتف به حتى قال متمما انكم يا بني عبد المطلب مطل جمع مطول كمفعول بمعنى فاعل وهو الليان بالدين فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم حال منصحبة بكمال حلمه وحسن خلقه وجميل عفوه ومن ثم قال له انا وهو كناية الى غير هذا الذي صدر منك منتهرا له به ومغلظا له في القول احوج يا عمر اذ كان الاولى انك تامرني بحسن القضا لدينه وتامره بحسن التقاضي مني ويوخذ من هذا جواز ابتداء الانسان بنفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم موكدا بلام القسم لقد بقي من اجله اي من اجل دينه ثلاث حذف تاوه لحذف مميزه الذي هو ايام كما في من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر كله وامر صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله تعالى عنه بقضية ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه عمر رضي الله تعالى عنه فكان ذلك اي حلمه وعفوه عنه بما صدر عنه في حقه صلى الله عليه وسلم من سوء الادب قولا وفعلا سبب اسلامه وكان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا قد عرفته في محمد الا اثنتين لم اخبرهما احدهما انه يسبق حلمه جهله اي غلب اتصافه بالحلم على اتصافه بالجهل براه الله من ذلك واتى بالمضارع احضار الصورة كونه سابقا حلمه جهله تبصير السامع اياها طالبا منه مشاهدتها تعجيبا من تلك الصورة الحليمية والشيمة الرحيمية ولا تزيده شدة الجهل عليه من احد الا حلما فاختبرته بهذا اي الذي صدر منه في حقه قولا وفعلا فوجدته كما وصف ترجع الى ذهنه الصايب وفكره الثاقب وخاطره اليقظان وفطنته العجيبة الشان ناظرا بنور عقله وعين بصيرته فاهتدى الى الاسلام وخالط بشاشة قلبه الايمان اذ كان اعلم من اسلم من احبار يهود واحلمهم واكرمهم ما لا استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفي قافلا من غزوة تبوك الى المدينة والحديث المخبر عن وفور حلمه وحميد صبره وجزيل عفوه عند المقدرة احتراس عن توهم كون عفوه عن عجز اكثر من ان ناتي عليه للاخبار به عن صفات من مبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم وحسبك اي كافيك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة مشتهرا ومستفيضا ما ذكرهما لم يتواتر الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدايد اي مغالبة اعداء الله في الصبر عليها الى ان ظفره الله تعالى بنصره عليهم وتاييده وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم جملتان حاليتان اي حكمه فيهم حال تيقنهم لما حل بهم من الجزع الفادح والهلع الفاضح اذهابه

اياهم جميعا وحال ابادة جماعتهم فما زاد على ان عفى اي تجاوز ولم يواخذهم واصله المحو والطمس وصفح عنهم صفحا جميلا وقال تلويحا بلطفه بهم وشفقته عليهم مستندا لاستمالة قلوبهم وتطييبا لخواطرهم بعد ما ادخل في خواطرهم نفوسا ذلك اليهم ما يقولون اني فاعل بكم قالوا استعطافا له عليهم وطلبا لرحمته بهم اذ هو اهل التقوى واهل المغفرة خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب اي لا تانيب ولا عتب عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام يغفر الله لكم ما فرط منكم اذهبوا فانتم الطلقا من الاسر قال ذلك يوم فتح مكة اخذ بعضادتي باب الكعبة رواه ابن سعد والنسائي وابن زنجويه وروى مسلم وابو داود والنسائي هبط ثمانون رجلا من التنعيم ادنى بقاع الحل من حرم مكة على ثلاثة اميال او اربعة منها صلاة الصبح اي في وقتها ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا مقهورين مغلوبا عليهم فاعتقهم كرما وعفوا فانزل وهو الذي كف ايديهم اي كفار مكة عنكم وكف ايديكم عنهم ببطن مكة اي داخلها من بعد ان اظفركم اي اظهركم عليهم فهزمتموهم وادخلتم بطنها وذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسماية الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في جماعة فهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة وقيل يوم فتح مكة وبه اخذ ابو حنيفة ان مكة فتحت عنوة وضعف بان السورة نزلت قبله وقال لابي سفيان وقد سيق اليه جملة حالية مع ما بعدها وردت اعتراضا بين القول ومقوله مفصحة بحال صاحبها اي جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة بعد ان جلب اليه الاحزاب يوم الخندق في شوال او ذي القعدة سنة اربع او خمس وبعد قتل عمه حمزة واصحابه ومثل بهم اسند اليه القتل والمثلة مع ان قاتل عمه وحشي والممثل به زوجته هند بنت عتبة مجازا عقليا اذ هو السبب كما اسند الذبح في يذبح ابناءهم لفرعون اذ كان السبب الامر فعفى عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان مقول قوله صلى الله عليه وسلم ترحما وتوجعا له اذ لم يرق او من حاله وتعجبا من تمنعه به صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه الم يان لك من انا يابي اي جا اناه اي العربي وقت ان تعلم اي تشهد انه لا اله الا الله فقال ابو سفيان معتذرا له متعجبا من سعة حلمه وكرم صلته رحما وقربه عند ربه كرما بابي انت وامي ما احلمك على من جهل عليك واوصلك لرحمك واكرمك عند ربك وكان صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى مميزان للنسبة ابعد واسرع حولا عن كونهما اسمي كان مبالغة في وصفه بهما اي كان غضبه ابعد عنهم ورضاه اسرع اليهم لما منحه من مكارم الاخلاق فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة فسيتلى عليك تو بينها فمعانيها متقاربة وفرق بعضهم بتخفيف الراء مطلقا وقيل هذا مختص بالمعاني وبتشديدها بالاجسام ويجوز استعمال كل مكان الاخر مجازا ابينهما فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره اي قدره وسموه اي الكرم حرية وهو ضد النذالة اي السفالة واللاامة وجعل السماحة التجافي اي الارتفاع والتنحي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب

أنس وهو ضد الشكاسة أي صعوبة الخلق وجعل السخاء سهولة الانفاق وعنت
الشيء مالا يحمد وهو ابي الانفاق مع التجنب الجود وهو ضد التقتير اي التضييق
نقيض الاسراف في الانفاق فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي اي لا يقاوم ولا يقابل
به احد في هذه الاخلاق الكريمة من ازيته اي حاذيته واجاز عين الجوهري وازيته
بتقلب همزته واوا ولا يباري اي لا يعارض وقدم بهذا اي بما ذكر وصفه كل من عرفه
معرفة مشاهدة ومعاينة او شهرة وتقديم المجرور على عامله انما افاد التقوية دون
الحصر اذ له غير ما ذكر صفات جمة تكاد تفوت الحصر وقد اقام بينة صادقة على دعواه
انه صلى الله عليه وسلم لا يوازي ولا يباري فيما خص به ما استرع هنا عن البخاري بما
رواه عن ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا لان عطاياه كانت فايضة
كالغيث ان جئته وافاك ريقه • وان ترحلت عنه لج في الطلب وروى الشيخان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بكل ما ينفع حذف للتعميم
او لفوات احصايه كثرة لان من كان اكملهم شرفا وانظفهم قلبا والطفهم طبعا واعدلهم
مزاجا والطفهم سجية وانورهم بصيرة واسخاهم نفسا واعدهم عطاء فجدير ان يكون
اسخاهم قبيلة وانداهم يدا واجود ما كان في شهر رمضان لانه موسم النعم ومعدن
الخير وفيه يسبغ الله تعالى على عباده نعمه فاثر اتباع سنة ربه في الانعام عليهم بما
احسن الله تعالى اليه ولانه كان يناجي جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقدم بين يدي نجواه صدقة وهذا وان نسخ وجوبه بقوله تعالى أأشفقتم ان تقدموا
بين يدي نجواكم صدقة فقد بقي جوازه الذي كان في ضمن الوجوب من الاذن في الفعل
يفضله من الاذن في الترك الذي خلف المنع منه اذ لا قوام للجنس بدون فصل واجود
يجوز ان يكون اسم كان وما مصدرية وفي شهر رمضان حال سد مسد خبرها اي
حاصلا وان يكون اسمها ضمير الشان اي كان الشان اجود اكوانه حاصلا فيه وان يكون
ضميره صلى الله عليه وسلم اسمها واجود مبتدا مضاف الى المصدر المول وفي رمضان خبره
او حال سد مسده والجملة خبرها ويجوز نصبه غير مضاف خبر لها وما مصدرية ووقتية
اي كان وقت كونه فيه اجود من وقت كونه في غيره وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير
بجميع انواعه من الريح المرسلة في عموم النفع والاسراع فيه مطلقا فلامه جنسية
او عهدية بالرحمة بقرينة المقام فلامه عهدية كما في وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته شبه جوده في العادة بنشر الرياح قطر المطر في البلاد تشبيها بليغا
وشتان بينهما هذا وفي الحديث تخصيصان بعد تعميم بزيادة الافصاح بانه اجود مطلقا
ثم في رمضان ثم عند لقاء جبريل قال النووي وفيه الحث على الجود والزيادة في
رمضان وعند الصالحين ومجالسة اهل الفضل وزيارتهم وتكريرها ما لم يورث المزور
كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة سيما في رمضان ومدارسة القرآن وغيره من
العلوم الشرعية وان القراءة افضل من التسبيح والاذكار وروي عن انس رضي
الله عنه ان رجلا هو صفوان بن امية ساله حذف مفعوله اختصارا او لتذهب
النفس كل مذهب فاعطاه غنما بين جبلين لسعة جوده وسماحة نفسه ثم هذا
الاعطاء ان كان بعد اسلامه فكمال ثم شاهد الجواز اعطاء مولفة المسلمين ولو من الزكاة

دون مولفة الكافرين لعز الاسلام عن التاليف او قبله فلا يرد لحمله على انه كان اول
الامر وقد ظهرت ثمرته التي هي قوله لقومه أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة
لكرم نفسه وشرف طبعه واعطى غير واحد من المؤلفة مائة من الابل كابي سفيان بن
حرب وابنيه ومع مائة لكل واحد منهم اربعين اوقية وكحكيم بن حزام والحارث بن هشام
وروى مسلم انه اعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة وهذه اشارة الى ما تقدم
مما قبله او الى ما يتميز بها ما بعدها اي كانت حاله وشانه وسجيته ودينه قبل
ان يبعث الى الناس كافة وقد قالت له ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي
انك تحمل الكل بفتح اوله وتشديد اللام اي الثقل وكل ما يتكلف كالانفاق على العيال
واليتيم والضعيف وتكسب هنا بضم اوله المعدم بدون واو اي المحتاج تنبيه المعارف
والمال وتعينه على تحصيلها وان الذي رواه مسلم كالبخاري انه من قول خديجة بزيادة
اللام في خبر ان والواو في معدوم تكسب ورد على هوازن سباياه وكانت ستة
آلاف من النساء والذرية ورد عليهم من الاموال اربعة وعشرين الفا ابلا واكثر من
الاربعين الفا غنما واربعة آلاف اوقية فضة والاوقية اربعون درهما وفوق
ذلك فبلغ الف الف وروى البخاري عن انس رضي الله تعالى عنه تعليقا انه اعطى العباس
عمه من الذهب ما لم يطق حمله وروى ابو الحسن بن الضحاك في شمائله عن الحسن
مرسلا انه صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير
ثم قام اليها يقسمها فما رد احدا جاءه سائلا حتى فرغ منها غاية لعدم رده سائلا وروى
الترمذي في شمائله انه جاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع بباء موحدة
ثم مثناة فوقية او عكسه حذف مفعوله للتعميم اي اشتر واستلف ما تختار فاذا
جاءنا من عند الله شيء قضيناه هذا وابيك استدراك او رث ماد حية العجز عن احصا
اوصافه الجميلة وتنبيه على اعتقاد مخاطب كرم لا يرتقى اليه لم يستتم انه قد حمل نفسه كل
الدين بصلات وافرة وهبات متوافرة ومن ثم قلت في نظم درر القلايد
• ماذا اقول وقد فاضت مكارمكم • على بعلينا بروح الله مشمول •
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك جبر الخاطر السايل ودفعا
لما اعتراه من توهم رجوعه خايبا وتنبيها لعمر لياخذ به التامل الى ما يتم انه والبق
من ربه بالنجح في قضايه وان ذلك ليس تكلفا وان يتكلف فيما يتوقع عن مثل قوله ذلك
فقال له رجل من الانصار لا اعرفه وقيل هو بلال وهو مهاجري وقد يجمع بينهما
بانهما قالاه انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا نصف بيت من البسيط عري
اخره القطع فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك القول وعرف البشر
في وجهه بحمد الله واشراق اساريره وقال بهذا امرت حذف فاعله للعلم به اذ لم يكن
فوقه احد يامره به غير ربه ذكره الترمذي في شمائله وذكر عن معوذ بن عفراء
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب بزيد طبقا مما يوكل عليه واجر زغب
جمع جرو ترند قثا صغار اعليها زغب اي وبر وفي الفايق بقناع جرد بالزاي وهو الرطب
عند اهل المدينة لاجتزائهم به عن الطعام فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا كذا هنا
والذي في مسند احمد وشمائل الترمذي بسند جيد عن ابنة الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت

بنتي ابو معوذ بن عفرا بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثا وكان صلى الله عليه وسلم
يحب القثا فاتيته بها وعنده حلية قد قدمت عليه من البحرين فملا يديه فاعطانيه
وللترمذي عنها اتيته بقناع من رطب واجر زغب فاعطاني ملا كفيه حليا وذهبا
هذا وابوها معوذ قتل ببدر ولم تعرف له رواية عنه صلى الله عليه وسلم
قال فيما رواه الترمذي كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
لسماحة نفسه وقبض كفه وثقته بربه تبارك وتعالى وعن ابي هريرة ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فسأله فاستسلف له نصف وسق لا اعرف من رواه فجاء
الرجل اي رب الدين فلانه مديونه بشهادة يتقاضاه اي يطالبه بحقه فاعطاه
وسقا بفتح اوله وكسره ستين صاعا وقال نصفه قضا اي وفاء ونصفه نائل
اي عطا هبة او ابتدا الكرم فصـل واما الشجاعة والنجدة فستري ما تقريبه
عينا واصول الاخلاق الانسانية ثلاث قوى نطقية هي مبدا ادراك الحقائق
والشوق الى النظر في العواقب وتمييز المصالح عن المفاسد اعتدال حركتها حكمة هي
معرفة الامور على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية وشهوية هي مبدا اجتذاب المنافع
ودفع المضار اعتدال حركتها عفة وغضبية هي مبدا الاقدام على الاهوال والشوق
الى التسلط والترفع اعتدال حركتها شجاعة كل منها بين طرفي افراط وتفريط كما مر
فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وملكة يصدر عنها انقيادها للعقل المسمى نفسا
ناطقة في اقدامها بروية على ما ينبغي في زمن ينبغي وحال ينبغي وقد مر نكات لهذا
فيما مر بمزيد بيان اغنى عن ذكره هنا والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى
الموت حيث يحمد فعلها دون خوف اي ثقتها بربها عند طلبها الترسل اي التبسط
والاستيناس والطمانينة والسكون الى الموت بلا خوف وكانه اخذ هذا من حديث
ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه فهو كذا اي استانس واطمان ووثق به وحديث
غبن المسترسل ربا ومنشاؤ قوة النفس وشدتها وليست غير الشهادة فنفسر النجدة
بما ينشا عنها فكان صلى الله عليه وسلم منهما اي من الشجاعة والنجدة بالمكان
اي المحل المنيف الذي لا يجهل فهو لاشتهاره كعلم مفرد لا يفتقر الى زيادة بيان
قد حضر المواقف الصعبة كبدر واحد وفر الكماة جمع كمي اي شجاع مكتم في سلاحه
اذ قد كمي نفسه اي سترها بالدرع والبيضة وفر الابطال جمع بطل اي شجاع غاير
بينهما من حيث الستر وعدمه او الثاني ابلغ اي ولوا عنه مدبرين غير مرة وهو ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح حالا لان اكد كلا بما بعده اي فروا عنه حال ثباته
واقباله وما شجاع نكرة منفية عمت كل من اتصف بالشجاعة الا وقد احصيت له فرة
بالرفع نيابة عن الفاعل وحفظت عنه جولة بفتح اوله وسكون ثانيه وهو نائب الفاعل
اي ذهاب ومجي وفي الحديث فاجتالتهم الشياطين اي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال
يقال جال واجتال اي ذهب وجا سواه فلم يصدر عنه شي من ذلك لكمال شجاعته
ووفور همته وقد اسند هنا من طريق البخاري الى ابي اسحاق انه سمع البرا وساله
رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي نعم حذف
استهجانا للتصريح به لكن رسول الله لم يفر لقوة جنانه وشدة باسه واستحضر فهمك

اليقظان يرشدك الى ان هذا الاستدراك لهج بدفع توهم فرار ثم قال في رواية اخرى
ان هوازن كانوا قوما رماة وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون
على الغنائم واستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يفر لقد رايته
على بغلته البيضا وفي مسلم انها التي اهداها له فروة بن نفاثة وابو سفيان بن
عمه الحارث بن عبد المطلب اخذ والعباس اخذان بلجامها يكفانها عن اسراع
التقدم الى العدو وشفقة منهما عليه على ما يقتضيه الطبع البشري وان علما عصمته
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية وضع فيها مبتدا وهاموضع المضمر
اي وهو يقول انا النبي لا كذب ورد على زنة مشطور الرجز وليس بشعر وان كان
مقصودا اذ لا يسمى شعرا ما لم يقصد بوزنه الشعر ومن رواه بفتح البا ليخرج عن الوزن
فقد نسب افصح الخلق الى النطق بغير الفصيح اي انا النبي حقا لا افراد لا اثبت وزاد
غيره اي غير البرا انا ابن عبد المطلب هذا ناص بان البرا لم يرو هذه الزيادة والذي
في الصحيحين انها من روايته وانتسابه لجده لاشتهاره به لموت ابيه قبل ولادته
مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافي هذا نهيه عن الافتخار بالاباء اذ لم يقله
افتخارا بل ذكرا لاصحابه بما اشتهر عن جده انه بشر به مناما وتنبيها لتطمين نفوسهم
وتقوية قلوبهم وذكر مسلم عن العباس لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين حال منهم فطفق بكسر الفاء وفتحها اي جعل يركض بغلته نحو الكفار وانا
اخذ بلجامها قدم المسند اليه قصدا الى جعل الواو للحال اكفها ارادة مفعول
لاجله الكف اذ هو علة لاقدامه عليه اي امنعها من اجل ان لا تسرع الى جهة العدو
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب اخذ بركابه ثم قال صلى الله عليه وسلم
مستغيثا يا للمسلمين اي اقبلوا وقيل في حديث ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم
اذا غضب ولا يغضب الا لله اعتراض بين اذا وجوابها احترا ساعن توهم شمول غضبه
لغير الله تعالى وروى الدارمي قال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من النجدة وقد
عرفتها ولا اجود بمهملة ومعجمة من جود يجود اي اجمع وهو مما استعمل بلا اعلال
اي ما رايت احوذ اجمع للامور ولا اشد عليه منها شي مستمكنا منها احسن السياق
لها منه صلى الله عليه وسلم ومثله حديث عائشة رضي الله تعالى عنها تصف عمر
رضي الله تعالى عنه كان والله احوذيا نسيج اي متمكنا في امور حسن الثبات لها
ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى احمد والنسائي والطبراني
والبيهقي قال علي انا كنا اذا حمي الوطيس فقد مر بيانه ويروى اذا اشتد
الباس واحمرت الحدق بغضب ذويها الحاصل لهم من فوران دم القلب وغليانه
وفي الحديث الغضب جمرة توقد في قلب ابن ادم اما ترى الى انتفاخ اوداجه واحمرار
عينيه اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي اتخذناه وقاية لنا من العدو
واعل اتقى بقلب واوه يا لكسر ما قبلها ثم تا وادغمت قال علي ولقد رايتني بضم
تا المتكلم اي رايت نفسي وغيري يوم بدر ونحن نلوذ اي نستتر ونحتمي ونلوذ برسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث اللهم بك اعوذ وبك الوذ وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا بل اشدهم مطلقا وهذا من علي بنا صدق بكونه

صلى الله عليه وسلم استجمع الناس فسبحان المانح وفي حديث الشيخين لقد فزع هو
في الاصل الخوف ثم استعمل للاغاثة والنصر اي استغاث اهل المدينة ليلا فانطلق
ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا واستبرا
الخبر اي تعرف حقيقته وسببه على فرس حال من ضمير راجعا اي مستعليا عليها
عري لا سرج عليها والسيف متقلد به في عنقه وهو يقول اي قائلا لن تراعوا
بمكروه يصيبكم وروى ابو الشيخ في الاخلاق قال عمران بن حصين ما لقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتيبة بمثناة فوقية اي جماعة عظيمة من الجيش وفي
حديث السقيفة نحن انصار الله وكتيبة الاسلام الا كان اول من يضرب فاولية
المضروب مقصورة عليه لا تتخطاه الى غيره فهو من قصر الصفة على موصوفها واللازم
ان لا يتجاوزها هو الى غيرها لعدم اختصاص صفاته في الحرب في الضرب فقط الا ان
يجعل الاولية بالنسبة للكتيبة فيكون من قصر الموصوف على صفته وروى ابن سعد
والبيهقي وعبد الرزاق مرسلا والواقدي موصولا لما راه صلى الله عليه وسلم ابي
ابن خلف يوم احد وهو يقول حال من ابي اي قائلا اين محمد لا نجوت ان نجا دعا على
نفسه فاجابه الله فاهلكه ونجى حبيبه صلى الله عليه وسلم وكان يقول للنبي صلى
الله عليه وسلم حين افتدى نفسه باعطايه الفدية يعنيها يوم بدر متعلق بافتدى
وظرف لقوله عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا بفتح الراء كيل يسع ثلاثة اصع كل
صاع ثلاثة امداد كل مد رطل وثلث من ذرة اقتلك عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله وقد نال هواه بصدق متمناه وقال ان شاء الله امتثالا
لقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وهذه جمل اعتراضية
بين لما وما دل على جوابها من افادة صدور رهانه بدر قبل رؤيته له في احد
واورد فيها يقول لمضارع عند كان ماضيا ذهابا لاحضاره في ذهن السامع
وعرف قوله لهذا ذلك طالبا منه مشاهدتها وتعجيبا من تلك الصورة الكاذبة
مع الجراة والوقاحة فلما راه يوم احد استيناف لبيان حال كونه اي شد على فرسه
جواب لما الثانية دال على جواب الاولى اي حمل مستعليا عليها بقوة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه اي حال بين ابي وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجال من المسلمين يصدونه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اي
خلوا طريقه اي تنحوا عنها ولا تحولوا بيني وبينه وتناول اي اخذ الحربة من
الحارث بن الصمة فانتفض لها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الطير اي تنحوا عنه
شبه التنحي بالتطاير بعد خلاله في جنسه بجامع الانفصال بسرعة الا انه في الطيران
اقوى منه في التنحي ثم استوفيه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصالة
وفي الفعل بتبعية تطاير الشعر بفتح المعجمة وسكون المهملة وبالجمع شعر
بضم المعجمة وسكون المهملة اي كتطاير ذباب احمر او ازرق يقع على الحيوان فلما
اخذها انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعارير عن ظهر البعير اذا انتفض
فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه طعنة تردى اي سقط وفي رواية فتدادا
اي تدحرج وقيل مال بسببها عن فرسه مرارا لما غشيه من شدة الالم ما غشيه وقيل

كسر

كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول اي قائلا قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك
وفي نسخة عليك والجملة حالية من ضمير يقولون فقال لو كان ما بي بجميع الناس
لقتلهم اي يسيره قال انا اقتلك ان شاء الله تعالى والله لو بصق علي لقتلني فمات
بسرف في الكفر بسرف بفتح او له وكسر ثانيه مكان على ستة اميال من مكة في قفوله
اي رجوعه من احد الى مكة وبالجملة فكان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس بشهادة
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين حيث كلفه بجهادهم وان استعان باصحابه اذ
هو الاصل وهم تبع له على ما ورد من انه كان يكون من اتقاهم به اذا حمي الوطيس
واعطايه قوة اربعين رجلا فصل واما الحياء لغة من الحياة يقال استحى
يستحي واستحا يستحي واصل استحييت استحييت نقلت حركة الياء الاولى الى الحاء
وحذفت لالتقائهما ساكنين واما الاغضاء هو لغة ارخاء الجفن الى حيث يقارب
الانطباق فكان صلى الله عليه وسلم منهما بغاية امد عن الوهم متباعد فالحياء
رقة تعتري اي تغشى وجه الانسان من عراه يعروه اي غشيه عند ارادة فعل
ما يتوقع كراهته وهي حال وسط بين افراط هو الوقاحة والجراة على القبائح
وتفريط هو عدم المبالاة او هو انقباض يعتري القوة الحيوانية فيردها الى
ما يكون تركه خيرا من فعله واذا وصف به وتناوله المثل الاعلى كما ورد سنة
وقرانا فالمراد به الترك اللازم للانقباض والاغضاء هو التغافل عما يكره
الانسان بطبيعته فخرج ما يكره شرعا اذ هو الداعي الى النصح والدين النصيحة
وكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء وحياء
واغضاء تمييز النسبة اشد واكثر حولا عن كونهما هنا اسمي كان للاغراق والمبالغة
في وصفه بهما اي كان حياؤه اشد واغضاؤه اكثر من حياء واغضاء غيره واثر
الحياء بالاشدية لكونه سببا للاغضاء والسبب اقوى من مسببه ولكونه مشتاق
قال الله ان ذلكم اي مكثكم في بيته مستانسين لحديث بعضكم بعضا كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يتركه اذ هو غاية الحياء
يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحياء فامركم
بالخروج ولكنك تدعونا ادبا للثقلاء فاذا طعمتم فانتشروا هذا [illegible]
هنا من طريق البخاري شاهد لما ذكر كان النبي اشد حياء اي حياؤه اشد من حياء
العذراء هي التي لم تزل عذرتها اي جلدة بكارتها في خدرها حال من العذراء [illegible]
وصفه صلى الله عليه وسلم بكمال الحياء اذ كونها فيه مؤذن بعادة بانها اشد حياء
من غيرها وبين هاتيك عادة بمخالطتها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه
اي عرفنا انه كرهه بتغير وجهه من غير ان يتكلم به وكان لطيف البشرة كالعلة
لعرفانهم كراهته الشيء بادي تغير في وجهه رقيق الظاهر اي لينا سهلا لا يشافه
اي لا يكلم احدا مواجهة بما يكرهه حياء وكرم نفس مفعول من اجله لما ترك المشافهة
لما اودعه من كمال الحياء ورقة [illegible] وناهيك بهذا مدحا للحياء ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم هو خير كله وجعله شعبة من الايمان وعن عائشة فيما
رواه ابو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد شيئا

نكرة موصوفة اي شيء يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن استدراك افاد ان من شانه
ان لا يسأله احرامعينا بل يقول منكرا عليه ذلك ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا
اشارة الى ما انكره ينهى عنه ولا يسمي فاعله تصريح بالنهي المفهوم من انكار الفعل وبعد
التعيين المفهوم من نفي عائشة ما بال فلان تاكيدا لهم وروى انس كما في ابي داود انه دخل
عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا مشافهة وكان لا يواجه احدا بما يكره علة الترك
قوله له شيا المترتبة عليه اذ ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته له فلما خرج الرجل من
عنده قال صلى الله عليه وسلم لو قلتم له يغسل هذا الاثر الذي به فلو هنا لاستدعا
الفعل وحذف جوابها لتذهب النفس كل مذهب ممكن وقالت عائشة في ما رواه الترمذي
من الحديث الحسن الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا اي ليس بالفحش في كلامه
ولا متفحشا اي ولا متكلفا ومتعمدا له ولا سخابا اي ولا يرفع صوته بكثرة الصياح بالاسواق
لحسن خلقه وكرم نفسه وشرف طبعه ولله درها اذ قد نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا
والسخب بما هو جدير بفرط اجتماع الناس بحيث لا يستدعيهم الصوت الا بصياح وان كان
المفهوم من المبالغة نفي كثرته الذي لا يلزم منه نفيه لورود ه هنا في مقام لا يكون فيه
مدحا الا بنفيه من اصله ولا يجزي بالسيئة مثل السيئة التي اعترضته من غير امتثالا
لامر ربه بقوله ادفع بالتي هي احسن اي بالحسنة فوضع احسن موضعها للمبالغة ولكن
يعفو ويصفح شبه عدم مجازاته بالسيئة السيئة بهذا الاستدراك دفعا لتوهم
لزوم العفو لعدمها وروى عنه صلى الله عليه وسلم كما في الاحياء ولم يعرفه العراقي
انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد نظرا اليه لشدة ما يعتريه من الحيا ومن المعلوم
من احواله وافواله انه كان يكني عما اضطره اي الجاه الكلام اليه مما يكره استهجانا
للتصريح به وتاسيا بربه في نحو او جاء احد منكم من الغائط فاتوا حرثكم انى شئتم
ومنه قول عائشة ما رايت منه ولا راى مني تريد العورة وعن عائشة ما رايت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط تاكيد لرؤيتها فرجه

فصل

واما حسن عشرته اي مخالطته وادبه يجوز رفعه عطفا على المضاف الاول وجره عطفا
على المضاف اليه وكذا بسط خلقه مع اصناف الخلق اي سعته لهم ووفوره ليتوصل
به الى انقيادهم اليه مذعنين ودخولهم في دين الله افواجا شبه خلقه بذي سعة
على جهة الاستعارة بالكناية ثم اثبت له ما هو من خواص المشبه به اعني البسط تخييلا
فبحيث جواب اما اي فهو بمحل انتشرت اي كثرت واشتهرت به اي بما ذكر الاخبار الصحيحة
كخبر الترمذي في شمائله قال علي في وصفه بما منحه من الصفات الحميدة كان اجود
الناس صدرا اي قلبا اطلق عليه مجاز امرسلا لعلاقة المحلية وفي رواية اوسع الناس
صدرا لا يمل ولا يضجر بما يرد عليه من احوالهم واختلافهم افعالا واقوالا واحتمالا لاذاهم
واصدق الناس لهجة اي لسانا من لهج به اي ولع به اراد به الكلام اطلاقا لاسم الالة
على ما يصدر عنها مجازا مرسلا ووضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين والينهم
عريكة اي اسهلهم طبيعة سلسا هينا منقادا مطواعا وكناية به بينه صدق على ذلك
ما اسنده هنا من طريق ابي داود عن قيس بن سعد بن عبادة زارنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ كان من عادته يتعهد اصحابه وحسن العهد من الايمان فلما اراد

الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه قد وطا عليه بقطيفة اي كساء له خمل فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحبه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اركب فابيت حياء منه وتعظيما له فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي
رواية فاركب امامي فصاحب الدابة احق بصدرها علة للامر بركوبه امامه وارشادا الى
ان الاحب تقديم صاحبها في الركوب وفي رواية فصاحبها اولى بمقدمها ومن حديث هند
ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم اي بالتودد والتحابب ولا ينفرهم بالتباغض
والتنافر ويكرم كريم كل قوم من عطف الخاص على العام اذ هو نوع من التالف افرده
بالذكر لفضله وليوفي كل ذي فضل فضله ويوليه اي يجعل كريم كل قوم وليا عليهم
ويحذر الناس اي يتيقظ ويستعد لهم اذ الحزم كما قال صلى الله عليه وسلم سوء الظن
ويحترس اي يحتفظ منهم من غير ان يطوي عن احد بشره ولا خلقه اي لا يكف عن واحد
طلاقة وجهه ولا حسن خلقه فاثبت لهما الطي كناية عما يشبههما به مما شانه ان يطوى
ونايدة ادخال لا زائدة على تاكيد النفي ما في غيرها من معناه ويتفقد اصحابه بزيارتهم
والسوال عنهم تكرمة لهم وتوددا اليهم ويعطي كل جلسائه نصيبه من التفاته اليه
بمحادثة او تعليم بطلاقة وجه او بشارة او نحو ذلك لا يحسب جليسه ان احدا اكرم
عليه منه لما يناله من انواع الاكرام وحذرا مما يفضي لو اكرم بعضا دون بعض الى التحاسد
والتباغض والتدابر وقد قال لهم لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا
من جالسه او قاربه لحاجة صابره اي انتظره متصبرا حتى يكون هو المنصرف غاية
لتصبره اي الى ان ينصرف ذلك المجالس له من تلقاء نفسه ومن ساله حاجة لم يرده
الا بها حيث قدر او بما يسره من القول وعدا او عزم لمانع اقتضاه على طريقة
منع الخلو اي لا يخلو حاله عن احدهما اذا استل قد وسع الناس بسطه جودا ورحمة
وحلما ومغفرة وسلما و وسعهم خلقه اي طبعه وسجيته بالمكان الرحب وحقيقته انه
لصورة الانسان الباطنة اي نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها كالخلق لصورته
الظاهرة واوصافها ومعانيها وفي مرهذا امزيد بيان وتبين قول عائشة رضي الله تعالى
عنها كان خلقه القران اي كان متمسكا بادابه واوامره ونواهيه وما فيه من مكارم ومحا سن
فصار لهم ابا حنوا ورحمة وشفقة وصاروا عنده في الحق سواء لعصمته من الاغراض
النفسية الحاملة على الهوى بهذا اي الذي وصفه ربيبه من خديجة هند بن ابي هالة
قال وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر اي طلق المحيا متهلل الوجه سهل الخلق بمعنى
الاصعبة باستقامة فطنته وصفا خاطره وسلامة فطرته وعقل وافر لين الجانب بمعنى
اللاشديد ليس بفظ بمعنى اللاسيء الخلق واللاشرسه ولا غليظ بمعنى اللاجاف ولا سخاب
وروي بالصاد كلاهما بمعنى الصياح ولا فحاش في اقواله وافعاله والفحش كلما اشتد
قبحه من الذنوب والمعاصي ولا عياب على احد ما يفعله من مباح فان كان حراما او مكروها
نهى عنه من غير تعييب وتانيب ولا مداح لاحد بما يودي الى اطراء وقد قال لا تطروني كما
اطرت النصارى بن مريم هذا وانظر الى كل صيغة مبالغة عراها نفي في مقام مدح
كما هنا تجد الفهم والذوق شاهدا اصدق بتوجيهه الى اصل الفعل وقلعه من سنخه وان كان
الظاهر توجيهه الى الزيادة عليه فقط يتغافل عما لا يشتهي قولا وفعلا بما لا يتبين

عليه اثم اذ لا يقدر على مثله ولا يوبس منه اما مبني للمفعول وضمير منه له صلى الله عليه وسلم
بمعنى والحال انه بتغافله عنه لا ييأس احد منه صلى الله عليه وسلم بحيث لا يؤدي تغافله
الى كراهته او للفاعل والضمير لما تغافل عنه اي والحال انه لا يوبس من نفسه او بتغافله عنه
احدا بتغافله عنه بحيث لا يكون كذلك وقال فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة فما
مزيدة للتاكيد ومر له وفضل بيان اعني على اعادته فاعف اي اصفح عنهم ولا تؤاخذهم امرهم
بما يورث تالفهم وطواعيتهم له وانقيادهم اليه وشاورهم في الامر فيه ايذان بجواز مشاورة
الاكبر للاصغر استعطافا وتطييبا وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة اي اصفح عنها
وقابلها بالحسنة التي هي احسن مطلقا او بما يمكن ان تقابل به من الحسنات ما لم يؤد ذلك
الى مداهنة في الدين وانما اخرج مخرج الاستئناف مع كونه جوابا لمقدر نحو كيف اصنع
لا بلغيته من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على الافضلية وهذا من اكمل
ترتيبه بمكارم الاخلاق واحاسن الافعال وروى ابن سعد مرسلا انه كان يجيب من دعاه
تالفا له وجبرا لخاطره وليقتدي به غيره وروى يقبل الهدية تفاديا من التباغض والتقاطع
بالتحابب والتواصل ولو كانت اي الهدية كراعا بضم اوله وهو ما دون الركبة من ساق
الانسان وما فوق نحو الخف والظلف والحافر من غيره ولو هنا كهي في مثل تصدق
ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس ولو خاتما من حديد للتقليل
ويكافئ وللبخاري ويثيب عليها ليستن به غيره والمكافاة في الاصل المماثلة ولعله
صلى الله عليه وسلم كان يكافئ باكثر منها دائما كما عن بنت معوذ بن عفرا وروى
الشيخان قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين بعد الهجرة
فما قال لي اف اي قبحا ونتنا مستقبحة اعلى اذ هو صوت المتضجر اذا راى ما يكرهه قط تاكيد
لنفي التانيث وتقدم لهذا بيان وروى ابو نعيم في دلائل النبوة بسند واه عن عائشة
ما كان احد احسن خلقا تمييز للنسبة احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه احد من اصحابه ولا دعاه احد من اهل بيته الا قال لبيك كمال ادبه
وحسن تواضعه وقد قال ادبني ربي فاحسن تاديبي ولبيك لم تستعمل الا بلفظ التثنية
بمعنى التكرار اي اجابة بعد اجابة نصب على المصدر بعامل محذوف وروى الشيخان
عن جرير بن عبد الله البجلي اليمني ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي عنه منذ اسلمت ولا راني الا تبسم من اذعانه تعجبا وانقياده للاسلام مع كونه
سيدا مطاعا كبير القدر عريض الجاه بديع الجمال ومن بسط صلى الله عليه وسلم له رداءه
اكراما له وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم تانيسا لهم
وتواضعا وجبرا لقلوبهم مع كمال البشر وطلاقة وجهه ويداعب صبيانهم اي يمازحهم
وقد قال لجابر فهلا بكرا تداعبها وتداعبك ويجلسهم في حجره تالفا لهم وتطييبا لقلوب
ابائهم ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين هذا وابيك التواضع مع جلالة
قدره ورفعة محله وسيادته الاولين والاخرين ويعود المرضى ولو كانوا في اقصى
المدينة ويقبل عذر المعتذر وفي الصحيح انه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك
ووكل سرائرهم الى الله تعالى اذ كان من تمام المروءة اخذ العفو وترك المؤاخذة وروى
ابو داود والترمذي والبيهقي قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي ما جعل احد اذنه محاذية لفمه ليحادثه فينحي راسه في حكم المستثنى اي الا فيستمر ملتقما
لها اذنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه غاية لتركه تنحي راسه فجعل اذنه كاللقمة
لفمه فاستعار لها اسمها استعارة تحقيقية ثم قرنها بالتقم ترشيحا للمجاز او شبه
جعله اذنه محاذية لفمه بالالتقام مدخلا له في جنسه ثم اشتق منه التقم فوقعت الاستعارة
في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وما اخذ احد بيده فيرسل يده من وضع
الظاهر موضع المضمر اي الا استمر في يد اخذها حتى يرسلها الآخذ غاية لترك ارسالها
غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها هو ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له
من جلسائه تواضعا منه وادبا وحسن معاشرة لهم ومن حديث ابن ابي هالة وكان يبدا
من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة مفاعلة من استصفح الكف بالكف
واقبال الوجه على الوجه عند اللقاء وروى ابو داود عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه
ما لقيته قط الا صافحني اي الصق صفح كفه بكفي وروى الدارقطني في غرايب مالك
ووهاه لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حياء منهم وتواضعا واكراما لهم حتى يضيق
كالعلة لتركه مدهما اي يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على احد من جلسائه
يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه تفضله عما قبله حذرا من توهم كونه بما قبله
ويؤثره اي يقدمه على نفسه بالجلوس على الوسادة اي المخدة التي تحته اجلالا له وتكريما
ويعزم اي يجد ويؤكد عليه في الجلوس عليها ان ابى الجلوس عليها ويكني اصحابه
من كنى يكني ويكنو اعن كذا اذا وري عنه لما في كنى من اخفاء وجه التصريح وكذا المعلومة
يقول لكنى عدوه اذا وصل اليه مصادره من حيث لا يشعر ومنه الكنايات ان الزمان الجراحة
المسلمة ببنيه من حيث لا يشعرون اي يجعل لاصحابه كنى كابي فلان وابن فلان وبنت فلان
وسميت كنى لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو مؤذن باستحباب التكني
ولهذا مزيد بيان في شرح كتابنا مقاصد المقاصد ويدعوهم باحب اسمائهم ولا ينبزهم
بما يكرهون تكرمة لهم مفعول لاجله دعاؤهم اياهم بالجها ولا يقطع على احد اي يرفع
يتحدث حديثه حتى يجوز غاية لترك قطعه حديثه اي الى ان يخرج منه الى ما لا يليق
فيقطعه بنهي عنه زجرا له او قيام اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر
على مثله ويروى كما في الاحياء انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته
وسال عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته قال العراقي لم اجد له اصلا وحديث عبد
الله بن الحرث رواه احمد والترمذي بسند حسن وحديث انس بعد رواه مسلم فصل
واما الشفقة اي الخوف وعن عبيدة بفتح عينه اتينا الحسن فازدحمنا على مدرجة
ربه فقال لو احسنوا ايها المرون وما على ابنا الشفقة لكن عليكم اي وما اشفق عليه
شفقا وانما اشفق عليكم والرافة والرحمة لجميع الخلق قدم ابلغهما تاسيا بكلام الله
المجيد فقد قال الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم مدحا له وتكريما لقد جاءكم رسول من
انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم
ايمانا وصلاحا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم ابلغهما رعاية للفاصلة هو
والمجرور لاختصاصهم برحمته في الدنيا والاخرة وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
اذ ما ارسل به سبب لاسعادهم وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه قال بعضهم فضله

تفضله عما قبله لاختلاف القايل قدر ما وجدوا وصفات من فضله صلى الله عليه وسلم
اي مما فضله به على غيره انه اعطاه الله تعالى سجيته الرافة والرحمة فيه اسمين
اشتقاقهما وسماه بهما فقال بالمومنين رؤوف رحيم وقد اسند هنا من طريق مسلم
الى ابن شهاب وفيما انه ذكر حنينا اي شان غزوته قال ابن شهاب فاعطى صفوان بن
امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة تالفا له وشفقة عليه قال اي ابن شهاب ان صفوان
قال والله لقد اعطاني ما اي شيا كثيرا عظيما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما
زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي لعلمه ان دواه من دواه الكفر ذلك المنبع اشارة
ان الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الداء وقد راى ان داء المولفة حب المال والاحسان
فداواهم باكرم عطاء حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام وروى ابو الشيخ والبزار
ان اعرابيا جاءه صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك
استفهام تقريري اي حمله على الاقرار بانه احسن اليه فقال لا ولا اجملت اي ولا
اوصلتني جميلا قال ذلك لجلافة وغلظة ارهقت المسلمين غضبا عليه فقاموا
اليه ليوقعوا به ما استحقه فاشار اليهم ان كفوا عنه شفقة عليه ورحمة ثم دخل صلى
الله عليه وسلم منزله وارسل اليه وزاده ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله
تعالى عني بسبب ما احسنت به الي من اهل وعشيرة خيرا من تبعيضية والجملة اعتراض
بين الفعل ومعموله محلها نصب على الاختصاص او على الحال اي اخصك من بينهما او حال
كونك منهما فقال له صلى الله عليه وسلم انك قلت ما اي شيا عظيما استهجانا قبيحا
قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء عظيم او غيظ وربهم عليك وقد وضع اسم الاشارة موضع
المضمر تلويحا الى شان غير مشاهد بالبصر هو قوله القبيح مع كون القياس فيه الاضمار
فعدل الى اسمها لكمال العناية بتمييزه كانه يبصر سامعيه ان هذا الحاضر المميز المعين
هو قوله العجيب قبحا فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
بقولك ذلك لهم ما في صدورهم عليك قال نعم اي اقول لهم ذلك فلما كان الغد او
العشي جاء اي الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما
سمعتموه قال فزدناه فزعم انه رضي كذلك استفهام تقريري اي احق ما قلت
عنك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي
ومثل هذا المثل في الاصل النظير ثم استعمل في القول السائر الممثل مضربه بمورده
اي موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هي الحالة الاصلية التي ورد فيها الكلام
كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة بها كحال المستوقد نارا ولا يضرب الا ما فيه
غرابة زيادة في التوضيح والتقدير فانه اوقع في النفس واقمع للخصم ويريك المتخيل
محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لما له شان عجيب وفيه غرابة من حال او صفة
او قصة نحو مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ولله المثل الاعلى مثل الجنة التي وعد المتقون
اي شبهي وشبهه العجيبة الشان مثل اي شبه رجل له ناقة شردت عليه اي
نفرت وذهبت في الارض وفي حديث خوات بن جبير انه صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل
شرادك تعريضا له بقصته مع ذات النحيين في الجاهلية يعني لما فضحها وطرده سيها شرد
خوفا كذا قاله الهروي والمروي عن خوات انه قال لما نزلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبنني فاخرجت حلة من عيبتي فلبستها وجلست اليهن
فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبته فقلت يا رسول الله جمل لي شرود وانا ابتغي
له قيدا فمضى واتبعته فالقى الي رداءه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال
يا اباعبد الله ما فعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك
علي فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت اصلي فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين و
خففهما وطولت رجاء ان يذهب عني فقال طول يا اباعبد الله ما شئت فلست ببارح
حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك يا اباعبد الله
ما فعل شراد جملك فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ اسلمت فقال رحمك
الله مرتين او ثلاثا ثم لم يعد فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها
خلوا بيني وبين ناقتي اي اتركوني وهي فاني ارفق بها منكم واشفق عليها واعلم بحالها
منكم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض جمع قمامة وهي الكناسة اريد
بها هنا ما تقممه من المرعى فتاكله مشبهه بالكناسات لخسته فاستعار له اسمها فردها هما
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها اي استقر على ظهرها جالسا
واني لو تركتكم حيث اي حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار عقوبة له باسائته
عليه صلى الله عليه وسلم اذ ليس له ان يوذيه فكانت ملاطفته وزيادته له سببا لتوبته
ورضاه فهو ارفق به واعلم بحاله منهم وروي من طريق ابي داود والترمذي عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيا مما ينكر فعله من
اثمهم كان في اي وقت كان وهذه النكرات وردت في حيز النفي مستوعبة بمعنى فعمت جميع
الاصحاب والاوقات والاشيا مكروهة او حراما بشهادة المقام اذ لا يتعلق بمباح
وما دون فيه بمعنى فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر مما يوغر كغيبة او
نميمة ويورثه غضبا وتكدرا ومن شفقته على امته تخفيفه عنهم اعباء التكاليف
وتسهيله عليهم وكراهته لهم اشياء مخافة ان تفرض تلك الاشياء عليهم وتخفيفه فنه
مفعول من اجله التخفيف والتسهيل والكراهة وهذا حديث اجمالي اورد لكل ما يثبته
جمعا وتفصيلا كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان لولا ان اشق على
امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء ولكني لم امرهم به فلم اشق عليهم فاستثنى
نقيض التالي لزمه نقيض مقدمه واخذ من الحديث استحبابه في كل حال الا للصايم
بعد الزوال وتاكده في مواطن لتغير الفم وعند الوضوء والصلاة وقراءة القران
وخبر صلاة الليل فعله ما رواه الشيخان في قيام الليل كخبر خذوا من العمل ما تطيقون
اذا نعس احدكم فليرقد حتى يذهب النوم عنه فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري
لعله يستغفر الله فيسب نفسه وما روياه في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله تعالى عنهما وتفهيمهم صيام رمضان لمقوله اي ونهيه اياهم فيما رواه عن
الوصال في الصوم وكراهته لهم فيما رواه ابو داود وصححه الترمذي دخول
الكعبة لئلا يعنت امته اي يوقعهم في العنت اي المشقة والضرر واصل العنت
انكسار العظم بعد جبره ثم استعير لكل مشقة وضرر ورغبته لربه ان يجعل سبه
ولعنه اي صدر منه شيء منهما لهم رحمة ومن شفقته على امته كما رواه الشيخان

انه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز اي يتعجل في صلاته رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع
من يصلي معه من والديه ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان ان دعا ربه وعاهده
فقال اللهم ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة اي طهرة ورحمة ترحمه بها وقيلا
عطفا تفسيري اذ هي منه تعالى رحمة وطهورا تطهره به وقربة تقربه بها اليك
يوم القيمة انما اعاده لما فيه من الزيادة ومن شفقته لما كذبه قومه كما رواه
الشيخان اتاه جبريل فقال ان الله قد سمع اي علم بلا جارحة اذ لا يعزب عن علمه مسموع
قول قومك لك وما ردوا عليك من تكذيب وغيره وقد امر ملك الجبال ان تامره
اي من اجل ان تامره بما شئت فيطيعك فيهم فناداه ملك الجبال باسمه او بما اشتق
له اسماء النبوة او الرسالة وسلم عليه وقال امرني بما شئت طلب التعجيل الماذون
به رغبة في طواعيته ان شئت طبقت عليهم الاخشبين جبلا بمكة تقيعقان
وابي قبيس وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فقال بل ارجو ان يخرج الله
من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا تاكيد لما قبله وبل اضراب به
عن تاخيرهم من اطباقهما وعدمه وروى ابن المنكدر من التابعين فحديثه مرسل
اذ لا مجال للاجتهاد فيه ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك اي بطاعتك فمرها بما شئت وحذف مفعوله لتذهب
النفس كل مذهب ممكن فقال صلى الله عليه وسلم اوخر عن امتي العذاب لعل الله
ان يتوب عليهم رافة بهم ورحمة ولا منافاة بين هذا الحديث وما قبله وبين قوله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لعلمه تعالى منه صلى الله عليه وسلم انه لا يختار
استيصالهم فلا تعذيب وهو فيهم وفائدة تخييره اظهار شرفه حلما واحتمالا وشفقة
وعفوا ومكانة هذا او تسلطه عليهم انما كان بعد الهجرة والاية مكية فلما هاجر
الى المدينة نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي عن
ان يطوفوا به غيرهم اذ كانوا يقولون نحن اولياء البيت فنصد من نشاء ونترك
من نشاء فنزل وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون وقد مر قول الحسن وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية منسوخة باية وما لهم الا يعذبهم الله فلا اشكال
وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فيما رواه الشيخان كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة بخاء معجمة اي يتعهدنا من قولهم فلان يتخول
مال فلان اي يصلحه ويقوم به وقال ابو عمرو الصواب بالمهملة اي يتحرى الحال
التي ينشطون للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا ورواه الاصمعي يتخوننا
بالنون اي يتعهدنا مخافة السامة اي الملل والضجر علينا مفعول لاجله اي تخولنا
ابقاء عليهم ورفقا بهم وحذرا من مللهم موعظته فتفوتهم وربطه العنت فيهم فيكون

فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم من الوفا اي القيام بمقتضى الوعد وحسن
العهد اي الحفاظ ورعاية الحرمة وصلة الرحم اي الاحسان الى ذوي قرابته واظهار
التعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم على ما مر فكان منه بما وسع الخلائق
رافة وحلما ورحمة وسلما شهادة ما اسنده هنا من طريق الى داود الى عبد الله بن ابي
الحمساء بمهملتين بينهما ميم ساكنة قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان

يبعث وبقيت له بقية اما من الثمن او المثمن فواعدته ان اتيه بها في مكانه الذي صدر فيه
البيع او عزم وتثبت ان اتيه بها ثم ذكرت بعد ثلاث لم يلحق به التاء لحذف مميزه الذي هو ايام
فجئته فاذا هو اي ففاجاني كونه صلى الله عليه وسلم في مكانه مكان الوعد فقال
يا فتى لقد شققت علي انا هنا منذ ثلاث اي ثلاثة ايام انتظرك لتاتيني فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الوفي بعهده ويكفي الوفي به مدحا قوله من علت كلمته والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا وروى البخاري في الادب المفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى فلانة لا اعرف من هي فانها كانت صديقة لخديجة
ظاهره العموم في الاقوال والافعال والازمان ولعله كان اكثريا وفيه الحث على البر
والصلة وحسن العهد وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما غرت على
امراة ما غرت اي كثيرا على خديجة لما كنت اسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها
علة لغيرتها وان بالكسر مخففة من الثقيلة مثل وان كانت لكبيرة الا اي وانه كان ليذبح
الشاة فيهديها الى خلائلها جمع خليلة اي صديقة واستاذنت عليه اي طلبت الاذن
في الاتيان اليه اختها اي اخت خديجة هالة بنت خويلد ام ابي العاصي بن الربيع زوج
زينب بنته صلى الله عليه وسلم فارتاح لها اي مال اليها بنشاط قلب وطلاقة خاطر
وتهلل وجه وطمانينة نفس ودخلت عليه امراة فهش لها اي فرح واستبشر وارتاح
لها واحسن السؤال عنها اذ لم يعرفها اولا فلما خرجت قال كانت تاتينا ايام خديجة
لله در عائشة رضي الله تعالى عنها فقد اقامت بينة على عذرها في الغيرة على خديجة
رضي الله تعالى عنها ثم ذكرت ما انسها وسكن خاطرها اعني قوله صلى الله عليه وسلم
وان حسن العهد من الايمان اي انا بان ذلك انما كان لحق الايمان ووصفه صلى
الله عليه وسلم بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه اي يحسن الى الاقربين في ذوي نسبه
واصهاره ويتعطف عليهم ويرفق بهم ويراعي احوالهم وان بعدوا واساءوا من غير ان يو ثرهم
اي يفضلهم ويفردهم ثم يثني على من هو افضل منهم انصافا منه وتنزيلا لكل ذي
فضل منزلته اذ الفضل انما هو بالعلم والتقوى لا بمجرد شرف النسب اذ لا يفضل
احاد قريش او احاد بني هاشم او غيرهم على عالم من علماء الدين يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكفاك به حكما باستيفا
صلة الرحم وان كانوا مفضولين وتقديم الافضل على الاقارب وان بروا لا انصاف
وروى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم ان ال ابي فلان هو كما مر ابو العاصي بن
امية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوي حذرا من اله بني امية اذ كانوا خلفا
ليسوا لي باولياء حتى او انهم اولياء ولي الله وصالح المؤمنين غير ان لهم رحما اي قرابة
سابلها ببلالها بفتح بائه الثانية وكسرها جمع بلل اي اندبها بمعنى اصلها في الدنيا ولا
اغني عنها من الله شيئا بصلتها اطلاقا للنداوة على الصلة كما اليبس على القطيعة لان
بعض الاشيا لما كان يختلط بالنداوة ويتفرق باليبس استعير البلل لمعنى الصلة
واليبس لمعنى القطيعة فشبه الرحم متفرقة الى الصلة بارض عطشى محتاجة الى بل
الغيث على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها البل تخييلا وفي الحديث بلوا ارحا حكم
ولو بالسلام وقد روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم صلى بامامة ابنته

ابنة زينب بنت ابي العاصي بن ربيعة بن عبد شمس حملها على عاتقه في موضع الحال
من امامة او من ضمير صلى فاذا سجد وضعها واذا قام حملها بيان لكيفية صلاته
بها قال الخطابي واسناد حملها ووضعها في كل خفض ورفع فيها اليه مجاز
لانه يشغله عن صلاته وانما كانت قد الفته وانست به فاذا سجد جلست على عاتقه
فلابد فيها تبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد فعلت كذلك هذا
وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها اياه اذ لا قرينة صارفة الى المجاز
وقال ابن بطال كان في صلاة نافلة ونقله اشهب عن مالك ورده النووي بما رواه
ابن عيينة عن ابي قتادة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وامامة
بنت ابي العاصي على عاتقه وبنص رواية ابي عنه قال بينما نحن ننتظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الظهر او العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه
فقام في مصلاه وقمنا خلفه وزعم بعض المالكية انه منسوخ قال ابن
دقيق العيد وروي عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ بتحريم العمل في
الصلاة بقوله صلى الله عليه وسلم ان في الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر
عند قدوم راويه عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه من الحبشة وقدوم
زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره عن مالك انه حملها لضرورة
دعته اليه اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد اشق واشغل عليه
من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به وقال النووي هذه كلها دعاوي
مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك مرعيا ليس فيه
ما يخالف قواعد الشرع وما في ثوبها من نجاسة يعفى عنه لكونه في معدنه وثياب
الاطفال واجسادهم على طهارتها وادلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها
هذا وانما فعل ذلك تشريعا بيانا للجواز وقد افاد ان لمس المحارم لا ينقض وضوء
والعمل اليسير لا يبطل الصلاة وكذا كثير من تفاصيله وروى البيهقي عن ابي
قتادة رضي الله تعالى عنه قال وفد وفد ابي ورد وارسلا للنجاشي فقام النبي
صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه تواضعا منه وارشادا فقال له اصحابه نكفيك
ايخدمهم فقالوا انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم اي اجازيهم
مثل ما فعلوا معهم احسانا وروى ابن اسحاق والبيهقي لما جي بالنبا المفعول له
باغنة من الرضاعة الشيما بمعجمة وتعال بزيادة مثناة تحتية بيان لاخته هو
في سبايا هوازن من بني سعد بن بكر وتعرفت له جملة حالية اعتراضية بين لما
وجوابها بسط له رداه اجلالا واكراما وحسن عهد ومكافاة لها اذ هي التي كانت
تربيه مع امها حليمة وقال تخيرها ان شئت اقمت عندي مكرمة محببة او
متعتك متاعلمتنا ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقد فازت هي
وابواها واخوها بسعادة الاسلام كذا قيل وروى ابو داود بسند حسن قال ابو
الطفيل تصغير طفل عامر بن واثلة الكناني اخر من مات من الصحابة رايت النبي
صلى الله عليه وسلم اي بالجعرانة يقسم لحما اذ اقبلت امراة اذ اما ظرف لاقبالها
مفاجاة او بمعنى قد اي رايته بها وانا غلام وقت اقبالها او مفاجاتها وقد اقبلت

حتى دنت منه فبسط لها رداه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته صلة
لها وادبا وتواضعا وكفاك به حالما يقبول الرواية في الصغر وروى ابو داود مرسلا عن
عمر بن السائب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل
ابوه من الرضاعة هو الحرث بن عبد العزى فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت
امه اي من الرضاعة الظاهر انها حليمة اذ هي اشهر مرضعاته فوضع لها شق ثوبه
من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام فاجلسه بين
يديه اجلالا لهم وتكريما وارشادا للاقتداء بسنته وروى ابن سعد عن الواقدي عن غير
واحد من اهل العلم ومن طريق اخرى عن اللهبي مرسلا وكان يبعث الى ثويبة مولاة عمه
ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة وكفاك بهذا غاية في البر والصلة وحسن العهد
هذه او ابيك الكرم فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد بقي منهم وفي
الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سال عنها وعن ابنها مسروح فقيل
ماتا وفي حديث خديجة الذي رواه الشيخان انها قالت له صلى الله عليه وسلم
ابشر فوالله لا يخزيك الله من الخزي اي لا يهينك ولا يفضحك ولمسلم لا يحزنك
من الحزن وقد ورد ما صنيه ثلاثا وباعيا اقسمت عليها الاخ لها منه من ملابس
النجابة ونفائس الاصالة ومكارم السيادة وكرائم السعادة بما منحه من صفات
الكمال بانه لا يشام ضيما ولا ايلام وصيها ابدا انك لتصل الرحم علة لبشارتها اي تحسن
الى اقاربك بما امكن من ماله وخدمة وزيارة وسلام ونحو ذلك من انواع الصلات
والمبرات وتحمل الكل اي الثقل من كل ما يتكلف له كالعيال كما مر وتكسب المعدوم ان
كان مما يتعدى الى مفعول واحد مثل كسبت مالا فمرادها انك تصل الى كل معدوم وتناله
فلا يتعذر عليك وان تعدى الى اثنين فمرادها انك تعطي الناس الشيء المعدوم وتوصلهم
به وهذا اولى اذ هو من باب الانعام والتفضل ولا انعام فيما يكتسبه الانسان لنفسه
بل فيما يوليه غيره فباب الحظ والسعادة في الاكتساب غير باب الانعام والتفضل
وتقري الضيف بفتح التاء من قربته قري بكسر اوله والقصر وبفتحه والمد وتعين
على نوائب الحق احترازا عن نوائب الشر قال لبيد
• نوائب من خير وشر كلاهما • فلا الخير ممدود ولا الشر لازب •
والمعنى انه لا يصيبك مكروه ابدا لما اودعه من كريم الصفات وهو شاهد صدق بان
نوائب الخير تورث السلامة من نوائب الشر والمكارم سبب لدفع المكاره ويجوز مدح
الانسان في وجهه ما لم يكن بباطل او يؤدي اليه وعليه فقصر حديث احثوا في وجوه
المداحين التراب وبانه ينبغي تانيس من اوجس في نفسه خيفة وتبشيره باسباب
السلامة وبكمال خديجة وجزالة رايها اذ قد وصفته باصول المكارم للاجانب
والمحارم فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم مصدر تواضع من
باب التفاعل بزيادة الالف والتاء وهو هضم النفس من الملكات المرضية الموروثة
للمحبة من الله تعالى ومن خلقه على علو منصبه ورفعة رتبته لتمكنه منها
واستقراره عليها خالصا من اعلاشها واتقد غارسه فكان اشد الناس تواضعا لشرف
قدره وكرم محله واعدمهم كبرا مبالغة في وصفه بعد الكبر بصياغة منه اسم التفضيل

والانهو لا يصاغ الامن فعل وجودي اي بلغ من هذا الوصف السلبي مبلغا عظيما
لا يشاركه فيه احد وتواضعا وكرامة لنسبة اسد واعدم حولا عن كونهما اسمى كان
هنا للمبالغة في وصفه بهما لكونه خليقا بذلك وفي نسخة واقلهم كبرا والاولى اجود
لافتقار الثانية الى حملها على نفيه من اصله لكونه في مقام مدح والا فالنفي في باب
اسم التفضيل لا يتوجه الا الى الزيادة على اصله وحسبك مبتدا اخبر الجملة بعده
اي كافيك انه صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد والبيهقي خير بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا ابتعادا عن ما هو من شان الملوك من التكبر
والتكاثر والترفع عن الخدمة وذهابا الى ما هو من شان العبيد من التقلل في الدنيا
وخدمة السيد والافتقار اليه فقال له اسرافيل فان الله تعالى قد اعطاك
بما تواضعت اي بسبب تواضعك له انك سيد ولد ادم جملة ان واسمها وخبرها
محلها نصب لسده مسد ثاني مفعولي اعطى يوم القيمة قيد لسيادته مع كونه سيدا
مطلقا لظهورها فيه عيانا لكل احد ولا منازع وهو كقوله تعالى لمن الملك اليوم
مع كون الملك له مطلقا لكن لما كان في الدنيا من يدعيه ويسند اليه مجازا قيد
كونه فيه لظهور انقطاع ذلك كله فيه وكذلك به حاكما بافضليته على كل المخلوقات
منطوقا واولويته وقد اعل سيد بقلب واوه بالكسر ما قبلها واول من تنشق عنه
الارض للبعث فلا تقدم لاحد عليه بعثا لاختصاصه به واما حديث فان الناس يصعقون
اي يغشاهم غشية كالموت يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى
باطش بجانب العرش فلا ادري اكان من صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله
فصدرها الصعقة كما قال التوربشتي والمصنف صعقة فزع بعد البعث وابين قوله
يوم القيمة واول شافع يوم القيمة او في الجنة لرفع درجات الناس فيها بشهادة
ظاهر حديث مسلم انا اول شافع في الجنة وقد اقام شاهدا على تواضعه ما اسنده هنا
من طريق ابي داود الى ابي امامة ورواه ابن ماجه عنه ايضا قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم متوكيا حال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي متحاملا
على عصى فقمنا له عقب خروجه علينا فقال عقب قيامنا نهيا لنا لا تقوموا كما
تقوم اي كقيام الاعاجم يعظم بعضها بعضا حال مؤكدة لكون قيامهم انما كان
للتعظيم والتفخيم فخرج القيام لاهل الخير والعلم احتراما واكراما لا ريا واعظاما
فانه مستحب بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال [illegible] الحديث انما اعاده لكونه
هنا اليق مما تقدم وروى البخاري وغيره انه كان يركب الحمار ويردف خلفه
من اراد من اصحابه كالصديق وذي النورين والمرتضى ومعوية وعبد الله بن جعفر
وزيد واسامة وبنتي حيي وقيس وصفية وخولة ويعود المسكين ويجالس الفقرا
ويجيب دعوة العبد جبرا لقلوبهم ومحافظة على فعل الخيرات وارشادا اليه فله في
كل خير جهة تحصيل وجهة ارشاد ومن حديث هند بن ابي هالة كان يجلس بين ظهراني اصحابه
مختلطا بهم لا يتميز بمجلس يرتفع عليهم فيه بل حيث ما انتهى به المجلس جلس تواضعا
وارشادا وفي حديث عمر من رواية البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني اي
لا تجاوزوا الحد في مدحي كما اطرت اي كاطراء النصارى المسيح عيسى بن مريم حتى اخذ

بهم الاطراء بهم له الى ان زعموا انه ابن الله افتراء على الله وقد ضلوا وما كانوا مهتدين فالنهي
انما توجه الى الاطراء المشابهة لاطرائهم لا الى اصله اذ المدح على الفعل الحسن والامر
المحمود ترغيبا وتحريضا على التخلق بالخصال الحميدة حسن بشهادة اقرار خديجة
على مدحها له واما حديث اذا رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب فمحمول على
المجاوزة والكذب فيه وروى مسلم عن انس رضي الله تعالى عنه ان امراة لعلها ام زفر
اذ قد ورد مرسلا انها كانت صحابية وكان في عقلها شي من الجنون جاءته صلى الله عليه وسلم
فقالت له ان لي اليك حاجة فقال لها اجلسي يا ام فلان لم يعرف الراوي اسم ابنها
فكنى عنه في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك جواب مقدر بعد الامر اي ان تجلسي
حتى اقضي حاجتك فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها غاية لجلوسه اليها
تواضعا وملاطفة لها ويوخذ منه استحباب الملاطفة لمن كان به ذلك وروى ابو
داود والبيهقي قال انس كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار تواضعا وهضما لنفسه
يدعو اليه الا باذن سيده وكان يوم اي زمن غزوة بني قريظة عقب غزوة الخندق
راكبا على حمار مخطوم بحبل من ليف هو ورق النخل عليه اكاف حال من ضمير مخطوم
والاكاف بكسر الهمزة وضمها البرذعة او ما يشد فوقها والاصل وكاف على بقلب واوه
همزة وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة بكسر الهمزة كلما يوتدم به من الادهان
السنخة اي المتغيرة الرائحة فيجيب من دعاه الى ذلك وروى الترمذي وابن ماجه
والبيهقي قال اي انس حج صلى الله عليه وسلم على رحل حال من ضمير حج اي كور
وهو للبعير كالسرج للفرس رث اي خلق بال وعليه قطيفة اي كساء لها خمل ما تساوي
اربعة دراهم لان الحج من اعظم شعاير التواضع والافتقار الى الله تعالى ومنع النفس من
الملابس بتجردها عنها متوجهة الى الموقف لتذكر الموقف الحقيقي الذي هو يوم العرض
على الله تعالى وذلك من اكرم محاسن التشريع والتعليم والارشاد والاخلاص بشهادة في
قوله اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة بل خالصا لوجهك الكريم هذا مبتدا اخبر
الخبر مركب من اسمي فعل امر واشارة يورد كما بعد للانتقال من اسلوب الى اخر
وسمي اقتضابا والواو بعده للحال وقد يذكر خبره كما في هذا ذكر اي تامل ذا الصنيع الجليل
والقصد الجميل يورثان تعجبا من حجه على تلك الهيئة تواضعا واستكانة منه الى ربه
التي لم يثنها انه قد فتحت عليه الارض والقت اليه افلاذها من ذهب وغيره وروى
[illegible] ماية بدنة تقربا الى الله تعالى وارشادا لهم الى سنة
في ذلك مما يليق بجنابه الكريم من انواع القربات والصدقات وروى ابن اسحاق
والبيهقي عن عايشة رضي الله تعالى عنها والحاكم والبيهقي وابو يعلى عن انس لما
فتحت مكة ودخلها جيوش المسلمين طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس
براسه قادمته غاية لطاطاته راسه تواضعا لله تعالى مفعول لاجله الطاطاة
[illegible] فقوله لا تفضلوني اي تفضيل مفاخرة والا فلا ينافي نهيه عن ما في
الواقع من كونه افضل بشهادة حديث البخاري انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر
[illegible] لم ادر من رواه بهذا اللفظ والذي في البخاري لا يقولن احدكم اني خير
من يونس بن متى وله من قال انا خير من يونس بن متى ولابي داود ما ينبغي لنبي ان يقول

انا افضل من يونس بن متى ولا بي داود ما ينبغي لنبي ان يقول انا افضل من يونس بن
متى لا تفضلوا بين الانبيا ولعماس انبيا الله تعالى اي تفضيل مفاخرة ولا فهو
واقع بينهم وروي الشيخان وابو داود والنسائي است مسلم ويهودي فقال
والذي اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه فقال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فسال المسلم عنه فاخبره فقال لا تخيروني على موسى اي تخيير مفاضلة كما مر
وروي الشيخان نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى
قال له تواضعا وهضما لنفسه لا اعتراف به من واحد منهما فكانه قال اذا لم اشك
في احياء الله الموتى فابراهيم اولى بعدم الشك فاشبه لهما ينفي الشك عنهما وذلك
ان يجعله فيا سائر طبا هكذا لو شك ابراهيم في احياء الله تعالى الموتى لكنت
احق بالشك منه لكني لم اشك فلم اشك فلم يشك هو لا لاستحالة الشك فيه
على الانبيا فالشرطية نتج فيها من استثناء نقيض التالي لزوم نقيض مقدمه
وقوله رب ارني كيف تحيي الموتى شاهد صدق بان سواله لم يكن من قبل الشك
بل من قبيل رؤية تلك الكيفية العجيبة ان هذه بكمال قدرته الباهرة شوقا الى
معرفتها مشاهدة كما شتيا قنا الى رؤية الجنة مشاهدة وبهجتها وما اعد الله تعالى
فيها لعباده المومنين ولو لبثت ما لبث يوسف اي مدة لبثه في السجن لاجبت
الداعي مبادرة الى الخلاص والاستراحة فيه ولم اقل له ارجع الى ربك فاساله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن قال ذلك تواضعا ورفعة لشان يوسف وايثارا
للاخبار بكمال فضيلته وتثبته وحسن نظره في بيان نزاهته واظهار براته
وحمد الصبره وترك استعجاله خروجا منه مع امتداد لبثه فيه وتنبيها على
ان الانبيا وان كانوا من الله بمكان لا يرام فهم بشر يطرا عليهم من الاحوال ما يطرا
على غيرهم فلا يعد ذلك نقصا و روي مسلم في المناقب وابو داود في السنة
والترمذي والنسائي في التفسير انه صلى الله عليه وسلم قال للذي قال له يا خير
البرية اي الخلق ذاك ابراهيم صلى الله عليه وسلم احتراما لابوته وتعليما للامة
ودفعا للكبر عن نفسه وروي البخاري وغيره في صفته صلى الله عليه وسلم كان
في بيته في مهنة اهله بفتح الميم وكسرها وهو اوفق لزنة معناه اعني خدمة يفلي
ثوبه من فلي تلاثيا اي يزيل قمله قيل وكان لا يوذيه تكريما له وتعظيما و يحلب
شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله اي يخرزها بطبق طاقا على طاقة اعاده لكونه
وهو الجمع والضم ومنه وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يطبقان ورقة
على ورقة على بدنهما ويخدم نفسه من عطف العام على بعض افراده ليتناول باقيها
ويعلف ناضحه اي جمله الذي يستقي عليه الماء ويقم البيت اي يكنسه والقمامة
الكناسة ويعقل البعير اي يربط ركبته بالعقال يقع على الذكر والانثى ويأكل مع
الخادم الخادم يقع على الذكر والانثى لاجرايه مجرى اسما غير ماخوذة من الافعال
كحايض وعاتق ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق كل ذلك من عطف الخاص على العام
تلويحا بانه كان يخدم نفسه احيانا عموما واحيانا خصوصا اذ قد ثبت انه كان له خدم
فتارة يخدم بنفسه وتارة بغيره وتارة بمشاركة وارشادا الى استحباب خدمة الانسان

نفسه

نفسه وروي البخاري في الادب تعليقا ووصله بن ماجه عن انس رضي الله تعالى
عنه ان هي المخففة من الثقيلة تدخل على الجملتين فان كانت فعلية كما هنا وجب
اهمالها مع كون الفعل ماضيا ناسخا كما في وان كانت لكبيرة كانت الامة لامها الجنس
الصادق ببعض الافراد او للعهد الذهني التي يراد بها وجود الماهية في ضمن بعض
افرادها بقرينة المقام كما في واخاف ان ياكله الذيب فالمعرف بها في المعنى بالنظر
الى القرينة كالنكرة لا بالنظر الى مدلول اللفظ لما فيه من اعتبار الاشارة والحضور
ذهنا ولا يلزم من عدم اعتبارهما في المنكر خلوه عنهما فلم يرد امة معينة من اما
اهل المدينة لتاخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها غايته
لانطلاقها به ودخل عليه رجل الحديث اعاده هنا تنبيها على ما فيه من زيادة اما
انا ابن امراة من قريش تاكل القديد هو اللحم المملوح المجفف فعيل بمعنى مفعول
وتلويحا بانه مفعول وما كول المساكين وروي الطبراني في الاوسط بسند ضعيف
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه دخل السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترى سراويل هو فارسي معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة
ويونث وهذا مؤذن بمشروعية دخول السوق والشرا منه وقال للوزان زن
وارجح فوثب الوزان الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده
منه هذا وكان بلغه ونقلت وردائهم كانوا يتبركون به وباثاره وقد قال النبي
ان كان تقبيل يد الغير لجاه وغنى وثروة فمكروه او لزهد وصلاح وعلم فمستحب
فلم منعه من التبرك بتقبيل يده قلنا لعل منعه انما كان لما ظهر له من ان
تقبيلها لاجل امره بالرجحان من الوزن او كان تواضعا وارشادا اليه والى انه
الالايق الاحب ولا يفوت من اراده ثم منعه منه ثواب فضله اذ هو كما يترتب على
افعال الجوارح يترتب على اعمال القلوب بشهادة انما الاعمال بالنيات وقد
يترتب على مقدمات الفعل كترتبه على مقدمات مامور به امتنع فعله كذبح ابراهيم
ولده واخذ يده ليقبلها فمنعه ارشادا وتشريعا وقال هذا يفعله الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم غير متصف بصفات الملوك التي من
شانها التعاظم والتكبر بل متصف باني واحد منكم هذا امع ما قام به من الاوصاف
التي لم ينلها غيره ثم اخذ السراويل فذهبت اي اردت وقصدت لاحمله
فقال صلى الله عليه وسلم صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله هذا ارشاد
الى استحباب حمل الانسان متاعه لانه اعون على التواضع وانفى للكبر ولا يفوت
من اراد حمله عنه ثواب قصده كما مر فصل واما عدله صلى الله
عليه وسلم في الامور على قانون الحق ومنهاج الصدق وامانته من الامن ضد
الخوف فهو امين لا يخاف منه وعفته بمعنى عفة عن ما لا يليق به وصدق لهجته اي
لسانه من لهج بالشيء ولع به وفي حديث الترمذي ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبرا
من ذي لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبيه عيسى بن مريم فكان صلى الله عليه وسلم
امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة اي اعظمهم امانة واجراهم
للامور على قانون الحق واصبرهم على النزاهة عن ما لا ينبغي واكثرهم صدقا العدل

في الاصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل لا بلفظه بجعل المسمى نفسه عدلا
قيل قدم العدل على الامانة لظهوره من غير ريبة من بعد ذلك وقد سماه عليه في القسم
لانهما من صفات النفس والزم للانبيا وفيه ما فيه اذ هو ايضا من صفاتها والزم
لهم ولا خصوصية لاثره في الظهور ولظهور اثرها كذلك منذ كان منذ في الاصل
لابتداء الغاية ولم ترد هنا لبيان ابتداء اتصافه بكونه امين واعدل واعف
واصدق اذ كان صلى الله عليه وسلم قد جبل عليه بل لبيان ظهوره من حين اعترف
لك بذلك محادوك اي معادوك ومنازعوك من المحادة مفاعلة من الحد كان كلا منهما
تجاوز حده الى الاخر وفي حديث عبد الله بن سلام ان قومنا حادونا لما صدقنا
الله ورسوله وعداه بكسر عينه مقصورا اي اعاديه المتصفون بعداوته وكان
يسمى قبل نبوته الامين لظهور ملابسة الامانة عليه بما جمع الله تعالى فيه من
الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى
الله عليه وسلم وكثير منهم انه جبريل وعلى كل فهذا الوصف صادق عليه صلى الله
عليه وسلم وان كان سياق النظم شاهدا انه لجبريل وروى احمد والحاكم وصححه
والطبراني لما اختلفت قريش وتحازبت اي اجتمعت احزابا عند بناء الكعبة في من
يضع الحجر اي الاسود في موضعه حكموا اول داخل عليهم جواب لما فاذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم فاجاهم دخوله وذلك اي ما ذكر قبل ارساله اي اظهار نبوته
فقالوا معترفين له بالامانة هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وروى ابن سعد
عن الربيع بن خثيم بضم المعجمة وفتح المثلثة كان يتحاكم بالبنا للمفعول الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا من وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التمكن
في ذهن السامع وتمكن اكمل تمييز في الجاهلية لشهادة عندهم بالعدل والانصاف
قبل الاسلام وروى ابن ابي شيبة في مسنده قال صلى الله عليه وسلم والله اني
لامين في السماء قدمها لعلوها واشتهاره فيها بالامانة في الملا الاعلى بلا امتراء
امين في الارض في نفس الامر وعند من عرف علم حاله من اهلها لا منهم منه الخلف
والكذب وبه دليلا على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا باليمين وقد اسند
هنا من طريق الترمذي عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا
لا نكذبك اي لا ننسبك الى كذب اذ انت فينا صادق ولكن نكذب بما جئت به
جحدا منهم عنادا مع علمهم بحقيته فانزل الله تعالى فانهم في الحقيقة لا يكذبونك
ولكن الظالمين وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم وندا باستحكام الظلم
وتمكنهم فيه منهم بايات الله يجحدون اي يكذبون تكذيبهم في الحقيقة راجع
الى الله تعالى وروى غيره اي غير الترمذي لا نكذبك ولا انت فينا بمكذب
تاكيد لنفيهم الكذب عنه اللازم منه صدقه فيهم كما في نفس الامر وقيل كما رواه
ابن اسحاق والبيهقي عن الزهري وابن جرير عن السدي والطبراني في الاوسط
ان الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة الصحابي لقي ابا جهل يوم بدر
اي زمن وقعته اطلاقا لبعضه عليه مجازا مرسلا كما نبه على الريبة فقال له
يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يخبرني عن محمد صادق ام كاذب استفهامه

حذفت

حذفت همزته تخفيفا كما في بسبع رمين الجمر بثلاث وهي هنا للتقرير اي حمله
على الاقرار بما يعرفه من صدقه صلى الله عليه وسلم والجاية اليه فقال ابو جهل
والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط اثبت له الصدق اولا مؤكدا بشهود
ثلاثة القسم وان واسمية الجملة ثم اورد ثانيا ما افاد ازاحة كذبه وتبعيده عن
ساحة لسانه مؤكدا له بقط وما حمله على تكذيبه وانكار رسالته الا السابق شقاوته
وسال كما رواه الشيخان هرقل عنه صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال من دعواه الرسالة قال لا
اي ما كنا نتهمه بكذب بل كان امينا ذا صدق وامانة وهذا منه قبل اسلامه غاية
في الشهادة له به والحق ما شهدت به الاعداء وذلك حاكم بنباهة شان هرقل
ووفور عقله ومعرفته بصفات الانبيا لم ينفعه اذ قد هلك كافرا بعد فتح عمر
بلاده وتوغله في بلاد الكفر هربا من الاسلام ولا تغتر بمن سند في زعم اسلامه وروى
ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال النضر بن الحرث
العبدري لقريش قد كان فيكم محمد غلاما [illegible] ارضاكم فيكم الظرفان حالان
لا زمان [illegible] فيكم حديثا واعظمكم امانة تمييز النسبة اصدق واعظم حولا عن
كونهما فاعلين معنى للاعراق في وصفه بالصدق والامانة اي حديثه اصدق
وامانته اعظم وهذا لكونه من عدوه اصدق شهادة حتى اذا رايتم في صدغيه
الشيب وجاءكم بما اي بشيء عظيم من الحق جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
هذا منه غاية الانصاف لكن سبق عليه الشقا فقتل صبرا بالصفرا كافرا منصرف
النبي صلى الله عليه وسلم من بدر وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها
ما مست يده يد امراة قط تاكيد لنفي مس يده يد امراة لا يملكها وهو ولا بضعها
وكفاك به شاهدا لكمال نزاهته وعفته عن مثل ذلك فما ظنك باعظم من ذلك
قوله وفي حديث علي الى قول عايشة رضي الله تعالى عنهما كان اجود الناس صدرا
تقدم لفظه ومعنى هذا وانما ذكر عن المبرد ما حكاه عن كسرى من تقسيمه اياه
تلويحا بانه ليس فيه كبير نفع بخلاف تجزية نبينا يجزي نهاره ثلاثة اجزاء جزءا لله
تعالى لانه تعالى هو الاحق بالتقديم وجزءا لاهله ابتدا بهم على نفسه وجزءا
لنفسه ما اخلق هذه الاجزاء بمكارم الاخلاق وكرايم
الافعال والكرم ثم جزء جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين في نفعهم
وقضاء حوائجهم بالخاصة الذين هم اقرب اليه على قضاء حوائج العامة ونفعهم
وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي اي من لا يقدر ان يبلغني حاجته
وهي تشريع وجب على نفع الناس ومن ثم قال الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى
الله انفعهم لعياله ثم رغب في ذلك فقال فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلا غ
حاجته امنه الله يوم الفزع الاكبر اي يوم النفخة ويوم الانصراف الى النار او يوم
يطبق عليها او يوم يذبح الموت وروى ابو داود في مراسيله عن الحسن كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ اي لا يرمي احدا ولا يجازيه بقرف بفتح القاف
اي بذنب احد لان ما يترتب عليه فرع عن ثبوته ولا يصدق احدا على احد عدا بنه

فيهما وذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ورواه ابن راهويه في مسنده والبيهقي في دلائله عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كانت الجاهلية يعملون انما اعاده هنا لزيادة قوله غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك اي مما كانت الجاهلية عليه ثم بعد ذلك الذي هممت ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته غاية لنفي همه بشيء غير مما قبلهما قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها التمس منه على سبيل العرض ان يكلاها له حتى يدخلها فيسمر بها كما يسمر اي يتحدث الشباب اي اسمر سمرا مثل سمرهم ثم ارجع فخرجت لذلك اي من اجل سمري حتى جئت اول دار من مكة غاية لمجيئه من الدعي سمعت عزفا بمهملة مفتوحة فزاي ساكنة اي لعبا بالمعازف كالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر اي من اجل ان انظر لعبهم فضرب على اذني مبني لمفعوله وحذف فاعله تعظيما لشأنه وعلما بان ليس فوقه من يجعل على اذنيه ما يمنعها اي يسمع غير ربه اي فانامني الله تعالى انامة ثقيلة لا توقظني الاصوات فنمت فما ايقظني الا مس الشمس اي حرها كانها نامت اصابته به مسنة فرجعت وكفاك هذا اقتضيا بعصمته قبل رسالته كالانبياء قبله بشهادة المغيبات الثلاث الاخيرة وقوله ولم اقض شيئا ثم عراني اي غشيني واصابني مرة اخرى مثل ذلك الذي هممت به في المرة الاولى فعصمني الله منه ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره اي حلمه ورزانته وعظمته وصمته اي سكوته وطمانينته وتؤدته اصلها وودة اعلت بقلب واوها تاء استثقالا للضمة على الواو مع الهمزة بعدها اي تأنيه قولا وفعلا وتثبته بلا عجلة ومروءته الحاملة له على فعل كل خير وتجنب كل امر شاق وحسن هديه اي حسن سيرته السوية وهيئته ومنظره في الدين ومنه قول حذيفة ما نعلم احدا اقرب هديا وسمتا ودلا بالنبي صلى الله عليه وسلم من ابن ام عبد يعني ابن مسعود فكان صلى الله عليه وسلم بهذه الملكات في غاية الكمال بشهادة ما اسنده هنا من طريق ابي داود وغيره كان صلى الله عليه وسلم اوقر الناس من الوقار اي الرزانة والحلم اي ارزنهم واحلمهم في مجلسه فكان اعظم المجالس لا يكاد يخرج مبالغة في لا يخرج اي لا يقرب ان يظهر من تحت ثيابه شيء من اطرافه فضلا عن ان ينظر منها شيء وروى ابو داود والترمذي في شمائله قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه الاحتباء جمع الرجل ظهره وساقيه بالحبوة وكان اكثر جلوسه محتبيا وروى مسلم وابو داود عن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس في المجالس تربع ولعله كان في بعض الاوقات وربما جلس القرفصاء تلويح بقلة جلوسه على هذه الحالة والقرفصاء بضم القاف والفاء يمد ويقصر ويكسرهما وعن الفراء اذا ضمت مدت واذا كسرت قصرت وعن ابي عبيد هو ان يجلس على اليتيه ملصقا بطنه بفخذيه متأبطا كفيه وهو اي جلوسه القرفصاء ورد في الترمذي في حديث قيلة بقاف مفتوحة فياء تحتية بنت مخرمة العنبرية وكان

كثير

كثير السكوت لاشتغاله بجناب الحق وتفكره في ملكوته ومطالعة جبروته لا يتكلم في غير حاجة خاصة او عامة كهداية ضال وتنبيه غافل وتعليم جاهل وتبليغ حكم يعرض عمن تكلم بغير جميل حراما او مكروها اذ لا يقر على باطل واعراضه كاف عن انكاره صريحا لاشعاره بعدم رضاه به وكان ضحكه تبسما بدون قهقهة ولا فصلا اي تبيينا يتبينه كل من سمعه ولا يشتبه عليه لا فضول ولا تقصير اي لا يصدر عنه كلام لا داعي له ولا حاجة ولا كلام غير واف بمعناه بل كلامه جزل وهو بالمثل ذخر الفوائد كثير الفوائد لا يرهقه لغو ولا يعتريه فهاهة ولا سهو وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واحتراما واقتداء به في ضحكه اذ كان التبسم مجلسه مجلس حلم وحياء فصله عما قبله لاختلافهما خبرا عنه والحلم ملكة تورث التأني والتثبت عند محرك الغضب والحياء ملكة تمنع عما لا يليق فعله ومجلس خير وامانة محفوظ من كل ما لا ينبغي لا ترفع فيه الاصوات لانه مجلس وقار واحترام وفصله عما قبله لاختلافهما ايجابا وسلبا ولا تؤبن اي ترمى فيه الحرم بقبيح لصيانته عن الرفث من أبنه اي رميه بسوء ومن حديث نهيه صلى الله عليه وسلم عن شعر يؤبن فيه النساء وفي حديث الافك اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي اذا تكلم اطرق جلساؤه كان على رؤوسهم الطير مبالغة في وصفهم بالوقار والسكون وليس فيه خفة ولا حركة لان الطير لا تكاد تقع الا على ساكن شبه رؤوسهم لفرط سكونهم وشدة طمأنينتهم بما يقع عليه الطير مما لا ينفر منه وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا اي مائلا الى جهة يمناه ومقصده ويمشي هونا صفة لمصدر محذوف اي مشيا هينا في جعله صفة له مبالغة اي متانيا برفق وفي رواية الهوينا تصغير هونى تانيث اهون كانما ينحط من صبب اي من منحدر ويلزم منه الميل الى قدام لا السرعة ردا على من زعم لزومها له والبطء للهون كيف يجتمعان وفي حديث الطواف حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي اي اخذتا في السعي وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا اي غير مسترخ مشيه يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل كبير ثانيهما اي غير ضجر وكسل وملال ولا كسلان ولا عاجز يكل امره الى غيره معتمدا فيه عليه وقال ابن مسعود فيما رواه البخاري ان احسن الهدي هدي محمد ان هنا للشك تنزيلا للسامع منزلة سائل متردد كما ان النفس لامارة بالسوء كانه قال هل سيرة محمد وطريقه احسن السير والطرق فقيل نعم وروى احمد وابو داود عن جابر رضي الله تعالى عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل اي تان وتمهل مع تبيين الحروف والحركات بحيث يتمكن السامع من عدها من توهم تعزز ورتل اي مليح او ترسيل عطف تفسيري او شك من الراوي وفي الحديث ان الناس دخلوا عليه ارسالا لا يصلون عليه اي فرقا متقطعة يتبع بعضهم بعضا قال ربيبه هند بن ابي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع من الخصال على الحلم والحذر والتقدير والتفكر وسيأتي بيانها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فيما رواه الشيخان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث الحديث لو عده العاد احصاه لعدم دروره عليه بتمهل مبينا

مروءته وحركاته بلا عجلة وهدرمة وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما
كثيرا لملاقاته بهما الملائكة ولانهما يورثان قوة ونشاطا ومن مروءته صلى الله عليه وسلم
نهيه كما رواه احمد عن النفخ في الطعام والشراب ولابي داود وابن ماجه والترمذي
وصححه نهى عن النفخ في الاناء وللترمذي في الشراب لانه في الطعام يؤذن بالعجلة
وشره النفس وقلة الصبر والتاني وفي الاناء يورثه رائحة كريهة ومن مروءته
كما رواه الشيخان الامر بالاكل مما يلي الاكل ارشادا وتاديبا والامر بالسواك
امر ندب لانه من خصال الفطرة يزيل قلح الاسنان وتغير الفم ويطيب النفس وانقاء
البراجم جمع برجمة بالضم وهي رؤوس سلاميات الاصابع من ظهر الكف اذا قبض
الكف ارتفعت يجتمع فيها الوسخ امر بانقائها منه والرواجب جمع رجبة وهي
ما بين سلاميات من باطن الكف وهو في الحديث الا تنقون رواجبكم والسلاميات
بالتخفيف جمع سلامى وهي ما بين كل مفصلين من الاصابع ومن مروءته
استعمال خصال الفطرة وهي فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد
وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط زاد مسلم المضمضة واعفاء
اللحية والاستنجاء ابو داود ومن حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس
فرق الراس وقد مر فيها ما اغنى عن اعادته هنا فصل واما زهده في الدنيا
فقد تقدم من الاخبار ان هذه السيرة ما يكفي ويغني عن اعادته وحسبك
من تقلله منها واعراضه عن زهرتها اي زينتها وبهجتها وقد سيقت اليه
بحذافيرها جمع حذفار او حذفور اي باسرها وترادفت اي تتابعت عليه
فتوحها والجملتين في موضع الحال اعتراضا بين المبتدا والخبر افادت كمال
زهده فيها لان من سيقت اليه وترادفت فتوحها عليه جدير ان يكون زهده
فيها ابلغ زهد واتم عفافه اي كافيك مما ذكرناه حصول ما ذكر ان توفي خبر
المبتدا اي وفاته صلى الله عليه وسلم ودرعه اي والحال انها مرهونة عند يهودي
يعرف بابي الشحم في نفقة عياله وهو يدعو اي يطلب من ربه ويقول كما رواه
الشيخان اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا اي بلغة تسد رمقهم وقد اسند هنا
من طريق مسلم عن عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام
تباعا اي متوالية من خبز بر حتى لقي الله تعالى غاية لعدم شبع آله وروى مسلم
قالت عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته دينارا
ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا بل ترك ما بالتمسك به نجاة الثقلين والفوز
بسعادة الدارين وهو كتاب الله والعلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر وفي البخاري
من حديث عمرو بن الحارث بن ضرار اخي جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى
الله عليه وسلم ما ترك الا سلاحه وارضا جعلها صدقة استثناء مفرغ من عام
اي ما ترك شيئا يعتد به الا ما ذكر وخروج الارض عن ملكه بجعلها صدقة لا ينافي
كونها مخلفة عنه بطريق تملكه عليها قالت عائشة فيما رواه الشيخان ولقد
مات اللام ابتدائية ويجوز ان يقدر قبلها قسم اي لهو قد اذ والله لقد مات والحال
ان ما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير لعله نصف صاع في رف لي

جدار البيت وقالت قال لي ابي عرض علي بني للمفعول وحذف فاعله تعظيما له ان يجعل لي
بطحاء مكة اي حصاها ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما قدمه لانه بذكر الافتقار اليه
واشبع يوما هذا وارد على طريقة التقسيم وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل على التعيين
فذكر او لا جوعه وشبعه في ايامهما ثم اضاف الى الاول ما له من التضرع والدعاء والى الثاني
ما له من الحمد والثناء بقوله فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك بذلة وخضوع
لك وادعوك حذف مفعول الثاني للتعميم واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني
عليك عطف تفسيري اذ الحمد هو الثناء وروى الترمذي بلفظ فاذا جعت تضرعت
اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك عطفه على ما قبله لما بينهما من عموم
الاول موردا وخصوصه متعلقا وخصوص الثاني موردا وعمومه متعلقا وفي حديث
اخر لا ادري من رواه بهذا اللفظ ان جبريل قال له صلى الله عليه وسلم ان ربك يقرئك
السلام بنا للاقراء فلان السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرا السلام ويرده
واذا قرا على الشيخ قال اقراني فلان حملني على ان اقرا عليه ويقول لك اتحب ان اجعل
لك هذه الجبال اي اصير لك جبال مكة ذهبا استفهام تقريري اي حمله على الاقرار
بما يجب فحسب مع اسناد فعل المحبة اليه وتعليقها بما يكرهه بشهادة ما ياتي اخر الحديث
وتكون اي الجبال المجعولة لك ذهبا معك حيث ما سرت مدة مكثه فاطرق اي طاطا راسه
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا
عقل له لغفلته عما يهمه في الاخرة ويراد منه في الدنيا فقال له جبريل ثبتك الله
بالقول الثابت اي ادامك على قول لا اله الا الله وكمال هذا الحديث اعلاما بان كان
جعلها ذهبا واظهارا لما سبق له صلى الله عليه وسلم من التوفيق بعدم اختياره
ما لا دوام له ولا ثبوت هذا ولاحمد الدنيا دار من لا دار له قد يجمعها من لا عقل
له وللبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام يوما ما امسى
لآل محمد سفة من سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل فقال له ان الله تعالى سمع ما ذكرت
فبعثني اليك بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال
تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ولاحمد والله لو شئت لاجرى الله معي
جبال الذهب والفضة ولابي سعد وعساكر لو شئت لسارت معي جبال الذهب
وللطبراني لو سالت الله ان يجعل لي تهامة كلها ذهبا لفعل وروى الشيخان عن عائشة
رضي الله عنها ان هي المخففة من الثقيلة وروي ان كنا آل محمد لنمكث شهرا
ما نستوقد نارا ان هو اي ما قوتنا الا التمر والماء وروى الترمذي والبزار عن
عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير حال افادت ما كان دابه وديدنه من التقلل من
الدنيا وليس قوله من خبز الشعير قيدا لاخراج من غيره بشهادة حديث الشيخين
قبل بل المراد انه في اكثر حاله لم يشبع منه ولا من غيره حتى لقي ربه قوله واهل بيته
عطف على الضمير المرفوع المؤكد بمنفصل بعده وروى ابن ماجه والترمذي وصححه
عن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله
عطف على الضمير المرفوع المؤكد بالمنفصل الليالي المتتابعة طاويا ظرف لبيانه وطاويا

حال من ضمير يبيت وفصل بينهما بقوله هو واهله اهتماما بشانهم من حيث ان الغرض
من هذا الكلام مدحهم بالتقلل من الدنيا لا يجدون عشاء تؤكيد لما قبله وروى البخاري
عن انس رضي الله تعالى عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان بكسر
اوله هو ما يؤكل عليه ولا اكل في سكرجة بضم اوله وثانيه وثالثه هو اناء صغير يؤكل
فيه القليل من الادم فارسي معرب واكثر ما يوضع فيه وامثاله ما يعتاده المترفهون
حال اكلهم من المخللات ونحوها ولا خبز له مرقق اي ارغفة واسعة رقيقة زهدا
وتباعدا عن ساحة الرفاهية ولا راى شاة سميطا قط فعيلة بمعنى مفعولة اي
مسموطة وهو ان ينزع صوفها بالماء الحار لتشوى غالبا وروى الشيخان عن عائشة
رضي الله تعالى عنها انما كان فراشه صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما اي جلدا
اسود حشوه ليف هو ورق النخيل وصدره بانما لافادة القصر اما تعيينا لمن اعتقد
ان فراشه ادما او غيره ولم يعلم عينه او قلبا لما في ذهن من اعتقد انه غير ادم وروى
الترمذي في الشمايل عن حفصة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم
كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا بكسر الميم اي بلاسا من شعر نثنيه
له ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع الباء زايدة اي اربع طاقات فلما
اصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له اي تثنيه اربعا فقال ردوه بحاله
اي الى ما كان عليه او مصحوبا بحاله فانه وطاته من قولهم فراش وطي اي مذلل ممهد
لا يوذي جنب النايم منعتني الليلة صلاتي لان توطية الفراش في العادة تمنع ه
التجافي عن المضاجع وتخفيفه يبعث على التجافي عنها وروى الشيخان والترمذي
وابن ماجه كان صلى الله عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول بشريط اي منسوج
عبر من سعف دوم او نحو بدون حايل حتى يوثر في جنبه حتى هنا حرف ابتداء ه
استونف بها الكلام بعدها فهو حكاية حال ماضية اي حتى يظهر اثره في جنبه هذه
حالة كما في مرض حتى لا يرجونه وحتى ما دخله اشكل وزعموا انها المرادفة لكي وليس
وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط لعله في غالب احواله او شبعا مفرطا ولم يبث اي يظهر شكوى الى احد اذ كان
غير هواه وعكس مقتضاه بشهادة قولها وكانت الفاقة احب اليه من الغنى اي كان فقد
الدنيا احب اليه من وجدها انها عندهم وان هي المخففة من الثقيلة كما في وان كانت لكبيرة
اي وانه كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع زهدا في الدنيا وعدم التفاته
اليها وارشادا لارباب السلوك الى مقام مجاهدة النفس تهذيبا لها وقمعا لها عن
الشهوات بالجوع فلا يمنعه جوعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض
ورغد عيشها بالنصب عطفا على جميع او بالجر عطفا على كنوز اي سعته وطيبه ه
ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
حال من ضمير امسح اي قايله نفسي لك الفدا لو تبلغت على معنى ليتك تبلغت من الدنيا
بما يقوتك قصدا منها الى حثه وتحريضه على تبلغه منها تفاديا به من الم الجوع ومرارته
فيقول يا عايشة مالي وللدنيا استفهام بمعنى النفي اي لا ارب لي فيها اخواني من
اولي العزم من الرسل صبروا على ما اي على شيء عظيم هو اشد من هذا الذي انا صابر

عليه

عليه فمضوا على حالهم التي كانوا عليها من الصبر فقدموا على ربهم فاكرم مابهم اي مرجعهم
اليه واجزل ثوابهم اي منحهم خيرا كثيرا فاجد في استحيي ان ترفهت اي تنعمت كارباب
الدنيا في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي اي احبابي قال فما اقام بعد ظرف زماني عاي قطع عن مضاف اليه
منوي فبني على الضم اي بعد قوله لها ذلك الا اشهرا لا استثناء مفرغ من عام اي زمنا
حتى توفي غاية لاقامته بعدما قال ذلك هذا ولم ادر من روى هذا الحديث لكن
روى ابن ابي حاتم في تفسيره عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صايما
ثم طواه ثم ظل صايما فقال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عائشة ان
الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها
ولم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني
والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله فصل واما خوفه صلى الله
عليه وسلم ربه معمول المصدر المضاف الى فاعله وطاعته له وشدة عبادته برفعها
عطفا على خوفه فعلى قدر معرفته بربه وناهيك بها منه به بشهادة ما رواه مسلم
واسنده هنا من طريق البخاري لو تعلمون ما اعلم من الاهوال والشدايد مما يؤول
اليه حالكم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا جواب القسم الساد مسد جواب لو فانتفاؤهما
لانتفاء علمهم بما يعلم كما هو شان لو فقد انتج استثناء نقيض التالي لزوم نقيض
مقدمه اي لم تضحكوا قليلا ولم تبكوا كثيرا فلم تعلموا ما اعلم فنقيض المقدم اللازم
لنقيض تاليه ثابت بابطال التالي بطريق قياس الخلف وفيه مقابلة الضحك والقلة
بالبكا والكثرة زاد اي ابو هريرة اذ النبي صلى الله عليه وسلم في رواية عن ابي عيسى
الترمذي رفعه الترمذي الى ابي ذر رضي الله تعالى عنه اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون مما اطلع عليه من المغيبات حثا وتحريضا لهم على البكا وترك الضحك
فان البكا ثمرته حياة القلب اطت السما وحق لها ان تئط اي صوتت لكثرة ما فيها
من الملايكة فكانهم اثقلوها لكثرة حتى اطت كما تئط وهو تمثيل وتلويح بكثرتها وان لم
يكن ثم اطيط فاخرج هذا الكلام في قالب الاستعارة التمثيلية تقريبا وتقريرا
لعظمة الله تعالى ومثله حديث العرش على منكب اسرافيل وانه ليئط اطيط الرحل الجديد
لعظمته وعجزه عن حمله اذ من المعلوم ان اطيط الرحل اي الكور براكبه انما يكون لقوة
ما فوقه وعجزه عن حمله ما فيها موضع اربع اصابع ظرف مستقر لاعتماده على حرف
النفي الا وملك حال من فاعل الظرف اعني موضعا اي وفيه ملك واضع جبهته
ساجدا لله حال من الضمير قبله ولخرجتم الى الصعدات بضمتين اي الطرقات
تجاورون اي رافعي اصواتكم مستغيثين الى الله ولوددت اني وفي رواية ليتني
شجرة تعضد اي تقطع وروي هذا الكلام اي قوله وددت اني شجرة تعضد مدرجا
في الحديث من قول ابي ذر نفسه وهو واضح من حيث انه اشبه بكلامه والبق بحاله
مع كونه صلى الله عليه وسلم اعلم بمكانته عند ربه وانزه ان يتمنى عليه دون ما اعطاه
وفي حديث المغيرة الذي رواه الشيخان وغيرهما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتفخت قدماه طاعة لربه وامتثالا لامره فقيل له اتكلف من تكلف شدد اللام ه

حدثت احدي نابه تخفيفا اي اتكلف وتتجشم على مشقة او من كلف لكسر لامه ومنه حديث
اني لا اراك كلفت لعلم القران وحديث اكلفوا من العمل ما لا تطيقون اي تحمل هذا
وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر جملة حالية اعتراضا بين الاستفهام
وجوابه للاعلام بالغفران له وحذف فاعله للعلم به اذ ليس احد يغفر له سواه قال
افلا اكون انكار للنفي اي اكون عبدا شكورا اذ انكار نفي ونفي النفي اثبات وهذا
مراد من قال ان الهمزة في مثله للتقرير بما دخله النفي لا بالنفي اذ لا يجب كما مر ان يكون
التقرير بالحكم الذي دخلته الهمزة بما يعرفه المخاطب من الحكم اثباتا او نفيا والفا
مسببة عن محذوف اي اترك تهجدي من اجل مغفرته لي وهي سبب له لا اتركه والمعنى
كيف لا اشكره وقد انعم علي بما لا يعلمه غيره بشهادة مبالغة شكورا المستدعية لكون
المنعم به خطير القدر وفي قوله عبدا التلويح بغاية اكرامه وقربه من ربه ومن ثم وصفه
به في اشرف مقام سبحان الذي اسرى بعبده وهو الاضافة مشعرة من ربه باعظم
شرف وانه يعظم لفضله العبودية بصحة النسبة وليست الا بالعبادة وهي عين الشكر
وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها فيما رواه الشيخان كان عمله ديمة اي
دايما متصلا مبالغة في ديموميته ولا يقدح تركه نادرا وايكم يطيق ما كان يطيق
استبعاد لاطاقتهم ذلك اي يبعد ان تطيقوا دوام عمله وقالت ايضا فيما رواه
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم الرواية بالنون في نقول
ويروى بتاء الخطاب اي تقول ايها السامع وبنصبه ومنهم من رفعه حكاية حال
ماضية كقراءة نافع وزلزلوا حتى يقول الرسول وما كنت تشا ان تراه من الليل مصليا
الا رايته مصليا ولا تشا ان تراه من الليل نايما الا رايته نايما اي ولا زمان من
الليل تشا رويته متهجدا الا رايته متهجدا او رايته نايما الا رايته نايما يعني كان
عمله قصدا ينام حيث ينبغي النوم كاول الليل ويصلي حيث ينبغي الصلاة كاخره
بشهادة قوله رواه لي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما اما انا فاصلي وانام
واصوم وافطر واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال عوف بن مالك
رضي الله تعالى عنه فيما رواه ابو داود والنسايي كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك وتوضا تشريفا للاستحباب تقديم السواك على الوضوء ثم قام
يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة ظاهره انه افتتح بها صلاته دون الفاتحة
بشهادة تاكيد بدا باستفتح مع فا التعقيب ولعله افتتاح نسبي اي افتتح بها
بالنسبة الى غير الفاتحة من السور لثبوت كونها المبدو بها في الصلاة وتنزل ه
جمعا بين الادلة فلا يمر باية رحمة الاضافة للملابسة الذكرية اي باية تذكر فيها
الرحمة الا وقف فيسال حذف المفعول للعلم به بقرينة المقام اعني الرحمة او لتذهب
النفس كل مذهب ممكن ويوخذ منه استحبابه ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
يجري فيه ما مر في قسيمه ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول حال من الضمير قبله او رو
مضارعا بعد ركع ماضيا تصويرا للسامع حالة سجوده وتبصيرا له اياها اطلابا منه
مشاهدتها تعجيبا من استكانته وانقياده لربه وخضوعه له وتعظيمه اياها قايلا
سبحان ذي الجبروت فعلوت من الجبر اي القهر والغلبة مبالغة فيه اذ هو القاهر لعباده

على

على ما يريد من مامور ومنهي ومن الجبر جبر الخلق واجبرهم وهو اكثر استعمالا وسبحان
ذي الملكوت من الملك وسبحان ذي العظمة اي الكبريا الذي جاوزت الحد عن ان تحيط
العقول لكنه حقيقته وكفى ذكره مرشدا الى استحبابه في الركوع ثم سجد وقال
مثل ذلك الذي قاله في ركوعه ثم بعد قراة الفاتحة على ما هو مقرر ثابت قرا ال
عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك اي ما ذكر من سوال وتعوذ وتسبيح وعن
حذيفة رضي الله تعالى عنه مثله اي مثل حديث عوف كما في مسلم وقال زيادة عليه
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال ايضا زيادة عليه حتى
قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة غاية لفعله قراة وصلاة وروى الترمذي
عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قام باية من القران ليلة
ورواه احمد والنسايي بسند صحيح عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه بلفظ قام حتى
اصبح باية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم مكررا
لها متدبرا معناها متاملا لمحاورها مع ما دلت عليه من كامل قدرته وقاهر عزه وتمام
تصرفه تعذيبا وغفرا وروى ابو داود والترمذي والنسايي عن عبد الله بن الشخير
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز بزاي بينهما مثناة
تحتية اي حنين من البكا كازيز المرجل من غليانه وهو قدر من نحاس شبه ما يجري
له في جوفه من الصوت من شدة حرارته بصوت المرجل تشبيها بليغا وقال وبيبه من
خديجة هند ابن ابي هالة كان متواصل الاحزان اي متتابعها دايما لعلمه بتدبر
الامور والاهوال حالا ومالا دايم الفكرة في العواقب وما يغشاها فيها اذ هو من
داب الصالحين وشعار المتقين ليست له راحة لاستغراقه اوقاته فيما كلفه من
اعباء الرسالة كتبليغ الاحكام والنظر في مصالح امته ومحاربة عدوه وقال صلى الله
عليه وسلم فيما رواه مسلم اني لاستغفر الله اي اطلب منه المغفرة في اليوم من الايام
ماية مرة لم يرد به معينا وروى كما في البخاري والترمذي سبعين مرة لاشتغاله
بدعوة امته ومحاربة عدوه وتالف المولفة مع معاشرة الازواج والاكل والشرب
والنوم مما يحجزه من عظيم مقامه ويراه ذنبا بالنسبة الى علي قدره وسنا هديه
ومراقبته فيستغفر بسبب ذلك وعن الاصمعي لو صدر هذا لكلب غيره صلى الله
عليه وسلم لفسرته ولله دره حيث انتهج مناهج الادب واجلال القلب الذي جعله
الله تعالى مهبط وحيه ومنزل تنزيله اذ هو مشروع سد عن اهل اللسان
موارده وفتح لاهل العرفان مسالكه واحق من يعرب عنه من عمر الذكر اسرارهم
ووضع عنهم اوزارهم وحدث علي رضي الله تعالى عنه المعرفة راس مالي قال
الايمة موضوع فلا تكلف النكرة بيانه فصل اعلم وفقنا الله واياك
ان صفاته بجميع الانبيا والرسل من عطف بعض افراد العام عليه تنويها بشرفه
حتى كانه لغير منه من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع
المحاسن هي هذه الصفة خبر ان مع اسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم واللام
فيه لاستغراق ما بين بها لانها صفات كمال والكمال والتمام عطف تفسيري ومن ثم
وصفهما بمفرد هو قوله البشري والفضل عطف على الموصوف واخره عن الصفة تزاوجا

بان موصوفهما المعنى واحد ولو قدمه عليهما وقال البشريات لكان احسن الجميع مبتدا خبره
هم والجملة خبر المبتدات قبله اي هو من حيث جميعها فيهم لا في غيرهم ممن ليس نبيا اذ
رتبتهم اشرف الرتب علة لاختصاصهم بها دون غيرهم ودرجاتهم ارفع الدرجات
كمالا وثوابا بحيث لا يطرد ونه كمال وثواب ولكن استدراك لرفع ما عسى يتوهم
من مساواتهم فيهم وموذن بتفاوتهم فيهما اذ قد فضل الله بعضهم على بعض قال
تعالى تلك الرسل اشارة الى من ذكر منهم في سورة البقرة والى من يعلمه نبينا او
اليهم فاللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب علية خص
بها غير الرسالة لاستوائهم فيها منهم من كلم الله تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة
ومن الطور ومحمد ليلة المعراج وخص موسى بكونه كليم الله لتكرر تكليمه اياه واشتهاره
به ورفع بعضهم على باقيهم درجات هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تفضيلا له على
غيره بخصايص متكاثرة ومراتب متباعدة متوافرة كالدعوة العامة والبراهين
المتكاثرة والمعجزات الباهرة والايات المتعاقبة والفضايل العلمية والعملية
الفايتة للحصر والابهام لتفخيم شانه اذ هو المفرد العلم الغني عن التعيين او
هو ابراهيم صلى الله عليه وسلم خص بالخلة التي هي اعلى المراتب ليس رفعه الله مكانا
عليا او اولوا العزم من الرسل هذا ما وقع من التفاوت بين من اشير اليهم فهو واقع
بين بقية الانبيا ضرورة تساوي الذوات في قبول الصفات المؤذنة بالتفاوت
ولقد اخترناهم على علم هذا على توهم جعل الضمير للانبيا والحق جعله لبني
اسرايل قبله اي اصطفيناهم بانهم احق من اصطفيناه اياهم على العالمين
اي عالمي زمانهم لكثرة الانبيا فيهم وقد روى الشيخان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول زمرة اي طايفة يدخلون الجنة على صورة القمر اي مستقلين
على صورة مثل صورة القمر ليلة البدر ليلة اربعة عشر سمي بدرا لمبادرته الشمس
بالطلوع كانه يعجلها المغيب وقيل لتمامه فيهما على خلق روي بفتح الخاء بشهادة
رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد وروينا ايضا في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه رايت موسى فاذا رجل ربعة بين الطول والقصر كثير خيلان الوجه جمع
خال اي ما شامته احمر كانه خرج من ديماس بالكسر والفتح الكن كانه مخدد لم ير
شمسا وقد جاء في الحديث مفسرا انه الحمام وقد اعل بقلب ميمه الاولى بالكسر ما قبلها
في حديث آخر لا اعرف من رواه مبطن اي ضامر مثل السيف لا استوابهما وانا اشبه
ولد ابراهيم به الذي رواه ابو يعلى وابن جرير عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث
الله نبيا من بعد لوط وفي حديث آخر رواه البخاري في صفة موسى كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال بضم الهمزة وسكون الدال جمع ادم شديد السمرة اي من سمرتهم
هذا ولعل ادراجهم مثلث له في صفة صورهم اذ كشفت له صفة ابدانهم في نوم او
يقظة والتشبيهات للبيان مع تعظيم المشبه في مقام وفي حديث ابي هريرة الا في
ذروة من قومه وهي في الاصل الشيء المرتفع وذروة الجبل سنامه والجبل راسه اي
في رفعة منهم او نسب منهم بشهادة قول هرقل لابي سفيان وكذلك الرسل تبعث في
نسب قومها ولسعيد بن منصور موقوفا على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في عزة

وهي بمعنى في ثروة اي كثرة ومنعة اي قوة من قومه تمنع منه من يريده بسوء وتنصره
وتحوطه وقد يشكل بقوله تعالى لليهود على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولو كانوا في منعة لما قتلوا اذ
منهم ببيت المقدس في يوم واحد ثلثماية نبي وفي التقييد ببعدية لوط تلويح بانه
لم يكن في منعة بشهادة لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد وحكى الترمذي في
بل روي في الشمايل عن قتادة مرسلا ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن
انس رضي الله تعالى عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
صلى الله عليه وسلم احسن وجها واحسنهم صوتا من الكل وفي حديث هرقل في الصحيحين
انه قال لابي سفيان وسالتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في انساب قومها شبه شدة اتصالهم بها بشدة اتصال المظروف بظرفه
فاثبت له في توقعه الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية وقال في ايوب
انا وجدناه اي علمناه او صيرناه صابرا علمنا قدرة الصبر فيه نعم العبد اي ايوب
خص بالمدح لصبره على البلاء وهو اما مبتدا اخبر ما قبله او خبر مبتدا محذوف بني ذلك
الخبر على سؤال يقدر بعد نعم العبد اي من هو فقيل هو ايوب وفيه ايجاز من جهة
ترك المبتدا في الجواب انه اواب علة لكونه ممدوحا على صبره اي كثير الرجوع ولا يقدح
في مدحه عليه شكواه ما به من ضر اليه وقال تعالى يا يحيى اي وهبناه له وناديناه
ابان فهمه يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي خذ التوراة بجد واستظهار بتوفيق
وتاييد وآتيناه الحكم اي الحكمة وفهم التوراة والتفقه في الدين او النبوة صبيا
حال من ضمير آتيناه احكم الله تعالى عقله في صباه ثم استنباه وحنانا من لدنا
اي شفقة ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وزكاة اي طهارة
من الذنوب او صدقة تصدق الله تعالى به على ابويه او مكنه ووفقه ليتصدق
على الناس وكان تقيا اي مطيعا مجتنب المعاصي وبرا بوالديه اي بارا بهما ولم
يكن جبارا اي لم يكن متكبرا عصيا اي عاقا لهما او عصيا لربه وسلام من الله
تعالى عليه يوم ولد من ان يمسه الشيطان كغيره من بني ادم ويوم يموت من عذاب
القبر وفتانيه ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهو القيامة وقال الله
اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم اسمعيل واسحاق واولادهما وآل عمران
موسى وهارون ابني عمران بن يصهر او عيسى وامه بنت عمران بن ماثان وكان بين
العمرانين الف وثمانماية سنة على العالمين اي عالمي زمانهم بالرسالة والخصايص
الروحانية والجسمانية ذرية حال او بدل من الاولين او منهما او من نوح
اي هم ذرية واحدة بعضها متشعب من بعض او بعضها من بعض في الدين والذرية
الولد يقع على الواحد وعلى الجمع فعلية من الذر او مفعولة من الذرا اعلت بقلب همزتها
ياء ثم واوها وادغمت والله سميع عليم باحوال الناس فيصطفي من يصلح وقال
في نوح انه كان عبدا شكورا يحمد الله في مجامع حالاته وفيه تلويح بان انجاته ومن معه
كانت ببركة شكره وحث لذريته على الاقتدا به اذ هي الباقية قال تعالى وجعلنا ذريته
هم الباقين وقال تعالى اذ قالت الملايكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه

مبتدا خبره المسيح وهو لقب تشريف كالصديق واصله مسيح اي مبارك سمي به لانه
مسح بالبركة او مسح الارض بالسياحة عيسى بدل منه ابن مريم خبر مبتدا محذوف
اي هو ابن مريم اعلاما لها بانه يولد بلا اب فلا ينسب الا اليها ويصح جعل الثلاثة
متعاقبة خبرا عن المبتدا اذ ليس المراد به العلم القابل للتعدد وان توهم بل المراد بها
ما به الامتياز وهو هنا مجموع الثلاثة لا واحد له ولا كل واحد اذ قد يقع الاشتراك
فيه ولا المراد ان مجموعها علم بمنزلة التسمية ببيت شعر وجيها حال مقدرة
لكونها موصوفة وتذكيره للمعنى اي ذا وجاهة في الدنيا والاخرة بالشفاعة
ومن المقربين حال ثانية منها اي من الله مع رفعه الى السما وصحبته الملائكة م
وعلو درجته في الجنة ويكلم الناس حال ثالثة اي مكلما لهم في المهد وكهلا حال من
ضمير يكلم اي يكلمهم فيه طفلا وكهلا كلاما للانبيا من غير تفاوت بين الحالتين
ومن الصالحين حال منه والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وقال
اي الله تعالى حكاية عن عيسى قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لكونه اول
المقامات وردا على من زعم ربوبيته اتاني الكتاب يعني الانجيل وجعلني نبيا
وجعلني مباركا اي نفاعا معلما للخير وجيء بالماضي اما لان ذلك سبق في علمه او جعل
الاتي كالواقع او كمل الله عقله ثم استنباه ايما كنت واوصاني اي امرني بالصلاة
والزكاة ان ملكت مالا او صدقة الفطر او تطهير النفس من الرذائل او اوصاني
ان امركم بهما ما دمت حيا نصب على الظرف اي مدة حياتي وقال يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا اي اظهر الله تعالى براءته من
مضمون مقولهم ومؤداه وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه بنفسها
فعصمه الله تعالى او اتهمه ناس بقتل اخيه هرون فحملته الملائكة حتى راوه
غير مقتول او احياه الله تعالى حتى اخبرهم انه بريء او قذفوه بعيب في بدنه برصا
او ادرة لفرط تستره حيا فاطلعهم الله تعالى على براءته منه وكان عند الله وجيها
اي ذا وجاهة وقربة من ربه وروى الشيخان قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان موسى صلى الله عليه وسلم كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جسده شيء استحياء
فاذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب بجلده
اما برص او ادرة بالضم نفخ بالخصية وان الله تعالى اراد ان يبريه حي بان المولى
تعظيما لشانه وتبعيدا لذاته عن ساحة العيب فخلا يوما وحده حال من ضمير
خلا احترازا من توهم ان يكون معه احد اي متوحدا ليغتسل فوضع ثوبه على حجر
ففر الحجر بثوبه فجمح موسى اي اسرع بحيث لا يرده عنه راد في اثره يقول حال من
موسى وورد مضارعا بعد جمح ماضيا تصويرا للسامع حالة اسراعه عريانا مخاطبا
لما لا يعقل وتبصيرا له اياها طالبا منه مشاهدتها تعجيبا له منها قايلا ثوبي
يا حجر حتى انتهى الى ملاء من بني اسرائيل فراوه عريانا احسن خلق الله تعالى حال
من ضمير راوه اذ الروية بصرية متعلقها واحد ثم قالوا والله ما بموسى من باس
فاخذ ثوبه فوالله ان اي انه بالحجر لندبا بفتح النون والدال وهذا موذن
بجواز القسم في الامر المهم ويحتمل لان يكون من تمام الحديث وان يكون مدرجا

فيه من كلام الراوي تاكيدا لدفع توهم استبعاد ان يكون به ندبات من اثر ضربه ثلاثا
صفة لاسم ان مبينة لعدده وفيه معجزتان لموسى مشي الحجر بثوبه وحصول
الندب فيه بضربه وفيه وجود التمييز في الجماد وجواز الغسل في الخلوة عريانا
وان كان ستر العورة افضل وبه قال الشافعي ومالك واحمد وابتلاء الانبياء
والصالحين باذاء السفها والجهال وصبرهم عليه وانهم منزهون من النقايص
خلقا وخلقا يعني لم يكونوا من العاهات والمعايب وقال تعالى عنه ففررت منكم
لما خفتكم فوهب لي ربي حكما اي نبوة وعلما وجعلني من المرسلين اي من جملة رسله
وقال في وصف جماعة منهم مدحا لهم كموسى اني لكم رسول امين غير متهم
لدلالة المعجزة عليه او لايتمان الله اياه على وحيه وقال حكاية لقول بنت شعيب
فيه يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جار مجرى
الاستدلال على انه خليق بالاستيجار وبولغ فيه بجعل خير اسما وذا استغنت
به لجريه مجرى المثل والحكمة عن ان تقول استاجره لقوته وامانته تلويحا بانه
كلام جامع مؤذن بانه اذا اجتمع فيمن يقوم بامرك الكفاية والامانة تقدم مرادك
وفرغ بالك وجيء بالفعل ماضيا تلويحا بانه امر مجرب معروف روي ان شعيبا قال د
لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلاله الحجر وغضه البصر حين بلغته
الرسالة وامره اياها بان تمشي وراءه وقال ووهبنا له اي لابراهيم اسحق ويعقوب
كلا منهما عد [illegible] فبهداهم اقتده اي بطريقتهم او بما توافقوا عليه من التوحيد
واصول الدين دون الفروع المختلف فيها اذ ليست هدى مضافا الى الكل ولا
يمكن الاقتدا بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم متعبد بشرع
من قبله والها في اقتده للوقف واثبتها الحرميان وابو عمرو وعاصم ساكنة في الوصل
اجراء له مجرى الوقف وحذفها الكوفيان وصلا واشبعها ابن عامر على انها كناية
عن المصدر وبدون اشباع رواية هشام عنه فوصفهم باوصاف حسية ومعنوية
جمة اي كثيرة من بيانية الاوصاف الصلاح والهدى والاجتبا اي الاصطفا
والحلم اي الحكمة وفصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة وقال فبشرناه اي
ابراهيم بغلام حليم لا يستفزه غضب بعيد بانيه عن ساحة العجلة يبلغ معه
اوان الحلم ويكون حليما وبغلام عليم يبلغ معه ويكون كثير العلم وقال ولقد
فعتناهم فتنا قبلهم اي قبل المشركين قوم فرعون اي امتحناهم بارسال موسى اليهم او
في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى والمؤمنين
او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله اي بان سلموهم
لي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله تعالى من الايمان وايجاب دعوتي يا عباد
الله اني لكم رسول امين غير متهم في رسالتي وقال تبارك وتعالى ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى وقال عز قائلا
في اسمعيل انه كان صادق الوعد اذ لم يعد ربه وعدا الا انجزه ووعد بالصدق
الوعد مع كون غيره من الانبيا كذلك لان المشهور من مناقبه تشريفا له وتكريما
ولانه بلغ فيه ما لم يبلغه غيره اذ لا شيء فوق نفسه وقد وعد على ذبحها ووفى به

وكان رسولا نبيا تلويح بان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم
كانوا على شريعته او رسولا الى جرهم وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة تقدمها
للاهم بان يبتدا الرجل على نفسه فمن هو اقرب اليه بالتكميل او اهله امته اذ الانبيا
ابا اممهم وكان عند ربه مرضيا اقوالا وافعالا واخلاقا واصله مرضوا اعل
بقلب واوم بالكسر ما قبلها وقري به وقال جل من قايل في موسى انه كان مخلصا
لربه في عبادته نزعن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه
وكان رسولا نبيا قدم رسولا مع كونه اخص واعلا لانه مخبر عنه وقال في سليمان
نعم العبد اي سليمان انه اواب علة لمدحه اي رجاع الى ربه بالتوبة او الى
التسبيح مرجع له وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب بيان لعبادنا
وقراء ابن كثير عبدنا وضعا للجنس موضع الجمع على ان ابراهيم لمزيد شرف بيان
له ومن بعده عطف عليه اولي الايدي والابصار اي اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي
عن الاعمال مجازا مرسلا لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لذلك
لانها اقوي مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهلة انهم كالزمنى والعماة
انا اخلصناهم بخالصة اي اجعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة هي ذكرى
الدار الاخرة دايما فان خلوصهم في الطاعة مسبب عنها لان مطمح نظرهم
فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقايه واضافه نافع وهشام خالصة
الى ذكرى للبيان او لانها مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله اي خلصت
لهم ذكراهم غير مشوبة بهم وانهم عندنا لمن المصطفين اي المختارين من امثالهم
الاخيار جمع خير كشر واشرار او اموات مخففا ومثقلا وقال تعالى في داود انه
اواب اي رجاع الى مرضات ربه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ثم قال وشددنا
ملكه اي قويناه بالهيبة والنصر وكثرة الجنود روي ان رجلا ادعى بقرة على اخر
عنده وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت
اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت هيبته بذلك واتيناه الحكمة
اي النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب اي الخصام بتمييز الحق
عن الباطل او الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب ولا يلتبس عليه يراعي فيه
مظان الفصل والوصل والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار
ونحو ذلك وقال عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اي ولني امر خزاين مصر
اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله لما راي انه لا بد
ان يوليه اثر ما تقدم نوايدهم وهو مودن بجواز طلب التولية واظهار استعداده
لها والتولي من الكافر اذا لم تكن اقامة الحق وسياسة الخلق بالاستظهار به
وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
معك غير منكر عليك وتعليق الوعد بالمشية اما للتبرك او لعلمه بصعوبة الامر
اما الصبر على خلاف المعتاد شديد وهو دليل على ان افعال العباد واقعة
بمشية الله تعالى وقال في شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين في

حسن

حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهد وعلق وعده بالصلاح بمشية الله للاتكال
على توفيقه ومعونته لا لكونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وقال به ايضا وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه من قولك خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه
عنه اي ما اريد ان اتي ما نهيتكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاستبد به ولم اتركه
فضلا عن ان انهى عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا ان اصلحكم
بامري بالمعروف ونهيكم عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح ولو وجدته فيما انتم عليه
لا نهيتكم عنه وما مصدرية وقعت موقع الظرف او خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار
الذي استطعته او اصلاح ما استطعته بحذف المضاف وقال ولوطا اتيناه حكما
وعلما اي حكمة ونبوة وفصلا بين الخصوم وقال انهم اي ابوي يحيى وهو او الانبيا
المذكورين في سورتهم كانوا يسارعون في الخيرات اي انما اجيبوا الى ما طلبوا
لمبادرتهم الى فعل الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا اي ذوي رغب ورهب او راغبين
في الثواب راجين للاجابة راهبين العقاب وكانوا لنا خاشعين اي خاضعين او
دايمي الوجل وهذا معنى ما قال سفيان الثوري او ابن عيينة هو الحزن الدايم
وما ذكر من الاي مما يشهد بشرفهم وكمالهم قد ورد في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم
المرضية ومحاسن اخلاقهم الرضية الدالة على كمالهم وجاء من ذلك اي مما دل
على كمالهم في احاديث عنه صلى الله عليه وسلم كثيرة في يوسف فيما رواه البخاري وابن
حبان والحاكم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق
ابن ابراهيم لشرفهم لما ذكر من المفرد مصدرا بانما ايذانا بحصر الكرم فيه اذ
لم يتفق لاحد انه نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي سواه ايذان تعريف المبتدا والخبر به
ايضا تاكيدا له وفي حديث انس الذي رواه البخاري وكذلك الانبيا تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم فلا يتطرق اليها نوم لمنعه من اشراق الانوار الالهية الموجبة
لفيض المطالب السنية عليها وروي من طريق الطبراني الى ابي هريرة مرفوعا ان سليمان
كان مع ما اعطي من الملك الذي سال لا ينبغي لاحد من بعدي لا يرفع بصره الى السماء
تخشعا وتواضعا مفعول لاجله لما ترك الرفع اليها لانه كان دايم المراقبة
متواصل الفكر ورفعه اليها ربما فرق الفكر ومزق الخشوع وروي احمد في الزهد
عن فرقد السبخي كان اي سليمان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير
رغبة فيه ورغدا فيها وايثارا لهم على نفسه واوحى الله اليه يا راس العابدين اطلاقا
لاسم الجزء على الكل مجازا مرسلا وابن محجة الزاهدين بفتح هذا وابدال الشرف شبه
اباه لكونه قدوة لهم ياتسون به ويستنون بسنته في الزهد بالمحجة اي الطريق التي
لا عوج فيها ولا امت فاستعار له اسمها استعارة تحقيقية مطلقة لم يقترنا بشي يلايم
احد طرفي التشبيه او تشبيها بليغا بشهادة الافاضة وان هي المخففة من الثقيلة
اي وانه كانت العجوز اي الكبيرة من النسا تعترضه وهو على الريح في جنوده حال
من ضمير تعترضه فيامر الريح فتقف اذا كانت مسخرة له تجري بامره رخاء حيث اصاب
فينظر في حاجتها ويمضي رافة بها وشفقة عليها ووفاء لحق رعيته عليه وقيل ليوسف
ما لك تجوع وانت على خزاين الارض حال من ضمير تجوع قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع

بع

رضا على الخير رواينا كل ذي جوحنه وروى ابو هريرة كما في البخاري عنه صلى الله عليه وسلم
خفف اي سهل على داود القران اي تلاوة الزبور اذ هو المراد هنا وانما قال
القران لانه قصد به اعجازه من حيث القراة تلويحا بان الله يطوي الزمان لمن شاء من عباده
كما يطوي المكان لهم وعد الاسبيل الى ادراكه الا بفيض رباني فكان يامر بدوابه
فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج بيان وتوضيح لما قبله لما بينهما من كمال الاتصال
كمعرفني اقسم بالله ابو حفص عمر وحذف المامور للعلم به ولا ياكل الا من عمل يده قال
تعالى والنا له الحديد كالشمع يصرفه كيف يشا بلا احما وطرق ان اعمل سابغات
اي دروعا واسعات وقدر في السرد اي في نسجها بحيث تتناسب حلقها وروى انه
كان يسال الناس عن نفسه فيثنون عليه فراي ملكا في صورة ادمي فسأله فقال نعم
الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال فحينئذ سال ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن
بيت المال فعلمه صنعة الدروع وروى الشيخان وابن ماجه احب الصلاة الى الله
صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود لاتيانه بهما على وجه شاق والمحبة
في الاصل ميل يقتضي الافضال والاحسان فاحبيتهما الى الله قبولهما والرضى
بهما وارادة ذلك اكرامه له واستعماله في الطاعة وصونا له عن المعاصي ثم بين حبه
الاحبية بقوله كان ينام نصف الليل ليتقوى به على العبادة ويقوم ثلثه
من اول النصف الثاني لانه افضل اجزايه وينام سدسه ليستقبل مداة الصبح
واذا كان اول النهار بنشاط وكان يصوم يوما ويفطر يوما ارادة القصد في
العمل ليدوم واذا احب الاعمال الى الله كما رواه الشيخان ادومها وان قل وروى انه
كان يلبس الصوف من الضان ويفترش الشعر من المعز تواضعا لربه وياكل خبز
الشعير بالملح والرماد تركا للتنعم وروى ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه ومجاهد
موقوفا انه كان يمزج شرابه بالدموع من كثرة بكائه ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ه
وليست في الحقيقة خطيئة وتسميتها بها انما هي بالنسبة الى مكانته ورفيع جنابه ٢
ونهاية جلالته اذ لم يثبت عنه سوا انه خطب امراة كان اوريا قد خطبها فزوجها اهلها
منه رغبة فيه دون اوريا او ساله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك في زمانه
عادة لهم فارسل الله اليه ملكين تنبيها له على ذلك لاستغنايه بتسع وتسعين
امراة فلما تنبه استغفر ربه وخر راكعا واناب وما ورد من كونه ذا الايدي اي القوة
في الدين على اداء الواجبات وترك المنكرات وانه اواب اي رجاع وانه سخر له الجبال
يسبحن معه والطير محشورة كل له اواب واتاه الحكمة وفصل الخطاب وجعله خليفة
في الارض فشهير يصدق بكرامته وتنزهه عما نسبه اليه الحشوية واليهود وانما
اورد الملكان قصتهما على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح لكونه ابلغ في المقام
واوقع واشد تمكنا في النفس اذا اخذ بها التامل الى الشعور بالمعرض به مع مراعاتهما
معه حسن الادب بترك المجاهرة له وقد بالغ في تضرعه وبكائه واستغفاره مستعظما
ما فرط منه نظرا الى ما له من عظيم الرتبة وكريم المنزلة ولا رؤي شاخصا ببصره
اي رافعا له مع تحديد بصره مصوبا الى السماء حياء من ربه مفعول من اجله ترك
الرفع رواه احمد في الزهد عن عطاء بن السايب عن ابي عبد الله الجدلي بلفظ ما رفع داود

راسه

راسه الى السماء لسابقة ما اصاب الخطيئة حتى مات ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل
كما رواه ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا انه بكى حتى نبت العشب
من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا اي اثرا كالشق في الارض ونسبة
اتخاذه الى الدموع مجاز عقلي وقيل كما في الكشاف وغيره كان يخرج متنكرا يتعرف
سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لربه مكافاة لما منحه من كريم المنن
وروى احمد في الزهد وابن ابي شيبة في مصنفه قيل لعيسى لو اتخذت لك حمارا فقال
انا اكرم على الله من ان اشغل بحمار عن عبادته يتعلق قلبي به وبكلفه وبخدمته
وروى احمد في الزهد عن عبيد الله بن عمير ومجاهد والشعبي وابن عساكر في تاريخه
انه كان يلبس الشعر وياكل الشجر زهدا وتواضعا ولم يكن له بيت ياوي فيه
انما ادركه النوم نام لعدم اتخاذه مسكنا ياوي به وكان احب الاسامي اليه ان
يقال له يا مسكين رواه احمد في الزهد عن سعد بن عبد العزيز بلفظ بلغني انه ما من
كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم احب اليه من ان يقال كان هذا المسكين وقيل كما رواه
ايضا فيه وابن ابي حاتم عن ابن عباس موقوفا ان موسى لما ورد ماء مدين كانت ترى
خضرة البقل الذي كان ياكله بعد خروجه من منف خايفا يترقب متوجها الى مدين
في بطنه من الهزال حال من البقل متعلق بترى وروى الحاكم وصححه عن ابي سعيد قال
صلى الله عليه وسلم كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب
اليهم من العطاء اليكم لعدم التفاتهم الى الدنيا اذ ليست تسوى عند الله جناح بعوضة
وما اعد لهم من اوفى المطالب واعلاء المراتب خير وابقى وقال عيسى لخنزير لقيه
اذهب بسلام فقيل له في ذلك استعظاما لقوله ذلك له مع حقارته فقال اكره ان
اعود لساني النطق بسوء عملا بقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل
به وروى ابن حاتم واحمد في الزهد قال مجاهد كان طعام يحيى العشب زهدا وقناعة
ورفضا للتنعم في الدنيا وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده
لشدة معرفته بربه انما يخشى الله من عباده العلماء وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس ليتبتل الى ربه تبتيلا وحكى الامام محمد بن جرير الطبري عن وهب هو ابن منبه
ان موسى كان يستظل بعريش هو بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها وياكل في نقرة
اي حفرة من حجر ويكرع اي ياخذ الماء بفيه ويشربه فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع
الدابة تواضعا لله مفعول من اجله الكرع وهذا حقيقة الافتقار والانقطاع اليه
زهدا في زينة الحياة الدنيا بما اكرمه الله به من كلامه قال تعالى وكلم الله موسى
تكليما واخبارهم اي الانبياء في هذا وحسن الصورة والشمايل جمع شمال وهو
الخلق والسجية معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا يلتفت الى ما يخل في كتب
جهلة المورخين والمفسرين مما لا يليق بكريم جنابهم وعظيم قدرهم مما يخالف هذا
الذي ذكرناه فصل وقد اتيناك اكرمك الله اعتراض بين اتينا ومعموله ودعا
لك لكل من يتاتى توجيه الخطاب اليه او لمن جرده من نفسه ليخاطبه او لمن طلب منه هو
تاليف هذا الكتاب اي اوردناه جملة من ذكر الاخلاق الحميدة اي المحمودة والصفة
الجميلة اي الشريفة العظيمة وهي من خصال الكمال العديدة اي المعدودة الكثيرة

يد

الدالة على كمال ذاته صلى الله عليه وسلم وارينا ك فيما مر صحتها اي كونها لايقة بجنابه
وهو خليق بانضافه بها مناسبة له صلى الله عليه وسلم وحكينا من الاثار ما فيه
مقنع اي بقدر مرضي يكتفي به والامر اي الشان في باب مناقبه اوسع اي اكثر مما يذكر هنا
شبه كثرة مناقبه بسعة مكان رحب ثم اشتق منه اسم التفضيل فوقعت الاستعارة
في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية ثم اد هذا الباب اي سعته مجازا عن كثرته في حقه
صلى الله عليه وسلم ممتد لا يكاد ينتهي الى حد ينقطع دون نفاده اي فراغه الاذلا
جمع ذليل فكانه مكان ممتد يقصر عن بلوغه كل ذليل وبحر علم تشبيه بليغ لخروجه عن
باب الاستعارة بذكر علم او تشبيه موكد اي علم حصنا بصفه الذي هو لكثرته وسعته
كبحر زاخر من زخر البحر اي مد وكثر ماوه وارتفعت امواجه بحيث لا تكدره الدلا
اي لا تؤثر فيه بنقص يورث صفوه كدرة ولكنا اتينا فيه بالمعروف الذي لا ينكر
مما ذكره في الصحاح والمشهور من المصنفات فاقتصرنا في ذلك اي الذي اتي به
معروفا بقل من كل بضم القاف وتشديد اللام والبا بمعنى على اي اقتصرنا على قليل
من كثير وعلى غيض من فيض تاكيد لما قبله اذ هو بمعناه تفننا في مقام المدح ه
وتشبيها لكثرة فضايله وجموم مناقبه بفيض غزير لا يغيض رواه ولا ينضب
ماوه ورأينا ان نختم هذه الفصول اي الواردة في هذا الباب بذكر حديث
الحسن بن علي بن ابي طالب عن خاله هند بن ابي هالة لجمعه من شمايله اي اخلاقه
واوصافه كثيرا علة داعية لجعله هذا الحديث ختامها وادماجه اي ادخاله هند
في حديثه جملة كافية من بيانية لقوله سيره وفضايله ورأينا ان نصله اي
الحديث بتنبيه لطيف على غريب مشكله قال الحسن بن علي سألت خالي هند بن
ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اي هند وصافا اعتراض
ورد مخبرا بانه كان ذا حذق وخبرة ومعرفة كثيرة في الوصف وانا ارجو جملة حالية
اي سألته راجيا ان يصف منها شيئا اتعلق به معرفة وعملا قال اي هند كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما اي عظيما معظما في القلوب والعيون
لا في خلقته وجسمه وقيل فخامة وجهه نبله وامتلاوه مع الجمال والهيبة ه
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر اي يضيء اضاءته اطول من المربوع اي ليس بطويل
ولا قصير واقصر من المشذب بمعجمتين هو البائن الطول مع نحافة اي نقص في
اللحم من قولهم نخلة مشذبة اي طويلة شذب عنها جريدها اي قطع عنها وفرق
عظيم الهامة اي كبير الراس مما يدل على الرزانة والوقار رجل الشعر بكسر الجيم
كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد ان انفرقت عقيقته فرقه اي ان
صار شعر راسه بنفسه في مفرقه فرقتين تركه مفروقا سمي عقيقة تشبيها له
بشعر المولود فاستعير له اسمه تحسينية وفي رواية عقيصته والا يتفرق له
بفرقه فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره اي جعله وفرة اذ لا يسمي وفرة
الا اذا وصل الى شحمتيها ازهر اللون ابيض وهو احسن الالوان واسع الجبين
من كمال حسنه ازج الحواجب اي دقيقها مع تقوس وغزارة سوابغ اي تام طولها
من غير قرن اي اجتماع اي ان طرفي حاجبيه قد سبغا اي طالا حتى كادا يلتقيان ولم

يلتقيا

يلتقيا وسوابغ حال مما قبله اي دقت حواجبه حال سبوغها وجمعها لان التثنية جمع
بينهما عرق يدره اي يحركه ناظر الغضب تقدم بيانه اقنى العرنين اي طويل
الانف مع دقة ارنبته وحدب في وسطه كذا في نهاية ابن الاثير وسيأتي عن المصنف بيانها لعله
له نور يعلوه من حسنه وبهاره ونعته يحسبه اي النبي او عرنينه من لم يتأمله اشم
اي مرتفع وسط قصبة انفه مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا كث اي غزير شعر
اللحية ادعج اي شديد سواد الحدقة مع شدة بياضها سهل الخدين اي مستويهما غير
مرتفع الوجنتين ضليع الفم اي عظيمه او واسعه والعرب تمدح عظمه وتذم صغره
اشنب اي ابيض الاسنان مع بريق وتحديد فيها او هو رونقها وماؤها مفلج
الاسنان وفي رواية افلج الفلج محركا فرجة بين الثنايا والفرق فرجة بين الثنيتين
دقيق المسربة بضم الراء ما دق من شعر الصدر كالخيط سايلا الى السرة كان عنقه جيد
دمية بضم المهملة اي عنق صورة من عاج وانما شبه عنقه بعنقها لانه يتانق في
صنعتها مبالغة في تحسينها في صفاء الفضة حال مقيد لتشبيهه به اي كانه
هو حال صفايه كما هو معتدل الخلق بفتح المعجمة اي متناسب الاعضاء خلقا وحسنا
بادنا اي عظيم البدن ذا لحم متماسكا اي يمسك اعضاؤه بعضها بعضا سواء البطن
والصدر اي مستويان ليس في احدهما ارتفاع عن الاخر مشيح الصدر بضم الميم
وبمعجمة ومهملة بينهما ياء تحتية اي بادية ليس بها نفس اي تطامن وانخفاض وروي
بفتح الميم وبمهملتين اي عريضة بشهادة قوله بعيد ما بين المنكبين مثنى منكب
وهو ما بين الكتف والعنق اي واسعه ضخم الكراديس جمع كردوس اي كبير راس
العظام او ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين انور المتجرد
اسم مفعول من التجرد وهو الكشف اي ما جرد عنه ثيابه من جسده فهو اشرف وانور
موصول ما بين اللبة والسرة بشعر متعلق بموصول يجري كالخط هذا بمعنى
ما فسر به المسربة انفا عاري الثديين وروي الثندوتين اي ليس عليهما شعر
وقيل لحم اذ قد ورد انه كان اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر اي كثير
شعرهما وفيه نظر اذ لا يلزم منه ان لا يكون عاريهما طويل الزندين هما موصل
طرف الذراع في الكف اعني الكوع وهو راس الزند مما يلي الابهام والكرسوع وهو
راسه مما يلي الخنصر رحب الراحة اي واسعها حسا وعطا شثن الكفين والقدمين
اي يميلان الى غلظ وقصر او في انا ملهما غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجل لانه اشد
لقبضه ويذم في النساء سائل بالام اوقال شائن الاطراف بالنون وهما بمعنى
اي ممتدها ابدل اللام نونا سبط القصب اي ممتد بدون تعقد وتنو وروي
القصب بالقاف اي ممتد كل عظم عريض اجوف فيه مخ كالساعد خمصان الاخمصين
مبالغة من الخمص اي شديد تجافي اخمص القدم عن الارض وهو الموضع الذي لا يلصق
منهما عند الوطي مسيح القدمين اي كانتا ملساوين لينتين لا تنو لهما وشقا
ينبو اي يخرج عنهما الماء اذا اصاب ما لملاستهما اذا زال صلى الله عليه وسلم
زال تقلعا وروي اذا مشى تقلع اي رفع رجليه من الارض رفعا قويا كانه ينحبت في
مشيه بحيث لا يظهر منه عجلة وسديد مبادرة ويخطو تكفيا كذا روي بغير همز

وروي بهمزة وهو الاصل لان مصدر تقلع من الصحاح تقلع بضم عينه تقدم تقدما
وتكفا تكفؤا اي تمايلا الى جهة ممشاه ومقصده ومن المعتل بكسرها كتخفا تخفيا
وتسمى تسميا فاذا خفف همزة التحق بالمعتل فصار تكفيا بالكسر ويمشي هونا عطفه
على يخطو لكمال اتصال بينهما اي برفق ووقار ذريع المشية اي سريعها مع سعة
الخطوة اذا مشى كانما ينحط من صبب اي من مستحدر مع تثبت بدون عجلة واذا
التفت التفت جميعا اي لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ويسرة كالخفيف الطايش
بل يقبل جميعا ويدبر جميعا خافض الطرف اي بصره تواضعا وحياء من ربه نظره
الى الارض اطول من نظره الى السماء لانه اجمع للفكر جل نظره الملاحظة مفاعلة
من اللحظ اي النظر بشق العين مما يلي الصدغ اراد بها هنا كثرة التفكر يسوق اصحابه
اي يقدمهم امامه ويمشي خلفهم تواضعا وارشادا الى استحباب مشي كبير القوم
ورائهم ولا يدع احدا يمشي خلفه ويبدا من لقيه بالسلام لانه الاكمل ومن ثم
ندب للاكبر ان يبتدي الاصغر به قال الحسن قلت اي لخالي هند بن ابي هالة صف
لي منطقه صلى الله عليه وسلم قال كان متواصل الاحزان بما يرد عليه من كراهة
الامور وحوازب الخطوب دايم الفكرة فيما يتلقاه من المسلمات ويغشاه من المهمات
لا الحزن الذي يورث لفوات مطلوب عاجل او بتوقع مكروه اجل اذ لم يكن ذلك من
حاله وقد استعاذ بربه منه فقال اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن الحديث
ومطابقة الجواب للسؤال فيها وفيما بعدهما من حيث انه من جملة المسؤول عنه
ليست له راحة لما كلفه من اعباء التبليغ والدعوة الى الحق وتبيين الاحكام
وتنفيذها ولا يتكلم في غير حاجة اذ لا يعنيه وقد قال من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه طويل السكوت مما لا يجدي نفعا يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه اي جوانب فمه لرحب شدقيه والعرب تتمدح به ويتكلم بجوامع الكلم
اي بالكلم الجوامع للالفاظ قليله ومعان كثيرة واحدتها لجامعة وفي الحديث كان
يستحب الجوامع من الدعاء اي الجامعة لاغراض صالحة ومقاصد صحيحة فصلا حال
من ضمير يتكلم او صفة مصدر محذوف اي كلاما بينا يعرفه كل احد ولا يشتبه عليه
ومنه انه لقول فصل اي بين قاطع ومقطوع لا فضول فيه عن بابين الزايد ولا
تقصير فيه عن اصل معناه المراد منه وخواصه الزايد عليه دمثا من الدمث
وهو الارض السهلة والرمل الغير المتلبد اي لين الخلق سهلا ليس بالجافي اي الغليظ
الخلقة والطبع او الذي يجفو اصحابه ولا المهين روي بالضم على الفاعلية من
اهان لا يهين مومنا وبالفتح على المفعولية من المهانة اي الحقارة ومنه حكاية عن
فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين اي حقير يعظم النعمة وان دقت اي قلت
لشرف خلقه وكرم شيمه لا يذم شيئا لنزاهته من البذاء اي الفحش في القول
لم يكن يذم ذواقا الذواق فعال اي ماكولا ومشروبا يقع على المصدر والاسم
تقول ذقته ذواقا وما ذقت ذواقا اي شيئا واعاده مع تناول ما قبله له ليرده
وندم بقوله ولا يمدحه لنزاهته من الرغبة في التمتع بمتاع الدنيا وتوجه نفسه
اليه الشعر بها مرتجه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق ببنا لمنحو لهما

ليما كل من يتالى تعرضه للحق اي لا يعارض غضبه احد اذا تعرض له احد بشيء حتى
ينتصر له اي للحق وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر
لها لنزاهته عن ذلك مامر اذا اشار اشار بكفه كلها قصدا للافهام ودفعا للابهام
واذا تعجب من شيء وقعه عنده عظامه قلبها تلويحا بان التعجب ينقلب الى حالة التعجب واذا
تحدث اتصل اي قصد من توهم اتصل عليها اي خرج من طريق او ضحك تعجب قاصدا
بها اي بكفه فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى لانها عادة من تحدث بهم واذا
غضب اعرض واشاح اي بالغ في اعراضه عن المغضب منه او اقبل الى مفصله مانعا
لما فيه اضرار واذا فرح غض طرفه اي ارخاه واطرق ليكون ابعد من الاشر والمرح جل
ضحكه اي اكثره التبسم كما مر ويفتر عن اسنان مثل حب الغمام اي البرد وقطر المطر
شبه به ثغره في صفائه بياضه وحسنه لا في الاشكال والاستواء قال الحسن ريحانة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتمتها عن الحسين زمانا حفظا لها وحرصا عليها
ثم حدثته عن حليته صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني اليها فسال اباه عن
مدخل رسول الله ومخرجه ومجلسه هي في الاصل مكان الدخول والخروج والجلوس
استعيرت اسما وهاهنا لجميع احواله صلى الله عليه وسلم وشكله اي عن مذهبه
وقصده او عما يشاكل افعاله ويجوز ان يكون بكسرها وله اي دله وهديه وسمته فلم يدع
منه شيئا قال الحسين سالت ابي عن دخوله اي عن جميع احوال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه خاصا بها ماذونا له حال من اسم كان
وخبرها لنفسه اي كان في جميع حالاته ماذونا له في ذلك اي في جميع احواله اذ لم يتوقف
لفعل شي بغير اذنه او لنفسه حال وماذونا خبرها ووضع اسم الاشارة موضع
المضمر لكمال العناية بتمييزه فكان اذا اوى منصوب لكونه لازما تعدى هنا بحرف
جر هو الى منزله جزا دخوله اي زمنه ثلاثة اجزاء جزاء لله يعبده ويتفكر في
عجايب ملكه وجزا لاهله يدبر امرهم ويصلح شانهم وجزاء لنفسه يتعهدها في
بعضه بما يليق بكرم جنابه بشهادة قوله ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فيرد
صلى الله عليه وسلم في زمن جزء لنفسه ذلك اي نفعه على العامة بالواسطة
من الخاصة ولا يدخر عنهم شيئا مما ينفعهم واصل يدخر يذتخر من الذخر قلبت
التاء دالا مهملة لاتحاد مخرجها فصار يذدخر بمعجمة فمهملة ثم ادغم واكثر
على النطق بالمهملة قلبا للمعجمة مهملة للادغام وعكسه اقل كما في امثاله كما ذكر
وكان من سيرته اي دابه وطريقته في جزء الامة ايثار اهل الفضل نفعا لهم
واكراما فقسمه مصدر مضاف اما الى المفعول او الى الفاعل اي قسمة الجزء او قسمة
النبي اياه على قدر فضلهم الافضل فالافضل في الدين لشرفهم بالفضل والتقوى
وبهما فضل ذو رحم صلى الله عليه وسلم وكفاك به قاضيا بان احدا لا يفضل بمجرد
نسبه ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم هم متفاوتون في قدر استحقاقهم منهم ذو ا
لحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج ثلاثا فاكثر فيتشاغل بهم نفعا وقضاء
للحوايج ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح الامة من مسالته عنهم بيان لما واخبارهم
بالذي ينبغي لهم ويقول صلى الله عليه وسلم ليبلغ الشاهد اي الحاضر منكم ما سمعه

بين الغايب ولو بالمعنى خلافا لابن سيرين وغيره فرب مبلغ اوعى له من سامع ورب
حامل فقه الى من هو افقه منه وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي اياها
امر ترغيب وحث للنفس على انبعاثها لفعل الخيرات فانه من ابلغ سلطانا حاجة
من لا يستطيع ابلاغها اياه ثبت الله قدميه يوم القيامة تبشير لمن فعل ذلك
ورد في صورة العلة ترغيبا فيه وارشادا الى استحبابه ومناسبة المرتب لما رتب
عليه ظاهرة من حيث احتياج فاعله الى قوة جنان لا يذكر عنده الا ذلك الذي بينا
عنه نفعهم وقضاء حوائجهم ولا يقبل من احد غيره قال اي علي بن ابي طالب في حديث
سفيان بن وكيع يدخلون روادا حال من الضمير قبله جمع رايد واصله من يتقدم
القوم يرتاد لهم الكلا ومساقط القطر اي يدخلون عليه طالبين منه العلم ه
ملتبسين الحكم شبهوا بجامع الطلب بمن يتقدم القوم يطلب لهم الكلا ومساقط
القطر فاستعار لهم الاسم استعارة تحقيقية مطلقة لم يقترن بما يلايم واحدا
منهما ولا يفترقون بعد دخولهم روادا الا عن ذواق اي عن علم وحكم يكتسبونها
منه او عن مذوق ماكول او مشروب فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر
والاسم كما مر ويخرجون من عنده ادلة يعني فقهاء هداة للناس لانهم لمن استهدى
ادلا قلت قال الحسين لابيه فاخبرني عن مخرجه في جميع احواله كيف كان
يصنع فيه قال اي ابو علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر
موضع المضمر لكمال العناية بتمييزه يخزن لسانه لا يتكلم بما لا يجدي نفعا تنزها
عن فضول الكلام الا فيما يعنيهم اي يهمهم مما ينبئهم من خطابه وجوامع كلمه
وجواهر لفظه وزواجر وعظه ويولفهم من سحايب نعمه وسوابغ كرمه ولا يتكلم
بما ينفرهم و يفرقهم لانه برحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حوله يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ترغيبا له في الاسلام ومراعاة
للاهلية في الولاية وتزهيدا عن ولايات الاسافل ويحذر الناس ويحترس
منهم اذ الحزم كما قال سوء الظن اي ضبط الامر والحذر من فواته ومن حديث
عمر احترزوا بسوء الظن اي لا تثقوا بكل احد فانه اسلم لكل من غير ان يطوي
عن احد بشره وخلقه اي طلاقة وجهه وبشاشته وانبعاث نفسه تاليفا
لهم وثانيا شبه طيهما بطي شي يطوي مدخلا لهما في جنسه ثم اشتق منه
الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا او شبههما
بما من شانه يطوي على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت لهما الطي تخييلا ويتفقد
اصحابه بسواله عن احوالهم متعرفا لها ويسال الناس عما في الناس من الصفات
بما تمس اليه الحاجة ليعلمه وينزل كلا منزلته بحسب شانه ويحسن الحسن ويصوبه
اي يقول فيه هو حسن صواب ترغيبا فيه ويقبح القبيح ويوهنه بجواز ان يكون
بالنون او الياء اي يقول فيه هو قبيح ضعيف او ساقط تنفيرا عنه وتحذيرا منه ه
معتدل الامر اي الحال والشان مما تقدم فوق وللنفس فيه مراحة غير مختلف
حال من ضمير معتدل او من الامر اي غير مفرط ولا مفرط لا يغفل بما يشغله قلبه عنهم
[illegible] من اجله ترك الغفلة حذرا من ان يغفلوا بضم الفاء فيهما او مخافة

ان يملوا اي يفتروا اذ الملال فتور وانكسار يعرض من كثرة مزاولة العمل فيورث
الكلال والاعراض عنه وفي الحديث اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى
تملوا اي اعملوا وسعكم وطاقتكم فان الله لا يعرض عنكم ولا ينقص ثواب اعمالكم
ما بقي لكم نشاط او رغبة فاذا فترتم فاقعدوا فانكم ان مللتم واتيتم به على كلال
وفتور عاملكم معاملة الملول لاستحالة الملال في حقه تعالى فيؤول بمعناها ه
او بايراده على طريقة المشاكلة والازدواج وهو ذكر احد لفظين لمشاكلته للاخر
وان خالفه معنى كما تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك من معلوماتك لكل حال
عنده عتاد اي ما يصلح لكل ما يحدث من الامور معد مهيأ لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه
الى غيره اي لا يفرط في اقامته على قانون العدل تقتيرا ولا يفرط تعديا عنه اسرافا
الذين يلونه من الناس خيارهم مبتدا وخبر فصل عما قبله لاختلاف موضوعيهما
وافضلهم عنده اعمهم نصيحة لله وكتابه ورسوله وايمة المسلمين وعامتهم
فنصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانيته واخلاص النية في عبادته ونصيحة
كتابه التصديق به والعمل بما فيه ونصيحة رسوله الايمان به وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه ونصيحة الايمة طاعتهم في المعروف ولا يخرج عليهم اذا جاروا
لكن يردعوا قاله امام الحرمين ولو بشهر سلاح ونصيحة العامة ارشادهم الى
مصالحهم ولهذا المقام مزيد بيان ذكرته في شرح مختصر المقاصد والنصح لغة الا خلاص
يقال نصحته ونصحت له اي اخلصت وليس ثم كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير
للمنصوح له سواهما واعظمهم عنده منزلة احسنهم موازرة اي معاونة على
ما كلف به اما من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي وهو الثقل اي اكثرهم حملا للثقل
او من الوزر بفتحتيهما وهو الملجأ اي اكثرهم التجاء اليه واعتصاما برايه ومواساة
اي مشاركة في المعاش والرزق وقلبت همزتها واوا واعقبناه بشهادة حديث ما احد
عندي اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله قال الحسين فسالته يعني اباه عليا
عن مجلسه صلى الله عليه وسلم ما كان يصنع فيه فقال كان لا يجلس ولا يقوم
الا على ذكر تشريفا وارشادا الى العمل بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ولا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به وينهى عن ايطانها
اي عن اتخاذها معينة وقيل مصلى معينا للصلاة لشهادة حديث الحاكم وغيره
نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يوطن الرجل في المكان بالمسجد كما يوطن البعير
اي نهى ان يالف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصا يصلي فيه كالبعير لا ياوي
من العطن الا الى مبرك دمث قد وطنه واتخذه مناخا وقيل نهى ان يبرك على يديه
اذا اراد السجود كبروك البعير ولعله عام مخصوص او اريد به مخصوص من لم يالف
من المسجد مكانا يبتغي فيه ويدرس فان له ان يقيم منه من سبقه اليه واذا انتهى
الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك تواضعا وتشريعا فعلا وامرا
ويعطي كل جلسايه نصيبه من بشره ومحادثته انصافا لهم وايتلافا لقلوبهم
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه غاية لاعطايه ذلك استجلابا
لخواطرهم وجبرا لانفسهم من جالسه او قاومه من الجلوس و [illegible]

صابر اي من قام لقضاء حاجة صبر عليه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول فلم يكن يرد احدا كيف وقد قال للسائل حق وان جاء على فرس فينبغي اشعار
بالامر بحسن الظن به فلا يكذب مع امكان تصديقه ولا يرد خايبا وان دلّ منظره
بحيث عليها لاحتمال كونه غازيا او غارما او ذا دين او عيال قد وسع الناس بسطه
وخلقه اي عمهم ببسط يده وسماحة نفس شبه طلاقة بره وحسن خلقه بسيعة دو
مكان رحب لهم استوى منه وسع توقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي
الفعل تبعية فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين من حيث كونهم
متفاضلين في ايصاله اليهم بقدر تفاوتهم بالتقوى هذا وفي الحديث لا يزال
الناس بخير ما تفاضلوا فاذا تساووا هلكوا لان الاستواء في التنافس في طلب
الفضايل ودرك المعالي بخلاف التفاضل فان فيه الرضا بالنقص وامام حيث
الحكم به عليهم فهم فيه سواء بشهادة الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء
اي متساوين فيه فلا تعارض بين الروايتين مجلسه مجلس حلم لا يستفز احدا فيه
غضب احد و مجلس حياء يمنعهم ارتكاب ما لا ينبغي و مجلس صبر اي حبس لانفسهم
فيه على ما كلفوه من ارتكاب مأمور واجتناب منهي مما تقضي به سواطع الاعتصام
ولوامع النزاهة عن الآثام و مجلس امانة لا يجري فيه ما لا يليق من قول او
فعل لا ترفع فيه الاصوات احتراما له اذ كان مجلس حلم ووقار كما مر ولا تؤبن فيه
الحرم اي لا يذكرن فيه بسوء ولا يرمين فيه بتقبيح ولا تثنى فلتاته بمثناة
فوقية ومثلثة بينهما نون والفلتات جمع فلتة وهي الزلة اذ لم يكن لمجلسه
فلتات من احد فتشاع وتذاع او تقبح فهو من باب نفي الشيء بنفي ما يترتب عليه
وفي نسخة تنثى بمثناة فمثلثة اي لا تعاد فلتات مجلسه لصيانته عما لا
يليق يتعاطفون من العطف بمعنى الرحمة وهي ميل نفساني اي يتراحمون
بالتقوى اي بسببها بشهادة حديث ابي داود والترمذي لا تنزع الرحمة الا من
شقي اي وهو من لا تقوى له واصلها وقي من الوقاية اذ هي كهي تقي بها
صاحبها المعاصي ابدلت واوها تاء لكثرة الاستعمال متواضعين بعضهم
لبعض يوقرون فيه اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم الكبير احتراما واكراما
ويرحمون الصغير شفقة عليه ورأفة به ويرفدون اي يعينون ذا الحاجة
على حصولها له وكانت الرفادة لقريش وهو ما كانت في الجاهلية تترافد فيه
اي تتعاون فيه فيخرج كل ما يقدر عليه فيجمعون مالا عظيما فيشترون به
طعاما او زبيبا ينبذونه فيطعمون الناس ويسقونهم ايام موسم الحج حتى
ينقضي ويرحمون الغريب شفقة عليه وتأنيسا له قال الحسين فسألته يعني
اباه عليا عن سيرته اي طريقته في جلسائه قال كان دائم البشر اي طلاقة الوجه
وبشاشته فرحا وسرورا سهل الخلق اي الطبع والسجية والدين اذ قد بعث صلى
الله عليه وسلم ليتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وكان خلقه القرآن متمسكا
باوامره ونواهيه وآدابه وما اشتمل عليه من مكارمه ومحاسنه لين الجانب اي متذللا
متواضعا ليس بفظ اي ليس بسيء الخلق وشرسه ولا خشن الجانب ولا غليظ اي

منهم كريه الخلق ولا سخاب وفي رواية ولا صخوب اي صياح مضطرب بالصوت للخصام وبناؤهما
للمبالغة والنفي هنا وفيما يأتي متوجه الى اصل معانيها لا الى الزيادة فقط كما مر وفي حديث
المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار وفي رواية بالصاد اي اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما
كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا شحا وحرصا عليها ولا فحاش اي ولا ذا فحش في
اقواله وافعاله ولا عياب على احد قولا وفعلا مرضيا ولا مداح اي ولا يبالغ في مدح احد
وقد نهى عن الاطراء فيه فقال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فالنفي فيه متوجه
الى الزيادة فقط يتغافل عما ليس بمنكر مما لا يشتهي والا فهو لا يقر على ما نهى عنه
ولا يؤيس منه بالبناء للفاعل او للمفعول على ما مر قد ترك نفسه ولم يجعل لها حظا من
ثلاث ثم بينها بدلا من كل الرياء فلم يقصد اظهار خصاله المحمودة واذاعتها للناس لتكون
له منزلة وعظم في قلوبهم بشهادة من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به اي من اذاع
عمله وسمعه للناس ليكرموه ويطيعوه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة
اي اظهر رياءه وفضحه او من سمع بعيوب الناس واذاعها اظهر الله عيوبه او اسمعه
مكروها او اراه ثواب ذلك وحرمه اياه حسرة عليه او من اراد بعمله الناس اسمعه
الله اياهم وكان حظه منه والاول اجود بشهادة من سمع بعمله سمع الله به اسامع
خلقه وحقره وصغره اي سمع الله اسماع خلقه به يوم القيامة تحقيرا له واسامع جمع
اسمع جمع سمع ويروى سمع الله سامع خلقه مرفوعا صفة لله اي الله سامع خلقه ثم
يستمع به اي يفضحه ومن الاكثار مشتغلا بما له تعلق بامور الدنيا غير راغب فيه
ممتثلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ومن ما لا يعنيه
اي ما لا يهمه قولا وفعلا ونقصا وحب محمدة وغير ذلك مما يجب الاعراض عنه او لا
يليق وقد ذكرنا لهذا مزيد بيان في حديث الترمذي من حسن اسلام المرء تركه ما لا
يعنيه في شرح الاربعين النووية وترك الناس وابعدهم عن ساحة ما ينقصهم
ويغض عليهم من ثلاث ابدل منها كان لا يذم احدا بما يصغر شأنه ويضع قدره
ويعيبه اذ لم يكن عيابا ولا طعانا ولا فحاشا ولا سبابا ولا يعيره بعيب سلف وقد قال
من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله ولا يطلب عورته اي لا يسعى طلبه به فيتجسس ه
ويتتبع ما ستره الله عليه وقد قال في حديث ابي داود على المنبر يا معشر من اسلم
بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم بهم
فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته من باب المشاكلة لوروده في صحبة
ما قبله بمعنى كشف الله ستره ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه من ربه كالنصح والتبليغ
وانواع المبرات اذ هو كالرسل لا يسألون على ذلك اجرا بشهادة قل لا اسألكم عليه
اجرا بنحو اسالكم اجرا اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير
اكراما له واحتراما وتوقيرا مع ما مر واذا سكت تكلموا تأدبا معه ومراعاة لتعظيم قدره
لا يتنازعون عنده الحديث اي لا يتجاذبونه بينهم ومنه حديث مالي انازع القرآن
اي اجاذبه في قراءته كانهم جهروا بالقراءة وراءه في الصلاة فشغلوه بشهادة حديث الحاكم
والدارقطني وغيرهما لعلكم تقرؤون وراءي اي في الصلاة قالوا نعم قال لا تفعلوا الا
بفاتحة الكتاب وفي رواية الا ام القرآن من تكلم عنده انصتوا له يجوز استعمال

انصت لازما ومتعديا يقال انصت انصاتا اذا سكت سكوت مستمع وانصته اذا سكته
ومع اللام وردوفيها يقال انصته وانصت له وقال رجل لطلحة بالبصرة انشدك الله
لا تكن اول من غدر فقال انصتوا لي انصتوني قال جار الله هو من الانصات يتعدي
بالي فحذفه اي استمعوا لي حتى يفرغ غاية لانصاتهم لمن تكلم حديثهم حديث اولهم
تشبيه حذفت اداته ووجه الشبه وهي على الرواية بجمعها نوع الحكم المبتدا بانه الخبر
ونوع عموم وجه التشبيه اي كهو في حسن تاديته منتظما في سلك البيان متناسق معانيه
الى فهم الفاظها يضحكون منه اذا وقعت بينهم مؤانسة مستملين بشروط الادب
وهذا لا ينافي قوله كانما على رؤوسهم الطير اذ كان اكثريا ويتعجب مما يتعجبون منه
تطييبا لخواطرهم وايتلافا بهم واستحبابا بالمتابعة الفاضل معضو له في ذلك ويصبر
للغريب على الجفوة في المنطق الغليظ الجافي الغبي الابي لخطابه حلما منه عليه
وتكرما اذ هو صلى الله عليه وسلم

حليم اذا ما الحلم زين اهله ۞ مع الحلم في عين العدو مهيب

وهذا كان دأبه وديدنه ويقول اذا رايتم صاحب حاجة يطلبها فارفدوه اي اعينوه
على قضائها ومنه تربيا اعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه وافدع عليه اي معينة له
على ادائها ولا يطلب الثناء اي لا يقبله وبه وردت الرواية الاخرى الا من مكافي
اي مسلم يعلم حقيقة ايمانه او من مقتصد في ثنائه غير متجاوز ولا مقصر عن ترتيب
قدره او ممن سبقت منه صلى الله عليه وسلم له نعمة ورد بان احدا لا ينفك عن
ربقة انعامه اذ قد بعث رحمة لكافة الناس ولا يقطع على احد حديثه تفاديا
من ان يدخل عليه ما يؤلمه ويفرق خاطره بل ينصت له حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء
الحديث او قيام غاية لتركه قطعه وزاد الاخر كان سكوته على اربع من الملكات على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر في الامور وما
يترتب عليها من مصالح ومفاسد دنيوية واخروية وفي الاستماع بين الناس
فيما يتعلق بهم من منازعة ومخاصمة ونحوهما مما يترتب عليه امر من وفاء حق او
حكم به او مصالحة او ترك بعض دين كما في حديث البخاري فاشار الى ابن ابي حدرد
ان ضع الشطر واما تفكره ففي ما يبقى من فضل عظيم ونعيم مقيم محفوفا
بمسرات كرام مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اعظمها النظر
الى وجه الله الكريم وفيما يفنى ويبيد فرفضه واثر الباقي عليه بشهادة حديث
الترمذي عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك
وجمع له الحلم في الصبر على مضض ما يعتريه ويلقاه من اجلاف الناس وعتاتهم
فكان لا يغضبه شي يستفزه اي يستخفه ويفزعه والحلم حبس النفس عن الانتقام
والاعراض عن اظهاره وكظم الغيظ واطفاء سورة الغضب ومعنى الصبر حملها على
التاني في الفعل وترك المنازعة اليه ففيه اشعار بان الصابر ربما انتقم اخرا
دون الحليم ومن ثم جعله ظرفا له دفعا للاشعار وجمع له في الحذر اي التيقظ والتحرز
اربع اخذه مفعول من اجله اي لاجل اخذه بالحسن واجبا ومندوبا ومباحا ليقتدي

به فيه علة لاخذه به وتركه القبيح حراما ومكروها وكذا خلاف الاولى المستفاد من
اولوية الندب لينتهي عنه علة لتركه القبيح واجتهاده الراي به اذ لا وصول لهم اليه
الا به صلى الله عليه وسلم واما اجتهاده النظر اي بذل تمام فهمه في الادلة لتحصيل
الظن بالاحكام الشرعية فالصحيح جوازه له صلى الله عليه وسلم ووقوعه بشهادة
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض عفا الله عنك لم اذنت لهم عوتب على
ابقائه اسارى بدر بالفدا وعلى اذنه لمن ظهر نفاقهم في تخلفهم عن غزوة تبوك ولا عتاب
فيما صدر عن وحي فيكون عن اجتهاد والصواب ان اجتهاده لا يخطي لنزاهة منصب
النبوة عن الخطا في الاجتهاد والقيام لهم باحوالهم مع القدرة على مراعاة مصالحهم بما
جمع لهم من امر الدنيا والاخرة من معاش ومعاد فصل في تفسير هذا الحديث
اي حديث هند وغيره ثم الغريب ما لا يكون على السنة العرب ادورا ولا استعماله
بينهم اكثريا ولا جاريا على قوانين اللغة وفي تفسير مشكله هو ما لم يتضح معناه فاحتيج
في تفصيله الى انبعاث فكر واستعمال روية المشذب اي البائن الطول اي المفرط
فيه وقد بعد عن قد الرجال الطوال في نحافة حال من ضمير اسم الفاعل وجي بفي
للتشبيه ملابسة النحافة للطول بملابسة الظرفية لفي وهو مثل حديث الترمذي
والبيهقي ليس بالطويل الممغط بتشديد الميم الثانية فمعجمة فمهملة اي المتناهي
طولا واصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت وامغط النهار اذا
امتد وتمغط الحبل مددته والشعر الرجل من الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه
وتحسينه هو الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد اي لم يكن شديد
السبوطة والجعودة بل بينهما وروى احمد وابو داود نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الترجل الا غبا ولعله لما ينشا عنه من كثرته من الترفه والتنعم والعقيقة في
الاصل الشعر الذي يولد به يقال عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته
وذبح عنه شاة للمساكين وسميت باسم عقيقته كما سمي به شعر الراس لانها منبتة
اصوله اراد انه صلى الله عليه وسلم كان لا يفرق شعر راسه الا انه ان انفرقت
من ذات نفسه فرقه والا تركه معقوصا وكان هذا في صدر الاسلام وروى
الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون
شعورهم وكان المشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد
ومن ثم قال النووي المختار جوازهما والفرق افضل ويروى ان انفرقت عقيصته
فرق والا تركها على حالها ولم يفرقها والعقيصة فعيلة بمعنى معقوصة اي معقود
من العقص واصله اللي وادخال اطراف الشعر في اصوله والمشهور عقيقته وازهر
اللون نيره من النور تبا للنار فهو منير ونار فهو نير ابيض مشرق بتلالا اذ الزهر
والازهر البياض النير وهو احسن الالوان وقيل ازهر حسن اي بهيج مشرق رويته
وتقر عينا ومنه اي من ازهر بمعنى حسن زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وحسنها
وبهجتها وكثرة خيرها وهذا اي كونه ازهر نيرا اي ابيض مشرقا كما قالت واصفه
في الحديث الاخر الذي رواه الشيخان ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والا مهق
هو الناصع اي الخالص البياض الكريه المنظر كلون الجص والادم الاسمر اللون

سمرة شديدة ومثله اي مثل كون لونه بينهما المعتاد بالاولى في الحديث الاخر الذي رواه
الترمذي والبيهقي ابيض مشرب اي فيه حمرة ولا معارضة بينه وبين حديث انه كان
اسمر اللون لان ما برز منه للشمس كان اسمر وما سترته ثيابه كان ابيض والحاجب
الازج هو المقوس الطويل طرفه مع امتداد الوافر الشعر المحذوف ذوائبه والاقنى
السائل الانف المرتفع وسطه اي هو الذي انفه ممتد مع ارتفاع وسطه والاشم
خلافه اذ هو الطويل قصبة الانف اي الذي قصبة انفه طويله مع ارتفاع
ارنبته دون وسطه والقرن بالتحريك هو اتصال شعر طرفي الحاجبين وضده
القرن البلج اذ هو وضوح ما بينهما ووقع في حديث ام معبد كما مر وصفه صلى
الله عليه وسلم بالقرن والصحيح ما مر عن علي من وصفه بالبلج اذ هو المحمود عند العرب
دون القرن وقد يجمع بينهما بان ام معبد لانه من بعد فظنت انه اقرن لقرب طرفيهما
التقاؤ وصفته به وعلى حقيقته من قرب منهما كان دابلتقيان فوصفه بالبلج
والادعج من الدعج وهو السواد في العين وغيرهما وقيل هو شدة سواد العين في
شدة بياضها والمراد في الحديث هو الشديد سواد الحدقة اي العين وفي الحديث
الاخر الذي رواه مسلم اشكل العين واسجر العين هما بمعنى واحد وهو الذي
في بياضها حمرة يسيرة واصل السجر بمهملة فجيم الكدرة والشكلة محمودة محبوبة
والضليع الفم عظيمه وهو ممدوح كما مر وقيل الواسع الفم والضليع العظيم
الخلق الشديد القوي بشهادة قول عمر انهم ايها الجني كلكم امرأت من بينهم فقال
له الجني اني منهم لضليع اي الخلق وقيل العظيم الصدر الواسع الجبين والشنب
رونق الاسنان وماؤها اي صفاؤها وخلوصها من شوائب الكدورة وقيل الشنب
في الاسنان رقتها وتحزيز فيها مع صفائها كما يوجد في اسنان الشباب لانهم في
زمان ازدياد قواهم النامية واشتعال حرارتهم الغريزية الموزعة لابتهاج نضارة
الاعضاء وحسن رونقها وبريق مائها والفلج محركا فرق بين الثنايا واحدها
ثنية وهي اربع ودقيق المسربة خيط الشعر اي الذي هو لدقته بمثله وطوله
كالخيط الرقيق الممتد بين الصدر والسرة فهو من التشبيه المؤكد باضافة المشبه
به الى المشبه بادن هو في الاصل الضخم من البدانة وهو كثرة اللحم ولم يكن صلى
الله عليه وسلم سمينا ثم اردفه بقوله متماسك اي معتدل الخلق يمسك بعضه
بعضا فلم يكن صلى الله عليه وسلم ضخما مثل قوله بادن متماسك في افادته
اعتدال خلقه قوله في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي والبيهقي لم يكن بالمطهم
اي لم يكن بفاحش السمن او بمنتفخ الوجه ولا بمسترخي اللحم ولا بالمكلثم ولا
بقصير الحنك الداني الى الذقن مع استدارة الوجه وخفة لحمه وسواء الصدر
والبطن اي مستويهما لا ينبو احدهما عن الاخر ولا بطنه مضافا اي ضخما ولا صدره
متقاعسا اي متخفضا ومسيح الصدر ان صحت هذه اللفظة اي لفظة مسيح وهو
من وضع الظاهر موضع المضمر تمييزا له عن المضاف اليه وانث باعتبار ما وضع
موضع ضمير فيكون من الاقبال اي مقبل الصدر وهو احد معاني اسماح ومنها
اعراض اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس اي تطامن وانخفاض وبه

اي

اي بكونه باديا صدره ليس به قعس يتضح قوله قيل سواء البطن والصدر اي ليس
متقاعس الصدر اي غير متخفضة ولا مفاض البطن اي ضخمه ولعل اللفظ مسيح
بالسين المهملة وفتح الميم بمعنى عريض الصدر كما وقع في الرواية الاخرى وبنصرة
حديث كان مسيح القدمين اي ممسوح ظاهرهما متساويين لينين اذا مسهما الماء نبا
عنهما والكراديس رؤوس العظام وهو اي قوله والكراديس رؤوس العظام مثل
قوله في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي والبيهقي جليل المشاش اي ضخم رؤوس
العظام كما في النهاية كالركبتين والمرفقين والكتفين وفي الصحاح رؤوس العظام
اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتح التاء وكسرها وقال المصنف هنا المشاش
رؤوس المناكب جمع منكب وهو ما بين الكتف والعنق والكتد مجمع الكتفين
وهو الكاهل وشثن الكفين والقدمين اي لحيمهما خلاف ما مر والزندان
هما عظما الذراعين يحتمل ان يريد راسيهما فيكون بمعنى ما مر او قصبتيهما
فيكون خلافه وسائل الاطراف اي طويل الاصابع من يديه ورجليه وروي
بالنون وهما بمعنى واحد كجبريل وجبرين تبدل اللام من النون اي صحت الرواية
بها واما رواية الراء فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت الاشارة اليها منها
مفصلة في الحديث المار في الفصل قبله ورحب الراحة اي واسعها كما مر وقيل كنى
واصفه صلى الله عليه وسلم به اي بقوله رحب الراحة عن سعة العطاء والجود
فاطلقه واراد لازم معناه لينتقل الذهن منه اليه كما في هو كثير الرماد وليس
باللازم هنا عدم الانفكاك وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم و هو
الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم وفي النهاية ان خمصان للمبالغة
كما مر قال وسئل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان اخمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا
ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا ارتفع جدا فهو ذم فيكون
المعنى ان اخمصه معتدل الخمص ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا اي ولكونه
املسهما قال في الحديث السابق ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة الذي
رواه البيهقي خلاف هذا اي خلاف كون قدميه اخمصين اذ قال فيه اذا وطئ
بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا اي معنى قوله ليس له اخمص يوافق
معنى قوله مسيح القدمين وبه اي بمسيح القدمين قالوا سمي المسيح بن مريم
اي لم يكن له اخمص وقيل لا لحم عليهما وهذا اي قوله لا لحم عليهما يخالف قوله
شثن القدمين عند من فسره بلحيمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلهما الى غلظ
وقصر او بانا ملهما غلظ بلا قصر فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون بلا
كثرة لحم والمتقلع رفع الرجل بقوة مع تثبت في المشي بحيث لا تظهر فيه شدة مبادرة
والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده اي الى جهته معتدلا بدون انحراف عنها
وفي الحديث القصد تبلغوا اي الزموا الامر الوسط من الافراط والتفريط قولا وفعلا
تبلغ مقاصدكم ونصبه على الاغراء وتكراره للتاكيد والهون هو الرفق والوقار وفي
رواية كان يمشي الهوينا تصغير الهونى تانيث الاهون وفي الادب المفرد عنه
صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا اي حبا لا افراط فيه بل قليلا بشهادة تمام الحديث

وقد مر له مزيد بيان والذريع الواسع الخطوة من الذرع وهو الوسع والطاقة اي انه
كان يرفع فيه رجليه بسرعة لقوته وسعة قدرته ويمد خطوه خلاف نصب صفة لمصدر
محذوف اي يمشي مشيا خلاف مشية المختال لعصمته من الاختيال والمشية بكسر الميم
لانه مصدر للنوع ويقصد في مشيه سمته اي قصده في طريقه بدون ميل عنه وكل
ذلك الداعي في مشيه كان برفق وتثبت فيه دون عجلة كما قال واصفه كانما ينحط
من صبب اي منحدر وروي كانما يهوي من صبوب يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اي جوانب فمه واحدها شدق اي انما كان ذلك لسعة فمه والعرب تمتدح بهذا
اي بسعة الفم لكون صاحبه في الغالب طلق اللسان فصيحه نبيه الشان رجيحه وقد
كان صلى الله عليه وسلم في الذروة العليا من ذلك وتذم بصغر الفم الباء زائدة
او سببية اي تذم صاحب الفم الصغير بسبب صغره ولا يعارض هذا حديث ابغضكم
الي الثرثارون المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون في الكلام بدون احتياط واحتراز
والمستهزؤن بالناس يلوي اشدق ورأي المجانب والمتفيهقون تكبرا واشاح احد معانيه
كما مر مال اي انكف اما نعا لما وراء ظهره وانقبض مما ارهقه واغضبه ان المشيح هو
الحذر والاجاد في الامر او المقبل عليه وفي الحديث ذكر صلى الله عليه وسلم النار ثم اعرض
واشاح اي حذر منها كانه ينظر اليها او جد في الايصا باتقائها او اقبل اي مال في خطأ
اليه وحب الغمام البرد معناه على التشبيه كما مر وفي صفة اهل الجنة يصير طعامهم
الى رشح مثل حباب المسك والحباب بالفتح الطل الذي يصبح على النبات ونحوها شبه
به رشحهم مضافا الى المسك ليثبت له رائحة طيبة كرائحته فيرد صلى الله عليه وسلم
بالخاصة على العامة الذي جعل من جزء نفسه ما يصدر منه صلى الله عليه وسلم
فيه نفع تصل الخاصة اليه لقربهم منه فتوصل الخاصة ذلك الصادر عنه صلى
الله عليه وسلم للعامة ويدخلون اي اصحابه عنده رواداً اي محتاجين اليه وطالبين
لما عنده من هداية وعلم ومعروف ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
منه ثم يكونون ادلة وهداة للناس ويشبه ان يكون ذواقهم الذي يخرجون عنه
على ظاهره اي الا عن مذوق ماكول او مشروب وبالفعال بمعنى مفعول من الزوق كما مر
والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد لما يقع من الامور المهمة وفي حديث خالد بن الوليد
انكم تظلمون خالدا وقد احتبس ادراعه واعتده في سبيل الله جمع قلة لعتاد وهو
ما هيء من سلاح وغيره من الة الحرب وفي رواية ورقيقه بدل ادراعه وفي اخرى واعبده
جمع قلة لعبد وعزا الدارقطني ان ابن حنبل خطا رواية علي بن حفص واعتاده وانما قال
اعبده والادراع جمع قلة لدرع وهي الزردية وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك
اخبارا بانه لا زكاة عليه انه طولب بزكاة الادراع والاعتد دفعا لظن كونها للتجارة
بحبسه اياها في سبيل الله او اعتذارا ودفعا فانه اذا كان قد حبسها فيه تبرعا وتقربا
الى الله فكيف يتكلف بمنع الزكاة والموازرة المعاونة من الوزر وهو في الاصل الحمل
والثقل وكثيرا ما يراد به في الحديث الذنب والاثم يقال وزر يزر فهو وازر اذا حمل ما يثقل
ظهره من ذنوب وغيرهما وجمعها اوزار وفي حديث السقيفة نحن الامراء وانتم الوزراء جمع وزير
وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ما حمله من الاثقال ويلتجي في الامور اليه راياً وتدبيراً

خالد الخ

لا يواطن الاماكن اي لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما يصلي فيه وقد ورد نهيه
عن هذا اي عن ايطان الاماكن في المساجد مشيرا الى ان هذا الحديث كحديث الحاكم
وغيره السابق وفي حديث في صفته صلى الله عليه وسلم كان لا يوطن الاماكن وقد نهى
ايضا عن ايطان المساجد اي عن اتخاذها وطنا وصابر اي حبس نفسه صلى الله
عليه وسلم على ما يريد مجالسه مما هو بصدده حتى يخرج له وفي الحديث لا احد
اصبر على اذى يسمعه من الله اي هو اشد حلما عن فاعله وترك المعاقبة عليه
ولا تؤبن فيه اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم الحرم اي لا يذكرن فيه بسوء لصيانة
لصيانة مجلسه عن رفث القول وفي الحديث انه نهى عن الشعر اذا ابنت فيه النساء
وفي حديث الافك اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي اي اتهموها من الابن وهو التهمة
ولا تنثى فلتاته بتقديم النون على المثلثة اي لا تحفظ زلات مجلسه ويحدث
بها اي لم تكن فيه فلتة من احد وان كانت قد صدرت من احد سترت عليه فهو
من نفي الشيء بنفي لازمه ويرفدون اي يعينون الضيف والمحتاج في حصول ما يحتاجه
والسحاب الكثير الصياح والنفي فيه متوجه الى اصل السخب لا الى الزيادة لما
من المبالغة على ما مر ولا يقبل الثناء الا من مكافئ استثناء مفرغ من عام اي لا يقبل
من احد شيئا الا من مقتصد في ثنائه ومدحه غير متجاوز ولا مقصر وقيل الا
من مسلم حقيقي لا ظاهري وقيل الا من مكافئ على يد اي نعمة سبقت وكثيرا ما تطلق
عليها مجازا مرسلا لعلاقة غير المشابهة من صدورها عنها من النبي صلى الله عليه وسلم
ويستفزه اي لا يستخفه عنها شيء لكمال عقله وجودة فطنته وفي حديث اخر
رواه مسلم في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب من النهس هو اخذ اللحم
بالاسنان اي قليل لحمها كانه نهس وفي رواية منهوس الكعبين وفي اخرى القدمين
اهدب الاشفار جمع شفر وهو حرف جفن العين اي طويل شعرها وعن الشعبي
كانوا لا يوقتون في الشفر شيئا اي لا يوجبون فيه شيئا مقدرا وهو مخالف للاجماع
على وجوب الدية في الاجفان الباب الثالث من القسم الاول
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها صحيحا او غيره فليس من عطف الخاص
على العام وان زعم ودعوى ان كل مشهور صحيح يردها قول الائمة وكل قد رواه
الصحيح والضعيف بعظيم قدره متعلق بورد والباء للتعدية اذ كل قاصر يعدى بها
او بالالف او التضعيف وهي للحال كما قال الزجاج فيما اشتبت بالدهن اي ورد
متكفلا مستمعا بان قدره العظيم عند ربه ورفيع منزلته وما خصه به
في الدارين الاولى والاخرى من كراماته بيان لما لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم
اكرم البشر بشهادة حديث الترمذي والدارمي انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر
ولا خلاف انه افضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى الاحاد
وردت بذلك واعلم خطاب عام لكل من يتاتى توجيهه اليه وما بعد اعلم سد مسد
مفعوليه ان الاحاديث الواردة في ذلك من عظيم قدره ورفيع منزلته وخصوصيته
في الدارين بكرامته كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها اي من الاحاديث الكثيرة جدا على
صحيحها ومنتشرها من عطف العام على بعض افراده وحصرنا معاني ما ورد منها

يحتاجه

ضمن الفاظها لكونها اعراضا لا تقوم بنفسها في اثني عشر فصلا تمييزا لرفع كونها ابوابا
الفصل الاول فيما ورد من الاخبار فيها بذكر مكانته وشاهدا بشرفها له
عند ربه والاصطفاء اللام فيه بدل من الضمير اي وبذكر اصطفائه افتعال من هو
الصفوة على ما مر ورفعة الذكر اللام فيه كذلك اي رفعة ذكره بقرنه بذكر الله
في كلمة الشهادة وغيرها وفي تسميته كنبي الله ورسول الله وحبيب الله وقد زعم
ان المصدر اعني رفعة مضاف الى الفاعل وليس بشيء والتفضيل لامه ايضا كذلك
وسيادة ولد ادم اي وفيما ورد منوها بتفضيله على غيره وبسيادته ولد ادم وادم
ايضا بشهادة انا سيد الاولين والاخرين وفي ما خصه الله تعالى به في الدنيا
من مزايا الرتب جمع مزية تميز بها على غيره وفيما خصه به من بركة اسمه الطيب
الفائضة على محبيه وقد اسند هنا حديث ابن عباس الذي رواه الطبراني والبيهقي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق من الثقلين قسمين
فاضلا وافضل او شقي وسعيد فجعلني من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة قد لك
اي جعلهم قسمين يوذن به قوله واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي السعادة
في انواع من النعيم المقيم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال الشقاوة في انواع
من العذاب فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين لشهادة ما ذكر سابقا
ولاحقا بتفضيله على كل خلقه ثم جعل القسمين اثلاثا متفاوتين شقاوة
وسعادة فجعلني في خيرها ثلثا وذلك اي جعلهما اثلاثا يوذن به قوله فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة اي المنزلة السعيدة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة اي المنزلة الشقية والسابقون السابقون اي هم الذين عرف حالهم
وما لهم لسبقهم الى حيازة الشرف والكمالات هذا والجملتان الاستفهاميتان
في القسمين والثلاثة خبران لما قبلهما فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك اي قبائل يوذن به قوله
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا علة لجعلهم ذلك اي من اجل ان يعرف بعضكم
بعضا والشعب جمع عظيم ينتسب الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع
العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل
فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة
ولما لم يكن في الاية ما يوذن بشرف القبيلة في نفسها وكان شرف العبد بتقواه
لشهادة ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال صلى الله عليه وسلم فانا اتقى ولد ادم
واكرمهم على الله ولا فخر حال موكدة اي اقول هذا غير مفتخر بعظم ومباهاة وحسن
مدح لنفسه انما امتثالا لامر الله بقوله واما بنعمة ربك فحدث وبنصره قوله حكاية
عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم او لكونه مما يجب بيانه ليجري
على موجبه من توقيره واحترامه واحيانا لما اكرمه به من الفضل والسودد ومن ثم
اتبعه بقوله ولا فخر اي الذي نلته انما هو كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا
بلغتها بقوتي الان افتخر بها فذلك لنزاهته عما يورث عجبا وكبرا فهو الاكرم
والاتقى هذا وبالمقوي كمال النفوس وتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليتق

الله

الله كما قال عيسى بن مريم ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال انما الناس رجلان مومن
تقي فهو كريم على الله وفاجر شقي فهو هين على الله ثم جعل القبائل بيوتا متفاوتة
في الشرف فجعلني من خيرها اي من اشرافها بيتا فذلك اي جعله من خيرها بيتا يوذن
به على طريقة الاقتباس هنا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس
لاعراضكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم من المعاصي تطهيرا وقد
استعار اسم الرجس للمعصية لتشبيهها به استعارة تحقيقية قرنها بالتطهير
ترشيحا وتنفيرا عن اقتراف الذنوب الملوثة للاعراض وتخصيص الشيعة اهل
البيت واحتجاجهم به على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيفة لمنافاة التخصيص
ما قبل الاية وبعدها والحديث قاض بانهم اهل البيت لا بانهم ليس غيرهم وروى
الترمذي وصححه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة قال قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة اي في اي زمان ثبتت لك قال وادم بين
الروح والجسد جملة حالية وردت جوابا لمتى وحيث اي وجبت لي في الحالة التي
كان ادم فيها على الارض بين اجل تصويره واجراء الروح فيه وهذا الحديث موذن بان
الغايات والكمالات سابقة تقدما لاحقة وجودا وبه ظهر ان الموذن بان السؤال
بمتى يقتضي سبق الوجود اذ بها يسال عن الزمان وقد يلزم منه سبقه صلى
الله عليه وسلم على ادم وجودا ليس بشي اذ المسئول عنه بها زمان وجود بما له
بمعنى تقديرها او كتابتها له بشهادة حديث احمد اني عند الله مكتوب خاتم النبيين
وان ادم لمنجدل في طينته وروى مسلم وغيره عن واثلة بن الاسقع ان الله
اصطفى من ولد ادم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل الحديث انما اعاده
هنا لزيادة صدره ومن حديث انس الذي رواه الترمذي انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا
وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم
ولد ادم ولا فخر زاد الدارمي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور
ومن حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي والدارمي جلس ناس من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم
خليلا وقال اخر وكلم الله موسى تكليما وقال اخر عيسى كلمة الله وقال اخر ادم
اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم
ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته ادم ومن دونه ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح
الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على
الله ولا فخر وروى البيهقي وابو نعيم والطبراني عن عائشة اتاني جبريل فقال
قلبت مشارق الارض ومغاربها اي فتشتها بجهدي فلم ار رجلا افضل من محمد
صلى الله عليه وسلم عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة تنبيها على كرامة

صفاته الحميدة وسماته المجيدة وكرام نجباء افضل من بني بني هاشم صفوة قريش صفوة
بني اسماعيل صفوة العرب صفوة الخلق الشاهد به ما مر من الاحاديث وعن انس
ابن مالك الثاني صلى الله عليه وسلم بالبراق ليلة اسري به الحديث تقدم لفظا ومعنى
وفيه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا استفهام انكاري بمعنى النفي وتقديم الصلة
على الفعل للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم
فما ركبك احد اكرم على الله منه هذا بظاهره قاض بان عزم ركبه على شامس
فارفض عرقا تمييز لنسبة ارفض اي سال عرقه عن شدة ما اعتراه من الهيبة
وروى ابن ابي عمر العدني عن ابن عباس لما خلق الله ادم اهبطني من الجنة في
صلبه حال من ضمير اهبطني الى الارض ولم يزل ينقلني من صلب كريم الى رحم
طاهر حتى جعلني في صلب نوح في السفينة ولم يزل ينقلني كذلك حتى قذفني
في النار في صلب ابراهيم حين القاه نمرود فيها ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب
الكريمة جمع صلب وهو مقر المني من الرجل الى الارحام الطاهرة جمع رحم وهو
منبت مقر الولد من المراة حتى اخرجني غاية لنقلته الى ما ذكر من ابوي هما عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب لم يلتقيا على سفاح اي
زنا قط تاكيد لنفي التقائهما على سفاح واليه اي الى نفي الالتقاء اشار العباس
ابن عبد المطلب فيما رواه ابو بكر الشافعي والطبراني عن خريم بن اوس بن حارثة
بقوله من المنسرح وعروضه وضربه مطويان وبعض اجزايه صدرا وعجزا وحشو
من قبلها اي الدنيا او النبوة او الدلالة الكلام عليه حيث لم يجر له ذكر كما في حتى
توارت بالحجاب كل من عليها فان انا انزلناه طبت في الظلال في الجنة وطبت
في مستودع في صلب ادم حيث اي بمكان فيه يخصف الورق اي يضم بعضه الى
بعض ويلزق ورقه وهذا تلميح بقصة ادم وحوى حيث اكلا من الشجرة فبدت
لهما سواتهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ثم هبطت البلاد اي من
الجنة الى الدنيا في صلب ادم لا بشر انت ولا مضغة ولا علق اي لم تكن واحدا منها
بل نزلت وانت في صلبه نطفة ثم صرت الى نوح تركب السفين في صلبه وقد
الجم نسرا واهله الغرق بماء الطوفان ونسر صنم واهديهم الذين كانوا يعبدونه
من قوم نوح ثم صار لذي الكلاع من حمير وود لكلب بدومة الجندل وسواع
لهذيل بساحل البحر ويعوق لغطيف من مراد ويغوث لهمدان تنقل من صالب
بكسر اللام وفتحها وهو قليل الاستعمال اي من صلب كريم الى رحم طاهر اذا بدا عالم
بدا طبق اي انقرض قرن ظهر قرن اخر وسمي طبقا لانهم طبق الارض وفي رواية
علم عالم قريش طبق الارض وفي اخرى قال علي يوم حوورا سمعته صلى الله عليه وسلم
يقول لا تاموا قريشا واتموا بها ولا تقدموا قريشا وقدموها ولا تعلموا قريشا
وتعلموا منها فان امانة الامين منهم تعدل امانة الامينين من غيرهم وان علم
عالم قريش يسع طباق الارض وكذلك هذه الاحاديث تشهد بصدق ما تقدم لقريش
عموما وللشافعي رضي الله تعالى عنه خصوصا اذ لم ير منهم من ملا علمه طباق
الارض غيره بشهادة قول الامام احمد بن حنبل وابي نعيم عبد الملك بن محمد الفقيه

قوله

قوله صلى الله عليه وسلم عالم قريش يملا الارض علما موذن بانه عالم من قريش ظهر علمه هو
وانتشر وكثرت كتبه وقرئت في الافاق وحكم به في الحلال والحرام ولا نعلم قرشيا
بهذه الصفة وان كان منهم علما الا الشافعي فانه صنف الكتب وشرح الاصول والفروع
ووعت القلوب كلامه وما ازداد على مرور الايام الا حسنا وبيانا وبلغ حدا اورث
المتول لهذه الروايات انه المراد بها كيف وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ومن اله
الذين تحرم عليهم الزكاة بشهادة حديث البخاري نحن وبنو المطلب شي واحد ان هذه
الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد فانه محمد بن ادريس
ابن العباس بن عثمان بن شافع بن السايب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب
ابن عبد مناف فيجتمع معه صلى الله عليه وسلم فيه فانه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فالمطلب جد الشافعي ربى عبد المطلب
جد النبي صغيرا لموت ابيه واليه نسب وبه عرف ولعبد مناف ابنان اخران عبد
شمس منه عثمان بن عفان وجماعته ونوفل منه جبير بن مطعم وجماعته وكانا قريبا
واوليك قريبا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم نحن وبنوا المطلب شي واحد لم نفترق في جاهلية
ولا اسلاما فالمطلب وهاشم اخذ العوم بهما الرحلة في الصيف الى الشام وعبد شمس
ونوفل اخذا الرحلة لهم في الشتا الى اليمن وما يليها وقد امتن الله عليهم بذلك
في لايلاف قريش اي اهلك الفيل واهله من اجل ذلك الايلاف حتى غاية لما دل عليه
البيت قبله اي منتقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى بيتك مرفوع
بالفعل قبله المهيمن صفته من خندف لقب ليلى امراة الياس بن مضر بن نزار
ابن معد بن عدنان علياء مفعول احتوى وفي نسخة دونها تحتها النطق جمع
نطاق وهي اوساط جبال بعضها فوق بعض شبهها بالنطق التي تشد الناس بها
اوساطهم وضربه مثلا له في ارتفاعه وشرفه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة
اوساط الجبال واراد ببيته شرفه اي حتى احتوى شرفك الشاهد بفضلك اعلا
رتبة من علياء شرف نسب خندف التي تحتها النطق وروى ابو ذر وعنه احمد
والبيهقي والبزار وابن عمر وعنه الطبراني وابو نعيم وابن عباس وعن احمد وابن ابي
شيبة والبزار وابو هريرة وعنه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال اعطيت
خمسا اي خصالا او شيا وتانيثه لكونه نكرة غير حقيقي وفي بعضها ستا رواها
مسلم عن ابي هريرة بلفظ فضلت على الانبيا بست وليس باختلاف تضاد بل اختلاف
زمان اعطي اولا خمسا فخبر بها ثم زيد السادسة فحدث بسبب لم يعطهن نبي قبلي نصرت
بالرعب اي الفزع والخوف يقذفه الله اياه في قلوب من كان بينه وبينهم مسيرة
شهر هابه وفزع منه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا اي ابيح لي ولامتي الصلاة
في اي مكان منها وابيح لنا التيمم بترابها ولا صلاة الا في كنايسهم وبيعهم فايما رجل
ادركته الصلاة فليصل في اي مكان شا منها وفي رواية فايما رجل وما مزيدة فيهما
واحلت لي الغنايم جمع غنيمة وهي ما حصل من اهل الحرب بقتال وايجاف خيل وركاب
ولم تحل لنبي قبلي نبي مفرد نكرة وردت في حيز النفي فافادت استغراق كل منهم اذ لا منافاة
بينهما لان ما ينبني من نفي وتعريف انما يدخل على المفرد بمجرد اعتبار الوحدة فهو بمعنى كل فرد

فرد لا بمعنى مجموعها فاستغراقه اشمل من استغراق الجمع بشهادة قيام الجنسية في
وحدانه فلا يخرج منه شي دون الجمع فانها قايمة بما فيه من جراته فيخرج منه واحد
واثنان ومن ثم منع لا رجل في الدار اذا كان فيها رجل او رجلان الا بقرينة وصحة
لا رجال فيها اذا كان فيها ذلك وبعثت الى الناس اي والجن كافة اكتفا باحد
الضدين عن الاخر على ما مر واعطيت الشفاعة اي العظمى لفصل القضا بين اهل
الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا وله شفاعات اخرى لم يعطها غيره بايتي
بعضها وتقدم بعضها وقد اودعتها شرح كتابي مقاصد المقاصد ودرر القلايد
وفي رواية في حديث ابي ذر بدل هذه الكلمات اي بدل اعطيت الشفاعة وقيل
لي سل تعطه تشريفا وتكريما وحذف همزة اسال تخفيفا وفي رواية اخرى للبزار
والبيهقي وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع منهم في الخير والشر من المتبوع وفي
رواية في حديث ابي ذر بعثت الى الاحمر والاسود قيل كما تقدم السواد العرب
لان الغالب على الوانهم الادمة اي السمرة الشديدة فهم من السود والحمر العجم
لان الغالب على الوانهم الشقرة مع البياض وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر
الانس لظهور ابشارهم والسود الجن لاختفايهم عن العيون وفي الحديث الاخر
الذي رواه الشيخان نصرت بالرعب اي بالخوف والفزع على ما مر واوتيت بالبناء
للمفعول اي اعطاني الله جوامع الكلم للمعاني الكثيرة في الفاظ قليلة وبينا ظرف
كبينما زماني بمعنى المفاجاة يضافان الى جملة اسمية او فعلية ويحتاجان الى جواب
يتم به المعنى وعن الاصمعي الافصح ان لا يقترن باذ واذا مع وروده بهما كثيرا بشهادة
بينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي هي جمع مفتاح وهو في
الاصل ما يتوصل به الى اخراج مغلق عليه يتعذر الوصول اليه فاخبر صلى الله عليه وسلم
انه اوتي مفاتيحها وهو ما سهل الله له ولامته من فتح البلاد المتعذرة واخراج
الكنوز الممتنعة اذ كل من بيده مفاتيح شي سهل الله تعالى عليه الوصول اليه
ومنه حديث اوتيت مفاتح الكلم وفي رواية مفاتيح الكلم جمع مفتح اراد ما يسره
الله له من البلاغة والوصول الى غوامض المعاني وبدايع الحكم ومحاسن العبارات
والالفاظ مما اغلق على غيره فلم يتنبه له غيره وفي رواية رواها مسلم عنه
اي عن ابي هريرة وختم بي النبيون فلم ينبي بعده احد وروى الشيخان عن عقبة
ابن عامر انه صلى الله عليه وسلم قال انا فرطكم من فرط يفرط اذا تقدم وسبق القوم
ليرتاد لهم الماء ويهي لهم الدلا والارشية اي انا متقدمكم فرطا صدوق لكم وانا
شهيد عليكم اي يوم القيامة قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا اي انه بكم
فهو يدل على قبول شهادته لنفسه لعصمته او بطاعة من اطاعه وعصيان من عصا
واني والله لانظر الى حوضي الان اكد الجملة باسميتها وبان واللام والقسم تنبيها على
تحقيق نظره اليه وارشادا الى استحباب القسم في الامر المهم سيما الامور الغايبة
واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض اشارة الى ما يسره الله عليه وعلى امته من فتح
بلاد العرب والعجم واخراج كنوزهم مع شدة شكيمتهم وكثرة عددهم وعددهم وفي
سيرة الكلاعي ان رستم امير جيش يزدجرد راي في منامه وقد جاءهم سعد بن ابي

وقاص

وقاص ومن قبل عمر بفتح بلادهم ان ملكا نزل من السماء فاخذ جميع سلاحهم واعطاها للنبي
صلى الله عليه وسلم فاعطاها لعمر فكان الفتح والغنيمة التي تكاد تفوت الحصر
واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي الكل كما مر علما منه صلى الله عليه وسلم
بثبوت ايمانهم وتبشيرا لهم بانهم لم يرتدوا ان ندع اما بوحي او بما ظهر له من رسوخه
بمخالطة بشاشته قلوبهم ولكني اخاف عليكم ان تشركوا بعدي اي في الدنيا اذ من
شان الانسان وجبلته حبها والتنافس فيها من المنافسة وهي الرغبة في الشي الا
به حتى ينفرد به بكسر الفاء اي يبخل واما بفتحها فبمعنى صار مرغوبا فيه وحذفت احدى
تايي تتنافسوا تخفيفا وروى احمد بسند حسن عن ابي عمر حديث انا محمد النبي
الامي اي على اصله ولادته وجبلته الاولى لا اكتب ولا اقرا وكفاك بهذا دليلا على كماله
لانه لا نبي بعدي اذ قد ختم به النبيون اوتيت جوامع الكلم وخواتمه اي اعطى الله
علمه يقتدر بها على ايجاز الكلام مع اتساع المعنى بنظم لطيف بينا لا تعقيد به يعسر
الفكر في طلبه ولا التوا يحير الذهن في فهمه فما من لفظه يسبق نطقها الى اذنك
الا ومعناها اسبق الى فهمك واردا على احسن ختام وابلغ تمام وعلمت خزنة النار
وحملة العرش من الملايكة اذ قد علمه الله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وروى احمد بسند حسن عن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة مستعار مما بين
جهتي يدي الانسان تلويحا بقربها وهي في الاصل تطلق على جزء قليل من نهار او ليل
وعلى جزء من اربعة وعشرين جزءا هو مجموع النهار والليل ثم استعير اسمها ليوم القيامة نزداد
اعني الوقت الذي تقوم فيه وهي ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم ولقلته سمي
ساعة ومن حديث سمي في الاسرا رواه البيهقي قال الله سل يا محمد فقلت ما اسالك
يا رب اتخذت ابراهيم خليلا بشهادة واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
بشهادة وكلم الله موسى تكليما واصطفيت نوحا بشهادة ان الله اصطفى ادم ونوحا
واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده بشهادة فسخرنا له الريح تجري بامره
رخاء حيث اصاب الاية فقال الله له صلى الله عليه وسلم ما اعطيت خيرا من ذلك
مبتدا او خبر اعطيتك الكوثر فوعل من الكثرة نوا وزايدة قال في النهاية هو نهر مة
في الجنة ومعناه الخير الكثير وجاء في التفسير انه القران والنبوة ويقال للكثير
العطا كوثر وجعلت اسمك مع اسمي اي في كلمة الشهادة ينادى به في جوف السما
في اوقات الاذان وجعلت الارض اي ترابها طهورا لك ولامتك تتيممون به
عند العجز عن استعمال الما واصل التيمم لغة القصد تعمدا او توخيا ثم كثر استعماله
حتى صار علما لمسح الوجه واليدين بالتراب وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
اي جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه فانت تمشي بين الناس مغفورا لك
حال من الضمير قبله والمثنى والظرف بعده ليستقيد ان لكونه مغفورا له فكانه قيل
فانت مغفور لك ولم اصنع ذلك اي غفران ما تقدم منه وما تاخر لاحد قبلك
لعله من غير الانبيا والا فهم كذلك او غفران لا يشوبه خوف معاتبة بشهادة حديث
انهم ياتون نوحا فيقولون الا تشفع لنا فيقول نفسي نفسي لست لها الحديث وجعلت
قلوب امتك مصاحفها المعنى على التشبيه قلوبها بمصاحفها بجامع الحفظ فكما

ان المصاحف مكتوب فيها القران باشكال الكتابة والحروف الدالة عليه محفوظا من النسيان
فكذا هو في قلوبها محفوظ بالفاظ بعينه وجعلت لك شفاعتك اي اخرتها عندي
وهي الشفاعة العظمى لفصل القضا حين يفزع الناس للانبيا فيقول كل نفسي لست
لها فيأتونه صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم ولم اخبئها لنبي غيرك وقد خصه ببشفاعات
اخر ذكر بعضها فيما مضى في شرح منظومتي درر القلائد وفي حديث اخر رواه حذيفة
كما في تاريخ ابن عساكر ليبشرني يعني ربي اول من يدخل الجنة من امتي سبعون الفا
ليس عليهم حساب كرامة منه وفضلا لله الحمد عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه
ومداد كلماته ومنتهى رحمته ومبلغ رضاه وحتى يرضى وعدد ما ذكر به خلقه في جميع
ما مضى واعطاني ان لا تجوع امتي جوعا شديدا بجدب وقحط بحيث اني سالت ربي
لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليها عدوا من سوى انفسهم فيستبيح
بيضتهم الحديث واعطاني النصر اي الاعانة على الاعدا والعزة اي القوة والشدة
والغلبة عليهم من عز يعز بالفتح اي قوي واشتد وبالكسر اي صار عزيزا والرعب
لاعداي اي الفزع والخوف ليسعى بين يدي امتي شهرا حتى يقذفه الله في قلوب
اعدايهم فاذا كان بينهما ذلك هابوهم وفزعوا وطيب لي ولامتي احل لنا المغانم
جمع مغنم والغنايم جمع غنيمة وهو ما اخذه المسلمون من اموال اهل الحرب بايجاف
خيل وركاب واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا فلم يكلفنا به كقتل الانفس وقطع
موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال زكاة وذلك
كله تفضلا منه تعالى علينا لعجزنا وضعفنا لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم
ذلك بان الله راي ضعفنا وعجزنا وفي قوله لنا تعظيم من حيث عدوله الى ضمير المتكلم
وادخاله نفسه الزكية في امته ولم يجعل علينا في الدين من حرج اي ضيق اشارة
الى الرخصة في ترك بعض ما كلفنا به لعذر كالتيمم والقصر والافطار بشهادة حديث
ما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم او الى انه لا مانع لنا عن الاتيان به ولا عذر لنا
في تركه وروى الشيخان عن ابي هريرة ما من نبي من الانبيا من الاولى زايدة فزاد
بعد النفي والثانية تبعيضية الا وقد اعطي من الايات ما مفعول ثان لاعطي اما
موصول صلته ما بعده من مبتدا وخبر اعني جملة مثله امن عليه البشر وعايد الضمير
في مثله ورابط الجملة ضمير عليه او نكرة موصوفة بها اي ليس نبي منهم غلب الا وقد
اعطاه الله من المعجزات الشاهدة بنبوته التي او شيا اذا شوهد اضطر شاهده
الى الايمان به فكل نبي خص من خوارق العادات بما يثبت دعواه بحسب زمانه
فاذا انقضى زمانه انقطعت معجزته كقلب العصا حية واخراج اليد البيضاء في زمن
موسى لان الغلبة فيه كانت بالسحر فاتاهم بما هو ابهر منه اعني احياء الموتى وابرا
الاكمه والاصل عدم دخول الواو بعد الا كامر وانما كان الذي اوتيت واعظمه
اي انفعه اذ كان له معجزات كثيرة وحيا هو البالغ اقصى غاية الجمال نظما ومعنى
اوحى الله الي فهو اكثر فايدة واعم نفعا مما سواه من المعجزات لاشتماله على حجج قاطعة
وبراهين ساطعة مستمرا في كل زمان ينتفع به الى يوم القيامة ومن ثم رتب عليه
فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة بالاهتداء بهديه والانقياد لامره

وهذه اذ هو الاية الكبرى والنعمة العظمى معنى هذا اي ما ذكر من انما كان لاجرم عمدة المختار
كما اشرنا اليه بقا معجزته يعني القران ما بقيت الدنيا اي مدة بقايها وساير معجزات
الانبيا ذهبت للحين اي عقب وقوعها ولم يشاهدها الا الحاضر لها حال معاينتها
ومعجزة القران الاضافة بيانية اي القران الذي هو معجزة باقية دون كل معجزة على
وجه كل زمان يقف عليها عيانا اي معاينة لاحرا قرن بعد قرن الى يوم القيامة
وسيأتي لهذا مزيد بيان اخر باب المعجزات وروى ابن ماجه والترمذي وحسنه عن علي
كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته فاضلا نفيسا في نوعه واعطي نبيكم اربعة عشر
نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار ولفظ الترمذي قلنا من هم
قال انا وابناي وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار
وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة واباذر والمقداد
وروى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل
اسمه محمود جاء به ابرهة في حبشته لخراب البيت فاهلكهم الله بطيرا بابيل ترميهم
بحجارة من سجيل وسلط عليها رسوله والمؤمنون ففتحوها سنة عشر من الهجرة
وانها لا تحل لاحد من بعدي التفات من الغيبة الى التكلم ويجوز ان لا يكون التفاتا
بتقدير سلطني عليها فوضع رسوله موضعه تجريدا وانما احلت لي ساعة من نهار
جواب عن مقدر هو ان يقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم احل القتال
بها يوم الفتح فاجاب بانها لم تحل له الا ساعة مع قوله فان احد ترخص بقتال
رسول الله فقولوا له الحديث وروى احمد عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وفي رواية اني عبد الله مكتوب وخاتم
النبيين وان ادم لمنجدل في طينته الواو مع ما بعدها في محل نصب على الحال من مكتوب
اي كتبت خاتمهم في الحال التي ادم مطروح فيها على الجدالة اي الارض الصلبة وفي طينته
خبر ثان لانه من قولهم طانه الله على طانتك اي خلقتك وليس متعلقا بمنجدل لفساد المعنى
لزوم كون المنجدل مظروفا في طينته وكناية به شاهدا بان الغايات والكمالات سابقة
في التقدم لاحقة في الوجود وساخبركم باول امري اي باول نبوتي وبعثتي هو دعوة
ابراهيم وللحاكم وغيره وسانبيكم بتاويل ذلك هو دعوة ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم الاية وبشارة عيسى بما حكى الله عنه ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
زاد الحاكم ورؤيا امي التي رات انه خرج من فرجها نورا اضات له قصور الشام من
رواية ابي اليمان ثنا ابو بكر ضعيف وروى البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم عن ابن
عباس ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال ومن يقل منهم
اي من اهل السماء اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم تهديدا لمن اشرك منهم
وتغليظا لامر الشرك وتعظيما لشان التوحيد او تهديدا للمشركين بتهديد مدعي النبوة
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتكريما انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد له
صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وجي به ماضيا لتحققه على ما مر قالوا فما فضله على الانبيا
قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغة قومه الذين هو منهم وارسل اليهم

وارسل اليهم خاصة وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا
ارسالة عامة لهم محيطة بهم لا يخرج منها احد منهم على ما مر وذلك تلويح بفضله عليهم
وروى ابن اسحاق عن خالد بن معدان ووصله احمد والدارمي قالوا يا رسول الله
اخبرنا عن نفسك فقال انهم اي اخبركم باول ما ظهر من نبوتي على لسان ابي ابراهيم
وعني انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل ربنا
وابعث فيهم اي في الامة المسلمة المذكورة قبل في الاية رسولا منهم ولم يبعث فيها من
ذريته غيره صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما وبشرى عيسى اذ قال يا بني
اسرائيل اني رسول الله اليكم ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ورات امي حين
حملت بي وفي رواية حين وضعتني فتكون رؤياها ذلك مرتين ثم يحتمل ان تكون
رؤيا منام او يقظة فالرؤية محتملة دل عليه قوله انه خرج منها نور اضاءت له
قصور بصرى بضم الباء مدينة بحوران من ارض الشام وهي اول مدينة فتحت صلحا
به في ربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة ووردها صلى الله عليه وسلم مرتين
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا ظرف لمتوسط في زمان او مكان بحسب
المضاف اليه ويقتضي تعدده بحيث بين العشايين وجلست بين القوم فيمتنع
عطف غير المتعدد بالفاء جلست بين زيد فبكر لافادتها جلوسه بين زيد فقط بخلاف
الواو ثم ان المقصود اضافته الى اوقات مضافة الى جملة حذفت الاوقات وعوض
الالف كبينما انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما هي ولد الضان والمعز مجتمعة
والانفراد المعز تسمى سخلا ولولد الضان بهما حال انفراد كل لنا اذ جاءنا رجلان
اي انا مع اخي بين اوقات كوننا خلف بيوتنا نرعى فاجانا مجيئهما فاذ ظرف للمفاجأة
وقع جوابا لبينا لتضمنها معنى الشرط وهي العامل في بينا خرج رأس بها بلا عامل
ظاهر لاضافتها الى ما بعدها والمضاف اليه لا يعمل فيما قبله ومن ثم وجب تقدير اذ
واذا في امثال ذلك بعاجات وهذا الحديث وامثاله قاض برد قول من زعم استفصاح
طرح اذ واذا في جوابهما عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاث رجال بطست
بفتح الطاء واسكان المهملة اناء معروف من ذهب مملوءة ثلجا خصه دون غيره
مبالغة في تطهير قلبه لكونه على خلقته لم يستعمل ولم تتداوله الايدي ولم
الارجل كغيره من المياه المخالطة للتراب وغيره فهو احق ان يطهر به فاخذاني او اخذوني
فشقا بطني او شقوه وقال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني بتشديد
القاف لا واحد له من لفظه وميمه زائدة اي من اعلا صدري الى مارق من بطني ولان
ثم استخرجا اي اخرجا او اخرجوا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة اي
نطفة دم منعقدة سوداء فطرحاها وفي رواية وقالا هذا حظ الشيطان منك
لخلق الله اياها في قلوب النوع البشري قابلة لما يلقيه وان لم يبق له فيه صلى
الله عليه وسلم حظ قط ولا له عليه ولا على غيره من الانبياء سبيل وانما قالا ذلك
لانه امر جبلي في نوع الانسان لا يلزم من وجوده قبوله الالقاء واعاده فيه صلى الله
عليه وسلم مع امكان عدمه لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقته فيه تكملة للخلق
الانساني ونزعه منه امر رباني طرأ بعد ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج المذكور انفا

حتى انقياه غاية لغسلهما قال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر ثم تناول احدهما
شيا فاذا بخاتم في يده من نور يحار اي يتحير الناظر دونه فلا يدري كيف يهتدي
الى معرفة حقيقته فختم به قلبي فلا يصل اليه ما لا يليق بجلال جنابه فامتلأ ايمانا
وحكمة اي علما وفهما وقضاء بالعدل ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق
بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها صدري فالتام وفي رواية رواها الدارمي
وابو نعيم في الدلائل ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد متين محكم واع فيه عينان
تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته
فوزنني بهم فرجحتهم لما منحه من المزايا السنية والمنح الالهية ثم قال زنه بمائة
الى ان قال فلو وزنته بامته لوزنها لما قلنا لا تفرقونه ثم قال في الحديث الملحق
لعله حديث ثلاثة رجال بشهادة قوله ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما
بين عيني اي اعلا حاجبيه من الجبهة ثم قالوا يا حبيب لم ترع بضم اوله وفتح
ثالثه اي لا تفزع انك لو تدري ما يراد بك من الخير الذي لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر لقرت عيناك اي لطابت نفسك وسكنت ورضيت عندك
ما يعز لك وهو اما من القرار بمعنى ان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه فلا
تنظر غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل
قرة العين لما يحب وسخنتها لما يكره وفي بقية هذا الحديث اي حديث ضموني من
بيان بقيته قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك معيته حفظ وحراسة وعلم لا معية
اجتماع تعالى الله عن ذلك وملائكته قال صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر
الذي رواه الدارمي فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر الذي اكرمه الله به
مما يتعلق به خاصة وامته عامة معاينة تنزيلا لما يدرك بالبصيرة منزلة ما يدرك
بالبصر والفاء للتعقيب بلا مهلة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي بسكون
الدال وغيرهما ان ادم عند معصيته التي اخرج من الجنة الى الدنيا بسببها
قال كما رواه البيهقي والطبراني من حديث عمر بسند ضعيف اللهم بحق محمد اغفر لي
خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال الله له من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع
من الجنة مكتوب لا اله الا الله الا اله وضع للمعبود بحق ومفهومه كلي يقتضي
كثرة متوهمة استثني منها المعبود بالحق الجدير بتفرده بالالهية اي لا اله
معبود بالحق الا الواحد الذي يحق له العبادة لتفرده بالوحدانية وقدموا لهذا مزيد
بيان محمد رسول الله ويروى بدلا عن هذه الجملة او زائدا بعدها محمد عبدي ورسولي
اضافة تشريف فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب عليه وغفر له اي رجع عليه
بالتوبة والمغفرة وهذا اي لا اله الا الله محمد رسول الله عند قايله اي قايل ال ادم
عند معصيته تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات اي قبلها واخذها
وعمل بها وعند غيره ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله غيرك او لا اله
الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فتاب عليه رتب قبول التوبة
بالفاء على تلقيه الكلمات لتضمنه معنى التوبة اعني الاعتراف بالذنب والندم عليه

لانه لا يعود اليه ولم يذكر حوى لانه اتبع له في الحكم رفي الاجري بمد الهمزة وضم
الجيم وتشديد الراء وياء النسبة فلما ادم لما ظرف بمعنى اذ يليه فعل ماض لفظا
او معنى ولا ثاني قول سيبويه هو لوقوع غيره اي حين خلقتني رفعت راسي الى
عرشك جواب لما فاذا اي فاجات فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انه ليس احد اعظم جملة ان واسمها وخبرها في محل نصب بما قبلها لسدها مسد
مفعوليه قدرا تمييز للنسبة في خبر ليس اعني اعظم عندك ممن جعلت اسمه مع
اسمك مقرونا به تعظيما له وتكريما فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر
النبيين من ذريتك اقسم بهما مع اسمية الجملة تاكيدا لكونه اخرهم بعثا وارشادا
الى الاول في القسم لما يعتني به ويوخذ منه تقدم الفاضل بين يدي افضل منه
عدوا ورواحا ولولاه صلى الله عليه وسلم ما خلقتك قال اي الاجري وكان ادم
يكنى ابا محمد خصوصا لما رواه البيهقي عن علي مرفوعا وقيل كان يكنى بابي البشر
عموما وروى عن سريج بن يونس الحافظ بمهملة وجيم بينهما مثناة تحت ومعجمة
جيم تصحيف ان لله ملائكة سياحين عبادتها اي زيارتها كل دار فيها احمد او
محمد اكراما لمن له ذلك من اجله العبادة منهم احتراس عن توهم كون الاكرام من غيرهم
صلى الله عليه وسلم وروى بن قانع في معجم الصحابة له والطبراني عن ابي
الحمراء الحادي مولى النبي اي فاجات على الباب مكتوب لا اله الا الله الاله كما مر
علم على المعبود بحق ولما كان مفهومه كليا يقتضي كثرة موهومة استثنى منها المعبود
بالحق الجدير بتفرده بالالهية اى لا اله معبود بالحق الا الواحد الحق وقدر لهذا
خبر بيان كم محمد رسول الله ايدته اي قويته ونصرته بعلي لعموم باسه وشدة
شكيمته وقد ورد انه حمل باب حصن خيبر وتترس به ورواه بن عدي عن عيسى بن
محمد عن الحسين بن ابراهيم البابلي عن حميد الطويل عن انس بلفظ لما عرج بي رايت
على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي نصرته بعلي قال
في الميزان وهذا اختلاف من الحسين بن ابراهيم وروى الخطيب في رواة مالك
عن ابن عباس في قوله وكان تحته كنز لهما ورواه البزار مرفوعا من حديث ابي
ذر موقوفا على عمر وعلي قال اي ابن عباس الكنز لوح من ذهب فيه مكتوب
عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب اي يتعب وما قدر له ياتيه والقدر اسم لما
صدر مقدورا عن فعل القادر المختار والايمان به واجب اي يعتقد ان الله خلق
اعمال عباده خيرها وشرها وكتبها عليهم قبل ان يخلقهم قال تعالى والله خلقكم وما
تعملون فالايمان والكفر والطاعة وعد عليها الثواب ولا يحبه ولا يرضى الكفر
والمعصية واوعد عليهما العقاب ويجوز ان يخلقه قال البغوي وهو سر من اسرار
الله لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بل الخلق
[illegible] فمنهم شقي ومنهم سعيد وقال رجل لعلي اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم
لا تسلكه فاعاد فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه
عنه عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك غير خائف من شدة حرها وبرد زمهريرها
عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها من حال الى حال كيف يطمئن اليها ويغتر بها

ولا

ولا يعتبر بمن مضى انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي اي الخلق كافة وعن ابن عباس
على باب الجنة مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله كل ذلك سابقا ولا (حقا)
تعظيما لشانه وتنويها بذكره وتلويحا بشرفه وايذانا بكرامته عنده لا اعذب من قالها
ظاهرا وان اقترف ما يترتب عليه العذاب ويلزم منه ان لا يعذب احد امات مسلما وقد
قال يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء المشاهد بوجوب تعذيب بعض ولو واحد اذ لا خلف
في اخباره تعالى فهو مخصوص بمن يعترف ومن شاء ان يغفر له ولم اعلم من رواه عنه
ومثله لا يقال من قبل الراي في كمه الرفع وذكر مبيننا المفعول انه وجد كذلك
والضمير للشان على الحجارة القديمة محمد تقي مصلح ما افسد من الحق زيادة ونقصا
تغييرا وتبديلا وسيد للانبيا لان ارشاده للخلق واخراجهم من الظلمات الى النور
كان اكثر تاثيرا من ارشادهم اياهم اذ لم يختص ارساله اليهم بقوم دون قوم وزمان
دون زمان ولعدم انتشار دينه في الارض مشارقها ومغاربها في كل مكان على وجه
كل زمان زاده الله عزا وشرفا ما لمع شارق لمع بارق واصله سيود اعل بتقليب
واو ياء لاجتماعهما وسبق الياء الواو بالسكون امين بشهادة قوله صلى
الله عليه وسلم والله اني لامين في الارض امين في السماء وذكر المستغفاري
انه شاهد في بعض بلاد خراسان من عراق العجم وراء النهر مكتوب لا اله الا الله على (مولودا وله على احدى جنبيه خال من شعر مكتوب صح)
الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب
عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله كل ذلك اظهارا لشرفه وتنويها بقدره
وعن الحافظ الذي اخبرني بن سافر ببلاد الهند ان فيه شجرة معروفة تسقط منها
في كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن
محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد لكرامة اسمه
صلى الله عليه وسلم وتشريفه وهو اسم مفعول مضعف للمبالغة والتكثير سمي به
صلى الله عليه وسلم تفاؤلا اي يكثر حمد الناس له لبلوغه النهاية بما اكرمه الله
وروى بن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه جميعا عن مالك سمعت
اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما وفي نسخة الا ونما ورزقوا ورزقوا (زرقوا)
وروى بن سعد من حديث عثمان العمري مرفوعا عنه صلى الله عليه وسلم ما ضر
احدكم ان يكون في بيته اسم محمد ومحمدان وثلاثة تيمنا وتبركا به وروى الديلمي
عن مالك ما كان في بيت اسم محمد الا كثرت بركته ودرت رزقه وفي رواية الا رزقوا
ورزق خيرا منهم وفي مسند الحارث بن ابي اسامة عنه صلى الله عليه وسلم من
كان له ثلاثة من الولد ولم يسم احدهم بمحمد فقد جهل وروى احمد والبزار والطبراني
عن ابن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد بعد ان اصلحه
وطهره حسا ومعنى فاصطفاه اي اختاره لنفسه حبيبا ومبلغا عنه فبعثه
برسالته لعنايته به في الازل وحكي لنا انه لما نزل وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قام صلى الله عليه وسلم
خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا اجلالا للقدر
وشرفا للمحله وفضل نساءكم على نسائكم تفضيلا احتراما لهن تكريما ورفعا

لسانه و تعظيما فصل في بيان تفضيله بما تضمنته كرامة الله له بنفس
الاسرا من المناجاة من المحادثة والمكالمة فقد ورد انه تعالى كلمه تلك الليلة
والروية لربه تعالى كما ياتي وامامة الانبيا اي امامته اياهم فالمصدر مضاف المفعول
والعروج به اي الصعود الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ينتهي اليها علم الخلايق
واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها وما راى من ايات ربه الكبرى اي
الكبرى من اياته وعجايب الملايكة والملكوتية ولك ان تجعل الكبرى صفة للايات
ومن مزيده او غير مزيده والمفعول محذوف اي شيا من ايات ربه وهذا حديث
اجمالي يرد عليك تفصيله ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسرا وما
انطوت عليه من بلوغه اعلا درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز
الذي المستنع النظير والمنيع الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد وشرحته صحاح الاخبار المروية في الكتب المعتمدة قال الله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا منصوب على الظرفية وتنكيره شاهد صدق
بتقليل مدة الاسرا بجسمه يقظة من المسجد الحرام نفسه لحديث بينا انا في الحجر
عند البيت بين النايم واليقظان اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه مسجد
لاحاطته به او ليطابق المبدا والمنتهى لحديث انه كان في بيت ام هاني بعد
صلاة العشا فاسرى به ورجع من ليلته وقص عليها القصة وقال مثل لي الانبيا
فصليت بهم ثم اخبر به من يسا فانكروه وارتد بعض من امن وذهب رجال الى ابي
بكر فصدق به فقالوا اتصدقه فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
صديقا واستنعته طايفة سافروا بيت المقدس فجلى لهم فاخبرهم بما سالوه فقالوا
اصاب فاستخبروه عن عيرهم فاخبرهم بعدده واحواله وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يتقدمه جمل اورق فكان كما اخبرهم لم يومنوا وقالوا ان هذا الا سحر
مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واستحالتهم له مردودة بما مر على الهندسة
ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض ماية ونيفا وان
طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية مع ما في الحديث من
ان البراق يضع حافره عند منتهى طرفه وشهادة قول المتكلمين ان الاجسام
متساوية في قبول الاعراض فالله قادر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه
صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي لبعد
المسافة بينه وبين المسجد الحرام او لانه لم يكن وراه مسجد الذي باركنا حوله
بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا من لدن موسى الى زمن
عيسى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وفي الحديث بارك الله
فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس لنريه من اياتنا كذهابه
في ليلة من مسيرة اربعين ليلة ورويته بيت المقدس والانبيا ممثلين له
ووقوعه على مقاماتهم والالتفات من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والايات وقال تعالى حال لازمة اي متعاليا عما لا يليق بجلاله والنجم اذا
هوى اي غرب او طلع او انتثر يوم القيامة ما ضل صاحبكم وما غوى

اي ما عدل صلى الله عليه وسلم عن الاستقامة وما اعتقد باطلا مما تنسبونه اليه
وما ينطق عن الهوى ما يصدر النطق اليه عن راي نفسه ان هو اي ما الوحي اليه
الا وحي يوحى اليه من الله على لسان جبريل فظاهر الحصر منع الاجتهاد له
واجيب بانه اذا اوحي اليه ان يجتهد كان اجتهاده وحيا ورد بانه يكون
بالوحي لا وحيا علمه شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اي ملك شديد قواه هو جبريل اذ هو الواسطة في اظهار الخوارق روي انه قلع
قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود فاصبحوا في ديارهم
جاثمين ذو مرة اي صاحب حصافة في عقله ورايه او صاحب قوة وفي الحديث
لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اي ذي قوة وشدة وصحة اعضا فاستوى
اي استقام على صورته التي خلق عليها فراه صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض
ومرة على كرسي بين السماء والارض له ستماية جناح وهو بالافق الاعلى
افق الشمس ثم دنى فتدلى تمثيل لعروجه به اي تعلق به فكان جبريل قاب
قوسين اي مقدارهما او ادنى منه وهو تمثيل لملكة الاتصال به وتحقق استماعه
لما اوحي اليه بنفي البعد فاوحى الله تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم
او جبريل اليه فالضمار قبل الذكر للعلم به ما اوحى تفخيم للموحى به ما كذب
الفواد ما راى ببصره جبريل او الله ما كذب بصره بما حكاه له اذ الامور القدسية
يدركها القلب اولا ثم البصر او ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قاله كان
كاذبا لانه عرفه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا بشهادة قوله وقد قيل
له ارايت ربك رايته بفوادي افتمارونه على ما يرى اي افتجادلونه عليه
من المرا وهو الجدال له من مري الضرع الناقة للحلب كان كلا من المتجادلين
يمتري ما عند صاحبه وعدل الفعل بعلى لتضمنه معنى الغلبة اذ المجادل
يقصد بفعله الغلبة ولقد راه اي الله او جبريل نزلة اخرى فعلة من
النزول بمعنى مرة ثانية اقيمت مقامها ونصبت نصبها للمجاوزات الروية في هذه
المرة كانت ايضا بنزول عند سدرة المنتهى تنتهي اليها الامور عندها جنة
الماوى اي ياوي اليها المتقون او ارواح الشهدا اذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها مما لا يكتنفه وصف ولا يحصيه عد او جم غفير
من الملايكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصره
صلى الله عليه وسلم عما راه وما تجاوزه بل اثبته مستيقنا اياه او ما عدل
عن روية العجايب التي امر بروبتها وما جاوزها لقد راى من ايات ربه
الكبرى اي والله لقد راى كبر ايات ربه على ما مر فلا خلاف الخ هنا افصحت
عن شرط حذف له لا لنهاعليه اي اذا كان الامر كما ذكر تفخيما لشانه وتنويها
لقدره فلا ريب في صحة الاسرى به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران
بر على سبيل الاجمال وجات بتفصيله وشرح عجايبه وخواص محمد وضع الظاهر
موضع المضمر حذرا من استثناه الضمير اذ ما قبله للاسرا فيه احاديث
كثيرة منتشرة راينا ان نقدم من الاحاديث الواردة في الاسراء اكملها تفصيلا

وبيانا ونشير الى زيادة من غيره اي غير اكملها من احاديث الاسرا يجب ذكرها اعلاما
بما خص به من المزايا الفاضلة وقد اسند هنا من رواية مسلم حديث ثابت البناني عن انس
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض سمي براقا لنصوع بياضه وشدة بريقه او لسرعة حركته
تشبيها له فيها بالبرق طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
لسرعة مشيه فركبته حتى اتيت بيت المقدس غاية لانتهاء ركوبه البراق بيت المقدس
المقدس والبيت المقدس لان فيه يتقدس من الذنوب فربطه بالحلقة بفتح اللام بخلاف
الحلقة من الناس لسكونها وفي الحديث الجالس وسط الحلقة ملعون لانه اذا جلس وسطها
استدبر بعضهم فيوذيهم فيلعنونه ويسبونه التي يربط بها الانبيا هذا كالمرقاض بانهم
ركبوه قبله بشهادة قول جبريل له فما ركبك احد اكرم على الله منه وان ابراهيم صلى
الله عليه وسلم كان يزورها هاجر بمكة عليه ثم دخلت المسجد اي المسجد الاقصى فصليت
فيه ركعتين فيه ايذان بمشروعية تحية المسجد ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اي علامة الاسلام والاستقا
وجعله علامة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة والخمر ام الخبائث جالبة لانواع
الشر وبالا ومالا ثم عرج اي صعد بنا النون اما للمتكلم ومن معه او للتعظيم بتاهيله
لهذا المقام المنيف الى السما فاستفتح جبريل ابواب السما استيذانا للملائكة فقيل من
انت قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد بعث اليه عطف على مقدر بعد همزة الاستفهام
مقدرة اي قد طلب وبعث اليه للاسرا وصعود السموات وليس استفهاما عن نفس البعثة
لبلوغه من الظهور في الملكوت الى ما لا يخفى على خزنتها وحرسها ولكونه اوفق للاستفتاح
والاستيذان وهذا موذن بان لها ابوابا حقيقية وحفظة موكلين بها [illegible]
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم فرحب بي اي قال
لي مرحبا كما في الحديث الاخر مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح اي لقيت رحبا وسعة
او رحب الله بك فجعل مرحبا موضع ترحيبا ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك عطف على مقدر اي انت
ومن استفهاما قال محمد قيل وقد بعث اليه يجري فيه ما مر وقيل كان سوالهم استعجابا
بما انعم الله عليه استبشارا بعروجه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا لان ام يحيى ايشاع اخت مريم مرحبا بي ودعوا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل ما ذكر في الاول من استفتاح جبريل
وما قيل له وما قال لهم ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد
اعطي شطر الحسن اي نصفه او بعضه لان شطر الشي قد يراد به بعضه مطلقا وهو
بدل اشتمال من الاول فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر
مثله فاذا انا بادريس صلى الله عليه وسلم واسمه اخنوخ سبط شيث وجد والد نوح
اول مرسل بعد ادم واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب
وقولهم ادريس مشتق من الدرس فلقب به لكثرة درسه اذ قد روي ان الله انزل عليه ثلاثين
صحيفة يرده عدم صرفه علمية وعجمة فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى ورفعناه مكانا
عليا هو شرف النبوة والزلفى عنده وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت اذقني الموت

ليهن

ليهون علي ففعل باذن الله ثم حيي فقال له ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلني
الجنة ازدد رغبة ففعل ثم قال له اخرج فقال له قد ذقت الموت ووردت النار فما
انا بخارج فقال الله باذني دخل فدعه وقيل هو في السماء الرابعة كما في الحديث ثم عرج
بنا الى الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم
صلى الله عليه وسلم مسندا منصوب على الحال كما في مسلم وشرحه وشرح السنة وفي بعض
نسخ المصابيح مرفوع خبر مبتدا محذوف اي وهو مسند ظهره الى البيت المعمور ويسمى
الضراح بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء والف من الضراحة اي المضارحة والمقابلة
اذ هو مقابل للكعبة ومن رواه بصاد مهملة فقد صحف واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه اي يدخلونه ذاهبين غير عائدين اليه ابدا لكثرتهم ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى فاطلع عليها واستنبأها واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال وفي رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة
من الماء سميت قلة لانها تقل اي ترفع وتحمل وليست بهجر من البحرين فلما غشيها
اي علاها ولابسها من امر الله ما ابهم شي عظيم غشي قيل فراش من ذهب وقيل لعله شبه
ما غشيها من الانوار التي تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب
لصفائه واضاءته نفسه تغيرت مما غشيها من امر الله بما اريد ابهامه تفخيما له وتكثيرا
حيث لا يوصف بلسان ولا يعد ببيان ومن ثم قال فما احد يستطيع ان ينعتها اي يصفها
من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة بيانا لما اوحى اليه والابهام
للتفخيم والتعظيم او لبعضه والابهام لكثرته وتفخيمه اي اوحي الي اشيا كثيرة منها فرض
خمسين صلاة علي في كل يوم وليلة فنزلت حتى انتهيت الى موسى صلى الله عليه وسلم
فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم بضعفنا وعجزنا فجزاه
الله عنا افضل الجزا فلقد شملتنا رحمته وبركاته وعلل ذلك بقوله فاني بلوت بني
اسرائيل وخبرتهم عطف تفسيري للتاكيد اذ الابتلا الاختبار والامتحان وفي الحديث
اللهم لا تبتلينا الا بالتي هي احسن اي لا تمتحنا اي امتحنتهم وعالجتهم فلقيت منهم
شدة فيما اردت منهم من الطاعة فرجعت الى ربي فقلت رب خفف عن امتي لم يقل
خفف عني حيا من ربه بسواله التخفيف عنه فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت
حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف
فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى اي بين موضعي مناجاته له تعالى وملاقاتي موسى حتى قال
اي ربنا تعالى يا محمد انهن الضمير مبهم تفسيره خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر اي كل صلاة تحسب عشر صلوات لا معها دان او همها الادام بشهادة قوله فتلك
خمسون صلاة هذا ولعل مصدر هذه المراجعة عن علم منهما بعدم وجوب الخمسين قطعا
مبرما اذ لو وجبت قطعا لما راجعا لان ما وجب قطعا لا يقبل تخفيفا او يقال لا وجبها
او لام دخمنا نسخها بخمس كاية الرضاع وعدة المتوفى عنها زوجها وعليه فيقال يجوز

نسخ وجوب الشي قبل وقوعه بشهادة نسخ وجوب ذبح اسماعيل ومن هم بحسنة اي ارادها
مصمما عليها ءازما علي فعلها فلم يعملها لامر عاقه عن عملها كتبت له حسنة اي كتبت
له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الخير خير فوضع
حسنة موضع المصدر فان عملها كتبت له عشرا بمضاعفتها تفضلا منه عن من متفضل
بشهادة من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ونصب عشرا على المصدر لوقوعه موقعه
ومن هم بسيية فلم يعملها لم تكتب تلك السيية شيا وفي حديث ان الله كتب الحسنات
والسيات كتبها الله عنده حسنة كاملة توكيدا لشدة الاعتنا بها هذا اذا تركها خوفا
منه تعالى ومراقبة له بشهادة زيادة مسلم انما تركها من جراي اي من اجلي اما تركها لامر
اخر صرفه عنها لم تكتب له حسنة وشيا وعشرا منصوبان وفي بعض نسخ المصابيح مرفوعان
ولعله غلط من الناسخ فان عملها كتبت سيية واحدة اي كتبت له السيية كتابة واحدة
عملا بالفضل في جانبي الخير والشر ولم يقل له مؤكدا لها بواحدة لعدم الاعتنا بها ه
المفاد من الحصر في قوله ومن جاء بالسيية فلا يجزى الا مثلها قال صلى الله عليه وسلم
فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته بما قال ربي من انها خمس صلوات كل يوم وليلة
كل صلاة مضاعفة عشرا فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييته منه غاية لمراجعته وبه يحصل وقد ذكر هنا خلاف كثير يتعلق بالاسرى
يراجع من مظانه وسياتي بعضه قال المصنف وحديث ثابت عن انس اي الذي خرجنا
انفا اتقن واجود احاديث الاسرا كلها ولم يات احد عن انس باصوب منه وقد وقعت
في احاديث الاسرا على اختلاف الروايات زيادات منها في حديث ابن شهاب قول كل نبي له
صلى الله عليه وسلم مرحبا نصب على المصدر لوقوعه موقعه اي لقيت رحبا او ترحيبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له صلى الله عليه وسلم والابن
الصالح لانه كان من ذرية اسماعيل وفيه اي في حديث الاسرا من طريق البخاري الى
ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوي اي في مكان مستوي وقال الخطابي المراد به
المصعد وعليها فالبا ظرفية وفيه رواية باللام فهي كما قال التوربشتي للعلة اي علوه
لاستعلا مستوي او لرويته او لمطالعته وقد تعلق بالمصدر اي ظهرت ظهور المستوي
ويجوز ان تكون بمعنى الى اي بلغت من الرفعة الى مقام اطلعت فيه على الكواين وظهر لي
ما يراد من امر الله وتدبيره في خلقه وهذا والله هو المقام والمنتهى الذي لا يرام فلام
والى وان كان معناهما واحدا عين الادراك والانتهى ملايما لصحة الغرض فليسا متعاقبين
فمعنى ظهرت الى مستوي بلغته وانتهيت اليه ومعنى لمستوي ادركت مستوي اسمع فيه
صريف الاقلام اي صوتها جارية بما تكتب من اقضية الله ووحيه وينسخ من اللوح ه
المحفوظ قوله فغشيها الوان لا ادري ماهي هو مثل قوله تعالى فلما غشيها من امر
الله ما غشي في ارادة الابهام والتفخيم كما في فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم وغطاهم
شي عظيم وفي حديث مالك بن صعصعة الذي رواه الشيخان وغيرهما فلما جاوزته
يعني موسى صلى الله عليه وسلم بكى تاسفا وتحزنا وتحسرا على قومه اذ لم يتبعوه فينتفعوا
به انتفاع هذه الامة بنبيهم لا حسدا اذ لا حسد في ذلك العالم لاحاد المومنين فضلا
عن من اختاره الله لرسالته واصطفاه لتكليمه فنودي ما يبكيك قال رب هذا

غلام

غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل من امتي سماه غلاما نظرا الى قصر
عمره مع جموم مناقبه وعموم ماثره وكثرة امته ومنها حديث ابي هريرة الذي
رواه البيهقي وغيره ولقد رايتني بضم التاء حكاية عن نفسه في جماعة من الانبيا بادروا
ممثلة بصورهم التي كانوا عليها او باجسامهم فحانت الصلاة لعلها صلاة الصبح
اذ الاسرا لا يكون الا اخر الليل ويحتمل غيرها من صلاة الانبيا فاممتهم اي صليت بهم تلك الصلاة
اماما فقال قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه ابتدا امر بالسلام
عليه لانه كالقايم وهو كالقاعد والقايم يسلم على القاعد وان كان مفضولا فالتفت
فبداني بالسلام لانه كان في حكم غايب قدم او بداه به ليزيل ما استشعره من الخوف منه
وفي حديث ابي هريرة المحكي عنه ما تقدم من الزيادة ثم سار صلى الله عليه وسلم
حتى اتى بيت المقدس غاية لسيره من المسجد الحرام فربط فرسه يعني البراق الى
صخرة بيت المقدس فصلى مع الملايكة ظاهره انه جاء فوجدهم قد نزلوا ليصلوا
فيه على عادتهم فصلى معهم قبل عروجه ثم عرجوا فراهم في مراتبهم بعد عروجه فلما
قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد عطف على مقدر اي اطلب وارسل اليه للاسرا والصعود الى السما وليس
استفهاما عن اصل الرسالة كما مر قال نعم ارسل اليه قالوا حياه الله من الحياة اي
ابقاه او ملكه او من استقبال المحيا اي الوجه او من التحية اي سلم عليه من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة اي محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو المخصوص بالمدح
ثم لقوا ارواح الانبيا اما ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة او بعد العروج في
مراتبهم فاثنوا على ربهم وذكر اي ابو هريرة كلام كل واحد منهم التي اثنى به على ربه
وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلوات الله وسلامه
عليهم فقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه بما هو اهله فقال الحمد لله
الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا علق الحمد بما منحه من
اشرف الاوصاف ثم شفعه باحوال اذنت باعم المنافع واتم الفوايد وانزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شي من امور الدين اما بالنص تفصيلا او اجمالا او بالاحالة على السنة
اذ قد امر الله باتباعه صلى الله عليه وسلم او طاعته او بالحث على الاجماع بقوله
ويتبع غير سبيل المومنين او القياس بقوله فاعتبروا يا اولي الابصار وجعل امتي
خير امة اخرجت للناس تومنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وتاخير الايمان في الاية مع ان من حقه ان يتقدم لانه قصد به الدلالة على انها
امرت ونهت ايمانا بالله وتكميلا لعيب الايمان واظهارا لدينه ثم
الاية شاهد صدق بان الاجماع حجة لاقتضايها كون الامة امرة
ناهية عن كل منكر بشهادة اللام اذ هي فيها للاستغراق ولو اجمعوا على
كان امرهم على خلاف ذلك وجعل امتي وسطا اي خيارا عدولا وجعل امتي
الاولون يوم القيامة قضا ودخول الجنة وهم الاخرون وجودا
في الدنيا ثم لا غيرهم ضمير الفصل فيهما وحديث مسلم نحن الاخرون
من اهل الدنيا والاولون القيامة المقضي لهم قبل الخلايق نحو اول

حمم

اي ضاجبله

من يدخل الجنة وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري بشهادة الم نشرح
لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك اي الم
نفسح لك حتى وسع مناجات الحق ودعوة الخلق او بما اودعناه من الحكم وازلنا
عنه ضيق الجهل او بما يسرناه لك من تلقي الوحي بعد مشقته عليك وخففنا عنك
عباوتك الثقيل اي ما ثقل عليك من اعباء النبوة والقيام به فلم يثقل عليك واظهرنا
ذكرك في الملاء العلوي والسفلي بالنبوة وقرنا اسمك باسمنا وطاعتك بطاعتنا
وصلاتنا عليك في ملائكتنا وامرنا المومنين بالصلاة عليك وخطابنا اياك
بالالقاب وجعلني فاتحا لابواب الايمان والهداية الى صراط مستقيم وتبيان ه
اسباب التوفيق وما استغلق من العلم او هو من الفتح بمعنى الحكم اي حاكما في خلقه
فتح ما انغلق بين الخصمين باحياء الحق وايضاحه واماتة الباطل وادحاضه فلهم اضاءت
شوارع الحجة وضعت مشارع الشريعة وجعلني خاتما للنبيين اي اخرهم بعثا
قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وسلم بعد ا
اي بما منحه مما ذكر فضلكم ايها الانبيا اي ابو هريرة
انه اي جبريل عرج به صلى الله عليه وسلم الى سما وسما سما
في حديث ابن مسعود الذي في دلائله وانتهى بي يعني جبريل
الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة كذا لما قاله النووي في جميع الاصول
وعن المصنف الاصح وقول الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها في السماء
السابعة اذ قد علم انها في نهاية من العظم وقد اظلت الجنة والسموات قال المص
وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصلها هو ذلك بانه في الارض فان
سلم له ذلك حمل على انه فيهما ومعظمها في السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من
الارض فيقتبض منها اي يقبضه من اذن له منهم ليوصله لمن قضي له به اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال اي ابن مسعود فراش من ذهب ايضاح بعد ابهام وقد تقدم
انه اوقع في واشرح للصدور ومنها في رواية ابي هريرة من
طريق الربيع بن انس فقيل له هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك
خلى على سبيلك اي مستو سبحانه بعدك مستنا بسنتك اي بروحه بعد موته وبجسده
معها بعد بدخوله الجنة ويبين سدرة المنتهى ما قبل هذه الجملة حكاية
مورد من اخبر الملايكة بما هو زيادة على حديث ثابت عن انس بن مالك
وهذه منه صلى الله عليه وسلم اخبارا عن كونها يخرج من اصلها انهار من ماء
غير اسن اي متغير طعما ولونا وريحا اسن بالفتح اي تغير وانهار من لبن لم يتغير
طعمه اي لم يرد قارصا ولا حاذرا وانهار من خمر لذة تانيث لذ اي لذيذة للشاربين
ليس فيها ما يعتري شاربيها مما في خمر الدنيا ووصفه بلذة مبالغة كانها نفسها او عينها
او ذات لذة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه شمع ولا شي من فضلات النحل وغيرها
هذا ظاهر الحديث انها خارجة من اصلها ماء ولبن وخمر وعسل انهارا ولعل كما في
الاية لما يقوم مقام اشربة الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا مجردة عما ينقصها
وينغصها موصوفة بما يوذن بغزارتها واستمرارها وهي اي سدرة المنتهى شجرة

غاير

غاير في تسميتها ايذانا بفخامة شانها وعظمة امرها بشهادة قوله يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة للخلق من الاظلال اي ظلها شامل لهم عام عليهم
وهذا لا ينافي تشبيه ورقها فيما مر باذان الفيلة بجعل التشبيه في مطلق الكبر
مع رعاية الاذان لا في كبرها او يحمله على غالب ورقها بشهادة بروز الورقة نكرة في
حيز الاثبات فانها لا تعم الا ان يقال المقام مقام مدح وفخامة فتعم كما في اهل ياذا
لمعنى وفيه سر فيعمد الاول فغشيها نور لعله نور الملائكة حين اقبلت عليها اذ قد
خلقت من نور وغشيها الملائكة فهو قوله تبارك وتعالى اذ يغشى السدرة اي
فالذي غشيها من النور والملائكة فهو تفسير لما في قوله ما يغشى وايضاح لما بعد
ابهامها تفخيما وتعظيما وتكثيرا لما يغشيها فقال تبارك من البركة اي تكاثر خيره
وتزايد او تنزه عن كل شي وتعالى حال لازمة اي تعاليا معنويا لا حسيا له صلى
الله عليه وسلم سل فقال مؤكدا بان واسمية الجملة انك اتخذت ابراهيم خليلا اي
اصطفيته وخصصته بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله من الخلال فانه ود
يتخلل النفس ويخالطها روي ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعث الى خليل له بمصر يمتار
منه لازمة اصابت الناس فقال لو ان ابراهيم اراد ذلك لنفسه لفعلت ولكن يريد
لاضيافه وقد علم ابراهيم ما اصاب الناس غلمانه ببطحا لينة فملاوا منها
اي عينهم فوجدوه دقيقا حواري فخبز منه فشم ابراهيم رائحة الخبز فقال من اين
لكم هذا فقيل من خليلك المصري فقال خليلي الله فسماه خليلا
واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وهو منتهى الرخي
حضرة من بينهم وانما قال ذلك مع كونه تعالى قد كلمه بقوله له سله وقوله
تك حبيبنا نظرا الى سبق تكليمه على تكليمه واعطيت داود
ملكا عظيما والنت له الحديد فكان في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء بدون احما
وطرق وسخرت معه يسبحن بالعشي والاشراق اعطيت سليمان ملكا عظيما
اجمال فصله بقوله سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيت
سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده اعاده لما فيه من الزيادة تلميحا الى ما حكاه
الله عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر ولا يكون له
وانما ساله على ما ذكر ليكون معجزة له خارقة للعادة لا منافسة وحسدا اي
لا يعطى لاحد مثله وقدم الاستغفار اهتماما منه بامر الدين وتقديما لما يجعل الدعا
بصدد الاجابة وعلمت عيسى التوراة والانجيل تلميحا الى قوله ونعلمه الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل خصا بالذكر لفضلهما وجعلته يبرئ الاكمه اي من ولد
اعمى او هو ممسوح العين والابرص اي من بدنه بياض ابهق روي انه ربما اجتمع به
الالوف فمن اطاق اتاه ومن لم يطق ذهب اليه وما يداوي الا بالدعا واعذته وامه من
الشيطان الرجيم هذا التلميح الى ما حكاه الله من دعا جدته لهما وتقبله منها واني اعيذها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها فلم يكن له عليهما سبيل لعصمة الله
لهما ببركة تلك الاستعاذة فقال له ربه قد اتخذتك خليلا في مقابلة ابراهيم خليلا
اعلاما بانه اعلا منه مقاما لانه اخص منه اذ هو من حبة القلب فهو كامرود يصيب

شفاعته وجنته وسنتم له مزيد بيان فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن هذا
مندرج من كلام الراوي اقامة بينة لصحة زيادة رواية ابي هريرة والرحمن فعلان
من رحم مبالغة في الرحمة وهي لغة رقة وانعطاف تقتضي فضلا واحسانا على
من رق وذلك على الله محال اذ اسماؤه وصفاته انما توخذ من حيث غاياتها التي هي
الفعالات فرحمته عباده اما ارادة احسان ودفع سوء فتكون صفة ذات او نفس
الاحسان فيرجع الى صفات الافعال وقد مر لهذا مزيد بيان وارسلتك للناس
كافة اي ارسالة عامة محيطة بهم لا يخرج منها احد منهم خصه بعموم الارسال
دون الكل فهو اعظم ملك ممن ابي ملكا عظيما اذ كان واسطة بينه وبين جميع
خلقه ثم زاد عليه ما افاده قوله وجعلت امتك هم الاولون يوم القيامة قضاء
لهم ودخول الجنة وهم الاخرون في الدنيا وجودا وجعلت امتك لا يجوز لهم
خطبة اي لا يعتد بها شرعا حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي بشهادة حديث
كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء وجعلتك اول النبيين خلقا اذ قد
خلقه قبل ادم نورا كما مر في حديث قريش فلما خلق ادم قذفه في صلبه فلم يزل في صلب
كريم الى رحم طاهر حتى خرج من بين ابويه فكان اولهم خلقا واخرهم بعثا وخلقا
وبعثا تمييز محول عن كونهما مفعولين واعطيتك سبعا من المثاني تقدم بيانه
ولم اعطها نبيا قبلك اعلام بانه خصه بذلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة
ظاهر ان الاعطا كان حقيقة باقرائها عليه بشهادة قوله من كنز تحت عرشي
لم اعطها نبيا قبلك وقال التوربشتي بل المعنى انه استجيب له ولمن سأله
حق مضمون عنه ربنا الى اخرها ويصرح انه صلى الله عليه وسلم لما دعى بهن
قيل له قد فعلت واوثر الاعطا مناسبة للتعبير بكنز تحت عرشي وجعلتك
فاتحا لكل خير وخاتما للنبيين فلا نبي بعده احد فلا يرد عيسى صلى الله عليه وسلم
لانه قد نبي قبله وتغييره بعض الاحكام كعدم قبول الجزية ليس نسخا لاخبار
نبينا صلى الله عليه وسلم بانتها العمل بذلك الحكم بعد نزوله وفي الرواية الاخرى
التي رواها مسلم قال اي ابن مسعود فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا اعطي الصلوات الخمس فرضا في كل يوم وليلة واعطي خواتيم سورة
البقرة استجابة بمعنى استجيب له مضمونها او انزلت عليه كما مر وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات اي الذنوب العظام التي تقحم صاحبها في النار اي
توقعه فيها هذا قاض بان من اتصف بعدم الشرك بالله تغفر له مقحماته بشهادة
من فانها للعموم فيلزم ان لا يعذب احد مع اجماع ذوي الحق بنصوص الشرع
على تعذيب بعض عصاة المومنين فهو اما عام مخصوص اريد به خصوص بعض
وقيل المراد بغفرانها لا يخلد احد منهم في النار لا انه لا يعذب اصلا وقال اي
ابن مسعود ما كذب الفواد ما راى راى جبريل في صورته التي خلق عليها
له ستمائة جناح عرفها اما بعدا واخبارا ولا مانع من ظاهر الحديث انها كاجنحة
الطير وفي حديث ابي داود وغيره ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم اي تضعها
حقيقة رضا له وقيل اي تواضعا تعظيما لحقه او بمعنى تكفها عن الطيران بعد

نزولها

نزولها لمجالس العلم حافة بهم ففي الحديث الا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة
او راي ربه تعالى اي ما كذب بصره بما حكاه له قلبه فان الامور القدسية تدرك
اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قال
كان كاذبا لانه عرفه برؤية بصره بمعنى راه ببصره فعرفه فواده ولم يشك فيه
ومنها في حديث شريك انه صلى الله عليه وسلم راى موسى صلى الله عليه وسلم في
السماء السابعة هذا يخالف ما مر من رؤيته له في السادسة وربما حمل على
ان الاسرا كان مرتين او مرة فراه بعد عروجه في السادسة ثم صعد الى السابعة
فراه بعد رجوعه منها قال اي شريك او النبي صلى الله عليه وسلم بتفضيل كلام
الله له اي جعله في السابعة بسبب ذلك قال يا موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي ثم علا به اي جبريل فوق ذلك اي فوق السابعة بما
لا يعلمه الا الله بدل من فوق ذلك والبا للاستعلا كما في ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار اي عليه او بمعنى الى كما في وقد احسن بي اي بي على مكان
او الى مكان لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد قيل في هذه
الزيادة ما يقدح في صحتها وهو مخالفة الرواية الصحيحة المشهورة فيما مر
انه راه في السماء السادسة وقول موسى ذلك مع علمه بما في التوراة من انه افضل
الانبيا واشهر صفات الانبيا التواضع وهو مناف لقوله ذلك ومنها انه قد روى
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس اماما ولا حاجة الى
حمله على اسرا بعد الاسرى الذي فرضت فيه الصلوات اذ الانبيا كانوا يصلون قبل
فرضها ومنها ما رواه البزار والبيهقي عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل بينا اصله بين اشبعت
فتحتها فنشا عنه الف وهي ظرف يضاف الى الجملتين وتحتاج الى جواب لتضمنها
معنى الشرط والعامل فيها المفاجاة اذ المضاف اليه اذ لان معمول المضاف اليه
اعني الجملة بعد اذ لا يتقدم على المضاف اعني اذ والمعنى وقت قعودي يوما جاني
دخول جبريل او وقت دخوله فهي ظرف لهذا المعنى وذات يوم توكيد دفعا لتوهم
التجوز الى مطلق الزمان وقد اورد ابو عمر الزاهد حديث جرير يطلع عليكم
رجل من ذي يمن على وجهه مسحة من ذي ملك قال وذي هنا صلة اي زائدة وفي
حديث المهدي قرشي يمان ليس من ذي ولا ذو اي هو قرشي النسب يمني
المنشا فذات في حديث زائدة فوكز اي ضرب برفق بكفه مجموعة بين كتفي فقمت
معه الى شجرة فيها مثل وكري الطاير اي بيتين شبيهين بعشيه في الموضع
والهيئة لا في المقدار اذ مقدارها لا يسع ادميا الا ان يكون من عوالي الطير كالنسر
والعقاب واللقلق فقعد اي جبريل في واحدة وقعدت في الاخرى انثهما
باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش واهل مكة يذكرونه ويونثونه والغالب الاول
على السنتهم التانيث فنمت اي زادت وارتفعت وفي نسخة فسمت اي ارتفعت
حتى سدت الخافقين اي طرفي السماء والارض والمشرق والمغرب وخوافق السماء
جهاتها التي تهب منها الرياح الاربع ولو شئت لمسست السماء بكسر سينه

وفتحها ابو عبيدة وقد تحذف وتنقل حركتها الى الميم وقد تترك الميم مفتوحة وانا
انلفت طرفي حال من الضمير قبله اي متقلبا بصري في ايات الله بالافاق ونظرت
جبريل كانه حلس بمهملتين او لاهمنا مكسورة كساء رقيق يلي ظهر البعير تحت قتبه
شبه به لرويته له لاطيا اي لاصقا بالطي به من هيبة الله وشدة خوفه منه
فعرفت فضل علمه بالله علي قال ذلك تواضعا او لانه اعرف خلق الله بالله
ورايت النور الاعظم اي نور الحضرة الالهية واذا وفي رواية ولطي مبنيا للمفعول
من لط دوني الحجاب اي ارخي الستر وهذا لا يوذن بكونه تعالى في جهة وحيز
ولا محجوبا كما سياتي ثم اوحي الي ما شا ان يوحي من معزوصي وعزم مما منحه فضلا
من الله ونعمة وذكر البزار عن علي لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذان جاءه
جبريل بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى اي انتهى بها الى الحجاب الذي
يلي الرحمن فبينا هو كذلك اذ خرج ملك اي فلجاه عن خروجه من الحجاب
فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال والذي بعثك بالحق اني
لاقرب الخلق مكانا اي من الحجاب لا من ربه اذ ليس في مكان ولا زمان وان هذا
الملك ما رايته منذ خلقت بناه للمفعول لعلمه بخالقه او صونا له عن لسانه تادبا
وتعظيما لشانه اي لم اره في ساعة من ليل او نهار قبل ساعتي هذه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل له جوابا عن قوله ذلك من وراء الحجاب صدق عبدي
انه لا اله الا انا فذكر اي الراوي مثل هذا الذي ذكر قولا وجوابا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر فقيل له من وراء الحجاب جوابا عن قوله حي على الصلاة
حي على الفلاح وقال اي الراوي ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم
فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم وابراهيم خصهما بالذكر لانهما ابوا الانبيا
وليقتدي بهما علما ووجودا قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
راويه اي راوي هذا الحديث عن ابيه عن جد ابيه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
الشرف على اهل السماء والارض بما منحه ربه مما يفوت الحصر ولابد دركه فهم هذا
وما في هذا الحديث من ذكر الحجاب الحجاب لغة المنع والستر وحقيقته الاجرام
المحدودة والله منزه عن ذلك فهو اما تمثيل لما يفهم اعني مجرد المنع من رويته
تعالى بالمشاهدة ليتصوره السامع حتى كانه ينظر اليه متمثلا له او هو في حق
المخلوق لانه من خواص الاجسام لا في حق الخالق لنزاهة ساحة عظمته
عن ان يجوز عليه ما يجوز عليها فهم المحجوبون عن رويته في الدنيا والباري تعالى
منزه الخلق انشاه بريا من تفاوت مخل بنظامه الكامل بصور تترتب عليها
خواصه ويتم بها كماله منزه عما يحجبه عن خلقه اذ الحجب انما تحيط بمقدار
محسوس داخل تحت نطاق حاسة البصر ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم مخطية فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه من غير اناه بما شا متعلق
بحرف الجر في الحديث بحجابه النور وكيف شاء ومتى شاء اي يحجبه على اي كيفية
شاء في اي وقت شاء كقوله انهم اي الكفار عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي
لممنوعون فلا يرونه ومن منع رويته جعل تمثيلا لاهانتهم كاهانة من منع

من الدخول

من الدخول على الملوك وقدر في انها مضاف فقال رحمته او ثوابه او قربه وكذبوا اذ لو
لم يره المومنون يوم القيامة لم تعبر الكافر بحجبهم عن رويته فقوله في هذا الحديث
الحجاب يجوز جره على الحكاية وقوله وقوله واذ اخرج الملك من الحجاب يجب ان يقال
انه حجاب يحجب به من وراءه اي من جهة ظاهره من ملائكته على الاطلاع على ما دونه
اي من جهة باطنه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته فعلوت من
الملك والجبر بمعنى القهر وله جبر خلقه على مراده وان كرهه ومن في موضعيها بيانية
لما بعدها ويدل عليه اي على ما ذكر من حمل الحجاب على ما مر من الحديث قول جبريل عن
الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل ان هذا لم يختص بالذات الواجب لتقدسها به عن ان يحجب بحجاب هذا وقد
صح انه صلى الله عليه وسلم راه تلك الليلة وسياتي عليك ويدل ايضا اي على ما ذكر من
عدم اختصاص الحجاب بالذات قول كعب في تفسير سدرة المنتهى اي في بيان سبب
تسميتها به اليها ينتهي علم الملك بكسر اللام وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها
علمهم فيحجبهم بسرادق كبريائه وعظمته واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على
حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او يلي امرا من عظيم اياته وعجايب كبريائه
وهذا ايضاح بعد ابهام فهو اوقع في النفس لحصوله بعد تشوفها اليه ومن ثم بيانه
او من بيان حقايق معارفه ما هو تعالى اعلم به وحمله على [illegible] المضاف هو
كما قال تعالى واسيل القرية اي اهلها اذ الابنية المجتمعة لا تسيل وقوله
فقيل له من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه صلى الله عليه وسلم سمع
في هذا الكلام الله كما سمعه موسى صلى الله عليه وسلم ولكن من وراء حجاب اي وهو
لا يراه حجب بصره عن رويته لربه في هذا الموطن فان صح القول بانه صلى الله عليه وسلم
راى ربه فيحمل على انه في غير هذا الموطن بعد او قبله رفع الحجاب عن بصره
صلى الله عليه وسلم فراه فصل وقد اختلف السلف والعلماء عطف بعض
افراد العام عليه لاختصاصه بمزيد فضل حتى كانه ليس منه كما في من كان عدوا لله
وملايكته ورسله وجبريل وميكال هل كان الاسرا بروحه صلى الله عليه وسلم
او جسده على ثلاث مقالات فذهبت طايفة الى انه بالروح وانه رويا منام
بدل مما قبله او عطف تفسير له اذ هو بها انما يكون في المنام مع اتفاقهم ان رويا
الانبيا حق ووحي بشهادة يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ان الانبيا تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم والى هذا ذهب معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية رواه
عنه ابنا اسحاق وجرير وحكي عن الحسن البصري والمشهور عنه خلافه من انه
كان في اليقظة واليه اشار محمد بن اسحاق بن يسار وحجتهم لقوله انه رويا منام
قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك ليلة الاسرا الا فتنة للناس اذ
قد انكرته قريش وارتد كثير ممن كان اسلم حين بلغهم وقيل راها عام الحديبية بالتحيف
عن الشافعي وقد تشدد اذ قد راي فيه انه واصحابه دخلوا مكة بشهادة لقد صدق
الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم
ومقصرين لا تخافون فلما صدوا فيه عنه فتنوا فقيل لم يقل في هذا العام فدخلها

من قابل او في وقعة بدر بشهادة اذ يريكهم الله في منامك قليلا و يحتج لهم ايضا ما حكوه
من رواية ابن اسحاق وجرير عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويبطله انه لم يدخل بها الا بعد الهجرة والاسرا كان بمكة بعد البعثة كما قال ابن اسحاق
بعد افشاء السلام بمكة والاشبه انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووي عن الحر
ويحتج لهم قوله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر
وقول انس من حديثه وهو نائم في المسجد الحرام حال من الضمير قبلها مشعرة
بان الاسرا كان منامًا ولعله نام وهو راجع اليه فلما دخله استيقظ فانتفا كونه حجة
وذهب السلف والمسلمون عطف العام على بعض افراده ليفيد ان باقيه كهم في
الذهاب الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهذا
هو الحق اذ لا استحالة فيه فلا بعد ولعنه من حيث الظاهر وهذا قول ابن عباس
ومن ذكره هنا من الصحابة وغيرهم وهو دليل قول عائشة كيف يكون الاسرا يقظة
دليل قولها ما فقدت جسد المسيح به انما انه كان منامًا وقد سمعت ابطاله ويتجه من
حكاية المصنف له في المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكون الثاني دليلا له
فانه سهو لا ريب فيه من ذي فهم ثاقب وستسمع انه كان قبل ان يدخل بها بسنين
وهو قول محمد بن جرير الطبري والامام احمد بن حنبل وجماعة عظيمة انفسا او كره
اوسما من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين مع تواتر الاخبار الصحيحة به وقالت طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة
الى بيت المقدس والى السماء بالروح منامًا واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا بالنصب على الظرفية وتنكيره موذن بتقليل مدة الاسرا من المسجد الحرام
نفسه لحديث بينا انا في المسجد الحرام لانه كله مسجد او محيط به لحديث انه كان نائما
في بيت ام هانى فاسرى به فحملا الى المسجد الاقصى غاية للاسرا اذ لم يكن وراه مسجد
غيره يكون غايته الذي وقع التعجب فيه من حيث انه كان في بعض ليلة وبينهما الليالي
وايام كثيرة ثم الى ما لا يعلمه الا الله ثم رجع والتعجب فيه من لوازم المعجزات وهو من
اعدايه تعجب استحالة كما وقع لقريش حتى ارتد كثير ممن امن به ومن اوليايه تعجب تعظيم
القدرة الباهرة المؤثرة وفق الارادة ووقع التمدح بتشريف النبي محمد به اي
بالاسرا ووقع اظهار الكرامة له صلى الله عليه وسلم بالاسراء اليه اي الى المسجد
الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بتمييزه اذ هو من اعظم
كراماته وابلغ معجزاته قال هولاء اي الذاهبون الى المذهب الثالث ولو كان
الاسراء الى هكان زائدا على الاقصى لذكره الله تعالى في كتابه فيكون ذكره فيه
ابلغ في المدح من عدم ذكره ثم اختلفت هذه الفرقتان الثانية والثالثة في انه
صلى الله عليه وسلم هل صلى ببيت المقدس ام لا فقيل نعم ففي حديث انس وغيره
ما تقدم من صلاته فيه بالانبيا وقيل لم يصل فيه بشهادة قوله ثم انكر ذلك اي
صلاته فيه حذيفة بن اليمان وقال كما رواه احمد والله ما زالا اي جبريل والنبي
صلى الله عليه وسلم عن ظهر البراق ظاهره انهما لم ينزلا عنه حتى رجعا وهو بعيد و
الحق من هذا الذي ذكر انه اسري بالجسد والروح في القصة كلها وعليه

اي

اي على كونه اسري بهما فيهما كليهما تدل الاية من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نصا
وصحيح الاخبار الى السموات استفاضة ثم الى الجنة او العرش او طرف العالم احادا
ولا يعدل عن الظاهر من الاية والاخبار الواردة فيه و لا عن الحقيقة المتبادرة
الى الاذهان من الفاظها الى التاويل الا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على
حقيقته وليس في الاسرا بجسده وحال يقظة استحالة تؤذن بتاويل اذ لو كان منامًا
لقال سبحان الذي اسرى بروح عبده ولم يقل بعبده و يدل عليه ايضا قوله
ما زاغ البصر وما طغى اي ما عدل عن رؤية ما امر برؤيته من عجايب الملكوت وما
جاوزها لصراحة ظاهره في كونه بجسده يقظة بشهادة لقد رأى من ايات ربه
الكبرى ولو كان منامًا لما كانت فيه اية ولا معجزة خارقة للعادة تورث صدقه
وان كانت رؤيا الانبيا وحيا اذ ليس فيها من الابلغية وخرق العادة ما فيه يقظة
وايضا لو كان منامًا لما استبعده الكفار من قريش وغيرهم ولا كذبوه ولا ارتد
به ضعفاء من اسلم وافتتنوا لبعده عن ساحة العادة ووقوعه في ذهن المستبعد
فيه جدا اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والنكير يب
والارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته
اخذ اي خبره الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا ببيت المقدس على ما تقدم
في رواية انس او في السماء على ما روى غيره فيما تقدم وذكر مجيء جبريل له
صلى الله عليهما وسلم بالبراق وخبر المعراج اسم الة من العروج كالسلم للصعود
واستفتاح السماء فيقال من انت فيقال جبريل فيقال ومن معك فيقول محمد
ولقايه الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة خمسين
عليه وعلى امته ومراجعته موسى بينه وبين ربه حتى جعلها خمسا عددا بخمسين
ثوابا وفضلا منه ونعمة وفي بعض هذه الاخبار من رواية الشيخين عن انس فاخذ
يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء فلما جيت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها
افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا اذ رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره
اسودة الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام فهناك
فرض عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى فلم يزل بينه وبين ربه حتى قيل له هي خمس
وهي خمسون وانه وصل الى سدرة المنتهى فراها قد غشيها الوان قال لا ادري
ما هي وانه ادخل الجنة وراى فيها ما ذكره من جنابذ اللولو وان ترابها المسك
ظاهر هذا كله شاهد صدق بانهما نزلا عن البراق وان انكره حذيفة قال ابن عباس
كما رواه عنه البخاري هي الضمير للشان يفسره رؤيا عين راها النبي صلى
الله عليه وسلم لا رؤيا منام و روى ابن اسحاق وابن جرير عن الحسن البصري مرسلا
بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي
ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي هو ما فوق المرفق فجرني الى
باب المسجد الله اعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك
فاذا بدابة وذكر خبر البراق من كونه فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه و روى ابن اسحاق والطبراني وابن جرير عن ام هانى بنت ابي طالب

بنت ابي طالب ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي صلى العشا
الاخرة ونام بينا وفي رواية بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا اي انقظنا فلما صلى
الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا كما رايت بهذا الوادي
يعني مكة لاحاطة الجبال بها ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت معكم
الان كما ترون وهذا برهان ساطع يقتضي بانه بجسمه لو سلم من معارض يرده
هو انها انما اسلمت عام الفتح الا ان يقال وصلينا تبين من قولها بلا ادرجة
الراوي فيه وسيرد عليك تلويح بضعفه وروي البيهقي وابن مردويه عن شداد
بن اوس عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك
البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه بقوله له ان جبريل حملني الى المسجد الاقصى
وهذا ايضا برهان واضح انه كان يقظة وروي بن مردويه من طرق عن عمر قال
صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة
فاذا بملك قايم اي فاجات او جاي في قيامه حال كونه معه انية ثلاث الحديث وهذه
التصريحات ظاهرة في انه كان يقظة غير مستحيلة شرعا وعقلا فتحمل على ظاهرها
ولا عدول عنها حيث الحمل صحيح وروي الشيخان عن ابي ذر فرج عن سقف بيتي
وانا بمكة لا ينافي قوله فيما تقدم بينا انا في الحطيم بينا انا في الحجر وقول ام هاني
ما اسري به الا وهو في بيتي ففي شرح السنة انه كان مرتين مناما ويقظة ولعله
اضاف البيت اليه من حيث انه كان ساكنا فيه واليها من حيث انه ملكها فقول جبريل
ففرج صدري اي شقه ثم غسله بماء زمزم لانه قد لقيه صغرا وكبرا ولانه
افضل المياه على ما مر ثم اخذ بيدي فخرج بي الى اخره وهو قاض بان شرح صدره
كان عقب نزول جبريل اليه بشهادة الفا ويخالفه ما رواه عن انس اتيت فانطلق بي
الى زمزم فشرح عن صدري الى اخره وروي مسلم عن ابي هريرة لقد رايتني
بضم تاء المتكلم عن نفسه في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا
من بيت المقدس لم اثبتها لاشتغاله بما هو اهم منها من امر الاسرا ورؤية الملايكة وصلاته
فيه كما مر معهم او بالانبيا او وصوله الى قاب قوسين او ادنى فظهر اهمال ما قيل ان قوله
لم اثبتها قرينة على انه كان مناما لان النايم اقل ضبطا من المستيقظ قلنا لا فرق بين ضبط
مناما ويقظة الانبيا لانهم لا تنام قلوبهم ورؤياهم وحي قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك فكربت كربا ما كربت مثله بضم الكاف كربت وضمير مثله للمصدر اعني كربا اي غما
فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انباتهم وقد روي عن عمر في حديث
الاسرا قال صلى الله عليه وسلم ثم رجعت الى خديجة هذا موذن بانه اسري به من
بيتها بشهادة قوله وما تحولت عن جنبها لظهوره في انه فارقها مضطجعة عليه
فلم يزد لك الا حتى رجع اليها وقد مر ما اذن انه كان من بيت ام هاني ومن الحطيم
ومن الحجر وبه تمسك من زعم انه تكرر رابعا فصل في ابطال حجج من قال انها نوم
انث الضمير باعتبار القول انه كان رؤيا منام احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا وبانها جوابا عما زعموا من انها رؤيا نوم قوله
سبحان الذي اسرى بعبده برده لانه لا يقال في النوم اسرى فهي بمعنى الرؤية

البصرية لا الرؤيا النومية مع ظواهر احاديثه الشاهدة بانه يقظة ومجي جبريل اليه
بالبراق مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا واستفتاح
جبريل السموات ولقايه صلى الله عليه وسلم الانبيا فيها وترحيبهم له وسلام مالك
خازن النار عليه وصلاتهم به ورجوعه الى خديجة وما تحولت عن جنبها الذي فارقها
مضطجعة عليه الى غير ذلك مما ظاهره قاض بانه كان يقظة وقوله الا فتنة للناس
يوهن انها رؤيا عين واسرى بشخص اذ ليس في الحلم فتنة للناس من تعجيبهم تعجب اسحا له
ادى الى ارتداد كثير ممن امن به اذ كان ذهابا وايابا في برهة من الليل واذا كان الحلم
لا يكذب به احد منهم ولو كان حلما لما كذبوا به لان كل احد يمكن ان يرى مثل ذلك
في منامه من الكون حال من مثل متعلقة بيرى في ساعة واحدة في اقطار متباينة
علي انه هذا امع ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية اي اية وما جعلنا الرؤية
التي اريناك الا فتنة للناس فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية
اذ قد راي صلى الله عليه وسلم انه دخل مكة فصده المشركون وما دخلها في ذلك
العام ووقع في نفوس الناس من ذلك انه لم يدخل في هذا العام فدخلها من قابل وقد
يقال الاية مكية الا ان يقال راها بمكة ثم اخبر بها يوميذ وقيل راها يوم بدر لتشبيهم
اذ يريكهم الله في منامك قليلا تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم وقوله
حين ورد ماء بدر لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان
فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه وقيل غير هذا الذي تقدم واما قولهم انه في
ما تقدم من الحديث مناما وحديث اخر بين النايم واليقظان ثم استيقظت وانا
بالمسجد الحرام فلا حجة فيه لمن زعم انه كان مناما اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك
اليه كان وهو نايم بشهادة حديث الحسن بينا انا نايم في الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه
فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي الى ان قال فخرجني الى باب المسجد وليس في الحديث
انه كان نايما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد
الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت لكنه بعيد او استيقظ من نوم اخر
عرض له في رجوعه اليه او عرض له بعد وصوله بيته ويدل عليه اي على كونه نوما
اخر ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه ذهابا وايابا بسرعة في ذلك
الامد المتباعد المؤذن بالمشقة المورثة للنوم فنام ازالة لتعبه وقد يكون قوله
استيقظت وانا في المسجد الحرام لما غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض شبه لما عرى انه نايم وغشي افنية خاطره برؤية تلك العجايب المتفقة
والبدايع المحكمة بما عز براي عمر على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له النوم
تخييلا او شبه ما دل عليه ما المبينة بالعجايب تشبيها بليغا بشهادة من المبينة
لها اذ هي لما اخرجته من باب الاستعارة اليه كما في حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر او شبه ما عراه وغشيها بسبب رؤيتها بالغمر من الماء ثم اشتق
منه غمر فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وخامر
اي ستر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى يجري فيه ما يجري فيما قبله وكتب ابو
الدردا الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا اخي ان بعدت الدار من

الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ادنه حجر الارض يقع اي على اخصب سائر
بقاع الارض وطنه ارفنه له وارفق به فلا يفارقه وبما راى من ايات ربه الكبرى اي كبري
اياته وكل اياته كبرى لاحكامها واتقانها ولم يستغرق بما عرض له من النوم في رجوعه
ولم يرجع الي حالة البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ردا على من زعم ان
الاسرا كان رويا نوم هو ان يكون نومه واستيقاظه المعتادان بطريق حديث انس
وهو وانا نايم في المسجد الحرام فاستيقظت وانا في المسجد الحرام حقيقة على
مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورويا الانبياء حق تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم لم يرد بذكر هذا الوجه على ان الزم نفسه وسجل عليها بانه كان مناما
وكونه بجسده نايما ليس فيه كبير فايدة اذ الحكم حينيذ للروح الا ان يقال لتشاهده
الملايكة ويفاض عليهم من بركاته وقد قال بعض اصحاب الاشارات في نحو هذا ه
اي في نحو كونه نايم العين حاضر القلب انه تغميض عينيه ليلا يشغله شي من
المحسوسات عن الله ولا يصح هذا الذي ذكره من ان تغميضهما حذرا من ذلك
لان المقام مقام مشاهدة عجايب الملكوت بشهادة قوله من اياتنا اذ المتبادر منه
روية العين ولا يصح ايضا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا ولعله كان له في هذا
الاسرا حالات بان كان في اوله نايما ووقت صلاته بهم ولقايه لهم في السموات
مستيقظا كوقت الخطاب وعند سدرة المنتهى ومراجعته ربه وموسى في تخفيف
الصلاة ونحو ذلك ووجه رابع شاهد بانه كان يقظة وهو ان اول وصول
الملك اليه كان نايما فجاز ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النايم من الاضطجاع اذ
كثيرا صفة مصدر محذوف منصوب به اي تعبيرا كثيرا كما في فقليلا ما يؤمنون
او على الظرف لانه من صفات الاحيان وما عليهما مزيدة لتاكيد معنى الكثرة والعامل
ما بعده اي في احيان كثيرة يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه بما هو من هيات
النايم مجازا مرسلا لما بينهما من الملابسة والقول بانه بما تنبو عنه الاسماع
لمنافاته ركوب البراق وربطه بالحلقة فليس بشي وتقويه اي ليقوي ما زعمه من
التعبير عن ذلك قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما
قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه اي عن همام بينا انا نايم في الحطيم بين الركن
والباب وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان
هذا كله عند اول مجي الملك اليه فلا ينافيه قوله فاستيقظت وانا في المسجد
الحرام لامكان نومه حال رجوعه لما حصل له من معاناة السهر ومشاق السير
فيكون صلى الله عليه وسلم سمى هيئته من الاضطجاع ونحوه بالنوم لما كانت هيئته
صلى الله عليه وسلم هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وشق البطن ودنو الرب بيان لصفة اسم ان الواقعة في هذا الحديث
انما هي من رواية شريك عن انس مع ان انسا ودين من غير طريق الله انما رواه
عن غيره كمالك بن صعصعة وابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه لم يسمعه من
النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن
مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث عنه صلى الله عليه وسلم

فزج

فزج عن سقف بيتي الى اخره واما قول عايشة الذي رواه ابنا اسحاق وجرير ما فقدت
جسده اي النبي صلى الله عليه وسلم فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة له صلى
الله عليه وسلم لانها لم تكن حينيذ اي في اوان الاسرا زوجة له صلى الله عليه وسلم
ولا كانت في سن من يضبط الامور وخبرها ولعلها لم تكن ولدت بعد فلا يجزي
اليها هذا القول اذ لم يثبت كما سياتي والعجب ممن رواه وتداوله المحدثين له رواية
مع علمهم بعدم تميزها من الاسرا بل لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان ..
شان الاسرا من وضع الظاهر موضع المضمر تنويها بعظم شانه وسطوع قدره لكونه
من كبر اياته وعظم معجزاته كان في اول الاسلام على قول محمد بن مسلم بن شهاب
الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف بيان لاول الاسلام وهو ه
مخالف لما نقله النووي فيما مر عنه من انه بعده بخمسة اعوام وكانت عايشة
في زمن الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام فكان الاسرا على هذا ابتدا ولادتها بنحو ثلاثة
اعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما وقد قيل كان لخمس
من السنين قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه انه كان قبلها لخمس وهو
مخالف حكاه النووي عنه والحجة لذلك اي لابطال كونه مناما قطوف لست
من عرضنا وضربنا عن اطالتها صفحا واذا ثبت ان قول عايشة ما فقدت جسده
لم تحدث به عن مشاهدة اذ لم تكن حينيذ في سن من يضبط بل لم تكن ولدت و
شاهد ذلك دل على انها حدثت بذلك عن غيرها بتاء المتكلم حكاية لقول من
اخبرها باتيا على صورته الاولى كقولك لمن قال هذه ثمرتك وعني من ثمرتك
قال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس اي سمعت هذا ه
القول فكانها قالت سمعت ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
فلان او فلانة فلم يرجح خبرها على خبر غيرها لروايتها له عن مجهول بل لعدم
ثبوته وغيرها يقول بخلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره كحديث ابي
ذر ومالك بن صعصعة وايضا للانتقال اي قلت معاودا لشرح حديث عايشة
ما فقدت جسده بالثابت عند ايمة الحديث لقادح في مسنده عنها اذ فيه ابن اسحاق
وقد تكلم فيه مالك وغيره والاحاديث الاخر الواردة في الاسرا اثبت من حديثها
لورودها صحيحة لسنا نعني بقولنا والاحاديث الاخر اثبت حديث ام هانئ ما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي وما اي وحديثها الذي ذكرت
فيه خديجة لعدم ورودهما في الصحيح وايضا فقد روي في حديث عايشة ه
ما فقدت جسد رسول الله ولم يدخل بها الا بالمدينة جملة حالية موذنة بعدم
صحة حديثها ما فقدت عنها وكذلك سابقا ولاحقا يوهنه اي يوهن حديثها
لما فقدت بل الذي يدل عليه قولها انه اي الاسرا كان بجسده لانكارها ان
تكون رويا لربه ليلة الاسرا رويا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره اي لم
تنكر كون رويته لربه مناما فان قيل قال الله ما كذب الفواد ما راى فجعل روية
ما راه للقلب وعلقها به وهذا اي الجعل يدل على انه رويا نوم ووحي بالجر عطف
على نوم اي ورويا وحي فيه لا على انه مشاهدة عين وحس بصري فهو عطف تفسير

بصري فهو غطاء تفسيري قلنا جوابا عنه يقابله ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال عما راه وما تجاوزه بل اثبته اثباتا مستيقنا فاستاف الامر في الرؤية البصر وعلقه به بشهادة ما قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما راى لم يوهم القلب العين اي لم يردها ولم يورد عليها غير الحقيقة لعمري اذ لم يكن تخيلا كاذبا بشهادة حديث مسلم هل رايت ربك قال رايته بفؤادي اذ الامور القدسية كما ترد اولا على القلب ولا ثم يردها على البصر وقيل ما انكر قلبه صلى الله عليه وسلم ما راته عينه اذ لم يقل قلبه لم اراه لو اعرفك ولو قاله لكذب اذ قد عرفه كما عرفه بصره هذا او كفاك بقولي الجواب شاهدي صدق وبثبوت الرؤية للقلب والبصر جميعا حكم مجموع الايتين المؤذن بكونه اسرا يقظة يشبهها قوله تمثيلا للعروج وهو اي جبريل بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فلا تقابل بين ما كذب الفؤاد ما راى وبين ما زاغ البصر وما طغى حذرا من ثبوت استراك الالزام فصل واما رؤيته لربه فاختلف فيها فانكرته عايشة وفي نسخة فانكرته اي انكرت وقوعها او قول مسروق لها هل راى محمد ربه وقد روي هنا حديث مسلم مسندا اخرها لانكارها ذلك يقظة عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المومنين هل راى محمد ربه يعني ليلة الاسرا بقرينة السوال لانها لا تنكر رؤيته في الاخرة ولا في المنام بشهادة قوله فيما مر ولو كانت عندها مناما لم تنكرها فقالت لقد قف شعري اي قام من الفزع مما قلت طالبا مني تصديقي بثبوت رؤيته لربه او لا شعور تباهل السيطة التي يطلب بها وجود الشي او لا وجوده ثلاث من حدثك بهن فقد كذب وافترى فرية ما فيها مرية ثم بينت الثلاث بقولها من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات شهيدا على نفي رؤيته لربه تعالى قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قلنا الادراك الاحاطة فالاية دالة على انه لا يحيط به ولا يحيط بعظمته حاسة بصر اذا تجلى بنور وصفة كبرياء جلاله بشهادة حديث مسلم نور اني اراه اي حجابه نور فكيف اراه اذ كمال النور يمنع الادراك اما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفة جماله فلا استبعاد لرؤيته بدون احاطة فنفي الاية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يستلزم نفي رؤيته بدونها وقال جماعة من المحدثين والمتكلمين بقول عايشة لم يره ليلة الاسرا وهو المشهور كما رواه الشيخان عن ابن مسعود انه راى جبريل ومثله في كونه مشهورا ما رواه البخاري عن ابي هريرة انما راى جبريل واختلف عنه اي عن ابي هريرة انه راه بعينه وان يكون ما انكرته عايشة اي بانكار ما انكرته وفاقا لها جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين واكره بالجملة الثانية دفعا لتوهم كون انكارهم انكارا لانكارها وعن ابن عباس انه راه بعينه وبه قال انس وعكرمة والربيع وروي عطا عنه اي عن ابن عباس انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه اي عن ابن عباس سأله هل راى محمد ربه فقال الظاهر انه رؤيته له بالبصر بقرينة العادة والاشهر عنه اي عن ابن عباس

انه

انه راى ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق هذا او قول ابن عباس راه بعينه لا ينافي قوله راه بفؤاده فلعله قال بهما لثبوت الرؤية للبصر والفؤاد بحكم ما كذب الفؤاد ما راى وما زاغ البصر وما طغى اي ما كذب فؤاده مرئيه وما مال بصره وما تجاوز مرئيه وكذا قول من قال كابن عباس راه بفؤاده وبعينه لا يحمل على تناف واختلاف لثبوت الروايتين بحكم الايتين وروي الحاكم والنسائي والطبراني ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه راى ربه بعينه انه اختص موسى بالكلام بشهادة وكلم الله موسى تكليما وابراهيم بالخلة بشهادة واتخذ الله ابراهيم خليلا ومحمد بالرؤية وحجته اي حجة ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم راى ربه قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي ما اعتقد قلب محمد خلاف ما راى ببصره ومن مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه او ببصره بجعل فؤاده فيه او مذهب ايمتنا اهل السنة ان الرؤية بالارادة لا بالقدرة فاذا جعل الله حصول العلم بشي من طرق البصر كان رؤية بالاداة او من طريق القلب كان معرفة بشهادة اقدار الله على حصوله بخلق مدرك له في البصر كما جعل حصوله بخلق مدرك له في القلب والراجح كما قال النووي عند اكثر العلماء انه راى بعيني راسه ليلة الاسرى واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله عليه وسلم وهو مما لا اشك فيه وانكار عايشة وقوعها لم يكن لحديث رواية ولو كان لحديث لذكرته بل احتجت بقوله تعالى لا تدركه الابصار وقلنا المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفيها نفي الرؤية بدونها وبقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قلنا لا تلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودهما بدونه افتمارونه على ما يرى اي افتجادلونه عليه من المراي المجادلة من مريت ضرع الناقة اي مسحته للحلب لان كلا من المتجادلين يمتري ما عند صاحبه ولقد راه نزلة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس كانت له في تلك الليلة عرجات لحط عدد الصلوات فلكل عرجة نزلة قال الماوردي قيل ان الله قسم اي جعل كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين حيث كان قاب قوسين او ادنى وعند سدرة المنتهى وكلمه موسى مرتين مرة وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى الطور والحق انه كلمه اكثر منهما وما تلك بيمينك يا موسى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها اذهبا الى فرعون والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك الى غير ذلك مما خوطب به من الايات وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية التي ذكرها الماوردي عن كعب وروي الترمذي قال قال عبد الله بن الحارث اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين خص بني هاشم دون غيرهم ممن قال برؤيته ربه ايضا لانهم الاقرب اليه الاعرف بحاله باخباره اياهم فكبر كعب حتى جاوبته الجبال غاية لتكبير كعب وقال اي كعب او ابن عباس ان الله قسم اي جعل رؤيته وكلامه بين محمد وموسى وكلم موسى وراه محمد بقلبه ولبعينه ايضا على ما مر وروي شريك عن ابي

ذر في تفسير الاية اي ما كذب الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى
الى اي ابو ذر راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه اي بقلبه بشهادة اول الاية
وحكاه السمرقندي كرواية ابن ابي حاتم عن محمد بن كعب والربيع بن انس مرسلا وابن
جرير عن محمد بن كعب عن بعض اصحاب النبي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل
رايت ربك قال رايته بفوادي ولم اره بعيني لعله في المرة الاولى اذ قد روى ابن
عباس انه راه مرتين وروى الترمذي والطبراني قال مالك بن يخامر بضم وله
وبمعجمة عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي اي في منامه بشهادة
رواية احمد وغيره عن معاذ قال صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة
ثم اقبل علينا فقال اني ساحدثكم اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست
وفي رواية فوضعت فاذا انا بربي في احسن صورة حال منه صلى الله عليه وسلم
او من ربه ولا اشكال كما قال البيضاوي فيه اذ قد يرى النائم غير المشكل ه
مشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا في الرويا ولا في خلد النائم فقال يا محمد
فيم يختصم الملا الاعلى اي في اي شي يتقاول الملائكة سوالا وجوابا لبيك انت
اعلم اي رب مرتين فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردها بين
ثديي وفي رواية ثدي وجدت برد انامله بين ثديي تمثيل لما افاضه عليه من
القوى الادراكية للمغيبات والملكات الايمانية حيث لا كف ولا وضع وتصور
لاشراق انوار مكاشفات المعارف في روعه حتى ثلج صدره برد تمكنها فيه ه
لملايمة الكف للافاضة اذ كثير ما يفيض عنه العطايا يصل الى المقصود به
ولكونه كالعلة الفاعلية له جعله كناية عنه فكانه قال فافاض علي ما يدرك
به المغيبات ما غمر روعي وثلج بيقينه صدري فعلمت وفي الرواية الثانية فتجلى
لي كل شي وعرفت ما في السماء والارض من بديع اياته وعجايب مصنوعاته
ثم تلا وكذلك نري ابراهيم حكاية حال ماضية فرضنا لما كان في الزمان الماضي
واقعا في هذا الزمان فيعبر عنه بلفظ المضارع تعجيبا للسامع وتصويرا للاراة
له بانه يشاهدها اي ومثل تبصيرنا ابراهيم ما تمكن به من انذار ابيه وقومه
وتضليلهم نبصره ملكوت السموات والارض اي دلايل ربوبيته وعجايبهما
وعجايب ملكه والملكوت اعظم من الملك وتاوه للمبالغة وليكون معطوف اما
على محذوف اي هديناه ليستدل ويحتج على قومه وليكون او متعلقه محذوف
او فعلنا ذلك ليكون من الموقنين عيانا كما تيقن بيانا اي كما اري ابراهيم
ملكوتهما وكشفنا له كذلك اعطيت ما علمت به ما فيهما من المغيبات ثم قال
فيم يختصم الملا الاعلى يا محمد اي فيم يتقاول الملائكة فيما بينهم سوالا وجوابا
قلت في الكفارات شبه تقاولهم في فضلها وتنافسهم فيها لشرفها او نافتها
على غيرها او في غبطة الناس بها وتفضيلهم على الملائكة باختصاصهم بها محافظين
عليها مع انهماكهم في الشهوات وتماديهم في الجنايات بتخاصم المتخاصمين
فاستعير له لفظ التخاصم ثم اشتق منه يختصم فتكون الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية والكفارات جمع كفارة من الصفات الغالبة في باب

الاسمية

الاسمية فعالة كضرابة للمبالغة وهي ما من شانه ان يكفر الخطيئة قالوا وما هن قال
المشي على الاقدام شفعه به لاحتمال المشي الجنسية والغرض المصنوع له الكلام
هنا هو اثبات المشي ليس له الاقدام فقرنه به بيانا لما له من الغرض الى الطاعات
والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء اماكنه في المكاره لشهادة
قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة
فذلكم الرباط من يفعل ذلك يعش بخير لشهادة من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة اي لنرزقنه في الدنيا عيشا طيبا اما الموسر
فامره ظاهر واما المعسر فمعه ما يطيب له عيشه اعني القناعة والرضا بقسمة
الله وتوقع الاجر العظيم في الاخرة ويموت بخير امنا في عاقبته بروح وريحان ه
ويكون بفعله ذلك مبرا من خطيئته وذنوبه كيوم ولدته امه مبرا منها ويوم هنا
مبني على الفتح لاضافته الى الماضي بخلاف ما لو اضيف الى مضارع فانه يعرب في الاصح
ومن الدرجات اي وسبب رفعها او يوصل اليها اطعام الطعام معاملة للخلق بالقيام
بحقوقهم وان تقوم بالليل والناس نيام معاملة للحق بالتهجد له فيه ومن ثم غبطت
الملائكة البشر بتلك الكفارات والدرجات اللهم اني اسالك الطيبات اي الرزق
الحلال او حلاوة الطاعة وحبها وترك المنكرات جمع منكر وهو ما انكره شرعا
قولا او فعلا وفعل الخيرات جمع خير وهو ما عرف شرعا من اقوال مرضية وافعال
مرضية وحب المساكين ساله تواضعا واستكانة بعد سواله ما يرفع به درجته
ويزلف رتبته ويورثه حضرة القدس ليعيش معهم ويحشر معهم بشهادة قوله اللهم
احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وان تغفر لي وترحمني
وتتوب علي تفضلا منك علي ورضي عني واذا اردت فتنة قوم كارادة اضلالهم في نخ
عن الحق فتوفني غير مفتون اي غير ضال حتى القاك وانت راض عني هذا وما
حكاه هنا عمن ذكر من الايمة من قولهم بوقوع رويته ربه فتقوية وتاكيد لما تقدم
من القول به قال المصنف والحق الذي لا امترى فيه ان رويته في الدنيا جايزة ه
تنبيه على انه لا خلاف ممن يعتد به في جوازها فانها عقلا ليس في العقل ما اي شي
من توهم واحتمال يحيلها لجزمه بجوازها فانها والدليل على جوازها وقوعها
في الدنيا سوال موسى لها قال رب ارني انظر اليك مع اعتقاده انه تعالى يرى
فسالها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال الا جايزا
غير محال لاستحالة سوال المحال من الانبيا ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب
الذي لا يعلمه الا من علمه الله اياه واطلعه عليه فقال له الله غير ناف للجواز
لن تراني دون لن ارى المودن بنفيه اي لن تطيق ولا تحتمل رويتي الان لا زعمها
على معد لها في الراي لم يوجد فيك بعد وجعل سواله لها تبكيتا لقومه اذ قالوا ارنا
الله جهرة خطا اذ لو كانت ممتنعة لجهلهم وازاح شبهتهم كما جهلهم اذ قالوا يا موسى
اجعل لنا الها ولا لسدد لا بالجواب على استحالتها اشد خطا لان الاخبار لا بد له
على انه لا يراه ابدا فضلا عن ان يدل على استحالتها وقد ضرب كناية عن اعتبار الكل

بغيره وتمثيلا لكشفه له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد اي مثل له
مثالا بما هو اقوى من ثبات موسى واثبت وهو الجبل في قوله ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني وكل من ذا الذي ذكر لا يدل فيه ما يحيل الرؤية
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة لتعليقه اياها بالاستقرار المؤذن بجوازها
ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن اذ معنى التعليق هو ان يقع المعلق على تقدير
وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على تقدير اصلا ولا يعرف الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا فيه دليل قاطع على امتناعها اذ كل موجود ولو علما وصوتا ورايحة
وتردد وارادة فرؤيته كما قال الاشعري جايزة من حيث ان متعلق الرؤية هو
الوجود المشترك بين كل موجود وبينه تعالى ولا يلزم من جوازها له وقوعها
وعدم تعلقها به انما هو لجري عادته تعالى بعدم خلقها فينا مع جواز خلقها فينا
اي في غيره سبحانه ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار
لاختلاف التاويلات في الآية فقد قيل المراد بالادراك الاحاطة فلا نفي فيها
لمطلق الرؤية وليس فيها عاما في الاوقات فيخص بعضها ولا في الاشخاص اذ هو
في قوة قولك لا كل بصر يدركه فيخص ببعضهم وقيل غير ذلك واذ ليس عطف
على الاختلاف اي ولانه لا يقتضي قول من قال بمنعها في الدنيا الاستحالة
للرؤية لانه ليس نصا في المنع بل اخذ بتاويل واحتمال لا يقتضي باستحالة وقد
استدل بعضهم بهذه الآية اي لا تدركه الابصار نفسها على جواز الرؤية
اذ ليست نصا في نفيها مطلقا على جوازها بدون احاطة واستدل بها نفسها
على عدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار لاحتمالها
سلب العموم ونفي الشمول للاشخاص لانها قضية كلية موضوعها جمع محلى بلام
العموم الحكم عليه فيها بالنفي يعني سلب العموم سلبا جزئيا فيكون مؤذنا بانه
لا يراه كل احد بل بعضهم فيحمل على نفي رؤية الكفار اذ هم يومئذ عن ربهم محجوبون
وقيل لا تدركه الابصار اي لا تحيط به اذ هو الظاهر منها بشهادة لفظ تدركه
المؤذن بالاحاطة وهو قول ابن عباس وهو الذي يجمع بيننا مع ما ورد على القول
بجوازها بلا احاطة وقد قيل من بعض التاويلات لا تدركه الابصار انفسها وانما
يدركه اصحابها المبصرون له بها فنفي الرؤية مقصور على الابصار دون اصحابها
المبصرين بها فالآية قاضية بجوازها لهم بشهادة ما مر لاسيما لن تراني اذ لو كانت
مستحيلة لقال لن ارى او نحوه وهذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا
استحالتها بل بعضها يقتضي جوازها وكذلك اي ومثل انه لا حاجة لمن استدل
على منعها بلا تدركه الابصار لا حجة لهم على منعها بقوله لن تراني وقوله تبت
اليك لما قدمنا مما يؤذن بجوازها كسوال موسى اياها اذ يستحيل ان يسال نبي
ما لا يجوز على الله وكتعليقها على استقرار الجبل المفيد لجوازها بامكانه ولانها
اي آية لن تراني ليست على العموم في نفيها لجميع الاشخاص في جميع الازمان لجواز
ان يراه غير موسى ممن يخلق الله فيه استعداد لها في ايامها كليلة الاسراء ولان من قال
بمنعها في الدنيا انما هو تاويل لا يقتضي استحالة ولا منعها فيها مطلقا لجواز

اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره وايضا فليس فيه نص الامتناع من الرؤية
عموما وانما جاءت اي آية لن تراني مخصصة بامتناعها في حق موسى صلى الله عليه وسلم
وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه اي الى
امتناع الرؤية سبيل شبه القطع بمن قصد نجاح امر فصد عنه بما شبه به الاتيان دبل
والاجتهاد اي فليس له بسلوك التاويل منهج الاتية وتسليط احتمال الجواز مسلك
الى امتناعها وقوله تبت اليك اي من الاقدام على سوالي اياك في الدنيا
ما لم تقدر لي هذا ولعل قوله تبت اليك انما كان لما غشيه من شدة ما افضى به
الى ان صعق كما تقول من فعل جابر عراك منه كمال مشقة تبت عن مثل هذا
وقال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه الضمير للشان يعني من اذ هو الشان نظر الي في الدنيا مات اي في الحال
بشهادة صعق موسى اذ راى الجبل وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ان رؤيته
تعالى في الدنيا ممتنعة لا من حيث ذاتها لثبوت جوازها فيها بما مر وانما امتنعت
فيها لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات
من نوايب متعلقة ونوايب للاكباد مقلقة ولم يعطفه على ما قبله لكمال الاتصال
بينهما اذ قد يكون سببا للتغير والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية في الدنيا
فاذا كان في الآخرة ركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار
ابصارهم وقلوبهم قووا لها جواب الشرط اي حصل بذلك قوة على الرؤية
في الآخرة هذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق ذلك لهم في الآخرة قادر على
خلقه لهم في الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية
بمجرد خلقه غير مشروطة بشيء وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس قال لم ير
في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني ولا دليل ايضا على جعل هذا علة
لمنعها فيها اذ لا مدخل للباقي في المنع كالحدوث لان الرؤية بخلق الله ليست
مشروطة بشيء لا يعتبر بها مانع فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي
الباقي بالباقي وهذا الذي قاله مالك كلام حسن مليح وليس فيه دليل على
الاستحالة بل هو شاهد صدق على ان الفنا لا مدخل فيه كغيره في منعها اذ هي كغيرها
بمجرد خلق الله لا يرفعها مانع الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله من شاء
واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع الرؤية في حقه اي في وقت كان هذا
وان تاملت ما سمعته من انها بمجرد خلق الله تعالى ليست مشروطة بشيء نبهك على
ضعف هذا الجواز ان يخلقها الله فيه فيراها بدونهما وقد ذكر القاضي ابو بكر
الباقلاني في اثناء اجوبته عن الآيتين اي آيتي لا تدركه الابصار ولن تراني ما معناه
ان موسى راى الله فلذلك خر موسى صعقا والا فالصعق بمجرد رؤية الجبل وكان
بعيد لكنه مخالف لصريح لن تراني بمنع رؤيته له الا ان يحمل المنع عليها قبل تجليه
تعالى للجبل ثم راه بعد لا عموم له في الازمان حال التجلي للجبل فخر صعقا وان
الجبل راى ربه فصار دكا بادراك كما نقله الماتريدي عن الاشعري بخلقه الله له
وكذلك بهتنا قاضيا بجوازها واستنبط القاضي ابو بكر ذلك اي دو بهم اربما

والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه وبقي على حاله فسوف
تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل بلا كيف جعله دكا اي مدكوكا كارض مستوية
وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه وتجليه للجبل هو ظهوره له ظهورا
تاما بلا كيف حتى راه على هذا القول الذي عزاه للقاضي ابي بكر وقال جعفر
ابن محمد شغله بالجبل حتى تجلى اذ لولا الجبل كما مر وباباه ظاهر قوله ولولا ذلك
اي الشغل بالجبل لمات صعقا بلا افاقة نقول المصنف هذا اي قول جعفر
يدل على ان موسى راه بعيد هذا او كذلك بعض التاويلات قاضيا بجهل منكر
الرؤية وبال قولهم ان موسى كان عالما بانه لا يرى وانما طلبها ليبين لقومه انه
ليس يرى اذ قالوا له نؤمن لك حتى نرى الله جهرة باطل وقد وقع لبعض المفسرين
انه قال في الجبل انه راه بادراك وعلم خلقه فاندك اذ الدك بمجرد التجلي
بالادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدي عن الاشعري ان معنى التجلي ان الله
خلق فيه حياة وعلما ورؤية قراه وهذا انص منهما على اثباتها وبرؤية الجبل له
اي لربه تعالى استدل على رؤية نبينا له من قال برؤية نبينا له اذ جعله
اي جعل رؤية الجبل له دليلا على الجواز لما وذكر الضمير نظر المابعد ولا مرية
في الجواز اي ولا شك في جواز الرؤية اذ ليس في الايات اي لا تدركه الابصار
لن تراني فان استقر مكانه فسوف تراني نص في المنع للرؤية بل هي مشيرة
الى الجواز كما نبه عليه فيما تقدم واما وجوبه اي وجوب وقوعها لنبينا والقول
بانه راه بعينه فليس فيه من قواطع الادلة قاطع ولا نص بقول في وقوعه
عليه اذ المعول فيه على اية النجم اي ما كذب الفؤاد ما راى وما زاغ البصر وما
طغى والتنازع بين الائمة فيهما ماثور اي مروي منقول عنهم كما عرفت
ولا اثر قاطع من حيث انه متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بكونه
راه بعينه او بفؤاده خبر انما اسندا عن اعتقادهم لم يسندوه الى النبي صلى
الله عليه وسلم حتى يعتبر فيجب العمل باعتقاد مضمنه من رؤيته ربه ومثله
حديث شريك المتقدم عن ابي ذر في تفسير الاية راى النبي صلى الله عليه وسلم
ربه وحديث معاذ رايت ربي في احسن صورة محتمل للتاويل على ما تقدم وهو
مضطرب الاسناد والمتن لعله في بعض طرق الترمذي اذ قد رواه بطرق منها
سلكم بصحة من حديث عبد الرحمن بن عايش الحضرمي عن مالك بن يخامر
السكسكي عن معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر
وحديث ابي ذر الاخر مختلف من حيث اللفظ محتمل لان يكون راه ولم يره
بكل من حيث جعل ذاته تعالى نورا فنور يا نور منونا اي بفتح اوله وتشديد
ثانيه اي هو نور كيف اراه لجري العادة بان النور اذا اغشى البصر حجبه عن رؤية
ما وراه وروي بعض شيوخنا انه روي نوراني بكسر النون الثانية وتشديد
اليا اراه قال وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رايتها في اصل من الاصول ومحال ان
تكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثم كان تسميته تعالى
في الكتاب والسنة نورا بمعنى ذي النور او خالقه هذا وفي تخريج احاديث الاحيا

للعراقي في كتاب المحبة قال احمد ما رايت له منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة
اسناده شيء اي من حيث ان في رواية احمد عن ابي ذر رايته نورا اني اراه ورجالها
رجال الصحيح وفي حديثه اي ابي ذر الاخر سالته صلى الله عليه وسلم رايت ربك
فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما اي حديثي ابي ذر على صحة
الرؤية لاحتمالهما بانه لم ير فانه كان الصحيح رايته نورا فقد اخبر صلى الله عليه
وسلم انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا اي الى
قوله رايت نورا يرجع قوله نوراني اراه اي كيف اراه مع كون حجابه النور
المغشي اي المغطي للبصر يقال غشيه غشيا ناي جاه وغشاه تغشية اي
غطاه وغشيها اي جامعها وغشي عليه اي اغمي عليه واستغشى ثوبه وتغشى
اي تغطى وهذا اي حديث نوراني اراه مثل ما في الحديث الاخر من حيث المعنى حجابه
النور رواه الطيالسي عن ابي موسى واصله في مسلم اوله ان الله لا ينام ولا
ينبغي له ان ينام وفي الحديث الاخر الذي رواه ابن جرير عن محمد بن جرير عن محمد
ابن كعب عن بعض الصحابة لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي زيد فيه هنا مرتين
وتلي الراوي شاهد لصحة رؤية ربه بقلبه ثم دنى اي نبينا صلى الله عليه وسلم
فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء فان
ورد حديث نص على صحة الرؤية لا يحتمل تاويلا اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا
استحالة فيه اي في جواز الرؤية ولا مانع قطعي يرده فصل واما ما ورد في
هذه القصة اي قصة الاسرا من مناجاته اي مخاطبته ومحادثته صلى الله عليه وسلم
في كلامه اي الله معه بقوله فاوحى الى عبده اي محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى
الابهام مؤذن بتفخيم الموحى اي اي شيء ما تضمنته الاحاديث الاتية مما ورد
في ذلك وقد ذكرنا منها ما ليس من غرضه بيانا لا كثرية من خالفه وتمهيدا لما
هو من غرضه من المناجاة فقال فاكثر المفسرين جواب اما اي غالبهم على ان
الموحي هو الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا الشذوذ منهم فذكر جعفر بن محمد
الصادق صفة لجعفر قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه اي ونحو ما ذكر عن جعفر
ذكر عن الواسطي والى هذا الذي هو قول الصادق او الواسطي ذهب بعض
المتكلمين ان محمدا كلم ربه في ليلة الاسرا وحكي القول بانه راه فيها
عن الاشعري لجوازه وامتناع استحالته وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس
وانكره اي انكر تكليمه له بلا واسطة اخرون ويرده حديث البزار المتقدم في اذان
الملك الله اكبر الله اكبر حيث سمع من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر
وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسرا عنه صلى الله عليه وسلم في قوله
دنى فتدلى فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم فارقني جبريل فوقفت في مقامه
اذ لكل مقام فانقطعت الاصوات عني بعد مفارقة جبريل فسمعت كلام ربي وهو
يقول اي قايلا ليهدا روعك اي لتسكن نفسك او خوفك ان كانت الراء مفتوحة
يا محمد ادن ادن اي دنوا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم بيانا لا نافة منزلته
وشرف مرتبته وتانيسا لاستيحاشه بانقطاع الاصوات عنه وقد احتجوا في هذا

اي في القول بانه كلمه بلا واسطة بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي كلاما خفيا يدرك بسرعة ليس مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات
لموسى في طوي والطور واليه اشار بقوله او من وراء حجاب السامع يحجبه عن
رؤية ربه في الدنيا اذ لا يجري عليه تعالى ما يجري على غيره من الاجسام او يرسل
اليه رسولا من الملايكة فيوحي اليه اي فيبلغ الملك من الملايكة الرسول من
البشر باذنه ما يشاء مما ارسله الله به اليه من الوحي فقالوا اي المحققون بعد ذكره
الاية ان تكليمه الله بلا واسطة هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
من ورايه بلا واسطة وبارسال الملايكة كحال جبريل مع مع جميع الانبياء
وحبه اليهم ما ارسل به واكثر احوال نبينا معه مرسلا اليه بالوحي والثالث
اي ما افاده قوله الا وحيا وهو وما بعده احوال اي الا موحيا او مسمعا من ورا
حجاب او مرسلا او منصوبة بالمصدر اي الا كلاما او اسماعا من وراء حجاب
او ارسالا اي تنزيلا للكلام على لسان الرسول كما هو بدون واسطة ومن جعل
وحيا بمعنى ان يوحي عطف عليه ما بعده فعلية ان بقدر تقدير ا ينتظم او من
وراء حجاب مع مكتنفيه في مثل الا بان يوحي او بان يسمع من وراء حجاب او بان
يرسل ولم يبق من تقسيم صور الكلام من الله لمن يشاء من عباده الا المشافهة
مع المشاهدة تختص بها من بينا كنبينا وقيل الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي
من الانبيا الهاما كما حكاه تعالى الزبور الى داود اي الهمه اياه وقذفه في صدره
هذا او تامل ما تقدم في حديث البزار عن علي بخبره اصرح في سماعه صلى الله عليه وسلم
كلام ربه من الاية اي فاوحى الى عبده ما اوحى وكلام الله لمحمد ومن اختصه
من انبيائه جايز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه اي بمنع جوازه
فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه في كلامه لغير موسى منهم واما كلامه لموسى
فانه كاين حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وكلم الله موسى تكليما فسمعه
من جميع الجهات ومن ثم اختص بكونه كليم الله وزعم المعتزلة كلمه بخلق الكلام
في جسم فسمعه بناء على نفيهم قدم الكلام النفسي فهو تعالى عندهم متكلم
بكلام هو قايم بغيره خلقه فيه ليس بصفة له قديمة قلنا اثبات المشتق له
بدون قيام ماخذ الاشتقاق به ممتنع واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه عن ما ورد في بعض طرق الحديث الصحيح انه في السماء السابعة
قال الحاكم تواترت الاحاديث انه في السابعة بسبب كلامه اياه واكرمه
بها منقبة ورفع محمدا فوق هذا كله قال تعالى ورفع بعضهم فوق بعض درجات
وفي ابهامه من تفخيم شرفه واعلاء قدره ما لا يخفى مع شهادة له بان العلم الذي
لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس لما اوتيه من مكارم متوافرة وكرايم
متواترة ولو لم يات الا القران وحده لكفى به شرفا منيفا على غيره من الانبيا اذ
هو الاية الباهرة والنعمة النافعة على وجه كل زمان في كل مكان حتى بلغه
مستوي اي مكانا مستويا لا عوج فيه ولا امت وسمع صريف الاقلام اي صوت
جريانها بما تكتبه فكيف يستحيل ولا يجوز في حق هذا النبي الكلام الباذخ

مستوي

مستوي يسمع فيه صوت ما فكان قاب قوسين او ادنى او يبعد عنه سماع الكلام
من ربه مخاطبا له به فسبحان تعجب وتنزيه لذاته من اختص من شاء بما جزل
كرمه ومزيد نعمه بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات كنبينا اذ خص
بدعوة عامة ونعمة تامة ومعجزات واضحة وحجج لشبهة الكفر فاضحة والابهام
كما مر لتفخيم شانه وايضاح برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف الغني
عن بيانه فصل واما ما ورد في حديث الاسرا وظاهر الاية من الدنو
والقرب بيان لما ورد فيه ولما افهمه ظاهر الاية من قوله ثم دنى فتدلى فكان
قاب اي مقدار قوسين او ادنى تمثيل لملكة الاتصال وتحقيق لاستماعه ما اوحي
اليه بنفي البعد ومن ثم قال فاكثر المفسرين جواب ان الدنو والتدلي منقسم
بين محمد وجبريل اذ قد دنى كل منهما من الاخر او مختص باحدهما محمد او جبريل
دنى من الاخر او من سدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس كما رواه ابن
ابي حاتم عنه وهو محمد دنى فتدلى من ربه اي قرب منه وهو كناية عن تمكنه
من لازم القرب الثابت المحصر وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب
قرب بالسير كما تذكره لا ابهام من قرب الاجسام لنزاهة ساحته تعالى عنه وقيل
هما اي دنى فتدلى بمعنى واحد اي قرب قرب انعام لا قرب مسافة وحكى مكي
والماوردي عن ابن عباس كما رواه ابن جرير هو الرب دنى من محمد دنو علم لا دنو
مكان فتدلى نزل اليه امره وحكمه او كني به عنهما وحكى النقاش عن الحسن
قال دنى رب العزة من عبده محمد فتدلى اي فقرب منه قرب عناية وتفضيل
واختصاص فاراه ما شاء ان يريه من اثار قدرته وعظمته قال اي الحسن
او النقاش وقال ابن عباس هو اي قوله دنى فتدلى مقدم ومؤخر اي تدلى
الرفرف اراد به بساطا اخضر لمحمد ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه
دنوا بالنسبة اليه لنزاهة ربه عما هو من خواص الاجسام قال صلى الله عليه
وسلم كما تقدم عنه فارقني جبريل وانقطعت الاصوات عني وسمعت كلام ربي
بلا واسطة ومن بدع المعتزلة سمعه من بعض الاجرام يخلقه فيه منطوقا
به كما في اللوح وروى شريك بن ابي نمر عن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة
المنتهى ودنى الجبار اي القاهر لعباده على ما اراده منهم من امر ونهي او العالي
فوقهم من قولهم نخلة جبارة اي عظيمة تفوت يد المتناول رب العزة اي القوة
والغلبة من عز يعز بالفتح اي اشتد وبالكسر اي صار فتدلى حتى كان اي الجبار
رب العزة منه صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى دنو عناية واعلام
بشريف قدره ومنيف عزه لا دنوا الى غاية لنزاهة ساحته جل له عن صفات
الاجسام فاوحى اليه بما شاء من كرايم شريعته وخصايص منبعه واوحى اليه خمسين
صلاة فما زال بينه وبين موسى يساله تخفيفا حتى قال يا محمد هي خمس وهن خمسون
لا يبدل القول لدي وفي رواية انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر
فذلك خمسون صلاة وعن محمد بن كعب هو محمد دنى محمد من ربه وضع المظهر
موضع المضمر لكمال العناية بذكره وكان قاب قوسين قال اي محمد بن كعب

وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان قاب قوسين على ما تقدم في الدنو
وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ينتهي اليه مطمح فهم او مطرح وهم
ومن العباد بالحدود الغائبة المنتهية الى غاية لا الحدود المعرفة لماهية
المحدود او المميزة له وقال جعفر بن محمد ايضا اي معاودا اذ الايض العود فاستعمل
لمعنى الصيرورة لا لتقاربهما في معنى الانتقال اي منتقلا معاودا الى الكلام في
الدنو انقطعت الكيفية عن الدنو لما مر من انه دنو علم وعناية لا امكان وغاية
الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودني محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة
المتعلقة بما بيوت المحصر من المواهب والايمان بما لا طريق اليه الا السمع بعد
البعثة وعليه حمل مفاد ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وبه العقل
بالنظر قبلها مما كان له به علم فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه اليه فاشرق
بانوار المعارف قلبه وزال عنه تهمة الشك والارتياب الذي عرى خاطره
هل يعني حضرة هذا القرب وينال مواهبه من انافة واكرام وشرف وانما
ام لا فابح الله امنيته لا الشك في ذلك اذ كان اثبت الناس معرفة وايمانا
واسكنهم بمهاجسنا وامكنهم يقينا واملكهم طمانينة وسكونا هذا او مما
رتع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس كما نفهم بدنو
مكان وقرب مدى ينتهي اليه كما ذكرنا عن جعفر الصادق انه ليس بدنو
حد يحس ببصر او يدرك بنظر وانما دنو النبي من ربه وقربه منه هو ابانة
عظيم منزلته وتشريف رتبته اعتنا بشانه واظهار الما لم يوته احد غيره
واشراق انوار معرفته بما عراه من الكرايم واحرزه في قصبات السبق من
المكارم ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته مما لم يطلع عليه غيره في نادي
التفضيل وانما الدنو والقرب من الله له مبرح فهو كناية عن جزيل فوايد اليه
وجميل عوايد هكذيه وتانيس لاستيحاشه بانقطاع الاصوات عنه وبسط
بالمكالمة واكرام بشرايف منيفة ويتاول فيه اي في دنوه تعالى منه ما يتاول
في النزول من قوله في حديث الكتب الستة عن ابي هريرة ينزل ربنا الى السماء
الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخر الحديث اي يول دنوه تعالى منه
بما يول به نزوله تعالى على احد الوجوه من ان نزوله تعالى انما هو نزول
افضاله واجماله من جميل عوايده كاجابة دعاء وقبول توبة واحسان
بمغفرة واسعاف او اجلال من مقتضى صفات الجلال كالانفة وعدم المبالات
والقهر والانتقام بمقتضى صفات الاكرام من الرافة والرحمة والاغضا واللطف
او تمثيل لسرعة اجابة من دعاه وسهولة انجاح طلبته بحال من قرب مكانه اذا دعي
اسرعت تلبيته فيكون دنوه منه تعالى دنو افضال بكرايم مواهبه وشرايف
منته وقال الواسطي من توهم انه وله المثل الاعلى بنفسه دنا فقد جعل
ثم مسافة ولا مسافة لاستحالتها بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا
تعبير للنسبة تدلي يعني كلما قرب منه نزل ساحة البعد كناية عن نفيهما جميعا
او عن درك حقيقته اذ لا يدركها احد ولا دنو الحق ولا بعد لاستحالتهما

في حقه تعالى هذا واما قوله تعالى فاني قريب فتمثيل لكمال علمه واجابته لعباده عن القرب
مكانا وقوله فمن جعل الضمير ثم دنى فتدلى عايدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان اي
الدنو عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة
من محمد اي كان الدنو يعني ما ذكر منه صلى الله عليه وسلم وكان عبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي بمهملة اي المبالغة في البر وانافة اي رفعة
المنزلة والمرتبة من الله هذا وحيث جعل عبارة عن القربين فهو كناية عنهما فقرب
من ربه قرب ذكر وعمل صالح وقرب ربه عنه قرب لطف وفيض نعم وتزاد مواهب
ومنن ويتاول فيه اي في الدنو ما يتاول في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البخاري من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا تمثيل يقرب المعنى للافهام اي
من تقرب الي بطاعتي جازيته باضعاف ما تقرب به الي ومن اتاني يمشي في طاعتي
اتيته هرولة اي سبقته بجزاي فهو قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان
وتعجيل بالمامول ثوابا مضاعفا على حسب ما تقرب به وقد سلك به طريق المشاكلة
فسماه تقربا فصل في ذكر ما يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم في
القيامة بخصوص الكرامة وقد اسند هنا من طريق الترمذي من حديث انا اول
الناس خروجا يعني من القبر اكراما له اذا بعثوا اي اثيروا من قبورهم وانا خطيبهم
اذا وفدوا على ربهم اي متكلم بين يديه عنهم وانا مبشرهم بما يسرهم من ربهم اذا ايسوا
من شدة ذلك اليوم وهوله ولواء الحمد بيدي لانفراده بالحمد وشهرته فيه بشهادة
حديث فاحمد ربي بمحامد يلهمنيها ذلك اليوم لا اقدر عليها الان او لان تجمع لواءه
حقيقة اذا اقيم في مقامه المحمود وفتح عليه فيه ما لم يفتح على غيره وانا اكرم ولد ادم
على ربه اخبار بما منحه به من السودد والاكرام والتحدث بمزيد الفضل والالهام واعلام
لامته ليومنوا به على حسبه وموجبه ولا فخر حال يوكده اي اقول هذا غير مفتخر به فخر
عجب وتكبر اذ هو مجرد اكرام وتشريف لم انله بسعيي واجتهاد وفي رواية ابي نعيم في الدلايل
عن زحر بزاي مفتوحة فمهملة ساكنة عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث وانا
قايدهم اذا وفدوا لانه السيد به يقتدى والامين به يرتضى وفي الحديث قريش قادة
زادة اي يقودون الجيوش والناس تبع لهم وروي ان قصيا قسم كرمه بين بنيه فاعطى
عبد مناف قود الجيوش ثم وليها عبد شمس فامية فحرب فابو سفيان وانا خطيبهم
اذا انصتوا اي سكتوا عن الاعتذار ولم يوذن لهم فاعتذر لهم عند ربهم وانا
شفيعهم اذا حبسوا في القيامة فيموج بعضهم في بعض فيفزعون الى الانبيا فيقول
كل نفسي نفسي فياتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضا وانا مبشرهم
فيقول شفاعتي لهم عند ربي ليرحمهم اذا ابلسوا اي يئسوا وتحيروا والمبلس اليايس
المتحير سمي بالاسا لان نفسه لا تحدثه بالرجا به لواء الكرم بيدي لانفراده به بقبول
شفاعته لهم اولا اذ كان الفاتح لباب الشفاعة وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا
فخر اي لا اقوله افتخارا وتبجحا بل شكرا لله وتحدثا بنعمه ويطوف علي الف خادم
تخدمني في الجنة برفق وعناية كانهم لولو مكنون وروى الترمذي وصححه عن ابي
هريرة وانا اكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش تلويح بقربه من ربه وكرامته

عنه اذ يكسى من الجنة قبل دخولها بلباس عن يمين العرش حيث عري الناس ليس احد من
الخلايق يقوم ذلك المقام غيري لاختصاصه به لا يشركه فيه غيره وروى الترمذي
وحسنه وابن ماجه عن ابي سعيد الخدري انا سيد ولد ادم يوم القيامة تنبيه
لاصحابه على ماخفي عليهم من حاله وقيد سيادته به مع كونه سيدا مطلقا لظهورها
فيه لكل احد ولا منازع وسياتي له مزيد بيان وبيدي لواء الحمد ولا فخر اي غير مفتخر
تكبرا ومباهاة بل اعلام بما انعم به علي من شرايف الاكرام لاعتقاده والعمل بموجبه
تعظيما له وتوقيرا وما من نبي نكرة زيد عليه من الاستغراقية مستعملا في سياق
النفي فكسبته الاستغراق ادم فمن سواه اعتراض بين النفي والاستثنا
افاد ان ادم بالرفع بدل او بيانا من محله ومن فيه موصوله وسواه صلتها وجي بالفا
دون الواو للترتيب الاسفل فالاسفل كابراهيم فنوح فموسى فعيسى الا تحت لواي
وانا اول من تنشق عنه الارض تكريما له وتبجيلا ولا فخر تعاظما وعجبا وحاشاه
من ذلك وروى مسلم عن ابي هريرة انا سيد ولد ادم يوم القيامة اخبارا بما
اكرمه الله به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمته عليه واعلاما لامته ليومنوا به
ويعملوا بموجبه واول من ينشق عنه القبر تشريفا له وتكريما واول شافع واول
مشفع بشهادة حديث البخاري يحبس المومنون يوم القيامة فيقولون لو ه
استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي
في داره فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ماشا ان يدعني فيقول ارفع
وقل يسمع واشفع تشفع وروى الترمذي والدارمي عن ابن عباس انا حامل لواء
الحمد يوم القيامة ولا فخر اي فيهم لازاحة ما بهم من الكرب وهو الموقف وادم مشفع
لانه صاحبه وسيد اهله بلا نزاع وقايدهم بلا دفاع وانا اول شافع اي فيهم لازاحة
ما بهم من الكرب وهو الموقف واول مشفع بقبول شفاعته فيه ولا فخر بذلك
اذ هو محض كرامة خصني الله بها لم انلها باجتهاد وانا اول من يحرك حلق باب الجنة
فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين لكرامتهم على ربهم وشرفهم لديه بمتابعتهم
نبيه صلى الله عليه وسلم وتعليمهم سبحانه بهذا ان الفقر اما محمود وهو غنى النفس
الممدوح بقوله ليس الغنى بكثرة العرض وانما الغنى غنى النفس ومنه
غنى النفس مايكفيك عن سد حاجة • فان زاد شيا عاد ذاك الغنى فقرا
ومذموم وهو فقر النفس الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وروى مسلم انا اول الناس يشفع في الجنة لرفع درجات
الناس فيها وفي العصاة ليدخلوها وانا اكثر الناس من الانبيا وفي رواية الانبياء
تبعا وروى الشيخان عن انس انا سيد الناس يوم القيامة اذ هو الذي يفزع
اليه في الشدايد ويتوسل به في النوايب فيدفعها عنهم بيمن همته وحسن شفقته
وقيد سيادته بيومها مع كونه سيد الدنيا والاخرة كما سيأتي لظهورها فيه
بلا منازع ومعاند وقد نازعه في الدنيا زعما الكفرة ورووسا الفجرة وكفى به
شاهدا بها له على جميع الخلايق لان مذهبنا اهل السنة ان النوع البشري افضل
من النوع الملكي واما حديث لا تفضلوا بين الانبيا فقاله ـــــ النووي وغيره

انما قاله قبل ان يعلم انه سيدهم او تواضعا وادبا او نهى عن تفضيل في نفس النبوة
اذ لا تفضيل فيها وانما هو في الخصايص والفضايل ولا بد من اعتقادها بينهم بشهادة
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وتدرون لم ذاك كانه قال الله ورسوله اعلم
فقال يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة اذا كان يوم القيامة
ماج الناس بعضهم في بعض فياتون ادم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال
فياتوني فاقول انا لها الحديث انا الكاين لها والكافل بها والمختص ومن ثم قيل انت
لها احمر من البشر وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع طمع العبيد
في موالهم ليعودوا علمهم بالافضال ان اكون اكثر الانبيا اجرا يوم القيامة
لانه اعظمهم مشقة بما كلفه من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو الفجرة واباهم
كانما اخذت مسامعهم عن استماع الحق والاذعان للصدق وما كان مناه وغايته
متمناه الا ان يومنوا فيفوزوا حتى قال له ربه لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين
وفي حديث اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال
افرادهما بالذكر لما اوتيه ابراهيم من شرف الكرامة وعظم المنزلة وجلالة المرتبة بامر
الله خير الخلايق باتباع ملته بقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم مع اشعار
ثم في الاية بتباعد هذا الوصف في المرتبة من بين سائر ما اتى الله عليه به من الاوصاف
اي في التوحيد والدعوة اليه واقامة الحجج والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه ولما ميز
عيسى من شرف البشارة بنبينا والدعوة الى تصديقه وتمهيد قواعد دينه والحكم
في اخر الزمان به وتغيير بعض احكامه كترك اخذ الجزية ولا يقبل منهم الا الاسلام
ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي اذ قال ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وذريتي اذ
لا نزاع انه من نسل ولده اسماعيل ولم يبعث فيهم نبي سواه فهو المجاب به بدعوته
واما عيسى فالانبياء اخوة اي اولاد اب واحد لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد
وايمان بما يجب تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى ما به ينتظم معاشهم
وحسن معادهم ولتشاركهم فيه اعتقادا كان لهم كاب واحد بنوه علات من العلل
وهو الشرب ثانيا فكان الزوج على ضرتها بعد ما نهل من قبلها اي اولاد ضراير
امهاتهم شتى جمع شتيت كمرضى ومريض اي متفرقات في النسب شبه الاصل الذي
كان سببا لابراز كل في زمنه وهو الدين الحق الذي فطر الناس عليه مستعدين
لقبوله متمكنين من الوقوف عليه والتمسك به باب واحد لهم على طريقة الاستعارة
التحقيقية ثم قرنها بما يلايم المشبه به اعني الاخوة ترشيحا للمجاز ثم شبه ما اختلفوا
فيه من تفاريع الشرايع التي هي كالوصلة المودية للدين والاوعية الحافظة بالامهات
العلات المختلفات نسبا فاستعار اسمها له استعارة تحقيقية وقرنها بما
يلايم المشبه به اعني كونهن شتى ترشيحا للمجاز وان عيسى اخي من حيث انه بشر
به ومهد قواعد ملته ودعا الى تصديقه ودينه متصل بدينه ليس بيني وبينه
نبي فانا اولى الناس به اي احق به منهم اذ كان اقرب الرسل اليه وروى البخاري
ومسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة الانبيا من علات امهاتهم

شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي هذا وقوله انا سيد الناس يوم القيامة اصله
سيود فهو سيود داود بالاجتماع ثم ادغم يا لسبقتها بالسكون والتقييد
بيوم القيامة مع كونه هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اظهر كما تقدم
بذلك لانفراده فيه بالسودد والشفاعة العظمى لفصل القضاء المنبئة عن شرفه
ورفعة قدره دون غيره اذ اي حين لجأ الناس اليه في حوائجهم فيه لكشف كرب ودفع
شدائد ورفع مكاره فكان حينئذ اي وقت يلجؤون اليه سيدا منفردا بالسودد
لتقدمه من يدعيه اذ ذاك من بني آدم لم يزاحمه في ذلك احد ولا ادعاه وهذا
كما قال تعالى اي يوم القيامة لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اي والحال ان حقيقة الامر ناطقة بانه الملك
في الدنيا والآخرة ولكن في الآخرة زالت الاسباب وارتفعت الوسائط وانقطعت
دعوى المدعين لذلك في الدنيا كذلك اي ومثل كونه تعالى مالكا فيهما كون
محمد سيدا فيهما ومن ثم لجأ الى محمد جميع الناس في الشفاعة ليريحهم من هول موقفهم
وشدة مصائبهم وفظاعة حالهم فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى من انه سيد
وروى مسلم عن انس آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من
انت فيقول محمد فيقول بك مثل الباء متعلقة بالفعل بعدها ثم هي اما سببية وقدمت
للتخصيص اي بسببك امرت لا افتح لاحد قبلك لا بسبب آخر وصلة له ولا افتح
بدل من مجرورها اي امرت بان لا افتح لاحد غيرك وروى الشيخان عن عبد الله بن
عمرو حوضي مسيرة اي مسيرة حوضي شهر وزواياه سواء لانه مربع لا يزيد طوله
عن عرضه وماؤه ابيض اسم تفضيل من الالوان وكذلك به شاهد بجواز بنائه
كفعل التعجب منها ومن العيوب بدون اشد وابلغ وان منعه النحاة بدونه فيقال
ما ابلغ زيدا او هو ابيض من الورق اي الفضة فهي لغة قليلة لا يلزم من قلتها
عدم فصاحتها لصدورها عن ابلغ العرب فصاحة وريحه اطيب من ريح المسك
تخصيصه بالذكر لانه اطيب الطيب فريحه اطيب الاطيب وكيزانه كنجوم السماء
اي كثرة واشراقا قيل هذا من باب حديث لا يضع العصا عن عاتقه فالمراد الكثرة جدا
والصواب ما قاله النووي ان العدد على ظاهره ولا مانع منه عقلا ولا شرعا بشهادة
روايته مؤكدا بالقسم في حديث والذي نفسي بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء
من شرب منه لم يظمأ ابدا من الظما مهموز مقصور اي لم يعطش وروى مسلم
عن ابي ذر نحوه قال اي ابو ذر في حديثه في صفة الحوض طوله ما بين عمان بضم
العين وتخفيف الميم من قرى اليمن قيل سميت بعمان بن سبا من ولد ابراهيم وبفتح العين
وتشديد الميم من قرى الشام بالبلقاء من اقصى حوران قيل سميت بعمان بن لوط
اذ كان يسكنها اي مسافة ما بين طرفيه مثل المسافة منها الى ايلة بياء ساكنة
بعد همزة مفتوحة قرية في آخر طرف الشام بساحل البحر بينها وبين الطور
عقبتها وبين طيبة خمس عشرة مرحلة وبين دمشق نحو ثنتي عشرة وبين مصر نحو ثمان
منها هارون بن سعيد الايلي قيل هي التي قال الله فيها واسألهم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر يغت بضم الغين وفتحها اي يسيل فيه ميزابان من الجنة سيلا شديدا

متابعا

متتابعا وعن ثوبان فيما رواه مسلم عنه مثله وقال اي ثوبان احدهما من ذهب والآخر
من ورق اي فضة وفي رواية حارثة بن وهب فيما رواه الشيخان عنه كما بين المدينة
الشريفة وصنعاء من اليمن وقال انس فيما رواه الشيخان عنه ايلة وصنعاء وقال
ابن عمر فيما رواه الشيخان عنه كما بين الكوفة من العراق والحجر الاسود هذا واختلاف
الروايات في مقدار طوله انما هو لورود تقديره تمثيلا وتقريبا لفهم احد بحسبه وروى
حديث الحوض ايضا جابر بن سمرة فيما رواه مسلم عنه وعقبة بن عامر رواه مسلم
عنه والمستورد ورواه الشيخان عنه وابو برزة الاسلمي فيما رواه ابو داود
وابن حبان عنه وزيد بن ارقم ورواه احمد بن حنبل عنه وابن مسعود ورواه الشيخان
عنه وعبد الله بن زيد فيما رواه الشيخان عنه وسهل بن سعد ورواه الشيخان
عنه وسويد بن جبلة ورواه ابو زرعة الدمشقي عنه في مسند اهل الشام وابو
سعيد الخدري ورواه مسلم عنه وعبد الله بن الصنابحي قيل صوابه الصنابح
ابن الاعسر ورواه احمد وابن ماجه عنه وابو هريرة ورواه الشيخان عنه والبراء
وجندب وعائشة كما رواه مسلم عنها واسماء بنت ابي بكر كما رواه الشيخان عنها
وابو بكرة كما رواه الطبراني عنه وخولة بنت قيس ورواه احمد وغيره عنها وغيرهم
كابي بكر في صحيح ابي عوانة عنه وعمر في البعث للبيهقي عنه وابي بن كعب واسامة بن
زيد وحذيفة بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين والحسن بن علي وسلمان الفارسي
وسمرة بن جندب وابو الدرداء وابو مسعود كلهم في الطبراني عنهم واسيد بن حضير
ورواه الشيخان عنه وابن عباس كما رواه البخاري عنه وام سلمة ورواه مسلم عنها
وجابر بن عبد الله وعائذ بن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم ورواه احمد في
مسنده عنهم ولقيط بن صبرة عنه في زيادات المسند عنه وخباب بن الارت في
المستدرك عنه وكعب بن عجرة في الترمذي والنسائي عنه وبريدة في مسند البزار
وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية في صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان في
كتاب ابن ابي الدنيا وعثمان بن مظعون في تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف في
الطبراني ومعاذ بن جبل في حادي الارواح هذا وزعم المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر
ان تواتره معنوي لا لفظي لقول ابن الصلاح وغيره انه لا يكاد يوجد بشرطه فصل
في ما ورد شاهدا بتكريمه صلى الله عليه وسلم بتفضيله بالمحبة والخلة قد تقدم
ما اذن حقيقتهما ومحبة الله لعبده ومحبة عبده له وقد اسند هنا من طريق البخاري عن
ابي سعيد لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر اي خليلا من الخلة بالضم
وهي الصداقة والمحبة التي تخللت باطن القلب والخليل الصديق الواد فعيل بمعنى
فاعل وربما ورد بمعنى مفعول وانما قال ذلك لقصره خلته على حب ربه فليس لغيره
فيهما من متاع الدنيا والاخرة متسع ولا شركة وهي حالة شريفة لا تنال بكسب واجتهاد
يخص الله بها من يشاء من عباده كهو صلى الله عليه وسلم ومثله حديث اني ابرأ الى كل ذي
خلة من خلته ومن جعله من الخلة بالفتح وهي الحاجة والفقر فمعناه اني ابرأ من الاعتماد
والافتقار الى غير ربي وفي رواية ابرأ الى كل خلة من خله بالفتح والكسر ومعناهما واحد
ومن طريق البخاري وغيره عن ابن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه

على طريقة التجريد جرد من نفسه مثله في الوصف بكونه صاحبهم ثم اخبر عنه بان الله
اتخذه خليلا وقد افاد هذه الاحاديث الخلة من الجانبين وعن ابن الانباري
الخليل هو المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفي حقيقتها ليس في حبها نقص ومن ثم
قال الواحدي لان الله خليل ابراهيم وابراهيم خليل الله ولا يجوز ان يقال الله
خليل ابراهيم ان جعل من الخلة التي هي الحاجة وروى الدارمي والترمذي عن ابن
عباس جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى دنى
منهم سمعهم وفي رواية فخرج سمعهم فهو حال من ضمير خرج بتقدير قد يتذاكرون
حال من منصوب سمعهم قال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا يريد ابراهيم
صلى الله عليه وسلم وقال اخر ماذا اي اتخاذ الله ابراهيم خليلا ليس باعجب من كلام
موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه الفا هنا افصحت
عن شرط مقدر مدخولها جوابه اي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه فاذكروا عيسى
كما في فلم تقتلوهم اي ان فخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم وقال اخر ادم اصطفاه الله
فخرج عليهم كرر ليناط به غير ما ينط به اولا او لانه خرج اولا من مكان الى اخر
فسمع قولهم ما رام خرج منه فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم اي ادركت
تعجبكم فحذف عامل الثاني كما حذف من نحو قلدته سيفا ورمحا اي واعطيته ان الله
اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك خليل الله وموسى نجي الله من المناجاة وهي
المخاطبة والمكالمة الواحد والجمع فيه سوا قال تعالى وقربناه نجيا خلصوا نجيا ۵
وهو كذلك نجيه وعيسى روح الله وهو كذلك روحه اي ذو روح خلقه
بلا واسطة شي يجري مجرى الاصل والمادة له وادم اصطفاه وهو كذلك
صفيه بالنبوة والخصائص الروحانية والجسمانية الا وانا حبيب الله وانا فخر
من حبة القلب وهي سويداه او بيان حبيته اي حرق حبه شغاف قلبي اي حجابه
حتى وصل حبته وهو فعيل بمعنى مفعول اي محبوبه وهذا من احد قسمي القول
بالموجب من حيث انهم قد اثبتوا للفريق من الانبيا صفات شريفة كريمة افادت
افضليتهم عليه مع ثبوت النبوة لهم فاثبت صلى الله عليه وسلم ردا عليهم الافضلية
لغيرهم وهو نفسه من غير تعرض لثبوت النبوة او نفيها عنهم كما في قوله يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمومنين
فالاعز صفة اراد بها المنافقون فريقهم مع اثباتهم لانفسهم اخراج المومنين منها
والاذل صفة ارادوا بها المومنين فاثبت الله ردا عليهم صفة العزة لغيرهم وهو
الله ورسوله والمومنون من غير تعرض لاثبات اخراجهم منها له تعالى ولرسوله
وللمومنين او نفيه عنهم واما الثاني فسميه فهو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف
مراده ومنه قولي في بديعية مدحت بها نبينا صلى الله عليه وسلم ۵

۵ قالوا سلوا الهوى قولا بموجبه يبري ۵ فقلت عظامي يوم بينهم ۵

وانا حامل لواء الحمد في المقام المحمود الذي فيه يشرف على جميع الخلايق ويحمدونه
وهو عام في كل ما يجلب الحمد من انواع المكارم يوم القيامة ولا فخر واول شافع
واول مشفع ولا فخر اذ لا يتقدم لاحد في الشفاعة لشهادة حديث اول مدعو محمد فيقول

لبيك وسعديك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك
الا اليك تباركت وتعاليت وانا اول من يحرك حلق باب الجنة فيفتح الله لي ويدخلنيها
اخره تقدم لفظا فيدخلنيها ومعي فقراء المهاجرين وفي رواية فقراء المسلمين
والمومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين تقدم لفظا وبيانا وفي حديث ابي هريرة ۵
في احاديث الاسرا من قول الله اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت
قيل بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق اي انت حبيب الرحمن فصل
اختلفوا في تفسير الخلة واشتقاقها فهو كما مر اما بمعنى الصداقة والمحبة التي
تتخلل باطن القلب من الخلال وهو وسط الشي فان الود يتخلل النفس ويخالطها
او بمعنى الحاجة والفقر من الخلل اذ كل خليل يحتاج الى ان يسد خلل خليله وفي الحديث
اللهم ساد الخلة اي الحاجة والفقر اي جابرها او بمعنى الطريق في الرمل من الخل
وهو السلوك فانهما يترافقان فيه او بمعنى الخلة وهي الخصلة فانهما يتوافقان
في الخصال وقد تطلق الخلة على الخليل ويستوي فيه المذكر والمونث اذ هو في الاصل
مصدر سمي به ومنه حديث عايشة كان يذبح الشاة فيفرقها في خلايل خديجة
جمع خليلة وقول كعب بن زهير ۵

يا ويحها خلة لو انها صدقت ۵ موعودها او لو ان النصح مقبول ۵

فقيل الخليل هو المنقطع الى الله معتمدا عليه معرضا عما سواه فهو الذي
ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال يحتاج الى جبر يصلحه وفي حديث علي
جبار القلوب على فطراتها من جبر كسر عظمه كانه اقام القلوب واثبتها على ما فطرها
عليه شقيها وسعيدها وقيل الخليل هو المختص بخدمة الله والخيار بما كلفه فعلا
وتركا او الذي اختصه الله فجعله من خاصته وخالص عباده واختار هذا القول
غير واحد من الايمة وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا اي الاختيار من الصفوة
اي الخيرة التي بها الاستقامة على الخير وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه
اي بسببه لا لحظ نفسه الامارة بالسوء بحيث لفته هواها مع حبسها في طاعته بما
كلفه بامر ونهي ومع مصارعة اعداء الله ومرابطتهم وللتجارك والحب في الله والبغض
في الله من الايمان وخلة الله له اي لابراهيم نصره وجعله اماما لمن بعده فامامته
عامة مويدة بشهادة اني جاعلك للناس اماما اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مامورا باتباعه وفي نسخة وجعله اماما لمن بعده بشهادة ربنا واجعل هذا بلدا
امنا اي ذا امن في لجاه اليه كعيشة راضية او امنا حاضروه كليل نايم وقيل الخليل
اصله الفقير المحتاج المنقطع عن الاعوان والاخوان ماخوذ من الخلة وهي
الحاجة لافتقار صاحبها الى انتصار يعضده فسمي به ابراهيم لانه قصر حاجته
على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره بكسر القاف وفتح البا اي لم يكل همه
الى احد غيره ولم يعول عليه وصار بحيث اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال له الك حاجة قال اما اليك فلا فنصره اذ القوه فيها فكانت عليه
بردا وسلاما فخص بهذا التذكر لاسم لذلك وان شاركه جميع الموجودات في افتقارها
الى الله وقال ابن فورك بضم الفا الخلة صفاء المودة اي المحبة للحبيب خالصة

من شوايب المخالفات منزهة عن الغفلات والزلات فلا يزال معنيا على مودته
التي توجب الاختصاص من الودود للواد او من الواد للمودود بتخليل الاسرار
بخاويف صبات القلوب وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها اي معنى محبة
الله لعباده الاسعاف لعباده باعانتهم وتفريحهم وقضا حوايجهم والالطاف بهم
توفيقا لطاعته وتسهيلا عليهم عبادته وحفظا لتوحيدهم وصونا لعقايدهم
وسلامة لقلوبهم والترفع لمراتبهم بالكمالات النفسيه والادراكات العلمية
والعملية ومحبة عباده له والتشفيع بقبول شفاعة نبيهم فيهم لفصل القضا
ولرفع درجات قوم في الجنة ولمن مات بمدينته كما رواه الترمذي وصححه ولبعض
صلحاء المومنين فيتجاوز عن تقصيرهم في العبادة وقبل لاطفال الكفار لئلا يخلدوا
ولدخول اخرين فيها بغير حساب ولعدم دخول جماعة مومنين النار قد استحقوها
ولاخراج من دخلها منها وتخفيف عذاب بعض استحق الخلود فيها كابي طالب
بشهادة حديث البخاري قال العباس يا رسول الله هل نفعت عمك ابا طالب
بشي قال نعم هو في ضحضاح من نار يغلي منه ام دماغه ولولا انا لكان في الدرك
الاسفل من النار وبقبول شفاعة الانبيا وكذا الصلحا بشهادة حديث
الترمذي من امتي من يشفع للفيام ومنهم للقبيلة وللرجل وللرجلين على قدر عمله
وحديث ابن ماجه وحبان وغيرهما ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من
بني تميم وقد بين ذلك اي الله بطريق المفهوم ان معنى المحبة ما ذكر بقوله
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه كذبا منهم انهم اتباع ابنيه
عزير والمسيح قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم
ومن كان بهذه المكانة لا يعذب وتعذيبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ
وسيعذبكم بالنار باعترافكم اياما معدودة فاوجب اشار فا المعبود ان لا
يواخذ بذنوبه اذ لا يعذب الحبيب حبيبه والوالد ولده بالنار قال مركب
من اسمي فعل واشارة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر هذا او هذا كما ذكر
او خذ هذا او قد يذكر خبر كما في هذا ذكر والخلة اقوى من البنوة بتقديم الموحدة
على النون لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم اي ان منهم ازواجا يعادونكم ويخاصمنكم واولادا يعادونكم
ويعقونكم فاحذروهم ان تامنوا غوايلهم وشرهم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة
لمضادة كل منهما للاخرى فان اتسمة ابراهيم ومحمد بالخلة اما بانقطاعهما
الى الله معتمدين في جميع امورهما وقف حوايجهما عليه متكلين بالاستغنا
به والانقطاع اليه عمن دونه والاعراض عن الوسايط والاسباب
راغبين في جميل اسعاده وجزيل امداده او لزيادة الاختصاص منه لهما
اكراما لهما بصفايهما الله قلبا وصدقهما له شوقا وحبا وحفي بالمهملة اي
لزيادة مبالغته في اكرامه لهما والطافه الحاصلة منه عندهما يقال احفى
به وحفي وتحفى اي بالغ في اكرامه واستقصى وفي الحديث ان امراة دخلت عليه صلى
الله عليه وسلم فسالها فاحفى وقال انها كانت تاتينا في زمن خديجة وان كرم العهد

ذلك البعض هذا و

س

من الايمان وفي نسخة بالمعجمة من اخفى الشيء اذا ستره لا من خفيه اذا اظهره وحديث
خير الذكر الخفي يحتملهما فهو اما من الاخفا بمعنى الستر اي خير ما اخفاه الذاكر
وستره عن الناس او من الخفي بمعنى الشهرة والظهور اي خير ما ظهر وشهر من خير
وكفاية ناصر له قول الحرمي ان سعد بن ابي وقاص اجاب ابنه عمر فيما دعاه اليه
من الظهور وطلب الخلافة بهذا الحديث وما خالل اي خالط بواطنهما فاطمانت
عليه خواطرهما من الاسرار الالهية التي تورث السيادة والسعادة ومكنون
اي مصون غيوبه جمع غيب وهو ما غاب عن مشاهدة العيون ومعرفته المنصبة
عليهما ما ابيناه من ملكوت السموات والارض او استصفايه لهما مصدر مضاف
الى فاعله اي اختاره لهما لنفسه تخصيصهما بمزيد فضل على امثالهما ومنه حديث محمد
خيرة الله من خلقه واستصفا قلوبهما مصدر مضاف الى مفعوله اي صفاهما
ورده وخلصهما له عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم
الخليل من لا يتسع قلبه لسواه لعدم اعتقاده اهلا لغيره بمراقبته جناب القدر
منتقضا في سلك وصال الانس وهو اي ما ذكر من نعت الخليل معنى قوله صلى
الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ان من امن الناس علي في صحبته وماله ابا بكر
ولو كنت متخذا خليلا من الناس ارجع في الحاجات اليه واعتمد في المهمات عليه
لاتخذت ابا بكر خليلا اذ هو الصاحب الودود والصديق الحميم بل الذي الجا
اليه واتوكل في مجامع احوالي عليه هو الله ربي وانما سمي ابراهيم خليلا اي من
الخلة بالفتح وهي الخصلة لتخلقه بخلال حسنة فاختص به او من التخلل لتخلل
الحب شغاف قلبه واستيلايه عليه او من الخلة اذ لم يفتقر الا اليه ولم يتوكل الا
عليه ولكن اخوة الاسلام استدراك من مضمون الجملة الشرطية اي ليس بيني
وبينه خلة ولكن اخوة الاسلام تنفي الخلة المفضية الى الحاجة واثبت الاخوة
الموذنة بالمساواة واختلف العلما ارباب القلوب الصافية والالباب الواثقة
ايهما ارفع درجة الخلة ارفع من درجة المحبة او درجة المحبة ارفع من درجة الخلة
فجعلهما بعضهم سواء ليس بينهما تفاوت فلا يكون الحبيب الا خليلا
ولا يكون الخليل الا حبيبا لكنه جل من كريم خص ابراهيم بالخلة لتخلل صفا
وده ربه قلبه وثبوته فيه وخص محمدا بالمحبة لخرق حبه رتبة شغاف قلبه اي حجابه
واستيلايه عليه حتى وصل حبه قلبه وبعضهم قال درجة الخلة ارفع من
درجة المحبة واحتج لما زعمه بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري لو كنت
متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذ اي الغير خليلا ومع ذلك فانه صلى الله عليه وسلم
قد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها الحسنين واسامة بن مولاه زيد بن حارثة
وغيرهم كابي بكر وعمر وعايشة فلو كانت ارفع منها لم يتخذ غير ربه ممن ذكر حبيبا
كما لم يتخذ غيره خليلا واكثرهم جعل المحبة ارفع درجة من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم هذا وانت خبير بان ارفعية المحبة حينيذ
على الخلة انما هي من حيث ارفعية موصوفها لا من حيث ذاتها واصل المحبة من جهة
القلب تقول حببته اي اصبت حبه قلبه فرسخ فيها وتمكن ثم نشا عنه الميل الى

مايوافق المحب اي المحبوب من ارادة طاعته وابتغاء رضاه ولكن هذا في حق من
يصح الميل منه اي محبوبه والانتفاع بالموفق اي بالشيء الموافق له تسمية له
بالمصدر وهي اي المحبة بمعنى الميل في حق من يصح منه الميل دون المخلوق فاما
الخالق فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكنه من سعادته بايجادها فيه
فيذيب طاعته ويجتنب طاعته معصيته وعصمته بالرفع او الجر عطفا على
تمكينه او على سعادته بمنعه بعدم خلق الذنب فيه وتوفيقه لذلك بخلق قدرة
الطاعة فيه وتهيئة اسباب القرب منه تعالى اليه من نحو صلاة وتسبيح
وتحميد وتكبير وافاضة رحمته عليه شبه الرحمة لكثرتها وسعتها لكل شيء
بماء غمر فتشبيهها به استعارة تخييلية حتى كانها من جنسه مناسبا للتشبيه
رفضوا اهما من ... ان ما ينسب اليه تعالى مما لا يليق بمعناه بجنابه انما يوخذ
باعتبار غايته التي هي اما فعل او ارادة اي غاية محبته تعالى لعبده كشف
الحجاب عن قلبه اي ستره المانع له من رويته حتى يراه بقلبه وينظر اليه هو
ببصيرته كما قال في حديث البخاري وغيره فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به اي اجعل سلطان محبتي
له آخذا بمجامع قلبه فلا يهم الا بما يريد به رضاي وانا مع ذلك له مويد اتم
ومعينا في سمعه وبصره ولسانه فلا يحل سمعا وبصرا ونطقا وفي رواية
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله
الذي يمشي بها وحاصله تعلق كلية العبد بمراضي ربه وحسن رعايته لربه
ولا ينبغي ان يهم من هذا سوى التجرد لله عما يشغل عنه والانقطاع
اليه عن كل تلبس وتلبيث والاعراض عن غير الله حتى كانه ولله المثل الاعلى بمراى
منه ومسمع وصفا القلب لله من شوايب الرذايل والادناس واخلاص الحركات
لله مما يبعد دنوا ايها بعدم قبولها بشهادة حديث مسلم انا اغنى الشركا عن
الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه كما قالت عايشة فيما تقدم
كان خلقه القران يرضاه اي بما كان فعله مرضيا مما اذن فيه واجبا ومندوبا
ومباحا يرضى ويسخطه اي بما كان فعله مسخطا مما نهي عنه حراما او مكروها وخلاف
الاولى يسخط وفتح المجرور للحصر اذ هو معدن الاحكام ومنبع الحلال والحرام
ومن هذا الذي ذكر في معنى الخلة وماخذها عبر بعضهم عن بعض ماخذ
الخلة بقوله قد تخللت بحبي اياك مستحلا مسلك الروح مني وجاس خلال
مجامعه وسرى فيها سريان روحي في بدني كالماء في العود وبذا اي وبسبب
كون الخلة من التخلل سمي الخليل ابراهيم خليلا لتخلل حبه ربه شغاف قلبه
واستيلايه عليه وتمكنه منه فلم ير احد غيره يفتقر في اموره اليه ويعتمد
في مجامع احواله عليه ومن ثم قال لجبريل وقد قال له وهو في المنجنيق الك
حاجة اما اليك فلا فاذا ما نطقت كنت حديثي لكثرة تولعه بذكره هو
وخطوره بباله وحضوره بافنية ضمايره واذا ما سكنت كنت الغليلا من
الخلة وهي حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري اياك مضرما بجوانح قلبي عطشا

بعدم نطقي بك فانها ازاحة الغم واراحة النفس بذكرها لاحبة وتوقد الجوانح بعدم ذكرهم
وما في مصراعي البيت زايد فاذن مزية الخلة من حيث انها صفاء وود يتخلل شغاف
القلب وخصوصية المحبة من حيث انها من حبة القلب وهي سويداوه وقيل ومن
حيث صدقهما من الجانبين اذ نعت محمد بحبيب الله والله حبيب محمد بشهادة
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
خلاف الخلة اذ لا تنسب الى الله فلا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم
خليل الله واذ كانت من الاسماء الاضافية المؤذن وجود احدهما بوجود الاخر
وارتفاعه بارتفاعه قلت كلاهما نعم تنسب ايضا اليه بشهادة لو كنت متخذا
خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهي ايضا تصدق
منهما وكلتاهما حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار
بما دل كلو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي رواية ولكن اخي وصاحبي
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا الا وانا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث
الصحيحة المشتهرة المتلقات بالقبول من الامة وكفى بقوله ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله شهيدا بحصولها له صلى الله عليه وسلم بشهادة ع
ما حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار كما صرا انما يريد
محمد ان نتخذه حنانا الحنان الرحمة او العطف اي نتخذه حنانا من الرحمة فنرحمه
ونعطف عليه ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا فانزل
الله غيظا لهم وزعما ورد على مقالتهم منقولات لاجلها انزال قل اطيعوا
الله والرسول فزاده شرفا بامرهم مصدر مضاف الى المفعول اي بامره الله ايا هم
بطاعته وقرنها بطاعته زيادة لشرفه ابينها ثم توعدهم على التولي اي
الاعراض عنه بعدم انقيادهم له بقوله فان تولوا ماض او مضارع اي تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ووضع الظاهر موضع
المضمر قصدا للعموم وان التولي كفر وان محبته مختصة بالمومنين وقد
نقل الامام ابو بكر ابن فورك بضم اوله غير منصرف للعلمية والعجمة عن
بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول ... لكن جملة اسا وانه
ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة فمن ذلك قولهم الخليل يصل اي من
اتخذ خليلا بالواسطة اخذا الوصلة اليه بها من قوله وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون بواسطة ارادة الله له ذلك من الموقنين
والحبيب يصل لحبيبه به بدون واسطة اخلا له من قوله فكان قاب قوسين
او ادنى اي قدر وقيل الخليل الذي مغفرته مصدر مضاف الى المفعول اي
الذي مغفرة الله له في حد الطمع منه فيها اخذا الكونها فيه من قوله والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين نسب لنفسه خطيئة هضما وتواضعا لربه
وطلب المغفرة ما عسى ان يند ويصدر منه مما يعاتب عليه وارشادا للامم ان
يجتنبوا المعاصي ونسبا لو استغفروا ما فرط منهم وحملها على قوله اني سقيم
بل فعله كبيرهم ... من اخذ ... ودوا بهما من معاريض لا خطايا والحبيب هو

الذي مغفرته في حد اليقين اخذ لكونها في حده من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر اي جميع ما تصح ان تعاتب بالتالا اولي لتاف على فعله مما ليس
بذنب والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون ببعثه والدي في الضالين ه
والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي تعريض بمن اخزاه الله من الكفرة
فابتدأ بالبشارة بنفي الخزي عنه قبل السوال والخليل قال في المحنة من غرود
اذ القاه في النار فكانت عليه بردا وسلاما حسبي الله اي محسبي الله وكافي من
احسبه اذا كفاه فهو بمعنى اسم الفاعل فلا تفيد اضافته تعريفا لجواز وصف
النكرة به في مثل هذا رجل حسبك والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله اي
محسبك الله وكافيك والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين
اي ذكرا جميلا فيمن يجي بعدي الي يوم القيامة فاستجيب له فما من امة الا وهم
يحبون له مثنون عليه والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك بقرن اسمه باسمه
في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد ونحو ذلك اعطي
ذلك بلا سوال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي
بعدني واياهم عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبني واراد ببنيه هم
لصلبه وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته مع دلالة على ان عصمة
الانبيا بتوفيق الله وحفظه اياهم والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اي الذنب المدنس لاعراضكم اهل البيت نصب على النداء والمدح
تلفا والخليل قيل له رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت نصب على المدح
والندا قصد التخصيص بهما وهو كلام مستانف علل به انكارهم تعجب
سارة اذ بشروها باسحاق اي لا تعجبي من ولادتك اياه عجوزا فان خوارق
العادات لاهل بيت النبوة ومهبط الوحي واكرامهم بمزيد النعم ليس ببدع
ولا يستغرب عاقل فضلا عمن نشات وشابت في مشاهدة الايات
ومعاينة المعجزات وفيما ذكرناه من الخلاف في تفسير الخلة واشتقاقها
وهل درجتها ارفع او درجة المحبة تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال
من تفضيل المقامات والاحوال للمحبة والخلة وكل يعمل على شاكلته اي
طريقته التي تشاكل حاله في الهدي والضلال فربكم اعلم بمن هو اهدي
سبيلا اي اسد طريقا وابين منهجا فصل في ذكر ما ينبه على تفضيله
صلى الله عليه وسلم بالشفاعة العظمى لاراحة اهل الموقف من تفاقم هوله وتعاظم
كربه والمقام المحمود قيل هو كل مقام تضمن كرامة يحمد فيه من عرفه ومن لم
يعرفه والمشهور كما مر وياتي انه مقام الشفاعة قال الله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما
محمودا او بتضمين يبعثك معناه او هو حال بمعنى يبعثك ذا مقام وقد اسند
هنا شاهدا لكونه مقام الشفاعة من طريق البخاري موقوفا على ابن عمر وهو
في حكم المرفوع اذ مثله كما قال الشافعي رحمه الله تعالى لا يقال من قبل
الراي قال ابن عمر ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى جمع جثوة

بعضهم

بضم جيمها وقد تكسر وهي ما جمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رايت
قبور الشهداء جثا اي اتربة مجموعة وقد روي بتشديد الياء جمع جاث وهو من يجلس على
ركبتيه ومن حديث حال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله اي يصيرون فيه جماعات
كل امة تتبع نبيها يقولون حال من الضمير اي قايلين يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع
لنا كناية عمن يطلبون منه ان يشفع لهم واحدا فواحدا حتى تنتهي الشفاعة الي النبي
اي ينتهي طلبها اليه والخبر محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا اي انتهاء الشفاعة
اليه واقع يوم يبعثه الله المقام المحمود وقد روي احمد والبيهقي اذ يبعثك
ربك مقاما محمودا فقال جوابا لمن سال هي الشفاعة لفصل القضا حين يفزع
في المحشر به ثم الي لبعض وروي كعب بن مالك فيما رواه احمد عنه صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل اي مكان عالي كالجبل ويكسوني
ربي حلة خضرا واحدة الحلل من برود اليمن ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين من جنس
واحد اما لان كلا يحل على الاخر او لانهما كانا جديدين كما حل طيهما ثم استمر الاسم عليهما
ثم يوذن لي في القول فاقول ما شا الله ان اقول في مراجعة ربي في الشفاعة فيوذن
لي فيها فيشفع كما مر وياتي فذلك المقام المحمود يحمد فيه كل احد تخليصا للحساب واراحة
من طول الموقف وعن ابن عمر قال فيمشي يعني النبي صلى الله عليه وسلم حتى ياخذ بحلقة
الجنة وفي رواية فاستاذن على ربي في داره فيوذن لي عليه فاذا رايته وقعت ساجدا
فيدعني ما شاء الله ان يدعني الي ان تلي عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام
المحمود الذي وعده نبيكم فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعد ان يقومه
يومئذ يوم القيامة وروي احمد وغيره عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه
اي المقام المحمود الذي وعد قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه به
الانبياء اما سببية اي يحصل بسبب اختصاصه بذلك المقام العظيم الذي لم ينله الاولون
والاخرون او ظرفية اي يحسدونه في ذلك اليوم على ما اوتيه هذا وحسد الغبطة
تمني ان يكون لك مثل ما لذي نعمة من دوامها عليه وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا
الا كما يضر العصاة الخبط قال في النهاية اراد صلى الله عليه وسلم ان الغبط لا يضر
ضرر الحسد الذي تمني مثلها مع زوالها عنه وانما يلحق الغابط من الضرر الراجع الي نقصان
ثوابه بقدر ما يلحق العصاة من خبط ورقها فهو وان كان فيه طرف من الحسد فهو
دونه في الاثم وروي احمد عن ابن مسعود اني اي والله اني لقايم المقام المحمود قال
ذلك هذا امر شد الي جواز القسم في الامر العظيم وقد اكرم هنا بان واسمية الجملة قوله
وما هو وللدارمي عنه قيل له ما المقام المحمود قال ذلك يوم الفصل ينزل الله على
كرسيه تمثيل لتجليه لعباده بصفة العظمة والكبريا واقباله عليهم لفصل القضا والعدل
بينهم وكشف حجابه المقربين منهم عنه بنزول ملك من قصره ليجلس على كرسي ملك الحكومة
وجنده قيام حوله صفا وبين في المراتب فياط كما ياط اي يصوت كما يصوت الرحل الجديد
من تضايقه به تصوير لعظمة التجلي وعزة الكبريا على طريقة الترشيح اذ فيه تشبيه الحالة
الغير المحققة بالحالة المحققة على طريقة الاستعارة التمثيلية ثم قرنها بما يلايم المشبه
به من الاطيط ترشيحا للمجاز والرحل بالمهملة قتب البعير وهو اي الكرسي يسعه ما بين السما

والارض حال او اعتراض ورد مؤذنا برفع توهم كون اطبطه للضيق واشارة الى قوله
وسع كرسيه السموات والارض تصويرا لسعته وتمثيلا لعظمه بحسب العرف لا بحسب
المقدار اذ هو في نفس الامر اوسع منهما ومنه وجنة عرضها السموات والارض لان ادنى
اهل الجنة منزلة مثل الدنيا وعشر امثالها ويجاء بكم حفاة عراة غرلا بمعجمة مضمومة
وراء ساكنة اي غلفا غير مختونين كما بدأكم تعودون فاكون اول من يكسى ابراهيم مكافاة
له واظهارا لفضله وتنويها لشرفه واعلاما برفعة محله لانه اول من عري في ذات
الله حين القي في النار وايذانا بهذه الفضيلة الواحدة لا يقدح في الحكم لنبينا بالفضل
على سائر الانبياء فكم له من فضائل خص بها لم يسبق عليها ولم يشارك فيها مع علمك بان
شفاعة فصل القضاء حينئذ لا يوذن فيها لاحد غيره لم تبق لاولى سبق سبقا ولا لذي
فضل فضلا يقول الله اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين اي ملاتين رقيقتين ه
بيضاوين من رياط الجنة كل واحدة ثوب واحد لبس بلفقتين ثم اكسى على اثره او
تبع بلا مهملة ثم اقوم على يمين الله تمثيل وتخييل لاظهار صفة الكمال بينهما ده
رواية وكلتا يديه يمين تنبيها على كما لهما الافتقار في واحدة منهما لان الشمال تنقص
عن اليمين وهذا هو الجواب عن سؤال ما المقام المحمود مع ايذان ما قبله ببعد
منزلة اليوم وعلو درجته من اسم الاشارة وما لوح بتفخيمه وتعظيم شانه من ايراده
نكرة ووصفه بالنزول فيه تصويرا لعظمة الله وتوقيفا على جلالة شانه وتنويها
لباهر قدرته ونفوذ كلمته في مخلوقاته فيه كملك جلس على كرسيه كما مر وذلك من غير
تصور نزول ولا حركة لنزاهة ساحة جلاله عن ذلك لكن فهمه صلى الله عليه وسلم
وقع من مفردات الكلام على خلاصته الدالة فيه على ظهور عظمة ربه ونفوذ كلمته
واجرا احكامه في خلقه على وفق العدل فعبارته جارية هذا وفي امثاله على طريقة
التمثيل والتصوير ولا ترى بابا في علم البيان ادق سلكا والطف مسلكا واعون على
تاويل المتشابه في كلام الله وكلام انبيائه من هذا الباب اذا كره تخييلات زلت
فيها اقدام الاقلام لقلة تاملهم وعدم التفاتهم الى علم لو قدروه حق قدره
لما خفي عليهم احتياجهم اليه في دقائق الكلام وتاويل متشابهه وكم من اية وحديث
ضيم بتاويلات عنه وسيم بافهام ردته هذا ولا يزال المتورع عن الخوض في متشابهه
كلام الله ورسوله في فسحة من عقله سالم بمنزله بفناء فهمه منزله مسمى جنسه ه
مقاما يغبطني الاولون والاخرون اي يتمنون ان يعطوا مثل ما اعطي ولا ينالوه
ابدا وروى ابن ماجه عن ابي موسى خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة اذ بها يدخلها كلهم ولو بعد دخول من مات مؤمنا
النار وقد اجمع اهل السنة على جواز الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
مع ما ورد من الاحاديث البالغة بمجموع طرقها التواتر ومنعها الخوارج وبعض المعتزلة
بخو فما تنفعهم شفاعة الشافعين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع بعلم قلنا
مختص بالكفار والمراد المشرك بشهادة لا ينال عهدي الظالمين تلويحا بانه قد يكون
من ذرية ابراهيم كفرة لانتفاء اهم الامانة لانها امانة وعهد من الله لا تصلح لهم وانما تنال
البررة الاتقياء منهم وتخصيصهم احاديث الشفاعة بزيادة الدرجات باطل لصراحة

الادلة باخراج من دخل النار من المؤمنين منها وخص نبينا منها بخمس شفاعات لتعجيل
الحساب اراحة للناس من هول الموقف وشدائده ولادخال جماعة الجنة بغير حساب
ولمن استحق دخول النار فلا يدخلها ولمن دخلها فيخرج منها ولزيادة درجات في الجنة
اترونها استفهام انكاري بمعنى النفي اي لا تظنون الشفاعة التي اختصصتها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخاطئين ورواية ابن عرفة اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الملوثين والمتنين بنون وقاف مفتوحتين مع تشديد القاف جمع منتن اي مطر معنى
وحسا من النتنية واستحسنها للوصف بالتلويث وروى ابو داود والترمذي
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وروى البيهقي وصححه ابو عبد الله الحاكم وصححه
عن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة ما استفهامية
مبتدا خبره ذا بمعنى الذي صلته ما بعده فقال شفاعتي محله رفع على الفاعلية اي
ورد علي شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله اي واني رسول الله ولم يذكر اكتفا باحد
الجزئين عن الاخر علما بانه لا بد من الاتيان به في صحة الاسلام مخلصا حال من الموصول
اي غير مشوبة شهادته بشرك يصدق لسانه قلبه بان يكون اعتقاده مطابقا
لما نطق به وروى البيهقي والحاكم عن ام حبيبة اريت ما تلقى امتي من بعدي
اي اطلعني الله على ما يقع بها من نوائب ونوائب وحذف الفاعل للعلم به وكيفية الاراءة
لتذهب النفس كل مذهب ممكن وسفك بعضهم مصدر مضاف الى فاعله اي اريت
وحيا او مشافهة او الهاما ما وقع بينهم من الفتن والحروب حتى هراق بعضهم دما
بعض واريت بمعنى اعلم ما سبق لهم من الله تقدير امن خير وشر وتعلقت به ابتدائي
ونوعه القدم وفق الارادة واريت ما سبق للامم قبلها فسالت الله ان
يوتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ليفوزوا بخلاصهم مما دهمهم عسرا دعواهم من
شدائد ذكرا ففعل اي اعطاه ما سال وروى البيهقي والنسائي موقوفا على حذيفة
قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي صوته لحدله
بعد الشفاعة لفصل القضاء ايها الخلائق هلموا الى الحساب وينفذهم البصر اي
يبلغهم ويجاوزهم بصر الناظر لاستواء الصعيد ان لا عوج فيه ولا امتى يتوارى فيه
احد وعن ابي عبيد ينفذهم بصر الرحمن اي ياتي عليهم كلهم وعن ابي حاتم المحدثون
يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة اي يبلغ اولهم واخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم
من نفذ الشيء وانفذته قال وحمل الحديث على بصر المبصر اولى من حمله على بصر
الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة في ارض يشهد جميع الخلائق حسابه
العبد الواحد على انفراده ويرون ما يصير اليه حفاة عراة لا نعال بارجلهم ولا ثياب
عليهم زاد الشيخان في روايتهما غرلا جمع اغرل اي اقلف وعن الزرقاني احب
صبيا نتا اليها طول الغرلة وانما احب طولها لتمام خلقه كما خلقوا اول من الناس
اي يجمعهم موصوفين بذلك ويجوز ان يراد به تشبيه اعادتهم بابتداء ايجادهم من
العدم لشمول الامكان لهما المصحح للمقدورية ولتناول القدرة لهما على السواء
والكاف مكفوفة بما المصدرية اي اعادتهم للحشر كخلقهم من العدم سكوتا حال من الناس
ايضا ومن ضمير خلقوا لا تكلم نفس بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذنه اي الله

تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا من موقف واما قوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ففي موقف اخر والماذون فيه هو الجوابات الحقة ه
والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة فينادي بالبنا للمفعول له محمد مرفوع نيابة
عن فاعله او مضموم مبنيا على النداء فيقول لبيك منصوب على المصدر بفعل لا يظهر
في الاستعمال من التلبية وهي اجابة المنادي اي اجابني لك يارب مشتق من لب
بالمكان والب اي اقام به ولم يستعمل الا بلفظ التثنية في معنى التكرير كانه قال في
الباب بعد الباب اي اجابة بعد اجابة وسعديك منصوب بفعل لا يظهر في الاستعمال
من المساعدة وهي المطاوعة ومتابعة الامر اي ساعدت طاعتك يارب مساعدة
بعد مساعدة ولم يستعمل الا مثنى ولم يسمع مفردا والخير في يديك كني بهما عما عنه
تطارع اعني التدرع لتشبيهها بهما فاستعار اسمهما لها استعارة تحقيقية
وعبر بهما ملائم المشبه به من كون الخير كانه مستقر فيه اترشيحا للمجاز والشر
ليس اليك فيه ارشاد الى سلوك الادب في الثنا على الله فيضاف اليه محاسن الاشيا
دون مقابحها وليس المراد نفي شيء عن تد ربه واثبات شيء لها اذ لا يخرج عنها شيء اي
لا ينسب الشر اليك ادبا او ان كنت خالقه او لا يتقرب به اليك ولا يبتغى به وجهك
او لا يصعد اليك وانما يصعد اليك الطيب قولا وعملا والمهتدي من هديت
بخلق الهداية والتوفيق فيه وعبدك بين يديك تشبيه لقربه من ربه ومزيد
اختصاصه بهيئة الانزيد بما بين ايدي الانسان فاستعير اسم
ما بينهما للقربه من ربه ولك عبدك اسلم منتقلا الطاعتك واليك انابة منقلبا
عليك لا ملجا مهموز مقصور ولا منجا بلا همز وقد يهمز للازدواج اي لا مستند
لاحد ولا مخلص له منك الا اليك ملتجا اليك تباركت اي تنزهت عما لا يليق بجناب
عزك وتعاليت عما يضاف اليك منه سبحانك رب البيت حذف منه حرف النداء
لقرب المنادي عند ذكر اي مبتدا وانت فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله في
قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ابن عباس اذا دخل اهل
النار النار قدمه ترهيبا منها وترغيبا في تجنب سبب دخولها اولان ذكر النقمة
بعد ذكر النعمة اوقع في النفس لتعاطي اسباب النجاة و دخل اهل الجنة الجنة فبقي
اخر زمرة من الزمر وهو الصوت لان الجماعة لا تخلو من قولهم شاة زمرى اي
قليلة الشعر ورجل زمر اي قليل المروءة اي جماعة من زمر اهل الجنة واخر زمرة من
زمر اهل النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم ظنوا جهلا منهم انهم
بخلفهم عن دخل الجنة قبلهم امتناع دخولهم اياها فلم يغن عنهم ايمانهم شيئا فيدعون
ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم
لتعلم زمرة النار ان ايمانهم نفعهم ويفوزوا بدخول الجنة فكل واحد منهم يعتذر
بما عوتب من معاد بعينه وليس بذنب حتى يأتون محمدا غاية لمجيئهم اليه بطلب
شفاعته لهم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود هذا موقوف على ابن عباس ومثله
لا يقال من قبل الراي فحكم الرفع ولم ادر من رواه ونحوه كما رواه احمد والطيالسي
عن ابن مسعود ومجاهد وذكره زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرسل ورواه الحاكم موصولا عن اهل العلم عنه و
روى مسلم قال جابر لتزيد الفقير فعيل بمعنى مفعول لرجع بفقار ظهره وهي خرزاته
من عجب الذنب اي نخرة الغفا ثنتان وثلاثون فقرة ضربت عايشة مثلا في عثمان
فقالت ركبوا منه الفقر الاربع استعارة من فقار الظهر لما ارتكبوا منه لانها
موضع الركوب اي انتهكوا فيه اربع حرم حرمة الصحبة والصهر والخلافة والبلد
سمعت حذف منه اداة الاستفهام اي اسمعت او هل سمعت بمقام محمد يعني الذي
ادخره الله له يبعثه الله فيه قال نعم اي سمعت اللفظ الذي افاد فيه قال اي
جابر بن عبد الله فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به وفتح ضمير بباء السببية
لصدور الشفاعة التي هي سبب الاخراج عنه من يخرج يعني من النار وذكر
اي جابر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين من النار فوجا فوجا وفي رواية
الشيخين عن انس وابي هريرة فيقولون لو لو هنا للتمني وهو طلب حصول شيء
على سبيل المحبة ممتنعا كان او ممكنا ثم ان كان ممكنا وجب ان لا يكون لك توقع
عة وطماعية في وقوعه والاصار ترجيا بلو استشفعنا الى ربنا تمنوا حصول الشفا
بطلبها ممن يشفع لهم غير طامعين في وقوعه وان كان ممكنا منزلة ممتنع لعجز
لو توقعه لبعده عن امنية اعتقادهم لما ادهشهم من شدة هول يوم غضب
لا غضب قبله ولا بعده اشد منه كما افاده حديث ان ربي غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله ولا بعده مثله وروى الشيخان عن ابي هريرة حديث الشفاعة وقال
فيه وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون من مكاره اودت
جوانحهم لهيبا واعزت بهم كربا فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون
فيقولون انت ادم هو ذنب بالكمال مع ابهام ما يراد منه بتفسير ابو البشر خلقك
الله بيده اي تولى ايجادك بنفسه ولكون ظهور اثار القدرة اكثر قصد وداعي
اليد كني بها عنها تمثيلا وتصويرا من غير توهم يد وحركة ونفخ فيك من روحه
اي روح خلقه بلا توسط مادة واسكنك جنته واسجد لك ملائكته سجود تحية
له تعظيما لشانه وتعظيما لامره واداء لحقه وعلمك اسماء كل شيء اظهارا لشرفه
وكمال علمه ووضع شيء موضع اشيا لافادة كل بدخولها عليه استغراقها اي اسماء
الاشياء المسميات اشفع لنا عند ربك حتى يخرجنا من مكاننا بشفاعتك الا ترى
ما نحن فيه من الكرب المحدق والهول المغدق فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله اي اشتد انكاره على من عصاه وسخط عليه مريد الانتقام منه
ولا يغضب بعده لانقطاع تكليف من يواخذ بترك ما كلفه ونهاني عن اكل الشجرة
فعصيته باكيا منها نفسي نفسي اعتذار عن تقاعده عن الشفاعة وتركها حزنا
وتحسرا وتندما على ما اصاب مستنزلا يشكوه بنا وحزنا من الله افاضة رحمته
واسباغ نعمته اذهبوا الى نوح فانه كغيره من الانبيا عليهم علمهم بان التخليق بها
نبينا ارادة من الله اشتهار فضله ومزيد فضله وعظيم منزلته واظهار ما وعده
به من مقام واحد محمود على رؤس الخلايق بعد احجام العظما واعتذارهم عنها ليعلم
ما لم يكن لو سالوه صلى الله عليه وسلم ابتداء ولو نجا بمزيته عليهم بابتدائه عليها دونهم

فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
استعطاف وتحريض له على اجابتهم الى ما سالوه ولعمري لم يدر من قال كيف يكون نوح
اول الرسل وادم وشيث كانا رسولين قبله ان ادم انما ارسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا
بل امرهم بتعليمهم الايمان وطاعة ربهم كم خلفه فيهم شيث كذلك وان نوحا اول رسول الى
كفار اهل الارض وامااد ريس وهو اخنوخ فهو ولد شيث وجد ابي نوح فان ورد
انه رسول فالى مومنين كابيه شيث الا تشفع لنا الى ربك فيقول مثله مثل ادم
ويذكر خطيئته التى اصاب اعتذارا عن تركه الشفاعة وعايد الموصول محذوف
اي التي اصابها سواله ربه بيان او بدل من خطيئته بغير علم حال من الضمير في
سواله او من سواله ما لا يليق ان يساله فكان الاولى ان لا يقول رب ان ابني من
اهلي وان وعدك الحق لا يعتريه خلف وقد وعدتني ان تنجي اهلي من الغرق وانه منهم
فنجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين امنوا وعملوا الصالحات انه عمل غير صالح
فلا تسالني ما ليس لك به علم اذهبوا الى ابراهيم فياتونه فيقولون مثل ما قالوا
لغيره فيقول ان ربي فذكر مثله اي مثل ادم ويذكر ثلاث كلمات اعتذارا عن تركه
الشفاعة هي اني سقيم فعله كبيرهم هذا انها اختي كذبهن وليست كذبا وانما هي
معاريض وتورية تنبي عن شي بوجه تعريضي ليبلغ به غرضه استنقص نفسه
بذكرها اذ من كان اعرف بالله واقرب منه منزلة كان اعظم خطرا واشد خشية
ومثل هذا ما عوتب عليه الانبيا فيما الاولى لهم تركه نفسي نفسي لست لها اهلا
اي الذي تحسبونه معدا لها ولكن عليكم بموسى استدراك لرفع ما ارهقهم من
خيبة الامل وزحمة التخذل وعليكم اسم فعل والبا زائدة اي الزموا موسى
واستعينوا فيها فانه كليم الله علة وتعريض على لزومه فان من كلمه تكليما
تحقيق ان يقصد اذ اتفاقمت الملمات وتفاحشت النكبات فياتون موسى فيقول
لست الذي ظننتم انه المعد لها ويذكر خطيئته التي اصاب لعلها عجلته الى ربه
فانها في نفسه نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما اعجلك عن قومك يا موسى
فانه سوال عن سببها نضمن انكارها من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال
قومه مبهما عليهم التعظيم فاجابه عن الامر وقتل النفس عطف تفسيري بشهادة
بعض رواة البخاري بغيره او اي وهي قتل القبطي الذي استغاثه الاسرايلي
عليه فوكزه موسى فقضى عليه اي فانهى حياته ولا يقدح ذلك في عصمته اذ لم
يكن عن عمد فعده من عمل الشيطان وتسميته ظلما والاستغفار منه جرى على
عادتهم في استعظامهم محقرات جايزة صدرت عنهم نفسي نفسي عليكم بعيسى
يجرى فيه ما مر فانه روح الله اي ذو روح اجراها فيه ونفخ جبريل في جيب درعها
درعها فاحرته في بطن امه بلا توسط مادة وكلمته فياتونه فيقول لست المعد
لها عليكم بمحمد البا فيه وفيما مر زيدت للاستعانة عبد صفة لمحمد ويجوز كونه
خبرا حذف مبتداوه اي هو عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي جميع
ما صدر منه مما صح ان يعاتب عليه وليس في نفسه بذنب لعصمته كغيره من الانبياء
فاوتى مبني للمفعول للعلم بفاعله فاقول انا لها اي الكاين او المعد او المختص او المدخر

لها فاللام فيه كهي في امتحن الله قلوبهم للتقوى فاستاذن على ربي رواه الشيخان
في داره فيوذن لي اي في الشفاعة او في الدخول كما ورد مصرحا به في مكان لا يبقى
فيه داع الا اجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب قيل والحكمة في نقله صلى
الله عليه وسلم من موقف العرض والحساب هي انه موقف سياسة وخوف ومن حق
الشفيع ان يقام مقام كرامة ورحمة فنقل من موقف الخوف الى موقف الكرامة
والرحمة لتقع الشفاعة موقعها لمن يتحرى بدعايه موقف الخدمة فانه احق
بالاجابة فاذا رايته وقعت ساجدا فيه تصريح بجواز رويه الله في الاخرة وفي رواية
فاتي تحت العرش فاخر ساجدا حال مقدرة من ضمير اخر اي اسقط مقدرا اي اسجد
تعظيما لله وشكرا له وفي رواية بدل فاتي تحت العرش فاقوم بين يديه اي يدي
العرش او يدي ربه تشبيها الموضع قيامه قريبا منه بما بين جهتي يدي الانسان
فاستعير له من تمثيلا او تصويرا له به كلام الله وكلام انبيائه مما يبعد عما لا يليق
به كالجهة والفوقية والانتقال والنزول بمراعاة قواعد التمثيل في علم البيان فاحمده
بمحامد لا اقدر عليها اي لا اعرفها في دار الدنيا بشهادة رواية وتلهمني محامد ا
احمده بها لا تحضرني الان يلهمنيها الله اي يلقيها في نفسي اذ الالهام القاء الله
امرا في القلب يبعث على الفعل او الترك وهو نوع من الوحي يختص به من يشا وفي
رواية فيفتح الله عليه من محامده وحسن الثناء عليه عطف تفسيري اذ كل
منهما ثنا حسن وورد مورد ما عسى الاطناب في مقام شانه تعظيما له لم يفتحه
على احد قبلي اي ولا بعدي اكتفا باحد ضدين قال في رواية ابي هريرة فيقال بني
للمفعول للتعظيم يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول
يا رب امتي يا رب امتي اي اسالك ان تعفو عنهم او تنجيهم من النار او نحوه فالحذف
لضيق المقام وشدة الاهتمام ومن ثم كرر فيقول ادخل من لا حساب عليه من
الباب الايمن من ابواب الجنة اكراما لهم وراحة من اهوال الموقف وتعجيلا لدخولهم
الجنة ببركة نبيهم اذ لم يبالوا هذه المنقبة الا باتباعهم اياه ممتثلين اوامره مع اجتناب
نواهيه ومن شركاء الناس فيما سواه من الابواب هذا وابواب الشرف حيث حظوا
بافضل الابواب دخولا لم يشاركوا فيه واذن لهم في الدخول من باقيها ان ارادوا
ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل من قوله في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع
راسك الى فيما سواه من الابواب وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع واسال تعطه هذه الها السكت كما في
كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه تثبت في الوقف لا في الوصل وقد استحب اثباتها في
الوقف لتثبت في الامام وقرى باثباتها في الوصل فاقول يا رب امتي فيقال
اي ربنا عز قايلا انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
شك الراوي في رواية مسلم فاخرجه فافعل ويجوز ان يكون اخراجا من بين اهل الموقف
كما دل عليه اول الحديث من انهم هم المستشفعون به ليتخلصوا من ذلك الكرب ولا
اشكال فيه وان يكون من النار لقضاء اخر الحديث بانهم ادخلوها قبل شفاعته لهم
وقد يجاب بان بعضا منهم ادخلها وبقي بعض في الموقف فاستشفعوا به فتخلصوا

من الكرب ثم شرع في الشفاعة لمن فيها زمرا زمرا ويراد بالنار الحبس وما كانوا فيه
شفا من كرب وشدة وبالخروج الخلاص من ذلك فانطلق فافعل اي ما امر به من
الاخراج ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول اي ثم اخر ساجدا
فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب امتي
الى اخره وقال فيه من رواية مسلم مثقال حبة من خردل اي من ايمان فافعل ثم
ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من رواية مسلم من كان في قلبه ادنى
ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل اي من ايمان مثل للقلة لا للوزن اذ الايمان
عرض لا يوزن لكن ما يتردد فيه امثل بمصاغ اليه من ابريز المحسوسات ما يعلمه
به فافعل اي ما امر به من الاخراج وذكر في المرة الرابعة من رواية البخاري
فيقال ارفع راسك وقل يسمع اي يجب الى ما سالت واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يارب ايذن لي في الشفاعة لاخراج من قال لا اله الا الله منها فيه تلويح
بان ما قدر بمثقال حبة من برة او شعيرة ثم بمثقال حبة من خردل ثم بادنى ادنى ادنى
مثقال حبة من خردل هو غير الايمان الذي هو التصديق القلبي وقد يطلق
ما يوجد في القلب من ثمرة الايمان فقد يراد بها زيادة اليقين وطمانينة النفس
او العمل بما به يزيد وينقص قال اي الله تعالى ليس ذلك لك ولكن وعزتي
وكبريائي وعظمتي وجبريائي وكمال ذاتي وعلوي وقهري العبادي على ما اريد منهم
من امري ونهيي وكلها تفيد معنى العظمة وحسن الاتيان بها كون المقام مقام مدح
يحسن فيه الاطناب لاخرجن من النار تعظيما لاسمي واجلالا لتوحيدي من
قال لا اله الا الله اي من شهد انه لا معبود موجود قادر على كل شيء سواه
قيل وبه خص عموم حديث البخاري اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله
خالصا من قلبه ويشهد لكونه على عمومه اختصاص كل باخراج فما خص صلى
الله عليه وسلم باخراجه هو من امر ايمانه مزيد يقين او عمل وما خص ربنا ه
باخراجه هو من تجرد ايمانه عنها بشهادة حديث الشيخين ولم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط اي غير لا اله الا
الله وتاكيد خالصا من قلبه لكونه معظم الاخلاص ومعدنه فذكره هنا تاكيدا
وتقريرا لكونه منه لم يترك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني
وسمعته اذني وعرفه قلبي ومن رواية قتادة عنه اي عن انس قال اي النبي صلى
الله عليه وسلم فلا ادري في الثالثة او الرابعة اعتراض بين قال ومقوله
افاد صدور شك اما من انس او من قتادة في ايهما قال فاقول يارب ما بقي في
النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود منافقا او كافرا لان الله ه
جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وروى احمد وابن حبان عن ابي بكر وابنا
ابي حاتم ومردويه عن عقبة بن عامر والترمذي عن ابي سعيد وابو داود في
البعث عن حذيفة مثله اي مثل حديث انس قال فياتون محمدا فيؤذن له
اي في الشفاعة وحذف الفاعل للعلم به وتاتي الامانة والرحم فيقومان عن
عن جنبتي الصراط بفتح النون اي بما جانباه يمنة ويسرة يعني انهما لفخامتهما

وعظم

وعظم شانهما ولزوم رعاية حقهما يمثلان ثم فتشهدان للامين والواصل وعلى الخائن
والقاطع وقيل يجوز ان تحمل الامانة على الامانة العظمى المؤذن بها انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان والرحم على صلتها الكبرى المؤذن به يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله
الذي تساءلون به والارحام فيدخل في الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على
خلقه فكانهما اكتنفا جنبتي الايمان ومفرد الدين ومن رواية ابي داود في البعث
عن ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيستشفع فيضرب الصراط اي يوضع
على متن جهنم جسرا ممدودا ادق من الشعرة واحد من السيف بشهادة حديث
الحاكم وعزم على شرط مسلم يوضع الصراط على حد الموسى وزعم بعضهم انه شعرة
من شعر عيني مالك ولا اعلم له فيه سلفا ويبعده ان من كان ملازما للنار يخالطها
لها دخولا وخروجا فجدير ان يكون بغادة شعره وجلده غليظا متجافيا ولا اراه الا
من بدع الوعاظ هذا وتامل ما زعمه عزم من ان ضرب الصراط يشعر بمروره بمر
عليه مع كونه موضعا للمرور فان كان المرور لمن عليه فعالية ضربه استقبالهم و
وتخويفهم يقتضي منه عجبا فيمرون عليه فيهما فترة اهل النار فيها ويجوز اهل
الجنة بشهادة ثم ننجي الذين اتقوا اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال
بالجيم اي كعدوهم اذ خطي من رواه بالمهملة قال ذلك البعض وفيه اشارة الى ان
المرور للصراط وهذا اعجب مما مر واعجب منه قوله ووصف مرور اولهم بالبرق
وثانيهم بالريح ليس في وسع البشر حقيقة الا ان يراد المبالغة في سرعة المرور
قادر على ان يوجد فيه لمح البرق مما صدر عن القدرة من خوارق العادات
ونبيكم يعني نفسه على طريقة التجريد على الصراط يقول اي مستعليا عليه
قائلا اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس غاية لقوله ذلك او علة لاجتيازهم وذكر
اخرهم جوازا اي على الصراط وفي رواية ابي هريرة فيما رواه الشيخان عنه فاكون
اول وفي رواية انا وامتي اول من يجيز لغة في يجوز يقال جاز واجاز بمعنى الحيازة
له ولهم جهات الشرف وقصبات السبق في كل مقام كريم وروى الحاكم والبيهقي
عن ابن عباس يوضع للانبياء منابر من نور يجلسون عليها اكراما لهم وتنويها
لجناب محلهم ويبقى منبري لا اجلس عليه حال من المضاف اليه قائما حال بعد
حال اي تاركا جلوسي عليه حال قيامي بين يدي ربي تصوير لموضع قيامه تقريبا
منه تعالى مشبها له بما بين جهتي يدي الانسان فاستعار له يدي استعارة
تمثيلية ثم قرنه بالقيام ترشيحا للمجاز فيقول الله ما تريد ان اصنع بامتك
مبالغة في مزيد اكرامه وكمال اعظامه فاقول يارب ما تريد ان اصنع بامتك
عجل حسابهم هذه من شفاعته التي خص بها فيدعى بهم فيحاسبون بنيا للمفعول
للعلم بفاعله فمنهم من يدخل الجنة برحمته بدون شفاعة فضلا منه وكرما
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي وهو برحمته ايضا بتوسط الشفاعة ولا ازال
مستمرا استشفع حتى اعطى غاية للشفاعة او علة لاعطائه صكاكا جمع صك فارسي

عدد اي كتبا برجال كتب فيها اسماؤهم وامر بهم الى النار فاردهم عنها فلا يدخلونها
وهذه ايضا من شفاعاته التي تخص بها حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك في امتك من نقمة تعجب من كونه بحيث لا ترد له شفاعة اي لم تدع
لغضب ربك سببا يوجب انتقاما وحتى هنا ابتدائية تستانف بعدها الجمل
الاسمية كما في حتى ماء دجلة اشكل وروى البيهقي وابو نعيم من طرق زياد
النميري عن انس انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته اي تنشق عن راسه
ومنه حديث يا فالق الحب والنوى اي شاقهما للانبات ولا فخر تعاظما وتكبرا
بل شكرا لله وتحدثا بنعمته وانا سيد الناس يوم القيامة اعلام بما اكرمه الله به
من الفضل والسودد ليؤمن به ويجري على موجبه ومن ثم اتبعه بقوله ولا فخر
اذ ما اكرمه به ربه لم ينله من قبل نفسه ولا بلغه بحيله بل بمحض فضل الله
وكرمه ومعي لواء الحمد يوم القيامة جريا على عادة العرب في اللواء لا يكون
الا مع كبير القوم ليعرف مكانه اذ موضوعه في الاصل شهرة مكان الرئيس وانا
اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا
فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار كناية عن اول ما يظهر له صلى
الله عليه وسلم من اثار ستر غضب ربه وقهر عباده ونفاذ حكمه فيهم وخص
هذا الاسم دون غيره لاختصاص الحال باظهار ذلك اذ هو مقام ارادة انتقام
بشهادة قول ادم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله فاخر ساجدا استعطافا له وطلبا منه لرضاه على عباده وفيه
ارشاد الى استحباب تقديم بين يدي المطالب المهمة ما ينجحها وفي الطبراني
الاوسط من رواية انس لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر
وشجر رواه عنه شهر بن حوشب قال ابن عبد البر ليس اسناده قوي هذه ورواه
احمد بسند حسن عن بريدة بلفظ اني لاشفع ولا يبعد ان يستغيث به صلى
الله عليه وسلم النباتات والجمادات مما لا يعقل من قاسى من حر نار جهنم وبرد
زمهريرها عافانا الله منهما فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار
ان شفاعته ومقامه المحمود الذي يحمده به فيه الاولون والاخرون
من اول الشفاعات وهو العظمى لفصل القضاء الى اخرها من حين يجمع
الناس خبر ان او مما قبله وهذا ظرف لوقوع الشفاعات وظهور مقامه المحمود
فيه ومن ابتدائية فابتداؤها من حين اجتماعهم للحشر وبعد سؤالهم الانبياء
ليشفعوا بشهادة قوله وتضيق بهم المناجر حتى لا يكاد احد منهم يخرج نفسا
منها ام الجوانح من تفاقم الهم وتراكم الغم بصوادع الهول وصوادع الهول
فيرتفع الى الحنجرة ومن راس الغلصمة حيث تراه ناتبا فتضيق به ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف كل منهم مبلغه يا له من مبلغ ما افظع
منظره وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ اي حين تضيق بهم الحناجر
ويبلغ ما ذكر مبلغه الاليم لازاحة الناس بالزاي اي ازالتهم عنه الشفاعة
من الموقف ثم يوضع الصراط على ظهر جهنم كما ورد ويحاسب الناس كما جاء

في الحديث

في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة فيشفع صلى الله عليه وسلم في تعجيل من لا حساب عليه
من امته الى الجنة فيدخلهم من الباب الايمن من ابوابها كما مر وهذه وما بعدها من المختصة
به كما تقدم وفي الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم كما تقدم
حسب بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدر اي وفق او مثله ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة الواردة اعلاما بذلك ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا اي ليس قبول
شفاعته فيمن قال لا اله الا الله لسواه من الشفعاء وينبغي حمله على من ليس لتوحيده
زيادة طمانينة او فعل كما تقدم انه الخاص به صلى الله عليه وسلم واما من تجرد توحيده
فخاص اخراجه برب العزة تعالى بشهادة حديث البخاري المار يا رب ائذن لي فيمن قال
لا اله الا الله قال ليس ذلك لك وفي الحديث الصحيح المنتشر الذي رواه الشيخان
لكل نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي اي ادخرتها وجعلتها
لهم ذخرة عند الله يوم القيامة قال اهل العلم معناه لكل منهم دعوة اعلم
انها تستجاب لهم يقينا متيقنة الاجابة وبلغ فيها مرغوبهم والا فكل
انها تستجاب لهم بعينها وقع الخلاف في الاخبار فكم لكل نبي دعوة مستجابة استجيبت
له في الدنيا ولنبينا من الدعوات المجابة ما لا يعد كثرة ولا يكاد يحصى لكن حالهم
في باقي دعواتهم على طمع منهم في اجابتها عند الدعاء بين الرجاء والخوف فقبولا ورد اه
وضمنت لهم من دعواتهم التي ليست على يقين من الاجابة اجابة دعوة فيما شاءوه
يدعوا كل منهم بها لنفسه او لقومه او عليهم على يقين من الاجابة حال من ضمير يد
عوا
وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها
في امته حال من ضمير دعا فاستجيب له حذف فاعله للعلم به اي استجاب الله له
دعاه واي يدعاها ماضيا وفيما قبله مضارعا اراه للسامع كانه يشاهد كلا وقت
دعائه وانا اريد ان ادخر دعوتي قدم المسند اليه للاختصاص او للتقوية والتاكيد
قالوا والحال شفاعة لامتي يوم القيامة شفقة عليهم بحسن نظره لهم وفي رواية
للشيخين عن ابي صالح عن ابي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
وضع الظاهر موضع المضمر لانه مقام تشريف بشارة يحسن فيه بسط الكلام حيث
الاصغا مطلوب واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة رواه مسلم فهي
نائلة اي صائبة وواصلة بمعنى شاملة لهم ان شاء الله قاله تيمنا وتبركا امتثالا
لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله من مات محله
النصب مفعول لنائلة لا يشرك بالله شيئا محله نصب على الحال من ضمير مات
اي غير مشرك بالله شيئا ولا يعذب عند ان ذا الحديث ناص لمذهبنا اهل الحق اي من مات
مؤمنا غير تائب من الكبائر لا يخلد في النار فتكون هذه الدعوة المتيقنة الاجابة
مخصوصة بالامة لا تتناول غيرهم كما افادته الاضافة مضمونة الاجابة من قبله
صلى الله عليه وسلم بوحي والهام ولا يقال انها مضمونة الاجابة وقع الخلف في
الاخبار فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال ربه تعالى لامته اشياء من امور
الدنيا والدين اعطى بعضها ومنع بعضها بشهادة سالت ربي لامتي ثلاثا فاعطاني
ثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالته ان لا يهلك

امتي بالغرق فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وادخرت هذه الدعوة
ليوم القيامة اي يرعونها به لهم وغاية المحن عطف على يوم جمع محنة وهي ما يمتحنا
به من الشدايد ابتلاء واختبارا وجعل اليوم نفسه محنة مجازا مرسلا لعلاقة الظرفية
وفي حديث الشعبي المحنة بدعة اراد ان الظالم اذا امتحن رجلا فلا يزال يقول له فعلت
فعلت حتى يقول ما لم يفعله او ما لا يجوز فيفعله ذلك بدعة وعظيم السول والرغبة
عطف تفسيري اذ الرغبة السول والطلب وفي الحديث افضل العمل منح الرغائب لا يعلم
حسبان اجرها الا الله وهي في الاصل الابل الواسعة الدر الكثيرة النفع جمع رغيب
وهو الواسع يقال جوف رغيب ووادي رغيب ولما اراد الحجاج قتل سعيد بن جبير
قال ايتوني بسيف رغيب اي واسع الحد يأخذ من ضربته كثيرا وذلك اليوم يكثر فيه
الحرص وتعظم فيه الرغبة فيما عند الله من الرغائب وفي الحديث لا تضيع ركعتي الفجر
فان فيهما الرغائب اي ما يرغب فيه من عظيم الثواب فصل في تفضيله صلى
الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة وهي لغة ما يتوسل ويتقرب به يقال وسل اليه
وسيلة وتوسل والمراد بها القرب من الله او منزلة من منازل الجنة يفوز بها
من سائر الدرجات بانواع الكرامات والدرجة الرفيعة بما فيه مرقا المستنم هو
والكوثر فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير ومنه رجل كوثر اي
كثير العطا وفي الحديث اعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة والفضيلة فعيلة من
الفضل ضد النقص بالهامن فضيلة لا ترام ومنقبة لا تسام وقد ذكر هنا شواهد
لتفضيله في الجنة بما ذكر منها حديث ابي داود رواه ايضا مسلم والترمذي وانما
اسنده اليه دونهما لقرب سنده اليه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اورد مضارعا تبصيرا للسامع كانه يشاهده
صلى الله عليه وسلم قايلا اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول من كلمات
الاذان جميعها وخص منها الحيعلتين بحديث مسلم وغيره عن عمر فانه يقال اذا سمعنا
لا حول ولا قوة الا بالله وهل الامر بالقول المعلق بالسماع واجب على من سمع حيث
لا مانع او مندوب قال النووي فيه خلاف ذكره الطحاوي والصحيح عند الجمهور ندبه
واختلفوا اهل يندب عند سماع كل مؤذن او الاول فقد رجح بن عبد السلام في فتاواه
الموصلية ندب اجابة الكل قال والاول اكد ثم صلوا علي امر لمن سمع اذا ان
يصلي عليه عقبه وقد صرفه عن الوجوب الاجماع فانه الضمير للشان يفسره من
صلى علي اي مرة بقرينة المقام مع ما ورد مصرحا بها صلى الله عليه وسلم بها اي بالمرة
او بالصلاة مرة عشرا رتبها على المرة لانها من اشرف الحسنات قال تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي
ولا يليق اعطاوها الا لعبد عظيم بشهادة التنكير من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو يجوز ان يجعل انا مبتدا خبره هو والجملة خبر اكون او يجعل تاكيدا لاسمها
وخبرها هو وضع موضع اياه او موضع اسم اشارة اي انا ذلك وذكرت ذلك بلفظ
الرجا مع تحققه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بارفع المنازل عند ربه تادبا
وتشريفا وهو يوذن بجواز سوال الدعا من المفضول فيقول من المدعو له مع ثواب

الله بعظيم كشفاعة المراتب كلها هنا للداعي على دعايه له بها في قوله صلى الله عليه وسلم
فمن سال الله الوسيلة حلت عليه الشفاعة اي وجبت وجوبا واقعا عليه او عنيت
ونزلت به وفي حديث اخر رواه الترمذي عن ابي هريرة الوسيلة اعلا درجة في الجنة
فهي له لمناسبة الاعلا للاعلا وروى البخاري عن انس بينا انا اسير في الجنة اذ عرض
لي اي فاجاني نهر حافتاه اي جانباه وطرفاه فيهما اللولو مثل القباب جمع قبة وهي
بيت صغير مستدير تعتاده العرب او مثلها في البهجة والنضارة قلت لجبريل ما هذا
قال هذا الكوثر الذي اعطاك الله ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكا هو
اظهار للشرف المنعم عليه وعظيم المنعم به وسماه طينا جريا على غالب العادة في كون
مقر الما طينا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله اي مثل حديث انس قبله قال ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديثهما ومجراه على الدر جمع درة اي اللولو والياقوت
تحته المسك اي الطين تحته في الماء فلا منافاة بين حديثهم وماوه احلا اي الذ طعما
من العسل وابيض من الثلج وفي رواية من اللبن وفي اخرى اشد بياضا من الثلج
وهذه ناصة لقول النحاة لا يبنى اسم التفضيل كفعل التعجب من الالوان بان يتوصل
اليه بمثل اشد واولتا تجوز ذلك فيقال زيد ابيض من خالد وما ابيض من
بكر ولا يلزم من كونه احلا من العسل الاستغنا به عن انهار العسل المصفى في الجنة
لانها ليست للشرب وفي رواية فاذا هو يجري مبتدا وخبر بعد اذا الفجائية ولم
يشق شقا الواو للحال من ضمير يجري من شق البرق اذا لمع مستطيلا الى وسط
السماء بدون اعتراض في الافق اي يجري حال اعتراض ما به حافتيه ممتلا ثابت
به جوباعريضا شديد الاستوا بعا لشهادة يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة هو
لا مستطيلا بدون اعتراض وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم سال عن برق سحابة
مرت فقال اخفوا ام ومضا او يشق شقا ام يلمع مستطيلا بلا اعتراض ويشق عطف على
فعل وانتصب به المصدر انتقديره الخفي ام يومض ام يشق عليه اي على النهر حوضي
من حيث ان ماه ممتد من مايه لانه على جانبيه اذ هو في الجنة والحوض خارجها بشهادة
ليردن على الحوض اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني فيقال
لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي ترد عليه امتي يوم القيامة
ولعله بعد الحساب والنجاة من النار وروى البخاري عن ابن عباس الكوثر الخير
الذي اعطاه الله اياه لم يصفه بالكثير كما في بعض الروايات للعلم به من الصيغة
اذ هي من الكثرة للمبالغة وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من
الخير الذي اعطاه الله تشريفا له وتكريما وعن حذيفة انه ذكر صلى الله عليه وسلم
عن ربه واعطاني الكوثر نهر خبر حذف مبتداه اي هو بشهادة رواية اعطيت
الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي وروى بن جرير وابن ابي حاتم بسند صحيح
عن ابن عباس في تفسيره قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اي ابن
عباس الف قصر من لولو ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن من ازواج وخدم وزينة
واثاث مما لا يعلم كنهه سواه واللام للابتدا دخلت خبر المبتدا بعد حذفه اي ولانت
سوف يعطيك لا للقسم اذ لا تدخل مضارعا بدون نون موكدة وكذلك جمعها

مع سوف شاهدا بان العطا كاين لا محالة وان تاخر لحكمة مع ان الوعد شامل لما اعطاه
من كمال النفس وظهور الدين واعلاء الكلمة ولما ادخر له مما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وفيه دراية وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم
انتهى ثم ذكر معتبرا للمعنى واللفظه فصل اورد فيه سوالا استشعره مما
تقدم شاهدا بتفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره بعد ما من نفسه احترم له و
خاطبه بقوله فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاخبار الاضافة
فيهما لفظية واجماع الامة كونه اكرم البشر وغيرهم ملائكة وجنا وافضل
الانبيا عظمهم على ما اشتملهم لزيادة كرم فيه فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه
عن التفضيل بين الانبيا كقوله فيما اسنده هنا من طريق مسلم الى ابن عباس ورواه
البخاري ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير
من يونس بن متى وورود عبد هنا نكرة في حيز النفي افاد شمول كل مكلف ويختلف
الحكم بمرجع انا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذي بمثله كفر
ابليس اذ قال انا خير منه وان كان نبيا فينبغي له التواضع لما اكرمه به من النبوة
الموذنة بمعرفة ربه وسرايره وارادته قاله التوربشتي وانما خص يونس
بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله في كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره
منهم وقلة صبره وعدم مبالاته بهم حين راموا التنصل يتبنط الاجابة عنهم
فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى ربه وهو مكظوم وقال وهو مليم وقالت
اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يامن صلى الله عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء
امته ما يودي الى تنقيصه فبين ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله به من كرامة
النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما صدر منه كاخوانه من المرسلين وفي حديث
الشيخين الذي روياه عن ابي هريرة في اليهودي الذي استب هو ورجل من
الانصار وقال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال
تقول ذلك والنبي بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي فدعى الانصاري فاخبره بذلك
فقال لا تفضلوا بين الانبيا اي لا تقدموا عليه باهوايكم واراكم ومعناه بالصاد
المهملة لا تفرقوا بينهم بتفضيل وبالمعجمة لا توقعوه بينهم وفي رواية لهما ولابي
داود والنسائي لا تخيروني على موسى قاله تواضعا وهضما لنفسه ولا ينافي
قوله انا سيد ولد ادم ولا فخر اذ لم يقله تطاولا بل تنويها للنعمة واعترافا
بالمنة وردعا لضعفا امته عن ايقاع بعض تفضيل الانبيا على بعض من تلقا
انفسهم لانضمامه الى عصبية تورث افراطا وتفريطا ذكر الحديث قال فان
الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش
بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان فيمن استثنى الله
وفي رواية فلا ادري اجوزي بالصعقة ام لا وهي لغة ان يغشى على الانسان
من صوت شديد يسمعه وربما مات ثم استعمل في الموت كثيرا والمراد بها هنا
ما افاده وخر موسى صعقا قال المصنف وهذا من اشكل الاحاديث لان موسى
مات فكيف يصعق وانما يصعق الاحيا فيحتمل ان تكون هذه الصعقة صعقة

فزع

فزع بعد البعث حين تنشق السماء ويويده قوله فافيق فانه انما يقال افاق من
الغشي وبعث من الموت وبه جزم التوربشتي اذ قال واما الصعقة في الحديث فهي
بعد البعث عند نفخة الفزع واما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا فيه واختصاص
موسى بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة
وفيه اي في هذا الحديث ولا اقول ان احدا خير من يونس بن متى اي لا اقول
من تلقا نفسي ولا افضل احدا عليه اي من حيث النبوة والرسالة اذ شانهما هو
لا يختلف باختلاف الاشخاص فهم بالاكرام بهما سوا وان اختلفت مراتبهم وقد استعمل
ابرا في الايجاب للعموم تاويلا له بالنفي كانه قيل لا احد افضل من يونس اذ قد
يعطى الشي حكم ما هو بمعناه ومنه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على بدخول البا في الخبر حكم اوليس الذي لانه
بمعناه وروى البخاري عن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
يجوز رجوع انا كما مر اليه صلى الله عليه وسلم او الى كل قايل اي لا يقول ذلك احد
وان بلغ في العلم والعبادة او غيرهما من الفضايل ما بلغ اذ لم يبلغ ما بلغه يونس
من درجة النبوة وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى
اي في النبوة والرسالة لعدم اختلافهما باختلاف موصوفهما وفي حديثه
اي حديث ابن مسعود الاخر الذي رواه مسلم وابو داود والترمذي فجاء صلى
الله عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية اي الخلق من براه الله يبروه برا اي خلقه
نقاله في النهاية ولم يستعملوا مهموزا فقال ذاك ابراهيم قاله تواضعا واكراما
لابيه ابراهيم فاعلم جواب الشرط ان للعلماء في هذه الاحاديث الناهية عن
التفضيل بين الانبيا تاويلات تقدم ذكرها استطرادا وجملة ان واسمها وخبرها
سدت مسد مفعولي اعلم احدها اي احد التاويلات ان نهيه عن التفضيل
بينهم كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم هذا انما يصلح جوابا على تقدير رجوع
انا اليه صلى الله عليه وسلم دون غيره فنهى عن التفضيل هو التوقف على ورود
سمع اذ يحتاج الى توقيف يوذن بجواز الاقدام عليه وان من فضل بلا علم
فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو صلى
الله عليه وسلم على يونس لدخوله في عموم النكرة في سياق النفي ولا يقتضي
تفضيل يونس عليه صلى الله عليه وسلم وانما هو في الظاهر كف منه صلى الله
عليه وسلم لغيره عن التفضيل اذ من شانه يودي الى النقص الوجه الثاني انه
قاله على طريق التواضع ونفي التكبر والتعجب فخرا وتطاولا بل تحدثا بالنعمة واعترا فا
بالمنة وهذا لا يسلم من الاعتراض لايذانه بعلمه بجواز ما نهى عنه من التفضيل
وبما خص به من السودد فعدم جريه على موجب علمه اخبار بخلاف الواقع ينافي
منصب النبوة قلت التواضع من داب الانبيا وديدنهم وليس اخبارا بخلاف
الواقع بل هو ارشاد لامته ليقتفوا اثار سنته ويتبعوا سبيله فلا منافاة
الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يودي الى نقص بعضهم او الغض بجميعهم
اي النقص منهم جميعا وبعضهم فيه جواز لا على جهة النقص لكن يمنع منه مع جميل

جوازه وان صادف محلا لامتناع الاقدام عليه كامثاله جهلا لاسيما كلمة استثنا
من سي وما شئت الك ان تجعل ما موصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدا محذوف
كما في جاء القوم لاسيما اخيك اي ولامثل اخيك اكراما وقول امرء القيس
ولاسيما يوم بدارة جلجل ورد مرفوعا ومجرورا اي خصوصا اذا كان
التفضيل في جمة يونس اذ لم يذكر الله في جملة اولي العزم من الرسل لقلة صبره
وثباته وذهابه مغاضبا لقومه قبل ان ياذن له ربه وقد اخبر الله عنه بما
اخبر في تنزيله فقال ولاتكن كصاحب الحوت اذ نادي وهو مكظوم فالتقمه
الحوت وهو مليم فنبذناه بالعراء وهو سقيم فنهي عن التفضيل عليه
لئلا يقع في نفوس من لايعلم انه تداركه نعمة من ربه وانه اجتباه ربه فجعله
من الصالحين منه اي من يونس بذلك الباء سببية ومنه متعلق بغضاضة
اي لئلا يقع بسبب ما اخبر الله عنه في نفس جاهل ذلك غضاضة منه اي نقص
وحقارة وانحطاط من مرتبته الرفيعة اذ قال الله عنه اذ ابق الى الفلك
المشحون اي الممتلئ واصل الاباق الهرب من السيد وحسن اطلاقه عليه هنا
لهربه من قومه بغير اذن ربه فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق او لن نقضي
عليه بالعقوبة ويتصرح تارة مستقلا او ممثلا لحاله بحال من ظن ان لن نقدر
فيمن اعنته قومه من غير انتظار لامرنا وروي ان معاوية قال لابن عباس
ايظن نبي الله ان لن يقدر الله عليه فقال له هذا من القدر لامن القدرة
فربما يخيل لمن لاعلم عنده حطيطة بذلك الذي اخبر به عنه في كتابه
الوجه الرابع منع التفضيل المفاد بالنهي عنه انما هو في حق النبوة
والرسالة فان الانبياء فيها من حيث هي في نفسها على حد واحد فلا يقال مثلا
نبوة ادم افضل من نبوة غيره منهم اذ هي في حد ذاتها شئ واحد لايتفاضل
وانما التفاضل في زيادة ما يخص بعضهم دون بعض من الاحوال الزائدة عليها
والخصوص والكرامات والرتب والالطاف ولذلك اي ولما ذكر من كون
التفاضل انما هو في زيادة ما ذكر كان منهم رسل واولو عزم من الرسل
اي اولوا الثبات والجد وهم اصحاب الشرايع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها
وصبروا على حمل مشاقها ومساواة من طعن فيها ومشاهيرهم كما مر نوح
وابراهيم وموسي وعيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم وكان منهم من رفع مكانا
عليا وهو ادريس سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ وكان منهم من
اوتي الحكم صبيا وهو يحيي بن زكريا احكم الله عقله في صباه واستنباه واتاه
الحكمة وفهم التوراة واتي بعضهم الزبور وهو داود وبعضهم البينات
وهو عيسي اتاه معجزات وجعلها سببا لتفضيله لانها ايات عظيمة لم يجمعها
غيره ومنهم من كلم الله كموسي كلمه مرتين على الطور وليلة الحيرة ورفع بعضهم
درجات تفضيلا له على غيره من وجوه متعددة او مراتب متباعدة قال تعالي
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بفضايل سنية منزهين عن العلايق
الجسمانية وقال تعالي تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بمناقب ليست

لغيره

لغيره قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا انما هو في الدنيا وذلك
اي التفضيل بعضهم على بعض فيها بثلاثة اوجه ان تكون اياته ومعجزاته ابهر
من بهر ضوء القمر ضوء الكوكب اي اغلب واشهر كالقران وانشقاق القمر لنبينا
وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية لموسي او تكون امته ازكي واكثر كامة نبينا
اذ قال الله فيهم كنتم خير امة اخرجت للناس وقد بعث للناس كافة وكما لهم
بكماله او يكون النبي المفضل في ذاته افضل واظهر اي اشهر من غيره من الانبياء
وفضله اي فضل كل نبي راجع الي ما خص به من كرامته له بما ثر كريمة ومناقب
عظيمة واختصاصه بالجر عطفا على مدخول الي اي والي من كلام لموسي ليلة
الحيرة والطور ولمحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادني او خلة لابراهيم
فقد اتخذه خليلا او رؤية لنبينا ليلة الاسرا او ما شاء الله لاوليك الاكرمين
عليه الاعظمين لديه من الطافه وتحف ولايته واختصاصه اياهم بما لاتعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين غنددوي كما في تفسير ابن ابي حاتم
ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان للنبوة اثقالا تعرض لها بسبب التبليغ بشارة وانذارا وان يونس لعدم
اذعان قومه له وترك انقيادهم لما دعاهم اليه لشدة شكيمتهم وتمادي ضرارهم
تفسخ منها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل وهو بضم الراء وفتح الباء ما ولد
في زمن الربيع وفي المثل افلح من له ربعيون جمع ربعي على غير قياس فحفظ صلي
الله عليه وسلم بنهيه عن التفضيل بينهم موضع الفتنة من او هام متعلق
بحفظ او من بيانية لموضعها اي الذي هو او هام من يسبق اليه بسببها اي
بسبب اثقالها من سام وضجر ويجنح نفسه جرح في نبوته او قدح في اصطفائه
وحط من مرتبته ووهن في عصمته اي ضعف فيها بتوهمه ذلك شفقة
منه صلي الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب من حيث ان يونس مما
خصه الله بعهده النبوة والطاف الكرامة واسعاف الولاية وجه خامس وهو
ان يكون انا في الاحاديث السابقة راجعا الي القايل نفسه اي لايظن وان
بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس ابن متي لاجل
ماحكي الله عنه في ذلك التنزيل مما افاد تضجره وتبرمه من قومه وقلة
صبره على تماديهم في ترك الايمان بما جاءهم به وسوق الكلام موذن بان هذا
من غير الانبياء بشهادة قوله فان درجة النبوة افضل واعلا فعصمته غير هم
بمعني الحفظ لا الثبوت الموجب لعدم صدور ذنب عنه كما للانبيا وان نقصت
الاقدار لم تحطه عنها اي عن درجة النبوة حبة خردل ولا ادني اي اقل منها
فصل في اسمايه وما تضمنته من فضيلة من حيث انها اعلام موذنة
بكمال مدحه شرفا وسوددا ونهاية ورفعته كرما ومرتبته وقد اسند هنا شا هذا
بذلك الحديث مالك عن محمد بن جبير بن مطعم مرسلا مع رواية الشيخين له عن
محمد بن جبير عن ابيه متصلا لعلو سنده بدرجتين على سندهما لي خمسة اسما
تقدم الجار على مجروره لزيادة تقرير وتاكيد معناها فيه او للحصر من حيث ان له

اسما مقيدة دون غيره هذا او قد نقل ابن العربي في شرحه عن الترمذي انما
الف وقال ابن فارس هي الفان وعشرون انا محمد الذي علم حاله في حيازة
الشرف والكمالات علمية وعملية وملكات نفسية وبهذا اصح الحمل في العقبى
كما في انا ابو النجم وشعري شعري ومحمد اسم منقول من التحميد مبالغة في
الحمد تقول لهذا محمود فاذا بلغ النهاية فيه وتكاملت خصاله ومناقبه المحمودة
فهو محمد وهو منقول من الصفة تفاؤلا لان سيكثر حمد الناس له وعن ابن قتيبة
ان من اعلام نبوته انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله لهذا الاسم
اذ قد سماه في كتبه وبشر به الانبيا فلو سمي به غيره وقع الاشتراك وانتشرت
الدواعي ووقعت الشبهة لكن لما قرب منه وبشر بقربه اهل الكتاب تسمى
به قليلون لم يدع احد منهم النبوة وانا احمد اسم تفضيل من الحمد قطع متعلقه
للمبالغة وله مزيد بيان يأتي قريبا وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
ويمحي اثاره بسطوع الحجة وظهور دينه على الدين كله ولم يكتف به ليعود ضمير
الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان ضمير يا عبارة
عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس وقد فسر في حديث اخر بانه يمحو به
سيئات من تبعه كما قال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي روي بتخفيف اليا وتشديدها اي على
اثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي لشهادة رواية وانا الحاشر الذي
يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره وانا العاقب اي الاتي عقب الانبيا
وليس بعدي نبي وقال ابن الاعرابي هو من خلف في الخير من كان قبله ومنه
عقب الرجل لولده وقد سماه في كتابه محمدا واحمد وما محمد الا رسول ما كان
محمد ابا احد من رجالكم محمد رسول الله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
في خصائصه تعالى له مصدر مضاف الى فاعله اي فمن خصه الله به
ان ضمن اسمائه ثناه تفخيما لشانه وتعظيما لمكانه حيث ضمنه معانيهما
فاتصف بهما وطوى عطف على ضمن وهو بمعناه وغاير بينهما لفظا تفننا
في مقام نشر محاسنه وبث مناقبه اي وما خصه به طيه اثناذكره عظيم
شكره في مواطن تكاد تفوت الحصر مثل وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدي
الى صراط مستقيم فاما اسمه احمد فافعل تفضيل مبالغة لافادته ثبوت
زيادة الحمد وحذف متعلقه والا فافعل ليس من صيغ المبالغة بل هو من
صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد مثل فتحت ابوابها وعرفت
اللفظة اذ افعلت بها ذلك مرة بعد اخرى والاحسن من التحميد كما مر اذ هو
المبالغة لنفسه لدلالته على بلوغ النهاية كما يقال في الحمد محمد وفي الذم مذمم
اذ لا يلزم من الكثرة المبالغة لمجاوزتها حد الكثرة فهو اجل من حمد بمحامد
منه مرضية وافضل من حمد على خصال فيه رضية واكثر الناس حمدا حامدا
ومحمودا لبلوغ الحامدية والمحمودية فيه نهاية الكمال فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ولحيازته صلى الله عليه وسلم شرف صفتيهما ضمنهما

فيهما

فيهما مع ان القياس انما يفضل على الناس دون المفعول ومعه لواء الحمد يوم
القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات جمع عرصة وهي في الاصل
كل موضع واسع لابناء فيه اي عرصات يوم القيامة بصفة الحمد ويبعثه ربه
هناك مقاما محمودا كما وعد في تنزيله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم واراحتهم من ذل الموقف
العظيم ويفتح عليه من المحامد جمع محمدة بمعنى الحمد كما قال ما لم يعطه
من المخلوقات وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين كما في حديث الدارمي عن
كعب يحكي عن التوراة قال نجد مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ
ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله في
السراء والضراء يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس
يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يا تزرون على انصافهم ويتوضؤن على
اطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة
سوا لهم بالليل دوي كدوي النحل فحقيق الثناء منفسحة عن معتقد اي واذا
اختص بما منحه من مناقب حميدة ووصف به من مآثر محمودة فجدير ان يسمى
محمدا واحمد لا كرامة بمحامد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه واياته
الدالة على نبوته فن اخر وهو ان الله حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه
الذي وجد فيه وبعث اما محمد الذي اتى في الكتب وبشرت به كما اخبر الله عن عيسى اذ قال
يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله
حتى لا يدخل علة لمنع التسمية اي فعلنا ذلك تحذرا من ان يرد لبس على ضعيف القلب
او شك في معدن النبوة ومنجم الرسالة وحذرا من الاشتراك في الاسم المؤذن باشاعة
الدعاوي ووقوع الشبهة وكذلك اي وكاسمه احمد اسمه محمد ايضا لم يسم به احد من
العرب ولا غيرهم الى ان شاع غاية لعدم تسمية احد باسمه محمد قبيل وجوده وميلاده
ان نبيا يبعث اي شاع بعثه نبي اسمه محمد فسمى قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء
ان يكون احدهم هو النبي المسمى محمدا والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم اي المسمون
بمحمد قبل ميلاده محمد بن احيحه بهمزة مضمومة ومهملتين بينهما ياء بن الجلاح بجيم
مضمومة الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري احد بني حارثة ومحمد بن برا بمهملة
مشددة البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي
بمعجمة مضمومة فزاي وعين مفتوحة بينهما الف السلمي لا سابع لهم وذكر ابن الاباري
محمد بن عتوارة الليثي الكناني ومحمد بن حرمان بن مالك التيمي العمري احدهما بدل ابن برة
وزاد مغلطاي محمد بن عدي بن ربيعة بن سعد المنقري ومحمد بن عثمان السعدي ومحمد
ابن الاسدي ومحمد الفقيمي ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن
اسامة بن مالك ويقال اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي
واليمن تقول بل المسمى به اولا محمد بن اليحمد من الازد ثم بعد ان تسموا به حمى

او كل من سمي به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك في امره
احد الي ان تحققت السمتان له اي المحمدية والاحمدية واتصف بهما في نفس الامر ولم
يشاركه فيهما في نفس الامر ممن تسمى بذلك احد او النبوة والرسالة او النبوة وعدم
دعواهما من احد منهم لنفسه او ادعائهما له ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي
الذي يمحو [illegible] بي الكفر فتفسيره في الحديث بما ذكر واعاده هنا ليترتب عليه بيان
[illegible] محو الكفر بقوله ويكون محو الكفر اي اذهابه وعفوا اثاره اما من مكة وبلاد
العرب [illegible] وما زوي له من الارض الوارد به حديث زويت لي مشارق الارض فرايت
[illegible] مشارقها ومغاربها اي جمع له ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى
الظهور والغلبة على دين كل قوم في كل زمان كما قال هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وروى السهمي وابو نعيم انه الذي محيت
به سيئات من اتبعه بشهادة قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي لم يتكلم على قدمه لانه تقدم الاخبار عن نفسه
كما في انا الذي سميت امي حيدره واعاده ليفسره بما فسرناه انفا اي على زماني
وعهدي اي ليس بعدي نبي يحشرون اخر زمانه كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا كما قال ابن العربي لانه عقب غيره من الانبيا اي جاء عقبه وخلفه في
الخبر وقيل بمعنى على قدمي يحشرون بمشاهدتي اي مشاهدا لهم كما قال تعالى
ولذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا اي شاهدين لهم وهو شاهد لكم وهذا مخالف لظاهر الاية المفاد بالتعدية
فيهما بعلى ولو كان كما زعم لكانت باللام ومعنى قوله لي خمسة اسماء اي اثبتها موجوده
في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة وقد روي كما في الدلايل لابي
نعيم وتفسير ابن مردويه من طريق بن يحيى التميمي وهو وضاع عن سيف بن وهب
وهو ضعيف عن ابي الطفيل عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسما لا معارضة بينه
وبين حديث لي خمسة اسما عند من قال مفهوم العدد ليس بحجة ولعدم افادة التقديم
فيهما الحصر وذكر منها اي من العشرة طه ويس حكاه مكي كما تقدم واعاده هنا
ليتبعه قوله وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي فالهاء من هادي
والطاء من طاهر وياسين يا سيد حكاه ابو عبد الرحمن السلمي عن الواسطي وجعفر
ابن محمد وذكر غيره اي غير ابي محمد مكي لي عشرة اسما فذكر الخمسة التي هي محمد واحمد
والماحي والحاشر والعاقب في الحديث الاول قال كما رواه بن سعد عن مجاهد مرسلا
وانا رسول الرحمة بشهادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقوله صلى الله عليه وسلم
انما انا رحمة مهداة والرحمة العطف والرافة والاشفاق ورسول الملاحم
جمع ملحمة وهي الحرب واضيفت اليه لحرصه على الجهاد المامور به ومسارعته في المعارك
وعدم احجامه عنها ومن ثم قال علي كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله فلم يكن
احد منا اقرب الى العدو منه رواه بن سعد عن مجاهد مرسلا بلفظ انا رسول
الرحمة انا رسول الملحمة ولا تنافي بين الحديث اذ هو ارسل سلما لاوليايه حربا
لاعدايه بشهادة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وانا المقفي قفيت النبيين

اي

اي جيت بعدهم متبعا لهم وانا اتقى فلا نبي بعدي وقال تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا
وانا قثم والقثم الجامع لساير المكارم الشريفة والكرايم النفيسة الكامل فيها
كذا وجدته ولم اروه اي عن احد من ايمة الحديث هذا وقد رواه الديلمي في فردوسه
ولم يسنده في مسند الفردوس وفي النهاية حديث اتاني ملك فقال انت قثم
وخلقك قيم اي مستقيم حسن قال المصنف واراه اي اظن ان صوابه قثم بالمثلثة
من القثم وهو الجمع يقال للرجل المجموع للخير قثوم ومن ثم قال وهو اشبه بالتفسير
اي الذي ذكره قريبا وقد وقع اي القيم بالتحتية ايضا في كتب الانبيا قال داود
اللهم حذف منه حرف الندا وعوض عنه الميم اي يا الله ابعث لنا محمدا المقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه بالمثلثة وروى النقاش لي في القران
سبعة اسما محمد واحمد في وما محمد الا رسول محمد رسول الله ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد ويس وطه والمزمل والمدثر في اوايل سورها وعبد الله
في وانه لما قام عبد الله يدعوه وانما اقتصر عليها لشهرتها والا فله فيه اسما
كثيرة كالنبي والرسول والخاتم والحريص النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمي لنا
نفسه اسما اي بها فيقول انا محمد واحمد والمقفي بصيغة الفاعل وهو في
الاصل المولي الذاهب فكان معناه هو اخر الانبيا والمتبع لهم وكل شي تبع شيا
فقد قفاه والحاشر ونبي التوبة من حيث انه يتاب على يديه او انه تواب كثير
الرجوع الى ربه بشهادة حديث البخاري اني لاستغفر الله في اليوم اكثر من مائة
مرة وفي رواية من سبعين ونبي الملحمة اي الحرب لحرصه على الجهاد كما مر ونبي
الرحمة والرحمة والراحة لانه بالمومنين رؤوف رحيم ومن رحم به استراح وقد قال
صلى الله عليه وسلم في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى وتواصوا بالصبر
اي اوصى بعضهم بعضا بها على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة اي بموجبات الرحمة
او بها على عباده يرحم بعضهم بعضا فبعثه الله رحمة لامته ورحمة للعالمين
عطف العام على ما شمله ليعم الكافر ايضا فهو رحمة له بتاخير العذاب عنه في الدنيا
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا
اي طالبا لهم من الله الرحمة والمغفرة وجعل امته مرحومة ووصفها بالرحمة
رحما بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا وامرها بالتراحم
بينهم ليكونوا اعون على ايتلافهم واتفاق كلمتهم وجزيل ثوابهم وجميل ثنايهم وحسن
مابهم واثنى عليهم فقال ان الله يحب من عباده الرحماء رواه الشيخان عن
اسامة بن زيد بلفظ يرحم وروى ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن
العاصي الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
زاد الترمذي والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله
وقد مر معنى الرحمة لغة وهو امر حسي نجده في انفسنا عند رؤية المرحوم او الاحساد
عنه يدعو الى معاونته وقد وقع لنا هذا الحديث عاليا مسلسلا بالاولية انا به ابو
الحسن ابراهيم البقاعي وهو اول حديث سمعته منه انا الشيخ المعمر شهاب الدين
احمد بن محمد المقدسي الواسطي وهو اول حديث سمعته عليه انا ابو الفتح محمد بن محمد

السيد ومي وهو اول حديث سمعته منه انا ابو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني
وهو اول حديث سمعته منه انا الامام ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وهو اول
حديث سمعته منه ثنا ابو سعد اسماعيل بن ابي صالح احمد عبد الملك النيسابوري
وهو اول حديث سمعته منه ابنانا والدي الامام ابو صالح الحافظ وهو اول حديث
سمعته منه ثنا الاستاد ابو طاهر محمد بن محمد الزيادي وهو اول حديث سمعته منه
ثنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار وهو اول حديث سمعته منه ثنا
عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه ثنا سفيان بن عيينة
وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس عن مولاه عبد الله
ابن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحديث ولا يضر انقطاع التسلسل
من عمرو بن دينار واما رواية بن سعد عن مجاهد فيما تقدم انا نبي الملحمة فاشارة
الى ما بعث به من القتال والسيف قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وروى احمد والترمذي في الشمايل قال حذيفة مثل حديث ابي موسى
كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه الحديث وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي
الملاحم وروى الحربي كابي نعيم في الدلايل عن يونس بن ميسرة اتاني ملك فقال
لي انت قثم بالثاء المثلثة من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اي اعطاه
وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير من الريح الهابة فهو قثم اي مجتمع
قال اي الحربي والقثوم الجامع للخير وهذا اي قثم اسم في اهل بيته اما لبعض
بني عبد المطلب من اعمامه او لبعض بني العباس عمه معلوم وقد جاءت من القابه
جمع لقب وكلها في جهة حسنة والمنهي عنه في الاية ما يجد المدعو به في نفسه
كراهة منه لتقصير او ذم او شين اما ما يزينه وينوه باسمه فلا باس به ما لم
يعن بنفسه اعجاب وتفاخر وتبجح وسماته جمع سمة وهي العلامة الشاهدة بجموم
فضايله وعموم فواضله في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه لكن منها ما ورد
على طريقة الاستعارة باعتبار ما جا به من الهدى كالنور والسراج المنير قال
تعالى وسراجا منيرا اذ به جلا الله ظلمات الشرك فاهتدى به الضالون كما على
ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته البصاير كما يمد
بنور السراج نورا لابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يكون منيرا
وما ورد باعتبار ما قام به من مبدا الاشتقاق مثل المنذر قال تعالى نزل
به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين والنذير والمبشر قال تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والبشير فقد بشر اهل الايمان بالرضوان
في دار القرار وانذر اهل الكفر الخزي في دار البوار والشاهد والشهيد يوم
القيامة للانبيا على اممهم بتبليغهم اياهم رسالات ربهم ويشهد على امته قال
تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا او يشهد لهم او
يزكيهم بشهادة لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والحق المبين
بشهادة حديث البخاري اللهم انت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه ومحمد حق
وايه ليبين للناس ما نزل اليهم وخاتم النبيين كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم

النبيين فكان اخرهم بعثا واولهم سبقا بشهادة نحن الاخرون السابقون الروف
الرحيم بشهادة حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وكان بالمومنين رحيما قدم الرافة
لابلغية الرافة لامناسبة الرحمة محافظة على الفواصل والامين لحديث اني لامين
في الارض امين في السما وكان قبل البعثة يسمى امينا وقدم الصدق من حيث
انه اوحي اليه ان يبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي سابقة ومنزلة
رفيعة سميت قدما لان بها السبق كما سميت النعمة يدا لان بها العطا واضيفت
الى الصدق ابدا انا بتحقيقها وتلويحا بانهم انما ينالونها بصدق القول والنية
ورحمة للعالمين بشهادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اذ كان سببا لسعادة
المومنين وصلاح معاشهم ومعادهم ولامن الكفار في الدنيا من الخسف والمسخ
وعذاب الاستيصال ونعمة الله انعم بها على من امن به في الدارين وعلى من صد
عنه في الدنيا بما ذكرناه والعروة الوثقى من حيث انه من امن به فقد تمسك
من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة فالعروة الوثقى مستعارة لما يتمسك به المحق
من النظر الصحيح والراي القويم والصراط المستقيم من حيث هدايته من امن به اليه
ودلالته عليه لبيانه لطرق الهدى بوضوح الحجج وسطوع البراهين والنجم
الثاقب من حيث انه يهتدى بنور هداه الثاقب بضوء ظلام الشرك فازاله
كما يهتدى بنور النجم الثاقب اي المضي كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه
والكريم بشهادة انه لقول رسول كريم عند البعض اي على ربه وفي نفسه لشرف
نسبه وفضل احسابه وفي البخاري انه كان اجود الناس بالخير من الريح المرسلة
والنبي الامي اي الذي لا يكتب ولا يقرا ووصفه بذلك تنبيها على ان كمال علمه مع اميته
من معجزاته قال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي وداعي الله بشهادة
وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به
من صفاته وجرى منه اي كتب الله تعالى المتقدمة كالتوراة والزبور والانجيل
واحاديث رسوله واطلاع الامة جملة شافية من وصفه لاحتياج الى معرفتها
واحصايها كتسميته بالمصطفى اي الخالص من شوايب ما لا يليق به اذ اصل
الصفا الخلوص من الشوب او المختار من ابناء نوعه وقد شارك فيه الانبياء
الا انه المفهوم منه عند الاطلاق واصطفايه تا ابدلت منها لمجاورتها الصاد
والمجتبى لاجتبايه له اي اصطفايه وابي القاسم لحديث بعض اليهود ناداه
يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال لم اردك فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي
وحديث وانا القاسم والله المعطي فانا مفخم للمبالغة والحبيب للحديث المتقدم
اذ فيه الا وانا حبيب الله ورسول رب العالمين اي الخلق يدعوهم اليه وغيرهم
من مومني الامم والشفيع المشفع بشفاعات خص بها اعظمها شفاعة القضا
والمتقي من الوقاية وهو فرط الصيانة واصله موتقي ابدلت واوه تا واذ عصمت
يوم من فعل او ترك وتنزهه عما يشغل سره عن الحق وهذه الرتبة هي اللايقة بجنابه
الكريم والمصلح لما بدل وغير من ملة ابراهيم اذ امر باتباعه بشهادة ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم وفي التوراة ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا

اي ملة ابراهيم سميت عوجا لتغيير العرب اياها والطاهر اي المنزه عما لا يليق بساحة عزه
والمهيمن اي الرقيب البالغ في المراقبة على صيانة وحفظ لما جاء به وانزل عليه ولامته
من هيمن الطير اذا نشر جناحه على فراخه صيانة لها والصادق قولا فقد روى
ابو داود عن عبد الله ابن ابي الحمسا بتقديم الميم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فاذا هو
في مكانه فقال لقد شققت علي انا هنا منذ ثلاث انتظرك والمصدوق اي المصدق
فيما جاء به عن ربه والذي ياتيه بالصدق من عند ربه وقايد الغر اي البيض الوجوه
بنور الوضوء اطلاقا لاسم البعض على الكل اذ الغرة بياض في الجبهة قدر الدرهم
المحجلين ايديا وارجلا بنور الوضوء يوم القيامة استعير اثره في وجه الانسان
ويديه ورجليه من بياض وجه الفرس ويديه ورجليه وبه استدل على ان الوضوء
من خصايص هذه الامة وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل بشهادة هذا
وضوئي ووضوء الانبيا من قبلي واجيب بضعفه ولو صح احتمل ان تكون الانبيا
اختصت بالوضوء دون اممهم الا هذه الامة وخليل الرحمن بشهادة حديث مسلم
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعني نفسه وصاحب الحوض المورود يوم القيامة
وقد ورد فيه احاديث صحيحة عن خلايق من الصحابة كثيرة وصاحب الشفاعة
والمقام المحمود كما تقدم وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ٥
بشهادة حديث مسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وحديث الشيخين من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة ورواية النساي وابن حبان والبيهقي
المقام المحمود وتنكيره للتفخيم واجزل كانه قيل مقاما اي مقام يغبطه فيه
الاولون والاخرون ويشرف به على جميع الخلايق فيسال فيه فيعطى ويشفع
فيشفع ليس احد الا تحت لوايه محمود الكل فيه السنة الحامدين والموصول
مع صلته اما بدل او رفع او نصب على المدح اي وهو او اعني لا صفة للنكرة قبله
وصاحب التاج اي العمامة وكانت اذ ذاك خاصة بالعرب فهي تيجانهم ومن ثم
قيل العمايم تيجان العرب وصاحب القضيب فعيل بمعنى فاعل اي السيف القضيب
وراكب البراق بشهادة ما مر من احاديث المعراج وراكب الناقة المنوقة اي المروضة
المنقادة وراكب النجيب الناقة اي القوي وهو عرفا من الابل الخفيف السريع
ولغة النفيس الفاضل من كل حيوان وفي الحديث ان كل نبي اعطى سبعة نجبا
رفقا وفيه ان الله يحب التاجر النجيب اي الفاضل الكريم السخي وصاحب الحجة
والسلطان لمجيبه بحجج قاطعة وبراهين ساطعة وتسلط على من لم يطعه قتلا
وسبيا واخذ جزية وصاحب الخاتم لان الله ختم به انبياه بشهادة وخاتم النبيين
اي اخرهم بني فلا يرد عيسى ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا بشهادة
حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا اي لكنه لم يعش فلم يكن نبيا فاستثنى نقيض

المقدم

المقدم انتج رفع تاليه وصاحب العلامة الدالة على نبوته وكم من علامة ظاهرة
والبرهان لمجيبه بقواطع قاهرة وسواطع ظاهرة وصاحب الهراوة اي العصا لانه
سطيح واراد به نبينا اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه ويمسكها ويمشي بها وتغرز له
فيصلي اليها وصاحب النعلين اذ كان يمشي بهما وفي الحديث يا خير من يمشي بنعل
فرد اي طاق واحدة لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم يمدحون
رقته ويجعلونه من لباس الملوك ومن اسمايه في الكتب كالتوراة المتوكل اي
الذي يكل اموره الى الله لشي ينصر غير هيوب ولا ضرع وكان اذا عراه اي نزل
به امر عظيم او سلم رجع الى ربه غير معتمد على حول وقوة والمختار اي المصطفى
لكل مكرمة ومقيم السنة كما ورد عن داود اللهم ابعث مقيم السنة اي مطهر
الملة وصاينها من التغيير والتبديل والمقدس اي المطهر عما لا يليق بجنابه
الكريم وروح القدس لمجيبه بما فيه حياة الارواح التي بها حياة الاشباح ٥
واضيف الى القدس وهو الطهر كحاتم الجود مما يضاف مبالغة الى مصدر بمعنى
اسم المفعول او الفاعل اي الروح المقدس اي المطهر عن العيوب او النقايص
وروح الحق لاحياء الحق به فكانه روحه وهو معنى البارقليط بالياء في
الانجيل باللغة العبرانية وقال ثعلب البارقليط الذي فرق بين الحق والباطل
فرقا بينا بحيث لا يشتبه احدهما بالاخر ومن اسمايه في الكتب السالفة
ماذ ماذ بميم مضمومة فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فذال
معجمة وهو غير منصرف للعلمية والعجمة اي طيب طيب وحمطايا بمهملة
مفتوحة فميم مشددة مفتوحة فمهملة فالف فمثناة تحتية فالف اي حامي
الحرم ومعطي الحلال والخاتم والحاتم بالمهملة حكاه كعب الاحبار قال ثعلب
فالخاتم بالمعجمة هو الذي ختم الانبيا فلا نبي بعده احد والحاتم بالمهملة هو احسن
الانبيا خلقا وخلقا بشهادة ما وصفه به واصفوه فيما مر وقوله انك لعلى
خلق عظيم وسمى اي هو صلى الله عليه وسلم بالسريانية مفنحنا قيل بميم مضمومة
فمعجمة ففا فنون مشددة مفتوحة اي مكسورة فحاء مهملة غير منصرف للعلمية
والعجمة لا اعرف له معنى والمنحمنا قيل بميم مضمومة فنون ساكنة فمهملة ٥
فميم مفتوحة فنون مشددة فالف وقيل جميع حروفه مفتوحة الا المهملة
فساكنة والنون مشددة وفي سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد
صلى الله عليه وسلم واسمه ايضا في التوراة احيد ضبط بضم الهمزة وكسر
المثناة تحت بعدها دال غير منصرف كذلك روي عن ابن سيرين ومعنى صاحب
القضيب اي السيف كما تقدم وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال اي الانجيل
او الله فيه معه قضيب من حديد يقاتل به من قاواه كفرا او نفاقا وامته كذلك
معهم قضب من حديد يقاتلون بها وقد يحمل على انه القضيب الممشوق من
المشق وهو جذب الشي ليطول اي الطويل الذي كان صلى الله عليه وسلم يمسكه
وهو الان عند الخلفا كانوا يتداولونه واحدا فواحدا واما الهراوة التي وصف
بها فهي في اللغة العصا زاد الجوهري الضخمة والجمع هراوي بفتح الواو اراها

طل

والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي وضعف
هذا الظن النووي بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه
يستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور في الكتب السالفة فلا يصح
تفسيرها بعصا تكون في الاخرة فالصواب ما قاله الايمة في تفسير كونه صاحبها
الذي كان يمسك بيده القضيب كثيرا وقيل لانه كان يمشي والعصا بين يديه وتغرز
له فيصلي اليها وقوله لاهل اليمن هي رواية مسلم في المناقب وفي نسخة لاهل
اليمني اي اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا واما التاج فالمراد به كما تقدم
العمامة ولم يكن حينئذ اي حين وجوده صلى الله عليه وسلم الا للعرب والعمايم
تيجان العرب وفي بعض النسخ وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم بشهادة حديث
البخاري كان صلى الله عليه وسلم في السوق فقال رجل يا ابا القاسم فالتفت
اليه فقال انما دعوت هذا فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وزيد انما جعلت
قاسما اقسم بينكم وروي كما في مسند احمد والبيهقي عن انس انه لما ولد ابراهيم بن
نبينا من مارية جاء جبريل فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فهي كنية ايضا
فصل في تشريف الله له تفعيل من الشرف للمبالغة في شرفه وهو مصدر
مضاف الى فاعله بما سماه به من اسمايه الحسنى التي لا اصل بينها انه لانها
على معان هي احسن المعاني وشرف الاسم بشرف مسماه فمنها ما يستحقه بحقيقته
كالقديم قبل كل شي والباقي بعد كل شي والقادر على كل شي والعالم بكل شي والواحد
ليس كمثله شي ومنها ما تستحسنه الانفس لاثاره كالغفور والروف والرحيم
والشكور والحليم ومنها ما يجب التخلق به كالمتفضل والمعطي والنافع ومنها
ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال
كالعظيم والجبار والمتكبر ومما وصفه به من صفاته العلى جمع عليا تانيث على
وصفها بالعلا لتعظيم الموصوف بها ما اجري اي ما اخلق واحق هذا الفصل بعنوان
الباب الاول في ثناء الله عليه واظهار عظيم قدره لديه وقد علل كونه احرى
واحق بها بقوله لانخراطه اي انتظامه في سلك مضمونها وهو ما خص به من
فضايل عجزت عن ضبطها الاوهام ومناقب خرست عن بثها السنة الاقلام وقد
شبه مضمونها بجواهر نفيسة على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له السلك
تخييلا وامتزاجه اي اختلاطه بعذب معينها اي حلو مايها الغزير شبهها لما تضمنته
تضمنته من منح الهبة بماء عذب فاستعار له اسمه على طريقة الاستعارة
التحقيقية وقرنها بالمعين ترشيحا لكن استدراك على وجه العذر عما فاته
من جعله هذا الفصل من تلك الفصول اذ لم يشرح الله الصدر للهداية
الى استنباطه اي استخراجه من مكانه ولا اثار الفكر لاستخراج جوهره
والتقاطه اي استخراجه من مكانه من بحاره شبه ما شرف به في هذا الفصل
من اسماء الله وصفاته بجواهر فاستعار له اسمها استعارة تحقيقية رشحها
بالالتقاط تناسبا بالتشبيه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فشرح
الصدر للهداية الى ذلك فراينا ان تصنيفه اليه بتعقيبه له ونجمع به شمله

ناعلم

ناعلم خطاب لكل من يتاتى توجيهه اليه اذ لم يرد به مخاطبا دون مخاطب ان الله سمى
كثيرا من انبيايه بكرامة فاوجد فيهم صفات هي مبادي اشتقاق اسما جعلها وفي
نسخة خلقها اعلاما عليهم من اسمايه كتسميته اسحاق واسماعيل ابني ابراهيم
خليل الله بعليم في قوله وبشروه بغلام عليم وهو اسحاق وحليم في قوله فبشرناه
بغلام حليم وهو اسماعيل فهذا اشر لما ذكر من اللغة هذا او اسماعيل هو المبشر
به بعد هجرة ابيه والبشارة باسحاق في سورة الصافات معطوفة عليها معروفة
في سورة الانبيا بولادة يعقوب المنافية للامر بذبحه مراهقا وابراهيم بحليم
في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ونوح بشكور في قوله انه كان عبدا شكورا
وعيسى ببر في قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتي وموسى بكريم في قوله
وجاءهم رسول كريم وقوي في قوله ان خير من استاجرت القوي الامين
ويوسف بحفيظ عليم في قوله اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم وايوب
بصابر في قوله انا وجدناه صابرا نعم العبد واسماعيل بصادق الوعد
في قوله واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفاء وعد
به مما لم يعهد من غيره كوعده اباه الصبر على ذبحه ثم وفا به كما نطق به اي كما
حض انبياه به الكتاب العزيز في مواضع كريمة وفضل نبينا محمدا بان حلاه منها
اي من زينة من اسمايه في كتابه العزيز وعلى السنة انبيايه بعدة كثيرة
لحيازته شرف معانيها واتصافه بها اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اي بعد افراغ الوسع فكرا وذكرا اذ لم نجد من جمع منها فوق
اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين علة لما قبله اذ نيت بانفراده بما ذكر
مما حلا الله محمدا منها وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل
الله كما الهم اي ما علم منها ضمن الهم معنى فعل يتعدى بالى كارشد تعدا
بها وحققه واطلع عليه يتم النعمة باباته اي باظهار ما لم يظهر لنا الان ويفتح
غلقه شبه ما لم يظهر له بامتعة اغلق عليها على طريقة الاستعارة المكنية
مثبتا لها الغلق تخييلا فمن اسمايه اي الله تعالى الحميد بمعنى المحمود
في كل حال اذ هو المولى لكل نوال ولانه حمد نفسه تعليما لعباده كيف يحمدونه
وحمده عباده لاستحقاقه الحمد بالذات ويكون ايضا اسم فاعل بمعنى الحامد
لنفسه ولاعمال الطاعات من عباده له وقد تقدم معنى حمد الله عبده وحمد
العبد ربه وسمى نبينا محمدا لكثرة خصاله المحمودة فمحمد اسم مفعول مضاعف
للمبالغة اذ هو من الاعلام التي يراعى فيها معناها الاصلي التي هو هنا البليغ
في المحمودية فهو بمعنى محمود وكذا وقع اسمه اي محمود في زبور داود واحمد
اسم تفضيل بمعنى اكثر حمدا واجل من حمد بضم اوله وكسر ثانيه لحيازته شرف
الحامدية والمحمودية والى نحو هذا اي الى كون اسمه بمعنى ما ذكر اشار حسان
بن ثابت الانصاري بقوله وشق اي الله له صلى الله عليه وسلم من اسمه ليجله
اي ليعظمه اذ الاجلال التعظيم فذو العرش محمود وهذا محمد لم يرد الاشتقاق
الاصطلاحي بل مجرد كون اسمه بمعنى اسمه لان مبداهما واحد فهو صلى الله عليه وسلم

حميد من حيث ثلاثة اسميها اشتقاقا من ماخذ كريم قال الغزالي في مقصد الاسنا
الحميد من عباد الله من حمدت عقايده واخلاقه وافعاله واقواله وهو نبينا محمد
ومن قرب منه من انبيا وعلما واوليا فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من عقايده
واخلاقه وافعاله واقواله والحميد المطلق هو الله ومن اسمايه تعالى الرووف
الرحيم اي ذو الرافة والرحمة قدرا لا ابلغ منهما لما مر وهما معنى متقارب
الا ان الرافة شدة الرحمة وسماه في كتابه بذلك اي بهما فيه فقال لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رووف رحيم ومن
اسمايه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود اما لانه الثابت مطلقا اي بذاته
ومن قبل نفسه واياه اراد لبيد بقوله ه الا كل شي ما خلا الله باطل ه
اي هو في ذاته لا الزوال او هو الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي
البين امره والهيته بحيث لا خفا ولا اشتباه وبان وابان لازما ومتعديا
بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امور دينهم ومعادهم وسمى النبي بذلك
في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين اي انذركم ببيانه وبرهانه ان
عذاب الله يغشاكم ان لم تومنوا وقال قد جاءكم الحق من ربكم محمد او القران
وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد ولا دليل عليه وقيل القران بشهادة
ان تكذيبه كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها
كذبوا بالقران المحاسم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران
وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيرهم ومن ثم رتب عليه بالفا
قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ذلك عند نزول
العذاب بهم او عند ظهور الاسلام وارتفاع شانه ومعناه اي الحق المتحقق
صدقه وامره بالمعنى الاول كرره تاكيدا لكون الحق اسما له صلى الله عليه وسلم
والمبين هو البين امره ورسالته بظهوره بما كان علم او هو المبين عن الله
ما بعث به لمن بعث اليهم كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم من مرغوب فيه وعنه
والتبيين اعم من النص لشموله ما يدل على النص كالقياس ودليل العقل ومن
اسمايه تعالى النور هو في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا ثم بها تدرك
ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين على الاجرام المحاذية لهما فلا
يصح بهذا المعنى اطلاقه عليه تعالى الا بتجوز اما من حيث ان ظهوره تعالى
بنفسه ووجوده بذاته مبرا من ظلمة العدم وان ظهور غيره موجود فايض
عنه تعالى واما ان يكون معناه بتقدير مضاف اي ذو النور اي خالقه او
منور السموات والارض بالانوار الفايضة على الكواكب ومن يقتدي به ومنور
قلوب المومنين بالهداية فهم بها يهتدون وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين قيل النور هو محمد لسطوع ابانه ووضوح معجزاته
وبه يهتدى وقيل القران لكشفه ظلمات الشرك وابانته ما خفي من الحق او
لظهور اعجازه وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لان به تجلى ظلمات الشرك
وتقتبس من نوره انوار البصاير لوضوح امره وبيان نبوته

المومنين

المومنين والعارفين بما جاء به من الهدي التي هي اقوم من توحيد الله والايمان
برسله والعمل بطاعته ومن اسمايه تعالى الشهيد من الشهود اعني الحضور
ومعناه العالم بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العليم بباطن ما لا
يمكن احساسه وقيل هو الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه في كتابه
العزيز شهيدا او شاهدا فقال يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت
اليهم بتصديقهم مقبولا قولك لهم وعليهم وهو حال مقدرة وقال وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
بعدالتكم يوم القيامة اذا انكرت الامم تبليغ رسلهم اياهم فيطالبهم الله ببينة
التبليغ اقامة للحجة على منكريه فتشهدون ويشهد نبيكم بعدالتكم وعدى
شهادته لهم بعلى لانه المهيمن عليهم وقدمت الصلة تلويحا باختصاصهم
بكونه عليهم شهيدا وهو بمعنى الاول لاستوايهما في اصل المعنى مع زيادة
مبالغة في الثاني ووصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا قبل ذكر
ابينهما لذكر اية قبل اية اسمه الشهيد ومن اسمايه تعالى الكريم
ومعناه كثير الخير وقيل المفضل بالنوال عفوا بغير وسيلة وسوال وقيل
العفو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عنها وهو ابلغ من الغفور من حيث ان
الغفر ستر والعفو محو وهو في الاصل القصد لتناول الشي استعير للمحو
لانه قصد لازالة الممحو وقيل العلي مبالغة من العلو اي البالغ الى حيث لا ر
الا وهي دون رتبته وهو اسم ايه الاضافية وقيل هو الذي علا عن الادراك
ذاته وجل عن التصور صفاته وقيل هو الذي تاهت الالباب في بيدا جلاله
وعجزت العقول عن وصف كماله وفي الحديث المروي في سنن ابن ماجه ومن
اسمايه اكرم اي الزايد في الكرم على كل كريم اذ انعامه عفو بلا سبب وعوض
بل هو في الحقيقة الكريم وحده وفي استدلاله بالحديث اشعار بغفلته عن تسميته
تعالى به في قوله اقرا وربك الاكرم وسماه كريما بقوله انه اي القران لقول
رسول كريم قيل عن بعض المفسرين هو محمد وقيل هو جبريل وبه قال الاكثرون
اذ هو الذي قاله عن الله وقال صلى الله عليه وسلم كما تقدم مرارا انا اكرم
ولد ادم انا اكرم الاولين والاخرين ومعاني الاسم اي لفظ كريم صحيحة في
حقه بشهادة ما افاده قول صفوان بن امية كما مر وقد اعطاه غنما بين جبلين
ان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر من كونه فايقا في الكرم ومن اسمايه
تعالى العظيم من عظم الشي اذا كبر حسا او قدرا او رتبة وهو الله اذ العظيم
المطلق البالغ اقصى مراتب العظمة من لا يتخيله وهم ولا يتصوره فهم
لتنزهه وتعاليه عن ان يحاط بكنه ذاته ومعناه الجليل الشان لاتصافه
بنعوت الجلال تنزيها له عما لا يليق بجنابه الكريم الذي كل شي دونه
اذ لا كمال فائق فوق كماله وقد فرق بينه وبين الكبير والعظيم بان الكبير
اسم للكامل في ذاته والجليل اسم للكامل في صفاته والعظيم اسم للكامل فيهما
وقال فيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم حتم على قومك اذا

بهم حليم اذا ما الحلم زين اهله مع الحلم في عين العدو مهيب فهو اسمه وان
وقع هنا صفة لخالق لقيام العظمة به صلى الله عليه وسلم اذ هو اعظم المخلوقات
ووقع في اول سفر من التوراة عن اسماعيل نبي الله ابن خليل الله وقبيلة
عظيمة لامة عظيمة لشهادة آية كنتم خير امة اخرجت للناس وخيرية كل
امة تابعة لخيرية نبيها فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومعنى الاستعلاء في الآية
تمثيل لتمكنه منه مستقرا فيه بحال من استعلى شيئا وركبه ومن اسمائه
تعالى الجبار مبالغة من الجبر وهو في الاصل اصلاح الشيء بضرب من القهر ثم
استعمل تارة في الاصلاح المجرد كقول علي يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير
وتارة في القهر المجرد مثل ما ورد لا جبر ولا تفويض ومن ثم قيل ومعناه
المصلح لامور عباده المتكفل بمصالحهم فضلا منه وقيل القاهر لعباده
على ما يشاء لا انفكاك لهم عما شاء من اخلاق واعمال وارزاق وآجال فلا موجود
الا وهو مقهور تحت قدرته حاف لقضائه وقيل العلي العظيم الشأن الذي
لا يؤثر فيه مكروه ولا ينال له كيد عزيز في سلطانه فهو من اسمائه التنزيهية
وقيل المتكبر مبالغة في الكبريا من الكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا المتفرد
بالكبرياء والعظمة من كل وجه وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب
داود صلى الله عليه وسلم جبارا فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان
ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حقه باعتبار
اسمائه المصلح والقاهر والعلي العظيم الشأن اما لاصلاحه لامته بالهداية
والتعليم لدين قويم وصراط مستقيم والارشاد الى احتقار الدنيا وكرائمها
ولقد نهى الله نبيه ان يمد عينيه الى زهرتها بقوله لا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ومن ثم شدد
سلفنا الصالح في غض البصر عما اتهمك فيه الظلمة والفسقة من مراكب
وملابس وملاهي حتى قال الحسن لا تنظروا الى هماليج الفسقة وانظروا
كيف يلوح ذل المعصية من رقابهم وهذا لانهم انما اتخذوها ليراهم الناس
فالناظر اليها سوف لغرضهم ومعين لهم على اتخاذها او لقهره اعداءه الجبابرة
وقصم ظهورهم اهلا كالهم وصلما لعتوهم او لعلو منزلته على البشر في الكمالات
النفسية والكمالات العلمية والعملية وعظم خطره اي قدره ومزيته على
غيره وخفي عنه في القرآن جبرية الكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم
بجبار اي بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد بل انت داعيهم
الى شريعتي والايمان بي ومن اسمائه تعالى الخبير مبالغة من الخبرة اعني
العلم بالخفايا الباطنة ومعناه العليم ببواطن الامور المطلع بكنه الشيء
اي علمه فاليا فيه كما في قوله تعالى تأمنه بقنطار العالم بحقيقته وقيل
معناه المخبر لتمكنه من الاخبار بما علمه قال تعالى الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به
اي عما ذكر من الخلق والاستوا خبيرا اي عالما يخبرك بحقيقته وقال [illegible]

ابن العلا

ابن العلا المأمور بالسؤال غير النبي والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه
بما يسئل عنه من صفات ربه تعالى وقال غيره اي غير ابن العلا السائل هو النبي والمسئول
هو الله او جبريل او من وجد الله في كتبه المتقدمة فالنبي خبير بالوجهين اما الاول فظاهر
لخبرته بما يسأل عنه واما على الثاني فمن حيث ما قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه
الله من مكنون علمه وعظيم معرفته تمثيل لتمكنه صلى الله عليه وسلم من العلم واستقراره
فيه بحال من اعتلى شيئا وركبه مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به بما ينفعهم معاشا
ومعادا ومن اسمائه تعالى الفتاح مبالغة من الفتح بمعنى الحكم ومعناه الحاكم بين
عباده قال تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي احكم وذلك لان الحكم فتح امر مغلق بين
الخصمين وقد بين الله الحق واوضحه وميز الباطل ودحضه بانزال الكتب واقامة
البراهين ومرجعه اما الى الارادة او الى الفعل المنصف للمظلوم من ظالمه او فاتح ابواب
الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم متعلق بفاتح قال تعالى ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها او يفتح قلوبهم وابصارهم لمعرفة الحق وعلى من عصاه ابواب
المغفرة وقبول التوبة ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم كم
الفتح وان تستنصروا فقد جاءكم النصر خطاب لقريش بمكة لانهم اذ قالوا متعلقين
باستار الكعبة عازمين على الخروج لبدر اللهم انصر اعلا الجندين واهدي الفئتين
واكرم الحزبين وقيل معناه مبدأ الفتح والنصر اي مظهرهما وسمي نبيه بالفاتح
في حديث الاسرا المتقدم عن ابي هريرة وفيه من قول الله وجعلتك فاتحا وخاتما
وفيه من قول النبي ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا
بمعنى الحاكم بين الخصوم مظهر لهم ما انغلق من امورهم عليهم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته ليعمهم فيفوزوا او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله
ليظفروا بالسعادة المعاش عاجلا والمعاد آجلا او الناصر للحق باظهاره وخذلان اعدائه
او المبتدي بهداية الامة بارشادهم الى الحق ليذعنوا فيفوزوا او المبدأ المقدم
في الانبياء والخاتم لهم كما كنت اول الانبياء في الخلق نورا في وجه آدم وآخرهم في البعث
اذ ختم به النبوة والرسالة وتقدم له مزيد بيان ومن اسمائه تعالى في الحديث
الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة الشكور وفي القرآن ان ربنا لغفور شكور
مبالغة من الشكر ومعناه المثيب الثواب الجزيل على العمل القليل فيرجع الى الفعل
وقيل المثني على المطيعين وقيل المجازي عباده على شكرهم فيكون من قبيل الازدواج ج
والمشاكلة كما سمي جزاء الحسنة حسنة ووصف بذلك اي بشكور نبيه نوحا فقال
انه كان عبدا شكورا يحمد ربه على مجامع حالاته وقد وصف النبي نفسه بذلك في الحديث
المتقدم فلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك قائما بموجب
شكره مواظبا على وظائفه مشيرا عليه مجتهد النفس في الزيادة في ذلك امتثالا
لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم نعمة ومن اسمائه تعالى العليم والعلام مبالغة في عالم
من العلم وعالم الغيب والشهادة منه ايضا اي الغائب والحاضر فهو العالم المحيط
علمه بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليلها لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه
قاصية ولا دانية ولا يشغله علم عن علم كما لا يشغله شان عن شان ووصف نبيه

بالعلم وخصه بمزية منه اي من العلم لم يشاركه فيها غيره فقال وعلمك ما لم
تكن تعلم تنبيه على عظم المزية اذ لا مزية فوقها وان شاركه غيره في ان الله علمه
ما لم يكن يعلم وقال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي
وكرر الفعل تلويحا بانه نوع اخر ومن اسمايه تعالى الاول والاخر وجود ابلا بداية
وبقا بلا نهاية ومعناهما السابق للاشيا قبل وجودها اذ هو الموجد والمبدع لها
الباقي بعد فنايها بشهادة حديث اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر
فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض
عنا الدين واغننا من الفقر وتخفيفه اي تحقيق كونه اولا واخرا انه ليس له اول ولا اخر
اي لا ابتدا له ولا انتها له ولا سابق له ولا باق بعده فهما من صفات التنزيه وقال
صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبيا في الخلق اي نورا في وجه ادم واخرهم في البعث
الى خير امة اخرجت للناس يدعوها الى الحق فختمت به الرسالة وعم نفعه وفسر بهذا
اي بكونه اول الانبيا في الخلق قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي
عهدهم بتبليغ الرسالة والدعوة الى الخلق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم وخصهم بالذكر من عطف الخاص على العام تنويها بعظم محلهم وخصهم
بالذكر قيل لانهم اشهر ارباب الشرايع فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم تعظيما له
وتكريما وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب في كلام تقدم ينادي بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا وذكرك اولهم
فقال واذ اخذنا من النبيين ومنه اي من قوله كنت اول الانبيا الى اخره قوله
نحن الاخرون اي في البعث السابقون اي يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق
كما صرح به حديث مسلم وقوله فيما تقدم انا اول من تنشق عنه الارض واول
من يدخل الجنة اي هو وامته من الباب الايمن من ابوابها كما ورد واول شافع
واول مشفع بعد سواله ربه الشفاعة وهو صلى الله عليه وسلم بالاول والاخر
انما هو من حيث كونه اولا في الخلق واخرا في البعث لا من حيث معناهما في حقه
تعالى فلا التفات الى ما ذكر هنا ومن اسمايه تعالى القوي وذو القوة المتين
ومعناه القادر التام القدرة البالغة الحيث لا يخرج عنها مقدور كما لا يخرج
عن حكمته مفطور والمتانة في الاصل شدة الشي واحكامه مصدر متن اذا قوي
ظهره ومرجعه الى الوصف بكمال القدرة وشدتها ووصفه بذلك فقال انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمدا بلا بينة وقيل جبريل وعليه
الاكثر ولم يحكوا فيه خلافا ومن اسمايه تعالى الصادق فيما زاد ابن ماجة فيها
في الحديث الماثور عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم وقد يوخذ من قوله تعالى
ومن اصدق من الله قيلا الحمد لله الذي صدقنا وعده وورد في الحديث عن ابن
مسعود اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق فيما يقول المصدوق اي الذي
يصدق فيه وسمي به جده اسماعيل انه كان صادق الوعد واكرم بوعده اباه
الصبر على ذبحه ووفاه ومن اسمايه تعالى في القران الولي الله ولي الذين امنوا

وفي اسمايه الحسنى الولي وفي القران المولى هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير
له ومعناهما اي الولي والمولى الناصر واي نصرة اعظم من اخراجهم من ظلمات الضلالة
الى نور الهداية قال الله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لم يقل اتما اوليائكم
تنبيها على ان الولاية بالاصالة لله وبالتبع لرسوله والمومنين وروى البخاري
عن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مومن ورواه احمد وابو داود
عن جابر بلفظ انا اولى بكل مومن من نفسه وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
اذ هو ينجيهم صلاحهم ومعدن نجاحهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره
انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها وروى الترمذي
وحسنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال الشافعي ولاء الاسلام كقوله
تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر لعلي
اصبحت مولى كل مومن اي وليه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلي لست
مولاي انما مولاي رسول الله فقال من كنت مولاه فعلي مولاه ولو كان المولى هو المتصرف كما
قالت الشيعة فيستحق كلما يستحقه رسول الله من التصرف ومن امور المومنين
فهو امامهم للزمان يكون له التصرف في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل به احد
اذ كان صلى الله عليه وسلم هو المستقل فيجب حملها على المحبة وولاء الاسلام كما قال الشافعي
ومن اسمايه تعالى العفو ومعناه الصفوح مبالغة في التفاعل من الصفح اي كثير
الصفح والتجاوز عما فرط وقد ندب عباده اليه فقال وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم اي على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر وقد قطع نفقة مسطح بن اثاثة اذ خاض
مع اهل الافك فقال بلى ورجع اليه نفقته اذ كان ابن خالته وفي العفو حفظ قلب
المسي من الاستيحاش وازالة الخجل عنه بتسبيل عنه من ملابسه ووصف الله
نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا في القران وفي التوراة وامره بالعفو فقال
خذ العفو عن المذنبين وامر بالعرف اي المعروف الحسن من الافعال قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك
وقال في التوراة وفي الحديث المشهود الذي رواه فيما تقدم عبد الله بن عمرو بن
العاصي في صفته صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح
فيشتق له منه اسم العفو لاتصافه به ومن اسمايه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق
الله لمن اراد من عباده بخلق الاهتدا فيه فيصير به مهتديا وبمعنى الدلالة على الحق
وبيان الرشد وبمعنى الداعي الى الاسلام قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام
اي السلامة من الانقضا والافة او يسلم الله وملايكته على من فيها او دار الله
واضافتها اليه تعظيم لها وهي الجنة ويهدي من يشاء بتوفيقه الى صراط مستقيم
اي طريقه او هو الاسلام والتدرع بلباس التقوى هذا او تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشية شاهد اصدق بان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم
يرد الله رشده فالدعوة بالدلالة على لسان الرسول عامة والهداية خاصة من لطفه
تعالى عناية وتوفيقا اي يدعو عباده كلهم الى الجنة ولا يدخلها الا من هداه

اصل الجميع اي ماهو بمعنى التوفيق اي خلق الاهتدا وماهو بمعنى الدلالة وماهو بمعنى
الدعا من الميل وقيل من التقديم فكان من هدي مال الى ما هدي اليه او تقدم اليه وقيل
في ... طه انه ... ... فاخذ من كل اسم حرف وركب او جعلا علما
عليه لعنى النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى وانك لتهدي اي لتدعو وترشد
الى صراط مستقيم اي الاسلام وقال فيه صلى الله عليه وسلم وداعيا الى الله باذنه
اي بتيسيره هذه الكلمة موذن بوصف الله له بانه هادي فالله مختص بالمعنى الاول
وهو توفيقه من يشاء بخلق الاهتدا فيه اذ لا يقدر عليه غيره قال تعالى انك
لا تهدي من احببت اي لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشا
بخلقه فيه وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى على ما مر ومن اسمايه تعالى
المومن المهيمن قيل انهما بمعنى واحد هو امن البريه بخلق الامان وسد ابواب ‌ اسبابه
المخاوف فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده اي المنجز ما وعدهم
في الدنيا من نعيم الاخرة قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده والصدق
قوله الحق قال تعالى فورب السماء والارض والمصدق لعباده قال تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي فيه فحذف الجار بعبسي مجروره الفعل وقيل
الموحد نفسه قال تعالى انني انا الله لا اله الا انا وقيل المومن عباده في
الدنيا من ظلمه تنزه عن ذلك وله تعالى المثل الاعلى وفي الاخرة من عذابه
فهو من الامان وقيل المهيمن مفيعل من الامانة بمعنى الامين فصغر منه اي
من الامين بزيادة ميمه الاولى فصار مويمن فقلبت الهمزة هاء اذ كثيرا ما يتعاقبان
عليه وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اي امين اسم من اسماء الله ومعناه
معنى المومن فكان الاولى تقديمه والاشهر ان معناه استجب وهو اسم مبني
على الفتح يمد ويقصر والمد اكثر وفي الحديث امين خاتم رب العالمين اي طابع الله
على عباده اذ به ترفع البلايا والافات فهو كخاتم الكتاب به حفظه وصونا له
وفيه امين درجة في الجنة اي هي كلمة تكتسب بها تلك الدرجة فيها وفيه قال
بلال لرسول الله لا تسبقني بامين اي بعد قراءة الفاتحة في الصلاة قيل
لعل بلالا كان يقرا وهي في سكتة رسول الله بعد فراغه منها فربما بقي عليه شي
منها فخشي بقراءته فوات موافقته في التامين فاستمهله به زمنا يقرا وهو فيه
لينال بركة موافقته له وقيل المهيمن بمعنى الشاهد من هيمن الطير اذا نشر
جناحه على فراخه صيانة لهم اي العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة والذي
يشهد على كل نفس بما كسبت والحافظ للموجودات متضادة ومتعادية يمنع
بعضها عن بعض ولعباده اعمالهم وعحصي عليهم افعالهم واقوالهم والنبي
صلى الله عليه وسلم امين بشهادة حديث اني لامين في الارض امين في السماء
وكانت قريش يدعونه قبل البعثة محمد الامين ومهيمن على المومنين ومومن
اي مصدق وقد سماه الله امينا قال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين هذا ولا يعزب عنك ما مر من ان الاكثر انه جبريل
وكان كما مر يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في

شعره

شعره مهيمنا في قوله من ابيات يمدحه بها

ثم احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق

قد مر بيانه مع ابيات هو منها وقيل المراد بالبيت المهيمن قاله القتبي والامام
ابو قاسم القشيري وقال تعالى يومن بالله اي يصدق به لما يشهد عنده بوجوده
ووحدانيته ويومن للمومنين اي يصدقهم لعلمه بخلوصهم واللام مزيدة للفرق
بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان وقال في حديث مسلم
المتقدم لفظا ومعنى انا امنة لاصحابي جمع امين وهو الحافظ كبررة جمع بر ويجوز
ان يكون مصدرا للمبالغة كعدل وصوم فهذا بمعنى المومن من الامن اذ كانوا في
ظل حرم كنفه امنين ومن اسمايه تعالى القدوس مبالغة من القدس وهو الطهارة ‌ ره
والنزاهة ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدوث المبرا من ان
يدركه حس او يتخيله وهم او يحيط به عقل او يتصوره فهم وسمي بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس اي المطهر او المبارك وروح القدس
في قوله واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل
وخصه بالتعيين لافراط اليهود في تحقيره وجعل معجزاته سببا لتفضيله لوضوح ‌ ح
ايانه وظهور معجزاته التي لم يجمعها غيره ووقع في كتب الانبيا اي وجد فيها او في بعضها
في اسمايه صلى الله عليه وسلم القدوس المطهر من الذنوب كما قال في تنزيله القديم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه
باتباعه منها كما قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم
اي يطهرهم من الشرك وخبايث الجاهلية وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان
والهدى او من ظلمات الشبهة في الدين بما يهديهم له حتى يتضح لهم نور اليقين
او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية بما لا يليق
بجنابه العلي وقدره الوفي ومن اسمايه تعالى العزيز اما من عز يعز بالكسر اذا غلب
ومعناه المنيع الذي لا ينتطرق الى ظل عزه مما له الغالب كل شي فمعناه مركب من
نعت حقيقي ونعت تنزيهي او الذي لا نظير له ولا مثل فهو من اسماء التنزيه او المعز
لغيره فلا يذل ولا يشان بافتقاره الى احد او من عز يعز بالفتح اذا قوي واشتد
فمعنى القوي الشديد قال تعالى فعززنا بثالث اي قوينا وقد وصف نبيه بالعزة
قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين اي الامتناع من ان ينال بمكروه
بقوته وغلبته وجلالة القدر له تعالى ولمن اعزه كرسوله لعزته بربه وهو عنده
اعز واجل قدرا وفاته ان يستدل بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم
وقد وصف نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي دايم وتنكير المبشر به موذن بانه وراء تعريفه وتعيينه
وقال فناداه الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى اسم اعجمي او عربي
ومنع صرفه للعلمية والوزن وايد بالملايكة جبريل انه هو المنادي هنا لانه من جنسهم
وفي مريم يا زكرياء انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ولعله على لسان جبريل او نودي

مرتين من قبل جبريل اومن قبل الله ولو لي تسميته تشريفا له وقال اذ قالت الملايكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم لقب تشريف كالصديق
واصله بالعبرانية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايسوع وابن مريم
صفة تميز نظمت معهما وسماه اي الله محمدا صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا
في يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا اي للمومنين بالجنة وللكافرين
بالنار وسماه بشيرا في وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا اي مبشرا
لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمايه تعالى فيما ذكر بعض المفسرين
طه ويس كل واحد منهما اسم تفضيل ولعل الطا من لطيف والها من هادي والياء من
معطي والسين من سميع فهو تعالى لطيف بعباده هاديهم معطيهم سميع لهم وذكر
بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد قيل بلا بينة ولا دليل يعتمد والله اعلم بمراده
بهما هذا ثم جميع ما ذكرهنا من الاسماء ليس منها سوى محمد واحمد ما يختص به علما
وما عداهما فمن اتصف بما اخذ اي اسم منها جاز اطلاقه عليه وبهذا الاعتبار
يمكن الزيادة كالنافع والمرشد والمعطي والكريم والجواد اي باعتبار ما وصف به
من النفع والرشد والعطا والكرم والجود تنفس وها انا اذكر ها حرف تنبيه
دخل على مبتدا وخبر نبه به على حاله في ذكره نكتة بمثناة من نكت بقضيبه الارض
اذا ضربها بطرفه فاثر فيها ثم استعمل فيما احتيج في فهمه الى تامل اذيل بها هذا
النفس اي يجعلها له كالذيل للثوب بجامع ان كلا يكون اخرا وفي حديث مصعب
بن عمير كان في الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن اي يطيل
ذيلها واليمنة من برود اليمن واختم بها هذا القسم واذيل بها الاشكال الواقع
فيما تقدم من متشابه الحديث وغيره عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم متعلق
باذيل اي ازيله عنه حذرا من وقوعه فيما يرديه تخلصه من مهاوي التشبيه
جمع مهواه واضافتها اليه لكونه سببا للسقوط فيها ولم يعطف هذه الجملة على
ما قبلها لاختلاف المسند اليه وتزحزحه عن شبه التمويه اي تبعده عن الشبهة
التي تخيل انها مقبلة وتبين مدبرة اي اذا اقبلت خيلت انها حقة واذا ادبرت
وانقضت بان لمن دخلها وارتكب فيها ما لا يحل انها ليست بحقة وانه كان فيها
على الخطا وفي الحديث من صام يوما في سبيل الله زحزحه الله عن النار سبعين
خريفا اي نجاه وباعده عنها مسافة تقطع في سبعين سنة اذ كلما مر خريف
انقضت سنة قيل لانه اخر فصولها الاربعة فهو من اطلاق اسم البعض على
الكل وهو اي ضعيف الوهم سقيم الفهم ان يعتقد ان الله جل اسمه اي عظم
وتنزه عن الحادثة بالتاويلات الزايغة او عن تسميته غيره به في عظمته
وكبريايه في موضع حال لازمة من الضمير في اسمه اي متصفا بهما وبما بعدهما
فكنى بالظرف عن اتصافه بهما قصدا للمبالغة في تمكنه من اتصافه بهما من
غير تصور ظرفية واستقرار ويكفي لصحة الظرفية تمكنه من الاتصاف بهما
او نفيه تمكنه منه بتمكن المظروف بظرفه ثم استعمالا في المصدر اصلية وفي الحرف
تبعية او ظرف مستقر وهو تعالى لغاية كماله وبلوغ عظمته وكبريايه اقصى مراتب

وجوب

وجوب وجوده وبقايه كانه فيهما لانفاده بهما وبلوغه فيهما اعلا المراتب
وملكوته من الملك وهو اعظمه زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة لانه اليق بجنابه
الكريم وحسنى اسمايه لدلالتها على احسن المعاني فمن احسن اسمايها ما لا يتصف
بحقيقته غيره كالاول قبل كل شي والواحد ليس كمثله شي وما تستحسنه الانفس لانا ده
كالرحيم والغفور والشكور وما يوجب التخلق به كالمعطي والنافع والهادي
وما يوجب مراقبة الاحوال كالمقتدر والسميع والبصير وما يوجب الاجلال
كالعظيم والجبار والمتكبر وعلي صفاته لتنزهها عن ان يتصف بها غيره لا يشبه
شيا من مخلوقاته خبر وما بينهما اعتراض ورد موذن بكونه تعالى لكمال ذاته
وعظيم صفاته متعاليا عن ان يشبه شي منها ولا يشبه به شي لبراءة ساحة عزه
عن ذلك وان تشابه من الاسماء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق كبير
وحليم وشكور وحفيظ وعليم فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي الذي هو
ماخذها اشتقاقا مما اتصفا به كالبر والحلم والشكر والحفظ والعلم اذ
صفات القديم قديمة لا يعرضها تغير ولا يعتريها عدم اذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه
بخلاف صفات المخلوق ايعتورها التغير ويغشاها العدم فكما ان ذاته تعالى
لا تشبه الذوات لقدمها بالزمان بعدم مسبوقيتها بالعدم بخلاف صفاتهم اذ
صفاتهم حادثة لمسبوقيتها بالعدم لا تنفك عن الاعراض باعتوارها عليها ولا على
الاغراض لصدورها عنه معللة بها وهي اعراض واعراض جناس مضارع لاتحاد
الحرف المختلف فيه مخرجا وهو تعالى منزه عن ذلك اذ لا يعتري ذاته عرض ولا تعلل
افعاله بغرض بل لم يزل موجودا بصفاته وهي ما دل عليها فعله لتوقفه عليها
من قدرة توثر في المقدور عند تعلقها به وعلم ينكشف به الشي عند تعلقه به
وحياة تقتضي صحة العلم لموصوفها وارادة تخصص احد طرفي الممكن من فعل
وترك بالوقوع او دل عليها تنزيهه من سمع وبصر يزيدا الانكشاف بهما على الانكشاف
بالعلم او كلام قديم مناف للسكوت والافة عبر عنه بالنظم المنزل للاعجاز بسورة
وقد تعبدنا الله بتلاوته وبقايه وهو استمرار الوجود واسمايه اي لم يزل بها
موجودا اي بمعانيها وهي كما مر ما دل على الذات باعتبار صفة كالعالم والخالق هذا
واما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحيا والاماتة المعبر عنها بالتكوين
فحادثة خلافا للماتريدي ومتابعيه اذ هي اضافات تعرض للقدرة هي تعلقاتها
بوجودات المقدورات لاوقات وجوداتها ولا محذور في اتصافه تعالى بالاضافات
مثل كونه تعالى بالاضافات مثل كونه تعالى قبل العالم ومعه وبعده وازلية اسمايه
الراجعة الى صفات الافعال كالخالق والرازق والمحيي كما مر في جملة اسمايه من
حيث رجوعها كما في المقصد الاسنى الى القدرة لا الى التعلق فالمحيي مثلا من شانه
الاحيا اي هو بالصفة التي بها يحصل القطع عند ملاقاة المحل فان اريد به من
صدر منه الاحيا فليس صدوره ازليا وكفى في هذا اي في كون ذاته وصفاته
لا تشبه ذات وصفات من سواه قوله ليس كمثله شي اي ليس كالله شي فيما سبق
فكنى عن ذاته بمثله كما في مثلك لا يبخل قصدا للمبالغة في نفيه عنه بالمبالغة

بالكناية فانه اذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى فلا فرق بين ليس كالله شي وليس
كمثله شي الا ما افادته الكناية من المبالغة فمعناهما واحد هو نفي المثل عنه ونحوه
بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد وبسط لها لوقوعها كناية
عن الجواد ومن زعم زيادة الكاف اراد انه يفيد معنى ليس مثله شي لكنه اكد ولله
در من قال بالدال المهملة كني به عن عمله اذ هو في الاصل اللبن التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات اي غير منفي عنها صفاتها
القديمة اذ التعطيل نفيها واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدما مبالغة
في التوحيد قلنا المحذور في تعددها ذاتا او صفات لا في تعددها ذواتا
وزاد هذه النكتة من نكت بالارض اذا ضربها بقضيب فاثر فيها استعير لما
دق من الكلام ولطف الواسطي بيانا فقال ليس كذاته شي ذات لكمالها في
اعلا مراتب القدم لا يعرضها تغير ولا عدم وذات غيره تكتنفها الحوادث
ويعروها التغير ولا كاسمه اسم كالله والرحمن لتعاليه عن ان يسمى به غيره
ولا كفعله فعل من خلق ورزق واحياء واماتة لظهور اثاره كريمة عامة النفع
ولا كصفته صفة لقدمها وحدوث غيرها الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ
في بعضها كالعليم وورود النكرات في حيز النفي موذن بعمومها وجلت الذات
القديمة اي عظمت وتعالت ان يكون لها صفة حديثة وجدت بعد عدم لانها
ان كانت صفة كمال فخلوها عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافها بها نقص
اتفاقا والا استحال اتصافها بها اتفاقا استحال ان يكون للذات المحدثة
صفة قديمة لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وقد فسر الامام ابو القاسم
القشيري قوله هذا ليزيد بيانا فقال هذه الحكاية اي ما زاده الواسطي انما
تشتمل على جوامع جميع مسايل التوحيد وهو اعتقاد ان لا شريك له في
الهيئة وخواصها التي لا يشاركه فيها احد كالغنا المطلق وخلق العالم وتدبيره
واستحقاقه العبادة وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجوب وجودها
مستغنية عن كل شي لعدم افتقارها اليه والا لم تكن مستغنية ولزم امكانها
وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس لاستغنائه عن الانيس
بل اثاره كلها منافع لعباده من غير ان يعود عليه منهم مقابل او دفع بالجر
عطف على لغير اي ولا لدفع نقص حصل تداركا لا كمال ما نقصه والجملتان
في موضع الحال وكيف نفي الموضعين استفهام موذن بانكار ان يشبه ذاته
ذات وفعله فعل اي والحال ان فعله لا باعث له عليه ولا يكون بخواطر
باعثة له عليه لامتناع ان يكون معللا بغرض على معنى عموم السلب
وعموم النفي اذ لو كان لغرض تحصيل مصلحة او دفع مفسدة لكان ناقصا
في ذاته مستكملا بتحصيله مستفيدا للاصلحية مستكملا بها ناقصا بدونها
ولو كان شيا من الممكنات غرضا للفعل لما حصل بخلقه ابتدا بلا واسطة
ذلك الغرض الباعث وتبعيته واللازم باطل لثبوت استناد جميع الحوادث
الكاينة اليه ابتدا من غير ان يكون بعضها اولى بالغرضية والتبعية من

اي

اي ولا يكون فعله تعالى باجتهاد ولا بمباشرة ولا معالجة بل اذا اراد ايجاد شي ظهر
بمجرد تعلق قدرته بمقدورها وفق ارادته بحدث انما امره اذا اراد شيا ان يقول له
كن فيكون اي اذا اراد ان يكونه فيحدث فكنى عن ايجاده بكن كناية عن سرعة الايجاد
اذ التكوين عندنا امر اعتباري يعقل عند تعلق القدرة بمقدورها خلافا للماتريدي
فالاية تمثيل للتاثير قدرته في مراداته بامر مطاع مطيعا له في حدوث ما مور به من غير
اباء وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال اله هذا وما ورد من افعاله تعالى
معللا بها مثل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فكون ما ترتب عليها من حكم ومصالح راجعا لعباده تابعا
لمصالحهم فضلا منه ونعمة عليهم لا علل اغراض لافعاله تعالى وليس فيها شي عبثا اي خاليا
عن حكمة ومصلحة ولا سبيل الى النقصان والاستكمال اي عظمة ذاته تعالى وفعل الخلق
لا يخرج عن هذه الوجوه اذ لا بد له من غرض باعث عليه وجد ومباشرة ومعالجة
وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه بما يتخيله الوهم او ادركتموه بعقولكم بما يتصوره
العقل فهو محدث مثلكم لمتابعة الحدوث للادراك الذي هو الاحاطة بجوانب المدرك
وحدوده المنزه ربنا عنه وقال الامام ابو المعالي امام الحرمين بن ابي محمد الجويني
من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه لا يدان انتهاؤه الى ادراك
مطلوب تصوري او تصديقي بحصول صورة في العقل تسفر عن التشبيه ومن
اطمان الى نفي محض لذات الصانع تعالى فهو معطل لان يكون للعالم صانع محدث له
مدبر امره ومن قطع بموجود بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد لاعترافه بما اوجب
قصوره عن ادراك من لا يحاط به علما ولا يتصور فهما وما احسن قول ذي النون
حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في ايجاد الاشيا بلا علاج ومزاولة عمل
واستعمال اله وان تعلم ان صنعه لها بلا امتزاج لشي بشي او باشيا لتركيبه بل بمجرد
تعلق القدرة بمقدورها صنع وفق الارادة من غير اختلال وتفاوت في التقدير ابداعا
اي بدون مادة كالسموات او تكوينا منها كالانسان من نطفة وعلة كل شي صنعه
باهر قدرته ولا علة لصنعه لما مر من افعاله لا تعلل بالاغراض وان عم نفع فوايدها
ومصالحها وما تصور في فهمك فالله بخلافه لتنزهه عن ان يتصور ويرتسم
في الوهم ذكرا او لا حقيقة التوحيد وعلة كل شي وما تصور في وهمك ثم اضاف
ما لكل اليه على التعيين ويسمى تقسيما الكنه على عكس الترتيب فقال والفصل
الاخر يعني الفقرة الاخيرة الثالثة اعني قوله وما تصور في وهمك فالله بخلافه هو
تفسير واشارة لقوله تعالى ليس كمثله شي لتنزهه عن ان يماثل بشي والفصل الثاني
يعني قوله وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه تفسير واشارة لقوله تعالى لا يسيل
عما يفعل لتعاليه عن ان يقال له لم فعلت وهم يسالون لانهم مملوكون له مستعبدون
والفصل الثالث يعني قوله التوحيد ان تعلم ان قوة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه
لها بلا امتزاج تفسير واشارة لقوله تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه تكوينا وايجادا
ان نقول له كن فيكون فكنى كما مر عن سرعة الايجاد بكن لاستحالة ان يكون المعدوم

تنبيه الباب الرابع من القسم الاول فيما اظهره الله على يديه من المعجزات الشاهدة
بصدق رسالته جمع معجزة وهي كما مر امر خارق للعادة يتحدى به كل نبي من كذبه
من قومه وهو من نوع ما كانوا عليه كما مر وبعث نبينا الى بلغاء ذوي بلاغة عارفين
بموارد الكلام ومصادره فتحداهم باقصر سورة من كتاب يرفل بمعنى كثير في حلل لفظ قليل
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فعجز من باراه وخرس
من باداه وفيما شرفه به من الخصائص والكرامات التي لم يفز بمجموعها غيره حسب
التامل اي كفايته ان يتحقق ان كتابنا هذا لم يجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن
في معجزاته فيحتاج في رد ما زعموه انكارا وطعنا الى نصب البراهين جمع برهان
وهو الحجة عليهما اي على معجزاته لاثباتها وتحصين حوزتها بمهملة وزاي وحفظ
افرادها مجموعة محصنة حتى لا يتوصل اليها المطاعن ولا يغشاها الاباطيل وتذكر
شروط المعجز لغيره اذ غلبه والتحدي وحده وهو طلب المعارضة ونذكر فساد قول
من ابطل نسخ الشرائع ورده لكنا لم نجمعه لشيء من ذلك فلم نحتج الى ذكر ما يدفعه
بل الفناه اي كتابه هذا لاهل ملته اي دينه صلى الله عليه وسلم الملبين اي المجيبين
لدعوته الى دار السلام واسبابها المصدقين لنبوته ليكون علة لتاليفه لما ذكر
تاكيدا في محبتهم له ومنماة اي محلا للنمو وهو الزيادة لاعمالهم وليزدادوا هم
ايمانا مع ايمانهم وجعل كتابه هذا منماة لنموها لكونه سببا باعثا عليها اذ بتاكد المحبة
تنمو اعمال المحب وبينتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته اي كبارها وعظامها
ومشاهير اياته ليدل ما نواه من اثباتها على عظيم قدره عند ربه واثبتنا منها ما
بعد ان نوينا اثباتها بالمحقق الذي لا مرية في وقوعه كالقران والصحيح الاسناد
كحنين الجذع وتسبيح الحصا والطعام واكثره مما بلغ القطع او كاد اي قارب ان
يبلغه واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة كالصحيحين وسنن ابي
داود واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره جمع اثرة بفتح الهمزة
والثاء من اثر يوثر ايثارا وحميد سيره وبراعة علمه من برع اذا فاق غيره فيه ورجاحة
عقله وحلمه اي زيادتهما على عقل غيره وحلمه وجملة كماله اي كمالاته بشهادة
الاضافة وجميع خصاله الحميدة المرضية وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر
جواب اذا اي لم يشك في صحة نبوته وصدق دعوته الخلق برعاية الاسلام الى الحق
وقد كفى هذا اي ما ذكر غير واحد من تامله في اسلامه والايمان به فروينا عن
الترمذي وابن نافع وغيرهما باسانيدهم شاهدا بان من تامل منصفا احواله
صفات واقعا لا واقفوا الا لم يرهقه تردد في صحة نبوته هو ان عبد الله بن سلام
بتخفيف لامه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته جواب
لما لانظر اليه فلما استبنت وجهه وظهر لي منه امارات صدقه عرفت جواب
لما ان وجهه ليس بوجه كذاب وروى ابن سعد عن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله لما ظهر له عليه
من ملابس الصدق وعلامات الحق وروى مسلم وغيره ان ضمادا هو ابن ثعلبة من
ازد شنوءة وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة لما وفد عليه صلى

صلى الله عليه وسلم وقد سمع بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد اني راق هل لك
شيئا ارقيك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله جملة اسمية هي في الاصل اخبارية
اريد بها الانشا واكدها بان واسمية الجملة تنزيلا لضماد قبل اسلامه منزلة منكر
كون الحمد بالذات لله ازالة لما عسى يكون عنده من الانكار نحمده ونستعينه اردف
تلك الجملة بجملة فعلية تلويحا بانه مقام تجديد نعم يوذن الحمد بازدياده
فناسب ان يورد ما يدل على التجدد والحدوث او حمد ربه بهما مبالغة في حمده لما من
عليه من شرايف النعم وكرايم القسم او حمل الاولى على الخبر وهذه على الانشا وجي بنون
العظمة اظهارا للزومها الذي هو ما انعم عليه ربه به تعظيما وتبجيلا امتثالا لقوله
تعالى واما بنعمة ربك فحدث من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
اذ بيده الهداية والاضلال واشهد ان لا اله الا الله موجود مستحق للعبادة الا الله
مستثنى مما افاده اله من الكثرة لكونه كليا لكنها ليست ممكنة لا تستحيل لها الا ذاك
الموجود المنفرد بشروط الالوهية الحق الجامع لصفات الربوبية فالمراد بهذه الكلمة
نفي ما استحال وجوده واثبات ما استحال عدمه ولم يقل ونشهد ليجري على نسق
ما قبله تفننا في الكلام فان نقله من اسلوب الى اخر يزيد حسن نظرية اي احداثا
وتجديدا لنشاط سامعه وايقاظا لاصغايه اليه وحده لا شريك له تاكيدا لما افاده وان
محمدا عبده ورسوله اعد علي كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر اي وسطه ولجته
قاله تعجبا من بلاغتها وايرادها مطابقة لمقتضى الحال تسابق معانيها الفاظها الى
الفهم وروى البيهقي قال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق اخبر انه راى
النبي بالمدينة فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا البعير
قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا بفتح الواو وكسرها ستون صاعا من تمر فاخذ
بخطامه اي برسنه الذي يقاد به وسار بنا فقلنا بعنا من رجل ما ندري من هو ومعنا
ظعينة لانها تظعن اي تسير مع زوجها حيث سار ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت
اذ هي اصلها وقيل هي المراة في هودجها ثم قيل للهودج بلا امراة وللمراة بلا هودج ج
وجمعها ظعن بفتح الظا والعين وضمها وظعاين واظعان فقالت انا ضامنة لثمن
البعير لما ظهر لها عليه من مخايل الصدق وملابس الوفا رايت وجه رجل مثل القمر
ليلة البدر لتلاليه حسنا وبهاء اذ كان ازهر اللون لا يخيسكم اي لا يغدر ولا
يخلف فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من
هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وروى وتمامه في كتاب الردة عن ابي
اسحاق في خبر الجلندى بضم الجيم وفتح اللام والدال بينهما نون ساكنة ملك عمان
بفتح العين وتشديد الميم مدينة بالشام من ارض البلقا فاما ما هو بالضم والتخفيف فصقع
عند البحرين لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام الموذن بالفوز
بسعادة الدارين قال والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه ان واسمها في تاويل
مفرد هو فاعل دل اي كونه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شي الا كان اول
تارك له كما قال صلى الله عليه وسلم والله اني لاتقاكم لله واخشاكم لله وانه يغلب اي اعداه
فلا يبطر اي لا يطغى اذا انتصر عليهم بل يبسط فيهم ما امر به ويغلب فلا يضجر اي لا يسام

ولا يبتزم من مكروه ويفي بالعهد ولا ينكثه امتثالا لقوله تعالى واوفوا بالعهد وبنجز
الموعود به لمن وعد به واشهد انه نبي لله دره ما ارجح عقله واتم نظره اذ قد جمع له هذه
المحاسن بتامله على الاحتزاز بنبوته وما نقله عن فطنته هنا تقدم نقله عن غيره
وبيانه وكرره تمهيدا لقوله يقول معناه تعالى ارادة وبيانا لقوله يكاد زيتها
يضيء اي يكاد منظره صلى الله عليه وسلم يدل على نبوته كما قال ابن رواحة عبد الله
الانصاري لو لم تكن فيه ايات مبينة يجوز ان يكون بناؤه على الفاعلية والمفعولية
لكان منظره حق فصل اعلم لكل من امكن توجيهه اليه اولمن سأله تاليف
هذا الكتاب ان الله قادر على خلق المعرفة بجميع جزئيات المعروفات شرعية
وغير شرعية وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم في قلوب عباده فتعيها
اذن واعية وقادر على خلق العلم بذاته لا بكنههما بل بكونهما موجودة واسمائه الحسنى
الدالة على احسن المعاني وصفاته العلى المتعالية عن ان تشبهها صفة مخلوق وجميع
تكليفاته التي الزمها عباده فيعلمون ان لهم ربا موجودا ذا اسما وصفات كمال ابتدا
دون واسطة لو شاء خلق ذلك فيهم ابتداء بلا مرشد اليه ومبين لهم اياه كما حكي عن
سنته في بعض الانبيا اذ خلق فيه ذلك الهاما والقا في الروع او رويا كامر ابراهيم
مناما بذبح ولده ورويا لهم وحي وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي وحي الهام او رويا بشهادة واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه فانه قطعا الهاما او رويا كما هو تعالى قادر على خلق ما ذكر في قلوبهم
ابتدا بدون واسطة وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم ما امر
بتبليغه اليهم بما يدل على ذلك من كلام يهدي اليه ويكون ذلك الواسطة اما من غير
البشر كالملائكة مع الانبياء يوحون اليهم ما ارسلوا به او من جنسهم كالانبيا مع
الامم يبينون لهم ما نزل اليهم ولا مانع لهذا الذي ذكر يمنع وصوله الى عباده بواحدة
من حالتي الابتدا والواسطة من دليل العقل لتجويزه اياه ولو مستحيلا والاضافة اما
بيانية اي من العقل الذي هو نفسه دليل ادراك الاسود وتجويزها ولو فرضنا ان
معنوية اي ولا مانع من ادلته يمنعه واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل
بما دل على صدقهم من معجزاتهم الباهرة واثارهم الظاهرة وجب على المرسل اليهم تصديقهم
في جميع ما اتوا به مما كلفوه بتبليغه ولان المعجز مع التحدي وهو طلب معارضة الاتي
به من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي لاتيانه بما لم يات به احد من ابناء جنسه
فهو دال على صدقه فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله من دعواه النبوة
والرسالة الى من ارسل اليهم وهذا كاف في غرضنا به بامكان ما ذكر وان المعجز مؤذن
بصدق النبي لقيامه مقام اخبار الله بانه صادق لجري عادته بخلق العلم بصدقه علما
ضروريا والتطويل فيه خارج عن الغرض اذ الغرض منه ما يفيد المعنى المراد والتطويل
لطريق مسلوك يورث الفهم حرجا في تحصيل مراده فمن اراد تتبعه وحرج جواب ما تضمنه
من الشرط مستوفى من مصنفات ايمتنا يعني المالكية والنبوة في لغة من همز ماخوذة
من النبا لانبا من اتصف بها عن الله وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا بقلب همزتها
واوا ثم الادغام كالمروة والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون

نبيا منبيا فعيلا بمعنى مفعول او يكون مخبرا عن ربه تعالى بما بعثه به ومنبئا بما اطلعه
عليه ومعناه ان له عند ربه رتبة شريفة لم تدرك ولم ترم ومكانة نبيهة اي
شريفة علية من النباهة يقال نبه ينبه اذا صار نبيها اي شريفا عند مولاه منيفة
اي علية ما لها مرقى لمستنم سواه فالوصفان من كونه مبيتا او منبئا في حقه مؤتلفا
لا يتلافيهما مبدا مودنا بشرف ذاته واناقة قدره واما الرسول فهو المرسل من
ربه الى مكلفي خلقه بشهادة يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فامنوا بالله ور سوله
النبي الامي محمد رسول الله فارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ولم
يات فعول بمعنى مفعل الا نادرا العدم وروده والله اعلم لغير هذا المعنى وارساله
امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه بواسطة او بدونها كما وقع لموسى اذ ناداه
ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى واشتقاقه اي الرسول من حيث
المعنى من التتابع لمناسبة بينهما اي لتضمن المشتق بمعنى مبدا به من توالي افراده
رسولا فرسولا بشهادة ثم قفينا على اثارهم برسلنا ثم ارسلنا رسلنا تترا اي
متتابعين واحدا بعد واحد وتاء تترى بدل من واو اذ اصله وترى من الوتر وهو
الفرد فثلث كتاثراب او من توالي الوحي او الموجود او التبليغ واراد بالاشتقاق
مطلق الاخذ اذ هو اوسع دائرة منه ومنه قولهم جاء الناس ارسالا جمع رسل
بفتحتين اي مفترقين اذ اتبع بعضهم بعضا وقد وردا انهم صلوا عليه صلى الله عليه وسلم
ارسالا اي يتبع بعضهم بعضا فكانه صلى الله عليه وسلم الزم تكرير التبليغ الى امته
ما ارسل به اليهم والزمت الامة اتباعه فيما جاء به عن ربه اليهم واختلف العلما
هل النبي والرسول بمعنى او معنيين فقيل هما سواء في المعنى فهما انسان اوحي
اليه بشرع واصله من الانبا وهو الاخبار والاعلام واستدلوا لكونهما سوا
في المعنى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا
الارسال ولم يجعل العطف حكما بمغايرة بينهما ولا يكون النبي الا رسولا ولا
يكون الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان بشهادة اصل العطف بالحكم بتغايرهما
من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي في لغة من همز الاطلاع لهما من الله
تعالى على الغيب والاعلام لهما من ربهما بخواص النبوة مثل كونهما موحى اليهما
ذوي عصمة او هي في لغة من لم يهمز الرفعة لرفعة ذلك اي شان النبوة وحوزة
درجتها التي لا درجة فوقها سوى الالهية وافترقا في زيادة الرسالة للرسول
تمييزا له عنه بمزية له عليه وهو الامر بالانذار والاعلام بما كلفه تبليغه من
ارسل اليه به وذكر ضمير زيادة الرسول لوقوعه بين مذكر ومؤنث فهو ذو تجواز
تذكيره وتانيثه وحجتهم اي من قال بافتراقهما من الاية نفسها التفريق بينهما
بحكم اصل فيهما بالتغاير بين الاسمين ضرورة كون المعطوف غالبا غير المعطوف
عليه ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ المعجز فصحاء العرب
البشر من بلغاء اهل الوبر ان ياتوا بمعارضة اقصر سورة منه ببيت شعر قالوا والمعنى
الوارد به الاية وما ارسلنا من رسول الى امة امرناه ان يدعوهم الى الحق ويعبدنا
او نبي ان يعبدنا وليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جا

شرع مستقل اي ليس مقررا لشرع من قبله او لم يسبق ببعض احكامه ومن لم يؤمر به اي بشرع مستقل فهو نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار لمن اريد ابلاغه وانذاره ولو نفسه والصحيح والذي عليه الجم الغفير اي الكثيرون جدا ان كل رسول نبي لاتصافه بهما معا وليس كل نبي رسولا لاتصافه بالنبوة فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق واول الرسل آدم الى بنيه وكانوا مؤمنين فعلمهم شرايع علمه الله اياها فلا يرد نوح لانه اول رسول الى كفار فما امن بعد منهم الا قليل واخرهم محمد بشهادة وخاتم النبيين ولا نبي بعدي فلا رسول بعده وفي حديث ابي ذر الذي رواه احمد وابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم ان الانبياء ماية الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم اي من الانبياء ثلثماية وثلاثة عشر اولهم ادم وفي رواية ادم وخمسة عشر جم الغفير قال في النهاية كذا ورد والصواب جما غفيرا او الجما والغفير قال وهذا التركيب غير صحيح اذ يقال جما وحذفت اللام واضيف من باب صلاة الاولى ومسجد الجامع واصلها من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة ومن الغفر وهو التغطية والستر فجعلتا في موضع الشمول والاحاطة ولم تقل العرب الجما الا موصوفا وهو منصوب على المصدر كقطا او قاطبة فانها اسما وضعت موضع المصدر وقد بان اي ظهر لك مما تقدم معنى النبوة من كون النبي منبا من ربه او له عند ربه مرتبة شريفة ومكانة منيفة وبان لك معنى الرسالة من كون الرسول مرسلا من ربه الى عباده ليبين لهم ما ارسل به اليهم وليستا اي النبوة والرسالة ذاتا للنبي خلافا للبدعية به ولا صفة ذات قايمة بها خلافا للكرامية اذ قالوا انهما صفتان قايمتان بذات الرسول سوى الوحي وامر الله له بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما لاتصافه بهما رسول وان لم يرسله الله ويجب عليه ارساله لا عزم فهو اذا ارسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس اي وليس كل رسول مرسلا اذ قد لا يرسله قالوا ويجوز عزل الرسول عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لا يتصور عزله عن كونه رسولا كذا زعموا في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وهم منسوبون الى محمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء وتخفيفها او هو زنة جمع كريم قال ابن الصلاح ولا معدل عن الاول لجزم ابن السمعاني به في الانساب قال وكان والده يحفظ كرما فقيل له كراما واما الوحي فانه يطلق مرادا به الوحي والالهام والخط والاشارة واصله الاسراع بشهادة حديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اي فاسرع اليه والهاء للسكت فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها لها بالوحي الى النبي في تلقيها بعجل فاستعير لها اسمه استعارة تحقيقية ومن جميع الالهام وهو القاء شيء في الروع يبعث على الفعل او الترك يختص به من يشاء وسمي الخط وحيا تشبيها له فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية بجامع السرعة له حركة يد كاتبه ووحيا اي اشارة الحاجب واللحظ لسرعة اشارتهما اي حركتهما بها ولو قال وسميت اشارة الحاجب واللحظ وحيا تشبيها لها بسرعة حركتهما لكان اوضح واولى ومنه اي من اطلاق الوحي قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا

بكرة

بكرة وعشيا اي اوما ورمزا اي اشار وقيل كتب لهم على الارض ومنه قولهم كما في حديث ابي بكر الوحا الوحا بمد ويقصر اي السرعة يقال توحيت توحيا اذا اسرعت وهو منصوب على الاغراء بفعل مضمر وقيل اصل الوحي الستر والاخفا ومن ثم قالوا هو الاعلام في خفاء ومنه اي من كون الوحي هو الستر سمي الالهام وحيا لخفائه ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم من الكفار اي يوسوسون في صدورهم ومنه واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها مناما او وحيا ان ارضعيه فانا امنك اخفاوه وقد فسر ذلك اي ما فسر به واوحينا الى ام موسى في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه الهاما ومناما دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا من الايات الخارقة للعادة معجزة وهو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها فكان عجزهم عنه سببا لتسميتها معجزة من العجز المقابل للقدرة وحقيقة الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم استعير لاظهار عجزهم ثم اسند الى ما هو سبب لاظهاره من الخوارق وجعل اسما له فتاوها للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كتا علامة وهي اي المعجزة على ضربين من حيث كونها مقدورة للبشر وغير مقدورة له ضرب هو من نوع ما يمكن دخوله تحت قدرة البشر ويمكنهم الاتيان به فعجزوا عنه فتعجيزهم مصدر مضاف الى المفعول اي تعجيز الله اياهم عنه فعل لله دال على صدق نبيه لانه كصريح قوله صدق عبدي في دعواه الرسالة بخرق العادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال لجمع انا رسول الله اليكم ثم نتق فوقهم جبلا ثم قال ان كذبتموني وقع عليكم والا انصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم او بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب كصرفهم عن تمني الموت اذ بعجزهم عن تمنيه مع امكانه يعلمون ضرورة انه صادق وتعجيزهم بالجر عطفا على صرفهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم كالنظام من المعتزلة وكثير منهم والمرتضى من الشيعة قالوا ان الله صرف هممهم عن معارضته مع قدرتهم عليها وهذا الضرب في الحقيقة ليس نوعا معجزا لاتصافهم بالقدرة على معارضته لكن منعهم عنها مانع والحق ان عجزهم عنها انما كان لعلو رتبته فصاحة وبلاغة وغرابة اساليبه وجزالة تراكيبه مطابقا في كل مقام مقتضى حاله بالغا في ذلك كله حدا اخرج به عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته مع معرفتهم ما تضمنه من وجوه الفصاحة وفنون البلاغة من تاكيد وتشبيه واستعارة وحسن فواتح وخواتم وفواصل وتقديم وتاخير وفصل ووصل وخلوه عن ركاكة اللفظ وشاذ خارج عن القياس وشارد نافر عن الاستعمال الى غير ذلك من بدايع العجايب وروايع الغرايب مما لم يقدر احد ممن اتقعد ذروة البلاغة الاعلى نوع منه او نوعين بشهادة قول الامدي ان افصح فصيح وابلغ غاية ان ياتي بنوع منه على وجه لو ازم غيره في كلامه لما واتاه وكان فيه مقصرا او من كان اعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها عرف اعجازه هذا وقد تحدى صلى الله عليه وسلم به ودعى الى

الاتيان بسورة من سوره فلم ينهض له قدير مع كثرتهم وحرصهم على رد دعواه الرسالة
وتوفر اطماعهم في المضادة له والمضارة والعاره وركوبهم الشدايد حتى اعرضوا عن
معارضته بالحروف الى المقارعة بالسيوف عجزا منهم ولم يطعنوا فيه لما لاح لهم
من كماله حسنا ونظاما مع حذقهم في اسرار الكلام بل جعلوه كالوليد بن المغيره
موضع تعجبهم وتحيرهم من غاية بلاغته ونهاية براعته وجزالة لفظه لا من عجزهم عن
معارضته مع اعترافهم بانه ليس من جنس البشر حتى قال الوليد بن المغيرة ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة اي رونقا وحسنا وقد تفتح طاوة فاتروا المقاتلة على
التطاول وابى الله الا ان يتم نوره وضرب من المعجزة هو خارج عن قدرتهم فلم
يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى اذ ليس من جنس افعالنا واما احياؤهم
بدعاء عيسى معجزة له فانما كان من الله لا منه شهادة واحيى الموتى باذن الله
اذ تخرج الموتى باذني وقلب العصا حية تسعى معجزة لموسى واخراج ناقة من
صخرة بلا واسطة واسباب معهودة معجزة لصالح اذ قد اقترح عليه جندع بن عمرو
سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها الكاثبة ناقة عشراء جوفاء وبراء فصلى ودعا
ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء وهم
ينظرون ثم ولدت ولدا مثلها في العظم فامن جندع في جمع وتمادى غيرهم في
الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم رجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وكلام الشجر
ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر كما وردت صحيحة معجزات لمحمد صلى
الله عليه وسلم وذلك مما لم يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك اي الذي
لا يفعله الا الله على يد النبي من فعل الله حقيقة وتحديه من يكذبه اي طلبه
منه ان ياتي بمثله تعجيزا له عن ذلك واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا
ودلايل نبوته وبراهين صدقه كانشقاق القمر ومجيء الشجر وتسليم الحجر وتسبيح
الحصا وحنين الجذع وسقوط شرف بناء الاكاسرة وخرور الاوثان ليلة ولد
واظلال الغمام له الى غير ذلك مما عسر حصرا من هذين النوعين معا اي ما هو من
قدرة البشر وما هو خارج عنها كالقران وقد تلي عليك ما ان استبانة اذ ذلك
بان عجزهم عن معارضته انما كان لجزالته لفظا ونهايته بلاغة وغايته فصاحة
ونصاعته براعة وصياغة تركيبا وغرابته اسلوبا وحسنه لفظا وكماله معنى
وهو اي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اكثر الانبياء من معجزاتهم معجزة واتمهم
اية من نهر القمر الكواكب اذا غلب نوره نورها اي ايته اغلب من اياتهم واظهرهم
برهانا من براهينهم كما سنبينه في محله ان شاء الله تعالى وهي في كثرتها لا يحيط
بها ضبط فان واحدا منها وهو القران من حيث اياته وسوره لا يحصى عدد معجزاته
بالف ولا الفين ولا اكثر لما اودعه من فنون البلاغة كافادته المعاني الكثيرة
بالفاظ قليلة وانواع التوكيد والتشبيه والاستعارة وحسن الفواتح والخواتم
والفواصل والتقديم والتاخير والفصل والوصل وخلوه عن ركاكة اللفظ والشاذ
الخارج عن القياس والشارد النافر عن الاستعمال الى غير ذلك من انواعها العجيبة
وشئونها الغريبة مما لم يقدر على معارضته لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز

عنها

عنها قال اهل العلم واقصر سورة اي القران انا اعطيناك الكوثر لانها ثلاث
ايات حروفها اقل من حروف ايات سورة هي ثلاث مثلها كقل هو الله احد وكل اية
منه طويلة بعدد اياتها كلمات وحروفا او ايات منه بعددها ايات وحروفا وكلمات
معجزة لا تعارض موازاة ومداناة ثم فيها انفسها اي في سورة الكوثر معجزات على
ما سنفصله فيما انطوى اي اشتمل القران عليه من المعجزات التي يكاد تفوت
الحصر ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين تمثيل لكون معجزاته نوعين
واستقرارها عليهما بمن اعتلا شيا وركبه اي منقسمة اليهما انقسام الكلي
الى جزئياته قسم منها علم لنا من طرقه كونه قطعا ونقل الينا تواترا كالقران
فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به ولا مرية ولا خلاف في ظهوره من قبله وحجته
واستدلاله بحجته على اثبات نبوته وكونه رسولا الى الناس كافة وغير ذلك
بغرابة اسلوبه وبراعة ترتيبه وجزالة تركيبه والاضافة بيانية وان انكر هذا
اي مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به معاند حايد عن منهج القصد مانع
برد الحق مع علمه جاحد له منكر فهو اي انكاره لذلك كانكاره وجود محمد في الدنيا
وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به اي في كونه حجة له صلى الله عليه وسلم
كما ورد في كونه كلام الله اذ قالوا اساطير الاولين ما انزل الله على بشر من شيء هذا
سحر مبين فهو اي القران في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
انه كما شهد به الاعداء كالوليد بن المغيرة اذ قال حين تلي عليه منه ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما هو من كلام البشر
ووجه اعجازه معلوم ضرورة بجزالة لفظه وفخامة تاليفه وبلوغه اقصى
درجات مراتب البلاغة والفصاحة وحسن القيام كلامه ونظم اياته وبراعة
ايجازه وغرابة فنونه وصباحة وجوهه اليه كما سنشرحه قال بعض ائمتنا
اي المالكية ويجري هذا المجرى على الجملة اي يجري كون القسم من معجزاته علم
قطعا ونقل الينا تواترا انه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم
خارقا ان لم يبلغ واحد منها معين القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه صلى الله عليه وسلم قاطعة بصدقه شاهدة بنبوته ولا يختلف
مؤمن ولا كافر انه قد جرت على يديه عجايب ازاغت ابصارهم وحيرت البابهم لشدة
التعجب وانما صدر خلاف المعاند في كونها اي في كون العجايب فايضة من قبل
السيد الفياض الله فجعلوها سحرا وافكا مفترى وقد قدمنا كونها فايضة
من قبل الله من حيث ان ذلك المعجز مع التحدي من النبي بمثابة قوله تعالى يا عبدي
صدقت فيما تدعيه من الرسالة فقد علم وقوع مثل هذا الذي قدمناه ايضا
من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها في كونها خوارق عادات
تحدى بها ليصدق لمعارضيها كما يعلم ضرورة جود حاتم الطائي وشجاعة عنترة
العبسي وحلم احنف بن قيس التميمي لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم
على كرم حاتم هذا وشجاعة عنترة هذا وحلم احنف هذا اشارا الى كل بما
للتقريب تنزيلا له في ذهنه منزلته وان كان كل خبر من اخبارهم الثلاثة بنفسه

لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته لعدم تواتر كل واحد منها منفردا في كل عصر والقسم
الثاني من معجزاته صلى الله عليه وسلم هو ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو
للنبوة في نفسه كانه مستقل على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد الكثير
وشاع الخبر به عند المحدثين حفاظ السنة قولا وعملا وتقريرا والرواة ونقلة
السير والاخبار كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام المؤذن به حديث انس
وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع بما رواه الشيخان وغيرهما ونوع منه
غير مشتهر ولا منتشر اختص به ممن ذكر الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى غيره مثله اتفقا في المعنى المقصود من
الاعجاز واتفقا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا من انه لا مرية في جريان معانيها على
يديه وانه اذا ضم بعضها الى بعض افاد القطع قال المصنف وانا اقول صدعا بالحق
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا واصله الابانة والتمييز ونصبه على المصدر ان كثيرا
من هذه الايات كمجيء الشجر اليه وتسبيح الحصا في يديه وتسليم الحجر عليه المأثورة اي
المروية عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع لتواترها معنى اما انشقاق
القمر فانه متواتر لفظا اذ القرآن نص بوقوعه على يديه صلى الله عليه وسلم بمكة
حين ساله كفار قريش اية واخبر عن وجوده قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
وقرئ وقد انشق اي اقتربت وقد حصل من ايات اقترابها انشقاقه ولا يعدل
عن ظاهر ورد به القرآن وعليه اكثر المفسرين الى تاويله بانه سينشق يوم القيامة
وجيء بالماضي لتحقق وقوعه الا بدليل يؤذن بحمله عليه وجاء برفع احتماله
اي احتمال الدليل الدال على صرف الاية عن ظاهرها صحيح الاخبار من طرق كثيرة
كخبر الصحيحين فلا يوهن اي فلا يضعف عزمنا خلاف اخرق اي احمق جاهل
وفي الحديث تعين ضايعا او تصنع لاخرق اي لجاهل لا يعرف صنعة يكتسب بها
وضايعا اي ذا ضياع من فقر او عيال او حال له عجز عن القيام بها وقد روي
بالمهملة والنون قيل وهو الصواب وهو في رواية بالمهملة وفي اخرى بالمعجمة
قيل وكلاهما صواب في المعنى وفيه من ترك ضياعا فالي اي عيالا وهو بالفتح
مصدر ضاع سمي به العيال بالكسر جمع ضايع كجياع جمع جايع منحل عرى الدين جمع
عروة وهو حبل يربط به البهم استعارة لما يتمسك به من الدين واضافته الى المشبه
على طريق التشبيه المؤكد اي الدين الذي يرتبط به كالبهم استعارة لما يتمسك به
المحق كالعرى هذا الاخرق منحل منه ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يقال سخف بضم
الخاء سخافة بفتح اوله وسخفا بضمه وسكون ثانيه اي رقة عقل ممن عدل عن
الحق يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين فربما قبلته فياخذهم الى ان يفتتنوا
واما سخفا بالفتح فرقة العيش ومنه قول ابي ذر كنت بابا ما لا اجد سخفة جوع
يعني رقته وهزاله بل يرغم بهذا انفه اي يلصق بالرغام اي التراب هذا اصله ثم
استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد كرها كما هنا اي يذل وينقاد كرها
وفي حديث الشاة المسمومة فما ارغم رسول الله بشر ابن البراء ما في فيه اي القى اللقمة
من فيه في التراب وينبذ بالعراء سخفه شبه رقة عقله بمن القي بمكان خال

مما يستره من بناء او شجر ونبات فانبت لها النبذ تخييلا حتى كانه من افراد ما ينبذ
وكذلك اي وكانشقاق القمر في كثرة الرواة طرقا والاسانيد صحة قصة نبع الما
من بين اصابعه وتكثير الطعام رواها اي قصتيهما الثقات والعدد الكثير عطف
ما يعم الثقات عليهم ليشمل غيرهم عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ممن روى نبع الماء بالزوراء بقرب مسجده بالمدينة الشيخان عن انس وبالسفر البخاري
عن ابن مسعود وممن روى تكثير الطعام البخاري والنسائي عن الشعبي عن جابر
في قضاء دين والده والشيخان والترمذي والنسائي عن انس في قصة ابي
طلحة يوم الخندق ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من
جملة الصحابة واخبارهم اي الصحابة ان ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير
منهم في يوم الخندق بالمدينة وغزوة بواط بضم الباء وقيل بفتحها والاول
اشهر جبل من جبال جهينة وعمرة الحديبية بتخفيف الياء الثانية وغزوة
تبوك وامثالها من محافل المسلمين جمع محفل وهو مجمع الناس واصله مصدر
زيدت فيه ميم ومجمع العساكر اي مكان اجتماعهم ولم يؤثر بالبناء للمفعول
اي لم ينقل عن احد من الصحابة مخالفة للراوي لتضعيفها فيما حكاه ولا نقل عن
احد منهم انكار لما ذكر عنهم انهم راوه منه صلى الله عليه وسلم كما راه منه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق منهم به اذ هم المنزهون عن السكوت على الباطل
والمداهنة على كذب لانهم كلهم عدول يساوون من زاغ عن الحق ولا يتابعونه
عليه وليس هناك رغبة ولا رهبة مصدر رغب ورهب مبنيين للمفعول
اي لم يكن لهم مرغوب فيه ولا مرهوب منه تمنعهم من الانكار لذلك سكوتا او مداهنة
ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه تفاديا من السكوت
على منكر كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف
القرآن اي قراءاته كانكار عمر على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرا سورة الفرقان
على غير ما اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء به اليه فقال له سمعت هذا
يقرا سورة الفرقان على غير ما اقرانيها فقال اقرا يا هشام فقرا فقال هكذا
انزلت ثم قال اقرا يا عمر فقرات فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة
احرف فاقرؤوا ما تيسر منه رواه الائمة الستة ومن بيان لاشياء وخطا بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك اي ما ذكر من الاشياء مما هو معلوم كتخطية ابن عباس نوفل البكالي في
قوله ان موسى الخضر ليس موسى بني اسرايل وهذا النوع الذي رواه العدد اليسير ولم
يشتهر اشتهار غيره كله ملحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه مما يؤذن بانه كاجماع
سكوتي وايضا فان امثال الاخبار تاييد لما قرره او لان انها لو لم تكن صحيحة وكانت
من الاخبار التي لا اصل لها او بنيت على باطل ابان دهرها باطلها وظهر امرها اذ لا بد
مع مرور الازمان وتداول الناس اياها بينهم واهل البحث والتنقير عنها في مواطنها
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف
الطارية من اخبار السوء بما لا رجف بكذا اذا اخبر به على خلاف حقيقته من الرجفة
وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذبة لتزلزله وعدم ثبوته وهي واعلام نبينا بفتح

هذه المعجزة اي معجزاته التي هي لشهرتها وانتشارها كالاعلام جمع علم على عجز من ناواه
الواردة اي كل واحد منها من طريق الاحاد مع انه اذا ضم بعضها الى بعض صارت متواترة
معنى لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا اجلالا للمويد بها وارغاما للقايلين بها
عنادا ومع تداول الفرق الامور فرقة فرقة وكثرة طعن العدو اي وتوعده فيها
ذما وعيبا وحرصه علي توهينها وتضعيف اصلها انكارا لها بجعلها سحرا واجتهاد
الملحد اي بذل الظالم وسعه عادلا عن الحق وفي نسخة واجهاد بلا تا اي نفسه من جهد
كما في حديث اقرع وابرص فوالله لا اجهدك اليوم شيا اخذته لله اي لا اشق عليك
ولا اردك عن شي تاخذه من مالي لله تعالى او جهد كما في حديث اذا جلس بين شعبها
الاربع ثم جهدها يقال جهد في الامر الذي جد فيه وبالغ فيه محافظة على اطفاء
نورها لا تزداد بفعل ذلك الموجب لسخط الله على فاعله الا قوة وقبولا لها من كل
منصف متعن للحق ولا يزداد مع ذلك للطاعن اي الذام العايب عليها الا حسرة
وغليلا اي اضطراما واحتشا به سعيرا وكذلك اي وكاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من
الازدياد اخباره عن الغيوب بكسرها مصدر اخبر كقوله صلى الله عليه وسلم مما اخبر
به من المغيبات في حديث الحاكم بلاء يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجا يلجا اليه من
الظلم وقد وجد اي لا يزداد مع ذلك الاشهرة وانتشارا ولشانيها الاحسرة وصغارا
وكذلك انباوه مصدر انبا اي اخبر بما يكون في الغيوب وكان من العدم كل ذلك
معلوما كونه من اياته الخارقة للعادة على الجملة بالضرورة فهو في الجملة قطعي
من غير احتياج علمنا بكونه منها الى كسب وقال به اي بكون اخباره بالغيوب وانبائه
بما يكون وكان انه من قواطع خوارق اياته على الجملة بالضرورة بتواتر النقله من ايمتنا
الاشعرية القاضي ابو بكر الباقلاني المالكي والاستاذ ابو بكر بن فورك بضم الفاء
الشافعي وغيرهما منهم وعندي ما اوجب قول القايل ان هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد وما الجاه الى ان يقول به الا قلة مطالعته للاخبار وقلة معرفة
رواتها وشغله بغير ذلك من المعارف جمع معرفة بمعنى معروفة والا نقول لمن تو
فوله ذلك مشارعها ومصادرها فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الاحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة ولم يخف عليه انها على الوجه الذي ذكرناه
من انها من باب التواتر معنى بجمع طرقها وضم بعضها الى بعض هذا من المتواتر معنى
وخبر المبتدا اعني لم يرتب قاص برد اعتراضه على من قال انها من باب خبر الواحد اذ لم
يرد به مجموعها بل جميعها اي كل فرد منها ورد من طريق الاحاد ولا يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر بحسب تواتر النقل فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر مع تواتر نقله كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة
لاشتهاره بها فيها وانتشاره عندهم بتواتره اليهم هذا ومنشيها ابو الدوانيق اي ابو
جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وفي اسمها لغات اهمال داليها واعجامها واهمال
الاولى دون الثانية وعكسه وابدال الثانية نونا ومعناه عطية الصنم والدوانيق
جمع دانق بفتح نونه وكسرها وهو سدس الدينار والدرهم وفي حديث الحسن لعن الله الدانق
ومن دنق الدانق لعله للزجر عن التقدير به والنظر في الحقير التافه واحاد الناس لا يعلمون

اسمها

اسمها اي بغداد لعدم سماعهم اياها اذ لم يبلغهم فضلا عن وصفها من قولك افقدت الدرهم
الدرهم وفضل منه كذا اي بقي اي انتفا وصفها بالكلية وبقي عدم علمهم باسمها وفيه
من لطف افضل بيان وهكذا اي وكعلم اكثر الناس بالخبر وجود بغداد يعلم الفقها من
اصحاب مالك من حيث تقليده بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة
ام القران في الصلاة للمنفرد والامام دون المأموم وان لم يسمع قراءة امامه بل تكره
له في الجهرية قراءتها وان مذهبه اجزاء النية في اول ليلة من رمضان لجميع ايامه
عما سواه في اوايل باقي لياليه اكتفا بها فيه وكذا يعلم الفقها من اصحابه وغيرهم
بالضرورة وتواتر النقل ان الشافعي يرى وجوبا لا ندبا تجديد النية كل ليلة لان
عية
صوم كل يوم منه عبادة مستقلة تفتقر الى نية بشهادة انما الاعمال بالنيات اي الشرعية
اي لا يعتد بكل عمل شرعي الا بنية اذ الاصل نفي الحقيقة لا كمالها وان الشافعي يرى
الاقتصار في المسح على بعض الراس بشهادة وامسحوا برؤوسكم الشامل لاقل ما يسمى
مسحا فاوجبه اخذا باليقين ومالك يرى مسح كله احتياطا وان مذهبهما اي مالك
والشافعي القصاص في القتل المحدد مما يجرح كالسنان وغيره مما لا يجرح كالعصا
وايجاب النية في الوضوء لانه عمل شرعي وعبادة يفتقر اليها تحقيقا لمعنى الاخلاص
وقصد المتقرب وتمييز العبادة عن العادة واشتراط الولي في النكاح بشهادة
حديث الشافعي وابي داود والترمذي وابن ماجه ايما امراة انكحت بغير اذن وليها
فنكاحها باطل فان دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان
ولي من لا ولي له وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسايل فلا يوجب في القتل بغير
محدد قصاصا بل الدية ولا في الوضوء نية لانه عنده ليس بعبادة لكن في الاسرار
ان كثيرا من مشايخنا يظنون المامور به من الوضوء يتادى بغير نية وهو غلط فان
المامور به عبادة والوضوء بغير نية ليس بعبادة ولا يشترط في النكاح وليا بشهادة
حديث الشافعي ومالك والبخاري ومسلم وغيرهم الايم احق بنفسها من وليها والبكر
تستاذن واذنها صماتها اذ قال الايم هي كل امراة لا زوج لها بكرا ام ثيبا فكل امراة
بلغت فهي احق بنفسها وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم بنفسها على الرضا فلا تزوج
الا باذنها ورضاها بولي بشهادة مقابلتها هنا بالبكر والتصريح بها في الرواية الاخرى
الثيب احق بنفسها وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم احق بنفسها على الرضى فلا
تزوج الا باذنها ورضاها بولي بشهادة حديث ايما امراة نكحت نفسها السابق وحديث
لا نكاح الا بولي مع غيرهما من الاحاديث المؤذنة باشتراط الاذن والولي وغيرهم
اي غير الفقهاء ممن لا يشتغل بمذاهبهم اي مذاهب من ذكر من الايمة ولا روى
اقوالهم لا يعرفون هذا الذي ذكر من المسايل من مذاهبهم فضلا عما سواه اي
انتفت معرفتهم ما سوى ما ذكر من المسايل وفضل عدم معرفتهم ما ذكر منها فصل
في اعجاز القران مصدر مضاف الى فاعله اذ هو نفسه معجز اعلم ان كتاب الله
منطوي على وجوه كثيرة من الاعجاز مما يعرف انه معجز لكونه في اعلا مراتب البلاغة
لاشتماله على دقايق واسرار وخواص خارجة عن طوق البشر وتحصيلها اي وجوه
الكثيرة من جهة ضبط انواعها في اربعة اوجه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه

مترتبة المعاني متناسقة الدلالات بحسب مقتضى المقامات ووجوه ايجازه من قصر
وحذف جزء جملة مضاف او موصوف او صفة في نحو واسأل القرية اي اهلها ومنهم
دون ذلك اي رجال ويأخذ كل سفينة غصبا اي صحيحة وغير ذلك مما اشتمل عليه
من وجوه الاعجاز وبلاغته الخارقة عادة العرب في عجايب تراكيبهم وغرايب اساليبهم
وبدايع افتنانهم وروايع اسادائهم وفي هذا تلويح بترجيح كونه ليس داخلا تحت
تدريهم على قول المصرفة هذا والنيام وما بعده يجوز جره عطفا على المضاف وذلك
اي ما ذكر من عادتهم انهم كانوا ارباب هذا الشان البديع بلاغة وبراعة ومن شان
الكلام تشبيه بليغ للكلام لتصرف البلغاء فيه بايراده انواعا شتى بامراس يتصرف
فيها فرسانها وقد خصوا من البلاغة والحكم جمع حكمة وهي كمال العقل واتقان العمل
ما لم يخص به غيرهم من الامم سابقة ولاحقة واوتوا من ذرابة اللسان بمعجمة اي حدته
وبسطه في القول من ذرب لسانه اذا كان لا يبالي ما قال ومنه سلقوكم بالسنة حداد
اي ذربة وفي خبر يشحذ بمهملة قال يا رسول الله اني رجل ذرب اللسان ما لم يوت انسان
مثله حذف فاعل خصوا واوتوا للعلم به اذ هو الله لا غيره ومن فصل الخطاب اي الكلام
البين اي الذي تبينه كل احد ولا يلتبس عليه معناه كما في وصف ام معبد كلامه
صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر اي لا قليل موذن بالاخلال ولا كثير فيوسم بالملال
والهذر بمعجمة محركا الهذيان وفي حديث وفد عبد القيس فمرنا بامر فصل اي بين
لا رجعة فيه ما يقيد الالباب عن ان تلهج بتراكيب صناعتهم وتنهج اساليب صياغتهم
افانين الكلام جعل لهم ذلك الذي خصوا به واوتوه من الكلام الموصوف بما ذكر
طبعا وخلقة وجعل ذلك فيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة من غير ترو
وكسب ويدلون اي يتوسلون به الى كل سبب يكون وسيلة الى ما يتفننون من
البدايع وينظمون من الروايع وفي حديث استسقاء عمر بالعباس وقد دلونا به اليك
مستشفعين اي توسلنا به فيخطبون الخطب البليغة بديها في المقامات
وشديد الخطب اي الامر العظيم الشان والحال الذي يقع فيه المخاطبة مفاعلة من الخطاب
ويرتجزون الرجز اي يوردونه موجزا في الحرف بين الطعن والضرب كقول علي لما بارز
مرحبا بخيبر • انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره •
اكيلكم بالسيف كيل السندره • بين مكيال واسع اي اقتلكم قتلا ذريعا واسعا
وقول سلمة بن الاكوع • خذها من ابن الاكوع • واليوم يوم الرضع • ويمدحون
بعضهم بعضا فخرا او كسبا بمدحه او جلبا لفايدة ويقدحون افكارهم فيستخرجون
سحر الكلام في احسن نظام وانسجام على انحاء شتى ويتوسلون به الى من يرومون
منه نجاح ماربهم ويتوصلون به الى الفوز بمطالبهم ويرفعون ويضعون من
ارادوا ويقبلون من انواع ذلك الكلام الموصوف بما ذكر بالسحر الحلال وهو ما انسجم
لفظه ولطف معناه في مقاماتهم ومقاصدهم ويطوقون من اوصافهم الحميدة وسماتهم
المجيدة من راوا اهلا ما هو اجمل من سمط اللال هو الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك
فيخدعون الالباب اي يستميلون به العقول حتى يأخذوا بمجامعها فتنقاد لهم
ويذهبون الاحن بكسر الهمزة جمع احنة وهي الحقد ويهيجون بضم اوله بيايه مع تشديد

الثانية

الثانية اي يثيرون الدمن بكسر المهملة وفتح الميم جمع دمنة وهي في الاصل ما تدمنه الابل
والغنم بابوالها وابعارها اي تلبده في مرابضها ثم استعمل في الطعن والحقد لكونه في البا ش
كالمتلبد ويجريون الجبان اي يجعلونه ذا جراءة وشجاعة واقدام ويبسطون يد
الجعد البنان الجعد هو الجبان الكريم فاذا قرن باليد والاصابع والبنان كما هنا فهو البخيل
اللئيم ويقال في ضد بسط اليد والبنان وقد اكرم بالقطط في المعنيين معا فقالوا
للكريم جعد قطط واللئيم جعد اليد قطط فوصف اليد بالمبسوطة عن انبساطها بالعرف
بالعرف ووصفها بالجعودة كناية عن انقباضها وبخلها به اي يبسطون بعتق الكلام بلاغتهم
عن ازاهير القبول يد الجعد القطط بعد انقباضها بخلا ويصيرون بحسن رعايتهم
وعين عنايتهم الناقص كاملا ويتركون النبيه اي الشريف بدون شرفه خاملا شانه
مستخفضا امره موضوعا قدره اذ هم الاحرياء عزة وانفة والاشد شكيمة وصلابة
منهم البدوي اي ممن يسكن البادية ذو اللفظ الجزل اي البليغ السديد استقامة
وقصدا لا افراط فيه ولا تفريط والقول الفصل اي القاطع البين الذي يتبينه كل احد
ولا يلتبس عليه والكلام الفخم في ايراده بملا الاسماع ويشفي الصدور وربما كسبته
من بدايع الغرايب وروايع غرايب اعذقت اسافله واثمر اعاليه والطبع الجوهري
اي الشديد الصوت العالي والواو زايدة في جهير بصوته اذا ارفعه بشدة وفي حديث
العباس انه نادى بصوت جوهري اي شديد عال وفي نسخة الجوهري بتقديم الواو
اي حسن يتبوق الكلام البيان عن ازهار لطايف المعاني بنفس يقضي به نافث والمنزع
القوي لابراز لطايف السحر البياني والكشف عن اسرار بدايع المثاني فاستعار مكان
النزع الذي هو المخلص من نظم الكلام على احسن وجه وانفسه ومنهم الحضري اي
من يسكن الحاضرة ذو البلاغة البارعة اي الفايقة بما ابتع ذلك من محسنات او رتبها
ومن ثم وصفه بذلك لرقة طبعه وسلاسة ذوقه دون البدوي مع ان ما وصفه به
ايضا بليغ من برع اقرانه اذا فاقهم والالفاظ الناصعة اي الخالصة من شوايب الركة
والفهاهة لبلاغة مبانيها وفصاحة معانيها والكلمات الجامعة لمعان كثيرة بالفاظ
قليلة والطبع السهل بانقياد نفس وسلاسة ذوق كالماء في سلاسته والنسيم في رقته
والتصرف في القول القليل الكلفة بفهم متسارع معوان وخاطر يقظان وفي القول
الكثير الرونق اي الحسن بمعونة الهية من سلامة فطرة واستقامة فطنة وتوقد
ذكاء ونور عقل وصفا قريحة يورد الكلام فصيح مفرداته وتركيبه بليغا لاته
وترتيبه واضح الدلالة على معناه لا يستعجم فهم ولا يستبهم وهم فتنظمه يد
الفكرة في سلك الايجاز وقصمته عن مسلك الاطناب والالغاز فهي بذلك الطباع
وانق الاسماع وهز الخواطر ونشط الاذهان ومن ثم قال ——— الرقيق الحاشية
اي اللطيف حسنا البديع نظما هذا او لغلبة الجفا والغلظة والجلافة على البدوي
وصفه بفخامة الكلام وغيرها مما ذكر ولغلبة الرقة واللطافة على الحضري وصفه بما
ذكر لمهارته في افانين السحر البياني وكلا البابين اي بابي كلام كل في كل مقام مطابقا
لمقتضيه والقوة فلهما في البلاغة الحجة البالغة غايتها بيانا ووضوحا على اثبات
صحة دعواه ايراده في كيفيات مختلفة وصور متباينة مناسبة لاعتبارات الاحوال

والفاء في الخبر لتوهم تضمن المبتدا الشرط **والعوة الدامعة** من دمعته اذا محقه استقار
الدمغ الذي هو كسر الدماغ المودي الى ازهاق الروح للكلام بهما تصويرا لغلبة كلامه
غيرهما وفي حديث علي دامغ جيشات الاباطيل **والقدح** بالكسر اي السهم واراد به الذي
كانوا يستقسمون به واحد الازلام الذي قبل ان يراش بشهادة وصفه بقوله
الفالج اي الفايز الغالب وفي حديث سعد فاخذت سهمي الفالج **والمهيع الناهج**
اي الطريق الواسع المنبسط السالك بمعنى مسلوك والميم زايدة من المهيع وهو
الانبساط وفي حديث علي اتقوا البدع والزموا المهيع ومن اسماء الجحفة مهيعة
وكانت قد يما ميقات اهل الشام وبها غدير خم وهي شديدة الوباء في الحديث اللهم
حبب لنا المدينة وانقل حماها الى مهيعة وعن الاصمعي ما ولد احد بغدير خم فيعيش
الى ان يبلغ الا ان ينتقل منها **ولا يشكون ان الكلام طوع مرادهم** يوردونه في
كل مقام بحسب اعتباراته فيحا لفون فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد فان
الكلام المفيد للانسان المعنوي اي المتصف بصفات الانسانية من فهم وفطنة
وذكاء وتيقظة اسمى عند الروحه والنشر بالطبايع لا الانسان الصوري اذ هو كالبهيمة
والبلاغة ملك قيادهم يتصرفون بها في افانين الكلام فيقلدون بحور الاذهان
روايع لطايفه ويشنفون الاسماع ببدايع غرايبه **قد حووا** اي جمعوا وحازوا **فنونها**
اشتاتها فنونا باعتبار مراتبها وموافقتها تراكيب الكلام بحسب مقتضيات الاحوال
في كل مقام من مقامات الكلام فبلاغته ان اقتضى اطلاق الحكم تجريده عن موكدانه
وبلاغته ان لم تقتضه تحليته بموكد بحسبها ضعفا وقوة وبلاغته ان اقتضت
حذف المسند اليه ايراده عاريا عنه وبلاغته ان اقتضت ذكره ايراده على اعتبار
مناسب من اطلاق او تقييد او معرفا او منكرا او علما او موصولا او نحو ذلك
واستنبطوا عيونها اي استخرجوا جواهرها من تراكيب الكلام موضحة بما اكل من
لطايف النكت في مقامها الصالح لها من توهم ولا ذعين توهمه اي حيا رهم اطلاق
اسم البعض على الكل مجازا مرسلا **ودخلوا من كل باب من ابوابها** فتوسعوا في فنونها
وميزوا ابي مراتب انواعها وقد شبهها لتفاوت انواعها في مواقعها من التراكيب
اعلاقا على بذي ابواب بها انواع كثيرة على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها
الابواب تخييلا **وعلوا صرحها** هو في الاصل بناء ظاهر عال من صرح الشيء اي ظهر شبه
به البلاغة التي بها يقتدر على بلوغه التراكيب حقها على طريقة الاستعارة التحقيقية
فاستعار لها اسمه وقرنها بعلو ترشيحا لتشبيهها للعلو الرتبي بالعلو المكاني وتناسيا
للتشبيه وصرفا للنفس عن توهمه حتى كانه لا استعارة اصلا فكان امرا منهم لشرفها
فا فتقدت عارهما **لبلوغ اسبابها** علة لعلوا اي علوا من اجل معرفة طرقها التي
بها يورد الكلام في كل مقام مفرغا في قالب الافادة بكيفية تناسبه فيورد لخالي
الذهن مجردا عن موكدات الحكم بالمسند للمسند اليه لينتقش في ذهنه اسناد احدهما
الى الاخر اثباتا او نفيا وتيمكن فيه مزيد تمكن

انا في هواها قبل ان اعرف الهوى ● فصادف ذهني خاليا فتمكنا

ويورد لطالبه متردد في الاسناد مقوى بموكد منها استحسانا لينقذ من ورطة

الحيرة

الحيرة والمنكره موكدا بحسب انكاره لينقاد اليه مذعنا **فقالوا في الخطر** اي العظيم
الذي له قدر ومزية بشهادة حديث الا هل مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها اي لا مثل
لها **وقالوا ايضا المهيمن** من المهانة اي الحقارة وفي وصفه صلى الله عليه وسلم ليس بالجافي
ولا المهين ولا الحقير **وتفننوا في الغث** بمعجمة فمثلثة اي الفاسد يقال غث في قوله
واغث اي افسد وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث اي مهزول ومنه قول ابن
عباس لابنه علي الحق بابن عمك يعني عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك
وقالوا ايضا في السمين تغايروا فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد بلطايف معان
تلم دون عن غيرهم وترتيب مواقعه بها وكسته فضل بها ومزيد رونق فاورث
سامعه زيادة نشاط واستدرارا لاصغايه اليه **وتقاولوا** فيما بينهم **في القل والكثر**
بضم اولهما اي في القليل والكثير مدحا وهجوا وغيرهما **وتساجلوا** اي تناوبوا وتراسلوا
في النظم والنثر تفاخروا وعن ابن الحنفية انه قرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان
فقال هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة مطلقة في الاحسان لكل احد ولا يعزب عنك
ما في قوله فقالوا في الخطير الى اخره من المطابقة **فما راعهم** بعد ان نشر عليهم غيهب
الشرك خيامه ومد لهم رواقه واورثهم لهوا فترعى مزيد حبائله وسوء ريح وضلاله
الا رسول كريم استثناء مفرغ من علم عام اي ما اخافهم شيء سوى رسول جاءهم بخلاف
هواهم وعكس مناهم اضاء بانوار هداه كل مظلم بهيم فلم يتشبث بعضهم ان من امن به
ومدحه باكرم نتايج فكره وافضل سوانح خاطره اذ قد اتسم بدين قويم وشرع وسيم
مويدا **بكتاب عزيز** لا نظير له ولا نافع مثله او منيع بحماية الله **لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه** اي لا يتعلق به ولا يجد اليه سبيلا **تنزيل من حكيم حميد** يحمده
خلقه بما ظهر من نعمه عليهم **احكمت اياته** اي نظمت نظما محكما لا يغشاه خلل لفظا ومعنى
ومنعت من الفساد من احكمت الدابة اذا وضعت في فمها الحكمة لتمنعها من الجماح
او جعلت حكيمة نقلا من حكم بالضم اذا صار حكيما لاشتمالها على ايات الحكم نظرية
وعملية **وفصلت اياته** اي ميزت وبين فيها ما يحتاج اليه من عقايد واحكام
ومواعظ واخبار ووعد ووعيد وغير ذلك **وبهرت بلاغته** اي غلبت **العقول**
لنسج خبر اساليبه على منوال الاعجاز وشي مطارف تراكيبه ببيان الايجاز فلم تجد
المعارضة الى اقصر سورة منه سبيلا ولا تجد عجزهم عنها دليلا **وظهرت فصاحته**
لارتقاء اعلا مراتبها **على كل مقول** نظما ونثرا **وتضافر ايجازه واعجازه** بالضاد اي
تاليا معا ودلت على منع معارضته من قولهم تضافر القوم اي تالبوا وتعاونوا **وتظاهرت حقيقته ومجازه** لبلوغهما اقصى مراتبها **وتبارت في الحسن مطا**لعه **ومقاطعه** اي تجارت تشارعا وتسابقا فواتح سوره وايها وخواتمها وفي
الحديث نهى عن اكل طعام المتباريين اي المتشابعين المتعارضين بفعلهما ليعجز
كل الاخر بصنيعه وانما كرهه لما فيه من المباهات والريا قال حسان بن ثابت

● يبارين الاسنة مصعدات ● على اكتافها الاسل الظماء ●

اي يبارينها جد بالقوة نفوسها دروسها بعلك شكيمها وتنصح ادمها ويجوز
ان يريد مشابهتها لها في اللين وسرعة الانقياد **وحوت كل البيان جوامعه**

بالناظ قليلة لمعان كثيرة واحدتها جامعة اي كلماته الجوامع وبدايعه على انق ايجاز
واو نق اعجاز ومن ثم قال فيه الوليد بن المغيرة مع تعسفه في ظلمات الكفر
والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وانه ليعلو وما يعلى وانه ليس بكلام البشر واعتدل اي استقام مع ايجاز حسن نظمه
بجزالة بلاغته وغاية براعته ولطف اعجازه التنزيل وانطبق على كثرة فوايده
مختار لفظه القليل الجامع لمعنى كثير وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا جملة
حالية من ضمير زاعمهم ومجالا تمييز لنسبة افصح محول عن الفاعل اي جالهم به ومجالهم حال
كونه في باب البلاغة اوسع شي كانوا عليه واشهر في الخطابة رجالا واكثر في
السجع والشعر ارتجالا بدون ترو ومهلة اذ كان سجيتهم وديدنهم واوسع في
الغريب واللغة مقالا من غيرهم وارتجالا ومقالا تمييزان لنسبة اكثر واوسع
محولان عن فاعليهما بلغتهم متعلق بلغتهم بكتاب او حال منه اي حال كونه بلغتهم
التي بها يتحاورون اي يتجاوبون تخاطبا لبعضهم بعضا ومنازعتهم اي بحال
المنازعة اي المجاذبة في الاعيان والمعاني التي عنها يتناضلون اي يتغالبون ه
بالكلام والاشعار يقال انتضل القوم وتناضلوا اي رموا للسبق وناضله اذا
رماه وفلان يناضل عن فلان اذا رمى وحاج عنه وتكلم بعذره ودفع عنه صارخا
بهم في كل حين تبكيتا لهم وتعجيلا عليهم باستكبارهم معرضين عن الحق ومقرعا
هو وما رجالا لان من كتاب او منه صلى الله عليه وسلم اي موبخا لهم بضعا بكسر
اوله في العدد كما هنا وقد يفتح وهو ما بين الثلاث الى التسع اراد به هنا ثلاثة
وعشرين عاما لنزوله عليه فيها على حسب المصالح وكذا الحوادث كلما نزل عليه
منه شي نزعهم به على رؤوس الملا اجمعين اي اشرافهم ورؤساوهم ام يقولون
افتراه اقتباس ورد شاهد بثبوت نبوته اي بل يقولون اختلقه والهمزة انكار
لقولهم او تقريرا لالزام الحجة عليهم وهما متقاربان لان مالهما واحد وهو ابطال قولهم
بانكاره وبتعقيب التقرير بما يوذن به اي قل ان كان الامر كما زعمتم فاتوا على
وجه الافترى بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانكم مثلي عربية وفصاحة
وادعوا من استطعتم من دون الله اي واستعينوا بغير الله ممن تمكن استعانتكم
به على الاتيان بسورة مثله لا به تعالى فانه القادر وحده عليه ان كنتم صادقين
في انه افترا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا نجما منجما بحسب الوقايع على ما يرى
من الخطبا والشعرا مما يبدو بانه موزع اشيا اشيا حسب ما عن لهم من الامارة
السانحة فاتوا بسورة من مثله صفة لسورة ومن تبعيضية او بيانية او زايدة
مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم وادعوا شهداءكم من دون الله اي
واستظهروا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انس وجن والهة غير الله فانه
هو القادر وحده عليه ان كنتم صادقين في انه لم ينزله عليه ولن تفعلوا اعتراض بين
الشرط وجزايه افاد نفي اتيانهم في المستقبل على ابلغ وجه واكد بلن اذ لم يأتوا بمثل
سنة ولا حيث تحدوا عن موصوف ولا صفة قل لين اجتمعت الانس والجن فهم العرب
العاربة وارباب البيان وتعاونوا على ان ياتوا بمثل هذا القران في بلاغته وحسن

نظمه

نظمه وكمال معناه لا ياتون بمثله جواب قسم محذوف لشهادة اللام الموطية ولولا ها
لكان جوابا للشرط بلا جزم لوروده ماضيا كما في قول الزهير
وان اتاه خليل يوم مسالة   يقول لا غايب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا على الاتيان بمثله ولم يدرج الملايكة في الفريقين مع
عجزهم ايضا عنه لانهما المتحديين به ومن ثم تعجبت الجن من حسن نظمه وبلاغته البالغة
اقصى درجاتها فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ثم الزمهم الحجة
تنزلا وارخاء للعنان بقوله قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم
تحداهم اولا بكل القران ثم بعشر سور مثله مقاواة لقولهم افتريته واختلقته ه
وزعمت انه من عند الله فكانه قال هبوا اني اختلقته كما زعمتم ولم يوح الي
فاتوا انتم بعشر مثله مفتريات اي مختلقات من عند انفسكم فانكم عرب فصحا
مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه ثم تحداهم بسورة واحدة تسهيلا للامر عليهم
وادعوا الى معاونتكم على معارضته من استطعتم من دون الله اي غيره ان كنتم
صادقين في قولكم انه مفتري وذلك اي طلب الاتيان منهم بعشر مثله مفتريات
تهكما بهم وتقريعا ومناداة على كمال عجزهم بشهادة ان المفتري اسهل تلفيقا
ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب تنسيقا ومع ذلك فلم يجدوا عليه
قدرا واللفظ اذا اتبع المعنى الصحيح كان اصعب ترتيبا ونظما وانقب وسبكا
وربما لبس به تعقيد بعسر الفهم في ادراك معناه ولا التواء يتشبك طريقه اليه
كغرس البرهان ثابتا لا يسبق اللفظ الى السمع الا ومعناه الى الفهم اسبق جاريا
على قانون الاستقامة اعرابا وفصاحة وبلاغة وسلامة من كل سعر يوهم خلاف
المراد ولهذا اي ولكون اللفظ اذا اتبع المعنى الصحيح يكون اصعب قيل فلان
يكتب كما يقال له فيفتق كمام ما قيل له عن ازهار معانيه ويمتري في الانباء عنها
اذا ويق مجهوده وفلان يكتب ما قيل له كما يريد فيتوخى في بث ما اراد يكتبه
ممطرات خاطره وصيب عرضه وللاول على الثاني فضل وبينهما ساو اي مدى
بعيد لاتيانه بالمامور مفرغا في قالب مراد امره دونه لاتيانه به مفرغا في قالب
نفسه ومن حديث ابن عباس لخالد بن صفوان صاحب ابن الزبير وقد ذكر سنة العمرين
لقد تركهما سنتهما ساسنا وابعيد افلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم بالقران
الكريم اسوا التقريع من اقرعته اذا قهرته بكلامك اي يردعهم ارادة كفهم عن عبادة
الرجس من الاوثان ومما يسخط الله وفي الحديث من قرا فواتح القران امن من شر
الشيطان بي التي تردعه وتكفه عنه اية الكرسي ويوبخهم غاية التوبيخ هو
بمعنى ما قبله ذكر لتغايرهما لفظا ولانه مقام حكاية ذم المشركين يحسن فيه
الاطناب او بمعنى يهددهم ويسفه احلامهم اي يمتهن عقولهم ويستخف بها ويذلها
ولا يقيم لها وزنا وفي الحديث انما البغي من سفه الحق اي جعل من جهله الحق واستخف
به ويحط اعلامهم اي ينكسها ويشتت نظامهم اي يمزقه ويفرقه ويذم الهتهم
اي يعيبها ويعيبهم توبيخا وتقبيحا على عبادة ما هو منا كبرا حوجاهلية ارتكبوها
ويستبيح ارضهم وديارهم بالاستيلا عليها واموالهم نقودا واثاثا ومواشي

وهم في كل هذا اما ذكر ناكصون عن معارضته هو في الاصل الرجوع القهقري استعير
للاعراض عن معارضة القرآن عجزا و قصورا والجملة حالية من الضمير قبلهما
ويحجمون عن مماثلته اذ قد تحداهم باقصر سورة مماثلة فلم يقدروا عليه يخادعون
انفسهم بما به يمنوا ها من الاكاذيب الخائبة وبما به سولت لهم من الاماني الباطلة
بالتشغيب اي بتهييج الفتنة واثارة الشر والمخاصمة بينهما والتكذيب ترغيبا
وحثا من قولهم كذبته نفسه اذا منته وخيلت اليه من الامال ما لا يكون مما يرغب
فيه ويحرض على التعرض له ومن قولهم في عكسه صدقته نفسه اذا خيلت اليه
العجز والكد في الطلب ومن ثم سموها كذوبا ومنه الحديث الحجامة على الريق شفا
وبركه فمن احتجم يوم الاحد فالخميس كذباك او يوم الاثنين والثلاث او معنى
كذباك اي عليك بهما اي باليومين فكذب هنا كما قال ابن السكيت وغيره كلمة
اغراء ستهادة حديث عمر كذب عليكم الحج كذب عليكم العمرة كذب عليكم الجهاد
ثلاثة اسفار كذبن عليكم فان معناه الاغراء اي عليكم بها الزموها ونصبها
على الاغراء قيل وقد ورد شاذا مرفوعا وقال الزمخشري كلمة جرت
مجرى المثل ولم تتصرف ولزمت طريقة واحدة في كونها فعلا ماضيا معلقا بالمخاطب
وحده وهي في معنى الامر كقولهم في الدعاء رحمك الله بمعنى ليرحمك الله اي
ليكذباك ولينشطاك وسعناك على الفعل والاغترار بالافترا من اغتراه
اذا مسه واصابه اي ويرميهم له بالبهت والكذب لعرف ابيا لا ان ينبض بجهل
مفرط وحمق مغدق من جفاة غلاظ الاكباد ولا تلين شكيمتهم لرشد ولا يميز
عريكتهم لنصح سيما ومنهم صناديد قريش اعلام الكفر واوتاد الشرك كقولهم
كالوليد بن المغيرة اذ حكى الله عنه ثم ادبر واستكبر ان هذا الا سحر يوثر اي
يروى عن اهل بابل وغيرهم قال له حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا حم
السجدة فقال لقد سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا
يعلى عليه فقد صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد
اليه حزينا وكلمه بما احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه
يخنق وزعمتم انه كاهن فهل رايتموه تكهن وانه شاعر فهل رايتموه يقول
شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين المرء واهله وولده
ومواليه فاهتز النادي فرحا وسحر مستمر اي دايم مطرد لما فيه دوام من تتابع
المعجزات وترادف الايات او قوي محكم من قولهم استمر مريره اي استحكم وقويت
شكيمته واصله الحبل واحد المراير قال على ان الله جعل الموت قاطع
المراير اقواها اي الحبال المفتولة على اكثر من طاق وافك افتراه اي كذب
صرفه عن وجهه واختلقه واساطير الاولين اي اقاويلهم المزخرفة التي سطرها
متقدموهم اكتتبها اي كتبها لنفسه او كتبها له كاتب اذ كان اميا لا يكتب والمباهتة
من بهته اذا رماه بما يتحير منه اي ويحادعون انفسهم باكاذيب وافتراءات يحيط
بهم ضررها ويحيق بهم مكرها كما يقال فلان يصنار فلان او ما يصنار الا نفسه
اي لا يتخطاه دابر ضرره والرضى بالدنية اي بالخصلة المذمومة واصله الهمز

وقد يخفف بلا همز للضعيف الخسيس كقولهم قلوبنا غلف بسكون اللام جمع اغلف اي هي منشاة
باغطية خلقية لا يصل اليها هدى ولا نفقه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او بضمتها جمع
غلاف اي هي اوعية للعلم لا تسمع شيئا الا وعته ولا تعي ما جاء به او نحن مستغنون بما فيها
من غيره وقالوا قلوبنا في اكنة جمع كنان اي في اغطية مما تدعونا اليه مانعة من وصوله
اليها وفي اذاننا وقر اي ثقل وصمم ومن بيننا وبينك حجاب منيع حاجز لا تلاقي ولا تراء
وزيدت من للدلالة على ان الحجاب ابتدا منهم ومنه مستوعب للمسافة المتوسطة بينهما بحيث
لم يبق منها فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن قبول ما يدعوهم اليه كانها في اغشية و
لمج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولعدم مواصلتهم له وموافقتهم له كان بينهما حجابا
ساترا اذ لا اكنة ولا وقر ولا حجاب وقد مر لهذا مزيد بيان وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه بخرافات وسواقط الكلام دافعي اصواتكم بها لتشوشوا على
قاريه لعلكم تغلبون ممن قراه على قراءته له والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقاحة وفرط عناد والا فما منعهم وساعدتهم الاستطاعة الا يشاؤا واذ لك
اذا تحداهم وقرعهم بالعجز ليفوزوا بالغلبة دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا
سيما في باب البيان وقد قال الله تعالى ولن تفعلوا عدلا عن ولن تاتوا بسورة من
مثله اليه لوروده مورد كنايته او رتب اختصار وحازة تغني عن طول الكناية عنه فما
فعلوا وما قدروا على ان ياتوا بمقدار سورة تؤازيه وتدانيه مع افراطهم في مضادته
ومضارته ومن تعاطى ذلك من سخفائهم جمع سخيف والسخف بالفتح رقة العيش هو
وبالضم رقة العقل وقيل هو خفة تعتري الانسان اذا جاع فهو خفة في العقل وغيره
اي ومن تجرا على معارضته كمسيلمة الكذاب بهذيانات مفتريات فقد كشف عوراه صح
بفتح المهملة وقد فضح اي اظهر عيب نفسه القبيح الزايغ عن الرشد لجميعهم اذ لم يكن ماهو
من بديع كلامهم وبليغ نظامهم يجدي به نفعا في معارضته وسلبهم الله تعالى ما الفوه
من فصيح كلامهم الواو للحال او بمعنى مع او استيناف موذن كما مر بترجيح القول بالصرفة
ولا اقول به بل الصارف لهم عن معارضته كمال بلاغته وبديع ترتيبه وغرايب اسلوبه
والا فلم يخف على اهل التمييز منهم انه ليس من نمط اي من ضروب فصاحتهم ولا جنس
بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين اي اعرضوا عن الاتيان بمقدار اقصر سورة منه مولين
بادبارهم اليه واتوا مذعنين اي منقادين من بين مهتد اي مصدق به وبمن انزل
عليه وانه لتناهي بلاغته ليس الا من عند الله وبين مفتون متحير في بلاغته متعجب
من عجزهم عن معارضته ولهذا اي ولكونه ليس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم
لما سمع الوليد بن المغيرة عم ابي جهل بن هشام بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يامر بالعدل اي بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين الاشراك
والتعطيل والتوكل مع الكسب المتوسط بين التدبير والبخل والاحسان في الطاعات
بحسن الكمية كالاتيان بالنوافل او الكيفية كما في حديث ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى تخصيص بعد تعميم مبالغة في موالاة اقرباء النبي
صلى الله عليه وسلم واعطائهم حقه وينهى عن الفحشاء اي عن تجاوزة حدود الله بما لا
يرضيه كالزنا فانه اقبح فعلا واشنعه والمنكر تعميم بعد تخصيص اي عن ما ينكر على متعاطيه

والبغي اي عن التطاول على الناس ظلما والاستيلاء عليهم تجبرا وعتيا يعظكم بالامر والنهي
والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون اي تتعظون قال اي الوليد بن المغيرة بعد
ان تلاه عليه والله ان عليه لحلاوة الخ بالقسم وان واسمية الجملة ازالة لاعتقادهم
انه ليس بكلام الله وقاله من شدة تعجبا وتعجيبا من كمال بلاغته وشبهه لقبول
السماع له بسلاسته والتذاذ الطباع ببراعته بذي حلاوة على طريقة الاستعارة المكنية
واثبت له الحلاوة تخييلا كانها ثابتة تحقيقة وكانه من جنس ذي بها صرفا للنفس عن توهم
التشبيه حتى كانه لا استعارة اصلا او شبه حاله لتمكنه من السهولة وسلاسة بلاغته
وبراعة تعالى من اعتلا لشيا ودكته تمثيلا فاستعار له على تقدير الظرف موذن بالحصر
وان عليه لطلاوة بضم طائه وفتحها اي رونقا وحسنا باصابته محز الفصاحة هو
وتطبيقه مفصل البلاغة ويجري في هذه القرينة ما في الاولى من الاستعارة والحصر
وان اسفله لمغدق بغين معجمة من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا لغزارة
معانيه الذوارف مع قلة الفاظه الروائع العوارف وان اعلاه لمثمر اشارة الى غزارة
نفعه بكريم عوائده وعميم فوائده شبهه لرسوخ بلاغته وسمو نظم فصاحته بشجرة
نشرت عروقها بغزيرما فاهتزت افنانها وربت لمادها فانعم نفعها على طريقة
الاستعارة المكنية واثبت له الغدق والثمر تخييلا كذلك ما هذا اما اي الذي
تلاه عليه بقول بشر لجزالة تركيبه الانيق وفخامة نظمه السري بالطف اسلوب وادق
تركيب لا يحوم حوله اعتقاد كونه بشر وذكر ابو عبيد القاسم بن سلام ان اعرابيا
سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر ما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اي
اجهر بامرك او بالذي تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل
واصلها الابانة والتمييز واعرض عن المشركين غير مبال بما يقولون فسجد تكرمة
لغاية كماله المانع من الاتيان باقصر سورة مثله ومن ثم قال سجدت لفصاحته التي
بدت كل فصيح من مداراة فرسان المقاولة وسراة مشاهد المناقلة وسمع اخر رجلا يقرا
فلما استيأسوا منه اي يئسوا من يوسف اذ لم يجبهم وزيدت السين والتاء للمبالغة
خلصوا اي انفردوا واعتزلوا نجيا اي متناجين في تدبير امرهم ووحد لكونه مصدرا
او زنته كما في هم صديق وجمعه انجية كندي واندية فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على
ان ياتي بمثل هذا الكلام لرسوخه في البلاغة كمالا ورشاقته واناقته في الفصاحة
نظما وفخامة وحكي ان عمر كان نائما في المسجد اي مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وعلى راسه جملة حالية من عمر قائم يشهد شهادة الحق فاستخبره عمر عن سبب ذلك
فاعلمه انه من بطارقة الروم جمع بطريق بكسر اوله وهو بلغة الروم الحاذق العارف
بالحرب وامورها وذو منصب وتقدم وقال الجوالقي هو القائد مقدم الجيوش واميرها
ولما سمعته العرب وصفوا به كل رئيس مدحا له وهو معرب بطرك الروم ممن يحسن
كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين يقرا اية فتاملها فاذا
قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى من احوال الدنيا والاخرة من جميع اسباب الفوز
والنجح وهي قوله عز قائلا ومن يطع الله ورسوله في فرائضه وسننه او فيما امر به
ويخش الله فيما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره فاولئك هم الفائزون

بسعادتي

بسعادتي المبدا والمعاد وحكى الاصمعي انه سمع جارية تتكلم بكلام فصيح فقال لها
قاتلك الله ما افصحك اي من خليقة بان يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال
لمن اتى بانيق قاتله الله ما اعجب فعله اي بلغ في التانق حدا استحق ان يحسد فيدعى عليه
فقالت اويعد هذا عطف على مقدر اي يعجبك او تعده فصاحة بعد قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى الهاما او مناما ان ارضعيه خفية ما امكنك فاذا خفت عليه
حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب ممكن فالقيه في اليم اي البحر مرادا به النيل ولا
تخافي عليه ضيعة ولا سوءا يعتراه ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك قريبا ليهدا
روعك وتامني عليه وجاعلوه من المرسلين اولي العزم فجمع في اية واحدة بين امرين
بما فارضعيه فالقيه ونهيين بما ولا تخافي ولا تحزني وخبرين بما واوحينا الى ام
موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه وبشارتين بما انا رادوه اليك وجاعلوه من
المرسلين وبامثال هذه الانواع بما لا يفوت حصره ارتقى كلام الله الى ان خرج عن طوق
البشر واعجزهم عن معارضته وكثيرا ما يسمى مثل ذلك فصاحة ومن ثم وصفته بها وانه
كان الاولى وصفه بالبلاغة لوروده في كل مقام مطابقا لمقتضى الحال والمقام فهذه
اي الجمع بين المذكور في الاية نوع من اعجازه اي مستقل منفرد بذاته غير مضاف
الى نوع اخر عزم على التعيين وعلى القول الصحيح من القولين اي اول قولي انه
خارج عن قدرة البشر وانها صرفت عنه وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة لا يفتقر الى قيام بينة تثبته وكونه متحديا به اي طالبا
معارضته ولو باقصر سورة معلوم ضرورة وعجز العرب المتحدين به عن الاتيان به
معلوم ضرورة لتوفر الدواعي على نقل ذلك كله وكونه اي القران في فصاحته في
هنا سببية كهي في خبر دخلت امراة النار في هرة شبه تمكنه بالفصاحة وشدة التباسه
بها بتمكن المظروف بظرفه فاثبت له في استعارة تبعية لوقوعها بالمصدر اصلية
اي فكونه خارقا للعادة اي عادة البلغاء في تراكيب كلامهم على وجوه شتى في كل مقام
ما يقتضيه انما هو بسبب فصاحته وذلك معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة لتمامها المقتضية لها وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك
اي والوصل لمن جهل الفصاحة ووجوه البلاغة ان يعلم ان كونه القران في فصاحته
خارقا لها بعجز المنكرين من اهلها لكونه كلام الله عن معارضته واعتراف المقربين
بانه كلامه باعجاز بلاغته لهم عن ان ياتوا ببيت مثله او بمصدر او عن موصوف او
صفة وانت خطاب لغير معين اذ كثيرا ما يعدل اليه كما في ولو ترى اذ وقفوا على النار
اذا تاملت العلم في الفرد في الايجاز الباهر في الاعجاز يعني قوله تعالى ولكم في
القصاص حياة الغنية وتاودع في بدائع التركيب وروائع الترتيب ولطائف الايجاز
وبدائع الاعجاز في الحسن والقبول ما اغدق اسافله واثمر اعاليه لما فيه من الغرابة
بجعل القتل الذي هو ضد الحياة ومفوت لها ظرفا لها لوروده في معرض البلاغة
لفظا يسيرا بمعنى كثير هو ان الانسان اذا علم انه متى قتل اقتص منه كان علمه به
ادعى حالا الى ردعه عن القتل فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا
فيكون القصاص حياة لهم ولعظمه على اوجز كلام عندهم هو القتل انفى للقتل بعلة

حروف ما يؤدي معناه منه اعني حروف في القصاص حياة الملفوظة فانها مع التنوين
احد عشر وحروفه اربعة عشر اذ بالعبارة يتعلق الايجاز لا بالكتابة واعتبار الفعل
المتعلق به الظرف رعاية لامر لفظي حتى لو ذكر لكان تطويلا وبنصه على الحياة التي
هي المقصود ذاتا وبما يفيده تنكيرها من تعظيم اذ به منع القصاص لهم عما كانوا
عليه من قتل جماعة بواحد وباطراد الحياة بان القصاص مطلقا سبب لها دون
القتل اذ قد يكون انفى له كالذي على وجه القصاص وقد يكون ادعى له كالقتل
ظلما وبخلوه عن تكرار الم بقولهم وحكم ان الخالي منه افضل وان لم يخل بالفصاحة
وباستغنائه عن محذوف في قولهم القتل انفى للقتل اي من تركه وبالمطابقة تقديره
بين معنيين متقابلين هما القصاص والحياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا عند
موتهم او بعثهم او يوم بدر فلا فوت لهم من الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان
قريب اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها
وقوله تعالى ادفع بالتي اي ادفع سيئة من اساء اليك بالحسنة التي هي احسن
الحسنات مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما ابرز في معرض
الاستئناف لجعله جوابا لكيف امنع معتديا او وضع احسن مكان حسنة مبالغة في الدفع
بها وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ناداهما بما ينادى به المميز
وامرهما بما يؤمر به تمثيل لكامل عظمته وباهر قدرته ولانقيادهما لما يريد فيهما ايجادا
واعداما وتبديلا بامر مطاع منقاد لحكمته مبادر الامتثال امره مهابة من عظمته
وحذرا من سطوته فكلما اورد عليهم امرا بمامور فعلوه فورا لا احتباس ولا ريب والبلع
النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء من غاض اذا نقص وقضي الامر اي وانجز
وعد نوح من اهلاك كفرة قومه وانجاء مؤمنيهم واستوت اي سفينته على الجودي
جبل بالموصل او الشام روي انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه
شهرا عاشر المحرم وصامه فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم
يقال بعد وبعد اذا اريد بعد بعيد بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعا
السوء وايراد هذه الاخبار مبنية للمفعول مؤذن بتعظيم فاعلها وانه متعين في
نفسه مستغن عن ذكره لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان تلك الامور العظام
لا يقدر عليها غيره ولا يكون بها سواه وما افخم لفظ هذه الاية واجزل نظمها وادلها
على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال ولله درها ما اجزل ما تضمنته من
وجوه مرجعي البلاغة وتميمها فبيان ما تضمنته من علم المعاني يظهر من النظر
في كل كلمة منها وكل تقديم وتاخير بين جملها وذلك انه اختير يا للكراهة استعمالها
ودلالتها على بعد المنادي منها وتاديه لمقام ابداء العظمة وشان العزة ولم يقل يا ارضي
بالكسر تقوية للتهاون به ولم يقل يا ايتها الارض اختصارا واحترازا عما في ايتها من
تكلف تنبيه غير مناسب للمقام واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وادور
قصد المطابقة واختير ابلعي على ابتلعي اختصارا وتجانسا بينه وبين اقلعي وقيل ماءك
فرد الماء في الجمع من ضوء الكثرة التي باباها مقام اظهار الكبرياء والجبروت كافراد الارض
والسماء ولم يترك مفعول ابلعي حذرا من لزوم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع ه

الجبال

الجبال والتلال والبحار وساكنيها نظرا الى مقام ورود الامر اذ هو مقام عظمة وكبرياء
ولم يقل ابلعي ماءك فابلعت الماء كما لم يقل ابلعي ماءك فبلعت واقلعي فاقلعت احترازا
عن الحشو واختير غيض لكونه اخصر واخف واولى من دون غيض مشددا وقيل الماء
دون ماء طوفان السماء كما قيل الامر دون امر نوح وهو انجاز ما وعد من هلاك كفار
اختصارا واستغناء عن ذلك بحرف التعريف ولم يقل وسويت مبنيا للمفعول
بمعنى اقرت كقيل وغيض وقضي اختصارا ومناسبة لاسناد الفعل اليها في وهي
تجري بهم في موج ثم قيل بعدا للقوم دون ليبعد القوم للتاكيد بينهما بالبعد تنزيله
ليبعدوا هذا استحضارا مع استعمال اللام مع بعدا الدالة على معنى ان البعد حق
لهم ثم اطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى ظلم انفسهم زيادة للتنبيه على فظاعة سوء
حالهم بتكذيب الرسل ومن النظر في ترتيب جملها اذ قدم النداء على الامر جريا على العادة
في المنادى المامورين تقديم تنبيه به يتمكن الامر الوارد عقبه في نفسه ثم قدم
امر الارض على امر السماء وابتدائه بخروج منها اولا وتنزيلا لها امنا منزلة الاصل
الاولى بالتقديم ثم اتبعا قوله وغيض الماء لحصوله عقب الامرين بالابلاع والاقلاع
ثم اتبع المقصود بالقصة اعني وقضي الامر من انجاز موعود نوح وانجائه ومن معه
في السفينة واهلاك كفرته ثم استوائها على الجودي ثم ختمت بدعاء السوء ه
وبيان ما تضمنته من علم البيان بعلم بما فيها من المجاز والاستعارة والكناية
ولما كان معناهما اردنا ان نعود ما انفجر من الارض فيها فعاد وان نقطع ماء
السماء فانقطع وان تغيضه فغاض وان نقضي امر نوح من اغراق كفرته فقضي
وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت وابقاء الظلمة غرقى جواب لما شبه
المنادى بمامور عاقل عرف الامر حق معرفته وعلم وجوب الانقياد لامره والاذعان
لحكمه فلا يتلقى اشارته بغير امضاء وانقياد ولا امره بغير امتثال ما انقياد وشبه
تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكوينه ثم بني عليهما نظم الاية فعال مجازا عن الاول
بجامع الخطاب في يا ارض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة لجعلهما
كمامور لا يتاتى عصيانه ثم استعار لغؤور الماء البلع الذي هو استعمال الجاذبة
في المطعوم بجامع ذهابهما الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء استعارة مكنية
تشبيها له به بجامع التقوية اي تقوي الارض بالماء للانبات وتقوي الاكل بالطعام
وجعل قرينتها لفظة ابلعي لوضعها لغة لاستعمال الغذاء دون الماء ثم امر على
سبيل استعارة النداء للجماد وخاطبه ترشيحا لها ثم اضاف الماء الى الارض
مجازا تشبيها لاتصاله بها باتصال الملك بالمالك واتى بضمير الخطاب ترشيحا
ثم الاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفعل تشبيها له لما بينهما من عدم
ما كان ثم امر على سبيل استعارة النداء له وخاطبه ترشيحا لها ثم قيل وغيض
وقضي واستوت وقيل بعدا مع ترك فاعلها لما ترك قائل يا ارض ويا سماء سلوكا
في كل سبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تصدر الا عن ذي قوة قهار لا يغالب
ثم ختم بالتعريض فلم يقل بعدا القوم نوح تنبيها على ان مكذبي الرسل لا يظلمون
الا انفسهم ولا يجزون الا هي اظهارا لمكان السخط بظلمهم واما بيان تسميتها اعني

الفصاحة لفظية ومعنوية فالفاظها كما ترى عربية اصلية جارية على قوانين اللغة
سليمة من التنافر والبشاعة سلسة عذبة ثم نظمها لمعانيها كما ترى نظم لطيف
مودية لها ملخصة مبينة لا تعقيد بها يعثر الفهم في طلب المراد ولا التواء يشك
طريقه اليه بمجرد استماعها تجد الفاظها تسابق معانيها وهي تسابق الفاظها فما
من لفظ في لفظها يسبق الى سمعك الا ومعناه الى فهمك اسبق هذا وفيما ذكرناه
من بعض ملكاتها ارشاد الكيفية اجتناء ثمرات البلاغة بمرجعيها اعني المعاني
والبيان والفصاحة بنوعيها وان لا علم ابين لمراد الله من كلامه ولا اعون على
تعاطي تاويل متشابهاته ولا انفع في درك لطايف نكته واسراره ولا كشف للقناع
عن وجوه اعجازه ولا اوفى لحقه من البلاغة سوى علمها **وقوله فكلا** ممن ذكر في
السورة ممن كذب **اخذنا بذنبه** اي عاقبناه به **فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا**
اي ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط **ومنهم من اخذته الصيحة**
وهم ثمود ومدين **ومنهم من خسفنا به الارض** وهو قارون **ومنهم من اغرقنا**
وهم قوم نوح وفرعون مع قومه **واشباهها** اي اشباه ما ذكر **من الاي الكثير**
القران مما هو محل من ايجاز لا ابرام واعجاز لا ابسام **خفت** جواب اذا تاملت **ما بينته**
من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها مع لطايف دقيقة وبدايع لمحات انيقة **وديباج**
عباراتها مما يكسوها من مطارف الفصاحة تزيينا ويوردها من وشي البلاغة
تحسينا من دبج المطر الارض اي زينها بالنبات ومنه حديث النخعي كان له طيلسان
مدبج اي مزين الاطراف بالديباج **وحسن تاليف حروفها وتلايم كلماتها** اي توافقها
وبروزها في نسق متناسب كل واحدة اخذ بيد مناسبها وقد تخفف همزة تلايم
فتصير ياء من الملايمة اي الموافقة لا واوا وما روي في الحديث بها فتحريف لا اصل
له لان الملاومة مفاعلة من اللوم **وان تحت كل لفظة منها جملة** من بدايع المعاني
كثيرة وفصولا من روايع المباني **جمة** اي كثيرة غابر بينهما لفظا الافتنان في العبارة
وعلوما زواخر من زخر البحر اي مد وكثر وارتفعت امواجه اي كثيرة جدا استنبطها
منه اولوا الافهام **ملئت الدواوين** جمع ديوان وهو الدفتر الحافظ لاسماء
الجيش وروي العطا فارسي معرب واصله دوان قلبت احدى واويه ياء لكسر
ما قبلها واول من دونه في الاسلام عمر اي انمحت الكتب **من بعض ما استفيد منها**
مما عسر على الفهم حصره **وكثرت المقالات** من الايمة الاعلام **في المستنبطات عنها**
ثم هو مبتدا اي القران الكريم **في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف**
اي الماضية **التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام** لطولها **ويذهب ماء**
البيان ورونقه ويختل النظام لخروجه بالطول عن ارتباط بعضه ببعض وتناسق
الفاظه وتوافق كلماته **اية** خبر المبتدا اي علامة بينة **لمتامله من ربط الكلام**
ببال لكونه اية **بعضه ببعض** متناسق الدلالة ظاهر المعنى **والتيام سرده** على
الاستقامة لفظا واعرابا وفصاحة وبلاغة وسلامة من تغير يوذن بخلاف المراد
وتناصف وجوهه اي فنون بلاغته مجازا واستعارة وتلويحا وايماء واشارة
وتاكيدا وتشبيها وحسن فواتح وخواتم وفواصل وتقديما وتاخيرا ووصلا اي

استواء وجوهه في ارتقاء شانها في الحسن والقبول كان كلا منهما انصف الاخر في اخذ
حظه منها من قولهم تناصفوا اذا انصف بعضهم بعضا من نفسه فاستعير لوجوه
بلاغته ونظم كلامه مناسبة المعنى متناسقة الدلالة **كقصة يوسف على**
طولها اذ قد اشتملت على ابداع نظم واعجب ترتيب لم يذهب لطولها ما ابهاتها
ورونقه ولم يختل نظامها بارتباط بعضها ببعض وتناسق الفاظها وتوافق كلماتها
على اصح وجه واوضح منهج تعجيزا وتبكيتا **ثم اذا تدبرت قصصه** وجدتها على ابلغ
تهذيب واحكم اسلوب موذنة باقتدار منشيها في لطايف افانين العبارة في مراتب
البلاغة ايقاظا لبلغا لا يبارون ذكا وتعجيبا لفصحا لا يبارون اصابة يخبرون
عن الغايب كانه قد شاهدوه ويصف لهم حرسهم الصايب حال الورود وقبل
ان يردوه **ثم اختلفت العبارات عنها** متفاوتة في النظم بين حكاية وخطاب
وغيبة وزيادة ونقص وتبديل كلمات كل واحدة منطبقة في مقامها على ابهج حسن
وانهج وجه **على كثرة ترددها** حال من ضمير عنها **حتى تكاد كل واحدة** من قصصه
تنسي في البيان والايضاح **صاحبتها وتناصف** اي تساوي في ارتفاع شانها
في الحسن وجه مقابلتها من حيث تفاوتهما ايجازا وتلويحا وايماء واكتفاء
باولها واحزها مثل فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا
اذ همها المراد بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
ولا نفور للنفوس من ترديدها لبروزها في كل مقام للمتحدي بها في معرض من
وشي البلاغة تبكيتا وتعجيبا **ولا معاداة من احد لمعادها** اي القران اذ كلما
كرر تلاوته انق الاسماع ونشط الاذهان ورغب في تلاوته وفي هذا تلويح
برد ما طعنوا به فيه جهلا منهم بامن مخضمايهم وفرحه اباطيل من افواههم اجزل
كلام لا يوازى بلاغة ولا يداني فصاحة ولا يبارى براعة ولا يجارى سماعه
طلق المحيا هاديا للتي هي اقوم اذ قد عميت بصايرهم وانفت مسامعهم فلم
يهتدوا الى ايراد شي فايدة لتكريرها بصياغات مختلفة ولو لم تكن له فايدة سوى
تبكيت المنكر والزامه الحجة والنداء على كمال عجزه عن المعارضة لكفى يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون **فصل**
الوجه الثاني من وجوه ضبط انواع اعجاز القران **من اعجازه صورة نظمه**
العجيب تلويح بان الاعجاز ليس بمجرد اللفظ اذ لا تعلق له به ومن ثم قال نظمه
دون نظمه اشارة الى ان كلماته كالدرر منتظمة مترتبة المعاني متناسقة
الدلالات على ما تقتضيه الحكمة وهذا مراد عبد القاهر بقوله النظم توخي
المعاني على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام لا توالىها في النطق وضم
بعضها الى بعض كيف اتفق ووصفه بالعجيب لاشتماله على ما يتعجب منه من
بدايع التركيب وروايع الترتيب **والاسلوب الغريب** اللام بدل من الضمير اي
واسلوبه **المخالف** لغرابته **لاساليب كلام العرب** لما اودعه من دقايق البيان
وكسبه من حسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة الترتيب وسلامة التركيب
بما لا موفي لادنى غايته **ومناهج** جمع منهج من نهج الامر وانهج اذا وضح اي طرق

بيهم

نظمها البين ومنه قول العباس لم يمت رسول الله حتى تركنا على طريق ناهج اي واضح
بين ونثرها خطبا ورسايل وغيرها الذي جاء عليه القران من نظم رشيق
وتهذيب انيق تحديا لنظرايهم في انه معجز وقد عجزوا عن كلام منظوم من عين
ما ينظمون منه كلامهم ليوردهم مشارع تيقن انه لم يبلغ من الجزالة وحسن
النظم المبالغ التي بدت بلاغته كل منطق ولم يجاوز الحد الخارج عن قوى
البلغا ولم يتعد وراء مطامح اعين البصرا الا انه ليس بكلام البشر ووقفت
مقاطع آيه اي اواخرها وفوقها كالتام والكافي جمع ايه وهي جماعة حروف وكلمات
من قولهم خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيا واصلها اوية تحركت
الواو الاولى وانفتح ما قبلها فقلبت الفا ثم الثانية ياء لتطرفها وقيل اصلها
فاعلة حذفت عينها او لامها تخفيفا ولو وردت تامة لكانت ايية عليه اي على
الاسلوب الغريب الذي قصرت عن وصفه كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة
يدرك ولا يوصف وانتهت فواصل كلماته اليه جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة
من الفقرتين والمصراعين ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له في علو الطبقة وحسن
النظم والبيان الغريب وسلامة الترتيب اي ربط اطراف النظم بعضها ببعض وجعل
كل في موقعه ورد اخره على اوله على انق الاساليب ولا استطاع احد مماثلة شي
منه لجزالته فصاحة وفخامة بلاغة بل حارت فيه عقولهم وتدلهت اي دهشت
وتحيرت مما ادهشها من وروده على ترتيب انيق ونظم سري دونه احلامهم جمع حلم
بالكسر اي عقل والحلم الاناءة والتثبت في الامور وهو من شان العقلا وغاير
بينهما لتنزل تغايرهما منزلة تغاير الذات مقام مدح للقران ولم يهتدوا الى ان ياتوا بشي مثله في
جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع قد يطلق على الكلمة الاخيرة من الفقرة باعتبار
توافقها الكلمة الاخيرة من الفقرة الاخرى وقد يطلق على نفس التوافق ومرجع
المعنيين واحد او رجز هو من بحور الشعر وانواعه الا انه لعدم التزامهم غالبا
فيه رويا واحدا ورد كل مصراع منه منفردا كهيئة السجع ويسمى قصايده اراجيز
وناظمه راجزا كما يسمى ناظم الشعر شاعرا وعن الحربي انه لم يبلغني انه جرى على
لسانه صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان المنهوك وهو انا النبي
لا كذب ، انا ابن عبد المطلب ، والمشطور وهو ، هل انت الا اصبع دميت ،
وفي سبيل الله ما لقيت ، وهذا منه حاكم بان كل مصراع بيت ومن مذهب الخليل
خلافه اذ الشعر عنده ما له مصراعان وعروض وضرب وروي بسكون تا دميت
ولقيت فيكون عروضه وضربه مخبونان مفعولان واشار بقوله انا ابن عبد
المطلب الى رؤيا مشهورة عندهم راها عبد المطلب وكانت صدقا فذكرهم بها
ولم يقله افتخارا به لكراهته الافتخار بالكفار بشهادة قوله لمن دعاه يا ابن
عبد المطلب قد اجبتك ولم يتلفظ بالاجابة كراهة لما دعاه به حيث لم يدعه
بما شرفه الله به من النبوة والرسالة او شعر هو قول موزون قصد به
كونه شعرا ولما سمع كلامه الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق له فجاءه
ابن اخيه ابو جهل منكرا عليه رقته له فقال اي الوليد بن المغيرة والله

مامنكم من احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيا من هذا اي
من الشعر وفي جزء الاخر اي الوليد بن المغيرة الذي رواه البيهقي عن ابن عباس
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب جمع وفد وهم القوم
يجتمعون ويردون البلاد لمارب تحوجهم الى النقلة لذلك ترد فاجمعوا فيه
رايا من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه اي اجتمعوا بالعزم على راي
فيه صلى الله عليه وسلم لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن هو من
يزعم انه يخبر عن الكاينات ويعرف الاسرار وكان في العرب كهنة كشق وسطيح
فمنهم من زعم ان له ريبا من الجن يلقي اليه اخبارا يسترقها من السماء ومنهم
من زعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب من كلام من يساله او فعله او حاله
ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة المسروق ومكان الضال قال اي
الوليد بن المغيرة والله ما هو بكاهن اذ لم يعهد منه صلى الله عليه وسلم انه
سلك طريقهم في تزويرا قاويل باطلة روجها بسجع منمق اذ كانوا يروجون
اقاويلهم الباطلة باسجاع تروق السامعين يستميلون بها قلوبهم ه
ويستصغون اليها اسماعهم ومن ثم عاب من قال في حديث الجنين
كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك يطل انما هذا من اخوان
الكهان لما تضمنه سجعه من الباطل لا بمجرد كونه سجعا لانه قد ورد في كلامه
كثيرا وفي الحديث يخرج من الكاهنين رجل يقرا القران لا يقرا احد قراءته
قيل هو محمد بن كعب القرظي وكان لقريظة والنضير الكاهنان قبيلا يهود المدينة
وكانوا اهل كتاب وعلم وفهم ومحمد بن كعب منهم والعرب تسمي من تعاطى علما
دقيقا كاهنا ما هو بزمزمته ولا سجعه الزمزمة صوت خفي ولا يكاد يفهم
وكان الكاهن اذا اراد احضار ريه من الجن زمزم فيحضر وكتب عمر الى احد
عماله في شان المجوس وانههم عن الزمزمة هي كلام يقولونه عند اكلهم
بصوت خفي قالوا مجنون اي مصاب اختلط عقله من مس الجن على ما يعتقد ون
وراى رجل قوما مجتمعين على انسان فقال ما هذا قالوا مجنون قال
هذا مصاب انما المجنون الذي يضرب بمنكبيه وينظر في عطفيه ويستمطي
في مشيته قال اي الوليد بن المغيرة ما هو بمجنون ما هو بخنقه بفتح
المعجمة وسكون النون بلفظ المصدر اي ما هو بمخنوق الشيطان ولا وسوسته
قالوا شاعر اي ينظم الشعر قال اي الوليد بن المغيرة ما هو بشاعر وما صدر
عنه موزونا فانما هو من جنس كلامه الذي كان يرمي به على بلاغة فيه وتكلف
بل اتفق ذلك منه غير قاصر به الشعر كما يقع في كثير من الانشاءات والمحاورات
قد عرفت الشعر كله رجزه وهزجه بر لبعض من كل والهزج من بحور الشعر
لا يستعمل الا مربع الاجزاء كونه في اصل دايرته مسدس او بيتها ،
يغنيني من اذا بيد ورايت البدر معروضا على غصن من البان وقريضه فعيل
بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمي الشعر قريضا لان قارضه
اي الشاعر يورده قطعا قطعا فهو ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام موزونا

معقودا به الشعر والعروض علم يعرف به صحة وزنه من سقيمه ومبسوطه لعله اراد بحر البسيط واورده بميم وواو مشاكلة لما بعده لوقوعه في صحبته وهو من انواع الشعر وفي اصل دايرته مثمن الاجزا وقد يستعمل مجزوا ومسدسا جوازا او اراد ما ورد من انواعه تاما بدون زحاف وعلة ومقبوضه من اجزاء انواعه وهو حذف خامس مفاعيلن ثاني سببيه فيبقى مفاعلن قالوا نقول ساحر من السحر وهو ما دق وخفي قال اي الوليد بن المغيرة ما هو بساحر ولا نفثه بالجر عطفا على مدخول البا اي ولا هو بنفثه او الرفع عطفا عليها اي ولا هو نفثه مصدر نفث ينفث كيضرب وينصر وهو شبيه بالنفخ واقل من التفل وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي اي ان جبريل اوحى والقى فيه قيل سمي به لانه خلق من طهارة ولا عقده كذلك مصدر عقد كتعقد السواحر عقدا في خيوط وينفثن عليها وقد سحر صلى الله عليه وسلم في وتر احدى عشرة عقدة ودفن في بير ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضعه فلما اخرجه قراه فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد خفة قالوا فما تقول قال ما انتم بقايلين من هذا شيئا مما رميتموه بشي من الاباطيل الا واعرف انه باطل مفترى عليه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لكونه باطلا اذ كان غيره ايضا يعرف انه باطل واقرب القول فيه ان يقال انه ساحر ما شاء الله كان هذا رجل اضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاشترى الضلالة بالهدى متكسعا في ظلمات قد نسج عمى بصيرته على منوال الضلالة حتى قال فانه سحر يفرق فيه بين المرء وابيه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته تشبيها لما سمعه منه بالسحر لبلوغه في الغاية بديعا يظهر معانيا انيقة جاذبة للنفوس على انه وشان السحر فتفرقوا امنين بما قال وجلسوا على السبل جمع سبيل وهو الطريق يحذرون الناس من متابعته واقتفاء سنته فانزل الله في الوليد من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره اظهارا لنسبة قبيح قوله وفعله اليه استدراجا لا كناية ذرني ومن خلقت وحيدا حالا من البا في ذرني اي معه وحدي فانا اكفيكه او من التاء في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقته احد او من العايد المحذوف اي ذرني والذي خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او بتهكم به صرفا له عن كونه لقب مدح له بانه وحيد قومه في الدنيا تقديما ورياسة وايسارا الى ذمه وعيبه او وحيدا في الشر او عن ابيه اذ كان زنيما اي دعيا في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا متزايدا بالنما اذ كان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا معه بمكة يتمتع بلقايهم لا يظعنون لطلب معاش استغنا بنعمته ولا يذهبون لمصالحه لكثرة خدمه ولا المحافل والاندية لوجاهتهم رياسة وعظما اسلم منهم خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا اي بسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ووحيدا باستحقاقه التقدم ثم يطمع ان ازيد استبعاد لطمعه في الزيادة على ما اوتيه اذ لا مزيد عليه لعدم مناسبته ما هو عليه من كفران النعمة ومعاندة المنعم ومن ثم قال كلا انه كان لاياتنا عنيدا ردع له عن الطمع وتعليلا للردع على طريقة الاستيناف بمعاندة ايات المودنة بازالة نعمه عنه المانعة من الزيادة فقيل ولم يزل بعد نزولها في نقص حتى هلك سارهقه صعودا اي ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو

تمثيل لما يلقى من العذاب الشاق الذي لا يطاق وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد اي فكر فيما يطعن به في القران وقدره في نفسه وهياه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره ورميه لغرضه الغرض الذي تنتحيه او ثناء عليه استهزاء به لاصابته اقصى ما يمكن ان يقال ذلك عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ثم قتل كيف قدر كرر للمبالغة وثم موذنة بانه ابلغ مما قبله وهي فيما بعد على اصلها ثم نظر في شان القران مرة بعد اخرى ثم عبس وبسر اي قطب وجهه وزاد كلوحا اذ لم يجد ما يطعن به ولم يدر ما يقول ثم ادبر عن الحق واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يوثر اي يروى ويتعلمه الناس موذنة بانه لم يخطر بباله لقول تقوم به من غير تثبت وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والله لقد سمعت اي منه صلى الله عليه وسلم قولا والله ما سمعت مثله قط كرر القسم تاكيدا لنفي سماعه مثل ما سمع منه صلى الله عليه وسلم من القران ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وفي حديث اسلام ابي ذر هو الغفاري الذي رواه مسلم ووصف حال من ابي ذر اي واصفا اخاه انيسا والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا مفاعلة من المناقضة والمراد ها هنا اي نقض قولهم ونقضوا قوله وراددهم ورادوه فغلبهم في الجاهلية انا احدهم ومنه حديث نقض الوتر اي ابطاله وشفعه بركعة لمن يريد ان يتنفل بعد ان اوتر وانه اي انيسا انطلق الى مكة وجاءني بخبر النبي قلت فما يقول الناس اي فيه صلى الله عليه وسلم قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم جمع قرء بالفتح اي طرقه وانواعه وبحوره وعن الزمخشري هي قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر التي ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما الا انها مقاطع الابيات وحدودها وانه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لصادق فيما قاله عن ربه وانهم لكاذبون فيما رموه به من الاباطيل والاخبار في هذا الذي ذكر صحيحة كثيرة على اختلافها انواعا وتراكيب والاعجاز عن معارضة شي من القران كان بكل واحد من النوعين اللذين احدهما الايجاز والبلاغة بذاتها المعبر عنه فيما مضى بصورة نظمه العجيب وثانيهما ما عبر عنه هنا بقوله او الاسلوب الغريب بذاته اي كان بذات كل واحد منهما بانفراده اذ كل واحد منهما اي من صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب باشتماله على دقايق واسرار وخواص خارجة عن طوق البشر نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اي بنظم عجيب واسلوب غريب مشتملا على الايجاز على ما ذكر اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا القول المؤذن بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته ذهب غير واحد من المحققين لسلامة فطنة وصحة ذوق وذهب بعض المقتدي بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب اي بهما لا بكل واحد منهما منفردا ولحصوله بهما وترتبه عليهما جعلهما ظرفا له تشبيها لتمكنه حصولا بهما بتمكن المظروف بظرفه ثم استعار له في الظرفية فجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الظرفية

فجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الطرفية تبعا وانى على ذلك الذي ذهب اليه
من ان الاعجاز في مجموعهما بقول بمجة من مج الماء اي القاه من فيه اي تقذفه الاسماع
وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه من كونه بكل واحد منهما بذاته منفردا خارجا
عن قدرة العرب مباينا لفصاحتهم وكلامهم والعلم بهذا كله ضرورة قطعا بشهادة
ما يدركه اصحاب الذوق من ان اوجه الاعجاز امر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة
ولا يوصف ولا طريق اليه الا طول خدمته مرجعها اعني المعاني والبيان بمعونة
فيض الهي يورث العلم بكونه ذلك ضرورة قطعا ومن تعمق في علوم البلاغة هي
ملكة يقتدر بها على تادية المعنى مستوفيا حق تراكيبه وايراد انواع التشبيه
والمجاز والكناية على وجهها وعلومها المعاني والبيان ومتممها اعني البديع وهي
مشتركة في كونها معرفة قوانين بها يحترز عن الخطا اذ يحترز بالمعاني عنه في تادية
الكلام معناه على ما يقتضيه الحال وبعلم البيان عنه في تاديته معناه بطرق مختلفة
في وضوح دلالته عليه مطابقا لمقتضى المقام وبعلم البديع عنه في طرق الفصاحة
ايهاما وتبيينا بابداع يورث الكلام حسنا وقبولا لشمول الخطا ان كان لجهل بمعرفة
مطابقة الكلام لمقتضى الحال كخلل في التركيب بمخالفة قيد هو مقتضاها فمعرف
الاحتراز عنه هو المعاني او بملزومه من طرق تاديته للخلل في الدلالة بمخالفة
وضوح او خفا فمعرفة البيان او بما يتبعهما من طرق التحسين والتبيين فمعرفة
البديع وموضوع الثلاثة الخبر والطلب فهما موضوعا المعاني من حيث الافادة
والبيان من حيث الدلالة والبديع من حيث التبيين والتزيين فتمايزها بكون
المقتضي اما افادة او دلالة او تبيينا او تزيينا اي ومن ساد ذا فنون من علومهما
ومهر فيهما وارهف خاطره ولسانه من رهف السيف وارهفه فهو مرهوف ومرهف
اي دق وحواشيه ادب هذه الصناعة فاعل ارهف بكثرة ممارستها وطول خدمتها
حتى صارت له بديهة لم يخف عليه ما قدمناه من ان كلا منهما نوع اعجاز بذاته منفردا
على التحقيق ومنه حديث صعصعة بن صوحان اني لاترك الكلام فما ارهف به اي
لا اركب البديهة بمعقد لا اقطع القول بشيء قبل ان اتامله واختلف ائمة السنة في وجه
عجزهم فاكثرهم يقول اورده مضارعا تصويرا لحالة تكلمهم لسامعه كانه يبصره
ايا لما بامنه مشاهدتها انه اي وجه عجزهم انما هو بما جمع في قوة جزالته من
بدايع لطايف المعاني وروايع اسرار النكت التي لا تتم الاحاطة بها الا للعلماء الفحول
ورصانة الفاظه لخلوصها من شوايب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة وحسن
نظمه وايجازه بروزهما من عليم بوجوه سحر البلاغة خبير بافانين الكلام بصير
باقتضاب مقتضيات الاحوال والايجاز يورد كل ترتيب على حق معناه وفصوص جواهر
توابعه وبديع تالفه واسلوبه لنسجه على منوال جهات حسن انيق ومزايا اسويه
بها الكسى فخامة وجزالة وبلاغة ايراد في كل مقام مقتضاه واسلوبه واحد اساليبه
وهي اجناسه وطرقه لا يصح ان يكون في مقدور البشر لا سيما له علم لطايف سحر
رفعة شانه في باب البلاغة الى ان خرج عن طوقهم وانه من الخوارق الممتنعة عن اقتدار
الخلق عليها لحيازته بدايع شان البلاغة واقتداره اناسي عيون افتنان البراعة

مما

مما يعجزون عنه كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصا مما لا يقدر عليه بشر وذهب
ابو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن امير العراقيين
بلال بن ابي موسى الاشعري الى انه اي القران مما يدخل مثله تحت مقدور البشر ممن
هو انسان معني وله مزيد علم بجهات الكلام ساحر في اقتضاب وجوه البلاغة ماهر
في افانين السحر نظما ونثرا ويقدرهم الله عليه لانه من جنس نتايج افكارهم وكرايم
خواطرهم ولكنه الضمير للشان لم يكن هذا هو الشان اي الشان عدم قدرتهم عليه
فمنعهم الله هذا او عجزهم عنه وهذا هو القول بالصرفة وقد مر انه مرجوح وعلى
الطريقين من كونه معجزا بذاته او بتعجيز الله اياهم فعجز العرب ثابت مع كمال بلاغتهم
وفرط تهالكهم على اطفاء نور ما جاء به واقامة الحجة عليهم بما يمنع ان يكون في
مقدورهم على ما ذهب اليه الشيخ ومتابعوه وتحديهم مصدر اضيف الى مفعوله
اي وطلب رسول الله منهم ان ياتوا بمثله قاطع لا ريب فيه وهو اي تحديهم ان ياتوا
بمثله مع كونه مما يصح ان يكون في مقدورهم ابلغ في التعجيز عن معارضته واحرى
مهملتين اي اخلق واولى بالتقريع والتوبيخ والتسجيل عليهم بالعجز والاحتجاج
عليهم بمجي بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم على القول بانه معجز بصورة
نظمه العجيب واسلوبه الغريب وكل منهما كما مر معجز بذاته وهو اي كونه ليس
من قدرة البشر ابهر اي اغلب اية للايات الباهرة لارتفاع شانه في باب البلاغة
بحيازته شرف لطايف الاعتبارات واردة على انحاء مختلفة بحسب مقتضيات
احوالها لا ترى شيا منها يراعى في كلام بليغ من وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى فيه
من الطف وجه واقمع دلالة لهم عن الاقدام على معارضته مع ما لهم من قدم صدق
في منهج البلاغة وعلى كل حال من قولي الاعجاز بالصرفة وبالذات فما اتوا في ذلك
بمقال من موصوف ولا صفة بل صبروا على الجلا اي الخروج من مواطنهم بالاهل
والمال والولد وصبروا ايضا على القتل نقاد بالهمام الا نقاد له حسدا وحرصا
على العناد بغيا ولددا وتجرعوا كاس الصغار والذل اي شربوا اما فيهما جرعة
جرعة فشبههما بشراب لا يكاد يساغ بشاعة على طريقة الاستعارة المكنية
مثبتا لهم الكاسات تخييلا والتجرع ترشيحا وكانوا من شموخ الانف اي ارتفاعه
كبرا وعتوا وكانوا من اباة الضيم تحاميا عنه وتباعدا منه وتجنبا له بحيث لا يوثرون
ذلك اي الضيم اختيارا من انفسهم ولا يرضونه الا اضطرارا والجاء اليه وقسرا
والا اي وان لم يكن الامر عجزهم وصبرهم كما ذكر فالمعارضة للقران الكريم لو كانت
من قدرهم اي مقدورا لهم اطلاقا للعلة على معلولها والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح بامتراء افاويق مجهودهم واستيعابه فيها وقطع العذر وافحام
الخصم اي اسكاته باعجازهم اياه لديهم اي عندهم وهم من هو قد رقى تمييز للضمير
المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم توسطت استفهاما اشعر بعلو شان القران
الى ان جاوز قدرهم فلم ياتوا بمعارضته بينت سفه متسمين بانهم النهاية في
القدرة على الكلام بلاغة وبراعة باستقامة فطنة وسلامة فطرة وفرط ذكاء
وصفاء قريحة وتقدم في المعرفة لجميع الانام لحيازتهم مزايا ملكات العقل الصادق

الى النجاح لانوا بما تحدوا به ولو يصبروا على هوان وهذا جواب لو حذفه من الكلام وما
منهم الا من جهد جهده استثنا مفرغ من عام واستنفد بالدال المهملة اي استفرغ
ما عنده من قوة طاقته في اخفاظ نور اي القران او النبي صلى الله عليه وسلم واباه
نوره ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فما جلوا اي فما اظهروا في ذلك
مما اجتهدوا فيه حنيبة من بنات شفاههم اي من كلماتها اضافها اليها لخروجها
من بينها تشبيها لها على طريقة الاستعارة المكنية بشنوع حوامل واثبت لها
البنات تخييلا ولا اتوا بنطفة من النطف وهو النضب اي بقطرة يسيرة من معين
مياههم هو في الاصل الماء الجاري ظاهرا شبه به ما طولبوا به معارضة فاستعار
له اسمه استعارة تحقيقية قرنها بالنطفة ترشيحا للمجاز مع طول الامد
المعارضة منهم وكثرة العدد اذ كانوا اوفر عددا من حصى البطحا وتظاهر
الوالد وما ولدا اي وتعاضدهم وتناصرهم بل ابلسوا اي ادهشوا فوجموا ه
واستحسروا ايسين فما نبسوا اي ما نطقوا بشي مما طولبوا به معارضة ومنوا
بما اشتمل عليه من قوة جزالة وفصاحة لفظ وحسن نظم وايجاز انيق فانقطعوا
ولم ينهضوا لمعارضة سورة منه ناهض فهذا اي صورة نظمه العجيب واسلوبه
الغريب نوع ثان من الاعجاز لهم بدا بهما فصل الثالث من وجوه
الاعجاز اي اعجاز القران الكريم ما انطوى عليه من الاخبار بكسر الهمزة مصدر
اخبر بالمغيبات مما كان ووقع من القرون الماضية وما لم يكن ولم يقع فيما مضى من
الزمان فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
جواب قسم اما محذوف دل عليه لام لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق او مذكور
هو قوله بالحق اي بالحق الذي هو نقيض الباطل او الذي هو من اسماء الله ان شاء
الله تعليق لعدته بالمشية تعليما للعباده او تلويحا بان بعضهم لا يدخله لموت
او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرويا او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه امنين
حال من واو لتدخلن والشرط اعتراض بينهما وقوله وهم من بعد غلبهم من اضافة
المصدر الى المفعول اي والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس وكانوا
مجوسا لا كتاب لهم في بضع سنين اذ قد احتربت والروم باذرعات وبصرى
ادنى ارض العرب او بالجزيرة ادنى ارض الروم من فارس فغلبوهم وورد الخبر
مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم
فنزلت فقال ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس في بضع
سنين فقال ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك اجلا فراهنه على عشرة قلايص
من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص
الى تسع سنين ومات ابي بعد قفوله من احد بجرح من النبي صلى الله عليه وسلم
بسرف مكانا كما مر وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر القلايص
من ورثة ابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق بها وبه اخذ الحنفية جواز

العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار وقوله ليظهره
اي دين الحق على الدين كله اي ليغلبه على كل دين باظهار ما هو حق وبتسليط ه
المسلمين على اهله فما من دين الا ودين الاسلام واهله العزة والغلبة ولفرع الزل
والقهر وكله تاكيد لما وعد من الفتح وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات خطاب لرسوله او لامته اوله ولمن معه بشهادة من البيانية ليستخلفنهم
لامه ونونه تلقى بهما قسم اما محذوف تقديره وعدهم الله واقسم او نزل الوعد لتحققه
منزلة القسم فتلقى بهما كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم في الارض وقوله اذا جاء
نصر الله اياك على اعدائك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله المومنين
وفتح مكة وغيرها من البلاد عليهم وعدل عن الحصول الى المجي تلويحا بان المقدورات
متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها شيا فشيا وقد قرب النصر من وقته فترقب
وروده واستعد لشكره ورايت الناس يدخلون مفعول ثان لرايت على انه بمعنى
علمت او حال على انه بمعنى ابصرت اي داخلين في دين الله افواجا جمع فوج اي جماعات
كثيفة كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن بعد واحد واحدا وجماعة فكذلك فسبح
بحمد ربك اي فتعجب من تيسير الله ما لم يخطر ببال حامدا له على الاكرام واستغفره هضما
لنفسك واستقصارا لعملك وعنه صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم
والليلة مائة مرة انه كان منذ خلق المكلفين توابا لمن استغفر منهم والاكثر على انها
نزلت في فتح مكة وانها نعي لرسول الله لانه لما قراها بكى العباس فقال له ما يبكيك
يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فكان جميع هذا والاخبار به كما قال
ومن اعلام النبوة فغلبت الروم فارس في بضع سنين يوم الحديبية قيل عند راس
سبع سنين ودخل الناس في الاسلام فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد
العرب موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المومنين في الارض ومكن فيها
دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الاسلام اي ثبته ووطده وملكهم اياها من اقصى
المشارق الى اقصى المغارب فتقدم المشارق على المغارب اقتداء بكتاب الله وحديث
رسوله كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ثوبان زويت اي جمعت
لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزايهم به صلى الله عليه وسلم بقولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر ومن ثم اكد عليهم انه المنزل له وقرره بقوله وانا له لحافظون
من التحريف والزيادة والنقص بجعله معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه
على اهله فكان كذلك محفوظا في كل زمان لا يكاد يعد من سعى في تغيير ه
وتبديل محكمه الذي لا يرجعه خلل لفظا ولا معنى من الملحدة بل نعدهم ويحتمل
ان يكون بيانا لمن فخر كا محذوف وان يكون جزها او من بمعنى لا يزال يعد من
الذين يميلون عن الاستقامة في اياته طعنا وتحريفا لها وتاويلا باطلا وبعد
من المعطلة لها بذلك عن العمل بها على وجه الحق وباغرافه عن الاستقامة ه
وتعطيله اياها بما ينبغي العمل بها حقا لا سيما القرامطة بجود كما مر رفع ما بعد
سيما على انها بمعنى مثل وما موصولة صلتها محذوفة اي ولا مثل الذين هم القرامطة

وجرٍ على انها زايدة ونصبه على انها اداة استثناء فانهم قد اجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم شيئا بفتح نونه وسكون يايه او كسرها مشددا اي زيادة على خمس مائة عام فما
قدروا على اطفاء شيء من نوره تمثيل لحالهم ساعين في تخريبه وتبديله والغاء ادلته
بحال من اراد اطفاء نور عظيم منبث في الافاق ولا قدروا على تغيير كلمة من كلامه
لمباينته لكلام البشر ولا قدروا على تشكيك المسلمين في حرف من حروفه لحفظ الله
له بتلاوتهم في كل زمان والحمد لله على حفظه له وعلى خيبة سعيهم وجعلهم اشقيا ومنه
اي من اعجازه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر افرده مريدا به الجنس اي الادبار
ان شهادة القراءة به وكان يوم بدر وعن عمر لما نزلت لم اعلم ما هو حتى كان يوم بدر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبس درعه يقول سيهزم الجمع
فعلمته وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرا وينصركم عليهم
ويشف اي يطهر بين الحق صدور قوم مؤمنين هم خزاعة حلفاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم بطون من اليمن وسبا وردوا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا
فقال لهم رسول الله اصبروا فان الفرج قريب وقوله هو الذي ارسل رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله لام الدين للجنس
اي على جميع الاديان وينسخها ولو كره المشركون والاية كالبيان لقوله قبلها ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون شهادة تكريرا ولو كره وغاير بينهما لفظا لو في
بانهم ضموا الكفر بالرسول الى الاشراك بالله وقوله لن يضروكم الا اذى اي ضررهم
اياكم مقصور على كونه اذى اي لا اضرارا يسيرا كتهديد وطعن في الدين وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار منهزمين ولن يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون بنصر احد لهم
عليكم او بدفع باسكم عنهم وقد عطف على جملة الشرط وجزائه ولم يجزم عطفا على
الجزاء عدولا به عن حكمه الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ان قاتلوكم انهزموا ثم اخبركم بانهم
لا ينصرون منتفيا عنهم النصر مطلقا فليس نفيه عنهم مقيدا بقتالهم كما قيد به
تولي الادبار وثم لتراخي الرتبة لان خذلانهم اعظم من انهزامهم فكان كذلك
من هزم جميعهم وتعذيبهم بايدي المؤمنين وشفا صدورهم بنصرهم عليهم واظهار دينه
على الدين كله وما كان ضررهم لهم الا اذى وان قاتلوهم ولوا الادبار كبني قريظة
والنضير وبني قينقاع وخيبر وما فيه اي القران من اسرار المنافقين واليهود
وكشف مقاصدهم وكذبهم في حلفهم وما فيه من تعريفهم مصدر مضاف الى مفعوله
اي ومن توبيخ الله اياهم بذلك اي بسببه كقوله ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بقولنا ما محمد ان كان نبيا لا يدعو
علينا حتى نعذب حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير وبقوله يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون قبله اي مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب يقولون بدل من يخفون او استيناف
على وجه البيان له اي يقولون في انفسهم اذا خلا بعضهم الى بعض لو كان لنا من
الامر شيء كما زعم محمد ان الامر كله لله ولاوليائه فانهم حزبه وانهم لغالبون ما قتلنا
ههنا اي في المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى ه

مضاجعهم

مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم تنفعهم اقامتهم في المدينة ولم ينج منهم احد اذ قدر الامور في سابق قضائه فلا
معقب لحكمه وقوله من الذين هادوا منقطع عما قبله خبر سماعون للكذب
اي من اليهود قوم سماعون له او عطف على من الذين قالوا خبر مبتدا محذوف اي
هم سماعون والضمير للفريقين او هم الذين هادوا واللام في للكذب اما مزيدة
للتاكيد لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه احبارهم او للعلة
والمفعول محذوف اي كلامك ليكذبوا وقوله من الذين هادوا بيان للذين اوتوا
نصيبا لاحتماله غيرهم وما بينهما اعتراض او لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا او خبر محذوف وصفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي منهم قوم يميلو نها
عن مواضعها عن مواضعها التي وضعها الله فيها بازالتها منها واثبات غيرها فيها
او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزلها الله فيه ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي غير مسمع دعا عليه بلا سمعت بصمم او موت
او غير مجاب الى ما تدعو اليه او كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه فيكون غير
مسمع مفعولا به او غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما اورده
محتملا وجهين نفاقا وراعنا يحتمل انظرنا نكلمك ويحتمل سبه كلمة عبرانية او
سريانية كانوا يتسابون بها هي راعينا سخرية وهزؤا به صلى الله عليه وسلم يكلمونه
بمحتمل يريدون به شتمه وتحقيره مظهرين اكرامه وتوقيره ليا بالسنتهم اي فتلا
بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب بوضعهم راعنا المشابهة لما يتسابون به موضع
انظرنا او غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها لما يظهرونه من الدعاء والتوقير
الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين استهزاء او سخرية وقال اي الله
مبديا حال من ضمير قال وقعت وما بعدها اعتراضا بين قال ومقوله اي مظهرا
ما قدر واعتقد المؤمنون يوم بدر من الظفر باحدى طائفتي العير والنفير
وتودون ان غير ذات الشوكة التي هي العير والشوكة الحدة استعير لها اسم
واحدة الشوك استعارة تحقيقية مطلقة تكون لكم تتمنوها لانها لا حدة فيها ولا
شدة اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا وكرهوا ملاقاة ذاتها التي هي النفير لكثرة
عدده وعدده ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته المنزلة في محاربة
ذات الشوكة او بامره للملائكة بالانزال للنصرة والقتل والاسر ويقطع دابر الكافرين
اي يستاصل شافتهم اي انتم تريدون العاجلة ولا تريدون ما تكرهونها والله يريد اعلا
الدين واظهار الحق ويمنحكم عزا وفوزا في الدارين ومنه اي من اعجازه انا كفيناك
المستهزئين تقدم بيان ما هلكوا به وهم من اعلام الكفرة الوليد بن المغيرة والعاصي
ابن وائل وعدي والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
ابن اسد وقيل وعمه ابو لهب وعقبة بن ابي معيط والحكم بن ابي العاصي وقد اسلم يوم
الفتح وروى الطبراني في الاوسط لما نزلت فيهم هذه الاية بشر النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه بان الله كفاه اياهم ورواه البيهقي وابو نعيم بمعناه وكانوا بمكة ينفرون
الناس عنه ويؤذونه فهلكوا دمر نوره وسطع واظهر دينه على الدين كله وقوله

والله يعصمك من الناس عدة من الله وضمان له منه وعصمة روحه من غوايل اعدايه
واراحة لمعاذيرهم فكان كذلك كما اخبر به من لا خلف في اخباره على كثرة متعلق بكان
اي فكان اخباره بكفايته ووعده بعصمته مستعليا على وفود من رام ضرره وقصد
قتله فصل الوجه الرابع من وجوه ضبط اعجاز القران ما انبا به من اخبار
القرون السالفة والامم الماضية غابر بينهما تفننا واطنابا لا تقتضيا المقام
ذلك والرابع الدايرة اي الدارسة بمنسخ وغيره من دائر اذا درس وعفا بهبوب
الرياح مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ بمعجمة مشددة اي الواحد
وفذ فذ عن اصحابه اذا شذ عنهم وبقي فردا وفي حديث الحمد ما انزل على فيها الا
هذه الاية الفاذة الجامعة اي المفردة في معناها من احبار اهل الكتاب اي علمايهم
جمع حبر فتحا وكسرا الذي يقطع عمره في تعلم ذلك اي ما ذكر من القصة فيورده
النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه اذ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ويأتي به على نصه كما قراه عليه جبريل من نصصت الحديث اذا رفعته وعن عمرو بن
دينار ما رايت انص للحديث من الزهري اي ارفع له واسند فيعترف العالم بذلك
اي الذي اورده بصحته وصدقه ويعترف ايضا ان مثله لم ينله النبي صلى الله عليه وسلم
بتعليم بل بوحي وفهم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب نفسيه
لامي اذ هو من لا يحسنهما ولا اشتغل بمدارسته ولا مثافنته بمثلثة وفا بينهما
الف اي ولا مجالسة احد ما صنفا انثفنة ركبته بثفنة ركبته مزاحما بركبته للتعلم
لم يغب صلى الله عليه وسلم عنهم غيبة يمكنه التعلم فيها ولا جهل حاله احد منهم
منذ كان صغيرا الى ان ارسل وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما نصب على الظرف لانه
من صفة الاحيان اي في كثير من الاحيان او صفة لما اشتق منه الفعل وما مزيدة
لتاكيد معنى الكثرة اي يسألونه سوا لا كثيرا عن هذا اي عن اخبار القرون الماضية
فينزل عليه من القران ما يتلو اعليهم منه ذكر القصص الانبيا مع قومهم
في القران على اختلافهما لفظا وايجازا وخبر موسى والخضر اي بمعاني سورة الكهف
ويوسف واخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر وابهم
لياودان ونفتالي وجاد واشر من سريتين سماهما لفة وبلهة وتوفيت ليا فتزوج
اختها راحيل فولدت له يوسف وسامين في سورته واصحاب الكهف وذي
القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبيا كخبر نوح وولده فولدي ادم
وبدا الخلق فان ذلك كله مذكور فيه وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف
ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلما حين تلاه عليهم ولم يقدروا على تكذيب
ما ذكر منها مصدر مضاف الى مفعوله اي على تكذيبه في شي ذكره منها بل اذعنوا
اي انقادوا له لعلمهم بصدقه فمن موافق امن به وصدقه فيما جاء به بما سبق
له في الازل من سابقة شر ومع هذا فلم يحك عن واحد لم يرد به واحدا معينا
لوقوعه نكرة في حيز نفي اورده عموما من النصارى واليهود على شدة عداوتهم
له وحرصهم على تكذيبه دفعا للحق وانفة من اتباعه فخسروا خسرانا مبينا
وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم مما اورث العلم بانه رسول الله الى كافة الناس

وتقريعهم اي توبيخهم وتبكيتهم ردعا لهم بما انطوت عليه مصاحفهم من الاعلام بصحة
ما جاء به جمع مصحف له بمعنى صحيفة واحدة الصحف وكثرة سوالهم له وتعنيتهم
اياه اي تكليفه بما يشق عليه من العنت بمعنى المشقة بكثرة سوالهم له اي تكليفه
بما يشق عليه من العنت بمعنى المشقة بكثرة سوالهم له عن اخبار انبيايهم واسرار
علومهم ومستودعات سيرهم من الاخبار التي غابت علمها عنهم بها واعلامه لهم
بمكنون شرايعهم اي بمخفيها ومستورها عنهم ومضمنات كتبهم من الاحكام والامثال
والمواعظ وغيرها المشتملة هي عليها مثل سوالهم اياه على لسان قريش اذ قالوا لهم
سلوه عن الروح كما رواه الشيخان وذي القرنين واصحاب الكهف فيما رواه
ابن اسحاق والبيهقي فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم كما رواه الشيخان قصتي اصحاب الكهف وذي القرنين
وابهم امر الروح كما هو مبهم في التوراة وسوالهم له عن شي عيسى وحكم الرجم
فبين لليهود ذلك وعن ما حرم اسرائيل كما رواه الترمذي على نفسه من لحوم
الابل والبانها في قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه فبينه لهم فاستغصوا واستمانوا واسنه واحتج به من جوز الاجتهاد للا
ولا يبعد ان يكون تحريمه ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتدا وما حرم عليهم
من الانعام ومن طيبات احلت لهم فحرمت عليهم من قبل ان تنزل التوراة ببغيهم
وظلمهم عقوبة لهم وتشديدا عليهم وذلك رد لزعمهم براة ساحاتهم مما نعي
عليهم قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الخ وقوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى ذلك جزيناهم ببغيهم اذ قالوا لسنا
اول من حرمت عليه بل كانت محرمة على من قبلنا كنوح وابراهيم ومن بعده حتى
انتهى الامر الينا فحرمت علينا ورد لمنعهم النسخ ودعوى نبينا موافقة ابراهيم
في تحليل لحوم الابل والبانها ومثل قوله ذلك اي سيماهم في وجوههم من اثر السجود
واشارة الى ميهم بقوله كزرع مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل اي وصفهم
العجيب الشان فيهما فاجابهم عن ذلك كله وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه
اي لم يحك ان احدا انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقا
واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران حين حاجوه في عيسى وزعمهم الى
المباهلة وابن صوريا وقد اسلم دونهم وابني اخطب وغيرهم من اليهود والنصا
ومن باهت في ذلك اي فيما لم ينكر ولم يكذب فيه بعض المباهتة وادعى ان فيما
عندهم بما حكاه صلى الله عليه وسلم مخالفة فقد دعي من جانب ربنا تعالى في اقا
حجته وكشف دعوته ان عنده فيما حكاه مخالفة لموافقته لابراهيم في تحليل
لحوم الابل والبانها فقيل له صلى الله عليه وسلم قل لهم فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين امر له بمحاجته لهم بكتابهم وتبكيتهم فيما فيه من
ان تحريم ما كان احل لهم انما كان لسبب ظلمهم وبغيهم روي انه صلى الله عليه وسلم
لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان ياتوا بها وهذا برهان بين على نبوته
فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك حرم على بني اسرائيل وعلى من قبلهم

نزول التوراة من بعد ذلك اي بعد الزامهم الحجة فاولئك هم الظالمون بعد انصافهم
من انفسهم ومكابرتهم الحق بعد ما تبين فمزع وويح ودعا الي احضار ممكني غير
ممتنع وهو الاتيان بالتوراة فلم ينهض منهم لذلك ناهض فمن معترف بما يجدع
ومتوالج فوي الوجه لاحياء فيه يلقي على فضيحته الكاشفة لغيبه اللئيم من كتابة
يدم وعماية الرجم سماها بها لانها سبب لهتكه ولم يؤثر ان واحدا منهم اي من اهل
الكتابين اظهر خلاف قوله صلى الله عليه وسلم من كتبه ولا ابدي جمع بينهما تفننا
وتزيينا اي ولا اظهر صحيحا ولا سقيما من صحفه جمع صحيفة وهي الكتاب وفي
حديث عيينة بن حصن انه صلى الله عليه وسلم كتب له كتابا فلما اخذه قال يا محمد
اتراني حاملا الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس وهو شاعر معروف اسمه عبد
المسيح بن جرير قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما امرا
فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يامره بقتلهما واعطى كلا صحيفته فاذا
فيهما الامر بقتله فالقاها في الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرأ صحيفتك
والقها فانها كصحيفتي فابى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا قال تعالى
يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد لارادة الجنس قد جاءكم رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كصفته صلى
الله عليه وسلم واية الرجم مما في التوراة وبشارة عيسى به مما في الانجيل ويعفو
عن كثير مما تخفونه لا يخبر به الا لضرورة او عن كثير منكم لا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشكوك والبين
الاعجاز وبلاغة الايجاز يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد من
اتبع رضوانه سبل السلام اي اتبع رضاه بالايمان طرق السلامة في كل مكروه
ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من انواع الكفر الى الايمان باذنه اي بارادته
او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم الى طريق هو اقرب الى الله وموصل
اليه لا محالة فصل هذه الوجوه الاربعة المارة في فصولها اسئولة
واشار اليها بها المعرب لعربها من هذا الفصل من اعجازه اي اعجاز القرآن
بينة لا نزاع فيها ولا مرية فيها لاحد ومن الوجوه البينة في اعجازه
بما اشتمل عليه من اساليب بديعة توصل الى الذروة العليا لا ترى كلاما
احسن ديباجة ورونقا وبلاغة منه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز
قوم باعيانهم في قضايا معينة واعلامهم انهم لا يفعلونها بقوله ولن تفعلوا
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك مما ذكر من القضايا كقوله لليهود قل ان كانت
لكم الدار الآخرة اي الجنة عند الله خالصة حال من الدار اي خاصة بكم كما
قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا من دون الناس اي باقيهم او المؤمنين
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في قولكم لان من ايقن انه من اهل الجنة لو
اشتاقها واحب التخلص من دار الشوائب اليها ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم مما اوردهم الردى والتردي في مهاوي النار كالكفر به صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن او تحريف التوراة فهي من المعجزات لانها اخبار بالغيب وكان كما اخبر

اذ

اذ لو تمناه احد منهم لتوفرت الدواعي على نقله واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب
ليخفى ولو كان من عمله لقالوا تمنينا قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الاية
اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه اي الله تعالى قال لهم فتمنوا
الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم وروى البيهقي من طريق
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ والذي
نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه وغص بمعجمة
مفتوحة فمهملة لا بضمها لانه لازم لا يبنى للمفعول ورواه احمد بسند جيد
عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا فصرفهم الله عن تمنيه
وجزعهم اي ادخل قلوبهم الخوف ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه
اذ لم يتمنه احد منهم حذر الموت وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا والجملة
حالية من الضمير قبلها ولكن الله يفعل ما يريد من خير وشر فظهر بذلك
اي بصرفهم مع كونهم على تكذيبه احرص معجزته وبانت حجته قال ابو محمد
الاصيلي من اعجب امرهم انه للضمير للشان كانه قال ان الشان لا يوجد منهم
جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه بقوله له قل ان كانت لكم الدار
الآخرة الى قوله فتمنوا الموت يقدم عليه اي على تمنيه الموت ولا يجيب احد
منهم اذا قيل له تمن الموت اليه وهذا اي امتناعهم من تمنيه مشاهد لمن اراد
ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى في عدم الاجابة الى
ما دعي اليه حيث وفد عليه اساقفة نجران جمع اسقف بضم الهمزة والقاف
وتشديد الفاء خير النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة
بلد بين مكة والمدينة على نحو سبع مراحل من مكة وابوا الاسلام وكانوا
ستين راكبا منهم اربعة عشر رجلا ثلاثة منهم مرجع امرهم اليهم العاقب واسمه
المسيح اميرهم والسيد واسمه الايهم ثمالهم اي ملجأوهم ومعتمدهم وابو حارثة
ابن علقمة اسقفهم فانزل الله اية المباهلة اي الملاعنة بقوله فمن حاجك
فيه اي في عيسى وانكر خلقه كادم بلا اب وزعم انه اله يعبد فقل تعالوا اي
هلموا بالعزم والرأي ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اي يدع كل منا نفسه واعز اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة فتقدمهم
على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدافعته عنهم ثم نبتهل اي نتباهل
والبهلة فتحا وضما اللعنة فنجعل لعنة الله على الكاذبين فيقال اذا حلف
في امر بهلة الله تعالى اي لعنته وبعده من رحمته على الكاذب منا ومنكم روي
انه دعاهم الى المباهلة فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان
العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم
والله ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم فان ابيتم الا الف دينكم
فوادعوه وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسينا اخذ بيد الحسن وفاطمة
تمشي وراءه وعلي وراءها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله

فلا تباهلوهم فيهلكوا فاذعنوا له وبذلوا له الجزية كل سنة الفي حلة وثلاثين درعا
من حديد فقال والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران حتى الطير على الشجر ومثله اي مثل
من حاجك فيه قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا بيان لما هو حجة
على اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم كما مر ولم يرحض الشبهة في كون القران
معجزا اي ارتبتم فيما نزلناه على مهل وتدريج فاتوا بسورة من مثله اي على صفته
في البيان الغريب وحسن النظم وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا غير
الله ليشهدون ان ما تزعمون حق وهذا التعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وان
الحجة قد بهرتهم فلم تبق لهم متشبثا ان كنتم صادقين في دعواكم فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاخبرهم بجملة اعتراضية بين الشرط وجزائه لانهم لا يفعلون
كما كان عدم فعلهم قبل اي فان لم تعارضوه وبان انه معجوز عنه ووضح الحق
ووجب الاذعان فاتقوا النار بالايمان من عذابها وكفى به شاهدا بصدق ثبوت
نبوته وصحة كون المتحدي به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهذه الاية
ادخل في باب الاخبار عن الغيب من حيث انه نفى عنهم صدور ما طلب منهم
تحديا في المستقبل ابدا ولكن فيها من التحدي للعرب ليس ما في التي قبلها
من التعجيز لنصارى نجران اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابى وزعم
فطولب بمصداقه فعجز فصل ومنها اي من وجوه اعجازه الروعة التي
تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه مصدر اضيف الى مفعوله
اي عند سماعهم اياه والهيبة التي تعتريهم اي تغشاهم سالحة قلوبهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره اي رفعة قدره وعظم محله وهي اي
الروعة او تلاوته على المكذبين به اعظم منها على المومنين به حتى كانوا
اي المكذبون به يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا هربا من استماعه كما
قال تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا اي
رجعوا على اعقابهم نفورا مصدر بمعنى التولية اي ولوا تولية لعدم ذكر
الهتهم معه ويودون انقطاعه تلاوة لكراهتهم له ولهذا اي ولودادهم
انقطاعه لكراهتهم له قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي وغيره عن
الحكم بن عمير ان القران صعب مستصعب اي شديد على من يكرهه وهو
اي القران الحكم [illegible] اي الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر
المبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير او شر او الدال على ذلك بنصبه الدلالة
والامارات الدالة عليه او المميز بين السعيد والشقي بالاثابة والعقاب
واما المومن به فلا تزال الروعة عنه به اي روعة القران بالمومن وهيبته
اياه مع تلاوته توليه من اولاه اذا اعطاه ابتداء من غير مكافاة اي تعطيه
انجذابا وتكسبه هشاشة اي فرحا واستبشارا وارتياحا لميل قلبه اليه
اي الى القران وتصديقه به قال تعالى تقشعر من القشع وهو الجلد اليابس
زيدت فيها الراء ليصير رباعيا كما زيدت في قمطر من القمط وهو الشد اي

تشمئز منه جلود الذين يخشون ربهم خوفا مما فيه من الوعيد وهو تمثيل لتصوير شدة خوفهم
وافراط خشيتهم فانهم اذا سمعوا القران واياته وعيد عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم
انقباضا شديدا ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة ولم تذكر
الرحمة مع ذكر الله ايذانا بانها اصله وانها سبقت غضبه فاذا ذكر لم يخطر ببال الا كونه
رحيما ونزول عنها ما كان بها من الخشية المؤذنة بذكر محلها وقال لو انزلنا هذا القران
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تفخيم للقران وتعظيم له وانه بحيث لو فرض
انزاله على جرم من اعظم ما خلق من الاجرام العظام واقواها واشدها لخشع وتصدع
اي تشقق من خشية الله بما فيه من ايات وعيده فهو تمثيل لحاله لو فرض انزاله على جبل
كحاله مومن تلي عليه فتدبره وتفكر فيه فاعترته روعة وهيبة اورثته خشوعا ورهبة
من خشية الله وتلك الامثال اشارة الى هذا وغيره من امثال القران نضربها للناس
لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوته وتدبر
قوارعه وزواجره ويدل على ان هذا اي ما يغشى سامعه واسماعهم شي خص به دون
كتب الله وصحفه انه يعتري من عراه يعروه اذا اصابه اي يصيب من لا يفهم معانيه ولا يعلم
تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ يتلو القران فوقف يبكي فقيل له مما بكيت
قال للشجا والنظم الانيق السري لذي ابرا اي الحزن الذي اصابه من استماعه
فرق قلبه وخشع يقال اشجاه يشجوه اذا احزنه ويشجيه اذا اغضبه ومنهما معا
شجي بالكسر يشجى شجا وهذه الروعة قد اعترت اي اصابت جماعة قبل الاسلام وبعده
فمنهم من اسلم لها اي للروعة التي اعترته لسابقة سعادة لاول وهلة وامن به
اي اول شي والوهلة المرة من الفزع اي اول فزعة فزعها من استماعه ومنهم من كفر اي
دام على كفره فحكي كما رواه الشيخان في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور اي بالسورة المسماة به فلما بلغ هذه الاية
ام خلقوا من غير شي اي ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلا يعبدونه
ام هم الخالقون انفسهم بشهادة ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اذا قيل
لهم من خلقكم وخلقهما قالوا الله شاكين فيه ولو ايقنوا لما اعرضوا عن عبادته وام في
الايتين وما بعدهما منقطعة وهمزتها للانكار ام عندهم خزاين ربك اي خزاين
رزقه حتى يعطوا النبوة من شاءوا او خزاين علمه حتى يختاروا لها من اختيار حكمة
ومصلحة ام هم المصيطرون اي الارباب الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاءوا
كاد قلبي يطير فزعا مما اعتراه من الهيبة والروعة او فرحا مما استبشر قلبه وانق
سمعه وسر نفسه باستماعه منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية اخرى وذلك اول
ما وقر الايمان في قلبي اي سكن وثبت فيه من الوقار وهو الرزانة وفي الحديث لم يفضلكم
ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشي وقر في قلبه وروى البغوي في تفسيره عن عتبة
ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من
خلاف قومه مما لم يوافق مثلا لهم واغراضهم العاطلة واعتقاداتهم الباطلة فتلى عليهم
حم فصلت الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد قوم هود وثمود قوم صالح فامسك
عتبة على فيه وناشده الرحم اي ساله بالقرابة التي بينهم ان يكف عنه تلاوته وفي رواية

لابن اسحاق في سيرته عن محمد بن كعب القرظي فجعل النبي يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد وقام عتبة لا يدري
بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه فاتوه فاعتذر لهم عن انقطاعه عنهم
وعدم خروجه اليهم بما قال موكدا بالقسم والله لقد كلمني يعني النبي صلى الله عليه وسلم
بكلام ما سمعت اذناي بمثله قط بفخامة شانه وجزالة نظمه اذ لم يخف عليه حسنه
فما دريت ما اقول له فبهت الذي كفر فلم يهتد لما يقول والله لا يهدي القوم الظالمين
وقد حكي عن غير واحد ممن اراد معارضته انه اعترته اي اصابته وغشيته روعة
اي فزعة وهيبة كف بما ارهقه واعتراه من الروعة عن ذلك فحكي ان ابن المقفع بميم
مضمومة فقاف ففاء مشددة طلب ذلك اي معارضته ورامه اي قصده وشرع
فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك تقدم بيانها فمحى ما عمل معارضا له به وقال
اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان يحيى بن حكم بفتح المهملة والكاف
وفي المشتبه للذهبي بن حكيم بزيادة ياء الغزالي بتشديد الزاي ذكره الذهبي في قسم
المخفف من المشتبه بليغ الاندلس بفتح الهمزة والدال وقيل بضمها اقليم بالمغرب فحكي
انه رام اي اراد وقصد شيئا من هذا اي مما ذكر من المعارضة فنظر في سورة الاخلاص
سميت به لما اشتملت عليه من المبالغة في التوحيد ليحذو على مثالها اي ليعمل على
مثلها وفي الحديث لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم
كما تقطع احدى النعلين قدر الاخرى والحذو التقدير والقطع وينسج بزعمه على
منوالها المنوال الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب شبه ما رام عليه نسج المنسوج
على الاستعارة المكنية واثبت له النسج تخييلا او شبه عمله بنسج الحائك ثم اشتق
منه ينسج فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فاعترته خشية
ورقة اي لين وضعف ضد القسوة والشدة حملته على التوبة والانابة اي الاقبال على
الله والرجوع اليه بالتوبة فصل ومن وجوه اعجازه كونه آية باقية دون
كل معجز في جميع الازمان متلو من بين كتب الله في كل مكان لا يعدم ما بقيت الدنيا
اي مدة بقائها مع تكفل الله بحفظه فقال ردا لانكارهم واستهزائهم به في يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وصرح ثم الكلام في قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
من التحريف والزيادة والنقص بحيث لا يخفى نظمه على اهله وقال لا ياتيه الباطل
اي لا يجد اليه سبيلا يتعلق به وساير معجزات الانبيا انقضت بانقضا اوقاتها
اي مضت وانقطعت بمضيها وانقطاعها فلم يبق الا خبرها ما نوره بعض الناس ه
كانقلاب عصى موسى له حية واحياء عيسى الموتى باذن الله وخلق ناقة صالح من صخرة
والقران العزيز اي المنيع المحمي بحماية الله الباهرة اياته الظاهرة معجزاته لا تخفى
ولا تحتمل وفيه من صناعة البديع الجناس اللاحق باختلاف الباء والظاء على ما كان
عليه اول اليوم خبر المبتدا اعني القران وما بينهما صفات له مدة خمسماية عام
وثلاثين لاول نزوله الى وقتنا هذا ومدة تسع ماية عام وتسع وثلاثين الى وقتنا هذا
حجة قاهرة لمن تحدى فعجز عن معارضته وبراعته ولم يات ببنت شفة اذ معارضته ممتنعة
مما تلي عليك والاعصار كلها طافحة من طفح الماء اذا فاض اي مملوءة فائضة فنسبة اعصا

بادية

بادية امتلات تأطمت باهل البيان عارفي اسرار التراكيب ووجوهها بعد معرفة
معاني الموضوعات ومآخذ اشتقاقها وحملة علم اللسان اي علم اللغة وايمة البلاغة
ومرجعها كما مر المعاني والبيان ومستمراتها الفصاحة اللفظية والمعنوية والبديع
وفرسان الكلام شبهه في حسن نظمه وجودة تركيبه على طريقة الاستعارة المكنية
بخيل جياد مثبتا له الفرسان تخييلا وجهابذة البراعة جمع جهبذ والملحد مبتدا
والواو للحال اي حال كون المائل عن الحق ظلما وعدوانا واصل الالحاد الميل عن الشيء
فيهم كثير جم والعادي المشرع عنيد اي قوي عتوا وتكبرا فما منهم من اتى بشيء
يؤثر في معارضته اي يروى عنه ومنه قول ابي سفيان في حديث هرقل
لولا ان يؤثروا علي الكذب لكذبت عنه اي يرووه ويحكوه والا الف كلمتين في منا فضضته
مفاعلة من نقض البناء اذا هدمه اي لم يجمع ما ينقضه به والمناقضة كما مر
المراجعة والمرادة ولا قدر فيه على مطعن صحيح اي لم يجد في القران محلا يتعلق
به طعن لكونه في اعلا طبقات البلاغة لا يتاتى الطاعن ان يطعن فيه اذ ليس مظنة
له ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك اي في الطعن فيه الا بزند شحيح بالخوا ح
الا نادرا به فلم يور بقدحه له الا بجزي حصر ظهر وخيبة طوقة وذرو بل الماثور
اي المروي عن كل من رام ذلك الى الطعن فيه الفا في العجز بديه اي القا نفسه
بيديه في العجز واللزومه له جعل ظرفا له والنكوص على عقبيه اي الرجوع القهقري
فصل عد جماعة من الايمة ومقلدي الامة في اعجازه اي اعجاز القران
وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله اي لا يسأم منه ولا يضجر وفي الحديث كلفوا
من العمل ما لا تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا اي لا يمل ابدا مللتم او لم تملوا فاجرى
مجرى قولهم حتى يبيض القار اذ يده ملا لا يغيضها نفقة سحا الليل والنهار ولا
يملكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا في رغبتكم اليه فسمي تركوا وتزهدوا في رغبتكم
اليه فسمي تركوا وتزهدوا ملالا على طريقة المشاكلة كما في تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك وسامعه لا يمجه المج في الاصل الطرح والقذف لتشبيه ترك سماعه
معرضا عنه بمج الماء اي صبه ثم اشتق منه يمج فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية
ثم جرت في الفعل تبعا بل الاكباب على تلاوته تبعا والاداب يزيده حلاوة يجدها
تاليه في نفسه وترديده يوجب محبة في القلوب لما اودعه من بدايع النظم ودقايق
التركيب لا يزال غضا طريا اي لا تتغير نضارة رونقه وزهارة بهجته وغيره من
الكلام ولو بلغ في الحسن مبلغه بحسن بلاغة مؤلفه وقوة براعته يمل مع الترديد
ويعادي اذا اعيد لشهادة قولهم المعادات معادات وكتابنا المنزل على نبينا صلى
الله عليه وسلم يستلذ به اي يجد قاريه في نفسه لذاذة لا توصف في الخلوات
فيجد لذاذة بها لانها محل سكون واجتماع الحواس والخواطر ويستلذ به في غيرها
ايضا وهو فيها اعظم ويؤنس بتلاوته في الازمات جمع ازمة وهي الشدة وسواه
من الكتب لا يوجد فيه ذلك من اللذاذة والانس لفقدها ما اشتمل عليه مما يوديهما
حتى احدث لها اصحابها لحونا وطرقا اللحون والالحان جمع لحن وهو التطريب وترجيع
الصوت تحسينا للقراءة والشعر والغنا وفي الحديث اقرؤا القران بلحون العرب

واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين لعله اراد ما يفعله قراء مصر وغيرها
من لحون يغردون بها في مجامع الناس فان اليهود والنصارى يقرؤون كتبهم نحوا من ذلك
يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا الذي اختص بها القران
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وغيره عن علي القران بانه
لا يخلق بفتح يائه وضم لامه من خلق الثوب يخلق بضمها فيهما ويقال اخلق الثوب
واخلقته فهو من الثلاثي لازم ومن الرباعي متعدي اي لا يبلى على كثرة الرد اي
ترديده مرة بعد اخرى على ممر الدهر ولا تنقضي عبره بكسر عينه وفتح الموحدة جمع عبرة
اي مواعظه التي بها يغتبط ويجل ويعتبر ولا تفنى عجائبه اي لا تنفد كثرة ولا
تكاد تنتهي من شيء الا عثرت فيه على ابهج وجه وابهاه هو الفصل مصدر بمعنى فاصل
بين الحق والباطل كما قيل له فرقان ليس بالهزل بل هو جد لا هوادة فيه اي لا رخصة
ولا محاباة وصف بذلك ليكون معظما مهيبا يرتفع به من يقرؤه ويسمعه عن
ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح بل يلقي ذهنه كان ربه يخاطبه بامره ونهيه ووعده
ووعيده وغير ذلك وادنى امره ان يكون جادا غيرها زل لا تشبع منه العلماء تلاوة
وتدبرا واستنباطا فشبه بماكول مرئ على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له
الشبع تخييلا او شبه الاستغناء به عن غيره بالشبع ثم اشتق منه يشبع فوقعت
الاستعارة في المصدر اصلية ثم في الفعل تبعا وهذا اوجه ولا تزيغ اي لا تعدل
وتميل به الاهواء عن صراط الحق الى غيره ولا تلتبس اي لا تشتبه به الالسنة اي
اللغات لانه لسان عربي ذو بيان وبلاغة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته
ان قالوا بفتح الهمزة وهو في معنى العلة اي لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم
لقومهم اذ رجعوا اليهم انا سمعنا قرانا عجبا مصدر يوضع موضع عجيب وهو ما خرج
عن حد امثاله اي بديعا مباينا لغيره من الكتب في جزالة نظمه وصحة معانيه هو
متوشحا بدلائل الاعجاز يهدي الى الرشد اي الى الصواب او الى التوحيد والايمان
قيل كانوا من الشيصبان قبيلة من الجن وهم اكثر عددا وعامة معروفة لم تعهد
العرب عامة ولا محمد قبل نبوته اي قبل بعثته خاصة بمعرفتها اي لم يكن لاحد
من الناس معرفة بان احدا منهم يعلم منها شيئا ولا القيام بها اي العمل بها والدوام
والثبات عليها ولا يحيط علما بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم
السماوية وغيرها فجمع فيه من بيان علم الشرائع والاحكام اصلية وفرعية والتنبيه
على طرق الحجج جمع حجة وتسمى دليلا كدلالة العالم على صانعه العقليات والرد على
فرق الامم المخالفة الزائغة على منهج الاستقامة ببراهين قوية وادلة قد يقال
الدليل اعم من البرهان لشموله القطعي مثل كل انسان جسم وكل جسم مركب والظني
كالوتر عبادة وكل عبادة تحتاج الى نية وقد لا يكون مركبا كدلالة النار على الدخان
والبرهان انما يكون مركبا من مقدمات يقينية بينة سالمة من الاغلاق تدرك
بمجرد تاملها سهلة الالفاظ لسلامتها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة قياس
اللغة موجزة المقاصد رام المتحذلقون بمهملة ومعجمة من الحذق زيدت فيه
اللام بعد الحاء من حذلق اذا اظهر حذقه وادعى اكثر مما عنده اي قصدوا ان ينقصوا

مثلها فلم يقدروا عليها اي لم يقدروا عليها وتلك من عليم خبير كقوله اوليس الذي
خلق السموات والارض مع كبرهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر
والحقارة بالنسبة اليهما او مثلهم اعادة في اصول الذات وصفاتها بلى جواب من الله
لتقرير ما بعد النفي مشعر بان لا جواب سواه اي بلى قادر على خلقه او اعادته وكقوله قل
يحييها الذي انشاها اول مرة لبقاء قدرته على ما كانت عليه لا يعتريها تغير ابدا
والمادة على حالها في القابلية اللازمة وكقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
لبقاء قدرته على ما كانت عليه لا يعتريها تغير ابدا اي لاختل الوجود المانع ووصف
الالهة بالا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها فحملها على غير كما
يستثنى بغير حملا لها عليها ولا يجوز الرفع على البدل لتفرعه على الاستثناء
واشتراط كونه في كلام غير موجب اي ما اخذ ما ذكر مضمونا الى ما حواه اي القران
من علوم السير المفهومة من اخبارها الماثورة وانباء الامم اي اخبارها والمواعظ
المؤذنة بالترغيب في رحمته ونعمائه والترهيب عن نقمته وبلائه كقوله تعالى حكاية
عن لقمان يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة
او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير والحكم المرشدة الى تكميل
النفوس الانسانية باقتباس العلوم والملكات التامة واخبار الدار الاخرة
كالبعث والحشر واهوال الموقف والمرور على الصراط والمصير الى الجنة او النار ومحاسن
الادب والشيم كقوله لنبيه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ان الله
يامر بالعدل والاحسان والشيم جمع شيمة قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب اي
القران او اللوح المحفوظ من شيء فقد ذكر فيهما ما يفوت الحصر ولقد ضربنا للناس في
هذا القران من كل مثل اي بينا لهم كل شيء لا تلم به شبهة ولا يرتفع حولها كانه
مثل في غرابته وعجيب شانه كبيان ما يقولون يوم القيامة وما يقال لهم وما لا ينفعهم
بالاعتذار والاستعتاب او كشفنا عن كل مثل يرشدهم الى الايمان بالله ورسوله
واليوم الاخر وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن علي وتقدم
بعضه واورده هنا بغير بعض الفاظه بزيادة في صدره ان الله انزل هذا
القران امرا بكل معروف واجبا ومندوبا وزاجرا اي ناهيا عن كل منكر حراما ومكروها
وسنة اي طريقة متبعة خالية اي ماضية على منهج الحق واضحا حلها التي لا ينزل
بمثابه ريب ومثلا مضروبا لانواع مضاربه التي ضرب لاجلها او سماه مثلا لاشتماله
على امثال كثيرة فيه نبا وخبر من قبلكم من الامم السالفة والقرون الماضية
ونبا ما بعدكم مما يكون فيما لا يزال الى يوم القيامة وحكم ما بينكم لكم وعليكم
بالعدل مصدر حكم يحكم لا تخلقه طول الرد مما اخلق رباعيا اي لا يبليه كثرة تكراره
تلاوة وترديدا ولا تنقضي عجائبه كما تقدم هو الحق اي الثابت اللازم من حق الشيء
اي ثبت ليس بالهزل اي اللعب ضد الجد من قال به صدق لانه الحق من ربه
تنزيل من حكيم حميد ومن حكم به عدل في حكمه بشهادة مفهوم ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الظالمون لجريه على موجب احكام ما انزل الله ومن خاصم به
من نازع في الدين او في احيا حكم اميت او اداء ابطاله فلج بفتح الفاء واللام وبجيمه

اي ظفر وفاز ونجح طلبه يقال فلج على خصمه اي غلبه وعن معن بن يزيد بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخاصمت اليه فافلجني اي حكم لي واغلبني على خصمي ومن قسم به
اقسط اي عدل في قسمه يقال اقسط فهو مقسط اذا اعدل وقسط فهو قاسط اذا جار
فكان همزة اقسط للسلب كما في شكا اليه فاشكاه اي ازال شكواه وفي الحديث ان الله
لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه هو بالكسر الميزان من القسط
بالضم اي العدل تمثيل لما يقدره وينزله اي انه تعالى يخفض ويرفع ميزان اعمال
العباد المرتفعة اليه وارزاقهم النازلة منه اليهم كما يرفع الوزان يده ويخفضها اذا
وزن وقيل اراد بالقسط قسم كل مخلوق اي نصيبه من الرزق ويخفضه تقليله
ويرفعه تكثيره هذا وقد اتى الحجاج بخارجية فقال لها ما تقولين في فقالت انت
قاسط عادل فقال لحاضريه ما تقولون في كلامها قالوا ما نرى بها باسا فقال انها
تقول انك جابر كافر ثم تلى فاما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون ومن عمل به بما اشتمل عليه من اوامر ونواهي ومكارم ومحاسن
واداب والطاف اجر من ربه اجرا عظيما ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
اي طريق الاستقامة او دين الحق وهو ملة الاسلام فتشبيهه بالمنهج الواضح
ثم استعار له اسمه استعارة تحقيقية رشحها بالاستقامة حتى كان المعنى المجازي
من افراد المعنى الحقيقي تناسبا للتشبيه وقضاء لحق البلاغة ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله لانه الهادي للتي هي اقوم وكذا ما ورد من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم
ومن حكم بغيره قصمه الله اي قطعه واصله الكسر بابانة وفي الحديث استغنوا عن
الناس ولو عن قصمة السواك هي بالكسر ما انكسر منه اذا استيك منه وروي
بالفاء واصله الكسر بدون ابانة هو الذكر الحكيم اي ذو الحكمة لاشتماله عليها
ونطقه بها او سمي باسم قائله اي الحكيم قائله فعيل بمعنى فاعل وهو الذي يحكم
الاشياء ويتقنها او الحاكم لكم وعليكم او المحكم الذي لا يغشاه خلل فعيل بمعنى مفعل
اي احكم فهو محكم والنور المبين اي الواضح البين يبصر به ذو العماية ويهتدي به
ذو الغواية والصراط المستقيم اي ذو الاستقامة على وجه ابين واوضح شبهه بالصراط
وهو لغة الجادة بجامع ان كلا منهما موصل الى المطلوب وهذا الى الفوز
بالسعادة معاشا ومعادا فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية وقرنها بالاستقامة
ترشيحا وحبل الله المتين اي الشديد القوي في التمسك به شبهه بالحبل بجامع ان
التمسك والوثوق به سبب للنجاة كما ان تمسك المتدلي من مرتفع بحبل وثوقه سبب
الامن من انقطاعه فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية وقرنها بالمتانة ترشيحا
وصرفا للنفس عن توهم التشبيه والشفاء النافع لاصلاح النفوس من سوء الاعتقاد
ومن كل داء عصمة لمن تمسك به اي احكم له من كل ما يرديه ويوبقه ونجاة لمن اتبعه
وقفا به متمثلا مجتنبا لا يعوج فيقوم بتشديد الجيم اي لا يميل عن الاستقامة
الى اختلال لفظا وتنافي معنى ولا يخرج منه شيء عن الحكمة والاصابة فيحتاج الى التقويم
بشهادة انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولا يزيغ فيستعتب اي لا يبعد لعن منهج
الحق فيعتب ويجرا عليه وعضبا اذ المعاتبة مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة ولا

تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد تقدم بيانه ونحوه اي نحو هذا الحديث عن ابن
مسعود فيما رواه الحاكم وقال فيه اي ابن مسعود لا يختلف اي ليس محلا للاختلاف
بل هو كتاب احكمت اياته ونظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال لفظا ومعنى ولا يتشان
من الشين وهو الحلد اي لا يبلى اي لا تذهب طلاوته ولا يبلى رونقه وطراوته
بكثرة ترداده وتكراره لتوشحه ببراعة النظم وبراعة الحسن والجمال كما قيل يزيدك
وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا لما اودعه من روايع الحسن وبدايع الجمال فيه نبأ الاولين
والاخرين على اتم وجه واكمله وتقدم في بيانه ما اغنى عن اعادته هنا وفي الحديث
من رواية ابن ابي شيبة مرسلا بلفظ انزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة
وينابيع العلم ليفتح بها اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما ورواه ابن الضريس
في فضايل القران عن كعب قال في التوراة قال الله لمحمد اني منزل عليك توراة محدثة
اي جديدة لا تزال تفتح بها اعينا عميا عن سنن الهدى ومنهج الرشاد واذانا
صما عن استماع الحق واتباعه وقلوبا غلفا عطف على اعينا اي وتنكشف عنها غلا
وقد مر لهذا مزيد بيان في حديث صفته في التوراة فيها ينابيع العلم جمع ينبوع
الماء كانها عيون كثيرة والعلم كالماء ينبع منها وفهم الحكمة اي معرفة افضل الاشياء
ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم وربيع القلوب عطف على فهم
العلم جعل ما فيها من الاحكام كالربيع لها لان الانسان يرتاح قلبه في زمن الربيع
ويميل اليه وعن كعب عليكم بالقران اسم فعل بمعنى الزم او خذ يقال عليك كذا
وعليك به اي الزمه او خذه اي الزموا تلاوته وتدبره فانه فهم العقول اي مفهومها
فعل بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج ونور الحكمة بيانا او وضوحا وجلاء وبلوجا
وضيا وقال تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اليهود والنصارى اكثر
الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير وعيسى
لنزوله تبيانا لكل شيء هذا بيان للناس وايضاح لسوء عاقبة المكذبين وحث لهم
على النظر في اليم مصيرهم والاعتبار بما يعاينون من هلاكهم وهدى وموعظة
اي هو مع كونه تبيانا لهم فهو زيادة تثبيت وتذكير للمتقين من المومنين فجمع
فيه اي في القران مع وجازة الفاظه الرايقة وجوامع كلمه الفايقة جمع جامعة
لمحاسن المعاني واحاسن الحكم اضعاف ما في الكتب المنزلة على انبيائه فتلقاه التي
الفاظها على الضعف منه اي من القران مرات لاشتمالها على الاطناب والتطويل
بتكرير كلمات قل ان يورد فيها ضمير يعود على مذكور قبله صريحا او مقدرا او من
فعل ومما جمعه فيه من الدليل والمدلول وذلك اي جمعه بينهما فيه يقتضي به
انه احتج للاحكام شرعية وغيرها بنظم القران الفايق البديع وحسن وصفه السري
الانيق وايجازه على منطق فصيح من كل ما صنع فيصوم ونسج وبلاغته الرايعة
البارعة واشاهده البلاغة اي في خلالها امر ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له
ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معا بالحكم من كلام واحد وسورة
منفردة فيفهم من قوله مثلا فلا تقل لهما اف انه حجة لتحريم التافيف وانه مكلف
باجتنابه والكف عنه ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب الصلاة والاضحية

لين

فيها

عليه صلى الله عليه وسلم وانه مكلف بهما ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد
مثل نظمه في كلام احد بجعله قراين وتسمى فقرا كابيات منظومة ولقراينه فواصل
كقوافي الابيات فكما ان القافية في اخر البيت كذلك الفاصلة هي الكلمة الاخيرة من
القرينة ولم يكن في حيز المنثور لان النظم اسهل من النثر على النفوس واوعى للقلوب
اي ادخل لها في وعائها منه يقال اوعيته في الاناء اذا ادخلته فيه وفي حديث الاسرا
ذكر ان في السموات انبيا سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية اي ادخلته في
وعاء قلبي واسمح في الاذان بحاء مهملة من الاسماح لغة في السماح اسهل عليها
دخولا وفي الحديث فيقول الله اسمحوا لعبدي كاسماحه الى عبادي وفيه اسمح يسمح لك
اي سهل يسهل عليك واحلا على الافهام لحسن وروده عليها وملايمته لها كالحلاوة
فالناس اليه اميل والاصغا اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى اي تسهيله حفظه
لمتعلميه وتقريبه على مستحفظيه اي متعاطي حفظه قال تعالى ولقد يسرنا
القران للذكر اي سهلناه للادكار والاتعاظ بمواعظه الشافية وساير الامم
لا يحفظ كتبها الواحد لم يرد به واحدا معينا فلامه كلام السوق في ادخل السوق
حيث لا عهد فيعامل هنا معاملة النكرة في حيز النفي فيعم اي كل واحد منهم لا يحفظها
فكيف يحفظها الجما من الجمة والجموم وهو الاجتماع والكثرة اي الكثير منهم
على مرور السنين عليهم والقران ميسر على الغلمان اي الاولاد الصغار في
اقرب مدة كسنة او اقل او اكثر بحسب جودة الذهن ومنها مشاكلة اي مشابهة
بعض اجزايه بعضا في تناسب الفاظه وتناسقها اختيارا واصطفا واصابة
وتجاوب نظمه اعجازا وتبكيتا وتناسب معانيه صحة واحكاما ومنفعة وبناء على
الحق والصدق وحسن ايتلاف انواعه من الاعجاز والبلاغة قصصا ومواعظ
واخبارا واحكاما وامرا ونهيا ووعدا ووعيدا والتيام اقسامه اي توافقها في حسن
النظم ورونق التركيب وسلامة الترتيب وحسن التخلص اي الانتقال من قصة الى
قصة اخرى موذنة بخبر ترغيبا او ترهيبا ونحو ذلك واراد به التخلص المعنوي
على اختلاف معانيه من امر ونهي ووعد ووعيد وغير ذلك واقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار واثبات نبوة لنبي من الانبيا وتوحيد وتقرير وترغيب
في خير وترهيب عن شر وهكذا الى غير ذلك من فوايد كايجاز وضرب امثال وتوبيخ
وذكر امثال دون خلل يتخلل فصوله جمع فصل وهو الكلمة الاخيرة من قراينه
وتسمى فاصلة كما مر والكلام الفصيح اي الجيد المعرب عما في الضمير اذا اعتراه
اي غشيه والم به مثل هذا الذي يتخلل فصوله ضعف ونزل عن مرتبته في البلاغة
ولانت جزالته اي صارت شدته لينة وقل رونقه اي حسنه وبهجته وصفاؤه
من شوايب الاخلال وتقلقلت الفاظه اي اضطربت وخرجت عن جزالتها فتامل
معنا نظرك متدبرا اول ص والقران ذي الذكر اي العظمة او الشرف او الشهرة
وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم بقوله حكاية عنهم بل الذين كفروا في عزة
اي استكبار عن الحق وشقاق لله ولرسوله وتكبر بما موذن بشدتهما ونفاقهما
وتقريعهم اي توبيخهم وتخويفهم باهلاك القرون قبلهم بقوله كم اهلكنا من قبلهم

من

من قرن وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وما ذكر من تعجبهم مما اتى به بقوله وعجبوا ان جاءهم
منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب والخبر عن اجتماع ملايهم على الكفر
اذ قد روي ان عمر لما اسلم شق ذلك على قريش فقال اشرافهم لابي طالب انت شيخنا
وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال له هولا
قومك يسيلونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لما تسئلوني قالوا ارفضنا
والهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم اتعطوني انتم كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وما ظهر من الحسد في كلامهم من قوله
تعالى حكاية عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا فانه اشارة الى انكارهم لاختصاصه
بالوحي لنفاسته عليه وهو مثلهم شرفا ورياسة وتلويح بما غلا في صدورهم
من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة وتعجيزهم بقوله فليرتقوا في الاسباب
وتوهينهم حقارة لهم وخسوا بهم بقوله جند ما هنالك ووعيدهم بخزي الدنيا
بهزيمتهم والاخرة بذوقهم العذاب فيهما وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم
بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى فحق عقاب ووعيد هولاء يعني
قريشا وامثالهم مثل مصابهم اي مصاب من كذب من الامم وما ينظر هولاء الا صيحة
واحدة ما لها من فواق وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم اي حمله على الصبر على
اذاهم بقوله اصبر على ما يقولون اي لا تبال به ولا تكترث وتسليته بكل ما تقدم
ذكره عن ان يهتم بشي من اذاهم او يبالي به معتمدا على الله متوكلا مسلما اليه
ثم اخذ اي شرع بعد تصبير نبيه وتسليته في ذكر داود صلى الله عليه وسلم
بقوله واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اي رجاع كانه تعالى امر بتقطيع معصية
الله وتعظيمها في اعينهم بذكر قصة داود فانه مع كرامته على ربه ومنته عليه
بشرف النبوة وكرامة الرسالة لما صدر منه ما هو خلاف الاولى في حقه لعظم
شانه وكرم ذاته اتته الملايكة بتمثيل وتعريض فتفطن لما صدر منه فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب فما اقض بكم ايها الكفرة الفجرة وقصص الانبيا كسليمان
وايوب وابراهيم واسحاق ويعقوب ولقد فتنا سليمان واذكر عبدنا ايوب اذ نادى
ربه واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب مثنيا عليهم اكرم الثنا ممتنا عليهم
باشرف الحبا كل هذا الذي ذكر اولا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه
اي من اعجاز القران او منه الجملة الكثيرة المعاني التي انطوت عليها الكلمات
القليلة اي شملتها وعمتها اذ هي قوالب لها وقد قابل بين القلة والكثرة تزيينا
للكلام وهذا كله اي ما ذكر وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران اي مع
وجوه كثيرة ذكرها الايمة لم نذكرها في وجوه اعجازه اذ اكثرها داخل في باب بلاغته
فلا يجب ان نعدها فنا مفردا من بلاغته في اعجازه الا في تفصيل فنون بلاغته
وكذلك اي مثل ما هو داخل في بابها كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه
وفضايله لا اعجازه لعدم دلالتها عليه وحقيقة الاعجاز انما هي في الوجوه
الاربعة التي ذكرنا في فصولنا فليعتمد عليها وما بعدها مما ذكرنا فانما هو

من خواص القران وعجايبه التي لا تنقضي كما مر فصل في انشقاق القمر وحبس
الشمس مما من اياته ومعجزاته النبي ولم ينشق القمر لاحد من الانبيا وقد وقفت
له الشمس مرتين وليوشع في موسى مرة واحدة قال الله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر روي ان الكفرة سالوه اية فانشق وبنصره قراة حذيفة وقد
انشق وان يروا اية يعرضوا عن الايمان عنادا واستكبارا ويقولوا سحر مستمر
اي دايم لترادف المعجزات وتتابع الايات او قوي محكم من قولهم استمر مريره اي
استحكم عزمه او منشمع لا يبساع لمراد نه كما لا يساع المرمن استمرار استدت
مرارته او مار ذاهب لا يبقي اخبر الله تعالى بوقوعه بلفظ الماضي واعراض
الكفار عن اياته صلى الله عليه وسلم واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
ايذانا بانه وقع وان زعم انه سينشق يوم القيامة وعبر بالماضي لتحقق وقوعه
وقد اورد هنا حديث الشيخين بسنده الى البخاري والى ابن مسعود شاهدا
بوقوعه قال اي ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرقتين فرقة فوق الجبل حرا او ابي قبيس وفرقة دونه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمن راه منشقا اشهدوا وفي رواية مجاهد في الصحيحين عن
ابن مسعود زيادة ونحن معه وفي بعض طرق الاعمش زيادة بمنى وفي مسند
احمد انه رواه ايضا عن ابن مسعود والاسود وقال اي ابن مسعود حتى رايت
الجبل بين فرجتي القمر وفي الدلايل للبيهقي انه رواه عنه اي عن ابن مسعود
مسروق انه اي انشقاقه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي
كبشة بن ابي كبشة جد امه من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد
الشعري لتشبيها له به بجامع مخالفتهما لهم وقيل هو رجل قاله قديما
وفارق دين الجاهلية وقيل كان ابوه من الرضاعة يكنى باسم بنته كبشة
وعن ابن حبيب انه ذكر جماعة من جهة ابويه كل يكني به فقال رجل منهم اي من
كفار قريش ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها
فسلوا من ياتيكم من بلد اخر من البلاد هل راوا فسالوا فاخبروهم انهم
راوا مثل ذلك اي مثل ما راوه في تلك الليلة منشقا فرقتين وقال ابو جهل هذا
سحر يفرق به بين المرء وزوجه فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا راوا
ذلك اولا انما دعاه الى ذلك سابق شقوته مع علمه بصدقه فسبحان الهادي
فاخبر اهل الافاق بعد ان سيلوا عن ذلك انهم راوه منشقا فقالوا يعني
الكفار هذا سحر مستمر لما راوا من ترادف الايات وتتابع المعجزات ورواه
ايضا عن ابن مسعود علقمة بن وقاص الليثي فهؤلاء الاربعة يعني مجاهد
والاسود ومسروقا وعلقمة رووه كلهم عن عبد الله وقد رواه غير ابن
مسعود كما رواه ابن مسعود وضع الظاهر موضع المضمر حذرا من توهم
عوده الى الغير منهم اي ممن رواه انس وابن عباس فيما رواه الشيخان
وابن عمر عند مسلم والترمذي وحذيفة عند ابن جرير وابن ابي حاتم وابي نعيم
في الدلايل وعلي لا ادري من خرجه عنه وجبير بن مطعم عند احمد والبيهقي هذا

واكثر طرق هذه الاحاديث المروية عمن ذكر ومن رواها عنهم صحيحة والاية
اي اقتربت الساعة وانشق القمر مصرحة بانه قد انشق ولا يلتفت الى اعتراض مخذول
بانه انما ينشق يوم القيمة والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه واوي في ذلك الى ركن واه
هو انه لو كان هذا اي انشقاقه قد وقع لم يخف على اهل الارض اذ هو شي ظاهر لجميعهم
ورد هذا القول المص اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه
انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق في ليلة فيرصدوه قال المص
ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالوهم اي توافقهم متعاضدين على الكذب لما كانت علينا
به اي بما لو نقل لنا من انهم رصدوه فلم يروه حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل
الارض لاختلاف مطالعه فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون
بمراي من قوم بضد ما اي بضد مراي هو من قوم مقابلهم من اقطار الارض
او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا اي ولكونه ليس في حد واحد باختلاف
مطالعه تجد الكسوفات في بعض البلاد كما قيل وجد في بلاد الهند بناء قديم مكتوب
عليه بني ليلة انشق القمر دون بعض وتجدها في بعضها اي البلاد جزئية وفي
بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها اي الكسوفات الا المدعون بعلمها انها تختلف
باختلاف مطالع البلاد ذلك تقدير العزيز العليم اي الغالب بقدرته كل مقدور
المحيط علمه بكل معلوم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو
والسكون عن الحركة والمشي والتردد في الطرق واصل الهدو بالهمز ابدلت همزته
واوا تخفيفا ثم ادغمت مع الواو المزيدة التي قبلها وفي شعر سواد بن قارب •
اتاني رايي بعد هدء ورقدة وايجاف الابواب اي غلقها وقطع التصرف في
امورهم ولا يكاد يعرف من امور السما شيا خصوصا في فصل الشتا الا من رصد
ذلك واهتبل اي اعتني به من الهبالة وهي الغنيمة والاصل فيه ان يستعمل
بمعنى ثكل كما قال عمر للوداعي لما فضل سهمان الخيل على المقاريف فاعجبه هبلت
الوداعي امه لقد اذكرت به يقال هبلته امه ثكلته هبلا بالتحريك اي ثكلته بمعنى
ما اعلمه وما اصوب رايه ثم استعير لمثل المدح والاعجاب كما في قوله صلى الله عليه وسلم
لابي بصير ويل امه مسعر حرب تعجبا من شجاعته وجراته واقدامه ولذلك اي
ولكون ايته كانت ليلا ما يكون الكسوف القمري لا الشمس فانه يكون نهارا كثيرا
حال من اسم كان في البلاد خبرها واكثرهم لا يعلم به حال افاده نفي وقوعه فيها حال
كثرته اي لا يقع فيها كثيرا مع عدم علم اكثرهم به حتى يخبر بوقوعه وكثيرا ما اي احيانا
كثيرة يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في
الاحيان بالليل ولا علم لاحد غيرهم بها واخرج الطحاوي في مشكل الحديث وكذا
الطبراني باسانيد بعضها رجاله ثقات عن اسماء بنت عميس من طريقين انه صلى
الله عليه وسلم كان يوحى اليه مرة وهو بالصهبا وراسه في حجر علي فلم يصل
اي علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
اصليت قال لا فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد الشمس عليه قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت

اي راجعة على ادراجها من صغرها باستهادة قوله فارد د عليه الشمس بعد ما غربت وذلك بالصهبا في خيبر قال اي الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات جعله حديثين لروايته له من طريقين وقال ابن الجوزي انه موضوع بلا شك ففي طريقه الاولى احمد بن داود قال الدارقطني كذاب متروك وقال ابن حبان يضع الحديث وفيها ايضا عمار بن مطر قال العقيلي كان يحدث عن الثقات بالمناكير وقال ابن عدي متروك وفي الثانية فضيل بن مرزوق ضعفه يحيى بن معين وقال ابن حبان يروي الموضوعات ويخطئ عن الثقات ورواه ابن شاهين وقال هذا حديث باطل اما عبد الرحمن بن شريك عن ابيه فوهاه ابو حاتم قال ابن الجوزي انا لا اتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة هذا ولو قيل بصحته لم يفد هنا وان كانت منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب وروي يونس بضم النون وكسرها ابن بكير عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع راى في طريقه عيرا لقريش جاءت من الشام واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير اي قافلة فيها ابل وعلامتها ان يقدمها جمل اورق قالوا والجواب لما متى يجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون احاءت القافلة ام لا وقد ولى النهار جملة حالية اي اشرفت حال توليه ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فجاءت يقدمها جمل اورق وروي انها ردت له في يوم من ايام الخندق وفي سيرة مغلطاي ان الخطيب ذكر انها حبست لداود صلى الله عليه وسلم وضعفت روايته وفي تفسير ... من البغوي انها حبست لسليمان واول من ردت له يوشع بن نون واليه اشار ابو تمام تلميحا بقوله

لحقنا باخراهم وقد حوم الهوى ۞ قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم ۞ بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى ۞ لبهجتها ثوب السما المجزع
فوالله ما ادري الاحلام نايم ۞ المت بنا ام كان في الركب يوشع

فصل في نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثيره ببركته ووقع ذلك في مواطن كثيرة وهو اعظم من تفجره من الحجر لانه من عادته قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اما من لحم ودم فلم يعهد لغيره صلى الله عليه وسلم وقد روى هنا حديث انس شاهد له بسنده الى الامام مالك اليه ورواه الشيخان عنه ايضا قال اي انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر اي قرب وقتها او دخل اذ الحين الوقت فالتمس الناس الوضوء بفتح الواو اي الماء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء في اناء فوضع يده فيه وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال اي انس فرايت الماء ينبع مثلث الباء من بين اصابعه فتوضا الناس من عند اخرهم اي جميعهم ورواه ايضا عن انس قتادة كما في صحيح مسلم وقال اي انس باناء فيه ما يغمر اصابعه اي يغطيها ويسترها او لا يكاد يغمرها قال اي قتادة لانس كم كنتم قال زهاء بضم الزاي والمد من زهوت بالقوم اذا حزرتهم اي قدر ثلاث مائة وفي الحديث من اتخذ الخيل نهاها ونوا على اهل

الاسلام

الاسلام فهي عليه وزر الزهاء الكبر والفخر يقال زهي الرجل كالمبني للمفعول له كبهت وعني بالامر ونتجت فهو مزهو وفي رواية عنه اي عن انس وهم بالزوراء مكان بالمدينة قرب المسجد عند السوق ورواه حميد وثابت والحسن عن انس انفرد البخاري بالاولى والثانية واتفقا على الثالثة وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين خبر كان المحذوفة وعنه ايضا اي عن انس وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ثابت اما هنا مناب اسم هو مبتدا وفعل هو شرط وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الشرط وقع في جوابها الفا الواقعة في جواب الشرط غالبا ولتضمنها معنى الابتدا وقع بعدها الاسم اللازم للمبتدا ففي الصحيح للبخاري وغيره من رواية علقمة عنه اي عن عبد الله بن مسعود بينما نحن بين المتوسط زيدت عليها ما عوضا عن المضاف اليه اي اوقات او احيان جالسون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بالبنا للمفعول بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع اسند اليه الجعل والنبع مجازا عقليا تنزيلا له منزلة فاعل مختار يتاتى منه الفعل اختيارا اي قصد وشرع يخرج من بين اصابعه كما ينبع من الارض وفي الصحيح للبخاري وغيره عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية الافصح فيها التخفيف وهي بير بين مكة والطايف ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة هي اناء من جلد نحو الابريق فتوضا منها واقبل الناس نحوه صلى الله عليه وسلم وقالوا الواو للحال قايلين ليس عندنا ما الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور اي يرتفع مندفعا من بين اصابعه كامثال العيون بين كل اصبعين كالعين تفور وفيه اي في حديث مسلم فقلت يعني لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة الفا وخمسمائة وقيل وثمانين وقيل واربعين وقيل وخمسة وعشرين وقيل الفا وستمائة وروي مثله اي مثل حديث سالم كان في مسند الدارمي عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه اي عن جابر في حديث مسلم الطويل عن غزوة بواط بضم الباء وتخفيف الواو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء اي ناد الناس له او به وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلا شجب بفتح العين المهملة وسكون الزاي فم المزادة الاسفل وجمعها عزالي بفتحا وكسرا والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فباء موحدة ما يبس من الاسقية وبلي وصار شنا يقال سقا شاجب اي يابس من الشجب محركا وهو الهلاك وجمعه شجب واشجاب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم اي كبسه بيده وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب بفتح الجيم وهي اكبر قصاع الاطعمة وعدي ناد بالبا مضمنا له معنى ايت ويجوز ان تكون زايدة فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر اي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله قال اي جابر فرايت الماء يفور اي يظهر بشدة فوق مرتفعا من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت اي ارتفع ماوها ودار وفي رواية مسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلات وامر الناس اي النبي صلى الله عليه وسلم

بالاستسقاء فاستقوا حتى رووا انفسنا وركابنا فقلت هل بقي احد له حاجة يجوز ان
تكون هل نافية اي ما بقي من يحتاج الى الماء بشهادة حديث وهل ترك لنا عقيل من دار
اي ما ترك واية فهل ترى لهم من باقية اي ما ترى وقول جابر فرفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملا ويجوز ان تكون استفهامية ورفعه يده
بعد جوابهم ما بقي لاحد حاجة وعن الشعبي اتي في بعض اسفاره باداوة ماء
بالكسر اناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحة وقيل له صلى الله عليه وسلم
ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء
جمعه ركا كانت معه ووضع اصبعه مثلث الهمزة والباء وعاشرها اصبوع وسطها
بالفتح لما هو متصل الاجزاء غير مفرقها كالدار والراس وبالسكون فيما هو مفرقها
كالناس والدواب وقيل كلما صلح فيه بين فبالسكون والا فبالفتح الا المركز الدائرة
وما كان داخل محيطها فبالسكون وقيل كل منهما يقع موقع الآخر وفي الحديث خير
الامور اوساطها لان كل خصلة محمودة لها طرفا افراط وتفريط كالسخا فانه
وسط بين البخل والتبذير والشجاعة بين الجبن والتهور والانسان مامور
بتجنب كل مذموم وبالتعري منه والبعد عنه فكلما ازداد عنه بعدا ازداد
عنه تقربا وابعد الجهات والمقادير والمعاني عن كل طرفين هو الوسط وهو في
غاية البعد فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة بقدر الامكان
وغمسها في الماء فجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ويقومون ومثل هذا في
هذه المواطن الحفلة اي الكثيرة الناس والجموع الكثيرة لا تتطرق اي لا تتوصل
لو كان كذبا المداجلة عليه النفوس من ذلك اي الاسراع الى التكذيب وانهم كانوا
ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء المذكورون من الصحابة وغيرهم قد رووا هذا اي
نبع الماء من بين اصابعه من معجزاته واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير اي الكثير
من الصحابة له ولم ينكر احد من الناس عليهم او على الصحابة ما حدثوا به عنهم انهم
شاهدوه فصار كتصديق جميعهم له اي تصديق جميع من رواه عن
الصحابة للصحابة فصل ومما يشبه هذا اي نبع الماء من بين اصابعه من معجزاته
بيان لما او حال من اسماء الاشارة تفجير الماء ببركته وانبعاثه اي ثورانه جاريا كثيرا
بمسه اياه بيده ودعوته مما رواه مالك متعلق بتفجير الماء وانبعاثه وما بينهما
اعتراض افاد مدحه صلى الله عليه وسلم ببعض جميل صفاته في الموطا ومسلم في
صحيحه عن معاذ بن جبل في غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض اي تقطر
وتسيل بشيء من ماء مثل الشراك شبهه لقلته جدا باحد سيور النعل التي تكون
على وجهه ولم يرد به التحديد فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء من الاواني
ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها اي
في العين فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال اي معاذ بن جبل في حديث ابن اسحاق
الذي رواه عنه فانخرق اي انفجر وجرى من الماء ما له حس اي حركة وصوت لجريه
كحس الصواعق جمع صاعقة وهي صوت شديد وربما كان معه نار لطيفة حديدة
لا تمر بشيء الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود ثم قال اي النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم يوشك اي يسرع ويدنو ويقرب الوشك السريع القريب يا معاذ ان طالت
بك حياة ان ترى ما هنا قد ملي جنانا جمع جنة وهي البستان الكثير الاشجار من
الاجتنان وهو الستر ولتكاثف اشجارها وتظليلها بالتفاف اغصانها سميت جنة
وهي من مصدر جنه جنا اذا ستره فكانها سترة واحدة لشدة التفافها واظلالها
وفي حديث البرا الذي رواه البخاري وحديث سلمة بن الاكوع اسم تفضيل من الكوع
محركا وهو ان يكون بعوج اليد من قبل الكوع وهو راس الذراع مما يلي الابهام
والكرسوع راسه مما يلي الخنصر يقال كوعت يده وتكوعت وكوعه اي صيره اكوع
وحديثه اي حديث سلمة الذي رواه مسلم اتم من حديث البرا في قصة الحديبية وهم
اربع عشرة مائة وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها اي اخرجنا ماءها كله
فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بالفتح والقصر
ما حول البير وبالكسر ما جمع فيها من الماء قال البرا واتي صلى الله عليه وسلم بدلو
فيه ماء منها فبصق فدعا قال سلمة بن الاكوع فاما دعا واما بصق على الشك
فجاشت اي فارت وارتفعت ماء فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين
اي رواية البرا ورواية مسلم هذه القصة اي قصة الحديبية من طريق ابن شهاب
محمد بن مسلم الزهري في الحديبية فاخرج سهما من كنانته التي فيها سهامه
لانها تكنها اي تسترها فوضعه في قعر قليب اي بير لم تطو ولم تكرر ونونث فيجيش
ما فروي الناس وروين ركابهم حتى ضربوا بعطن بفتح المهملتين مبرك الابل
حول الماء اي رويت حتى بركت به يقال عطنت الابل فهي عاطنة وعواطن اذا سقيت
وبركت بعطنها عند الحياض لتعاد للشرب واعطنتها اذا فعلت بها ذلك
وفي حديث الرويا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر
حتى ضرب الناس بعطن مثل لاتساع الناس في زمنه وما فتح عليهم من الاموال
وفي حديث البيهقي عن ابي قتادة ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة بكسر الميم والقصر وقد يمد وزنها
مفعلة ومفعالة وميمها زائدة اي مطهرة كبيرة يتوضا منها اي طلبها فجعلها في
ضبنه اي حضنه بين كشحه وابطه واضبنه اذا جعله فيه ثم التقم فمها اي ادخله
في فمه تشبيها له باللقمة فالله اعلم وللعلم اهله نفث حذفت همزته تخفيفا
وشبيه بالنفخ واقل من التفل اذ لا تفل الا ومعه شيء من الريق اي النفث فيها ام لا
فشرب الناس حتى رووا وملاوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني على
معنى ان الميضاة خيلت اليه ان الماء الذي بقي فيها بعد شربهم وملئهم كالذي
كان فيها حين اخذها منه وكانوا اثنين وسبعين رجلا وذكر محمد بن جرير الطبري
حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج ممدا لاهل موتة بالهمز وعدمه قرية بين تبوك وحوران من الشام عند
ما بلغه قتل الامرا مولاه زيد بن حارثة فجعفر بن ابي طالب فعبد الله بن رواحة
الانصاري بشهادة حديث البخاري اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها ابن
رواحة فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله عليه وذكر محمد

ابن جرير الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم طويلا فيه معجزات باهرة وايات متكاثرة للنبي صلى الله عليه وسلم تفخيما لفضله وتعظيما لقدره وفيه اعلامهم اي اعلامه اصحابه انهم يفقدون الماء في غد فهو من اعلام النبوة وايهامه شاهد صدق بانه العلم الذي لا يخفى اذ هو افخم من التصريح وانوه لصاحبه وسبيل الحطيئة عن اشعر الناس تذكر زهيرا والنابغة ثم قال لو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال لو شيت لذكرت نفسي لم يكن تفخيما لامره وذكر حديث الميضاة ممدودا ومقصورا قال ابو قتادة والقوم زهاء اي قدر ثلاث مائة من زهوت القوم اذا حزرتهم وفي كتاب مسلم انه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبا اي خبر عظيم شهادة تنكيره والضمير للشان بتفسير الكون اذ هو عبارة عنه وان تنوينه للتكثير ومن ذلك اي مما يشهد بتفجر الماء من بين اصابعه حديث الشيخين عن عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفاره فوجه رجلين هما عمران بن حصين وعلي بن ابي طالب كما صرح بهما في هذا الحديث في غير هذا الكتاب من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير يطلق على الذكر والانثى وجمعه ابعرة وبعران عليه مزادتان تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية والقربة والسطيحة وجمعها مزاود ومزايد فوجداها واتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها اي من مائهما وقال فيه ما شاء الله ان يقول من ثناء ودعا وتبريك ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليها تثنية عزلاء وهو فمها ثم امر الناس فملاوا اسقيتهم جمع سقا وهو اناء من جلد للماء ثم لم يدعوا شيا من اوانيهم الا ملوه قال عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا الا امتلاء فامر ان يزودها من زادهم فجمع لها من الازواد حتى ملاوا ثوبها وحمل لها على بعيرها وقال صلى الله عليه وسلم اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيا ولكن الله سقانا ببركته صلى الله عليه وسلم وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء بفتح الواو اسم للماء امعكم او عندكم اوام ما فجاء رجل باداوة اي اناء صغير من جلد فيها نطفة اي شي يسير من الماء وقد يقال للكثير شهادة حديث لا يزال الاسلام يزيد واهله حتى يسير الراكب بين النطفتين اي بحري المشرق والمغرب او الفرات وبحر جدة وتتمة الحديث لا يخشى جورا اي لا يخاف في طريقه غير الضلال والجور عنها فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة بمعجمة وفا فقاف اي ندفقه ونصبه صبا كثيرا واسعا وفلان في عيش دغفق اي واسع اربعة عشر مائة وفي حديث عمر الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والبزار في جيش العسرة هي غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه اي ما في كرشه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا والتضرع الى ربه ليغيثهم بما يذهب ظماهم وينفس قلوبهم فرفع يديه

وطفق يهتف بربه اي يدعوه ويناشده فلم يرجعهما بفتح يائه مضارع رجع متعديا قال الله تعالى فان رجعك الله وفي حديث بلال فانه يوذن بليل فليرجع قايمكم ويوقظ نايمكم حتى قالت السماء اي امطرت شبه ماءها النازل منها بقول متكلم ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا او شبهها على طريقة الاستعارة المكنية بمتكلم بجامع الخروج ثم اثبت لها القول تخييلا فانسكبت بمطر غزير وجود كثير فملاوا ما معهم من انية ولم تجاوز السماء او المطر العسكر فكانت كالظلة عليهم وعن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان ابا طالب قال للنبي وهو رديفه بذي المجاز عطشت وعن ابن سعد انا اسحاق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عون عن عمرو وهو ابن دينار ان ابا طالب قال كنت بذي المجاز ومعي ابن اخي يعني نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت له عطشت وليس عندي ماء فنزل وضرب بقدمه الارض فخرج الماء وقال اشرب الظاهر ان هذا كان قبل البعثة وذو المجاز سوق من سوق الجاهلية كان عند عرفة فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعايه العامين نفعا ومن اسنده هنا شاهدا لذلك حديث مسلم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه اي يطلب منه طعاما لاهله فاطعمه شطر اي نصف وسق شعير هو بفتح الواو ستون صاعا ثلاث مائة وعشرون رطلا حجازية واربعمائة وثمانون رطلا عراقية على اختلافهم في قدر الصاع والمد فشطره عليهما ثلاثون صاعا وعلى الاول وزنا مائة وستون رطلا وعلى الثاني مايتان واربعون رطلا فما زال ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله ففني ولم يبق منه شي فكانت البركة في تركه بلا كيل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه كاله فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم اي مدة حياتكم ومن ذلك اي من تكثير الطعام ببركته ودعايه حديث الشيخين عن انس في قصة ابي طلحة واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا وفي رواية مسلم الجزم بثمانين من اقراص من شعير اتى بها انس تحت ابطه حال من انس متابطا اياها وامر بها ففتت اي امر بفتها وقال فيها ما شا الله ان يقول من ثناء ودعا وامر بمجي عشرة عشرة ومن ذلك حديث البخاري عن جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اي زمن حفره الف رجل من صاع شعير وعناق هي الانثى من اولاد المعز ما لم تتم لها سنة قال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى شبعوا غاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع وانحرفوا اي مالوا الى حرف اي جانب وطرف وان برمتنا اناء من حجر او مدر يطبخ فيه الطعام لتغط اي تغلي من حرارة النار تحتها يسمع غطيطها اي صوت غليانها كما هي بوفرها كانها لم يوخذ منها شي وان عجيننا ليخبز كما هو كل ذلك بعد ان شبعوا وتركوه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك اي دعا فيهما بالبركة ومن ذلك حديث الطبراني والبيهقي عن ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر زهاء اي قدر ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من

اشراف الانصار خصهم بالدعوة تالفا لهم كي يسلموا اذ كان ذلك اول الهجرة فنجح فقصده
وسماهم انصارا لعلمه بانهم يسلمو او ينصرونه او تفاولا ورجا لوقوعه فدعاهم فاكلوا
حتى تركوه اي الاكل والطعام ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك فاكلوا حتى تركوه ثم
قال ادع سبعين فدعاهم فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع على الجهاد
ونصرته صلى الله عليه وسلم قال ابو ايوب فاكل من طعامي مابة وثمانون رجلا المذكور
منهم هنا مابة وستون حضرهم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر حديث الترمذي وصححاه
والنسابي عن سمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة بفتح القاف ولا تكسر
فيها لحم فتعاقبوها اي تناوبها اصحابه جماعة فجماعة من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث الشيخين عن عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومابة وذكر انه عجن صاعا من طعام وصنع شاة فشوي
سواد بطنها اي كبدها وقيل حشوه كله قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر وايم الله من الفاظ
القسم كعمر الله وعهد الله ما من الثلاثين ومابة الا وقد حز له حزة اي قطع له قطعة
من سواد بطنها ثم جعل صلى الله عليه وسلم منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل
في القصعتين فحملته على البعير يقع على الذكر والانثى وجمعه ابعرة وبعران وفي حديث
جابر استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمسا وعشرين مرة هي الليلة
التي اشتري صلى الله عليه وسلم منه فيها جمله لما رجعوا من تبوك ومن ذلك حديث
ابن سعد والبيهقي عن عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ابي عمرة وفي صحيح
البخاري مثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وحديث ابي يعلى بسند جيد عن ابي هريرة
امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة من فقراء المهاجرين وغيرهم
فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة اي انا كالقصعة المبسوطة ومنه
الحديث لا تسال المراة طلاق اختها لتستفرغ صحفتها مثل يراد به الاستيثار عليها
فتكون لها ما كان لاختها واستفرغ صحفة تغيره وقلب ما فيها في اناء نفسه فاكلنا ما شينا وهي مثلها
حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع اي اصابع الاكلة وروي احمد والبيهقي بسند جيد
عن علي بن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا ا
اربعين منهم قوم هو في الاصل مصدر قام وصف به ثم غلب على الرجال دون النسا
ومن ثم قابلهن صلى الله عليه وسلم به في قوله ان نسابني الشيطان شيا من صلاتي
فليسبح القوم ولتصفق النسا وسموا به لانهم قوامون عليهن بامور ليس لهن ان
يقمن بها ياكلون الجذعة هي من البقر والغنم ما دخلت في السنة الثانية وقيل من
البقر ما دخل في الثالثة ومن الضان ما تم له سنة وفي حديث الاضحية ضحينا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالجذع من الضان والثني من المعز ويشربون العرق بفتح اوله
وثانيه مكيال يسع ستة عشر رطلا اثني عشر مدا ثلاثة اصع بكيل الحجاز فصنع لهم
مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو كان لم يوكل منه شي ثم دعا بعس اي قدح
كبير من خشب فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه شي وروي الشيخان واللفظ
لمسلم قال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتني بزينب بنت جحش اي تزوج
بها امره ان يدعو له قوما سماهم وقال له ادع كل من لقيت تعميم بعد تخصيص هنا ما

بشائهم لزينب فيهم حتى امتلا البيت والحجرة موضع منفرد فقدم لهم تورا بمثناة فوقية
اناء من صفر او حجارة كالاجانة فيه قدر من مد من تمر جعل حيسا بضم سمن واقط هو
لبن و ربما جعل عوضا عن الاقط دقيق فوضعه اي النبي صلى الله عليه وسلم قدامه
وغمر ثلاث اصابعه وجعل القوم اي سرعوا يتغذون ويخرجون وبقي التور بما فيه
نحوا مما كان والحال ان التور بمثابة الاحد ليعني او حالما التور مما كان وكانوا احدا واثنين وسبعين رجلا
وفي رواية في هذه القصة اي قصة وليمة زينب او مثلها وكانوا زهاها اي قدر ثلاث ت
مابة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي بعد ان شبعوا ولم يبق لهم رغبة فيه ارفع
التور فرفعته فما ادري حين وضعت كانت اكثر انث باعتبار كونه انية اي اجيء وان
كانت حذفت همزته تخفيفا ام حين رفعت وفي حديث جعفر هو الصادق بن محمد هو
الباقر عن ابيه اي جعفر محمد عن علي هو ابن ابي طالب جد والد محمد او والد لم يدركاه لما
ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما بمعجمة فمهملة ما يوكل اول النهار من الطعام ووجهت
عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت لجميع نسايه صحفة
صحفة وكن تسعا عايشة وحفصة وام حبيبة وام سلمة وسودة وميمونة وزينب
وكلهن قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية ثم له ولعلي ثم لها ثم رفعت
القدر وانها لتفيض من فاض الاناء اذا امتلا وسال من جوانبه او اكثر ما فيها ببركته
صلى الله عليه وسلم فامتلات حتى فاضت فسال من نواحيها ومنه قوله لطلحة بن عبيد
الله وقد قسم في قومه اربع مابة الف انت الفياض سماه به لسعة عطايه اذا كان
جوادا قالت اي فاطمة واكلنا منها ما شا الله وامر اي النبي صلى الله عليه وسلم عمر
ابن الخطاب ان يزود اربع مابة راكب من احمس بفتح الهمزة وسكون المهملة قبيلة معروفة
فقال اي عمر ما هي الا اصوع بضم الواو جمع صاع قال اذهب فزودهم منه
وكان قدر الفصيل الرابض وبقي بحاله كانه لم يوخذ منه شي فقوله من رواية دكين
الاحمسي رواها ابو داود في الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزني قال اتينا
النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى
علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح ومن رواية جرير لذلك ولا ادري من خرجها
ومثله من رواية النعمان بن مقرن رواها احمد والبيهقي بسند صحيح الخبر
منصوص بنحو اعني بعينه الا انه اي النعمان بن مقرن قال اربع مابة راكب من مزينة
كما هو عن ابي داود ومن ذلك اي من تكثيره ببركته ودعايه حديث البخاري الذي
رواه عن جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم
يقبلوه ولم يكن في تمره سنتين كفاف دينهم اي لم يكن يفيه ومنه قول الحسن اللهم
اني اعوذ بك ولا تلام على كفاف اي اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطايه
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امر بجذها اي بقطعها وجعلها بيادر في اصولها
جمع بيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام ليخلص من تبنه ولعله اراد جعلها
كومات تحتها فمشى ودعا فاوفى منه غرماه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة
وفي رواية مثل ما اعطاهم قال اي جابر وكان الغرما يهود خبر كان غير علم طايفة فة
من اليهود فعجبوا من ذلك اي عظم موقعه عندهم مع خفاء سبب تعجبهم اذ هو شان

العجب وسبب تحجيمهم هو وفاد بينهم الكثير منه مع قلته وفضل ماذكر برعايه وبركته صلى
الله عليه وسلم هذا وماذكر سابقا ولاحقا من اعلا المعجزات واعظمها وروي البيهقي
قال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة اي مجاعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء اي هل عندكم شيء ومن زايدة قلت نعم شيء من التمر في المزود وهو وعا من
جلد يجعل فيه الزاد قال فاتني به فاتيته به فادخل يده فاخرج قبضة بالفتح المرة
بمعنى المقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم
اسم للمقبوض فبسطها ودعا بالبركة ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع عشرة فدعوتهم
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك دعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم
الجيش كلهم وشبعوا ثم قال خذ ماجيت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحياة الاشياخ بعده ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهبت
مني فذهب اي اسلب من النهب وهو بالغارة وفي الحديث ولا ينتهب نهبة ذات   السلب صح
شرف يرفع الناس فيها ابصارهم وهو مومن اي لايختلس شيا له قيمة غالية وفي رواية
حسنة للترمذي فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا كناية عن مقدار ماحمله من
وسق في سبيل الله ومنه اي من تكثير الطعام ببركته ودعايه صلى الله عليه وسلم
حديث البخاري عن ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم
اي امره ان يتبعه فتبعه فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم
وامره ان يدعو اهل الصفة هم فقرا من المهاجرين ممن لم يكن له منزل فكانوا ياوون
موضعا مظللا من مسجده صلى الله عليه وسلم قال اي ابو هريرة فقلت ما هذا
اللبن فيهم استفهام بمعنى النفي اي لايغني من شبعهم شيا كنت احق ان اصيب منه
شربة اتقوى بها نزك مفعول اختصارا فدعوتهم وامرني صلى الله عليه وسلم
ان اسقيهم فجعلت اي شرعت وقصدت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذ
الاخر فيشرب حتى يروى وهكذا حتى رووا جميعهم قال ابو هريرة فاخذ النبي صلى
الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا تاكيد لضمير بقيت ليصح عليه عطف وانت
اقعد فاشرب ثم قال اشرب فشربت ثم قال اشرب فشربت ومازال يقولها اي يقول
كلمة اشرب واشرب حتى قلت لا نفي لما اقتضاه الامر من الشرب مع اعتذاره عنه
بقوله والذي بعثك اي الى كافة الخلق ما اجد له مسلكا جواب القسم اي لا استطيع
ان اسيغه شبعا ويجوز ان يكون القسم موكدا لما نفاه اي لا اشرب والله وما بعده
استيناف او كالعلة له اي لا اشرب من اجل اني ما اجد له مساغا فاخذ اي النبي صلى
الله عليه وسلم القدح فحمد الله على مامنحه به من اليمن والبركة مع افادة مشروعية
التسمية عند الشرب كالاكل وغيره وسمى وشرب الفضلة فيه ايذان بان افضل القوم
يكون اخرهم شربا وفي حديث خالد بن عبد العزي الذي رواه البيهقي عنه انه اجزر
النبي صلى الله عليه وسلم اي اعطاه شاة تصلح للجزر اي الذبح اذ نزل عليه بالجعرانة
فظل عنده وامسى ثم بدت له صلى الله عليه وسلم الهجرة فارسل الى رجل من تهامة يقال
له مخرش بن عبد الله لياخذ به طريقا الى مكة يامن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده
فاخذ به الى الوادي حتى بلغا اشعاب قال يا مخرش من هذا المكان الى الكرو ما والاه

فهو

فوصل خالد وما بقي فهولك ثم سار به حتى قضى نسكه واحله مخرش اي حلقه ثم رجعا الى خالد وكان
عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا يبدد عياله اي لاتكفيهم اذا فرقت عليهم عظما عظما
من التبديد يقال البدد تهم العطا اذا لم يجمع بين اثنين وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه
الشاة اي التي اجزرها اياه وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله
بلا تبديد اي تفريق بينهم فاكلوا وافضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم ذكره حين خالد ولابي
وفي حديث الاجري في نكاح فاطمة لعلي انه صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة
امداد او خمسة من حنطة او غيرها وذبح جزورا اي بعيرا ويقع على الذكر والانثى
لوليمتها قال اي بلال فاتيته بذلك اي بالذي امره ان يصنعه من القصعة فطعن في راسها
ثم ادخل الناس رفقة رفقة بضم الرا وكسرها اي جماعة بعد جماعة ياكلون منها حتى
فرغوا وبقيت فضلة منها فبرك اي دعا بالبركة فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن
واطعمن من غشيكن اي اتاكن يقال غشيه يغشاه غشيانا اذا جاءه وغشاه تغشية اذا غطاه وتغشى
وتغشى بثوبه اي تغطى وغشي الشي اذا لابسه وغشي المراة اي جامعها وغشي عليه اذا
اغمي ونكاحها ورد الحديث فيه فان الناس غشوه فلا يغشنا في مساجدنا وهو مغشي
بثوبه ونغشنا اماله وغشيتهم الرحمة وغشيها الوان لابسها وفي حديث انس
الذي رواه الشيخان تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت امي
ام سليم كنية والدة انس حيسا هو كما مر طعام من تمر واقط وسمن فجعلته في تور بمثناة
انا من صفر او حجارة رحراح اي قريب القعر مع سعة فيه فذهبت به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ضعه فوضعته ثم قال ادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت
فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر اي انس انهم اي الذين دعاهم
كانوا ثلاث مائة حتى ملاوا الصفة تكة عالية تكون في البيت والحجرة بيت صغير في
الدار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا اي استديروا الحلقة المفرغة عشرة
عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام المسمى حيسا الذي صنعته ام
انس فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا فيه بالبركة وقال ما شا الله
ان يقول بما علمه الله من الدعا عطف عليه لشبه انقطاع بينهما فاكلوا حتى
شبعوا فقال لي اي قال النبي صلى الله عليه وسلم لانس ارفع فرفعته فما ادري
حين وضع كان اكثر ام حين رفع واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة التي اولها
فصل نبع الماء من بين اصابعه في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذه الفصول
بضعة عشر من الصحابة اي على معاني احاديثها بشهادة اضافة المفرد فانها تعم والبضع
في العدد بكسر البا وقد يفتح اي ثلاثة عشر او اكثر اذ هو ما بين الثلاث الى التسع وقال
الجوهري تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لاتقول بضع
وعشرون وهو قوله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الواحد ببضع
وعشرين درجة رواه عنهم اي روى معنى حديث هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة
اضعافهم من التابعين ثم روى عن اضعافهم منهم من لا يعد بعدهم من تابعيهم
واكثرها اي اكثر احاديث هذه الفصول الثلاث وردت في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة انتهى [illegible] لا يمكن التحدث عنها ولا الاخبار بما صدر عنه صلى الله عليه وسلم

من المعجزات فيها الا بالحق حذرا من التكذيب ولا يسكت الحاضر المشاهد لها على ما انكر منها حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه وحصافة عقله

فصل

في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابة دعوته وقد ذكر فيه شواهد لذلك منها حديث ابن عمر مسندا اليه صلى الله عليه وسلم ورواه الدارمي والبيهقي والبزار عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا من الدنو وهو القرب اي قرب منه اعرابي نسبة الى الاعراب خص به من سكن البادية فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك اي ارغب وتنقاد الى خير وتذعن له قال وما هو قال تشهدان مخففة من الثقيلة حذف اسمها اي انه لا اله الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا لا شريك له تاكيد لوحدانيته وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد على ما تقول قال هذه السمرة من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك وهو بشاطئ الوادي اي جانبه وطرفه فاقبلت تخد الارض بضم الخاء المعجمة اي تشقها تسعى اليه على ساق بلا قدم حتى وقفت بين يديه فاستشهدها ثلاثا اي طلب منها ان تشهد له فشهدت له انه الله وحده لا شريك له وانه عبد الله ورسوله كما قال ثم رجعت الى مكانها وروى البزار عن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية اي علامة تامر بطاعته وانقياده اليه فقال صلى الله عليه وسلم له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها اي الى جهتيها يمنة ويسرة وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها الضاربة في الارض متوغلة ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها اي سائقة لها جارة لها مغبرة بالتراب احوال من ضمير جاءت افادت مجيئها ممتثلة عليها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله لعله صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك جواب الامر ويجوز جعله جزا شرط مقدر بعده اي ان تاذن لي قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد غير الله تعالى لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له عليها من الحقوق فقال ايذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له فقبلهما وفي الصحيح لابي الحسين مسلم بن الحجاج وفي حديث جابر الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به من العيون فاذا شجرتين فاتاهما بغتة من غير تقدم سبب والبا زايدة بشاطئ الوادي اي طرفه وجانبه فانطلق الى احداهما فاخذ بغصن منها فقال انقادي علي باذن الله اي بتيسيره وتسهيله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي جعل في انفه خشاش وهو عود يجعل في انفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة كانه يصانع قائده وذكر اي جابر انه صلى الله عليه وسلم فعل بالاخرى كذلك اي مثل ما فعل بالاولى حتى اذا كان بالمنصف بينهما اي جمعهما وانضما علي باذن الله اي بتيسيره فالتاما وفي رواية فقال يا جابر قل لهذه الشجرة اي بشاطئ الوادي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما فقضى حاجته مستترا بكما فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر بضم الهمزة وسكون المهملة وكسر المعجمة من احضر الفرس واحتضر اذا

عدي

عدي واحتضرته اذا اعديته اي اعدوا وجلست احدث نفسي بهذا الامر الغريب والاكرام العجيب والمنقبة الشريفة فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فاجابه بغتة فابصرته مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق منفردة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا اي امالها يمينا وشمالا اذ ناسبه لهما بالرجوع الى مكانهما وروى اسامة بن زيد نحوه وروى البيهقي وابو يعلى بسند حسن عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل استفهام المكني به عن المستفهم عنه واستهجانا للتصريح باسمه ومرتم بينه الراوي بقوله يعني مكانا لحاجته يقضيها فيه فقلت ان الوادي ما فيه موضع حال فقد امتلا بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يامركن ان تاتين لمخرجه وقل للحجارة مثل ذلك الذي قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالدين الحق تلويح بجواز القسم في الامر العظيم لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما بعضها فوق بعض متراكمة فجلس خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده غاير في القسمين بين ما ذكر تفننا لرايتهن اي النخلات والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى احمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح قال يعلى بن سيابة بفتح المهملة وبعدها يا تحتية وبعد الالف باموحدة نسبة الى امه وابوه مرة بن وهب الثقفي كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فامر وديتين واحدتهما ودية بفتح الواو وكسر المهملة بعدها تحتية مشددة مفتوحة هي صغيرة فسيل النخل اي صغاره فانضمتا وفي رواية اشاءتين بالفتح والمد صغار النخل الواحدة اشاءة وهمزتها منقلبة عن يا لشهادة تصغيرها اشيا وعن يعلى بن مرة هو ابن سيابة كما مر ان طلحة اي شجرة عظيمة من شجر العضاة او سمرة بضم الميم شك من الراوي اذ هي من شجر الطلح جاءت فطافت به اي دارت حوله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي فجاءت وسلمت وترك مفعول استاذنت اختصارا وفي حديث الشيخين عن ابن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له قراءة القرآن شجرة فاعل اذنت بمد الهمزة اي اعلمته بهم وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث المتقدم انهما ان الجن قالوا من يشهد لك اي انك رسول الله قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها اي لعروقها قعاقع جمع قعقعة وهي حكاية حركة شي يسمع له صوت وعن ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن بفتح الواو وكسر المهملة اسم فاعل من الوسن وهو اول النوم اي ليس بمستغرق فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك بطريق الطائف معروفة معظمة لما عنتها ببركته بطاعتها له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك اي اجابة الشجر دعوته

حديث ابن ماجه والدارمي والبيهقي عن انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وراه حزينا من تكذيب قومه له حال من ضمير قال اتحب ان اريك اية تؤذنك بانك
نبي قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي
حتى قامت بين يديه قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل مرها فلترجع
فامرها بالرجوع الى منبتها فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا الحديث الذي
رواه انس ولم يذكر فيه جبريل وروى ابو نعيم عن جابر قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم الميم عوض عن ياء ولا يجمع بينهما الا ضرورة كما في قوله

اني اذا ما حادث الما • اقول يا اللهم يا اللهما

وتعويضها عنها من خواصه كدخولها مع لامه وقطع همزته وتاء القسم لا ابالي من
كذبني بعدها وفوعا فدعى شجرة وذكر اي جابر مثله اي مثل حديث انس وحزنه
لتكذيب قومه اياه وطلبه الاية لهم رجاء ان يؤمنوا فيفلحوا الا انه وذكر
ابن اسحاق ما رواه ابو نعيم عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم اي
ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه غاية لاقبالها
ثم قال ارجعي فرجعت الى منبتها وروى البيهقي مرسلا عن الحسن انه صلى
الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه من زائدة او تبعيضية واقعة موقع المفعول
اي بعضهم اذ كان بعضهم قد اسلم وانهم يخوفونه بانواع العظائم كما قال تعالى
عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وساله انه يعلم
بها ان مخففة من الثقيلة اي انه لا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادي
كذا فان فيه شجرة فادع غصنا منها واحد اغصانها وهي اطرافها ما دامت ثابتة
بها فافعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب اي اقام منتصبا بين يديه فحبسه
ما شاء الله من الزمان ثم قال له ارجع كما جئت فرجع يخط الارض خطا حتى وقف
بمنبته فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه
فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن عن عمر وقال فيه اي عمر ارني
اية لا ابالي من كذبني بعدها وروى البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت اي اخبرني ان
دعوت هذا العذق بمهملة مكسورة فمعجمة ساكنة هو العرجون بما فيه من
الشماريخ من هذه النخلة وتسمى هي عذقا بالفتح ومنه حديث انس فرد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ابي عذاقها اي نخلاتها اتشهد اني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل اي اخذ في المجي اليه وطفق ينقز اي يقفز ويثب حتى
اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي اي في سننه وقال هذا حديث
حسن صحيح جمع بينهما بالروايته من طريقين احداهما تقتضي صحته والاخرى لحسنه
فصل في قصة حنين الجذع تاسفا على بركته صلى الله عليه وسلم وشوقا
اليه ادراكا يستلزم الحياة بخلق الله لها فيه كما يستلزمها عند الاشعري الكلام
النفسي استلزام العلم لها لا شوقا طبيعيا والا لم يلزم من سماع صوت حنينه

وجودها فيه اذ الاصوات عنده لا تستلزم خلق الحياة في محل ويعضد هذه الاحاديث
الشاهدة بكلام الشجر له ومجيئها اليه صلى الله عليه وسلم في الفصل السابق
حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر عند الخلف والسلف والخبر
به اي بانينه متواتر يفيد العلم لمن اطلع على طرق الحديث دون غيره ممن لم يمارسها رسمها
قد خرجه اهل الصحيح كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة ورواه من
الصحابة بضعة عشر اي ثلاثة او اكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها منهم ابي بن
كعب رواه عنه الشافعي وابن ماجه والدارمي والبيهقي وسهل بن سعد رواه
عنه الشيخان وابو سعيد الخدري رواه عنه الدارمي وام سلمة رواه عنها
البيهقي والمطلب بن ابي وداعة رواه عنه الزبير بن بكار في اخبار المدينة هو
كلهم يحدث بمعنى الحديث فهي راجعة الى معنى واحد قال جابر كان المسجد مسقوفا
على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها
كان هنا افادت تكرار قيامه صلى الله عليه وسلم اليه استمرارها مع المضارع
كما في وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وكان حاتم يكرم الضيف فلما صنع له
المنبر صنعه له غلام امراة من الانصار من اثل الغابة سمعنا له صوتا كصوت
العشار بمهملة مكسورة فمعجمة اي الناقة الحامل وفي رواية انس فلما قعد على
المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره اي لصوته من خار اذا صاح
وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به من الوله لفقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي رواية المطلب حتى تصدع اي تشقق وتفطر وانشق عطف تفسير
حتى جاء النبي فوضع يده عليه فسكت وزاد غيره اي غير ذلك الغير في رواية
ابي يعلى عن انس والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة
تحزنا لفراقه وشوقا لما كان يسمع من الذكر فامر صلى الله عليه وسلم به فدفن
تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل واسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة تابعي
عن انس وفي حديث ابي فكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى اليه قريبا منه وكان
هنا افادت تكرار صلاته اليه مع الماضي بضم اذا اليه فلما هدم المسجد من جهة
القبلة في خلافة عثمان ليزيد فيه توسعة له او في ايام اباحة يزيد المدينة ثلاثا
اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض التي تعالى لها ارضة سميت بفعلها
واضيفت اليه في اية سبا وعاد رفاتا اي متفتتا فتاتا هذا او قصة حنين
الجذع واحدة لرجوعهما الى معنى واحد وما وقع في الفاظها من الاختلاف والزيادة
مما ظاهره التغاير فمن الرواة فلا نطيل بذكرها فصل ومثل هذا
اي ما ذكر من حنينه في سائر الجمادات ووقع له منها وقد روي هنا شاهدا لذلك
احاديث البخاري عن ابن مسعود قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل
حال من الطعام او حال اكله وفي رواية عنه ايضا كما في الترمذي كنا ناكل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيحه حال من ضمير ناكل اي سامعين
وروى ابن عساكر في تاريخه قال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
اي حجارة دقاق فسبح في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن

ثم صبهن في ايدينا فما سبحن و قال البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي روي
مثله اي مثل حديث انس ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان و روى
الترمذي بسند حسن والدارمي قال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل
الا قال السلام عليك يا رسول الله بخلق الله تعالى فيهما نطقا وان لم يكن معه
حياة اذ ليس بينهما تلازم و روى مسلم عن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي يقول السلام عليك يا رسول الله قيل هو الحجر
الاسود و روى البزار عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت اي شرعت وقصدت لا امر بحجر ولا شجر الا
قال السلام عليك يا رسول الله بخلق الله تعالى فيهما نطقا على ما مر تشريفا له
وتكريما و روى البيهقي عن جابر بن عبد الله لم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له سجود
تحية الاكرام و روى البيهقي عن العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى بنيه عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة بميم مضمومة وهمزة ممدودة
اي ربطة كالملحفة ودعا لهم بالستر من النار بفتح سينه مصدر ستر والاسم
الستر بالكسر كستره صلى الله عليه وسلم اياهم بملاءته كان قايلا يا رب هذا عمي وصنو
ابي وهولاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت اسكفة
الباب اي عتبته وحوايط البيت جمع حايط وهو الجدار اي جدرانه المحدقة به من
جميع نواحيه امين امين بخلق الله تعالى ذلك فيها وامين بالمد والقصر والمد
اكثر مبني على الفتح ومعناه استجب لي وفي حديث خاتم رب العالمين امين يعني انه
طابع الله على عباده لانه به يدفع الله البلايا والهموم والافات فكان كخاتم
الكتاب فانه يصونه من الفساد واظهاره ما فيه وفيه امين درجة في الجنة اي هي كلمة
تكتسب بها قايلها فجعلت نفسها لكونها سببا لها مجازا وعن جعفر بن محمد عن ابيه محمد
الباقر بن زين العابدين مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه
رمان وعنب فاكل منه فسبح لم ادر من رواه و روى احمد والبخاري والترمذي وابن
ماجه عن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم
اي تحرك حركة شديدة واضطرب فضربه برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي
اراد نفسه وصديق عنى به ابا بكر وشهيدان اراد عمر وعثمان وقد قتلا ظلما فقتلا
الشهادة ومثله عن ابي هريرة في حرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرا
وابو بكر وعمر وعثمان زاد ومعه طلحة وعلي والزبير وفي رواية وسعد بن ابي وقاص
بدل علي فتحركت الصخرة فقال اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد رواه مسلم
والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن والخبر الذي رواه
مسلم والترمذي عن ابي هريرة رواه الترمذي والنسايي في حرا ايضا عن عثمان قال
اي عثمان ومعه عشرة من الصحابة انا فيهم وزاد اي عثمان ونسيت الاثنين لعلهما
طلحة والزبير وفي حديث سعيد بن زيد الذي رواه ابو داود والترمذي وصححه والنسايي
وابن ماجه ايضا مثله اي مثل الخبر قبله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي في حديث الهجرة

سن

من السيرة انه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال له ثبير جبل بمنى على يسار
الذاهب الى عرفة اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك وانت على ظهري
فيعذبني الله فقال له حرا الي يا رسول الله وهو جبل اسفل منى على يسار الذاهب
اليها وهو اقرب الى مكة من ثبير هذا ان لا يبعد اجرا امرهما له صلى الله عليه وسلم
على ظاهره بشهادة حنين الجذع لمفارقته له حتى سمعه الناس فضمه اليه فسكن
رواه البخاري عن جابر وسلام الحجر الاسود عليه قبل الوحي رواه مسلم و روى ابن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق
تعظيمه بجعلهم له شركا ووصفه بما لا يليق ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يمجد
الجبار نفسه تعظيما وتوقيفا لعباده على ما يريد منهم من امر ونهي يقال جبر واجبر
والاول اكثر انا الكبير من الكبر بالكسر وهو العظمة بمعنى كمال الذات وكمال الوجود
لا يوصف بها غيره اي العظيم والكبريا ويقال كبر يكبر بضم الباء فيهما اي عظم فهو كبير
المتعال عما لا يليق بجناب غيره وتاوه للمتفرد بالتخصيص لا للتعالي والتكلف
فرجف المنبر اضطرب اضطرابا عنيفا وتحرك تحركا شديدا بخلق الله فيه حياة
ادرك بها هيبة عظمته تعالى حتى قلنا ليخرن اي ليسقطن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه من شدة حركته و روى البزار والبيهقي عن ابن عباس كان حول البيت
على جدرانه ستون وثلاث مائة صنم اتخذتها قريش الهة يعبدونها من دون الله
مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة و روى ابو يعلى نحوه قال فلما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل اي قصد وطفق يشير بقضيب
اي بسيف لطيف دقيق او عود في يده حال من قضيب اليها ولا يمسها لبعده
عنه ويقول حال من فاعل يمسها اي قايلا جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل من
زهقت روحه اذا خرجت اي ذهب الشرك وهلك ان الباطل كان زهوقا اي مضمحلا
غير ثابت فما اشار به الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا اشار به لقفاه الا وقع لوجهه
اي سقط عليه هيبة منه وذكر الوجه والقفا لانهما اول ما يلقى الارض من قدام
وخلف ولانهما لاختصاصهما بالوقوع عليهما غالبا حتى ما بقي منها صنم الا خر ربما
ومثله اي ابن مسعود فجعل يطعنها اشارة لامسا ويقول جاء الحق وزهق الباطل
وما يبدي الباطل وما يعيد اي هلك الشرك فلم يبق له ابدا ولا اعادة او الباطل
الذي هو الصنم لا يبدي خلقا ولا يعيده ولا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده في اخرة ومن
ذلك اي مما ذكر عن الجمادات حديثه الذي رواه الترمذي والبيهقي مع الراهب هو بحيرا
واسمه جرجيس او جرجيس بزيادة يا من عبد القيس من نصارى تيما او بصرى ذكره
ابن منده وابو نعيم في الصحابة لقصا ايمانه به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وعد منهم
موذن بدخول من راه قبلها في عموم قولهم الصحابي من راه صلى الله عليه وسلم كورقة
وزيد بن عمرو بن نفيل في ابتدا امره صلى الله عليه وسلم اذ خرج تاجرا ظرف لحديثه معه او لا بتدا
امره مع عمه ابي طالب هذا وهو لم يكن في خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال
تتركني وليس احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل اي قصد وشرع يتخللهم حتى اخذ بيده صلى الله عليه وسلم

فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين لحبيبه لهم بما بسعد بهم من تبعه
سعد ومن ابى شقي وهو رحمة له في الدنيا بامنه من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال
فقال اشياخ من قريش ما علمك بما ذكرت من كونه سيد العالمين رحمة لهم قال
تصديقا لقوله انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر له ساجدا ولا يسجد الا لنبي وذكر
القصة فقال واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة
ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فقال
ارسلوا اليه ثم قال فاقبل وعليه غمامة تظله فقال انظروا الى الغمامة تظله و
فلما دنى من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه
فقال انظروا مال الفيء اليه ثم قال انشدكم الله ايكم وليه قالوا ابو طالب واذا
بسبعة من الروم قد اقبلوا فسالهم فقالوا ان هذا النبي قد خرج من بلاده في هذا
الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال ارايتم امرا اراده الله
ايقدر احد يرفعه قالوا لا فاقاموا عنده ثلاثة ايام ولم يزل يناشده عمه حتى رده
وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر ابي بكر وبلال فيه وهم
فصل في الايات الباهرة بنبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع
الكرامات في ضروب الحيوانات وقد اسند هنا حديثا عن عايشة رواه احمد
والبزار وابو يعلى والطبراني والبيهقي والدارقطني وهو صحيح شاهد لذلك
قالت كان عندنا داجن من المداجنة وهو حسن المخالطة وهو ما يالف البيوت من
الحيوانات كالشاة والطير فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يجي ولم يذهب توقيرا واكراما له وهيبة منه واذا خرج جاء وذهب وروى عن عمر
صدر بهذه الصيغة تلويحا بضعفه وممن رواه الطبراني والبيهقي قال وروي ايضا
باسانيد عنها وابي هريرة وما ذكرنا هو اصلها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في محفل بفتح اوله وكسر ثالثه مجمع الناس من اصحابه اذ جاء اعرابي اي فجا
بجيئه بغتة قد صاد حال من اعرابي اي صايد ظبيا فقال من هذا قالوا نبي الله
فقال واللات والعزى صنمان كانوا يعبدونهما فاللات كانت لقريش بنخلة ولثقيف
بالطايف والعزى بالصنم تانيث الاعز سموع كانت لغطفان بعث اليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة
شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فقتلها يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك
اني رايت الله قد اهانك ثم اخبر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى
ولن تعبد ابدا وقسمه بهما لم يكن اسلم بشهادة قوله لا امنت بك اي بكونك رسول
الله او يومن بك هذا الضب غاية لنفي ايمانه اي الى ان يومن بك فامن انا ايضا
بك فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي القاه بين جهتي يديه فقال له
يا ضب فاجابه بلسان يبين حروفه لا سادح يسمعه القوم جميعا لبيك اي اجابتي
لك يا رسول الله ونصبه على المصدر بعامل لا يظهر كان يقال الباتا بعد الباب
ولم يستعمل الا بلفظ التثنية في معنى التكرير اجابة بعد اجابة وسعديك اي ساعدت
طاعتك مساعدة بعد مساعدة واسعادا بعد اسعاد ونصبه على المصدر بفعل لا يظهر

قيل

قيل ولم يسمع مفردا يا زين من وافى القيامة قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
له من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله
لمبتغي فضله وفي الجنة رحمته لمومني عباده وفي النار عقابه لكافري عباده وعصاتهم
ولو واحدا قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين اي اخرهم بفتح التاء
بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم بينها وهي قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
وقد افلح اي فاز بالفلاح من صدقك بما جيت به وقد خاب اي لم ينجح بالحرمان
والخسران من كذبك فيما جيت به فاسلم الاعرابي اي انقاد واذعن لطاعة الله
ولطاعة رسوله لما عاينه من اكرام الله له بنطق الضب له هذا وقد طعن في حرمته
قال ابن دحيه انه موضوع وقال الحافظ الذي لا يصح اسنادا ولا متنا ومن ذلك
اي من الايات كلام الذيب الذي رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه عن ابي سعيد
بينا راع يرعى غنما له اذ عرض الذيب لشاة بينا كبينما ظرف زمان بمعنى المفاجاة
يضاف الى جملة فعلية او اسمية كما هنا ولابد لهما من جواب يتم به المعنى اي وقت
رعيه غنما فاجا عروض الذيب الشاة منها فاخذها اي الراعي منه فاقعى اي
الصق استه بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض وقال للراعي
الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي الا كلمة استفتاح مركبة من همزة استفهام
وحرف نفي للتنبيه على تحقيق ما بعدها لان الاستفهام اذا دخل النفي افاد تحقيقا
قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام البشر ولا عجب انطقه بذلك الذي انطق
كل شي فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين تثنية حرة
وهي ارض ذات حجارة سود يحدث الناس بانباء ما قد سبق من اخبار احوال الامم
الماضية وانما كان اعجب لانه اخبار بالغيب فاتى الاعرابي النبي فاخبره بكلام الذيب له
فقال النبي صلى الله عليه وسلم للراعي قم فحدثهم اي الحاضرين ثم قال اي النبي صلى
الله عليه وسلم بعد ان حدثهم الراعي صدق وفي بعض الطرق عن ابي هريرة انت
اعجب واقفا على غنمك وتركت اي انت حال وقوفك تاركا نبيا لم يبعث قط اعظم
منه عند الله قدرا تمييز لنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة الثمانية واشرف اهلها
على اصحابه ينظرون قتالهم تعجبا منه لكونه مثل صفوف الملايكة وما بينك وبينه
الا هذا الشعب فتصير اذا ذهبت اليه من جنود الله المجاهدين في سبيله قالت
الراعي من لي بغنمي اي من يكفينيها حفظا ورعيا فقال الذيب انا ارعاها حتى ترجع
فاسلم الرجل غنمه اليه ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يقاتل فقال
له اعمد الى غنمك تجدها جواب الامر وشرط مقدر بعده اي ان تعد اليها تجدها
بوفرها بسكون الواو اي بكمالها لم ينتقص منها شاة فوجدها كذلك اي بوفرها وذبح
للذيب منها شاة وعن اهبان بضم الهمزة بن اوس فيما رواه البخاري والبيهقي في قال رعى
مثله وانه كان صاحب القصة المحكية عن الذيب انفا وان المحدث بها والمتكلم بها
هو الذيب وفي الروض الانف في غزوة ذي قرد عن سلمة بن عمرو بن الاكوع انه اي سلمة
كان صاحب القصة ايضا وكانت سبب اسلامه مثل حديث ابي سعيد الخدري وروى
ابن وهب مثل هذا الذي ذكر من كلام الذيب انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان

ابن امية وكانا قبل اسلامهما من الاشداء عليه صلى الله عليه وسلم مع ذيب وجداه
اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب تعظيما للحرم واحتراما له فعجبا من
ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك اي من عجبكما محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم
الى الجنة اي الى ما يورث النجاة والفوز بها وتدعونه الى النار اي ما هو سببه لدخولها
فقال ابو سفيان لصفوان بن امية بن خلف واللات والعزى صنمان كانا يعبدان
على ما مر لئن ذكرت هذا اي هذا الذي جرى من سماع الذيب وتكليمه ايانا بمكة
لتتركنها خلوفا بضم المعجمة تعالى جمع خلوف اذا غاب الرجال واقامت النساء ويطلق
على المقيمين اي لتتركن اهلها بعد سماعهم ذلك منك ذاهبين الى محمد فلم يتواجد
منهم الا اسلم ولعل هذا كان سبب اسلامهما وفي الحديث قالت اليهود لقد علمنا
ان محمدا لم يترك اهله خلوفا اي لا راعي لهن ولا حامي ومنه قول صاحبه لمزادتين
ونفرنا خلوف اي رجالنا غيب وقد روي مثل هذا الخبر الذي جرى لابي سفيان
وامية انه جرى لابي جهل واصحابه ولم يسلم لشقاوته وقتل ببدر كافرا وفي الطبراني
الكبير بسند لا باس به قريب مما هنا عن ابن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام
ضمار بمعجمة وراء بينهما ميم فالف صنمه بدلا او بيانا ضمار كان يعبده وقومه
وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم قال اي عباس بن مرداس
فاذا طاير سقط اي فاجاني بغتة سقوطه فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار
ولا تعجب من نفسك تخلفك عما يورثك الفوز بالسعادة الابدية وينقذك
من النار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى الاسلام حذف مفعوله
للتعميم اي كل احد اليه وانت جالس لا تطيعه اليه فتسلم فكان كلام الطاير سبب
اسلامه وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله عن رجل اسمه اسلم او يسار واستشهد
في غزوة خيبر اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بعض حصون خيبر جمع حصن
وهو القصر والجملة حال منه صلى الله عليه وسلم وحذف جهة كونه عليه لتذهب
النفس كل مذهب ممكن وكان اي الرجل في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله
كيف بالغنم فقال احصب اي ارم وجوهها بالحصبا وهي دقاق الحصى لترجع الى
دور مالكيها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها لا يفقدون منها
شاة ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وروى احمد والبزار بسند صحيح
عن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري اي بستانه وابو بكر
وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له صلى الله عليه وسلم سجود
الهام تكريما له وتعظيما فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها لو كان يجوز لغير الله
وروى البزار بسند حسن عن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا اي
بستانا فجا بعير فسجد له وذكر مثله اي مثل حديث ابي هريرة فقالوا هذه بهيمة
لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد
لبشر لو صلح لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها ومثله اي مثل حديث
ابي هريرة في الجمل عند ابي نعيم عن ثعلبة بن مالك وعند احمد والحاكم والبيهقي
بسند صحيح عن يعلى بن مرة وعند مسلم وابي داود عن عبد الله بن جعفر وقال اي ابو

هريرة وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل حفظا منه للحايط واستقرارا بالداخلة
ورغبة لاهله فيه فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فجاه خاضعا ذليلا داخرا
فوضع مشفره بميم مكسورة فمعجمة ساكنة ففا مفتوحة فرا شفته على الارض وبرك
بين يديه فخطمه بخطامه اي برسنه وقال ما بين السما والارض شي حيوانا وغيره
الا يعلم اني رسول الله يخلق الله ذلك فيه الا عاصي الجن والانس جمع عاص حذفت
نونه للاضافة وفي رواية قال لهم اي لاهل الجمل انه شكى كثرة العمل في مصالحكم
وقلة العلف بفتح اللام اسم لما ياكله الدواب وفي رواية شكى الي انكم اردتم ذبحه
بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره في مصالحكم فقالوا نعم قال بيس
الجزا اردتموه له وما قصة الغصبا فلم ادر من رواها وحديث حمام مكة وروى
عند ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امر الله ليلة الغار شجرة فنبتت
بحاذ عن ابنها لتشبيهها بالصبور وبها نابتة بمامور يختار يتاتى منه الفعل اختيارا
كاني كونوا قردة فسترته وامر حمامتين اي الهمهما فوقفتا بفمه فسمت صلى
الله عليه وسلم عليهما اي دعا لهما واغدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه وفي حديث
الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا اي اذا ابدايتم بالاكل فكلوا مما يليكم ودنا منكم
واذا فرغتم فسمتوا اي ادعوا للمنعم عندكم وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت
على بابه فلما اتى الطالبون له صلى الله عليه وسلم وراوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم يكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا
خايبين لم يفوزوا بمبتغاهم وروى الحاكم والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن
قرط الثمالي قال قرب للنبي صلى الله عليه وسلم بدنات جمع بدنة وهي خاصة
بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله عليه وسلم البقر بها في الاجزاء عن سبعة تناول
اسمها للبقرة شرعا بل الحديث واية الحج يمنعانه سميت بدنة لعظم بدنها لينحرها
يوم عيد فازدلفن اليه افتعلن يفتعلن من الازلاف ابدلت التاء دالا لا يسبقها
بالزاي اي تقربن منه باتيهن يبدا بنحرها وروى الطبراني والبيهقي عن ام سلمة
كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحرا فنادته ظبية فالتفت فاذا هي موثقة واعرابي
نايم قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان تثنية خشف وهو
ولد الظبية الصغير في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
وتفعلين عطف على مقدر اي اتقولين ذلك وترجعين الي قالت نعم فاطلقها
فذهبت فارضعتهما ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي فقال لرسول الله الك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو وتضرب برجلها الارض وتقول
حال من ضمير خرجت اي قايلة اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله رواه ابو
نعيم في الدلايل باسناد فيه مجاهيل وقال ابن كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقد كذب قيل ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض اورده
ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث المختصر ومن هذا الباب اي باب
طاعة الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولاه

صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن حال من معاذ اي حال اقامته به وهو اقليم
معروف فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه
فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر اي سفينة في منصرفه مثل ذلك اي انه لقيه فعرفه انه
مولاه فتنحى عنه لمراد من رواه كذا وقد روى البيهقي انه لقيه الاسد لما كان تحبس
منه عن الجيش في ارض الروم وفي رواية اخرى عنه اي عن سفينة رواها البيهقي
والبزار ان سفينته انكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد اي فاجاه بغتة فقلت
له انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه بفتح الميم وكسر
الكاف ما بين الكتف والعنق وجمعه مناكب كما في حديث ابن عمر خياركم الينكم مناكب
في الصلاة حتى اقامني على الطريق غاية لغمزه اياه واخذ صلى الله عليه وسلم باذن
شاة لقوم من بني عبد المنبس بين اصبعيه تثنية اصبع وفيه عشر لغات ضم
الهمزة مع تثليث البا وكذا فتحها وكسرها مع في كل منهما والعاشرة اصبوع ثم خلاها
فصار ميسما اي صار اثر اصبعه لها علامة واصله موسم قلبت واو يا لكسر ما قبلها
وهو الحديدة التي يعلم بها بالكي واطلاقها على العلامة كما هنا مجاز وقد تطلق على
العضو الموسوم بشهادة حديث على كل ميسم من الانسان صدقة اي على كل عضو
موسوم بصنع الله وفي الحديث بيس لعمر الله عمل الشيخ المتوسم والشاب المتلوم
اي المتحلي بسمة الشيوخ وليسم هناك والتعرض للوم بفعل يلام عليه وبقي الاثر
فيها وفي نسلها بعده اي بعد او بعد تاثير اصبعيه في اذانها ولاد ركب رواه ومن
هذا الباب ما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه صلى
الله عليه وسلم بخيبر لما فتحها الله عليه وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب
اخرج الله من نسله ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني
ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبيا غيرك وكنت ليهودي وكنت اعثر به عمدا
وكان يجيعني ويضربني فسماه صلى الله عليه وسلم يعفورا وكان يوجهه الى
دور اصحابه فيضرب الباب براسه ويستدعيهم اليه صلى الله عليه وسلم
وان النبي لما مات تردى في بئر لابي الهيثم بن التيهان جزعا وحزنا فمات
رواه ابن حبان في الضعفا من حديث منظور وقال لا اصل له واسناده ليس بشي
وابن الجوزي في الموضوعات وفي حديث الناقة التي شهدت عنده صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل
والحاكم من حديث ابن عمر قال الذهبي وهو موضوع وفي العنز من بدايع المعجزات
وعجايب الايات ما فيه اكرام له صلى الله عليه وسلم وتنويه برفع منزلته عند ربه
اي في قصتها التي رواها ابن سعد وابن عدي والبيهقي عن مولى ابي بكر اتت النبي صلى
الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم ذها ثلثمائة
احوال متتابعة افادت هيات مختلفة ازيل بعضها بمعجزة باهرة افادها قوله
فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع مولاه املكها
اي اشدد وثاقها وتعاهدها وما اراك بضم الهمزة اي اظنك تملكها وتحفظ عليها
فربطها فذهب فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه اي حديث ابن قانع

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جا بها قد ذهب بها وقال صلى الله عليه وسلم
لفرسه وقد قام الى الصلاة حال من الضمير قبله اي قايما اليها في بعض اسفاره
متعلق بقام لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا غاية للنهي عن البراح وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى فرغ صلى الله عليه وسلم منها امتثالا لامره فصل تم
في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان المراضع جمع راضع على خلاف القياس وشهادة
له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وقد اورد فيه شواهد لذلك منها ما اورده بسنده الى
ابي داود من حديث ابي هريرة ان يهودية اسمها زينب بنت الحارث اهدت للنبي صلى الله
عليه وسلم بخيبر شاة مصلية اي مشوية سمتها فاكل منها واكل القوم فقال
ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البرا بفتح البا وتخفيف
الرا مما اكل منها وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت اي ما السبب الداعي
لك الى سمها واهدايها الي مسمومة قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت
من سمها وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال اي ابو هريرة كما رواه البيهقي
عنه موصولا وابو داود عن ابي سلمة مرسلا فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث ما كان بحو
اي حديث ابي هريرة انس كما في الصحيحين وفيه قالت اردت قتلك ان لم تكن نبيا
فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك اي على قتلي فقالوا الا نقتلها قال لا تقتلوها ولعل
هذا كان قبل يموت بشر بن البرا فلما مات امر بقتلها به وكذلك روى هذا
الحديث عن ابي هريرة من رواية عن وهب هو ابن بقية شيخ ابي داود قال اي
ابو هريرة فما عرض لها اي لم يامر بقتلها ورواه ايضا جابر كما عند ابي داود
والبيهقي وفيه اخبرتني به هذه الذراع وفي الحديث الذي رواه الشيخان عن انس
انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع لهاة وهي
لحمات في سقف اقصى الحلق الفم وفي حديث ابن سعد وهو في الصحيح عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت الاكلة
بضم الهمزة اي لقمة تعاودني بتشديد الدال اي تراجعني وتعاودني الم سمها اوقات
معلومة يعتاد به عداد من الم اي يعاوده في اوقات معلومة والعداد اهتياج وجع
اللديغ فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم فلان اوان قطعت بضم
نون اوان او فتحه لاضافته الى مبني كما في قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا
ابهري بهمزة مفتوحة وبا موحدة عرق مستبطن القلب اذا انقطع لم تبق منه حياة من
الراس يمتد الى القدم له شرايين متصلة باكثر اطراف البدن فالذي في الراس منه يسمى
النامة ومنه قيل اسكت الله نامته اي اماته ويمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى
الصدر فيسمى الابهري والى الظهر فيسمى الوتين والفواد معلق به والى الفخذ فيسمى النسا
والى الساق فيسمى الصافن وفي الحديث تلويح بانه صلى الله عليه وسلم قد نال الشهادة
بما اكل من السم هذا وان ضمان الله له عصمته من الناس وقد سم وسحر وكسرت
رباعيته واجيب بان المراد بها عصمته من القتل وعليه صلى الله عليه وسلم ان
يحتمل ما دونه في ذات الله بشهادة قول انس قال ايها الناس اخبروا فقد عصمني
الله هذا او دعوى ابن سحنون اجماع اهل الحديث انه صلى الله عليه وسلم قتلها يرده

مامر من حديث انس وابي هريرة وغيره ووهب بن بقية وروي الحديث اي حديث الشاة
المسمومة البزار عن ابي سعيد الا انه قال في اخره فبسط يده اي نبي الله صلى
الله عليه وسلم وقال كلوا بسم الله فاكلنا منها فلم تضر منا احدا وعن ابن حجر انه منكر
واختلف ايمة النظر من المتكلمين وغيرهم في هذا الباب اي باب خلق الله الكلام
في جسم فمن قايل يقول هو كلام يخلقه الله في محل مثل الشاة الميتة او الحجر او الشجر
حروف واصوات عطف على كلام يحدثها الله فيها بلا حياة لعدم توقفه عليها ويسمعها
من شاء من خلقه منها من الاصوات والحروف لانه على كل شي قدير دون تغيير اشكالها
ونقلها عن هيئتها وهو اي خلق الله الكلام مشتملا على حروف واصوات فيما ذكر
مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري امام اهل السنة والقاضي ابي بكر بن الطيب
الباقلاني وهذا ماخوذ بان الحياة ليست شرطا لخلق الكلام في جسم لصدوره في
نذور لا يعجزه شي واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم ايجاد الكلام بعده
اي بعد ايجاد الحياة بها وحكي هذا ايضا عن شيخنا اهل السنة ابي الحسن الاشعري
وكل من القولين محتمل لايجادها فيه وعدمه هذا وان لم يخل من نسبة القول
الثاني للشيخ تناقض فادفعه بحمله كما ياتي على الكلام النفسي لاستلزامه الحياة ه
كاستلزام العلم لها والاول على اللفظي لعدم استلزامه خلقه في محل خلقها فيه
اذ لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودهما اي
الحروف والاصوات عبارة يعبر بها عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة
لها اي للاصوات والحروف اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من
متقدمي المعتزلة من بين ساير متكلمي الفرق اذ لم يوافقه احد منهم في احالة وجود
الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق
بها والتزم ذلك اي التزم قوله وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات انما
يكون من حي في الحصى الذي سبح في يده صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان ثم
لم يسبح في يد غيرهم والجذع الذي حن لفراقه والذراع من الشاة الذي اخبره انها
مسمومة فقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من
الكلام وهذا منه دعوى بلا بينة اذ لو كان ما ادعاه وجد في الاعيان لكان نقله
والتهمم به اوكد من التهمم بنقل تسبيحه وحنينه واخباره اي الحصى والجذع
والذراع في ايديهم واليه وله ولم ينقل اليه احد من اهل السير والرواية شيا من ع
ذلك الذي ادعاه الجبائي فدل عدم نقل ما ادعاه مع كون التهمم به اوكد مما نقل
على سقوط دعواه وروى وكيع عن فهد بن عطية والبيهقي عن شمر بن عطية عن بعض
اشياخه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب اي صار شابا لم يتكلم قط
فقال له من انا قال انت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي وابن عساكر
عن معرض بميم مضمومة وراء مشددة بن معيقيب رايت من النبي صلى الله عليه وسلم
عجبا جي اليه صلى الله عليه وسلم بصبي يوم ولد فذكر مثله اي قال له من انا قال رسول
الله وهو حديث مبارك اليمامة قال ابن دحية هو موضوع ويعرف بحديث شاصونة
اسم راويه وفيه فقال له اي النبي صلى الله عليه وسلم له صدقت بارك الله فيك ثم

انه

انه لم يتكلم بحديث بعدها اي بعد شهادته له بانه رسول الله حتى شب وبلغ زمن
التكلم فكان يسمى مبارك اليمامة الفاء سببية اي فبسبب قوله بارك الله فيك
سمي مباركا وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة وفيها توفي
ابنه ابراهيم واسلم جرير بن عبد الله البجلي ونزل اليوم اكملت لكم دينكم وعن الحسن
ابن ابي الحسن البصري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنيته
تصغير بنت له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة
اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول حال من ضمير خرجت اي قايلة لبيك وسعديك
لم يستعملها الا للاستيذان وقد ربيا منهما فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت
ان اردك عليهما رددتك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا منهما
لم اعلم من رواه عن الحسن وروى ابن عدي والبيهقي عن انس ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز حال من الضمير قبله اي حال وجودها عميا فسجيناه من سجى
الليل اذا اظلم اي غطيناه وعزيناها اي امرناها بالصبر وحملناها عليه بوعد
الاجر والتحذير من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة وولدها بالمفرح فقالت مات
ابني استفهام حذفت همزته تخفيفا اي امات قلنا نعم فقالت اللهم اي يا الله
حذف حرف النداء وعوض عنه الميم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى رسولك
رجاء ان تعينني على كل شدة علقت هجرتها بجزمها خالصة لوجهه تعالى اما
لعدم جزمها بكونها خالصة وتجاهلا منها فيه ورجاء الاعانة مفعول من اجله الهجرة
فلا تحملني على هذه المصيبة فلست تحملها بمطيقة شبهت ما يغشاها من نوائبها
ويرهقها من نوائبها بحمل ثقيل يقصم الظهر وينقض عظمه ثم اشتقت منه الفعل فوقعت
الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية او ان هنا بمعنى اذ اي اذ كنت عالما
بان هجرتي لذلك فلا تكلفني اياها فما برحنا اي ما ذهبنا من مكاننا حتى كشفت
الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا من الطعم وهو الذوق اريد به هنا الاكل وروى
كما عند البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن
قيس بن شماس الانصاري خطيب الانصار وممن شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم
بالجنة وكان قتل باليمامة في زمن الصديق سنة اثني عشرة فسمعناه حين ادخلناه
القبر يقول حال من الضمير قبله واورد مضارعا بعد سمع ماضيا تصويرا للحال تكلم
ميتا لمن احضرهم كانه يبصرهم اياه متكلما ويطلب منهم مشاهدته تعجبا وتعجيبا من تكلمه
بعد موته قايلا محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم
كانه راهم فاشار بهذا المجمل الى اخره فنظرنا مختبرين حاله من حياة وموت فاذا هو
ميت اي فاجانا بغتة كونه ميتا وذكر عن النعمان بن بشير في رواية الطبراني وابي
نعيم وابن منده وفي رواية ابن ابي الدنيا عن انس ان زيد بن خارجة من بني الحارث
ابن الخزرج خر ميتا اي سقط من قيام حال موته ويجوز ان يكون قد خر ميتا لما
تغير لحصول له عقبة من دون مهلة بما ذكر مجازا مرسلا في بعض ازقة المدينة
جمع زقاق بالضم اي بعض طرقها فرفع وسجي اي غطي اذ سمعوه بين العشائين
والنساء يصرخن حوله اي يصحن بكا عليه يقول يجري فيه ما ذكر تقريبا اي قايلا

انصتوا انصتوا اي استمعوا فحسد عن وجهه اي كشف عنه غطاوه فقال محمد النبي
الامي هو من لا يكتب ولا يقرا وصف به تلويحا بكمال علمه وخاتم النبيين لا نبي بعده
احد كان ذلك اي كونه رسولا نبيا اميا في الكتاب الاول اي اللوح المحفوظ المكتوب
فيه المقدرات ثم قال مخاطبا لمن يتاتي توجيه الخطاب اليه او مجردا من نفسه مامورا
صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك اصله سلمت سلاما
ثم حذف الفعل واقيم مصدره مقامه وعدل به الي الرفع مبتدا للدلالة على ثبوت
المعنى واستقراره ثم تعريفه اما للعهد ذهنا اي ذلك السلام الذي وجه الانبيا
موجه اليك او خارجا اشارة الي وسلام على عباده الذين اصطفى او للجنس او
حقيقة السلام الذي يعرف كل احد ما هو وممن يصدر عليك يا رسول الله ورحمة
الله وبركاته جمع بركة وهي كثرة الخير الالهي ثم عاد ميتا كما كان عودا لبداء هـ

فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات قد اسند هنا حديث سعد بن ابي
وقاص من طريق ابن اسحاق ورواه البيهقي قال سعد في قصة احد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به فنقتل
من اصابه وقد روي ابن اسحاق والبيهقي عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا رمي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ اي يوم احد عن قوسه حتى اندقت
اي انكسرت واصيبت عين قتادة حتى وقعت على وجنته اي على اعلا خده
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق عن عاصم بن عمر
ابن قتادة مرسلا ووصله ابن عدي والبيهقي عن عاصم عن جده قتادة ورواه
البيهقي من وجه اخر عن ابي سعيد الخدري عن قتادة فكانت احسن عينيه وروى
البيهقي من حديث ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم بصق على اثر سهم في وجه
ابي قتادة في يوم ذي قرد بفتح القاف والراء على ليلتين من المدينة بينها وبين
خيبر ويقال لها غزوة الغابة قال ابن سعد في ربيع الاول سنة ست وفي البخاري
بعد حنين بثلاثة ايام وقبل الحديبية فما ضرب على ولا قاح وروي النسائي
والترمذي والحاكم والبيهقي وصححاه عن عثمان بن حنيف بمهملة مضمومة فنون
ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله لي ان يكشف لي عن بصري اي يزيل عنه ما حجبه
قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرا له انطلق فتوضا ثم صل ركعتين
ثم قل اللهم اي يا الله حذف حرف النداء وعوض عنه الميم ولا يجمع بينهما وخص به
كما اختص بالتاء القسم وحرف النداء مع لامه وقطع همزته وتفخيمه اني اسئلك
واتوجه اليك قاصدا لك بالدعا بنبي اضافه تبركا به صلى الله عليه وسلم محمد نبي
الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري ما حجبه فدعا فابصر
ونداوه باسمه صلى الله عليه وسلم لعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله
تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وروي كما عند الواقدي
وابي نعيم عن عروة ان ابن ملاعب الاسنة اصابه الاستسقا فبعث الى النبي صلى
الله عليه وسلم يستشفيه فاخذ صلى الله عليه وسلم حثوة من الارض فتفل
عليها ثم اعطاها رسوله اي رسول ابن ملاعب الاسنة وهو اول مفعولي اعطى

وفاعل

وفاعل الاخذ فاعجب له من فاعل مفعول فاخذها متعجبا يرى اي يظن او يعتقد ان هي
القتيلة خففت اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان او ضمير ابن ملاعب اي انه
قد هزي به فاتاه اي رسوله بالحثوة وهو على شفا حال من ضمير اتاه اي مشرف على
الموت فشربها فشفاه الله وعافاه مما كان به وذكر العقيلي بضم المهملة الحافظ
عن حبيب بن فديك مصغر فدك كما رواه البيهقي والطبراني وابن ابي شيبة بلفظ
فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهما فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة وذكر
كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرا
لا ادري من رواه وروي الطبراني انه صلى الله عليه وسلم تفل في شجة عبد الله بن
انيس فلم تمد بضم اوله وكسر ثانيه اي لم يصر فيه مدة اي قيح وروى الشيخان عن سهل
ابن سعد انه تفل في عيني علي وكان رمدا فاصبح باريا اي معافا يقال برات من المرض
فانا بارئ وابراني الله منه وغير اهل الحجاز يقولون بريت بالكسر برءا بالضم وروي
البخاري انه نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرات وروي عبد
ابن حميد في تفسيره عن عكرمة انه نفث في رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
في قتل ابن الاشرف فبرات ورواه ابن اسحاق والواقدي لكن قالا بدل زيد بن معاذ
الحارث بن انس ورواه البيهقي من حديث جابر وذكر بدلهما عباد بن بشر وروي
ابو القاسم البغوي في معجمه انه نفث على ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ اي حين
انكسرت فبرا مكانه وما نزل عن فرسه اذ جاء يستشفيه وروي البيهقي اشتكى
علي بن ابي طالب اي مرض فجعل اي شرع او قصد يدعو الله ان يعافيه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم اشفه بجزم بحذف حرف العلة للطلب او عافه من مرضه
كذلك شك من راويه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد بني على الضم
لقطعه عن المضاف اليه اعني دعاه له او ضربه برجله او مما وقطع ابو جهل يوم بدر
يد بن معوذ بواو مشددة مكسورة وقد تفتح ابن عفرا بمهملة ففا والمعروف ان الذي
قطعها ابنه عكرمة اذ ضرب اباه وحكاه ابن سعيد الناس عن المصر فبصق صلى الله
عليه وسلم عليها والصقها فلصقت باذن الله ببركة مباشرته ذلك رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا والسهيلي عن ابن اسحاق ان حبيب بمهملة وبابين بينهما مثناة
تحتية ابن يساف ويقال اساف بكسر الهمزة اصيب يوم بدر بضربة على عاتقه
حتى مال شقه بانفصاله عنه بحد السيف فرده صلى الله عليه وسلم بابا لته
الى محله ونفث عليه حتى صح والتام غاية لنفثه عليه وروي ابن ابي شيبة عن ام
جندب انه صلى الله عليه وسلم اتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه صلى الله عليه وسلم ثم اعطاها اياه اي الماء
وامرها ان تسقيه ومسه به اي مس صلى الله عليه وسلم الصبي بالماء فبرا وعقل
عقلا يفضل عقول الناس وروي احمد والبيهقي وابن ابي شيبة عن ابن عباس جاءت
امراة بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة بمثلثة فمهملة
مشددة اي قاء مرة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود هو مثلث الجيم من صغار

الطلاب والسباع فشفي اي برئ من جنونه و روى النسائي والطيالسي والبيهقي
انكفات بهمزة مفتوحة قبل التاء القدر على ذراع محمد بن حاطب بن الحارث بن
معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة قيل هو اول من سمي في الاسلام محمدا و هو
طفل حال من محمد اي حال طفوليته فمسح اي النبي صلى الله عليه وسلم عليه ودعا
له وتفل فيه فبرا لحينه و روى الطبراني والبيهقي كانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة
بمهملة مكسورة فلام ساكنة كالغدة زيادة تحدث بين الجلد واللحم وقد تنتهي الى
البطيخة اذا غمزت باليد تحركت تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال صلى الله عليه وسلم يطحنها بكفه حتى رفعها
اي ازالها من كفه ولم يبق لها اثر و روى الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم
سالته جارية طعاما وهو ياكل حال من ضمير سالته اي اكلا فناولها من بين
يديه وكانت قليلة الحيا بخلل كان بعقلها فقالت انما اريد من الذي في فمك
فناولها ما فيه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما اي شئ عظيم منه لم
تكن امراة في المدينة اشد منها حياء ببركته ويمن طلعته فصل في
اجابة دعائه لقوم وعلى اخرين و هذا باب واسع جدا بجيم مكسورة منصوب
على المصدر واجابة دعائه لجماعة دعا لهم وعليهم متواتر في الجملة لا على التفصيل
معلوم ضرورة و قد جاء من رواية احمد بن محمد بن حنبل في حديث حذيفة كان
اي النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركته الدعوة وولده وولد ولده وظهر
اثرها الذي دعا لهم به وقد روي هنا شاهدا له حديث انس من طريق البخاري ورواه
ايضا مسلم قالت امي هي ام سليم امراة ابي طلحة يا رسول الله خادمك انس ادع
الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته اي اعطيته فاوتي
ما لا كثيرا وولدا مات له في الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير اولاد
اولاده ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون اي يعد بعضهم بعضا وتلقى القسم بان تاكيدا وتحقيقا لما بعدها على نحو
المائة وفي رواية لا ادري من رواها وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد جواب قسم محذوف وكثيرا ما تدخله قد لان الجملة القسمية لا تساق الا
تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنته لمعنى التوقع الذي هو
معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا اقول سقطا مثلث المهملة وهو ما تلقيه امه قبل اوان ولادته ولا ولد ولد
ومنه اي من دعائه المجاب فيما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال اي عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه
ما لا يفوت الحصر فحفر الذهب الذي خلفه تركة بالفؤوس بهمزة مضمومة
بعد الفاء جمع فاس بسكون همزته وقد تخفف حتى مجلت بفتح الجيم وكسرها اي
تنفطت من كثرة العمل واخذت كل زوجة من زوجاته ثمانين الفا وكن اربعا
فجملته ثلاثمائة وعشرون وقيل اخذت كل واحدة منهن مائة الف فجملته اربعمائة
الف وقيل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف بالتشديد وقد

يخفف اي زيادة على ثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد حمد قافلة القافلة اي
الكبيرة المشهورة وعوارفه العظيمة جمع عارفة بمعنى معروفة اعتق يوما ثلاثين
عبدا وتصدق مرة بعير بكسر اوله اي قافلة فيها سبعمائة بعير وردت عليه
تحمل من كل شئ من انواع التجارة مختلف اجناسها وانواعها فتصدق بها اي بالابعرة
السبعمائة و بما عليها من انواع البضائع المختلفة و باقتابها جمع قتب وهو للبعير
كالاكاف لغيره وفي حديث عائشة لا تمنع المراة نفسها من زوجها وان كانت على ظهر
قتب حثا لهن على مطاوعة ازواجهن وقيل كن نساء العرب اذا اردن الولادة جلسن
على قتب يرين انه اسهل لخروج الولد فاذا لم يسعهن الامتناع وهن على ما ذكر فما
ظنك بغيره واحلاسها جمع حلس وهو كساء يلي ظهر البعير تحت القتب ودعا لمعاوية
ابن ابي سفيان بالتمكين في البلاد فنال الخلافة رواه ابن سعد بلفظ اللهم
علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب و روى الترمذي موصولا انه صلى
الله عليه وسلم دعا لسعد بن ابي وقاص ان الله يجيب دعوته فما دعا على احد
الا استجيب له ورواه البيهقي عن قيس بن ابي حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له
اذا دعا وحسنه وقد استجيب له دعوات مروية في الصحيح وغيره منها ان رجلا
قال من علي بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارني فيه اية فجاء جمل فتخبطه حتى
قتله ومنها ما رواه البخاري انه دعا على ابي سعدة اللهم اطل عمره واطل فقره وعرضه
للفتن قال الراوي فلقد رايته شيخا كبيرا اسقط حاجباه على عينيه يتعرض للجواري
يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد و روى الترمذي عن
ابن عمر انه اصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسال له عمر الدعاء ان يسقيهم الله
فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت اي انقشعت وكف ماؤها و دعا في
الاستسقاء يوم جمعة على المنبر فدعا فصحوا اي انكشف ما بهم من السحاب و روى
البيهقي انه قال لابي قتادة افلح وجهك من الفلاح وهو البقاء والفوز والظفر
اي بقي وفاز وظفر ومنه حي على الفلاح اي هلموا الى سبب البقاء في الجنة والفوز بها
وهو الصلاة في الجماعة اللهم بارك له لابي قتادة في شعره وبشره اي ظاهر جلده
حتى يستمر احسنهن فمات وهو ابن سبعين سنة جملة من مبتدا وخبر في موضع
الحال من ضمير مات اي بالغا و كانه ابن خمس عشرة سنة و روى البيهقي وابن ابي
اسامة انه قال للنابغة الجعدي اذ انشده قصيدته الرائية لا يفضض الله فاك
اي لا اسقط الله اسنانك واصله الكسر اي لا يكسر اسنان فيك فحذف المضاف
فما سقطت له سن وعن عمه العباس قال يا رسول الله اني مدحتك لا يفضض
الله فاك فانشده الابيات السابقة وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا هو
ما تقدم له من الاسنان وفي الحديث كانوا يحبون ان يعلموا الصبي الصلاة اذا
اثغر اي اذا سقطت رواضعه يقال ثغر فهو مثغور فاذا نبتت بعد سقوطها يقال اثغر
واثغر فمنهم من يقلب ثاء افتعل تاء مثلثة ثم يدغمها في المثلثة الاصلية ومنهم من
يقلب الاصلية تاء مثناة ثم يدغمها في تاء افتعل اذا سقطت له سن نبتت له اخرى
وعاش عشرين ومائة سنة وقيل اكثر الى ايام ابن الزبير وكان في الجاهلية يصوم

ويستغفر وروى الشيخان انه دعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
من الايول الى كذا اي كذا اذا رجع اليه واريد به صرف اللفظ عن ظاهره الى ما يحتاج
الى دليل لولاه ما صرف عنه فسمي بعد اي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم له الحبر
فكان يقال له حبر الامة بفتح حائه وكسرها وترجمان القران بفتح تائه وضمها وبضم
جيمه فيهما والترجمان في الاصل من يترجم الكلام اي ينقله من لغة الى لغة اخرى
وانكر على الجوهري جعل تائه زائدة وفي النهاية انها والنون زائدتان وروى
البيهقي عن عمرو بن حريث انه دعا لعبد الله بن جعفر بن ابي طالب بالبركة
في صفقة يمينه اي تبايعه سمي صفقة لوضع كل من المتبايعين يده في يد الاخر
فما اشترى شيئا الا ربح فيه وروى البيهقي في الدلائل عن ضباعة بنت الزبير انه
دعا للمقداد بن الاسود بالبركة فكانت له غراير من المال وروى البخاري انه دعا
بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال اي عروة كما رواه احمد فلقد كنت اقف بالكناسة
مكانا بالكوفة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا مع ما طابقه من العدد وقال
البخاري فكان لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعائه له وروى مثل هذا ايضا
ولا ادري من رواه لغرقدة بمعجمة مفتوحة فراء ساكنة فقاف فدال مهملة مفتوحتين
وندت بنون مفتوحة فمهملة مشددة اي نفرت وشردت له ناقة اي لغرقدة فجاء
بها اعصار ريح عاصف يستدير في الارض ثم يسطع الى السما مستديرا كالعمود
حتى ردها عليه وروى مسلم وغيره انه دعا لام ابي هريرة بالهداية فاسلمت
بعد امتناع كبير واسماعه فيه صلى الله عليه وسلم ما يكره وروى ابن ماجه والبيهقي
انه دعا لعلي ان يكفى الحر والقر بضم اوله اي البرد فكان يلبس في الشتا ثياب
الصيف وفي الصيف ثياب الشتا ولا يصيبه حر ولا برد هذا وابيك الكرم
وانفع انواع البر وروى البيهقي عن عمران بن حصين انه دعا لفاطمة ابنته ان
لا يجيعها قالت اي فاطمة فما جعت بعد بني على الضم لقطعه عن المضاف اليه
اي بعد دعائه لها وروى ابن اسحاق بلا اسناد والبيهقي عنه وابن جرير من طريق
الكلبي انه سأله الطفيل بن عمرو اية فقال اللهم نور له فسطع اي اضاء له
نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة
فتحول الى وسطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور كالحسن بن علي
واسيد بن حضير وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو وقتادة بن النعمان كل تسميه
وروى النسائي عن ابن عباس والبيهقي عن ابن مسعود واصله في الصحيحين
انه دعا على مضر قبيلة من بني مضر بن معد بن عدنان سموا بجدهم فقحطوا باحتباس
المطر وانقطاعه عنهم حتى استعطفته قريش غاية لغضبه عليهم اي طلبوا منه
ان يعطف عليهم ويرحمهم فدعا لهم فسقوا امطارا خصبت ارضوهم وروى البخاري
من طريق ابن عباس انه دعا على كسرى بكسر الكاف وفتحها واسمه ابرويز بن هرمز بن
انوشروان حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فمزقه كل ممزق فلم تبق له باقية
اي نفس باقية او بقية او بقا ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا اي نواحيها
وروى ابو داود والبيهقي انه دعا على صبي قطع صلاته بمروره بين يديه ان يقطع

الله دابره فاقعد بشهادة ما رواه ابن حبان عن سعد بن عبد العزيز عن يزيد بن نمران
قال رايت مقعدا بتبوك اسمه يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت والدابر في الاصل
الاخر بشهادة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم فلم يبق منهم احد ثم استعير
للزمانة كما هنا بسلبه قوة مشيه هذا وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده
وقال الذهبي اظنه موضوع وعلى تقدير صحته قيل ما الذي سوغ الدعاء عليه وهو
غير مكلف واجيب بما لا يشفي وروى مسلم عن سلمة بن الاكوع انه قال لرجل هو بسر
بموحدة مضمومة فمهملة ساكنة ابن راعي بمهملة مفتوحة فمثناة تحت ساكنة
وهو الحمار الوحشي ومن رواه بمعجمة فقد صحف راه ياكل بشماله فقال له كل بيمينك
فقال لا استطيع ان اكل بيميني فقال صلى الله عليه وسلم له لا استطعت
اي ان تاكل بيمينك فلم يرفعها الى فيه وروى ابن اسحاق عن عروة بن الزبير
عن هبار بن الاسود والحاكم من حديث ابي نوفل بن ابي عقرب عن ابيه والبيهقي من
طرق عن عبد الرحمن بن ابي بكر انه قال لعتبة بن ابي لهب عبد العزى بن عبد المطلب
ابن هاشم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد ليلا فافترسه وقد جعله
اصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نابهين فافترسه هذا وزعم بعضهم ان اكيله
انما هو اخوه عتيبة مصغرا واما هو مكبر فالمشهور انه اسلم واخوه معتب
عام الفتح ولم يهاجرا من مكة وحديثه صلى الله عليه وسلم المشهور من رواية
البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا
السلا على رقبته وهو ساجد هو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا
فيه وقيل هو كالمشيمة من المراة قال في النهاية والاول اشبه لان المشيمة
انما تخرج بعد الولد مع الفرث والدم وسماهم اللهم عليك الملا من قريش اللهم
عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
قال اي ابن مسعود فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر الا اشقاهم عقبة بن ابي معيط
الذي وضع على رقبته السلا فقتله علي بعرق الظبية بامر النبي له منقلبهم
من بدر الى المدينة وروى البيهقي من طرق عن عبد الرحمن بن ابي بكر وعن ابن عمر
وعن هند بن خديجة انه دعا على الحكم بن ابي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف
وكان يجلس صلى الله عليه وسلم فاذا تكلم يختلج بوجهه ويغمز اي يحرك شفتيه
وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه او حاجبه اي لاجل الكلام استهزاء
وسخرية وراه فقال كن كذلك فلم يزل يختلج وقيل يرتعد ويضطرب حتى مات
وفي رواية فضرب به صرع شهرين ثم افاق مختلجا قد اخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا
وروى البيهقي عن قبيصة بن ذويب وابن جرير عن ابن عمر وقال الحسن بلغنا انه دعا على
محلم بميم مضمومة فمهملة مفتوحة فلام مشددة اخي الصعب ابن جثامة بجيم
مفتوحة فمثلثة مشددة ابن ربيعة الكناني فمات لسبع من الايام وفي الروض
الانف مات بحمص في ايام ابن الزبير فلفظته الارض اي قذفته ورمته على ظهرها
ومنه حديث ويبقى في كل ارض شرارها تلفظهم ارضوهم ثم ووري بالبنا

بالبنا للمفعول اي غطي بالتراب فلفظته مرات فالقوه بين صدفين واحدهما صدف
بمهملتين الاولى منهما مضمومة وتفتح والثانية مشددة ورضموا عليه بالحجارة
بجعل بعضها فوق بعض والصدف جانب الوادي وفي القاموس انه الجبل وروي
انه جحد رجل من الصحابة اسمه سواد بن قيس او الحارث بيع فرس اسمه كما في
الصحاح المرتجز وقيل الظرب بكسر الظا وقيل النجيب وكان اشهب وهي التي شهد
فيها خزيمة له صلى الله عليه وسلم بانه اشتراها منه فرده صلى الله عليه وسلم
الفرس بعد اي جحده وشهادة خزيمة له بها على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا
فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجليها بمعجمة ثم مهملة فتحتية مثناة
مفتوحة اي رافعة من شصي يبرع يشصوا شصوا اي شخص فصل في
كراماته جمع كرامة من الاكرام والتكريم وهي من خوارق العادات وتفارق المعجزات
بخلوها عن دعوى النبوة والتحدي والحاكم بوقوعها مثل وجود الرزق عند مريم
بلا سبب وتساقط الرطب عليها من نخلة يابسة ولبث اصحاب الكهف ثلاثمائة
سنين وتسعا بلا اكل وشرب وآفة ولم يكونوا انبيا اجماعا واتيان آصف عرش
بلقيس من مسافة بعيدة لسليمان قبل ان يرتد اليه طرفه وانكرها المعتزلة حذرا
من التباسها بالمعجزة ورد باشتراط خلوها عما ذكر وبركاته وانقلاب الاعيان له
صلى الله عليه وسلم تكريما وتعظيما وصلاحية القدرة لذلك فيما لمسه او باشره
وقد اورد من شواهد ذلك هنا حديث البخاري من رواية انس ان اهل المدينة فزعوا
مرة الفزع في الاصل الخوف ثم استعير اسمه للاعانة والنصر اي استغاثوا من فزعت
اليه فافزعني اي استغثت اليه فاغاثني وافزعته اذا اعنته واذا خوفته فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف به اي يقارب خطوه
في سرعة بابي طلحة او به قطاف شك من رواه عن انس من القطف وهو القطع وقد
قطف يقطف قطفا وقطافا بكسر قافهما وفي الحديث يجتمع القوم على القطف بكسر
قافه اي العنقود فيتشبهم وهو اسم لكل ما يقطف وجمعه قطاف وقطوف واكثر
المحدثين يرويه بالفتح وانما هو بالكسر ومنه قول الحجاج يا اهل العراق انتم اهل
الشقاق والنفاق اني ارى رؤسا قد اينعت وحان قطافها وقال غيره اي غير انس
يبطا بمثناة تحتية مضمومة فموحدة فمهملة مشددة مفتوحتين فهمزة اي بطيء
الخطا وفي الحديث من ابطا به عمله لم ينفعه نسبه اي من اخره عمله السيء لم يبخه
شرف نفسه في الاخرة اذ الفضل بالعلم والتقوى لا بمجرد شرف النسب فقد رفع الاسلام
سلمان فارس وقد وضع الشرك الحسيب ابا لهب فلما رجع اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الفزع قال وجدنا فرسك بحرا اي كثير العدو واسع الجري شبهه بالبحر بجامع
السعة فاستعار له اسمه استعارة تحقيقية مجردة وبتحرى العلم اي اتسعنا
فكان بعد اي بعد ركوبه اياه او قوله ذلك لا يجارى وروى الشيخان انه صلى
الله عليه وسلم نخس جمل جابر اي طعنه عند دبره بمحجن وكان قد اعيى اي الجمل اي
غشيه عاجزا عن السير فنشط بكسر المعجمة ومضارعه بفتحها قال في النهاية وكثيرا
ما يجي في الرواية نشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها

اذا حللتها وفي حديث السحر فكانما انشط من عقال وحديث عوف بن مالك رايت كان سببا
من السما فانشط النبي صلى الله عليه وسلم ثم اعيد فانشط النبي صلى ابو بكر اي جذب
ورفع اليها يقال نشطت الدلو انشطها اذا اجذبته اليك ورفعته حتى كان غاية
لنشاطه اي انتهى نشاطه الى ان صار جابر ما يملك زمامه وروى البيهقي انه صنع
ذلك بفرس لجعيل بجيم مضمومة فمهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة الاشجعي
خفقه بمخفقة معه بميم مكسورة فمعجمة ساكنة ففا ففاف مفتوحتين اي بدرة
شهادة حديث عمر فضربها بالمخفقة اي بدرته وتكون بمعنى عدم النجح شهادة حديث
ايما سرية غزت فاخفقت اي لم تغنم شيا كان لها اجرها مرتين وبمعنى الضعف
والذهاب شهادة حديث الميت وانه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه اي صوته
وبمعنى السقوط شهادة كانوا ينتظرون العشا حتى تخفق روسهم اي ينامون
فتسقط اذقانهم على صدورهم وهم قعود وبرك عليها اي دعا لها بالبركة فلم يملك
راسها نشاطا مفعول من اجله وباع من نسلها باثني عشر الفا نشر مرتب لما لف
من خفق وبرك وروى ابن سعد من حديث اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة انه راكب
حمارا قطوفا من القطف وهو القطع اي تقريب الخطا في سرعة كما مر قريبا لسعد بن
عبادة فرده هملاجا اي سريع المشي يشبه الهرولة فارسي معرب والهمي الا ان
رهوانا لا يساير بالبنا للمفعول اي لا تساير دابة الا سبقها وروى البيهقي كا نت
شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد بفتح القاف وضمها فان فتحت فضم
السين وان ضمت فاكسرها واقلب الواو يا فلم يشهد بها اي بالقلنسوة فيها
الشعرات او بالشعرات قتالا الا رزق النصر ببركة اثاره صلى الله عليه وسلم وفي
الصحيح من رواية مسلم وابي داود والنسائي وابن ماجه عن اسما بنت ابي بكر
انها اخرجت جبة طيالسة بالاضافة كما في شرح مسلم للنووي جمع طيلسان والمشهور
فتح لامه وتثلث قالت اي اسما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها تيمنا باثاره الكريمة وروينا عن شيخ شيخه ابي
القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة بفتح القاف وفي كلامهم لا تكسر
القصعة ولا تفتح الجراب من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها فيشفيهم الله تعالى ببركته وفي الدلائل لابي نعيم ومعرفة الصحابة
لابن السكن اخذ جهجاه الغفاري بجيمين بينهما ها ابن مسعود اي ابن سعد او ابن
سعيد او ابن قيس مدني روى عنه عطا وسليمان ابنا يسار وسمع بيعة الرضوان
وعن عطا عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما اسلم لم يتم حلاب شاة القضيب
هو عصا النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان الخلفا يتداولونه من يد عثمان ليكسره
على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول
وقال ابن عبد البر تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة في
ركبته وتوفي بعد عثمان بسنة وروى البيهقي عن انس انه سكب من فضل وضوئه
في بئر قبا بالضم والمد مكان بقرب المدينة فما نزفت بعد بفتح النون والزاي اي
لم تفن بعد ان سكبه فيها وترف من الافعال المتعدية فاذا زيد عليها لزمت يقال

الترف البير اذ ذهب ماوها فاذا عدي قبل تر فيتها ومثله جعل الظليم وجعلته الريح
وانسل ريش الطاير ونسلته والوت الناقة بذنبها ولويته واكب زيد وكبه الله و
روى ابو نعيم انه بزق في بير كانت في دار انس فلم تكن بالمدينة بير من ابار دهها
اعذب منها اي اطيب واحلى ما لا ملوحة فيه يقال اعزبنا واستعذبنا اي شربنا
عذبا واستقينا عذبا طيبا ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان بباء
مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فمهملة فالف فنون ضد نعمان وماؤه ملح
فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب حتى لا ملوحة فيه وروى ابن ماجه اتي
النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم ورواه البيهقي عن وايل الحضرمي
ولم يقل من ماء زمزم فمج اي القى من فمه ما فيه فصار اطيب من المسك وروى
الطبراني عن ابي هريرة انه اعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان
جملة حالية من الضمير قبلها اي باكيين عطشا تمييز او مفعولا لاجله البكا فسكتا
وروى مسلم عن جابر كان لام مالك عكة بمهملة مضمومة فكاف مشددة انا من
جلد يجعل فيه السمن تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا ينادم به
فامرها اي النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها اي امرها بترك عصرها ثم دفعها
اليها فاذا هي مملوءة اي فاجاها بغتة ملوها سمنا فيأتيها بنوها يسالونها الادام
هو كل ما يوتدم به كالعسل والمرق واللحم وفي الحديث سيد ادام الدنيا والاخرة اللحم
ولم يجعله بعض الفقهاء اداما فقال لو حلف لا يأتدم فاكل اللحم لم يحنث وليس عندهم
اي الادم فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمهم حتى عصرتها غاية لاقامة
الادم اي فلما عصرتها انتهت الاقامة وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع جمع
رضيع بمعنى مرضع اسم مفعول فيجزيهم بفتح التحتية اي يكفيهم ريقه الى الليل
غاية لكفاية ريقه اياهم ومن ذلك اي من كراماته بركة يده الكريمة تغشي وتحصل
لما مسه بها او غرسه من شجر وغيره كودي النخل الذي غرسه لسلمان الفارسي
رواه البيهقي عنه حين كاتبه مواليه وكانوا يهود اعلى ثلاث مائة ودية بواو مفتوحة
فمهملة مكسورة فتحتية مشددة صغير فسيل النخل يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم
وعلى اربعين اوقية من ذهب بضم الهمزة وتشديد اليا ويجوز حذفها بشهادة رواية
الشيخين عن جابر في باب اشتراط ظهر الدابة وفي مسند احمد انه صلى الله عليه وسلم
اشتراه منهم بكذا درهم وعلى ان يغرس لهم كذا من النخل يعمل فيها حتى تدرك فغرسها
صلى الله عليه وسلم له اي لسلمان بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت عروقها
وثبتت في الارض كلها الا تلك الواحدة فقلعها وردها بيده الكريمة فاخذت
وروى ابن عبد البر عن حسين بن واقد عن عبيد الله بن بريدة قال سمعت بريدة يقول
جاء سلمان فذكره وان الذي غرسها عمر وروى البخاري في غير صحيحه ان الذي غرسها
سلمان وقد يجمع بينهما بانهما اشتركا في غرسها او كل منهما غرس واحدة فلم تاخذ
فنزعها او بها بريدة لعمر مرة ولسلمان اخرى فغرسها او غرسهما صلى الله عليه وسلم
فاخذت وفي كتاب البزار نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة بغداد فاطعم النخل
من عامه الا الواحدة التي زرعها غيره صلى الله عليه وسلم فقلعها وغرسها فاطعمت من

عامها وما ذلك الا ببركته بعزبر اذ كان بالخير اجود من الريح الهامة سريعا واعطاه
اي اعطى صلى الله عليه وسلم سلمان مثل بيضة الدجاجة اي قدرها وزنا او حجما من
ذهب بعد ان ادارها على لسانه لعله يتبرك عليها اي دعا فيها بالبركة فلم يسمع
من شاهده فظن انه انما ادارها عليه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده
مثل ما اعطاه اي اربعين وما هذا الا ببركته صلى الله عليه وسلم وفي حديث حنش
بمهملة فنون فمعجمة بن عقيل بمهملة مفتوحة الذي رواه قاسم بن ثابت في الدلايل
من طريق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شربت اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت
وريها اذا عطشت وبردها اذا ظميت اي لم افارق بعد شربها اذا ادركني
جوع شبعت او عطش رويت او حرارة وشدة اطفاها ريها واعطى قتادة بن النعمان
كما رواه احمد عن ابي سعيد بسند صحيح وصلى معه العشا في موضع حال من قتادة
في ليلة مظلمة مطيرة متعلق باعطى جملتان وردتا اعتراضا بين اعطى ومفعوله
الثاني افادتا ما قد علم بجرجونا هو المفعول الثاني بضم العين والجيم وتكسر
مع فتح الجيم وتري بها فعلون من الانعراج اي الانعطاف وهو اصل العذق الذي
يعوج ويقطع منه الشماريخ والواو والنون زايدتان وجمعه عراجين وقال
انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك لعله عشرة اذرع او
نحوها فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه شيطان فانطلق
فاضاء له العرجون بين يديه عشرا ومن خلفه عشرا حتى دخل بيته ووجد السواد
وفي توثيق عرى الايمان للبارزي فانه فتقد ولا تعارض بينهما فلعله تمثل بصورته
فضربه حتى خرج ومنها اي من كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان كما رواه البيهقي
دفعه لعكاشة بالتشديد والتخفيف جذل حطب بجيم مكسورة وقد تفتح فمعجمة
ساكنة اي اصل شجرة او عود اذ قد يجعل جذلا وفي حديث السقيفة انا جذيلها المحكك
تصغير جذل للتعظيم وهو عود ينصب للابل الجربا تحتك به اي انا ممن يستشفى
برايه كما تستشفي الابل الجربا باحتكاكها بالعود وقال له اضرب به من ناوى الله
ورسوله حين انكسر سيفه متعلق بدفع يوم بدر اي زمن وقعته فعاد اي صار
مجازا عنه اذ لم يكن قط سيفا حتى يعود في يده سيفا صارما اي قاطعا طويل القامة
ابيض شديد المتن من المتانة وهي الشدة والقوة او هو اصل الشيء الذي به قوامه
بمنزلة الظهر للاعضا فقاتل به في وقعة بدر حتى انقضت ثم لم يزل عنده يشهد
به المواقف لقتال الكفرة الى ان استشهد اي عكاشة في قتال اهل الردة في قتال
الصديق غاية لشهوده به المواقف وكان هذا السيف يقال له العون ومنها ايضا
ما رواه البيهقي عن سعيد بن عبد الرحمن عن اشياخه دفعه لعبد الله بن جحش يوم
احد اي زمن وقعته وقد ذهب سيفه اعتراض وقع حالا من عبد الله افاد بقاءه بلا
اعزل فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عسيب نخل اي جريدة منه مما لا خوص
عليه فرجع في يده سيفا اي صار مجازا عن رجع في سيرة ابن سيد الناس انه اعطى سلمة
بن اسلم يوم بدر قضيبا من عراجين بن طاب كان في يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل

عنه حتى قتل يوم جسر ابي عبيدة ومنه اي مما اثره بيده الكريمة بركته في درور
الشياة الحوامل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد من رواية ابن سعد والطبراني
عن ابي معبد الخزاعي انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن
فهيرة وعبد الله بن الاريقط استاجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم
طريق الساحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة
تحتبي بفناء بيتها فتطعم وتسقي من مر بها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها
لبنا فلم يجدوه فراي عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال اتاذنين لي ان احلبها
قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء
يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا
ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزالا
فراى اللبن فعجب فقالت انه مر بنا رجل مبارك الحديث وقصة اعنز
معاوية بن ثور جمع قلة لعنز اي شاة رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن
عبد الله وشاة انس كلها كانت مثل شاة ام معبد فدرت ببركته وهذا من ابلغ
المعجزات لوجود اللبن بدون شرطه وهي حوامل وروى ابو يعلى والطبراني وغيرهما
بسند حسن قصة غنم حليمة مرضعته وشارفها اي ناقتها المسنة اذ كانت
حوامل هي عجافا لما اصابهم من الجهد من حبس المطر عنهم فدرت باللبن الكثير واخصبت
هي وقومها بعد ان كانوا مرملين مسنتين عجافا ببركة حلوله فيهم رضاعا منها وروى
البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود انها درت بلبن خالص سائغ للشاربين
ولم ينز اي لم يعل الضراب عليها فحل يغشاها وروى مسلم قصة شاة المقداد
انها درت كذلك بتوالي بركاته وتوالي كراماته ومن ذلك اي ما ورد عنه من كراماته
وبركته ما رواه ابن سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا تزويده اصحابه سقاء ماء بعد
ان اوكاه ودعا فيه متعلق بتزويده اي زودهم اياه بعد ربطه فمه ودعائه فيه فلما
حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا هو لبن اي فلما حلوه وجدوه لبنا خالصا وزبد بالاضافة
في فمه اي زبد اللبن في فم السقاء وفي نسخة بها وجد بلا اضافة ومسح راس عمير
ابن سعد وبرك اي دعا له بالبركة فمات وهو ابن ثمانين فما شاب كذا هنا عمير
وعليه صح وروى الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد
ابن عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وروى البيهقي والطبراني انه كان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه رائحة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم اي سلته واماطه عن وجه عائذ بن عمرو
كما رواه الطبراني عنه وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت بعد اي بعد سلته
في موضعه له غرة اي بياضا في وجهه من غير سوء كغرة الفرس وذكر ابن الكلبي انه
مسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة جملة حالية
من الضمير قبلها افادت قدر حياته التي يرد فيها الانسان غالبا الى ارذل العمر
وراسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره
اسود فكان بسبب تلك الغرة في جبهته يدعى الاغر تشبيها لما في وجهه من بياض

بغرة الفرس وروي كما عند البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني من مسحه
صلى الله عليه وسلم راسه ودعائه له فمات على حاله كما لقيس بن زيد ومسح على وجه
آخر فما زال على وجهه نور لعله خزيمة بن سواء ابن الحارث اذ قد روى ابن سعد عن
وجوه السعدي انه صلى الله عليه وسلم مسح على وجهه فصارت له غرة بيضاء
وروى احمد والبيهقي انه مسح وجه قتادة بن ملحان بكسر اوله وسكون ثانيه
فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المراة فعلا النظر مبنيان
للمفعول بهما المجرورين وروى البيهقي وغيره انه صنع يده على راس حنظلة بن حذيم
بمهملة مكسورة فمعجمة ساكنة فتحتية مفتوحة وبرك عليه اي دعا له بالبركة
فكان حنظلة يؤتى بالرجل اللام فيه وفيما بعده كهي في الذيب في واخاف ان
ياكله الذيب فهي للعهد الذهني اذ قد اريد به الماهية من حيث وجودها في ضمن
بعض افرادها مع قرينة البعضية فهو في حكم النكرة في الاثبات اذ لم يرد به
رجل معين قد ورم وجهه والشاة من الضان والمعز قد ورم ضرعها فيضع
محل الورم منهما على موضع كفه صلى الله عليه وسلم من راسه فيذهب الورم
من وجهه وضرعها وروى ابن عبد البر في استيعابه انه نضح في وجه زينب بنت ام
سلمة وكانت ربيبته في حجره نضحة اي رشة من ماء فما كان يعرف في وجه امراة
من الجمال ما كان بها منه ومسح راس صبي به عاهة اي افة من قرع او غيره
فبرا اي زال ما به من العاهة واستوى شعره احسن ما كان لا اعرف من رواه
الا لعل ابا نعيم روى عن الوزاع انه انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن
له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد احد بعد دعوته اعقل منه واتاه
رجل به ادرة بهمزة مضمومة فمهملة ساكنة فراء اي نفخة في خصيته فامره ان
ينضحها اي يرشها بماء من عين مج اي صب من فمه فيها ففعل اي نضحها فبرا لا اعلم
من رواه وعن طاووس بن كيسان اليماني لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد به مس اي جنون فصك بمهملة اي ضرب في صدره الا ذهب المس كذا وقف على
طاوس ولا ادري من رواه عنه وروى احمد عن وائل بن حجر انه مج اي صب من فمه
في دلو فيه ماء من بئر ثم صب فيها ما مجه فيه مع ما كان فيه ففاح منها ريح المسك
اي مثله تشبيها له به لانه الاصل في الرائحة وان كان رائحة ما مجه اتم وروى مسلم
عن سلمة بن الاكوع انه اخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت اي قبحت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى بقاف مفتوحة فمعجمة
مقصور جمع قذاة اي يمسحون ما دخل اعينهم من التراب اذ القذى ما وقع في العين
والماء والشراب من تراب او تبن او وسخ او غير ذلك وفي الحديث يبصر احدكم القذاة
في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه مثل يضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس
فيعيرهم به وفيه من العيوب ما نسبته اليه كنسبة الجذع الى القذاة عن اعينهم
اي يميطونها عنها وروى الشيخان انه شكا اليه ابو هريرة النسيان اي نسيانه
ما سمعه منه صلى الله عليه وسلم فامره ان يبسط ثوبه وغرف بيده فيه تشبيها
تشبيها للماخذ شيئا والقاه في ثوبه ثم امره ان يضمه الى صدره ففعل فما نسي شيئا

بعد ذلك وروى الشيخان انه ضرب في صدر جرير بن عبد الله البجلي ممن تاخر اسلامه
البجلي ودعا له وكان ذكر له صلى الله عليه وسلم انه لا يثبت على الخيل فصار من فرسان
العرب واثبتهم على الخيل وروى الزبير بن بكار عن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز
الزبيري عن ابيه انه مسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ابن اخي عمر بن الخطاب
وهو صغير جملة حالية من زيد افادت بيان وقت المسح اي حال صغره وكان دميما
بدال مهملة اي حقيرا قصيرا ودعا له فغرع بنا فزا مفتوحتين فمهملة الرجال طولا
وتماما مميز ان للنسبة فرع حولا عن فاعلية تماما اي علاهم طوله ووفرتهم تمامه
وفي الحديث كانت ام المومنين سودة تفرع النساطولا فصل ومن ذلك اي من
كراماته ما اطلع عليه من الغيوب بني الفعل للمفعول له تلويحا بان فاعله كانه مذكور
صريحا اذ لا يطلع على غيب سواه تعالى وهو كلما غاب عن العيون سواء كان محصلا
في القلب ام لا والمراد به هنا ما لم يكن محصلا في قلبه صلى الله عليه وسلم من كاين لم
يزل ومستقبل وما يكون من عطف الخاص على ما عمه من حيث حمله على موجود وغيره
والاحاديث في هذا الباب اي باب كراماته بحر لا يدرك قعره تشبيه ذكر سعه وجه
الشبه فيهما لكثرتها وانتشارها كانها لا تحصى كما لا يدرك قراره لعمقه ولا ينزف
غمره اي ماوه الكثير اي لا يفرغ ولا يفنى لكثرته وهذه المعجزة اي ما اطلع عليه من
الغيب من جملة معجزاته المعلومة على القطع عندنا واعظمها القران فكانها
للنبوة لا ذهكان لها وجزمها مستطيلة ذروة سنام قطعها بها الواصل الينا
خبرها مستملنا على التواتر المفيد للعلم لكثرة رواتها واتفاق معانيها على
الاطلاع على الغيب وقد اسند هنا من ذلك حديث ابي داود عن حذيفة واسماعنه
رواه مع رواية الشيخين له لما في روايته له من طريق اخرى من الزيادة قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قام بيننا فالظرفية مجازية تشبيها لها بالبينة
للملابسة النعل لهما مقاما اسم مكان او مصدر ميمي وقع مفعولا مطلقا ما ترك
شيا يكون اي يحدث في الوجود في مقامه ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر
لكمال العناية بذكره من حيث ذكر المغيبات فيه متعلقا بترك ظرفا له اي لم يدع
ممكنا يوجد من العدم الى قيام الساعة الا حدث به انه سيوجد حفظه من
حفظه ممن سمعه منه ونسيه من نسيه منهم قد علمه اصحابي هولاء لهم وهذه
الزيادة او في ابي داود قد علمه اصحابه صلى الله عليه وسلم الشي قد نسيته فاراه
موجودا في الاعيان فاذكره اي اتذكره بعد ان نسيته فاعرفه انه مما اخبرنا به
كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ليس ظرفا ليذكر بشهادة قوله في نسيته
فاراه فاذكره مع تشبيهه به كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل نسيناه ثم اذا راه
عرفه بعد نسيانه اياه فاخر ظرف الغيبة اهتماما بتقديم التشبيه بالتذكر لان
المقصود الى هنا رواية الشيخين زاد ابو داود بسند اخر من طريق قبيصة بن
ذويب عن ابيه عن حذيفة وان كان صنيعه هنا يقتضي اتصاله به ثم قال اي
حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه لقلة اهتمامهم به بعنايتهم بما هو اهم
منه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد بالقاف ومن زايده

اي امير فتنة يضر بها الناس محاربة ظلما وجورا وعسفا وغشما او محدث بدعة
كعالم مبتدع يدعو الى البدع ويغيهم بجواز ها عنادا او قد قال صلى الله عليه وسلم
اياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
اي فكل محدث في النار حيث لا مستند له شرعي يعضده اذ الحق انما هو فيما ورد به
الشرع وماذا بعد الحق الا الضلال وهذا الحديث من جوامع الكلم التي لا يشذ عنها
شي فكل من احدث شيا لا عاضد له شرعي فهو ضلالة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من
معه اي مع تابع الفتنة ثلثماية فصاعدا صفة لقايد اي فاكثر الا قد سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته التي تنوه به وروى احمد والطبراني
بسند صحيح وابو يعلى وابن منيع عن ابي الدردا ولقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طاير جناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما لم يكن عندنا افادنا
اياه تلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لم يزل ناصحا لامته مبالغا في تكميل نفوسهم بانواع
الكمالات عملية وعلمية وقد خرج اهل الصحيح اي من روى الاحاديث المتصفة
بالصحة كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة والحاكم والايمة الاعلام كالشافعي
ومالك واحمد ما اعلم مفعول لخرج به اصحابه مما وعدهم به بيان للمفعول اعني ما اعلم
به من الظهور على اعدايه وفتح مكة بيان لما وعد وابه كما رواه الشيخان وغيرهما
من طرق وبيت المقدس رواه البخاري عن عوف بن مالك واليمن والشام والعراق
رواه الشيخان عن سفيان بن ابي زهير وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة
بمهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة مدينة بقرب الكوفة ولهم حيرة اخرى
بقرب نيسابور الى مكة لا تخاف الا الله رواه البخاري عن عدي بن حاتم وان المدينة
الشريفة ستغزا بمعجمة من الغزو وفي رواية بمهملة من العري اي تصير عرية ليس
فيها احد رواه الشيخان عن ابي هريرة بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت
لا يغشاها الا العوافي وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووي وغيره وانما يقع
قرب الساعة وان اقتضى صنيعه هنا وتصريحه في شرح مسلم انه وقع حيث ذكره
فيما اخبر صلى الله عليه وسلم بوقوعه فوقع كما اخبر ويفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه الذي كان فيه ارمد رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية
غدا رجلا يحب الله ورسوله او يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان
ارمد فبصق في عينيه فبرا وفتح الله على يديه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويوتون من زهرتها رواه الشيخان من طرق وقسمتهم كنوز كسرى بكسر الكاف
وتفتح ملك فارس وكنوز قيصر ملك الروم رواه الشيخان من طرق عن ابي هريرة
وغيره وما يحدث بينهم اي بين امته من الفتن والاختلاف والاهوا رواه الشيخان
من طرق وسلوك سبيل من قبلهم رواه الشيخان عن ابي سعيد بلفظ لتتبعن سنن
من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول
الله اليهود والنصارى قال فمن وسنن بمهملة ونون مفتوحتين اي طريقتهم فيما احدثوه
بعد انبيايهم من تحريف وتبديل وبدع واهوا مضلة وشبرا بشبر وذراعا بذراع
تمثيل لشدة موافقتهم لهم لا في تحريف وكفر وافتراقهم اي امته صلى الله عليه وسلم

على ثلاث وسبعين فرقة رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم عن ابي هريرة واصولهم
ثمانية معتزلة لاعتزالهم اي رئيسهم واصل بن عطا الغزال مجلس الحسن البصري
بتقريرهم ان مرتكب الكبيرة لا مومن ولا كافر فيثبتا منزلة بين المنزلتين فقال
الحسن قد اعتزلنا واصل ويلقبوا بالقدرية لانكارهم القدر واسنادهم افعال
العباد الى قدرتهم وقالوا من اثبت القدر فاولى ان يسمى به ويرده قوله صلى الله عليه وسلم
القدرية مجوس هذه الامة اي لمشاركتهم المجوس في اثبات خالقين وقال فيهم انهم
خصما الله في القدر كما ورد انه ينادي يوم القيامة الا ليقم خصما الله فتقوم
القدرية واتفقوا على نفي صفاته تعالى ورويته في الاخرة بالابصار وعلى خلق
القران وبان الحسن والقبح عقليان ويوجبون رعاية الاصلح عليه تعالى لعباده
واثابة المطيع والتايب وتعذيب فاعل الكبيرة ومن ثم لقبوا انفسهم باهل العدل
والتوحيد ثم افترقوا بعد اتفاقهم على ذلك عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا ه
وشيعة شايعوا عليا وقالوا انه الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثنان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا وخوارج خرجوا على علي سبع فرق
ومرجية لارجائهم العمل عن النية والاعتقاد رتبة او لقولهم لا يضر مع الايمان
معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة خمس فرق ونجارية اصحاب محمد بن الحسين النجار
واتفقوا في ان خلق الافعال لله والاستطاعة مع الفعل وان العبد يكتسب فعله
ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات والروية في الاخرة وحدوث القران ثلاث فرق
وجبرية محضة خالصة تسند فعل العبد الى الله لعدم اختيار العبد اذ لا قدرة
له موثرة ولا كاسبة بل هو كالجماد فيما يوجد منه كالقلم بيد الكاتب فرقة واحدة
اختلفوا في طريقتهم فمنهم مشبهة غلاة الشيعة ومشبهة الحشوية ومشبهة الكرامية
والناجية منها اي من تلك الفرق واحدة قال فيهم صلى الله عليه وسلم هم الذين
على ما انا عليه واصحابي ومن بعدهم من اهل السنة والجماعة فقهاها ومحدثوها
واشاعرة وماتريدية تخلو مذاهبهم من بدع من ذكر وروى الشيخان عن جابر
انه الضمير للشان يقول ستكون لهم اي لامته انماط بهمزة مفتوحة فنون ساكنة
واخره طاء مهملة نوع من البسط له خمل رقيق يغشى به الفرش والهوادج واحدها
نمط ويغدو احدهم كما رواه الترمذي عن علي في حلة هو ثوبان من جنس واحد ويروح
اي يرجع في اخرى ويوضع بين يديه صحفة اناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها
صحاف وفي الحديث لا تسال المراة طلاق اختها لتستفرغ ما في صحفتها مثل يضرب
لمن تريد من النسا الاستيثار على امراة بحظها من زوجها كي افرغ ما في صحفة
غيره من صحفة نفسه وترفع من بين يديه صحفة اخرى ويسترون بيوتهم كما
تستر الكعبة فيه تلويح بان الدنيا تنبسط عليهم ثم يتوسعون فيها ثم قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه وانتم اليوم خير منكم يوميذ ردا
لقولهم نحن يوميذ خير منا اليوم اي ليس الامر كما تظنون بل انتم اليوم خير لان الفقر
الذي هو كفاف خير من غنى يلهي عن العبادة وروى الترمذي عن ابن عمر انهم اذا
مشوا المطيطا بميم مضمومة ومهملتين بينهما ياء تحتية تمد وتقصر بمعنى

التمطي

التمطي اي التبختر مع مد اليدين والخطا وفي التنزيل ثم ذهب الى اهله يتمطى اي افتخارا
من المط وهو المد اذ المتبختر يمد يديه وخطاه وهي من المصغرات التي لم تستعمل
مكبرة كمريطا وكعيب وكميت وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم
بينهم اي شدة عداوتهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم بشهادة انهم بعد ان
فتحوا بلاد فارس والروم غنموا اموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط
شرارا فقتلوه وعلى علي اشقاها فقتله وعلى الزبير ابن جرموز فقتله وقاتلهم
الترك كما رواه الشيخان بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر
وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان
المطرقة والخزر بمعجمة مضمومة فزاي ساكنة طايفة من الترك جمع اخزر والخزر محركا
ضيق العين وصغرها وفي حديث حذيفة كاني بهم خنس الانوف خزر العيون والروم طايفة
معروفة لا ادري من روى حديث الطايفتين وذهاب كسرى بفتح اوله وكسره اي ذهاب ملكه
بذهابه وقومه فارس من ارض العراق وغيرها حتى لا كسرى بعده وذهاب قيصر
ملك الروم من الشام وغيره حتى لا قيصر بعده رواه الشيخان بدون فارس وذكر
الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة او نطحتين ثم لا فارس بعدها ابدا وان الروم
ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن الى اخر الدهر وقد وقع ما اخبر صلى الله
عليه وسلم به من زوال ملكهما من اقليميهما فكسرى مزق ملكه كل ممزق ولم يبق منه طارفة عين
فة بدعوته صلى الله عليه وسلم اي يمزق كل ممزق وقيصر اعني هرقل قد انهزم من الشام في خلافة
عمر الى اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلاده بحمد الله الحمد وروى البخاري عن مرداس الاسلمي انه
صلى الله عليه وسلم اعلم اصحابه بذهاب الامثل فالامثل اي الاشرف فالاشرف من الناس
الماخوذ بترتيب التفاضل فاثبتت الامثلية للاول ثم الثاني وهكذا حتى تبقى حثالة
لا يباليهم الله بالة وتقارب الزمان من حديث الترمذي لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان
فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار
تفاعل من القرب اريد به اخره واقتراب الساعة بشهادة رواية اذا اقترب الزمان لا تكاد رويا
المومن تكذب لان الشيء اذا قل وتقاصر تقاربت اطرافه ومن ثم قيل للقصير متقارب ومتارف
او اريد به زمن عيسى فانه لكثرة الخير فيه يستقصر لاستلذاذه بمسرات ورخاء العافية
دع فتتقارب اطرافه فلا يستطال او لقلة بركة الزمان بذهاب حزم وفايدته او اريد به تسا
انقراض القرون فيتقارب زمانهم وتتدانى ازمانهم او لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من
تزايد قطايعه وتوارد لوايعه وقوله فقلوبهم بغتة مدهشة فلا يدرون كيف تنقضي ايامهم
ولياليهم وهذا عكس ما يقال قصر الايام والليالي بالمسرات واللذات كما مر وطولها
بالشدايد والمحنات وكلاهما صحيح اذ ما ذهب اليه هنا في القصر والطول فراجع الى معنى
الاطالة للرخا او القصر للشدة وما ذهب اليه هناك في القصر فراجع الى ما يدهمهم
من شدايده وصوارعه وقبض العلم بقبض العلماء بشهادة حديث ان الله لا يقبض العلم
انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء الحديث وظهور الفتن والهرج
من حديث الشيخين عن ابي هريرة يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح
ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب

من نزر قد اقترب من حديث الشيخين عن ام المؤمنين زينب وويل كلمة تفجع وتعجب
مما بعدها من حزن ومشقة وهلاك بآثارهم بين المسلمين فتنا كقطع الليل المظلم
المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر كفتنة عثمان وفتنة علي مع معاوية وانه
صلى الله عليه وسلم زويت له الارض فرأى مشارقها ومغاربها من حديث مسلم عن ثوبان ان
الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها اي جمعت لي بتقريب بعيدها حتى اطلعني
عليه كاطلاعي على قريبها وسيبلغ ملك امتي ما زوي له منها من تتمة حديث مسلم
عن ثوبان وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها قيل وليست من في منها تبعيضية بل
تفصيلية لما اجمل اي زويت لي جملة الارض مرة واحدة فرأيت مشارقها ومغاربها وستفتحها
امتي جزءا فجزءا حتى تملك جميع اجزائها فلذلك امتدت في المشارق والمغارب اي انبثت
امته في اقطارها ونواحيها ما بين ارض الهند بدل او بيان للمشارق والمغارب اقصى المشرق
بدل او بيان لارض الهند الى بحر طنجة بمهملة مفتوحة فنون ساكنة فجيم بلد بساحل بحر
المغرب حيث لا عمارة وراءه وذلك اي ما زوي له منها وملكته امته ما لم تملكه امة من الامم
ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك فبلغ ملكها اقصى الجهات الاربع مهاب الرياح قبولا
ودبورا وجنوبا وشمالا او قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم من حديث سعد بن ابي وقاص
لا يزال اهل الغرب ظاهرين على من ناواهم وارادهم بسوء وانتقض بحفظ الله ونصرته لهم وهم على
الحق اي متلبسين به مصاحبين له فكانهم لتمسكهم به وتمكنهم منه متعلون عليه تشبيها وتمثيلا
بحالهم بحال من اعتلى شيئا وركبه حتى تقوم الساعة غاية لاستمرار ظهورهم على عدوهم مؤيدين عليهم
ذهب ابو الحسن علي ابن المديني الى انهم العرب المخصوصون بالسقي بالغرب بمعجمة مفتوحة
فراء ساكنة وهي الدلو العظيمة يذكر ويؤنث بشهادة ما في حديث الرؤيا فاخذها عمر فاستحالت
في يده غربا اي لما اخذها ليستقي عظمت في يده وانقلبت من الصغر الى الكبر وهو تمثيل لكثرة
ما فتح الله في زمنه من البلاد دون زمن ابي بكر وقيل هم اهل الشام لانهم غرب الحجاز بشهادة رواية
وهم بالشام وقيل اراد بالغرب الحد والشوكة فهم اهل الجهاد وعزم اي غير ابن المديني انه يذهب
الى انهم اهل الغرب وقد ورد اهل المغرب كذا في الحديث بمعناه لا اعلم من رواه وفي حديث
اخر من رواية عبد الله بن احمد بن حنبل والطبراني من حديث ابي امامة لا تزال الطائفة من
امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم اي غالبين لهم من قهره اي غلبه حتى يأتيهم امر الله
غاية لظهورهم وقهرهم عدوهم وهم كذلك اي ظاهرين متلبسين بالحق قاهرين عدوهم قيل
يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي والحاكم
عن الحسن بن علي بملك بني امية هم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد
مناف بن قصي ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان
وهو ضعيف وعن ابي هريرة وفي سنده الزنجي وليس بمعروف ذاتا وحالا او ولاية معاوية
ابن ابي سفيان الخلافة ووصاه فيما رواه البيهقي عنه بلفظ ما حملني على الخلافة الا
قول النبي صلى الله عليه وسلم لي يا معاوية ان ملكت فاحسن وضعفه ثم قال غير ان له شواهد
منها حديث سعيد بن العاصي ان معاوية اخذ الاداوة فتبع النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس او عثرات الناس افسدتهم

او

او كدت ان تفسدهم يقول ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها
واتخاذ بني امية مال الله دولا اي اخبر به فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي
ورواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ اذا بلغ بنو ابي العاصي اربعين رجلا اتخذوا دين الله
دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن ابي سعيد الخدري اذا بلغوا ثلاثين اتخذوا
ذلك وخروج بني العباس ابن عبد المطلب بالرايات السود فيما رواه احمد والبيهقي
باسانيد ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا
بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم في اسناده عبد القدوس وهو ضعيف
وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايلياء بيت
المقدس في اسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف وخروج المهدي كما رواه احمد والبيهقي
باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد
خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة
لم تروا مثلها ثم ذكر شيئا فاذا كان ذلك فأتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله في اسناده
مجهول وفيه ابو اسماء وهو ضعيف وفي رواية ثم تجيء الرايات السود فيقتلونكم قتلا لم
يقتله قوم ثم يجيء خليفة الله المهدي فاذا سمعتم به فأتوه فبايعوه فانه خليفة الله
وفي اخرى اذا اقبلت الرايات السود من عقبة خراسان فأتوها ولو حبوا فان فيها خليفة
الله المهدي وفي اخرى يخرج رجل من اهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور د
الفتن هذا وما ذكر من الاحاديث هنا فكلها ضعيفة وبعد تسليم قوتها فهي مفسرة
بان من ورد فيه انما يكون في اخر الزمان واما من تولى منهم فيما مضى فلم يكن منهم احد
متصفا بما وردت به بل المشهور عنهم في التواريخ ضد ذلك ولم يكن من بني امية احد
مثل عمر بن عبد العزيز وبه ختمت ائمة الرشد والهدي وما يناله اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم اي اخبر به فيما رواه الحاكم من حديث ابي سعيد ان اهل بيتي سيلقون بعدي
من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي وقتل علي اي اخبر به فيما رواه احمد عن عمار
ابن ياسر والطبراني عن علي وصهيب وجابر بن سمرة وان اشقاها الذي يخضب هذه
من هذه اي يصبغ لحيته من رأسه بدمهما شبه بالخضاب وهو صبغ يسود به للشيب ايد بهما
واثبت له الخضب بجامع التغير اي اشقى الدنيا اهلا من يفعل به ذلك وهو عبد الرحمن
ابن ملجم قال في المهمات تبعا للنووي في تهذيبه بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة
وانه اي عليا قسيم النار بمعنى ان الناس فريقان فريق معه فهم مهتدون اولياء له
وفريق عليه فهم ضالون اعداء له تدخل اولياؤه الجنة ويكونون معه فيها واعداؤه
النار لا اعلم من رواه فكان ممن عاداه الخوارج وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم
وكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يحقر احدكم
صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم لا يجاوز قراءتهم حناجرهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم وفي رواية مروق السهم من الرمية والناصبة المارقون
من الدين وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه لتركه في زعمهم الكاذب الخلافة
لغيره وهي حقه وفي الحقيقة هم الكفرة الفجرة لا هو رضي الله عنه وروى الشيخان
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يقتل عثمان ورواه الترمذي عن ابن عمر بلفظ

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال هذا مظلوما لعثمان وحسنه وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله عسى ان يلبسه قميصا استعار اسم القميص للخلافة تشبيها
لها به استعارة تحقيقية رشحها بالخالع في قوله يريدون خلعه فان من تابع عليه قد جهدوا
في عزله فلم يرض لنهيه صلى الله عليه وسلم له عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر
الله به ومه سبعين الفا فتتلوا بصفين وغيرها رواه الترمذي وعائشة العطان الخو
صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه
فلا تخلعه لهم وحسنه وانه الضمير للشان يغشوه ما بعده من سيقطر دمه على
قوله تعالى فسيكفيكهم الله رواه الحاكم عن ابن عباس وقال انه موضوع وروى
البيهقي ان الغش لا تظهر ما دام عمر حيا بلفظ خطبنا خالد بن الوليد فقال ان امير المؤمنين
بعثني الى الشام وهو يهمه فلما توفي تواني به بثنية وعسلا اراد ان يوخر به عزلي فقال
رجل اذا كان الناس بذي بلي وذي بلي وبذي كرا الرجل هل يجد ارضا ليس بها مثل الذي
يفرّ منه فلا يجد وفي رواية قال خالد بن الوليد كتب الي امير المؤمنين حين القى الشام بوانيه
بثنية وعسلا ان يسير الى الهند والهند يومئذ في انفسنا البصرة وانا لذلك كاره فقال
رجل يا ابا سليمان اتق الله فان الغش قد ظهرت قال اما وابن الخطاب حي فلا انما تكون
بعده والناس بذي بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه
من الفتنة والشر فلا يجد او لئك الايام التي ذكر رسول الله بين يدي الساعة نعوذ
بالله ان تدركني واياكم او لئك الايام وفي دلائل النبوة للبيهقي من طرق انه صلى الله عليه وسلم
اخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له وذكره علي به يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته
منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا
فعرض له ابنه عبد الله فقال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لتقاتلنه وانت ظالم له ابنه انما جيت لتصلح بين الناس لا لتقاتله فقال قد حلفت
لا اقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر هرب واخبر بنباح
بضم نون نباح كلاب الحواب على بعض ازواجه صلى الله عليه وسلم والحواب بمهملة وهمزة مفتوحتين
بينهما واو ساكنة ماء من مياه العرب بطريق البصرة نزلته لما توجهت للصلح بين علي ومعاوية
فلم يقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل واخبر فيما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس
انه يقتل حولها قتلا كثيرة وتنجو بعد ما كانت فنبحت اي كلاب الحواب على عائشة عند
خروجها الى البصرة فيما رواه احمد وكذا البيهقي بلفظ لما اتت الحواب سمعت نباح الكلاب
فقالت ما اظنني الا راجعة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ايتكن ينبح عليها
كلاب الحواب فقال الزبير ترجعين لعل الله ان يصلح بك بين الناس واخبر فيما رواه الشيخان
ان عمارا هو ابن ياسر تقتله الفئة الباغية ولفظ مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعمار تقتلك الفئة الباغية زاد وقاتله في النار وله تكون امتي فرقتين فتخرج من بينهما
مارقة يلي قتلها اولاهم بالحق ثم الذين قتلهم علي بالنهروان كانوا اربعة الاف ولم يقتل من علي
سوى تسعة فقتله اي عمارا اصحاب معوية بصفين اذ كانوا هم البغاة على علي بنا و بل
بشهادة احاديث قتله وحديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق فكان مع علي وقال
كما تقدم لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك اي مشقة وهلاك بيوبه الحجاج وعذاب

ولم يخف اصحابنا الامر فان الشيخ
دخل وقال وفي الخطابية فلا
الناس ذات بهاله صح

يصلاه ومن شايعه في الاخرة بقتله ظلما وويل لك من الناس في الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة
ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامي وقال فيما رواه الشيخان في فرمان بعاف
مضمومة فزاي ساكنة رجل من المنافقين وقد ابلى مع المسلمين جملة حالية ابانت شجاعته
واقدامه في الجهاد اخبر الله تعالى بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار فقتل نفسه
كما ذكر البخاري في وقعة خيبر بمعجمة وراء وصوبه المصر واقره النووي ومسلم في حنين بمهملة ونون
والخطيب تبعا لاصحاب السير في احد وروى الطبراني والبيهقي من طرق منها موصول ومرسل ومنقطع
انه قال في جماعة فيهم ابو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب اخركم موتا في النار
اي اما ان يحترق بها في الدنيا بشهادة ما في تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة اصابه
كزاز هو داء من البرد او برد شديد لا يكاد يدفو منه فامر بقدر عظيمة فملئت ماء واوقد
تحتها واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفؤه فلم يشعر ان سقط به فاحترق
واما ان يدخلها في الاخرة ثم يخرج منها بشهادة حديث البيهقي عن بعض اهل العلم انه مات
في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل انه يورد النار بقتل زياد
وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجي منها بما نه بشهادة حديث البيهقي عن ابن سيرين
كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام واهله قال عبد الله بن صبيح لابن
سيرين بهذا وبصحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسو
الله فيه الخير فكان بعضهم اي بعض من قال فيهم اخركم موتا في النار يسال عن بعض
بشهادة حديث البيهقي عن ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت ابا هريرة سالني عن سمرة فاذا
اخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا عشرة في بيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وله كان اذا اراد احد ان يغيظ
ابا هريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى عليه ثم مات ابو هريرة قبل سمرة فكان سمرة
اخرهم موتا بشهادة حديث البيهقي عن اوس بن خالد كنت اذا قدمت على سمرة سالني عن
ابي محذورة فسالت ابا محذورة عن سوالهما اياي فقال كنت انا وسمرة وابو هريرة
في بيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخركم موتا في النار فمات ابو هريرة ثم ابو
محذورة ثم سمرة وكان قد هرم وخرف اي اصابه وهن في بدنه وخبل في عقله فاصطلى
فلبث تاوم طاء المجاورتها الصاد اي تدفا فاحترق فيها وله ان استجمر فغفل عنه اهله
حتى اخذته النار وروى ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال صلى الله عليه وسلم
في حنظلة بن ابي عامر الانصاري الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رايت الملايكة
تغسله بعد قتله شهيدا باحد فسالوها فقالت خرج جنبا اعجله الحال عن الغسل
ولعل تعجيبه صلى الله عليه وسلم من غسلهم اياه كان من اجل كونه شهيدا اذ الشهيد لا يغسل
قال ابو سعيد ووجدنا راسه يقطر ماء وروى احمد والترمذي انه قال في الخلافة
في قريش وروى البخاري عن معاوية لن يزال هذا الامر اي الخلافة في قريش ما اقاموا
الدين زاد ولا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه وبهما وامثالهما في احاديث احكمه باختصا
بها لا عقدها لغيرهم اجماعا منا اهل السنة ولا يضرنا مخالفة اهل البدعة وقوله
ما اقاموا الدين قيد للافادة لن يزال من ثبوت الخلافة فيهم مدة اقامتهم الدين ولا يناويهم
احد فيها الا اذله الله مدة محافظتهم عليه فيل المراد بالدين الصلاة لا هو مع اصوله

صح

وتوابعه لان منهم من عزم وبدا له او لم يصرف عنه الامر قلنا ومنهم من ترك الصلاة منهمكا في الملاهي واللذات وشرب الخمور والغنا والقينات ولم يصرف عنه هذا ولعل ذلك كان في الصدر الاول ثم صرف عنهم بعد كما هو الان وروى مسلم والبيهقي قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير اي مهلك من البوار وهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا اي هلكى فراويهما الحجاج بن يوسف كما هو في حديث اسما بنت ابي بكر من طريق مسلم وغيره قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد رايناه واما المبير فلا اخالك الا اياه قال النووي اجمع العلما على ان المبير هو الحجاج بشهادة قول هشام بن حسان بلغنا انه قتل مائة الف وعشرين الفا والمختار ابن ابي عبيد هو الكذاب زعم ان جبريل اتاه الوحي بشهادة حديث البيهقي عن رفاعة بن شداد قال كنت ابطن اي اعرف شي بالمختار فدخلت عليه يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسي فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه وان مسيلمة يعقره الله اي يهلكه قتلا فقتله وحشي بن حرب في قتال اهل الردة زمن ابي بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله وان فاطمة ابنته الزهرا اول اهل بيته لحوقا به اي موتا بشهادة حديث الشيخين عن الزهري عن عروة عن عايشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ستة اشهر وانذر بالردة اي اعلم اصحابه وعرفهم بانها ستكون وخوفهم وحذرهم منها بشهادة حديث الشيخين لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فعل الكفار فانهم معتادون بقتل بعضهم بعضا وانهم متواخون يجمعن دمكم دم بعض وجوز ابو البقا وغيره جزمه وحديث مسلم لا تقوم الساعة حتى تلحق قبايل من امتي بالمشركين وحتى تعبد قبايل من امتي الاوثان وبان الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون اي خلافته صلى الله عليه وسلم ملكا فلا يتسمى بها الا من تمسك بسنته وعدل في رعيته والا فلا يتصف بها واحق ان يدعى ملكا وان جاز ان يدعى خليفة من حيث انه خليفة من قبله وقام بعده وامير المومنين لقيامه بامرهم ولا يقال لاحد خليفة الله بعد ادم وداود فكانت اي الخلافة كذلك اي ثلاثين سنة بمدة الحسن بن علي لان خلافة ابي بكر سنتان وثلاثة اشهر وعشرون يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وخلافة عثمان احدى عشر سنة واحدى عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة علي اربع سنين وعشرة اشهر وتسعة وبتمامها خلافة الحسن وقول سفينة في حديثه امسك اي اضبط حساب مدة الخلافة ابو بكر سنتين وعمر عشرا وعثمان اثنتي عشرة وعلي ستا انما ورد على سبيل التقريب وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر اي ما بعث به من امور الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة حق الخلافة انما هو لمن تمسك بسنته على ما مر ثم يكون ملكا عضوضا بعدي ملكا عضوضا وفي اخرى ثم تكون ملوك عضوض جمع عض بالكسر اي شرس خبيث ثم يكون عتوا وجبرية بالفتح اي قهرا وتكبرا ولفظ البيهقي ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكاينا خلافة ورحمة وكاينا ملكا عضوضا وكاينا عتوا وجبرية

اي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا وفي رواية

وفسادا

وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير ويصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله واخبر اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بشان اويس ابن عامر القرني بالفتح بطن من مراد وهو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وان وغلط الجوهري في نسبته الى قرن المنازل كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا قدر دينار او درهم وله ام كان بها بارا لو اقسم على الله لابره وقال من لقيه فليستغفر له وهذه منقبة عظيمة موذنة باستحباب طلب الدعا والاستغفار من اهل الصلاح وان كان الطالب افضل وبانه خير التابعين ولا ينافيه قول احمد وغيره خيرهم سعيد بن المسيب لان مرادهم بخيريته في العلوم الشرعية لا في كونه اكثر ثوابا عند الله واخبر فيما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر بان امرا يوخرون الصلاة عن وقتها بلفظ كيف انت اذا كانت عليك امرا يوخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تامرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد في رواية اخرى والا كنت قد احرزت صلاتك والمراد تاخيرها عن وقت الاختيار لا عن وقتها بشهادة امره صلى الله عليه وسلم له باعادتها ان ادركها معهم فيه بعد ادايه اياها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقتها ولا جماعة في مقضية والقول بان المراد تاخيرها عن وقتها دعوى بلا بينة يردها ما ذكر من شهود صدق لا تقبل رشوة واخبر فيما رواه احمد والطبراني والبزار انه سيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة كمسيلمة الحنفي والاسود العنسي بالنون والمختار بن ابي عبيد الثقفي وسجاح بمهملتين بينهما جيم قالت زعمت انها نبية في زمن مسيلمة وفي حديث اخر رواه الشيخان عن ابي هريرة ثلاثون دجالا كذابا احدهم الدجال الكذاب الاعور الذي يقتله عيسى بن مريم ولفظهما ان بين يدي الساعة ثلاثين دجالا كذابا كلهم يكذب على الله ورسوله وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار والطبراني بسند صحيح يوشك اي يقرب ويدنو ويسرع ان يكثر فيكم العجم اي ذووا الالسنة العجم لا ابنا فارس فقط ياكلون باستيلايهم قهرا فيئكم اي ما افاء الله عليهم من مال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب ويحتمل ان يريد به نفس ما لهم فيا لحصوله لهم بلا مشقة ويضربون رقابكم فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم وقد شاهدناه في دولة الترك ومن بعدهم وقال فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان ولفظهما لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه اي يسوسهم ويسير عليهم مسخرين له كراعي غنم يسوقها بعصاه وقحطان ابو اليمن وقال صلى الله عليه وسلم خيركم ولفظهما خير امتي قرني ثم الذين يلونهم اي اصحابه ثم تابعوهم ثم الذين يلونهم اي تابع تابعيهم تابعيهم اذ القرن اهل كل زمان من الاقتران وكانه المقدار الذي تقترن فيه اعمارهم واحوالهم ولا يلزم من عموم رواية خير الناس قرني تفضيل اصحابه على الانبيا اذ المراد مجموع القرن جملة اجمعية افرادا ثم مثالها في مثل الافضل فالافضل لتراخي الرتبة نزولا لحديث تقع فيه الاشتراك في الخيرية فخرج عنه ما بعد الموصوف اعني ما افاده قوله ثم ياتي بعد ذلك قوم وفي رواية لهما ثم ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون اي يبادرون بتادية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداوها فلا تقبل منهم ولا يعمل بها لادايه اياها قبل طلبه منه ولا معارضة بينه وبين حديث خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل

اذ يسالها لحملهم ذلك على من بادر باداءها وصاحبها عنده علم بها فيشهد قبل ان يطلبها منه
وهذا اعلى من عنده شهادة جهل صاحبها انها عنده فيعلمه بها ليستشهده عند حاجته
اليها **ويخونون ولا يؤتمنون** اي خيانة ظاهرة بحيث لا يامنهم احد بعدها بخلاف
من خان بحقير مرة واحدة فانه لا يخرج بها عن كونه مؤتمنا في بعض المواطن **وينذرون**
بضم المعجمة وكسرها **ولا يوفون** بنذرهم من اوفى يوفي رباعيا وفي رواية يفون من وفى
يفي ثلاثيا حذفت واوه تخفيفا لوقوعها بين فتحة وكسرة وابقيت في الرباعي تخفيفا لوجود
الضمة قبلها **ويظهر فيهم السمن** اي يتشبعون ويتكثرون بما ليس فيهم وفيهم من شرف ومال
وغيرهما ليشهد له حديث يكون في اخر الزمان قوم يتسمنون اي يتعاطون اسباب السمن
من ماكل ومشارب ونحوها ويشهد له حديث ويل للمتسمنات يوم القيامة من فترة في
العظام اي اللاتي يستعملن السمنة وهو دواء يتسمن به قيل المذموم منه ما يكتسب لا ما هو
خلقي وفي رواية ويخلف قوم يحبون السمانة بفتح المهملة اي السمن ناباه بشهادة قوله
صلى الله عليه وسلم لمالك بن الصيف الحبر في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين فقال نعم
قال له فانت الحبر السمين فقال ما انزل الله على بشر من شيء فعمومه الخلقي والمكتسب **وقال**
لا ياتي زمان من الازمنة الا والذي بعده شر منه جملة وردت صفة لزمان والاولى
عدم توسط الواو بينهما لكن لما شابهت الصفة الحال في نحو جاء زيد عليه ثوب وجاء وعليه
ثوب توسطت لتاكيد لصوقها بموصوفها كما في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
ولفظ البخاري قال الزبير بن عدي اتينا انسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا ياتي
زمان الا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم فاورده بلا واو وهو القياس
كما مر وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وفي رواية اشر بزيادة الف وهو واخير
اصلان في التفضيل تركا فلا يكاد ان يستعملان والمتعارف فيه خير وشر **وقال**
فيما رواه الشيخان **هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش** تصغير اغلمة جمع غلام ولم
يرد جمعه على اغلمة بل على غلمة ومثله اصيبية تصغير صبية واراد بالاغيلمة الاحداث
تصغيرهم **قال ابو هريرة رواية** اي راوي هذا الحديث **لو شئت سميتهم بنو فلان**
وبنو فلان كناية عنهم كيزيد بن معاوية فانه قد عاث في الناس وبعث الى المدينة المنورة
مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة ايام فقتل من خيار اهلها كثير فيهم ثلاثة من الصحابة
وازيلت بكارة الف عذراء ولقب مسرفا لسرفه قتلا وظلما وكبني مروان بن الحكم بن
ابي العاص فلقد صدر منهم ما لا يرضي الله ورسوله ومن ثم تبرا منهم النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الشيخان قال ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء ولكن ليس لهم رحم
سابلها ببلالها فالمكني عنه هو الحكم بن ابي العاص وبنوه فانه انما كنى عنهم بعض
رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ كانوا ولاة الامر وتقدم له مزيد بيان **واخبر**
فيما رواه الترمذي وابو داود والحاكم **بظهور القدرية** فقال القدرية مجوس هذه
الامة اشارة الى مدح امته وذمهم جعلهم مجوسا لاتصافهم بشنعاء بها ضاهى مذهبهم مذهب
المجوس في قولهم باصلين نور وظلمة زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر
من فعل الظلمة واسمه اهرمن والقدرية زعموا خالقين خالق خير وهو الله وخالق شر
وهو الانسان مع ان الله عندنا هو الخالق لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما امضا فان

الله تعالى خلقا وايجادا او الينا عملا او اكتسابا **و** اخبر فيما رواه البيهقي من طرق كلها ضعيفة
والبزار **بظهور الرافضة** بلفظ يكون في امتي قوم في اخر الزمان يسمون الرافضة
يرفضون الاسلام وفي رواية ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون **و** اخبر فيما رواه
ابو القاسم البغوي عن عائشة مرفوعا **بسب اخر هذه الامة اولها** بلفظ لا تذهب
هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وهو على ظاهره اذ قد صدر من الرافضة وغيرهم ممن لا خلاق
لهم في حق اكابر الصحابة وغيرهم ما يتعاظم في النفس ذكره مع تكفيرهم ورميهم بعظائم
هم برآء منها خافت ممن صدرت منه وربما حمل اللعن على طعن الخلف في السلف وذكرهم لهم بما لسوء
وعدم اعتدادهم باعمالهم الصالحة فكانه لعن لهم وللترمذي من حديث طويل عن ابي هريرة
ولعن اخر هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وايات تتابع بع
كنظام قطع سلكه فتتابع تتابع بيا تحتية بعد الالف حذفت احدى تاءيه تخفيفا والاولى على
كونه مضارعا من التتايع وهو الوقوع في الشر من غير فكرة ورؤية ومنه قول الحسن بن علي ان
عليا اراد امرا فتتايعت عليه الامور فلم يجد منزعا وتتابع بموحدة من التتابع في الخير
وقلة الانصار اي اخرها فيما رواه البخاري عن ابن عباس خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس
يكثرون وتقل الانصار **حتى يكونوا كالملح في الطعام** فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما
وينفع اخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم **فلم يزل امرهم يتبدد** من التبديد
وهو التفريق **حتى لم تبق لهم جماعة** لان ايواءهم النبي صلى الله عليه وسلم ونصرهم له قد
انقضى زمانه فلم يبق يلحقهم فيه لاحق كما لم يسبق ساواهم فيه سابق فكلما مات منهم واحد
لم يخلفه احد فبذلك كثر غيرهم وقلوا ويجري هكذا فيمن هاجر اليه في زمنه الى المدينة
واخبر انهم اي الانصار **سيلقون بعده اثرة** بفتح الهمزة والمثلثة من اثر يؤثر ايثارا اذا اعطى
اي تفضيلا لغيركم وعليكم في نصيبه من الفيء والاستيثار الانفراد بالشيء رواه الشيخان
من حديث طويل فيما افاء الله على رسوله من اموال هوازن بلفظ انكم سترون بعدي اثرة
فاصبروا حتى تلقوني على الحوض **و** اخبر فيما رواه الشيخان من طرق **بشان الخوارج**
على علي بالنهروان اربعة الاف فقتلهم وقتل ممن معه تسعة **ووصفهم** اي اخبر بها فقال فرقة
يحسنون القول ويسيئون الفعل والعمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء يقرؤن
القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون
اليه حتى يرتد الى فوقه شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم **والمخدج** اي
اخبر بناقص الخلق **الذي فيهم** بان احدى يديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر **وان سيما** ثم
التحليق اي علامتهم حلق شعور رؤوسهم **ولو ترى** لم يرد به مخاطبا معينا بل كل من يتاتى توجيه
الخطاب اليه كما في ولو ترى اذ وقفوا على النار **رعاء الشاء رؤوس الناس والعراة الحفاة**
يتبارون في البنيان لم ار من رواه بهذا اللفظ وروى الشيخان معناه
ببعض الفاظه ولمسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ولهما
وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وللبخاري واذا كانت الحفاة العراة
رؤوس الناس فذاك من اشراطها وله واذا تطاول رعاء الابل البهم في البنيان اي تفاخروا
في طول بناء بيوتهم ورفعته يقال تطاول الرجل اذا تكبر اي اذا انقلبت احوال الناس

بتغير الزمان رايت اهل البوادي ممن لا لباس له ولا نعل من رعاة الابل والشا يتوطنون
البلاد ويبنون الدور والقصور يتباهون بها وكذا اذا رايت الصم البكم ملوك الارض
فذاك من امارات الساعة والصم في الاصل من خلق لا سمع له والبكم من خلق اخرس لا يتكلم
اريد بهم الرعاع الجهال فانهم لا ينتفعون بسمع ولا بنطق كبير لعدم هدايتهم وقبولهم
الحق من صمم وبكم البصيرة لا من صمم الاذن وبكم اللسان وان تلد الامة ربتها الرب
لغة المالك والسيد والمدبر والربي والقيم والنعم ولا يطلق على غير الله الا مضافا
او اريد به هنا السيد يعني ان ولدها من سيدها كسيدها حسبا ونسبا وانثه نظرا
لكونه نسمة ذكرا كان او انثى وهذا وما ذكر سابقا ولاحقا من اعلام الاخبار بالغيب
ودلايل النبوة اذ فيه تلويح بكثرة السبي والتسري بعد ظهور النعمة بنبوة الاسلام
واعلاء كلمة الحق باستيلاء المومنين على من ناواهم من الكفرة وبانذاره بان غاية التراجع
والانحطاط المؤذن بقيام الساعة وفيما رواه البخاري ان قريشا لا يغزونه ابدا لعله صلى
الله عليه وسلم قاله بعد الاحزاب واحزاب قد غزوه فيهما وكانه صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم
باصحابه لفتح مكة واكده بان واسمية الجملة وضمير الفعل لتحقق وقوعه وقصر عليه ثم
لا يغزون بعد بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعده اي لا يغزون
فيغزون وقوله لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة اي لا تعود مكة دار كفر تغزى
عليه وقيل لا يغزوها كفار ابدا فان المسلمين قد غزوها مرات ويرده حديث تغزى
عليه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة بقلعها حجرا حجرا واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح
بيت المقدس رواه البخاري عن عوف بن مالك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك وهو في قبة من ادم رجالا ان منه صلى الله عليه وسلم متداخلتان فقال اعدد
ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم ثم
استفاضة المال حتى يعطى الرجل ماية دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من بيت
العرب الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فياتونكم تحت ثمانين غاية
تحت كل غاية اثنى عشر الفا والموتان وزن طوفان طاعون يصيب الناس واصل
وقوعه في الماشية تشبيها ده قوله كقعاص الغنم بضم القاف دا ياخذها فتموت سريعا فنبه
في الحديث على ان وقوعه في الناس كوقوعه في الغنم يسلب سلبا سريعا وفي الحديث من
قتل قعصا فقد استوجب المآب اي حسن المرجع بعد الموت وكان ذلك في خلافة عمر
بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات
به سبعون الفا في ثلاثة ايام هدنة وغاية بمعجمة ومثناة تحتية اي راية وروي بباء
موحدة تشبيها لكثرة رماح العسكر بها وبنوا الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه
كان اصفر وهو روم بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم وما وعد من سكنى البصرة فيما
رواه ابو داود عن انس انه صلى الله عليه وسلم امره ان يسكن ضواحيها اي نواحيها الظاهرة اذ
الضاحية كل شي ناحية البارزة ومن قيل قريش الضواحي اي النازلون بظاهر مكة ولفظه
قال يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة فان انت مررت بها
او دخلتها فاياك وسباخها وكلاها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون
بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير اي يمسخون عبر

عنه

عنه بما سوا شفع منه وكلاهما بتشديد اللام والمدساحي النهر الذي يكلبون به
السفن اي يحبسونها بربطها فيه واخبر فيما رواه الشيخان انهم اي ناس من امته
يغزون في البحر كالملوك على الاسرة بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل
على ام حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما فاطعمته ثم جلست
تفلي راسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت ما يضحكك قال ناس من امتي عرضوا علي غزاة في
سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة او كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله ان يجعلني منهم
فدعا لها ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت ما يضحكك فقال كالاول فقالت ادع الله ان يجعلني
منهم فقال انت من الاولين فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه
فهلكت وام حرام بمهملتين وميم بينهما الف من بني عدي بن النجار واخت ام سليم امراة ابي طلحة
ام انس بن مالك ودخوله صلى الله عليه وسلم عليها كان لمحرمية بينهما من حيث ان ام جد عبد
المطلب من بني النجار وملوكا حال من ضمير يركبون اي يركب الملوك لسعة حالهم واستقامة
امرهم وكثرة عددهم وثبج كل شي بمثلثة فموحدة مفتوحتين وسطه شبه ثبج البحر بظهر
الارض والسفينة بالسرير فجعل جلوسهم عليها كجلوس الملوك على سررهم تلويحا بانهم بذلوا
انفسهم وركبوا هذا الامر العظيم بوقار ونشاط وقوة تمكن كالملوك واخبر فيما رواه الشيخان
ان الدين اي الايمان لو كان منوطا بالثريا او معلقا بها لناله رجال من ابناء فارس
المشهودون الآن باسم العجم ولفظهما عن ابي هريرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت
سورة الجمعة فلما نزلت واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هم يا رسول الله فوضع يده على
سلمان الفارسي ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هولاء وهذا اعلى عطف
اخرين على الاميين اي بعثه في الاميين الذين في عصره وفي اخرين منهم لما يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون بهم وهم التابعون وجمع اسم الاشارة مع كون المشار اليه واحدا اعني
سلمان لارادة الجنس ولو هنا لمجرد الفرض مبالغة لحدة ذكائهم وقوة فطنتهم وروى مسلم
عن جابر هاجت ريح اي هبت بشدة والنبي صلى الله عليه وسلم في غزاته بتبوك من ارض
الشام فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك اي موت
المنافق الذي ذكر قد راهقته الى الهاوية وقال فيما رواه الطبراني عن رافع بن
خديج لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار مثل احد تلويحا بانه يموت كافرا بشهادة
حديث ضرس الكافر في النار مثل احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني بقوله ذهب
القوم ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ناحية معروفة من الحجاز
مدينتها العظمى حجر اليمامة واعلم فيما رواه ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد ببني حنيفة
فقد غل سمي غلولا من حيث انه لا يدري فيها مغلولة اي ممنوعة شرعا كان فيها غل وهو حديدة
تجمع يدي الاسير الى عنقه ويقال لها جامعة ايضا خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله
بعد موته واعلم فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة بالذي غل الشملة كساء يشتمل به الرجل
بلفظ اهدى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا
لرسول الله جاءه سهم عاير فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنايم قبل القسمة
لتشتعل عليه نارا وعاير بمهملة ومثناة اي حايد عن قصده لا يدري من رماه من عار

العزيز اذا اقبلت ذاهبا على وجهه كلا ردع لهم عن قولهم هنيئا له الجنة و زجرا لهم
عن قطعهم بانه فيها يتنعم موكدا له بالقسم اعتراضا بين اداة الردع وان واسمها وبين
اشتعالها عليه نارا مبالغة كانها نفسها نار و اعلم فيما رواه البيهقي من ضلت ناقته حين هي
اي بالمكان الذي هي فيه حين ضلت و اعلمه ايضا كيف تعلقت بالشجرة بخطامها اي
رسنها و اعلم فيما رواه الشيخان عن علي بشان كتاب حاطب ابن ابي بلتعة الى اهل
مكة كسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية من مسلمة الفتح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار
اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم او الى
غيركم فعليكم الحذر و اعلم فيما رواه ابن اسحاق والبيهقي والطبراني بقصة عمير بن وهب بن
خلف مع صفوان بن امية بن خلف حين ساره صفوان بقتله صلى الله عليه وسلم و ساره
على ان يجعل له جعلا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فخاف سعيهما فلما جاء عمير قاصد القتل
واطلعه صلى الله عليه وسلم على الامر الذي جا قاصدا له و السر الذي كان بينهما اسلم عمير
وفاز بنعيم مقيم في جنة طيبة ومقام كريم و اخبر فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم
وصححه والبيهقي عن الزهري وغيرهم مرسلا بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل
بنت الحارث زوجته حين خرج مع كفار قريش الى بدر واسر بها بعد ان كتمه اي اخبره بعد
كتمانه اياه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم بعد ان فدى نفسه فقيل له لم لم تسلم
قبل الفدا ليبقى لك ما افتديت فقال لم اكن لاحرم المومنين مما طمعوا فيه من مال و اعلم فيما
رواه البيهقي عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه سيقتل ابي بن خلف قد تقدم
بيانه وانه صلى الله عليه وسلم جرحه باحد في عنقه فمات بسرف و قال في عتبة ابن ابي لهب انه
ياكله كلب من كلاب الله قد مر بيانه وان الصواب انه اخوه عتيبة مصغرا وان المكبر
اسلم وصحب ابن عمه محمدا صلى الله عليه وسلم و اخبر فيما رواه مسلم عن مصارع اهل بدر
اعلام الكفر من قريش الذين قتلوا بها هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فكان كما قال
لم يخط منها واحد و قال فيما رواه الشيخان وغيرهما من طرق في الحسن بن علي بن ابي طالب
ان ابني هذا سيد اي حليم كريم بشهادة و سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين مما جماعته
وجماعة معاوية قال الحسن البصري فلما ولي ما اهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما
سلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الكيس
الكيس التقي وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعوية
حق لامرئ كان احق به مني او حق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن
دمائهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفي رواية خطب معاوية
ثم قال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن
دماءكم باخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه قل ان ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم
ومتاع الى حين و فيما رواه الشيخان لسعد هو ابن ابي وقاص في مرضه بمكة وقد قال له
سعد اخلف عن اصحابي لعلك تخلف حتى ينتفع اقوام و يستضر بك اخرون زاد اللهم
امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من رد بهم
على اعقابهم بموتهم فيها و اخبر فيما رواه البخاري عن انس بقتل اهل موتة امرا غزوتها
فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر بن ابي طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة
فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه و بينهم اي بين المخبر والمخبر عنهم
مسيرة شهر او ازيد بل اقل من شهر لانها من ارض البلقاء اخر حوران الشام الى جهة المدينة
الشريفة وموتة بالهمز وعدمه و اخبر فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة بموت النجاشي يوم
مات سنة سبع من الهجرة وصلى عليه صلاة الغائب اذ كان امن به و هو في ارضه حال من النجا سبي
واسمه اصحمة بمهملتين اي بحر بموحدة فجيم فراء وقد مر بيان مناقبه و اخبر فيما رواه
البيهقي فيروز و زير كسرى ملك فارس اذ قد ورد عليه اي على رسول الله رسولا من كسرى
بموت كسرى ذلك اليوم اي يوم وروده عليه او يوم مات فلما حقق فيروز القصة اي ما قصه
عليه من موته اسلم ففاز فوزا عظيما و اخبر ابا ذر فيما رواه احمد بتغريبه من المدينة الى الر بذة
فكان كما كان كذا ورد لكن في دلائل النبوة للبيهقي ان امرأة ابي ذر قالت والله
ما سير عثمان الى الربذة ولكن قال له رسول الله اذا بلغ البناء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاوز
خرج ابو ذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها و اخبر فيما رواه احمد وابن را هويه
وابن ابي اسامة والبيهقي بعيشته وحده وموته وحده فكان كما اخبر ولفظ البيهقي
قالت ام ذر لما حضرت ابا ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك فقلت ومالي لا ابكي وانت تموت
بفلاة من الارض وليس عندي ما يسعك كفنا لي ولا لك قال فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة
من المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات في قرية وجماعة فانا ذلك الرجل فابصري
الطريق فبينما انا وهو كذلك اذا انا برجال على رحالهم كانهم الرخم فالحموا بي فاسرعوا
حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال ثم قال انتم تسمعون انه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي او
لامرأتي لم اكفن الا فيه اني انشدكم الله ثم انشدكم الله ان يكفنني رجل منكم كان اميرا او عريفا
او بريدا او نقيبا وليس منهم احد الا وقد قارف ما قال الا فتى من الانصار قال انا اكفنك يا عم في
ردائي هذا او ثوبين في عيبتي من غزل امي قال فكفني فكفنه وقاموا فدفنوه فاخبر فيما رواه
مسلم ان اسرع ازواجه لحوقا به اطولهن يدا فكانت زينب بنت جحش اسرعهن لحوقا به لطول
يدها بالصدقة ولفظه عن ام المومنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعكن
لحوقا بي اطولكن يدا فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا فكانت زينب اطولنا يدا لانها كانت تعمل
بيدها وتصدق و رواه الشعبي مرسلا فقال قلن لرسول الله اينا اسرع لحوقا بك قال
اطولكن يدا فاخذن يتذارعن ايتهن اطول يدا فلما توفيت زينب علمن انها كانت اطولهن
يدا في الصدقة وللبخاري عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله عليه وسلم فقلنا له اينا اسرع
لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة اطولنا
ذراعا فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها
كان الصدقة وكانت تحب الصدقة وهو مخالف لحديث مسلم والشعبي مع منافاة ما افاده من لها
ان اطول يدها كان بالصدقة من انهن طول معنى لما افاده قولها كانت اطول يدا بالصدقة
واسرع لحوقا به و اخبر فيما رواه البيهقي من طرق بقتل الحسين بن علي بن ابي طالب بالطف

بطاء مفتوحة ففاء مشددة مكان بناحية الكوفة واخرج بيده قربة وقال فيها مضجعه
ولفظ احمد عن عايشة ان جبريل كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل
من هذا فقال ابني فقال ستقتله امتك وان شئت اخبرتك بالارض التي يقتل فيها فاشار جبريل
بيده الى الطف من العراق فاخذ تربة حمرا فاراه اياها وقال فيما رواه بن عدي والبيهقي في
زيد بن صوحان بمهملتين الاولى مضمومة وبينهما واو يسبقه عضو الى الجنة فقطعت يده
في الجهاد ولفظ البيهقي عن علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه
بعض اعضايه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان في اسناده هذيل بن بلال ضعفه البيهقي وقال
في الذين كانوا معه على حرا وقد تحرك بهم كما مر اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد ولفظ
مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت
فقال اهدأ فما عليك الا نبي او صديق او شهيد زاد بعضهم سعد امكان علي فقتل عمر وعثمان
وعلي وطلحة والزبير وطعن سعد ولم تناله الشهادة وقال فيما رواه البيهقي لسراقة بن
مالك بن جعشم كيف بك اسم مبهم يستفهم به عن الحال اي كيف حالك اذا لبست سواري كسرى
بعد سلبه ملكه وامواله وسلب ذراريهم مع فرط عتوه وشدة شكيمته فعبر الآتي بالسرور وما
قرنه عينك وهي من عطفك فهو استفهام استخبار وتعجب عن حاله التي يكون عليها
لبسهما لا ينبئك عن حالة يقع عليها بشهادة ان كل موجود لا ينفك عن حال عند وجوده فاذا
وجدت لزم وجوده بطريق البرهان فكنى بوجودها عن وجوده فهو كناية بالملزوم عن اللازم فلما
اتي عمر البسهما اياه اظهارا لصدقه صلى الله عليه وسلم ولو قال البسه اياهما لكان اولى وقال
الحمد لله الذي سلبهما كسرى بالكسر والفتح لقب ملك الفرس والبسهما سراقة بدويا من اعراب
بني مدلج سكان نهاب الريح من كل ما ضغ قيصوم وشيح وقال فيما رواه ابو نعيم في الدلايل عن
جرير بن عبد الله والخطيب في تاريخه تبنى اي في زمن ابي جعفر الدوانيقي ثاني خلفا بني العباس
مدينة بين دجلة بمهملة مكسورة فجيم ساكنة نهر بالعراق مشهور ودجيلة مصغر نهر بلاد
هو ازجرم ازدشير بن بابك اول ملوك بني ساسان بالمداين عليه مدن وقرى كثيرة مخرجه من
اصبهان وبين قطربل بقاف مضمومة فمهملة ساكنة فرا مفتوحة مشددة مضمومة فلام
موضع بالعراق ومن انهاره الصراة بمهملة مفتوحة تجبي اي تجمع وتجلب اليها خزاين الارض
لانها صارت دار ملك عضوض اصاب الناس فيه عسف وظلم كانت عضهم بانيابه وقد عظم بعسفه
يخسف بها لان بناها اسس على شفا جرف هار ربيبي ان النبي صلى الله عليه وسلم سماها بغداد وقد
مر بيان لغاتها قال احمد بن حنبل لم يحدث به اي بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف
وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه هذا منكر وقال فيما رواه احمد سيكون في هذه الامة
رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه ورواه البيهقي عن سعيد
ابن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من امها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسام سمي باسما فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل
يقال له الوليد لهو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي فكان الناس يرون انه الوليد
ابن عبد الملك ثم راينا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك لفتنة الناس به اذ خرجوا عليه
لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة وقال فيما رواه الشيخان لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فيتان دعواهما واحدة مني الاسلام فكان كما قال في خروج صفين فقال صفوان

ابن عمرو كان اهل الشام ستين الفا فقتل منهم عشرون الفا واهل العراق مائة وعشرين
الفا فقتل منهم اربعون الفا وقال لعمر فيما رواه البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسين بن
محمد مرسلا في سهيل بن عمرو وقد قال له عمر يا رسول الله دعني انزع ثنيته فلا يقوم
خطيبا في قومه ابدا فقال دعها عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك اي
مثل ما قال صلى الله عليه وسلم فانه قام عند الكعبة بمكة مقام ابي بكر بالمدينة يوم بلغهم
موت النبي صلى الله عليه وسلم بنحو خطبته فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد
مات والله حي لا يموت وخطبة ابي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد
الله فان الله حي لا يموت وثبتهم وقوى بصايرهم قال البيهقي ثم لحق في ايام عمر بالشام
مرابطا في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس وروى ابن اسحاق والبيهقي عن يزيد
ابن رومان وعبد الله بن ابي بكر مرسلا ووصله بن منده في معرفة الصحابة عن بجير بن
بجرة الطاي انه صلى الله عليه وسلم قال لخالد هو ابن الوليد حين وجهه لاكيدر
دومة الجندل بهمزة مضمومة فكاف مفتوحة فيا تحتية ساكنة فدال مكسورة اختلف
في اسلامه ودومة بضم المهملة وقد تفتح موضع بين مكة وبرك الغماد او الحجاز والشام
سميت بدومان بن اسماعيل لانه كان ينزلها انك تجده يصيد البقر يعني بقر الوحش
فوجدت هذه الامور كلها منها ما وقع في حياته ومنها ما وقع بعد موته كما قال صلى
الله عليه وسلم منتهية او مضمومة الى ما اخبر به جلساه من اسرارهم وبواطنهم
بيان لما اي اخبرهم بما اضمروه فيها كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه
ليس في القوم خير منك قال نعم والى ما اطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم كاطلاع
الله له على قولهم في غزوة تبوك وهم سايرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد
ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمهم به فقالوا لا والله ما كنا
في شيء من امرك وامر اصحابك بل كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
فوبخهم الله وكذبهم بقوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون وما اطلع عليه من
قولهم فيه وفي المومنين كقول عدو الله المنافق عبد الله بن ابي لاصحابه وقد استقبله نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا كيف ارد هولاء السفها عنكم فاخذ بيد
ابي بكر وقال مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه
حتى ان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة
البطحا كقول ابي سفيان بن حرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة في البيت
وقد امر بلالا ان يوذن فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم الله اسيدا ان لا يكون سمع
هذا فيسمع ما يغيظه منه فقال الحارث بن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته فقال
ابو سفيان لا اقول شيا لو تكلمت لاخبرته عني هذه الحصبا فلما خرج قال لهم لقد علمت
كان معنا فنقول اخبرك والحصبا كالبطحا حصى صغار وبطحا الوادي وابطحه حصاه في
بطن المسيل ومنه حديث انه صلى الله عليه وسلم صلى بالابطح اي ابطح مكة وهو مسيل واديها

الذي فلم اخبرهم فقال عتاب والحارث
نشهد انك رسول الله ما اطلع
على هذا احد صح صح

وجمعه بطاح واباطح ومن ثم قيل قريش البطحا لنزولهم اباطح مكة وبطاحها وفي حديث
عمر انه اول من بطح المسجد اي القى فيه البطحا وفي حديث عايشة ليس التحصيب بشي اراد
به النوم ساعة بالمحصب عند الخروج من مكة والنزول به وكان صلى الله عليه وسلم نزل
من غير ان يسنه للناس فمن شاء حصب ومن شاء فلا والمحصب بين مكة ومنى وهو الى
منى اقرب واعلامه صلى الله عليه وسلم كما في رواية الشيخين عن عايشة بصفة السحر الذي
سحر به لبيد بن الاعصم من يهود وكونه في مشط ومشاقة وفي رواية ومشاطة
وهي ما سقط من شعر الراس او اللحية عند التسريح بالمشط في جف اي وعا طلع نخلة
ذكر وانه اي السحر فيما ذكر ألقي في بئر ذروان بالمدينة لبني زريق وبالواو قيل الراوية
بين قديد والجحفة فكان اي السحر في البير كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك
الصفة من كونه في مشط ومشاقة وجف طلع نخلة ذكر واعلامه قريشا كما رواه البيهقي
عن الزهري بأكل الارضة بفتح الهمزة والراء دويبة تاكل الخشب بشهادة ما دلهم على موته
الا دابة الارض تاكل منسأته اي عصا سليمان والارض بسكون الرا فعلها اضيفت اليه
يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا اي تناصروا
وتعاونوا بها على بني هاشم وقطعوا بها ارحامهم اي قرابتهم ممن جمع بينهم وبينهم نسب
واعلامه اياهم انها اي الارضة ابقت فيها كل اسم لله وروى ابن ابي الدنيا في سيرته
مرسلا انها لم تترك فيها اسما لله الا لحسته وبقي فيها ما كان من شرك او ظلم او قطيعة رحم
فوجدوها اي الصحيفة كما قال من انها اكلت ما فيها ولم تبق الا ما ذكر ووصفه كما اسر
لكفار قريش صبيحة ليلة اسري به ببيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا ونعته
واعلامهم مصدر مضاف الى مفعوله اي اعلامه اياهم بعيرهم اي بقافلة ابلهم من عار
اذا سار التي مر عليها في طريقه راجعا من مسراه على البراق وانذارهم بوقت وصولها
يتقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك كله ووجد كما قال صلى الله عليه وسلم الى اي مع ما
اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد من الغايات المبنية على الضم المنقطعة
عن الاضافة لفظا لا معنى اي لم تقع عقب زمن اخباره بعد ازمان متباعدة ومنها
اي من الحوادث التي تكون ما ظهرت مقدماته كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
ابو داود عمران بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيه خراب
يثرب خروج الملحمة اي ظهور الحرب ماخوذ من اشتباك اصحابها واختلاطهم فيها كاشتباك
لحمة الثوب بسداه فهو استعارة مجردة لاقترانها بما يلايم المشبه وخروج الملحمة
فتح القسطنطينية دار ملك الروم فكل سابق مما ذكر علامة مستعقبة للاحقه ومن
ثم جعله صلى الله عليه وسلم نفس لاحقه فعبر عنه به لاستعقابه له والى ما اخبر به من
اشراط الساعة لحديث الشيخين ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا
وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد واشراطها علاماتها
جمع شرط بفتحتين وسبب كثرة النساء وقلة الرجال في اخر الزمان تراكم الملاحم والحروب
التي يكثر فيها قتلهم وايات حلولها اي علاماته المؤذنة بها حديث مسلم لن تقوم الساعة
حتى ترون قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس
من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج وماجوج وثلاث خسوفات خسفا بالمشرق

وخسفا

وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى
محشرهم وذكر الحشر الذي هو كما حكى النووي عن العلما اخر اشراطها في اخر الدنيا
قبل النفخة الاولى نفخة الصعق اي الموت بشهادة ذكره مع ايات حلولها وقوله صلى
الله عليه وسلم وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم وفي حديث مسلم يحشر الناس اي
احيا الى الشام على ثلاث طرايق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة
على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا
وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا اما حشرهم بعد بعثهم من القبور
فعلى خلاف هذه الصفة من ركوبهم الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم
حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون وذكر النشر اي البعث وهو اعادة ما افناه
واعدمه وذكر اخبار الابرار بكل ما يسرهم وتقر به اعينهم وهم جمع بر او بار كرب
وارباب وصاحب واصحاب وذكر الفجار بما يسوءهم ويبكي اعينهم جمع فاجر وهو المنبعث
في المعاصي والمحارم وفي الحديث ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله
وبر وصدق فسماهم فجارا لما يصدر منهم في معاملاتهم من الايمان الكاذبة والغش والربا
بما لا يتحاشاه اكثرهم ولا يخشون عاقبته وذكر الجنة والنار وعرصات القيامة بما ورد
فيها من صحيح الاخبار واثار الاخيار بما يسر ويسوء والعرصات محركا جمع عرصة وهو كل موضع
واسع لا بناء فيه فصل في عصمة الله له من الناس اي منعه له منهم اذ العصمة المنع
والعاصم المانع الحامي وفي المدح ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمال اليتامى
عصمة للارامل الثمال بكسر المثلثة الملجا والمغيث اي هو ملجاوهم ومغيثهم ومانعهم
من الضياع والحاجة وكفايته مصدر مضاف الى فاعله اي كفاية الله اياه من اعدائه
بشهادة فسيكفيكهم الله قال الله تعالى شاهدا لعصمته منهم والله يعصمك من
الناس وعدله بالحفظ والكلاءة اي يمنعك منهم وقال تعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا تمثيل لكثرة اسباب الحفظ اي فانك في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك
واورد الاعين جمعا مناسبة لضميرها وقال اليس الله بكاف عبده انكار النفي
مبالغة في اثبات الكفاية له قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين اذ قالوا له انا نخاف
ان تخبلك الهتنا وتمشي عليك معرتها لعيبك اياها وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث خالد لد
ابن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم
لها شي فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من
دونه تهكم بهم اذ خوفوه ما لا يقدر على نفع او ضر وقيل غير هذا اي غير القول
بقصر العصمة على محمد بل كافيه وكافي غيره بشهادة قراءة حمزة والكسائي بكاف عباده
اي من كل سوء وبلاء وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية قد مر مع بيان معناهما وقد استدل هنا شاهدا لعصمة الله اياه مع ما ذكر
من الاي حديث الترمذي عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس
من اعدايه حذر قتلهم به حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج راسه
من القبة هي بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب فقال لهم يا ايها الناس
انصرفوا فقد عصمني ربي من مكر اعدايي واغتيالهم اياي وروي انه صلى الله عليه وسلم

كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها من القيلولة وهي الاستراحة
نصف النهار وان يكون معها نوم ومن شعر الهاتف بمكة في حديث الهجرة
جزى الله رب الناس خير جزائه ◦ رفيقين قالا خيمتي ام معبد ◦ اي نزلا فيها عند
القايلة وقد عدي الفعل بلا حرف الجر فاتاه اعرابي من الاعراب ساكني البادية دون
الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس سواء اقام
بالبادية او المدن لا واحد له من لفظه والنسبة اليه عربي فاخترط سيفه اي سله من
غمده ومرجع ضميره اما هو او رسول الله ثم قال من يمنعك مني فقال اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله اي يمنعني منك فرعدت مما سمع مبنيا للمفعول كعنيت اي تحركت تضطرب
من الخوف يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
حذف مبني لتذهب النفس كل مذهب ممكن اي دما ونحوه فنزلت هذه الاية والله يعصمك
من الناس لا ادري من رواه بما فيه من الزيادة وفي الصحيح للبخاري وغيره وان غورث بن الحارث
كما تقدم هو صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه
وقال جئتكم من عند خير الناس وهو كما قال سيدهم واكرمهم عند الله وقد حكى مثل
هذه الحكاية وانها جرت له ببدر وقد انفرد من اصحابه جملة حالية من ضمير له اي جرت
منفردا عنهم لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين مثله اي مثل قوله من يمنعك او مثل
ما حكي من انه اخترط سيفه الى اخره فرده الله خاسيا وقد روي كما في سيرة ابن اسحاق الكبرى
موصولا عن جابر بن عبد الله انه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها في غزوة غطفان بذي
امر بتخفيف موضع من ديارهم معروف فخرج صلى الله عليه وسلم اليه محاربا مع رجل اسمه
دعثور بضم المهملة الاولى بن الحرث من بني محارب قال ابن سيد الناس في غزوة ذات
الرقاع الظاهر ان الخبرين واحد ويشهد قول الذهبي في تجريده الاشبه انه غورث بن
الحارث وانه اسلم اي امن وصدق بما جاء به صلى الله عليه وسلم فلما خرج الى قومه الذين
اغروه به صلى الله عليه وسلم ليفتك به فعصمه الله منه وكان سيدهم واشجعهم اعتراض
ورد مبينا لما انصرف به منهما بين لما وجوابه اعني قالوا له اين ما كنت تقول وقد
امكنك من المكنة يقال هو ذو مكنة اي تمكن من السلطان اي والحال انك قد
تمكنت من الفتك به فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت
لظهري اي عليه لشدة دفعه وسقط السيف اي من يدي فعرفت انه ملك واسلمت
وقيل وفيه نزل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فتكا واهلاكا يقال بسط اليه يده اذا بطش به ولسانه اذا شتمه
فكف ايديهم عنكم اي منعها ان تمد اليكم وقيل راى المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا
بهم فعلا اذا قاموا الى الصلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل اتى صلى الله عليه وسلم
بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن امية الضمري
خطا ظنهما كافرين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فجلس في صفة فهموا
بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليهم فامسك الله يده واخبره جبريل
فخرجوا وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث وفي نسخة غويرث مصغرا المحاربي

اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم اي يقتله بغتة غافلا فلم يشعر النبي صلى الله
عليه وسلم به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه اي مخرجا له عن غمده ليقتله
فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه اي عليه من زلخة بزاي مضمومة فلام مشددة
مفتوحة زلخها من الله تعالى بين كتفيه وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر
يقال رمى الله فلانا بالزلخة اي بوجع لا يتحرك من شدته ويروى بتخفيف اللام من
الزلخ وهو الزلق قال الجوهري الزلخ المذلة تزل منها الاقدام والزلخة مثال
القبرة الزحلوقة التي تزلج منها الصبيان وذكر ان فيه اي ذكر الخطابي ان في غورث
ابن الحارث نزلت كما مر اية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
الاية ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
قوم او والله يعصمك من الناس استلقى جواب لما اي لصق ظهره بالارض ثم قال من
شاء فليخذلني ايذانا بتفويض امره الى ربه اذ هو الكافي من توكل عليه وذكر عبد بن
حميد كانت حمالة الحطب ام جميل بنت حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف اخت
ابي سفيان بن حرب زوجة ابي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم تضع العضاه شجر له
كما مر شوك وهي جمر جملة حالية من العضاه اي تضعه جمرا على طريق رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يمشي عليه فكانما يطؤها كثيبا اهيل اي
رملا سائلا وكل شيء ارسلته ارسالا فقد هلته واهلته وفي الحديث ان قوما شكوا فناء
طعامهم فقال اتكيلون ام تهيلون فقالوا نهيل قال فكيلوا ولا تهيلوا وفي حديث
الخندق فعادت كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها اي عن حمالة الحطب ورواه ابو يعلى
والبيهقي وابن ابي حاتم عن اسماء بنت ابي بكر انها اي حمالة الحطب فلما بلغها نزول تبت
يدا ابي لهب وذكرها الله بما ذكرها مع زوجها من الذم بقوله وامراته حمالة
الحطب في جيدها حبل من مسد اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر احوال موذنة بهيات ذويها والفهر حجر ملء
الكف وعن علي انه راى قوما سدلوا ثيابهم فقال كانهم يهود خرجوا من فهرهم اي بيت
مدارسهم كلمة نبطية او عبرانية عربت واصلها بهر بباء موحدة فلما وقفت عليهما لم تر
جواب لما الا ابا بكر واخذ الله بصرها اي حبسه وقبضه عن نبيه فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك فقد بلغني انه يهجوني اي يذمها بما هي خليقة به والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه ورجعت خائبة خاسئة وروى ابو نعيم في الدلايل والطبراني بسند
جيد عن الحكم بن ابي العاصي ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف عم عثمان بن عفان
ابن ابي العاصي اسلم يوم الفتح قال تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا
رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد الظن وان الم به حرف
النفي فليس بمنفي بل المنفي ما هو البقاء اي ظننا انه لم يبق بتهامة وتهامة
اولها ذات عرق الى البحر وقيل ما بين ذات عرق الى مرحلتين من وراء مكة من
الغرب وما وراه فهو غور ونجد ما بين الغور الى ذات عرق والى اليمامة والى جبل
طي والى جرش والى اليمن فالمدينة لا تهاميه ولا نجديه فانها فوق الغور ودون نجد

ثم وقفنا معنشيا علينا فما افتتاحتى قضى صلاته اي فرغ منها ومضى الى اهله ثم
تواعدنا ليلة اخرى فجينا حتى اذا رايناه جات الصفا والمروة فجا لتاسينا وبينه
هذا كله سابقا ولاحقا من ابين دلايل النبوة واعلامها وعن عمر تواعدت انا تاكيد
لضمير تواعدت ليعطف عليه وابو جهم بن حذيفة قتل رسول الله فجينا منزله
فسمعناه فافتتح فقرا الحاقة من حق الشي يعني وجب وثبت اي الساعة الواجبة
الوقوع الثابتة المجي او التي يحق وقوعها اي يحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او
تقع فيها حواق الامور حسابا وجزا ما الحاقة خبر المبتدا قبله والاصل الحاقة ما هي
اي شي هي فوضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشانها وتعظيما لهولها وما ادراك
مبتدا اي اي شي اعلمك ما الحاقة خبره اي انك لا علم لك بكنهها فانها من العظم والشدة
بحيث لا تدركها كذبت ثمود وعاد بالقارعة التي تقرع الناس بالاهوال والسما
بالانفطار والنجوم بالانكدار والارض بالدك والجبال بالنسف ووضعت موضع ضمير
الحاقة لمزيد وصفه في شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية الواقعة المجاوزة
الحد في الشدة يعني الصيحة او الرجفة التي بها اصبحوا في ديارهم جاثمين لتكذيبهم
بالقارعة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديد الصوت من الصر بالفتح
وهي الصيحة او شديدته من الصر بالكسر كان البرد كر فيها حتى اهلكهم عاتية
اي شديدة العصف من العتو وهو الافراط في التكبر شبه شدة عصفها بعتو متكبر
فاستعير لها لفظه ثم اشتق منه اسم الفاعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية
وفي اسم الفاعل تبعية او عتت على عاد فلم تمكنهم النجاة منها من لياذ بعاصم او توار ببنا
او اختفا بسرب سخرها استيناف افاد انها لم تكن من اتصالات فلكية ولو كانت
لكان هو تعالى مقدرها ومسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام من صبيحة يوم
الاربعا الى غروب يوم الاربعا الاخر حسوما اي نحوسا حسمت كل شي واستاصلته
او جمع حاسم من حسمت الداية اذا تابعت كيا لها اي متتابعة هبوب ريحها لم تغير
حتى اتت عليهم او قاطعة قطعت دابرهم او مصدر منتصب بمضمر اي تحسمهم حسوما
او علة اي للحسم والاستيصال او حال اي مستاصلة ويقويه قراة السدي بفتح الحا
وكانت عجز الشتا ومن ثم سميت عجوزا او لان عجوزا منهم توارت في سرب فانتزعتها
في الثامن فاهلكتها فترى القوم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى جمع صريع
اي ملقى كانهم اعجاز نخل خاوية اي اصول نخل متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من
باقية استفهام بمعنى النفي اي ما ترى لهم من باقية او بقيا او نفسا باقية فضرب
ابو جهم على عمر وقال انج فقراها ربين فكانت اي المواعدة او قراءة الحاقة من مقدمات
اسلام عمر ومنه اي مما ذكرنا شاهدا لعصمته اخذ بصر من عزم على قتله عند ما ائتمرت
قريش واجمعت على قتله وبيتوه اي دبروه ليلا ليقتلوه غيلة على غرة ومنه قيل
هذا امر بيت بليل فخرج عليهم من بيته كما رواه ابن اسحاق والسهيلي عنه صلى الله
عليه وسلم فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم حال من الضمير قبله
اي حجبها عن رؤيته وذر بمعجمة ثم را مشددة اي نثر التراب على رؤوسهم وخلص منهم و
مما ذكر حمايته اي حجبه عن رؤيتهم اياه وابا بكر وهما في الغار حال من ضمير

بقية
اسد

حمايته بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن
خلف لقد مر انه مات بسرف كافرا حين قال تدخل الغار اي غار ثور بيمنة مكة ما اربكم
مقول امية وهو معنيا قال اي ما حاجتكم الداعية لدخولكم فيه وعليه من نسج العنكبوت
حال من ضمير فيه اي والحال ان عليه من نسجه ما ارى انه من قبل ان يولد محمد ووقفت
حمامتان على فم الغار وهو نقب في الجبل فقالت قريش لو كان فيه احد لما كان هناك
اي على فمه الحمام وقصته صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن البراء مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش في موضع الحال فيه صلى الله عليه وسلم
وفي ابي بكر الجعايل جمع جعيلة او جعالة بالفتح والجعل بالضم للاسم وبالفتح المصدر
يقال جعلت جعلا وجعلا وهي الاجرة على شي فعلا او قولا وفي الحديث جعيلة الغرق
سحت وهي ان يجعل له جعلا ليخرج ما غرق له من متاعه جعله سحتا لفساد عقد يجهل
ما يخرجه فانذر به اي اعلم سراقة بتوجهه صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة
وركب فرسه وتبعه حتى اذا قرب منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر دعا
عليه النبي صلى الله عليه وسلم لاستيناسه منه الشر فساخت قوايم فرسه اي غاصت
في الارض فخرج عنها واستقسم بالازلام جمع زلم بزاي ولام مفتوحتين وقد تضم الزاي
فقط وهي قداح اي سهام لا ريش بها ولا نصل كان يكتب عليها في الجاهلية افعل لا تفعل
فكان احدهم يضعها في متاعه فاذا عرض له مهم اخرج منها زلما فان خرج له ما يحب
فعله او خرج له ما يكره كف عنه ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراة النبي صلى الله عليه وسلم
غاية لدنو وابو بكر يلتفت فقال له اي ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم
اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا بدراعنا من اتانا فساخت قوايم فرسه مرة
ثانية الى ركبتيها وخرج عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها غبار مرتفع مثل الدخان
فناداهم اي رسول الله وابا بكر وعامر بن فهيرة بالامان فكتب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم امانا اسند اليه الفعل مجازا عقليا لانه السبب الامر بكتابته
كتبه ابن فهيرة مولى ابي بكر اسمه عامر وهو ممن عذب في الله قتل يوم بير معونة
والتمس ليدفن فلم يجدوه فراوا ان الملايكة دفنته وقيل كما في السيرة كتبه ابو بكر
وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الا بكتابة ابي بكر لسيادته في قريش واخبرهم
اي سراقة بالاخبار عن قريش وما جعلوا من الجعايل فيهما وامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول حال من ضمير انصرف ولم تدخلها الواو
لانها جملة فعلية والفعل مضارع مثبت كما في ولا تمنن تستكثر لان الاصل المفردة
لعراقة المفرد في الاعراب وتطفل الجملة عليه بوقوعها موقعه اي قايلا للناس
من لقيه منهم كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراد كما دعوتما علي فادعوا لي
فدعوا له فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فكان من مقدمات
اسلامه وفي خبر اخر لا ادري من رواه ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد اي
يعدو عدوا سريعا يعلم قريشا حذف مفعوله الثاني اختصارا فلما ورد مكة
ضرب على قلبه كناية عن ذهوله وغفلته عما اورده له فكانه حجب عما يخبرهم به
عنهما وحبس عنه فما يدري ما يصنع والذي ما خرج له من اعلامهم خبرهما حتى رجع الى

موضعه غاية لنسيانه وجاء فيما ذكر ابن اسحاق وغيره كابي نعيم في الدلائل عن ابن عباس ابوجهل بصخرة وهو صلى الله عليه وسلم ساجد وقريش ينظرون الجملتان في محل نصب على الحال اي جاء بها ساجدا ناظرين ليطرحها عليه فلزقت اي الصخرة بيده ويبست يداه مغلولتين الى عنقه كناية عن منعهما عما قصداه من طرحها عليه كانهما جعلتا في غل اي جامعة جمعتهما الى عنقه واقبل يرجع اي شرع راجعا القهقرى اي خلف تاكيد لما قبله اذ هو الرجوع اليه ثم سأله اي سأل ابوجهل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل اي دعا له ولم يواخذه حلما وكرما وشفقة عليه لما بينهما من الرحم وقد امر بصلتها فانطلقت يداه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وكان قد تواعد مع قريش اي بطرحها عليه وحلف لئن راه ساجدا ليدمغنه يطرحها عليه فيهشم راسه فيخرج دماغه يقال دمغه يدمغه دمغا اذا اصاب دماغه فقتله ومن الشجاج الدامغة بالمعجمة اي التي انتهت الى الدماغ ورجل دميغ ومدموغ اذا خرج دماغه فسألوه اي سأل ابا جهل قريش عن سبب رجوعه القهقرى فذكر انه عرض لي غلب جانب المتكلم لتضمنه ذكر معنى قال دونه فحل من الابل اذ هو المراد حيث اطلقوه بلا قيد بشهادة حديث لم يضرب احدكم زوجته ضرب الفحل فانهم كانوا اذا علا ناقة هي دونه او عليها منه في الكرم ضربوه ومنعوه ما رايت مثله قط تاكيد لنفي روية مثله هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل تمثل له فحلا امل لو دنا ابوجهل منه صلى الله عليه وسلم لاخذه اخذ عزيز مقتدر وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة لعله ابوجهل بن هشام ابن المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير لزوال بصره وسمع قوله صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فخرج مكانهم ثم يحتمل ان يكون قد راهم بعد ندايهم له بشهادة حتى الغائية وذكر اي السمرقندي ان فيهما اي القصتين اي قصة ابي جهل والتي بعدها نزل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تمثيل لتماديهم وتصميمهم على الكفر بحيث لا تغني عنهم الايات والنذر بحال من غلت اعناقهم فهي اي فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها فهم مقمحون من قمح البعير فهو قامح اي رافع راسه بعد ان روي اي رافعوا روسهم لان في ملتقى طرفي طوق الغل حلقة فيها عمود خارج منها الى الذقن يمنعهم ان يطاطوا روسهم غاضين ابصارهم اذ المقمح من لا يرفع بصره فهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم اي غطينا ابصارهم بجعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون مثل حالهم لتعاميهم عن النظر في الادلة والتفكر في الايات بحال من هو بين سدين مظلمين لا يبصر ما قدامه وما خلفه فهو من عمه الجهل كانه لا يبصر شيئا وروي ما ذكره السمرقندي ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا لياخذوه فاذا ايديهم مجموعة الى اعناقهم واذا هم عمي لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون ومن ذلك اي مما ذكر شاهدا بعصمته وكفايته ما ذكره ابن اسحق وغيره كالحلبي في تفسيره في قصته صلى الله عليه وسلم اذ اي حين خرج الى بني قريظة كذا هنا والصواب بني النضير كما في سيرة ابن سيد الناس وغيره وسياتي

في نفر

في نفر من اصحابه فيهم العمران والحسنان فجلس الى جدار بعض اطامهم جمع اطم بالضم اي ابنيتهم المرتفعة كالحصون قيل فقالوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة اي حالة جلوسه الى جدار الاطم من يعلو هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم وانه لنقض لما بيننا وبينه من العهد فانبعث اشقاهم عمرو بن جحاش منهم ليطرح عليه رحى فاخبره جبريل بذلك كما سياتي فقام فانصرف الى المدينة واعلمهم اي اعلم اصحابه اما بعد انصرافه او قبله بقصتهم وتماليهم على قتله وقد قيل ان هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة اي قصة بني النضير نزلت وحكى السمرقندي انه اي النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى بني النضير يستعين في عقل مصدر سميت به الدية من حيث ان القاتل كان اذا قتل قتيلا جمع دية من الابل فعقلها بفناء اولياء المقتول ليقبضها لهم اي في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري بحسبهما كافرين بعد قتل اصحابه ببير معونة ورجوعه الى المدينة عتيقا لعامر بن الطفيل العامري وكان صلى الله عليه وسلم قد عهد لهما عهدا لم يعلم به عمرو بن امية فقال له صلى الله عليه وسلم حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم اي مع يهود على قتله صلى الله عليه وسلم فاعلمه جبريل بذلك اي بائتمارهم على قتله فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم وخزيا وفيها قال حسان بن ثابت الانصاري

وهان على سراة بني لوي ٭ حريق بالبويرة مستطير

وقال لهم صلى الله عليه وسلم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر واخذ صلى الله عليه وسلم الاموال فوجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا فكانت بنو النضير صفيا حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم لم يسهم منها لاحد غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما اذ لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم في الاموال والديار وروى مسلم والنسائي عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا اللام هنا فيما مر من حديث موطئة لقسم محذوف اي والله ان راه ليطأن رقبته فلما صلى اي تلبس بما اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى عزمه عن قصده ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فقالوا لما دنوت منه اشرفت جواب لما مقول ابي جهل قبحه الله على خندق مملو نارا كدت اهوي اي اسقط فيه وابصرت هولا عظيما اي امرا شديدا وخفق اجنحة اي تحريكها اذ هو التحريك قد ملأت اي الاجنحة الارض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل الله كلا ان الانسان ليطغى ردع لمن كفر نعمة ربه بطغيانه ان راه روية قلبية لا بصرية اي علم نفسه استغنى مفعوله الثاني ومن ثم كان فاعلها

ومفعولها ضميرين لواحد ان الى ربك التفات الى المسان من الغيبة الى الخطابه
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان الرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع
ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى مبالغة فى كمال عبوديته وتقبيحا للنهى لتبيهاده
ايراده بلفظ عبدا مع تنكيره ارايت ان كان ذلك الناهى على الهدى فيما عناه عنه
من عبادة ربه او امر بالتقوى فيما امر به من عبادة الاوثان مما يعتقده
هو ارايت ان كذب ذلك الناهى بالحق وتولى عنه مما نعتقده نحن والذى
ينهى مع الشرطية الاولى مفعولا ارايت وجواب شرطها محذوف لدلالة ذكره
فى جواب شرط الثانية اعنى الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احوال من هداه وضلاله
وكرر ارايت فيها لتوكيد الاول والمعنى اخبرنى عمن ينهاه عن صلاته ان كان
ناهيه على هدى فى نهيه له عنها او امرا بتقى فيما يامر به من عبادة وثن اوان كان
مكذبا بالحق متوليا عنه الم يعلم بان الله عالم بكل بحال من هداه وضلاله وقيل
ارايت من ينهاه عن ضلالته لئن لم ينته عن ضلاله وشنيع افعاله لنسفعا
بالناصية من السفع وهو القبض على الشئ وجذبه بقوة اى لناخذن بناصيته
ولنجرنه بها الى النار وكتبت لنسفعا بالالف على حكم الوقف واكتفى باللام عن
الاضافة علما بانها ناصية الناهى ناصية بدل منها لوصفه بقوله كاذبة خاطئة
على الاسناد المجازى للمبالغة اذ فيه من الجزالة والفخامة ما ليس فى ناصية
كاذب خاطئ فليدع ناديه اى اهل ناديه الذين بهم يتكثر ويستعز ليمنعوه اذا
سفعت ناصيته والنادى المجلس الذى ينتدى فيه القوم اى يجتمعون
سندع الزبانية ليسحبوه على وجهه الى النار من الزبن وهو الدفع وهم
شرطة اريد بهم ملائكة العذاب جمع زبنيه او ذى زبنية للمبالغة واصل
زبانى والتاء عوض الياء كلا ردع له ايضا لا تطعه واصبر انت على طاعتك واسجد
اى دم على سجودك واقترب به الى ربك اذ اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد وروى كما فى الدلايل لابى نعيم ان شيبة بن عثمان الحجبى ادركه اى ادرك
النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين وادبعرب ذى المجاز وما بقرب الطايف وكانت
حمزة قد قتل اباه وعمه اعتراض بين الفاء وسببها افاد ان قصد عثمان
انما كان على عادتهم فى اخذ الثار فى الجاهلية فقال اى عثمان بن شيبة
اليوم ادرك ثارى من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه
عليه ليقتله ولم ينج فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ اى لهب من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا منه واحس بى فدعانى فجئته فوضع يده على صدرى
وهو ابغض الخلق الى فى موضع الحال اى وضعها حال بغضى له فما رفعها الا وهو احب
الى وروى ابنا اسحاق وسيد الناس عن فضالة بن عمرو انه اراد قتل النبى
صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو طايف اى حال طوافه بالبيت فلما دنوت منه قال
فضالة قلت نعم قال ما حدثت به نفسك قلت لا شئ اى لم احدث بها بشئ فضحك
واستغفرلى اى قال له غفر الله لك او نحوه ووضع يده على صدرى فسكن قلبى واطمان
للايمان به فوالله ما رفعها عن صدرى حتى ما خلق الله شيئا وجدته وعلمته من خلق الله

احب الى منه صلى الله عليه وسلم ومن سطو رذلك اى عصمة الله له ما رواه ابن
اسحاق والبيهقى بلا اسناد وابو نعيم فى الدلايل مسند الى عروة خبر عامر بن
الطفيل العامرى واربد بن قيس بفتح الهمزة والموحدة بينهما را ساكنة ما تاكان
كانا قد وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم متعقبين على قتله وكان عامر قال له
اى لاربد انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه فلم يفعل شيا فلما فصلا من عنده صلى الله
عليه وسلم كلمه فى ذلك اى قال له عامر لم لم تضربه حين شغلته عنك قال والله
ما هممت ان اضربه الا وجدتك بينى وبينه فاضربك لقد خابا وخسرا اخسرانا مبينا
ومن عصمة الله له صلى الله عليه وسلم ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع كاهن وهو
كما مر من يخبر عن الكواين فى المستقبل انذروا به من الانذار وهو الاعلام والتخويف
اى اعلموا به وخوفوا وحذروا واعلموا به غيرهم وخوفوهم وحذروهم اياه وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم اى قهره لهم وغلبته عليهم وعلى من ناواه وحضوهم
اى اغروهم على قتله فعصمه الله حتى بلغ فيهم امره بنصره على اعدايه واظهار دينه
على الدين كله ومن ذلك نصره كما رواه الشيخان بالرعب مسيرة شهر كان الله تعالى
قذفه فى قلوب اعدايه صلى الله عليه وسلم فاذا كان بينه وبينهم تلك المدة
هابوه وفزعوا منه

فصل

فيما اكرمه الله به من المعجزات جمع
معجزة وهى كما مر من الخوارق وتاوها اما للمبالغة كتاء علامة او لا براد ها صفة
لمونث محذوف كاية او علامة سميت معجزة لعجز المرسل اليهم عن معارضتها بمثلها
ومن معجزاته الباهرة من بهرضوء القمر ضوء الكواكب اى غلبه فلم يظهر لها ضوء
اى الغالبة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ان كانا جمع معروف ومعلوم بمعنى
الملكات فتغايرهما من حيث اختصاص المعرفة بالجزئيات والعلم بالكليات ومما
خصه الله تعالى به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين مما به انتظام المبدا
ونجاة المعاد ومعرفته امور شرايعه جمع شريعة وهى ما شرعه الله اى بينه لعباده
وخاطبهم به على لسان انبيايه وقوانين دينه جمع قانون وهو اصطلاحا امر كلى
مشتمل بالقوة على جزئيات موضوعه تعرف منه احكامها كالامر للوجوب
وتفصيلا مقدمة كلية كبرى تقبلها لصغرى فى الاستدلال بالشكل الاول لاخراج
الجزئيات كاقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا شهركم وتسمى فروعا واخراجها
من القوة الى الفعل يسمى تفريعا هكذا اتوا الزكاة امر وكل امر للوجوب لا تقربوا
الزنا نهى وكل نهى للتحريم وسياسة عباده على قانون العدل ومنهج الصدق
ومصالح امته مما به صلاحهم دينا ودنيا وفوزهم فى الاخرة ومعرفته بما كان فى الامم
قبله من احوالهم وما آل اليه امرهم من نجاة وهلكة وقصص الانبياء والرسل دعاة
الخلق لدين الحق والجبابرة عتاة الخلق وفساد الارض والقرون الماضية
فى الازمنة الخالية مما قصه الله كله عليه صلى الله عليه وسلم فى قرانه الكريم
وحفظ شرايعهم وكتبهم مما علمه الله فرسخ فى روعه فثلج به صدره ووعى سيرهم
تفهما وتفهيما وسرد انبايهم اى اخبارهم لمن اتاه من اهل الكتاب وايام
الله فيهم بنبيا بالماعراهم فيها من نقم كقوم نوح وعاد وثمود واخوان لوط وغيرهم

كنجاة موسى وقومه وكشف عذاب الخزى عن قوم يونس وسرد صفات اعيانهم
موسين كذى القرنين والخضر ولقمان وكقوم كفرعون وهامان وقارون
واختلاف ارائهم اعتقاداً وعملاً كدعوى فرعون الالهوية ورضى قومه بها وعبادة
قوم ابراهيم الاوثان وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة العلم والحياة وروح
القدس ويعبرون عنها بالاب والام والابن والمعرفة بمددهم جمع مدة اى مكثهم
فى الدنيا واعمارهم على اختلافها قلة وكثرة ومعرفته صلى الله عليه وسلم
من حكم حكمائهم جمع حكمة مما ينفع ويكف ومنهم عامر بن الظرب ذو الحكم كان
لا يعدل بفهمه فهم فلما كبر انكر من عقله فقال لبنيه قد كبرت وعرض لى سهو
فاذا رأيتمونى خرجت من كلامى الى غيره فاقرعوا الى العصا قرعا فقال ان
العصا قرعت لذى الحكم كناية عن التنبيه ومحاجة كرامة من الكفرة كمحاجته
صلى الله عليه وسلم نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله وكذبوا فدعاهم
الى المباهلة فابوا وبذلوا الجزية ومعارضة كل فرقة مصدر مضاف الى المفعول
كالذى قبله اى معارضته صلى الله عليه وسلم كل من عمل بغير دينه من الكتابيين
بما فى كتبهم مما يفضحهم بمخالفتهم الحق فى عملهم كمعارضته صلى الله عليه وسلم
يهود فى دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبيه بالجيم
اى تسود وجوههما ويحملان على دابة بعيرا وحمار ويخالف بين وجوههما بجعل
ظهر احدهما الى ظهر الاخر والقياس ان يقابل بين وجوههما لاخذه من الجبهة
فقال صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله ما تجدون فى التوراة على من زنى قال
حبرهم اما اذا انشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند
باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار واعلامهم باسرارها اى اعلام كل فرقة
من اهل الكتاب باسرار كتبهم ومخبآت علومهم اى معلومها مما المفادة بتراكيبها
واخبارهم بما كتموه كصفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة اذ كتموها وغيروه
كحد زنا المحصن فانه فيها الرجم فغيروه بترخصهم لابن عم ملك من ملوكهم
زنى فاخر عنه الرجم فزنى بعده اخر فاراد الملك رجمه فقالوا لا ترجمه حتى ترجم
ابن عمك فاتفقوا على التحميم والتجبيه الى الاحتوا اى جمع له ما ذكر من احتوائه
على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة لها بضروب فصاحتها
اى علمها افراداً ومركبات ومما بينها وخاطب كلا بلغته كما مر من مخاطبته
طهفة وغيره من اقيال حضرموت والحفظ لايامها التى كانوا يحاربون فيها
كيوم ذى قار لبنى شيبان انتصروا فيه على ابرويز وهو اول يوم انتصر
فيه العرب على العجم ويوم الفجار وقع فيه حرب فى الاشهر الحرم فقالوا فجرنا
فسمى به ويوم قضة بكسر القاف وتخفيف المعجمة المفتوحة وقع فيه بجلاف
اللم وامثالها التى كانوا يضربونها كقولهم فى الصيف ضيعت اللبن يقال لمن
ضيع العمل فى وقته بكسر تا الخطاب لان اصله لامرأة ومن ثم لا تراعى فى الامثال
مضاربها تذكيراً وتانيثاً وافراداً وتثنية وجمعاً بل تراعى فيها مواردها فالقول
الممثل لا يسمى مضربا والممثل به موردا وحكمها الواردة خلال كلامهم نظما ونثرا جمع

حكمة وهى ما ينتفع بها به ويمنع من الجهل والسفه ويسمى عنهما والحكم بالضم
العلم والفقه والقضا بالعدل ومعانى اشعارها على اختلاف انواعها تشبيبا من
ادب وافتخار وشكاية ولهو وغزل ويسمى تشبيبا وذكر ايام الصبى

وقد تعوضت عن كل بمشبهه • وما وجدت لايام الصبى عوضا •

والتجنيس بجوامع كلمها مما يزين به الكلام فيورثه حسنا من تلفيق وتركيب ومطابقة
وموازنة وتدبيج وتوشيع وغير ذلك من المحسنات البديعية وقد جمعتها فى
منظومة ميمية مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم الى المعرفة اى مع معرفته
بضرب الامثال الصحيحة بحسب حال الممثل له لابراز المعنى ورفعا للحجاب بما عنه
حتى يرى المتخيل محققا والمتوهم متقنا والحكم البينة التى يتبينها كل ذى فهم
لانه بعث ليبين للناس ما نزل اليهم لتقريبا التفهيم للغامض من غمض الشئ
اى دق وخفى والتبيين للمشكل من اشكل الامر اى اشتبه بمثله الى اى مع تمهيد
قواعد الشرع الذى ارسل به الينا لا تناقض فيه ولا تخاذل بمهملتين اى لا ينقض
ولا يخذل بعضه بعضا بل هو على التعاضد والتعاون والتناصر مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق مما وردت آمرة به من رحمة وشفقة ورفق وحيا وحسن
خلق ونحو ذلك ومحامد الاداب جمع محمدة بمعنى ما يحمد على فعله منها كافشاء
السلام على من عرفت ومن لم تعرف ودعا الزاير لمن زاره اذا طعم عنده والسلام
ثلاثا فى الاستيذان واشتمالها على كل شئ مستحسن مفضل على غيره لا يكاد يحصى كثرة
لم ينكر منه ملحد وعقل سليم شيا الا من جهة الخذلان الملابس له من عدم توفيقه
بالحاده اى زيغه وميله عن الاستقامة فينكره بل كل جاحد اى منكر له اى لما ذكر
مما اشتملت عليه شريعته وكما فى به من الجاهلية اذا سمع ما يدعوه صلى الله عليه وسلم
اليه من الحق صوبه واستحسنه دون طلب برهان عليه لظهور حقيته كما دعا على
علم كقول علم النفاق عبد الله بن ابى بن سلول وقد مر به النبى صلى الله عليه وسلم
جالسا مع اخلاط من المسلمين والمشركين فجلس اليهم ودعاهم الى الاسلام ايها المرء
لا احسن مما تقول وتدعوا اليه ولكن اجلس فى رحلك فمن اتاك فادعه وكتصويب
هرقل اذ قال له ابو سفيان وقد قال له بماذا يامركم يامرنا بالصلاة والصدق
والصلة والعفاف واتركوا ما يعبد اباوكم ثم اشتمالها على ما احل لهم من الطيبات
مما حرم عليهم كلحم كل ذى ظفر من طير وابل وشحوم البقر والغنم الا ما حملت ظهورهما
او الحوايا وحرم عليهم من الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير واشتمالها على ما
صان به انفسهم واعراضهم واموالهم وهو الا بيان مما بعث به فمن امن به عصم
منه دمه وعرضه وماله من المعاقبات والحدود المترتبة على اسبابها شرعا كحد
الخمر والزنا والسرقة عاجلا ومن التحريق بالنار اجلا اى فى المستقبل من الاجل
وهو الوقت المضروب المحدود فيه الى الاحتوا اى مع اشتمالها على ضروب العلم
وفنون المعارف جمع علم ومعرفة على اختلاف انواعها فانها كثرات ممتاز كل كثرة منها
بجهة وحدة بها بعد علما واحدا ويفرد بتدوين هى اما موضوعه او غايته او منفعته
ومن كل يوخذ تعريفه ولهذا مزيد بيان فى مقدمة مناهجنا ابكار الافكار وشرحها

كالطب ويمتاز بوحدة له ذاتية اعتبارًا هي بدن الانسان والادوية اذ قد يبحث
فيه عن احوالهما من حيث تعلقها بالصحة والعبارة بكسر المهملة من عبرت الرؤيا
اعبرها عبرا وعبرتها تعبيرا اذا اولتها وفسرتها واخبرت بما يؤول اليه امرها يقال
هو عابر الرؤيا وعابر لها وهذه تسمى لام التعقيب لانها عقبت الاضافة ه
والفرايض وهو علم يبحث فيه عن مقادير سهام المواريث لوارثيها وبيان
من يحجب نقصانا وحرمانا والحساب وهو علم يبحث فيه عن كميات الاعداد والنسب
اي الحاق الفروع باصولها وفي الحديث ـــ كان ابو بكر نسابة بليغ العلم
بالانساب وهاؤها للمبالغة كعلامة وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل فاعل اتخذ
هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيهما اي في شريعته قدوة واصولا اي
قواعد وضوابط يرجعون اليهما فيما يقع لهم من الحوادث في علم كقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه ابن ماجة عن انس الرؤيا لاول عابر اي ذي رأى كامل بشروط العبارة
فاذا اعتبر شروطها واولها وقعت كان ابن سيرين كان يقول اني اعتبرت الحديث
اي يعبر الرؤيا به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمراة
بالظليم اخذا من تسميته صلى الله عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا وهي كما
رواه ابو داود والترمذي وصححه على رجل طاير تمثيل وتصوير لجعلها على قدر جار
وقضاء ماض من خير او شر قدره الله لصاحبها بشيء على رجله فسقطت وكل حركة جرت
لك من شيء فهو طاير وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما
الرؤيا ثلاث رؤيا حق كرؤياه صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل
فلق الصبح الاضافة فيه للبيان لا للاحتراز اذ قطعه لنفسه ورؤيا يحدث الرجل
بها نفسه نيرها في منامه فهي اضغاث احلام ورؤيا تحزين من الشيطان اي يرى
في منامه من وسوسته له فيه ما يكره يحزن منه فاذا راى كما قال صلى الله عليه وسلم
ما يكره فليتعوذ من شرها ومن شره وليتفل ثلاثا عن يساره ولا يحدث بها احدا
فانها لا تضره وفي حديث مسلم جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رايت في المنام كان راسي قطع فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال اذا الم
الشيطان باحدكم في منامه فلا يحدث به الناس وقال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة اذا تقارب الزمان وفي رواية لهما اذا اقترب
من القرب اي قرب الساعة اخر الزمان لان الشيء اذا قل وتقاصر تقاربت اطرافه
وينصره قوله صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب او هو بمعنى
استوا الليل والنهار لقول المعبرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت
انفتاق الانوار ووقت ادراك الثمار حتى يستوي الليل والنهار او بمعنى قوله
صلى الله عليه وسلم يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة
كاليوم واليوم كالساعة قالوا يريد زمان المهدي فانه زمن عدل يستطاب حيره ه
لاستلذاذه فتتقارب اطرافه لم تكد رؤيا المؤمن تكذب مبالغة في نفي قرب كذبها
اي لم يقرب كذبها فضلا عن كذبها لخبر كاد منفي لان حرف النفي اذا اعتراها نفى قرب
حصوله والنافي لقرب حصول شيء ادل على نفيه نفسه قال ذو الرمة ه

ه اذا غير النأي المحبين لم يكد ه رسيس الهوى من حب مية يبرح ه
اي لم يقرب براحه فضلا عن براحه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الدارقطني
في العلل وضعفه اصل كل داء البردة اي التخمة وثقل الطعام على المعدة سميت بردة
لانها تبرد المعدة فلا تشتهي الطعام ومما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث
ابي هريرة الذي رواه الطبراني في الاوسط من قوله المعدة حوض البدن لجمعها
الطعام كجمع الحوض الماء والعروق اليها واردة يتصاعد اليها منافع الطعام
نفعا للبدن هذا كان حديثا لا يصح لضعفه وكونه موضوعا اذ قد تكلم عليه
الامام ابو الحسن الدارقطني مضعفا له كما هنا ونسبه الى دار القطن ببغداد
وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن ابن عباس رض خير ما تداويتم به
السعوط ما يجعل من الدواء في الانف واللدود بالفتح ما يسقاه المريض في احد شقي
فمه ولديدا الفم جانباه والحجامة والمشي دواء مسهل سمي به لحمله شاربه على المشي
والتردد الى الخلا وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحاكم عن ابن عباس رض
وصححه خير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين زاد ابو داود
عن ابي هريرة يرفعه كان شفاء من كل داء وغلب فيه المؤنث رعاية للاسبق
من الشهر اذ ليلته اسبق من يومه فكانه قال يوم ليلة سبع عشرة او لحذف
المميز كما في حديث من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر
كله وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن ام قيس في العود الهندي
سبعة اشفية اي للادواء اذا شرب بعسل وذكر صلى الله عليه وسلم منها ذات
الجنب وخصه بالذكر لانه اخطر الادواء وقلما يسلم منه صاحبه قالوا والعود الهندي
وهو القسط الابيض افضل واقل حرارة وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
احمد والترمذي ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه قد مر الكلام عليه وقوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد والترمذي وقد سئل عن سبأ في موضع الحال
ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل
اسم مدينة ولد له عشرة تيامن منهم ستة اي اخذوا نحو اليمن فنزلوه وتوالدوا
فيها واكثر قبائله منهم وفي الحديث ـــ الايمان يمانيه والحكمة يمانية
لان الايمان بدا من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن وتشام اربعة
اي اخذوا نحو الشام وهو اقليم معروف من العريش الى الفرات يذكر ويؤنث مهموز
وغير مهموز وكذلك جوابه صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة فيما رواه احمد
وابو يعلى والبزار والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني قال صلى الله عليه وسلم
من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة
ابن مالك بن حمير وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار حمير راس العرب
ونابها لشرفهم لانهم من ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل صلى
الله عليه وسلم ومذحج بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فمكسورة فجيم هامتها اي اشرفها
وفي حديث ابي بكر والنسابة امن هامها ام من لهازمها اي امن اشرافها ام من اوساطها
فتشبيههم بها او تسمية الكل باسم الجزء مجازا مرسلا وغلصمتها بمعجمة مفتوحة ولام

ساكنة راس الحلقوم البارز في الحلق والمرد كاهلها هو كما قال الخليل مقدم اعلى الظهر
مما يلي العنق وفيه ست فقرات وجمجمتها بجيمين بينهما ميم ساكنة اي شادتها اذ
الجمجمة الراس وهي اشرف الاعضا وقيل جماجم العرب هي التي تجمع البطون وفي الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم بجمجمة فيها ماء اي بقدح من خشب وجمعه جماجم
وبه سمي دير الجماجم اذ كانت تعمل به وكانت فيه وقعة ابن الاشعث مع الحجاج بالعراق
وقيل سمي به لانه بني من جماجم القتلى لكثرتها ومنه قول طلحة بن نفر وقد
راى رجلا يضحك هذا لم يشهد الجماجم اي لو راى كثرة من قتل من قرا المسلمين ○
وساداتهم لم يضحك وهمدانها بميم ساكنة فمهملة غاربها وذروتها بمعجمة تضم
وتكسر اي هم من العرب بمنزلتهما من البعير اذ غاربه اعلى عنقه بينه وبين سنامه
وذروة السنام اعلاه تلويح لبشرفهم وهذا الحديث لايح عليه ملابس الضعف وتخايل
النكارة اذ قد كرر فيه الراس بالفاظ مختلفة ومن ثم جزم ابن حجر بانه منكر وقوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي بكرة ان الزمان قد استدار
من دار بالشيء يدور واداره اي الطاف به حتى انتهى الى موضع ابتدائه اي رجعت شهوره
الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسي الجاهلية اي تاخيرهم حرمة شهر من
الاشهر الحرم ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب الى شهر اخر اذ كان سببا لاستدارته
فانهم كانوا ذوي حروب فاذا اعرابهم شهر المحرم وهم محاربون شق عليهم تركها فيحلونه
ويحرمون صفر ثم ينقلون من شهر الى اخر سنة بعد سنة ثم يعود الى موضعه فكانت
حجة الوداع التي ذكر في خطبتها هذا الحديث في السنة التي استدار فيها كهيئته
يوم خلق السموات والارض تتمة السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة
متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان قيده
دفعا للنسي وكان حدوثه في كنانة اذ كانوا فقرا محتاجين الى الغارة وكان جنادة بن مالك
الكناني يقوم على جمل في مواسم الجاهلية باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر الذي رواه الشيخان في الحوض زواياه سوا
اي مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على عرضه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
ابو داود في حديث الذكر تسبح عشرا وتحمد عشرا وتكبر عشرا وان الحسنة بعشر امثالها
فتلك اي تلك الكلمات المذكورة دبر الصلوات الخمس في اليوم والليلة مائة وخمسون
على اللسان لان عددها دبر كل صلاة ثلاثون والف وخمسمائة في الميزان لان الحسنة
بعشر امثالها تفضلا منه تعالى لشهادة من جا بالحسنة فله عشر امثالها وقوله صلى
الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن ابي رافع بسند ضعيف وهو في موضع اي ليس به
حمام وهو في موضع حال من الضمير قبلها نعم موضع الحمام هذا فاعل نعم مستتر والمضاف
تمييز بمعنى موضعا واسم الاشارة هو المخصوص بالمدح وقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الترمذي عن ابي هريرة وصححه ما بين المشرق والمغرب قبلة يجوز ان يراد
بها الجهة كما هو الاصل حيث اطلقت فيحمل على من هي في جنوبه او شماله والنص
عليه وان يراد بها نفس الكعبة ولا ريب انها بينهما كما هي بين الجنوب والشمال
وخصها بالذكر لشروق الشمس وغروبها منهما وقيل اراد بها قبلة اهل المدينة ونواحيها

فانما

فانما جنوبها وقوله صلى الله عليه وسلم لعيينة بن حصن الفزاري او الاقرع
ابن حابس التميمي انا افرس بالخيل منك من الفراسة بفتح الفا اي انا ابصر منك بها
واعرف ورجل فارس بالامر اي عالم به بصير ويكسر من التفرس ولا اعرف من رواه ○
وفي نهاية غريب الحديث انه صلى الله عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له
انا اعلم بالخيل منك فقال وانا افرس منك اي ابصر واعرف وقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الترمذي عن زيد بن ثابت لكاتبه قيل هو معاوية لانه كان ممن داوم على
الكتابة له ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل بلام مشددة اسم فاعل ومفعول اي اكثر
ذكرا لما يجتليه من سوانح ذكره ويجتنيه من سوانح فكره مما يمله من امللت وامليت عليه
ما يكتبه فالاملال والاملا اخوان وبهما ورد القران وليملل الذي عليه الحق فهي تملى عليه
هذا مركب من حرف تنبيه واسم اشارة اي ما ذكر مما جمع له صلى الله عليه وسلم
من المعارف والعلوم وخص به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين مع انه صلى الله
عليه وسلم كان لا يكتب لشهادة حديث انا امة لا نكتب ولا نحسب ولكنه اوتي علم كل شي
حذف فاعل اوتي للعلم به حتى وردت اثار جمع اثر بما يوثر اي يروى مودنة بمعرفته حروف
الخط وحسن تصويره لحروفه كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم
رواه محمد بن القاسم هو ابن شعبان المصري المالكي من طريق ابن عباس قال الذهبي
وهاه ابن حزم وما ادري لماذا وروى الديلمي عن انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم
فليمد الرحمن ولا عن زيد بن ثابت اذا كتبت فبين السين في بسم الله الرحمن الرحيم
وقوله صلى الله عليه وسلم كما في مسند الفردوس في الحديث الاخر الذي يروى
معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة اي اجعل
فيها مدادا ليناسب الكتابة وحرف القلم بتشديد الرا اي اجعل طرف شقه الايمن ازيد
من الاخر قليلا وانصب البا معتدلة غير مايلة ولكثرة الاستعمال حذفت الفها وعوض
عنها تطويلها وفرق السين اي من البسملة ولا تعور الميم اي لا تطمسها وحسن الله
اي حسن اسمه الكريم كتابة ومد الرحمن هكذا والله اعلم بمراده وجود الرحيم اي كتابة
وهذا اي ما ذكر مما يشهد بان مما اوتيه من المعارف معرفة حروف الخط وان لم
تصح الرواية عن احد من رواه سنته انه كتب بيده الشريفة فلا يبعد ان يرزق علم هذا
اي علم الخط ويمنع الكتابة والقراة للخط ولا يبعد ايضا وان كان يحرم عليه التوصل
اليهما معرفة ان يقعا منه في وقت معجزة له وكرامة لشهادة ما في صحيح البخاري
فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله
وفيه في عمرة القضا انه قال لعلي امح رسول الله صلى قال لا والله لا امحوك ابدا
فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله واما علمه
صلى الله عليه وسلم بلغات العرب شعوبا وقبايل وعماير وبطونا وافخاذا وفصايل
وكل يجمع ما بعده على ما مر وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور لا يخفى على احد
قد بينا بعضه اول الكتاب كما تقدم مع بيان معانيه وضبط الفاظه وكذلك حفظه
الكثير من لغات الامم كقوله في الحديث الذي رواه البخاري عن ام خالد سنه سنه
وفي رواية سناه سناه وفي اخرى سنا سنا بفتح مهملتيها وكسرها القابسي وشدد نونها

وخففهما ابو ذر وغيره وهي حسنة اي معنى ذلك اللفظ باللغة الحبشية وقوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما من طرق ويكثر الهرج بهاء مفتوحة
فراء ساكنة فجيم وهو القتل بها اي بالحبشية وقد سئل صلى الله عليه وسلم عنه كما ورد
عنه فقال القتل ونص عليه كثير من ائمة اللغة فهو من توافق اللغتين وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجة عن ابي هريرة اشكنب درد بهمزة
مفتوحة فمعجمة ساكنة فكاف مفتوحة فنون فباء ساكنتين ومهملتين مفتوحة
وساكنة بينهما راء ساكنة اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما منحه من
المعارف واوتيه من العوارف مما لا يعلم بعضه ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس
الدرس اي شاده وقاومه وقاواه وابلى نفسه فيه والعكوف على الكتب اي ملازمة
مطالعتها والاقامة عليها من عكف وهو الاقامة على الشيء وبالمكان ولزومهما
يقال عكف يعكف ويعكف عكوفا واعتكف يعتكف اعتكافا فهو معتكف ومنه قيل
لمن لازم المسجد واقام على العبادة فيه عاكف ومعتكف ومثافنة بمثلثة وفاء
ونون مفتوحتين والثفنة ما باشر الارض من كل ذات اربع اذا بركت مما غلظ من
اثر البروك وكثرته كالركبة والتي في صدر البعير اي مجالسة اهلهما عمر باركا على ركبتيه
وهو صلى الله عليه وسلم رجل كما قال الله امي في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي نسبة الى الام اي هو كما ولدته لم يكتب ولم يقرا ولا يعرف بصحبة من هذه اي من ممارسة
الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلهما صفته ولا نشا من اول عمره الى ان بعث
بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور التي يمكن مما رسمها الاتصاف بذلك ولا
عرف هو صلى الله عليه وسلم قبل من الغايات المنقطعة عن الاضافة لفظا اي لم يعرف
قبل ارساله بشيء منهما للمشاهدة ما قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله اي القرآن
من كتاب ولا تخطه بيمينك فظهوره جامعا لانواع العلوم على يديك وانت امي
لم تعرف بقراءة ولا تعلم امر خارق للعادة فلا مجال لارتياب اهل الكتاب في انك النبي
الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وذكر اليمين زيادة
تصوير لنفي كونه كاتبا ولو كان قاريا كاتبا اذا لارتاب المبطلون وقالوا لعله
وقالوا لعله تعلمه او كتبه من كتب الاقدمين وسماهم مبطلين لكفرهم به مع اتصافه
بكونه اميا موذنا ببعده عن الريب اذ كانت غاية معارف العرب النسب كل قبيلة
تنسب الى جدها واخبار اوايلها وما وقع لها في سالف الازمان والشعر قريضا وهزجا
رجزا ومقبوضا ومبسوطا والبيان وهو هنا المنطق الفصيح المعرب كما في الضمير
اذ كانوا يظهرون المعنى ويكشفونه بابين لفظ وابلغه وفي الحديث ان من البيان
لسحرا وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلمه اكتسابا ومزاولة لتحصيله والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن الذي كانت العرب تعرفه نقطة من بحر علمه
صلى الله عليه وسلم شبه علمه لكثرة انواعه وسعته وعموم نفعه ببحر زاخر عذب
ثم اضاف المشبه به الى المشبه على طريقة لجين الماء تشبيها مؤكدا اي من علمه الذي
هو لسعته كالبحر او على طريق الاستعارة المكنية واثبت له النقطة تخييلا حتى كانه
من جنس المشبه به ولا سبيل الى جحد الملحد اي المائل عن الاستقامة لشيء مما ذكرناه

ولا وجد الكفرة حيلة يتشبثون بها في دفع ما قصصناه وتلي عليك الا قولهم
في القرآن الكريم والفرقان القديم هو اساطير الاولين اي سطره الاقدمون كتابة
وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم هو اساطير الاولين وانما يعلمه بشر بقوله لسان الذي
يلحدون اي لغة الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه اعجمي غير منطلق اللسان
لا يكاد يبين وهذا اي القرآن الكريم لسان عربي مبين اي ذو بيان وفصاحة
يفصح عن المراد بابلغ بيان وكشف وظهور والاسناد فيه مجازي ثم ما قالوه من
انه انما يعلمه بشر مكابرة العيان اي المعاينة بحاسة البصر وان الذي نسبوا تعليمه
صلى الله عليه وسلم اليه اما سلمان الفارسي او العبد الرومي يعيش غلام حويطب
ابن عبد العزى اسلم وكان ذا كتب وسلمان انما عرفه بعد الهجرة فلا يتاتى انه كان
يعلمه بعد نزول الكثير من القرآن عليه كهذه الاية وبعد ظهور ما لا يعد من الايات
الدالة على ابطال ما زعموه بلا بينة واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي
صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه كما سياتي وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يجلس عنده عند المروة فزعموا انه كان يعلمه وكلاهما اي سلمان والرومي اعجمي اللسان
لكن لم يخلص لسانه من اللكنة وهم الفصحاء اللد لا غيرهم جمع الد وهو الشديد
الخصومة اذ هي اللد شديدة وفي الحديث ابغض الرجال الى الله الالد
الخصم بمعجمة مفتوحة فمهملة مكسورة اي الشديدها ومنه قول عثمان فانا منهم
بين السن لداد وقلوب شداد والخطباء اللسن جمع لسن وهو المنطيق اللسان
المعروف بجيد الكلام من رديه اذ كانوا النهاية في البراعة والحراص على التسابق
في مضمار البلاغة ومع ذلك قد عجزوا عن معارضة ما اتى به وعجزوا عن الاتيان
بمثله حين تلي عليهم وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من
مثله عن اقصر سورة منه فما تفوهوا ببنت شفة ولا اعربوا عن موصوف ولا صفة
بل قد عجزوا عن فهم وصفه اي تركيبه المنتظم نظما محكما رصينا لا نقص فيه ولا خلل
وعجزوا عن صورة تاليفه بعضا الى البعض في مرتبته بحيث لا تحسن لا يحوم حول
ايجازه بليغ ولا يقوم لا ينوء ايجازه ضليع وعجزوا عن صورة تاليفه بعضها الى
بعض في مرتبته بحيث حسن لا يحوم نظمه في سلك البيان على احسن ترتيب
وملايمة تناسب واساليب فكيف باعجمي استفهام عن حاله اذ كيف اسم مبهم
يستفهم به عن الحال والفاء مفصحة عن شرط مقدر اي اذا كانوا هما وصفوا به من
اللسن والفصاحة وعجزوا عما ذكر فما حال اعجمي الكن ابكم ذي عي وفهاهة بين اللكنة
قد كان سلمان غلام حويطب بن عبد العزى او بلعام الرومي او يعيش وجبرا ويسار
على اختلافهم في اسمه اي اسم غلام حويطب بين اظهرهم ويقال ظهرانيهم بزيادة
الف ونون مفتوحة التاكيد اي يقيم بينهم استظهارا واستنادا اليهم ظهر منهم
قدامه وظهر وراءه ومن جانبيه فهو مكنوف بينهم ثم قيل بين اظهرهم ثم كثر حتى
استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا فهم خبيرون باحوال سلمان وغيره ممن هو بينهم
من اهل الكتاب فانهم كانوا يكلمونهم مدة اعمارهم اي مدتهما واما في المدى الغاية ويعرفون
منهم عي اللسان وفهاهة الكلام فهل حكي عن واحد منهم كسلمان او الرومي انه صدر منه

شيء من مثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من البينات الباهرة والآيات الظاهرة
وهل عرف واحد منهم وهم بين اظهرهم بمعرفة شيء من ذلك اي مما جاء به صلى الله عليه وسلم
وبما صنعا لعدو من قريش وغيرهم عمل كثرة عدده ودوب طلبه اصله من داب يدأب
دابا ودووبا وداءبة اذا جد وتعب الا ان العرب حولت معناه الى العادة وان
وفي حديث البعير الذي سجد له صلى الله عليه وسلم فقال لصاحبه انه يشكو
لي انك تجيعه وتدئبه اي تكده وتتعبه بمداومة العمل عليه وقوة حسده ان يجلس
الى هذا الذي زعموه يعلمه فيأخذ عنه ايضا كاخذه صلى الله عليه وسلم في زعمهم
ما يعارض به ما جاء به صلى الله عليه وسلم ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه بسكون الغين
المعجمة والعامة تفتحها يقال شغبه وبه وفيه وعليه اي على تهييج شر وفتنة
وخصامه اي المشاغبة المخاصمة والمغاتنة كفعل النضر بن الحارث بما كان يخرق به
زخرفه وتزيينا للناس من زخارفه اخبار كتبه مما لا يجدي نفعا ولا يشفي غليلا كانه
يخراق لاعب لا برهان كاصنت تعلمه فيما فيقال حيث لم يردها انه مما استمد منهم
شيأ مما تحداهم به فعجزوا عنه قبل بعثته كما قال نبيا اميا لا يكتب ولا يحسب لم يزل
مكنوفا بين جميع جوانب بين اظهرهم يرعى من المراعاة وهي الملاحظة والحفظ وفي الحديث
خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل في صغره وارعاه على زوج في ذات يده
اي يلاحظ ويحفظ في صغره وشبابه في عادة آبائهم ملاحظا محفوظا كهم في صغرهم
وشبابهم ثم لم يخرج من بلادهم الا في سفرة او سفرتين مرة مع عمه ابي طالب فرده من
الطريق ابا شارة بحيرا الراهب واخرى في تجارة لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة
لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيهما القليل تعلما من علم وغيره فكيف يحتمل ان يكون الكثير
قد تعلمه في غيبته لم يطل فيهما مكثه فهو استفهام انكاري بمعنى نفي تعلمه القليل هو دون
بمعنى نفي الكثير فيهما على وجه برهاني اذ يلزم من انتفاء الملزوم انتفاء لازمه بل كان
في سفره صحبة قومه ورفاقه الذين كانوا معه مسافرين لم يغب عنهم ولا خالف حاله
التي نشأ عليها مدة مقامه بمكة الى ان هاجر منها الى المدينة من تعليم اي تعليم ومن
زائده فمحله رفع على الفاعليه مفعوله حاله واختلاف الى حبر بكسر المهملة افصح من
فتحها من احبار اليهود اي علمائهم السالكين طرق انبيائهم او منجم ممن يتعاطى علم
النجوم او قس بفتح القاف من قسيسي النصارى اي علمائهم او كاهن من كهنة العرب
وهو كل من يخبر عما سيكون بل لو كان هذا اي ما ذكرته قد صدر منه صلى الله عليه وسلم
بعد اي بعد مكثه بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه لكان ما اتى به من معجز القرآن
اي القرآن المعجز ببلاغته من طولب بمعارضته قاطعا لكل عذر لعتذروا به تعنتا وتعززا
ومدحضا من الدحض وهو الزلق اي مزلقا ودافعا لكل حجة تشبثوا بها في انكار
ماجاء به ومجليا لاح عليه مخايل اللبس

فصل من خصائصه صلى الله عليه وسلم

منها تشريفا له وكراماته التي اكرم بها وباهر آياته اي علاماته الغالبة الدالة على
صدقه انباؤه جمع نبأ اي خبر اي اخباره الواقعة له مع الملائكة والجن وامداده له
بالملائكة في مواطن كثيرة كبدر وطاعة الجن له كجن نصيبين ورؤية كثير من اصحابه
لهم وهذا اخبار اجمالي يرد عليك بيانه تفصيلا بعد جمع قال تعالى وان تظاهرا

اي موضحا وكاشفا للكلام هم

بتشديد

بتشديد الظاء بقلب احدى تائيه ظاء وادغمت وبتخفيفها بحذفهما اي وان
تتعاونا عليه بما يسوءه فلن يعدم من يظاهره فان الله هو مولاه اي ناصره و
وجبريل وصالح المؤمنين اي كل من صلح منهم بشهادة الاضافة بالعموم والملائكة
بعد ذلك اي بعد نصرة الله له وجبريل وصلحاء المؤمنين ظهير اي مظاهر
له ومنهم جبريل فافراده تفخيم لشانه واظهار المكانة عنده وذكر مظاهرته
له مع كونها من جملة مظاهرة الله له صلى الله عليه وسلم تعظيما لهم وقال اي الله
تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا اي اني معكم معينا وناصرا
لهم او بأني سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الجزع والهلع فتنخلع من صدورهم
فاضربوا فوق الاعناق اي اعاليها التي هي المذابح لانها مفاصل او الرؤوس لانها
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اي كل اصبع اطلاقا لاسم الجزء على الكل اي حزوا
رقابهم واقطعوا اطرافهم وقال اي الله اذ تستغيثون ربكم يا غياث المستغيثين
وانصرنا على عدوك وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى الكفار
الفا واصحابه ثلاثمائة فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط
رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم ربكم اني اي باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله
بالف من الملائكة مردفين جمع مردف بكسر الدال اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول قراءتان
اي متتابعين يردف بعضهم بعضا على قراءة الكسر او يردف بعضهم ببعض على قراءة
الفتح وقال واذ صرفنا اي املنا اليك نفرا دون العشرة وجمعه انفار من الجن
من اشراف جن نصيبين منهم زوبعة يستمعون القرآن المنزل للاعجاز المتعبد
بتلاوته فلما حضروه اي القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي بعضهم لبعض
انصتوا اي اسكتوا لنسمعه فلما قضي اي فرغ من قراءته ولوا جواب لما اي رجعوا
الى قومهم منذرين اي مخبرين لهم سبب حراسة السماء اذ قد وردا انها لما حرست
تفصحوا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة منصرفه من الطائف
يقرأ في صلاة الصبح فاستمعوا قراءته واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة
الجن فضعيف وفي صحيح مسلم عنه انه كما سيأتي انه لم يكن معه وقد اسند هنا من
شواهد ابنائه مع الملائكة حديث مسلم لقد راى من آيات ربه الكبرى قال اي راويه
عبد الله بن مسعود راى اي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلقه
الله عليها له ستمائة جناح وربك يخلق ما يشاء ويختار والخبر في محادثة مصدر مضاف
الى الفاعل اي مكالمته جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة كعزرائيل وما شاهده
من كثرتهم بشهادة حديث أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه
ملك اما راكع او ساجد وعظم صور بعضهم كعزرائيل واسرافيل ليلة الاسراء وشهود
رواه الائمة لخبر يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك وقد رآه اي جبريل بحضرته صلى
الله عليه وسلم جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فرأى اصحابه تعميم لما ذكر من تجمع
جبريل كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق في صورة رجل كدحية بن خليفة الكلبي

يسأله عن الاسلام والايمان فاجابه باركانهما وثمراتهما وما لهما واحد لرجوعهما الى
الآخر فان وان الانقياد والقبول ولهما مزيد بيان وشرحناه في كتبنا مقاصد المقاصد وشرح
الاربعين النووية ورأى ابن عباس واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية تمثيل لتمكنه منهما واستقراره فيهما كالمظروف استقر
وتمكن منه فاستعير له في هذا واما رؤية ابن عباس فرواها الترمذي بلفظ انه
ابن عباس رأى جبريل مرتين واما رؤية اسامة فرواها الشيخان عنه ○
وفيهما ان ام سلمة رأته واما غيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقي ورؤية
حارثة بن النعمان رواها البيهقي والبزار ورؤية محمد بن مسلمة رواها البيهقي ○
ورأى سعد هو ابن ابي وقاص كما رواها الشيخان عنه على يمينه ويساره جبريل وميكائيل
لف ونشر والظاهر انه مرتب في صورة رجلين عليهما ثياب بيض وروى عن عمر انه قال
سمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر اي زمن وقعته وبعضهم رأى كما رواه البيهقي
عن سهل بن حنيف وابي واقد الليثي تطاير الرؤوس من الكفار في وقعة بدر دون يرون
الضارب قال ابو داود المازني في رواية ابن اسحاق اني لاتبع رجلا من المشركين
يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي ورأى ابو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب يومئذ اي يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق وروى البيهقي عن سهيل
ابن عمرو انه هو الذي رآهم بين السماء والارض ما يقوم لها شيء بها ديمة بل ملك واحد
كاف في اهلاك الدنيا اذ قد اهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود
بصيحة واحدة وقد كانت الملائكة كما رواه ابن سعد عن قتادة تصافح عمران بن حصين
وفي مسلم انها كانت تسلم عليه وروى البيهقي عن عمار بن ياسر مرسلا انه صلى الله عليه وسلم
اري حمزة عمه بن عبد المطلب جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه من هيبته ورأى ابن
مسعود كما رواه البيهقي الجن ليلة الجن اي ليلة امران ينذرهم وسمع كلامهم وشبههم
برجال الزط بمعجمة مضمومة فمهملة مشددة قوم من السودان طوال هذا وقد يشكل
حديث مسلم فيما قرأ ان ابن مسعود لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ليلتهم لكن في سيرة
ابن سيد الناس ان حديثه مشهور روي من طرق حسنة قال وانفرد طريق ابي زيد
بزيادة التوضي بنبيذ التمر ورواها ابن ماجه ايضا من حديث ابن عباس بسند
فيه ابن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وذكر ابن سعد كاتب الواقدي ان مصعب
ابن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته تمثيل لتمكنه من السنة تشبيها
لحاله بحال من امتلى شيئا وركبه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
ظنا منه انه هو فقال له الملك لست بمصعب ففهم انه ملك كذا عزاه لابن سعد
لكن روى ابن ابي شيبة في مصنفه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم احد قدم مصعب
فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام
مكانه وتسمى باسمه وذكر غير واحد من المصنفين كالبيهقي وابن ماكولا عن عمر
بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فرد النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقال نغمة جن من انت قال
انا هامة بن الهيم بهاء مكسورة فتحتية ساكنة ابن لاقيس او لاقيس بزيادة تحتية

ابن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده ومن بعده من الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم وانه صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن المرسلات وعم واذا الشمس كورت
وقل هو الله احد والمعوذتين هذا وقد ذكر ابن الجوزي انه موضوع واقره الذهبي في
تجريده عليه اذ في طريق رواية عمر اسحاق بن بشر بن مقاتل الكاهلي قال العقيلي
اتفقوا على انه كذاب يضع الحديث وفي رواية انس محمد بن عبد الله الانصاري منكر
الحديث وكلا الاسنادين غير ثابت لا يرجع الى صحة والحديث لا اصل له وروى
النسائي والبيهقي عن ابي الطفيل مثل ما ذكر الواقدي قتل خالد عند قطعة العزى
تابعت الاعز سمرة كانت لغطفان يعبد وفيها للسوداء التي خرجت له منها بعد قطعها
ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها على رأسها داعية يا ويلها فجزلها بجيم فزاي
مفتوحتين اي قطعها بسيفه وهو يقول

• يا عز كفرانك لا غفرانك • اني رأيت الله قد اهانك •

واعلم اي خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى ولن تعبد ابدا وفي رواية
تلك شيطانة وروى الشيخان عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شيطا
ان كانت نونه اصلية فهو من الشطن اما بمعنى البعد لبعده من الخير او بمعنى الحبل
الطويل كانه طال في الشر وان كانت زائدة فمن شاط يشيط اذا هلك او من استشاط
غضبا اذا احتد والتهب فقلت ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت
ان اربطه اوثقه بوثاق منضما الى سارية اي اسطوانة من سواري المسجد حتى تنظروا
اليه كلكم كالعلة لارادته ربطه اليها فذكرت دعوة اخي سليمان صلى الله عليه وسلم
رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم الاستغفار على استيهابه الملك اهتماما بتقديم امر دينه
كغيره من الانبياء على امر دنياه لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل لغيري هذا ولم يكن
استعطاه رتبه مما لا يعطيه غيره حرصا على استقلاله بالنعمة بل طلب على حسب
ما الفه من ترتيبه في بيت الملك والنبوة ملكا زائدا زيادة خارقة للعادة بالغة
حد الاعجاز دالا على نبوته فتركت ربطه تأدبا مع اخيه سليمان فرده الله اي رده
الشيطان خاسئا اي خائبا حقيرا صاغرا مبعدا ○ فصل ومن دلائل
نبوته وعلامات رسالته جمع دليل وعلامة اريد بهما هنا ما يفيد ثبوت رسالته
وهو ما ترادفت به الاخبار اي تتابعت يتبع بعضها بعضا عن الرهبان من النصارى
كخبر الراهب بحيرا وكان اعلم اهل زمانه مع عمه ابي طالب وقد سافر به في اشياخ
من قريش الى الشام فوافوا بصرى من حوران الشام فنزل من صومعته وكان قبل
ذلك لا ينزل لمن مر به فطفق يتخللهم حتى اخذ بيده صلى الله عليه وسلم وقال هذا
سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له ○
ما علمك قال انكم حين اشرفتم لم يمر بشجر ولا حجر الا سجد له ولا يسجدان الا لنبي واني
لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم صنع لهم طعاما
واتاهم به وهو صلى الله عليه وسلم يرعى الابل فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله
فقال لهم انظروا الغمامة تظله فدنا منهم وقد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال
فيؤها عليه فقال انظروا فيئها مال عليه فبينا هو بينا يناشدهم الله ان لا يذهبوا به الى الروم

فانهم ان راوه عرفوه بصفته فيقتلوه راى سبعة او تسعة قد اقبلوا من الروم
فقال ما اقدمكم هنا قالوا سمعنا خروج هذا النبي في هذا الشهر فلم يبق طريق
الا بعث اليه ناس وبعثنا الى طريقك هذا فقال ارايتم امرا اراده الله هل يقدر
احد ان يرده قالوا لا فاقاموا عنده ثم رجع الى عمه فلم يزل به حتى رده الى مكة وبعث
معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا وما ترادفت به عن الاحبار
من اليهود جمع حبر بكسر اوله افصح من فتحها كخبر حبر بني عبد الاشهل اذ اتى
نادي قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل
مبعثه صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك اهذا كائن وان الناس يبعثون
بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون باعمالهم قال نعم ولوددت ان
حظي من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور ثم يقذفوني فيه ويطبقوه علي وان
انجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبي يبعثه الله من هذه
البلاد واشار بيده الى مكة قالوا متى قال فرمى بطرفه الى اصغر القوم فقال ان يعش
هذا يدركه فلما بعث امنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له الست الذي قلت ما قلت
واخبرتنا فقال ليس به وصدقها ما ترادفت به عن علماء اهل الكتاب من عطف عام
على خاص اذ ليس كل عالم منهم راهب او حبر من صفته وصفة امته صلى الله عليه وسلم
كخبر عبد الله بن سلام قال في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى
ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي
المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو
ويغفر مولده بمكة وهجرته بالشام وامته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء
يحمدونه في كل منزلة ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلوات اذا جاء
وقتها يتازرون على انصافهم ويتوضؤون على اطرافهم مناديهم ينادي في جو السما
صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم بالليل دوي كدوي النحل هذا ومعنى رعاة
للشمس يراقبون طلوعها وغروبها لوقتها حفظا لاوقاتها واسمه صلى الله عليه وسلم
كما قال كعب في التوراة محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
بالاسواق اعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا وقرا ويقيم به السنا
معوجة حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه وقال
مقاتل بن حيان في الانجيل اني خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي
فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران بلغ من بين يديك اني انا الله الحي القيوم الذي
لا ازول صدقوا النبي الامي العربي وقال وهب بن منبه في الزبور يا داود سياتي
من بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصيني ابدا
وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تاخر وامته مرحومة اعطيتهم
من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء
والرسل حتى ياتي يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وعلاماته كما في الانجيل
صاحب المدرعة والعمامة وهي التاج والنعلين والهراوة وهي القضيب الجعد الراس
الصلت الجبين الكث اللحية عرقه في وجهه كانه اللؤلؤ ريح المسك ينفح منه ٥

كأن عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته الى
سرته كالقضيب ليس على صدره وبطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جاء مع
الناس غمرهم واذا مشى كانما يتقلع من الصخر وينحدر في صبب وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه كما هو في كتب اهل الكتاب وقد راه الراهب بحيرا كما مر وكثير
من اصحابه صلى الله عليه وسلم كما رواه عنهم ائمة الحديث قال السائب
ابن يزيد ذهبت بي خالتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان ابن اختي وجع فمسح راسي ودعا لي بالبركة ثم توضا فشربت من وضوئه
ثم قمت من خلفه فرايت خاتم النبوة مثل زر الحجلة وعن غيره رايته بين
كتفيه عند نغض كتفه اليسرى عليه خيلان وما وجد من ذلك اي مما دل على نبوته
واخبر برسالته في اشعار الموحدين المتقدمين من المتالهين قبل البعث من شعر
تبع بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل اهلها الاوس والخزرج ويهود
فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا ثلاث ليال فاستحيى فارسل ليصالحهم
فخرج اليه من الاوس احيحة بن الجلاح ومن يهود بنيامين القرظي فقال لاحيحة
ايها الملك نحن قومك وقال لبنيامين ايها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها
قال ولم قال لانها منزل نبي يبعثه الله من قريش وانشد شعرا منه

الهى الى النصيحة كي ازدجر ... عن قرية محجورة بمحمد

وشعر الاوس بن حارثة وكعب بن لؤي سابع اجداده صلى الله عليه وسلم
ولم اقف على شيء منه وشعر قس بن ساعدة فيه صلى الله عليه وسلم

يا ايها الراقد في الليل الاجم ... قد بعث الله نبيا في الحرم
من هاشم اهل الوفا والكرم ... يجلو دجنات الدياجي والبهم

وقال

الحمد لله الذي ... لم يخلق الخلق عبث
لم يخلنا منه سدى ... من بعد عيسى واكترث
ارسل فينا احمدا ... خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما ... حج له ركب وحث

وقد راه صلى الله عليه وسلم بعكاظ وغيره وممن ثم عده ابن شاهين وغيره
من الصحابة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن فيه صلى الله عليه وسلم اذ قال
لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه يهنئونه بنصرته
على الحبشة اني مفض اليك من سر علمي ما لو غيرك لم ابح له به اذ قد رايتك معدنه
فاكتمه حتى ياذن الله فيه اني اجد في علمنا الذي ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن
غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة
ولك خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت
له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال ايها الملك لقد ابت
بخير ما آب به وافد ثم قال ايها الملك ابن لي ما ازداد به سرورا قال سيف
هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه

وقدولدناه مرارا • والله باعثه جهارا • وجاعل له منا انصارا • ليعز بهم اولياه • ويذل بهم اعداه • ويضرب بهم الناس عن عرض • ويفتح بهم كرايم اهل الارض • يعبد الرحمن • ويدحض الشيطان • ويخمد النيران • ويكسر الاوثان • قوله فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله • وينهى عن المنكر ويبطله • فقال ايها الملك وقد اوضحت لبعض الايضاح • قال سيف والله انك لجده فهل احسست بشيء مما ذكرت لك قال نعم انه كان لي ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا واني زوجته كريمة من كرايم قومي امنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا او كذا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعدا ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسدوك او ابناوهم ولولا اعلم اني اموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكي فانها مهاجره واهلها انصاره وبها منزله ولولا خوفي عليه لا علنت على حداثة سنه امره ولا وطات على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير بمن معك واذا حال الحول فاتني بخبره وما يكون من امره فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبي في الصحابة مع ايمانه في حياته ولم يره فالحق انه مخضرم لا صحابي ن وغيرهم كالراهب الذي قال لسلمان الفارسي اذ قال له بمن توصيني اكون عنده بعدك اي بني والله ما اعلم احدا على ما كنا عليه اوصيك ان تكون عنده ولكن قد اظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين في ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة ياكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل وما عرف به بتشديد الراء مبنيا للمفعول من امره صلى الله عليه وسلم زيد بن عمرو بن نفيل عن راهب بالجزيرة اذ قال له وقد ساله عن دين ابراهيم ان كل من رايت يعني من الاحبار والرهبان في ضلال انك تسال عن دين هو دين الله ودين ملايكته وقد خرج في ارضك نبي او هو خارج يدعو اليه ارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ببلدح فقال له اي عم ما لي ارى قومك قد ابغضوك قال اما والله ان ذلك لغير ثايرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرف به راهب الجزيرة من امره صلى الله عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم احس شيا بعد فقدم صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم فقال انا لا اكل مما لم يذكر اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة امة وحده كما رواه النسايي هذا وعد ابن منده له وكغيره ممن راه صلى الله عليه وسلم واجتمع به قبل البعثة من الصحابة توسع اذ لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد ها موسنا وما عرف به من امره ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي عن رهبان كثيرين واخبرته خديجة بنت خويلد بن اسد بما اخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب اذا راى ملكين يظلانه فقال لين كان هذا حقا لمحمد لنبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر هذا زمانه ثم انه كان ع ليستبطي الامر حتى قال • • •

ابتكر

ابتكرام انت العشية رايح • وفي الصدر من اضمارك الحزن فادح •
لفرقة قوم لا احب فراقهم • كانك عنهم بعد يومين نازح •
واخبار صدق خبرت عن محمد • يخبرها عنه اذا غاب ناصح •
فذاك الذي وجهت يا خير حرة • بغور وبالنجدين حيث الصحاصح •
الى سوق بصرى والركاب التي غدت • وهن من الاحمال قعص دوالح •
يخبرنا عن كل خير بعلمه • وللحق ابواب لهن مفاتح •
بان ابن عبد الله احمد مرسلا • الى كل من ضمت عليه الاباطح •
وظني به ان سوف يبعث صادقا • كما بعث العبدان هود وصالح •
وموسى وابراهيم حتى يرى له • بها ومنشور من الذكر واضح •
ويتبعه حيا لوي جماعة • شبابهم والاشيبون الجحاجح •
فان ابق حتى يدرك الناس دهره • فاني به مستبشر الود فارح •
والا فاني يا خديجة فاعلمي • عن ارضك في الارض العريضة سايح •

هذه شواهد صدق بايمانه مع ما لهم بانه صحابي بل هو اول الصحابة رك انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه صلى الله عليه وسلم اتاه بعد مجي جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة وبعد انزال اقرا باسم ربك عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على ناموس موسى • وانك نبي مرسل وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم راه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مسند رك ن الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فاني رايته وبيما وعليه حية اوحينات هذا وقول الذهبي عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة قواه جدا اذ في البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما اخبره بما قال له جبريل قال هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ليتني حيا اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال نعم لم يات احد بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا وما عرف به من امره عثكلان بمهملة مفتوحة فمثلثة الحميري ممن لقيه من الرهبان لم اقف له على ترجمة وهو منسوب الى حمير بن سبا جد قبيلة من اليمن منهم كانت ملوكه قديما وما عرف به من امره علما اليهود من كتبهم واخبروا به كقول عالم منهم كان بمكة يتجر في نادي من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله اكبر اما اذا اخطاكم خبره فانظروا واحفظوا ما اقول لكم ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة وبين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسال كل اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودي به فقال اذهبوا نظره فدخلوا به على امه فراى العلامة فخر مغشيا عليه ثم افاق فقالوا ويلك ما دهاك فقال ذهبت والله النبوة من بني اسراييل افرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها في المشرق والمغرب وما عرف به من امره شامول بمعجمة وميم

الكوذع

بينهما الف صاحب يثرب الذي مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا ان هذه مهاجر نبي
اخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم بيتا لا
وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا فيقال ان الانصار من ذريتهم من صفته وخبره
بيان لما عرف به زيد ومن ذكر بعده كعلماء اليهود اذ كانوا اعلم اهل زمانهم وزمان
بعثته واخبروا بانه مبعوث بدين ابراهيم اسمه احمد ومحمد وما الفي من ذلك اي
ما وجد مما ذكر عليهما في التوراة قال الله لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها
من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقالت لموسى اني مقيم لهم
نبيا من بني اخوتهم مثلك واجري قولي في فيه يقول لهم ما امرهم والرجل الذي لا يقبل
قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه والانجيل قال عيسى اني اطلب
الى ربي حتى يجعل لكم فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط هو
روح القدس الذي يرسله ربي باسمي اي بالنبوة هو الذي يعلمكم ويمنحكم جميع
الاشيا ويذكركم ما قلته واني قد اخبرتكم به قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا
به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه اقول لكم الان حقا ان انطلاقي عنكم
خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت ارسلت
به اليكم فاذا جا يفيد العالم ويدينهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر ان
روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء
نفسه مما جمع العلما بيان لما الفي فيهما من صفته وخبره وبينوه ونقله عنهم
ثقات من اسلم منهم مثل الحبر عبد الله ابن سلام وبني سعيه بالنون اوله والبا خلاف والمورد
انهما اثنان كما في دلايل النبوة للبيهقي وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحاق
قال ان اسيد او اسحاق ثعلبة ابني سعيه واسد بن عبيد نفرا من هذيل لم يكونوا
من بني قريظة ولا النضير قالوا قدم علينا قبل البعثة بسنين حبر من يهود الشام
يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقي به فحضرته الوفاة فجئناه
فقال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الرخا الى ارض البوس قالوا انت اعلم
قال انما خرجت اتوقع مبعث نبي قد اظل زمانه مهاجره هذه البلاد فاتبعوه
ولا يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دما من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما
فتحت خيبر قال اولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود والله
انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا
اموالهم واولادهم واهاليهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن كان عالما بصفته وخبره صلى الله
عليه وسلم ممن دعته السعادة الى الاذعان فانقاد واسلم ولم يره مثل كعب
فهو تابعي مخضرم او رآه كمخيريق فهو صحابي كان حبرا عالما من بني النضير استشهد
باحد واوصى للنبي صلى الله عليه وسلم بسبع حوايط اي بساتين جمع حايط وبستان
وبحيرا تقدم عنه ما شهد له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وعموم الرسالة
فهو من الفايزين بل من الصحابة ان لم يشترط في الصحابي الاجتماع به بعد البعثة
ونسطورا الحبشة قيده بهم حذرا لالتباسه بنسطورا الشام وصاحب بصرى وضغاطر

بمعجمتين

بمعجمتين ومهملة بعد الالف الاسقف الرومي اسلم على يد دحية الكلبي فقتلوه فهو
تابعي مخضرم واسقف الشام لعله نسطورا المتميز عنه فيما مر والجارود بن العلا
وفد في قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت
بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل ولبشرك ابن البتول
وطول التحية لك شكرا لمن اكرمك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا
اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم امن قومه وسلمان الفارسي والنجاشي
ونصارى الحبشة واساقف نجران اي علماؤهم ورؤساؤهم جمع اسقف اسم سرياني وفي النهاية
يحتمل ان يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته اذ هو لغة طول الانحنا وغيرهم ممن
اسلم من علما النصارى واعترف برسالته وعمومها قبل بعثته وقد اعترف بذلك هرقل
وصاحب رومية بتخفيف اليا رياسة الروم علما النصارى ورؤساؤهم بشهادة ما في
البخاري ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص
فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبي صلى الله عليه وسلم
وانه نبي ومقوقس ملك القبط اسمه جريج بن مينا صاحب مصر وحمله مما حاذاه اوثر
عنه ما اذن بمقاربته على كفره وصاحبه الشيخ وابن صوريا اسلم ثم ارتد الى دينه وابن اخطب
حيي ابو ام المؤمنين صفية واخوه ابو ياسر قتلا كافرين صبرا مع اسرى بني قريظة
وكعب بن اسد صاحب عقد بني قريظة وعهدهم موادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم نقض العهد فقاتلهم فغنمهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم والزبير بن باطيا بفتح
الزاي وكسر البا وفي نسخة باطا بلا تحتية والد عبد الرحمن بن الزبير الذي
تزوج امراة رفاعة القرظي تميمة بنت وهب فلم يمسها فشكته كما في البخاري لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت انما معه مثل هدبة الثوب فقال اتريدين ان
ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك من علما يهود من حمله
الحسد والنفاسة عليه بالنبوة فلم يره اهلا لها انفة وابما رامه على البقا على
الشقا والارتداد الى الكفر كابن صوريا واختلاف البا والشين ذاتا ومخرجا مع عدم
اشتباههما خطا اذن بانهما تختبس لاحق والاخبار من دلايل نبوته وعلامات رسالته
في هذا الذي شهدت به منهما كثيرة لا تنحصر وقد فرغ صلى الله عليه وسلم
اي ضرب وابلغ اسماع اليهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته كما مر عن
التوراة وفي الانجيل جد في امري واسمع واطع يا ابن الطاهر البتول
اني خلقتك من غير فحل الى اخرها تقدم وصفة امته كما مر عن التوراة وفيها
قال موسى رب اني اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم امتي قال تلك امة
احمد قال اني اجد فيها امة هم الاخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي
قال تلك امة محمد قال اني اجد فيها امة اناجيلهم في صدورهم يقرونها وكان
من قبلهم يقرون في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد
قال اني اجد فيها امة يؤمنون بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون رؤوس الضلالة
حتى يقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال اني اجد

فبجعلها امة يا كلون صدقاتهم في بطونهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال الى اجد فيها امة اذا هم احدهم بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة واذا هم امتي قال تلك امة محمد قال الى اجد فيها امة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد وفي الزبور يا داود انه يأتي بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا امة مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الانبياء وامرتهم بالحج والجهاد يا داود انى فضلت محمدا وامته على الامم كلها اعطيتهم ستا لم اعطها غيرهم لا اواخذهم بالخطا والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لاخرتهم طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندى اضعافا مضاعفة واعطيتهم على المصايب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم وان دعوني استجبت لهم فاما ان اروه عاجلا واصرف عنهم سوءا وادخره لهم في الاخرة واحتج صلى الله عليه وسلم عليهم اذا انكروا صفته وصفة امته بما شهد بهما من الايات البينات مما انطوت عليه صحفهم وذمهم صلى الله عليه وسلم بتحريف ذلك الذى انطوت عليه صحفهم من صفته وصفة امته وادكاره وكتمانه بعدم اظهاره وليسهم السنتهم ببيان امره اذ فتلوها وصرف ما شهد بهما وغيرهما للغير حسدا منهم وبغضا اذ كان من العرب لا من بنى اسرائيل بشهادة قول بعض احبارهم كالمحرم لجماعة من قريش من ولد له منكم الليلة ولد فقيل لعبد الله بن عبد المطلب فراه فخر مغشيا عليه ثم افاق فقال انقطعت والله النبوة من بنى اسرائيل ولم يطق الذمتم وفرع اسماع نصارى نجران بما امره ربه به من دعوتهم الى المباهلة اى الملاعنة على الكاذب فابوا كما مر ان يباهلوه حذر الهلاك وبذلوا الجزية كل سنة وودعوه وانصرفوا ندما تسمعهم اى من اليهود والنصارى الامر نفر واعرض عن معارضته فيما فرع اسماعهم به مما ذكر وابدى ما الزمهم به من كتبهم اظهاره اى اظهر من كتبهم ما الزمهم اظهاره فلم يظهروه كاية الرجم ولو وجدوا في كتبهم خلافه قوله لتسارعوا اليه ولكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال اى تركه مما لهم في فعله او فرحظ وشفا غليل وقد قال لهم اى لليهود حين قالوا لما فرع سمعهم قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى ظفر لسنا اول من حرمت عليه وقد كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين تبدى انكم انما لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم وهواه له تبجا بما فيها بتكذيبهم وتوبيخا فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا بها ثقفه الى اى مع ما انذر به الكهان من حلول البوس والنقم بمن خالفه وفاواه ولم يطعه مثل شافع بن كليب من كهان العرب ممن انذر به من لم يؤمن به ولم يتبعه وشق بكسر اوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى يد ورجل وعين وسطيح كاهن بنى ذويب من غسان لم يكن في بدنه عظم سوى راسه بل جسد ملقى لا جوارح له لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب انتفخ فيجلس عاش ثلاثمائة سنة خرج مع الازد ايام سيل العرم ومات وهو صلى الله عليه وسلم بمكة ايام شيروية بن هرمز بن بابك واولدويا الموبذان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت في بلادها بما حاصله ان ملكهم يزول لظهور النبي صلى الله عليه وسلم

له ... كتبت ... بحسنة ... فان عملها ... الى ... له عشر ... سبعمائة ضعف ... فاجعلهم

جبتهم

وقد فتح اصحابه بلاده في خلافة عمر وسواد بن قارب من ازد دوس كان كاهنهم في الجاهلية اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان رئيه في الجاهلية اخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما سياتي قريبا وخنافر بمعجمة مضمومة كاهن بنى حمير اسلم على يد معاذ ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي مخضرم وافعى نجران بهمزة مفتوحة ففا ساكنة كاهنهم في الجاهلية وجذل بن جذل الكندى بكسر جيميهما وسكون معجمتيهما كاهنهم فيما قال ابن خلصة بمعجمة فلام فمهملة مفتوحات وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان لم اقف لهم على ترجمة ومن لا يعد كثرة ممن اخبر بظهوره وانذر بمبعثه وانه من خالفه الى اى مع ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته بيان لما وحلول وقت رسالته كقول باجر صنم مازن الطائي وقد عتر له عتيرة يا مازن اقبل الى اقبل • تسمع ما لا يجهل • هذا نبي مرسل • جاء بحق منزل • امن به كي تعدل • عن حر نار تشعل • وقودها بالجندل • فقلت هذا والله العجب • ثم عترت له بعد ايام اخرى فقال يا مازن اسمع تسر • ظهر خير وبطن شر • بعث نبي من مضر • بدين الله الكبر • فدع نحيتا من حجر • تسلم من حر سقر • فقلت هذا والله العجب • وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول اجيبوا داعي الله اسمه احمد فقلت هذا والله نبا ما سمعت منه وكسرته ورحلت اليه صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة يا عصام يا عصام جاء الاسلام وذهبت الاصنام وصنم طارق بن هند بن حرام يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق ومع ما سمع من هواتف الجن جمع هاتف وهو الصائح بالشي الداعي اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم يا ذباب يا ذباب اسمع العجب العجاب • بعث محمد بالكتاب • يدعو بمكة فلا يجاب • وسماع ابن مرة الغطفاني جاء حق فسطع • ودمر باطل فانقمع • وسماع خالد من سطيح جاء الحق القايم والخير الدايم • وسماع سواد بن قارب من رئيه وهو نايم ليلا قم فافهم واعقل ان كنت تعقل • قد بعث نبي من لوي بن غالب • ثم قال

تف

عجبت للجن وانجاسها • وشدها العيس باحلاسها

تهوى الى مكة تبغي الهدى • ما مؤمنوا الجن كارجاسها

فانهض الى الصفوة من هاشم • واسم بعينيك الى راسها

ثم نبهني وافزعني وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهني في الليلة الثانية وقال

عجبت للجن وتطلابها • وشدها العيس باقتابها

تهوى الى مكة تبغي الهدى • ليس قداماها كاذنابها

فانهض الى الصفوة من هاشم • ما مؤمنوا الجن ككفارها

فوقع في قلبي حب الاسلام فاتيته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما راني قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه مني ثم قلت

اتاني رئيي ليلة بعد هجعة • ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة • اتاك نبي من لوي بن غالب

فشمرت عن ساقي الازار ووسطت • بي الدعالب الوجنا عند السباسب

فاشهد ان الله لا رب غيره • وانك مامون على كل غايب

وانك ادنى المرسلين شفاعة ❊ الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك يا خير من مشى ❊ وان كان فيما جاء شيب الذوايب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ❊ سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد وما سمع من ذابح النصب جمع نصب بمعنى منصوب للعبادة كسماع عمر من عجل راى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله وما سمع من اجواف الصور كما مر عن مازن السادن وغيره ومما وجد من اسمه صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا معقول ثان لوجد في الحجارة بالخط القديم ما اكثره مشهود على ما في كتب السير وغيرها مما نقله الثقات وتقدم نظيره من انه في بلاد الهند ورد مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واسلام من اسلم بسبب ذلك مما في الكتب او غيرها سماعا او رؤية كما مر معلوم مذكور في كتب ثقات نقلة الاخبار

فصل

ومن ذلك اي مما دل على نبوته ورسالته ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته امه امنة بنت وهب انها اتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد وما حكاه من حضر وقت ولادته من العجايب مما يتلى عليك قريبا وكونه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن الزهري مرسلا رافعا راسه عندما وضعته شاخصا ببصره الى السما اشارة الى السيادة كل شرف وسودد وفخار وما رات اي امه كما رواه احمد والبيهقي عن العرباض وابي امامة من النور الذي خرج معه عند ولادته حتى رويت منه قصور بصرى وما راته كما رواه البيهقي والطبراني اذ ذاك اي وقت ولادته ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم اي نزولها ودنوها منه تبركا به وشهود الولادة وظهور النور الذي سطع منه عند ولادته حتى ما تنظر ام عثمان بن ابي العاص في البيت الا النور وقول الشفا بمعجمة مفتوحة ففا مشددة ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل اي عطس لا صاح لشهادة جواب لما الاخير سمعت قايلا يقول رحمك الله تشميتا له من الملك ٥ واضا لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم بارض الشام رواه ابو نعيم في الدلايل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها وما تعرفت به حليمة بنت ابي ذويب السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى ظيراه تثنية ظير بمعجمة مكسورة ثم همزة ساكنة وهو في الاصل المرضعة وقد يطلق على ابي الرضاعة ايضا كما هنا من بركته صلى الله عليه وسلم ودرور لبنها له ولولدها رضيعة بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه ودرور لبن شارفها اي ناقتهما المسنة وخصب غنمها بعد ان كانت تسرح فترجع جياعا ما تبض بقطرة لبن كل ذلك بعد ان اخذته وقد تركته المراضع ليتمه ولم تجد غيره قالت فجيت به رحلي فاقبل عليه ثدياي فشرب حتى روي وشرب اخوه حتى روي وقام زوجي الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم تر ما بتنا الليلة من الخير والبركة قالت كما رواه سابقا ولاحقا ابن اسحاق وابن حبان والطبراني وابو يعلى والحاكم والبيهقي بسند جيد عن عبد الله بن جعفر وكانت قد اتاني قرا قد اذمت بالركب فلما رجعنا

الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبي هذه اتانك التي خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهي فيقولون والله ان لها لشانا فقدمنا ابيات بني سعد وما اعلم ارضا اجدب منها وان غنمي لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا احد تبض له شاة بقطرة لبن وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابنة ابي ذويب فيسرحون فتروح جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه وما تعرفت به وزوجها من سرعة شبابه وحسن نشاته اي كبره قبل تكامله من لداته يشب شبابا نموا ناشيا وفي الحديث كان اذا راى صبيانا في افق الشمس رايت الكراهة في وجهه اي شبها بالم يتكامل اجتماعه واصطحابه به قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شي به لما راينا فيه من البركة ثم قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه من وبا مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم وما جرى من العجايب مما يتعجب منه اذ اعظم موقعه وخفي سببه ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن عن مخزوم ابن هاني من انبعاج ايوان كسرى اي تحركه شديدا مع احكام بنايه ثم خلل به والايوان كديوان زنة هو الصفة العظيمة واصله اوان فقلبت واوه الاولى ياء لكسر ما قبلها وقد تخفف كخواف وكسرى بكسر اوله وفتحه معرب خسرو لقب ملوك الفرس كقيصر لقب ملوك الروم والاخشيد لملوك فرغانة وتبع لملوك اليمن والنجاشي لملوك الحبشة وسقوط شرفاته اربع عشرة بارتجاجه جمع شرفة بضمتين وقد تسكن راوه ملك منهم ملوك بعددها عشرة في اربع سنين والباقون الى خلافة عثمان وغيض بحيرة بناحية الاردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وبحيرتها عظيمة والمعروف ان الغايضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس وخمود نار فارس اي وقت غيض بحيرتهم فكانها طفيت بها ليلة ولد وكان لها الف عام لم تخمد وروى ابن سعد وغيره عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير اي حال صغره شبعوا ورووا اكلا وشربا ببركته ويمن طلعته واذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا اذ لم تشملهم بركته اذ ذاك وكان سائر ولد ابي طالب اي جميعهم يصبحون شعثا اي يدخلون في الصباح مغبرة وجوههم متغيرة الوانهم وشعور رؤوسهم وهم عقيل وطالب وجعفر وعلي وام هاني وجمانة وام طالب اسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا احوال من ضمير يصبح وما بينهما اعتراض افاد دعاله صلى الله عليه وسلم روى ابن سعد وابو نعيم في الدلايل عن بركة بنت محصن قالت ام ايمن بركة ما رايته صلى الله عليه وسلم اشتكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا اذ كان ربه يطعمه ويسقيه اي يخلق فيه قوتهما ومن ذلك اي من دلايل نبوته وعلامات رسالته حراسة السما بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع اي القول المسموع من الحق فيلقونه الى اوليائهم فيكذبون معه ما شاؤوا فمنعوا منه بظهوره صلى الله عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر وكثر الحرس لشهادة قوله تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته ما اتى عليه من بعض الاصنام لشهادة حديث البيهقي عن زيد بن حارثة ٥

قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت وطفت معه قبل البعثة فلما مررت
بالصنم تمسحت به فقال لى لا تمسه ثم طفنا فقلت فى نفسى لامسنه حتى انظر ما يقول
فمسحته فقال لى الم تنه قال زيد فوالذى اكرمه بالذى اكرمه ما استلم صنما قط وتشا
عليه من العفة من امور الجاهلية ومعايبها لما اريد به من الكرامة بالرسالة حتى فاق
افضل قومه كلا واشرفهم حلالا واكرمهم خلقا واتمهم مروة واحسنهم مخالطة
واصدقهم حديثا وابعدهم عن الفحش تنزها واعظمهم امانة حتى ما سموه فيهم الا الامين
وما خصه الله به من ذلك من الاخلاق الرضية والاعمال الزكية والاعانة على نوائب
الحق وحماه قبل بعثته من الصفات الرديه والسمات الشنيعة حتى فى ستره من التعرى
كشفا للعورة فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة فيما رواه الشيخان عن جابر والبيهقى
عن ابن عباس اذ اى حين اخذ ازاره بامر عمه العباس ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط على الارض وطمحت عيناه الى السما حتى رد ازاره عليه فقال
له عمه العباس بن عبد المطلب مالك قال انى نهيت عن التعرى وفى رواية وكنت وابن
اخى نحمل الحجارة على رقابنا وازرنا تحتها فاذا اغشينا الناس اتزرنا فبينما انا امشى ومحمد
امامى خر لوجهه فجئته وهو ينظر الى السما فقلت ما شانك فاخذ ازاره وقال نهيت
ان امشى عريانا فكتمت الناس مخافة ان يقولوا مجنون ومن ذلك اى مما دل على
نبوته ورسالته فيما رواه الترمذى والبيهقى اظلال الغمام له فى سفره على ما مر فى
حديث الراهب بحيرا ومن ذلك لابن سعد عن نفيسة بنت منية ان خديجة ونساها رايه
والملكان يظلانه وقاية له من حر الشمس فذكرت ذلك لميسرة غلامها فاخبرها انه راى ذلك
منذ خرج معه فى سفره الى الشام كما مر انه اخبرها ان الراهب راهما يظلانه وروى كما روى
الواقدى وابن سعد وعساكر فى تاريخه عن ابن عباس ان حليمة بنت ابى ذويب ظئره
رات غمامة تظله وهو عندها جملة حالية من ضمير تظله اى حال اقامته عندها قبل
ان ترده الى جده وروى ذلك اى تظليل الغمامة له عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك
اى مما دل على نبوته ورسالته ولم ادر من رواه انه صلى الله عليه وسلم نزل فى بعض
اسفاره قبل بعثته تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها مبالغة فى العشب اى
كثر عشبه وهو الكلا ما دام رطبا اى نبت فيه عشب كثير وايفعت يقال اينع الثمر
يونع وينع يينع فهو مونع ويانع اى ادرك ونضج وفى حديث خباب فمنا من اينعت
له ثمرته فهو يهديها وفى خطبة الحجاج انى ارى رؤسا قد اينعت وحان قطافها فشبه رؤسهم
لاستحقاقهم القتل بثمار دنضجت على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها القطاف
تخييلا والينع ترشيحا واينع اكثر استعمالا من ينع فاشرقت اى ارتفعت وتدلت على اغصانها
اى استرسلت عليها مطلة عليه مظلة له صلى الله عليه وسلم متعلقة بمخضر من راه ومن ذلك
ميل فيء اى ظل الشجرة اليه فى الخبر الاخر المتقدم عن الراهب بحيرى حتى اظلته ومن ذلك
ما ذكر فى نوادر الاصول للحكيم الترمذى عن عبد الرحمن بن قيس وهو وضاع كذاب
عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان من انه صلى الله عليه وسلم
كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا والنور لا ظل له هذا معنى ما فى النوادر
ولفظها لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر ومن ذلك ما ذكر من ان الذباب كان لا يقع على جسده

ودنياه

ودنياه ولا علم لى بمن رواه ومن ذلك مما رواه الشيخان تحبب الخلوة اليه ولفظ
البخارى ثم حبب اليه الخلوة اى العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب وتجشمه والاعا
على التفكر وانقطاعه على مالوفات النفس حتى اوحى الله ما اوحى اليه تكريما وتعظيما
ثم اعلامه فيما رواه الشيخان وغيرهما بموته ودنو اجله المشير له الامر بالاستغفار
فى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره وان قبره بالمدينة رواه ابو نعيم فى الدلايل عن
معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض وروى البيهقى عن ابى بكر
الصديق ان قبره يكون فى بيته صلى الله عليه وسلم وان ما بين بيته ومنبره روضة من رياض
الجنة وسيرد عليك ومن ذلك مما رواه البيهقى فى الدلايل تخيير الله له بين الدنيا
والاخرة عند موته بلفظ قالت عايشة كنا نتحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يموت
حتى يخير بين الدنيا والاخرة فسمعته فى مرضه الذى مات فيه يقول مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا فظننا انه كان يخير
وفى رواية قالت لما نزل به وراسه على فخذى غشى عليه ثم افاق فاشخص بصره الى
سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهى اخر كلمة تكلم بها وفى رواية ان جبريل
قال له ان ربك يقرئك السلام ورحمة الله وفى رواية قال يا محمد ان الله ارسلنى اليك
اكراما وتفضيلا وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال اجدنى
مغموما مكروبا وصلاة الملايكة عليه على ما رويناه فى بعضها انه صلى الله عليه وسلم قال وان
الملايكة يدخلون فيصلون من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على اى صلاة الجنازة بتحرم
وتكبير وتسليم ثم صلى عليه اصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى فى الموطا بلاغا قال اخبرنا
مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثا
وصلى الناس عليه افذاذ لا يومهم احد ورواه الشافعى فى الام بلفظ فقد صلى الناس على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنافسهم فى ان لا يتولى الامامة فى الصلاة عليه واحد
صلوا عليه مرة بعد مرة ومن زعم ان المراد بها الدعا فقد نكب عن الحق وعدل عن الحقيقة
الى المجاز بلا بينة وقرينة صارفة عنها اليه واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على
غيره لقبض روحه الشريفة اذ قال له جبريل ان ملك الموت بالباب يستاذن عليك ولم
يستاذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ايذن فقال السلام عليك يا محمد ان الله امرنى
ان اطيعك فيما امرتنى به ان اقبض نفسك قبضتها وان امرتنى ان اتركها تركتها ونداهم الذى سمعوه
لا تنزعوا القميص عند غسله حين قالوا ما ندرى انجرده من ثيابه ام نغسله بها فالقى
عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم سمعوا قايلا لا يدرون من هو غسلوه
وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه رواه ابو داود والبيهقى
وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه ابى عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال اخذوا
فى غسله فاذاهم بمناد من داخل لا تخرجوا عنه قميصه ومما روى له فى دلايل النبوة
للبيهقى من تعزية الخضر والملايكة اهل بيته عند موته اذ سمعوا قايلا لا يرون
شخصه يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ان فى الله خلفا من
كل هالك وعزا من كل مصيبة ودركا من كل فايت فبالله ثقوا واياه فارجوا فان
المصاب من حرم الثواب الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركاته التى تكاد تفوت

الحصر في حياته وبعد موته كاستسقاء عمر بعد العباس كما رواه البخاري
وتبرك غير واحد مما لا يكاد يحصى كثرة بذريته الحسيني وزين العابدين على بن الحسين
وابنه ابى جعفر محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم وصالحي اولادهم
فصل قد اتينا اى جمعنا واوردنا في هذا الباب اى الباب الرابع فيما اظهر الله
على يديه من المعجزات وقد اتى معنى فعل يتعدى بعلى كما ... على نكت جمع نكتة من نكت
بالارض اذا اضر بها فاثر فيها ونكت الكلام لطايفه ودقايقه من معجزاته واضحة
حال مما قبله وجمل من علامات نبوته جمع جملة وهى ما جمل احاده وجملت افراده اى
جمعت ولا حصيت والعلامات جمع علامة وهى ما جعل علما عليها يعلم صدقه من عرفها مغنية
حال من جمل اى تغنى من عرف حقيقتها في نبوتها في واحد منها اى من النكت والجمل المكابرة
والغيبة عما يوهم ويصرف عن الايمان بها والاذعان والانقياد له صلى الله عليه وسلم
وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا من نكت معجزاته وجمل علامات نبوته واقتصرنا من الاحاديث
الطوال على عين الغرض اى على نفسه اذ عين الشئ نفسه اى على المقصود الباعث
له الى ايراده فيه وهو في مرمى السهم استعير اسمه لما يقصد لامر ما بجامع القصد وفص
بفتح الفا اى صفوة المقصد بفتح المهملة بمعنى المقصود من الامور الوسطى بين الافراط
والتفريط واثبتنا فيه من كثير الاحاديث وغريبها على ما صح وهو ما رواه ثقة تفرد به
راو عن الامام سوا كان بجميع حديثه ام لا خلافا لابن منده ثم الانفراد اما بجميع المتن
كحديث النهى عن بيع الولا اذ لم يصح الا من جهة عبد الله بن دينار عن ابن عمر او ببعض
الا ما فيه كان ينفرد في متن رواه غيره بزيادة كحديث زكاة الفطر تفرد فيه ملك عن
جميع من رواه بقوله من المسلمين او في السند كحديث ام زرع فيما رواه الطبراني
في الكبير من رواية الدراوردى وعباد بن منصور كلاهما عن هشام بن عروة
عن عايشة والمحفوظ فيه رواية عيسى بن يونس وسعيد عن هشام بن عروة عن اخيه
عبد الله بن عروة عن عروة عن عايشة بزيادة عبد الله مع ان المرفوع لك كابى زرع
لام زرع وباقيه موقوف على عايشة واشتهر بين ايمة الحديث واتضح امره واستفاض
الا يسيرا من غريبه الذى لم يشتهر بان كان وحشيا لقلة دورانه على الشيء مما
ذكره مشاهير الايمة من الحفاظ للسنة ونقادها وحذفنا الاسناد في جمهورها
اى اكثرها وفي حديث ابن الزبير لما وبنا الا نذع مروان يرمى جماهير قريش بمشاقص
اى جماعاتها واحدها جمهور ومن جمهرته اذا جمعته طلبا مفعول من اجله حذف
الاسناد للاختصار حذرا من التطويل وبحسب ... ثانيه والبا زايدة اى
كافي هذا الباب اى الرابع لو تقصى بقاف ومهملة مشددة مبنيا للمفعول اى لو تتبع
وخلص من مظانه ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة لا ... لكثرة ما ورد
فيه من معجزات باهرة وتشريفات وافرة وحسب مبتدأ خبره ان يكون ديوانا وجواب
لو محذوف وقد ذكرنا واصل ديوان دوان اسم للشيطان كما مر قلبت واوه الاولى
يا لكسر ما قبلها ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من ساير اى كل معجزات
الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بوجهين احدهما كثرتها مع اشتهارها اذ الكثرة
لا تستلزم الشهرة وانه لم يوت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها

منه ايما هو كثيرة صح

او

او مما هو ابلغ منها كالقران المجيد فانه ابلغ معجزة اوتيها اذ به صارت مصاقع الخطبا
من العرب العربا لسكنا فلم ياتوا حين تحدوا بابا قصر سورة منه ببنت شفة حتى الجاهم العجز عن
المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف وقد نبه الناس على ذلك فقيل اذ كان تعالى
تدلى لخلق ادم بيده فقد تولى شرح صدر نبينا بنفسه مع ان كان المقصود بخلق
ادم او رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه ليلة المعراج الى ان كان قاب قوسين او ادنى
او نجا نوحا ومن معه من الغرق فقد امنه وامته من عذاب يغشاهم او اكرم ابراهيم
بنجاته من نار نمرود فكانت عليه بردا وسلاما فقد اكرمه باطفا نار وقودها السيوف
ولهيبها الحتوف كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله او اكرم موسى بقلب عصاه حية
بلا نطق فقد اكرمه بنطق كثير من الاشجار والاحجار كتسبيح الحصا وحنين الجذع وتسليم
الحجر الاسود والشجر عليه وسعيها اليه او ببياض يده فكان لها شعاع يكاد يذهب
بالابصار فقد اكرمه بانه لم يزل نورا في اصلاب الابا وبطون الامهات من ادم
الى عبد الله او بانفلاق البحر فقد اكرمه بانشقاق القمر او بانفجار الماء من الحجر
فقد اكرمه بنبعه من بين اصابعه او بكلامه فقد اكرمه ليلة الاسرا او اكرم هارون
بفصاحة لسانه فقد كان منها ومن البلاغة بالمحل الاكمل او خص يوسف بشطر الحسن
فقد منحه بكله او اكرم داود بالانة الحديد فقد اكرمه باخضرار العود اليابس
وادرار شاة ام معبد بلا ولد لبنا خالصا سايغا للشاربين او اكرم سليمان
بمنطق الطير وغيره فقد اكرمه بنطق ما ذكر والبعير والظبى والضب وذراع
الشاة المسمومة وغير ذلك او بتسخير الريح فقد اكرمه بطى الارض له فراى
مشارقها ومغاربها او بتسخير الشياطين فقد امكنه من ابيهم اذ جاءه
بشعلة من نار ليحرق وجهه في صلاة المغرب فربطه بسارية من سواري المسجد
او بملك لم يعطه احد فقد خيره بين ان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا ومن ثم
قيل ٥ يا خير عبد على كل الملوك ولى ٥ او اكرم عيسى بابرا الاكمه والابرص
واحيا الموتى فقد اكرمه باحيا بنت من قالت له لا او من بك حتى تحيى لى بنتى
فاتى قبرها فناداها فقالت لبيك وسعديك ورده عين قتادة الى محلها بعد
خروجها منه فصارت احسن ما كانت واما كونها اى معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة
فهذا القران به كثر بها اذ كله معجز سور وايات اذ اعجز من طولب بمعارضته من البلغا
فلم ينهض لارادة ما يدانيه معارض ولا لمقدار اقصر سورة منه ناهض واقل ما يقع
به الاعجاز فيه عند بعض ايمة التحقيق سورة انا اعطيناك الكوثر لكمالها بارتفاعها بما
كفى قاما منه الى ان خرج عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته واية بقدرها لا ... بما
قران كريم لا يحوم حول معارضتها بليغ وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت
معجزة بالرفع خبر ان وكان تامة اكتفت بمرفوعها المستتر فيها اى كيف وجدت
وزاد اخرون على من قال من ذكر الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة
او كلمتين وهو يؤيد القول بمرتد من طولب بمعارضة شئ منه عن الاتيان بمثله
والحق ما ذكرناه اولا عن بعض ايمة التحقيق ان اقل ما يقع به الاعجاز انا اعطيناك
الكوثر او اية بقدرها لقوله فاتوا بسورة من مثله الشامل لها ولغيرها مما هو

اى مما ذكر اولاً اقل ما تحداهم به اى اقل شئ طلب منهم معارضته مع ما ينضم هذا
القول الذى ذكره اولاً واورد اسم الاشارة موضع الضمير لكمال العناية بتمييزه
اكمل تمييز لاختصاصه بما ينضم من نظر فى مراتب الاعجاز وتحقيق لها ولطائف اعتباراتها
الا ترى شيئا من تلك اللطائف يراعى فى كلام بليغ من وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى
فى كلام رب العزة من الطف وجه واجمله فى تبيينك مطابقا كايراد المعنى الواحد على
الانحاء المختلفة بحسب مقتضيات المقامات كما فى قوله لقد وعد تعالى فى المؤمنين لقد وعدنا
نحن وآباؤنا هذا من قبل ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما وفى النمل لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
ائذا متنا وكنا ترابا فقدم هذا على مرفوع وعدنا لكونه اهم من حيث انه
ادخل فى تبعيد البعث عن ساحة الامكان لبعد بقاء جزء من ابدانهم على صورته نفسه
فاستلزم زيادة اعتنائه لادخليته فى استبعاد البعث وذكر هناك فى محله
لا يزال المقام ببقاء بعض اجزائهما اعنى العظام وعدم استلزامه تلك الزيادة وقس
بما ذكرنا كثيرا يطول بسطه واذا كان هذا اى ما تحداهم به اقل ففى القران من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف بالتشديد وقد يخفف وهو ما زاد على عقد
حتى يبلغ العقد الثانى وزيادة على عدد بعضهم ممن عد كلماته وعدد كلمات
انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزى القران لعشر اعشار على نسبة عدد
انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء منها واحد معجز فى نفسه بارتقائه
الى ان خرج عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته ثم اعجازه كما تقدم فى مظانه بوجهين
طريق بلاغته باشتماله على لطائف سحر الايجاز وطريق نظمه فى سلك ايجاز بليغ
واعجاز لا تهب حوالى شريف جانبه رياح الاتيان باقصر سورة منه فصار فى كل
جزء من هذا العدد السبعة الاف معجزان من جهة بلاغته ومن جهة نظمه فيضاعف
العدد من هذا الوجه ذى الجهتين فيصير اربعة عشر الفا ثم فيه اى فى القران
وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب مما صدر من القرون السالفة فى ازمانها
الماضية فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب
كخبر احوال موسى مع احوال فرعون فى وقايعهما كل خبر منها بنفسه معجز
فتضاعف العدد المضاعف كرة اخرى ثمانية وعشرين الفا ثم وجوه الاعجاز الاخر
وهى الغيبية التى ذكرناها توجب التضعيف الى ما لا يكاد يحصى كثرة فهذا التضعيف
الوافر فى حق القران فلا يكاد يأخذ العدد معجزاته لكثرتها وعسر ضبطها بالتمام
الى كنه حمى الاعجاز ولا يكاد يحوى الحصر براهينه القاطعة عن معارضة اقصر
سورة منه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة منه صلى الله عليه وسلم فى
ما سبق من هذه الابواب المتقدمة مما اشرنا الى جمل منها تبلغ نحوا من هذا
فى التضعيف فلا تكاد يأخذها عد ولا يحويها حصر لكثرتها جدا الوجه
الثانى من وجهى كون معجزاته اشهر من معجزات الرسل قبله وضوح معجزاته واشتهارها
الى حيث لم تجهل فان معجزات الرسل كانت واردة على ايديهم بقدر احوال اهل
زمانهم وكانت بحسب الفن الذى سما فيه اى ارتفع شهرة بمعرفة ذلك الفن
فى زمانهم قرنه اى اهله من الاقتران وهو فى الاصل المقدار الذى تقترن فيه اهله

فى اعمارهم

فى اعمارهم واحوالهم قيل هو اربعون سنة او ثمانون او مائة وقد اطلق هنا على اهله
اسوة بحديث خيركم قرنى ثم الذين يلونهم فلما كان زمن موسى غاية علم اهله
السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم على يديه صلى
الله عليه وسلم منها ما خرق عادتهم من انقلاب العصا حية واليد السمراء بيضاء
من غير سوء ولم يكن ذلك المعجز فى قدرتهم وانى لهم ذلك ليدخل تحت نطاق قدرهم
وقد ابطل ما جاءهم منها سحرهم وكذلك اى وكزمن موسى اذ كان غاية علم اهله
السحر زمن عيسى اغنيا اسم تفضيل من الغاية اى انهى ما كان علم اهله الطب واوفر
اى اكثر شئ فى زمنه كان اهله فجاءهم على يديه صلى الله عليه وسلم امر لا يقدرون عليه
لاستحالة اتيانهم كفرهم به واتاهم لم يحتسبوا اى ما لم يخطر لهم ببال من غير ترقب
وتوقع من احياء الميت بيان لما لا يقدرون عليه وابراء الاكمه الذى ولد اعمى ممسوح
العين والابرص من به داء بياض وكان يأتيه من اطاق الاتيان ومن لم يطق ذهب صلى الله
عليه وسلم اليه فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى وذوى العاهات فيداويهم
من دون معالجة وطب بل بالدعاء وهكذا اى مما ذكر سائر معجزات الانبياء كانت بقدر علم
اهل زمانهم فكان كل نبى يرسل الى قومه بمعجزة من جنس ما عانوه من علم
وصناعة وغيرهما ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب
وعلومها اى ما تعرفه من الجزئيات وتعرفه من الكليات على ما مر والواو للحال اى
بعثه والحال انه مدركاتهم اربعة البلاغة وهى ملكة يبلغ بها المتكلم فى تأدية المعانى حدا
يؤذن بتوفيته خاصة كل تركيب حقها والشعر وهو كما مر كلام موزون مقفى يراد
به الوزن والخبر اذا كانوا بالمحل الاسمى من معرفة اخبارها وانسابها وايامها
وفى حديث ابى بكر وكان نسابة اى بليغ العلم بالانساب وهاؤها علامة للمبالغة
والكهانة وهى كما مر معاناة الخبر عن الكائنات وادعاء علم الاسرار فانزل الله عليه القران
الخارق لهذه الاربعة فصول البلاغة والشعر والخبر والكهانة باشتماله على
ما يرهقها فيزهقها فاذا هى زاهقة من الفصاحة تعليل لكونه خارقا لها واللام
عن ضمير القران اى الخارق من اجل فصاحته كما فى يجعلون اصابعهم
فى آذانهم من الصواعق اى من اجلها او بمعنى الباء اى الخارق بفصاحته كما فى
ينظرون من طرف خفى اى به او زائدة اى الخارق فصاحته والايجاز من اوجز اذا
قلل اللفظ مع تكثير معناه والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم اى عن نوعه وطريقته
اذ ليست فصاحته وايجازه وبلاغته كفصاحة القران وايجازه وبلاغته لوروده
على ما حير الالباب واخرس الالسن وبدا لفظ وفتر الاذهان ونكب الخواطر عن الاتيان
بما يرى اقصر سورة منه والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد يستعير للنوع
والطريقة يقال هذا من ذلك النمط اى من نوعه وطريقته ومن النظم الغريب الذى
لا يمكن نظم كلام بليغ فى سلك فصاحته وانى بمن عطفا على من الفصاحة لفصل الصفة
بينهما والاسلوب العجيب الانيق الذى لا يمكن ان يرقم وشى كلام بليغ على طرزه
لم يعهد وارغ المنظوم من كلامهم الطريقة الذى تقاصرت قواهم عن معارضة
سورة منه لارتقائها اياته الى اعلى مراتب الاعجاز ولا علوه فى اساليب الكلام اى طرقه

معرفتها

الموثقة والاوزان والاوزان الشعرية في نظمهم منهجه اى طريقه المسهلة
ومن الاخبار عطف على من النظم الغريب والطول الفصل اى بمن عن الكواين
والحوادث جمع كاين في الاعيان وحادث في الاكوان والاسرار والمخبات والضماير
التى لولا اخباره بها لم تعلم متوجد فيعلمها من اطلع عليها على ما كانت عليه من
ذاتا وصفة ويعترف المخبر بفتح البا اى من اخبر عنها بصحة ذلك اى وجدانها
على ما كانت عليه وصدقه وان كان ذلك المخبر المعترف اعدى العدى فلا تمنعه
عداوته من اعترافه بها اذ لا يسعه جحد ولا انكار حذرا مما يلحقه من وصمة التكذيب
ومعرته بذلك فابطل اى القران او النبى صلى الله عليه وسلم الكهانة التى تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها اى قلعها بجذورها من اصلها برجم الشهب ورصد
النجوم اى حبلها بما معده لحفظ السما من استراق الشياطين السمع ترميهم بشهب
منفصلة من نارها لا نفسها لثبوتها في الفلك كقبس اخذ من نار وهي ثابتة
كاملة لم تنقص وجا في القران من الاخبار عن القرون جمع قرن وهو الامة من
الناس من الاقتران فكانه كاشر بزيد بيان المقدار الذي يقترن فيه اهل
ذلك الزمان في اعمارهم السالفة اى الماضية وفى حديث مدج بفتح الميم
عن عباب سلفها اى معظمها والماضون منها وانبا الانبيا اى اخبارهم جمع نبا
والامم البايدة اى الهالكة من باد يبيد اى هلك وفى حديث الحور العين نحن الخالدات
فلا نبيد ابدا اى لا نهلك ولا نموت والحوادث الواقعة من خير وشر فى الازمان
الماضية ما فاعل جا اما نكرة موصوفة بما بعدها او موصولة به اى جا فيه مما
ذكر شى او الذى يعجز من تفرغ لهذا العلم من بعضه ممن عانا علم الاخبار والامم
والحوادث معاناة على الوجوه التى بسطناها وبينا المعجز فيها مع ما وشحناها
به من ايضاح اغنى عن اعادته هنا ثم نعت هذه المعجزات فصاحة وايجازا وبلاغة
واخبارا عن الكواين والحوادث وغير ذلك خارجة عن طرز كلامهم بنظم غريب واسلوب
عجيب الجامعة لهذه الوجوه المذكورة انفا المضمومة الى الفصول الاخر المتقدمة
التى ذكرناها في معجزات القران فيما مضى ثابتة الى يوم القيامة لا نقراها تبديل
بينة الحجة اى حجتها بينة والجملتان في موضع الحال من ضمير بقيت لا يماط عنها اعجاز
ولا رونق ايجاز لكل امة تاتى بعد التى قبلها اى كل جيل من الناس والحيوان جيل
وفى الحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اى على اصل ولادة امنا ويقال للرجل
المنفرد بشهادة ان ابراهيم كان امة قانتا لله لا تخفى وجوه ذلك العجز المتقدم
بانواعه على من نظر فيه وتامل وجوه الاعجاز اى مع ما اخبر به من الغيوب على
هذه السبيل البين تباشير وجوه اعجازه لا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدوق
تظهور خبر بفتح بايه اسم مفعول اى باطلاعه على ما اخبر من وجوه الفصاحة
والايجاز والبلاغة وغرابة النظم وبراعة الاسلوب وغير ذلك فيتجدد عنده
ويستمر يتجدد امثاله الايمان به ويتظاهر البرهان اى يتقوى بامثاله ولا امه
للحس ليس الخبر كالعيان بمهملة مكسورة اى ليس هما في الافادة سوا وان ذلك
غاية افادته غالب الباطنية وهذا غاية افادته يقينية وللمشاهدة زيادة في اليقين

على

على ما يفيده مثلا متواترا من العلم استدلالا والنفس اشد طمانينة بتميز النسبة
اشد الى عين اليقين الذى يفيده المعاينة منها الى علم اليقين الذى يفيده المتواتر
بالاستدلال ومن ثم قال الخليل صلى الله عليه وسلم اذ قيل له اولم تومن اى بعلم الوحى
والاستدلال بلى ولكن ليطمين قلبى بمضامة علم العيان الى علم الوحى والاستدلال فازديما
العلم الضرورى مع انه صلى الله عليه وسلم كان اثبت من غيره ايمانا وان كان علم
اليقين عندها حقا لا مرية فيه لكن عين اليقين اسكن لها واعون لها على ازدياد
طمانينتها وساير معجزات الانبيا انقرضت بانقراضهم اى انقطعت بموتهم وعدمت
بعد وجودها بعدم ذواتهم وجود انها فى الدنيا والا فهى موجودة فى البرزخ متصلة بها
ارواحهم لشهادة اجتماع نبينا بهم ليلة الاسرا وانه مر بموسى وهو فى قبره يصلى
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد اى لا تهلك ولا تنعدم ولا تنقطع ولا تفوت
واياته من عطف العام على بعض افراده الشاهدة بصدقه وحقية ما جا به اذ معجزاته
بعض افراد اياته تتجدد ولا تضمحل انقطاعا وتجددا ولهذا اى ولاجل ان معجزاته لا تبيد
ولا تنقطع اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخارى ما من الانبيا نبى الا
اعطى من الايات البينات ما نكرة موصوفة بما بعدها او موصولة به مثله امن
مبتدا او خبر صفة للنكرة او صلة الموصول وعايده الضمير المجرور فى عليه البشر
اى ليس نبى منهم الا اعطاه الله من المعجزات الدالة على نبوته شيا او الذى اذا شوهد
الجاه من شاهده الى الايمان به فخص كل نبى بما يشهد به دعواه من خوارق العادات
بحسب زمانه فاذا مضى زمانه انقطعت كقلب العصا لموسى حية واخراج يده
بيضا على ما مر لغلبة السحر فى زمانه واتاهم بما هو فوقه اعلى من احيا الموتى
وابرا الاكمه والابرص وخلق الطير باذن الله فى زمن البلاغة والفصاحة فجاهم
بالقران فى اعلا مراتب الاعجاز الموذن به قوله وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه
الله الى معجز اى انها طبقات البلاغة واقصى غايات الاعجاز لا يتاتى لاحد ان ياتى
باقصر سورة منه لجزالة تركيبه وفخامة ترتيبه الخارج عن طوق البشر كرم الفايدة
عميم العايدة على حاضرى نزوله ومن غاب عنه ومن جا بعده قرنا فقرنا على ممر
الازمنة ومن ثم رتب عليه قوله فارجو ببقايه الى يوم القيامة ان يومن به كل من تامله
بهداية الله له فاذن اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم
وهو اى ما ذكر من معناه عنده هو الظاهر والصحيح المعول عليه ولا يعدل عنه وذهب
غير واحد من العلما فى تاويله من آل يوول الى كذا اذا رجع وصار اليه اى نقله مما افاده
ظاهر لفظه الى ما يحتاج الى دليل لولاه لم يعدل عن ظاهر لفظه وفى حديث عايشة كان
صلى الله عليه وسلم يكثر فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك يتاول القران اى
اى اخذه من قوله فسبح بحمد ربك واستغفره وظهور معجزة نبينا الى معنى اخر غيره
مما افاده منطوقا من ظهورها بكونها اى بسبب كونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا
التخيل عليه والتشبيه به لاستحالة جريان ذلك فى كلام بليغ لا يعتريه تخييل ولا
تمويه وانما يغشى الصناعات فان غيرها اى غير معجزة نبينا من معجزات الرسل قد رام
المعاند ونها باشيا طمع فى التخييل بها اى بتلك الاشيا على الضعفا تمويها واراه

لم ليتوسلوا بذلك الى ابطال المعجزات لهم كما لقا السحرة الذين جمعهم فرعون من مداينه حبالهم
وعصيهم ليبطلوا المعجزة موسى التى هى العصا بسحرهم واقهم فتلقفت ما افكوه فاذا كان
السحرة بمشاهدة ذلك الى الاذعان بانها اية ظاهرة ومعجزة باهرة فامنوا بموسى
ولم يبالوا بما فعل لهم فرعون من صلبهم فى جذوع النخل بل قالوا لن نوثرك على ما جانا
من البينات والذى فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا
امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى وشبه هذا
الذى فعله سحرة فرعون مما يخيله الساحر على الضعفا او يتخيل فيه انه حق والقرآن كلام
الله ليس للحيلة ولا للسحر فى التمويه فيه عمل لاستحالة ان يعتريه شئ من ذلك فكان
اى القرآن من هذا الوجه اى من حيث انه كلام الله لا يلم به شئ من ذلك عندهم اى عند
متوالى الحديث بما ذكر اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب انه لا يكون
شاعرا ولا خطيبا بضرب اى نوع من الحيل والتمويه لاستحالة ذلك فى الكلام نظما
ونثرا وهذا التاويل الاول الذى قال عنه هو الظاهر والصحيح اخلص وارضى للنفوس لافادته
المعنى المرضى المصوغ له الكلام منطوقا غير مفتقر الى تاويل يصرفه عن ظاهره ومرتبى
التاويل الثانى الذى ذهب اليه غير واحد من العلما ما يغمض عنه الجفن ويقضى منه
لصرفه اللفظ عن معناه المصوغ له الى ما لم يصغ له بلا داع اليه وجه ثالث فى كون
القران معجزا خارقا للعادة على مذهب من قال بالصرفة كالنظام وكثير من طايفة المعتزلة
والمرتضى من الشيعة قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم
منه وان المعارضة بمثله وقوعا كانت من قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب
قدرهم ودواعيهم او علمهم الشروط فى الاتيان وكان عندهم علم بنظمه وعلم بتاليف
كلام يساويه او يدانيه والعادة ان من كان ما عنده امكنه ذلك فكانوا لما حاولوا
اذا الهاهم الله عن قلوبهم او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدور ثم
اى من جنس كلامهم الذى يقدرون عليه ولكن لم يكن ذلك بعدم تمكنهم منه قبل ولا
يكون بعد ظرفان بنيا على الضم لقطعهما عما يضافان اليه لفظا اى قبل التحدى ولا بعد
لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه بعده وبين المذهبين اى مذهب القايلين ۵
بالصرفة واحد مذهبى اهل السنة فرق بين لتمكنهم على الاول منه الا انهم صرفوا عنه
ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع كونه من جنس مقدورهم وعليهما جميعا فترك العرب
على الاول الاتيان بما فى مقدورهم من مثله او سورة منه او اقصر سورة او تركهم
على الثانى ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلا الحق الذى حاط بهم من قتله
صلى الله عليه وسلم والجلا عن اوطانهم والسبا لاهليهم وذراريهم والاذلال لانفسهم
وتغيير الحال بخلفهم بعدم اذعانهم الى الحق من خير الى شر وسلب النفوس
فتكا وغيلة وصبرا والتقريع بالقاف من اقرعه اى قهره بكلامه والتوبيخ تحقيرا
واذلالا والتعجيز عن الفوز والظفر بالمرام والتهديد بعظايم النكال والوعيد بلوايع
الوبال بين اية خبر المبتدا اعنى ترك العرب اى اظهر علامة للعجز عن الاتيان
بمثله والنكول اى الاعراض عن معارضته وانهم صنفوا عن شئ هو من جنس
مقدورهم اى كلامهم الذى يقدرون عليه والى هذا اى ما ذكر من ان تركهم

الاتيان

الاتيان مع رضاهم بما ذكر ابين اية لعجزهم عن الاتيان بمثله ذهب الامام ابو
المعالى عبد الملك بن ابى محمد الجوينى الملقب امام الحرمين الشافعى وغيره قال ابو المعالى
وهذا عندنا ما بلغ فى خرق العادة بالامر فقال المبديعة فى انفسها كقلب العصا حية
ونحوها كاخراج اليد بيضا من غير سوء واحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص باذن الله
فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا اى سرعة من اول وهلة انه ذلك اى قلب العصا
حية ونحوها من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة امتاز بها عن غيره فى ذلك
الفن الذى عاناه اهل زمانه وفضل عليهم اوتيه وقد افضى الى التدبر وذلك السابق الى
بال الناظر بما ذكر صحيح النظر والتفكر فى ان قلب الباهية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق
البشر انما لم يطوقه خالق القوى والقدر واما التحدى للخلايق اى طلب المعارضة
منهم سنين جمع ماية من السنين تمييز لسنين وهى ظرف لتحديهم بكلام من جنس
كلامهم ليأتوا بمثله علة للتحدى فلم ياتوا بمثله فهو ايقاظ وتحريك لهم ليتاملوا فى ان
هذا المتلو عليهم مركب من عين ما يركبون منه كلامهم فيتيقنوا انه ما بلغ المراتب
التى بدت بلاغة كل فائق واعيت فصاحة كل فايق ولم يتجاوز الحد الخارج عن قوى
البلغا بجزالة نظمه وجزالة تركيبه ولم يمكن قدرهم دونه فعجزوا عنه وهم امرا و
الكلام وزعما المحاورة والتساجل فى اقتضاب الاساليب والتمالك على افتنان
التراكيب انما هو كلام ليس بكلام بشر فلم يبق بعد توفر الدواعى كثرة على المعارضة منهم
بعد توفرها كثرة لم يبق على تقدمها الا ان منع الله الخلق عنها اى عن المعارضة الا لغرابة
نظمه السرى وبداعة تركيبه الوافى او لكونه وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه
ولا التخييل عليه ولا التشبه به او يصرف الله لهم عنها مع قدرتهم عليها وتمكنهم منها او
لكون الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ولا يكون لعدم اقدار الله لهم عليها
ولا يقدرهم بمثابة من قال لنبى وقد طلبت منه اية تؤذن لصدقه ايتى ان يمنع الله
القيام على الناس مع قدرتهم عليه وانتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك الذى
قاله ذلك النبى وعجزهم الله عن القيام لكان من اياته ايه واظهر دلالة على صدق دعواه
النبوة وقد غاب عن بعض العلما وخفى عليه وجه ظهور اياته اى معجزته التى هى القران
على سائر ايات الانبيا ولم يدر انه ببقائها معلومة لكل احد فى كل اوان متلوة بكل ۵
مكان حتى احتاج العذر عن ذلك الذى زعمه من عدم ظهورها بدقة افهام العرب
وذكا البائهم اى شدة فطنتهما وحدتهما ووفور عقولهما وانهم لما اوتوه وخصوا به من
نباهة الشان وفطانة القريحة ادركوا المعجزة فيه اى فى القران من تراكيبه الانيقة
وعباراته الرشيقة واعتبار براعة الجزلة ومعانيه السهلة بفطنتهم وجاءهم
من ذلك اى مما ادركوا فيه معجزته بحسب ادراكهم مصدر مضاف فهم اى ادراكا كما فهم
جلاه فاجلاه وعجزهم من القبط وغيرهم ممن نشا فى معاهد اللكنة وصنع لبان الفهاهة
لم يكونوا عنده البيبل من دقة الفهم وذكا الفطنة ووفور العقل بل كانوا من
الغباوة وقلة الفطنة عطف تفسير للغباوة او هى عدم الفطنة ولاختلافهما
فيهم قلة وعدما وتفاوتا وتعاطيهما عليهما فكانوا منهما وصفا بحيث جوز عليهم
فرعون انه ربهم اذ قال كما حكى الله تعالى عنه انا ربكم الاعلى فاستخف قومه وتمادى

وجوز عليهم موسى بن ظفر السامري كان من عظماء بني اسرائيل ذلك في العجل
اى انه ربهم فعبدوه بعد ايمانهم وعبدوا المسيح عيسى بن مريم مع اجماعهم على صلبه
وما صلبوه اى اليهود ولكن شبه لهم فصلبوا من القى عليه الشبه بعد قتله فجاءتهم
اى اليهود من الآيات الظاهرة البينة للابصار وفقد غلط افهامهم المتجافية عن
اقتباس المفهومات لبلادة فطنتهم بما فاعل جاء لا يشكون فيه ومع هذا اى مع ما جاءهم
من الآيات الظاهرة بحيث لا يعروهم شك ولا يريعهم وهم فقالوا خطابا لموسى كما حكى
الله تعالى عنهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اى معاينة ظاهرية ولم يصبروا
على المن والسلوى اى الترنجبين والسمانى اكتفا بالعلم بهما فقالوا لن نصبر على طعام
واحد واستبدلوا الذى هو ادنى من الدنو وهو في الاصل للمكان ثم استعير للخسة
اى ادون قدرا بالذى هو خير وهو المن والسلوى فانه خير في اللذة وعدم الحاجة
في السعي والعرب على حالتهما التى كانت عليهما قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وكرايم
الدين والمفاخرة بالانساب والتكبر وغمط الناس ومما افادته علمهاء من الاستعلا
تمثيل لتمكنهم منهما واستقرارهم عليهما بحال من اعتلى شيا وركبه اكثرها يعترف بالصانع
تبارك وتعالى المتصف بصفات الكمال والغنى المطلق وانما كانت تتقرب بالاصنام اليه
تعالى بشهادة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده وسنة من
عبد غيره تعالى من قبل ان يرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه
متعلق بآمن اى اخذ بنظره نظرا صحيحا ما في السموات والارض من بدايع الغرايب
وروائع العجايب الى انه تعالى واحد لا شريك له وآمن به وحده كزيد بن عمرو بن نفيل
وقس بن ساعدة وكانا من موحدى الجاهلية واما ورقة بن نوفل فقد ادرك البعثة
وامن به صلى الله عليه وسلم كما مر ولما جاءهم اى العرب الرسول بكتاب الله القرآن
الكريم والفرقان العظيم فهموا الحكمة الوارد هو عما هو مركوز في عقولهم لعنصر ط
ذكائهم وحدة فطنتهم فاهتدوا الى معرفتهما لما انسوه من انواره لا مثله فان الكتب
الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل وتبينوا بفضل
ادراكهم لاول وهلة اى في اول التفاتهم اليه معجزته فالبعض منهم قد امنوا به
وازدادوا كل يوم ايمانا بمخالطة بشاشة القلوب ورفضوا اى تركوا من امن به
الدنيا كلها في صحبته اى مصاحبين له وهجروا اوطانهم وامولهم مذعنين
لما جاء به روما لرضاه واكراما لمثواه وقتلوا اباءهم وابناءهم ممن ناواه ولم
يومن به نصرة له واظهارا لدينه على الدين كله واتى في معنى هذا اى من بيان معجزته
وظهورها وتحديه بما من انواع البيان مما نظمته بنان الافكار ربما يلوح اى يلمع
له رونق يروق الافهام بيانا ويعجب منه زبرج بمعجمة مكسورة فموحدة فمهملة
فجيم اى زينة من ذهب او جواهر او وشى لو احتيج اليه للاح له احسن رونق
وابهج زبرج لكنا قدمنا من بيان معجزته صلى الله عليه وسلم وظهورها
وما الى شيء عظيم يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك المالحة بما ثمان
لا يحتاج اليه ويغنى عن ركوب ظهورها مثلها محسوسات لها بطون
تستتر فيها وظهور تعتلى وتركب فاثبت لها الركوب مستغنيا عنه

الى القسم الثاني

القسم الثاني من الكتاب فيما يجب على الانام

اى الخلق وهو ما على الارض من دابة والمراد المطلوبون من حقوقه صلى الله عليه وسلم
مما اوجبه الله له عليهم اكراما له واحتراما ومجموعها اى مجموع ابواب هذا القسم الاربعة
في وجوب تصديقه اى الايمان به في جميع ما جاء به عن ربه تعالى وفي وجوب اتباع
في سنته اى طريقة دينه القيم ومن وجوب طاعته امتثالا له في جميع اوامره واجتناب
نواهيه وقد ترجمها فصول الباب الاول وفي وجوب محبته وهي كما مر ميل النفس
الى المحبوب فقد اوجبهما الله علينا وقد وسع بهما فصوله الباب الثاني وفي وجوب
مناصحته من النصح وهو لغة الخلوص وشرعا كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير
للمنصوح له اى الاخلاص في الانقياد اليه في جميع افعاله واقواله وفي الحديث
الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولايمة المسلمين وعامتهم فنصيحة الله صحة
الاعتقاد في وحدانيته واخلاص النية في عبادته ونصيحة رسوله التصديق بما
بنبوته ورسالته والانقياد لما امر به ونهى عنه ونصيحة كتابه التصديق به
والعمل بما فيه ونصيحة الايمة طاعتهم في المعروف بشهادة حديث لا طاعة
لمخلوق في معصية الله وعدم روية الخروج عليهم وان جاروا ونصيحة عامة المسلمين
ارشادهم الى ما يصلحهم وفي هذا بيان سمحنا به في شرح الاربعين النووية
وفي وجوب توقيره اى تعظيمه وقد ضمنها فصول الباب الثالث وفي حكم الصلاة
عليه والتسليم من وجوب وغيره وزيارة قبره الشريف وقد اودعها فصول الباب
الرابع وهذا حديث اجمالي سيرد تفصيله

الباب الاول في فرض الايمان به

صلى الله عليه وسلم وهو لغة التصديق افعال من الامن للصيرورة
لان المصدق صار ذا امن من ان يكذبه غيره او للتعدية كانه جعل غيره امنا من
التكذيب ولهذا مزيد بيان سمحنا به في شرح كتابنا مقاصد المقاصد وغيره
ووجوب طاعته فيما امر به ونهى عنه واباحه واتباع سنته اى طريقة شريعته
اذا ثبت بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به لانه فرع
ثبوتهما كتوقف المشروط على شرطه وتصديقه فيما اتى به عطف تفسيري عند من يقول
الايمان التصديق فقط قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والنور الذي انزلنا هو القرآن اذ هو بما عجازه ظاهر بنفسه مظهر ما فيه بيانا
بديعا وقال انا ارسلناك شاهدا بتصديق من بعث اليهم اياك او بتكذيبهم
ونجاتهم او ضلالهم ومبشرا للمؤمنين وحذف المبشر به تفخيما لشانه ولتذهب
النفس كل مذهب ممكن ونذيرا للكافرين بطشة الله بهم فيما تماروا به لتومنوا
بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الخطاب له ولامته او لهم تنزيلا لخطابه
منزلة خطابهم وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته
مما انزل عليه وعلى غيره من الرسل ولم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول
الله اليكم للالتفات من التكلم الى الغيبة تلويحا بفخامته لما فيه من مزيته
البلاغة واجرا لهذه الصفات الآمرة باتباعه والايمان به عليه ايذانا بان

الذي وجب اتباعه والايمان به هو الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته كما بينا تاكان انا وغيري اظهارا للنصفه وتفاديا من العصبيه
لنفسه واتبعوه مذعنين منقادين له فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب
امتثالا لامر الله تعالى ايانا به فيما ذكر من الايات وغيرها اذ لا يتم لاحد ايمان
بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الا بالايمان به صلى الله عليه وسلم
ولا يصح اسلامه الا معه اي مع الايمان وهذا بنا على تغايرهما والحق اتحادهما
اذ لا يعقل شرعا مسلم غير مؤمن ولا مؤمن غير مسلم بشهادة فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال الله ومن
لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الظاهر موضع المضمر
ايذانا بان لم يجمع بين الايمانين فهو كافر واورد سعيرا نكرة تهويلا لها وتعظيما
لامرها وتلويحا بانها نار مخصوصة كنار تلظى ثم استدل على وجوب الايمان
به بما رواه منا من طريق مسلم ورواه البخاري ايضا عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم امرت اي امرني الله اذ لا امر له سواه
تعالى ان اقاتل الناس عام خص منه من اقر بالجزية حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
استثناء من الكثرة المفهومة من اله اذ مفهومه كلي موجود بما صادق عليها
مستحيل وجودها خارجا بقطع دليل الوحدانية لها ويؤمنوا بي وبما جيت به
بما امرني ربي ان ابلغهم للناس واطوقهم تكاليفه وحتى هنا للغاية فجعل
غاية قتالهم الايمان بهما وبما جا به صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك اي امنوا
بهما وبما جا به صلى الله عليه وسلم والتزموا احكام شريعته عصموا مني دماهم
واموالهم اي منعوها اذ العصمة المنعة والاعتصام اي الاستمساك افتعال
منه فلا يجوز سفك دماءهم واخذ اموالهم بسبب من الاسباب الا بحقها كقتل
نفس ظلما وترك صلاة وزكاة بتاويل باطل وحسابهم على الله فيما يسرونه من
كفر ومعاصي والحكم بالايمان ومؤاخذتهم بحقوق الاسلام انما هو مما يقتضيه
ظاهر حالهم والله يتولى سرايرهم فيثيب من شا ويعاقب من شا والايمان به
صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له الاضافة فيهما بمعنى اللام
او في اي تصديقه بهما او فيهما وتصديقه في جميع ما جا به وفي جميع ما قاله
مما امر بتبليغه ومطابقة تصديق القلب بذلك اي بتصديق نبوته ورسالته
وما جا به شهادة اللسان بانه صلى الله عليه وسلم رسول فاذا اجتمع
التصديق به بالقلب والنطق اي معه بذلك مما ذكر باللسان تم الايمان به
صلى الله عليه وسلم والتصديق له كما ورد في هذا الحديث اي حديث ابي هريرة
نفسه من رواية الشيخين عن عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت اي امرني ربي اذ ليس احد فوقه يامر سواه تعالى ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غاية لقتالهم وقد زاده
جبريل وضوحا في حديث جبريل المتقدم الذي رواه الشيخان الا اي حين قال
له صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الاسلام هو في الاصل الانقياد والطاعة من

الطوع

الطوع والرغبة من غير اعتراض يقال سلم واسلم واستسلم اذا خضع واذعن
ومن ثم اجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاركان الخمسة ان تشهد ان لا اله
الا الله مستثنى من امر كثرة متوهمة وجودها لجاحد وان محمدا رسول الله ارسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وتقيم الصلاة اي تاتي بها في وقتها بتعديل
اركانها مداوما عليها من صلى بمعنى دعا وحرك الصلوين وهما عرقان في الردف
وقيل عظمان ينحنيان في الركوع والسجود ومن ثم كتبت بالواو وتؤتي
الزكاة لمستحقيها اولا تمام عادل من زكى بمعنى نمى وظهر فان المال يزيد بها دايما
ويطهر به وتصوم رمضان في وقته من صام اذا امسك وتحج البيت اي تقصده
بالنسك وهو اسم جنس اريد به الكعبة ان استطعت اليه سبيلا خصه بالاستطاعة
مع ان الكل مشروط بها اذ هي ما يتمكن به المكلف من فعل الطاعة اذ المراد بها
هنا الزاد والراحلة لما يحصل من المشقة في ادايه او تسهيلا على العباد وتيسيرا
لهم وزجرا لمن يلقي بيديه الى التهلكة في سفره بغير زاد وراحلة معولا على
السؤال ثم سأله صلى الله عليه وسلم جبريل عن الايمان فقال جوابا للسؤال له
عنه ان تؤمن بالله احذر ان يلم بفكرك ان هذا تفسير للشي بنفسه وتامل ما يلقى
اليك لعلك تونس من جانبه جذوة نور تهتدي بها الى انه هناك معدى بنفسه
اما بمعنى صيرورة المصدق بفتح الدال امنا من ان يكذبه غيره او جعل هو غيره
امنا من التكذيب ولم يضمن شيا وهنا ضمن معنى الاعتراف ومن ثم عدي بالباء
اي ان تعترف بوحدانيته وما يليق بجنابه الكريم وملايكته بانهم عباد مكرمون
مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة ولا انوثة ليسوا بنات لله وكتبه
بانها منزلة من عند الله صادقة فيما تضمنته من احكام وان معناها واحد
قديم قايم بذاته مناف للسكوت بمعنى عدم ارادته وللافة بمعنى عدم مطاوعة
الالة ورسله بانهم مبعوثون من ربه صادقون فيما جاوا به عنه واليوم الاخر
من الدنيا او اخر الازمنة المحدودة اي الايمان به وبما فيه كالبعث والحساب
والميزان وفي هذا المقام زيادة بيان في كتبنا شرح الاربعين النووية ومختصر
المقاصد وشرحه فقد فرق صلى الله عليه وسلم ان الايمان به يحتاج الى العقد
بالجنان اي الجزم بالقلب والاسلام اي الاقرار به مضطر الى النطق باللسان وهذه
الحالة هي المحمودة ذهابا منه الى انه اسم لفعل القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية
وغيرهم ووصفها بكونها تامة موذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق به
وان النطق انما هو شرط لاجرا احكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة وراه
وعليه ودفنه في مقابرنا واخذ زكاته واما في الاخرة فمن امن بقلبه ولم يعلم به احد لا على
وجه الا بالنفعه ايمانه عند الله واما الحالة المذمومة فانما هي الشهادة
باللسان دون تصديق بالقلب وهذا هو النفاق بالمعنى الخاص شرعا وهو اخفا
الكفر واظهار الايمان واما هو لغة فاظهاره خلاف ما يضمر من نافقا اليربوع
وهو الخفي من بابي حجره فاذا اتاه حارسه ليصيده اقبل عليه موهما انه يريد ان
يخرج اليه ثم ينكص على عقبيه فيخرج منه هاربا فيقال نافق اليربوع اذا اخرج

من نافقا به قال

ويستخرج اليربوع من نافقا به . ومن جحره بالشيخة اليتعصم .

تبارك تعالى حال لازمه اى متعاليا عما لا يليق بكرم جناب قدسه الشريف اذا جاءك المنافقون خطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول الله زعما منهم انه شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم والله يعلم انك كما زعموه مطابقا للواقع دون اعتقادهم لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فى قولهم ذلك اى فى قولهم انك لرسول الله عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه الواو للحال اى غير معتقدين قولهم نشهد انك لرسول الله فلما لم يصدق ذلك اى قولهم ضميرهم اى لم تصدق قلوبهم ما قالوه بالسنتهم ولم تواطيه لم ينفعهم ان يقولوا اى قولهم بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب منهم وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فخرجوا عن اسم الايمان اى عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكن لهم فى الاخرة حكمه اى حكم الايمان مع المؤمنين وحسابهم وورودهم الحوض ودخولهم الجنة اذ لم يكن معهم ايمان ولحقوا بالكفار فيحاسبون كهم ولا يردون الحوض ويدخلون جهنم داخرين فى الدرك الاسفل من النار والادراك منازل اهلها ويقال الى الاسفل والدرج الى فوق . بقى عليهم بحسب الظاهر حكم الاسلام جار دنيا ملون كالمسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم باظهار شهادة اللسان منهم فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين عطف عام على خاص او الائمة هم العلما والحكام هم الذين احكامهم جارية على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام كالاذعان والانقياد والتزام احكامه ظاهرا اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا اى الائمة والحكام بالبحث عنها اى عن السرائر الا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها فقال فيما رواه البخارى لاسامة بن زيد لما قتل من اضطر فاسلم لتقتله بعد ان اسلم هلا شققت عن قلبه لتعلم اقالها خالصا من قلبه ام لا والفرق بين مجرد القول باللسان والعقد بالجنان ما جعل ما مصدرية اى جعله صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل المتقدم الشهادة من الاسلام فقال مجيبا له عن سؤاله عنه ان يؤمن هذا ولا تتوهم من تفسير كل منهما فيه بغير ما فسر به الاخر تغايرهما لان ذلك انما هو تفصيل لما تضمنه اسم الايمان من قول وفعل مما هو من اثاره وسببا ته لا من حقيقته لشهادة تفسيره الاحسان فيه بان تعبد الله كانك تراه اشارة الى الاخلاص المتضمن تفسيرهما فدل على ان تغايرهما انما هو على سبيل التفصيل لتوكيد او زيادة بيان فيهما متحدان بمعنى رجوعهما الى القبول والاذعان بدليل انه صلى الله عليه وسلم جعل فى حديث وفد عبد القيس ما فسر به الاسلام فى حديث جبريل ايمانا بقوله اتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس على ان الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان لها وانما ذلك حقيقة الايمان فاصلهما الاذعان والقبول

اذ لا يصح شرعا ان يحكم على احد بانه مؤمن ليس مسلما او مسلم ليس مؤمنا فاخرجنا من كان فيهما من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وبقيت حالتان اخريان احداهما ان يصدق مكلف بقلبه ثم يخترم اى يموت قبل اتساع وقت الشهادة بالحق بما فيه بلسانه فاختلف فيه امؤمن هو ام لا فشرطه بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان بما ورآه اى راى من صدق بقلبه ثم اخترم قبل تمكنه من اللفظ به بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لعذره لعدم تمكنه من الاتيان به لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان يخرج روى مبنيا لفاعله ومفعوله من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة مفعال من الثقل واتى به تلويحا بانه وان صغر قدره فهو عند الله عظيم لاعتباره فى الاخرة بشهادة ان الله لا يظلم مثقال ذرة بمعجمة هى النملة الصغيرة وتقع على كل جزء من اجزاء الهبا فلم يذكر صلى الله عليه وسلم ما فى القلب من مثقال ذرة منه وهذا شاهد صدق بانه مؤمن بقلبه فينفعه ايمانه عنده لانه غير عاص ولا مفرط بترك غيره من الاتيان بالشهادة لعدم من الاتيان بالشهادة لعدم اتساع الوقت وهذا الراى من هذا البعض هو الصحيح فى هذا الوجه الحالة الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله بميم فهاء مفتوحتين هو التوسع والتانى استغير لطول الزمان وعلم ما يلزمه من الشهادة اى النطق بها فلم ينطق بها جملة من اجملت الحساب اذا جمعت احاده وكملت افراده وفى حديث العدد كتاب اسما اهل الجنة قالنا داجمل على اخرهم اى احصوا وجمعوا فلا يزاد عليهم ولا ينقص فكانه اجمل على ما فى قلبه من الايمان فلم يزد عليه النطق بها ولا استشهد فى عمره مرات بل ولا مرة فهذا الذى لم ينطق بها مع عقده الايمان بقلبه اختلف فيه ايضا من الابيض وهو العود اى عاد فيه الخلاف وقد تقدم مرارا فقيل هو مؤمن لانه لم يكن من مقصود الايمان والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد فى النار ان دخلها وهذا الامر عند المحققين هو الحق ولا يقضى عند من يقول الايمان هو التصديق فقط وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة بالله ورسوله اذ الشهادة انشا عقد والتزام وهى مرتبطة مع العقد بالجنان ولا يتم التصديق مع المهملة اى التاخير زمانا الا بها وهذا اى القول الثانى هو الصحيح فى انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقده باقرار مع تمكنه منه وهذا انما يقول به من يجعل الاعمال جزا منه بشهادة قوله انفا والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها او تركها ابيا بعد ان طولب بها اما عند من يقول انه التصديق فقط ولم يتركها ابيا فهو كما عن المحققين مؤمن ينفعه ايمانه عند ربه اذ ذمه على تركها انما يتوجه لابايه وانكاره لا لمجرد ترك اقراره وهذا نبذ بنون وبا موحدة مفتوحتين ومعجمة وفى نسخة بضم النون وسكون البا جمع نبذة اى ما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما شئ يسير يقتضى من اقضى المكان اذا صار فضا واسعا وفى دعائه صلى الله عليه وسلم للنابغة فى رواية لا يفضض الله فاك اى لا يجعله فضا لا سن فيه اى يصير الى متسع من الكلام فى الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة فيهما اى فى الاسلام والايمان ٥

والنقصان فيهما انذا التجزى جهما من كونهما قولا وعملا واعتقادا كما هو مذهب الفقهاء والمحدثين او قولا واعتقادا كما هو مذهب ابى حنيفة واشياعه وزيادة ونقصا يجرى على مجرد التصديق لا يصح منه تجزو ولا يقبل زيادة ولا نقصا جمله كما فيه فى كون صاحبه قد اجمل عليه فى قلبه فلا يتطرق اليه تجزو ولا زيادة ونقص لبلوغه حد اليقين والجزم وانما يرجع الى ما زاد عليه اى على مجرد التصديق من قول او عمل اتى به لذلك وقد يعرض فيه اى التجزى فى التصديق بحسب ذاته كاليقين فانهما من الكيفيات النفسانية تتفاوت قوة وضعفا كما فى التصديق بطلوع الشمس والتصديق بحدوث العالم فانه اعتقاد يقبل التفاوت اذ الاول اقوى من الثانى وقولهم التصديق يقينى لا يتفاوت لان التفاوت انما يكون باحتمال النقيض ممنوع لجواز ان يكون بدون احتماله على ان اليقين من باب العلم والمعرفة والتصديق من باب الاذعان والقبول فهما وان كانا من مقولة الكيف متغايران سلمت اتحادهما ولا نسلم ان اليقين لا يقبل تفاوتا وغايته انه اعتقاد جازم مطابق له مراتب من اجلى البديهيات كالواحد نصف الاثنين الى اخفى النظريات التى منها التصديق بحدوث العالم وهو يقبله لاختلاف صفاته وتارة بحالاته من قوة يقين كتيقنك حركة مائل بين عينيك ناظرا اليه فانه اقوى من تيقنك وجود زيد فى دار كنت معه فيها ثم خرجت عنه فالاول لا مجال فيه للتشكيك لما فيه من جزم وتصميم اعتقاد بتظاهر الادلة فانها اسكن للقلب وازيد للبصيرة ووضوح معرفة بانضمام مشاهدة الاستدلال ودوام حالة وحضور قلب مطمئنا ساكنا لا يعروه شك

فصل واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم من الطاعة يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع ويطيع فهو طايع اى اذعن وانقاد واطاع اذا اتبع امره ولم يخالفه فاذا وجب الايمان به صلى الله عليه وسلم ووجب تصديقه فيما علم بالضرورة انه فيما جاء به وجبت طاعته جواب الشرط لان ذلك اى وجوب طاعته مما اتى به من الدين بالضرورة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ذكر طاعة الله توطئة وتنبيه على ان طاعته فى طاعة رسوله بشهادة افراد الضمير فى قوله ولا تولوا عنه اى عن رسوله وشهادة من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اردف وعيد المؤمنين النار ان لم يتقوه تعليق رجائهم رحمته بطاعته وطاعة رسوله ترهيبا من المخالفة وترغيبا فى الطاعة اذ ذكر لعل وعسى فى مثل هذا موذن بصعوبة مسلك التقوى وعزة التوصل الى ما جعل خبرهما وان تطيعوه صلى الله عليه وسلم تهتدوا الى الحق وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه المبلغ والله الامر نزلت فى المنافقين اذ قال النبى صلى الله عليه وسلم من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقالوا لقد قارن الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقال وما اتاكم الرسول فخذوه اى اعطاكم من امر فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه اى عن اتيانه فانتهوا

عن

عنه امتثالا للامر لوجوب طاعته وقال من يطع الله والرسول فاولئك اى الذين اطاعوهما مع الذين انعم الله عليهم من قرة اعين فيه ترغيب فى طاعتهما بوعد عليهما مرافقة اقرب عباده اليه وارفعهم عنده من النبيين والصديقين افاضل اصحابهم تصديقا وصدقا والشهداء والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميرهم وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اى الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه اليهم فى طاعته او بتيسيره وتوفيقه فمن لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يرض برسالته ومن لم يرضها فهو كافر فجعل طاعة رسوله طاعته بشهادة من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرن طاعته بطاعته فيما مر من الايات ووعد على ذلك بجزيل الثواب بشهادة جعل من اطاعه مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واوعد على مخالفته بسوء العقاب بشهادة فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم واوجب امتثال امره واجتناب نهيه بشهادة وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال المفسرون والائمة طاعة الرسول فى التزام سنته عملا بالمامور به واجتنابا بالمنهى عنه مع الملازمة والدوام عليهما والتسليم لما جاء به قبولا وانقيادا واذعانا وقالوا اى المفسرون ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليهم ونهاهم عن معصيته وقالوا من يطع الرسول فى سنته اى فيما امر به ونهى عنه وندب اليه قولا وفعلا وتقريرا مما لم يرد به القرآن الكريم لان امره ونهيه من امر الله ونهيه قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام الشافعى فى كتابه الام والرسالة عن سفيان بن عيينة عن سالم ابى النضر عن عبيد الله بن ابى رافع عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم على اريكته ياتيه الامر مما امرت او نهيت فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به فهذا نهى منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته اذ العمل بها كالعمل بكتاب الله ومن اعجب العجاب تقديم محمد عمر المخالف لحديثه صلى الله عليه وسلم على حديثه المتضمن عنه من باب اولى حديث الامام [illegible] جواب شرط من وسئل سهل بن عبد الله التسترى عن شرائع الاسلام جمع شريعة الماء اى مورده ترد ها الماشية استعير اسمها لما شرع الله لعباده من الدين واظهره وبينه لهم فقال اى سهل وما اتاكم الرسول فخذوه وتمسكوا به وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتنابه مجافين جنوب اذعانكم عن مضاجعه والرسول فيما بلغكم عن ربه تعالى فانه مامور بتبليغه اذ ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقال اطيعوا الله مخلصين مذعنين بالشهادة له بالربوبية اى المالكية لعباده وما خلق لهم لا يخرج عن ملكه شئ واطيعوا النبى بالشهادة له بالنبوة المقترنة بالرسالة وكان الجمع بينهما او الاظهار المنتهى بما عليه وتعظيما للسنة لديه وسو ثم ر صلى الله عليه وسلم على البراء قاله فى اعارة حديث ذكر النوم عليه ليحفظه ورسولك الذى ارسلت

بقوله وبنيك الذي ارسلت ليختلف اللفظان شرعا جمعا له صلى الله عليه وسلم
بينهما وقد اسندها هنا حديث الشيخين من طريق البخاري من اطاعني فيما جئت به
عن الله فقد اطاع الله لشهادة من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن عصاني فقد
عصى الله اللازم لجعل طاعته طاعته ومن اطاع اميري فقد اطاعني لان طاعة من
طاعته بتامره اياه فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال
لامر الله له صلى الله عليه وسلم من اتباعه فيما امر ونهى وحكي عن الكفار في دركات
جهنم جمع دركه اي منازلها الى اسفل يوم تقلب وجوههم في النار اي تصرف من جهة
الى جهة كاللحم قد ورد في قدر غلت فتراى فيها القلبان من ناحية الى اخرى وعامل
الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلم يمسنا هذا البلا فتمنوا
طاعته صلى الله عليه وسلم من وخيم اثار مخالفته حيث لا ينفعهم التمني زمانا ومكانا
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واستمعوا عنه ولا تتبعوه انفسكم واذا امرتكم بامر اي بمامور به ايجابا او ندبا فاتوا
منه ما استطعتم بين عبر ترك الواجب وفي حديث ابي هريرة كل امتي يدخلون
الجنة الا من رواه بهذا اللفظ الاعم مما رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة
الا من ابى بترك الطاعة التي هي سبب لدخولها لان من ترك ما هو سبب شيء
لا يوجد بغيره فقد ابى زاده في نهاية غريب الحديث وشرده قالوا ومن يابى اي يمتنع
اشد الامتناع فطلبت بمن فراد انما وصفت هي له بمعنى الامر العارض لذي العلم
فيفيد لتشخصه وتعيينه وهو هنا الابا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
من اطاعني اي انقاد لي واذعن دخل الجنة وفاز بنعيمها الابدي ومن عصاني
فقد ابى فله سوء المنقلب باباية وفي الحديث الاخر الذي رواه البخاري مثلي
ومثل ما بعثني الله به مما يورث الفوز بمجامع خيرات الدارين معاشا ومعادا
اي حالنا العجيبة الشان كمثل رجل اتى قوما يحذرهم من عدوهم فقال يا قوم اني
رايت الجيش بعيني واني انا النذير اي المعلم المخوف المحذر العريان اذ كان من عادتهم
اذا انذر احد قوما عدوا خلع ثوبه وقام على عال ولوح به ليكون ابين للمعاين
واقلع عند رؤيته فالنجا النجا منه تفوزوا وتسلموا فاطاعه طايفة منهم فادلجوا
بتخفيف الدال فانطلقوا على مهلهم بفتح اوله وثانيه اول الليل اي متانين
بتؤدة والاسم الدلجة ضما وكسرا وفي حديث علي اذا اسرتم الى العدو
فمهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فمهلا مهلا قال الازهري الساكن
الدفق والمتحرك المتقدم اي اذا اسرتم فتانوا واذا لقيتم فاحملوا واسبقوا
بتشديدها فمضوا لسيرا خره والاسم منهما الدلجة ضما وفتحا فنجوا من عدوهم
وكذبت طايفة منهم فاصبحوا اي دخلوا في الصباح فصبحهم الجيش فاهلكهم
واجتاحهم اي استاصلهم بذراتهم واموالهم واخذهم اخذة رابية فلم تبق
منهم باقية وفي الحديث اعاذكم الله من جوح الدهر فذلك اي ما افاد
حديث البخاري مما مثل فيه مضربة العجيب الشان في الخير والشر بمورده
على طريقة التشبيه البليغ لا استعارة المثل للحال اذ لا ينقاد لها او للصفة

او

او القصة اذ كان لها شان عجيب يتعجب منه وتضمنت نوع غرابة كما في مثل
الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة
العجيبة الشان ثم اورد عجايبها وفي وصفه المثل الاعلى اي الوصف الذي له
شان من العظمة والجلالة وفي مثلهم في التوراة اي شانهم وصفتهم العجيبة
منه مثل من اطاعني بدعا منقادا للطاعة واتبع ما جئت به متمسكا عاملا
به فانه يخلو من نواكب الاخرة كما نجى من اطاع النذير العريان ومثل من عصاني
وكذب ما جئت به من الحق لا يامن ان تصيبه فتنة او يصيبه عذاب اليم
وفي الحديث الاخر الذي رواه الشيخان في مثله صلى الله عليه وسلم
كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة بضم المهملة وقد تفتح اي طعاما وبعث
داعيا تشبيه تمثيل وليت فيه اداة غير المشبه به وحذف لدلالة له بعث
داعيا عليه كما حذف من قوله او كصيب من السماء لدلالة الضماير في الاية عليه
اي كمثل ادب بالمد بعثه بانيها فوليته الاداة تقديرا اذ قد يكون ملفوظا
وقد يكون مقدرا وانما حذف لان المراد تشبيه حاله صلى الله عليه وسلم في
تجسم الدعوة وتكلفها بحاله في ذلك وعن علي واما اخواننا بنو امية فقادة
ادبة جمع اديب ككتبة وكاتب واشار علي بذلك الى ان قصيا لما حضرته الوفاة
قسم مكارمه بين بنيه فاعطا ولده عبد مناف قود الجيوش فلما حضرته
اعطاه لولده عبد شمس فلما حضرته اعطاه لولده امية فلما حضر اعطاه لولده
حرب فلما حضرته اعطاه لولده ابي سفيان ثم جاء الاسلام هذا وقول اهل
اللغة انما المادبة تصنيع لما لا سبب له يخالف هذا الحديث فمن اجاب
الداعي دخل الدار واكل من المادبة اكراما له من بانيها ومن لم يجب الداعي لم
يدخل الدار ولم ياكل من المادبة اذ لم يكن له فيها نصيب ولا عناية فالدار
هي الجنة اعدها الله لمن اراد فاجاب والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن
اطاع محمدا من ابراز المضمر ظاهرا كما قبل وبعد للعناية به والتبرك بذكره
فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله بخروجه عن طاعة الله ورسوله
ومحمد فرق بين الناس اي فارق بينهم مومنا بالاعزاز وكافرا بالاذلال ٥

فصل واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما جاء به

وامر بتبليغه وامتثال سنته اي طريقته فيما امر به ونهى عنه وندب اليه قولا
وفعلا مما لم يرد به القران الكريم ومن ثم لنسميهم يقولون من ادلة الشرع ٥
الكتاب والسنة ومنهما متلو وغير متلو اي القران والحديث ومنه حديث
انما انسى لا سن اي انما يعرو لي النسيان لا سوق بالهداية الى صراط مستقيم
وابين لهم ما يحتاجون ان يفعلوه اذا عرض لهم النسيان والا هديا يهديه اي
سيرته وطريقته وفي الحديث الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة
وعشرين جزءا من النبوة اي ان هذه الخصال كما مر من جملة شمايل الانبيا واجزاء
معلومة من اجزا افعالهم لان النبوة تتجزى ولان من جمعها كان فيه اجزاء
من النبوة فانها ليست مكتسبة ولا مجتلبة باسباب بل هي كرامة من الله

الكرم بما من شاء من خواص عباده فقد لهج بما ايات واحاديث كثيرة قال تعالى
حالا لازمه اى متعاليا قل ان كنتم تحبون الله اى ان تريدوا ان تخصوه بعبادتكم له
راغبين فيها فاتبعوني يحببكم الله جواب الامر جواب الشرط اى يرضى عنكم ويكشف عن قلوبكم
حجبها ويغفر لكم ذنوبكم يتجاوزه عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم كنف قدسه
وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب وفي وصفه به تلويح
بان كماله علمه معه من معجزاته الذي يؤمن بالله وكلماته مما انزل عليه وعلى الرسل قبله
من كتب ووحي واتبعوه لعلكم تهتدون لم يقل فامنوا بالله وبي تعد قوله اني رسول الله
اليكم لما في اسلوب الالتفات من مزية البلاغة وليجري عليه هذه الصفات الداعية
الى الايمان به والاتباع له وجعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تلويحا بان من صدقه ولم
يتبعه ملتزما شرعه فهو في ربقة الضلال وقال فلا وربك زيدت لا لتاكيد
معنى القسم حتى يحكموك فيما شجر غاية لصحة ايمانهم اى اختلف واختلط بينهم كالشجر
كالشجر لتداخل اغصانه ويسلموا تسليما مصدر مؤكد ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت اى ضيقا مما حكمت به او من حكمك ويسلموا تسليما مصدر مؤكد لفعله بمنزلة
تكريره اى ينقادوا لحكمك بالتسليم والاستسلام والانقياد انقيادا ظاهرا وباطنا
ولقد كان لكم في رسول الله اسوة اى خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى اى يقتدى بها
او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اى ثوابه او لقاء
ونعيم الآخرة او ايامه واليوم الآخر خصوصا ولمن كان قال في الكشاف بدل من
لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة قرنت كثرة
بالرجاء يدل انها بملازمة الطاعة اذ المؤتسي به من شانه ودينه ذلك قال محمد
ابن علي الترمذي والاسوة في الرسول اللام فيه للعهد الخارجي والذهني الاقتدا
به والاتباع لسنته الحنيفية السمحة البيضاء وترك مخالفته في قول قاله امرا
ونهيا وارشادا او فعل فعله ليؤتسى به فيه وقيل هو اى لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة عتاب من الله تعالى للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم حيث
لم يتاسوا به في الخروج معه الى محاربة اعدائه والثبات فيها ومقاساة شدائد
الحروب وقال سهل بن عبد الله في تفسير قوله صراط الذين انعمت عليهم
قال بمتابعة اى انعمت عليهم بسبب اتباع سنته صلى الله عليه وسلم والانعام ايصال
النعمة الى من انعم عليه ولم يذكرها لتذهب النفس كل مذهب ممكن من انواع
نعم لا تحصى فامر امته بذلك اى باتباعه ووعدهم الاهتداء باتباعه بقوله واتبعوه
لعلكم تهتدون لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم عن الشرك والمعاصي
يحملهم على ما يصيرون به ازكيا ويعلمهم الكتاب اى القرآن والحكمة مما تكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام مما يصيرون به حكماء كاملي العلم مستفيني العمل ووعدهم الصراط
مستقيم هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة ووعدهم بمحبته تعالى
في اية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووعدهم مغفرته اذا
اتبعوه واثروه بهذا الهمزة اى قدموه على انفسهم وعلى ما تميل اليه نفوسهم ووضع
الظاهر موضع المضمر مغايرا بين الجمعين لما في التفنن في العبارة من مزية

البلاغة

البلاغة وبيان ان للنفس جمعين جمع قلة وكثرة ووعدهم مغفرته اذا اتبعوه بعد
وعدهم محبته في قوله يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ولا ريب في ان من اتبعه فقد اثره
على نفسه واثر ما جاء به من الحق على هواه حتى صار احب اليه من نفسه ووالده وولده
والناس اجمعين واخبرهم في اية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ان صحة ايمانهم في انقيادهم
وقبول حكمه واذعانهم له ورضاهم بحكمه فيما اختلط بينهم فاختلفوا فيه وترك الاعتراض
عليه صلى الله عليه وسلم في حكمه فيما شجر بينهم وروى كما في تفسير ابن المنذر عن
الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله اى نميل انفسنا الى ان
نخصه بالعبادة راغبين فيها فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله اى تريدون عبادته
على الحقيقة فاتبعوني يحببكم الله اى يرضى عنكم باتباعي فيما جئتكم به وروى ان الاية اى اية
ان كنتم تحبون الله نزلت في اناس من يهود كعب بن الاشرف وغيره لا ادري من رواه
وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه زعما منهم انهم اشياع عزير كان بين ابنه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا ونحن اشد حبا لله مقرون الاولاد من ابائهم بل هم مبعدون
عنه بعداء الاعداء عن اعدائه اذ لو كانوا ابناؤه واحباؤه لم يالوا قبيحا ولما
عذبهم بذنوبهم مسخا وساقال لن تمسنا النار الا اياما معدودات كما زعموا وقال الزجاج
ان كنتم تحبون الله اى تقصدوا طاعته فاتبعوني وافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول اى ورسوله فلامه عوض عن الضمير تفخيما لشانه صلى الله عليه وسلم
طاعته لهما ورضاه بما امرا به واجبا ومندوبا ونهيا عنه حراما ومكروها
وخلاف الاولى ومحبة الله لهم اى لعباده عفوه عنهم وانعامه عليهم باسباغ نعمه
ظاهرة وباطنة برحمته فانه غاية لها ومسبب عنها لانه تعالى انما يتصف بغايتها
التي هي فعل لا بمبدئها الذي هو انفعال ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق اى
منعه من النعمات بخلق قدرة الطاعة فيه واداهما عاتبه والتامبداه ميل نفسانى
تعالى الله عنه والحب في العبد طاعة واذعان وانقياد له ومن ثم قيل تعصي
الاله وانت تظهر حبه هذا اى عصيانك له مع اظهارك حبه لعمري اعتراض بين
المبتدا وما فيه خبره من جار ومجرور وخبر اقسم به اقتداء به صلى الله عليه وسلم
في قسمه في الامر المهم في القياس بديع اى عجيب مخترع بعيد عنه اذ لو كان حبك صادقا
لاطعته كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بالشهادة ان المحب لمن
يحب مطيع جواب سؤال اقتضته الشرطية قبله اى هل المحب مطيع محبوبه فاجاب
فاستثنى نقيض التالي انتج رفع مقدمه ووضع نقيضه اى ثبوته ويقال محبة
العبد له غاية ميله لنفسه الى الله تعالى وتعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له
رحمته له وارادته الجميل اى جميع مكارمه له ويكون اى الجميل بمعنى مدحه وثنائه
عليه اى على العبد قال القشيري فاذا كان اى الجميل بمعنى الرحمة والارادة والمدح
كان من صفات الذات الثبوتية كالعلم والارادة والقدرة وسلبيته كالوحدانية
والازلية والابدية وفعلية كالخلق والرزق والاحياء وهذه من حيث هي ليست
ازلية خلافا للماتريدية بل حادثة اى متجددة لانها اضافة عارضة للقدرة

معناه

اى قبل

هي تعلقاتها بوجودات المقدورات لاوقات وجوداتها ولا محذور في اضافته
تعالى بالاضافات لكونه قبل العالم ومعه وبعده ولهـــذا مزيد بيان في شرح
كتابنا مقاصد المقاصد وسيأتي بعد مبني على الضم لقطعه عن اضافته المنوي
بعده في ذكر صحبة العبد عمر هذا وقد اسند هنا حديث الاجري شاهد الوجوب اتباعه
صلى الله عليه وسلم من العرباض بن سارية في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتي اي طريقتي الهادية من الضلال وسنة الخلفاء الراشدين جمع راشد اسم
فاعل من رشد وارشده الله والرشد ضد الغي واراد بهم ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
وان كان عاما في كل من سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز المهديين جمع مهدي وهو من
هداه الله الى الحق وقد استعمل حتى صار كالاسماء الغالبة وبه سمي مهدي اخر الزمان
عضوا عليها بالنواجذ مثل يضرب لشدة التمسك بالدين لان العض بما يكون بجميع
الفم واسنانه من حيث انها اواخرها والتي بعد الانياب واياكم ومحدثات الامور
تحذير منها ومن الرضى بها جمع محدثة وهي ما لم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا
اجماع مخالفا لاصول الاسلام فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة علة للتحذير
منها من الشكل الاول بجعل محمول الصغرى موضع كبراها فيجيء حداهما هكذا كل
محدثة ضلالة وهو نتيجته ثم قسمها اما بدعة هدى وهي التي عمها ما ندب الله
ورسوله اليه وحض عليه او بدعة ضلالة وهي ما كانت على خلاف ما امر به مما يخالف
قواعد الشريعة وهي المراد في الحديث لا يرادها في حيز التحذير منها والزم لها واما
ما يجره العقل كالجود والكرم وفعل الخير فحسن جعله صلى الله عليه وسلم له ثوابا
لشهادة حديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومنه قول
عمر في التراويح نعمت البدعة هذه لانها من افعال الخير في خبر المدح ومن ثم مدحها
وسماها بدعة لانه صلى الله عليه وسلم لم يسنها لهم وانما صلاها ليالي ثم تركها خشية
ان تفرض عليهم فيعجزوا عنها ولا جمع لها الناس ولم تكن في زمن ابي بكر وعمر زاد
في حديث مسلم عن جابر بمعناه اي زيادة افادت عدم روايته بلفظه وكل ضلالة في النار
فكل محدثة فيها باسقاط المكرر وفي حديث الشافعي في كتابه الام عن سفيان
ابن عيينة عن سالم ابي النضر عن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه ابي رافع ورواه
ابو داود والترمذي وابن ماجه لا الفين احدكم متكئا على اريكته اي جالسا على سريره
مستويا متمكنا والاتكاء لا تعرف المتكئ الا من مال في قعوده معتمدا على احد شقيه
وتاؤه مبدلة من واو اذ اصله من الوكاء وهو ما يربط به فم المزادة ونحوها فكأنه
اوكأ مقعده بجلوسه عليها مما امرت به على ان من فيه بيانية وشهادة رواية
الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب
الله واما ان كانت بمعنى الباء كما في ينظرون من طرف خفي اي به فالمعنى ياتيه من امري لما امرت
به او نهيت عنه فيقول لا ادري غير القران ولا اتبع سواه ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
هــذا الحديث ورد تحذيرا ونهيا عن ترك امتثال امره واجتناب نهيه فيلزم
امتثالها والعمل بمأموره واجتناب منهيه لانها من امر الله ونهيه وسنته ككتابه
اذ هما وحيان متلو وغير متلو قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا ابو حفص الجهني حدثنا ابو بكر الاجري حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي

طرفه

وفي حديث عائشة الذي رواه الشيخان صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم اي تباعدوا عنه ولم يعملوا برخصته فيه فبلغه ذلك
فحمد الله ثم قال ما بال قوم اي ما حالهم وشانهم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله
انهم لو تعلمون تعظيمه وزدتموه تأسيا به في كل امركم اني اعلمهم بالله
واشدهم له خشية لا علميته به وبصفاته وافعاله اذ بقدر معرفة المخشي تكون
الخشية المشروطة بما روي من حديث ابي الشيخ وابي نعيم والديلمي عنه صلى الله
عليه وسلم ان القران صعب مستصعب لشدة صعوبته على من كرهه
ولم ينتفع به وهو الحكم بفتحتين مصدر وحكم بحكم بمعنى حاكم سمي به مبالغة
في حكمه لنا وعلينا او ذو الحكمة لاشتماله على الحكم من امثال ومواعظ وغيرهما
مما ينتفع به فمن استمسك بحديثي تمثيل للرضى به والعمل به والاستمساك لشيء محكم
وثيق لا ينقطع لتيقن النفع وفهمه وذلك بعد ان حفظه ضبطا واتقانا وعن
ظهر قلب كما حفظ القران وفهمه جا اي يوم القيامة وورد مع القران لعمله بهما
ومن تهاون بالقران وحديثي فلم يعمل بهما بعد حفظهما وفهمهما فقد خسر الدنيا والاخرة
ذلك هو الخسران المبين امرت امتي بالبنا للمفعول اي امرهم الله اذ لا امر
لهم فوقه وغيره سوى الله ان ياخذوا بقولي لانه وحي غير متلو كالمتلو في العمل به
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وامروا ان يطيعوا امري لان امر الله
من يطع الرسول فقد اطاع الله ويتبعوا سنتي اي طريقتي الواضحة وشريعتي السمحة
قال تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وكفى بهذا الحديث وحديث لا الفين احدكم
متكئا على اريكته الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني شهودا بان سنته صلى الله عليه وسلم
كالقران في وجوب العمل بهما سواء لا يتميز احدهما فيه على الاخر وبالنهي عن ترك العمل
بهما وبالرد على من يقول لا اعمل بخبر الاحاد مع ان جميع مذهبه بل لا يقدر على الاتيان
بمثال له منها بخبر مشهور فضلا عن متواتر وعلى من يقول هذا الحديث لم يصحب عمل
او عمل لنا على خلافه وعلى من يلغي احد دليلين متعارضين ويعمل بالاخر دون
اجتهاد في الجمع بينهما للعمل بهما وقد كان الامام ناصر السنة الشافعي اذكى فهما
وازكى ذهنا واقوى نظرا واصوب فكرا في الجمع بينهما للعمل اذ هو صواب لا العمل
باحدهما والغاء الاخر ومن ثم قال في حقه محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة
لم تزل اصحاب الحديث نياما حتى ايقظهم الشافعي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران
لامره بالرضى به المفاد بالامر باخذه فيما قال الله وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا اذ من امر الله باخذ شيء منه فقد امر بالرضى به وقال صلى
الله عليه وسلم فيما رواه عبد الرزاق في مصنفه من مراسيل الحسن بلفظ من استن
بسنتي اي اتبعها وعمل بها وهنا فهو مني من قولهم فلان مني كانه بعضه
متحد به لاختلاطهما اي متصل بي ومعي او من اشياعي واتباعي ومن رغب عن سنتي وصد
عنها كراهة لها فليس مني كما في الصحيحين وعن ابي هريرة ولا ادري من رواه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احسن الحديث كتاب الله اقتباس من قوله تعالى
الله نزل احسن الحديث كتابا وتشبيه له بحديث الناس به في مصالحهم وغيرها فهو

لا بمجازه وافهامه بما اشتمل عليه من اخبار الامم والاحكام والمواعظ والامثال وغير ذلك احسن حديث منهم بمعناه وخير الهدى هدى محمد بفتح اولهما وسكون ثانيهما اى سيرته المسوية وسمته السمية وهيئته السرية من هدى هديه اذا سار بسيرته وفى احاديث اهدوا واهدى عمار وشر الامور محدثاتها جمع محدثة بالفتح وهى ما لم يعرف من كتاب وسنة واجماع وروى ابو داود وابن ماجة عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال النبى صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة اقسام وما سوى ذلك فضل لا يفتقر اليه وان لم يسع المرء جهله اية محكمة اى احكم بيانها فلم يحتج الى زيادة ونظمت نظما محكما لا يلحقه خلل وسنة قائمة اى دائمة مستمرة العمل بها متصل لا تترك وفريضة عادلة اسم فاعل بمعنى المصدر اى العدل فى القسمة اى معدلة على السهام المذكورة فى الكتاب والسنة بلا جور او اعما مستنبطة منهما فهى تعدل بما اخذ عنهما وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن بن ابى الحسن مرسلا والدارمى موصولا من حديث ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل فى سنة اى مصاحبا لها خير من عمل كثير فى بدعة لان ذاك وان قل كثر نفعا بل كله نفع وذا اكثر ضررا فنى بمعنى مع كما قالوا فى ادخلوا فى امم اى معهم فالظرفية مجازية فكانهما لصدورهما معهما من صاحبيهما مظروفان لهما متمكنان فيهما فشبه تمكنهما فيهما بتمكن المظروف بظرفه فجرت الاستعارة فى المصدر اصلية وفى الحرف تبعية وقال صلى الله عليه وسلم ولا ادرى من رواه ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها اى اخذها وعمل بها وانتفع فيها وفاز بحضيرة القدس من امسك حبلا وثيقا محكما مأمون الانفصام فى الاسلامة وروى الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنتى تمثيل للمعلوم بالمحسوس تصويرا للسامع كانه ينظر اليه بحكم اعتقاده متيقنا فيحوز عند فساد امتى حين تكون كما قال صلى الله عليه وسلم فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى فمن تمسك بما كان له اجر مائة شهيد وروى الترمذى حديث ان بنى اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة اى دينا وتقدم الكلام عليه قوله ومن هم قال هم الذين على الذى انا عليه انا واصحابى من الدين القويم والصراط المستقيم رواه منهما لى فى ترغيبه واللالكائى فى السنة عن انس قال صلى الله عليه وسلم من احيى سنتى اى اظهرها بحمله بها وحثه على العمل بها فشبه اظهارها بعد ترك العمل بها بالاحياء ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة فى المصدر اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا فقد احيانى اى رفع ذكرى واظهر امرى وجعل لى فى الناس ثناء حسنا ومن احيانى كان معى حذف ظرف المعية زمانا ومكانا تفخيما له ولتذهب النفس كل مذهب ممكن وروى الترمذى وحسنه ابن ماجة عن عمرو المزنى انه صلى الله عليه وسلم قال لبلال ابن الحارث من احيى سنة من سنتى قد اميتت اى ترك العمل بها بعدى فان له من الاجر مثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص ذلك الذى يكون له من الاجر من اجورهم اى اجور من عمل بها تبعا له شيئا مفعول ينقص وقد اعتبر معنى من دون

لفظها ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله مما يخالف اصول الشريعة مما لم يبن على قياس او اجماع كان عليه من الاثام مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا

فصل

واما ما ورد عن السلف الصالح من الصدر الاول المخيرين والائمة من اتباع سنة والاقتداء به وسيرته عطف تفسيرى اذا الهدى السيرة والهيئات والطريقة يقال هدى هديه اذا سار بسيرته وفى حديث ابن مسعود ان الهدى هدى محمد وقد اورد هنا حديث الموطأ شاملا لذلك ورواه النسائى وابن ماجة ان رجلا من آل خالد بن اسيد قال لابن عمر يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القرآن ولا نجد صلاة السفر اى فى القرآن فقال ابن عمر يا ابن اخى اى فى الاسلام جريا على عادة العرب فى خطابهم بذلك شفقة ان الله بعث محمدا ولا نعلم شيئا فقد يتابه فى افعاله ووافقوا له وتقريراته وانما نفعل كما رايناه يفعل وقد رايناه يقصر فى السفر فقصرنا معه اقتداء به صلى الله عليه وسلم وذكر اللالكائى فى السنة له قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم اى شرع طريقة مرضية يقتدى به فيها مما لم ينزل به قرآن وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وسن ولاة الامر بعده سننا موافقة الكتاب والسنة كجمع عمر الناس على ابى بن كعب فى صلاة التراويح وامر عثمان بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الآفاق الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله لبسها اعزا به صلى الله عليه وسلم على لزوم ذلك بقوله عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى اراد ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وان عم كل من سار بسيرتهم من الخلفاء وقوة على العمل بما فى دين الله مما الزمنا الله به اعتقادا من توحيد وطاعة وايمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وسائر ما نكون به مؤمنين وما شرع لنا من الاحكام فعلا وتركا ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها بغيرها مما لا عاضد له شرعا ولا يجوز لاحد النظر فى راى من خالفها بلا دليل شرعى من اجماع او قياس يشهد له قول ناصر السنة الشافعى لا يحل لاحد اذا صح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول برايه بل عليه ان يتبعه وكفاك بهذا حاكما لقول من قال بنفاذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو اقام رجل شاهدى زور ان فلانة امراته فشهدا بذلك جاز له ان يطأها مع علمه بانها ليست زوجته وهذا مما لم يرد به كتاب ولا سنة من اقتدى بها اى بسنته وسنتهم فهو مهتد ما دام متمسكا بها ومن استنصر بها اى استظهر مستعينا بها فهو منصور ومن خالفها فلم يتمسك بها وعمل بغيرها واتبع غير سبيل المؤمنين اى غير ما هم عليه من الدين القيم ولاه الله اى جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلا بينه وبين ما اختاره واصلاه جهنم اى احرقه فيها لشهادة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا لمن صار اليها نحريا وهذا مؤذن بحرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى قرن بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فى الشرط وجعل جزاءه وعيدا شديدا فوجب اتباعهم كما فهم

الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة للالكائي قال الزهري بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام افتعال من العصمة اي الاستمساك بالسنة نجاة من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك في شقاوة او دية الضلال وفي سنن سعيد بن منصور كتب عمر بن الخطاب الى عماله بالامصار ان تعلم الناس احكام السنة والفرايض لانها اول علم يفقد وهي نصف العلم ينبغي تعليمها والعمل بها وتعليم ما تعصم مراعاة قوانينه من اللحن وروى الدارمي عنه قال ان ناسا يجادلونكم اي يغالبونكم ويخاصمونكم بالقرآن فخذوهم ردا لباطلهم بالسنة لانها كالقرآن وحي الا انه غير متلو فامره صلى الله عليه وسلم ونهيه كامر الله ونهيه اذ ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فما لم يرد به القرآن فقد ورد به السنة فان اصحاب السنن الجامعين لها كالبخاري ومسلم وابي داود اعلم بكتاب الله لانها كالتفسير له سوى علما بنبيه واحكامه وفي خبر اي خبر عمر الذي رواه مسلم حين صلى اي عمر بذي الحليفة فكان يقرب المدينة الشريفة يبعد منه اهلها واهل الشام ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم محافظة على اتباع سنته وسلوك واضح محجته وروى البخاري والنسائي عن علي حين قرن بين الحج والعمرة فقال له عثمان تركت من الراي لاحسن الرؤية اي تعلم وتعتقد اني انهى الناس عنه اي عن القران وتفعله انت قال اي علي لعثمان لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اقتداء بآثاره الحسنة وعنه اي عن علي ولا اعلم من رواه الا مركب من همزة استفهام وحرف نفي تنبيها على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا اعرى نفيا افاد تحقيقا ومن ثم لا ترد الجملة بعدها الا مصدرية مما يتلقى به القسم نحو ما هنا الا اني لست نبيا ولا يوحى الي ما اعمل به ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت بحسب الطاقة البشرية وكان ابن مسعود يقول كما رواه الدارمي والطبراني واللالكائي في سنته عنه وعن الحاكم رده القصد في السنة اي التوسط بين الافراط والتفريط ۝ تمسكا بها خير من الاجتهاد في البدعة اي خير من بذل الوسع والطاقة في العمل ملتبسا ببدعة ضلالة اذ هي المراد هنا ثم البدعة كما مر ما لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم وهي كما قال ابن عبد السلام منها واجبة كمقدمات معرفة كتاب الله وسنة رسوله من نحو وبيان وغيرهما لان حفظ الشريعة واجب وما لا يتم الواجب الا به واجب ومحرمة كمذهب القدرية والجبرية والمرجية فالرد عليهم حفظا للشريعة من بدعهم فرض كفاية ومندوبة كالتراويح وبناء الربط والمدارس والكلام في دقايق الصوفية ومباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في لذيذ المآكل والمشارب والملابس والمساكن وتوسيع الاكمام هذا وقد روى البيهقي في مناقب الشافعي عنه محدثات الامور ضربان ما خالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا فهذه بدعة ضلالة وما احدث من الخير فبدعة غير مذمومة عن ابن عمر فيما رواه عبد بن حميد في مسنده باسناد صحيح صلاة السفر ركعتان من خالف السنة اي عنادا كفر لمخالفته لها على وجه العناد اذ هي عليه علامة الجحد لما ذكر لا كفر بمجرد المخالفة فهو به مبتدع لمخالفته الحق وقال ابي بن كعب فيما رواه

الاصفهاني

الاصفهاني في ترغيبه واللالكائي في سنته عليكم بالسبيل المستبين الى الزلفة في اعمالكم خالصة تقربا اليه تعالى بانواع الطاعات والسنة اي طريقته صلى الله عليه وسلم الحسنة الفضلى وشريعته المثلى فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة تمثيل بحاله لتمسكه بهما ولزومه لهما بحال من اعتلى شيا وركب ذكر الله في نفسه بدون تلفظ ففاضت عيناه اي سالتا دمعا من خشية الله خوفا وجزعا وفزعا فيعذبه اي الا لم يعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر ربه في نفسه فاقشعر اي انقبض واجتمع من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهو لمثل مضروبه ۝ بمولاه اعني تمثيل حط الخطايا بحت الورق اليابس بجامع الذهاب وبينما هي في اوقات كونها كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات ورقها اي تساقط عنها الا كرر بدلا او تاكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل او استيناف جوابا لمقدر كانه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها اي تساقط عنها منفصلا بالورى فان اقتصادا اي توسطا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في بدعة ضلالة في خلاف سبيل وسنة وانظروا عملكم ان يكون ان كان اجتهادا او اقتصادا اي مبالغة جدا او توسطا ان يكون يجوز كونه بدلا من ان يكون او تاكيدا له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط او استيناف جواب المقدر وهو على اي منهاج يكون عملهم فقيل على منهاج الانبياء وسنتهم اي صراطهم السوي وشرعهم السري وكتب بعض اي نواب عمر بن عبد العزيز اليه يخبره بحال بلده وما عليه اهلها وكثرة لصوصه المتغلبة على الناس لاخذ اموالهم بالباطل ولو مع قتلهم هل ياخذهم بالظنة اي بمجرد التهمة ام يحملهم على البينة وعلى ما جرت عليه السنة من اقامة البينة واليمين وما يترتب عليهم من غرم وقطع وقتل وصلب بسبب ذلك فكتب اليه عمر بن عبد العزيز خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة كما وردت به واستقرت عليه فان لم يصلحهم الحق ولم يتمسكوا به فلا اصلحهم الله ولا وفقهم الخير وعن عطاء في تفسير قوله تبارك وتعالى فان تنازعتم اي اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه اي ارجعوا فيه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسوله بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقال محيي السنة وناصرها الامام الشافعي ما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها اخذا وعملا على منهج الاستقامة وقال فيما رواه الشيخان ونظر الى الحجر الاسود ۝ اعتراض بين القول ومقوله حال من عمر مؤذنة بصدوره منه مشاهدا له انك حجر لا تنفع ولا تضر وربما نفع اذ قد يشهد لمن استلمه يوم القيامة ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله اي وضع فمه عليه بلا صوت تاسيا به صلى الله عليه وسلم وهو من مستحبات افعال الطواف كاستلامه والاشارة اليه وروى عبد الله بن عمر كما رواه احمد والبزار بسند صحيح يدير ناقته في مكان اي يطيفها حوله حتى عاد الى موضع بدايته ۝ فسئل عن ادارتها لاي شيء فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ففعلته اقتداء به صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحيري

شيخ الصوفية بنيسابور نسبت الى الحيره بمهملة مكسورة فمثناة تحتية محل
بعمل كان يسكنهما من امر السنة على نفسه اى جعلها اميرا حاكما عليها قولا
وفعلا ميزان اريد ان يكونهما معمولين اى حكم قولها وفعلا فيهما نطق بالحكمة
اى بما وافق الحق اذ كل كلام وافقه حكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة اي
بما خالف الحق اذ كل كلام خالفه بدعة ضلاله وقال سهل بن عبد الله التستري اصول
مذهبنا معاشر الصوفية لا المتصوفة بشهادة الاضافة ثلاثة الاقتدا بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاخلاق من اداب ومكارم ومحاسن اذ كان صلى الله عليه وسلم
على خلق عظيم قالت عايشة كان خلقه القران يأتمر باوامره وينتهي بنواهيه والافعال
المعممة النفع كالغيث ان جيته وافاك ريقه وان ترحلت عنه لج في الطلب والاكل
من الحلال اى طيب المكربات واخلاص النية في جميع الاعمال من شوايب الرداقد
تصير العادات عبادات وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه اي
العمل الصالح هو الاقتدا به صلى الله عليه وسلم في جميع ما جاء به من توحيد وصلاة
وصوم وزكاة وحج وتلاوة ودعاء وتهليل وتسبيح وتكبير واستغفار وغيرها وعن احمد
ابن حنبل قال كنت يوما في جماعة تجردوا عن ثيابهم ودخلوا الما بلا استرة فاستعملت
الحديث الذي رواه مثله الترمذي من كان يؤمن بالله اى يعترف بربوبيته واليوم
الاخر انه حق وبما يكون فيه من بعث وحشر وحساب وغير ذلك فلا يدخل الحمام
الا بميزر اى ازار يستر به عورته ولم اتجرد اى انا من ثيابي فرايت اى في المنام
تلك الليلة التالية من يوم تجردهم قايلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك
باستعمالك السنة اقتدا اباثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلك اماما يؤم
ويقتدى بك قلت من انت قال جبريل هذا او بينك الشرف **فصل**
ومخالفة امره صلى الله عليه وسلم بعدم الانقياد والاذعان له وتبديل سنته
اى تغييرها لفظا ومعنى بتاويلهما على خلاف مراده صلى الله عليه وسلم ضلال
وبدعة متوعد من الله عليهما بالخذلان بخلق قدرة المعصية فيه في الدنيا والعذاب
الاليم في الاخرة قال تعالى اى متعاليا عما لا يليق به فليحذر الذين يخالفون
عن امره معرضين او صادين عنه بترك مقتضاه من خالفت فلانا عن الامر
اذا اعرضت عنه دونه وعكسه من خالفته الى الامر اذا اعرض هو عنه دونك
بشهادة وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان تصيبهم فتنة في
الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اى مولم في الاخرة وهو قاض بان الامر للوجوب
بشهادة ايذان ترك مقتضاه باحد العذابين وايجاب الحذر عنه بخسة الشرط
بقيام المقتضي والوجوب لازم لهما وقال ومن يشاقق الرسول من الشق لان
كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر اى يخالفه من بعد ما تبين له الهدى
اى ظهر له الحق بمعاينته المعجزات ويتبع غير سبيل المومنين اى غير ما هم عليه من
اعتقاد حق او عمله نوله ما تولى اى نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدع ونصله
جهنم اى نذقه منها فيها وسات مصيرا لهم والاية مودنة بحرمة مخالفة
الاجماع ايضا بشهادة ترتيبه تعالى فيهما الوعيد الشديد على مشاقة الرسول

واتباع

واتباع غير سبيل المومنين تصنا بحرمة كل واحد منهما وقد اورد هنا مسند احاديث
ما لك شاهد ابحرمة مخالفته صلى الله عليه وسلم وتبديل سنته ورواه مسلم عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة بتثليث البا وذكر حديث
وصف امته فليذادن رجال عن ادنى كما يذاد اى يصد ويطرد البعير الضال مما يحمي
نفسه ويفد رعلى الابعاد في طلب الكلا والماء من الضلال وهو الضياع وفي الحديث
لولا ان الله لا يحب ضالة العمل وما رزا تاكم عقالا اى لا يحب بطلان العمل وضياعه
وقد تطلق الضالة على المعاني كما في حديث الكلمة الحكمة ضالة المؤمن وفي رواية
ضالة كل حكيم اى لا يزال يطلبها كما يطلب ضالته فاناديهم الاهلم اى تعال بلغة قريش
اذ يطلقونه على الجمع وعلى الواحد والاثنين والمؤنث بلفظ واحد مبنيا على الفتح وبنو
تميم تونث وتثنى وتجمع تقول هلم هلمي هلما هلموا فيقال انهم قد بدلوا فاقول سحقا
سحقا سحقا اى بعدا بعدا بعدا انتصب بتقدير الزمهم الله سحقا وظاهره انهم
بدلوا دينهم لكن بشهادة تكرير سحقا تاكيدا لابعادهم عن رحيق حوضه وحديث
انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم ويجوز ان يراد بدلوا بعض معالم الدين كتاخير
بعض الامرا الصلاة عن وقتها المختار اذ لم يكونوا يوخرونها كلا قال النووي
عن جميع وقتها فهو المراد في حديث ابا ذر كيف بك اذا كانت عليك امرا
يميتون الصلاة عن وقتها وقال يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت
يا رسول الله فما تامرني قال صلها لوقتها فان ادركتها معهم فصلها فانها لك
نافلة ففي الحديث الحث على الصلاة في اول وقتها وان الامام اذا اخرها عنه
ندب للماموم ان يصليها اوله منفردا ثم مع الامام فتجتمع له فضيلتا الوقت
والجماعة وعلى موافقة الامرا في غير معصية حذرا من تفريق الكلمة ووقوع
الفتنة وان الصلاة الاولى تقع فرضا والثانية نفلا وانه تندب الاعادة
لاطلاقه صلى الله عليه وسلم الامر بها بدون فرق بين صلاة وصلاة وقد
شبه في الرواية الاولى تاخيرها عن وقت الاختيار باماتة ذي حياة
ثم اشتق منها يميتون فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل
تبعية او شبهها على طريقة الاستعارة المكنية بذي حياة واثبت لها
الاماتة تخييلا وروى انس حديثا طويلا فيما رواه الشيخان اخره فمن
رغب عن سنتي اى عما جاء به مما امر به ونهى عنه والغاسقلقة بمحذوف
اى لكن افعل ذلك لاسن لكم طريقتي المثلى فمن لم يعمل بها فليس مني اى ليس متصل
بي قوله فلان مني كانه بعضه ويتحد به او ليس من اشياعي واتباعي وقال
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان من احدث في امرنا هذا الامر حقيقته
القول الطالب ومجازه الفعل والشان والطريقة واريد بها هنا الدين من حيث
انه شانه وطريقته لتعلقه واهتمامه به بحيث لا يخلو عنه شئ من اقواله
وافعاله وتقريراته من اخترع في الاسلام ما ليس منه اى ما لم يكن له من
الكتاب والسنة عاضد ظاهر او خفي ملفوظ او مستنبط فهو رد مصدر بمعنى
المفعول اى مردود لمخالفته السنة وفيه تلويح بان ديننا قد كمل وظهر كضوء

الشمس بشهادة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
فمن رام زيادة حلول ما ليس لا يرضى وفي قوله صلى الله عليه وسلم ما ليس منه اشارة
الى ان ما احدث بدليل عاضد محمود وروى ابن ابي رافع كما مر قريبا من رواية ابي
داود والترمذي وابن ماجة عن ابيه ابي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا الفين احدكم متكيا على اريكته نفى لنفسه صلى الله عليه وسلم عن ان يراهم على تلك
الحالة مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها وجدهم كذلك فهو
كناية ايمانية واطلاق للسبب على مسببه والاريكة سرير مزين من حجله في ستر
ولا يسمى وحدها اريكه وقيل هي كلما اتكى عليه يأتيه حال ثانية اما من الامر او من
صاحب الاولتين وهما متداخلتا افادتا كون موصوفهما من ذوي الرفاهية
والدعة الذين رفضوا الاتصاف بالكمالات تكبرا وعتوا بشهادة الحال الثانية
اذ قد وردت مؤكدة مكررة كاقتة وبطره وسوء ادبه اي لا اجدن ولا اصادفن
احدكم حال اتكائه حال جلوسه على اريكته يأتيه حال كونه يأتيا اليه الامر او اتيان
الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري غير كتاب الله ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه وقد مر لهذا مزيد بيان فراجعه ان شئت زاد المقدام في حديثه
الذي رواه الترمذي والحاكم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وان ما حرم رسول
الله مثل ما حرم الله فيجب اجتناب ما حرمه لانه موحى من الله بشهادة وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود في مراسيله
والدارمي والرمالي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن يحيى بن جعدة رمى
بكتاب مصدر بمعنى مفعول اي مكتوب في كتف واجاء به عمر او ابنته حفصة او عائشة
او غيرهم والجملتان حالان اعتراض ورد موذنا بانه سبب يقال كفى بقوم حمقا او ضلالا
تمييزا نزل عن كونه فاعلا والشك من الراوي والبا زائدة وانما ازيل عن اصله لانا
التفصيل بعد الاجمال اوقع في النفس الا ترى انه لما قال كفى بقوم افاد ان ثم شيئا يكفي
فكان مجملا فلما قال حمقا عاد مفصلا والاصل كفى الحمق او الضلال قوما ان يرغبوا عما
جاءهم به نبيهم معرضين عنه ملتفتين الى ما جاء به غير نبيهم او ملتفتين الى كتاب غير
كتابهم هذا ولفظ ما روي جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سمعوه من
اليهود فقال صلى الله عليه وسلم كفى بقوم حمقا او ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء
به غيره الى غيرهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب عطف على ما دل عليه قوله
وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه اي اقالوا ذلك ولم يكتفوا بانا انزلنا عليك اية مغنية
لهم عما اقترحوه تعنتا واقتراحا يتلى عليهم دائما ما بقيت الدنيا متحدين او يتلى على اليهود
بتحقق ما بايديهم من صفتك وصفة دينك الحق هذا وضعيه ومن ذكر من الرواة
موذن بان ضمير يكفهم عائد على من جاء من الصحابة بالكتاب في كتف فيلزم ان يكون
نزول الاية مسببا عن قوله صلى الله عليه وسلم كفى بقوم السبب عن المجيء به لا عن
قولهم لولا انزل عليه اية من ربه وسوقها اياه الا ان يقال انها نزلت مرتين
فيكون نزولها مسببا عنهما وروى مسلم عن ابن مسعود انه قال هلك المتنطعون من
النطع وهو الغار الاعلى من الفم استعير لكل تعمق قولا وفعلا اي المتعمقون الغالون

في افعالهم

في افعالهم واقوالهم كلاما من اقصى حلوقهم وروى ابو داود وغيره قال ابو بكر
الصديق لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اقتفاء
لآثاره الحميدة وسنته المجيدة اني اخشى ان تركت شيئا من امره الذي كان عليه ان ازيغ عن
الحق واعدل عنه فيصرف الله قلبي عن قبوله وعن الميل الى الصواب الباب
الثاني في ذكر ما يوذن بوجوب لزوم محبته صلى الله عليه وسلم لكل مكلف وحذف
للتعميم كما في والله يدعوا الى دار السلام اي كل احد الى دار من دخلها سلم من الآفة
والفنا قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم من
العشرة بكسر المهملة وسكون المعجمة والعشرة بفتحها اي قرابتكم واموال اقترفتموها اي
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها بفوات زمان نفاقها ومساكن ترضونها احب
اليكم حبا اختيارا من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا تهديد ووعيد شديد
ونفي على من تخلى عنه بهذه الصفة حتى يأتي الله بامره غاية للتربص وهو المكث والانتظار
اي امكثوا منتظرين حتى تدهمكم عقوبة عاجلة او آجلة او فتح مكة وكفى بهذا التهديد
والوعيد لشديد حضا اي حثا وتحريضا وتنبيها ودلالة وحجة مميزات لنسبة
كفى اذ ان تكريرها تأكيد كفاية الآية في كونها حجة على الزام محبته صلى الله عليه وسلم
من الله تعالى ايانا ووجوب فرضها وعظم خطرها اي قدرها العظيم واستحقاقه صلى
الله عليه وسلم لها اذ قد قرع بها فقرا مشددة اي وبخ الله من كان ماله واهله من
اباء واخوان وازواج وعشيرة ومتاجر ومساكن وولده احب اليه من الله ورسوله
واوعدهم من الايعاد يستعمل في الشر والوعد فيه وفي الخير فاذا اسقطا فالوعد في الخير
وعد وعده وفي وعيد وايعاد بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية
واعلمهم فيها انهم ممن ضل ولم يهده الله بقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين اي
لا يرشدهم وهي موذنة بتشديد عظيم لا يخلص منه الا ذو عناية وقد وردت
ما جاء مويدا لما ورد مما من طريق البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم خصوا هنا بالخطاب لانهم هم الموجود ون اذ ذاك والحكم عام
لم يخص به احد بشهادة وقوع من نفي عنه الايمان او كماله نكرة في حيز النفي بدون
خطاب في رواية مسلم عبد ورواية غيره احد اي ايمانا كاملا ولا يكمل ايمانه بشهادة
رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى اكون احب اليه غاية لنفيه او
كماله وحتى هنا جارة لمغايرة لما بعدها لما قبلها هذا ومن كمل ايمانه علم ان حقيقة
الايمان لا تتم الا بترجيح حبه صلى الله عليه وسلم على حب كل من والده وولده والناس
اجمعين حب اختيار ايثارا له صلى الله عليه وسلم على ما تقتضي العقل رجحانه من
حبه احتراما واكراما واجلالا وان كان حب غيره لنفسه وولده مركوزا في غريزته
وروى الشيخان عن انس ثلاث نكرة هي صفة لمحذوف ومن ثم وقعت مبتدا
كضعيف في مثل ضعيف عاذ بقرملة اي حيوان او انسان ضعيف الجا الى شجر ضعيفة
اي خصال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان خبره لوصفه لثلاث ان يكون
الله ورسوله احب اليه بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثاني او خبر مبتدا محذوف
اي هي كون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ايثارا لحبهما على حب ما تهوى

نفسه من ولد وغيره قيل هي تثنية ضمير بهما مع انكاره كما مرّ على خطيب ثناهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت ايما الى ان المعتبر في المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة منفردة واشعارا بان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فان كونه في تقدير التكرير موذن باستقلال كل من المعطوف والمعطوف عليه بترتب الغواية عليه منفردا وان يحب المرء لا يحبه الا لله لا لامر كاحسان ودفع مكروه وجمال وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف لثبات ايمانه وتمكنه بجنانه بمخالطة بشاشته له لسطوع نوره فيه فيسترح ويطمئن مستلذا به ومن ثم شبهه على طريقة الاستعارة المكنية بذي حلاوة واثبتها له تخييلا ولترتيبها عليه جعل الثلاثة عنوانا لكماله لان المرء لا يكمل ايمانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم القادر على الاطلاق لا مانح ولا مانع سواه وان الرسول صلى الله عليه وسلم الواسطة بينه وبينه ساع بعنايته له في اصلاح شانه ورفعة مكانه وذلك موذن بوجوب ترجيح محبتهما فان ما وعد به واوعد عليه حق لا ينزك ساحته ريب فيتحقق انهما كالواقع فيرغب ويرهب وروى البخاري عن عبد الله بن هشام عن عمر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت مبتدا ولامه موذنة بقسم محذوف اي والله لانت احب الي خبره من كل شيء الا من نفسي التي بين جنبي جريا على مقتضى الطبيعة ان الانسان لا يرى احب اليه من نفسه لكونه جبليا لا اختياريا وقيل علة بان حب الله ورسوله مقدمان على حب كل شيء من نفس وولد وغيرهما حبا اختياريا تكليفيا ومن ثم ارشده صلى الله عليه وسلم الى ذلك فقال له لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ايذان بوجوب ايثار محبته صلى الله عليه وسلم على محبة غيره فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي اذعانا وانقيادا لايثار محبته صلى الله عليه وسلم على محبة نفسه فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قد استكملت ايمانا وقال سهل هو ابن عبد الله التستري من لم ير ولاية الرسول عليه هي بمعنى السلطان والملك فانه صلى الله عليه وسلم مولى كل احد ومالكه وناصره في جميع احواله ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته مثل ضرب لما يدركه منها مما تستلذ به النفس وينشرح له القلب من علوم وآداب واقتفاء لآثاره الكريمة يقوم للروح مقام الطعام والشراب للجسد اي لا ينال ذلك الا من ادخل عنقه في ربقة ملكه ورأى ان تصرفه فيه نافذ في جميع احواله او شبه ادراك معانيها بذوق حلاوة حلو تنبسط له النفس وتنفسح له الصدر ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فمن لم ير ذلك لم ينل حلاوتها لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث منصوب باعني او نحوه وتمامه كما مر وماله وولده ووالده والناس اجمعين

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم مما يرجوه محبه في الدنيا ويمنحه في الآخرة وقد روى هنا مسندا مما يشهد له من طريق البخاري حديث انس

ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة هي جزء من اربعة وعشرين جزءا هي مجموع اليوم والليلة وهي جزء قليل منه او من ليل من قولهم جلست عندك ساعة من النهار اي وقتا قليلا منه ثم استعير اسما ليوم القيامة اعني الوقت الذي تقوم فيه فهو زمن قليل يحدث فيه امر عظيم ومن ثم سميت الساعة يا رسول الله ما اعددت لها اي ما هيأت لما يعراك من شدائدها وتفاقم احوالها قال ما اعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فان حبهما ادخر لذلك واعظم وقاية منه والاستفهام ترغيب في حيازة الاعتداد له وتلويح بعظم نكايته قال انت مع من احببت وداخل في زمرتهم ترغيبا له ولمن انتحى نحوه بحيازة عظيم شرف مرافقة اقرب عباد الله اليه وارفعهم درجات عنده كما في حديث الترمذي والنسائي عن صفوان بن قدامه المرء مع من احب وروى الترمذي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابنا علي من فاطمة ابنته صلى الله عليه وسلم فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما اي مال الي واليهم اختيارا مقترنا بالايمان كان معي في درجتي يوم القيامة في الجنة مع من انعم الله عليهم لا طبيعة كحب الانسان نفسه وولده لخروجه عن حد الاستطاعة مركوزا في غريزته ولا تكلف نفس الا وسعها وروى الطبراني وابن مردويه عن عائشة وابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لانت احب الي من اهلي ومالي نفسا وزوجة وعيالا واني لاذكرك فما اصبر عنك رؤية اذ قد شغفتني حبا حتى انظر اليك فيطمئن قلبي وتقر عيني واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم ترغيبا له ولغيره من المؤمنين اذ وعدوا مرافقة اكرم عباد الله عليه واقربهم اليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان لما انعم الله عليهم لما اخفي لهم من قرة اعين حال منه او من ضمير وذكرهم بحسب مقاماتهم علما وعملا وحث على اتباعهم اولهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل فالصديقون لصاعدة انفسهم معارج النظر والبيان تارة ومعارج التصفية والعرفان للاشياء على ما هي عليه فاخبروا عنها تارة اخرى فالشهداء الذين ادى بهم حرصهم الى الطاعة واظهار الحق وبذل انفسهم في اعلاء كلمة الله فالصالحون المنفقون نفائس اعمارهم واموالهم في طاعته وحسن اولئك رفيقا حال او تمييز فيه معنى التعجب اي ما احسنهم رفيقا ولم يجمع لحموليته على الواحد والجمع كالصديق او لارادة ان في كل واحد منهم رفيقا وفي حديث آخر لا ادري من رواه كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف اي لا يغض بصره مطرقا دائما بصره الى الارض فقال له اي النبي صلى الله عليه وسلم ما بالك اي ما شأنك تنظر الي لا تطرف فقال بابي انت وامي اي افديك بهما اتمتع بالنظر اليك اي انتفع به مدة امكانه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله ومن يطع الله والرسول وفي حديث رواه الاصفهاني

في ترغيبه عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احبني كان معي في الجنة
وان تفاوتت مراتبهما منهما لعدم لزوم تساوي مراتبهما من كونه معه فيها

فصل فيما روي عن الائمة الاعلام والسلف علما وعملا فهو عام عطف على
خاص من محبتهم له صلى الله عليه وسلم وشوقهم اليه رؤية وصحبة لشدة محبتهم
له وقد روي هنا من شواهد ذلك حديث مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان اشد امتي لي حبا تمييز لنسبة اشد ناس يكونون بعدي يود
احدهم بيان لشدة حبهم له صلى الله عليه وسلم على طريقة الاستيناف لو رآني
حكاية لوداده مع افادة معنى التمني باهله وماله وقد تقدم عن الصحابة وغيرهم
شواهد كثيرة بذلك وروى ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر عن ابي بكر انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق اي بالدين الحق مصحوبا به لاسلام
ابي طالب جواب القسم يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي اسلامه اقر لعيني
من القر وهو البرد فان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من القرار فان العين
اذا رأت ما يسر سكنت اليه النفس ثم لا تستشرف الى غيره من اسلامه يعني ابو
بكر اباه ابا قحافة بقاف مضمومة وفا بينهما مهملة فالف وذلك اي كون اسلام ابي
طالب اقر لعينه صلى الله عليه وسلم من اسلام ابيه من اجل ان اسلام ابي طالب
كان اقر لعينك يا رسول الله ونحوه حديث البيهقي والبزار عن ابن عمر عن
عمر انه قال له اي قال نحو حديث ابي بكر للعباس ان تسلم بكسر همزة ان او فتحها
شرطية ان كان قاله له قبل اسلامه ترغيبا له في الاسلام او مصدرية ان كان بعده
اي اسلامك احب الي من اسلام الخطاب يعني اباه لان ذلك اي اسلام العباس
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان احب الي من اسلام الخطاب وعن ابن
اسحاق والبيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعيد بن ابي وقاص مرسلا ان امرأة
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها في سبيل الله يوم احد جبل بالمدينة
اي زمن وقعته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو ما لم منتصر على اعدائه بحمد الله كما
تحبين قالت لبعض اصحابه ارنيه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك اي غير مصيبتك
جلل بفتح اوله وثانيه اي هين حقير وسيل علي ولا ادري من رواه كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم استفهام له عن حال حبهم له صلى الله عليه وسلم
في القوة لان كيف كما مر يستفهم بها عن حال الشيء قال كان اي رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله قسم لامر مهم هو كونه احب الينا من اموالنا واولادنا وامهاتنا
جمع امهة وخص ببنات آدم ابتداء امهتي خندقة واليأس ابي ويقال في
البهائم امات ومن الماء البارد على الظمأ اي شدة العطش ونبه
بالماء على انه اشد نفعا اذ هو انفس للمهج واطفا لحرارتها وادفع لالم القلب
وضعف البدن وروى ابن المبارك في الزهد عن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس
الناس ويتخبر عن احوالهم على عادته في خلافته فرأى مصباحا في بيت
واذا عجوز تنفش صوفا اصلاحا له وهي تقول من مسطور بحر السريع عروضه

موقوفان على محمد صلاة الابرار اي تعظيمهم له صلى الله عليه وسلم في الدنيا باعلا
ذكره واظهار دعوته وابقاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في امته وتضعيف اجره
والابرار جمع بر او بار صلى عليه الطيبون الاخيار جمع خير بالتشديد قد كنت
صواما وفي رواية قواما اي كثير الصوم او القيام للعبادة بكا بضم الموحدة
قصر لضرورة الوزن واصله بفتحها ممدود واستعد المكان مبالغة في كثرة البكا
بالاسحار خصها بالبكاء لانها اوقات خلوة وتضرع وابتهال اليه تعالى قال
لقمان لابنه يا بني لا يكون الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نائم يا ليت
شعري اي علمي والمنايا اطوار جملة حالية اوردتها اعتراضا بين تمنيت به
وتمنته افادت بها ان ما يحول بين المرء وتمناه له حالات شتى مختلفة اي ليت
علمي حاضر اعلم بها هل تجمعني وحبيبي الدار ام يحولن من بين ذلك الردى يعني
اي المرأة النبي صلى الله عليه وسلم والجنة دار القرار والمنايا جمع منيه وهي الموت من
منى الله عليك بمعنى قدر ومن ثم سمي منيه لانه مقدر بوقت مخصوص وقد وردت
مسند الانشاد النبي صلى الله عليه

لا تأمنن وان امسيت في حرم • حتى تلاقي ما يمني لك الماني
فالخير والشر مقرونان في قرن • بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال صلى الله عليه وسلم لو ادرك هذا الاسلام لاسلم اي حتى تلاقي ما قدر
لك المقدر وهو الله تعالى فجلس عمر يبكي وروى كما في عمل اليوم والليلة لابن السني
ان ابن عمر خدرت رجله بفتح الخاء وكسر الدال اي فترت وضعفت عن الحركة باجتماع
عصبها فقيل له اذكر احب الناس اليك فصاح يا محمداه لم يعطفها على جملة فصاح لكمال
الاتصال بينهما لانها من الاولى بمنزلة عطف البيان من متبوعه فهي كعمر في اقسم
بالله ابو حفص عمر لانها اسمها من نعت وبالادبر حيث جعله بيانا وتوضيحا لابي حفص
فانتشرت اي رجله التي خدرت ولما احتضر بلال اي حضرته الوفاة نادت امرأته
واحرباه محركا وهو في الاصل النهب والسلب فكانها لفجعها وحزنها بموته
قد نهبت وسلبت فقال اي بلال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه من بحر وهو
الوافر عروضه وضربه معطوفان وجزوه الاول معصوب والثالث مقطوف
وروى البيهقي عن عروة لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بمهملة مفتوحة فمثلثة
مكسورة من الحرم ليقتلوه صبرا وكان قد اسر مع خبيب يوم الرجيع فباعوهما
بمكة قال له ابو سفيان انشدك الله اي سالتك واقسمت عليك يا زيد اتحب ان
محمدا الآن مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك اعاذه الله من ذلك فقال زيد
والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في
اهلي اي بالمدينة الشريفة لانه صلى الله عليه وسلم لهو الفدا بالاباء والامهات
فلا يحب احد ان يصيبه ما يؤذيه فقال ابو سفيان ما رأيت احدا يحب احدا كحب
اصحاب محمد محمدا اي احتراما واكراما لا رياء وسمعة وروى ابن جرير
والبزار عن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم اي مهاجرة الى
الله ورسوله حلفها بالله ما خرجت وما خرجت من ارضها الا محبة الله ورسوله وروي

ابن سعد ووقف ابن عمر على ابن الزبير اى عند جذعه الذى صلبه عليه الحجاج فقال
الله يا ابا خبيب محمد تقتله عند البيت فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت صواما قواما
اى كثيرهما هذا وابيك الشرف يحب الله ورسوله فصــــل فى علامة حبه صلى
الله عليه وسلم مصدر مضاف الى مفعوله اى يذكر فيه ما يؤذن فيه بحب غيره له
اعلم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه ولم يرد به معينا سد مسد مفعوليه ان من
احب شيئا اثره واثر موافقته اى قدمها على كل ما يمكن تقديمها عليه والا يؤثرها عليه
لم يكن صادقا فى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه
بحيث لا تخفى حالا بسيما على ذى فطنه واولها الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى افعاله
واقواله بقدر الامكان بشهادة حديث وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم
واستعمال سنته بحسب تغايرها عملا وتركا واتباع اقواله وافعاله ليعمل بها وامتثال
اوامره جمع امر وجوبا وندبا واجتناب نواهيه حرمة وكراهة والتادب باداب
اى الاقتداء به فيما جبل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم فى عسره ويسره
ومنشطه ومكرهه مصدران بمعنى النشاط والكراهة اى محبوبه الذى ينشط له
ويخف اليه ويؤثره ومكروهه الذى هو ضده وشاهد هذا اى ما ذكر كله قوله
تعالى حال لازمة اى متعاليا قل ان كنتم تحبون الله اى تريدون طاعته وترغبون
فيما يقربكم اليه فاتبعونى حريصين على متابعتى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم اى يرضى عنكم
ويتجاوز عما فرط منكم ويقربكم فى كنف عزه ويبوئكم حضرة قدسه وايثار ما شرعه
اى تقديم ما اظهره وتبينه واجبا ومندوبا ومباحا وحراما ومكروها وخلاف
الاولى وحض اى حث وحرض عليه فعلا وتركا وقدمه على هوى نفسه مصدر هوى بكسر
الواو يهوى بفتحها اى محبوبها الذى لا تكاد تؤثر عليه غيره وموافقة شهوته قال
الله تعالى مما يؤذن بمدح ايثارها والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم اى اتخذوا
المدينة منزلا ولزموا الها واخلصوا ايمانهم او جعل لتمكنهم واستقامتهم عليه
مستقرا لهم وموطنا كما جعلت المدينة مستقرا لهم يعنى الانصار بشهادة يحبون من
هاجر اليهم من قريش وغيرهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون فى انفسهم صوابه
فى صدورهم حاجة مما اوتوا اى لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم الى ما اعطى المهاجرون
من فىء وغيره ولم يختلج به حزازة وغيظ وحسد لهم عليه ويؤثرون اى ويقدمون
المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امراتان نزل عن احدى زوجتيه ○
وزوجها لاحدهم ولو كان بهم خصاصة اى خلة وحاجة من خصاص البناء اى فرجه
وسبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم قسم بينهم اموال بنى النضير ولم يعط ○
الانصار منها شيئا الا ثلاثة محاويج ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم تركتكم فى هذا الفىء معهم وقسمتم لهم من ○
دياركم واموالكم وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولا تاخذوا منه شيئا فقالوا
بل تقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالفىء ولا نشاركهم فيه هذا وابيك الكرم
ثم ذكرهم بما اعانهم على البر والتقوى واثرهم على انفسهم بالخير وكان هذا الفىء من
اموال بنى النضير له صلى الله عليه وسلم خاصة مدة حياته ينفق منه على عياله

وما ياتى فللمصالح دائما بخمس كما سياتى اخر الكتاب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وشاهدها
ايضا اسخاط العباد فى رضى الله الذى من جملته الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
واستعمال سنته قولا وفعلا وامتثال اوامره ونواهيه فمن ارضاه تعالى بسخط
عباده رضى عنه ورضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم
عليه كذا ورد الحديث وقد روى من هنا من شواهده حديث الترمذى قال انس
قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى تصغير شفقة ومحبة يجوز كسر يائه
وفتحها ان قدرت قبل ان تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لاحد فافعل فان من غشنا
ليس منا ثم قال لى وذلك اى تركه اضمار الغش فى قلبه لاحد من سنتى اى دينى
الذى لا عوج فيه ولا امتى ومن احيى سنتى فقد احبنى ومن احبنى كان معى فى الجنة من
الشكل الاول لعيار العلوم نتيجته طرفا مقدمتيه موضوع صغراه ومحمول
كبراه وهكذا من احيى سنتى كان معى فيها فمن اتصف بهذه الصفة اى بان لا يكون
فى قلبه غش لاحد او باحياء سنته صلى الله عليه وسلم فهو كامل المحبة لله ورسوله
ومن خالفها اى سنته صلى الله عليه وسلم فى بعض هذه الامور كترك تادب معه صلى
الله عليه وسلم او ترك مامور به او فعل منهى عنه فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن
اسمها اى اسم المحبة بل يكون متصفا بجميعها ودليله اى دليل كونه لا يخرج عن
اسمها قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى عن عمر للذى حده فى الخمر اللام
فى الوصول كهى فى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
اى قوله فى خلقه وشانه فلعنه بعضهم وفى البخارى فقال بعضهم اخزاه الله وقال
تعجبا وتعجيبا من كثرة الاتيان به مثلا ما اكثر ما يؤتى به لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله
وكفاك به شاهدا المكذب من قال بكفر من فعل كبيرة او هى مخرجة له من الايمان
ولا يدخل فى الكفر ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره مصدر
مضاف الى فاعله اى كثرة ذكر حبه له صلى الله عليه وسلم واللام لتقوية المصدر
تنزيلا له منزلة مصدر فعل لازم يتعدى الى مفعوله بها كما فى وانه لذكر لك ولقو
مك فمن احب شيئا اكثر ذكره له واشتغفا به وهو كالعلة لما قبله ومنها اى من
علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة شوقه الى لقائه ومشاهدة ذاته الكريمة
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه كالعلة لما قبله وكلاهما فعيل فالاول بمعنى فاعل والثانى
بمعنى مفعول اى محبوب وفى حديث الاشعريين ابى موسى واصحابه عند قدومهم من
اليمن او الحبشة المدينة انهم كانوا يرتجزون يقولون غدا نلقى الاحبة جمع حبيب
فعيل بمعنى مفعول اى محبوب محمدا وصحبه اسم جمع لصاحب بمعنى الصحابى وهو
من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا وليس من بحر الرجز وان اقتضاه قوله
يرتجزون بل من بحر الوافر كما مر ويجوز ان يكون من الهزج عروضه وضربه
محذوفان وجزؤه الثالث مقبوض ومن علاماته اى علامات لقاء المحب
حبيبه مع كثرة ذكره له تعظيمه له لا لتقوية المصدر كما مر وتوقيره حق
توقيره عند ذكره ستوهما للرتبة محله واظهار الخشوع اى خضوع والانكسار اى لين
وفتور مع سماع اسمه صلى الله عليه وسلم قال اسحاق التجيبى بضم اوله وفتحه

نسبة الى تجيب قبيلة من كندة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده اى
بعد وفاته لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت اى خضعت وانقبضت خاضعة جلودهم
لفراقه شوقا اليه وكذلك اى ومثل اصحابه فى ذلك كثير من التابعين لهم
باحسان كان منهم من يبكى ويقشعر ويخشع هيبة له اجلالا وتكريما ومما
محبته اى محبة الانسان لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم او احبه النبي صلى الله عليه وسلم
محبة من هو بسببه من اهل بيته وصحابته جمع صحابى من المهاجرين والانصار
من محبته صلى الله عليه وسلم عداوة من عاداهم اى تجاوز الحد الشرعى فى حقهم ظلما
وبغض من ابغضهم اى كرههم وقلاهم وسبهم اى شتمهم وهو حرام من اكبر الفواحش يعزر
فاعله وسيرد عليك انه من الكبائر فمن احب شيئا احب من يحب اى من يحبه ذلك
الشئ وقد روى البخارى وغيره قال صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين اى فى حقهما
وشانهما اللهم انى احبهما فاحبهما اى ارزقهما الهدى والتوفيق فى الدنيا وحسن
الثواب فى الاخرة وقال اى النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى الله الله فى
اصحابى اى اتقوا الله فيهم ولا تلمزوهم بسوء واذكروا الله فيهم وفى تعظيمهم وتوقيرهم
وتكريمهم موذن بالحث على الكف عن التعرض لهم بسوء مما ينقصهم لا تتخذوهم غرضا
بعجمة اى هدفا ترموهم بما لا يليق كما يرمى الهدف بالسهام فمن احبهم فبحبى اى فبسبب
حبه اياى او حبى اياهم احبهم ومن ابغضهم فببغضى اى فبسبب بغضه اياى ابغضهم
اى انما احبهم اما لحبه اياى او لانى احبهم او لحبى اياهم وانما ابغضهم لبغضه اياى
فحق لذلك قول البعض المالكية من سبهم قتل ومن اذاهم بما يسوءهم من بوائقه وعطايه
فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله بذكره بما لا يليق بكرم جنابه ولا يضره ذلك ۝
بشهادة قوله تعالى فى حديث مسلم يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ومن اذى
الله يوشك ان يأخذه اخذ عزيز مقتدر لا يغالب ولا يعجز وقال فيما رواه البخارى
وغيره فى فاطمة ابنته اى فى حقها وشانها انها بضعة بفتح اوله فقيل وقد تكسر اى جزء
منى كقطعة من لحم يغضبنى ما يغضبها مما لا يرضيها وقال فيما رواه الشيخان اية الايمان
حب الانصار واية النفاق بغضهم اى علامة كمال ايمان من امن او علامة نفس ۝
ايمانه حبهم وينصره ظاهر الحديث وحديث لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق
وخصوا بذلك اكراما لهم بحسن وفائهم بما عاهدوه عليه من انه اذا هاجر اليهم
اووه واصحابه ونصروه على اعدائه وحسن جواره ورسوخ صداقتهم وخلوص
مودتهم ولا يلزم منه ترجيحهم على المهاجرين الذين فارقوا اوطانهم واقاربهم
واولادهم وحرموا اموالهم حبا لله ورسوله ومسارعة فى رضاهما وكفاك شاهدا
بافضليتهم على الانصار حديث لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار لايذانه بجلالة
رتبة الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم بنى مهاجرى من المهاجرين وفى حديث ابن
عمر كما تقدم من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم اى انما
يحبهم بسبب حبه اياى وانما يبغضهم بسبب بغضه اياى بشهادة حديث
الترمذى عن سلمان قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى ۝
فتفارق دينك قلت كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضنى

فالحقيقة

فالحقيقة من احب شيئا احب كل شئ يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اى
طريقتهم الحسنة فى حبهم ما احبه صلى الله عليه وسلم حتى فى المباحات وشهوات
النفس فانهم كانوا يحبون ما احب صلى الله عليه وسلم اغتناما وتيمنا له فقد قال
انس انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء بالمد وحكى قصرا اى القرع واحده
دباءة من حوالى القصعة بفتح القاف اى من جوانبها فما زلت احب الدباء من يومئذ
اى من يوم رأيته يتتبعها ويأكلها حبا لها لحبه صلى الله عليه وسلم مولاة عمته
صفية زوجة ابى رافع قابلة ابنه ابراهيم وداية بنته فاطمة وغاسلتها ۝
اباها وهذا الحسن بن على وابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى خادمه صلى الله عليه
وسلم مولاة عمته صفية زوجة ابى رافع قابلة ابنه ابراهيم داية ابنته فاطمة
غاسلتها مع اسماء بنت عميس وسالوها ان تصنع طعاما مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم
حبا له لحبه صلى الله عليه وسلم اياه وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ۝
نسبة الى السبت بالكسر وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ يتخذ منه النعال سميت
سبتية لان شعرها قد سبت عنها اى ازيل ويصبغ بالصفرة نبت يصبغ اللحية كالحنا
والكتم اقتداء به صلى الله عليه وسلم اذ رآه يفعل نحو ذلك هذا والذى فى الصحيح
ان الذى كان يفعل ذلك هو ابن عمر ومنها اى من علامات محبته صلى الله عليه وسلم
بغض من ابغض الله ورسوله اى بغض من ابغضاه كابى جهل ولهب وبغض الله ۝
ارادة عقاب من ابغضه وايقاع الهوان به ومعاداة من عاداه اى من اتخذه صلى
الله عليه وسلم عدوا ومجانبة اى اجتناب من خالف سنته صلى الله عليه وسلم وعمل
بغيرها وابتدع فى دينه اى اظهر فيه البدع مما لم يوافق اصوله وخالف قواعده كترتيب
بعض القضاة المكوس على الدعاوى الشرعية واحكامها وعقود الانكحة وغير ذلك ۝
ورفض كثير من الاحكام كحد الزنا رجما وجلدا اكتفاء عنه بالمال رغبة فيه قال الله تعالى
اعلاما بذلك لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر اى يمتنع ان تجد قوما مؤمنين
يوادون من حاد الله ورسوله اى لا ينبغى ان يكون وحقه ان يمتنع مبالغة فى ۝
النهى عنه فى مجانبة اعدائهما ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم فى مرضاته
كابى عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم احد ومصعب بن عمير قتل اخاه يوم احد وعمر
قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
عبد الله بن ابى علم النفاق ورأس الكفر كما رواه البخارى لو شئت لاتيتك برأسه
يعنى اباه عبد الله بن ابى ومنها اى علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يحب
القران الذى اتى به لنسبته اليه بانزاله عليه ليبين للناس ما نزل اليهم وهو
مصدر كالغفران واصله الجمع ومن ثم سمي قرانا لجمعه السور والايات والاحكام
والامر والنهى والوعد والوعيد والقصص وغير ذلك وهدى به اى بسبب دلالته
وانك لتهدى الى صراط مستقيم اى دين الاسلام واهتدى به ايضا وتخلق اى
اتخذ خلقا قالت عائشة كان اى النبي صلى الله عليه وسلم خلقه القران اى كان ۝
متمسكا بادابه واوامره ونواهيه وما اشتمل عليه من مكارم ومحاسن والطاف

وحبه للقرآن اى بكونه من دأبه تلاوته والعمل به جعل حبه له نفس التلاوة لتسببها
عنه ومنها ان يحب سنته اى ما جاء به وندب اليه قولا وفعلا مما لم يرد به الكتاب والحكم
العزيز واصلها الطريقة والسيرة ويقف عند حدودها اى محارمها وعقوباتها التى
المقرونة بالذنوب واصل الحد المنع والفصل فكان حدود الشرع فصلت بين الحلال
والحرام فمنها ما لا يقرب كالفواحش المحرمة قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
قد ذا وقد تكرر في هذا الفصل ذكر علامات حبه صلى الله عليه وسلم غنية عن البيان
لوضوحها فلا نطيل بذكر الواضحات كتابنا ومن علامات تمام محبته زهد مدعيها
اى مدعى محبته في الدنيا باعراضه عنها وتركه الالتفات اليها وسئل الزهري عنه
فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره اى لا يعجز شكره عما رزقه الله من الحلال
ولا صبره عن ترك الحرام وايثاره الفقر اى اختياره اياه وتقديمه على الغنا واتصافه به
اى بالفقر وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد مالك بن سنان الخدري ان الفقر
الى من يحبني منكم اسرع من السيل اذا انحدر ونزل من اعلا الوادي او من الجبل الى
اسفله لرضاه صلى الله عليه وسلم به واختياره له لشهادة حديث مالك الحمد لله ان شئت
جعل الله لك الاخشبين ذهبا فابى وفي حديث عرض عليه ربه ان يجعل له بطحاء مكة
ذهبا فابى فقال لا يا رب ولكني اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك
وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وفي حديث عبد الله بن مغفل بمعجمة وفا
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني احبك فقال انظر ما تقول
اى تامله وتفكر فيه فانك رمت خطة عظيمة ومشقة وخيمة تورثك خطرا يجعلك
هدفا للبلايا قطيعة ورزايا وجيعة فامره بالنظر ليوطن نفسه على ما يرهقه عسرا
ويكلفه امرا امرا قال اني احبك ثلاث مرات مؤكدا بالقسم والتكرار قال ان كنت
تحبني قاعدا اى فهيئ للفقر تجفافا بمثناة فوقية مكسورة فجيم ساكنة وفا بينهما
الف شئ يلبس للفرس في الحرب ليقيه من الاذى من جف الشئ اذا يبس لما فيه من
اليبوسة والصلابة فاستعير للصبر على مشاق الشدائد ثم ذكر اى رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحو حديث ابي سعيد المار انفا فقال الفقر اسرع الى من يحبني من
السيل الى منتهاه تشبيها له بالسيل وتلويحا بتلاحق النوائب به سريعا ولات
حين مناص له منها فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقة المحبة ما ذكر فيه من الاقوال في تفسيرها ليس منبئا كما قال بحقيقتها
بل بما ينشأ عنها من ثمرات تؤذن باختلاف محبته في الاتصاف بها وحقيقة المحبة
من حيث هي الميل الى ما يوافق الانسان اما لاستلذاذه بادراكه لما يميل اليه
مما يوافقه باحدى مشاعره الخمس كحب الصورة الجميلة من المبصرات والاصوات الحسنة
من المسموعات والاطعمة والاشربة اللذيذة من المذوقات واشباهها كحب
الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللين من الملموسات مما كل طبع
سليم من الغلاظة والفظاظة والجلافة مائل اليه لموافقته له موافقة
طبيعية او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة
من الشرف اى العلو اى ذات قدر ورفعة كانه يدركها من موضع عال اى اذ هو فوق

لادراكها

لادراكها كحب الصالحين والعلما واهل المعروف وحب المأثور اى المروي عنهم
الاوصاف والاحوال الجميلة والافعال الحسنة كالحسن البصري والثوري ومالك
والشافعي والجنيد وبشر الحافي فان طبع الانسان مائل الى الشغف اى الحب الذي يحرق
شغاف القلب اى حجابه حتى يبلغ الفؤاد اى سويداء القلب بامثال هؤلاء اى الموصوفين
بالصلاح والعلم والمعروف والسير الجميلة والافعال الحسنة الى الى الشغف بهم كما في
مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود اى انت لا تبخل وانت تجود من غير حتى يبلغ ذلك
التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين من المشايعة اى المتابعة والمطاوعة
والشيعة الفرقة من الناس غلبت اسمها على من شايع عليا وتولاه واهل بيته حتى صار
اسما خاصا بهم وعلما عليهم لا يتوجه الذهن عند الاطلاق الى غيرهم ومنهم من شايعوا الا
انهم في اعتقادهم فيهم ليسوا على طريق مستقيم وفي الحديث القدرية شيعة الدجال
اى اولياؤه وانصاره ما يؤدي ذلك التعصب الى الجلا اى الخروج عن الاوطان وهتك
الحرم بخرق سترهن حتى يفتضحن بين الناس ويؤدي الى اخترام النفوس اى
ذهابها وافنائها مما يقال اخترمتهم الدهر اى اقتطعهم واستأصلهم او يكون حبه اياه
اى ميل الانسان الى ما يوافقه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه
فقد جبلت النفوس اى خلقت مجبولة اى مطبوعة على حب من احسن اليها واذا تقرر
لك هذا انظرت نظر سداد موفق انكشف واتضح ان هذه الاسباب اى اسباب المحبة
من استلذاذ بحاسة من الحس او بحاسة عقل وقلب او من جهة احسان كلها في
حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه جامع لهذه المعاني الثلاثة فان الله كمله
بكمال الصورة والظاهر وبكمال الاخلاق والباطن وبمكارم الاحسان وكرائم الانعام
الموجبة للمحبة وقد تقدم منها ما اغنى عن اعادته هنا مما تقر به العيون ويثلج
الجوانح سرورا اذ كان صلى الله عليه وسلم ذريعتهم اى وسيلة من امن به الى الهداية
سبل السلام ومنقذهم من العماية بفتح المهملة فعالة من العمى اى من الضلالة
الاسلام وداعيهم الى الفلاح اى الفوز والظفر بسعادة الدارين والكرامة في دارها
حضيرة القدس اى الجنة ووسيلتهم الى ربهم اى يتوسلون به اليه وشفيعهم عند ربه
بسؤاله التجاوز عن ذنوبهم وجرائمهم والمتكلم عنهم احوج ما يكونون الى الكلام
والشاهد لهم يوم القيامة حين يشهدون للانبيا انهم قد بلغوا قومهم تزكية لهم
والموجب لهم البقا الدائم والنعيم السرمدي اى الدائم المستمر الذي لا ينقطع في الجنة
لانه صلى الله عليه وسلم السبب الداعي اليه فقد استبان اى ظهر وانكشف لك انه
صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار والموافقة
بوجوبها له شرعا وعادة وجبلة اى طبيعة من حيث ان جميع ما يحصل من نعم الدارين
بواسطته فهي من احسانه الينا وقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها بما ذكرناه
انفا من قولهم انفا الشئ لما تقدم منه استعير من الجارحة وهو ظرف بمعنى الان او قريبا
لافاضته الاحسان علينا بشهادة وصف الله له فيما تقرر من رأفته بنا ورحمته لنا
وهدايته ايانا وشفقته علينا واستنقاذنا من ورطة الجهالة والاثم بنا رؤوف
رحيم ورحمة للعالمين الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى كثرة فيا له احسانا ما اجمل

نوايده واجل عوايده واجله قدرا واوعظه خطرا اذ قد عم كافة المؤمنين وشمل جميع
العالمين فجزاه الله صلى الله عليه وسلم عنا ما لا عين رات ولا اذن سمعت من مكارم
الانعام وكرايم الاهتمام ومجموعه الاجمال بكل جميل تام الاوصاف وافراد سعاف
فاذا كان ذا الانسان اذ يحب من منحه من المنحة وهي العطية من لبن او ورق او صوف
او غير ذلك مما يمنح في دنياه مرة او مرتين معروفا مما به التقرب الى الله والاحسان
الى الناس مما عرف شرعا وندبا اليه الشرع او نهى عنه من حسن او قبيح وفي الحديث
اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الاخرة اي من بذل معروفه للناس في
الدنيا اتاه الله جزا معروفه في الاخرة وعن ابن عباس تاتي اصحاب المعروف
في الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم ويبقى حسنا ثم فيعطونها لمن زادت
سياته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان في الدنيا والاخرة
او اتخذه اي اتخاه من هلكه يتورط فيها او مضرة عدته مدة من الزمان تقع على
القليل والكثير المتاذي بها اي بالمضرة قليل ذا دلع اي زايل لا يدوم فمن منحه
اي اعطى الانسان ما لا يبيد اي لا يهلك ولا ينفذ من النعيم المقيم بجنة طيبة
ومقام كريم ووقاه من الوقاية وهي الستر اي صانه وحماه من ما ليس يقى من عذاب
الجحيم والمانح له ذلك هو صفوة خلق الله صلى الله عليه وسلم فهو اولى بان يحب
من والد وولد ومال والناس اجمعين واذا كان يحب بالبنا للمفعول بالطبع
اي الجبلة التي خلق الانسان عليها ملك نايب فاعل يحب حسن سيرته في رعيته
او بالكسر يحب لما يوثر اي يروى من قوام طريقته على العدل في سيرته المستقيمة او
قاص بالمعجمة او بمهملة بعيد الدار يحب لما يشاد من اشاد البنا اذا رفعه استعير
لما يشاد ويرفع ويذاع من علمه او كرم شيمته اي خلقه كما يورثه حيازة الشرف
فمن جمع هذه الخصال جمع خصلة وهي الحالة اي جمع هذه الحالات الحسنة على
غاية مراتب الكمال جملة حالية افادت تمثيل تمكن حاله صلى الله عليه وسلم
منها واتصافه بها بحال من اعتلا شيا وركبه فهو صلى الله عليه وسلم احق بالحب
واولى بالميل اليه لحيازته الشرف المنيف والكرم الوريف وقد قال علي في
صفته صلى الله عليه وسلم من راه بديهة اي من راه اول وهلة اي اول
والوهلة المرة من الفزع هابه توقيرا له وتعظيما ومن خالطه معرفة
له بشريف خصاله وعميم نواله احبه اذ فضله العذب لم تاسن موارده بحارة
معذق سيلا من الكرم **فصل في وجوب مناصحته** مفاعلة
من النصح وهو لغة الخلوص يقال نصحته ونصحت له قال الله تعالى ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اي اثم في تخلفهم عن الغزو لفقرهم كمزينة
وجهينة وبني عذرة اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان بهما والطاعة لهما سرا
وعلانية كفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه من فعل وقول يعود على الاسلام
والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي من جناح ولا الى معاتبتهم من معاتب
وفي وضع المحسنين موضع ضميرهم تلويح بان اصحابه منتظمون في سلكهم
والله غفور رحيم لهم ولهم قالت اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله معناه

اذا كانوا مخلصين في افعالهم واقوالهم مسلمين في السر والعلانية وقد روى شاهد
الوجود مناصحته صلى الله عليه وسلم حديث الحساسة الذي في اخر صحيح مسلم
وهي منقبة شريفة تؤذن بجواز رواية الفاضل عن المفضول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة وثانية
رواية النساى انما الدين النصيحة فهو من حصر المبتدا في خبره لاشتمالها على
طاعة الله وطاعة رسوله وجميع ما جاء به عن ربه فكانه هي مبالغة في الحث على
النصح قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين
وعامتهم واجبة ظاهره وجوب عين على كل مكلف وفي شرح مسلم للنووي عن بعضهم
انها فرض كفاية تسقط بقيام بعض عن الباقين وانها لازمة الطاعة اذا علم
الناصح ان نصحه ينجع فان خشي على نفسه اذى فهو في سعة من الترك وهي
دين واسلام والدين يقع على القول يقع على العمل وقال الامام ابو سليمان
البستي هو الخطابي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة بالنشوين بدون اضافة ارادة
الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها وتجمع
معناها غيرها وتصنيفها في اللغة كما مر انفا الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا
خلصته من شمعه بنار لطيفة وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل
الشي الذي به الصلاح والملاءمة من لامت بين القوم ملامة اي اصلحت ووفقت
بينهم وتلاموا والتاموا بمعنى وقد تخفف الهمزة فتصير يا ماخوذ من النصاح
بنون مكسورة فصاد مخففة وحا مهملة بينهما الف وهو الخيط الذي يخاط به الثوب
فنصيحة الله الايمان به وصحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله بدون
الحاد في صفاته وتنزيهه اي تبعيده عما لا يجوز عليه ولا يليق به مما يوهم نقصا
والرغبة في محابه بفتح الميم جمع محبة بمعنى محبوب اي في جميع ما يحبه ويرضاه
والبعد من مساخطه جمع مسخط اسم مفعول اي جميع ما يسخطه ولا يرضاه ويجوز
ان يكون جمع اسم فاعل اي جميع ما يسخطه تعالى والاخلاص في عبادته لا يريد
بها الا وجهه والاعتراف بنعمه وشكره عليها وما ذكر فهو في الحقيقة راجع الى
العبد في نصحه نفسه لانه تعالى غني عن نصح كل ناصح والنصيحة لكتابه الايمان
به اي التصديق بما اشتمل عليه من احكام ومواعظ وامثال وعموم وخصوص
وناسخ ومنسوخ وغير ذلك والعمل بما فيه مما ذكر وبمحكمه وتسليم متشابهه
والحث عليه وتحسين تلاوته باقامة حروفه والتفكر في عجايب اساليبه وبديع
تراكيبه والتخشع عنده اي عند تحسين تلاوته بخضوع ومسكنة وتذلل والتعظيم
له لانه صفة من جل قدره وجاوز العقول فلم تحط بكنه حقيقته والتفقه فيها
اي معانيه من فقه بالكسر يفقه بالفتح اي فهم واما بالضم فبمعنى صار الفقه له
سجية وخصه العرف بعلم الشرع اصلا وفرعا ثم خص بعلم الشرع والذب اي صد
ما لا يليق به عنه من تاويل الغالين اي المجاوزين الحد في تاويله اذ من اخلاقه
واداب المقصد وخير الامور اوساطها وكلا طرفي القصد في الامور مذموم وطعن
الملحدين بالجر عطف على مدخول من اي تحجب المايلين عن الحق والنصيحة لرسوله

صلى الله عليه وسلم هي التصديق بنبوته ورسالته الى كافة الناس بشيرا ونذيرا
وبذل الطاعة اى الانقياد والاذعان فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان يعنى
الخطابي وقال ابو بكر يعنى ابن ابى اسحاق الخفاف هى موازرته صلى الله عليه وسلم
من الوزر بكسر الواو وهو الثقل اى معاضدته ومعاونته فيما طرقه من اعباء النبوة
او من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه وتدبيره فهو ملجاؤه ومرجعه
ونصرته اى اعانته على اعدائه وحمايته اى المدافعة عنه والممانعة منه من اراده
بسوء حيا وميتا واحياء سنته بالعمل بها والذب لمن يلحد فيها او يزيغ عنها ونشرها
اى اظهارها للتمسك بها والتخلق باخلاقه اى الاتصاف بادابه ومحاسنه ومكارمه
والطاقة الكريمة لحيازته جميع جهات الشرف فتمم مكارم الاخلاق ومحاسن
الافعال وفى الحديث ان الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق
ابن ابراهيم فهو رابع اربعة انبياء حاز شرف النبوة والجمال والعفة والعلم وكرم
الاخلاق والعدل ورياسة الدين والدنيا وادابه الجميلة لانه حسن الفعال كامل
الاوصاف والجمال توصف به الصور والمعانى وقال اسحاق التميمى نصيحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به اذ عانا وانقيادا له فيه والاعتصام
بسنته اى التمسك بها لانه يمنع من كل مكروه ونشرها والحض اى الحث والتحريض
عليها من يعمل بها ويتادب بادابها والدعوة الى الله اى الى الاقرار به وبتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته والى كتابه والى رسوله اى الى الايمان بهما وبحقيقتهما
وبما امر به ونهيا عنه والعمل بها اى بسنته على ما مر وقال احمد بن محمد بن مفروضة
القلوب جمع مفروض من الفرض واصله القطع اى التى اوجبت عليها بارادته والفرض
والواجب عند الشافعى معناهما واحد وعند ابى حنيفة الفرض اكد من الواجب
اعتقاد النصيحة له صلى الله عليه وسلم وبذل نفسه له معاونته ومعاضدته فى تنفيذ
احكامه ومناصرته على من ناواه قال ابو بكر الاجرى بالمد ولتشديد الراء يد
وغيره من الائمة النصح له يقتضى نصحين نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته
ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر موازاة له على اعدائه واظهار الدينه
والمحاماة اى المنع والمدافعة عنه من رامه بسوء وقد بالغوا فى ذلك باموالهم
وانفسهم عزة لجنابه وقوة لشوكته وشدة لسلمته حميته ومعاداه بل عاداه
وقد بالغ فى ذلك انصاره وبلغوا جهدهم فى ذلك حتى ناووا اباءهم وابناءهم
ولقد قال له صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن ابى راس النفاق مرلى يا رسول
الله ائتيك براسه يعنى اباه عم النفاق والسمع والطاعة فيما اوجبه له يقال
اطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع فهو طائع اى اذعن وانقاد وبذل
النفس والاموال دونه حماية له وذبا عن دينه ونصرة له وصونا ولقد
كانوا عاهدوه على ذلك سيما الانصار اذ بايعوه على الذب عنه كما يذب
الرجل عن حرمه وقد وفوا بما التزموه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات معه والقتال لاعداء الدين من صدق اذا قال الصدق
فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق وينصرون الله ورسوله هم المهاجرون

الذين

الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ابتغاء فضل الله ورضوانه ونصرة رسوله اولئك
هم الصادقون فى ايمانهم وجهادهم واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم
بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال بان يقدر حق قدره وشدة الرغبة له فى جميع
ما يليق بعظيم محله والمثابرة اى المواظبة والحرص واللزوم فيمن لا تحل الصدقة
بمحمد قال محمد وقالت الشافعى دل هذا الحديث على انهم هم الذين حرمت
عليهم الزكاة وعوضوا عنها خمس الخمس وهم صلبية بنى هاشم وبنى المطلب
واصحابه جمع صاحب وهو كل من لقيه صلى الله عليه وسلم ومجانبة من رغب
عن سنته اى مباعدته وعدم الركون اليه والانحراف عنها وبغضه مايلا الى
ضلال اذ كل من انحرف عنها ضل طرق الهدى والتحذير منه بدون تنقص له
ليجتنب وهذا مما تجوز فيه الغيبة تفاديا من الاخذ عنه وان جاز عمن
لا تقدح بدعته فى دينه اذ قد روى كثير من العلماء وائمة الحديث بالبدع
كالاعتزال والتشيع والرفض والايمان بالرجعة والارجاء وفى مجمع الاحباب
ان يزيد بن هارون رأى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال
قال لى يا يزيد تروى عن حريز بن عثمان فقلت يا رب هو ثقة وما
علمت له الا خيرا فقال انه كان يبغض ابا الحسن على بن ابى طالب وفى رواية
ابا عمرو عثمان بن عفان وان اول من قال بالارجاء الحسن بن محمد بن الحنفية
ابن على بن ابى طالب والشفقة على امته من الاشفاق اى الرفق مع الخوف
فهو عناية مشوبة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ان يلحقه
ما يضره والبحث عن تعرف احواله صلى الله عليه وسلم وسيرته وادابه ليتمسك
بها ويقتدى به فيها اذ كلها حسنة جميلة والصبر على ذلك اى حبس النفس
عليه احتسابا لحيازته الثواب الجزيل فعلى ما ذكر اى الاجرى وغيره تكون
النصيحة احدى ثمرات المحبة اذ من احب احدا نصح له ترغيبا وترهيبا وحكى ابو
القاسم القشيرى ان عمرو بفتح اوله ابن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار
بمثلثة مضمومة فواو مشددة اى الشجعان الابطال ممن يثور فى الامور المهمة
فيكشفها رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى يعنى محى عنه
ذنوبه واصل الغفر الستر فقيل له بماذا غفر لك فقال صعدت بكسر عينه من باب
علم ذروة جبل بكسر المعجمة وضمها اى اعلاه واشرفت على جنودى اى اطلعت عليهم
فرايتهم فاعجبنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزواته
وسراياه فاعنته ونصرته على اعدائه فى مواطن وقائع حروبهم فشكر الله لى ذلك
فغفر لى اى سامحه ولم يؤاخذه بذنب لخلوص نيته وصدق طويته واما النصح
لائمة المسلمين المذعنين لطاعة الله ورسوله فى ايثار العدل واتباع الحق
فطاعتهم على رعاياهم انما هى فى الحق اذ لا طاعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمخلوق فى معصية الله وخطب عمر بن عبد العزيز اذ ولى الخلافة وقال اطيعونى
ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ومعونتهم فيه اى معاضدتهم
ومناصرتهم فى الحق قولا وفعلا وامرهم به اذا عدلوا عنه برفق ولطف قال تعالى

متقولا له قولا لينا وتذكيرهم اياه اذا اغفلوا عنه على احسن وجه رجا وطمعا ان يتروا
فينتفعوا دواله وتنبيههم على ما غفلوا عنه او خفي عليهم من الاحكام وكتم عنهم من امور
المسلمين ليمضوه على وجهه وترك الخروج وان جاروا وابدا لجهد واعانه برفق وتقريب
الناس اى وتركهم الاغراء عليهم وانشاد قلوبهم عليهم اى تركهم ما ليغيها لطاعتهم
واما النصح لعامة المسلمين فارشادهم اى دلالتهم وهدايتهم الى مصالحهم
ومعونتهم اى مساعدتهم ومعاضدتهم في امور دينهم ودنياهم فا ينفعهم معاشا
ومعادا بالقول والفعل وتنبيه غافلهم اى تذكيره بما يصلحه وتبصير جاهلهم
اى تعريفه ما جهله ورفد محتاجهم اى معاونته فيما يحتاج اليه من امر دينه ودنياه
ومنه رفادة قريش اذ كانت تترافد اى تتعاون في الجاهلية فيخرج كل
ما يقدر عليه فيجمعون مالا عظيما يشترون به الطعام والزبيب للنبيذ ويطعمون
الناس ويسقونهم ايام موسم الحج حتى ينقضي وستر عوراتهم مما لا يجوز اذاعته
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم اذ الله في عون العبد ما كان العبد في عون
اخيه والخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله الباب
الثالث في تعظيم امره صلى الله عليه وسلم اى توقير شانه وحاله والامتثال له
والمبادرة اليه ووجوب توقيره وبره اى تعظيمه والتقرب اليه بما يرضيه
من قول وفعل حيا وميتا انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا احوال مقدرة اى
شاهدا على من ارسلناك اليهم فانك مقبول عندنا لهم وعليهم فيؤمنوا بالله ورسوله
اى يصدقوه في جميع ما ارسله به اليهم ويعزروه اى يقووه بتقوية دينه ويوقروه
اى يعظموه والظاهر ان ضماير الغائبة لله ومن فرق فقد ابعد وقال يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا حذف مفعوله لتذهب النفس الى كل ما يمكن وقوعه مما يقدم او
لتنزيل فعل النهي منزلة اللازم والمراد نفي التقدمة اصلا ورأسا وهو من
قدم بمعنى تقدم اى لا تتقدموه من مقدمة الجيش لجماعة متقدمة منه ويقويه
قراءة يعقوب بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى والاول اوجه واملأ حسنا
وموافقة للقران بين يدى الله ورسوله مجازا عن اذنيهما اى لا تحدثوا امرا قبل
ان يأذنا فيه من قولك جلست بين يدى فلان اى بين جهتى يديه المسامتتين
لهما قريبا منه فسمى ادناهما يدين واثبت لهما البيت ترشيحا للمجاز كما سميت
جهتا يدى الانسان يدين مجازا لكونهما على سمتهما مع القرب منهما فهو مستعمل
ضرب لاذنيهما وتصوير لشناعة ما نهوا عنه من تقديمهم امرا قبل اذ يأذنا
فيه ان الله سميع عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اى
لا تجاوزوا باصواتكم الحد الذى يبلغه صوته صلى الله عليه وسلم وعليكم ان تنقصوها
بحيث يكون صوته فوق اصواتكم وجهره باهر لجهركم لتكون مزيته عليكم لائحة وسابقته
واضحة لان من اكرمه الله بهذه المنقبة العظيمة حقيق بان يكون ادنى ما يجب له
من الاجلال والتهيب ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه التكلم
توقيرا له وتكريما ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اى لا تبلغوا
به الجهر المعتاد بينكم بل خاطبوه باصوات اخفض من صوته مخاطبة مهيب معظم

تحاميا

تحاميا من سوء الادب او لا تخاطبوه باسمه وكنيته بشهادة لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل بالنبي او الرسول او صفوة الله او خيرته تشريفا
له وتكريما ومراعاة لجلالة قدره وكرر النداء طلبا للمزيد استبصارهم وللمبالغة
في الاتعاظ وايذانا بتعظيم المنادى له والاهتمام بشانه ان تحبط محله نصب على
انه مفعول له علة للنهي اى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اى خشية حبوطها
على حذف مضاف كما في يبين الله لكم ان تضلوا اى كراهة ضلالكم وانتم لا تشعرون
بحبوطها اى لا تعلمونه ان الذين يغضون اصواتهم اى يخفضونها عند رسول الله
مراعاة للادب والاجلال او مخافة مخالفة النهي اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
من قولهم امتحن فلان لكذا اى جرب له ودرب للنهوض به اى جربها للتقوى
ودربها لها ومرنها على احتمال مشاقها او وضع امتحن موضع علم من حيث ان
الامتحان سبب له اى علمها الله كائنة له ومختصة بها واللام صلة لمحذوف
كهي في قوله انت لهذا الامر اى كائن له ومختص به او اعترى الله قلوبهم بانواع
المحن لاجل التقوى لا تظهر الا بالمحن وتقاومها والصبر عليها او اخلصها للتقوى
من قولهم امتحن الذهب اذا اذابه وخلص ابريزه من خبثه لهم مغفرة
واجر عظيم لغضهم اصواتهم عنده ولجميع طاعاتهم وهذه الاية نظمها المرتب
عليه ورود المعاضدين اسما لان وخبرها جملة من مبتدا هو اسم اشارة وخبر
معرفتين الجملة المودعة جزاؤهم مستانفة والجار النكرة مبهما موذنة بغاية كمالهم
مبالغة في الاعتدال بعضهم والارتضاء به واعلاما بتوقيرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانهم قدروه حق قدره وتعريضا بشناعة رفع اصوات اولئك وجهرهم
له وان حالتهم ضد حالهم وقال لا تجعلوا دعاء الرسول اى لا تنادوه باسمه
بينكم كدعاء بعضكم بعضا باسمه بل يا نبي الله يا رسول الله يا خيرة الله بخفض
صوت وتهيب مراعاة للادب فاوجب الله تعزيره بزاى وراء اى اجلاله وتوقيره
والزم تعظيمه هذا وما قاله ابن عباس ومن بعده فقد تقدم مرارا وقرئ
تعززوه بزايين من العز وهو الشدة والقوة ونهى عن التقدم بين يديه بالشيء
قبل ان يأذن في فعله على ما مر او عن التقدم بالقول وسوء الادب بسبقه
بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني
وقال سهل بن عبد الله التستري احد اعلام الصوفية لا تقولوا قبل ان
يقول صلى الله عليه وسلم ما يصلحكم ويحييكم فاذا قال فاسمعوا له وانصتوا
اى اسكتوا سكوت مستمع ونهوا عن التقدم والتعجيل بقضاء امر قبل قضائه فيه
بشهادة ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى تهامة عليهم المنذر بن
عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر الا ثلاثة فلقوا رجلين من بني سليم قرب
المدينة فانتسبا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما فقال
صلى الله عليه وسلم بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب انا كسوتهما اياه فنزل
وداهما ونهوا عن ان يفتاتوا اى يسبقوه بشيء منفردين برأيهم دونه في التصرف
في ذلك من قتال وغيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقونه به افتياتا عليه من

الفوت وهو السبق يقال لكل من احدث فى امر احد شيا دونه قد افتات عليه
وعدى بعلى لتضمنه معنى التغلب والى هذا النهى عن التقدم بقضا امر قبل قضايه
صلى الله عليه وسلم فيه يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدى والثورى
ويوافقه فى المعنى ما قدمناه اولا ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال
واتقوا الله ان الله سميع عليم قال ابو الحسن على بن حبيب الماوردى اتقوه
فى التقدم لشى بين يديه قبل ان تؤذن فيه وقال ابو عبد الرحمن السلمى اتقوا الله
فى اهمال حقه وتضييع حرمته مما تقتضيه تقواه فعلا وتركا انه سميع لقولكم عليم
بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته تعظيما لتشريف مقامه وتكريما
لرفيع جنابه وعناهم عن الجهر له بالقول فى محاورتهم خطابا له تفخيما لشانه كما
يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته بعضهم لبعض وقيل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه
بشهادة لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا على ما مر قال بعضهم
لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له الخطاب فى مخاطبتكم له وتوجيه قولكم اليه ولا تنادوه
باسمه نداء بعضكم بعضا باسمه الذى سماه به ابواه ولكن عظموه ووقروه ونادوه
باشرف ما يجب ان ينادى به من رسالة او نبوة مثل يا رسول الله يا نبى الله وهذا
اى ما قاله مكى كقوله تبارك وتعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا
على احد التاويلين اى ثانى تاويليه اعنى ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا
قال غيره اى غير مكى لا تخاطبوه الا مستفهمين عما تريدون مصدورة اسئلتكم قولا
وفعلا احاير هو ام لا ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم من حبطت الدابة حبطا
بالتحريك اذا اصابت زعى طيبا فافرطت فى الاكل حتى انتفخت فماتت اى بابطالها
ان فعلوا ذلك بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم اى كراهة حبوطها وحذرهم منه قبل الاية
اى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا نزلت فى وفد بنى تميم وقيل
فى غيرهم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه على عادة الاعراب فيما بينهم يا محمد
اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم هنا بان اكثرهم لا يعقلون بقوله
ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاولى اى اية
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى فى محاورة الحا المهملة اى مكالمة كانت بين ابى
بكر وعمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
عنده صلى الله عليه وسلم فنهيا وغيرهما عن ذلك اذ خصوص السبب لا يمنع عموم
الحكم وقيل نزلت كما ورد عن ابن عباس فى ثابت بن قيس بن شماس فى مفاخرة
بنى تميم من الفخر وهو الاعمال المعظم والكبر والشرف تبجحا وكان فى اذنيه صمم
وكان جهورى الصوت يرفع صوته اذا تكلم وربما تاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الاية اى اية لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى اقام كما روى عن
انس فى منزله وخشى ان يكون قد حبط عمله ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم افتقده
فاخبر بشانه فدعاه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله لقد نزلت هذه
الاية وخشيت ان اكون هلكت وحبط عملى نهانا النبى صلى الله عليه وسلم ان نجهر بالقول

وانا

هومى

هنا سقط لا يوجد فى النسخ المنقولة منها

هو من ال محمد الا له شفاعة فصل ومن اعظامه اى تعظيم قدره فوق
قدر غيره واكباره اى اعظامه مجاوزا اعظام غيره اعظام جميع اسبابه جمع سبب وهو
فى الاصل الحبل يتوصل به الى الما استعير لكل ما يتوصل به الى الشى قال وتقطعت
بهم الاسباب اى الوصل والمودات واريد به هنا ما حصل له صلى الله عليه وسلم من
الوصل بالزواج بشهادة حديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببى ونسبى واكرام
مشاهده التى يذكر فيها نصيبا شتما من اللغو ورفع الصوت اذ رفعه عند ذكره
وقراة حديثه كرفعه على صوته صلى الله عليه وسلم قال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى اذ حرمته صلى الله عليه وسلم كحرمته حيا
والامكنة من مكة كبيت خديجة مهبط الوحى ودار الارقم بن الارقم وغار حرا وثور
ومولده ومن المدينة كمسجده وبيوته ومواطنه التى كان يالفها منهما واكرامها
احياؤها بالزيارة وتعظيمها بحفظها من الامتهان وما لا يليق بها واكرام معاهده
التى كان يتعاهدها كقبا اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت وما لمسه اى لمسه
صلى الله عليه وسلم او عرف به مما يمكن اكرامه وتعظيمه اه وروى عن صفية بنت
نجدة بنون فجيم فمهملة ولا ادرى من خرجه قالت كان لابى محذورة مؤذنه صلى الله
عليه وسلم بمكة قصة بقاف مضمومة فمهملة مشددة ما اقبل على الجبهة من شعر
الرأس ولما قال ابن دريد كل خصلة من الشعر وكما قال الجوهرى هى شعر الناصية
فى مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض اى وصلت اليها فقيل له اى لابى
محذورة الا تحلقها فقال لم اكن بالذى احلقها اثر التكلم على الغيبة مع انها هنا هى
القياس بشهادة عود الضمير الى الذى ولفظه لفظ الغايب ايثارا لتغليب التكلم
عليها لان الذى وان كان بلفظها هو فى المعنى عبارة عن المتكلم وقد مسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فترك حلقها حذرا من سلبه بركة مس يده وكانت
فى قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين هى ما يسمى الان
قبعا خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم
فسقطت قلنسوته فى بعض حروبه فشد عليها اى على قلنسوته اى لاجلها حذرا من
ضياعها شدة واحدة من الشدات العظيمة قتل كثير ممن كان معه بحيث انكر
عليه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كثرة مفعول لاجله انكارهم عليه شدته
اى لاجل من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة اولا بالذات بل ثانيا
وبالعرض لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها من السلب بسكون
اللام وهو اخذ قرين سلب قرينه بفتحهما فعل بمعنى مفعول اى مسلوب فى
الحرب من احدهما للاخر مما ينسب اليه من ثياب وغيرها استعارة لما يذهب
به عنه من بركة شعره صلى الله عليه وسلم بذهابه فى قلنسوته فيحرمها وتقع
فى ايدى المشركين وروى ابن عمر كما رواه ابن سعد عن ابراهيم بن عبد الرحمن
ابن عبد القارى واضعا يده على مقعد النبى صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها
على وجهه اكراما لمعاهده وتبركا بامكنته وما عرف به او لمسه ولهذا اى
ولكونه يتبرك باثاره صلى الله عليه وسلم كان مالك لا يركب بالمدينة دابة

تعظيما لاثاره صلى الله عليه وسلم واكراما لها وكان يقول جوابا لمن ساله عن
ذلك استحي من الله فانقبض وانزجر فان تعاطى الا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحافر دابة هيبة له ووقارا ورواية اى ما لكا وهب للشافعي كراعا بكاف مضمومة
فرا مخففة اى خيلا كثيرا كان عنده فقالت له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل
ذلك الجواب اى استحي ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي الامام الجليل عن احمد بن فضلويه الزاهد من الزهد
وهو التقلل من الدنيا ويقال تزهد اذا تقلل منها وسيل الزاهد عن الزهد
فقال ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره اى لا يعجز شكره عما رزقه الله
من الحلال ولا عن ترك الحرام وكان احمد بن فضلويه من الغزاة الرماة للسهام
اعتراض افاد وصفه بكونه غازيا راميا انه قال ما مسست بكسر المهملة الاولى
وقد تفتح يقال مسسته امسه مسا وفي لغة مسته بحذف الاولى ونقل حركتها
الى الميم وقد لا تنقل فتبقى مفتوحة كظلت في ظللت وقد وردت في حديث ابي
هريرة لو رايت الغول تحرش اى تجتمع بين لا بتيها ما مسستها اى ما لمست القوس
بيدي الا على طهارة منذ بلغني انه صلى الله عليه وسلم اخذ اى تناول القوس بيده
هذا وابيك الادب وقد افتى مالك فيمن قالت تربة المدينة ردية بالهمز وقد لا تهمز
تخفيفا اى خبيثة غير طيبة بضربه ثلاثين درة بتمييز وهي الة للتعزير وامر
بحبسه وكان له اى للذى افتى فيه وامر به ذلك قدر وخطر عظيم ووجاهة
بين الناس وقال اى مالك متعجبة نحو التعجب مما لعظم موقع سببه وخفائه
وهو شيء عظيم من الخبث بغنا ضميره ثبت عليه قوله تربة المدينة ردية
احوجه الى ضرب وحبس تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها
غير طيبة وذلك مبالغة في زجره ليكف هو وامثاله اذ لا يشك من له مسكة بالاسلام
ان تربته صلى الله عليه وسلم التي دفن فيها اشرف تربة وافضلها واطيبها
هذا وبالمدينة اماكن كثيرة سبخة يحمل قوله عليها تفاديا عن ضربه وحبسه
وفي الصحيح عند الشيخين عن علي وانس قال صلى الله عليه وسلم في المدينة
من احدث فيها حدثا منكرا ابتداعا غير مرضي ولا معروف او اوى محدثا بكسر الدال الاسم
فاعل اى ضم اليها خائنا واجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان تقتص
منه وقد تفتح فيكون نفس الامر المبتدع وايواؤه الرضى به والصبر عليه فمن
رضى ببدعة واقر عليها فاعلها ولم ينكر فقد اواها فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا اى فريضة وحكى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب
النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان وقد تقدم بيانه وقال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه مالك وابو داود والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة من حلف على
منبري يمينا فاجرة كاذبا فليتبوا مقعده من النار تهديد شديد ومبالغة في ۝
الوعيد لانه لما امتنع اجراء الامر على اصله توجه بمعونة قرينة الحال الى مثل تنبيه
واعرف لازم الحلف عليه كذبا فتولد منه التهديد زجرا عند الحلف عليه كذبا كما
زجر به من كذب عليه متعمدا وان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة لزيارة

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم شبه وصوله اليها بورود الشاربة مورد الماء ثم
اشتق منه ورد فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية او شبه
المدينة على طريقة الاستعارة المكنية بالمورد واثبت لها الورود تخييلا
فما الحق البلاغة تناسي التشبيه صرفا للنفس عن توهمه وقرب من بيوتها ترجل
عن دابته ومشى باكيا منشدا حالان مترادفان من ضمير مشى والبيتان ۝
اللذان انشدهما من الطويل عروضهما مقبوضة وضرباهما صحيحان ولما راينا
رسم من لم يدع لنا فؤادا اى قلبا لعرفان الرسوم ولا لبا اى عقلا شوقا اليه وتلهفا
على رؤية مقامه الكريم وذهبنا من مشاهدة معالمه نزلنا عن الاكوار جمع كور
بالضم رحل الناقة باداته كالسرج بالته للفرس نمشي حال من ضمير نزلنا كرامة
مفعول من اجله المشي لمن بان عنه اى ظهر لنا ان نلم به ركبا من اسماء الجمع كنفر
ورهط او جمع راكب كصحب جمع صاحب فهو تمييز او حال من ضمير نلم اى راكبين
وانشا اى بعض المريدين يقول متمثلا حالان من ضمير انشا انشد الخلتان ۝
والابيات من الكامل وعروضها صحيحة وضربها مقطوع رفع الحجاب لنا الذي
كان بيننا وبين من قصدنا اجناب حضرته وكشف عنه فلاح اى لمع مضيئا الامر
ثم تقطع دونه الاوهام حذفت احدى تائيه تخفيفا اى تنقطع وتضمحل لسطوع
نوره لكمال ظهوره واذا المطي جمع مطيه وهي التي يركب مطاها اى ظهرها وتمتاك
يمطى بها في السير اى يمد بنا بلغن محمدا صلى الله عليه وسلم فظهورهن على الرحال
حرام مكافاة لهن على ايصالهن لنا الى اشرف مخلوق صلى الله عليه وسلم قربننا من
خير من وطئ الثرى اى التراب فلها علينا حرمة وذمام اى عهد وامان وحق ۝
وحفاظ وكلاءه وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك ۝
حذرا عليه من النصب اى الحج على هذه الحالة فقال العبد الابق من ابق يابق ويابق
حتما وكسرا اى الهارب ياتي الى بيت مولاه راكبا كلام تضمن استفهاما انكاريا
نسج على منوال نفي الفعل في ضمن انكار المبتدا اى ما العبد الابق يليق به اتيان
بيت مولاه راكبا فتولد منه نفي اتيانه راكبا بطريق المزوم اى انكار الملزوم
يستلزم نفي كما في اغير الله اتخذ وليا اذ قد انكر فيه غير الله فتولد منه نفي
الاتخاذ على وجه برهاني هو ان الاتخاذ يستلزم ماخوذا وهو منفي يلزم من
نفيه نفي لازمه وفي الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين اذ قد انكر فيه ما ورد التحريم به فلزم بانكاره نفي التحريم اذ بانتفاء
الملزوم انتفاء لازمه لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي هذا
وابيك لهو الحب الصادق والادب الفائق وجبريل خبر مقدم اى حقيق عمرت
بمكة والمدينة بالوحي والتنزيل من عطف بعض العام عليه للفضله حتى كانه ليس
منه اى القران وتردد فيهما جبريل وميكائيل وعرجت من العروج وهو الصعود
اى صعدت منها الملائكة في معارجها الى السما والروح الامين جبريل من عطف بعض
افراد العام عليه حتى كانه ليس منه تلويحا بمزيته بفضيلته عليه وضجت اى
صوتت عرصاتها جمع عرصة وهي ما وسع من المكان اى اماكنها لواسعة

بالتقديس اى التطهير والتنزيه والتسبيح مصدر سبّح اى قال سبحان الله واشتملت
تربتهما على جسد سيد البشر بدفنه فيهما من الاشتمال كالتشمله وهي كساء يلتف فيه
ويتغطى به شبه ضمهما لجسده الشريف بالاشتمال ببردة ثم اشتق منه اشتمل فجرت
الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وانتشر عنهما اى عن تلك
المواطن الشريفة مدارس ايات بيان للمواطن او بدل منها او خبر مبتدا محذوف
جمع مدارس مفعال من الدرس وهو مكانه واستغرب في المكان وفي الحديث ـــ
تدارسوا القران اى تعاهدوه بتلاوة وتعاهدوا بين اى تتلوه وانا حدث في صنم
المدارس على اية الرجم فاريد به فيه صاحب دراسة كتب يهود ومساجد جمع مسجد
بالكسر اسم لمواضع السجود وهو وضع الجبهة فيه خاضعا ولا خضوع اعظم منه
وصلوات جمع صلاة وهي شرعا العبادة المخصوصة ولغة اما الدعا فتسميتها
شرعا ببعض اجزائها او التعظيم فتسميتها بما فيها من تعظيم ربنا تعالى وفي
التشهد الصلوات لله اى الادعية التي يراد بها تعظيمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار
كلمته وابقاء شريعته وفي الاخرة بتضعيف اجره وتشفيعه في خلقه وقيل لما امرنا
بها عليه ولم تبلغ قدر الواجب له صلى الله عليه وسلم من ذلك احلناه على الله
تبارك وتعالى وقلنا اللهم صل انت على محمد لانك اعلم بما يليق به ومشاهد الفضائل
جمع فضيلة بحذف المضاف اى اصحابها اذ كانوا في الجاهلية من الاتصاف بالواعمة
من بيان المشرفة والتعاون والتعاضد والتناصف نصرة للضعيف والغريب
كان بمكة ايام جدهم وقام به الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن
فضالة والخيرات جمع خير وهو ضد الشر فيقال خيرت انت فانت خاير وخير والخيرة
بسكون اليا اسم من خار بمعنى اعطى وبالفتح من اختاره الله وهو صلى الله عليه وسلم
خيرته من خلقه بالفتح والسكون ومعاهد البراهين جمع برهان وهو ما يفيد اليقين
مركبا كان على ما يؤلفه علما الميزان وغير مركب كما ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم
من الايات والمعجزات الخارقة للعادة من عطف الخاص على العام لمزيد فضله قليه
وهي جمع معجزة بمنزلة برهان قاطع لا يعارض ومناسك الدين جمع منسك وهو
ما امور الشارع ومنها امور الحج والمنسك بفتح مهملة وكسرها هو المتعبد بفتح
اليا ويقع على الطاعة والعبادة وكل ما تقرب به الى الله وعلى المصدر والزمان
والمكان ولو للذبح وقد نسك ينسك نسكا اذا ذبح والنسيكة الذبيحة ومشاعر
المسلمين جمع مشعر اى معالمهم التي ندب الله اليها من فعل واجب وترك حرام
وغيرهما مما حث على التعبد وعرفوا موقف سيد المرسلين جمع موقف اى اماكنه التي كان
يتعهدها للارشاد الى سبل الخيرات والفوز برفيع الدرجات في غرفات الجنان ٥
ومتبوا خاتم النبيين اى منزله صلى الله عليه وسلم من مكة حيث انفجرت النبوة اى
ظهرت ظهورا تاما فشبه ظهورها بانفجار عين ماء عذب فرات ثم اشتق منه الفعل
فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم جرت في الفعل تبعا او شبه النبوة على
طريقة الاستعارة المكنية بعين ما انفجرت اى انفتحت فنبع ماؤها واثبت لها
الانفجار تخييلا بالمناسبة مما بينهما تناسبا للتشبيه وصرفا للنفس فنبع ماؤها

وكانت عن توهمه واصل حيث للزمان ثم استعير للمكان كثيرا ومن مكة اين فاض
عبابهما اى سال عذبهما العذو اثبت فلم يقاد رتوطنا الاعشبه فشبه الاتى صلى
الله عليه وسلم به من كل زوج كريم ونفع عميم ببعض عذب غمر ثم اشتق منه فاض
فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية وعن على بمدح ابا بكر
طرت بعبابها وفزت بحبابها اى سبقت الى الاسلام وادركت معظمه وشربت صفوه
وحويت فضايله كذا قال الهروي اسيد بن صفوان لما توفي ابو بكر جا على يمدحه
فقال في كلامه طرت في جناحها بالمعجمة ونون وفزت بحبابها بمهملة مكسورة وبا
تحتية رواه الدارقطني من طرق فيما قالت الرابة في الصحابة وفي المؤتلف والمختلف
وابن بطة في الابانة ومواطن مهبط الرسالة من مكة اى اماكن انزالها او نزولها
واول ارض مس جلد المصطفى ترابها تلميح الى قول ـــ

بلاد بها نيطت على تمائمي * واول ارض مس جلدي ترابها

ان تعظم عرصاتهما جمع عرصة والاصل كل بنا واسع لا بنا فيه اى تعظيم اماكنهما وهو
المبتدا المقدم خبره كرر ليزيد تشويق للسامع اليه ومن ثم طول الكلام في المسند ليحسن
كل الحسن اذ بازدياد التطويل ازدياد الحسن كما ان بازدياده ازدياد الشوق
ومنه ـــ ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحاق والقمر
وتتنسم بالبنا للمفعول اى تستنشق وتشم نفحاتهما جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح
وفي الحديث ـــ ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وفيه تعرضوا
لنفحات رحمة الله شبه تلك المواطن لعمارتهما من بركاته صلى الله عليه وسلم وبركات
الوحي ومن نزل به بذي رايحة طيبة استعارة مكنية واثبت لها النفحات تخييلا
فكان تلك البركات نفحاتهما وتقبل بتشديد البا مبنيا للمفعول ربوعهما جمع ربع وهو
المنزل ودار الاقامة وفي حديث ـــ فتح مكة وقد قال له صلى الله عليه وسلم
اسامة بن زيد اين تنزل غدا يا رسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع
ايضا وجدراتهما جمع جدار وهو ما يحاط عليهما هذا ولما اراد ان يبين ما عنده من ٥
لوعة الاحتراق وتزايد الاشواق الى تلك الربوع يريد اهلهما استانسهما بالخطاب
على تشبيههما بمن يتنزل منزلة مميز عاقل ياتي فداه فقال مناديا لهما في ابيات
من بحر الكامل من عروضه الاولى الصحيحة وضربها الثاني المقطوع يا دار خير
المرسلين لشهادة حديث البخاري انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر ومن به
هدى الانام اى الخلق او كل ذى روح وخص بالايات البالغة والمعجزات الباهرة عندي
لاجلك لوعة من لاع يلوع ويلاع لوعا اى شدة حب وحرقة وصبابة اى رقة
شوق من صبا اليه اى مال وعن النخعي كان يعجبهم ان تكون للغلام صبوة لانه اذا
تاب وارعوى فربما كان ارعواؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على
ما بدا له عن ان يعجب بعمله او يتكل عليه وعلى عهد اى وبعقد والتزام ان ملات محاجري
اى نواظري من تلكم الجدرات والعرصات تقدم بيانه لاعفرن مصون شيبي اى لالوثنه
بترابها تذللا له بينهما اى بين العرصات من كثرة التقبيل والرشفات جمع رشفة
وهي مص المحب ريق محبوبه لولا العوادي جمع عادية بمعنى عاد من الاعتدا وهو الظالم

المجاوز للحد ولا عادي جمع عدو من العداوة زرتهما اى تلك الوجنات ابدا دائما ذكر وقت امكن ولو كانت زيارتى شوقا وتعبا لفظا او معنى كما هنا اذ اولهما منفى معنى استدرك لعوانه تمام افاده قوله ساهلك من حبيل عجيبي من اضافة الصفة الى موصوفها وبتقديمها عليه انخلعت عن تبعيتها له وصارت كالجوامد اسماء غير صفة واضيفت اليه للبيان اذ هو بلا اضافة الاصل اضافة الشي الى جنسه الذى يختص به والتحية فى الاصل مصدر حياك الله اخبار من الحياة ثم استعمل للدعا بها ثم لكل دعاء ثم غلب فى السلام اى تحيتى الحاملة اى الكثيرة لقطين تلك الدار من قطن بالمكان اذا لزمه وفى حديث المفاضة عن قطين الله اى سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زيد بن حارثة فانى قطين البيت عند المشاعر والحجرات جمع حجرة وهى بيت صغير من الدار منفرد اذكى بهجة اى اهدى من كثير تحيتى له ما هو اشد واقوى من المسك المفتق بمثناة فوقية مشددة من فتق المسك اذا خلطه بغيره لتذكو رايحته فشبه ما يهديه لهم من كثير تحيته بمسك مفتق على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له الذكى تخييلا او شبه كثرته بذكائه وادخلهما فى جنس لذا كما مبالغة فى التشبيه والحاقا لنفعها بنفعه ثم اشتق منه اذكى فجرت الاستعارة فى المصدر اصلية وفى اسم التفضيل تبعية نفحة تمييز للنسبة فى اذكى اذ ميل عن اصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون اوقع فى النفس اى اهدى له ما هو اعظم نفعا منه نفحاته اى نحل بركاته بالاصال جمع اصيل من بعد العصر الى المغرب والبكرات جمع بكرة اول النهار

الباب الرابع من القسم الثانى

فى حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم مصدر سلم كالتكليم مصدر كلم ذكر لك مؤكد لفعله بمنزلة تكريره لتحقيق معنى التاكيد كما فى وسلموا تسليما اى انقادوا او فرض ذلك وفضله قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يرجع صلى الجمع والضم ومنه ان المصلى من شانه ان ينعطف فى ركوعه وسجوده فاستعير لمن ينعطف على غيره حنوا ورافة كعايد المريض ينعطف والمراة تحنو على ولدها بشهادة حديث خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على ولد وارعاه على زوج فى ذات يده وقول ورقة اذا كان يمر على بلال وعقبة بن ابى معيط يعذبه والله ان قتلتموه لاتخذنه حنانا ثم كثر حتى استعير للرحمة والرافة اى ان الله يترحم ويتراف عليه صلى الله عليه وسلم وملائكته يدعون الله ان يصلى عليه اى يقولون اللهم صل عليه فهم لكونهم مستجابى الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرافة يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اى ادعوا له بان يرحمه ويراف عليه اى قولوا اللهم صل عليه وسلم واكد فعل التسليم به دون فعل الصلاة لما فيها من التاكيد بان واسمية الجملة واعلام الله انه وملائكته يصلون عليه وقد تقدم فى الجملة فاكتفى به ولا كذلك التسليم فحسن تاكيد فعله به وقال يصلون المؤذن بالاستمرار التجددى تلويحا بان صلاة الله تعالى وصلاة ملائكته مستمرة دائمة متجددة وقتا

وقتا فوقتا هذا وابيك الخاصة لم يشاركه فيهما غيره والشرف الذى لا شرف فوقه وقال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون عليه اخذا من حديث تعليم الصلاة عليه ومعنى بارك على محمد وعلى ال محمد اثبت وادم ما اعطيت من التشريف والتكريم وقد يراد بالبركة الزيادة وما ذكره هنا عن الايمة فمعناه قريب فما ذكر فلا نطول بذكره وعطفه فى حديث تعليم الصلاة عليه وبارك على صل موذن بمغايرة بينهما كما ذكرناه وفى معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة وجوه جمع كثرة استعمله فى جمع القلة مجازا احدها السلامة لك ومعك لانها الاصل يقال سلم يسلم سلامة وسلاما وقيل للجنة دار السلام لانها محل السلامة من الافات وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة لان ماخذهما ومعناهما واحد الثانى من وجوه معنى السلام ان السلام بمعنى المسالمة مصدر وصف كونه تعالى سليما مهيمنا على حفظك ورعايتك فانت براى منه ومسمع متول له اى لحفظه ورعايته وكفيله اى ضمين زعيم به ويكون هنا اى فى الوجه الثانى السلام اسم الله ذى السلامة من كل نقص الثالث منها ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد له اى الاذعان وترك مخالفته لا قال فلا وربك اى فوربك بشهادة فوربك لنسالنهم زيدت فيه لا لتاكيد القسم لا لتظاهر لا فى لا يومنون جواب القسم لان استوا النفى والاثبات فى زيادتها للتاكيد كما فى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يابى ذلك حتى يحكموك فيما شجر بينهم من التنازع والاختلاف ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا اى ضيقا مما قضيت اى حكمت به او من حكمك ويسلموا اى ينقادوا ويذعنوا لما حكمت به تسليما مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره اى وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريب فيه

فصل اعلم خطاب بصيغة الامر لكل من يتاتى توجيهه اليه سد مسده مفعوليه ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرض خبر ان وما بين اسمها وخبرها اعتراض اذن بالدعاء له صلى الله عليه وسلم ترحما وترفقا عليه فى الجملة غير محدود بوقت من الاوقات لامر الله بالصلاة عليه علة لفرضيتها فى الجملة وحمل عطف على مدخول لام العلة اى ويحمل الايمة والعلماء له اى لامر الله على الوجوب واجمعوا عليه اى على الوجوب او على الحمل عليه وحكى ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى الشافعى ان محمل الاية عنده اى عند ابى جعفر على الندب وادعى فيه اى فى ان محملها على الندب الاجماع ونوزع فيه ومن ثم قال ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه مبتدا والواجب فاعل مشتق فلامه اسم موصول تقوصلته الذى يسقط به الحرج ويسقط به ماثم مصدر ميمى اى الاثم الذى يترتب على ترك الفرض مرة بالرفع خبر المبتدا اذ لا توجد الماهية المطلوبة بالامر باقل منها فيحمل عليها كالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة لوجوبها علينا واحدة اذ لا تتحقق الماهية المامور به فى مثل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله الا بها وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله اى علامتهم وجمعه شعر مثل كتاب وكتب وعن عايشة كان لا ينام فى شعرنا وفى حديث اخر كان لا يصلى فى شعرنا ولحفنا لما لم يصل فيهما تباعدا

من ان يكون قد اصابتهما نجاسة كدم حيض او غيره اذ طهارة ما يصلى فيه شرط
لصحتها بخلاف النوم قال ابن القصار من المالكية المشهور عن اصحابنا ان ذلك
اى ما ذكر من فرض الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجب فى الجملة غير موقت بوقت
معين على الانسان ان فرض عليه ان يأتى بها مرة من دهره اذ به يخرج عن عهدة الامر
مع القدرة على ذلك اى على الاتيان بها اذ هى شرط له وقال ابو بكر بن بكير منه ايضا
افترض الله من الفرض وهو القطع يقال فرض يفرض فرضا وافترض يفترض
افتراضا وهو والواجب مترادفان عند الشافعى واحد والا فبين الواجب عند
الحنفية اى اوجب على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما مصدر مؤكد
لفعله كما مر ولم يجعل ذلك لوقت اى فى وقت معين اذ اللام فى باب الجر من اخوات
فى فنابت عنها هنا كما فى فطلقوهن لعدتهن ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة فى احد قولين فالواجب ان يكثر المرء اى الرجل وجمعه الحسن ورويه
على مرؤن و يقال مرء وامرء كما يقال مراة وامراة ومره ولا يغفل عنها ولا يشتغل
الا بقدر الاهداء وما نقله هنا عن ابن نصر وما حكاه عن ابن سعيد عن مالك
وغيره بعيد معناه مما مر فى نظايره وقال اصحاب الشافعى الفرض منها اى من
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الذى امر الله به فى تنزيله وامر به رسوله
صلى الله عليه وسلم فى سنته هو فى تشهد الصلاة عقبه قبل سلام التحلل لشهادة
حديث ابى مسعود البدرى فى صحيحى ابن حبان والحاكم اما السلام عليك
يا رسول الله فقد عرفته اى فيما علمتنا من تشهد الصلاة وهو السلام عليك ايها
النبى ورحمة الله وبركاته فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا
فى صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى اخره زاد ابن ماجة وغيره
والسلام كما قد علمتم وحديث ابن مسعود فيما رواه ابن ابى شيبة
وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل فى الصلاة ثم يصلى
على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه بعد وحديث ابن عمر فيما
رواه العمرى بسند جيد لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم وحديث الشافعى فى كتابه الام البرة عن كعب
ابن عجرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الصلاة اللهم صل
على محمد وآل محمد الخ وانما خص وجوب الاتيان بها بينهما لانه صلى الله عليه وسلم
كما قال البيهقى قد علمهم كيفية السلام فى تشهد الصلاة فلما نزل الامر
بالصلاة عليه سالوه عن كيفيتها فعلمهم اياها فدل على ان محلها بينهما
فهذه احاديث لها قدم صدق لوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه ومن ثم
قال الشافعى قد روى انه صلى الله عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وورد
انه علمهم كيفية يصلون عليه فيها فلم يجز ان نقول بوجوب التشهد فيها
دون وجوب الصلاة عليه فيها وزعم القرافى فى ذخيرته ان الشافعى استدل
على وجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه بالاجماع ولم يصح زعمه اذ
لا اجماع على وجوبها فيه وقد قالوا اى اصحاب الشافعى واما فى غيرها اى

غير الصلاة فلا خلاف فى انها غير واجبة الا مرة واحدة كما مر واما فى الصلاة
فحكى الامامان ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى واحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى
ممن لم يقل بوجوبها عليه فيها اجماع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة
على ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد غير واجبة وهو مجرد
دعوى بلا بينة وصح ببطلانها ائمة الاتقان ورد نقل الاجماع على عدم وجوبها
عليه فى اعلام الاتقان كالنووى فى شرح المهذب ومسلم وابن كثير
وابن تيمية من الحنابلة وكثير من نقلوا وجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه
عن ائمة الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وابى مسعود البدرى
وجابر بن عبد الله ومن التابعين محمد بن كعب القرظى والشعبى والباقر
ومقاتل ومن غيرهم احمد بن حنبل فى قوله كما قال ابو زرعة الدمشقى
الاخر عملا حتى ان بعضهم اوجب الدعاء فيه صلى الله عليه وسلم وقد الزم
من قال من الحنفية بوجوبها كلما ذكر كالطحاوى وصاحب المحيط
والتحفة والمفيد والقنية ان يقولوا بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه قيل
ولهم ان يلتزموه لذكرهم لا لصحتها وشذ من يكتب عما هدى اليه فاصل السنة الشافعى
فى ذلك اى فى قوله الطيب بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى
تشهد كل صلاة يعقبه سلام شهادة قولهم كما فى حديث ابى مسعود اما السلام
عليك فقد عرفناه اى منك فى تشهدنا فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا
عليك فى صلاتنا اقرهم على فهمهم وقال لهم قولوا اللهم صل على محمد الخ
فقال اى ان فى من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير
وهو اشهد ان محمدا رسول الله وقبل السلام فصلاته فاسدة لانها ركن
تفسد بتركه وان صلى عليه قبل ذلك اى قبل اشهد ان محمدا رسول الله لم تجزه
عليه فلا بد من اتيانه بها فى محلها ولم يدر هذا الشاذ ان الشافعى قد اوى
فيما قاله الى ركن شديد مما مر من سنته صلى الله عليه وسلم كحديث ابى مسعود
وحديث ابن مسعود وحديث ابن عمر وحديث كعب بن عجرة ومن مذهب
ابن عمر وابنه وابن مسعود وابى مسعود وجابر ومن التابعين كمحمد
ابن كعب والشعبى والباقر ومقاتل بل قال ابن حجر لم ار من الصحابة احدا
صرح بعدم الوجوب الا ما نقل عن النخعى هذا وان تعجب فعجب قول من
بعدم وجوبها عليه فيه راضيا بما نقله منكرا على رأس المجتهدين قوله
بوجوبها عليه فيه مع وضعه كتابه هذا لبيان شرفه صلى الله عليه وسلم
وعظيم قدره ورفعة محله وانافة شانه وكرم شرفه عند ربه حتى اورد
فيه احاديث ضعيفة مبالغة فى ذلك وحتى مال الى طهارة بوله ودمه
تعظيما له وتكريما فلو قال بوجوبها عليه فيه لذلك وزين كتابه بمحمود
بقوله به كالشافعى لكان صوابا اذ هو من مقاصده هنا وكان قد تبع من
تقدمه من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن قال بوجوبها عليه فيه كما
مر وقوله ولا سلف له فى هذا القول اى قولها بوجوبها عليه فيه قبل الا

ولا سنة يتبعها قد تلى عليك من سنة من لا ينطق عن الهوى ومن مذاهب بعض
الصحابة وقد ابعتهم وبعض مجتهدى الامة بما ان تمسكت به نجاك من ورطة العصبية
ولعله اخرج هذا المخرج عارف بشىء عرفه حق معرفته ثم نزل نفسه منزلة من لم يعرفه
تجاهلا منه وتلويحا بتهمة امام الائمة فى قوله بوجوبها عليه فيه اذ يبعد جدا
ان لا يكون قد عرف ادلة القول به مع شهرتها فانه كان حافظ عصره لكنه قد
ابغت مشاعر فهمه داعيه عن قبول الحق فتبع من شنع عليه بذلك .

وعين الرضى عن كل عيب كليلة . كما ان عين السخط تبدى المساويا .

هذا ولم اقل ذلك غمصا من شذ لما هو الى امام الائمة اليه من طيب القول بل امتثالا
لقول عمر اذا رايتم من يخرق اعراض الناس ان لا تعربوا عليه قالوا نخاف لسانه
قال ذلك احرى ان لا يكونوا شهداء اى اذا سمعتموه بقول ذلك ولم تبينوه له
وتمنعوه منه منكرين عليه لم تكونوا ممن يشهد يوم القيامة على الامم المكذبين
لرسلهم وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة يعنى قول ناصر السنة الشافعى بوجوبها
عليه فيه لمخالفته فيها من تقدمه ممن لم يقل بوجوبها عليه فيها جماعة وشنعوا
عليه فيها منهم محمد بن جرير الطبرى والقشيرى لعله ابو نصر بن صاحب الرسالة
ابو بكر بن العلاء المالكى وغير واحد انما شنع على نفسه لا عليه اذ لم يخالف فيها
كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل قد تمسك فيها ب
عروة وثقى لا انفصام لها مما تلى عليك من سنة من لا ينطق عن الهوى وعد
ذلك من محاسن مذهبه ومما مثله ومثل من خالفه فيها الا قوله تعالى ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلى
احد صلاة فرضا او نفلا الا بشهادة وورود صلاة نكرة فى حيز النفى الا صلى فيها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم للامر بها ولما كان الامر للوجوب حيث لا صارف
عنه قال الشافعى بوجوبها عليه فيها ولم يوجبها على الآل فيه مع عطفهم عليه
فيه لخروجها عن الوجوب بالاجماع على استحبابها ولم ادر ما صرف ابن المنذر
وابن جرير وغيرهما من اصحابه على متابعته فى قوله بوجوبها عليه فيه تبعا
لهم وابنه عبد الله وجابر وغيرهم ممن ذكر فيما مر من الصحابة والتابعين وغيرهم
الا ان يقال صرفهم عنه عطف غير الواجب عليه فحملوا الامر فيهما على الندب قال
ترك ذلك تارك فصلاته مجزية اى كافية له فى اسقاط الطلب من اجزأ الشئ كفى
عند مالك واهل المدينة من عطف العام على بعض افراده تقوية له وسفيان الثورى
واهل الكوفة من اصحاب الراى اى القياس سموا به لتهمهم ايمة الحديث به لاخذهم فيما اشكل
من الحديث او فيما لم يرد به حديث ولا اثر بارائهم وشذ من خالف امام الائمة
الشافعى فى قوله بوجوبها عليه فيه فاوجب على تاركها فى الصلاة عمدا وسهوا
الاعادة لانها عنده ركن من اركانها الثلاثة عشر التى لا تتم الا بها ولا تجبر
بسجود سهو وقد اوجب اسحاق بن ابراهيم بن راهوية الاعادة مع تعمد تركها
اى ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه ووافقه الخرقى من الحنابلة
والخلاف فى وجوبها عليه فيه جار عند المالكية ايضا اذ قد حكى ابن ابى زيد

عن

عن ابن المواز ان الصلاة عليه فريضة يحتمل ان يريد مرة واحدة ذكرا وفى تشهد
الصلاة قال ابو محمد هو ابن ابى زيد يريد يعنى ابن المواز انها ليست من فرائض
الصلاة وقاله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان ابن المواز يراها اى يرى ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فريضة فى
الصلاة كقول الشافعى وصححه ابن الحاجب فى مختصره والفرنجالى فى سراج المريد
قال ابن عبد السلام المالكى وهو ظاهر كلام ابن المواز وحكى ابو يعلى العبدى
الشافعى فى انتصاره السنة والندب كما ذهب اليه غيرهم وعطفوا الندب اما للتاكيد
اذ معناهما عند الشافعى واحد او للتغاير بينهما عند غيره بان السنة ما واظب
عليه صلى الله عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية
كالقاضى حسين وقد خالف الخطابى من الشافعية وغيرهم الشافعى فى هذه
المسئلة ولا عبرة بمخالفتهم له فيها حيث اذ لو امر اذ سالوا صلى الله عليه وسلم
ان يعلمهم كيفيتها فى التشهد بعد ان عرفهم كيفية السلام فيه بالوجوب ولم
يمنع احدا احتمال كونه مرادا قال الخطابى وليست اى الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم بواجبة فى الصلاة مع مخالفته ظاهر مقتضى الامر وهو اى عدم وجوبها
قول جماعة الفقهاء الا الشافعى حصر غير معتبر لانه دعوى بلا بينة اذ ان ابطلها
ما تلى عليك من مذهب عمر وغيره من الصحابة والتابعين والمجتهدين ولا اعلم
له قدوة فيها باذ له فيها قدوة حسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحاديث
المارة وعمر وابنه وابن مسعود وابو مسعود البدرى وجابر والشعبى والباقر
ومقاتل وغيرهم ولا يجزم من نفيه علمه بالقدرة نفيها والدليل على انها ليست
من فروض الصلاة عمل السلف الصالح بل بعضهم بشهادة من ذكرنا ممن قال
بوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه وقد شنع الناس عليه ممن لم يعتد بقول
علم له بما ذكرنا من الصحابة وغيرهم هذه المسئلة جدا اى بالغوا فيه مخطئين فيه
ما اقتضاه امره صلى الله عليه وسلم من وجوبها فيما مر كقوله لهم اذ قالوا قد
علمنا كيف نسلم عليك اى فيه فكيف نصلى عليك فى صلاتنا اذا نحن صلينا فقولوا
اللهم صل على محمد الى اخره مما مر من الاحاديث فعزوا الشذوذ اليه والتشنيع
عليه مع ما تمسك به مما قد علمت بمجرد اساءة تورث ندامة اذ هى مسئلة
اجتهادية لم يخالف فيها كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا قياسا وشهر مذهبه بقول
بوجوبها فيه بينهما تشريفا له صلى الله عليه وسلم واجلالا وتكريما وتبجيلا
وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره الشافعى ليس كما زعم انما اختار تشهد
ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة قوله تعالى تحية من عند
الله مباركة طيبة وقولهم كما يعلمنا السورة من القرآن رحمه الله الشافعى واختاره
دون غيره قال البيهقى ولتأخره عن تعليم ابن مسعود تشهده لان ابن
عباس كان من صغار الصحابة وهو اى تشهد ابن مسعود الذى علمه له النبى
صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وكذلك من روى
التشهد عنه صلى الله عليه وسلم ممن ذكرها من الصحابة لم يذكروا فيه صلاة عليه

صلى الله عليه وسلم لا يلزم من عدم ذكرهم لها فيه انه لا يكون امرهم بها بعد ذلك
لان تعليمه لهم اياه انما كان في ابتداء الهجرة قبل نزول الامر بها عليه صلى الله عليه وسلم
ومن ثم لم يأمرهم بها فلما نزل يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا اما
امر انا السلام عليك فقد عرفناه اى من تعليمه لهم التشهد فكيف نصلي عليك اذا
نحن صلينا في صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى اخره وروى الحاكم بسند قوى
عن ابن مسعود انه امر قال صلى الله عليه وسلم يتشهد الرجل ثم يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه وهذا مع ما مر من اقوى ادلة قول
الشافعي بوجوبها اذ دل ثبت عنهم انه صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد ثم كيفية
الصلاة عليه فيه بسؤالهم بعد نزول الامر بها فدل على ان الامر بها كان بعد
تعليمهم اياه وانها بعد التشهد وقبل السلام بقول ابن مسعود يتشهد الرجل
ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه دحضت حجة من بالغ في رد
قول الشافعي بوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه وبان الحق وارتفع
النزاع ولعمري لقد افرط في عزوه الشذوذ اليه وبالغ في نقله التشنيع عليه
وتدعا عليه كثيرون كالحافظ العراقي والى انا من ابن النقاش مع اختياره
في تفسيره للشافعي بما يطول ذكره فكان ينبغي له حيث لم يقل بوجوبها عليه
فيه ان يسكت عن ذلك لان داعيه الى تاليف كتابه هذا المعرب لشرفه ورفعة
محله وانافته عند ربه واحقوقه مع انتظام القول بوجوبها عليه فيه
فكيف ينكره مع استحسانه فيما مر قول بعض اصحاب الشافعي مخالفا لاكثرهم
بطهارة بوله مبالغة في تعظيمه وروى مسلم قال ابن عباس وروى الحاكم
والنسائي قال جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا
السورة من القران اى في صدر الهجرة قبل نزول الامر بها بالمدينة كما مر
وروى ابن ابي شيبة في مصنفه قال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد
على المنبر حال من ابي بكر واورد الفعل مضارعا بعد ايراده ماضيا تصويرا
للسامع مع حالة تعليمه كانه يبصره اياها ويطلب منه مشاهدتها كما في خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون دون فكان تصويرا لحالة خلقه البديعة
الدالة على كمال قدرته الباهرة من ايجاده من تراب بلا اب تعجيبا للسامع
منها كانه يطلب منه مشاهدتها ويطلعه على كنهها وعلمه ايضا اى التشهد
على المنبر اى علمهم اياه تاما بالصلاة عليه فيه للامر بها عليه صلى الله
عليه وسلم فيه فيما مر التحيات لله وصفا تما فسلامه فتشهده فالصلاة
عليه فيه فعلى له فكما صليت على ابراهيم الى اخره فالدعاء بما شاء فالسلام ○
وواجبه التحيات لله سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته سلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله اللهم صل على محمد ثم السلام وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي
رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه ○
والطبراني والدارقطني قاله وليس عنده من نعوى والمعرى والبيهقي بلفظ

لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر الله عليه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار
قال ابن القطان معناه كاملة وهو صرف للنفي عن المتبادر منه وضعا اعني الحقيقة
الشرعية الى ناقص لا عنا له اولمن لم يصل مرة في عمره وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وضعفه
اهل الحديث كلهم هذا الحديث كذا قال وفي حديث ابي جعفر محمد الباقر ابن زين العابدين
عن ابن مسعود من صلى صلاة ولم يصل علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني
الصواب انه قول ابي جعفر محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي
طالب لو صليت صلاة لم اصل فيها عليه صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها
لا تتم وقد علم القاضي ولم يشعر على نفسه بان للشافعي فيما قاله سلفا هو ابو جعفر
محمد مع من ذكرنا من الصحابة والتابعين وغيرهم وله سنة فيما مر اتبعها من
الاحاديث الناطقة بذلك بعد انكارهما وتشنيعه مع من شنعه عليه ○
○ قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ○ وينكر الفم طعم الماء من سقم ○
فصل في المواطن اى الاماكن التي يستحب فيها الصلاة والسلام عليه
صلى الله عليه وسلم و المواطن التي يرغب بالبناء للمفعول من ذلك اى من الصلاة ○
والسلام عليه فيها في تشهد الصلاة وجوبا كما قال الشافعي واستحبابا كما قدمناه
وذلك اى الاتيان بها فيه بعد التشهد اى تشهد به وقبل الدعاء الموذن به حديث
ليتخير من الدعاء ما شاء وقد اقام هنا شاهدا على استحبابها فيه من طريق
الترمذي من طريق فضالة مع قصها ظاهر بوجوبها فيه الا ان المؤذن به وصفا
سمع اى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل عليه صلى الله
عليه وسلم فقال اى النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا بدعائه لنفسه قبل ان يصلي
عليه صلى الله عليه وسلم مع انه لا بد لمن اراد قضاء حاجة من احد ان يقدم وسيلة اليه
يشفع بها لديه فان ذلك اعون على الفوز بقضائها فمن سال قبل تقديم
الوسيلة فقد عجل ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء
عليه اى بما يتضمنه واريد به هنا التحيات المباركات الى اخره ثم ليصل على النبي
ثم ليدع بما شاء لنفسه من خير ويروى بتمجيد بتقديم الميم اى بتشريفه وتعظيمه
اذ هو تعالى كما رواه ابن ماجة جوادة احد وهو اى ما روى بتقديم الميم
اصح من المروى قبله ورواه ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وكما
به شاهد القول الشافعي بوجوبها وبما يتمنا بشهادة تامة لاول الافضل من قولهم
من قوله في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء وروى الترمذي
عن عمر قال الدعاء والصلاة معلق لكل منهما بين السماء والارض ولا يصعد الى الله
منه شيء حتى يوتى بما يزلفه اليه تعالى بان يصلى عليه صلى الله عليه وسلم وروى
الشيخان في الثواب عن علي مرفوعا معناه وقال زيادة وعلى الحمل ولفظ البيهقي
في شعب الايمان محجوب حتى يصلى على محمد واهل بيته وروى عبد الرزاق والطبراني
بسند صحيح عن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدا بمدحه والثناء
عليه بما هو اهله فيه تلويح بان الحمد المدح من حيث ان الثناء باللسان على الجميل
الاختياري في مقابلة النعمة وغيرها والمدح من حيث ان الثناء به على الجميل مطلقا

اختياريا كان ام لا فهو اعم منه مطلقا فقد يحمل الانسان على بذل ماله وانعامه كالمدح
بما وبصباحة وجهه ورشاقة قده وعلمه وشجاعته فكل حمد مدح ولا عكس واما
الشكر فلا يكون الا على نعمة باللسان والجنان والاركان لخفا عمل القلب واحتمال عمل
الجوارح ثم على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يجيب دعوة الداعي اذا دعاه فانه اجدر
اى احق ان ينجح من نجح ينجح وانجح اذا اصاب طلبته ونجحت وانجحت وانجحه الله ومنه
قول الكاهن لبشارة برسالة النبي صلى الله عليه وسلم يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول
لا اله الا الله وروى البزار وابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان عن جابر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدحه يا رسول الله قال
فان الراكب يملا قدحه ثم يرفع متاعه على دابته فان احتاج الى شرب شرب او وضوء توضا
والا اى وان لم يحتج الى شيء من ذلك هراقه اى صبه وهاؤه بدل من همزة اراق اذ هي
الاصل في مثل آل ووقتت وقد يجمع بينهما كاهرقته وعن الهروي في نهاية غريب
الحديث ان معناه لا تؤخروني في الذكر كتاخير الراكب تعليق قدحه اخر حمل متاعه ويجعله
خلفه اخذا في قول حسان كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه
واخره اى اذكروني بالصلاة علي في هذه الثلاثة وقال ابن عطا للدعا اركان يقوم بها
بها ويستند الداعي اليها فيه ولا يضا اجنحة هي للطير كالايدي شبهه به على سبيل الاستعارة
المكنية واثبت له الاجنحة تخييلا وكانه لارتفاعه الى السما طير واسباب مما يتوصل الى الفوز
بالاجابة اذ السبب في الاصل هو الحبل به يتوصل الى الماء استعير لما يتوصل به الى الشيء
قال تعالى وتقطعت بهم الاسباب اى للوصل والمودات واوقات يستجاب
فيها كدبر الصلوات وفي السجود وثلث الليل الاخير وعند البيت وخلف المقام فان
وافق اركانه معاوزا المناقوي باستناده اليها وان وافق اجنحته طار في السما اى صعد
الى السما وان وافق مواقيته فاز بنجح الاجابة وان وافق اسبابه انجح اى ظفر بطلبته فاركانه
حضور القلب باجتماع حواسه والرقة لينا وضعفا والاستكانة خضوعا وذلة وانكسارا
اليه تعالى والخشوع خوفا وانكسارا وهو في الصوت والبصر كخضوع البدن وتعلق
القلب بالله تركا للالتفات الى غيره وقطعه اى الداعي للاسباب تفاديا من الاشتغال
بغيره تعالى واجنحته الصدق لهدايته كما قال صلى الله عليه وسلم الصدق يهدي الى البر
والبر يهدي الى الجنة ومواقيته التي يغلب فيها الاجابة الاسحار لان الدعا فيها اقرب
الى الاجابة واسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لحديث اجعلوني
في اول الدعا واوسطه واخره ومما الفوز بالنجح وفي الحديث الدعا بين الصلاتين علي
لا يرد بلا اجابة بل يستجاب ولا ادري من رواه وفي حديث اخر لا اعلم له راويا كل دعا
محجوب دون السما لحديث الترمذي المتقدم عن عمر فاذا جاءت الصلاة علي صعد الدعا
لانها كالمرصلة للنجاح وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش بمهملة فنون مفتوحتين
فمعجمة فقال في اخره واستجب دعائي اى تقبله ومن اسمائه تعالى المجيب لانه يقابل
الدعا والسؤال بالقبول والعطا ثم بدا بالصلاة ان اى بان تصلي على محمد اى تترحم
وتتراف على عبدك ونبيك ورسولك صفات مدح وتعظيم واضافة تشريف وتكريم
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين تاكيد لضمير خلقك امين بالمد ويجوز قصره

اسم

اسم بني على الفتح معناه استجب وفي الحديث امين خاتم رب العالمين اى طابع
الله على عباده لرفع البلا والافات به فهو كخاتم الكتاب يصونه من فساده وظهور
ما فيه ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو عند ذكره صلى الله عليه وسلم
وسماع اسمه او كتابته او عند الاذان وقد روى مسلم عن ابي هريرة قال صلى الله
عليه وسلم رغم بكسر غينه وفتحها من مضارعه او بفتحها وضمها من مضارعه والمصدر
مثلثة دارغم الله انفه اى الصقه بالرغام اى التراب هذا اصله ثم استعمل في الذل
والانقياد كرها ومنه قول معقل بن يسار رغم انفي لامر الله اى ذل وانقاد انف
رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وفي الحديث مرغمة للمشركين اى هوانا وذلا لهم
وكره ابن حبيب ذكره صلى الله عليه وسلم عند الذبح لا يهام ذكره عنده الاهلال لغير الله
مع ورود ذكره عنده في الحديث وكرههما اى الصلاة عليه سحنون عند التعجب لانه
مقام اعظام لشيء عظم موقعه وخفي سببه فربما توهم بالصلاة عليه لاجله ومن
ثم قال اى سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاحتساب اى
خالصا لوجهه الكريم وطلب ما عنده تعالى من الثواب لا على طريق غيره قال اصبغ
ابن الفرج عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس لاختصاصهما
ذكره تعالى كما قاله بها فلا يقل فيهما اى الذبيحة والعطاس بعد ذكر الله محمد رسول
الله حذرا عنده من توهم استحبابه فيهما لذكره تعالى فيهما او حذرا من الاهلال
بغير الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله عليه وسلم على محمد لم يكن تسمية له مع الله
وقاله اشهب قال اى ابن القاسم واشهب ولا ينبغي ان نجعل الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم فيه اى في كل منهما استنانا اى استحسانا بلا كراهة كما قال الشافعي
لا اكره مع التسمية على الذبيحة ان يقول صلى الله على محمد وسلم بل احب له واحب
ان يكثر من الصلاة والسلام عليه على كل الحالات لان ذكره صلى الله عليه وسلم
بالصلاة عليه ايمان بالله وعبادة له يوجر عليها ان شا الله من قالها وروى النسائي
وابو داود وابنا ماجة وحبان والحاكم وصححه عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله
عليه وسلم الامر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولفظه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه
الصعقة فاكثروا من الصلاة علي فان صلاتكم معروضة علي قالوا وكيف تعرض
صلاتنا عليك وقد ارمت اى بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل
اجساد الانبيا ورواه ايضا احمد وابن ابي عاصم والبيهقي والطبراني وابن خزيمة
وصححه النووي في الاذكار ومن مواطنها اى مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد لا الامر بها عند دخوله كما سياتي قالت ابن شعبان ينبغي لمن دخل
المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وان يصلي على اله فيقول اللهم صل
على محمد واله ويترحم عليه وعلى اله اللهم ارحم محمدا واله ويبارك عليه وعلى اله اللهم
بارك على محمد واله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك لانه محل الرحمة فخص سؤاله اياها واذا خرج فعل مثل ذلك اى يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعليهم ويبارك عليه وعليهم ويسلم

تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وجعل موضع رحمتك فضلك اي وافتح لي ابواب
فضلك اخذا من حديث احمد وابي يعلى والترمذي وحسنه عن فاطمة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قالت صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم اغفر
لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واصله في مسلم وليس فيه وترحم وبارك وقال
عمرو بن دينار في قوله تبارك وتعالى فاذا دخلتم بيوتا الامر من الامور فسلموا على انفسكم
قال اي عمرو بن دينار ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته اخذا من
عموم الاحاديث الواردة بالامر بالصلاة والسلام في كل موطن وعن ابن ابي حاتم
قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا اي في اية اذا دخلتم بيوتا المساجد فاذا دخل
مسجدا صلى الله عليه وسلم وقال نامر مي حديث فاطمة واذا خرج صلى الله عليه وسلم
وقال ذلك مع افتح لي ابواب فضلك بدل رحمتك وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد
احد فقل السلام على رسول الله تحية من عند الله مباركة طيبة واذا لم يكن في البيت
احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اخذا من حديث انس قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
على اهل بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين
وعن علقمة بن وقاص الليثي يحكي عن نفسه اذا دخلت المسجد اقول السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا واحتج ابن شعبان لما ذكره فيما مر انه ينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعليهم ويبارك عليه وعليهم ويسلم
تسليما بحديث فاطمة المتقدم ولم تذكر فيه ترحما ولا تبركا سلمنا اي نقل حديثهما
عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة زيادة على ما مر من حديثها وقد
ذكرنا هذا الحديث اي حديثهما في اخر هذا القسم اي الثاني واختلاف في الفاظه من رواته
عنهما ومن مواطنهما اي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ايضا الصلاة على الجنازة
وهي عند الشافعي من اركانها ومحلها كما جزم به في المنهاج التكبيرة الثانية
لحديث النسائي ومحمد بن نصر المروزي عن ابي امامة بن سهل الصحابي لا ابي امامة
الباهلي قال السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر ثم يقرا بام القران ثم يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تخلص الدعا للميت ولا يقرا الا في التكبيرة الاولى
ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكى الدفع الي صلى الله عليه وسلم بقوله ولا يقرا
الا في الاولى اخذ الغزالي وامامه والقاضي حسين والبندنيجي والمتولي والرافعي
في المحرر والنووي في التبيان هذا وفي شرح المهذب والمنهاج ما يقتضي تاخرها
الى الثالثة والرابعة والا اولى اولى وذكر كما تقدم في رواية النسائي عن ابي امامة
انها اي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة من السنة اصلها
الطريقة يراد بها شرعا ما امر صلى الله عليه وسلم به او نهى عنه قولا وفعلا مما لم يرد
به الكتاب ومن ثم قالوا ان ادلة الشرع القران والحديث ومن مواطنها التي

مضى فيها عمل الامة ولم تنكرها الامة الرسايل وبعد البسملة واول من فعله من الخلفا
ابو بكر لشهادة ما في سيرة الكلاعي ان بني سليم لما ارتدوا كتب الى عامله عليهم
طريفة ابن حاجز سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واساله
ان يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد الخ وعن بعضهم ان اول من صدر الرسايل
بها هارون الرشيد ورد بما مر ولم يكن هذا اي ابتدا الرسايل بها في الصدر الاول
ان اراد به زمنه صلى الله عليه وسلم فهو ممكن او زمن اصحابه بعده فيرده كتاب
ابي بكر الى عامله طريفة كما مر وفي اذكار النووي عن حماد بن سلمة ان مكاتبة
المسلمين كانت من فلان الى فلان اما بعد سلام عليك الى اخره وامثله كتابه صلى
الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ثم احدث الزنادقة
هذه المكاتبات المبدوءة بالطلبقة اي ادام الله بقاك واحدث اي ابتدى بها الرسايل
عند ولاية بني العباس بن عبد المطلب بن هاشم واولهم السفاح فمضى به عمل
الناس في اقطار اي نواحي الارض ومنهم من يختم به بما ذكر من الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم ايضا اي مع الابتدا بها او بدونه الكتاب لرواية الطبراني في الاوسط
بسند حسن والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ في الثواب وغيرهم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب وعن سفيان بن عيينة حدثنا صاحب الخلقان قال كان
لي صديق يطلب معي الحديث فمات فرايته في المنام وعليه ثياب خضر جديدة
يجول فيها فقلت له الست كنت تطلب معي الحديث فما هذا الذي ارى فقال لا بهر
لي حديث فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الا كتبت في اسفله صلى الله عليه وسلم
فكافاني بهذا الذي ترى وعن الحسن بن محمد قال رايت احمد بن حنبل في النوم
فقال لي يا ابا علي لو رايت صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب كيف
تبيد ايدينا ومن مواطن التسليم عليه صلى الله عليه وسلم التشهد الصلاة وقد
استدل له بما اورده هنا من طريق البخاري عن ابن مسعود ظاهره انه موقوف
عليه فهو في حكم المرفوع اذ مثله لا يقال من جهة الراي قال اي ابن مسعود
او رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فرضا او نفلا فليقل التحيات
جمع تحية من الحياة بمعنى الاحيا او التبقية وهي اوفها لا زمة لمعناه لتبادر ارادة
وهي اما بمعنى السلام من حياك الله اي سلم عليك او بمعنى الملك اي البقا له تعالى
وانما لاختلاف تحيات الملوك اذ كان يقال لبعضهم ابيت اللعن ولبعض انعم صباحا
ولبعض اسلم كثيرا ولبعض عش الف سنة فامرنا ان نقول لنا جميعا اي الكلمات
التي تدل على السلام والملك والبقا لله والصلوات الى الادعية التي نوذن
بتعظيمه تعالى هي له لا يليق بغيره ولا يستحقها سواه والطيبات من صلاة ودعا
وكلام مما يدل على الخير له تعالى ووصلهما بحذف العطف وقدم الله عليهما تلويحا
بعطفهما على الجملة قبلهما او بان الصلوات مبتدا حذف خبره لدلالة خبر ما قبله
عليه والطيبات معطوفة على جملتهما ولم يرد في التشهد ابن عباس عاطف واخر
منهما جملتان مستانفتان لان مبتدا كل موصوف بما بعده وخبر الاول لمعدداي التحيات

المباركات لله والثانية جواب سايل قال اذا كانت الصلوات لله فما للعبد
فقيل لله يجازيه بثوابها فضلا منه ورحمة اذ الصلاة جامع انواع الخير نعمة وبركة
وهي المسؤول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك الطيبات وانما اختاره
الشافعي لزيادة المباركات فيه ولموافقته قوله تعالى تحية من عند الله مباركة
طيبة ولما في قوله كان يعلمنا كما يعلمنا السورة من القران من زيادة ضبطه
لفظا حديثه صلى الله عليه وسلم السلام عليك ايها النبي دايما لا يغشاك مع ضير
ولا ينزل بك مكروه انتقال من تحيته تعالى الى تحية رسوله صلى الله عليه وسلم
وفيه تعليم السلام وعدوله صلى الله عليه وسلم اليه ليخاطبوه اذ كان حيا فلما توفي
ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخاري عن ابن مسعود كنا نقول السلام
عليك وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلت السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
اي عليه النعمة الدايمة من تشريف وتكريم جمع بركة وهي الخير في الشيء معتبرا
فيه المزوم من برك البعير اي القى بركه اي صدره وسمي مكان الما بركة للزوم
فيها والمبارك ما فيه ذلك الخير وفي قوله تعالى وهذا ذكر مبارك تلويح بانه
فياض عوارف الخيرات هذا ولصدور خيره تعالى من حيث لا يحس على وجوه لا تحصى
قيل لكل ما فيه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة والسلام بمعنى السلامة
مصدر كالمقام والمقامة ومن اسمائه تعالى السلام نقل الاول الى الاسمية مبالغة
في سلامته من كل عيب وآفة ونقص وقيل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
اصله سلمت سلاما حذف فعله وادي هو مقامه ثم عدل الى الرفع على الابتداء ايذانا
باستقراره وثباته كما في قالوا سلاما قال سلام فانه رفع تلويحا بان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم حيى الملايكة بتحية احسن من تحيتهم لهم اذ رفعه مؤذن بثباته
لهم دون ما افادهم تحيتهم من تجدده وحدوثه له ثم تعريفه هنا وفيما قبله
اما للعهد تقديرا اي ذلك السلام الذي وجهه الى عباد الله الصالحين من سابقي
الامم قبلنا علينا وعلى اخواننا او للجنس اي حقيقة السلام الذي يعرفه كل احد
ما هو وعمن صدر وعلى من ينزل منك ومنا او للاشارة الى قوله تعالى وسلام
على عباده الذين اصطفى فانكم اذا قلتموها اي كلمة على عباد الله الصالحين اصابت
كل عبد صالح في السماء والارض بشهادة اضافة الجمع الاول وتحليته الثاني باللام
اي ثالثه الرحمة والبركة هذا اي تشهد الصلاة اخر مواطن التسليم عليه ۞
صلى الله عليه وسلم وسنته ان يكون اي اول التشهد اي قبل اشهد ان لا اله الا
الله ويقولها قبله وروى مالك في الموطا عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اي
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله ۞
الصالحين اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم ليخرج من صلاته واستحب مالك
في المبسوط ان يسلم مثل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وعلينا وعلى عباد الله
الصالحين اي استحب فيما اذ يقال ما رواه عن ابن عمر قبل السلام من صلاته كما
نبه عليه محمد بن مسلمة هنا وليس من مشهور مذهبه واستحب العلما ان ينوي
الانسان المصلي اماما او ماموما او منفردا حين سلامه من صلاته كل عبد

صالح في السماء والارض من الملايكة وبني آدم والجن ظاهرهم سوا حضروا ام لا وهو
لا يتاتى الا على الاول اما على الثاني فذكر اصحاب الشافعي ان الامام ينوي بسلامه
المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه وغيره ينوي به عن يمينه ويساره
وهم الرد عليه وما حكاه هنا عن مالك من قوله في المجموعة احب للماموم
غريب ليس من مشهور مذهبه فصل في كيفية الصلاة ۞
والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وقد روي هنا ما يفيد ذلك من طريق الترمذي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك سوال عن كيفية الصلاة عليه فيه
الامر بها في يا ايها الذين امنوا صلوا عليه فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته اما من الذر بلا همز اي النسل في الارض او فيه من الذرء اي الخلق
ابدلت همزتها ياء ثم واوها ياء ثم ادغم كما صليت على ابراهيم قيل لم يذكر آل محمد
كآل ابراهيم تلويحا بان آله فيه منهم كما فخم فيه حديث ابي موسى لقد اعطيت
مزمارا من مزامير آل داود اذ داود لم يكن فيما له واحد مشهورا بحسن الصوت
اي صلي على ازواجه وذريته صلاة مشهورة كشهرة صلاة الملايكة على آل ابراهيم
بقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فالتشبيه من باب الحاق
الناقص اذ قد هو صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق فالصلاة المطلوبة منه اكمل وبارك
على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم اي اثبت وادم له ولهم ما افضت عليهم
من خير واشهره كما اثبته وادمته مشهورا لابراهيم انك حميد على ما تستوجب
علينا الحمد من نعم متوالية والا مستاليه مجيد اي كريم كثير الاحسان واسع العطا
ومنه تعالى توجه بركاته وترحمه على حبيبه نبي الرحمة واله وصحبه وفي رواية
في الموطا عن ابن مسعود الانصاري ثم البدري لنزوله بدرا قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ابراهيم وبارك على
محمد اي اثبت وادم له ما منحته به من تشريف وتكريم ومن بركة ورحمة وادمها
عليهم كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد لما يوجب لك الحمد مجيد
اي كثير البر والنوال والسلام كما قد علمتم بمهملة مفتوحة فلام مكسورة مخففة
او مشددة مع ضم المهملة في التشهد بتعليمه وفي حديث الايمة الستة من
رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم زيادة ذكر
ابراهيم في مقابلة ذكر محمد وليس التشبيه فيهما كما مر من باب الحاق الناقص
بالكامل بل من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر في العالمين من دعا الملايكة لهم
بقولهم المحكي عنهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وبارك على محمد وآل محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد فعل بمعنى مفعول اي محمود مجيد
فعيل بمعنى فاعل ماجد مبالغة في المجد اعني الشرف الواسع ورجل ماجد
مفضال اي شريف كثير الخير وعن علي اما نحن بنو هاشم فانجاد امجاد اي
اشراف كرام جمع نجيد ومجيد كاشهاد جمع شهيد وشاهد وروى مسلم
وغيره عن عقبة بن عمرو اللهم صل على محمد النبي الامي اي الذي على اصل خلقته
وولادته لم يتعلم كتابة ووصفه به تلويحا بان كمال علمه مع نفاية علمه

حيلته الاولى من معجزاته وعلى آل محمد هم كما قال الشافعي من حرمت عليهم الزكاة
وتبعه الائمة وينصره قوله صلى الله عليه وسلم للحسين بن علي انا آل محمد لا ناكل
او لا تحل لنا الصدقة او ازواجه وذريته او جميع امته ورجحه النووي في شرح
المهذب وقيده القاضي حسين بالانقياد منهم وفي حديث البخاري من رواية ابي
سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك اضافة لتشريف وتكريم
ومما اورده هنا عن ابي عبد الله الحاكم فقال البصري اسناده ذاهب وفيه عمرو
ابن خالد الواسطي وهو متروك لوضعه على اهل البيت وفيه حرب بن الحسين ○
الطائي ويحيى بن المساور وهما مجهولان وحديث ابي داود عن ابي هريرة وحديث
الديلمي في مسند الفردوس عن زيد بن خارجة بن زيد الانصاري الخزرجي فقد
سمعت ما ان وعيته اغناك عن بيانهما هنا وروى ابن ابي شيبة في مصنفه والطبراني
في الاوسط وسعيد بن منصور عن سلامة الكندي ان عليا كان يعلمنا وفي رواية
يعلم الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كليهما فهو موقوف على علي لكن
اعلى وان صح سنده بان روايته عنه مرسله اذ لم يدركه اللهم داحي المدحوات وفي رواية
المدحيات بتشديد رابعهما من دحى يدحو ويدحي اي باسط المبسوطات كالارض اذ قد
خلقها ربوة ثم دحاها اي بسطها والارض بعد ذلك دحاها وبارى المسموكات من
برا الشيء اي خلقه لا على مثال وقيل مميزه عن غيره اي خالق المرفوعات من سمكه
اذا رفعه كالسموات اذ قد جعل قدرها بما في جهة العلو مديدا رفيعا مسيرة
خمسمائة عام وروى بدل باري سامك اجعل شرايف صلواتك اي خيارها
وارفعها قدرا او انماها اذا وقيل للاعمش لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال
كان يحتقرني كنت آتيه مع ابراهيم فيرحب به ويقول لي اقعد ثم ايها العبد ثم يقول
● لا يرفع العبد فوق سنته ● ما دام فينا بارضنا شرف ●
واجعل نوامي بركاتك المضاف باضافته الى متبوعه المخلع من التابعية وصار
اسما غير صفة وتخصص باضافته الى جنسه واجعل رافة تحننك بنا فوقية
فمهملة فنونين اي رحمتك قال تعالى وحنانا من لدنا اي اجعل تعطفك وترحمك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق من انغلق الباب واستغلق اذا عسر
فتحه اي الفاتح لما عسر من ابواب كنوز المبرات واسباب انواع المسرات اذ قد
فتح باقامة الحجة وايضاح المحجة ابواب الهداية ورفع معالم الدين وبين شعاير
الاسلام والف بين قلوب عناة متخلفة واراء حناة متحرفة وام احوالا متشتتة
وغير ذلك مما غلق على غيره وفي الحديث لا طلاق في اغلاق اي اكراه لان
المكره مغلق مضيق عليه في امره وتصرفه كانغلاق الباب على الانسان وفيه
اوتيت مفاتيح خزاين السموات والارض اراد ما سهله الله له ولامته من فتح ○
البلاد واخراج كنوزها وفيه اوتيت مفاتيح الكلم اراد ما سهله الله من
البلاغة والبراعة للوصول الى غوامض المعاني وبدايع الحكم وروايع العبارات
الانيقة والالفاظ الجزلة الرشيقة مما اغلق على غيره والخاتم لما سبق من النبيين
والمرسلين والمعلن الحق اسم الفاعل لامه موصولة وبموصولتها وعايدها المستتر فيه

وهو

وهو العامل فيما على الاصح او اتفاقا لنيابته عن الفعل والحق يجوز جره بالاضافة كما في
● انا الزايد الحامي الذمار وانما ● يدافع عن احسابهم انا ومثلي ●
ومثله، واني وان كنت الاخير زمانه ● لآت بما لم تستطعه الاوايل ●
ونصبه لفقد التخفيف بالاضافة وكذا ان وقع بعد اسم فاعل ضمير معرف باللام
كما في ● مدح الفعل الاتية هذي ● فانه عند المبرد وجماعة يكون محله جرا بالاضافة
وعند سيبويه والاخفش وغيرهما ان محله نصب لانه لما عرف مما استحالت اضافته
اليه لعدم حصول التخفيف اي المظهر له بالحق ووضعه موضع ضميره قصد الزيادة
تمكنه وتلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لا يعلن الا به والدامغ لجيشات الاباطيل
جمع جيشة وهي المرة من جاش اذا فار وارتفع منها وهي جمع باطل على غير قياس
اي القامع والداحض لها فاستعار لمحقها وازالتها الدمغ لتشبيهما لها به ثم
اشتق منه اسم الفاعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم الفاعل
تبعية والدمغ اصابة الدماغ فكانه كسحر الماء صلى الله عليه وسلم على رخو
فدمغه وعدى اسم الفاعل هنا وفيما مر باللام لضعف عمله والاضافة هنا من ○
اضافة بعض افراد العام الى جنسه تلويحا باخراج جيشات الحق كما حمل خبر مبتدا
محذوف اي هذه الحال من وصفه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مثل حال وصفه بما حمله
من اعباء الرسالة او صفة لمصدر الفعل المفاد من اسم الفاعل اي الذي ثبت لما ذكر
ثباتا مثل ثباته لما كلفه من تبليغ ما ارسل به فاضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة
اي قوي على ما حمله ونهض بامرك اي بسيرك واعانتك اياه عليه او فنهض ○
بما امرك الذي كلفته حمله لطاعتك ممتثلا اذا ما كلفه مستوفزا في مرضاتك اي
مستعجلا في رضاك بغير نكل في قدم من نكل به اذا جعله عبرة لغيره اي جبن في اقدام
ولا وهن في عزم اي ولا ضعف في امر عزم عليه مجتهدا فيه وفي الحديث قال
صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخذت بالحزم ولعمر اخذت بالعزم اراد ان ابا بكر حذر
فواته بالنوم فقدمه احتياطا وان عمر وثق بقوته على قيام الليل فاخره ولا خير
في عزم بغير حزم فان القوة اذا لم يكن معها حذر ورطت صاحبها وفي حديث سجود
القران سجدة ص ليست من عزايم السجود واعيا لوحيك من وعى يعي وعيا اذا حفظ
وفهم اي حافظا فاهما لما اوحيته اليه عاملا به مبلغا اياه وبالاضافة خرج بعض
ما صدقات الوحي من كلام خفي وكتابة واشارة ورسالة والهام وحيت واوحيت
حافظا لعهدك الذي عاهدك عليه من ايمان بك واقرار بوحدانيتك واخلاص ○
لطاعتك لا يزول عنه او لعهدك الذي عاهدته عليه من امر ونهي منجزا له وافيا به
وهذا تلميح الى قوله صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اي مقيم ومتمسك بهما مدة استطاعتي العجزي عن بلوغ كنه ما اوجبته علي وعن
دفع ما قضيته علي ان انقض العهد وقتا ما فاني انتصل منه معتذرا اليك ○
ماضيا على نفاذ امرك اي مستمرا بتلك الاحوال اللازمة له مجتهدا في امضائه ●
ترغيبا وترهيبا حتى اورى قبسا من اوريت الزند اذا قدحته فاخرجت نوره
والقبس ما اقتبس اي اخذ من النار في راس شيء والجملة غاية لما قبلها اي لم يزل

مجاهداً فى ابلاغ ما امر بابلاغه مرغباً فيه محذراً من مخالفته حتى اظهر ديناً قيماً
سمحاً واضحاً بيناً كالقبس نوراً لقبس اهل الله اى لبتغى سوابغ نعمه اى مواهبه
المتوالية من تيسير وتسهيل وهداية للدخول فيه افواجاً فشبهه لوضوحه وسماحته
بالقبس فاستعار له اسمه استعارة تحقيقية وقرنها بالابراز ترشيحاً ومبالغة
حتى كانه هو صرفاً للمنفر عن توهم تشبيهه به تصل باهله اى باهل القبس بمعنى
بمعنى الدين المتبعين له اسبابه الموصلة اليه كالعناية والتوفيق بما به الفوز
معاشاً ومعاداً ابه اى برسول الله صلى الله عليه وسلم هديت القلوب فانقادت
مذعنة للحق بعد خوضات الفتن والاثم كرات بعد كرات شبه الفتن والاثم
بما عمر على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لهما الخوضات استعارة تخييلية
قضاً لحق البلاغة وتناسباً للتشبيه موضحات الاعلام متعلق بهديت والاصل
الى موضحات فحذف الجار واوصل الفعل ونايرات الاحكام عطف على ما قبله
حذف مجروره واوصل فعله من نار لازماً اى واضحاتها وبيناتها ومنيرات
الاسلام كذلك من انارته متعدياً فهو اى النبى صلى الله عليه وسلم امينك
المامون اى حافظ دينك وعهدك الذى ايتمنته عليه وخازنه لما استودعته
ومنحته من علمك المخزون وشهيدك فعيل بمعنى فاعل مبالغة اى شاهدك
للانبيا على اممهم فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
يوم الجزا الدين اى الجزا بما عمل وبعيثك فعيل بمعنى مفعول مبالغة فيه اى مبعوثك
الذى بعثته اى ارسلته نعمة منك الى الخلق ورسولك بالحق رحمة فى الدنيا
والاخرة لمن امن وفى الدنيا لمن كفر اللهم افسح له صلى الله عليه وسلم فى عدنك
علم لمعنى العدن وهو الاقامة سمى به علا فسميا جنتيها لعلاقة الظرفية اى وسع
له فى دار كرامتك جنة عدن من عدن بالمكان اذا اقام به ولم يبرح منه واجزه
يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاى من اجازه اذا اعطاه مضاعف
الخير اى جوايزه مضاعفاً اضعافاً كثيرة وان يكون بوصل وجيم مضمومة وزاى
اى اعطه اجراً من فضلك هذا والجايزة فى الاصل ما يعطى للضيف بعد اضافته
ثلاثة ايام ما يجوز به مسافة يوم وليلة لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم
الضيافة ثلاثة ايام وجايزته جايزتهم وهو امر ندب كالضيافة واوجبها
الليث مهنات له صلى الله عليه وسلم جمع مهنى حال من مضاعفات من هنانى
الطعام يهناونى اذا ساغ بلا تنغيص وكلما اتاك بلا تعب فهو هنى غير
مكدرات صفة لمهنات اى غير منغصات من فوز ثوابك من فارت القدر اذا
غلت فاستعير للسرعة كناية عنها ام سميت به الحالة التى لا ريب فيها ولا
تراخى اى من سريع وضلك الذى لا ابطو فيه المحلول اى الذى يحل فيه نفسه
المتمكن منه والتصرف فيه بالحلول فى شيء ثم اشتق اسم المفعول فجرت الاستعارة
فى المصدر اصلية ثم فى اسم المفعول تبعية لجريانها فى المصدر اولا وجزيل
اى كثير عطايك المعلول من العلل بفتحات ثلاث وهو الشرب ثانياً بعد النهل بثلاث
فتحات وهو الشرب اولا اى اعطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد اخرى

فنسب

فنسبة وافر عطائه بمنهل عذب ترده العطاش ثم اشتق منه اسم المفعول فوقعت
الاستعارة فى المصدر اصلية وفى اسم المفعول تبعية ومنه قول كعب بن زهير
كانه منهل بالراح معلول اى مشروب بها مرة بعد اخرى اللهم اعلى على بنا الناس
وفى رواية البانين بناه اى ارفع على عمل العاملين عمله او على منازلهم فى الجنة
منزلة واطل على ذواتهم ذاته حتى لا يطوله احد بشهادة قول سليمان صلى
الله عليه وسلم من هدم بنا ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعنى من قتل
انساناً ظلماً سماه بنا من حيث ان اصل البنا ضم شى الى شى وهو اجزا خلقها
الله مضموماً بعضها الى بعض مركبة فشبه بالبنا لذلك واكرم مثواه لديك
من ثوى بالمكان اذا اقام به اى اجعل منزله عندك كريماً اى حسناً مرضياً بعنايتك
وحسن رعايتك واكرم نزله هو فى الاصل ما يهيا للضيف قرى اى اجعل
ما منحته به من الاجر والثواب كريماً اى مرضياً محموداً اذ الكريم كل ما يرضى
ويحمد فى بابه يقال وجه كريم اى مرضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم اى مرضى
فى معانيه وفوايده ومطر كريم اى مرضى فيما ينشا منه من المنافع واتم له
نوره الذى سالك ان تجعله فى قلبه وبصره وفى سمعه وعن يمينه وعن شماله
ليتجلى بانواع المعارف فخص بعض الظرفية قلبه لانه محل التفكر فى الاربة وبصره
لانه مسرح ايات المبثة فى الانفس والافاق وسمعه لانه محط اياته التى اتى بها
على انبيائه وخص يمينه وشماله بياناً وضياً الحق ليستمد دايماً اليه واجزه
الجزا الاوفى مرا ستفانك له مقبول الشهادة تزكية لامته اذا شهدوا للانبيا
انهم قد بلغوا اممهم اذا جحدوا يوم القيامة تبليغهم اياهم مرضى المقالة فلا
يسخط له قول ذا منطق عدل مصدر سمى به فوضع موضع عادل مبالغة فى جعله
نفسه عدلا لما استفاده من استقامة منطقه وحفظه من الافراط والتفريط
ومقبول ومرضى وذا منطق احوال من ضميره له وذا خطة فصل اى ذا حالة رشد
اى امر واضح فى الهدى والاستقامة اذا الم به خطب عظيم اى امر مشكل فصله
برايه المصيب وفى حديث الحديبية لا يسالونى خطة يعظمون فيها حرمات
الله الا اعطيتهم اياها وذا برهان عظيم اى حجة ودليل قاطع وعنه ايضا عن على
صلوات الله البر اى العطوف على عباده ببره ولطفه ومعناه البار الا انه لم
وفى الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة اى عليكم مشفقة كالوالدة
البرة باولادها يعنى ان منها خلقكم وفيها معاشكم واليها بعد الموت معادكم
الرحيم اى العظيم الرحمة وصلوات الملايكة المقربين لجبريل وميكائيل واسرافيل
رخص المقربين لمناسبة ما بعده والنبيين والصديقين جمع صديق وضع موضع
صادق مبالغة فيه والشهدا جمع شهيد وهو فى الاصل من يقتل مجاهداً فى
سبيل الله ثم سمى صلى الله عليه وسلم به صاحب الجنب والبطن والغرق والحرق
والهدم وغيرهم سمى شهيداً لان الله وملايكته يشهدون له بالجنة او لانه
حى لم يمت كانه شاهد اى حاضر او لان ملايكة الرحمة تشهده او لقيامه
بشهادة الحق فى امر الله حتى قتل او لشهوده ما اعد الله له من الكرامة بقتل

فقيل بمعنى فاعل او مفعول والصالحين لكثيرا لقائمين بما عليهم من حقوق الله
وحقوق عباده ما سبح لك من شيء ما مصدرية ومن زائدة اى صلواتهم دائمة
مستمرة مدة دوام تسبيح شيء لك اى مدة ام يسبحك شيء وعلى رواية الواو قيل
ما فما موصولة معطوفة على الاسم المكرم ومن بيانية لما اى وصلوات
الذي سبحك وهو كل شيء يا رب العالمين على محمد بن عبدالله خاتم النبيين وسيد
المرسلين اى الفائق لهم بما اكرمه من السودد والفضل وامام المتقين الذين
يصونون انفسهم عما يوبقهم في الاخرة اذ الوقاية فرط الصيانة ورسول
رب العالمين اى الناس كافة الشاهد المقام المحمود يوم القيامة او على من
يشهد عليه فيه من الامم المكذبين رسلهم وعلى من بعث اليهم بتصديقهم
وتكذيبهم له ونجاتهم وهلاكهم البشير المؤمنين بما اخفى لهم من قرة اعين ٥
والداعي اليك من ارسلته اليهم الى الاقرار بتوحيدك وما يجب الايمان به
من صفاتك باذنك اى بتيسيرك استعير له لان التصرف في حق الغير ممتنع
فاذا صادف اذنا تيسر وقيد به الدعوة ايذانا بصعوبتها لا ستطاع الا
بتيسير منه تعالى السراج المنير اذ به ازيل ظلام الشرك كما ازيل ظلام
الليل بالسراج فابصر بنوره ذو العماية واهتدى ذو الغواية وعليه السلام
مما يغشى غيره من سوء وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان يقول
اللهم سلمني من رمضان وسلمه لي وسلمه مني فسلمني منه اى
لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه وسلمه لي اى حذرا من ان يغم علي
الهلال اوله واخره فيلتبس على صومنا وفطرنا وسلمه مني اى بعصمتي فيه ٥
وحديث ابن مسعود هنا رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان ومعناه
يعلم مما مر فهو غني عن البيان وفيه اللهم ابعثه مقاما نصبت على الظرفية باضمار
فعله اى اقمه او ضمن ابعثه معناه وتنكيره تبعا للقران لمؤذن بعمومه كل
مقام يحمد فيه بانواع الكرامات والمشهور انه مقام الشفاعة لشهادة قوله
صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي واشارة قول ابن عباس
مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال
فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وقول حذيفة يجمع الناس في
صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول
لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ٥
وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت فهذا معنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون من غبطت الرجل اغبطه وغبطا اذا تمنيت ان يكون لك مثل ما اوتيه
مع دوام ما اوتيه وهذا يسمى حسدا محمودا لعدم تمنيه زواله عنه حسدا
مذموما وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة
الخبط اراد صلى الله عليه وسلم ان ضرر تمني المثل ليس كضرر تمني الزوال
فلا يلحق الغابط من الضرر الراجع الى نقصان الثواب دون احباطه الا بقدر

ما يلحق

ما يلحق العضاة منه بخبطه ورقها دون قطعها فهو دون المذموم في الاثم وفي دعاء
الحسن البصري اللهم صل على محمد اى واشياعه من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة جمع
شيعة وهي الفرقة من الناس تقع على الواحد فاكثر وعلى المذكر والمؤنث وقد غلب
على كل من يتولى عليا واهل بيته فصار عليهم علما مخصوصا فاذا قيل
فلان من الشيعة او مذهب الشيعة لم يفهم غيرهم وفي الحديث القدرية
شيعة الدجال اى اولياؤه وفي رواية مجوس هذه الامة وروى عبد بن حميد وعبد
الرزاق بسند جيد واسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
عن ابن عباس اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى اى العظمى التي يفزع الناس من اجلها
للانبياء حتى ياتوه صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم ليريحهم فيه من الشدائد وقيد
بالكبرى لانها فصل القضا بين اهل الموقف وبه يخرج بقية شفاعاته الخاصة به
صلى الله عليه وسلم وفيه وارفع درجته العليا في اعلى المواطن واشرفها واقربها
من ربه في عليين نقل من جمع على من العلو علما للسماء السابعة وانما سمي به ديوان
الحفظة من الملائكة الذي يكتب اعمال صالحي العباد لرفعه فيها حيث يسكن الكروبيون
تكريما له وتعظيما او لانه سبب الارتفاع الى اعلى درجات الجنة واته سؤله فعل
بمعنى مفعول كخبر بمعنى مخبور اى مسؤله ومطلوبه في الاخرة والاولى اى الدنيا
سميت اولى لتقدمها على الاخرة ودعاء وهيب لا ادري من رواه ومعناه ظاهر مما مر
وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجة والبيهقي والديلمي والدارقطني وتمام
في فوائده ونسبه على لا ادري من رواه وان وعيت ما تلي عليك اغناك عن ٥
بيانه وفيه الدعاء بالمغفرة لوالديه ولما ولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت ابيه ٥
وبعض اخوته كافرين ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعاء بها لوالديه ٨
الحسنين من ولداه وفيه ايضا الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وفي
حديث الصلاة الذي اسنده ايضا قبل من طريق الحافظ ابي عبدالله الحاكم الدعاء له صلى
الله عليه وسلم بالصلاة والزكاة الوارد مما قد علمت التي تختص به يعني التي بمعنى
التشريف والتكريم والثبوت والدوام ويدعى لغيره بالتي بمعنى الدعاء مثل الرحمة
والمغفرة لافتقارهم اليها دونه صلى الله عليه وسلم اذ قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر فما ياتي الذي يسمى بالنسبة اليه ذنبا وليس بذنب حقيقة بل مما صار
تمثل سائر حسنات الابرار سيئات المقربين وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في رسالته
زيادة الترحم في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا اى ادم له الرحمة
وانتسابا له ولم يات هذا اى الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة والرحمة في حديث
صحيح اذ ما ورد بزيادتها كله ضعيف ومن ثم قال النووي في شرح مسلم المختار
ان الرحمة لا تذكر وجزم في الاذكار بان ذكرها بدعة لانه صلى الله عليه وسلم
علمهم كيفية الصلاة عليه بدون ذكرها وان كان معناها الدعاء فلا تفرد بذكره
وحجته اى حجة ابن ابي زيد التي اخذ بها استحبابها قوله صلى الله عليه وسلم
في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وفي فضيلة التسليم عليه والدعاء له قد روى لذلك احاديث

شواهد كثيرة اسند منها حديث ابن عمرو من طريق النسائي ورواه مسلم ايضا سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن يؤذن للصلاة فقولوا مثل ما يقول
من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة وصلوا علي اي سلوا الله لي التعظيم والتكريم فانه من صلى
علي صلى الله عليه اي رحمه ومنى عنه ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة زلفى من الله
لا ينبغي لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو خبر كان وضع موضع اياه وانا تاكيد
لاسمها او مبتدا خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة اي ان اكون
انا ذلك العبد وسميت وسيلة لان من وصل اليها فاز بقربه ولقائه تعالى وخص
بانواع الكرامات فمن سال لي الوسيلة حلت له الشفاعة اي وجبت وحق وقوعها
بشهادة رواية وجبت له شفاعتي وروى انس بن مالك كما في شعب الايمان للبيهقي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات اي رحمة
وضاعف اجره بشهادة من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وحط عنه عشر خطيات جمع خطية
من خطا يخطي اي اثم واذنب اذا خطا الاثم والذنب واخطا يخطي اذا سلك سبيل
الخطا فان اجتمعا افترقا ورفع له عشر درجات جمع درجة وهي المرقاة يرتقى فيها وعن
ابي ايوب انه قال لمنافق دخل المسجد ادراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم هي جمع درج وهو الطريق اي اخرج منه وخذ طريقك الذي جئت منه
يقال رجع ادراجه اي عاد من حيث جاء وفي رواية لابي يعلى وكتب له عشر حسنات
اي ثوابها مضاعفا الى سبعماية ضعف الى اضعاف كثيرة وروى ابن ابي شيبة
في مسنده عن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني من صلى عليك صلاة
اي طلب لك من الله دوام التشريف والتكريم والتعظيم صلى الله عليه اي رحمه عشرا
ورفعه عشر درجات وفي رواية الحاكم وصححها والبيهقي في الشعب منه صلى الله
عليه وسلم لقيت جبريل فقال ابشرك اي اخبرك بما يسرك ان الله يقول من سلم عليك
اي دعا لك بالسلامة من كل نقص وعيب سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه هذا
والاخبار الواردة في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تكاد تفوت الحصر بينة
المعنى يفسر بعضها بعضا فلا نطيل بذكرها فمن شاء فيكشف ومن شاء فيغفل وزيد بن
الحباب الذي روى عنه هنا ليس صحابيا ولا تابعيا روى عن مالك الامام ومالك بن
مغول والضحاك بن عثمان وعبد الله بن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء قاضي مصر
وعنه ابن حنبل وسلمة بن شبيب وبينه وبين الصحابي الذي روى عنه روى حديثه
هنا اربعة ويخرجه مصري اذ قد رواه عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن
نعيم عن وفا بن شريح عن رويفع بن ثابت الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم
فقوله وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر وقف فيه
اللهم انزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة قرب نعم ولطف وترادف منن وعطف وفيض
مواهب لا قرب ذات ومكان لتعاليه وتقدس ذاته عن ذلك وحديث ابن مسعود
رواه الترمذي وابن حبان وحديث ابي هريرة رواه الطبراني في الاوسط
وابو الشيخ في الثواب بسند ضعيف وحديث عامر بن ربيعة رواه احمد
وابن ماجة والطبراني في الاوسط بسند حسن وحديث ابي بن كعب رواه

الترمذي وفيه اني اكثر الصلاة وحديث ابي طلحة رواه النسائي وابن حبان والبيهقي
في شعب الايمان بسند صحيح وحديث جابر رواه البخاري وحديث سعد
رواه مسلم وحديث ابن وهب منقطع واثر ليردن على اقوام لا ادري من رواهما وحديث
ان انجاكم يوم القيامة رواه الاصبهاني في ترغيبه عن انس وحديث ابي بكر رواه
ايضا فيه بلفظ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب وحبه صلى
الله عليه وسلم افضل من مهج الانفس او من ضرب السيف في سبيل الله فصل
في ذم من لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم احتج لهما باحاديث اسند منها حديث ابي
هريرة من طريق الترمذي ورواه مسلم ايضا رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي يقال رغم يرغم ويرغم فتحا وضما رغما مثلث الراء وارغم الله انفه اي الصقه
بالرغام اي التراب ثم استعير منه لغاية الذل والامتهان والانقياد على كره
والعجز عن الانتصاف اي يحق لمن ذكر عنده فلم يغتنم تبجيله وتعظيمه الا بديه الله
نكال الذل والهوان والحقارة ومنه حديث وان رغم انف ابي ذر اي ذل اي وان كره
وحديث بعثت مرغمة للمشركين اي هوانا لهم وذلا وفي الحديث ان
السقط ليراغم ربه ان ادخل ابويه النار اي يغاضبه ورغم انف رجل دخل عليه رمضان
ثم انسلخ مستعار لزوال زمنه من سلخ الجلد اي كشط وازالته عن محله بجامع ترتب
حرمان الغفران على زواله ثم اشتق منه انسلخ فجرت الاستعارة في المصدر اصلية
وفي الفعل تبعية اي زال زمنه قبل ان يغفر له لاشتغاله فيه بما يفوت صومه او ثوابه
مع الكتاب والوزر ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة لسخطهما
عليه بما لا يرضيهما منه قالت او احدهما اي احد ابويه وفي حديث اخر رواه الطبراني
عن ابن عباس وانس وعبد الله بن الحارث بن جزء وكعب بن عجرة ومالك بن الحويرث
وروى البزار عن جابر بن سمرة وابي هريرة وعمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه وسلم
صعد المنبر من النبر وهو الارتفاع وكل مرتفع فهو منبر اي ارتقى عليه فقال عقب
صعوده امين بالمد والقصر اسم بني على الفتح معناه اللهم استجب وفي الحديث امين خاتم
رب العالمين اي هو طابع الله على عباده اذ به تدفع الافات والبلايا فهو كخاتم الكتاب
يصونه من فساده واظهار ما فيه ثم صعد درجة فقال امين ثم صعد درجة فقال
امين اي اللهم استجب لي فسئل عن ذلك اي عن قوله امين او عن تكرارها ثلاثا
او عنهما فقال ان جبريل اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه اي ذكر اسمك وهو حاضر
فلم يصل عليك عقب ذكر اسمك تاركا للصلاة عليك فمات فدخل النار بتركه
استهانة به صلى الله عليه وسلم واحتقارا له وعدم مبالاة به فابعده الله من
ساحة رحمته بذلك متصفا بالشيء الاخر منه قل امين امر من جبريل له صلى الله
عليه وسلم ليستجيب له ربه دعاه تفخيما لشانه وتعظيما لقدره فقلت امين
اي استجب لي وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل ترك فاعله للعلم به اي فلم يقبل
الله منه صومه بلفظ الطلب فمات مثل ذلك اي فدخل النار فابعده الله قل امين
فقلت امين وقال من ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما ومن ادركه منهما اي لم
يقم بواجبهما احسانا تهاونا بهما او زجرهما ونحو ذلك فمات مثله اي فدخل النار

فابعده الله قل امين فقلت امين وروى الترمذي وصححه والبيهقي في شعب الايمان
والنسائي من حديث ابنه الحسين عن علي عن النبي صلى الله عليه البخيل هو الذي ذكرت
عنده فلم يصل علي خطابه يحتمل بناؤه للمفعول وللفاعل طريق الجنة فلم يهتد قصده
لجهله بما ورد روى ابو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابي هريرة ايما قوم
جلسوا مجلسا ثم قاموا منه وتفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على كانت عليهم من الله
ترة بمثناة فوقية مكسورة وراء مفتوحة اي نقص وتبعه لتفرقهم ولم يأتوا بما يكفر
لغطه من ذكر الله والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهاء ترة عوض عن واوه المتروكة
كوعده وسعة ومقه ان شاء اي الله عذبهم بتركهم كفارة المجلس وان شاء غفر لهم فضلا
منه تعالى ورحمة لهم وروى البيهقي في الشعب من نسي الصلاة على نسي بضم اوله وتشديد
ثانيه اي من ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اخطأ طريق الجنة فاراد بالنسيان الترك
بشهادة اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي جاءتك واضحة نيرة فتعميت
عنها وتركتها ولم تتبصر بها وتتركك لها تركناك اعمى معذبا وروى عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من الجفا اي ترك البر والصلة وغلظ
الطبع ان اذكر عند الرجل لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة فعومل معاملتها كما في ولقد
امر على اللئيم يسبني فلا يصلي علي لغلظ طبعه وعدم مروته وحديث جابر هنا
رواه البيهقي لحديث ابي هريرة ايما قوم جلسوا مجلسا وفيه الا تفرقوا عن انتن
من ريح الجيفة مما صدر منهم من ردي الكلام ومذمومه شرعا ولم يختموه مما يكفر
لغطه من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وحديث ابي سعيد هنا ايضا رواه
البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور مثل هذا وفيه الا كانت اي مجلسهم عليهم
حسرة اي ندامة لازمة لهم من سوء نار كلامهم فيه فلا يرون عوضه الا حسرة
بتركها فيه وان دخلوا الجنة فيزداد واحسرة لما يرون من الثواب بالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم الفائت لهم بتركها فيه حكى ابو عيسى الترمذي صاحب السنن
من الكتب الستة عن بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل لم يرد رجلا معينا فهو
كما مر كالنكرة فيعامل معاملتها فيوصف بالنكرة وكلامه عمدية ذهنا كهي في الذيب
في واخاف ان يأكله الذيب اي اذا صلى رجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في
المجلس اجزأ عنه اي كفاه صلاته فيه مرة ما كان في ذلك المجلس مما صدر منه
فيه من لغط فيكون كفارة له فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم
بتبليغ صلاة مصدر مضاف الى مفعوله الاول اي في تخصيص الله اياه صلى
الله عليه وسلم بتبليغه صلاة من صلى عليه او سلم عليه من الانام اي الخلق او
كل ذي روح وقد روى هنا لذلك شهود صدق المسند منها حديث ابي هريرة
من طريق ابي داود ورواه احمد والبيهقي وسنده حسن ما من احد يسلم على
الا رد الله على روحي حتى ارد غاية لردها في معنى التعليل اي من اجل ان ارد عليه
السلام ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان وذكر ابن ابي شيبة ح
كما رواه ابو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب من صلى على عند قبري سمعته
ومن صلى على نائيا اي بعيدا اعني بلغته من احد من الملائكة فارد عليه وروى

احمد والنسائي والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين
في الارض بالجر صفة مصالح بني ادم يبلغوني عن امتي السلام اي فيرد عليهم السماعه
منهم او ممن زاد وعن ابن عمر لم اعلم من رواه اكثروا من السلام على نبيكم
اي قولوا السلام عليك يا نبي الله فانه شفع بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
كان اعظم اجرا كل جمعة فانه اي السلام يؤتى به منكم في كل جمعة سلم عليه فيما
وتشهد لما قلته ما في رواية لا ادري من رواها فان احد الا يصلي على الا عرضت
صلاته على حين يفرغ منها هذا وبقية الاحاديث الواردة هنا متقاربة معنى
مما مر لفظا ومعنى فلا نطيل بذكرها حذر السامة فحديث الحسن رواه الطبراني
وابو يعلى بسند حسن وحديث ابن عباس رواه اسحاق بن راهويه في مسنده
والبيهقي في الشعب موقوفا وحديث الحسن بن علي رواه ابن شيبة وعنه
ابو يعلى عن زين العابدين علي بن الحسين وفيه هنا لا تتخذوا بيتي وهنا قبري
عيدا يحتمل ان يريد به الحث على كثرة زيارته اذ هي افضل القربات غير معرفة انه
اجتماعا يسرها الله لنا عودا على بدء اي اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد
تزور وفي في السنة مرتين بشهادة احاديث كثيرة وردت بالحث عليها وبوجوب
شفاعته لزائره او النهي عن الاجتماع لزيارته كالاجتماع للعيد اي لا تجعلوا زيارة
قبري كالعيد تجتمعون لها كما تجتمعون له تعظيما لا اجتماع اليهود والنصارى لزيارة
قبور انبيائهم بشهادة حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد تحذيرا مما صنعوا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا بترككم الصلاة فيها كالميت في قبره
لا يصلي ولا يعمل بل اجعلوا فيها من صلاتكم ويؤيده قول الخطابي لا تجعلوها
وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم اخو الموت والميت لا يصلي او لا تجعلوها
قبورا للموتى كما تدفنونهم فيها فقال وليس بشيء فقد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيته ورده لانه اتبع فيه سنة الانبياء بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم
ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض وهناك بهذا المردود به قول الخطابي تقويه
وتأييدا لقوله وحديث اوس رواه ابو داود والنسائي وحديث سليمان
ابن سحيم رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء وشعب الايمان
وحديث ابي شهاب رواه النميري مرسلا فصل في الاختلاف
الوارد عن العلماء في جواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم وعلى غير
سائر الانبياء اي باقيهم صلوات الله وسلامه عليهم عامة اهل العلم كلهم متفقو
على جواز الصلاة على غيره اي النبي صلى الله عليه وسلم اي من انبيا وملائكة
ومؤمنين وروى كما في شعب البيهقي وسنن سعيد بن منصور عن ابن عباس
لا تجوز الصلاة على غيره اي غير النبي صلى الله عليه وسلم ولعله رجع عنه بشهادة
ما روى عنه كما في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لاسماعيل القاضي
لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين صلوات الله وسلامه عليهم وقال سفيان
هو الثوري يكره ان يصلي الا على نبي فمن يكره معنى حرف النفي لا يذانه بالترك
تحسن بعده لا سنتنا وعم كل نبي هذا وما عزاه لبعض شيوخه لمالك من عدم

لكونه غير معروف منه بانه قد قال في المبسوط ليحيى بن اسحاق اكره الصلاة مع

جواز الصلاة على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم فقال انه غير معروف
من مذهبه واستدل على غير الانبياء اى من ملائكة ومؤمنين قالت وما ينبغي لنا
ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط بقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولعل من عزى من شيوخه المالكية عدم جواز
الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء حمل ينبغي على لا يجوز فعزاه له
قال يحيى بن يحيى الليثي لست اخذ بقوله اى بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به ولا باس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم من ملائكة ومؤمنين
واحتج اى يحيى بن يحيى لما قاله بحديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وبما جاء من حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم
فيما امر اصحابه الصلاة عليه وفيه اى وفي حديث تعليمه صلى الله عليه وسلم
والاسانيد الواردة عن ابن عباس كقوله فيما مر لا تجوز الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم لينة غير قوية لا يصلح منها شيء للاحتجاج به على عدم
جوازها على غيره صلى الله عليه وسلم والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء فتجوز على غيره صلى الله عليه وسلم الا اذا كانت كما قاله البيهقي
والخطابي على وجه التعظيم والتكريم عند ذكره تحية له صلى الله عليه وسلم
فانما ذلك له قال يحيى ابن يحيى وذلك اى قوله ولا باس بها على الانبياء
وغيرهم على الاطلاق كما وردت به الادلة بدون تقييد بتبعية وغيرها حتى يمنع
منه اى من الاطلاق حديث صحيح اى اجماع يؤذن بتقييد ما ورد مطلقا وقد
قال تعالى هو الذي يصلي عليكم بالترحم والتراف وملائكته بالاستغفار لكم
والاهتمام بما يصلحكم وقال عز من قائل وصل عليهم اى تعطف عليهم بدعائك
واستغفارك لهم ان صلواتك سكن لهم اى تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم
وقال اولئك عليهم صلوات اى مغفرة وتزكية من ربهم ورحمة اى انعام ودفع
ضر او اراد بهما فيهما انها من صفات الافعال والذوات وقال النبي صلى
الله عليه وسلم كما رواه الشيخان اللهم صل على ال ابي اوفى ومن تتمته عن عبد
الله بن ابي اوفى كان اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل على ال فلان كناية
عمن ينسبون اليه اى زك اموالهم التي بذلوا زكاتها واجعلها لهم طهورا واخلف
عليهم ما اخرجوه منها وارحمهم وقال فيما رواه ابو داود والنسائي
عن قيس بن سعد بن عبادة انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة وهو مراد معهم كابي اوفى وقد اعاد
هنا حديثي الصلاة على ازواجه وذريته وعلى اله وذكر الخلاف في آله مع تقدم
ما اغنى عن اعادتهما وحديث انس آل محمد كل تقي رواه الطبراني في الاوسط
وابن مردويه ورد على مذهب الحسن بن ابي الحسن البصري ان المراد بآل محمد
هو محمد نفسه فانه اى الحسن كان يقول فيما رواه النميري عنه في صلاته على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه صلى
الله عليه وسلم لشهادة روايته الاخرى من طريق اخر على محمد بدون آله ولانه

اى الحسن كان لا يخل بالفرض الذي هو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ويأتي بالنفل
الذي هو الصلاة على اله لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه
صلى الله عليه وسلم مما لا يؤتى بالنفل دونه وهذا اى قول الحسن على آل احمد مثل
قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي موسى مزمارا من
مزامير آل داود فانه اراد به داود نفسه هذا وبقية الاحاديث مما دل منها
على اباحة الصلاة على غير الانبياء لوضوحها غنية عن البيان والذي ذهب اليه
المحققون اميل اليه ما قاله مالك امام دار الهجرة فيما مر ان كره الصلاة على
غير الانبياء وما قاله سفيان الثوري يكره ان يصلى الا على نبي لانها قد صارت
شعارا للانبياء فلا يلحق بهم غيرهم لكنه مع حسنه يؤذن بكراهتها على الملائكة
والذي ذهب الشافعي واصحابه الحاقهم بالانبياء في جوازها افرادهم مما نتكره منا عدة
على غيرهما الا تبعا وروي عن ابن عباس واختاره اما ما روي عن ابن عباس
غير واحد بل كثيرون من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء مفردا
مما لا يمنا من شعار اهل البدع كالرافضة يفردون بها من يعتقدون كما له فلا يصلى
على غيرهم عند ذكرهم افرادا بل ولا تبعا وقد تلي عليك انها لا تكره عند الشافعي على
غير الفريقين تبعا بل هو اى الصلاة عليه وذكرها اعتبارا بقوله شيء يختص به
الانبياء لا يشاركهم في افرادهم بها غيرهم توقيرا لهم وتعزيرا اى ولانهما تبا
اى تعظيما وتحببا لمفعول لانه لاجلهما اختصاصهم بها كما يختص الله تبارك وتعالى عند
ذكره بالتنزيه متعلق بيختص اى عما لا يليق بجنابه الكريم والتقديس اى التطهير من
النقائص والتعظيم لجلالته ومجاوزة قدره حدا منع العقول تصور كنه حقيقته
وما قدروا الله حق قدره ولا يشاركه فيه غيره كذلك اى مثل اختصاصه تعالى
بما ذكر يجب تخصيص النبي وسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم بالصلاة والتسليم
اى التعظيم والتكريم والسلامة مما لا يليق بكرم جنابهم ولا يشاركه مبني للمفعول او
للفاعل اى لا يجعل غيرهم مشاركا او لا يشاركهم فيه سواهم فحذف ضمير المفعول للعلم به
تعظيما لهم كما امر الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بقوله صلوا عليه وسلموا
تسليما اى عليهم كذلك ويذكر غيرهم من الائمة وغيرهم بالرضى والغفران كرضي
الله عن ابي بكر وغفر له كما قال تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا اى في الدين الذين
سبقونا بالايمان وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان اى بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم
بقبوله طاعتهم ورضاه باعمالهم وايضا فهو اى افراد غير الانبياء بالصلاة عليهم
امر لم يكن معروفا في الصدر الاول من لدن الصحابة وهلم كما قال ابو عمران الفاسي
من بلدة فاس بالمغرب وانما احدثته الرافضة المتبعة للباطل والشيعة
في بعض ائمتهم كعلي واولاده فشاركوهم عند الذكر لهم مفردين لهم بالصلاة عليهم
وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اى في الصلاة عليهم منفردين كالانبياء
لاعتقادهم عصمتهم ومن ثم قالوا الا نصم لغيرهم امامة ولا خلافة فان التشبه
باهل البدع منهي عنه اجماعا لخروجهم عن منهج الحق ببدعهم فيجب مخالفتهم فيما

التزموه من ذلك الذى شركوا بينهم فيه الانبيا وساووهم فيه وغيره بما به تنكبوا
عن منهج الحق هذا وان سنح ببالك انه قد ورد ذكر الصلاة على الآل والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم قلنا انما كان ذلك بحكم التبع له صلى الله عليه وسلم والاضافة
اليه صلى الله عليه وسلم لا على التخصيص لهم بها وصلاته صلى الله عليه وسلم على من صلى
عليه من الصحابة وغيرهم كآل سعد بن عبادة انما مجراها مجرى الدعا لهم زيادة رحمة
والمواجهة لهم به جبر الصدع قلوبهم وتعطفا عليهم ليس فيها اى في هؤلاء جهتهم
بالصلاة عليهم معنى التعظيم والتوقير احتراما وتبجيلا قالوا ان الكارهون لها على
غير الانبيا قال الله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فلا
تنادون باسمه كما ينادى بعضكم بعضا باسمه بل بيا صفوة الله يا خيرة الله
يا رسول الله توقيرا وتعظيما خافضين اصواتكم بشهادة لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي فكذلك اى فكما يجب نداؤه بما ذكر يجب ان يكون الدعا له صلى
الله عليه وسلم مخالفا لدعا الناس بعضهم لبعض فصل في حكم زيارة
قبره صلى الله عليه وسلم وفي فضيلة من زاره وسلم وكيف يسلم اى من زاره ويدعو
له صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه تشريفا وتكريما هذا وزيارة قبره صلى الله
عليه وسلم فضيلة مرغب فيها لما قصده لها من تعزير له وتوقير وترتب ثواب كبير ن
وروى عن ابن عمر فيما رواه ابن خزيمة موقوفا في ثبوته والبزار والطبراني وله
طرق وشواهد لاجلها حسنه الذهبي من زار قبري وجبت له شفاعتي اى سوالي
الله له ان يتجاوز عنه مكافاة له وعن النص مما اعرف له زاد من زارني في المدينة
محتسبا اى ناويا بها وجه الله وثوابه وقيل له محتسبا لاعتداده بعمله فجعل
حال مباشرته للفعل كانه معتد به والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدد
والحسبة اسم منه كالعدة من الاعتداد وهو في الاعمال الصالحة وعند المكروهات
البدار الى طلب الاجر وتحصيله بالتسليم والصبر او باستعمال انواع البر والقيام
بها على وجهها طلبا للثواب المرجو منها وعن عمر ايها الناس احتسبوا ٥
اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته كان في جوارى اى في
زمامي وعهدي لا يخفر ولا ينقض عهده وكنت شفيعا له يوم القيامة مكافاة
لحسن صنيعه وفي حديث آخر رواه البيهقي وسعيد بن منصور في سننهما والدارقطني
والطبراني عن ابن عمر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي لانه صلى
الله عليه وسلم في قبره الشريف حي وكره مالك ان يقال اى قول القايل زرنا قبر
النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك من حيث الداعي لمالك الى
كراهته فقيل كراهة الاسم اى اسم الزيارة لما ورد من رواية احمد والترمذي
وابن حبان عن ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات
القبور ورد هذا الاستدلال بانه انما لعنهن لانهن مامورات بالقرار في بيوتهن
لا يصلح لهن زيارتها ويرده ايضا قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم
بلفظ كنت نهيتكم بمعنى ماهنا نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فهذا امر لهم
بعد نهي عنها فهو ناسخ له وقوله صلى الله عليه وسلم فيما مر عن ابن عمر من زار

قبري وجبت له شفاعتي فقد اطلق اسم الزيارة فلم تكن الكراهة للاسم وقيل لقولهم
ان الزاير افضل من المزور وليس هذا القول بشيء اذ ليس كل زاير افضل من المزور حتى
يوصف بهذه الصفة وليس قولهم الزاير افضل من المزور عموما في كل زاير وقد ورد
في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ اى ذكر لفظ الزيارة في حقه
تبارك وتعالى فلم تكن كراهة مالك للاسم والاولى عندي ان كراهة مالك له اى
لان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاضافته الى القبر صلى الله عليه وسلم
اضافة نسبية لا نحو به لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا اى كوثن
من جواهر الارض كالحجارة يعبد بعدي اى بعد موتي اشتد غضب الله على قوم كالنصارى
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يسجدون لها كما يسجد للاوثان فحمى اضافة هذا
اللفظ اى لفظ الزيارة الى القبر والتشبه بفعل اولئك الذين اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد قطعا للذريعة التي يتوصل بها الى ما ذكر وحسما للباب اى سدا له والحسم
في الاصل القطع ومنه حديث عليكم بالصوم فانه محسمة للعرق اى مقطعة
للنكاح قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج وديدنه
المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم اذ قد ورد فيه
ان الصلاة فيه بمثابة الف صلاة والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
صلى الله عليه وسلم ومجلسه وملامس يديه وموطئ قدميه من اماكن مدينته
صلى الله عليه وسلم والعمود الذي كان يستند اليه في مسجده صلى الله عليه وسلم
والمكان الذي كان ينزل جبريل بالوحي فيه عليه والتبرك بمن عمره وقصده من
الصحابة وايمة المسلمين وحديث ابن ابي فديك رواه البيهقي من طريق ابن
ابي الدنيا وهو هنا غني عن البيان وفيه ولم تسقط له حاجة اى لم تترك مهملة
بلا قضا وحديث يزيد بن ابي سعيد رواه ابن ابي الدنيا ومن طريقه البيهقي
في الشعب عنه وفيه فاقراه اى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام وقال
غيره اى غير يزيد وهو حاتم بن وردان كما رواه البيهقي في الشعب كان اى
عمر بن عبد العزيز يبرد اليه البريد من الشام اى يوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم
القاصد من الشام ليقراه منه السلام هذا والبريد فارسي وهو في الاصل بريد
دم اريد به البغل المحذوف الذنب ليقال له البرد محذوفة الاذناب كالعلامة
لها فعربت ثم سمي بها راكبها هذا وبقية ما في هذا الفصل مما ورد من الاحاديث
وفعل الصحابة والتابعين وغيرهم زيارة له صلى الله عليه وسلم وسلاما
عليه وروى مالك وغيره وبين لا يفتقر الى تنبيه عليه وحديث نافع كان
ابن عمر رواه البيهقي وغيره وحديث روى ابن عمر رواه ابن سعد
عن عبد الرحمن بن عبد القاري انه راه واضعا يده على مقعد النبي صلى
الله عليه وسلم من المنبر وحديث ابي قسيط رواه ابن سعد وحديث
ما بين بيتي ومنبري روضة رواه بتمامه احمد عن جابر والبزار عن ابي
بكر والدارقطني عن عمر بلفظ قبري بدل بيتي وبدون الجملة الاخيرة البيهقي
عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ورواها احمد فقط احمد

وابو عوانة عن سهل بن سعد وهى ومنبرى على ترعه من ترع الجنة من الترعت
الماءاذا املاته وهى فى الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت فى مطمين
فهى روضة وعن العينى معناه ان الصلاة والذكر فى هذا الموضع يورثان الجنة
فكانه قطعة منها وحديث فاطمة كان اذا دخل المسجد رواه احمد والبيهقى فى الدعوات
وروايته حمد الله وسمى وصلى لم ادر من رواها ورواية بسم رواها الترمذى وابن
ماجة وحديث كان اذا دخل المسجد لم اقف عليه وحديث ابى هريرة رواه ابو
حبان وماجة وخزيمة والنسائى فى اليوم والليلة وحديث اللهم لا تجعل
قبرى وثنا يعبد رواه مرسلا مالك فى الموطا عن عطا بن يسار وعبد الرزاق
عن معمر عن زيد بن اسلم وحديث لا تجعلوا قبرى عيدا رواه ابن ابى شيبة ۝
موصولا عن على وسعيد بن منصور فى سننه مرسلا من طريقين وتقدم بيانه
فصــــل فيما يلزم من دخل مسجده صلى الله عليه وسلم من الادب والسكينة
والوقار وفى فضله اى فضل مسجده صلى الله عليه وسلم وفضل الصلاة فيه
وفى مسجد مكة وذكر فضله صلى الله عليه وسلم وفضل سكنى المدينة ومكة شرفهما
الله تعالى وقدم المدينة لانها عند مقلده مالك رضى الله عنه افضل من مكة
ولم يوافقه احد غير بعض اهل المدينة كما لم يوافقه احد فى قوله ان عمل اهل
المدينة حجة وهذا حديث اجمال على طريقة الجمع اورده مفصلا قال الله تعالى
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم من وضع اساسه احق ان تقوم فيه
اى هو اولى ان تصلى اماما النبى فيه يعنى مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة لما
روى كما فى مسلم عن ابى سعيد وعند احمد عن ابى بن كعب وسهل بن سعد انه صلى
الله عليه وسلم سئل اى مسجد هو فقال مسجدك هذا وهو قول من ذكر هنا من
الصحابة والتابعين وغيرهم وعن ابن عباس فيما رواه ابن ابى حاتم انه مسجد قبا
اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته بها من يوم
الاثنين الى يوم الجمعة وهو اوفق للقصة وقد اسند هذا من ادلة فضل مسجده
وغيره من طريق ابى داود وحديث لا تشد الرحال جمع راحله وهى البعير النجيب
التام الخلق الحسن المنظر القوى على الاحمال والاسفار يطلق على الذكر
والانثى والتاء فيه للمبالغة الا الى ثلاثة مساجد للزيارة لفضلها على غيرها
من المساجد جمع مسجد اسم لمكان السجود وهو وضع الجبهة على الارض ولا
خضوع اعظم منه المسجد الحرام بمكة الذى جعله الله للناس وهو افضلها
ومسجدى هذا بالمدينة وهو دون ما قبله فى الفضل والمسجد الاقصى
بايليا وهو دون ما قبله فيه وغيرها من المساجد فيه سوا وروى ابو داود
عن عبد الله بن عمرو بن العاص حديث كان اى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم اى الوذ بملاذ والجا الى ملجا مستجيرا به
وبوجهه الكريم اى ذاته اذ الوجه يعبر به عن الذات بشهادة كل شىء ۝
هالك الا وجهه اى ذاته وعن الجهة كما فى فاينما تولوا فثم وجه الله اى جهته
التى امركم بالتوجه اليها وعن الرضى كما فى الا ابتغا وجه ربه الاعلى اى رضاه

لامكافاة نعمته وسلطانه القديم على جميع خلايقه قهرا وغلبة من الشيطان الرجيم
اما من الشطن وهو البعد والحبل الطويل ان كانت نونه اصلية اى من
البعيد عن الحق والخير المتمادى فى الغواية والشر او من شاط يشيط
اذا هلك ان كانت زائدة اى من المهالك او من استشاط اذا احتد غضبا
والتهابا اى من الملتهب غضبا وقال مالك فيما رواه البخارى والنسائى
سمع عمر صوتا فى المسجد اى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا ان يؤتى
بصاحبه اليه فجى به اليه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال اى عمر له
لو كنت من هاتين القريتين لعلهما مكة والمدينة لظهور الدين بهما اذ ذاك لادبتك
ضربا ان مسجدنا هذا لا يرفع فيه الصوت وكذا جميع المساجد لا يجهر فيها بما
يشوش على اهلها ويشغل خاطرهم عن العبادة لاتفاق العلماء عليه بشهادة الجهر
فى حديث انما بنيت المساجد لذكر والعبادة وروى الشيخان حديث ابى
هريرة صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام اى الممنوع
من التعرض له بسوء وقتال فيه هذا وقد اختلف الناس فى هذا الاستثنا يعنى الا
المسجد الحرام على اى مع اختلافهم فى المفاضلة بين مكة والمدينة فى ايتهما افضل
فذهب مالك فى رواية اشهب بن عبد العزيز وجماعة من اصحابه اى اصحاب مالك
عنه الى ان معنى الحديث ان صلاة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل منها فى
سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فانها فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم
افضل منها فيه اى فى المسجد الحرام بدون الالف تاويل بعيد لبعده عن سنانه
الحقية لشهادة زيادة حديث ابن الزبير الاتى التى رواها عمر مستنده وهى
التى احتجوا بها له لنا وبلهم بما روى من قوله صلى الله عليه وسلم فى مسند الحميدى
عن عمر صلاة فى المسجد خير من مائة صلاة فيما سواه اى سوى المسجد الحرام فتاتى
فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه اى على المسجد الحرام بتسعمائة وعلى
غيره من المساجد بالف وهذا اى تفضيل مسجده صلى الله عليه وسلم على المسجد
الحرام مبنى على تفضيل المدينة على مكة وسواى تفضيلها عليها قول عمر ومالك واكثر
المدنيين من مدينته صلى الله عليه وسلم وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة بشهادة
حديث النسائى وابن ماجة والترمذى وحسنه وصححه عن عبد الله بن الحمرا
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحذورة فقال والله انك ۝
لخير ارض الله الى الله ولولا انى خرجت منك ما خرجت وهو اى تفضيل مكة على المدينة
وهو ما ذكره هنا من الايمة وغيرهم حكاه ابو يحيى زكريا الساجى عن الشافعى
وحملوا الاستثنا فى الحديث المتقدم اى حديث الشيخين عن ابى هريرة على ظاهره
من استثنا المسجد الحرام مما قبله اعنى سوى مسجده صلى الله عليه وسلم وان الصلاة
فى المسجد الحرام افضل منها فى مسجده اى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم واحتجوا
لتفضيل مكة على المدينة بحديث عبد الله بن الحمرا المتقدم وحديث احمد وابن حبان
والبيهقى باسناد حسن كما قال النووى عن عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله
عليه وسلم بمثل حديث ابى هريرة صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه

الا المسجد الحرام وفيه اى في حديث ابن الزبير وصلاة فى المسجد الحرام افضل من
الصلاة فى مسجدي هذا بماية صلاة اسقط منها المصنف الى صلاة اى بماية الف صلاة
اذ قد ورد كذلك عند احمد وابن ماجة عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة فى
مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد
الحرام افضل من ماية الف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا اروى ابو هريرة
صدره وعمر عجزه وروى قتادة مثله اى مثل حديث ابن الزبير فتاى فضل الصلاة
فى ساير المساجد بماية الف ولا خلاف بين علما الامصار ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم
افضل بقاع الارض لشرف قدره وكرمه عند ربه قال الباجى الذى يقتضيه الحديث
الوارد فى فضل مسجديهما مخالفة مسجد مكة لساير المساجد ومن جملتها مسجده صلى
الله عليه وسلم بشهادة حمل لا سننشا فى حديث ابى هريرة على ظاهره وحديث
عمر صلاة فى المسجد الحرام خير من ماية صلاة فيما سواه وكفاك بهما شاهدا
صدق بفضل مكة مسجد مكة على سايرها عموما ولا يعلم منه حكمهما اى حكم مكة مع
المدينة فى ايتهما فضل الاخرى وذهب الطحاوى من الحنفية الى ان هذا التفضيل الوارد
فى الصلاة بمكة والمدينة انما هو فى صلاة الفرض وقصر المقام على بعض افراده بلا مرجح
يوذن به الا ان يعتبر الوصف بالفرضية مرجحا وذهب مطرف من اصحابنا اى المالكية
الى ان ذلك اى التفضيل الوارد فى الصلاة فيهما فى النافلة منضمة الى الفريضة
ايضا اخذا بظاهر عموم الحديث قال اى الطحاوى او مطرف فى تفضيل الصلاة والصوم
فيهما وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وهذا اشارة اليها قد ذكر عبد
الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها من البلاد حديثا نحوه اى نحو ما ذكر قبله
رواه الطبرانى عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير
من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم وروى الشيخان عن ابى هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة تقدم ان الروضة
هى المكان المطمئن من الارض متسع الماء اذا ابو سعيد فى رواية المطا كرواية ابى
هريرة هنا ومنبرى على حوضى تمثيل وتصوير لكونه عليه بمعنى ان الذكر والعبادة
عنده يورثان الرى من حوضه يوم العطش من هول يوم القيامة وفى حديث اخر
تقدم قريبا منبرى على ترعة من ترع الجنة هذا وقد ذكرهما عن ابى جعفر محمد بن جرير
الطبرى وغيره من معنى الحديثين ما لا مزيد عليه وروى الشيخان عن ابى اوفى الجنة
تحت ظلال السيوف كناية عن الدنو فى الجهاد فكانه يرفع سيفه للضرب فى الجنة تحت
ظله او عن انه سبب لدخولها والظل ما حجز بينك وبين الشمس وقيل ما كان
منه من زوالها وما كان منه بعده فهو فى وفى شعر العباس المادح به النبى صلى
الله عليه وسلم * من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق *
اى من قبل حالة هبوطك فى صلب ادم الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر
لعلمه وهاهنا بدا ظلال الجنة اى كنت طيبا فى صلبه حيث كان فى الجنة وروى ابن عمر
فيما رواه مسلم لا يصبر على لاوايها اى المدينة وشدتها تفسير لما قبلها بالواو وعطفها
ايما لتغايرهما وتكريرها القطاعتها بتزايدها فيها اى على ضيق عيشها احد

الا كنت له شهيدا مبالغة فى فاعل اى فاجل بما اهداله بما اعلم من صبره عليها او شفيعا
مبالغة فيه ايضا اى شافعا له من اهواله يوم القيامة واو هنا ليست للشك اذ قد رواه
جماعة كذا ويبعد اتفاقهم عليه كسعد بن ابى وقاص وابن عمر وجابر وابى سعيد وابى
هريرة واسما بنت عميس وصفية بنت ابى عبيد من التابعيات فهو صلى الله عليه وسلم
اما ان يكون اورده هكذا او هى كما قال النووى للتقسيم فيكون شهيدا لبعض شفيعا
لباقيهم او شهيدا لمطيعهم شفيعا لعصاتهم او شهيدا لمن مات فى حياته شفيعا لمن
مات بعده وهذه خصوصية زائدة على شهادته فى القيامة على جميع الامم
وعلى شفاعته للمذنبين وغيرهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فى قتلى احد انا
شهيد على هؤلاء او هى بمعنى الواو فيكون شهيدا وشفيعا لاهلها مزية وحظوة
لهم ورفعة لمنزلتهم وقال اى النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان
عن سفيان بن ابى زهير فيمن تحمل عن المدينة اى رفع حمله وامتعته ونحوها
عنها الى غيرها والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لوهنا امتناعية جوابها محذوف اى
لو يعلمون خير بيتها لما فارقوها ولو كانوا من اهل العلم لعرفوا خير يتها
وتذكروا عهود الحمى وحنوا الى الالف المالوف فما نفوه فلم يرضوا بفراقه فلزموه
لاجله تنزيلا للفعل منزلة اللازم وقد يتمنى لمنا سبتهما للبيت من حيث انه
يعرض بما غير الواقع واتفقا لما يطلب بليت ما لا طماعية فى وقوعه وروى الشيخان
عن جابر انما المدينة كالكير اى كير الحداد وهى ما بنى من الطين او هو الزق الذى
ينفخ النار به والكور البنا يجوز ان تكون الواو منقلبة يا وفرق بينهما بضم
الكاف وكسرها وهما من الكور اى الزيادة ضد الحور اى النقص لان كله نفخة
تزيد الذبح وتنقصه وفى الحديث اللهم انى اعوذ بك من الحور بعد الكور
تنفى اى المدينة خبثها بالنصب على المفعولية وينصع طيبها نصا ومهملة
وطا مفتوحة فمثناة تحتية مشددة بالرفع على الفاعلية شبه المدينة بالكير بجامع
انه يميز بناره بين طيب الجواهر المعدنية وخبيثها وهى تميز خبيثها بلا وايها
وجهدها شرارها المشبهة بخبث الجواهر وتزكى وتخلص خيارها المشبهة
بطيبها اذ هى ازكى واخلص وروى مسلم عن جابر لا يخرج احد من المدينة رغبة
مفعول من اجله للخروج اعراضا عنها حرصا على مرغوب فيه فى غيرها وعن ابى
الدرداء بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب اى فاسد الراى واسع
الشهوة ولا الامل وطلب التكثير الا ابدلها الله خيرا منه راغبا فى سكناها غير
متحول عنها وفيه تلويح بتندم من فارقها مؤثرا غيرها عليها لتفويته على
نفسه خيرا كثيرا وروى كما فى سنن البيهقى ورواه الدارقطنى عن عايشة
بسند ضعيف من مات باحد الحرمين اى حرم مكة والمدينة سمى حرما لتحريم الله
فيه كثيرا مما لم يحرمه فى غيره من المواضع حاجا او معتمرا حال من ضمير مات اى
محرما بحج او عمرة بعثه الله بعد موته حيا يوم القيامة لا حساب عليه ولا عقاب
وفى طريق اخر للبيهقى فى الشعب عن عمر والطبرانى عن جابر وسلمان بعث اى
احيى بعد موته من الامنين يوم القيامة وروى الترمذى وصححه وابن ماجة وصح

عن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها تحريض على لزومها لها والاقامة
بها ليتاتى له ان يموت بها اطلاقا للمسبب على سببه كما فى ولا تموتن الا وانتم
مسلمون وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس اى جعله الله لهم متعبدا وقبلة
يعبدونه فيه ويتوجهون فى عباداتهم اليه للذى ببكة لغة فيها اذ الباء والميم
يتعاقبان اذ من مكة اذا دقه لانها تدق اعناق الجبابرة او اذا زحمه لان الناس
يبك بعضهم بعضا فى الطواف اى يزحم ويدفع روى انه صلى الله عليه وسلم عن
اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما
فقال اربعون سنة مباركا حال من المستكن فى الظرف قبله اى كثير النفع
لمن حجه واعتمره وطاف حوله وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم فيه ايات
بينات اى ظاهرة الدلالة قوية البرهان على قدرة الله ونبوة ابراهيم من
تاثير قدمه فى حجر صلد قام عليه ليرفع الحجارة لبناء البيت فغاصت قدمه
فيه هو مقام ابراهيم مبتدا حذف خبره اى منها مقامه او بدل من ايات بدل البعض
من الكل او عطف بيان لاعلامه تعالى بان اثر قدمه صلى الله عليه وسلم فيه اية
وغوصها فيه الى الكعبين اية او شرطية معطوفة على مقام افادت امن داخله
اي ومنها ان من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله
فذكر منها اثنين فى الدنيا والامن من العذاب فى الاخرة وطوى ذكر غيرهما من
الايات لدلالتهما على تكاثرها قال بعض المفسرين امنا من النار لشموله عمومه
قوله صلى الله عليه وسلم من مات باحد الحرمين بعث يوم القيامة امنا وقوله
يبعث الله من هذا الحرام سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وقوله
الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة
وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا والتجا اليه استند معتصما به فى الجاهلية
اذ كان الرجل يمنى وجنى فيها جناية ثم التجا اليه لم يمس بسوء حتى يخرج منه وعن
ابى حنيفة من لزمه قتل ثم التجا الى الحرم لا يتعرض له ولا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى
ولا يعامل حتى يضطر الى الخروج وهذا اى قوله من دخله كان امنا مثل قوله واذ جعلنا
البيت اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس اى مرجعا يثوبون اليه
لزيارته وامنا اى موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حجه من عذاب الاخرة وحكى ان قوما اتوا
سعدون الخولانى بالمنستير بوزن بميم مضمومة فنون مفتوحة فمهملة ساكنة
فتحتية ساكنة فراء مكان بالقيروان فاعلموه ان كتامة بكاف مضمومة ففوقية
وميم خفيفتين بينهما الف قبيلة من البربر قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول
الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقى ابيض البدن فقال سعدون لعله اى المقتول حج ثلاث
حجج قالوا نعم اى حج ثلاث حجج قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه الذى فرض عليه
بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن حج ثانية
داين ربه اى الطاعة وعبده ومن حج ثالثة حرم الله شعره وبشره على النار وروى
الطبرانى فى الاوسط معاجمه عن جابر لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة

اى ظاهر جلية

يوم

يوم الفتح او وقت هجرته الى المدينة او فى حجة الوداع قال مرحبا بك من بيت اى لقيت
رحبا وسعة او رحب الله بك ما اعظمك واعظم حرمتك قدرا فلا يحل انتهاكها
وقد روينا فى رسالة الحسن البصرى الى اهل مكة ان الدعا يستجاب فى حرمها وعند
البيت والركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وفى الصفا والمروة وكثير من تلك
مواطنهما وروينا ايضا من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر صدوره منه وحشر يوم القيامة من الامنين من اهوالها وعذابها وقد
اسند هنا حديث ابن عباس ما دعى احد بشى فى هذا الملتزم الا استجيب له مسلسلا
ربا لسماع وروى سعيد بن منصور والبيهقى فى سننهما من طريق ابى الزبير
عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسال الله احد فيه شيئا الا اعطاه قال
ابو الزبير وقد دعوت الله مرة هناك فاستجاب لى

القسم الثالث من الكتاب

فيما يجب له صلى الله عليه وسلم مما يليق بكريم ذاته وعظيم صفاته وما يستحيل اتصافه
بما لا يليق بكنف جنابه الشريف وساحة مقامه المنيف او يجوز عليه مما لا يخل
برفيع منصبه ومنيع رتبته او يمتنع عليه او يصح له صلى الله عليه وسلم
من الاحوال البشرية بيان لما يجب له او يستحيل او يجوز او يمتنع او يصح الا يضاف
اليه صلى الله عليه وسلم وهذا حديث اجمالى يرد عليك ان شا الله تفصيله قال
تعالى وما محمد الا رسول اخرج لا على مقتضى ظاهر حال اصحابه صلى الله عليه وسلم
من استعظامهم عدم بقائه لهم فانه لما اذن بتنزيلهم منزلة مستبعدى موته وتقييده
وصفه بالرسالة والبعد عن الموت رد عليهم بانه مقصور قصر افراد على الرسالة
لا يتجاوزها الى علي بعده عن الموت هذا ولا ريب فى ان دعواهم بعده عنه وتنزيلهم
منزلة مستبعديه اليق من دعواهم التبرى من موته وتنزيلهم منزلة منكريه
وان زعم قد خلت من قبله الرسل وسيخلو صلى الله عليه وسلم كما خلوا قبله افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار توبيخى لا تكذيبى والفا معلقة للجملة الشرطية
بعدها بالجملة قبلها على معنى التسبب والهمزة لانكار جعلهم خلو الرسل قبله سببا
لانقلابهم على اعقابهم بعد خلوه بموت او قتل اى لم انقلبتم على اعقابكم حين كسر
ابن قمية باحد ثنيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه ثم اراد قتله فحماه مصعب
ابن عمير صاحب راية بدر واحد فقتله ثم قال قتلت محمدا ان النبى يقول
الى عباد الله فانحاز اليه رجال مع علمكم ببقاء اديان الرسل بعد خلوهم متمسكا
بها بعدهم فعليكم ان تجعلوه سببا للتمسك بدينكم بعد خلو نبيكم لا سببا
لانقلابكم لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده
بين ظهرانى قومه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بانقلابه عليهما بل يضر
نفسه وسيجزى الله الشاكرين لشكرهم نعمة الاسلام بثباتهم عليه كانس بن النضر
عم انس بن مالك بن النضر فانه لما قيل له الا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان
كان محمد قد قتل فان ربه حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده قاتلوا على ما قاتل

ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرا منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل
وكان النصارى الذي رآه مما جرى يتشحط في دمه قال له اشعرت ان محمدا قد قتل فقال
ان كان قتل فقد قاتلوا على دينكم وقالت ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من
قبله الرسل اى هو مقصور على الرسالة قصر قلب لما في ذهن من اعتقد الالهية ٥
لا يتجاوزها الى كونه الها فهو كمن قبله خصه الله بايات كما خصهم بايات فانه كما احيى
الموتى على يديه فقد احيى على يدى موسى العصى حية تسعى وهو اعجب وكما خلقه من غير اب
فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة اى مقصورة على الصديقية
قلبا لما في ذهن من يعتقد الهيتهما تحطا لها اليهما فهى من نسا يلازمن الصدق او يصدقن
الانبيا وهذا ان غايتهما انهما مسعودان لهما عن الالهية كغيرهما ممن يشاركهما في اشالهما
من الناس كانا ياكلان الطعام منافيا في الربوبية ويودن بكونهما من اجسام
مركبة كاينة ثم تموت انظر كيف نبين لهم الايات تعجيب ممن ادعى لهما الربوبية مع
ما تبينه من اعلام الادلة على بطلانها ثم انظر انى يؤفكون اى كيف يصرفون عن ٥
استماع الحق وتدبره وحى بثم لما بين العجبين من التفاوت فان بيانه للايات
عجيب واعراضهم عنها اعجب وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ما بعد
الا صفة لمحذوف حذف لدلالة المجرور عليه واقيمت هي مقامه اى ما ارسلنا احدا
منهم الا انه شانهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اى الا اكلين وماشين وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ان فيه لتاكيد اثبات المسند للمسند اليه
المتصل بما انا المؤكدة لا النافية وان زعم فنقاعه تاكيدها تضمنت معنى ٥
القصر اذ قصرا لصفة على موصوفها وعكسه ليس الا تاكيدا للحكم على تاكيد اى انا
بشر مثلكم متميزت عنكم بانه يوحى لى بان ما لكم آله الا آله واحد فانما يوحى الى من قصرها
عليه بمنزلة انما يقوم زيد اى لا غيره وانما الهكم آله واحد من قصره عليها بمنزلة
انما زيد قايم فاجتماعهما مؤذن بان الوحى اليه مقصور على انه تعالى مستاثر بالوحدانية
لمحمد وسائر الانبيا صلى الله عليهم وسلم اى با فيهم من عطف العام على الخاص من حيث
اشتراك الفريقين في وصفهم بالنبوة لان من عطفه عليه اصطلاحا اذ شرط فيه ان
يكون المعطوف عليه بعضا من المعطوف وقدم لفضله من البشر اى من بنى آدم ونسبه
آدم ابو البشر سموا بشرا لظهور جلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد جمعها ابشار ارسلوا الى
البشر ولولا ذلك اى لولا ان الله تعالى ارسلهم بشرا الى بشر مثلهم ولو كانوا ملايكة
لما اطاق الناس مقاومتهم لضعف البنية البشرية وقوة الملكية اذ قد ورد ان جبريل
قلع قرى قوم لوط من اصولها على جناحه ثم قلبها اى جعل عاليها سافلها وصاح
بثمود صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى صلى الله عليه وسلم
على عقبة بالارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة فالقاه على اقصى جبل في الهند
ولما اطاقوا القبول عنهم في تبليغهم ما ارسلوا به اليهم ولما اطاقوا مخالطتهم حال
مكالمتهم لهم قال تعالى ولو جعلناه اى الرسول الذي تقترحونه ملكا اذ قالوا لولا انزل
عليه ملك لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل ولو جعلناه ملكا في صورته ٥
للبسنا عليهم ما يلبسون اى لما كان الا في صورة البشر الذين تمكنهم مخاطبتهم كما كان

جبريل ياتيه صلى الله عليه وسلم في صورة دحية اذ القوى البشرية لا يطيقون ٥
مقاومة الملك ومخاطبته ولا يقوون على رؤيته اذا كان على صورته ولو جعلناه في صورة
رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم اذا راوه في صورته قالوا انما هو الا
بشر مثلكم فيكذبونه كما يكذبون محمدا وقال قل جواب لقولهم ابعث الله بشرا رسولا
انكارا منهم ان يرسل الله بشرا لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين كما تمشى بنوا
آدم ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اى لا يمكن في سنة الله ارسال الملك
الا لمن هو من جنسه لتمكنه من مخالطته وتلقيه منه او ارسالا الى من خصه الله واعطاه
وقواه على مقاومته اى مقاومة الملك من الانس كالانبيا والرسل فيقومون بدعوتهم
وارشادهم اذ عامة البشر عماة عن ادراك الملك والتلقى عنه فانه مشروط بنوع ٥
تناسب وتجانس فالانبيا والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وسايط بين الله تبارك
وتعالى وبين خلقه ساعين بما يصلحهم مما ارسلهم به اليهم يبلغون اوامره ليمتثلوها
ويعملوا بما موراتها ونواهيه ليجتنبوا منهيا تها ووعده لهم على ما ذكر امتثالا واجتنابا
اجرا جزيلا ووعيده لهم على ما ذكر بخلافه وانبيا وافعاله على ما سبق به قضاوه من ايجاد
وابقا واعدام ومغفرة ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع اخرين وما لم يعلموه من خلقه
اى ايجاده عباده من غير احتياج منه اليهم منهم البر والفاجر وجلاله اى عظمته من
كمال وشرف لحيازته جهات التنزيه والتقديس والغنى المطلق وسلطانه وجبروته
وملكوته المؤذنة بكونه تعالى بالوصف الذي يحق له العز والقهر والغلبة والحكم والتصرف
في ملكه لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه فظواهرهم اى الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
واجسادهم وبنيتهم اى ابدانهم المركبة بخلقه تعالى لها مركبة وكانت الكعبة تدعى بنية
ابراهيم لانه بناها متصفة باوصاف البشر طارية عليها ما يطرا على البشر
من حسن وسبى من الاسقام جمع سقم وسقم مما يعتراه من نكب ونوايب والموت وهو
عدم الحياة عما من شانه او هو ضدها بشهادة خلق الموت والحياة فهما وجوديان
وروبان خلق بمعنى قدر فهو عدمى وعليه اكثر اهل السنة من المتكلمين وغيرهم وفي
الحديث الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا اى بعد نومنا فسماه موتا لزوال العقل
والحركة تشبيها له به ومن ثم اطلقوه بحسب انواع الحياة على انواع عدم القوة
العاقلة كما في او من كان ميتا فاحييناه وعلى زوال القوة الحسية كما في يا ليتنى مت
قبل هذا وعلى ما هو بان القوة النامية في الحيوان والنبات كما في يحيى الارض بعد موتها
وعلى الحزن والخوف المكدر للحياة كما في ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وقد
قيل المنام هو الموت الخفيف والموت هو النوم الثقيل وقد يستعار الموت للاحوال
الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم
ان هامان مات ثم رآه فسال ربه فقال له الم تعلم ان قد فقدته وفي الحديث
اول من مات ابليس لانه اول من عصى الله والفنا المفرق للاعضا المفتت لها وما
يطرا عليه من نعوت الانسانية جمع نعت وهو الوصف بما يصيبه ولا يقال في غيره
وازواجهم صلوات الله وسلامه عليهم وبواطنهم متصفة باوصاف اعلى من اوصاف
البشر من الفضايل النفسية والتبرى من العلايق الجسمية متعلقة بالملا الاعلى اي

الى الملائكة وفى حديث عائشة صلى الله عليه وسلم عند وفاته اللهم الرفيق الاعلى متشبهة
بصفات الملائكة مما اوتوه من قواهم الملكية بشهادة حديث البخارى انه اعطى قوة ثلاثين
رجلا سليمة من التغير انتقالا من حال الى اسوا والافات مما يورثهم امرا وهما ويرهقهم
عسرا لا يلحقها اى لا يلحق ارواحهم وبواطنهم غالبا عجز البشرية لظواهرهم وظواهر غيرهم
وبواطنهم لما اطاقوا الاخذ وتلقى الوحى عن الملائكة ولا اطاقوا رؤيتهم ومخاطبتهم
مفاعلة من الخطاب اى مكالمتهم ومخالتهم بميم مضمومة ولام مشددة ماخوذة من الخلة بالضم
وهى الصداقة والمحبة التى تخلل القلب فتصير خلاله اى فى باطنه والخليل الصديق
فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول وفى الحديث انى ابرا الى كل ذى خلة من خلته
لقصر خلته صلى الله عليه وسلم على حب ربه تبارك وتعالى ولا متسع فيها لغيره من
محاب الدنيا والاخرة وهى حالة شريفة لا تنال بكسب واجتهاد بل بمحض الله تعالى بها
من يشاء من عباده ومن قال الخليل من الخلة بالفتح وهى الحاجة والفقر اراد انى ابرا
من الاعتماد والافتقار الى غير الله وفى رواية انى ابرا الى كل ذى خل من خله بالفتح والكسر
فيهما بمعنى الخلة والخليل وقد تطلق الخلة عليه فيستوى فيه المذكر والمؤنث لانه فى الاصل
مصدر ويقال خليل بين الخلة والخلولة لما لا يطيقه اى الاخذ وما بعده غيرهم اى غير
الانبياء من البشر ولو كانت اجسامهم صلوات الله وسلامه عليهم وظواهرهم متسمة
اى موصوفة بنعوت الملائكة اى بصفاتهم الحسنة وبصفات البشر لما اطاق البشر
ومن ارسلوا اليه مخاطبتهم كما تقدم من قول الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ۞
قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا فجعلوا
صلوات الله وسلامه عليهم من جهة الاجسام والظواهر جمع ظاهر من الظهور وهو ما يدرك
بالابصار مع البشر وجعلوا من جهة الارواح جمع روح وهى هنا ما به قوام البدن وحياته
والبواطن جمع باطن وهو ما يدرك بالبصائر مع الملائكة على طرائقهم ونعوتهم كما قال
صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وغيره اى من حيث انه ليس من البشر لو كنت متخذا
من امتى خليلا اخصه بمزيد الاكرام واعتمده اذا طرا المهام لاتخذت ابا بكر خليلا بل
الذى خلته مقصورة عليه حبا ليس فيها متسع لغيره من محاب الدنيا والاخرة هو
ربى او هو الذى الجا فى امورى اليه واعتمد فى احوالى عليه لا غيره لكن ليس بينى
وبين ابى بكر خلة بل اخوة الاسلام بيننا مشتركين فيها فهو استثنا من فحوى الشرطية
اذ ان نفى الخلة واثبات الاخا المقتضى للمساواة فى الاسلام لكن صاحبكم يريد نفسه
صلى الله عليه وسلم مخاطبا للحاضرين من اصحابه وليس بتجريد وان زعم اذ لا معنى ۞
للتجريد فيه خليل الرحمن اما من التخلل لامتزاج تخلل حبه صلى الله عليه وسلم ربه
تعالى شغاف قلبه واستيلائه عليه او من الخلة بالفتح اما بمعنى انه لما كان لا يفتقر الا
الى الله ولا يعتمد الا عليه او بمعنى انه تخلق بخلال حسنة خص بها وكما قال صلى الله عليه
وسلم من حيث انه ليس من البشر تنام عيناى ولا ينام قلبى وكذا جميع الانبيا تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم لتعلق ارواحهم بالملا الاعلى وقال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وابى هريرة وانس وعائشة جوابا لقولهم انك
تواصل انى لست كهيئتكم انى اظل اى اصير او ادوم يطعمنى ربى ويسقينى اما باضافته

تعالى

تعالى عليه بما يقوم مقام طعامه وشرابه يدفع عنه مس الجوع والعطش ويقوى به
على الطاعة ويحفظه مما يفضى به الى كلال القوى وضعف الاعضا او يرزقه من الجنة
ليالى صيامه كما ورد انه صلى الله عليه وسلم يبيت يلتوى من الجوع ثم يصبح شبعانا او
طاعما من طعام الجنة والاول اوجه لا يقال ان نفى مثلية الهيئة بالتوبيخ لهم على ارادتهم
الوصال لمثله مع الثابت يذكر بما يدل على اعانته عليه دونهم اى انى لست مثلكم لا اعان
على الوصال بل اعان عليه لا انتم فلا تواصلوا فلما لم ينتهوا واصل بهم يومين او ثلاثة
ثم راوا الهلال فقال لو تاخر لزدتكم كالمنكل لهم هذا ويطعمنى ويسقينى خبر اظل ان كانت
ناقصة وحال من اسمها مسد احلتان ان كانت تامة اى انى اظل مطعما مسقى فقواهم
صلوات الله وسلامه عليهم منزهة عن الافات المخلة بقواهم ونفوسهم الملكية مطهرة
من النقائص والاعتلالات المقصورة على ظواهر الاجسام الحيوانية وهذه اشارة الى
ما ذكره مما خصوا به جملة لمن يكتفى بمضمون ما كل ذى همة بل الاكثر من ذوى الهمم
العوالى يحتاج الى بسط للكلام فى احوالهم وتفصيل على ما ناتى به بعد هذا فى البابين بمعونة
منه وتوفيق وهداية الى اقوم طريق الباب الاول فيما يختص بالامور
الدينية اى الماخوذة من الدين المبعوث به الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم والكلام
فى عصمة نبينا وسائر الانبيا اى باقيهم اعلم خطاب بصيغة الامر لكل من يتاتى توجيهه
اليه ولم يرد به معينا سد مسد مفعوليه جملة ان الطوارى الواردة تجاه ابان مجيئهما
من التغييرات والافات على احاد البشر جمع احد من الوحدة ابدلت واوه همزة لا يخلو اما ان
تطرا على جسمه او على حواسه جمع حاسة وهى ما يفيد العلم من مشاعره من بصر وسمع وشم
وذوق ولمس بغير قصد واختيار منه بل يخلق الله تعالى لهما فيه كالامراض والاسقام
جمع سقم من عطف المسبب على سببه او تطرا بقصد واختيار وكله اى ما يطرا بغير
اختيار وباختيار فى الحقيقة عمل وفعل لكن جرى رسم المشايخ بتفصيلها الى ثلاثة انواع
باعتبار مواردها عقد بالقلب اى جزم به بالشى وملازمته وفى حديث الدعا لك من ۞
قلوبنا عقدة الندم اى العزم على الندامة وهو تحقيق التوبة وقول باللسان وعمل
بالجوارح به اى الاعضا سميت جوارح لاجتراح الاعمال بها اى اكتسابها وجميع البشر
تطرا عليهم الافات والتغييرات اى الحالات المختلفة بالانتقال من حال الى حال من
نعم وبوس وملك وهلك ونصر وقهر وغير ذلك مما يشاهم بالاختيار وبغيره فى هذه
الوجوه كلها والنبى لم يرد به نبيا معينا لاستوائهم فى ذكر وللام عهدية ذهنا فهو كالنكرة
يعامل معاملتها لقربه منها وان كان من البشر ويجوز على جبلته اى طبيعته وخلقته
ما يجوز على جبلة البشر وقد قامت البراهين القطعية جمع برهان وهو الحجة والدليل
على صحة النبى ونبوته وفى الحديث والصدقة برهان اى حجة لمجازاة فاعلها
بالاجر عليها او دليل على صحة ايمانه لبذله لها امتثالا لطيب نفسه مع رغبتها فى
المال وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم اى خروج النبى عن البشر وتنزيهه عن الافات
التى تقع على الاختيار لعصمة الله لهم منها وعلى غير الاختيار لكرامتهم على الله تعالى
فصل فى حكم عقد قلب النبى اى جزمه بما ثبت عنده من وقت نبوته اى
اظهارها بارساله او بالوحى اليه اعلم يا من يتاتى توجيه الخطاب اليه منحنا

الله وإياك لتوفيقه اعتراض طلبي بين فعل الامر ومعموله افاد طلب التوفيق منه تعالى ۝
لما اي اعطاناه بجملته فينا ان ما تعلق اي قلب النبي منه ما موصولة حرفي صلته ما بعد ۝
وعائده ضمير منه اي ان الذي تعلق قلبه منه ما هو بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته
ثبوتية وسلبية وفعلية واضافية والايمان به بانه تعالى واحد اوجد العالم من غير احتياج
اليه ومما مسه من لغوب وربما اوحى اليه ليبلغه او يعمل به فعل غاية المعرفة بجزئياته ووضوح
العلم واليقين بجلياته وعلى غاية الانتفاء من جهل شيء من ذلك اي مما ذكر من العلم به تعالى
وما بعده او الشك او الريب فيه وعلى غاية العصمة من كل ما يضاده المعرفة لذلك واليقين
به اي لم يعتر قلبه شيء مما هو على غاية الانتفاء مما هو على غاية اليقين والثبوت مما
ذكر ولتمسكه بذلك وتمكنه منه شبهت حاله بحال من اعتل شيئا وركبه تمثيلا افادة
استقراره بغاية لا يتمطى غاربها سواه هذا اي ما تلي عليك ما وقع اجماع المسلمين
عليه ولم يحتج احد منهم الى غيره ولا يصح بالبراهين الواضحة اي البينة التي لم يسمها حقا
ان يكون من عقود الانبيا سواه ولا يعترض على هذا اي على قولنا ما وقع الاجماع عليه
ولا يصح سواه بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ كان لا اثبت
ايمانا واتم يقينا ولم يشك في اخبار الله له باحيا الموتى المفاد بقوله او لم تؤمن اي اما
امنت والهمزة للتقرير حملا له على الاقرار بايجاب الله ما بعد النفي الموضوع له بلى اي
امنت ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة بسكون قلبه بما بمشاهدة الاحيا فحصل
له العلم الاول وهو قوله تعالى يحيي الموتى بوقوعه اي بوقوع احيائه تعالى الطير الاربعة
واراد العلم الثاني الحاصل به الطمانينة بكيفيته ومشاهدته فهو علم ضروري لا مجال فيه
للتشكيك فيكون اعون على حصول الطمانينة الوجه الثاني ان ابراهيم انما
اراد اختبار منزلته اي هي موجودة في الخارج عند ربه واراد علم اجابته تعالى له
دعوته صلى الله عليه وسلم بسؤاله ذلك من ربه بطلبه منه ان يريه كيف يحيي ۝
الموتى باعادة التركيب والحياة ويكون قوله او لم تؤمن اي الم تصدق فهو استفهام
انكار لنفي الايمان افاد اثبات الايمان على وجه برهاني اذ نفي النفي اثبات
اي صدق بمنزلتك مني انافة وشرفا وخلتك واصطفائي اعظاما وكرما ۝
الوجه الثالث انه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم سال زيادة يقين
لقبوله لها قوة وضعفا على ما حررنا في شرح كتابنا مقاصد المقاصد وقوة
طمانينة ليزداد قلبه سكونا وطمانينة بعلم ضروري من مشاهدة كيفية
الاحيا وان لم يكن في يقينه الاول النظري اي الخبري شك اذ العلوم الضرورية
مما لا يستفاد بنظر وكسب والنظرية مما يستفاد به ما قد تتفاضل في قوتها
لانها كيفيات نفسية يعتريها التفاوت بحسب مراتبها من اجل الضروريات
كالعلم بان الواحد نصف الاثنين وبطلوع الشمس الى اخفى النظريات كالعلم
بحدوث العالم وبعدم متانفه وبمضامة الضروري الى النظري بتظاهرات
في زيادة الطمانينة اذ تظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد لليقين وطريان
الشكوك على الضروريات من حيث ذاتها ممتنع ويجوز طريانها وجريانها في
النظريات اذ قد يلم بطريقها وهم لعنادها لمادته او صورته فاراد اي ابراهيم

صلى

صلى الله عليه وسلم الانتقال من النظر والخبر الصادق الى علم اليقين الحاصل
بالمشاهدة لقوته فليس الخبر كالمعاينة لافادتها يقينا لا يعتريه ريب بخلافه وهذا
اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس ليس الخبر
كالمعاينة ان الله عز وجل اخبر موسى صلى الله عليه وسلم بما صنع قومه في العجل
فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا اي من اتخاذهم له الها القاها فانكسرت ولهذا
اي ولكونه ليس كمثل علمه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم كشف غطاء العيان
ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله وبصره في شانه شبه العيان على طريقة الاستعارة
المكنية بمحجب تحت غطاء اثبته له تخييلا وذكر الكشف ترشيح الوجه الرابع
انه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما احتج على المشركين من قومه نمرود وعتاته
بان ربه يحيي ويميت المؤذن به قوله تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت بشهادة تعريف الجزء بتقدير ضمير الفصل قبل الذي طلب ذلك جواب
لما اي سال من ربه ان يريه كيفية احيا الموتى ليصح احتجاجه عليهم ويتجاهم الحق ۝
بيانا فيندمغ شبههم فاذا هي زاهقة الوجه الخامس هو اي قوله رب ارني
كيف تحيي الموتى سؤال وارد على طريق الادب ليتبح المراد الذي رغب في حصوله
ليتم احتجاجه به على تكذيبه فكني به عن اقدرني على احيا الموتى منه لتوبيخا بفرط عتوهم
وقوة شكيمتهم باباهم عن طاعته ورغبة منه صلى الله عليه وسلم في اظهار الحق ۝
بمعاينتهم للاحيا منه لتوبيخهم وتعريفا وتبكيتا وتشنيعا وقوله ليطمئن قلبي
اي من هذه الامنية اي التي هي الاقدار على احيائهم فلا بد عين الاطلبها بعد
الوجه السادس انه صلى الله عليه وسلم ارى اي اظهر لغيره ۝
من نفسه الشك وما شك لتنزيه ساحته جنابه الكريم عن الشك ولكن فعل
ذلك ليجاوب بالبنا للمفعول تادبا اي ليجيبه ربه فازداد قربه بمعرفة منزلته
عند ربه اذ المجاوبة تؤذن بالاعتنا وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن
احق بالشك من ابراهيم صلى الله عليه وسلم ليس اعترافا منه بالشك لهما صلى
الله عليهما وسلم بل هو نفي له عنه لان يكون ابراهيم صلى الله عليه وسلم شك
وزجر وتنفير وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم صلى الله عليه وسلم
اذ مذوره انه لما نزل واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى سمع قوم ذلك
فقالوا شك ابراهيم ولم يشك نبينا اي نحن موقنون بالبعث واحيا الله الموتى
لم نشك ولم ترتب في قدرته على ذلك فلو شك ابراهيم صلى الله عليه وسلم لكنا
اولى بالشك منه فهو صلى الله عليه وسلم انما ان يكون قال نحن احق بالشك ۝
من ابراهيم على طريق الادب معه او ان يريد به امته الذين يجوز عليهم الشك
لفقد عصمتهم او على طريق التواضع والاشفاق اذ حملت قصة ابراهيم على الوجه
الثاني في اختبار حاله ليعلم منزلته وقربه من ربه لما في الاختيار من معنى
العلم اذ هو طريق اليه لملابسته له كما ان النظر والاستماع من طرقه في مثل انظر
ايهم احسن وجها واسمع ايهم اطيب واذى صوتا وان حملت قصته على زيادة
يقينه ليزداد طمانينة بعين اليقين فان قلت خطاب لمن يمكن توجيهه

اليه او على وجه التجريد من نفسه من استشعر منه اعتراضا على نفيه الشك عنهما
صلى الله عليهما وسلم بما يثبته على سبيل الفرض لنبينا صلى الله عليه وسلم بقوله فما
معنى قوله فان كنت في شك مما يورث قلقا واضطرابا فيما انزلنا اليك مما تطمئن
له وتسكن اليه فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانهم محيطون علما بصحة
ما انزلنا اليك تلويحا بان المراد وصفهم بالرسوخ في العلم به لا وصفه صلى الله عليه وسلم
بالشك فيه لقد جاءك الحق من ربك واضحا بالادلة العقلية النافية لمدخلية الشك
فيه فلا تكونن من الممترين فيما انت عليه من اليقين والجزم ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله زيادة تنبيه وتهييج له صلى الله عليه وسلم على دوام ما هو عليه من
اليقين وانتفاء الشك فاخذ رسمت الله قلبك اعتراض دعاء بين الامر بالحذر من
وجوابه ان يخطر ببالك افاد تثبيته ورفض ان يرى قلبه ما ذكره بعض المفسرين من
ابن عباس من اثبات شك له صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر يطرا عليه
ما يطرا عليهم فمثل هذا لا يقال في حقه صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز عليه جملة واحدة
بوجه من وجوه التاويل بل قال ابن عباس كما رواه ابن ابي حاتم عنه لم يشك
ولم يسال احدا ممن قرا الكتاب من قبله وحكى قتادة فيما رواه ابن جرير ان النبي
صلى الله عليه وسلم جمع الله له الرسل ليلة اسرى به وامره ان يسالهم قال ما اشك ولا
اسال لنزاهته ورفعة محله بعصمته عن الشك فقيل المراد المعاد بما قل يا محمد للشاك
اسال اهل الكتاب فيه تنبيه لمن خالج قلبه شبهة اذ يبادر الى معرفتها من اهل
العلم اذ شفاء العي السؤال قالوا اي مولون الاية بما ذكر وفي السورة نفسها
ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس هم اهل مكة ان كنتم في شك من ديني
الذي امرتكم ان تدينوا الله به فاسمعوا وعوا ما اتلو عليكم فلا اعبد الذين تدعون
من دون الله ممن لا يضر ولا يجدي نفعا ولكن اعبد الله الذي اوجدكم من العدم وارشدكم
ان شاء الى ان دين لا مدخل للشك فيه وان دين اعتقادا وعملا للذي يتوفاكم
تهديد متضمنا تنبيههم على انه تعالى هو الحقيق بان يخاف منه فيدان ويرفض
عبادة ما سواه وقيل المراد بالخطاب بقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك هم العرب وغيرا لنبي صلى الله عليه وسلم كان هو
المخاطب به كما قالت الله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك تعريضا اذ الخطاب له صلى
الله عليه وسلم والمراد غيره من امته اوهو وارد على سبيل الفرض كما يفرض المحال تهييجا
له صلى الله عليه وسلم على دوام ما هو عليه من الدين القيم وتقنيطا للكفرة من رحمته
تعالى لا لاتصافهم بما تلبسوا به منه ومثله اي مثل فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فلا تك بعد ما قصصنا عليك ما غشي مكذبي الانبياء من النقم وان علمناك بما اعددنا
لهم من العذاب في مرية مما يعبد هولاء اي لا تشك في عبادتهم غير الله ضلال يورثهم
سوء عاقبتهم من اليم عذاب وشديد عقاب ونظيره اي مثل فان كنت في شك مما
انزلنا اليك في القران كثير كقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم انك اذا لمن الظالمين وقوله تعالى كلا ياتي ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله فتكون من الخاسرين قال بكر بن العلا كذبوا بايات الله فانه شاهد

صدق

صدق بانه صلى الله عليه وسلم هو المواجه بالخطاب والمراد به كما في فان كنت في شك
دعوه غيره وهو صلى الله عليه وسلم كان هو المكذب ممن لم يومن به من قومه فيما يدعوا
اليه مما امر بتبليغه فكيف يكون صلى الله عليه وسلم ممن كذب به اي مما يدعوا اليه
فهذا اي ما ذكر كله وان خوطب به يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية
اي اية فان كنت في شك مما انزلنا في ان المراد بالخطاب فيهما غيره قوله الرحمن
فاسال به خبيرا اذ المامور هنا اي في فاسال به خبيرا غير النبي صلى الله عليه وسلم
ليسال النبي والنبي هو الخبير به تبارك وتعالى المسؤل عنه وله المثل الاعلى
لا المستخبر السايل عنه تعالى والخبير المسؤل غيره صلى الله عليه وسلم اي اسال
عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته وكمال صفاته فالباء صلة اسال بمعنى مخبرا
وجابرا وسال لسؤال الله تعالى اي ان سالته وجدته خبيرا فالباء تجريد كما في رايت
به اسدا بمعنى رايت برؤيته شجاعا فلا تصافه بالشجاعة متناهيا فيها صح ان
ينتزع منه اخر موصوفا بها وقال اي بكر بن العلا في اية فان كنت في شك ان هذا
الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب من
الاحبار والرهبان انما هو فيما قصه الله عليه صلى الله عليه وسلم في كتابه من اخبار
الامم مما اذن بنجاة من امن منهم بانبيايهم وهلاك من كذب لا فيما دعا صلى الله عليه وسلم
اليه اذ يتبع فيه ويدان به من التوحيد والشريعة التي شرعها الله لنا على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم بشهادة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم اي دينه وهذا
اي مما اريد به غيره صلى الله عليه وسلم من خطابه بالشك وسؤال الذين يقرؤن
الكتاب مثل قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اذ المراد به اي بالسؤال
مجازا المشركون الموجودون من اممهم لاستحالة سؤاله من مضى منهم اذ زاح الريلح
اي اسال من لقيت من اممهم اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون استفهام انكاري
افاد نفيهما في ضمن نفي جعلهما على وجه برهاني اذ يلزم من نفيه نفيهما اي لم نجعل
الهة تعبد من دوننا في ملة من الملل ولم ناذن في عبادتهما بشهادة اجماع
الانبياء على التوحيد فنبينا لم يبتدع الدعوة اليه فلا يكذب ولا يعادي لاجله اذ كان
اقوى شيء اغراهم على تكذيبه صلى الله عليه وسلم والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
مرادا به غيره قاله محمد بن احمد بن عبد العزيز العتبي المالكي مصنفا لعتبية
فقيه الاندلس من موالي عتبة بن ابي سفيان وفي نسخة القتبي وفي اخرى
القتيبي فهو ابن قتيبة بن سعيد بن طريف بن جميل من موالي الحجاج بن يوسف
الثقفي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف الخافض وهو عن وتم
الكلام ثم ابتدا بقوله عز قائلا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون على طريق الانكار
للجعل المتولد منه نفي عبادتهما على وجه برهاني كما مر اذ يلزم من انكاره نفيها
اي ما جعلنا الهة فلا عبادة لها حكاه مكي وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبيا
ليلة الاسرا عن ذلك اي عن جعله تعالى الهة تعبد من دونه اجماعا ام لا فكان اي
ما افاده من اليقين امره تعالى له بسؤالهم فيهما اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال
منهم فيهما فروي انه اي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به بعث الله ادم وولده

من الانبياء المرسلين فاذن جبرئيل ثم قال يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له سل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون قال لا اسأل قد اكتفيت بما اى ثلج صدره من برد اليقين قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقيل ام من ارسلنا من قبلك من رسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد استفهام تقريري ينفي مجيئهم اليهم بغير توحيده تعالى والمراد منه اى بقوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا والذي قبله من قوله فان كنت في شك الى هنا اعلامه اى النبي صلى الله عليه وسلم بما بعث به الرسل من التوحيد اجماعا وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد رد المفعول من اجله عدم اذنه لاحد في عبادة غيره على مشركي العرب وغيرهم قولهم انما نعبدهم اى الاوثان الا ليقربونا الى الله زلفى من الزلف وهو القرب اى قربى وفي حديث الاضحية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم ببدنات يضحي عليهن فطفقن يزدلفن اليه يفتعلن من القرب ابدلت التاء الا المجاور عنه الزاي اى يقربن منه ليبتدئ بايتهن شاء او كذلك اى وسل ما ذكر من الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه اى يعلمون ان القرآن لاعجازه وانزاله مفصلا لا التباس فيه معنى عن سائر الآيات منزل من ربك بالحق تأييد لحكم الاعجاز بان القرآن حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب لتصديقه ما عندهم ووصف جميعهم بانهم يعلمون حقيقة هو باعتبار اكثرهم ومن لم يعلم منهم فمتمكن منه بادنى تامل فلا تكونن من الممترين تهييج له صلى الله عليه وسلم ليدوم على يقينه بلا شك اى في علمهم انه منزل او في علمهم بانك رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يقروا بذلك اى بكونه رسول الله حسدا من عند انفسهم الممترين الشاكين فيما ذكر في اول الآية التي فيها والذين آتيناهم الكتاب اذ هو افغير الله ابتغي حكما استفهام انكاري توبيخي ليرتدع المخاطب عن ابتغاء حكم غير الله اى قل لهم يا محمد اطلب غيره تعالى يحكم بيني وبينكم ليظهر المحق منا من المبطل لا يكون مني ذلك ابدا وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا اى القرآن مبينا فيه الحق والباطل وشاهدا عليكم بالافتراء وقيل هو اى امره صلى الله عليه وسلم بالسؤال تقرير لمشركي قريش اى لحملهم على الاقرار بما يعرفون من ان الله لم يجعل من دونه آلهة تعبد ولم يبعث رسولا الا بالتوحيد لشهادة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فاثبتوا له الخلق والعزة والعلم وحده كقوله تعالى لعيسى صلى الله عليه وسلم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فانه حمل له على الاقرار بما يعرفه من انه اريد به تلويحا توبيخ من عبدهما من دون الله وقد علم سبحانه وتعالى انه لم يقل اتخذوني وامي الهين من دون الله لا لحمله على الاقرار بانه قاله واى ولي ضميره الهمزة اذ لا يجب ان يكون الحكم الذي دخلت عليه بل بما يعرفه المخاطب من ذلك الحكم اثباتا او نفيا وقيل معناه ما كنت ما هنا مصدرية اى مدة كونك في شك وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان يشك فسل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لعلمهم بصحة ما انزلنا اليك تزداد طمأنينة وميلا الى علمك ويقينك بتحققه عندهم ونبوته

في كتبهم

في كتبهم على مثل ما انزل اليك وقيل معناه ان كنت في شك فيما شرفناك من كرمه النبوة وشرف الرسالة العامة وفضلناك به على غيرك بشهادة ما في التوراة ان الله قال لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع وايديهم مبسوطة اليه بالخشوع فاسألهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك ففي التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان العرب غيروا فيها كثيرا وفي الانجيل على لسان عيسى انا اطلب من ربي وربكم حتى يمنحكم فارقليط اى كاشف الخفيات فيكون معكم الى الابد وفيه واما فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي اى بالنبوة هو يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته لكم وقد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون فاذا كان فامنوا به وحكى ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي تيم قريش مولاهم ان كنت في شك السنة من جانب غيرك فيما انزلنا اليك من الحق المنقذ من الضلال فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يخبروك بحقيقته فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف افاده نظم الكلام اى لا يغررهم تقلبهم ممتلين املاء واستدراجا فان من قبلهم امهلوا حتى يئس الرسل من النصر عليهم في الدنيا وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف مبنيا للمفعول اذ ان ظاهرها مع تطاول تأخر نصرهم بظنهم انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر مع نزاهتهم من ان يظنوا ذلك بربهم وتعاليه عن ان يخلف ميعادا قلنا جوابا عن هذا القيل المعنى ما قالت عائشة ان الرسل لما استيأسوا من النصر على تكذيبهم وتمادت مدته ظنوا انه من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم اى اخلفوهم ما وعدوهم من النصر على عدوهم وعلى هذا اى على ما قالت عائشة اكثر المفسرين وقيل ضمير ظنوا عائد على الامم لا على الرسل اى ظن اممهم المكذبون لهم انهم كذبوا اى كذبتهم رسلهم في قولهم انهم ينتصرون عليهم او عائد على الاتباع منهم اى ظن اتباعهم اذ لم يروا الوعد بالنصر ينتجه بتراخيه عنهم انهم قد كذبوا فيما اخبروا به قومهم من انهم ينصرون عليهم وهو قول ابن عباس ومن ذكر هنا معه وبه اى بجعل ضمير ظنوا عائدا على الامم قرأ مجاهد كذبوا بالفتح مبنيا للفاعل مخففا اى ظنوا ان رسلهم كذبوا في قولهم بالنصر عليهم فلا تشتغل بالك اى قلبك من شأن المفسرين سواه اى سوى قول عائشة وابن عباس ولم يثبت ان الرسل ظنوا بمولاهم انه تبارك وتعالى اخلفهم ما وعدهم من نصرهم على عدوهم مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف من لا يخلف وعدا بالانبياء فهم اولى بان لا يليق بهم ذلك لنزاهة شأنهم وجلالة قدرهم ورفعة محلهم عن ان يظنوا بربهم خلف وعدهم اياهم وكذلك اى مثل آية حتى اذا استيأس الرسل ما ورد في حديث البخاري وغيره في مبدأ الوحي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة بنت خويلد بن اسد زوجته بعد ان اخبرها ما وقع له مع جبرئيل بحراء لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله من الهدى والحق بعد رؤية الملك واخباره انه رسول الله ولكن لعله خشي على نفسه ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك مفاعلة من القيام اى مصابرته ولا تحتمل ايضا اعباء الوحي جمع عبء بكسر اوله اى الثقل له فينخلع قلبه او تزهق نفسه لان قوة الملك لا يقاومها

نوة اذ قدوره انه حمل قرى قوم لوط على جناحه فجعل عاليها سافلها وراى ابليس فی بعض
جبال بيت المقدس يكلم عيسى فنفحه بجناحه فالقاه على اقصى جبل فی الهند هذا ای ما ذكره من
الجواب على ما ورد فی الصحيح للبخاری وغيره من قوله لها لقد خشيت على نفسی انه قال تبود لقايه
للملك اذ انشره بانه رسول الله اويكون قد قال ذلك قبل لقياه الملك وقيل اعلام الله
له بالنبوة لما ولاما فی اول من عرضت عليه من العجايب و منها انه سلم عليه الحجر والشجر
كما ورد انه سافر مع عمه ابی طالب فی ركبه الى الشام فنزلوا قريبا من بحيرا فجعل يتخلل القوم
حتى وقف عليه صلى الله عليه وسلم فقال هذا نبی هذه الامة وامر عمه فرده وارهبته
فرده الى مكة حذرا من ان تقتله يهود الشام وزوده كعكا وزيتا فقيل له بم عرفت انه نبی فقال
لما قدم ما استقبلته حجر ولا شجر الا سجد له ولا يسجد الا لنبی وقالت صلى الله عليه وسلم
انی لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علی قبل ان ابعث قيل هو الحجر الاسود وبداية المنامات الصالحة
فكان لا يرى مناما الا جاء مثل فلق الصبح وبداته التباشير الموذنة بنبوته مما يكون مبدا
الشیء ذاته وتسمى تباشير الصبح ای اول بله من البشارة لانها تظهر طلاقة الوجه وفرحه
كما روی فی بعض طرق هذا الحديث ای حديث مبدا الوحی ان ذلك ای ما ذكر من التباشير
كان فی المنام تتراءى فی اليقظة مثل ذلك ای الذی اربه فی المنام تانيسا له صلى الله عليه وسلم
من الانس بالضم ضد الوحشة ليطمئن قلبه لئلا يجيئه الامر ای يرد عليه بغتة بلا تقدم سبب
مشاهدة ومشافهة من شافهه بالكلام ای خاطبه فلا يحتمله اولا ای فی اول حالة من احوال
بنية البشرية لضعفها عن قوة الملك وفی الصحيح للبخاری ومسلم عن عايشة اول ما بدی به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحی الرؤيا الصادقة وفی رواية الصالحة من النوم
اما باخباره صلى الله عليه وسلم لها بذلك او باخبار غيره لها والا فهی لم تكن ولدت قبل
بديه به قالت ای عايشة ثم حبب اليه الخلا ای الخلوة اذ به فراغ القلب والتفكر المورث
للبشر والرياضة المخرجة له عن طبيعته فلطفانته به صلى الله عليه وسلم فی اول امره تحببهما
اليه ليفرغ قلبه فيتمكن منه الوحی اذ القلب اذا اغشيه شیء خاليا تمكن منه قالت فصادف
قلبا خاليا فتمكنا قالت الى ان ورد ابتهما حتى جاه الحق ای الامر الحق وهو فی غار حرا
بكسر اوله وتخفيف را به جبل على ثلاثة اميال من مكة يمد ويقصر ويذكر فيصرف ويونث
فلا يصرف وعن ابن سعد عن ابن عباس مكث النبی صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة
سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ای يسمع صوت الملك ويرى نوره وانوار ايات ربه المنزلة
عليه سبع سنين فما يسمع صوته ولا يرى شيا وثمان سنين يوحی اليه هذا على القول
بانه صلى الله عليه وسلم عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين
سنة فبعد البعثة بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا وروی ابن اسحاق عن بعضهم
ما ادری من هو ان النبی صلى الله عليه وسلم وذكر جوازه ای اقامته متعبدا بغار حرا فقو
ثقب فيه فجانی جبريل وانا نايم فقال اقرا فقلت ما اقرا ای ای شیء اقرا فما
استفهامية اولست اقرا فهی نافية لشهادة دخول الباء فی خبرها فی رواية البخاری
ما انا بقارئ وذكر ای ابن اسحاق او من روى عنه نحو حديث عايشة فی غطه بمعجمة
فمهملة ای فی ضم جبريل فانصرف ای جبريل عنی وهببت من نومی ای استيقظت منه
كانما صورت فی قلبی ای ملكت سورة اقرا اجنبه ولم يكن ابغض الی من شاعر او مجنون اسم

يكن

يكن ضمير الشان وابغض خبرها والجملة حالية افادت شدة بغضه دعوة قريش له صلى
الله عليه وسلم بواحد منهما او بهما قلت لا تحدث مرفوع حذفت احدى تائيه تخفيفا
عن قريش عنى هذا ابدا ای بقولهم له شاعرا ومجنون لاعمدن بكسر الميم وفتحها الى حالق
بمهملة وقاف ای عال من الجبل فلاطرحن نفسی منه فلاقتلنها حذرا من ان يسموه بشاعر
او مجنون نبيا انا عامد لذلك ای لطرح نفسه او ليسمع ما تحدث به قريش عنه
اذ سمعت منادیا ينادی حذف المسموع واوقع الفعل على المنادی لدلالة وصفه بالندا
عليه فهی ايقاعه على المسموع وفی اطلاق الندا ثم تقييده بقوله يا محمد انت رسول
الله وانا جبريل تفخيم لشان المنادی اذ لا منادی اعظم من منادیه ينادیه ببشارته
من ربه بالرسالة فرفعت راسی فاذا ای ففاجانی بغتة جبريل على صورة رجل حال
من جبريل ای ممثلا فی صورته فتبين فی هذا الحديث ای حديث ابن اسحاق ان قوله صلى
الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسی وقصده لما قصده انما كان قبل
لقا جبريل فی اليقظة وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفاه له اختياره
اياه بالرسالة بالكرامات السرية ومثله ای مثل حديث ابن اسحاق فی ان ما قاله
لخديجة من خشيته على نفسه انما كان قبل لقا جبريل حديث عمرو بن شرحبيل فيما رواه
البيهقی انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انی اذا خلوت سمعت ندا او وقع الفعل هنا
على المسموع وحذف المنادی لعدم رويته اياه وقد خشيت ان يكون هذا ای ما سمعه
من ندا الملك لا امرا لم احط به خبرا يرهقنی من امری عسرا بل يبشره بانعام شكرا
ولو نظام وقرأه ونحو رواية حماد بن سلمة فيما رواه الطبرانی وابن منيع فی مسنده
موصولا عن حماد عن عمار عن ابن عباس ان النبی صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
انی اسمع صوتا واری ضوءا ولم انس من جانب التامل ما استبين به الامر معينا
واخشى ان يكون بی جنون وعلى هذا ای على قوله لا سمع صوتا الحديث يتاول لو صح
قوله ای النبی صلى الله عليه وسلم فی بعض هذه الاحاديث ان لا ابعد شاعرا و
مجنون معمول قوله الذی تنازعه الفعلان قبله واعمل الاول ای يتاول قوله
ذلك لخديجة ان صح نحمله على انه كان قبل لقا الملك واعلام الله له انه رسول الله
ولم يكن معناه على الشك وعتربا لا بعد تحاشيا من ان يقال له شاعر او مجنون
وان فی هذه الاحاديث الفاظا يفهم منها معانی الشك فی تصحيح ما راه من الضوء
وسمعه من الصوت انه ای فی قوله ذلك كان كله فی ابتدا امره وقبل لقا الملك
له واعلام الله له انه رسول الله مما ينفی عنه الشك فيما اتاه الله واختصه به
من المنح الالهية مما لا يوازيه سواه فكيف لا يكون ذلك فی ابتدا امره وبعض هذه
الالفاظ التی نسب صدورها عنه صلى الله عليه وسلم لا يصح طرقها من حيث ان ه
مبهما والمجهول او من لم يسم واما بعد اعلام الله له انه رسوله او بعد لقا الملك
فلا يصح ان ابهمه صلى الله عليه وسلم فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما التی
اليه من المعارف الالهية والاحكام الشرعية والمواهب الربانية مما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وروى ابن اسحاق عن شيوخه انه صلى
الله عليه وسلم كان يرقى من العين بمكة ای يعوذ بالعوذ التی يرقی بها من العين به حمی اوغير

من الملمات وكان يرقي من العين مما كان يسلم به من العوارض قبل ان ينزل عليه حذف
المفعول ليعم القرآن غيره فلما نزل القرآن ومنه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم اصابه نحو مما كان يصيبه فقالت له خديجة زوجته ام المؤمنين اوجه
استفهام حذفت همزته اي ارسل اليك من يرقيك قال اما الآن اي بعد نزول القرآن
فلا حاجة له به اكتفاء بربه وكتابه اذ هو هدى وشفاء هذا وقد وردت احاديث
كثيرة بجواز الرقى والنهي عنها ويجمع بينهما بان الجائز منهما ما كان بلسان عربي
مما يعرف معناه كاسماء الله وصفاته وكلامه ومما ورد في السنة هذا وقد جاءه
صلى الله عليه وسلم جبريل وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك من كل شيء
يؤذيك من شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وان النهي
عنه منهما ما لم يكن بشيء مما ذكر وان يعتقد انها نافعة بنفسها لا محالة فيتكل
وايا ها اراد صلى الله عليه وسلم بقوله ما توكل من استرقى ومن ثم قال في حديث
جابر اعرضوا علي رقاكم فعرضناها عليه فقال لا بأس به انما هي مواثيق فكانه خشي
ان يكون فيها شيء مما كان يقال ويعتقد من الشرك في زمن الجاهلية وقد ارشد
صلى الله عليه وسلم الى ان تركهما مع التوكل افضل بقوله في حديث من يدخل الجنة
بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وتلك صفة
الاولياء المعرضين عن الدنيا لا يلتفتون الى شيء مما فيها لها منقبة لا يبلغها غيرهم
ممن رخص لهم فيها وفي العلاج واكد والاستمادة مما روي عن الصديق لما تصدق
بجميع ماله لم ينكر عليه علما منه بقوة يقينه وصبره وانكر على من جاءه بمثل
بيضة من ذهب وقال لا املك غيرها ورده مما وحديث خديجة الذي رواه
ابن اسحاق والبيهقي عن فاطمة بنت الحسين وابو نعيم في الدلائل موصولا
من طريق ام سلمة عن خديجة واختبارها من تخبر الامر واستخبره اذا سأل عنه
ليعرفه اي اختبار خديجة امر جبريل بكشف راسها انما ذلك في حقها لتحقق صحة
نبوته صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه بما اوحاه اليه ربه ملك وبزول الشك
عنها الحاصل لها مما قاله لها مثل لقد خشيت على نفسي واخشى ان يكون بي جنون
وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر لا انما فعلته له لتخبر هو به حاله فيكون على
بصيرة من امره بل انتقالا فادان ما فعلته خديجة من الاختبار ناشئ
عن ابن عمها ورقة اذ قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن اخي
جده هشام عن ابيه عروة بن الزبير عن خالته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ان ورقة ابن نوفل بن اسد امر خديجة بنت خويلد بن اسد ان تختبر الامر بذلك الذي
فعلته من كشف راسها وفي حديث ابن اسحاق عن اسماعيل بن ابي حكيم انها اي
خديجة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم لاجتماعهما في قصي نسبا اذ
هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي خديجة
بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا
جاءك قال نعم اي اخبرك به اذا جاءني فلما جاءه جبريل اخبرها بمجيئه اليه فقالت
اجلس الى شقي تريد احد جنبيها فجلس اليه وكشفت راسها فلم يدخل جبريل فقالت

تماهذا

تماهذا بشيطان ان هذا الملك فاثبت اي له واستمع لما يوحى اليك من ربك من الخير وابشر
وقر عينا فوالله انك لحقيق بانواع كرائم المسرات وامنت به اي بانه رسول الله فهي
اول من آمن به من النساء فهذا الذي قالته ثم امنت به يدل على انها مستثبتة وانها
بما فعلته من الاختبار لنفسها ومستظهرة به لا ايمانا له صلى الله عليه وسلم عدى
باللام لتضمنه معنى الانقياد والاذعان وقول معمر بن راشد فيما رواه احمد
والبيهقي في حديث فترة الوحي اي انقطاعه سنتين ونصف فحزن صلى الله
عليه وسلم اي صار ذا احزان بسبب تأخر الوحي عنه وانقطاعه فيما بلغنا حزنا
غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق الجبال اي اعاليها لا يقدح اي قول معمر
في هذا الاصل الذي ذكرناه من ان ما قاله لخديجة من اغشية على نفسه لم يكن على
الشك فيما منحه الله به وما فعلته خديجة اختبارا واستثباتا واستظهارا فانما كان
لنفسها لا له صلى الله عليه وسلم لقول معمر فيما بلغنا فانه مؤذن بعدم قدح قوله
فحزن الخ فيما اجبنا به بحيث لم يذكر من بلغه عنه ولم يسنده ولم يذكر رواية ولا
من حدث به عنه صلى الله عليه وسلم او عن غيره وفي سيرة ابن سيد الناس من
طريق الدولابي حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب انبانى يونس
ابن يزيد عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكر نحو حديث معمر وفي اخره ثم لم
يلبث ان يذكر نسب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا مرارا كي يتردى من شواهق الجبال فليس لمعمر في هذا ذكر فيما
عزاه المصنف له هنا من قوله فحزن الى فيما بلغنا الظاهر انه من قول شيخه الزهري
ولا ذكر معمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا اي ما ذكر من انه
حزن حزنا كاد يلقي نفسه من شواهق الجبال الا من جهته صلى الله عليه وسلم
ولعله صلى الله عليه وسلم حدث عائشة خبر فترة الوحي وقال فيه فحزنت الخ بلفظ
التكلم فروته عنه بلفظ الغيبة فحزن الخ فبلغ من لم يسمعه منها فقالت فحزن فيما
بلغنا الخ فلا يقدح فيما ذكر ثم انه اي ما يفهمه من انه حزن قد يحمل على انه كان
اول الامر اي قبل ان يلقاه جبريل كما ذكرناه فيما مر وهذا الحمل يرده ما اذن به سوق
الكلام من ان ما يفهم من حزنه انما كان بعد لقائه جبريل وانه فعل ذلك اي الحزن
وارادة التردي لما اخرجه اي من اجل ما ضيق عليه واوقعه في الحرج اي الضيق
من تكذيب من بلغه ما ارسل به اليهم كما قال تعالى لعلك باخع نفسك من بخع الذبيحة
اي بالغ في ذبحها وبلغ به النخاع عرق باطن القفا ولعل هنا للاشفاق اشفق على نفسك
ان تقتلها ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بترك انبيائهم الملك واذعانهم لما جئت به
اليهم من القرآن الحديث الذي نزل وغيره من الدين شبهه لما عراه من الوجد وارهقه
من الهم بتوليهم عن الايمان بما جاءهم به بمن فارق اعزته فهو يتلهف عليهم حسرات
ويتلهب ابرا فتهم جمرات اسفا عليهم اي من اجل الاسف او متأسفا والاسف فرط الحزن
ويصح معنى هذا التأويل اي حمل حزنه وارادة ترديه على انه انما كان لما اخرجه من
تكذيب من بلغه ممن ارسل اليهم حديث عند البزار رواه شريك عن محمد بن عقيل عن
جابر بن عبد الله وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة

من ندوة القوم الذى هم اذا جمعتهم فى النادى اى بمكان اجتماعهم يتشاورون فيه فى مهماتهم المتشاور فى شان النبى صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا كما سر عن ابى جهل وعتبة والوليد بن المغيرة انه ساحر اشتد ذلك عليه وزمل فى ثيابه اى تلفف فيه وتدثر فيهما اى تغطى بما فوق الشعار اعنى ما يلى جسده من الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعارى والعرب دثارى فاتاه جبريل فقال مناديا له يا ايها المزمل يا ايها المدثر بادغام التا فيهما فى الزاى والدال اذ اصلهما المتزمل والمتدثر ناداه بما عرض له على رفض ما كان عليه من التزمل والتدثر والالتذاذ بالنوم مما يفعله من لا يهتم بامر ولا يكلف بشان او على رفض ما غشيه من جات ودهش ترعد منه بوادره ويرجف فؤاده لينهض بما نيط به من عظام الامور وكلفه من عظايم اعبا الرسالة وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فرايت شيئا وفى رواية عايشة فاذا به على كرسى بين السما والارض يعنى جبريل فرعبت منه ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فقال يا ايها المدثر او انه فعل ذلك من اجل انه خاف ان الفترة للوحى انما كانت لامر وسبب منه فخشى ان تكون فترته اى انقطاعه سنتين ونصفا عقوبة المبيت به من ربه فيفعل ذلك بنفسه وحاشاه صلى الله عليه وسلم من العقوبة لرفعة محله ولزم ما به ولم يرد بعد اى بعد ورود ذلك من منهى له صلى الله عليه وسلم عنه فيعترض به على ما ذكرناه من التاويلات هذا او الخطب هين لا يفتقر الى هذه الدندنة ونحو هذا اى ما ورد عنه انه حزن واراد التزوى فرار يونس صلى الله عليه وسلم مبترما من قومه لكثرة تذكيره اياهم فلم ينجع فيهم ولم يذكروا بل استمروا متمادين فى كفرهم وذهب مغاضبا لهم تخويفا لهم ان يحل عليهم العذاب لطعامنه ان فراره بغير اذن ربه سايغ اذ لم يفعله الا غضبا لربه وانفة لدينه خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب فلما فقدوه خافوا نزوله عليهم فاستغاثوا بهم وقالوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا انت اذ قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله فكشف عنهم العذاب وقوله تعالى فظن اى يونس ان لن نقدر من القدر بسكون الدال بمعنى التضييق اذ معناه ان لن نضيق عليه لا من القدرة وان صح على قراءة التخفيف ان يفسر بها على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا او على انه تمثيل اى مكانة حالة ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه بمغاضبته قومه بدون انتظار امرنا وهذا وقد دخل ابن عباس على معاوية فقال يا ابن عباس لقد ضربتنى امواج القران البارحة فغرقت فلم اجد لنفسى خلاصا الا بك ثم قرا الاية ثم قال او يظن نبى الله صلى الله عليه وسلم ان لا يقدر عليه فقال هذا من القدر لا من القدرة قال مكى طمع فى رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه فى خروجه بغير اذنه مغاضبا قومه لى ينيبوا فيؤمنوا وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه العقوبة

لانه

لانه تعالى عند ظن عبده به فليظن به ما شا كما ورد ومن لا ينطق عن الهوى وقيل نقدر بضم اوله فسكون ثانيه فكسر ثالثه مخفف قدر عليه ما اصابه من الابتلا ببطن الحوت وقرئ نقدر بالتشديد مبنيا للفاعل مخففا ومثقلا وقيل فظن ان لن نواخذه بغضبه وذهابه مفارقا لقومه اذ كان عليه ان يصبر ويتم منتظرا الاذن لنا وقال ابن زيد معناه ايظن عطف على مقدر اى اذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام فحذفت همزته تخفيفا هذا ولا يليق ان يظن نبى ان يجهل صفة من صفات ربه فيظن انه تعالى لا يقدر عليه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح انه كما مر ذهب مغاضبا لقومه مفارقا لهم لكفرهم لا مغاضبا لربه اذ مغاضبته معاداة له ومعاداته كفر لا يليق بالمؤمنين اى لا يناسبهم ولا ينبغى ان يوصفوا به فكيف يليق بالانبيا الاكرم ذوات الاشرف مقاما وقيل ذهب مغاضبا اى مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب اى كراهة ان يصفوه به اذ قيل انه قال لهم اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا فلما راوها امنوا فكشف عنهم العذاب ومتعناهم الى حين لشهادة الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين او ذهب مغاضبا لهم كراهة ان يقتلوه كما ورد فى الخبر ولم اقف عليه وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله اى امر الملك به على لسان نبى اخر غير يونس صلى الله عليه وسلم كان فى زمنه فقال له يونس غيرى اقوى عليه منى لا اعتذارا منه او ورد الحجة السهلة حذر المشقة عليه وقد روى عن ابن عباس ان ارسال يونس صلى الله عليه وسلم الى قومه بنينوى من الموصل انما كان بعد نبذه الحوت فاعل المصدر المضاف الى معموله اى قذفه من بطنه واستدل لما روى عنه بقوله تعالى فنبذناه بالعرا اى قذفناه بمكان خال عن البنا والشجر وغيرهما وهو سقيم من حرارة بطن الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به اى مما ينسرح على وجه الارض ولا ساق له فجعلها فوقه تظله له كالبيت وقيل هى الدبا لان الذباب لا يقع عليه وارسلناه الى ماية الف او يزيدون اى فى راى الرائين اذا راهم الراى قال هم ماية الف او اكثر والمراد وصفهم بالكثرة وقرئ ويزيدون بالواو وقد يجاب عما استدل به ابن عباس بان المراد بارسلناه ارساله اليهم اولا لشهادة قوله فيما ياتى رد الله اليه الوحى وشفعه فى نفسه وقومه او هو ارسال ثان بعد ذلك اليهم او الى غيرهم وقيل لما امنوا سالوه ان يرجع اليهم فابى تحاميا من رجوعه للاقامة فيهم بعد هجرته عنهم وقال ان الله باعث اليكم نبيا ويستدل ايضا لما روى عن ابن عباس من ان ارساله اليهم انما كان بعد نبذ الحوت له بقوله خطابا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكن اذ ضجرت وتبرمت من ثقيف فاردت ان تدعو عليهم كصاحب الحوت يونس صلى الله عليه وسلم اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم اى مملوء غيظا من كظم السقا اذا ملاه اى لا يوجد منك ما وجد منه من التبرم والمغاضبة فنبذ لولا ان تداركه حسن تذكيره فضل ضميره وقرا ابن عباس وابن مسعود وتداركته نعمة من ربه حتى رحمه وتاب عليه وقرا الحسن تداركه بتشديد الدال

وحذف احدى تائيه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فى شانه تتداركه
لنبذ بالعراء اى بالفضاء الخالى كما مر وهو مذموم حال اعتمد عليها جواب لولا اى اذ حاله حين
نبذه كانت على خلاف الذم ولولا تداركه لكانت على الذم فاجتباه ربه اى اصطفاه وقربه
وارسله الى قومه ان صح انه لم يرسله اليهم قبل ابتلاع الحوت له فتكون هذه القصة
اذن قبل نبوته وارساله اليهم فجعله من الصالحين الكاملين فى الصلاح بعصمته من فعل
جائز تركه اولى او ورد انته كما قال ابن عباس الوحى اليه اعلاما له بعد ذلك بانه على رسالة
اولى او بارساله اليهم ثانيا او الى غيرهم حذرا من رجوعه اليهم بعد هجرته عنهم فان قيل
فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن الاغر المزنى انه ليغان على قلبى من
غينت السماء تغان اذا اطبق غيمها واسم ان ضمير الشان يفسره خبرها فكانه فعل لى
الشان ما كنيت به من الغين عما يعرض لى مما يصرفنى عن دوام اشتغالى بربى من
امور امتى ومصالحهما وبيان حكم وارشاد وغير ذلك مما يصلحهم فاستغفر الله كل يوم
مائة مرة وفى طريق للبخارى عن ابى هريرة فاستغفر الله فى اليوم اكثر من سبعين مرة
لعده ما يشغله عن ربه ويقطع دوامه ذنبا وتقصيرا فيفزع الى الاستغفار فاحذر
ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين المفاد بقوله انه ليغان على قلبى وسوسة او رينا
هو بمعنى الغين قال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اى طبع على قلوبهم
بغلبة المعاصى وقع فى قلبه لنزاهته عن قبول الوسوسة بشهادة حديث البخارى
ان جبريل شق صدره صلى الله عليه وسلم واستخرج من قلبه علقة سوداء وقال
هذا حظ الشيطان منك بل اصل الغين الملقى به فى هذا الحديث عما يعرض له مما يغشى
القلب ويركبه كما يركب الصدا المرء الصافى ويغطيه قاله ابو عبيد معمر بن المثنى واصله
من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره اى غير ابى عبيد الغين شئ يغشى
القلب ولا يغطيه كل التغطية كالسقاف الذى يمر على ما وراءه لعدم منعه رؤيته
وكالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهوى فلا يمنع ضوء الشمس فكانه لعدم ستره
له يمر عليه من ثم الحديث وانه يمنه اذا الظهر وكذلك اى ومثل ما حذرناك منه من
وقوع كون الغين وسوسة لا تفهم من الحديث انه يغان على قلبه فى اليوم مائة مرة
او اكثر من سبعين اذ ليس يقتضيه لفظه اى ليس لفظ حديث انه ليغان على قلبى الذى
ذكرناه وهو اكثر الروايات يقتضى ان العدد فيه للغين فلا يفهم انه كان على قلبه
كل يوم ذلك العدد وانما هو عدد للاستغفار فكان اذا اعرض له ما يشغله عن ربه
استغفر وقدر ذلك العدد لا للغين بشهادة الفاء فى حديث فانما هو ذنبه بان ما قبلها
فيه سبب لما بعدها فيكون المراد كما مر بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات
نفسه بما كان يشغله من معاناة التبليغ مما كان يورثها تقليل العبادة والمجاهدة
فى الطاعة وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق من حق الشئ اذا ثبت اى
الثابت وجوده حقيقة بما اى كانت الغفلات والفترات تعرض له بسبب ما
كان دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة من تولى امورهم بقيامه عليهم بما
يصلحهم ومعاناة الاهل بما ينظم حالهم ويتم شانهم ومقاومة الولى مفاعلة من القيام
اى مصابرة الحوالى له بالقيام فى جميع اموره ومقاومة العدو ومصابرة بالقيام لدفع

شره ومصلحة النفس مما لا بد لها منه معاشا ومعادا او كانت تعرض له بسبب ما كلفه
من اعبائها جمع عبء بكسر اوله اى ثقل اداء الرسالة الى من ارسل اليهم وبما كلفه من حمل الامانة
اى الطاعة توفى بها ورعى حقها سميت امانة من حيث انها واجبة الاداء قال الله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان اى بى لعظم شانها وتفخيم امرها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام
العظام وكان لها ادراك لما حملها واشفقن منها حذرا من عدم القيام بها وحملها
الانسان مع ضعفه ورخاوته وهو صلى الله عليه وسلم فى كل هذا اى ما ذكر مما رفع
اليه وكلفه فى طاعة ربه وعبادة خالقه لم يشغله عنها شئ لكن لما كان صلى الله عليه وسلم
استدراك نبه على انه صلى الله عليه وسلم كان تعد ما يشغله عن عبادة ربه بما رفع اليه
من سياسة امته وكلفه من اعباء اداء الرسالة ونحوها ذنبا اذ كان ارفع الخلق عند الله
مكانة واعلاهم درجة ليس اليهما شامل مستبق ولا مرتقى المستنم ومكانة ودرجة تمييزان لنسبة
ارفع مكانات الخلق ودرجته اعلى درجاتهم واتمهم به اى بربه معرفة تمييز لنسبة اتم كذلك اذ
باب التمييز من ال عن اصله لمصادفة التفصيل بعد الاجمال مزيد حسن ولطف موقع
ليس فى مكانته ارفع ودرجته اعلى لعدم تشرف النفس فيه الى مبين بعد ابهامه لان
الفوز بعد معاناة الطلب ومقاساة التعب الذ من المال البارد على لطفها وكانت حالته
صلى الله عليه وسلم البهيجة البالغة ذروة سنام الكمال عند خلوص قلبه عن الالتفات
الى غير ربه وخلو همه عما يشغله من الخير عن ذكر ربه وتفرده فى جميع احواله بربه
لا يشغله عنه شئ واقباله بكليته قلبا وقالبا عليه وكان مقامه هنالك اى فى زمن خلوص
قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه بمكانات علية ودرجات رفيعة
ارفع حاليه اى لما كان حال مقامه هنالك ارفع من حال سياسة امته رأى صلى الله عليه وسلم
حال فترته عنها اى عن ارفع حاليه وشغله بسواها غضا مفعول رأى من غض طرفه اى
ارخى جفنه وخفضه مطرقا ومنه حديث ام سلمة حماديات النساء غض الاطراف وحديث
اذا عطس غض صوته اى خفضه ولم يرفعه بصيحة ومنه استحب خفض الصوت حال
العطاس اى عد حال فترته خفضا من علو حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر من ذلك
الذى رآه غضا من مقامه العلى وحاله السوى هذا اى ما تلى عليك من تاويل حديث
انه ليغان على قلبى اول وجوه الحديث التى ذكرت اجوبة عنه واشهرها بالحق على نزاهته
من ان يغشى قلبه غين ورين وفى نسخة واشهرها والى ما اشرنا اليه من وجوه تاويل
الحديث مال كثير من الناس وحام حوله من حام الطير على الماء يحوم اذا دار بجانب عن الاخذ
فى تحصيل ما يؤدى معناه فكانه دائر وطائف حوله فقارب ولم يرد عباب شارعة
نفسه على طريقة الاستعارة المكنية ما اشار اليه تأويلا بشرعة ماء ثم اثبت
له الورود تخييلا وفى حديث الاستسقاء اللهم ارحم بهيمة الحائمة اى التى تحوم على الماء
اى تطوف فلا تجد ما ترده وقد قربنا غاية معناه من غمض الشئ اذا دق وخفى فلا
يفهم الا بتدبير وامعان نظر اى اذ لعناه الا لفهم من عاه باذن واعية وكشفناه
للمستفيد وجه محياه بضم الميم وتشديد الياء اى ازلناه بما اشرنا به ما يستره
الفهم الى ما اشكل من الحديث فتشبيه محياه بمحجب تحت ستر استعارة مكنية واثبات

الوجه له استعارة تخييلية وذكر الغين ترشيح وفي نسخة بخبنا بمعجمة فموحدة تحت
وهو اى ما اشار به من الغين قيل مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو عليه
وعلى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى غير طريق البلاغ الى من ارسل اليهم لعدم فوات
ما امر بابلاغه مع امتناع غفلته فيه صلى الله تعالى على ما سيأتى ان شاء الله تعالى وذهبت
طايفة ممن نزهه عن ان يجوز عليه فى حال من الاحوال سهو اى ذهول عن معلوم ثم
يتنبه له سريعا وقيل هو فى الشىء تركه من غير علم وعن الشىء تركه مع علم ومنه الذين هم
عن صلاتهم ساهون او يجوز عليه فترة اى سكون وتقليل من عبادته ومجاهدته
فى طاعة ربه الى ان معنى الحديث انه ليغان على قلبى ما يهم خاطره من اهمه الامر اذا ازعجه
واقلقه ويغم فكره اى يشغله من امر امته لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم
اى يدعو لهم بالمغفرة ان يلبسهم حلل عفوه ويذيقهم برد العيش فى دار كرامته
وكان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلا قال غفرانك مصدر غفر نصب
باضمار اطلب او نحوه كانه راى تركه ذكر ربه مدة لبثه فى الخلا لقضاء الحاجة
تقصيرا فتداركه بالاستغفار قالوا اى من ذهب الى تنزيهه عن السهو والفترة
وقد يكون الغين هنا اى فى خبره هو السكينة اى السكون والوقار والتأنى فى الامور
والطمانينة التى تغشاه مما يحتشم له القلب ويسكن فانزل الله سكينته اى طمانينته
وحلمه ووقاره عليه صلى الله عليه وسلم ويكون استغفاره عندها اى حال غشيانها
قلبه اظهارا للعبودية والافتقار الى ربه تعالى وقال ابن عطا استغفاره هذا
تعريف للامة وتعليم لهم كيف يستغفرون ربهم بحملهم على الاستغفار اى طلب المغفرة من
ربهم قالت غيره اى غير ابن عطا يستشعرونه يدركون من تعريفه لهم الاستغفار
الحصر اى الحبس لانفسهم على طاعة ربهم والمنع عن اجتراح السيئات تقاديا من
الخوض فيها وفى نسخة الحذر اى من الوقوع فيها ولا يركنون الى الامن اى لا يسكنون
ولا يميلون اليه حذرا من اقترافها وهم لا يشعرون اذ من حام حول الحمى يوشك ان
يوقع فيه ويحتمل ان يكون هذه الاغانة المفادة بقوله انه ليغان على قلبى حالة خشية
واعظام تغشى قلبه اى تفيض عليه فيطمئن لها فيستغفر حينئذ اى حين غشيانها
قلبه شكرا لله على توالى كرايم منته عليه وتوالى مكارم منحه لديه تبيانا بلسانه على ربه
واداباً بجوارحه فى طاعته واعتقادا انه تعالى موليهما وفى الحديث لا يشكر الله
من لا يشكر الناس اى لا يقبل الله شكر عبد على احسانه له مما لم يشكر احسان الناس
جاحد الود وقيل من كان ديدنه وداته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم
كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له وقيل من لا يشكرهم فهو كمن لم يشكر
الله وان شكره وهذه الاقوال المبنية على رفع الله ونصبه وملازمة العبودية اى
مداومته صلى الله عليه وسلم عليها كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث قيامه
حتى ورمت قدماه افلا اكون عبدا شكورا اى على ما اكرم ربه مما قربه عينا وعلى هذه
الوجوه الاخيرة من قوله قالوا وقد يكون الغين الخ يحمل على ما روى فى بعض طرق
هذا الحديث من رواية البخارى عن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبى مما يغشاه من سكينة وخشية واكرام وغيره لذلك فى اليوم اكثر من سبعين مرة

فاستغفر

لقوله تعالى

فاستغفر الله اظهارا للعبودية لربه وافتقارا اليه وملازمة لذكره وتشريعه لامته
ارشادا لما يكون سببا لغفران ذنوبهم فان قلت ما معنى قوله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بتوفيقهم للايمان حتى يؤمنوا لكن لم
تتعلق به مشيئته فلم يجمعهم عليه فرفع المقدم بنقيضه انتج رفع تاليه كذلك
اوله المعتزلة بانه يأتيهم باية ملجئة لجمعهم عليه لكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
فلا تكونن من الجاهلين اذ لا تتشبه بهم بجزعك فى مواطن الصبر وحرصك على ما لم يكن
من جمعهم عليه وما معنى قوله لنوح اذ ناداه ربه رب ان ابنى من اهلى وان وعدك
الحق فقال له انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم اى بقوله احمل فيها من كل
زوجين اثنين واهلك فلا تسألن ما ليس لك به علم اهو اهلك فى الدين ام لا وسمى نداه
سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاتهم استنجازه لولده وسماه جهلا فى ضمن انى اعظك
ان تكون من الجاهلين لتقدمه له ما نبه على انه ليس منهم من استثنى من سبق عليه
القول منهم مما يصرفه عن سؤاله النجاة له من الغرق لكن شغلته صلى الله عليه وسلم
رغبته الى ربه ان يهديه وينجيه من الغرق فاخذ فى سبب نجاته علما من انه رب
عند ظن عبده به اى انى اعظك وعظا يصرفك عن ان تتشبه بمن جهل تعاميا
عما يعلمه مؤاخذا بانه ليس منهم فاعلم خطاب لكل من يمكن توجيهه اليه سدد
مسدد مفعوليه انه لا يلتفت فى ذلك اى فى خطابه تعالى لهما صرفا لهما عن ان
يتشبها بمن تحمله الانفة وادبر على ما ليس من خلقه جهلا يؤديه الى قول من قالت
فى اية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا تكونن من الجاهلين اى لا تكونن ممن يجهل
ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفى اية نوح صلى الله عليه وسلم اى اعظك ان تكون من
الجاهلين اى لا تكونن ممن جهل ان وعد الله حق لا خلف فيه لقوله وان وعدك الحق اذ فيه
اى فيما قاله مجترئا به عليهما تفسير اللاحقين اثبات الجهل بصفة من صفات الله
وذلك اى اثبات الجهل بصفة من صفاته تعالى لا يجوز على الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم والمقصود مما قاله تعالى وعظهم ارشادا لهم وتنبيها على ان لا يتشبهوا فى امورهم
بسمات الجاهلين تكبرا وفرط عتو عن الحق وكذلك يقال جوابا عمن فسر الايتين بما
بعد صح واما ما افهمه من اثبات الجهل بصفة من صفاته تعالى فكثير ممن لم
يستضئ بنور هداية وتوفيق يحمل ذلك بل ومن ينكرها اجمع مما لا يجوز عليهم
كما قالت انى اعظك ان تكون من الجاهلين بتبعيدا لهم عن ان يتسم بما ليس
من شانه وخلقه وليس فى اية منهما دليل على كونهم صلوات الله وسلامه عليهم على تلك
الصفة اى صفة الجهل التى نهاهم عن الكون عليها والاتصاف بها فكيف يكونوا على صفة
نهاهم عن الكون عليها واية نوح صلى الله عليه وسلم اى انى اعظك ان تكون من الجاهلين
موذنة بان كرتم جوابه كفرهم منهم برئون من الجهل بشهادة ما قبلها ولا تسئلنى
ما ليس لك به علم فنهيهم انما هو عن تشبههم بسمات الجاهلين فحمل ما بعدها وهو انى
اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم على ما قبلها وهو فلا تسالن ما ليس لك به علم
اولى لصراحتهما بعدم علمه له به علم من نجاة ابنه وكان مثل هذا اى سؤاله ما ليس
له به علم من نجاة ابنه قد يحتاج الى اذن من ربه تبارك وتعالى يقدم به عليه وقد يجوز

اباحته السؤال فيه ابتداء رغبة منه الى ربه فى هدايته ونجاته من الغرق فنهاه الله
ان يساله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه اى ستره وصانه عن ادراكه بالبصر او
البصيرة من السبب الموجب لهلاك ابنه بيان لما طوى عنه واكنه وهو ان ابنه لم يكن على
دينه مع ظنه صلى الله عليه وسلم كما قاله الماتريدى انه كان عليه اذ كان يظهر له ذلك
ويبطن كفره نفاقا كراس النفاق عبد الله بن ابى بن سلول واشياعه والا لما تاتى له ان
يقول ان ابنى من اهلى ولما سال ربه نجاته فكان سؤاله اياها له على ظاهر ما عنده ثم
اكمل نعمته عليه صلى الله عليه وسلم باعلامه ذلك بقوله عز قائلا انه ليس من اهلك
اى فى الدين لقطع الولاية بينهما بكفره انه عمل غير صالح تعليل لنفى كونه منهم وجعل نفسه
غير صالح مؤكدا بان واسمية الجملة مبالغة فى ذمه ونفى كونه منهم اى هو ذو عمل
فاسد ووصفه بغير صالح يؤذن بنفى الصلاح الموجب لنجاتهم عنه حكاه مكى وكذلك
اى ومثل وعظه تعالى عبده نوحا صلى الله عليه وسلم صونا له عن ان يتشبه بمن
يتعاطى الجهل ويعتقد عادة التعامى امر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تلويحا فى الاية
بالتزام الصبر اى فى اية ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اى
صبروا على تكذيبهم وايذائهم حتى اتاهم نصرنا ليتاسى بهم فى الصبر على اعراض قومه
عنه وعن الايمان بما جاءهم به ولا يحرج اى ولا يضيق ذرعا عند ذلك الاعراض منهم عنه
فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر والتندم والتاسف على توليهم عنه غير مذعنين
ولا منقادين له حكاه القاضى الامام ابو بكر بن فورك جوز فيه الصرف وعدمه
وقيل الخطاب بقوله فلا تكونن من الجاهلين لامته صلى الله عليه وسلم على طريقة
التعريض اى فلا تكونوا من الجاهلين اى لا تتسموا بسماتهم حكاه مكى وقال مثله اى قال
مكى مثل كون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد به امته فى القران كثير كقوله
يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فبهذا الفصل الذى اوردناه مما اذن بنزاهتهم عما لا يليق
بكريم جنابهم وجب القول بعصمتهم منه بعد النبوة قطعا لشرف مقامهم فان قلت
فاذا قررت عصمتهم اى حفظهم بان لا يخلق الله فى احد منهم ذنبا ولم يتسموا بشىء من هذا
وانه لا يجوز عليهم شىء منه لكرامتهم عند ربهم ونزاهة جنابهم ان يغشى سرادق عزهم
ما لا يليق بهم فما معنى وعيد الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله مع انه لا يفعله
لعصمته وما معنى تحذيره منه اى تخويفه من قربانه كقوله ولقد اوحى اليك والى الذين من
قبلك اى من الرسل مثل من الانبياء لئن اشركت ليحبطن عملك من حبطت الدابة حبطا بالتحريك
اذا وجدت مرعى طيبا فافرطت فى الاكل فانتفخت فماتت اى ليبطلن عملك وتوحيد الخطاب
اما باعتبار كل واحد منهم او كما فى قالى وقيل ربما المعرب اى اوحى اليك لئن اشركت ليحبطن
عملك والى الذين من قبلك كذلك واللام الاولى موطئة لقسم محذوف والثانية جواب
واطلاق الاحباط اما ان يحمل على انه خاص بهم او على تقييده بالموت المفاد بقوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت ولتكونن من الخاسرين من
عطف المسبب على سببه وما معنى قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان عبدته او خذلته فان فعلت اى عبدته من دون الله وكنى بالفعل عنه مجازا
فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن منفعة عبادته من دون الله

وجعل

وجعل من الظالمين بانه لا ظلم اعظم من الشرك وما معنى قوله لنبيه صلى الله
عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اى لقاربت ان تميل الى
مرادهم اذ كنت بصدد الركون لشدة احتيالهم وقوة خدعهم فادركتك تثبيتنا وعصمتنا
فلم تقرب من الركون اليهم فضلا من ان تركن اليهم فهذا صريح بانه صلى الله عليه وسلم
ما هم باجابتهم مع قوة الداعى اليها وموذن بان العصمة بتوفيق الله وحفظه
اذن اى لو قاربت الركون اليهم لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى عذاب الدنيا
وعذاب الاخرة مضاعفا والاصل عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات
بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف واقيمت صفته مقامه ثم اضيفت وما معنى قوله تعالى
فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل اى لو افترى علينا
تكلفا ما لم نقل لاخذنا منه باليمين جواب لو ثم لقطعنا منه الوتين تصوير لقتله
صبرا بافظع ما يفعله الملوك معاجلة بمن يتكذب عليهم فيؤخذ بيمينه فتضرب عنقه
فينقطع وتينه وهو حبل الوريد فانه اذا قطع مات صاحبه لانه نياط القلب
وما معنى قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل
الله اى عن طريقه المودى اليه اذ الضال لا يامر فى الغالب الا بما فيه ضلال وما معنى
قوله له صلى الله عليه وسلم ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة وهمزتها
للتوبيخ اى ايما تكون اى ينسبونك الى الافتراء على الله الذى هو اعظم الفرية
وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك اعاذه الله من ذلك اى ان يشا يجعلك ممن يختم
على قلبه حتى يفترى عليه الكذب اذ لا يجترى عليه الا من هو مثلهم وهذا اسلوب
مؤداه استبعاد الافتراء من مثله تلويحا بانه لا يجترى الا من ختم على قلبه جاهلا
بربه او يختم عليه بمعنى يمسك القران والوحى مصدر بمعنى المفعول اى الموحى
اليك من السنة او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم وهذا اليق بشانه صلى
الله عليه وسلم وما معنى قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل ما امرت به من تبليغ ما انزل اليك من ربك فكنى بالفعل عنه فما بلغت بما امرت
به رسالته كلا او بعضا اذ ترك البعض كترك الكل او فلانك ما بلغت منها كمن
امن ببعضها من حيث ان ترك البعض والكل سواء فى الفظاعة والشناعة وما
معنى قوله يا ايها النبى اتق الله تفخيما لشانه وتكريما لرفعة محله وتنويها بفضله
وتعظيما للتقوى من حيث امره بالثبات عليها ليكف عما نهاه بقوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فيما يودى الى وهن فى الدين واعلم ايها المخاطب وفقنا الله واياك
لما يحب ويرضى بخالق قدرة طاعته فينا انه صلى الله عليه وسلم لا يصح له ولا يجوز
عليه ان يترك ما امر بتبليغه ولا يبلغ ولا يصح له ولا يجوز عليه ان يخالف امر ربه لنزاهة
منصب النبوة عنه ولا ان يشرك بربه احدا العصمة منه ولا ان يتقول على الله افترا
عليه تعالى ما لا يجب ان يقال ولم يوذن فيه او يفترى عليه ما لا يليق بجناب سرادق
عزه او يضل ان اطاع اكثر من فى الارض بهم او يختم على قلبه بالضم مبنيا للمفعول
لنزاهته عن ذلك او يطيع الكافرين والمنافقين لان طاعتهم مما يودى الى مدح
لفتنتهم المودى الى وهن دينه وقد ارسل ليظهره على الدين كله لكن ليبشر الله نبيه

له صلى الله عليه وسلم امره اى شانه وحاله وعرفه سلوك منهج اظهار دينه
بالمناصحة والبيان فى البيان للعالمين ممن امر بابلاغه ما ارسل به اليهم وطيب
نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس بحفظه وكلاءته لك ممن يتعرض
لك منهم بقتل فلا عذر لك فى ترك التبليغ ولقد صبر على ما كذب واوذى حتى
اتاه نصر ربه فما اشد تكليف الانبياء صلى الله وسلم عليهم كما اى طيب نفسه
وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس مثل ما قال لموسى وهارون لا تخافا
اننى معكما حافظ وناصر لكما على فرعون مع فرط عتوه وشدة شكيمته لتشتد بصائرهم
صلوات الله وسلامه عليهم فيكونوا مستبصرين على تقيين امورهم فى الابلاغ
الى من ارسلوا اليهم بما ارسلوا به والاظهار لدين الحق على كل دين باطل ويذهب عنهم
خوف العدو والمعنف يجوز تخفيف عينه وتشديدها المعنف الموهن قواها
واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية منصوبة بنحو اعلى اى كلمة وتمامها
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحياة اى وضعف الممات فالمنفى عنه مقابله فمعناه ان هذا اى الاخذ باليمين
وقطع الوتين واذاقة ضعفى عذابهما جزاء من فعل هذا المقول والركون الى مراد
الكفرة وجزاؤك لو كنت ممن يفعله منفردا بفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله
وكذلك اى مثل لو تقول ولاذقناك قوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك
فالخطاب به له والمراد غيره ايقاظا وتحريكا لهم ليتيقظوا فياخذهم الى ان يتيقنوا
انهم هم المقصود به اولا وبالذات وهو صلى الله عليه وسلم انما خوطب به مع
رفيع قدره وعلو محله لتفرع المعنى لذى الحكم تلويحا له بانهم هم الاحرى بالكلام والنصرا
لمواقع البيان فهو خطاب لغيره كناية كما قال تعالى مخاطبا لهم صريحا يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت
اذ قالت المنافقون للمؤمنين باحد عند انهزامهم اذا رجفة بقتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذبا ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم ولو كان محمد نبيا ما قتل
وكذلك قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب به والمراد كما مر فى امثاله غيره
وكذلك قوله لئن اشركت ليحبطن اى ليبطلن عملك وما اشبهه فانه خوطب به والمراد غيره
تعريضا ليتيقظ انه المقصود وان هذا اى الحكم باحباط العمل حال من اشرك فاريد بما ذكر
وان خوطب به كناية وتعريضا لغيره ليكف واما قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
اى فى قبول راى منهم ولا مشورة وجانبهم فانهم يريدون بذلك الا المضادة
والمضارة فليس فيه انه اطاعهم وانما كان ذلك بايعه بعض بنى قريظة والنضير وتيقاع
على نفاق منهم فكان لا يخفض لهم جناحه ويكرمهم صغيرا وكبيرا ومن امن منهم
قبيحا نجا وزعنه فنزلت والله تعالى ينهاه عما يشا ويامره بما يشا مما ليس لغيره
ان يامره به وينهاه عنه كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم اى يعبدونه بعد
ان امره بالانذار من يخاف ان يحشر الى ربهم لكى يتقى به بالغداة والعشى مرشين عباده
مذعنين يريدون وجهه اى ذاته مخلصين له فى عبادته فنهى عنه لم عن طردهم
تلويح بانهم الاحنا بتقريبهم منه واكرامهم ولا يطيع فيهم من يبغى بهم خلافهما

ترضية

ترضيه له اذ قد روى ان ناسا من رؤوس الكفرة قالوا له صلى الله عليه وسلم لو طردت
هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المؤمنين كصهيب وعمار وسلمان جلسنا اليك وحادثناك
فقال ما انا بطاردهم فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم ترجيا لاسلامهم
فقالوا اكتب به كتابا فدعا عليا ليكتب فنزلت وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم
بشهادة قولهم فاقمهم اذا جئناك لا يؤذنه بتعليق قيامهم بمجيئهم ولم يقم ولا كان
صلى الله عليه وسلم من الظالمين بقوله لهم نعم كناية عن قولهم لهم اقمهم عنكم
اذا جئتم طمعا فى ايمانهم اذ كان غاية هواه وفوز مناه ان يؤمنوا عن اخرهم
ومن ثم عتبه ربه بقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين فصل
واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة مما قرع سمعك واوذناك معناه فيما مر آنفا
فللناس فيه خلاف وشحنا به كتبنا ذرر القلائد ومقاصد المقاصد وشرحيها والصواب
انهم معصومون قبل النبوة اى محفوظون قبل اظهارها بالرسالة من الذنوب كبائر
وصغائر وبعدها مثل الجهل بالله وصفاته ثبوتية وسلبية وفعلية واضافية ولا
والتشكيك فى شئ من ذلك لطبع فطرتهم على التوحيد بالله والايمان به منيبين اليه
غير نائين عنه ولا منكرين منه وليس لاحد ان يقول قوله تعالى ما كنت تدرى
ما الكتاب ولا الايمان موذن بغير ذلك فانا نسلق به الى القول بعدم درايتهم بالايمان
قبلها لان المراد بما به الايمان بما لا يعرف الا بالوحى كالايمان بوجوب الصلاة
والزكاة وصوم رمضان والحج وغير ذلك من فروع الشريعة وقد تعاضدت الاخبار
والاثار الواردة عن الانبياء وغيرهم اى تقوى بعضها بعضا بتنزيههم عن هذه
النقيصة مما يرفع مقامهم عن ان تتصاف بها منذ ولدوا ونشاتهم اى ومنذ ولدوا ولم
يتكاملوا وهم على التوحيد لله لا يشركون به احدا طرفة عين ويجوز ان تكون نشاتهم
مبتدا خبره الظرف بعده ويجوز ان تكون جملة حالية من ضمير ولدوا اى ناشئين عليه
والايمان بوجوب وجوده بل اشتغالية اى وعلى اشراق انوار المعارف فى افنية
ضمائرهم ولوعية قلوبهم ونفحات الطاف السعادة بتوفيقهم لما يعنهم امر ربهم ورضا
حتى تكاملوا هذا ولتمكنهم من التوحيد والايمان ومخالطة بشاشتهما قلوبهم والقناة
الخارمعا رطهم بهما وشمول نفحات لطف رحمة ربهم لهم شبهوا بمن اعتلى شيئا وركبه
تمثيلا لرفع درجاتهم فيهما ورسوخ اقدام بصائرهم عليهما فكانهم اعتلوها واقتعدوا
غارب كنفهما وفى الحديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها
وفيه تعرضوا لنفحات رحمة الله كما نبهنا عليه اى على تنزيههم عما ذكر فى الباب الثانى
من القسم الاول مع بيان ما احتيج اليه فراجعه ان شئت من كتابنا هذا ثم لم ينقل احد
من اعلام الائمة الاخيار ولا غيرهم من اهل الاخبار ان احدا نبى واصطفى ممن عرف بكفر
واشراك من عطف الخاص على العام قبل ذلك اى قبل اظهار نبوته واصطفائه ومستند
هذا الباب اى باب انه لم ينبأ ولم يصطف احد ممن عرف بشئ من ذلك قبل وبعد بابوابه
الى ركن شديد هو انهم خلقوا ونشاوا على التوحيد والايمان مهتدين وقد استدل
بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه اى الصفة بشئ من الكفر والاشراك قبل ذلك
سبيله واما قوله [illegible] بشارته نبيا صلى الله عليه وسلم بكلمة افتنه اى كذبته

عليه من قبايح وشنايع كقولهم ساحر شاعر معلم مجنون انما يعلمه بشر مما حكاه الله
منهم وعير كفار الامم بمهملة فمثناة تحتية مشددة اى عابوا انبياءهم بملاشاً مكنهم
واختلقوه من الخلق والابداع فكان الكاذب يخلق قوله مما نص الله عليه في كتبه
السماوية من تكذيبهم لهم ورميهم بعظايم الامور او نقلته الينا الرواة ولم نجد في
شيء من ذلك اى الذى نص الله عليه او نقلته الرواة ان احدا منهم عرف بكفر واشراك
قبل ان ينبا ويصطفا بشهادة انا لم نجد لاحد من اممهم تعييرا لواحد منهم صلوات الله
وسلامه عليهم برفضه الهته وتقريعه اى توبيخه بذمه بتركه ما كان قد جاءهم واوفاهم
عليه من اتخاذه الهة مثلهم قبل اصطفائه بالرسالة وقد اعاذهم الله من ذلك
ولو كان قد وجد من احد منهم هذا اى انه اتخذ الهة مثلهم قبل اصطفائه ثم تركها بعده
لكانوا اى كفار اممهم بذلك اى بما عرفوه منهم لو وجد قبل ذلك مبادرين اى بتعييرهم
وتقريعهم به ولكانوا بتلونه في معبوده لانتقاله عنه الى معبود اخر محتجين عليه
بذلك ولكان توبيخهم له بتبييهم عما كان يعبد قبل اقطع وافظع في الحجة من توبيخهم
بنهيهم عن تركهم الهتهم وعن تركهم ما كان يعبد اباؤهم من قبل اى قبل انبيائهم ففي
اطباقهم اى كفار مكة اممهم واجماعهم اتفاقا على الاعراض عنه اى عن توبيخ احد
منهم بانه كان له الهة قبل اصطفائه دليل على انه لم يكن له الهة قبله ولو كان لو نجد
وعيروه بتركه لم نجد لشهادة انهم اى كفار اممهم لم يجدوا اليه سبيلا يجحونه ويتسلقون
الى ترويج اباطيلهم الكاسدة واغراضهم الفاسدة اذ لو كان لنقل لكان متوفر الدواعي
على نقله اذ كان مناهم ان يرموه بلوايح الهوان وروايح البهتان وما سكتوا عنه كما لم
يسكتوا عن تحويل القبلة اى صرف التوجه للصلاة وقالوا ما ولاهم اى ما صرفهم عن قبلتهم
بيت المقدس التي كانوا عليها كما حكى الله عنهم توبيخا لهم وتسفيها لاحلامهم بقوله له
سيقول السفهاء من الناس اى خفاف الاحلام الماهتون انفسهم بترك النظر
المؤدي الى الاذعان للحق يعني لكراهتهم التوجه الى الكعبة ولعدم قولهم بالنسخ او
المنافقين لفرط حرصهم على الطعن والاستهزاء او المشركين اذ قالوا رغب عن قبلة
ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فكذبوا وخسئوا وقد استدل القاضي لعله
ابو نصر عبد الرحيم بن الاستاذ ابى القاسم القشيري على تنزيههم عن هذا
اى عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شيء منه وعن الكفر والاشراك قبل
البعثة بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اى عهدهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى دين الاسلام ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم من عطف بعض
افراد العام عليه اصطلاحا وخصهم بالذكر لشهرتهم وفضلهم وقدم نبينا تعظيما
لشانه وتكريما واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما شانه كرره لبيان وصفه بالغلظ
استعارة له وصف الاجرام تعظيما له اى اخذه ليسأل يوم القيامة الانبياء
الصادقين عن صدقهم اى عن قولهم الصدق في تبليغهم اممهم فالمصدر مضاف
الى فاعله او عن تصديق اممهم لهم وعما اجابوهم به فهو مضاف الى مفعوله وسماه
صدقا لان تصديق الصادق صدق او ليسأل المؤمنين عن صدقهم في عهدهم
ووفائهم به من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واستدل الينا على تنزيههم

عما

عما ذكر بنحو قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين اى عهد انفسهم او عهد اولادهم
بني اسرائيل على حذف المضاف وسماهم انبياء تهكما بهم وسخرية اذ قالوا نحن احق
بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والانبياء منا او عهدهم واممهم واكتفى بذكرهم
عن ذكر الامم لما اتيتكم لام موطية لورود ما بعدها جوابا للقسم اعني اخذ
الله لانه بمعنى الاستحلاف نهي كالداخلة على من في لمن تبعك منهم لاملان جهنم
فما شرطية منصوبة بالفعل بعدها وهو ناصب لمعنى الاستقبال لمقدمها عليه
شرطية كهي في ما يفتح الله للناس من رحمة ومن في من كتاب وحكمة كهي في ما
ما ننسخ من اية ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم معطوف على فعل الشرط ويلزم فيه
ضمير يربطه بما عطف عليه اى جاءكم رسول به ويجوز ان تكون ما موصولة صلتها
ما بعدها وعايدها محذوف اى اتيتكموه وثم جاءكم معطوف على الصلة والعايد
عليه منها محذوف اى ثم جاءكم رسول به لتؤمنن به ولتنصرنه جواب القسم
وحذف جواب الشرط لدلالته عليه واللام كهي في لاملان جهنم قال اى القشيري
فطهره الله في الميثاق باماطة ما لا يليق بكريم قدره وتشريف محله وبعيد ان ياخذ
اى الله منه صلى الله عليه وسلم الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين مؤكدا عليهم
بايجاب الايمان به ونصره بحذا ان من ساماه وخزي من ناواه قبل مولده بدهور جمع
دهر وهو الزمان الطويل

ان دهرا يلم شملي بجمل ... لزمان يهم بالاحسان

وان يجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا هو المستبعد والواو للحال والمعنى
مع اى يبعد بل يمتنع ان يمتحنه بذلك حال الشرك او غيره او مع تجويزه عليه شيئا
من ذلك لبراءة شانه ونزاهة نشاوه هذا اى تجويز الشرك او غيره من الذنوب
عليه بعد اصطفائه به من اخذ ميثاق الانبياء قبل وجوده لئن جاءهم ليؤمنن به
ولينصرنه مالا يجوزه عليه صلى الله عليه وسلم الا ملحد حاد عن منهج الهدى عنادا مع
نزاهته صلى الله عليه وسلم عن وصمة الشرك وداعية الذنوب وكيف يكون ذلك
استفهام اريد به التعجب والتعجيب والانكار لتجويزه عليه بانكار حاله التي يرد
عليها لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون له حال يرد عليه
لزم منه انكار وجوده بطريق الكناية على وجه برهاني فهو ابلغ فاقول انكارا
من ان يكون ذلك وافق لما بعده من الحال وما يبرئ جنابه عن لا غنية
التجويز اى على اى حال يجوز ذلك عليه والحال انه صلى الله عليه وسلم قد اتاه جبريل
كما رواه مسلم عن انس وشق قلبه صغيرا اى حال صغره واستخرج منه علقة اى قطعة
دم عبيطا اى طري غليظ وقال هذا حظ الشيطان منك اى نصيبه ومحنته الذى يسر
ويفرح به من غيرك بقبول وسوسته له فباخراجها لم يكن له عليه تسلط ولا غيره
من الانبياء بسبيل لشهادة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين وجعلها لنفسها حظه لانها محل قبول وسوسته ممن له عليه سلطان
بما يقذفه في قلبه مما هو بدنه من الشر مما يورثه هلكة الدنيا والاخرة
ثم غسله وملاه حكمة وايمانا تمثيل وتصوير للزومهما قلبه وتمكنهما منه باستقرارهما فيه

فكانت أفراد كثيرة ملائمة له كما تظاهرت به أي بشق قلبه صغيرا وملئه حكمة وإيمانا
أخبار المبدأ أي مبدأ أمره صلى الله عليه وسلم إلى أن بعث كما رواه الثقات وما يشير على
الأمر في تصويب عصمتهم قبل النبوة فيما تلي عليك بقول إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم
لما جن عليه الليل في الكوكب إذ رآه هذا ربي فلما أفل أي غرب قال لا أحب الآفلين ۝
و قوله في القمر إذ رآه بازغا هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من
القوم الضالين و قوله في الشمس إذ رآها بازغة هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال
يا قوم إني بريء مما تشركون فإنه أي قوله ذلك فيهما قد قيل إنه كان في سن الطفولية
وقيل الزمن التكليف له زمن مراهقته تنبيها لأبيه وقومه إذ كانوا يعبدونها مع ۝
الأصنام على خطائهم في عبادتها وأن شيئا منها لا يكون إلها يعبد لقيام ما أذن بحدوثها
مع تغيرها وانتقالها من حال إلى حال وأن لها محدثا أحدثها ودبر طلوعها وأفولها وسيرها
واختلاف أوضاعها هذا أو ذهب معظم الحذاق جمع حاذق بذال معجمة أي أكثر المهرة المتقنين
ومنه قول زيد بن ثابت فما مر بي نصف شهر حتى حذقته أي عرفته وأتقنته
من العلماء بيان لمعظم والمفسرين من عطف أخص أفراد العام عليه تلويحا بأنهم الأحق
بالذكر منفردين إلى أنه أي إبراهيم صلى الله عليه وسلم إنما قال ذلك أي هذا ربي لكل
منها مبكتا حال من ضمير قال أي معنفا مقرعا ومعنفا وموبخا لقومه ومقبحا
عبادتهم لها ومستدلا عليهم بأن الانتقال والاحتجاب بالأفول والاستتار مؤذن
بالإمكان والحدوث المنافي للألوهية إرشادا إلى سلوك منهج النظر الصحيح وزجرا لهم
عن قبيح عبادتها وإنجاء لهم من وصمة التعصب وداعي إلى قبول الحق وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الإنكار المنسوج غيره على منوال النفي المؤذن بأنه إذا تتركون هذه
الأجرام المعبودة شركا لخالقها تولدت منه إنكار عبادتها على وجه برهاني إذ بانتفاء
الملزوم انتفاء لازمه والمراد بقوله هذا ربي فهذا ربي توبيخا وتقريعا وإنكارا لأن
يكون ربه فالهمزة فيه للإنكار التكذيبي في الماضي يعني لم يكن هذا ربي كما في أبشرا
منا واحدا نتبعه هذا وتنبه للفرق بين الإنكار التكذيبي بمعنى لم يكن أو لا يكون كما
في أصطفى البنات على البنين أفأصفاكم ربكم بالبنين وبين الإنكار التوبيخي بمعنى لم كان
أو لم يكون كما في أفعصيت أمري أو تعصي أمري وقال الزجاج هذا ربي أي على قولكم
وفي زعمكم أنه رب يعبد توبيخا وتقريعا لهم كما قال أين شركائي أضافهم إليه مع
سؤاله لهم عنهم تهكما وسخرية بهم أي أين شركائي عندكم وفي زعمكم ويدل على أنه أي
إبراهيم لم يعبد شيئا من ذلك أي الكوكب والقمر والشمس ووثنا ولا أشرك قط بالله طرفة
عين أي زمن رجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها بل ولا قدر ابتدائه أنه قول الله
حكاية عنه أي عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ أي حين قال لأبيه وقومه
ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين أي ندوم وأطالوا الجواب
وكان يكفيهم أن يقولوا أصناما إظهارا لما في ضمائرهم من الابتهاج والسرور
والافتخار به ثم قال أي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم
وآباؤكم الأقدمون حيث لا ينهض لتقدم برهانا على صحة عبادته ولا يتعلق به
الباطل حقا فإنهم عدو لي فلا أعبدهم ثم فكرت في أمري فرأيت عبادتها عبادة

للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه ليشمتا دان كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا تلويح بأن ذلك نصيحة نصح بها أولا نفسه وبنى عليها ۝
تدبير أمره ليتقودهم بنظرهم إلى أن يقولوا ما نصحنا إلا بما نصح به نفسه ولا أراد
لنا إلا ما أراده لها ليكون أدعى إلى الانقياد وأبعث على الإذعان وأدخل في باب
التعريض المفيد للمنصوح له ما لا يفيده التصريح إذ ربما قاده التأمل فيه
إلى القبول ومنه قول الإمام الشافعي وقد واجهه جهول بشيء لو كنت حيث أنت
لاحتجت إلى أدب تعريضا به إلا رب العالمين استثناء منقطع أي لكن وقال إذ جاء
أي إبراهيم صلى الله عليه وسلم ربه بقلب سليم أي من آفات القلوب كالغل والحسد
وإضمار السوء أو مخلصا له أو خالصا من العلائق أو من الشرك وقوله واجنبني وبني
أن نعبد الأصنام أي بعدني أنا وهم عن عبادتها وثبتنا دائما على اجتنابها فإن
قيل ما معنى قوله بعد ما قول لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
المتحيرين في أودية الضلال قيل جوابا لقوله ذلك إنه استعجز نفسه واستعان
بربه أن يريه الحق إذ لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه تعالى فقال لقومه إنه إن لم
يؤيدني بتبصيره إياي الحق بمعونته لأكونن مثلكم أهيم في أودية ضلالكم وعبادتكم ما لا يصح
أن يكون إلها إعلاما لهم بأنهم على ضلال وأن من اتخذه إلها فهو ضال وإنما قال
ذلك على معنى الإشفاق والحذر من التورط في تلك الوصمة وإلا فحمل قوله لئن لم يهدني
ربي لأكونن من القوم الضالين على ذلك فما باله قاله وهو معصوم في الأزل من الضلال
المورث للحيرة في أوديته فإن قلت فما معنى قوله تعالى في سورة
إبراهيم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فنسبوا
ليكونن أحد الأمرين إما إخراجهم أو عودهم في ملتهم ولم يكونوا عليها من قبل
ثم قال تعالى بعد أي بعد قولهم لهم لنخرجنكم من أرضنا الخ فأوحى إليهم ربهم لنهلكن
الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم وقال في سورة الأعراف عن شعيب صلى الله
عليه وسلم بعد أن قال له قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين الأعن الرسل وإن زعمه هنا قد افترينا
على الله كذبا استئناف فيه معنى التعجب مقيد بالشرط بعده أي ما أكذبنا على الله ۝
إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وعصمنا من الركون إليها فضلا عن مقارنتها
وهذا هو الشرط المقيد به ما قبله حذف جوابه لدلالة قد افترينا عليه وهو
بمعنى المستقبل إذ لم يقع أصلا لسده مسد الجواب وجعل كالواقع للمبالغة بشهادة
دخول قد عليه تقريب له من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود فيها
بعد نجاتنا منها كان عود ما فيها افتراء عليه نظم نفسه مع من آمن معه في العود
مريد إليهم دونه إذ لم يكن فيها طرفة عين أجرى الجواب مجرى قولهم أو لتعودن في
ملتنا تغليبا لمن كان اتصف بالكفر قبل إيمانه على من لم يتصف به أصلا فجعلوا عائدين
جميعا ولا تشكل عليك لفظة العود فتورد أن الإنه رجوع الشيء إلى ما كان عليه
بعد انتقاله عنه وإنما تقتضي أنهم أي الأنبياء على ما زعمه إنما يعودون إلى ما كانوا
بل شعيب إلى ما كان عليه من ملتهم ولم يكن في شيء منها أصلا لعصمته كما فيه أدنى

تغيرعنهم وضلاعن الكفر واستوضح ما يصرفك عما تقتضيه هذه اللفظة فقد
تاتى هذه اللفظة اى لفظة العود بل كثيرا ما ترد فى كلام العرب بكثرة فاشية
بمعنى الصيرورة فلا تكاد تسمع منهم صار بل عاد تاعدت اراه ما عاد لفلان مال كما جا
فى حديث الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى فى الجهنميين عادوا حمما اى صاروا سودا
قد امتحشوا فلم يكونوا قبل ذلك كذلك اى لم يكونوا حمما قبل كونهم بجهنم حمما ومثله
اى مثل ما جا فى حديث الجهنميين ان عاد بمعنى صار قوله من بحر البسيط من عروضه
المجنونه وضربها المقطوع وقافيته المتواتر وهى ما وقع فيها متحرك بين ساكنين
تلك المكادم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد اى بعد شربهما ابوالا با ستحالتهما
فى المعدة كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى حذف
مفعوله محافظة على رعاية فواصل الآى ليس هو من الضلال الذى هو الكفر لعصمته
كالانبيا قبل النبوة وبعدها مما يشينهم فضلا عن الكفر قيل معناه وجدك ضالا
عن النبوة فهداك اليها اى وجدك غير عارف بها فعرفك اياها وقيل وجدك
بين اهل الضلال فحذر عليك ان تنتظم فى سلك ضلالهم فعصمك من ذلك وهداك للايمان
والى ارشادهم اليه اذ كانوا مستدين الى الحق وقيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها الا بالالهام
او الوحى فهداك اليها بشهادة وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اى موحى به يحيى
من امن بك كما يحيى الجسد بالروح ومن ثم سمى روحا والضلال المراد به هنا فى هذا القول
هو التحير من ضل عن الطريق اذا حار ولم يدر اين يذهب ولهذا اى ومن اجل ان الضلال
هنا هو التحير كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا فى طلب ما هو وسيلة يتوجه به الى
ربه ويتشرع به ليزدلف به اليه حتى هداه الى الاسلام غاية لطلب ذلك وقيل وجدك
ضالا لم تعرف الحق ناسيا عنه قابلا له فهداك اليه وهذا من سلك ملك ما لم تكن تعلم
من امور الدين والاحكام او من خفايا الامور قال ابن عباس لم يكن ضلاله معصية
لانها نقيصة يربا كريم جنابه عنها وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين الذين لم
يقدروك حق قدرك بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة التى لا تقاد لاحد فى حقية
ما جا به شبهة وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة ما تدرى ما محياك ومماتك فهداك
الى المدينة فكانت محياك ومماتك وهدى بك اقواما كانوا عن الحق غافلين واخرين
كانوا له معاندين وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا عن الحق وعن جعفر
الصادق ابن محمد الباقر بن زيد العابدين بن على ووجدك ضالا اى عن محبتى لك فى الازل
اى توفيقى وهدايتى واردتى ما لك اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى لتعرف بها محبتى
لك اذ لم اخلق احدا اكرم على منك وقرا الحسن بن على ووجدك ضالا بالرفع فاعل
وجد اى متحير لا يعتدى لوجهه حق فهدى اى اهتدى بك اى المعوز بسعادة المبدا
والمعاد وقال ابن عطا ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى ما لكا نظام محبتها بنور
هداية الهية وعناية ربانية والضال هو المحب المولع بمحبوبه كما قال تعالى حكاية
عمن قال ليعقوب اذ قال انى لاجد ريح يوسف انك لفى ضلالك القديم اى لفى
ذهابك الى محبتك القديمة ليوسف بافراطك فيها وذكرك له ورجايك لقاه ظن
منهم انه قد مات ولم يريدوا اى القايلون له انك لفى ضلالك القديم هنا بقولهم
فى ضلالك

ضلالة فى الدين اذ لو قالوا ذلك مريدين له اعتقادا فى نبى ابن نبى الله لكفروا
لاجترايهم بنسبة الضلال فى الدين اى من عصمة الله ومثله اى ما قاله ابن عطا عند
هذا اى عند ابن عطا فوضع اسم الاشارة موضع ضميره لكمال العناية بتمييزه
لاختصاصه بحكم بديع عجيب شانه هو جعله الضلال حبا قوله انا لنراها فى ضلال
مبين اى محبة بينة اورثتها انها لها وحيرة بحرقها شغاف اى حجاب قلبها حتى وصل
فواده اى محبته وسويداه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك مما خفى
عليك فهداك لبيانه فمن استبانه هداه الى الصراط المستقيم لقوله وانزلنا اليك الذكر
اى القران سمى ذكرا لانه ينبه بموعظته لتبين للناس ما نزل اليهم مما اشتبه عليهم
منه وقيل وجدك ضالا بين الناس لم يعرفهم منهم احد بالنبوة جملة حالية من الكاف
ولم يقرنها بالواو ولا ستوا الامرين جوازا وتركا فيها اذا وردت على اصلها من كونها
فعلية لا على طريقتها من كونها اسمية كما فى

لوان قوما لارتفاع قبيلة • دخلوا السماء دخلتها لا احجب

وفى

اقادوا من دمى وتوعدونى • وكنت وما ينهنهنى الوعيد

حتى اظهرك فهدى بك السعدا ممن جعله الله سعيدا فى
الازل وما اعلم احدا من المفسرين قال فيها اى فى اية ووجدك ضالا فهدى
اى ضالا عن الايمان لانه كالانبيا خلقوا حنفا مستدين الى ما اريد بهم لانهم فى كل
خير ومعصومين مما فيه تنفير قبل البعثة وبعدها وكذلك اى مثل ووجدك
ضالا فهدى فى قصة موسى صلى الله عليه وسلم قوله فعلتها اذا وانا من الضالين
وقراة ابن مسعود من الجاهلين اى من الفاعلين فعلا اولى الجهل او من المخطيين الفاعلين
لها بغير قصد ونحو قيل او الذاهبين الى ما يقتضيه الوكز قصدا من التاديب
وقال الازهرى معناه من الناسين تكذيبا لفرعون اذ جعله مما من الكافرين
ودرا عن نفسه وتبريه لساحة جنابه الكريم وقدره العظيم بوصفه الضالين
موضع الكافرين رفعا للشرف محل من ثبتت له قدم صدق فى اوج النبوة عن وصفه
بما لا يليق به وقد قيل اى قول الازهرى من الناسيين فى قوله تعالى فى حق نبينا
صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما فى ان تضل احداهما بان
لا تهتدى للشهادة ناسيا نالها فتذكر احداهما الاخرى علة للضلال اى ارادة
ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة واعتبار العدد فيهن مع الرجل
مشعر بنقص عقلهن وقلة ضبطهن فان قيل فما معنى قوله تبارك وتعالى ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ما كنت تدرى قبل ورود الوحى من
معرفة القران وقراته ومعرفة الايمان باحكام الشريعة مما كسبه بالوحى دون
ما فطر وجبل عليه من الايمان بالله وتوحيده كاخوانه النبيين بشهادة ما هنا
من ان السمرقندى قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ومجى الملك اليك به اى تقرا
القران وما كنت تدرى ما الايمان الذى هو الفرايض والاحكام الذى شرعها الله
لك وبعثك بها وعطف العام على البعض فراده تنبيها على الايمان بما فيهما قال
اى السمرقندى فكان قبل اى قبل الوحى ومجى الملك اليه مومنا بتوحيد الله وقدم و

ثم نزلت الفرايض التى لم يكن يدريها قبل اى قبل بعثته فازداد بالتكليف ايمانا وحديث
عثمان بن ابى شيبة هذا الذى رواه البيهقى وابو يعلى انكره الايمة جدا واحمد بن حنبل
وقالت موضوع او شبيه بالموضوع ليس حكمه حكم الضعيف فى العمل به فى فضايل الاعمال
لانه شر منه وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر غير
متفق عليه على اسناده فلا يلتفت اليه عملا فى فضل عمل والمعروف عنه صلى الله عليه وسلم
خلافه عند اهل العلم يعنى علم الحديث وطرقه من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت بالبنا
للمفعول اى بغض الله الى الاصنام تفاديا من وصمة الميل اليها اذ قد خلق مهديا وحديث
ام ايمن هذا الذى رواه ابن سعد عن ابن عباس عنهما وحديث بحيرى الذى رواه ابن
سعد ايضا عن نفيسة بنت منية عنها لضعفهما عن البيان والمعروف ايضا من سيرته
صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له بخلقه تعالى الهداية فيه صلى الله عليه وسلم انه كان
قبل نبوته اى قبل ظهورها ببعثته يخالف المشركين فى وقوفهم اذ كانوا يقفون بمزدلفة
فى الحج فكان يقف هو بعرفة حتى بتمييز الفضل تلويحا باختصاصه صلى الله عليه وسلم
هداية من الله له ان يعمل قبل بعثته بما يكون شرعا له يتعلقا بشهادة ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا

فصل

قد بان وهم وضح لنا بما
قدمناه عقود الانبياء اى ثبوتهم ورسوخ اقدام هداهم فى التوحيد والايمان والوحى
اليهم مما يجب الاعتقاد والاذعان لهم فيما دعوا اليه وعصمتهم من التفريط فى شئ من
ذلك على ما بيناه فيما تقدم مرارا فاما ما عدا هذا الباب اى باب عقودهم فى التوحيد
والايمان والوحى وعصمتهم فيما من عقود قلوبهم فجماعها اى جميع قلوبهم انها مملوءة
علما ويقينا على الجملة بلا تفصيل لكثرة المتعلقات من معلوماته وانها قد احتوت اى
ضمت وجمعت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا جزئيات وكليات ما لا شئ فوقه
من بدايع المعروفات وروايع المعلومات لكن استثناء منقطع اى لكن احوالهم
فى هذه المعارف تختلف بحسب متعلقاتها فاما ما تعلق منها بامر الدنيا كتدبير
المعاش والقيام بمصالح الالزام والاتباع فلا تشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم
معرفة الانبياء ببعضها وضع الظاهر موضع المضمر فيما تنويها بكريم شانهم وكمال
العناية بتمييز رفيع جنابهم والتلذذ بذكرهم او من عدم اعتقادها مصدرا اضيف
الى المفعول او لا عدم اعتقادهم اياها على خلاف ما هى عليه كذا قالت بشهادة قوله
صلى الله عليه وسلم للانصار وهم يابرون النخل لا عليكم ان لا تفعلوا فتركوا
تابيره فلم يفلح منه ذلك العام الا قليلا فقال انتم اعرف بدنياكم ورجوعه
للحباب بن المنذر رضى على ما مر ولا وصم اى ولا تقصير ولا توانى منهم ولا عيب
متعلقة بالاخرة وانبائها جمع نبا اى اخبارها واحكام الشريعة اعتناء بتدبير امورها
وبيان احكامها المتعلقة بالعمل بها والجرى على قوانينها جمع قانون وهو كما تقدم
امر كلى منطبق بالقوة على جزئيات موضوعه كالامر للوجوب والنهى للتحريم وطريق
اخراج جزئيات موضوعه الذى هو الامر بضم مقدمة صغرى اليه كقوله اقيموا الصلاة
امر وكل امر للوجوب فهو ينتج مثاله وطلاق الحايض بدعى والبدعى غالبا حرام فطلاقها
حرام وامور الدنيا تضادها اى تضادها من حيث الضدية والمنافاة بخلاف غيرهم

اى غير الانبياء من اهل الدنيا الذين قال الله فيهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اى غير الانبياء يعلمون بدل مما قبله واقيم مقامه تلويحا بانه لا فرق بين عدم العلم
الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا وتسجيلا عليهم بكمال البلادة
والذم اذ لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا مما يرونه ويتمتعون به من ملاذها
وينبسطون فيه دون ما لطمتها من كونها مجازا للاخرة يتزودون منها خير الزاد
التقوى بالطاعة وصالح الاعمال وتنكير ظاهرا مؤذن بانه ظاهر واحد وهم عن الاخرة هم
غافلون لا تخطر لهم ببال فانهم غافلين عنها فى كل حال وهم الثانية اما تكرير للاولى وغافلون
خبرها او مبتدا خبره غافلون والجملة خبر للاولى وعلى كل فذكرها ثانيا مؤذن
بانهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها فكانها تنبع منهم وترجع اليهم ولكنه الضمير
للشان يفسره لا يقال فى حق الانبياء انهم لا يعلمون شيئا من امور الدنيا فان ذلك
اى القول بعدم علمهم بامور الدنيا مما لا يجوز نسبته اليهم يؤدى الى الغفلة والبله
وهم المنزهون عنه اى عن عدم العلم بامور الدنيا لا غير بشهادة تعريف الجزءين بل
قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم اى تدبير امورهم ومصالح احوالهم واصلها
القيام على الشئ بما يصلحه وفى الحديث كانت بنوا اسرائيل تسوسهم الانبياء اى تتولى امورهم
وهدايتهم والنظر فى مصالح دينهم ودنياهم مما به ينتظم امر المعاش والمعاد وهذا اى
ما قلدوه من السياسة والنظر لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية اذ مع عدمه
مما تضييع اممهم وامور احوالهم مما يعود الى نسبة ما لا يليق بهم انهم براء من ذلك
كل ومعرفتهم بذلك مشهورة لا تخفى على ذى قلب سليم وطبع مستقيم واما ان كان هذا
العقد اى عقد قلوبهم مما يتعلق بامور الدين فلا يصح من النبى الا العلم منهم به ولا يجوز
عليه جهله جملة لعصمته مما به الضلال عن بيان احكام ما اوحى اليه لا يخلو اما ان يكون
حصل عنده ذلك عن وحى من الله فهو لا ريب انه من مما لا يصح الشك منه على ما قدمناه
من انه لا يصح منه الجهل به فهو انكار الجهل منه بانكار حالة التى يكون عليها فانكارها
مؤذن بانكار وجوده لزوما بطريق الكناية على ما مر بل حصل له اى للنبى العلم
اليقين لصدوره من قبل الوحى او يكون اى النبى قد فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شئ على القول بتجويز وقوعه اى الاجتهاد منه فى ذلك اى فيما لم ينزل عليه فيه
شئ وهو الحق ويكون صوابا على قول المحققين وعلى مقتضى قول ام المؤمنين هند بنت
ابى امية ام سلمة انى انما اقضى بينكم برأى فيما لم ينزل علىّ فيه شئ فانه شاهد صدق
بوقوعه منه اخرجه اى حديث ام سلمة الثقات كابى داود وكقصة اسرى بدر والاذن
للمخلفين عن غزوة تبوك فيما شهد بوقوعه منه لمصلحة فقرا اهل بدر وخلتهم ولظنه
عدم استطاعة من اعتذر اليه فى التخلف وان كان قد عتبه ربه على استبقائه اسرى
بدر بالفدا وعلى الاذن لمن نجم نفاقهم فى تخلفهم عن تبوك والعتاب لا يكون فيما صدر
عن وحى فتعين ان يكون عن اجتهاد بقوله ما كان لنبى ان تكون له اسرى
حتى يثخن فى الارض عفا الله عنك لم اذنت لهم اى فى التخلف حين استاذنوك
فيه معتلين بايمان كاذبة وهلا تانيت حتى تعلم الكاذب منهم على راى بعضهم بادلت
مدخول الكاف ملتبس بانه اجتهاد منه ايضا كالذى قبله والقبل ليس باجتهاد لعذره

على اليقين بتلقيه من الوحي بانتظاره والقادر على تعيين الحكم لا يكون ذلك منه
اجتهادا اجرى ما ورد بان انزال الوحي ليس باختياره وفي قدرته فلا يكون ايضا
ما يعتقده مما من بيانية او تبعيضية اي لا يكون ما يعتقده الذي هو او بعض ما
يثمر اجتهاده الا خطا وصحيحا لصدوره عن معصوم لا يغشى سرادق عصمته خطا هذا
اي ما يثمره اجتهاده لا يكون الا حقا وصحيحا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف
فيه فقال بمنع اجتهاده مطلقا او بمنعه في غير الاراء والحروب وجوازه فيهما
بل اجتهاده حق وصواب لا على القول بتصويب المجتهدين فيما لا قاطع فيه من مسايل
الفروع الذي هو قول ائمتنا الاشاعرة الاشعري والباقلاني وابو يوسف ومحمد وابن
شريح بان كل مجتهد مصيب قالوا ولان حكم الله تابع لظن فاطنه فهو حكم الله وهو
الحق والصواب عندنا من الايمة الاشعرية ولا على القول الاخر الذي هو قول الجمهور
فان الحق في طرف واحد وان مصيبه من المجتهدين واحد مكلف باصابته لقيام امارة
عليه فان اخطا فما جور ولا اثم بخلاف اجتهاد النبي فان الصواب عدم خطائه لعصمة
النبي من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات اذ لا ياخذ بعضه من الحق ميل او لي غيره
ولان القول في تخطية المجتهدين على القول بان المصيب واحد منهم لا بعينه انما
هو بعد استقرار الشرع لامتناع توجه النفس الى ما لم تستشرع بوجه العفو عن وجه
الحمل ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي ولم يشرع له قبل اي قبل
نظره واجتهاده ليظن بالحق الصواب لنزاهة منصب النبوة عن الخطا في الاجتهاد
على القول بانه قد يخطي وينبه عليه سريعا مما لا يلتفت اليه لبشاعته هذا ان
وعتب الله عليه صلى الله عليه وسلم في الاسيرين انما كانت لترك الاولى من الاثخان
اي كثرة القتل لعز الاسلام وذل الكفر ومن عدم الاذن في التخلف لمن تخلف نفاقه
هذا اي ما حصل عنده من وحي من ربه تبارك وتعالى وما فعله عن اجتهاد فيما
لم ينزل عليه فيه شي فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه وعزم عليه عملا ومعرفة
من امور الدين مما لا شي فوقه فاما ما لم يعقد ويعزم عليه قلبه من امر النوازل
الشرعية مما يحتاج الى بيان الحكم منه فكان لا يعلم منها اولا اي قبل الايحا اليه
والاذن له الا ما علمه الله شيا فشيا بحسب اسبابه المقتضية لنزوله بالايحا منه
اليه او الاذن له فيه ليمتثل فعلا او تركا حتى استقر علم جملتها عنده صلى الله
عليه وسلم اما بوحي من الله او اذن منه له اي بان يشرع في ذلك اي لما ذون فيه
ويعلم بما اراه الله لاجتهاده انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما
اراك الله اي عرفك الله وحيا او الهاما بنظرك فيما انزل عليك وكفى به شهيدا
بجواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير
منها اي من النوازل ليعلم حكمه مما اوحي اليه ولكن صلى الله عليه وسلم لم يمت فدته
نفسي حتى استفرغ اي استوفى جميعها وتقررت معارفها جمع معرفة اي ادراكاتها
او مدركاتها لديه اي عنده صلى الله عليه وسلم على التحقيق لاجتهاده والملك للتهدي
الى الصراط مستقيم اذ لا يهدي اليه الا بمعرفة ما اوحي اليه ورفع الشك والريب عن
سرادق جنات شرفه وانتفا الجهل عنه صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يصح منه

صلى

صلى الله عليه وسلم الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر صلى الله عليه وسلم بالدعوة
اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لاستحالتها الى مجهول واما ما تعلق بعقده اي بجزم
قلبه مما عرفه الله وبصره به من ملكوت السموات والارض مما يدل على عظيم قدرته
وباهر حكمته كاجرا الجواري في البحر كالاعلام بما ينفع الناس وانزاله من السما من ماء
فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح في مهابها
دبورا وقبولا وجنوبا وشمالا وفي صفاتها حارة وباردة رخا وعاصفة عقيمة
ولواقح بالرحمة تارة وبالعذاب اخرى وتسخير السحاب بينهما باختلافات عجيبة
وانقلابات بديعة ينزل مطرا حيث شا وغير ذلك مما دل على خلق الله تعالى لمخلوقاته
على وجوه مخصوصة وايجاد مختلفة لعجمة بان لها الها اوجدها على مقتضى حكمته
واستدعته ارادته متعاليا عن ان يكون معه اله يقدر على ما يقدر هو عليه اذ لو كان
وتوافقت ارادتهما فان كان الفعل لهما لزم اجتماع موثرين على اثر واحد او لا
لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح ولزم عجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلف لزم التمانع
المودي به لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وتعيين اسمائه الحسنى اي التي هي احسن
الاسما لدلالتها على معان حسنة من توحيد وتمجيد وتقديس وغير ذلك مما اذن بصفات
الكمال وسمات الجلال ليسمى بها ولا يلحد في تسميته فلا يسمى بما لا يجوز عليه تبارك
وتعالى كما سمع من بعض اجلاف البدو يقول جهلا يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نحو
بما لم يرد به اذن شرعي واياته الكبرى اي العظمى من عجايب مخلوقاته وامور الاخرة من
حشر ونشر ووقوف وشدايد واهواله وميزانه وغيرها من الامور الممكنة واشراط
الساعة اي علاماتها ومبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان او كثرة
المال والتجارة واستيلاد السراري وشهادة الزور وقطيعة الارحام وقلة الكرام
وكثرة اللئام واحوال السعدا والاشقيا بما يؤول امرهم اليه من نعيم وضر في الدنيا والاخرة
وعلم ما كان وما يكون مما لا يعلمه الا بوحي من الله تعالى فعلى ما تقدم جواب اما من انه معصوم
ومتمسك واثق بما عقد عليه قلبه وجزم به من علمه فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك
ولا ريب تاكيد لما قبله من رايه الامر به اذا جعل فيه ريبه مما يتعلق به النفس
وتضطرب فالشك ريبه والصدق طمانينة اي قلبه صلى الله عليه وسلم مطمين
مستقر فيما اعلمه الله به لا ياخذه فيه اضطراب ولا قلق فان الامر اذا كان مشكوكا
فيه اورث اضطرابا وقلقا واذا كان صحيحا صادقا اورث طمانينة وسكونا ومنه
ريب الزمان مما يقلق الناس ويشخص القلوب بنوايبه بل هو فيه اي فيما اعلم
على غاية اليقين تمثيل لتمكنه من علم ما اعلمه واستقراره عليه وتمسكه به تشبيها
لحاله بحال من تمكن من شي فاعتلى ذروة سنامه لكنه استدراك لنفي ما عسى
يتوهم من انه كان على غاية من تيقن لتفصيل جميعه اذ لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك اي ما تعلق بعقده مما مر وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر اذ قد
منح من المزايا الشريفة والعطايا المنيفة ما لم ينله احد لقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه البيهقي اني لا اعلم الا ما علمني ربي استثنا مفرغ من عام حذف لايذان
سوق الحديث به ولقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه لعبادي الصالحين

مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان
شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين مما في الاية والحديث موصولة او بمعنى اي خلق
عنهما الفضل ونفس نكرة وردت في حيز نفي فلا يعلم احد بان نفسا من النفوس لا تعلم اى خبر
عظيم ادخره الله واخفاه لاوليك الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مما تقر به اعينهم
من نعيم الجنة وكذا ايقاعك في الحديث وبله فيه من اسماء الافعال بمعنى دع واترك تقول
بله زيدا اى دعه وقد يوضع موضع المصدر فيضاف فتقول بله زيد اى تركه وما
اطلعتم عليه يجوز ان يكون منصوب المحل ومجروره على التقديرين اى دع ما اطلعتم
عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها وقول موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام
لاخبار الله له انه اعلم منه ببعض معلوماته علمه اياها دون مفضله هل اتبعك على ان تعلمن
مما علمت رشدا اى علما ذا رشد ارشد به في ديني فهذا قاض بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن
عالما بجميع تفاصيل ما يعلمه اجمالا فاراد ان يعلم من الخضر ما يمكن علمه تفصيلا فلما فعل
ما لم يجز فعله لامر اباحه الله له وخفي على موسى صلى الله عليه وسلم انكره عليه فعرفه
المبيح لفعله فاقره عليه هذا ولا يلزم من مزيته بذلك افضليته عليه اذ قد يمتاز
المفضول بشيء لم يكن عند افضل منه ولا غضاضة في جواز سؤال الافضل المفضول له
عما امتاز به ولا نقيصة وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي عن انس
اسالك باسمائك الحسنى فعلى من الحسن اذ هي احسن الاسماء واشرفها لدلالتها بكل معنى
حسن ما علمت منها وما لم اعلم معطلا افاد انه صلى الله عليه وسلم علم بان له تعالى
اسماء يعلم بعضها تفصيلا وبعضها اجمالا ولا غمض عليه صلى الله عليه وسلم عالم بان ذلك له
تعالى في ذلك وقوله فيما رواه احمد اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استأثرت
به اى انفردت بعلمه دون غيرك في علم الغيب عندك اى علم الغائب الذي لا ينفذ فيه
ابتداء الا علمك ويجري فيه ما ذكر في الحديث قبله وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم
اى فوقه من هو اعلم منه وارفع في العلم قاله زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله ه
او فوق العلماء كلهم من هو اعلم منهم وهو الله تعالى وهذا مما لا خفا بان معلوماته ه
تبارك وتعالى لا يحاط بها علما ولا منتهى لها هذا اى ما اذن بكونه صلى الله عليه وسلم
معصوما فيما يتعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وغيرهما حكم عقده اى جزمه
قلبه في التوحيد والشرع المكلف بالعمل به والمعارف الالهية الفائضة عليه من
ربه تعالى والامور الدينية من عطف بعض افراد العام عليه لمزية اذنت به في اختصاصها
بالدين

فصل

وان الامة مجمعة جملة ان واسمها وخبرها سدت مسد
مفعولي اعلم على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم لشهادة ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان والاضافة اى انه ليس له سلطان على الذين امنوا ومجمعة
على كفايته اى كفاية الله له منه لشهادة حديث البخاري ان عفريتا تفلت
علي البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فذعته ولولا دعوة اخي
سليمان لربطته الى سارية من سواري المسجد فاصبح يلعب به ولدان المدينة وقد
اسند هنا حديثا البخاري عن ابن مسعود مما يشهد بعصمته من الشيطان اذ لامه
فيما ذكر ولا جنسيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد من زايدة

للتوكيد

للتوكيد الا وكل الله به قرينه اى شيطانه من الجن وقرينه من الملائكة اى الكرام الكتبة الحفظة
قالوا واياك يا رسول الله وكل بك قرينك من الجن قال واياي قد وكل بي قريني ولكن الله
اعانني عليه بهدايته الى الاسلام مذعنا لي منقادا الي فاسلم اى امن وفي اعانته صلى الله
عليه وسلم وتنويه بعظيم قدره اذ لم يكن له عليه سبيل زاد غيره اى غير سفيان لا احد
رواته عن منصور ولا يامرني الا بخير لنزاهة شرف قدره صلى الله عليه وسلم عن قبول
وسوسته له بشر وعن عائشة بمعناه لا ادري من خرجه روي فاسلم بضم الميم وهمزة المتكلم
اى فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها ولا ادري من هو وروي كرواية البخاري
فاسلم فعلا ماضيا كما مر بمعنى الغريزة انتقل عن حال كفره الى الاسلام متلبسا به فصار
لا يامرني الا بخير كالملك فان الله فطر طبيعتهم عليه وهو اى انتقاله عن الكفر الى الاسلام
ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم اى انقاد له واذعن فاذا كان هذا اى الاستسلام
بالانتقال عن الكفر الى الاسلام حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم قد اعين صلى الله
عليه وسلم وامن شره بانقياده اليه فكيف الظن بمن بعد من شياطين الجن منه صلى الله عليه وسلم
ايقع في ظن او وهم انه صلى الله عليه وسلم لا يسلم منه لا بل اولى ان يسلم منه لشهادة
الله لم يكن له عليه لغيره من النبيين سلطان وانه لم يلزم صحبته صلى الله عليه وسلم ولا
اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار عنه صلى الله عليه وسلم بتصدي الشياطين في غير
موطن في الصلاة وغيرها وسيرد عليك منها ما تقله رغبة مفعول من اجله التصدي
او حال اى تصدوا من رغبتهم او راغبين في اطفاء نوره صلى الله عليه وسلم شغلا له
عما هو بصدده من صلاة وغيرها من انواع العبادات ويابى الله الا خزي من
ناواه واخال شغل الخاطر عليه ليلهي به عما فيه صلاح امته ويابى الله الا دفعه
الله عنه وتثبيته بالعصمة وتاييده بالحكمة اذ ظرف لما قبله اى فعلوه حين يلبسوا
من اغوائه ودعائه بوسوستهم له الى الغي فانقلبوا خاسرين كتعرضه اى الشيطان
له صلى الله عليه وسلم فاخذه صلى الله عليه وسلم واسره اى استولى عليه قسرا
وسارني فيضيقته في الصحاح للبخاري ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق الصنعاني في زيادة على ما في
الصحيحين في صورة هر لما اوتيه كالملائكة من قوة التشكل الا ان الملائكة لا يتصورون
الا باشكال حسنة بخلاف الشياطين فشد علي يقطع حذفت لام العلة منه للعلم بها
وهو مؤول بمصدر الصلاة علي فامكنني الله منه فذعته بالمعجمة فالمهملة اى خنقته خنقا
شديدا حتى كانه يحط في الماء ودفعته دفعا عنيفا وفي رواية ابن ابي الدنيا
عن الشعبي مرسلا اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق
ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لاصبح طريحا في المسجد
ولقد هممت ان اوثقه الى سارية وفي رواية لسارية من سواري المسجد حتى تصبحوا
تنظرون اليه فذكرت قول وفي رواية دعوة اخي سليمان رب اغفر لي قدم سؤاله الاستغفار
على هبة الملك من ربه جريا على عادة اوليائه في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم
وهب لي ملكا لا ينبغي اى لا يتسهل ولا يصح ولا يكون لاحد من بعدي اى غيري وليس هذا
منه كما مر حرصا على استقلاله باتيانه هذه النعمة دون غيره بل لتكونه معجزة له

اذ نشا فى بيت النبوة والملك خارقة للعادة يعجز عنها ملوك اهل زمانه جريا على عادة اخوانه النبيين فى مجيئهم بمعجزات من جنس صناعات اهل زمانهم خارقة لها المؤذنة بصدق دعواهم الرسالة فرده الله اى رد الشيطان الذى شد عليه صلى الله عليه وسلم ليقطع صلاته خاسئا اى صاغرا طريدا حقيرا ذليلا وفى حديث ابى الدرداء فيما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب اى شعلة مضيئة مقتبسة من نار ليجعله فى وجهى اى ليحرقه والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة جملة حالية اعترضت بين ما رواه ابو الدرداء ومن لفظه صلى الله عليه وسلم وبين ما ذكره بمعنى لفظه صلى الله عليه وسلم للبيان وقت مجيء عدو الله الى ولى الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابو الدرداء تعوذه صلى الله عليه وسلم منه اى من عدو الله ولعنه صلى الله عليه وسلم له بلفظ اعوذ بالله منك العنك بلعنة الله قال صلى الله عليه وسلم ثم اردت ان اخذه وذكر ابو الدرداء نحوه اى نحو حديث ابو هريرة من قوله ولقد هممت ان اوثقه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان المدينة جمع وليد بمعنى مولود وكذلك الحكم فى حديث ابى الدرداء فى حديثه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقى عن عبد الرحمن بن حنبش فى الاسرا وطلب عفريت له فعليت من التعفير وهو التمريغ فى التراب ويقال عفر وعفرية وعفراة وعفارية هو من الانس الخبيث المنكر الذى يعفر اقرانه اى يصرعهم ويمرغهم فى التراب ومن الشياطين الخبيث المارد بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره اى هذا الحديث فى الموطا ولما لم يقدر عدو الله على اذاه صلى الله عليه وسلم تسبب بالتوسط لاعداه صلى الله عليه وسلم من كفار قريش وغيرهم كتصديه قريشا فى الايتمار بقتله صلى الله عليه وسلم اى فى التشاور فى قتله وسمى ايتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر بتصوره اى اللعين ابليس فى صورة الشيخ النجدى ثم جاءهم وهم بدار الندوة بمكة وقد بلغهم اسلام الانصار فجزعوا فدخل عليهم فقال انا من نجد سمعت اجتماعكم ولتعدموا منى رايا ونصحا فقال ابو البخترى ارى ان تحبسوه وتشدوا وثاقه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها فقال بيس الراى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه فقال هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال ابليس الراى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبايل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا عقله عقلناه فقال صدق الفتى فتفرقوا على رايه فاخبره جبريل بذلك فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وتصوره مرة اخرى فى غزوة بدر كما رواه ابن ابى حاتم عن ابن عباس فى صورة سراقة بن مالك هو ابن جعشم الكنانى وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم معد رباذكر اعمالهم فى معاداته صلى الله عليه وسلم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اى مجير لكم من بنى كنانة فانكم لا تغلبون ولا تطاقون لكثرتكم عددا وعددا وهمهم ان اتباعهم له فيما ظنوا مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين فلما تراءت الفئتان اى تلاقتا

نكص على عقبيه اى رجع القهقرى وكانت يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتريد ان تخذلنا فدفع فى صدر الحارث وقال انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله وانطلق متبرئا منهم وتباعد عن حالهم لما راى من امداد الله المؤمنين بالملايكة فانهزموا فقيل هزم الناس سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلم يعلموا انه الشيطان حتى اسلموا وتصور مرة اخرى ينذر بشانه وحاله صلى الله عليه وسلم اى يخوف منه الناس ويحذرهم منه عند بيعة العقبة عقبة منى السفلى ليلة بايع الانصار على ان اذا اتاهم اووه ونصروه فذادوا عنه كما يذود الرجل عن حرمه وقد كفاك الله امره وعصمه اى منعه وحماه ضره وشره وقد قال اى النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة ان عيسى صلى الله عليه وسلم كفى من لمسه فجا ليطعن اى قصد واخذ فى طعنه بيده فى خاصرته حين ولد فطعن فى الحجاب خيبة لرجاه وعكس متمناه اذ لم يجعل الله له عليه كغيره من الانبياء سبيلا لرفعة محلهم عن ان ينالهم عدو الله بمكروه وقد سالت جدته ربها ان يعيذ امه وذريتها منه انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم لشهادة قوله فى حديث البخارى وغيره ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها فقد عصما ببركة هذه الاستعاذة وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن عائشة حين لد فى مرضه اى سقى دواء من احد شقى فمه بغير اذنه فلما افاق قال لا يبقى فى البيت احد الا لد قالت ذلك عقوبة لهم ولد برا للغم جانباه وقيل له الواو للحال اى قايلين له خشينا ان يكون بك ذات الجنب علم لمرض كبير يسمى الدبيلة يظهر فى باطن الجنب وينفجر الى داخل فلما يسلم منه صاحبه وذو الجنب من يشتكى جنبه بسبب الدبيلة فذو للمذكر وذات للمؤنث الا ان ذات صار علما له مع كونه صفة مضافة وفى الحديث المجنوب شهيد ذات الجنب فقال انها اى لداء له وانثه باعتبار صدوره مرة واحدة من الشيطان من نسبة المسبب الى سببه بوسوسته لهم بذلك حتى فعلوه ولم يكن الله ليسلطه على انما نفعيها للعدو فان قيل فما معنى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاعل ينزغنك بمعنى نازع فاستعذ بالله اى قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قيل انما راجعة الى قوله خذ العفو ضد الجهد اى خذ ما عفا لك اى سهل من افعال الناس واخلاقهم وما اتى وتيسر منهم بلا كلفة ولا تطلب الجهد وما يشق عليهم حذرا من ان ينفروا عنك وامر بالعرف اى المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافى السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم فمتى ذه الاية اجمع لمكارم الاخلاق بشهادة قول جبريل له وقد ساله عنها فقال لا ادرى حتى اسال ربى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ثم قال واما ينزغنك اى يستخفنك غضب بوسوسته بان يحملك على خلاف ما امرت به من الاعراض عنهم اى عن الجاهلين فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ الغرز والنخس شبه وسوسته للناس اغراهم على المعاصى بنخس من يسوق دابته

اى بنزغه لهما ثم اشتق منه ينزغ فوقعت الاستعارة فى المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل بطريق التبع وفى الحديث صياح المولود حين يقع نزغه من الشيطان وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى حكاية عن يوسف صلى الله عليه وسلم وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى اى افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض دابته اذا نخسها حملا لها على سرعة المشى وقيل ينزغنك بمعناه يغرينك اى يحثنك ويحملنك بوسوسته والنزغ ادنى الوسوسة اى حديث النفس والتفكر والصوت الخفى ووسوسر اذا تكلم بكلام لم يبينه وعن عثمان لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوس ناس وكنت ممن وسوس اى اختلط كلامه ودهش لموته وفى الحديث الحمد لله رد كيده اى الشيطان الى الوسوسة فامر الله تعالى بقوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم متى تحرك عليه صلى الله عليه وسلم غضب على عدوه اى رام الشيطان من اغرائه اى حثه وحمله على قتله لعدوه اى يستعيذ بربه تعالى منه اى من الشيطان الرجيم فيكفى بالبنا للمفعول حذف فاعله اختصارا وصونا منه للسان العلم به اذ ليس فوقه احد سواه تعالى يكفيه امره وتكون اى استعاذته منه او كفاية الله له صلى الله عليه وسلم سميت تمام عصمته صلى الله عليه وسلم منه اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له صلى الله عليه وسلم ويرجع خاسيا داخرا ولم يجعل له قدرة عليه بالبنا للمفعول له حذف فاعله على ما مر انفا وكذلك اى وكعصمته صلى الله عليه وسلم من عدوه اللعين لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك تبعيدا له عن ان يجعل اليه ما ليس بحق حقا ويلبس عليه لا فى اول الرسالة لدعوة الخلق الى الحق ولا بعدها لعصمته من ذلك والاعتماد افتعال من العمدة فى ذلك اى فى عدم صحة تصوره له فى صورة الملك دليل المعجزة وانما هو للتثبيت بالعصمة والتاييد له بالحكمة بل لا يشك النبى من الانبيا فى ان ما ياتيه من الله هو الملك ورسوله اى الذى هو رسوله اليه بالوحى فهو عطف تفسيرى اذن بانه لا ياتيه من الله سواه وان كان قد اتاه من الملايكة غيره لزيارة او غيرها حقيقة فعدم شكه فى ذلك اما بعلم ضرورى يخلقه الله له فيه او ببرهان اى دليل قاطع يظهر لديه يؤذنه بحقية اتيانه اليه من الله لتتم كلمة ربك اى لتبلغ الغاية فى اخباره واحكامه ومواعيده صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلا فى الاقضية والاحكام ونصبهما اما على التمييز او المفعولية او الحال لا مبدل لكلماته اى لما تكلم تبارك وتعالى به او القران لا احد يبدل منهما شيئا با صدق واعدل منه ولا قدرة له على تحريفهما كما حرفت التورية اذا اريد بهما القران حفظا من الله له او لا نبى ولا كتاب بعدها ينسخهما ويبدل احكامهما فان قيل فما معنى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فرق بينهما بان الرسول من جمع الى المعجزة كتابا انزل عليه كموسى والنبى من امر ان يدعو الى شريعة من قبله ولم ينزل عليه كتاب كيوشع او الرسول من بعث بشريعة والنبى يعمه ومن بعث لتقرير شرع سابق ممن كان بين موسى وعيسى صلى الله عليهما من انبيا بنى اسرائيل الا اذا تمنى اى زور فى نفسه ما يشتهيه راغبا فى حصوله القى الشيطان فى امنيته

مايشغله عن استغراقه فيما افيض عليه من سوابغ العوارف وترابع المعارف بشهادة حديث انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يبطله ويذهبه ويعصمه من الركون اليه بارشاده الى ما يريحه ثم يحكم الله اياته اى يثبتهما باعثة له اى استغراقه فى امور الاخرة فاعلم يا من يتاتى توجيه الخطاب اليه ان الناس فى تاويل معناه اقاويل جملة ان واسمها وخبرها سدت عن معمولى اعلم منهما اى من الاقاويل السهل والوعث هو فى الاصل الرمل يشتد فيه المشى ويشق يقال ارمل اوعث ورمله وعثا وفى الحديث اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر اى شدته ومشقته وفيه مثل الرزق كمثل حايط له باب فما حول الباب سهولة وما حول الحايط وعث ووعر والسمين والغث اى المهزول وفى حديث ام زرع زوجى لحم جمل غث اى مهزول وفيه ولا تغث طعامنا تغثيثا اى لا تفسده يقال غث يغث واغث يغث وغث فى قوله واغث اذا افسده واولى الاقاويل ما يقال فيهما اى فى الاية ما عليه الجمهور اى الاكثر من المفسرين وجمعه جماهير ومنه قول ابن الزبير لمعاوية انا لا ندع مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه جمع مشقص وهو نصل السهم اذا كان طويلا بلا عرض ان التمنى هنا اى فى الاية التلاوة والامنية القراءة وفى مرثية عثمان رضى الله عنه

تمنى كتاب الله اول ليلة ... واخرها لاقى حمام المقادر

ومن كتاب عبد الملك بن مروان للحجاج اذ شكى منه انس بن مالك يا ابن المتمنية اراد امه الفريعة بنت همام القايلة

هل من سبيل الى خمر فاشربها ... ام من سبيل الى نصر بن حجاج

هو رجل جميل من بنى سليم افتتن به النسا فى خدورهن فحلق عمر راسه ونفاه الى البصرة فهذا كان تمنيها الذى شتمها به عبد الملك وقالت له عروة بن الزبير ان شئت اخبرتك من لام له يا ابن المتمنية وانشد رجل النبى صلى الله عليه وسلم

لا تامنن وان امسيت فى حرم ... حتى تلاقى ما يمنى لك المانى

فالخير والشر مقرونان فى قرن ... بكل ذلك ياتيك الجديدان

والقا الشيطان حتى تلاقى ما قدر لك المقدر وهو الله تعالى والقا الشيطان فيها اى فى تلاوته شغله مصدر مضاف الى فاعله اى شغل الشيطان التالى بخواطر وردت من حوادث النفس واذكار من امور الدنيا للتالى مناسبة لا ريب فيها ولا توصيم حتى يدخل عليه علة لشغله بما ذكر ويدخل لازم فتحله الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غيره ذلك اى غير الوهم والنسيان على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه اى يحوله من باطل التوهم الى الحق لتغييره ويكشف لبسه ويحكم اياته اى يثبتهما على ما مر هذا ودع ما قيل فى هذه الاية من كلام بعضهم وسترد عليك قصة سليمان عليه الصلاة والسلام فلا داعى الى ايراد ما ذكر هنا وقد قال مكى فى قصة ايوب وقوله انى مسنى الشيطان بنصب بضم النون وقرا يعقوب بفتحهما كرشد ورشد اى تعب وعذاب حكاية لما نادى ربه به ولولا هى لقال بانه مسه

لغيبته ولا يجوز لاحد ان يتاول الاية رأيه ان الشيطان هو الذى امرضه والقى فى بدنه
لقدم قدرته على ذلك مع انه لا سلطنة له على الانبيا الله ليقتضى من نصبهم وعذابهم وطره
اذ لو قدر عليه لم يدع صالحا الا نكبه ولا يكون ذلك الذى اصابه من المرض والحصر الا بفعل
الله وامره ليبتليهم ويثبتهم بالعصمة ويؤيدهم بالحكمة واسناد المس الى الشيطان مجاز
مراعاة للادب مع ربه وفى نسخة ويثبتهم اى على بلائهم ثوابا جزيلا وثناء جميلا قال
مكى وقيل ان الذى اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله رحمة بنت افرايم بن يوسف
من اغرائه لها على تركه وكراهته والتبرم منه لما نزل به من عظيم البلا فان قلت
فما معنى قوله تعالى حكاية عن يوشع بن نون وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره بدل
من مفعول انسانيه اى ما انسانى ذكره لك الا عدو الله وما معنى قوله تعالى عن يوسف
فانساه ذكر ربه بتذكيره له لا على سبيل الوسوسة بخواطر مما يورثه ان يكل امره الى غير ربه
مستعينا به فى خلاصه من السجن نبيهما وفى حديث رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى
عند ربك لما لبث سبعا بعد الخمس هذا والاستعانة فى كشف الشدائد وان جوزت فى
الجملة فغير لايقة بالانبيا وقد عصمهم الله منهما وما معنى قول نبينا حين نام عن الصلاة اى
صلاة الفجر فى الوادى الذى امر بلالا ان يكلاء له فيه الفجر فغلبه النوم حتى مسهم حر الشمس
ان هذا وادبه شيطان ارتحلوا ثم قضى صلاة الصبح بعد ارتحالهم منه وهو مؤذن بجواز
تاخير الفائتة بعذر مخصص لعموم حديث البخارى من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها
لا كفارة لها الا ذلك وما معنى قول موسى فى وكزه القبطى هذا من عمل الشيطان قيل
لصدوره منه قبل ان يؤذن له فى قتله وغيره من الكفار ولانه كان مامونا فيهم فلم
يكن لهم اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته صلى الله عليه وسلم وجعله من عمل الشيطان
وتسميته ظلما واستغفاره منه جار على رسم عادتهم استعظام ما تركه اولى من فعله
فاعلم ان هذا الكلام منهم المحكى عنهم صلوات الله وسلامه عليهم قد يرد فى جميع هذا
اى ما حكى عنهم على مورد مستمر كلام العرب ودابهم ودينهم فى وصفهم كل قبيح من شخص او من
فعل بالشيطان او فعله لقبح منظره وفعله وطباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا خير
فيه كما قال تعالى طلعها اى شجرة الزقوم مستعار من طلع النخل المشاركة له فى شكله
كانه رؤس الشياطين لتناهى قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييلى كتشبيه فايق فى الجنس
بملك كريم قال تعالى ان هذا الا ملك كريم وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الشيخان فيمن يريد ان يجتاز بين يدى المصلى فليقاتله فانما هو شيطان شبهه به
تشبيها لمروره بين يديه لمشابهة فعله فى القبح لشغله خاطره واذاهابه خشوعه بد وايضا
من آمن اذا رجع اى نرجع ونقول فان قول يوشع وما انسانيه الا الشيطان لا يلزمنا
الجواب عنه اذ لم تثبت له فى ذلك الوقت اى وقت كونه فى خدمة موسى اى لم تظهر له
فيه نبوة مع موسى حال من ضميرله افادت بيان كونه فى خدمته بشهادة ما قال تعالى
واذ قال موسى لفتاه بل يلزمه الجواب عنه اذ هو ممن قال بعصمة الانبيا قبل
النبوة وبعدها فلا سبيل للشيطان عليهم مطلقا وان كان المروى انه اى يوشع انما
نبى بعد موت موسى وقيل قبيله صغره تلويحا بقلة زمن نبوته جدا فى حياة موسى ع
وجوابه يؤخذ مما ياتى عنه وعن موسى ويجاب عنه ايضا بانه لما شاهد حياة

الحوت المملوح الماكول شقه او بعضه وانفتاح الما منتصبا كالطاق بنفوذه فيه
استغرق بانجذاب خاطره الى جناب قدسه تعالى مستحضرا بما عراه من مشاهدة
اثار القدرة الباهرة فاشتغل بذلك عن ذكر تلك الحال العجيبة لموسى صلى الله عليه وسلم
وان كان مثلهما ينسى ونسبه للشيطان هضما لنفسه وتادبا مع ربه وقال موسى فى
وكزه القبطى هذا من عمل الشيطان كان قبل نبوته فعلى ما قاله يوشع لا يلزم من ذلك
جواب وقد اذ ما ك هناك ما اغنى عن ذكره هنا بدليل القران فانه قاض بان
قتله اياه كان قبل هجرته الى مدين وسببا لهما وارساله كان بعد رجوعه من مدين
الى فرعون وقصة يوسف اذ كان فى السجن وقال للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند
ربك قد ذكرنا انها كانت قبل نبوته صلى الله عليه وسلم فلا يلزمه كما قال الفا جواب عنها
وقد مر عليك ما قلناه فيما مر وقد قال المفسرون فى قوله فانساه الشيطان ذكر
ربه اذ قال له يوسف اذكرنى عند ربك قولين احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه
اى انساه ان يذكر يوسف ربه هو الشرابى احد صاحبى السجن اللذين دخلاه معه
واضافة المصدر هنا الى ربه وان لم تكن الى فاعل ولا مفعول فهى لملابسة له
بتقدير ذكره لربه او عند ربه او اخبار ربه بحذف مضاف اعنى اخبار مصدر اخبر
وربه هو سيده الملك اى انساه اى انسى الشيطان الشرابى ان يذكر للملك شان يوسف
ليخرجه من ورطة السجن وايضا ان مثل هذا النسيان من قبل الشيطان خال من اسم
الاشارة افادت كونه منه على يوسف لا على ولد ولده يوشع بوسا وتنزع لرفعة
منصبهما عن ان يكون له عليهما سلطان وانما هو يشغل خواطرهما لا على سبيل الوسوسة
بل بامور اخر ترد على خواطرهما وتذكره اياهما فى امورهما ما ينسيهما بشغلهما عما
نا نبيا اى لنبى يوسف يشغل خاطره على ثانى القولين ذكر الله لا استعانة بغيره
فى خلاصه بقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ولم يجعل له عليهما كغيرهما من
الانبيا سبيلا واما قوله صلى الله عليه وسلم فى رواية مسلم عن ابى هريرة حين نام
عن الصلاة فى الوادى ان هذا وادبه شيطان فليس فيه ما يفهم منه ذكر تسلطه
عليه ولا وسوسته له لنزاهة ساحة شرفه عن ان يحوب عدو الله سرادق
وسوسته با فنية شرف ولى الله صلى الله عليه وسلم بل ان كان ثناء ذكر تسلطه عليه
فى الحديث بمقتضى ظاهره فقد بين صلى الله عليه وسلم فيه امر ذلك الشيطان بقوله
فى رواية مالك عن زيد بن اسلم والبيهقى ان الشيطان اتى بلالا اذ قال له صلى الله
عليه وسلم الا رجل يكلاء لنا الفجر كما بعد الصبح حتى نام فلم يستيقظ حتى ضربهم حر الشمس
فقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسى الذى اخذ بنفسك يا رسول الله فاعلم
ان تسليط الشيطان فى ذلك الوادي الذى عرس به هو واصحابه حين قفلوا
من غزوهم انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر اى حراسته ليخبرهم بطلوعه هذا اى
ما ذكر من ان تسلط الشيطان بالوادى انما كان على بلال ان جعلنا قوله صلى الله
عليه وسلم ان هذا الوادى به شيطان تنبيها على انه وسبب النوم عن الصلاة
واما ان جعلناه اى جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوادى به شيطان تنبيها
على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو اى جعله تنبيها وعلة

لمن كتابه دليل مساق حديث مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم فلا اعتراض في هذا الباب اي باب كون الشيطان هل له علاقة بنبينا ام لا لبيانه اي بيان حديثهما عن زيد وصراحته بان الشيطان لا علاقة بالاهادونه صلى الله عليه وسلم

فصل

واما قوله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة من الآيات الباهرة والبراهين القاطعة بصحة المعجزة كانشقاق القمر حين سالوه اية فاشار اليه فانفلق فلقتين قال ابن عباس رايت حرا بين فلقتي القمر ومجيء الشجر اليه وحنين الجذع مما دل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما اجابه عن ربه تبارك وتعالى مكلفا بتبليغه امرا ونهيا وغيرهما واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ الى من بعث اليهم انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء مما اي مما طريقه البلاغ فلا يخبر عن شيء بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا ولا سهوا او غلطا بل يخبر عنه على ما هو به اما تعمد الخلف بفتح المعجمة وسكون اللام بمعنى المخالفة في ذلك اي في الاخبار عما طريقه البلاغ فمنتف تعمده لعصمته صلى الله عليه وسلم بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق صدق عبدي ورسولي صلى الله عليه وسلم فيما قال فهي برهان قاطع لصدقه اتفاقا باطباق اهل الملة الاسلامية اعلا الله كلمتها اجماعا واما وقوعه اي وقوع ما طريقه البلاغ منه على جهة الغلط في ذلك اي في الاخبار عنه تبليغا فمنتف ايضا لوروده بمنزوه السبيل اي بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق رسولي فيما قال عند اجماع النافين لاحتمال الغلط وفاقا للاستاذ ابي حامد الاسفراييني ومن شايعه وقال بقوله ومنتف ايضا لصدوره من جهة الاجماع فقط لانه حجة قاطعة ومنتف من جهة ورود الشرع بانتفاء ذلك الغلط ○ بشهادة وانك لتهدي الى صراط مستقيم لايذانه بان من يهدي الى دين الاسلام لا يتروج تغليط ومنتف من جهة عصمة النبي صلى الله عليه وسلم قطعا فانتفاؤه من جهة ما ذكر لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني بتشديد اللام المالكي ومن وافقه من الائمة لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة اهو اي مقتضاها الصدق قطعا تنزيلا لها منزلة قول الله صدق رسولي ام لا فلا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب اي ما يورث السامة من الاطناب فلنعتمد ما وقع عليه اجماع المسلمين انه اي النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه خلف في القول اي خلاف فيه لظهوره وغيره ○ في ابلاغ الشريعة اي لهم ولا يجوز عليهم في الاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيا على لسان جبريل لا على وجه العمد اعاد حرف النفي سابقا ولاحقا تاكيدا لعدم جواز خلفه فيما ذكر ولا على غير عمد لعصمته ولا في حال الرضى ولا في حال السخط اي كراهة الشيء وعدم الرضى به وعكسه الرضى اي محبته والطمانينة عليه وفي احاديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك انت كما اثنيت على نفسك وقدم صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بالرضى من السخط تلويحا بان المعافاة تحصل بالرضى ضمنا ولما لم يكن بينهما تلازم لكون الرضى قد يعاقب عليه لمصلحة كاستيفاء حق الغير ذكرها للدلالة عليها مطابقة وفي رواية قدمها على الاستعاذة بالرضى من السخط ترقيا الى الاعلا اي صفات الذات فقال اعوذ بك منك فلا ازداد قربا عراه الحيا من الاستعاذة على بساط القرب فالتجا الى الثنا فقال لا احصي ثنا عليك

ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك ولا في حالة الصحة والمرض هو ما يعرض للبدن فيخرجه خروجا عن خاص الاعتدال ويورثه خللا في الافعال وهي تنفسه باستقامته تذهب ذلك وفي حديث عبد الله بن عمرو هو ابن العاص بن وائل السهمي الذي رواه احمد وابو داود والحاكم وصححه قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم جواب قام مقام اكتب عني كلما سمعت مني قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك اي في الذي اقوله الا حقا لعصمته من الزلل في القول والعمل واتى باسم الاشارة للبعيد ايذانا برفعة محله في الصدق ولنزد ما اشرنا فيما مضى قريبا اليه من دليل المعجزة عليه متعلق بنزد اي على ما اشار اليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه اي النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا يقول الا حقا لنزاهته عن لحن لسانه في القول ليظن صدقه فيه ولا يبلغ عن الله الا الصدق لحيازته شرف الامانة ○ وحماية الصيانة وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت فيما تذكره مما اوحيته اليك لتبلغه عني لمن ارسلتك اليه وهو اي النبي يقول اني رسول الله ارسلني على ○ لسان جبريل اليكم لابلغكم ما ارسلت به من عنده تعالى اليكم وابين لكم ما نزل عليكم لتعملوا به فتفوزوا بكرم السعادة وشرف السيادة وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر منه ما اتاكم به من القرآن عن هواه ورايه ان اي ما هو الا وحي من عند الله يوحى اليه صلى الله عليه وسلم على لسان الملك جبريل وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم شهادة له صلى الله عليه وسلم من ربه بمجيئه بالحق واكرم شهادة ما اعظمها هذا وابيك الشرف وما اتاكم الرسول فخذوه وتمسكوا به لوجوب طاعته وما نهاكم عنه فانتهوا عن قربانه فلا يصح ان يوجد عنه في هذا الباب اي باب البلاغ عن ربه خبر بخلاف مخبره بضم اوله وفتح ثالثه اي مخالف لما اخبر به صلى الله عليه وسلم على اي وجه كان الخبر من مخبره فلو جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم الغلط والسهو وقد حماه الله منهما فيه حفظا لرفيع منصبه وعظيم قدره لما تميز لنا خبره صلى الله عليه وسلم من خبر غيره لاحتمال احدنا فيه ولاختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما من الآخر فالمعجزة عند الاعتبار مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص بما صدر منه برهانا وغيره فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما تنزيهه البلاغ عن ذلك كله اي عن الاخبار بشيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا ولا سهوا او غلطا واجب برهانا واجماعا اي عما فنصبهما بنزع الخافض كما قال الاستاذ ابو حامد الاسفراييني من ان وقوع ما طريقه البلاغ على جهة الغلط منتف بدليل المعجزة لقيامها مقام قوله تعالى صدق رسولي فيما قاله

فصل

قد توجهت هنا لبعض عنين في المثبت العصمة المؤيد بالحكمة صلى الله عليه وسلم سؤالات جمع سؤال وهو الطلب ثم قد يكون على التعلم والتبيين مما تمس الحاجة اليه مامورا به وجوبا وندبا او مباحا او على طريق التكلف والتعنت منهيا عنه تحريما ومكروها كما هنا وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما وقع عن جواب بسكوت فهو ردع وزجر لسائله كسكوته صلى الله عليه وسلم عن جوابه لما سأله ممن يجامع اهله رجلا واعراضه عنه عقوبة له وسترا للعورة وما وقع عنه جواب فهو عقوبة وتغليظ كقوله لا تسألوا عن اشياء ونهيه صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال

وفى رواية عن كثرة المسايل منهما ما رواه بنوا جرير وا لمنذر وابى حاتم بسند
منقطع عن سعيد بن جرير انه صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وقال افرايتم اللات
صنم كان لثقيف بالطايف او بنخلة لقريش وهى مونثة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
ويعكفون لعبادتها او يلتوون عليها اى يطوفون والعزى تانيث الاعز سمرة كانت
لغطفان تعبدها بعث اليها صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها
ومناة الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد او الاخرى من التاخر فى الرتبة ذمًا لها
اى المتاخرة الوضيعة المقدار قال تلك الغرانيق العلى جمع غرنوق بضم المعجمة والنو
وبكسرها وفتح النون ويقال غرنيق بضمها مع فتح النون وهى فى الاصل الذكر من طير
الما العظيم الجسم الطويل العنق سمى به لبياضه ويقال ايضا الشاب الناعم الابيض
غرنوق واريد بها هنا الاصنام اذ كانوا يزعمون انها تقربهم الى الله لشهادة انما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فشبهوها بالطير التى تعلو وترتفع الى السما فاستعير
لها اسمها استعارة تحقيقية مجردة مما يلايم المشبه به مقرونة بما يلايم المشبه
من صفاته اعنى العلى جعلا لها ادعا من افراد المشبه به وصرفا للمعنى عن نوع التشبيه
قضا لحق البلاغة وان شفاعتهن لترتجى من رجا يرجو رجوا ورجا ورجاوة وهمزته
منقلبة عن واو وبشهادة ظهورها فى المصدر اى سوا لها متوقع ويتوسل فى التجاوز
عن الذنوب والجرايم ويروى ان شفاعتهن ترتضى فتقبل وفى الحديث اذا بلغ الحد
السلطان فلعن الله الشافع والمشفع من يقبلها ومن تقبل منه هذا وباقى الروايات
معناها غنى عن البيان فلما ختم السورة اى سورة النجم سجد وسجد معه جميع من كان
حاضرا المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم بقوله تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه او نبهه جبريل كما سياتى
وكان ذلك ابتلاء ومحنة لمن حضر ليظهر الثابت منهم على ايمانه والمتزلزل فيه فازداد
الثابتون عليه نورا وايقانا والمتزلزلون فيه ظلمة وكفرانا وانه صلى الله عليه وسلم
كان لحرصه على اسلام قومه تمنى ان لو نزل عليه شئ مما يوحى اليه يقارب بينه وبين قومه
ويتخذه وسيلة الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم وفى رواية كان تمنى
ان لا ينزل عليه ما ينفرهم عنه ولم يزل به تمنيه به حتى نزلت سورة النجم وهو يناديهم
وذكر اى صاحب هذه الرواية هذه القصة اى قصة قراته صلى الله عليه وسلم سورة
النجم وقوله ذلك وسجوده وسجود من حضر مسلما وكافرا وذكر ايضا ان جبرايل
جاه فعرض عليه السورة اى سورة النجم فلما بلغ الكلمتين تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى قال اى جبريل صلى الله عليه وسلم ما جيتك بهاتين فحزن لذلك
فانزل الله تعالى عليه تسلية مفعول لاجله انزل وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبى الاية قد ذكرنا فيما فيما مر ما اغنى عن اعادته هنا وروى ابن جرير
وسعيد بن منصور عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى نادٍ من اندية قريش كثير اهله فتمنى ان لا ياتيه من الله ما ينفرهم فانزل الله والنجم
فقراها فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة القى الشيطان عليه صلى الله
عليه وسلم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى يقراها حتى ختمها

ثم سجد وسجد وامعه جميعا ورضوا بما تكلم به فلما امسى اتاه جبريل فعرضهما عليه فلما
بلغ تلك الغرانيق العلى قال ما جيتك بهذا فقلت افتريت على الله وقلت ما لم يقل فما زال
مغموما حتى نزل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فطابت نفسه وانزل عليه ايضا
وان كادوا ليفتنونك ان هى المخففة من المثقلة بشهادة اللام فى خبرها الفارقة
بينها وبين ان النافية اى ان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنيك عن الذى اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك
خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اى لتقول علينا ما لم نقل يعنى
ما ارادته منه صلى الله عليه وسلم قريش من تبديله لهم الوعد وعيدا او الوعيد وعدا
بقولهم له اجعل لنا اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نومن بك ومما اقترحته
ثقيف عليه من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه بقولهم له لا ندخل فى امرك حتى تعطينا
ما نفتخر به على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا لغير
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول بل ترسل
انت اليها من يكسرها وان تمنع من قصد وادينا وج يعضد شجره فاذا سالتك العرب
لم فعلت ذلك فقل امرنى الله به ثم جاوا بكاتب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لا تعشرون ولا تحشرون فقالوا ولا تجبون وهو ينظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر فسل سيفه وقال اسعدت قلب
نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت
وتقليل المكيد ود مع ابتاعها الوعيد الشديد العذاب مضاعفا فى الدارين
موذن بان فعل ما لا يليق بفاعله يعظم قبحه بمقدار شانه وارتفاع منزلته
فاعلم اكرمك الله بانواع المبرات ان لنا فى الكلام على هذا الحديث ما خذين تمنع
بهما من يتشبث بهذه الروايات او يثق بها من اخذت على يد فلان اذا منعته عما
يريد فعله كانك امسكت يده احدهما فى توهين اصله اى تضعيفه والماخذ الثانى
على تقدير تسليمه تنزلا وارخا للعنان اما الماخذ الاول فيكفيك فى توهينه ورده
ان هذا حديث من وضع اسم الاشارة موضع الضمير تلويحا بتمييزه اكمل تمييز ليجتنب
اذ لم يخرجه احد من اهل الصحة ممن يعتمد فى رواية الحديث ولا رواه ثقة بسند سليم
من التوهين والعلة والاضطراب بل رواه ثقة بسند متصل الى قايله وانما اولع
من اولع بكذا فهو مولع بفتح اللام اى اغرى به المفسرون لكلام الله تعالى والمورخون
المولعون بكل غريب ترغيبا للنفس واستمالة لما ترتاح اليه لغرابته المتلقفون
من الصحف كل صحيح وسقيم لا وثاقة به ولقد صدق القاضى بكر بن العلا المالكى حيث قال
لقد بلى الناس اى امتحنوا واختبروا ببعض اهل الاهواء والتفسير يا توهم بغرايب منغمة
واكاذيب ملفقة من ويحا لمرتحى مصابهم ورهين صنايعهم وتعلق بذلك بحديث
سورة النجم الملحدون المايلون عن الحق الى الاهوية نفوسهم مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته لعدم عزوها الى ما يامنون وانقطاع اسناده عن وصله الى قايله واختلاف
كلماته المؤذن بتخايل وضعه فقايل يقول انه صلى الله عليه وسلم قراها فى الصلاة
واخر يقول تمادى به ما تمناه حتى نزلت السورة قالها اى المقالة لما قراها

في نادي قومه حين نزلت عليه في ناديهم واخر يقول قالها وقد اصابته سنة من النوم
واخر يقول بل حديث نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم بتلك المقالة فسها فقالها
حين قرا السورة واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه صلى الله عليه وسلم حين
قراها فخيل لمن حضره انه هو الذي قالها وانه صلى الله عليه وسلم لما عرضها اي السورة
على جبريل قال لما قالت اي جبريل له ما هكذا اقراتك فحزن صلى الله عليه وسلم لذلك
كما مر واخر يقول بل اعلمهم الشيطان انه صلى الله عليه وسلم قراها اي المقالة مع السورة
فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي اعلام الشيطان لهم انه صلى الله عليه وسلم قراها
قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من الاقوال الموذنة بان للشيطان عليه سبيلا
انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ومن حكيت عنه هذه الحكاية
من المفسرين كابن جرير والمنذر وابي حاتم ومن التابعين كالزهري وابي بكر بن عبد
الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن جبير ولم يسندها احد منهم ولا رفعها الى
صاحب لما قد قالها والاكثر فيما عنهم اي عمن ذكرنا من الايمة الاعلام ضعيفة غير
مرضية لا يعول على شيء منها اذ هي من فرط ضعفها واهية اي مسترخية لا تمسك بها
ولا وثوق والمرفوع فيه اي فيما ذكر من قصة سورة النجم حديث شعبة بن الحجاج
عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب اي اظن بدون تيقن منه
اذ قد وقع الشك في الحديث اي حديث شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة اي قصة نزول سورة النجم وهو في نادي قومه بعد تمنيه ان لا ينزل عليه
ما يفرق قومه عنه او ينزل عليه ما يطيب نفوسهم عسى ان يؤمنوا فنزلت عليه سورة
النجم فقراها فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة قال تلك الغرانيق العلى
ففرح المشركون ثم ختمها وسجد من حضر مسلمون وكفار وقال البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عنه صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره ويعتمد عليه
الا هذا الاسناد الى ابن عباس ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد واما غيره
اي غير امية ممن رواه فانه يرسله عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
مسقطا لمن رواه عنه من اصحابه كابن عباس وانما يعرف عن الكلبي لقبه او اسمه
باذان او باذام مولى ام هانئ بنت ابي طالب عن ابن عباس موقوفا عليه فقد بين
لك ابو بكر يعني البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا اي سوى طريق شعبة
لقوة اسناده اذ كل رجاله ثقات وفيه اي في حديث شعبة من الضعف ما نبه عليه
البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره واختلاف كلماته واضطراب رواياته
وانقطاع اسناده او ارساله واختلاف مواطن قراءتها كانت كما مر في الصلاة
ام في نادي قومه ام في سنة من النوم ام حدث به نفسه فسها ام قالها الشيطان على
لسانه وانكرها جبريل اذ عرضها عليه ام اعلمهم الشيطان انه صلى الله عليه وسلم
قراها هذا مع ما وقع فيه كما مر من الشك الذي لا يوثق به ولا حقيقة لصحة الحديث
معه واما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه اي عن الكلبي مطلقا ولا ذكره اي ذكر
حديثه هذا لقوة ضعفه وكذبه كما قال الجوزجاني وقال ابن معين ليس بثقة
وقال البخاري تركه القطان وابن مهدي وقال ابن حبان مذهبه في وضع الكذب

اظهر من ان يحتاج الى الاغراق في وصفه يروي عن ابي صالح عن ابن عباس التفسير
وابو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من ابي صالح فكيف يحتج به وقال ابن عدي
وقد حدث عن الكلبي الثوري وشعبة وغيرهما ورضوه في التفسير واما في الحديث
ففيه مناكير سيما اذا روى عن ابي صالح عن ابن عباس والذي منه اي من حديث سورة
النجم في الصحيح من رواية الشيخين وغيرهما عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا سورة والنجم اي السورة المسماة به لذكره فيها وهو بمكة جملة حالية من ضمير قرا
افادت قراءته بها فسجد معه المسلمون والمشركون ممن حضر الانس والجن تفسير
لما قبلهما هذا توهينه من طريق النقل عن الايمة الاعلام من اوهنه اذا اضعفه
وفي حديث عمران بن حصين دخل عليه فلان وفي عضده حلقة او في يده خاتم
من صفر فقال ما هذا قال هذا من الواهنة قال اما انها لا تزيد لك الا وهنا
هي عرق ياخذ من المنكب او في اليد كلها فيرقى منها او هي مرض ياخذ من المنكب الى
اليد كلها في العضد وربما علق عليه نوع من الخرز يقال له خرز الواهنة وانما نهاه عن
ذلك حذرا من ان يعتقد انها العاصمة من الالم مع انها من التمائم المنهي عنها
فاما توهينه من جهة المعنى فقد قامت الحجة القاطعة بما يوذن بضعفه واجمعت
الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم مما لا يليق بكريم جنابه صلى الله عليه وسلم ونزاهته
عن مثل هذه الرذيلة من ان يتقول على الله ما لم ينزله عليه المتولدة اما من تمنيه ان ينزل
عليه مثل هذه اما لا ينفر قومه عنه من مدح الهة غير الله تبارك وتعالى وهو كفر بربا
شريف مقامه صلى الله عليه وسلم عن ان يتهم به او ان يتسور اي يتسلق ويرتفع عليه
الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه مع عصمته صلى الله عليه وسلم ان يكون
عدو الله له عليه سبيل ويعتقد ان من القران ما ليس منه حتى ينبهه جبريل صلى الله وسلم
عليهما وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان يتهم لشيء من ذلك بل ذلك كله ممتنع في حقه
صلى الله عليه وسلم لنزاهة رفيع منزلته وبعد كريم درجته عنه او يقول صلى الله عليه
ذلك من قبل نفسه عمدا الا ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وذلك اي ما يقوله
من قبل نفسه عمدا كفر او سهوا عطف على عمدا وقد حماه الله تعالى واعاذه من
ذلك اذ هو معصوم من هذا كله بحماية الله ورعايته له وقد قررنا بغير مرة فيما تقدم
بالبرهان المبين والدليل المتين والاجماع المبين عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان
الكفر على قلبه ولسانه فضلا عن استقراره لا عمدا ولا سهوا تاكيد لما افاده من قبله
من نفي جريان الكفر عليه صلى الله عليه وسلم وعصمته من ان يشتبه عليه ما يلقيه
الملك بما يلقيه عدو الله الشيطان لما في قلبه صلى الله عليه وسلم من الايقان وخاطر
اليقظان او يكون للشيطان عليه سبيل اذ لم يجعل الله له على عباده سلطانا او ان
يتقول اي يتكلف القول ادعاء على الله لا عمدا ولا سهوا تاكيد لما افاده ما قبله من نفي
التقول على الله ما لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وقد قال الله ولو تقول اي افتعل
من القول علينا بعض الاقاويل جمعها مصغر محتقر لها كانها جمع افعولة اي ولو ادعى
علينا ما لم نقل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي ثم لقتلناه صبرا مفاجلة
سخطا وانتقاما كما تقتل الملوك من كذب عليها فضو روقتل الصبر بصورته وهي

اخذه بيمينه لضرب عنقه ليكون اهون وخص اليمين بالاخذ ليسهل على المقاتل قتله
ولانهما والتام الوتين عوض عن الضمير اى لاخذنا بيمينه ولقطعنا منه وتينه وهو
حبل الوريد ويسمى نياط القلب متى قطع مات صاحبه وقال تعالى لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا اذا لاذقناك لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات اى مضاعفين عذابا فى الممات وهو عذاب القبر وفى حياة الاخرة وهو
عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كما فى فاتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا
فكان اصله عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات فحذف الموصوف واقيمت
صفته مقامه فورثت منه اضافته فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ووجه ثان
لتوهين ما زعم من انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم فلما انتهى الى افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
زهق اى الوجه الثانى استحالة هذه القصة نظرا مرشدا الى بيان امتناع وقوعها
منه صلى الله عليه وسلم لعصمته من ان يمدح الهة •
• بمقطاعن الهدى قصى • مقعد ذى قاذورة مقلى •
من القلى والهجر استحالة انتماء رفا من مجارى شريف عوايد الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم من انهم لا يصدر عنهم الا ما يليق برفيع مقامهم وذلك ان هذا الكلام اى تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى وغيرها مما مر من الروايات السابقة لو كان كما روى لكان
بعيد الالتئام بينه وبين كلامه الذى بدت بلاغته كل منطق واخرست فصاحته
كل شقشيق متناقض الاقسام بينه وبين كلامه الذى تحدث لمنافرته لكلامه تعالى من
حيث انه يصير ممتزج المدح بالذم على وجه برهانى اذ يلزم من وصفها بكونها على مرجو
الشفاعة مدحها ومن وصفها بكونها الهة افراد الله تعالى بترك اله ذمها ويصير
متخاذل التاليف والنظم لعدم وروده مثالف الكلمات مترتبة المعانى متناسقة
الدلالات من خذله اذا ترك نصرته اى متاركا نصرة بعضه بعضا لانتفاء التوافق
بتناقض الاقسام وامتزاج المدح بالذم ولما يفتح لامه وتخفيف ميمه كان النبى
صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين من قريش
وغيرهم فمن يخفى عليه ذلك القول انه صدر بعد قراءته افرايتم اللات والعزى ومناة
منه صلى الله عليه وسلم او من غيره وهذا اى قول تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ترتضى لبعد التيامه وتناقض اقسامه وامتزاج مدحه بذمه وتخاذل
تاليفه ونظمه لا يخفى على ادنى متامل فى توهينه وتزييفه فكيف بمن هو حقيق
خليق بمعرفته بمجرد سماعه له بلا تامل وتردد ممن رجح حلمه اى تانيه وتثبته فى
الامور وهو من شعار العقلاء اى لبه وعقله وفى حديث صلاة الجماعة ليلينى منكم
اولو الاحلام والنهى اى ذووا الالباب والعقول واتسع فى باب البيان اى فى
النطق الفصيح المعرب عما فى الضمير وفى معرفة فصيح الكلام علمه بقوة فهم وذكاء عقل
قلب وفطرة وقاده وفطنة نقاده ووجه ثالث لتوهينه ايضا هو انه
الضمير لشان يفسره قد علم من عادة المنافقين ممن باض النفاق فى قلبه وفرخ
الخبيثة فى سعيه وعلم من عادة معاندى المشركين ممن امرلهم عنادهم البعد عن

رحمة الله بشركهم وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين ممن استولى عليهم الجهل فاضعف
قلوبهم واعمى بصائرهم فهم فى جهلهم يعمهون نفورهم مفعول لعلم مبنيا للفاعل قايما مقام
فاعله لاول وهلة اى فى اول ساعة ومجرده بلا تامل وتفكر من سماع متباين نظما متناقض
تركيبا متخاذل تاليفا متفاسد ترتيبا وقد علم تخليط العدو على النبى صلى الله عليه وسلم لاقل
فتنة انتهازا للفرصة واغتناما لاىراز العداوة فى معرض الحسد والعناد وتعييرهم
المسلمين باتباعهم الهدى والشماتة بهم جمع شامت من الشماتة اعنى فرح العدو بما
يرهق من عاداه من ريب الزمان ونوايبه وفى حديث الدعاء ولا تطع فى عدوا شامتا
العينة تهد الغينة بغاتنا نحتية فنون اى يشمتون بهم الحين بعد الحين بما يمتحنهم الله
به تعظيما لاجورهم ورفعا لدرجاتهم وفى الحديث المؤمن خلق مفتنا اى ممتحنا
يمتحنه الله اختبارا بالفتنة وارتداد اى رجوع من فى قلبه مرض عن الاسلام الى الكفر
ممن اظهر الاسلام ولم تخالط قلبه بشاشته فرجع عنه لادنى شبهة عرته لضعف
يقينه ومع ما ذكر من انتشارهم بما يوذن بعداوتهم له صلى الله عليه وسلم ولمن امن معه
لم يحك احد ممن عاداه صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة الضعيفة الاصل الركيكة
القول المتناقضة التاليف المنزه لسانه صلى الله عليه وسلم عن ان يفوه به
ولو كان ذلك قد وقع لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة اى السطوة والقهر
لشدة شكيمتهم ولكونه عندهم مدحا لالهتهم يتسلقون به الى ترويج اهواهم وترجيح
مناهم ولاقامت اليهود عليهم اى على المسلمين الحجة بانه قرار بنبيكم مدح به الهتهم
فلو لم يكن حقا لما مدحها به كما فعلوا مكابرة فى قصة الاسرى فانهم انكروه حين
حدثهم به وكانوا بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا منكرا حتى كانت فى ذلك لبعض
الضعفاء ردة الى الكفر بعد ايمانه لتزلزله وكذلك اى ومثل قصة الاسرا به ما روى
فى قصة القضية بالحديبية من وهن ايمان بعضهم اذا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل خروجه اليها كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين محلقين ومقصرين نقص
صلى الله عليه وسلم رؤياه عليهم ففرحوا واستبشروا وظنا منهم انهم دخلوها فى عامهم
ذلك فلما نما دو ليا حق فلما صدوا قالت منهم المنافق ورا سهم ابن ابى بن سلول وابن
نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام ولم
يدروا انهم يدخلونها فى العام القابل فاعتراهم الشك جهلا ولا فتنة اعظم من هذه
البلية اى مما اختلق عليه صلى الله عليه وسلم انه قراه فى تلاوة سورة النجم
ولو وجدت لقويت صولة قريش واشتدت شكيمتهم وتمت لليهود الحجة لكن
لم توجد فلم يكن لهم ذلك فاستثنا نقيض المقدم انتج نقيض التالى ولا تشغيب
اى تهييج للشر والفتنة للمعادى حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت وقوعا
لتسلقوا بها الى مناهم واثبتوا بها متمناهم فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بتبيجها بنت شفة مما يخرج من بين الشفتين من الكلام فدل عدم رواية شئ
من ذلك على بطلها اى على بطلان ما نسب اليه صلى الله عليه وسلم من قراءة
تلك الغرانيق واختلاف اصلها اى قلعه من منبعه ولا شك فى ادخال بعض شياطين
الانس والجن هذا الحديث اى حديث تلاوته صلى الله عليه وسلم سورة النجم وادخال

ذلك فيه على بعض وقيل المحدثين ليلتبس به على بعض ضعفاء المسلمين وجه
رابع لتضعيف ذلك ذكر الرواة لهذه القصة اى دوا مما ذكروا ان فيها نزل
وان كادوا ليفتنونك الايتين المتقدم بيانهما وهما يردان الخبر الذي رووه من انه
صلى الله عليه وسلم مدح الهتهم لانّ فضاحهما بانهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ويتقول
مختلقا لهم ما لم ينزل عليه حيث قالوا له اجعل لنا اية رحمة اية عذاب واية عذاب
اية رحمة حتى نؤمن بك وانه تبارك وتعالى لولا ان ثبتته لكاد يركن اى لقارب ان
يميل اليهم شيا قليلا فمنطوق هذا الكلام ومفهومه ان الله عصمه من ان يفترى
حين ارادوا منه ان يبدل الوعد وعيدا او الوعيد وعدا وثبته حتى لم يركن اليهم شيا
قليلا فكيف يتاتى ركونه اليهم وعلى اى حال يركن شيا كثيرا فهو انكار لركونه بانكار حاله
التي يرد عليها بطريق الكناية على وجه برهاني اذ بانتفا حاله يلزم انتفاوه وهم
يروون الواو للحال اى وهم راوين في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافترا
بمدح الهتهم وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك قاله اى النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذ قال له جبريل ما جيتك بهذا افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ادروه في
اخبارهم الواهية عنه صلى الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية اى عدم ركونه اليهم قليلا
مع عدم قوله ذلك مدحا لالهتهم وهي لتصريح مفهومها بضعف الحديث لو صح فكيف ولا
صحة له لاضطراب رواياته فهو لهما وهن من بيت العنكبوت وهذا اى مفهوم الاية
مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته بعصمته اياك وصرفه عنك
ما يعيبك ويحملك على ما ارادوه منك لهمت طائفة منهم من بنى ظفر ان يضلوك عن القضا
بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان صاحبهم هو الجاني لبيتهم ادة اى فريقا منهم
كانوا يعلمون كنه القضية وما يضلون الا انفسهم لاحاطة وباله بهم وما يضرونك من
شيء لانك انما حكمت بظاهر الحال ولم يخطر ببالك ان باطن الامر خلافه وقد روى عند
ابن ابي حاتم وغيره عن ابن عباس كلما كان في القران كاد اى وما تصرف منه فهو
ما لا يكون لافادته القرب من الشيء ولم يقع قال تعالى يكاد سنا برقه معقود
اى ضوءه يذهب بالابصار فلم يذهب بها لا شعارها على الذهاب به ولم يذهبهما
ان الساعة اتية اكاد اخفيها اى فلا اقول هي اتية لفرط ارادة اخفاها ولم يفعل
اى ولم يخفها فكنى به عنه قال القشيري ولقد طالبته قريش من القرش وهو
الجمع يقال فلان يتقرش المال اى يجمعه فسموا قريشا لتجمع قصى لهم في حرم مكة
بعد تفرقهم في القبائل فسمى مجمعا او باسم دابة في البحر تاكل دوابه ولا توكل
وتعلو ولا تعلى وهذا اشبه بهم ودينهم وطالبته ايضا ثقيف اذ مر بالهتهم
التي كانوا يعبدونها من الاصنام ان يقبل بوجهه اليها ووعده الايمان به ان فعل
اى ان اقبل اليها فما فعل وما كان ليفعل امتثالا لقوله والرجز فاهجر اى اترك عبادة
الاوثان غير مكترث بما وعدوك من الايمان فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر
وقال ابن الانبارى ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم الركون الى الكفرة ولا
ركن اليهم فيما راموه منه وقد ذكر في معنى الاية يعنى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا
اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا تفاسير اخر رفضناها

لما فيها من سفساف الامور مما ذكرنا بل نص الله على عصمته بردّ سفسافها اى حقيرها
ورديها وهو ضد المكارم والمعالى واصله ما يطير من غبار الدقيق ونحو النخل والتراب
اذا انتشر وفي الحديث ان الله يحب معالى الامور ويبغض سفسافها وفيه
ان الله رضى لكم مكارم الاخلاق وكره لكم سفسافها فلم يبق في الاية اى وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته
مما كاده به الكفار وراموا اى ارادوه به فتنته ليفترى لهم على ربه تعالى غيره
ومرادنا من ذلك الذي ذكرناه تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم مما لا يليق بكرم
ذاته صلى الله عليه وسلم وهو اى ما ذكر انه مراده مفهوم الاية لا ما ذكر فيها من
سفساف واما الماخذ الثانى في الكلام على مشكل ما روى عنه صلى الله عليه وسلم
من انه صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة النجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فهو مبنى على تسليم
الحديث لو صح من طريق من طرقه مع كثرتها واختلاف الفاظها وقد اعاذنا الله من صحته
لم نرتب في بيان الحق واظهاره تنزيها له صلى الله عليه وسلم مما عزى اليه من قصة
مدحة الاوثان وقد اجاب عن ذلك اى عما نسب اليه من مدحها ايمة المسلمين باجوبة
منها الغث بجملته اى المهزول مما لا يجرى نفعا والسمين مما ينزه شريف مقامه عن
وصمة اللاغية لعصمته فمنها اى من الاجوبة ما روى قتادة ومقاتل انه صلى الله عليه وسلم
اصابته سنة مما يتقدم النوم من فتور يسمى نعاسا قال ابن الرقاع
وسنان اقصده النعاس فرنقت ؛ في عينه سنة وليس بنائم
عند قراءته السورة اى سورة النجم فجرى هذا الكلام تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى على لسانه بحكم النوم وغلبته عليه وهذا لا يصح اذ قلبه صلى الله عليه وسلم لا ينام
وان نامت عيناه ولا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله اى مثل ما نسبنا اليه
حال السنة من النوم والمراد نفيه عن نفيه بطريق الكناية لانه اذا نفي ما هو مثله
من غير قصد الى مماثل له لزم نفيه عنه واثبات براءته منه في حالة من احواله
الشريفة التام التيقظ فيهما ولا يخلقه الله على لسانه صلى الله عليه وسلم ولا يستولى الشيطان
عليه في النوم واليقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب يتعلقه دونه بمتع
ولوجه فيه من جميع انواع العمد والسهو ولعصمته في قول الكلبى ان النبي صلى الله عليه وسلم
حدث نفسه فقال ذلك يعنى ان شفاعتهن لترتجى واما المح الغرانيق العلى الشيطان
على لسانه وهو باطل اذ لم يجعل الله له عليه كغيره من الانبياء سبيلا وفي رواية ابن
شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال اى ابن شهاب وابو
بكر وسها اى النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبر بذلك انه قاله قال انما هو من الشيطان
وكل هذا اى ما قيل انفا لا يصح ان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا
لعصمته من ذلك ولا يصح ان يتقوله الشيطان على لسانه لكفه عن ان يجرى عليه
بتاويل لمثله واباطيل عنه وقيل لعله صلى الله عليه وسلم قاله اى قال ما عزى اليه
من تلك الاباطيل اثنا اى خلال تلاوته سورة النجم على تقدير التقدير والتوبيخ
للكفار اى حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر وينفع توبيخا

وتبكيتا وتبيينا لهم على خطائهم ابدا بانما لا تصلح ان تكون الهة كقول ابراهيم
صلى الله عليه وسلم هذا ربي تقريعا وتوبيخا لقومه وارشادا لهم كما ترى ان المنطق
يؤذن بان شيئا مما يعبد ومنه لا يصلح ان يكون الها وقوله اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم
بل فعله كبيرهم هذا من معاريض الكلام تورية بشيء عن شيء اذ قد ورى صلى الله عليه وسلم
باسناده فعله الى كبيرهم عن تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ به غرضه
من تبكيتهم والزامهم الحجة ليزعموا بان ما ينحتون لا يصلح لان يعبد هذا الذي تعرف
لنبينا صلى الله عليه وسلم من مدحه الهتهم بعد السكت بينه وبين ما تلاه قبله من
السورة وبين الفصل بين الكلامين اي كلام الله وما عزي اليه من مدحها به ثم رجع الى
تلاوته بقية السورة وهذا اي ما قيل انه قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ
ممكن مع بيان الفصل بين الكلامين ومع قرينة تؤذن بان كل عقل سليم يقتضي منها مجازة
لا تجدي نفعا فضلا عن رجاء شفاعتها وتدل على المراد من انه انما قاله توبيخا وتبكيتا
وتقبيحا لعبادتهم اياها وتقريعا وتسفيها لاحلامهم ليرجعوا الى عقولهم فتاخذ بهم الى
اجتنابها اذ ذاك لمحال الا شفاعة لمن ترتجى ولا تقريب لها الى الله زلفى فينبذوها مذعنين
للايمان فيفوزوا برفيع الدرجات في غرفات الجنات وهو اي ما قيل انه قاله اثناء
تلاوته تقريرا وتوبيخا للكفار احد ما ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني او ابن العربي
المالكيان ولا يعترض على هذا اي على قول القاضي بما روي انه صلى الله عليه وسلم
كان حين قال ذلك في الصلاة فكيف يقوله على تقدير التقرير والتوبيخ فيها
فقد اجيب بانه كان الكلام قبل من الظروف الغائية مبني على الضم لقطعه عما
يضاف هو اليه اي قبل النهي عنه فيما غير ممنوع منه والذي يظهر ويترجح في تاويله
اي تاويل ما عزي اليه صلى الله عليه وسلم من مدحه الهتهم عنده اي عند القاضي
ابي بكر وغيره من المحققين على تسليمه وقوعا منه صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا اي يقرؤه مترسلا متردد
مبينا حروفه واشباع حركاته حتى كان ما يتلوه كثغر مرتل اي مفلج مشبه بنور الاقحوان
قال تعالى ورتل القران ترتيلا في ايجاب الامر به وانه لا بد للقارئ منه
وكان يفصل الاي تفصيلا في قراءته كما قالت عائشة وقد سئلت عن قراءته صلى الله
عليه وسلم الواردة ... ان يعد حروفها العدها لتانيه فيها من غير هذرمة
يؤذن بان المتلو في تتابع كلماته وحروفه يشبه الثغر لا الصراي المتراص فيمكن
ترصد الشيطان لتلك السكتات حال تلاوته سورة النجم ودسه فيها اي ادخاله
في السكتات بخفاء ولطف من دسه يدسه دسا اي ادخله فيه قهرا وقوة وفي الحديث
استجيدوا الخال فان العرق دساس اي دخال ما اختلقه من الاختلاق افتعال
من الخلق والابداع اي كذب به كان الكاذب يخلق قوله من تلك الكلمات بيان لما اختلقه
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث اي بمكان هو فيه براي ويسمع يسمع من
دنا اليه اي قرب منه صلى الله عليه وسلم من الكفار فظنوها اي الكلمات اختلقها
الشيطان من قوله صلى الله عليه وسلم واشاعوها اي افشوها واذاعوها بينهم ولم
يقدح ذلك اي ما دسه الشيطان واشاعه الكفار عند المسلمين بحفظ السورة مصدر

مضاف

مضاف الى مفعوله اي لم يقدح بسبب حفظهم سورة النجم قبل ذلك اي قبل اختلاقه
لما دسه تحفظا على ما انزل الله القران متجاوب الاطراف مترتب التركيب متناسق
الدلالات فصاحة وبلاغة وصحة معنى وبراعة وصدق خبر ونصاحة فهو بحيث اذا دس
فيه شيء علم انه ليس منه وتحققهم اي المسلمين من حاله صلى الله عليه وسلم في ذم
الاوثان وعيبها اي عيبه اياها ما عرف منه صلى الله عليه وسلم واشتهر كما دل على علم
وهذا قول غير مرضي لانه يؤذن بان الشيطان كان له عليه صلى الله عليه وسلم سبيل بتمكنه
من دسه خلال تلاوته كلام ربه ما مدح الرجس من الاوثان تلبيسا عليه وان كان قد
حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحوه اي نحو ما ذكر عن المحققين ولم يرض وقال اي موسى
ابن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة الشيطان وانما القى الشيطان ذلك في
اسماع المشركين دعوى بلا دليل ولا بينة مستحيلة عادة اذ لا قدرة لاجزاء الله على
العقل ذلك في اسماعهم دون المسلمين مع اجتماعهم معهم في ناد واحد واختلاطهم بهم فيه
ويكون ما روي مما من حزنه صلى الله عليه وسلم انما رهقه ضجر المعده الاشاعة
والشبهة اي من اجلهما ومن اجل سبب هذه الفتنة الناشئة من نسبة تلك المقالة
اليه واشاعتها عنه صلى الله عليه وسلم مع براءته منها وقد قال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول الى امة ليبين لهم ما ارسل اليهم به ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته اي في تلاوته فمعنى تمنى تلا قال تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي
تلاوة ومنه قوله في مرثية عثمان بن عفان رضي الله عنه

تمنى كتاب الله في اول ليلة * واخرها لاقى حمام المقادر

او الا ما ساهم عليه من ادانيهم ان الله لا يؤاخذهم بخطاياهم وان الانبياء من ابائهم يشفعون
لهم فيعفو الله عنهم ويرحمهم او ما يمنعهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
او الا اكاذيب مختلفة قبولها من علمائهم وقلدوهم فيها وقوله فينسخ الله من نسخ
الشيء اي تغيير من حال الى حال ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به اي بالنسخ
المفاد من فعله ويحكم اياته اي تتقنها واضحة لا يتطرق اليها اختلاف ولا اشتباه
وقيل معنى الاية اي اية فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اي تركه الشيء مع علمه به اذا قرا فيتنبه لذلك اي لما تركه بادنى تنبيه ويرجع
عنه الى ما تركه وهذا السهو الواقع له في القراءة انما يصح فيما طريقه تغيير المعاني
بمعان اخر وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها ولا طريقه زيادة ما ليس من القران
في القران بل السهو انما هو عن اسقاط اية منه اي من القران او كلمة منه
ولكنه لا يقر على هذا السهو الذي هو عن اسقاط اية او كلمة منه بل ينبه عليه
ويذكر به للحين اي الوقت فلا مهلة كما في فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وقراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فطلقوهن في قبل عدتهن ومما يظهر في تاويله اي تاويل ما عزي
اليه في تلاوته سورة النجم لا بعد انه كان قرانا ثم نسخ تلاوة والمراد بالغرانقة
العلى وبالذين ان شفاعتهن لترتجى هم الملائكة على هذه الرواية اي رواية مجاهد
الغرانقة العلى وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الباعث له على
تفسيرها بما هو ان الكفار من قريش وغيرهم من عبدة الاوثان كانوا يعتقدون

ان الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى عنهم بقوله فاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ
من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وقوله اصطفى البنات على البنين فرد
عليهم بذلك كما رد عليهم في هذه السورة اى سورة النجم بقوله الكم الذكر وله الانثى
فانكر الله كل هذا الذى قالوه من جملة قولهم انكار الطريق الاستفهام الانكارى
التكذيبى اى لم يكن ما زعمتم لقد تقولهم قولا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح وهذا التاويل وان كان
صحيحا فى نفسه فمباين للمقام ناب عن سياق الكلام فلما تاوله المشركون على حسب
غرضهم ان المراد بهذا الذكر اى ذكر الغرانقة العلى هى الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم نسمعوه ووعوه نسخ ما القاه الشيطان اى
ازاله وابطله واحكم اياته اى اتقنها واثبتها ورفع تلاوة تلك اللفظين اى تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى اللذين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس على من حضر
تلاوة السورة كما نسخ كثيرا من القران ورفع تلاوته مع حكمه او دونه وكان فى انزال
الله له اى الالقاء ثم نسخه حكمة من خير او شر ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء وما يضل
به الا الفاسقين الخارجين عن اوامر الله بارتكاب المعاصى وليجعل اى الله تعالى
ما يلقى الشيطان مما يلبس به فتنة للذين فى قلوبهم مرض من المنافقين والشاكين
لعدم ثبوت ايمانهم وتزلزلهم والقاسية قلوبهم من المشركين والمكذبين وان الظالمين
لفى شقاق بعيد اى وانهم فوضع الظاهر موضع ضميره قضاء وتسجيلا عليهم بالظلم
وليعلم الذين اوتوا العلم انه اى ما انزله ثم نسخه او تمكين الشيطان من الالقاء
ثم اذهب وازاله الحق من ربك فلا يشتبه عليهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
اى تبت منقادة مطيئة من الخبث وهو ما اطمأن من الارض وان الله لهادى الذين
امنوا فى تاويل ما تشابه عليهم فى الدين وطلب ما اشكل منه الى صراط مستقيم
فيدركون المحمل الحسن بالاصول المحكمة والقوانين الممهدة بحيث لا ترهق قلوبهم
حيرة ولا تزلزلا قدامهم شبهة وقيل لما بلغ صلى الله عليه وسلم فى تلاوته اللات
والعزى ومناة خاف الكفار ان يأتى بشى مما يشينهما سبا ويعيبهما شتما من ذمهما
توبيخا وتقبيحا لهما فسبقوا الى مدحهما بتلك الكلمتين اى ان شفاعتهن لترتجى وانها
لهى الغرانقة العلى ليخلطوا فى تلاوته صلى الله عليه وسلم سورة النجم ويشنعوا عليه
فيها ويشغبوا عليه على عادتهم اى يثيروا الشر ويهيجوه مغالبة له وشغلا لخاطره
ليله عن ذكرها بسوء كفى بهذا القول لاعزم صحة وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران اذا قرئ والغوا فيه اى تشاغلوا عند قرائته برفع الاصوات تخليطا
عليه صلى الله عليه وسلم بما يشوشه ويشغل خاطره لعلكم تغلبون عليه فى قرائته
فكانوا يوصون بعضهم بعضا به ونسب على هذا القول الفعل يعنى الالقاء الى
الشيطان مجازا مرسلا لعلاقة السببية يحملهم لهم عليه اذ هو السبب الداعى اليه
والباعث عليه واشاعوا ذلك اى ما سبقوا به الى مدحها واذاعوه بينهم معلنين به
وانه صلى الله عليه وسلم هو الذى قاله افتراء منهم عليه حذرا من ذمه الهتهم
فحزن صلى الله عليه وسلم من كذبهم وافترائهم عليه قد ضلوا وما كانوا مهتدين

فتسلاه

فتسلاه الله من حزنه وهم مما اختلقوه تنويها لشان الهتهم وترويجا منهم للاقبال
عليهما وترغيبا للسفهاء منهم فى عبادتهما بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته ابدا انا بانك لست وحدك للذى القى الشيطان
فى تلاوته بل كل رسول او نبى القى فى تلاوته فلا تحزن انا معك وبين سبحانه وتعالى
للناس الحق من ذلك الذى انزله اليهم على لسانه صلى الله عليه وسلم من الباطل الذى
القى حين تلاوته فرفضوه وحفظ سبحانه وتعالى القران واحكم اياته اى اتقنها فلا
يغشاها باطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من حكيم حميد ودفع ما لبس به العدو
من الاكاذيب لفقهما واباطيل نمقها كما ضمنه اى ضمن حفظ القران ما فهم من قوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم بقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر
الاية مؤكدا بان واسمية الجملة انه تعالى هو الذى انزله اليه صلى الله عليه وسلم
وانا له لحافظون من زيادة ونقص وتحريف وتبديل ولم يكل حفظه الى غيره تعالى
بل تولاه بنفسه بخلاف كتب الانبياء قبله فانه لم يتول حفظها بل استحفظها الربانيين
والاحبار فاختلفوا فيما بينهم فكان التحريف والتبديل ومن ذلك اى من سؤالات بعض
الطاعنين الانبياء ما روى من قصة يونس صلى الله عليه وسلم افتراء عليه انه وعد
قومه العذاب مخبرا لهم به عن ربه فلما تابوا كشفه عنهم يوم عاشورا يوم جمعة
فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا على غير هذا الوجه اذ كان مغاضبا
لقومه تبرما وضجرا منهم فقد طال وكثر تذكيره اياهم فلم يذكروا مقيمين على كفرهم ففارقهم
مراغما لهم ظانا منه ان ذلك سائغ حيث لم يفعله الا لله والغضب لدينه وبغضا للكفر واهله
وكان عليه ان يصابرهم منتظرا من ربه الاذن له فى المهاجرة عنهم فاغضبهم بمفارقته لهم
ليحذروا حلول العذاب بهم فلما فقدوه حذروا نزوله بهم فامنوا فكشفه عنهم وليس فى خبر
من الاخبار الواردة كتابا وسنة فى هذا الباب من قصة يونس صلى الله عليه وسلم
ان يونس قال لهم ان الله مهلككم ليتاتى له لا ارجع اليهم كذابا ابدا وانما الواردة فيه
من الاخبار انه دعا عليهم بالهلاك والدعا انما هو انشا طلب ليس بخبر يحتمل الصدق
والكذب حتى يطلب صدقه من كذبه لكنه اى يونس قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت
كذا فكان بجيئه لهم فى وقته كما قال فاغامت السما غيما شديدا اسود بدخان سود
سطوح بيوتهم فلبسوا المسوح وعجوا مظهرين التوبة والايمان فرفع الله عنهم العذاب
وتداركهم برحمته فانابوا وامنوا فمتعهم الى حين قال تعالى فلولا كانت قرية امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس لما امنوا استثناء منقطع من القرى اذ المراد اهلها اى لكن قومه
او متصل من ضمير امنت والجملة فى معنى النفى اى ما امنت قرية من القرى الهالكة
الا قومه فانتصابه على اصل الاستثناء ومثله فى الوجهين انا ارسلنا الى قوم
مجرمين الا آل لوط ان استثنى من قوم فمنقطع لاختلافهما وصفا بالاجرام او من ضمير
مجرمين فمتصل كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا اله وحدهم لما امنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين وروى فى الاخبار انه قال لهم
ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا علامة امنا فلما مضت خمسة وثلاثون اوثلاثون
انهم راوا دلايل العذاب ومخايله جمع مخيلة وهى فى الاصل موضع التخييل اعنى الظن

ثم استمير لما يظن علامة وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا راى مخيلة اقبل
وادبر وفي رواية اذا راى في السماء اخيلة تغير لونه خشية ان يكون عذابا ارسل
كما وقع لقوم هود فاذا امطرت سري عنه قاله ابن مسعود ورواه عنه ابن مردويه
مرفوعا وابن ابي حاتم موقوفا فان قلت خطاب لكل من يتاتى توجيهه
اليه او جرد من نفسه اخر خاطبه بقوله فما معنى ما روى عنه ابن جرير عن عكرمة
مولى ابن عباس من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اكرمه الله به من الوحي ثم ارتد مشركا احتراس من ان يكون ارتد يهوديا او
نصرانيا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا اي الطفه واحمله على ان
يوافقني على ما اختاره من كتابه ما يلقى من الوحي حيث اريد كان يملي علي عزيز
اي ممتنع غالب لا يعجزه شيء حكيم لا يفعل الا حقا فاقول او عليم حكيم فيقول
نعم كل صواب اي في نفس الامر على تقدير صحة صدور هذا القول عنه صلى الله عليه وسلم
لا في وضع كل مكان الاخر لنزاهته صلى الله عليه وسلم ان يضع منهما واحدا في غير
محله مع علمه بنظم القران ووضع كلمة في مقامها وقد روي ان اعرابيا سمع قاريا
يقرا فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم بدل عزيز حكيم
ولم يكن قاريا فانكر وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه
اغراء عليه وفي حديث اخر رواه ابن جرير عن السدي فيقول اكتب كذا
كناية عما يامر بكتابته فيقول اي ابن ابي سرح انما اكتب هذا فيقول اي النبي
صلى الله عليه وسلم له اكتبه كيف شئت ويقول صلى الله عليه وسلم له اكتب عليما
حكيما فيقول اي ابن ابي سرح اكتب سميعا بصيرا فيقول اي النبي صلى الله
عليه وسلم له اكتب كيف شئت وفي الصحيح من رواية البخاري عن انس ان نصرانيا
كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي اليه بعدما اسلم ثم ارتد عن الاسلام
الى الكفر وكان يقول افتراء عليه صلى الله عليه وسلم ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم
ما القي عليك مما يوضح لك الحق ويزيح اللبس ثبتنا الله واياك على الحق المبين
ولا جعل للشيطان وتلبيسه اي تخليطه الحق بالباطل الينا سبيلا تقبيحا له وتخسيسا
به وتبعيدا له عن ما حسنا ان مثل هذه الحكاية اي ما حكي عن ابن ابي سرح والنصراني
اولا ان توقع في قلب مؤمن ريبا اي شكا يتردد به في حقية ما اوحي اليه صلى الله عليه وسلم
اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله من بعد ايمانه ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم
في عدالته فكيف بكافر ارتد على عقبيه وافترى من الفرية اي كذب هو ومثله من الكفرة
العجزة على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا اي المذكور عنهما والعجب لسليم القلب
العقل من شوائب الشك واللبس يشتغل بمثل هذه الحكاية المفتراة وقباحة سره
والحال انها قد صدرت من عدو كافر مبغض للدين يبتغي للباطل مفتر على الله ورسوله
بعظيم فريه وشديد فتنة ولم يرد ما افتراه عليه صلى الله عليه وسلم عن احد من
المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله كل منهما وافتراه على نبي الله
صلى الله عليه وسلم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله اقتباس من
القران الكريم لا يراد هنا بلا اشعار انه منه انزل ردا لقولهم انما انت مفتر اي لا يليق

افترا

افترا الكذب الا من لا يؤمن لرفضه الايمان بايات ربه غير مبال بما يترتب عليه
من عقاب نفسه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر بل هم
لا يبالون به ولا تصدهم عنه مروءة ولو كانت صحيحة لما كان فيها اي في الحكاية المفتراة قدح
ولا توهين للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه من عند ربه وما هو من عنده تبارك وتعالى
لا يعتريه واحد منهما ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف تفعيل من الحرف وهو الزيغ
والميل ومنه حديث ابي هريرة امنت بمحرف القلوب اي مميلها ومزيغها وهو الله تعالى
فيما بلغه عن ربه الى من ارسل اليه ولا طعن في نظم القران تنزيل من حكيم حميد وانه من عند
الله لا يعتري نظمه اختلاف ولا تبديل اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب لموضع قوله الكريم
ان الكاتب قال له اي للنبي صلى الله عليه وسلم عليم حكيم او كتبه قبل ان يتم النبي صلى
الله عليه وسلم ما يمليه عليه ليكتبه لفهمه ذلك من فاتحة ما املاه عليه لدلالتها عليه
على طريقة الارصاد البديعي وهو ان يورد كلام نثرا او نظما تفهم خاتمته من فاتحته قبل
تمامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو اي مثل ما قلته اي فهمته من فاتحة
اذ كان ما تقدم من الفاتحة مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها اي على الكلمة التي
هي الخاتمة مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اي للكلمة التي هي الخاتمة تسبقه لسانه
او قلمه لكلمة او كلمتين فقال له ذلك او لفهمه اياه من الفاتحة ولا ينتفي دونهما بقوة
ودربة الكاتب على الكلام لانه ممن صميم من نشا في حجر البلاغة ووضع قديما ومعرفته به
نظما ونثرا او ترتيبا وجودة حسنه وفطنته فهما وسرعة انتقال منه الى معناه كما يتفق
ذلك للعارف باساليب الكلام اذا سمع البيت من الشعر ان يسبق فهمه لقوته الى ادراك
قافيته قبل تمام البيت او اذا سمع مبتدا الكلام الحسن نظما متناسبا ترتيبا متناسق
دلالة ان يسبق فهمه الى ما يتم به قبل تمامه كما في وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون وربما يتفق ذلك في جملة الكلام مما لا تدل فاتحته على خاتمته اذ كل كلام لا يكون
كذلك كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة من الايات والسور وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن ابي سرح كل صواب ان صح فقد يكون فيما فيه من مقاطع الاية وجهان وقراءتان
مما تواتر وقراءته القراء وقد انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما على كاتبه
عبد الله بن ابي سرح او غيره وتوصل الكاتب بفطنته اي بقوة ذكائه ومعرفته بمقتضى
الكلام واساليبه نسقا ودلالة الى القراءة الاخرى فذكرها اي الكاتب للنبي صلى الله عليه وسلم
قبل ذكره لها ولا قدمها انها المناسبة للمقام ذلك فصوبها اي القراءة الاخرى له النبي
صلى الله عليه وسلم لانه الهماك ذلك ثم احكم الله من ذلك الذي انزله على نبيه اي اتقنه
فهو تعالى حكيم فعيل بمعنى محكم اي متقن ما احكم ونسخ ما نسخ لفظا لا حكما او حكما لا لفظا او
لفظا وحكما كقوله تعالى والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا متاعا الى الحول غير اخراج وبلغوا عنا ان لقينا ربنا فرضي عنا
فنزل فيمن قتل ببئر معونة من القران ثم نسخ ولا وجود لك في بعض مقاطع الاي
اي فواصلها اذ كل فاصلة من اية وفقرة من نثر كقافية البيت من الشعر مثل ان
تعذبهم فانهم عبادك ممن عصاك وجحدوا اياتك وكذب انبيائك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز اي القوي القادر على ثوابهم وعقابهم الحكيم الذي الاثابة وتعذيبه

صواب وهذه قراءة الجمهور اى الاكثر من القراء وقرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست هذه القراءة الشاذة من المصحف الامام وغيره لعدم تواترها وكذلك كلمات جاءت
على وجهين فى اثنائه اى غير المقاطع قرا بهما مع الجمهور من القراء العشرة ولهما فى المصحف
مثل وانظر الى العظام اى عظام الحمار وعظام الموتى التى تعجب من احيائها كيف ننشرها
بالراء فى قراءة ابى عمرو وغيره نحييها وننشزها بالزاى فى قراءة نافع وغيره اى نحركها
ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفى مثل يقضى بالمعجمة فى قراءة ابى عمرو وغيره اى
يقضى القضاء الحق فى كل ما يقضيه من تاخير وتعجيل ويقص بالمهملة فى قراءة نافع
وغيره اى يتبع الحق فيما يحكم به ويقدره وكل هذا اى ما زعمه ابن ابى سرح وغيره
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان صح فانه لما ذكرناه توجيها للتصويب صلى الله
عليه وسلم لا يوجب ريبا ولا يسبب له صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما من وهم
بالفتح اى الشئ اى ذهب وهمه اليه وقد قيل ان هذا اى قول ابن ابى سرح لعمرك
لجد ردته كنت اصرف محمدا كيف اريد يحتمل ان يكون مما يكتبه عن النبى صلى الله عليه وسلم
الى الناس ملوكا وغيرهم غير القران فيصف الله اى ابن ابى سرح بصفات تليق به
كان سميعا بصيرا بعد قوله صلى الله عليه وسلم له اكتب عليما حكيما ويسميه فى ذلك
الذى يكتبه عنه صلى الله عليه وسلم كيف شاء على نحو ما مر فصل هذا القول
المتلو عليك مع شرحه فى الفصل قبل هذا انما ورد فيما طريقه البلاغ وبيان احواله
كغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ
والبيان من الاخبار التى لا مستند لها الى الاحكام المتعبد بها ولا مستند لها الى اخبار
المعاد اى ما يعاد اليه يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم فى دعائه واصلح
لى اخرتى التى اليها معادى اى ما يعود اليه يوم القيامة ولا يضاف الى وحى مصدر
بمعنى المفعول اى الى موحى اليه صلى الله عليه وسلم بل انتقال الى بيان ما لم يكن طريقه
البلاغ من القول فى امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم فالذى يجب تنزيهه
هو صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره فى شئ من ذلك اى الذى ليس طريقه البلاغ
بخلاف مخبره بفتح الباء اسم مفعول متعلق بيقع فى موضع الحال ولا سهوا ولا غلطا
لرفيع درجات مقامه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانه معصوم من ذلك فى حال
رضاه وسخطه بفتح المهملة والمعجمة وبضم الاولى وسكون الثانية اى كراهته وعدم
رضاه وجده بكسر الجيم من واوى الرزانة والتماسك ضد الهزل واللعب
ومزحه وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا كقوله لامراة لا تدخل الجنة
عجوز وصحته ومرضه ودليل ذلك اى كون خبرهم لا يقع فى شئ مما ذكر بخلاف مخبره
اتفاق السلف واجماعهم عليه اى علمنا انه صلى الله عليه وسلم لا يصدر شئ منه بخلاف
مخبره وذلك انا نعلم من دين الصحابة الذى دانهم به اى الزمهم به على لسان نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فاطاعوه واذعنوا له خاضعين وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
كان على دين قومه وليس المراد به ما كانوا عليه من الشرك بل كان على ما بقى من دين
ابراهيم صلى الله عليه وسلم من حج وارث ونكاح وغير ذلك من الاحكام او على دينهم
بمعنى عاداتهم من اخلاقهم الحميدة كالكرم والشجاعة والمروة ومنه قول الاعشى

يخاطبه

يخاطبه صلى الله عليه وسلم
• يا سيد الناس وديان العرب • اى قاهرهم على الطاعة لهم وعادتهم الدائمة
على الخير مبادرين حال من ضمير ما قبله اى مسارعين الى التصديق بجميع اقواله
صلى الله عليه وسلم والثقة مصدر وثق يثق على باب اعلال فعله بحذف واوه بجميع
اخباره فى اى باب كانت من ابوابهما وعن شئ وقعت لاجله وبسببه ولم يكن لهم توقف
ولا تردد فى شئ منها بل بمجرد سماعهم ما يخبرهم به يجزمون به ليقينهم عن جزمهم بهم
شئ ولا استثبات منهم عن حالة اى عن احواله فى اخباره عند ذلك هل وقع فيها سهو ام
لعلمهم بعصمته صلى الله عليه وسلم فى الاخبار ولما احتج ابن ابى الحقيق اليهودى
فيما رواه البخارى فى حديث اجلاء يهود خيبر على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار متعلق
باحتج اى احتج باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حجة على عمر ليبقيهم فيها
واحتج عمر عليه بقوله صلى الله عليه وسلم له اى لابن ابى الحقيق كيف بك اذا اخرجت
يعنى من خيبر فقال اليهودى يعنى ابن ابى الحقيق كانت اى مقالته صلى الله عليه وسلم
له كيف بك اذا اخرجت هزيلة من ابى القاسم تصغير هزله وهى من المرة من الهزل
ضد الجد بكسر الجيم فقال له عمر كذبت يا عدو الله انما كذبه لنسبته له صلى الله عليه وسلم
ما لا يليق به من الهزل اذ هو اللعب وادى الخفة والاضطراب فان اخباره واثاره
صلى الله عليه وسلم من بعده من اقامة دين وتبليغ احكام وارشاد وغير ذلك من
اثاره الحسنة المستمرة الى ان يرث الله الارض ومن عليها وسيره الجميلة الحميدة
وشمائله اى صفاته الحسنة الذاتية معتنى اى مهتم ومشتغل بها مستقصى اى مستوفى
تام مفاصلها ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم فى شئ منها اى من اخباره واثاره
وسيره وشمائله استدراكه صلى الله عليه وسلم فى قول قاله فيما ذكر من اخباره
وغيرها او اعترافه بوهم فى شئ اخبر به ولو كان قد وقع منه شئ من ذلك لنقل كما نقل
الينا ما رواه مسلم عن طلحة وانس ورافع بن خديج من قصة رجوعه صلى الله عليه
وسلم عما اشار به على الانصار فى تلقيح النخل اذ مر بهم وهم يلقحونها فسالهم عن ذلك
فاخبروه فقال لهم لا تفعلوا فتركوا فلم تثمر على العادة فقال لهم انتم اعرف بدنياكم
ولا يقدح ذلك فى عصمته ولا توصيم عليه فى شئ من ذلك انه كان من امور الدنيا
التى لا يشترط فى حق الانبياء العصمة من اعتقادهم بعضها على خلاف ما هى عليه
ولا من عدم معرفتهم ذلك البعض لتعلق هممهم واخبارها وامور الشرائع وقوا بينهما
وغيرهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وكان ذلك
اى قوله صلى الله عليه وسلم للانصار لا تفعلوا منه رايا لا خبرا ومن ثم قال
انتم اعلم بدنياكم وغير ذلك من الامور التى ليست من هذا الباب اى باب تنزيهه
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى قال ارسلنى
اصحابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اساله الحملان لغزوة تبوك فقال والله
لا احملكم وما عندى ما احملكم عليه ثم اتى صلى الله عليه وسلم بذود غر الذرى فاعطاه
اياها فقالت تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه فرجع اليه فقال ما انا
حملتكم ولكن الله حملكم والله لا احلف على يمين الحلف وهو اليمين واصلها العقد بالعزم

والنية فغاير بين لفظيهما تأكيداً لهما وتلويحاً بان لغوها لا ينعقد فارى غيرها اى فعل غير المحلوف عليه فكنى بضميرها عن المحلوف عليه اعنى تركهما صلى الله عليه وسلم حملانهم لانه سببها خيرا منها الا فعلت الذى حلفت عليه كتركه حملانهم وكفرت عن يمينى وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ام سلمة انكم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن اقتطعت له من حق اخيه شيا فكانما اقتطع له قطعة من النار وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الايمة الستة عن الزبير من امره صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقى نخلة ولا يستوعب ثم يرسل الما الى جاره من الانصار فقال الانصارى اذ كان ابن عمتك وقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الما الجدر فاستوعب له حقه بعد ان امره ان يسقى بدون استيعاب كما ستبين كلما فى هذا الذى ذكرناه هنا من مشكل فى هذا الباب والذى بعده مع اشباههما اى امثالهما فى البابين والتانيث عرف صدوره من احد فى شى من الاخبار بخلاف ما هو متعلق بحرفه خالد من ضميره على اى وجه كان استريب اى اتهم واوهم الشك فيه بخبره وامنهم فى حديثه قال ابو بكر لعمر عليك بالرايب من الامور واياك والرايب منهما اى بالحقانى الخالص منهما ودع المشتبه منهما فالاول من رابه الثين يروب والثانى من رابه يريبه اى اوقعه فى الشك ولم يقع قوله فى النفوس موقعا بقبله وليطمين به ولهذا اى ولكون الكذب يورث الريبة والتهمة فى الخبر كما ترك المحدثون اى حفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلما من عطف العام على بعض افراده وما مزيدة لتاكيد معنى الترك الحديث عمن عرف بالوهم من اوهم الشى اذا تركه واسقط منه او من وهم اليه بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمه اليه ووهم يوهم وهما بالتحريك اذا غلط فمن الاول قول ابن عباس وهمت فى تزويج ميمونة اى ذهب وهمه اليه ومن الثانى حديث انه صلى الله عليه وسلم سجد للوهم جالسا اى للسهو والغفلة اى الذهول عن الشى وسوء الحفظ اذ قل ما يسلم صاحبه من تغيير او زيادة او نقص وكثرة الغلط مع ثقته اى مع كونه من عرف ببعض من ذلك ثقة فرفضوا التحديث عنه حذرا من صدور شى من ذلك عنه فى الحديث وايضا فان تعمد الكذب فى امور الدنيا معصية تورث الذم عاجلا والعقاب آجلا ان شا الله اذ هى الخروج عن طاعته تعالى والاكثار منه اى من الكذب كبيرة باجماع من الايمة الاعلام كالشافعى ومالك من مجتهدى امة محمد صلى الله عليه وسلم مسقط للمروة مع اخلاله بالعدالة بخروجه عن منهج الصدق وكل هذا اى مما لا يليق بكريم ذاته وشريف جنابه يتنزه عنه منصب النبوة لعظمهما واناقة محلهما والمرة الواحدة مبتدا وصفة مؤكدة له منه اى من الكذب فيما يستشنع ويشاع اى يرفع ذكر صاحبه بما يستقبح ويستنكر مما يخل بصاحبه ويزرى بقائله اى يعيبه وينقصه ويحقره اى يجعله متصفا بما فى الحديث فمواجد ران لا تزدروا نعمة الله من ذريت عليه زرايه اذا عبته وازريت به ازرا اذا قصرت به وتهاونت واصل تزدروا تزتروا وهوا فتعلوا منه قلبت تاوه الا لمجاور الزاى لاحقة خبر المبتدا بذلك اى بما ينزه عنه منصبهما واما ما لا يقع هذا الموقع مما يستشنع فان عددناها اى ما لا يقع ذلك الموقع وانث باعتبار افراده معنى من الصغاير مما لا يترتب على فعلها حد فهل تجرى على حكمها اى على حكم المرة الواحدة من الكذب فى الخلاف

فيهما قبل البعثة هل تعد رمته صغيرة ام لا كبيرة من الانبيا مختلف فيه وقد ذكرته فى شرحى كتابى مقاصد المقاصد ومنظومتى درر القلايد والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره مما يخل بمنصبهما ويزرى بعظيم قدرها اذ عمدة النبوة البلاغ الى المرسل اليهم به والتبيين لهم ما نزل اليهم وتصديق ما جا به مصدر مضاف الى مفعوله الثانى اى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فيما جا به وتجويز شى من هذا اى الذى يخل بمنصب النبوة قادح فى ذلك اى فى العمدة للنبوة التى هى الابلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جا به صلى الله عليه وسلم وكان الاولى ان يقول وتجويز شى من ذلك قادح فى هذا لقربه ذكرا منه ولعله اراد تحقير الاول فى القرب فقرنه باسم الاشارة للقريب وتعظيم الثانى ورفعته فى البعد فقرنه باسم الاشارة للبعيد وتجويزه ايضا مشكك فيه اى فيما جا به صلى الله عليه وسلم فتجويز ذلك او شى منه مناقض للمعجزة من حيث انها امر خارق للعادة لا تجرى على يد مبطل فلنقطع عن يقين بانه الضمير للشان بعينه خلف لا يجوز على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم خلف فى القول بوجه من الوجوه لا بقصد ولا بغيره اى تعمد فى ذلك وكرر حروف النفى لتاكيد تجويز

عدم صح

الخلف عليهم مطلقا ولا التسامح مع من تسامح وتساهل فى تجويز ذلك الخلف عليهم فى اقوالهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ لعصمتهم من ذلك ولنقطع عن يقين بانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة اى قبل اظهارها ولا يجوز الاتسام اى الاتصاف به فى امورهم واحوال دنياهم فيما يتعلق بخاصتهم وغيرهم من اممهم لان ذلك الكذب لو صدر عنهم كان يزرى ويريب بهم اى يحقرهم ويوقع فى الشك فى نبوتهم والتهمة فيما جاوا به عن ربهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد اى بعد ارسالهم بما امروا بتبليغه وانظر احوال اهل العصر النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من العرب والامم وسوالهم عن حاله اى حال نبينا صلى الله عليه وسلم فى صدقه لسانه اى قوله الصدق وما عرفوا بالتشديد الرا مبنيا للمفعول اى عرفت قريش به من ذلك اى من صدق لسانه واعترافهم اى قريش وغيرهم من الامم به حين سالوا عنه مما عرف من كريم شيمه صلى الله عليه وسلم واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه اى مما لا يليق به من الكذب وغيره اى قبل البعثة وبعدها

فصل

فان قلت ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث السهو من سهما فى الشى اى تركه عن غير علم واما السهو عنه فتركه مع العلم به كما فى الذين هم عن صلاتهم ساهون اى لاهون عنها تاركا لعدم سعا تهم اليها وسالا تميم بها الذى رواه الشيخان واسنده هنا من طريق الترمذى فقال ان ابا هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم فى ركعتين اى بعد فراغه منهما ومن التشهد فيهما فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة روى بالبنا للمفعول وللفاعل فالاسناد على الثانى مجازى اى نقصت ام نسيت فقال كل ذلك لم يكن اى لم يقع شى مما اضيف اليه كل لعدم دخولها فى حيز النفى بتقديمها عليه وعدم وقوعها معمول له للفعل المنفى فالنفى على الشمول للقصر والنسيان معا وعمومه لهما تقويلا على ما فى ظنه صلى الله عليه وسلم من ان شيا منهما لم يكن فجواب ام هنا اريد به نفيهما معا لا فى نفى الجمع بينهما فيطرد ما فى الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت وفى اخرى

لم انس ولم تقصر فاخبره اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين بنفي الحالتين اي
لنفي القصر والنسيان مقالا ينبغي الجمع بينهما واعلمه انه قد كان احد ذلك من الحالتين
كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فلفهمه السلب الكلي من قوله صلى الله
عليه وسلم كل ذلك لم يكن ذكر في مقابلته الايجاب الجزئي المنافي للنفي عن الجميع لا للنفي
عن المجموع فاعلم ان للعلماء في ذلك اي فيما وقع له صلى الله عليه وسلم من السهو اجوبة
بعضها بصدد الانصاف لجريه على موجب ما يليق بشرف جنابه صلى الله عليه وسلم
ومنها اي من الاجوبة ما هو بنية العسف والاعتساف غاير بينهما لفظا ومأخذهما
واحد للمبالغة بالثاني والعسف في الاصل الاخذ على غير طريق ثم استعير لركوب الامر
بدون روية وتدبر ثم نقل الى الظلم والجور وفي الحديث لا تبلغ بشفاعتي اماما
عسوفا اي جائرا ظلوما وها انا اقول مبتدا وخبر قرنا بتنبيه اما على القول بتجويز
الوهم والغلط من وهم اليه بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمه اليه او من وهم يوهم
وهما بالتحريك اذا غلط ومنه حديث انه سجد للوهم وهو الغلط اي للغلط او من اوهمته
اذا اسقطته وتركته فيما ليس طريقه البلاغ مما لا يتعلق به حكم ولا اخبار بالمعاد ولا
وحي وهو الذي زيفناه في القولين اعتراض بين اما وجوابها للتنبيه على ما مر من
بيان ضعفه اي جعلناه زايفا فلا يعتد به لرداءته فلا اعتراض على من يجوز على الانبيا
الوهم والغلط فيما ليس طريقه البلاغ بهذا الحديث اي حديث السهو في صلاة العصر
وشبهه مما ليس طريقه البلاغ لتجويزه ذلك فيه عليهم واما على من يمنع السهو والنسيان
في افعاله كغيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم جملة لا يفرق بين ما ق احد
منهما ويرى انه صلى الله عليه وسلم عامدا لصورة النسيان ليأتي به على وجه القصد
ذاكرا لما تركه ليسن اي ليبين لنا ما نحتاج الى فعله اذا عرض لنا سهو فهو صلى
الله عليه وسلم صادق في خبره اي في قوله لم انس ولم تقصر لانه صلى الله عليه وسلم
لم ينس من تلك الصلاة شيئا ولا قصرت ولكنه على هذا القول يقصده لصورة السهو
ذاكر لا متعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه اي غشيه واتاه مثله
وهو اي القول بتعمده صلى الله عليه وسلم السهو ليسن قوله من غريب لضعفه وبعده
عن ساحة الرضى به واما على القول بعصمته واحالة السهو عليه في الاقوال وتجويزه
عليه فيما ليس طريقه القول من الاعمال كسهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ففيه
اجوبة منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر ذا اليدين عن اعتقاده وضميره بقوله كل
ذلك لم يكن فلو تعمد السهو لم يقبله اما انكاره القصر فحق وصدق لا شبهة فيه
ولا مرية ظاهرا وباطنا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم بما ثبت في نفسه
من ظنه اتمام الصلاة عن اعتقاده ظنا وانه لم ينس في ظنه فكانه في اخباره
بعدم نسيانه قصد الخبر عن هذا اعني ظنه وان لم ينطق به اي وان لم يقل لم انس فيما
اظن وهذا صدق ايضا لا تردد فيه ولا ريبة وجه ثان لم نذكره لبعد مسافته
عن المقام وما بعده ابعد منه فاعرضنا عنه وحاصل ما بعده انكاره صلى الله
عليه وسلم ان يقال نسيت وينفيه عن نفسه وعن غيره بقوله لست انا الذي
انسى ولكني انسى وقوله في حديث الشيخين عن ابن مسعود بئس ما لاحدكم ان يقول

نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي ولابي عبيد بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت
وكيت ليس هو نسي وهو ابين من الاول واختار انه بمعنى ترك فلما قال له ذو اليدين
اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان هو عليه في نفس الامر وانكر نسيانه هو
صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه وانه لم يكن منه وان جرى شيء منه فقد نسي من قبل الله
تعالى حتى سأل غيره بقوله احق ما يقول ذو اليدين قالوا نعم فتحقق انه نسي اي
انساه الله واجرى عليه ذلك اي النسيان ليسن به اي ليبين لنا ما نفعل اذا نسينا
شيئا من عباداتنا ونقتدي به بقوله صلى الله عليه وسلم هذا القول لم انس ولم تقصر
وقوله كل ذلك لم يكن صدق وحق لان الصلاة لم تقصر كما في نفس الامر لم تقصر من قبل
نفسه حقيقة ولكنه نسي اي انساه الله تعالى فكرامته صلى الله عليه وسلم نسبة
النسيان الى النفس انما هي لاستناد الحوادث كلها الى الله اذ هو الموجد لها او لانه
امثل النسيان الترك فكره ان يقال تركت القران او قصدت الى نسيانه او لانه لم
يكن باختياره وجه اخر يؤذن بالفرق بين السهو والنسيان ولانه
صلى الله عليه وسلم كان يسهو ويتنبه بما نسيه بادنى تنبيه ولا ينسى لاحتياجه
الى تحصيل ما نسيه ولذلك نفى صلى الله عليه وسلم عن نفسه النسيان لانه غفلة
وآفة يستولي على القلب حتى يظل غافلا والسهو انما هو شغل يتنبه منه بادنى تنبيه
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها لنزاهته عن ان
يستولي على قلبه ما يصير به غافلا عن عبادته وكان يشغله عن حركات الصلاة
ما في الصلاة اسم كان خبرها ما قبله ووضع الظاهر موضع المضمر اعتنا بشانه اي
كان ما يغشاه من خشوع وتدبر قراءة وقرة عينه فيما يشغله عن حركاتها شغلا بها
ربما ادى الى السهو عن عدد اركانها لا غفلة عنها اذ لا تنسب اليه صلى الله عليه وسلم
غفلة فهذا اي ما ذكر ان تحقق على هذا المعنى الذي بيناه لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم
ما قصرت ولا نسيت خلف في قوله لعصمته من الخلف في اخباره المورث عدم الوثوق
به واما قصة كلمات ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيخان عن
ابي هريرة لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات في القران منها اثنتان في سورة
الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وفي سورة الانبياء قالوا أأنت
فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون
وقوله للملك عن زوجته سارة حين اخذها وسأله عنها انها اختي خشية
ان يقتله لو قال انها زوجتي ولقد نجاها الله منه بما عراه من الخزي فردها اليه
واخدمها هاجر ام اسماعيل ابي العرب اشرف الخلق فاعلم اكرمك الله ان هذه
اي كلمات ابراهيم صلى الله عليه وسلم كلها خارجة عن الكذب لعصمته من الاتصاف
به لا في القصد ولا في غيره تأكيد لما افاده ما قبله من نفي الكذب عنه وهي اي كلماته
الثلاث داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب من ندحت الشيء
اذا وسعته ولذلك لغي ندحة ومندوحة اي سعة وفسحة عنه قالت ام سلمة
لعائشة قد جمع ذلك فلا تنضحيه اي توسعيه وتنزيهه ارادت قوله تعالى
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن وهذا من حديث ابي عبيد وغيره عن عمران بن حصين

يرفعه ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب جمع معراض ومعرض من التعريض ضد التصريح
من القول يقال عرفت ذلك في معراض كلامه ومعرضه اي ان في التعريض بالقول من
الاتساع ما يغني عن تعمد الكذب فهي في الحقيقة صدق عرض بما ليتوصل الى غرضه
من مكابدة قومه تبكيتا لهم والزامهم الحجة مما هو في ذات الله وقد سلف لهذا مزيد
بيان اما قوله فيما حكاه الله عنه فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فقال الحسن
ابن ابي الحسن البصري وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق فهو سقيم من حيث انه
معرض لما للسقم فاعتذر لقومه تفاديا من الخروج معهم اذا ارسل اليه ملكهم ان غدا
عيدنا فاخرج معنا وقد اراد التخلف عنهم فنظر الى نجم فقال ان هذا النجم ما طلع قط
الا اسقم والى مشارف السقم وهو الطاعون لانه كان ابلغ اسقامهم وكانوا يرهبون
العدوى فتنفروا عنه الى عيدهم وقيل بل عرض لهم وروى ان من كان هدفا للمنايا فهو
سقيم مما قدر عليه من الموت كما قيل ان رجلا مات فجاءة فقيل مات وهو صحيح فقال
اعرابي اصحيح وفي عنقه الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم
جوازا وميلا عن القصد وبطر الحق وقيل سقيم اذ كانت الحمى تاخذه فتمنعه فعل
ما يريده عند طلوع نجم معلوم له اولهم فلما رآه اعتذر لهم عن الخروج معهم لبعدهم
بعادته التي تعتريه عند طلوعه وكل هذا اي ما ذكر من الاجوبة ليس فيه كذب
بل خبر صحيح هو صدق وقيل بل عرض في قوله مما يكون قايله صادقا من جهة وكاذبا
من جهة على الشايع فتعريضه بقوله انما كان بسقم حجة عليهم وضعف ما اراد بيانه
لهم من جهة النجوم اذ عمدة الناظر فيها التخمين وهو في البيان لا يجدي نفعا النحو
كالذين يشتغلون بها تعظيما لها وانه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان اثناء نظره
وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض فحمل سقم حجته وضعفها لعدم اعتنائهم
شيئا تماما له بمجاز اما انه صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ضعف ايمانه لقوة يقينه
ولكنه ضعف في استدلاله عليهم تبكيتا لهم وزجرا عن عبادة الاوثان والنجوم وسقم
نظره ثم يظهر له ما يقيم به الحجة عليهم حتى الهمه الله اي القى في نفسه باستدلاله وصحة
حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس لما نصه الله مما قرانا من كلامه القديم مما حاج
به قومه من دلايل الربوبية والتوحيد ونفي الشرك بعد ان حاجوه فيها منكرين لها
وخوفوه ان تصيبه معبوداتهم بسوء فنصره الله فالزمهم الحجة وما نصه الله محمول
الهمه ووضع الظاهر موضع المضمر اعتناء لكمال العناية باسمه تعالى وقدمنا بيانه مع
مزيد ايضاح واما قوله بل فعله كبيرهم هذا علق خبره بشرط نطقه اي جعلوا قوله فعله
كبيرهم هذا مشروطا بنطقه معلقا به كانه قال ان كان ينطق فهو فعله مع علمه بانه
لا ينطق فهو على طريقة التبكيت اي التوبيخ والتقريع لقومه استهزاء بهم وتجهيلا لهم اثباته
لنفسه على وجه تعريضي اي ورى باثباته لكبيرهم لنفسه ليبلغ فيه غرضهم من الزامهم
الحجة ليتنبهوا لحاق الحجة فيعلموا ان ما ينحتون لا يقدر على كسر شيء فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم انتم الظالمون حقيقة لا ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ جعلتموه ظالما
بقولكم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ثم نكسوا عن تلك الحالة الصالحة برجوعهم
الى انفسهم اي انقلبوا عنها وطفقوا يجادلونه بالباطل والمكايدة مضارة له اوقلبوا

على

على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما عنفهم به فما احاروا جوابا
واما قوله اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم للجبار الذي اخذ زوجته هذه اختي معرضا بانها
اخته في الاسلام حذرا من ان يوقع به سوا فقد بين في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي
هريرة لم يكذب ابراهيم فذكره وقال انك اختي في الاسلام وهو صدق والله يقول
انما المؤمنون اخوة اي ليسوا الا اخوة خلصا متمحضين لما قد زالت عنهم اسباب الاجنبية
وابى لطف حالهم تمازجا واتحادا ان يقدموا على ما يفرقهم من تباغض وتقاطع وتدابر
ورضي شرف شانهم بما ازيح ذلك من تقوى الله مما يعود الى الايتلاف والتواصل والمسارعة
الى ازالة ما يفرط فغشيتهم رحمة الله وعمتهم رافته فان قلت ايها السايل
عما لا يباح شرعا قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات قال لم يكذب ابراهيم صلى الله عليه وسلم
الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشيخين عن ابي هريرة في الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه اي معنى وصفها بكونها كذبات انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان في
نفس الامر وحاقه حقا في الباطن الا هذه الكلمات الثلاث اي سقيم وفعله كبيرهم وهذه
اختي ولما كان مفهوم ظاهرها اي كلمات الثلاث كذبا خلاف باطنها صدقا اشفق ابراهيم
صلى الله عليه وسلم من مواخذته بها من الاشفاق يقال اشفق اشفاقا وهي اللغة
العالية وحكى ابن دريد شفقت اشفق شفقا اي خاف ان يحبس ويجازى بما
يعاقب عليها وعن عبيدة بفتح اوله اتينا الحسن فازدحمنا عليه درجة له فقال
احسنوا ملاءكم ايها المرؤن وما على لنا شفقا ولكن عليكم انتصب شفقا بفعل مضمر
اي وما شفقت على لنا شفقا ولكن عليكم واما الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن
مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها عنهما مويد لهما واصله من
الوري اي البيان ووراه كقول ابراهيم في حديث الشفاعة اني كنت خليلا من وراء
وراء مبنيا على الفتح اي من خلف حجاب فيلبس فيه خلف في القول انما هو بتورية تلك قد
ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره منه واهبته للنصرة عليه وقد كتم وجه ذهابه اي
جهة مقصده وبذكر البحث عن اخباره اي اخبار الموضع الاخر وما يتعلق به والتعريض منه
صلى الله عليه وسلم بذكره ايما الى ان يريده وما يريده اذ قد ورد استعينوا على قضاء حوايجكم
بالكتمان لا انه يقول لاصحابه تجهزوا الى غزوة كذا ويقول لهم وجهتنا الى موضع كذا خلاف
مقصده فهذا اي قوله لا انه الى اخره لم يكن قاله لهم واما وقول اي سواله صلى الله عليه
وسلم عن الموضع هو غير مقصده ليس فيه خبر يدخله الخلف لانه تعريض وامالة لقصده
عن غرضه وتورية بشيء عن شيء فان قلت ايها السايل عما ينبغي ان يرد
فيه العلم الحادث فما معنى قول موسى صلى الله عليه وسلم وقد سيل الواو للحال من موسى اي الناس
اعلم فقال انا اعلم ولم يقل الله اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ قال انا اعلم ولم يرد العلم اليه
تبارك وتعالى الحديث رواه الشيخان عن ابي بن كعب مطولا وفيه قال اي الله تعالى
بل وفي رواية بلى عبد لنا بمجمع البحرين هو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق اعلم
منك ظاهره انه اعلم من موسى مطلقا وليس مرادا لشهادة ما في الحديث يا موسى اني على
علم علمنيه الله لا تعلمه وانت على علم علمك الله لا اعلمه وهذا اي قول موسى صلى الله
عليه وسلم انا اعلم خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم ما الجواب ايك جوابا لما زعمت

من ان قوله صلى الله عليه وسلم انا اعلم الناس ليس كما قال انه وقع في بعض طرق هذا الحديث الصحيحة المروية عن ابن عباس هل تعلم احدا اي من الناس بشهادة قوله اي الناس اعلم منك فاذا كان جوابه لسائله عن اي الناس اعلم بقوله انا اعلم على ما غلب عنده من علمه انه لا يعلم احدا اعلم منه فهو اي قوله انا اعلم خبر صدق لا خلف فيه ولا شبهة مؤكدات لكونه خبرا صدقا وعلى الطريق الاخر المروي عن ابي بن كعب المار آنفا فنحمله على غلبة ظنه بحيث لا يخطر معه نقيض وعلى معتقده انه اعلم كما لو صرح به اي بظنه ومعتقده كان يقول انا اعلم فيما اظن واعتقد لان حاله صلى الله عليه وسلم في النبوة يقتضي ذلك اي كونه اعلم الناس فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه بضم اوله اي ظنه صدقا لا يرهق من سمعه شك فيه اذ لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم ما تقتضيه وظائف النبوة من بيانية لمفعول انا اعلم علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة اي شريعة الله وسياستها ويكون الخضر اعلم منه اي من موسى بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى له اياها من علوم غيبية كالقصص المذكورة في كثير من السور كسورة الكهف من قصة السفينة والغلام والجدار الوارده في خبرهما فكان موسى صلى الله عليه وسلم اعلم الناس مطلقا على الجملة عموما بما تقدم من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة وهذا اي الخضر على الخصوص بما اعلمه من علوم الغيب التي استاثر الله بعلمها لا يطيع عليها الا من ارتضى ويدل عليه اي على ان ما اعلمه خاص قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا من العلم بطريق الالهام وعتب الله عليه ذلك اي قوله اذا سئل اي الناس اعلم انكاره هذا القول عليه لانه كما في حديث لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لربهما اذ ارادها ان تنبئه باسما المسميات لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه تبارك وتعالى لم يرض قوله اي قول موسى صلى الله عليه وسلم انا اعلم شرعا وذلك اي عدم رضاه تعالى لقوله انا اعلم شرعا والله اعلم فوض العلم اليه تعالى لئلا ارتضاه جوابا لئلا يقتدى به فيه من لا يبلغ كماله اي كمال موسى صلى الله عليه وسلم في تزكية نفسه وعلو درجته من امته متعلق بيقتدي حال من ضمير يبلغ فيهلك من يقتدي به من امته في قوله انا اعلم لما تضمنه اي انا اعلم من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك القول اي انا اعلم من الكبر والعجب والتعاطي من عطاه يعطوه اذا اجترا عليه فاخذه والدعوى الباطلة اي لئلا يورثه اقتداؤه في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل وان نزه عن هذه الرذايل اي الكبر والعجب والتعاطي والدعوى الانبيا لشرف مقاماتهم ورفيع درجاتهم وان تفاوتت فغيرهم بمدرجة سبيلها والحدة المدارج اعني الثنايا الغلاظ وهي المواضع التي يدرج اي يمشي فيها ويسيل فيها الماء اي هو موضع تلك الرذايل المشبهة بالسيل المضاف هو اليها على طريقة التشبيه المؤكد اي هي لاهلاكها من اتصف بها كالسيل المغرق المحتاج لما مر به وبمدرجة ... درك ليلها بسكون الراء ادراكه المشبهة به كذلك الا من عصمه الله من الاتصاف بها فلا تحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به في التحفظ منها للسلامة من الردى في وهاد نوايبها ولهذا اي ولكون التحفظ اولى له ولاجل ان يقتدى به قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا انا سيد ولد آدم ثم نبه على انه لم يقل ذلك عجبا وافتخارا بقوله ولا فخر اي سمح به عظما وكبرا وتشرف بل قلته

شكرا لله وتحدثا بنعمه علي وهذا الحديث سبيل موسى اي الناس اعلم احد حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى وفي رواية يا موسى انت على علم من الله علمكه لا اعلمه وانا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه ولا يكون الولي اعلم من النبي ولا يلزم من قوله انا اعلم من موسى ان يكون اعلم منه مطلقا بل بجزئي خاص من علم الغيب بطريق الالهام فلا اعلمية له منه بشهادة قوله وانا على علم من الله علمنيه لا تعلمه واما نبوته فالله اعلم حيث يجعل نبواته وان الانبيا فيتفاضلون في المعارف مما عرفهم الله وفي الدرجات ايضا بشهادة ورفع بعضهم فوق بعض درجات ولقوله اي الخضر كما حكاه الله عنه وما فعلته من الامور الثلاثة عن امري اي عن رايي واجتهادي بل بامر الله فدل كونه لم يفعلها عن راي واجتهاد انه فعلها بوحي بواسطة ملك او الهام ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان فعله للامور الثلاثة بامر نبي اخر كان في زمانه وهذا اي القول يضعف لانه ما علمناه كان في زمن موسى صلى الله عليه وسلم نبي غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا اذ كان في زمن موسى نبي غير اخيه هارون واذا جعلنا قوله للسايل لموسى هل تعلم احدا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا مخصوصة كالتي في سورة الكهف لم يحتج الى نبوة خضر ولهذا اي ولاجل ان علم الخضر كان خاصا بقضايا معينة قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ اي موسى من العلوم عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى اذ كان سببا في ايصاله اليه وقال الاخر من الشيوخ انما الجي اي اضطر الى الخضر للتاديب من الله له اذ لم يرد العلم اذ سيل اليه لا للتعليم من الخضر لانه اي موسى صلى الله عليه وسلم كان اكمل زمانه علما وعملا

فصل

واما ما يتعلق من الجوارح من الاعمال لصدورها عنها من حيث انها موارده ولا يخرج من جملتها اي من جملة الاعمال القول باللسان فيما عدا الخبر بقسميه الذي سبيله البلاغ والذي ليس سبيله البلاغ الذي وقع الكلام فيه فيما تلي عليك ولا يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد بالقلب لانه من عمله فيما عدا التوحيد والايمان والوحي مما عقدت عليه قلوب الانبيا وما قدمناه من معارفه المختصة به اي بالقلب فانها لا تخرج من جملتها لانها من اعماله فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من الفواحش جمع فاحشة وهي كلما اشتد قبحه من المعاصي والذنوب وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا وكل خصلة قبيحة من الاقوال والافعال فواحشة وفي الحديث ـــــ ان الله يبغض الفاحش المتفحش وهو من يتكلف الفحش في كلامه وافعاله والكباير الموبقات اي المهلكات واحدتها كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا العظيم خطرها من الصفات الغالبة ومستند الجمهور في ذلك اي في قولهم بعصمتهم الاجماع الذي ذكرناه بين المسلمين وهو مذهب القاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني المالكي ومنعها اي منع عصمتهم غيره اي غير القاضي بدليل العقل على منع عصمتهم لعدم احالته بما هو ممكن في نفسه مع قيام الاجماع عليها كما مر وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني الشافعي لشرف جنابهم عن ان يصدر عنهم شي مما ذكر وكذلك اي وكما انهم معصومون من ذلك انهم معصومون من كتمان الرسالة عمن ارسلوا اليهم ومعصومون من التقصير في التبليغ لما ارسلوا به

الى من ارسلوا اليهم لان ذلك اى الكتمان والتقصير تقتضي العصمة منه المعجزة
فاعل تقتضي والعصمة مفعوله اى تدل المعجزة مع قيام الاجماع اى على عصمتهم
من قبل الله باختيارهم وكسبهم بمعنى انه تعالى لم يخلق فيهم ذنبا عليهم ذلك من الكافة
من العلماء لم يخالفهم فيه الا النجار من المعتزلة فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي واما
الصغاير جمع صغيرة وهي هناة لم يتعد لها حد كنظرة وكلمة سفه ونحو معصية فجوزها
جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم كالامام احمد بن حنبل
وابي هاشم من المعتزلة فقد جوزوا عليهم الصغاير غير المنفرة وهو اى تجويز ذلك
عليهم مذهب ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين
اى بعض من كل وذهبت طايفة اخرى من العلما الى الوقف عن القول بجواز او عدم وقالوا
العقل لا يحيل وقوعها اى وقوع الصغاير منهم ولم يات في الشرع لنا من المشارع
قاطع باحد الوجهين من جواز او عدم وذهبت طايفة من الفقها والمتكلمين الى
عصمتهم من الصغاير وهو اللايق بكريم جنابهم وشريف صفاتهم كعصمتهم من الكباير
قالوا لاختلاف الناس في تعريف الصغاير اذ منهم من قال هي كل ما لم يتوعد الله
عليه بحد ومنهم من قال هي امر نسبي الى ما فوق وتحت ومنهم من توقف في تعيينها
وتمييزها من الكباير ولقول ابن عباس كما رواه ابن جرير عنه كل ما عصي الله به فهو
كبيرة لخروجه عن طاعة الله في الجملة وانما سمي الصغير منها بالاضافة والنسبة
الى ما هو اكبر منه فهو باعتبار ما فوقه صغير وما تحته كبير ومخالفة الباري تعالى
من برا الخلق اى اوجدهم لا على مثال وميز بعضا عن بعض باشكال مختلفة في اي امر كان من
انواع المعاصي يجب كونه كبيرة لفرط مخالفته تعالى في العظم بعدم اجتناب منهياته
وما قدروا الله حق قدره قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي لا يمكن ان
يقال في معاصي الله صغيرة فهي عنده باعتبار ترك اجتنابها بالنهي عنها كلها كباير
ولا تسمى صغيرة الا على معنى انها صغيرة تغفر باجتناب الكباير مما فوقها واكبر منها ولا
يكون لها في المواخذة بها حكم مع ذلك اى مع مغفرة الله لها بمجرد اجتناب ما هو فوقها او اكبر
منها بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فاعلها فلا يحبطها شيء لعدم ما تغفر هي باجتنابه والحق
ان الصغيرة لا تغفر بمجرد اجتناب الكباير لشمول ادلة الوعيد للنوعين كباير وصغاير
كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله تعالى
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وكل صغير وكبير مستطر اى مكتتب في اللوح
المحفوظ والكتابة والاحصا انما يكونان للسؤال والمجازاة ومما ورد ظاهره
مقتضيا غفرانها بمجرد الاجتناب فلا يفيد الجزم بوقوعه بل يفيد جوازه ومجرد
جوازه لا يمنع ظن العقاب اذ العمومات الواردة في الوعيد تفيد امورا منه
بترجيح جانب وقوع عقاب كل آت بكبيرة او صغيرة وتشبث من زعم انها تغفر
بمجرد الاجتناب بقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
يرده وعده تعالى المغفرة لما دون الشرك مقرونة بمشيئته تعالى وقوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات موذن بانما نذهبها كباير كانت او صغاير لان لفظ السيئات يشملهما
والمشية عمها في العفو عنها كباير وصغاير وفي العقاب عليها الى الله تعالى ان شاء عفا

وان شاء عاقب وهو اى ما ذهبوا اليه من عصمة الانبيا من النوعين قول القاضي ابي بكر
ابن الطيب الباقلاني وجماعة ايمة الاشعرية من عطف العام على الخاص وزاده اذ هو من اكابرهم
وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا يعني المالكية ولا يجب على القولين اى قولي العصمة وعدمها
عقلا ان يختلف في انهم معصومون من تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحق ذلك اى تكرارها وكثرتها
بالكباير المختلف في عصمتهم منها ولا يجب ايضا ان يختلف في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة
اى الاستحيا والانقباض ونحو على السارق لا احتشم ان لا اترك له يدا اى استحي وانقبض
ويقال هو يحتشم المحارم تفاديا من الدنيا لما منه مكروه واسقطت المروة واوجبت الازرا
من زريت عليه اى عتبته وازدريت به ازدرا وازدرا اذا قصرت به وتهاونت اى ازالة
الاستحيا اى الانقباض والعيب والخساسة اى الدناة والحالة التي يكون عليها الخسيس
يقال رجعت من خساسته وخسيسته اذا فعلت به فعلا تكون به قد رفعته وقالت فتاة
لقايسة انا الى زوجني من ابن اخيه ليرفع بي خسيسته فهذا اى النوع من الصغاير
ايضا مما يعصم منه الانبيا اجماعا لتنزههم مما لا يليق بهم وتكريما لذواتهم وينفر القلوب
منه والانبيا صلوات الله وسلامه عليهم منزهون عن ذلك اى مبعدون عما لا يليق برفيع
منصبهم من النقايص بل يلحق بهذا اى بما ينزهون عنه ما كان من قبيل المباح الذي لا نتهم
على فاعله وادى الى مثله اى الى مثل ما ينزهون عنه لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى
الحظر اى الحرام لمنعه من قربان المحظور وفي الحديث قالت امراة يا نبي الله ادع الله
لي فلقد دفنت ثلاثة فقال لقد احتظرت بحظار شديد من النار اى احتميت بحمى عظيم
منها يقيك حرها وذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه اى فعله قصدا وان كان
جايزا احترازا من ان يودي الى مواقعة ما حظر منه كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه
واستدل بعضهم على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم والانقياد الى الاقتدا
بهم في افعالهم واتباع اثارهم الحسنة المختلفة عنهم مما يهدي للتي هي اقوم وسيرهم الحميدة
مما يوثر عنهم من مناقبهم الكريمة مطلقا اى سوا كان اتباعهم في افعالهم وسيرهم مما هو من
الامور الدينية ام من غيرها وعلم مقصدهم القربة ام لا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب
ابو عبد الله مالك هو الامام وتلميذه ناصر السنة محمد بن ادريس الشافعي وابي حنيفة
من غير التزام قرينة تؤذن باتباعهم في اي نوع من ذلك بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في
ذلك اى في حكم اتباعهم من وجوب او ندب وحكى ابن خويزمنداد بمعجمة مضمومة فرا مفتوحة
فيا ساكنة فمعجمة فميم مفتوحة فنون ساكنة فمهملتين بينهما الف وابو الفرج من مالك
التزام ذلك اى التزام اتباعهم وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا من المالكية
وقول اهل العراق وابي العباس احمد بن سريج وشيخه الاصطخري وابي علي بن خيران من الشافعية
واكثرهم اى الشافعية على ذلك اى التزام اتباعهم ندبا وذهبت طايفة الى ان اتباعهم في ذلك
من الاباحة وقيد بعضهم الاتباع لهم صلوات الله وسلامه عليهم فيما ذكر بما اذا كان من
الامور الدينية وعلم به مقصد القربة الى الله زلفى ومن قال بالاباحة في افعاله اى النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقيد اتباعهم في ذلك بوجوب ولا ندب ولا اباحة قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن
الاقتدا بهم صلوات الله وسلامه عليهم في افعالهم لعدم علمنا بمقاصدهم بها اذ ليس كل فعل من افعاله
كبيره منهم يتميز به مقصدهم الذي قصده اهو من القربة واجبا ومندوبا او من الحظر

حراماً ومكروهاً وخلاف الأولى ولا يصح على تقدير جواز الصغاير عليهم ان يؤمر المرء ۞
بامتثال امر لعله معصية لا سيما اداة استثناء مركبة من سي وما ثم ما ان جعلت ۞
موصولة رفع ما بعدها خبر مبتدأ اضمر بعدها يقال اكرمني القوم سيما اخوك اي سي الذي
هو اخوك او زايدة جر ما بعدها على انما بمعنى مثل يقال اكرمتهم سيما اخيك ولا مثل اخيك
وقد روى يوم في قول امرء القيس ۞ ولا سيما يوم بدارة جلجل ۞ مرفوعاً ومجروراً
عند من يرى من الاصوليين تقديم الفعل على القول اذا تعارضا وجعل المتاخر منهما ناسخاً
على الجواز المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به هذا او دعوى عدم امكان الاقتدا
بهم لعدم تمييز مقصده من القربة بكل فعل من افعاله مع تجويز الصغاير عليهم ممنوعة بانه
هو ممكن مع تجويزها عليهم لعصمتهم من ان يامروا بما لا يجوز او يكره او يقروا عليه او يتركوا
بيان ما امروا ببيانه فيجوز بل يجب الاقتداء بهم في جميع افعالهم وان لم يتميز بانها قصد
القربة وتزيد لمن له ادنى ناحجة تزيل شبهة من زعم عدم امكان الاقتداء بهم لعدم ما ذكر مع تجويزها
ان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا بل عن جميع الانبيا صلوات الله ۞
وسلامه عليهم مجمعون على انه كهم لا يقر على منكر من قول او فعل لعصمتهم من ذلك وانه متى راه
كهم شيئا من ذلك يفعله احد فسكت عنه ولم ينكره على فاعله دل سكوته عنه
على جوازه ايذانا بسكوته عنه انه راض به فكيف يكون هذا اي عدم اقراره وسكوته
على منكر قولا او فعلا يكون حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه في نفسه هذا خلف انكر
وجوده با فكار حاله التي يرد عليها بطريق الكناية كما مر في نظايره على وجه برهاني
للزوم انكار وجوده لانكار حاله وعلى هذا المأخذ الذي يصار على امتثال اقوالهم
وافعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقاً بواسطة اجماع من جوز الصغاير ومن ۞
نفاها عن نبينا على انه لا يقر على منكر وعلى انه متى راى شيئا فسكت عنه ودل على جوازه
تجب عصمتهم من موافقة المكروه تفاديا من ان يقتدى بهم في شيء يمكن ان يكون مكروها
على تقدير وقوعه منهم منه كما قيل اذ الحظر او الندب ملازم للاقتداء بفعله اي عن نبينا صلى
الله عليه وسلم ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه لعدم الاذن فيه بخلاف المندوب
وايضاً يقال عوداً على بدء تاكيد العصمة بنبينا كالانبيا فقد علم من دين الصحابة
قطعاً الاقتدا بافعاله اي نبينا صلى الله عليه وسلم كيف توجهت الى كل فعل من افعاله
صلى الله عليه وسلم وعلم من دينهم الاقتدا به في كل فن من فنونه اي انواع ما امر
بابلاغ من ارسل اليه عليه كالاقتدا باقواله فقد كان صلى الله عليه وسلم كما رواه ۞
الشيخان عن ابن عمر اتخذ له خاتما من ذهب ثم نبذه اي طرحه فاقتدوا به ونبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه من يده كالكاره له وخلعوا نعالهم كما رواه احمد وابو داود
حين خلع نعليه ولفظ الحاكم عن ابي سعيد صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع ۞
فنزع الناس نعالهم واحتجاجهم بجواز محاذاة الكعبة حال قضا الحاجة استقبالا
واستدبارا برؤية ابن عمر اياهم اي حديث الشيخين عن ابي ايوب اذا اتيتم الغايط
فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا فجمع ناصر
السنة ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي بينهما بحمل رواية ابن عمر المفيدة لجواز
المحاذاة على قضا الحاجة في البنيان اذ قد يشق فيه اجتنابها ورواية ابي ايوب

المقيدة لتحريمها على قضا الحاجة في الفضا لعدم المشقة فيه واحتج لجواز الاقتدا بفعله
صلى الله عليه وسلم غير واحد بل كثيرون منهم اي من الصحابة في غير شيء واحد بل
في اشيا كثيرة مما بابه العبادة اي العادة بقوله اي بقول غير الواحد من الصحابة ۞
كانس فيما رواه الشيخان انه قدم من سفر فرؤي على حمار يصلي لغير القبلة يومي فقيل
له فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وابن عمر سيل عن اشيا فعلمها
فقال رايته صلى الله عليه وسلم وقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل امراة وهو صايم فوجد من ذلك وجدا شديدا
فارسل امراته تسال عن ذلك فدخلت على ام سلمة فذكرت لها ذلك فاخبرتها ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صايم فاخبرت زوجها فقال لسنا
مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل الله لرسوله ما يشا فرجعت امراته الى ام
سلمة فوجدت عندها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال هذه المراة فاخبرته ام
سلمة فقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صايم فقالت قد اخبرتها فذهبت الى
زوجها فاخبرته فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم ما يشا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني لاتقاكم
لله واعلمكم بحدوده وقالت عايشة محتجة لجواز تقبيله وهو صايم كنت افعله
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا اعلم من رواه وغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما في حديث الموطا على من اخبر عنه اي النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل هذا اي تقبيله وهو صايم فقال يحل الله لرسوله ما يشا فقال كما مر عنه في
حديث الموطا اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده اي بمحارمه مما منع منه كالفواحش
المحرمة المؤذن بمثلها ختمها بما تلك حدود الله فلا تقربوها وما منع منه فلا ۞
يتعدى كتمام المواريث المعينة وتزوج الاربع المؤذن بمثلها تلك حدود الله
فلا تعتدوها وعن ابي العالية اللمم ما بين حد الدنيا وحد الاخرة اي بين
ما يجب به الحد في الدنيا كشرب الخمر والزنا والسرقة والقذف وبين ما اوعد
الله عليه العقاب في الاخرة كعقوق الوالدين واكل الربا واموال اليتامى ظلما
فاللمم عنده ما كان بينهما من الذنوب مما لا حد فيه في الاخرة والاثار في هذا
اي فيما ذكر من اقتدا الصحابة بافعاله صلى الله عليه وسلم اعظم من ان يحيط عليها
ويضبطها علم لكن يعلم قطعاً من مجموعها اي مجموع الاثار اتباعهم افعاله واقتداؤهم
بها اي بافعاله صلى الله عليه وسلم ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها اي من افعاله
بتجويز يحتمل معه ان يتخللها صغاير لما اتسق هذا اي لم يكن على وتيرة واحدة ۞
متواليا بلا تخلل صغيرة فيه ولنقل عنهم الينا ولو بحثوا عنه ظهر بحثهم ولما انكر
صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما يشا واما المباحات فجايز
وقوعها منهم صلى الله وسلم عليهم اذ ليس في قدح عليهم بما لا يليق بهم بل هي ماذون
فيها مستو به فعلا وتركا وايديهم كايدي غيرهم من الناس مسلطة عليها الا ان اقدام
على فعلها الا انهم لكرمهم عند الله بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرف المكرمة
وبما شرحت له صدورهم من انواع المعرفة الغاية المحصر وبما اصطفوا به من تعلق

الحمد جمع حمد من هم بالامر عزم عليه بالله والدار الآخرة لا يأخذون اى لا يتناولون من المباحات الا الضرورات التى لا مندوحة لهم عن تناولها مما يتقوون استعانة به على سلوك طريقهم من تبليغ الاحكام وبيان ما ينفع معاشا ومعادا وصلاح دينهم وضرورة دنياهم مما لا بد منه ولا محيص عنه ومما اخذ على هذه السبيل من الضرورات لتقويهم على ما ذكر التحق طاعة لنصبه بنزع الخافض من لحق المتعدى فصار لازما بدخول التاء فيه وصار الماخوذ على ذلك السبيل قربة مما يتقرب به الى الله تعالى طلبا للتقرب منه لا نبيا فبان لك وظهر بما ذكرنا عظيم فضل الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبان فضله تعالى ايضا على سائر انبيائه عليهم الصلاة والسلام بان جعل افعالهم قربات يتقربون بها اليه زلفى وجعلها طاعات بعيدة على وجه المخالفة اى جهتها التى توجه اولا تشبيها لها بذى وجه على طريقة الاستعارة المكنية باثبات الوجه لها تخييلا وبعيدة عن رسم المعصية اى علامتها اذ الرسم العلامة تشبيها لها بذى علامة كذلك قال ابو تمام

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا * منها طلال باللوى ورسوم

فصل اختلف في عصمتهم اى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم من المعاصي قبل اظهار النبوة بارسالهم فمنعها قوم وجوزها آخرون من العلماء والصحيح ان شاء الله تبارك وتعالى قدم المشيئة امتثالا لامره تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على امر ان يقدمها وهي هنا اعتراض بين المبتدا وخبره تنزيههم من كل عيب بعصمتهم لبعد ساحة شرفهم عنه وعصمتهم من كل ما يوجب الريب اى الشك في افعالهم واقوالهم فكيف نجهز والانكار لاثبات الخلاف في عصمتهم بانكار حاله له اى يثبت والمسئلة اى والحال انما هي تبوته فصورها كالممتنع الحصول في الذهن فان المعاصي والنواهي الزاجرة عنها انما تكون المؤاخذة بها بالنهي عنها بمن ارسل بعد تقرر الشريعة الذى ارسل به و لا قبل تقرره فلا عبرة بما في الخلاف قبله هذا والذى دين الله به الجزم بعصمتهم مطلقا وقد اختلف في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل العلم بانه رسول الله وقبل ان يوحى اليه هل كان متبعا في عبادة ربه لشرع من شرائع الانبياء قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشىء من شرائعهم فالمعاصي على هذا القول غير موجودة لانتفاء الاحكام التى يعصى بها الله ورسوله قبله مع كونها في نفسها قبيحة في مجارى العقول فهو كهم صلوات الله وسلامه عليهم محفوظون منها قبل ورود الشرع ولا نهي في المؤاخذة بها معتبرة فرحة حينئذ اى قبل تقرر شرعه صلى الله عليه وسلم اذ الاحكام الشرعية واجبا ومندوبا ومباحا وحراما ومكروها وخلاف الاولى انما تتعلق بالاوامر والنواهي من حيث وصفها لها بالوجوب والندب والاباحة والحرمة والكراهة وتقرر الشريعة لها من الشارع ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة المؤذنة بكونه لم يكن متبعا في عبادة ربه لشرع قبله فذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الباقلاني المالكي الى ان طريق العلم بذلك اى بكونه صلى الله عليه وسلم كان متبعا في عبادة ربه قبل ان يوحى اليه لشرع قبله النقل وموارد الخبر من طريق السمع يعني المسموع الوارد على السنة المنقلة الينا وحجته اى القاضي ابي بكر انه الضمير للشان يفسره اسم الاشارة الذى هو اسم ان اى لو كان ذلك قد وقع لنقل الينا ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان اى نقله وعدم كتمه من مهم امره واولى ما اهتبل به من الهبالة وهي الغنيمة

واشتهار

واشتهار الغرضه وفي الحديث من اهتبل جوعة مؤمن كان له كذا اى تحين واغتنم لكونه اى تقيده بشرع قبله من سيرته فلما لم ينقل علم انه لم يكن ولتعجزيه اى نجح وتعاظم شرفا باتباعه شريعة قبله اهل تلك الشريعة ولا احتجوا به اى باتباعه شريعة قبله ولم يؤثر اى لم يرو لنا شيء من ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك اى امتناع كونه صلى الله عليه وسلم متبعا في عبادة ربه قبل الوحى اليه شرعا قبله عقلا قالوا من جهة العقل معولين عليه لانه اى الشان يبعد مع حكم العقل بكون الانبياء تابعين لنبينا مامورين بالايمان به والنصرة له في واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ان يكون متبوعا من عرف من الانبياء كونه تابعا له صلى الله عليه وسلم وبنوا ذلك اى بنوا قولهم بامتناع اتباعه صلى الله عليه وسلم شرعا قبل ان يوحى اليه على طريقة التحسين والتقبيح العقليين وهي طريقة غير سديدة لبعد مسافتها عن ماخذ الشرع ورفع قواعدها على شفا جرف هار واستناد ذلك الذى ذهبت اليه تلك الطايفة من امتناع ما ذكر الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر لقرب مسافته من القبول وقالت طايفة اخرى بالوقف في امره وشانه وحاله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته هل كان متبعا لشرع قبلها ام لا ولم يجزموا عن القول بواحد منهما وجنحوا الى ترك قطع الحكم فلم يحكموا عليه بشىء منهما اذ لم يحل الوجهين العقل لنشأ وبيما عنده في الامكان والاستبان عندها اى عند الطايفة القائلين بالوقف في احدها اى احد الوجهين طريق النقل لعدم استحالة تساويهما في الامكان فلم يتبين احدهما اولى من ترجيح على الآخر وهذا مذهب عبد الملك امام الحرمين ابي المعالي بن ابي محمد الجوينى وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه وسلم كان عاملا قبل ان يوحى اليه ومتعبدا بالشرع من قبله ان يكون متعبدا بغير شرع قبل بعثته ٥ ثم اختلفوا اى الفرقة الثالثة هل يتعين ذلك الشرع الذى زعموا انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث كان عاملا به فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم اى نكص وصمم عليه ٥ اى عزم وجزم بالقول به ثم اختلفت هذه الفرقة المعينة فيمن كان صلى الله عليه وسلم يتبع دينه من الانبياء ويتعبد به وقبل ان يبعث فقيل نوح هو الذى كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتعبد بدينه وقيل ابراهيم هو الذى كان يتعبد بدينه وقيل موسى وقيل عيسى لشمول دينهما واشتراكه وادراكه من دانهما من اليهود والنصارى فهذه جملة المذاهب ثلاثة اى مسالة تعبده قبل ان يبعث مانع ومتوقف ومجوز والاظهر فيهما ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني من ان العلم بذلك الطريقة النقل وموارد الخبر من طريق السمع وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك اى مما عين لنقل الينا واحطنا به خبرا كما قدمناه انفا عن القاضي ولم يخف عن احد ولا حجة لهم فيما تمسكوا به من ان عيسى صلى الله عليه وسلم آخر الانبيا فلزمته شريعته من جاء بعدها ومنهم نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يلزم شريعته من جا بعدها لعدم امرهم باتباعها بل الصحيح انه لم يكن لنبي من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم دعوة عامة لكافة الناس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للآخر القائل بان نبينا كان يتعبد بشرع ابراهيم قبل ان يوحى اليه ان يتبع ملته في قوله تعالى

ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم لانه امر باتباعهما لما كان قبل الوحى اليه ولا حجة
ايضا للاخر القايل بانه كان يتعبد بشريع نوح فى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذى اوحينا اليك اى من دين نوح ومحمد وما بينهما من اديان الانبيا فحمله هذه
الاية انما هو على اتباعهم فى التوحيد بشهادة تفسير المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء
الاعلام من الرسل بقوله تعالى ان اقيموا الدين اى دين الاسلام الذى هو توحيد الله
وطاعته والايمان به وبرسله وكتبه وبيوم الجزا وساير ما يكون المكلف به مسلما الا
المشروع الذى مصالح الامم كاختلاف احوالهم وتفاوتها المؤذن به قوله تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا وكقوله اوليك الذين ذكروا من الرسل وغيرهم هدى الله فبهداهم
اى بطريقتهم لا بطريقة غيرهم بشهادة الاضافة فى الايمان بالله وتوحيده واصول
الدين اقتده دون الشرايع لاختلافهما وهى هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى
بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا اوقد سمى الله تعالى فى اية الانعام المشار اليها الى من
ذكر فيها من الانبيا بقوله اوليك الذين هدى الله فبهم اى فى الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم المذكورين فيها من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف عند من قال انه
ليس برسول فدل الامر بالاقتدا به بهداهم ان المراد به اصول الشرايع دون الشرايع انفسها
وسمى جماعة منهم اى من الانبيا ممن شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينهما فدل اختلافهما
ان المراد بهداهم ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله وبعدها اى هذا اى بعد
ما اجتمعوا عليه من ذلك فهل يلزم من قال بمنع الاتباع اى اتباعه صلى الله عليه وسلم
قبل ان يوحى اليه تابعا لشرع قبله غير نبينا او بما العود تبينهم فيه قبل ان يوحى اليهم
اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله الذى هو المنع عقلا فى كل رسول بلا مزية واما
من مال الى النقل كالقاضى ابى بكر على ما مر فانما تصور له وتقرر اتبعه وعمل بمقتضاه
ومن قال بوجوب الاتباع بالوقف لمن قبله فعلى اصله من الاحجام عن التبيان وعدمه
ومن قال بوجوب الاتباع قبل الوحى لمن قبله من الانبيا يلتزمه اى القول بالوجوب
عينا او حجة فى كل رسول واجرائها فى كل نبى فصل هذا اى ما تقدم فى فصل
العصمة قبله حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال الصادرة من غير الانبيا عن قصد
وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف ويواخذ به فاعله واما ما تكون المخالفة
فيه من الاعمال بغير قصد وتعمد كالسهو وهو ذهول عن المدرك لا ينتهى الى زواله
من القوة الحافظة فقط يتنبه له بادنى تنبيه والنسيان وهو ذهول عن مدرك ينتهى الى
زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة يحتاج فى حصوله الى سبب جديد فى الوظايف
الشرعية مما ورد الشرع بتعلق الخطاب به كالصلاة والصوم والحج بخلاف السهو والنسيان
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به بشهادة رفع عن امتى الخطا والنسيان وترك المؤاخذة
عليه فاحوال الانبيا حوالها اثنان فى ترك المؤاخذة به مع اممهم سوا لا يواخذ به منهم مكلف
دون مكلف ثم ذلك اى ما لا يؤاخذ فيه بسهو ونسيان على نوعين احدهما ما طريقه
البلاغ اى من ارسلوا اليه وتقرير الشرع له ليعمل به وتعلق الاحكام امرا ونهيا وتعليم
الامة مصدر مضاف الى مفعوله اى تعليم كل رسول امته بالفعل واخذهم باتباعهم فيه
اى فى ذلك الفعل والثانى ما هو خارج عن هذا الذى طريقه البلاغ بما يختص بنفسه

من واجبات ومندوبات ومباحات ومحرمات ومكروهات كان لنبينا صلى الله عليه وسلم
اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ من الاحكام عملا وقولا فحكمه فى الكلام السهو به عند
جماعة من العلما حكم السهو فى القول فى هذا الباب اى باب ما طريقه البلاغ وقد ذكرنا
فيما تلى عليك آنفا الاتفاق من العلما على امتناع ذلك اى امتناع المخالفة فى القول فى حق النبى
من الانبيا وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا وكذلك اى وسلّم ما قالوا فى باب
القول بعصمة النبى من جواز ذلك قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز طرو السهو من طرا
يطرا طروا وقد يترك تخفيفا وفى الحديث طرا على قلبى من القران اى ورد واقبل مفاجاة
كان نوبته يجيه فى وقته الذى يوديه فيه منه اى لا يجوز ورود المخالفة واقتالها
فجاة على النبى فيها لا عمدا ولا سهوا لا عنادا اى الافعال بمعنى القول من جهة التبليغ والادا
فيمتنع طرو المخالفة على النبى فيهما لطرو هذه العوارض عليهما اى على افعال النبى يوجب
التشكيك فى افعاله ويوجب تسبب المطاعن من طعن فيه وعليه بقول يطعن بتناقضها
اذا اعابه بوقيعة فيه واعتذروا عن احاديث السهو فى بعض صلواته صلى الله عليه وسلم
بتوجيهات نذكرها بعد هذا اى الكلام على احاديث السهو والى هذا اى الى منع طرو
المخالفة فى افعال النبى عمدا او سهوا قال ابو اسحاق الاسفراينى وذهب الاكثر
من الفقها والمتكلمين على اختلافهم الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية التى ارسل
اليهم من الامم والاحكام الشرعية علمية وعملية سهوا تمييزا وحال من المخالفة وعن غير
قصد منه اى من النبى نسيانا وسهوا او غلطا فهو عام عطف على بعض افراده جايز عليه
اى على النبى كما تقرر من احاديث السهو فى الصلاة الثابت فى الصحيحين وغيرهما ۞
وفرقوا اى المجوزون له بين ذلك اى الافعال وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة
عن انبيائهم بما طلب منهم لمعارضتهما على الصدق فى القول ومخالفة ذلك تناقضهما اى
مخالفة الصدق فى القول سهوا ومن غير قصد تناقض المعجزة واما السهو فى الافعال
فغير مناقض لهما اى للمعجزة لانهما من جنسهما ولا قادح فى النبوة لثبوتها مع وقوعه فيهما
لعدم منافاته لهما بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر جمع سمة من وسمه
يسمه وسما وسمة اذا اثر فيه بكى ونحوه فكانه وسم بها اى هى من علاماتها من لم يكن معصوما
واما من كان معصوما كنبينا صلى الله عليه وسلم فهو وان كان كما فى حديث الصحيحين
عن ابن مسعود قال اى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكرونى فنسيانه ليس كنسيان غيره نعم بل حالة النسيان والسهو
لا بهما عوض عن الضمير اى حالة نسيانه وسهوه هنا فى حقه اى فعله الصادر عنه وكل
من افعاله حميد انما يصدر عنه لانه سبب افادة علم يفيده امته وتقرير شرع كما فى حديث
الموطا بلاغا مما لم يعرف وصله قال اى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا انسى او
انسى بضم الهمزة وفتح النون وتشديد المهملة مبنيا للمفعول للعلم بفاعله اى ينسينى الله
لاسن اى لابين لكم ما تفعله من نسى شيئا فى عبادته وافعله لتتاسوا بى بل قد روى لست
انسى لكن انسى لاسن اى لا اخاف دفع الى النسيان لارشدكم بالهداية الى صراط مستقيم
وابين لكم ما تحتاجون ان تفعلوه اذا عرض لكم نسيان وهذه الحالة اى حالة نسيانه صلى
الله عليه وسلم ليست زيادة له فى التبليغ لما ارسل به لامته اذ به يتوصل الى معرفة

مايصنع من نابه سهو في عبادته وتمام عليه في النعمة عطف على زيادة وفيه تلميح الى قوله
تعالى ويتم نعمته عليك بعيدة خبر هذه عن سمات النقص اى علاماته واغراض الطعن جمع
غرض وهو ماتنزع النفس نحوه وتميل اليه والطعن الوقيعة في اعراض الناس بذم وغيبة
ونحوهما وفي الحديث المومن لايكون طعانا من طعن فيه وعليه يطعن بالضم
والفتح اى لايكون وقاعا في الاعراض ولاعيابا مماقالت القايلين بتجويزه لك اى السهو
على الانبيا في الافعال يشترطون اى الرسل لا تقر على السهو والغلط بل اذا اعرض لهم فيما
ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور اى سرعة اخابره وام ممتنع على قول بعضهم وهو
ثور ابي اسحاق وهو الصحيح ينبهون عليه قبل انقراضهم على قول الاخر من المجوزين له
في الفقها والمتكلمين واما ما ليس طريقه البلاغ الى من ارسلوا اليهم ولا بيان ٥٠
الاحكام الشرعية لهم من افعاله صلى الله عليه وسلم اى ما ليس طريقه البلاغ وما يختص به من
امور دينه واذكار قلبه ربه من تهليل وتحميد والتسبيح وثنا عليه بما يليق بكرم ذاته مما لم
يفعله ليتبع فيه فالاكثر من علما الامة على جواز السهو اى الذهول عن الشي لا سيما والغلط
عليه صلى الله عليه وسلم فيها الا في الافعال اذ لا يلحقه صلى الله عليه وسلم بذلك معرة
ولا نقص ولحوق الفترات والغفلات بقلبه ولحوق ذلك بما كلفه اى بسبب ما طوقه
من مقاساة الخلق وسياسة الامة اذ باشتغاله بما يلحقه ذلك ومثله معاناة
الاهل من الاهتمام والاشتغال بماله من اولاد وزوجات واقارب رفقايهم ونحوهم
وملاحظة الاعدا اى مرافبتهم واخذه حذره منهم وهذا الامر من حيث هو مما يشغل
القلب ويورث به فتورا ويلوى الخاطر عن قصد ويغرى به نفورا ولكن ليس صدود
ذلك منه صلى الله عليه وسلم على سبيل التكرار ولا على سبيل الاتصال اى التوالي
والتتابع بل على سبيل الندور والقلة لان قلبه كان ابدا مشغولا بالله تعالى ولذاك
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي اى ليغشاه من السهو الذي لا يسلم منه بشر فاستغفر
الله في اليوم سبعين مرة مما ان يعرض له من امور امته واهله ومصالحهم فيشغله عن ربه
فيعده ذنبا وتقصيرا احسانه من ذلك وقد سبق لهذا مزيد بيان وليس في هذا اى فيما ذكر
من تجويز السهو والغلط فيها اى في افعاله صلى الله عليه وسلم شي يحط من رتبته من
رتب اذا انتصب قايما وجمعها مراتب اى ينزل من منزلته العلية وفي الحديث
من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها اراد بها الحج والغزو ونحوهما من العبادات الشاقة ٥
وليس فيه شي يناقض معجزته مفاعلة من نقض البنا اى يبطلها وذهبت طايفة من
الذهاب ضد الرجوع وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الغايط ابعد
المذاهب هو مكان الذهاب استعير للراي الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه صلى الله عليه وسلم لنزاهة رفيع درجات منزهة عن ذلك جملة لانه شي يجوز
عليه وهو مذهب جماعة المتصوفة سالكي طريقة التصوف ومتحلي علمه واصحاب علم
القلوب اى المعارف الالهية والعوارف الربانية والمقامات السنية وفي هذه الاحاديث
الاحاديث السهو عنه الوارد فيه ولهم في هذه الاحاديث فيما يرد عليك ان شا الله تعالى مذاهب نذكرها بعد صح
فصل في الكلام على حدوث السهو الوارد في فعله منه قد قدمنا في الفصول
السابقة قبل هذا الفصل ما يجوز عليه من فيه عليه صلى الله عليه وسلم السهو من الافعال
البلاغية والاحكام الشرعية ما ذهب اليه الفقها والمتكلمون وما يمتنع فيه عليه السهو

من الاقوال البلاغية على ما مر واحلنا اى جعلنا وقوع السهو في الاخبار محالا جملة
من غير تفصيل وتفرقة بين كونها دينية او دنيوية حذرا من ان يورث تجويزه
عليه صلى الله عليه وسلم فيها التشكيك والطعن في التبليغ واحلناه ايضا في الاقوال
الدينية فقط قطعا بلا خلاف تقاديا من ذلك واجزنا وقوعه اى وقوع السهو
في الافعال الدينية لعدم مباينته ومناقضته للمعجزة فيها وعدم قدحه في النبوة على
الوجه الذي رتبناه من كونه مع قلته انما يقع سببا لافادة علم قد يرجح بشهادة
قوله صلى الله عليه وسلم لست انسى ولكني انسى لاسن الى لانسى وانسى لاسن
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث
احدها حديث ذي اليدين رواه الشيخان في السهو عن ابي هريرة في السلام منه صلى الله
عليه وسلم من ركعتين اثنتين في احدى صلاتي العشي الظهر او العصر فقال ذو اليدين
بارك الله انسيت ام قصرت الصلاة قال لم انس ولم تقصر فقال اكما يقول ذو اليدين
قالوا نعم فاتم ثم سلم ثم كبر وسجد ثم رفع قال ابن سيرين نبيت ان عمران بن حصين
قال ثم سلم الثاني حديث الشيخين عن مالك بن عبد الله بن بحينة في القيام منه
صلى الله عليه وسلم في الصلاة من ركعتين اثنتين سهوا تعليما لمن نابه شي في
صلاته ان يقتدى به فيما يفعله الثالث حديث الشيخين عن ابن مسعود انه
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا سهوا طرا عليه ليبين ما يترتب عليه اذا عرض وهذه
الاحاديث الثلاثة المروية عن ذي اليدين وابن بحينة وابن مسعود مبنية على السهو منه
صلى الله عليه وسلم في الفعل الذي قررناه فيما مر انفا دون السهو في القول وحكمة الله
فيه سهوا به صلى الله عليه وسلم ليستن به اى بسببه لامته اذ البلاغ بالفعل اجلى منه
اى من البلاغ بالقول وارفع للاحتمال وابين للمراد لانه من علم عين اليقين بمشاهدة
الفعل اذ لا يقر على هذا السهو بل ينبه به فينبه له بادى تنبيه لم ترتفع الالتباس وتظهر
فايدة الحكمة من بيان ما يحتاج اليه من نابه شي منه في صلاته كما قدمناه انفا
وان النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة لعدم المباينة
بينهما ولا قادح في التصديق له صلى الله عليه وسلم ممن اذعن وانقاد له فيما جا به
ودعا اليه تبليغا وبيانا للناس ما نزل اليهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الشيخان موذنا بشخي السهو للمعجزة انما انا بشر انسى كما تنسون بجامع البشرية بينهما مباينة صح
فاذا نسيت فذكروني كرره تاكيد الحكم على نفسه صلى الله عليه وسلم بصدور النسيان
والسهو عنه مع افادته عدم مضادتهما للمعجزة وقال اى النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه الشيخان عن عايشة رحم الله فلانا كناية عن رجل لا اعرفه لقد اذكرني كذا
وكذا اية كنت اسقطتهن نسيانا لا تركا عمدا ويروى انسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم
كما مر عن الموطا بلاغا اني لانسى او انسى لاسن اى لابين ما يترتب على السهو من الحكم قيل
هذا شك الراوي بينهما ادة او المؤدة بالترديد وقد روى اني لا انسى بزيادة همزة
بين حرف النفي والمؤد على الرواية قبلها ولكن انسى لاسن وذهب ابن قانع او ابن نافع
وعيسى بن دينار انه ليس حديث لا انسى او انسى ليس بشك وان معناه التقسيم اى
انسى انا او ينسيني الله لوروده نسبته صلى الله عليه وسلم النسيان الى نفسه تارة والى ربه

اخرى قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قاله انه يريد اي النبي صلى الله عليه وسلم
الشيء في اليقظة ليأتي السهو فيهما اختيارا او انسى في النوم بتشديد المهملة لعدم
تأتيه فيه اختيارا وقد يمنع هذا بانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام قلبه فحاله نوما
ويقظة سواء او يحتمل ان يريد انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو عما هو بصدده مما يشغل البال او انسى بالتشديد اي ينسيني الله مع اقباله عليه
والتوجه له مشتغلا بجناب قدس ربي ملتبسا بطاعته فاضاف احد النسيانين الى
نفسه اذ كان له بعض اختيار بمباشرته في تحصيله والتسبب فيه ونفى
الاخر عن نفسه اذ هو فيه بمباديه البعيدة كالمضطر والملجأ اليه لانه قدر عليه في الازل
يصدر منه في ابانه فيما لا يزال لاستحالة امتناع تخلفه ومباديه القريبة كالمختار بمباشرته
له وتسببه في حصوله بخلق الداعية والقدرة فهو مضطر في صورة مختار وفي الحكمة
ذات الجدار لو قد مالك تشقني قال سل من يدقني وذهبت طائفة ممن تكلم على الحديث
الى حديث سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة الى انه صلى الله عليه وسلم كان لا يسهو في
الصلاة فيترك فيها ما ليس عن علم وقد مر له مزيد بيان ولا ينسى لان النسيان
لا ترى قريبا ذهول وغفلة ينتهي الى زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة بما يستولي
على القلب ويغشاه فيحتاج في حصوله الى سبب جديد وهو صلى الله عليه وسلم منزه
عنهما اي بعيد عن الغفلة مما يؤدي الى نقص والسهو شغل لا ذهول لا ينتهي الى زواله
من الحافظة وكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته لا عنها فلا يتركها عن علم غير مبال
ولا يجر جماعتي وقتها بالسهادة فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اي غافلون ۝
وكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله عن حركاتها بفتح الواو والحال اي يسهو
فيها حال كونه يشغله عن حركاتها بركوع وسجود وغيرهما ما فيها فاعل يشغله عن خشوع ۝
وانابة واستكانة وما يغشاه من التجليات تجليات مما يورثه قرة عين فيها فيسهو
شغلا بها لا غفلة عنها مما ينقص جنابه الشريف الكريم واحتج من منع النسيان في حقه
صلى الله عليه وسلم بقوله في الرواية الاخرى المتقدمة آنفا اني لا انسى بزيادة الهمزة
كما مر وذهبت طائفة الى منع هذا الحكم سهوا ونسيانا عنه صلى الله عليه وسلم تبعيدا لهما
عن ساحة مقامه وقالوا ان سهوه كان عمدا وقصدا ليسن ما امر ببيانه ليقتدى به فيه
وهذا قول مرغوب عنه لانه متناقض لمناقضة السهو للعمد واستحالة كونه عمدا كيف
يكون متعمدا ساهيا في حالة واحدة اي على اي حالة يرد مع عدم اجتماعهما للعناد بينهما
اوجب نفي الملزوم اعني امكان اجتماعهما بنفي لازمه اعني الحالة التي يرد عليهما بطريق
الكناية على وجه برهاني ولا حجة لهم في قولهم انه اي النبي صلى الله عليه وسلم اني لا انسى
وانسى وقد ... اي قالوا بالتعمد لسن والحال انه قد اثبت احد الوصفين النسيان
من قبل نفسه او من قبل ربه ونفى مناقضه بالاضافة الى الضمير التعمد والقصد
مفعول نفى باثبات احدهما وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقد مال الى هذا اي القول بانه صلى الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان عظيم من ايمتنا
يعني المالكية وهو ابو المظفر الاسفراييني وصفه بالعظم تعجبا وتعجيبا اي من ميله الى هذا
القول المرغوب عنه لتناقضه بمنافاة السهو العمد وقد ظهر انه لم يرتضه غيره منهم

ولا حجة لهما اي الطائفتين القائلة بانه صلى الله عليه وسلم كان يسهو في صلاته ولا ينسى
والقائلة بان سهوه كان عمدا وقصدا في قوله اني لا انسى بزيادة همزة بين حرفي النفي
والنون ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان في الجملة اي النسيان الذي هو حكم بمعنى مدلول
لفظه فالاضافة بيانية وانما فيه اي في لا انسى نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله صلى الله
عليه وسلم بئس ما لاحدهم فعل جامع لانواع الذم ضد اخيه نعم لانواع المدح ما لاحدكم ان يقول
نسيت اية كذا ولكنه نسي مسند الى انساه الله لكونه نسبة النسيان الى النفس اما لانه
تعالى هو الذي انساه لاستناد ايجاد الحوادث كلها اليه تعالى او لان النسيان ترك ذكره
له ان يقول تركت القران او قصدنا اليه نسيانه او لانه لم يكن باختياره يقال انساه الله
ونساه ورواه ابو عبيد بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت وكيت ليس هو نسي وهو
ابين من الاول واختاره بمعنى ترك او انما فيه نفي الغفلة وقلة الاهتمام بالجر عطف على
الغفلة بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها اي بالغفلة عن الصلاة ونسي بعضها
بعضها اي بعض الصلاة ببعض الغفلة عنها ليبين للساهي فيها ما يجبرها به ترك شيئا
شيئا منها كما ترك الصلاة يوم الخندق في رواية الشيخين حتى خرج وقتها وشغل
اي والحال انه قد شغل بالتحذر من العدو عنها اي عن صلاة يوم الخندق فشغل بطاعة
هي حراسة المدينة وحفظها بتحصينها من المشركين عن طاعة هي امتثال امر ربه باداية
الصلاة وقيل كما رواه الترمذي والنسائي عن ابن مسعود ترك صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق اربع صلوات متواليات الظهر والعصر والمغرب والعشاء اي بتركه صلى
الله عليه وسلم هذه الصلوات يوم الخندق احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة الى ان
يخرج وقتها في وقت الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن من الخوف وهو مذهب
الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان تقرر بنزولها بعد هذا اي بعد تركه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ما ذكر من الصلوات فهو اي حكم صلاة الخوف على ما هو مقرر
في بابه ناسخ له اي لتركه وقت الخوف كيوم الخندق فان قلت فما تقول
في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادي كما رواه البخاري وغيره وقد قال
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي اعتراض بين السؤال وجوابه ورد حاله افادت ان قلبه
لا يعتريه نوم فكيف نام حتى خرج وقتها فاعلم ان للعلماء عن ذلك اي عن نومه فيه مع ان
عينيه تنامان ولا ينام قلبه اجوبة اسم ان خبرها ما قبله منها ان المراد بان هذا
اي يقظة قلبه مستيقظا حكم قلبه عند نومه صلى الله عليه وسلم وعند نوم عينيه دون انما
كان في غالب الاوقات لا بعضها فيما نوم وقد يندر اي يقل منه صلى الله عليه وسلم ذلك
فيغشاه النوم كعينيه كما يندر من غيره خلاف عادته بان يكون مديما عملا فيتركه قليلا
ويصحح هذا التاويل الذي افاد ان قلبه لا ينام غالبا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
نفسه اي حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي واكده بنفسه حذرا من توهم كون لامه
للجنس فيذهب الذهن الى غيره ان الله قبض ارواحنا اي ابانها فلم يبق لنا شعور ولا
تمييز ويصححه ايضا قول بلال فيه اي في حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي جوابا
لقوله صلى الله عليه وسلم وقد امرهم ان يكلأ الفجر فقال نعم اين ما قلت يا بلال فقال
والله يا رسول الله والله ما القيت علي نومة مثلها لشدة ما ارهقه من فرط تعب السير

وفوقه سكينة السحر فما ايقظهم الا حر الشمس فقال صلى الله عليه وسلم هذا واد به شيطان اقتادوا فاقتادوا رواحلهم حتى خرجوا منه وقضوا صلاة الصبح في غيره ومن ثم كره الشافعي الصلاة فيه ولم يوجب قضاء الفائتة بعذر فورا بل المراد فائتة صلاة بعذر ان لا يتوسع وليس هذا اي نومه صلى الله عليه وسلم فيه حتى ايقظه حر الشمس الا ما يكون منه صلى الله عليه وسلم لامر يريده من اثبات حكم تنبيه لمن طرأ له ذلك بعذر ان يقضي متوسعا ام فورا ظاهر هذا عدم وجوب القضاء فورا وما ورد مقتضيا وجوبه فورا فمحمول على الفائت بلا عذر جمعا بين الادلة وتحذيرا من العمل ببعضها دون بعض وتاسيس اي تقرير سنة مرضية ليقتضي به فيها واظهار شرع مما شرعه الله لعباده فرضا او سنة وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر لو شاء الله لم يوقظنا من منامنا ولكن اراد بعدم ايقاظنا ان يكون سنة لمن بعدكم يقتدون بها الثاني من الاجوبة ان قلبه صلى الله عليه وسلم كان لا يستغرقه النوم اي لا يستوعبه ولا يستقصيه حتى يكون منه الحدث فيه اي في النوم لما في حديث البخاري وغيره انه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه اي ترديد صوته الخارج مع نفسه ثم يصلي ولا يتوضا لعدم نقض وضوئه مع يقظة قلبه وكما حديثنا البخاري ومسلم عن ابن عباس المذكور فيه وضوءه اي النبي صلى الله عليه وسلم عند قيامه ليلا من النوم مع اهله ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس فلا يمكن الاحتجاج به على كون وضوئه كان بمجرد النوم مع اهله اذ لعل ذلك اي وضوءه صلى الله عليه وسلم كان لملامسة الاهل او لحدث اخر صدر منه فكيف لا يكون وضوءه بواحد مما ذكر والحال ان في اخر الحديث نفسه المروي عن ابن عباس ثم بعد ان قام صلى الله عليه وسلم من نومه فتوضا وصلى ما كتب له نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا لعدم نقض وضوئه بالنوم وقلبه يقظان لا يعتريه مظنة نقض وقيل انما هو لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم كغيره من الانبياء فانهم يوحى اليهم فيه قال تعالى اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا اي نومهما عن رؤيتها من فعل القلب بل من فعل الرب تبارك وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث الوادي كما مر ان الله قبض ارواحنا اي انا مما وهذا شاهد صدق بان قلبه صلى الله عليه وسلم كان قد نام ليلة الوادي ومن ثم قال ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا اي في وقت غير الوقت الذي ردها عليهم فيه فان قيل فلولا عادته استغراق النوم قلبه لما قال لبلال اكلا لنا الصبح اي احفظه مراقبا حذرا من ان ينام فتفوتنا صلاته فقيل في الجواب انه اي النبي صلى الله عليه وسلم كان من شانه التغليس بالصبح لشهادة حديثنا انه كان يصلي الصبح بغلس اي بظلمة يخالطها ضياء الفجر بعد الغلس بمعجمة ومهملة بينهما لام من الغبشة وهي لون الرماد وهو بعد ذلك المعجمتين اذ هو كما قال الازهري عنده اول طلوع الفجر وبدي المهملة فالغلس ومراعاة اول الفجر لا تصح ولا تتيسر ممن نامت عيناه اذ هو اي الفجر ظاهر مما لا يدرك الا بالجوارح كالبصر فوكل بلالا بمراعاة اوله اي اول الفجر ليعلمه بذلك فغلبته عيناه نوما فشغل عن كلاءة الفجر كما لو شغل بغير النوم عن مراعاته الامر مراعاة الفجر فان قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا يقولن احدكم نسيت اية كيت

وكيت

وكيت بل هو نسي بضم النون وتشديد المهملة ورواه ابو عبيد القاسم بن سلام بتخفيف اللام بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت وكيت ليس هو نسي وقد قال صلى الله ○ عليه وسلم والحال اي نهى عن ذلك والحال انه اسند النسيان الى نفسه فقال اني انسى كما تنسون بمقتضى البشرية فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها واعلم ان نهيه صلى الله عليه وسلم اما لان الله هو الذي انساه اذ هو المقدر للاشياء كلها فلم يكن ذلك باختياره او لان اصل النسيان هو الترك فنهى ان يقال تركت اية كذا من القران او قصدت الى نسيانها مع انه لا تعارض في هذه الالفاظ الواردة عنه صلى الله عليه وسلم نهيا وغيره اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه اي تلاوته من القران اي ان الغفلة في هذا اي فيما نسخ لم تكن منه صلى الله عليه وسلم اختيارا ولكن الله اضطره اليها اي الى الغفلة ليمحو ما يشاء اي بنسخ ما يصوب نسخه ويثبت بدله خيرا منه او مثله وما كان مما صدر منه من سهو وغفلة من قبله وقد كره صلى ان يقال فيه انسي الصحيح وقد قيل ان هذا اي ما كان من قبله صلى الله عليه وسلم وصح ان يقال بضم الهمزة منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب تفاديا من ان يضيف الفعل الى نفسه بل الاولى ان يضيفه الى خالقه وهو الله تعالى اذ لا خالق سواه والاخر وهو ما لا يكون من قبل نفسه لاكتساب العبد اياه وتسببه فيه واسقاطه صلى الله عليه وسلم على سبيل السهو لما اسقط من هذه الايات المكني عنها بكيت وكيت او كذا وكذا جائز عليه صلى الله عليه وسلم لكن بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله اي ايصاله الى عباده الرسل هو صلى الله عليه وسلم اليهم ثم يستذكرها من امته اي يطلب ان يذكروه بها او يتذكرها بتذكرها من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه اي رفعه لفظا وحكما كاية من قتل من القراء ببير معونة بلغوا عنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وفي رواية للبخاري ورضينا عنه او لفظا لا حكما كاية والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما او حكما لا لفظا كاية العدة حولا باية ما اربعة اشهر وعشر او محوه وازالة اثره من القلوب وترك استذكاره من امته او من قبل نفسه ويجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا اي ما النسخ والمحو سبيله من القران اصلا وراسا ويجوز ان ينسيه الله تبارك وتعالى منه اي من القران قبل البلاغ اي من ارسل اليهم مما لا يغير نظما من نظم كلمات القران اعني تاليفها مرتبة معانيها متناسقة ودلالتها على حسب ما يقتضيه العقل ولا يخلط حكما اي لا يلبسه بحكم اخر مما لا يدخل خللا في الخبر بحيث لا يدري ما المراد منه ثم يذكره اياه اي يذكره الله نبيه ما انساه مما لا يغير نظما ولا يخلط حكما باخر ويستحيل دوام نسيانه لحفظ الله كتابه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتكليف بالجر عطفا على مدخول تمام العلة اي تكليف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ببلاغ كتابه الى من ارسل اليهم

فصل في الرد على من اجاز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم

الصغائر من الذنوب كالنظرة والغمزة والخطرة مما يترتب عليه تعزير دون ○ الحد وهي في العفو عنها دون الكبائر بمشيئة الله تعالى لشهادة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومما ورد كتابا وسنة مما ظاهره العفو عنها بمجرد اجتناب الكبائر لا ينافي كون العفو عنها انما هو مما الجواز تقييده بما بالمشيئة

لكون ذلك التهما ظنية لا تفيد الجواز ووقوعه مع جواز ظن العقاب وفي الكلام على ما احتجوا به في ذلك اي تجويزها عليهم اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من الفقها والمحدثين ائمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم اي تابعهم وطاوعهم والشيعة في الاصل الفرقة من الناس ولو واحدا ثم غلب على من تولى عليا واهل بيته فصار لهم علما خاصا وفي الحديث القدرية شيعة الدجال اي اولياؤه وانصاره على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك اي تجويزها عليهم بظواهر كثيرة من الوحيين القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم اي اوصلتهم الى تجويز الكبائر عليهم وخرق الاجماع اي مجاوزة ما اجمعوا عليه من عدم تجويزها وافضت بهم الى ما لا يقول به مسلم فكيف يجوز وقوعها عليهم والحال ان كل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في تاويل معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه اي مقتضى ما احتجوا به من تجويز وعدم فخرج بذلك عن صلاحيته للاحتجاج به على تجويزها عليهم ومع ذلك فقد جاءت فيها اي في الصغائر اقاويل جمع اقوال للسلف بحجة تمنع تجويزها عليهم بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اي مذهب من جوزها عليهم وصحة قول غيرهم بعدم جوازها عليهم وها تنبيه لمخاطبه على ما يلقى اليه من قوله نحن ناخذ اي نشرع في النظر فيها اي في ادلتهم التي احتجوا بظاهرها على تجويزها عليهم فمنها قوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مما صدر منه جائزا وتركه اولى فهو بالنسبة الى شرف جنابه ورفيع مقامه يعد ذنبا هذا وما ذكر هنا فقد مر الكلام في محاله مع بيانه فلا حاجة الى اعادته وباقيه اجوبة ردا على من جوز على الانبيا الصغاير مبينة بنفسها غنية عن البيان

فصل

فان قلت فاذا نفيت عنهم اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي من عطف السبب على مسببه اذ الذنب الاثم المترتب على المعصية التي الخروج عن طاعة الله تعالى بما ذكرته في الفصل قبل هذا من اختلاف المفسرين في اجوبتهم عما صدر عن الانبيا مما هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين وتاويل المحققين له على وجه يزيل شبه الطاعنين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى بسبب عصيانه كما في وكزه موسى فقضى عليه وما تكرر في القران وصحيح الحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم كقول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم واستغفارهم كقول موسى صلى الله عليه وسلم رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكائهم على ما سلف منهم كداود اذ قد ورد انه بكى حتى نبت من دموعه الارض وهل يشفق ويتاب من التوبة مبنيا للمفعول لهو وما قبله وبعده استفهام اذ لا ينبغي ما دخل من الافعال اي لا يهتم لشيء من ذلك من لا شيء بل من شيء وحده منهم مما ليس بذنب في نفسه لنزاهتهم من الذنوب كما في هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي لا يستوون فاعلم وفقنا الله واياك اعتراض بين اعلم وبين ما سد مسد مفعوليه افاد الدعا بالتوفيق له ولكل من يتاتى توجيه الخطاب اليه ان درجة الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم الدرجة واحدة الدرج التي هي في الاصل مصاعد يبلغ بها المقام اريد بها هنا درجات لو ابهم التي ينزلهم الله اياها في الجنة او سنا محلهم في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته

في عبادته رضى وسخطا وعظم سلطانه تنا وعلو رتبته وقوة بطشه اي اخذه القوي الاليم الشديد جبار عنيد مما يحملهم اي يبعثهم ويلجاوهم على الخوف منه جل جلاله اي عظمت عظمته ومن استحيائه تعالى بجلب او هو الموصوف بنعوت الجلال الجميعه لما فهو الجليل المطلق الراجع الى كمال الصفات كما ان الكبير الراجع الى كمال الذات والصفات والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم مما فعله جائز مع كونه معفوا لا فاشفاقهم على انفسهم من مواخذتهم بفعله وان كان جائزا انما هو لعلو قدرهم وشرف مقامهم وكرم ما بهم وانهم في تصرفهم بامور مما عرضوا بها لقومهم بتبكيتا لهم وتنبيها على خطاياهم وتخلصا به من ورطات عرضت لهم كقول ابراهيم توبيخا لقومه وتلويحا بخطاياهم في عبادتهم من لا ادراك له ولا نفع ليرجعوا عن غيهم فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وقوله للجبار عن زوجته هي اختي فدى لنفسه منه لم ينهوا عنها ولا امروا بها للنزاهة شرفا لهم عنها وان كانت جائزة ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها كقوله تعالى معاتبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك عفا الله عنك لم اذنت لهم ومعاتبا له باذنه لاصحابه في اخذ الفدا من اسرى بدر بقوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض وقد مر لهذا مزيد بيان او حذروا اي خوفوا من المواخذة بها لعدم جريها وان كانت جائزة على موجب مقاماتهم العلية وسماتهم المرضية واتوها اي فعلوها على وجه التاويل الى معنى يعتمد عليه في باب التاويل اذ هو صرف القول الى ما يؤول اليه لتركه على ظاهره او اتوها على وجه السهو ولا مواخذة به من حيث كونه سهوا فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا معصومين منه انما صدر منهم ما يترتب عليه من الاحكام لتشاهده فقول نبينا صلى الله عليه وسلم اني لا انسى ولكن انسى لاسن او اتوها على وجه تزيد من امور الدنيا المباحة كطلب سليمان صلى الله عليه وسلم من ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وازدياده هو ووالده من النسا بالتزوج اذ قد ورد انه كان له سبعون او تسعون امراة وكوالده لما اخبره التنزيل تسع وتسعون ثم كملهن مائة بامراة اوريا ولقد صدر منهم صلوات الله وسلامه عليهم المكروه وهو في حقهم غير مكروه تشريعا وبيانا للجواز كشهادة حديث البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى سباطة قوم فبال قائما خائفون وجلون حذرا ذوو ما بينهما اعتراض فادان تصرفهم فيما لم ينهوا عنه ولم يومروا به فاوخذوا به وعوتبوا عليه وانهم ابدا حذروا من المواخذة به آتين له او ساهين في فعله او مستزيدين من مباحات الدنيا لمواخذتهم بها ومعاتبتهم عليها مع جواز فعلها وتحذيرهم من مواخذتهم بها مع كونها مباحة اذ هي اي الامور التي لم ينهوا عنها ولا امروا بها ذنوب بالاضافة والنسبة الى علي منصبهم لانهم خلاصة صفوة مخلوقاته ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لان بهم لا يلهيهم عنها شي لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم مما نهى الله عنه وتوعد على فعله فان الذنب ماخوذ من الشي الدني اي الحقير الخسيس الرذل اي الردي المذموم وذنب كل شي اخره من ذنب الشي للشي اي جعله ذنابة وتابعا له واذناب الناس اراذلهم الخساس الحقيرون فكانت هذه اي الامور التي تصرفوا فيها ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم

لبيان م

جلالة قدرهم وشرف محلهم وعلو شأنهم ان يوصف شيء من افعالهم بالسوء التطهيرهم
وتنزيههم عما لا يليق بهم او عمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح مما امروا به واجبا
او مندوبا والكلم الطيب من تهليل وتسبيح وتكبير وذكر ودعاء واستغفار كما ورد به الحديث
انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالهما العبد عرج بهما الملك فحيى بهما
وجه الرحمن واذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذكر الظاهر والخفي رغبة ورهبة و ذلك كله من
الخشية لله لانهم اعلم الناس به ومن هو كذلك فهو اشدهم خوفا منه لشهادة الا اني لاعلمكم
بالله واشدكم له خشية واعظامه حق عظمته وقدره حق قدره في السر والعلانية
وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم يتلوث من الكباير جمع كبيرة وهي الفعلة القبيحة
من الذنوب العظيمة كالكفر والقتل والزنا شبه مخالفة غيرهم لما ذكر من الذنوب بالتلوث
بالقاذورات ثم اشتق منه يتلوث فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل
تبعا او شبهه بما ذكر منهما على سبيل الاستعارة المكنية بقذره ثم اثبت لهما يتلوث تخييلا
والقبايح من عطف العام على بعض افراده اذ منه كباير وصغاير وقالت صلى الله عليه وسلم
لمن ذكر عايشة اسكت مقبوحا مشقوحا منبوحا اي مبعدا والفواحش اي مما يحش منهما
وتزايد فحشه واشتد من الذنوب والمعاصي وكثيرا ما يراد بالفاحشة الزنا ٥
بما مفعول يتلوث وكان عليه اذ يعديه بالباء اذ بزيادة التاء عليه صار لازما
اي يتلطخ بشيء عظيم منها تكون هذه الحسنات الصادرة منهم صلوات الله وسلامه عليهم
بالاضافة اليه في حقه كالسيئات بل حسنات اذ ليست في الحقيقة ذنوبا كما قيل حسنات
الابرار اي الاتقيا سيئات المقربين الى ربهم زلفى اي يرونها بالاضافة الى علو حالهم
وكرم شؤونهم كالسيئات فيعدونها ذنوبا وكذلك اي ومثل كون الذنب ماخوذا مما
ذكر العصيان فانه الترك والمخالفة للامتثال فعلا وكفا فان كان عن عمد فذنب
او لا عن عمد فقوله فعل مقتضي المعطلة اي لفظة وعصى ادم ربه كيفما كانت واردة عليه
من سهو او تاويل وهي مخالفة وترك غير مذموم يوردونه على انهما كان وقوله
غوى اي حمل ان تلك الشجرة هي التي نهي فاكل منها غير عالم انما هي وقيل معنى غوى
اخطا ما طلب وبمعناه من الخلود اذا اكلها وخابت امنيته باكله منها وقد نهي عنه
وفي العدول عن زل الى غوى زجر بليغ وموعظة كافة لكل مكلف خرج عن طاعة الله
وارشاد الى الاعتبار بنبي الله على صفيه ادم صلى الله عليه وسلم زلته بهذا التغليظ
فلا تتمادوا ولو بما يفرط منكم من الصغاير فضلا عن الكباير وهذا يوسف نبي الله ابن نبي
الله ابن نبي الله ابن خليل الله صلوات الله وسلامه عليهم قد اوخذ بقوله لصاحب
السجن هو احد صاحبيه فيه الذي ظن انه الناجي منهما فاضافته اليه لعلاقة
الظرفية كما في يا سارق الليلة وكما انها مسروق فيها غير مسروق كذلك السجن
مصحوب معه فيه غير مصحوب ويجوز ان يكون يريد ساكن السجن اذكرني عند
ربك اي صفني عنده بصفتي واخبره بقصتي لعله يخلصني من هذه الورطة فانساه
الشيطان ذكر ربه مصدر مضاف الى مفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف لسيده
فلبث اي مكث في السجن بضع سنين من ثلاث الى تسع واكثر الاقوال انه صلى الله عليه وسلم
لبث فيه سبع سنين وقيل لبثهما بعد قوله اذكرني عند ربك وقيل انسى يوسف ذكر الله

حيث وكل امره الى غيره وقيل انسى صاحبه الذي قال له اذكرني عند ربك ان يذكره
لسيده الريان بن الوليد الملك بمصر قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن
جرير والطبراني من حديث ابن عباس وابن مردويه من حديث ابي هريرة وابو
الشيخ من مراسيل الحسن وعكرمة ما لبث في السجن ما لبث المدة التي مكثها قال ابن
دينار كما رواه ابن ابي حاتم عن انس موقوفا لما قال ذلك يوسف اي اذكرني عند
ربك قيل له اتخذت من دوني وكيلا وكلت امرك اليه لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى
قلبي اتخاذك وكيلا كثرة البلوى التي اورثت بجوانحي حرقا واورثت قلبي قلقا من
حيث القيت في الجب حتى اخرجت من السجن وقالت بعضهم يؤاخذ اي الله خواص
عباده بمثاقيل الذر مما تركه اولى من فعله مع كونه جايزا لمكانتهم عنده رفعة وتمكنا
ويجاوز اي الله تعالى عن ساير الخلق اي باقيهم فلا يؤاخذهم بالاولى تركه لقلة
مبالاته في اصنافهم اي الوارد من سوء الادب هوانا بهم وبطبيعهم الزايغ عن الخير
والرشد وقد قال المحتج للفرقة الاولى القايلين بان الانبيا لا يؤاخذون بالسهو
والنسيان على سياق ما قلناه من كونهم يؤاخذون بمثاقيل الذر اذا كان الانبيا يؤاخذون
بهذا اي بمثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به غيرهم اي غير الانبيا من السهو والنسيان ٥
وما ذكرته من حالهم انهم يؤاخذون بمثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به غيرهم فهم
اذن اي اذا يؤاخذون بذلك في هذا اسوا حالا من حال غيرهم لمؤاخذتهم بما لا يؤاخذ
به غيرهم وهذا من ركاكة الفهم وكزازة الذهن وعكسه اذ لم يهتد الى ان الارفع
درجة والاقرب منزلة من ربه لا يسامح بفعل ما الاولى تركه كما حكي عن الجنيد
انه كان في جنازة فرآه في منامه بين يديه حبشيا يقال كل منه فقال كيف اكل منه
وهو ادمي فقيل له انك اغتبته فقال معاذ الله وانما خطر ببالي ذلك فقيل له
انا لا نرضى من مثلك بهذا واذا لم يرض من مثله به فاكرم خلقه عليه اولى وايضا
فاعلم انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا الذي يؤاخذ به الانبيا من مثاقيل الذر
على حد ما يؤاخذ به غيرهم من ذنوبهم ثم يجازون به ان خيرا فخير وان شرا فشر
بل نقول انتقال من نفي ايراد مؤاخذتهم طريقة مؤاخذة غيرهم ليكون ذلك اي
ما ذكر من مؤاخذتهم زيادة في درجاتهم العلية ومراتبهم السنية وجعله نفس الزيادة
لكونه سببا لها ويبتلون بذلك اي بالمؤاخذ به على قدر فضل بعضهم على بعض ليكون
استشعارهم له اي لما ابتلوا به سببا لمنماة اي لزيادة رتبتهم كما قال عز من قايل
ثم اجتباه ربه من جبى يجبي اذا جمع وضم بعضا الى بعض اي اصطفاه واختاره وقربه
اليه زلفى فتاب عليه وهدى اي قبل توبته وارشده الى الاعتذار مما صدر منه
والاستغفار حتى قال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقال سبحانه وتعالى لداود صلى الله عليه وسلم فغفرنا له ذلك اي ما فرط من خطيئته
اوريا امراته حتى تزوجها فاتم بها زوجاته مائة وان له عندنا لزلفى اي قربى وحسن
ماب اي مرجع وهو الجنة وقال بعد قول موسى صلى الله عليه وسلم سبحانك تبت اليك
من سؤالي رؤيتك في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك يا موسى اني اصطفيتك
على الناس اي اخترتك واجتبيتك على اهل زمانك برسالاتي لهم الواح التوراة وبكلامي

لك بلا واسطة وكيفية فكان يسمعه من كل جهة هذا وفي تاويلات الماتريدي انه سمع صوتا دالا على كلام الله تولى تخليقه لم يكن مكتسبا لاحد من خلقه وغيره يسمع صوتا مكتسبا لاحدهم فيفهم منه وقال بعد ذكر فتنة سليمان صلى الله عليه وسلم وانابته اى بعد القا الجسد على كرسيه ورجوعه الى ربه وفي البخاري قال سليمان صلى الله عليه وسلم لاطوفن الليلة على مائة او تسعين امراة كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة جاءت بشق رجل قال نبينا صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله ○ لجاهدوا في سبيل الله فالشق هو الجسد الذي القي على كرسيه فتنة وابتلاء وما في بدع التفاسير من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيته فمن مفتريات اليهود واباطيلهم فسخرنا له اى لسليمان الريح تجري حال من الريح اى جارية بامره رخاء اى لينة طيبة لا تزعزع بساطه بما فوقه ونصب رخاء على الحال من تجري حيث اصاب اى قصد واراد والشياطين كل بناء بدل من الشياطين اى سخرنا له كل بناء منهم يبني له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوارى وقدور راسيات والغواص يستخرج له اللؤلؤ وغيره من البحر وهو اول من استخرجه واخرين من مردة ثم عطف على كل داخل في حكم البدل مقرنين بعضهم مع بعض تاديبا وكفا لهم عن الفساد في الاصفاد جمع صفد وهو القيد سمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده اى قيده واصفده اى اعطاه هذا الذي انعمنا به عليك من الملك وغيره عطاؤنا مفوضا اليك ○ التصرف فيه فامنن من المنة اى العطية اى فاعط منه او امسك عمن شئت بغير حساب متعلق بعطاؤنا او حال منه او حالا كثيرا لا يكاد يقدر على حصره او بعد التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من مردة الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق وان له اى لسليمان عندنا لزلفى اى قربى وحسن ماب عطف على اسم ان اى مرجع وهو الجنة فهذا كله زيادة في درجاتهم وسبب لنماء رتبهم وقالت بعض المتكلمين زلات الانبيا اى ما صدر منهم مما يوهم انه في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف اى قرب اكرمهم الله بها فانه جواد كريم مطلق لا ينفد عطاؤه وفيه حديث ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم لحيازته شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الاخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين واربع الرابعة في النبوة وايضا مع كونها في الظاهر زلات فانما ابتلوا بها ليتنبه غيرهم ممن لم يبتل بشيء من ذلك منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك الذي امتحنوا به قصدا منهم وليس بذنب فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة على ما يصدر منهم مما لا يليق بهم وان كان مباحا فيكفوا عنه وليلتزموا الشكر على النعم التي اولاهم اياها ولم يمتحنهم بشيء من ذلك ويحدوا اى يحسنوا الصبر بتشبيهه به على المحن جمع محنة وهي البلية التي هي بالصبر عليها وذلك التمحيص الممتحن اى المصفى من محص الفضة اذا اصفاها وخلصها بالنار وعن الشعبي المحنة بدعة وذلك انه يمتحن الظالم الرجل فيقول فعلت كذا فعلت كذا فلا يزال به حتى يقول لما لم يفعله فعلته او ما لا يجوز بعينه ان يفعله ذلك به بدعة لملاحظة ما وقع وحل باهل هذا المصاب

ممن امتحن من الانبيا بما تركه اولى لرفيع اى لاعلى رتبة المعصوم اى المحفوظ من ○ مقارفة الذنب فكيف بمن سواهم ممن ليس بمعصوم ولهذا اى ولاجل ان ابتلاء الانبيا كان ليتنبه غيرهم فيحذروا ويحسنوا الصبر على المحن بما جرى لهم قال صالح الذكر اى ذكر الله داود صلى الله عليه وسلم بقصته لبسطة التوابين اى سعة ليتنبهوا للتوبة ويتنبهوا عليها قال ابن عطا لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت يونس صلى الله عليه وسلم على ما مر نقصا له ولكن كان نصه استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم استزادها من ربه اعلاما منه تعالى له صلى الله عليه وسلم بما زيادة على ما اعلمه به من قصص الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وايضا فيقال لهم الزاما لمن سال عن معنى وعصى ادم ربه فغوى وعن معنى ما تكرر في الوجهين من اعتراف الانبيا بذنوبهم واستغفارهم لها فانتم ومن وافقكم يقولون بغفران الصغاير كما قال الفقها باجتناب الكبائر تمسكا في ذلك بظواهر ادلة وردت احاديث بذلك وبظاهر اية ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم مع قيام الظن بتقييد غفرانها ○ بالاجتناب بالمشيئة كالكبائر لشمول اية ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء للنوعين ولاطلاق من اعلام الائمة في القول بعصمة الانبيا من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم وصدورها منهم فهي مغفورة على هذا اى على قولكم ومن وافقكم انها مغفورة باجتنابهما فما معنى المؤاخذة للانبيا صلوات الله وسلامه عليهم بما عددتم اذن مع ○ اجتنابهم الكبائر وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم منها اى من الصغاير وهي مغفورة لو قدر انما كانت ووجدت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة اى مؤاخذتهم صلوات الله وسلامه عليهم بافعال السهو والتاويل مما لم ينهوا عنه ولا امروا به والتوبة موليين له على ما مر وقد قيل ان بكثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته يجوز عطفه على استغفاره وعلى كثرة واستغفار غيره من الانبيا وتوبته انما كان على وجه ملازمة الخضوع اى الانقياد والمطاوعة له تعالى والعبودية له باتخاذه معبودا والاعتراف بالتقصير منهم والتفريط في جنبه تعالى شكرا له تعالى علة لما ذكر اى فعلوا ذلك ○ لشكرهم لربهم على نعمه الفائضة منه عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم والحال انه قد امن من المؤاخذة بما تقدم من فعله جائزا او لا يليق به تركه ومن ثم عد ذنبا بشهادة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وحذف فاعل الا من العلم به اذ لا يومنه مما غيره تبارك وتعالى افلا اكون عبدا شكورا اى كثير الشكر لي اذ هو من ابنية المبالغة والشكر الحمد الا ان الحمد اعم منه متعلقا واخص موردا اذ يقال في مقابلة النعمة وغيرها باللسان فقط وعلى صباحة الوجه ورشاقة القد ويسمى هذا مدحا والشكر عكس الحمد اذ يقال في مقابلة النعمة فقط قولا وفعلا ونية ثناء على المنعم باللسان واداء للنفس في طاعته او اعتقادا انه موليها وقالت اى النبي صلى الله عليه وسلم اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي اى احذره فاتركه ورواه البخاري بلفظ اني لاتقاكم لله واخشاكم له وفي رواية اني اخشاكم واتقاكم لله انا قال الحارث بن اسد المحاسبي خوف الملائكة والانبيا صلوات الله وسلامه عليهم خوف اعظام وتعبد لله لانهم منهم له تعالى حق عظمته وقدره بحسب الطاقة الملكية والبشرية والا فهو تعالى قد جاوز

عظما وقدرا حدا لا تمكن الاحاطة بكنه جلاله وقدره لانهم لعصمة الله لهم مما يرد بهم امنون من ان يعتريهم سوء يرهقهم ضير وقيل انهم انما فعلوا ذلك اى كثرة الاستغفار والتوبة والخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير لتقتدي وتستن بهم اممهم في تلك الخلال الشريفة والخصال المنيفة كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم من الاهوال والشدائد وحذرتم ما يورثنا لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا خشية اصابة ذلك اياهم وايضا فانهم انما فعلوا ذلك لان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا غير استدعا الرضا والمغفرة بما اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله اى طلبا منه تعالى واستجلابا لرضاه عنهم وتعظيمه لهم وثنائه عليهم والانابة اياهم قال تعالى ان الله يحب التوابين مما يصدر منهم مما نهوا عنه ويحب المتطهرين اى المتنزهين عما نهوا عنه او المطهرين انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب والمتطهرين الا قذار فاحدات الانبيا الاستغفار والتوبة اى طلبهم منه المغفرة والرجوع اليه والانابة والاوبة الفاظ متقاربة المعنى للتاكيد في كل حين من غالب اوقاتهم استدعا لمحبة الله تعالى منه لهم والاستغفار فيه معنى التوبة من حيث انه طلب للبراة من الذنوب وطريق للرجوع عنها وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر على تقدير صدور ذنب منه لقد تاب الله على النبي تلويح ببيان فضل التوبة وقدرها عند الله وحث للمؤمنين عليها وايذان باحتياج كل احد اليها والى الاستغفار كالنبي والمهاجرين والانصار ارشادا الى ان صفة الانبيا كما وصفهم بالصالحين اظهارا لفضيلة الصلاح وقال اى ربنا تبارك فسبح بحمد ربك اى متلبسا بحمده امر له صلى الله عليه وسلم ان يسبحه حامدا له تعجبا لتيسيره لك ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب اهل مكة احد واحمده على فتحها لك واستغفره امره تعالى به مع التسبيح مع عصمته لطفا وتكميلا لامته بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وقد روت عائشة ان صلى الله عليه وسلم قبل موته يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك انه كان توابا على عباده المكلفين منذ خلقهم مع افاضة نعمه عليهم ظاهرة وباطنة

فصل قد استبان لك اى ظهر وسببه للاطالة وفي حديث عمار قيل له اذ خطبت لقد اوجزت فلو كنت تنفست اى اطلت واصله ان المتكلم اذا تنفس استانف القول فتسهل عليه الاطالة مما قررناه فيما ان قاملته بالكل ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم من الجهل بالله وصفاته لانه كالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قد ولدوا على معرفة الله والاقرار بوحدانيته متمسكين بفيوض الدين غير نا ثين عنه او جا ذلك من عصمته من كونهم على حالة تنافي العلم الشرعي من ذلك كله جملة لا يخرج عن علمهم بذاته تعالى او صفاته شي منهما بعد النبوة عقلا واجماعا لقضايا مما يحيا زتهم شرف الكمال وكرم النوال وقبلها سمعا لحديث البخاري ومسلم ما مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم

فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وحديث كل عبادي خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فاروهم ان يشركوا بي غير اى وعصم منهم الانبيا اذ لم يجعل لهم عليهم سبيلا واجتالتهم روى بالجيم من جال واجتال اذا ذهب وجا واجتاله اذا ذهب به معه اى استخفتهم فجالوا معهم في الضلال يهيمون وروى بالحا اى نقلتهم من حال الى حال والمشهور رواية الجيم ونقلا عطف على سمعا عن ايمة الدين انهم صلوات الله وسلامه عليهم معصومون قبلها ولا كونه صلى الله عليه وسلم عن حالة تنافي العلم لشي مما قررناه من امور الشرع الذي ارسل به واداه عن ربه من الوحي تبليغا منه صلى الله عليه وسلم له الينا قطعا عقلا وشرعا لجزمهما بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن على حالة تنافي علمه بشي من ذلك وقد استبان لك بما قررنا ما هو الحق من عصمته من الكذب وخلف القول لهم تقاديا من ان يتهموا في التبليغ منذ نباه الله اى اظهر نبوته وارسله فهو معصوم من ذلك لم يصدر منه شي قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا لحكمهما بامتناع صدور شي من ذلك منه واستحالة ذلك عليه نظرا وبرهانا لافادتهما امتناع صدورهما عنه صلى الله عليه وسلم وتنزهه عنه قبل النبوة قطعا اذ هو اللايق بجنابه صلى الله عليه وسلم وتنزهه ايضا عن الكباير اجماعا لرفعة محله الكريم عنهما وعن الصغاير تحقيقا لا ريب فيه وعن استدامة السهو والغفلة لبعيد الساحة مقامه في تتابع الاحكام عنهما وقد قيل

يا سائلي عن رسول الله كيف سها • والسهو عن كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شي سره فسها • عما سوى الله في التعظيم لله

وعن استمرار الغلط والنسيان حفظا لقلبه اليقظان من ادامة شي منهما عليه فيما شرعه للامة من الاحكام واجبا وسنة ومباحا وحراما ومكروها وخلاف الاولى واستبان لك ما هو الحق من عصمته في كل شي من حالاته مما يعرى بني ادم من رضى وغضب فلا يكون منه الا ما هو محمود في جانب الحق والدين وجد بكسر اوله ضد الهزل ومزح في مخاطباته وما يقول الا حقا فيجب عليك ان تتلقاه اى ما صدر منه صلى الله عليه وسلم في اى حالة كانت وتاخذه باليمين اذ من شانها ان يتلقى بها ما شرف لا بها من اليمن وهو البركة وتشد عليه يد الضنين اى البخيل الذي يضن بكسر ثانيه اى يبخل بما يختصه لمكانته وموقعه عنده اى استمسك بما تتلقاه منه صلى الله عليه وسلم في اى حال كان لعلمها لحقيته ونفاسته وشرف موقعه وكرم نفعه وفي الحديث ان لله ضنائن من خلقه يحييهم في عافية ويميتهم في عافية جمع ضنينة فعيلة بمعنى مفعولة اى مضنونة من الضن بالكسر اى خصائص منهم اختصهم لمكانتهم منه وموقعهم عنده وفي حديث الانصار لم يقل الا ضنا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى بخلا به وشحا ان يشاركنا فيه احد يجب عليك ان تقدر هذه الفصول التي تلوناها عليك مما بان لك من شرف قدره وكرم خطره حق قدرها اى تعظيمها حق تعظيمها وتعلم عظيم

فائدتها وخطرها اى شرفها ومزيتها بما الهمت به وابانته من بعض كرايم مناقبه
ومكارم ماثره فان من يجهل ما يجب له صلى الله عليه وسلم من تعظيم وتوقير او يجهل
ما يجوز له او يستحيل عليه عقلا او شرعا او عادة ولا يعرف صور احكامه اى اعيان
ما يجب له ويجوز ويمتنع مما خص به واجبا ومندوبا ومباحا وحراما ومكروها
لا يامن ان يعتقد فى بعضها خلاف ما هى عليه فيردى وهو لا يشعر ولا ينزهه عما لا يجب
اى لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك فى اندية الهوى واودية الضلال من حيث لا يدرى
اى لا يعلم ويسقط فى هوة الدرك محركا وقد يسكن الاسفل من ادراك اى منازل النار
فالدرك الى اسفل والدرج الى فوق ومنه قول ابى الفضل التوزرى

ونزولهم وطلوعهم ٭ فالى درك وعلى درج ٭

اذ ظن الباطل به صلى الله عليه وسلم واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل اى ينزل لصاحبه
فيدخله دار البوار ومن هذا اى ومن اجل اعتقاد ما لا يجوز عليه يورد
صاحبه دار الهلاك احتاط اى تحرى صلى الله عليه وسلم طلبا للخير خشية على الرجلين
من الانصار كما فى البخارى وغيره الذين راياه ليلا مع زوجته صفية وقد جاءته
تزوره وهو معتكف فى المسجد فتحدثت معه ثم قام معها ليقلبها الى بيتها فمرا به
فابصراه فاسرعا فقال لهما على رسلكما اى اثبتا على هيئتكما اولا ولا تسرعا انها صفية
فقالا سبحان الله تعجبا من قوله ذلك لهما اذ لا يظنان به صلى الله عليه وسلم ما لا يليق
بهم ثم قال لهما ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم بنفوذه فى المنافذ
الضيقة وانى خشيت ان يقذف اى يلقى ويوقع فى قلوبكما شيئا وفى رواية شرا
فتهلكا بما يلقى فى قلوبكما مما لا يجوز نسبته اليه صلى الله عليه وسلم كان يوسوس
لهما ان معه امراة اجنبية فيظناه هذه مبتدا اى ما ذكر من احتياطه صلى الله
عليه وسلم للرجلين اكرمك الله اى جعل الله منزلتك ومقامك عنده كريما حسنا
مرضيا احدى فوايد ما تكلمنا عليه خبر المبتدا وما بينهما اعتراض افاد دعاه
لمخاطبه بالاكرام بالله فانث اسم الاشارة نظرا الى ما بعده فى هذه الفصول
السابقة من تعظيم الانبيا تحذيرا من ان يعتقد بهم ما لا يليق بكريم مناقبهم
من جهل عصمتهم فى جميع احوالهم رضى وغضبا وجدا ومزحا وجهل ما يجب
لهم ويجوز ويمتنع ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اى يجهل كونه جاهلا ويسمى جهلا
مركبا اذا سمع شيا منها اى من تنزيهات الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
عما لا يليق بهم ومناقبهم مما بيناه ويرى ان الكلام فيها جملة بالنصب اما بنزع
الخافض او على الحال اى بجملتها او مجمله من فضول العلم خبر ان او بالرفع خبرا لها
وما بعده صلة له وان السكوت وعدم التعريض لذكرها اولى وقصد من مثل من لا يعلم
بجهله راى فايدة بيان مناقبهم وتنزيههم عما لا يليق بهم واجب اظهارا
لشرفهم وعظم قدرهم عند ربهم وكرم مآبهم وكمال نعمتهم وجلالة رتبتهم وزجرا
لمن لا يعتقد رفعهم حق قدرهم وقد بان لك انه متعين بل واجب ذكر الفايدة التى
ذكرناها المفادة بقوله صلى الله عليه وسلم انها صفية الزاجر لهما عن قبول وسوسة
لهما ومتعين ذكر من اجل فايدة ثانية ينضطر اى يحتاج اليهما فى اصول الفقه

ويبنى

ويبنى عليها مسايل لا تنفد لغة رديه وهى لكثرتها جدا لا تكاد تنفد ولا تخلص عما من
تشغيب اى تهييج مختلفى الفقها الشر والفتنة والخصام فى عدة منها وهى الفايدة
المضطر اليها فى اصول الفقه الحكم فى اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله بعصمته فيها
مطلقا عمدا او سهوا وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه لا بتنا احكام الشريعة
عليها وتفريعها عنها ولا بد من بنايه اى الاصل الكبير على صدقه صلى الله عليه وسلم
لتوقف ثبوت الاحكام الشرعية عليه فى اخباره وبلاغه ما ارسل به الى من بعث
اليهم ولا بد من بيان انه لا يجوز عليه السهو فيه اى فى ابلاغ ما امر بتبليغه ولا بد
من بيان عصمته صلى الله عليه وسلم من المخالفة فى افعاله عمدا زجرا للتوهم بتجويز
ذلك عليه فضلا عن اعتقاده وبحسب اختلافهم فى وقوع الصغاير وصدورها
منه كالانبيا وقع اختلاف فى امتثال الفعل بمجرد صدوره منهم والحق كما هو
المصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا بلا قرينة على ما ذهب
اليه اكثر اصحاب الشافعى ومالك وابى حنيفة وبسط بيانه اى بيان امتثال الفعل
فى كتب ذلك العلم المذكور فيه اختلافهم فى وقوع الصغاير منهم فلا نطول به الكتاب
بذكره هناك وفايدة ثالثة يحتاج الحاكم قاضيا او غيره والمفتى اى مجيب
السايل عن مسيلته بما افتاه يفتيه اذا اجابه عنها فيمن اضاف اليه صلى الله عليه وسلم
شيا من هذه الامور مما يجب له او يجوز او يمتنع ووصفه بها كلا او بعضا فمن لم يعرف
به ما يجوز له او يمتنع عليه فلم يعرف ما وقع الاجماع فيه ولا ما وقع الخلاف فيه كيف يصمم
اى يمضى على اى حال برد عزمه فى الفتيا بالوجوب ام بالجواز ام بالمنع فى ذلك الذى
يجب له صلى الله عليه وسلم او يجوز او يمتنع عليه اذا رفع اليه ومن اين يدرى هل ما قاله
فيه ذلك الحاكم او المفتى نقص او مدح حتى يتقدم عليه فيعمل به واذا لم يعمل او يقدم فاما
ان يجترى على سفك دم مسلم حرام يقحمه نارا وقودها الناس والحجارة او يسقط حقا
ويضيع حرمة له صلى الله عليه وسلم فيهلك من حيث لا يدرى وبسبيل هذا اى ما ذكر
من الكلام فى عصمة الانبيا ما قد اختلف ارباب اى اصحاب الاصول وايمة العلما
المحققين اى عظما وهم الاعلام فى عصمة الملايكة جمع ملك اصله ملاك حذفت
همزته لكثرة الاستعمال وقيل اصله مالك بتقديم لامه من الالوكة وهى الرسالة
فاخرت ثم جمعت وقد تحذف الهما فيقال ملايك وفى الحديث
لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب ولا صورة اراد بهم السياحين غير الحفظة
وحاضرى الموت اجمع المسلمون على ان الملايكة مومنون بالله ورسله
فضلا قدرهم عند ربهم عظيم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
واتفق ايمة المسلمين على الامة وعظما الملة على ان حكم المرسلين منهم اى من الملايكة
صلوات الله وسلامه عليهم حكم النبيين سوا فى العصمة وغيرها من تعظيم وتوقير
فيما يجب لهم ويجوز ويمتنع من عيب ينقصهم وريب يخصصهم مما ذكرنا فى عصمتهم
اى عصمة النبيين منه اى من السهو فى القول والتبليغ وانهم اى رسل الملايكة
فى حقوق الانبيا من حيث السفارة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم ما امرهم الله ان
يبلغوه للانبيا كالانبيا مع الامم فى تبليغ الاحكام اليهم وارشادهم وبيان المصالح

لهم واختلفوا فى غير المرسلين منهم امعصومون هم كمرسليهم ام لا فذهبت طايفة الى
عصمة جميعهم من المعاصى اذ لا شهوة لهم تدعوهم واحتجوا لقولهم بعصمتهم من جميعها
بقوله تعالى لا يعصون الله اى لا يخرجون عن طاعته فى ما امرهم ويجوز ان يكون ما
محله نصبا على البدل من الاسم الكريم اى لا يعصون ما امر الله اى امره مذعنين منقادين
له غير آبين ولا مستكبرين ويفعلون ما يؤمرون اى يؤدونه ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون
فيه ويقولون وما منا الا له مقام معلوم حذف الموصوف واقيمت صفته مقامه
اى ما منا معشر الملايكة احد الا له مقام للعبادة لا يتجاوزه الى غيره وانا لنحن الصافون
اقدامنا فى الصلاة وحول العرش داعين للمؤمنين وانا لنحن المسبحون المنزهون له
تعالى عن ان يكون كما افتكه قريش بنات الله ولهم البنون وانهم لكاذبون ويقولون
ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا وهو مبتدا خبره لا يستكبرون تعاظما
عن عبادته ولا يستحسرون اى ولا يعيون من كثرة العبادة يسبحون الليل
والنهار لا يفترون حال من ضمير يسبحون اى مديمين لتسبيحهم مستغرقين جميع
اوقاتهم لا يتخلله فترة مهملة عنه لجريانه منهم مجرى التنفس منا وقوله تبارك
وتعالى كرام اى على الله او عن معاصيه بررة جمع بار اى اتقيا لا يمسه الا
المطهرون مرادا بهم من الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو
اللوح المصون عن غير مقربى الملايكة لا يطلع عليه سواهم وان جعلت صفة للقرآن
فالمعنى لا يمس المكتوب منه احد من الناس الا من هو على طهارة ومن الناس
من حمله على القراءة ايضا ونحوه من السمعيات كقوله تعالى عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وذهبت طايفة من العلما الى ان هذا
اى ما ذكرها قضى بعصمة جميعهم خصوص للمرسلين والمقربين منهم اى من الملايكة
واحتجوا باشيا ذكرها اهل الاخبار والمفاسير جمع تفسير تفعيل من الفسر
وهو الكشف فهو تكشيف عما يدل عليه الكلام وموضح موضع معناه فقيل تفسير
الكلام اى معناه كذا ونحن نذكرها ان شا الله بعد من الغايات المنقطعة عما
تضاف إليه منويا بعدها ونبين الوجه الحسن المرضى فيها ان شا الله بالتبهر
اى ان اراد وفى الحديث ان يهوديا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انكم تنددون
وتشركون تقولون ما شا الله وشيت فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يقولوا
ما شا الله ثم لافادة الواو الجمع وثم تجمع مرتبة فالواو توهم الجمع بين اسم
ونبيه فى المشية وثم تؤذن بتقدم مشية الله على مشيته بل لا تحصل الا
بمشيته تعالى ومن ثم قال الامام ناصر السنة محمد بن ادريس الشافعى

ما شئت كان وان لم اشا ۔ وما شئت ان لم تشا لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت ۔ ففى العلم يجرى الفتى والمسن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ۔ ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت ۔ وهذا اعنت وذا لم تعن

هذا وقافية هذه الابيات موجهة عرفها بالتوجيه وهو اختلاف
حركة ما قبل الروى المقيد اى الساكن موجهة لان حركة ما قبل الساكن كالحركة

عليه

عليه فكان حركة الروى المقيد يتوجه بها كالثوب الذى له وجهان فكانه صار
ذا وجهين ساكن ومتحرك فاجتماع الفتح كما هنا مع غيره اقبح من اجتماع الضم
مع الكسر والصواب عصمة جميعهم اى الملايكة من المعاصى لفقدهم ما يبعثهم عليها
من شهوة وغيرها وتنزيه نصابهم اى منصبهم بمعنى قدرهم الرفيع عند ربهم
ورايت بعض شيوخنا مال الى ان هى المخففة من الثقيلة اى انه لا حاجة بالفقيه
اى له اى الكلام فى عصمتهم اكتفا بما ورد من مدح الله لهم بانهم عباد مكرمون
مما افاد عصمتهم وانهم عنده بمقام كريم وانا اقول قدم المسند للتقوى
بتكرير الاسناد اذ هو اقوى من اقول انا لا لاختصاصه بهذا القول اذ لا مقتضى
له ان للكلام فى ذلك اى فى بيان عصمتهم ما للكلام فى بيان عصمة الانبيا من
الفوايد التى ذكرناها فيما تقدم من الفصول سوى فايدة الكلام فى الاقوال والافعال
لعدم اطلاعنا على ما يصدر منهم من قول وفعل مع انا لسنا مكلفين باتباعهم فيهما
فلا داعى الى اثبات عصمتهم فيهما من طرو ما لا يليق بهم فيهما عمدا او سهوا فهى
فايدة الكلام فى اقوالهم وافعالهم ساقطة هنا اى فى بيان عصمتهم
فما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم اى جميع الملايكة رفعا لعموم السلب
واثبتها وضعا لسلب العموم قصة هاروت وماروت ملكين ببابل
نمرود بالعراق اسمان اعجميان لشهادة منع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا كما
زعم من الهرت والمرت لصرفا ومحلهما الجر بدلا من الملكين وما ذكر فيهما اهل الاخبار
ونقله المفسرين من ان الملايكة عيرت بنى آدم بعصيانهم الله تعالى فقالوا كما
رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر يا رب هولا ما اقل معرفتهم بعظمتك
فقال لو كنتم فى مسلاخهم لعصيتمونى قالوا كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال فاختاروا ملكين فاختاروهما فاهبطا الى الارض وركبت
فيهما شهوات بنى آدم ومثلت لهما امراة فما عصما حتى واقعا المعصية فقال الله
لهما اختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وما روى
عن اسحاق بن راهوية وعبد بن حميد وغيرهما عن على ان هذه الزهرة
تسميها العجم اناهيذ وكان الملكان يحكمان بين الناس فاتتهما فارادها كل
منهما تخفيا عن الآخر فقال احدهما يا اخى اريد اذكر لك ما فى نفسى فقال
اذكره لعله ما فى نفسى فامتنعت فقالت لا امكنكما الى ان تخبران بما
تصعدان به الى السما وتهبطان فقالا باسم الله الاعظم قالت فما انتما بمعلمانيه فعلماها
اياه فتكلمت به فطارت الى السما فمسخها الله كوكبا وما روى فى حديث ابن
ابى حاتم عن ابن عباس ان ملايكة سما الدنيا قالوا يا ربنا اهل الارض
يعصونك فقيل لهم اختاروا ملكين منكم يحكمون فى الارض وجعل فيهم شهوة
ابن آدم وامروا ان لا يعتبروا دنيا فاستقال منهم واحد فاقيل فهبط
اثنان فاتتهما امراة من احسن النسا فهوياها فاتيا منزلها واراداها
فابت حتى يشربا خمرها ويقتلا ابن جارها ويسجدا لوثنها فابيا الا ان يشربا
فشربا ثم قتلا ثم سجدا وقالت اخبراني بالكلمة التى اذا قلتماها طرتما الى السما

فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهي الزهرة فارسل اليهما سليمان بن داود
فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الاخر فهما مناطان
بين السماء والارض ومما روى من ابتلا بهما بما ذكر وبالسحر فتنة للناس اى
اختبارا وامتحانا فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر ومن تجنبه او تعلمه ليتوقاه
لم يكفر كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

فاعلم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه اكرمك الله اعتراض بين فعل
الامر ومعموليه السادّ مسدهما ان ومعمولاها هذه الاخبار الواردة في
شانهما لم يرو منها شيء مرفوعا لنيابته عن فاعل يرو لا سقيم ولا صحيح كرر حرف النفي
تاكيدا وتقريرا وتقوية لنفي رواية شيء من الاخبار في شانهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس هو اى ما نفي من روايته عنه صلى الله عليه وسلم من
سقيم وصحيح شيئا يؤخذ بقياس من اصل وفرع هذا وما ذكر من نفي رواية شيء من
اخبار قصتهما عنه صلى الله عليه وسلم لا سقيم ولا صحيح فدعوى بلا بينة
لا يقتضي عدم ورود ما شهد بها مطولا مرفوعا من رواية عمر في مسند احمد
وصحيح ابن حبان وتفسير ابن جرير وشعب الايمان للبيهقي ومسند عبد بن
حميد والعقوبات لابن ابي الدنيا موقوفا عن علي وابن عباس كما مر وعن
ابن عمر وابن مسعود باسانيد صحيحة قيل ولهذه القصة في القول المسدد
طرق تفيد العلم بصحتها والذي في القرآن منه اى من خبر قصتهما في سورة البقرة
اختلف المفسرون في معناه فكل ذهب الى ما اطلع عليه نقلا واكثر ما قال بعضهم
فيه اى في معناه كثير من السلف كما سنذكره فلا نطول بذكره هنا وهذه الاخبار
التي اوردها المفسرون فيه من كتب اليهود وافترائهم على انبياء الله وملائكته
كما نص الله اول الايات من افترائهم اى كذبهم على سليمان وتكفيرهم اياه صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى واتبعوا اى اليهود ما تتلوا الشياطين اى اتبع اليهود
كتب السحرة والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان في زمن ملكه
وعهده وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يخلطون بما سمعوه اكاذيب
كثيرة يلقونها الى الكهنة وقد دونوها في الكتب يقرؤونها ويعلمونها الناس
وفشا ذلك في زمنه حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم
سليمان وما تم له ملكه الا به وبما سخر له الانس والجن والريح التي تجري بامره
رخاء الا بامره وما كفر سليمان تكذيبا للشياطين ودفعا لما عنت به سليمان
من اعتقاد السحر والعمل به ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمالهم السحر
وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وقد انطوت
القصة اى اشتملت قصة هاروت وماروت على شنع بضم المعجمة وفتح النون
اى قبائح عظيمة وها كلمة تنبيه للمخاطب يتنبه بها على ما يلقى عليه من الكلام
نحن نخبر بمهملة وبا مشددة اى نزين ونحسن في ذلك ما يكشف غطا هذه

الاشكالات

الاشكالات ان شاء الله تعالى تيمنا وتبركا بذكره مشبها للاشكالات باشيا محجوبة
تحت اغطية استعارة مكنية مثبتا لها الغطا تخييلا للنفس بان المشبه من
جنس المشبه به وصرفا لها عن توهم التشبيه وذكر انكشف ترشيح للمجاز ع
فاختلف اولا في هاروت وماروت اى في ماهيتهما نورا وانسانا نسبة الى
الانس وهم بنو ادم فماهيتهما الحيوانية والناطقية وهل هما المراد بالملكين في اية
وما انزل على الملكين ام لا وهل للقراءة بفتح لاميهما ملكين او بكسرها ملكين كما نابيا بل
انزل عليهما السحر وهل ما في اية وما انزل ومما يعلمان نافية او موصولة اسما
موصولا فاكثر المفسرين ذهبوا الى ان الله سبحانه اى اختبر وابتلى الناس بالملكين
لتعليم السحر لهم وتبيينه وان عمله وفي نسخة عمله كفر جعل كلا منهما نفسه كفرا
لا بهما كما في رغبنا الغيث سببه مجازا مرسلا فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر
لاعتقاده حل حرام اجماعا ومن تركه معتقدا حرمته امن اى دام على ايمانه ان كان
مؤمنا والا فالكافر لا يصير بمجرد تركه مؤمنا قال الله تعالى انما نحن فتنة اى ابتلا
واختبار من الله فلا تكفر اى فلا تعلمه معتقدا حله فتكفر وتعليمهما مبتدا مصدر
مضاف لفاعله الناس مفعوله تعليم انذار خبره اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه منهما
لا تفعل اى لا تتعلمه فانه يفرق بين المرء وزوجه اى هو سبب للفرق بينهما بايجاد
الله عنده البغض والنشوز والخلاف ابتلا من الله ليتميز به الثابت على الحق من غيره
فمن قوله بنفسه اثر يجده الله عند تعاطيه بشهادة وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله وقد لا يجده فلا تخيلوا ابكذا اى من تمويه ونفث في العقد فانه سحر فلا تكفروا
بتعلمه معتقدين حله فعلى هذا القول بان تعليمهما للناس تعليم انذار وتحذير
ففعلهما تعليما لهم بعد نهيهما لهم عنه وبعد نصحهما لهم بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر و
طاعة لربهم وتصرفهما فيما امرا به من تعليم السحر لمن ابتغاه منهما ليس معصية
ونهي اى الفعلة منهما تعليما لغيرهما فتنة كما حكى الله عنهما بقوله وما يعلمان من
احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انهما
هاروت وماروت ذكر عنده وانهما يعلمان السحر لمن طلب تعليمه منهما فقال نحن
ننزههما عن هذا اى عن تعليم السحر فقرا بعضهم ردا لقوله العجيب لمخالفته القول الصحيح
الموافق لظاهر الاية وما انزل على الملكين بفتح اللام فقال خالد منكر النزول عليهما
لم ينزل عليهما وهذا اعجب واشد انكارا لظاهر مراد الله بالاية بشهادة كونهما عطف
بيان للملكين ورجوع الضماير في وما يعلمان من احد ويقولا ومنهما اليهما مع ان
تعليمهما كما مر لمن طلب منهما امتثالا لامر ربهما وطاعة له فلا نقص يلحقهما به فهذا
خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي لا حاجة الى تنزيههما عنه لكونهما امرهما
الله به فما فعلاه طاعة وقد ذكر غيره اى غير خالد انهما مأذون لهما في تعليمه بشرط
ان يبينا وكانا لا يعلمان احدا حتى يقولا له انه اى تعليمهما كفر وامتحان وابتلا من الله
فكيف لا ننزههما نحن وننزه عنهما لهما عن كبائر المعاصي كشرب الخمر وقتل النفس والسجود
للصنم والزنا والكفر المذكورة في ما مر من تلك الاخبار الواردة بذلك ومن تنزيه
خالد لهما من السحر الماذون لهما في تعليمه وقول خالد لم ينزل عليهما اى ما افاده وما انزل

على الملكين من علم السحر يريد بقوله ذلك ان ما في وما انزل على الملكين نافية وهو قول ابن عباس وقد تقدم عليك انه خلاف ظاهر الآية لشهادة اعتنا في ما انزل انها معطوفة على السحر في يعلمون الناس السحر او على ما تتلوا اي ويعلمونهم ما انزل عليهما او واتبعوا ما انزل عليهما فهي على ما ذكرنا ليست نافية قال مكي وتقدير الكلام على قول خالد تبعا لابن عباس انها نافية عطفا على وما كفر سليمان اي بالسحر الذي افتعلته اي افترته واختلقته الشياطين عليه واتبعتهم في ذلك اي فيما افترته عليه اليهود اذ من شأنهم ودينهم البهت والافتراء والائتفاك وما انزل على الملكين من علم السحر شيء على القول بان ما نافية وقد اويت في ضعفه الى ركن شديد قال مكي هما اي الملكان جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به اي بعلم السحر ابتلاء واختبارا من الله للناس كما ادعوا على سليمان اعتقاده له وعلمه به فكذبهم الله في ذلك بقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا باستعمالهم السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر قصد الاغوائهم واضلالهم ببابل من بلاد العراق هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه ما ابعد هذا القول عن ساحة القبول قال الحسن بن ابي الحسن البصري هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو القوي الشديد الغليظ الجافي من اهل بابل من قرى العراق وقرأ الحسن الملكين بكسر اللام بناء على انهما كانا ملكين انزل عليهما السحر وتكون ما ايجابا موصولا صلته انزل لا نافية على هذا اي على ما ذكر من قراءة الحسن وكذلك اي وكقراءة الحسن قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا اي في آية وما انزل على الملكين داود وسليمان صلى الله عليهما وسلم وتكون على قراءته ما نفيا على ما تقدم من قول خالد وجعله ما نفسهما ايجابا ونفيا مجاز مرسل لعلاقة الحلية عليهما وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي بسكون الراو المنول والقراءة بكسر اللام شاذة اي احاد ليست متواترة فتحمل الآية اي آية وما انزل على الملكين على تقدير مكي بجعله ما نافية عطفا على ما كفر سليمان حسن لو قيل انهما لم يؤمرا بتعليمه للناس ابتلاء وامتحانا لهم اما على القول بانهما مأموران بتعليمهما اياه لهم فلا حاجة الى ارتكاب القول بجعلها نافية لمخالفته كما مر ظاهر الآية لان فعلهما ذلك طاعة امتثالا لامرهما به بتنزه الملائكة عن الخروج عن طاعة الله ويذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا اقتباس حسن استعير فيه الرجس للذنوب والطهر للعصمة منهما استعارة تحقيقية مرشحة بالتطهير تنفيرا لهم عما كرهه الله تعالى لهم ونهاهم عنه وترغيبا لهم فيما يرضيه مما امرهم بجامع ان عرض المقترف للقبائح يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس ومكتسب الحسنات هو منها نقي مصون لا يدنسه منها شيء وقد وصفهم الله اي الملائكة بانهم مطهرون من الادناس من ذنوب وغيرها ولعله اراد قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون لكن وصفهم به انما يتأتى على جعله صفة لكتاب مكنون اي مصون في اللوح المحفوظ عن غير المقربين منهم لا يطلع عليه غيرهم وهو لا يفيد الا وصف المقربين به منهم دون جميعهم الذي اراده هنا هذا وان جعل وصفا للقرآن افاد انه لا يمس المكتوب منه الا من كان على طهارة من الناس ومنهم من اول

المس بالقراءة وقد روي عن ابن عمر انه احب ان لا يقرأ الا وهو طاهر وبانهم كرام بررة اي اتقياء وبانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومما يذكرونه محتجا به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة ابليس قالوا انه كان من الملائكة وانه اي ان الله استثناه من الملائكة استثناء متصلا بقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس فلو لم يكن منهم لما استثني فرد من جمع وهذا اي القول بانه منهم لم يتفق عليه بين العلماء بل الاكثر منهم ينفون ذلك القول بانه منهم وانه ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وهو اي القول بانه ابو الجن قال الحسن وقتادة وابن زيد وانما استثني منهم لانه كان مغمورا بين الوف منهم فغلب عليه تغليب كثير جدا على فرد فسجدوا ثم استثنا واحدا منهم وقال شهر بن حوشب كان من الجن بشهادة الا ابليس كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء بقوله الا ابليس منقطع لانه كان من غير الجنس المستثنى هو منه وهو اي الاستثناء من غير الجنس في كلام العرب شائع ذائع جار على السنتهم وقد ذكر شاهدا لكونه استثناء من غير الجنس ما قال الله تعالى تكذيبا لمن زعم قتل عيسى ما لهم به من علم الا اتباع الظن لان اتباعه من جنس العلم فهو استثناء منقطع اي ولكنهم اتبعوا فيه ظنهم ومما رووه كابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى بن كثير في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله ولم يمتثلوا ما امرهم وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا بالنار لابائهم السجود له ثم آخرون كذلك اي امروا وابوا السجود لآدم فابوا فحرقوا حتى سجد له من ذكر الله في كتابه العزيز الا ابليس في اخبار مفتريات لا اصل لها يعتمد يردها صحاح الاخبار الواردة بعصمتهم بشهادة القرآن انهم عباد مكرمون كرام بررة

الباب الثاني

من القسم الثالث فيما يخصهم اي الانبياء من صفات شريفة وسمات منيفة شبه تعلقها بهم مما موردة فيه بتعلق المظروف بظرفه فاستعار له في تنوعها بحسب مقامهم وشريف جنابهم من الامور الدنيوية من واجبات ومندوبات ومباحات وكراهات ومحرمات ومكروهات وفيما يطرأ عليهم من العوارض البشرية وهذا كله اي ما تقدم من ان جسم نبينا كغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وظاهره خالص للبشرية يجوز عليه كغيره من الآفات والتغييرات بالانتقال من حال الصحة الى حال المرض والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام بكسر الحاء الموت وقيل هو قدره وقضاؤه والكأس مهموز وقد يخفف الاناء فيه الشراب ولا يسمى كأسا الا وهو مملوء وقيل هو اسم لهما اجتماعا وانفرادا والتجرع الشرب بعجلة وقيل قليلا شبه الحمام بشراب في كأس على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له الكأس تخييلا وذكر التجرع ترشيح او اضاف المشبه به اعني الكأس الى المشبه اعني الحمام كما في لجين الماء فيكون تشبيها مؤكدا اي تجرع حمام كالكأس ما يجوز على البشر من الاوجاع والآفات وهذا كله ليس بنقيصة فيه صلى الله عليه وسلم ولا في غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة والنسبة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه فافراد الانسان
وان تفاوتت بالفضايل وافضلهم الانبيا فمن شاء منهم عمهم سوا فيما يعتريهم مما ذكر
وقد كتب الله تبارك وتعالى على اهل هذه الدار اى دار النكد والنوايب فيها يحيون وفيها
يموتون ومنها يخرجون الى البرزخ اول منازل الاخرة يقبرون وخلق جميع البشر بدرجة
الغير واحدة المدارج وهي في الاصل الثنايا الغلاظ التي يدرج اى يمشي فيها قال
ذو البجادين يخاطب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعرضي مدارجا وسومي
تعرض الجوزا في النجوم • هذا رسول الله فاستقيمي

والغير بكسر اوله وفتح ثانيه بمعنى التغيرات من غيرته فتغير وانتقل من حالة
صلاح الى حالة فساد شبه تغيرات البشر المسميات بالغير التي تعتريهم اعتبارا لها بنفوسهم
بثنايا وعرة واضافها اليها تشبيها مؤكدا اى بغير كالمدارج الغليظة الوعرة فكلهم
لكثرة اعتوارها عليهم وانتصابها لهم في طرقهم سالكين فيها لا يسلم منها احد فقد مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم تكرمة للشفاه وتكثير الاجر لشدة البلا [illegible] حديث
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وحديث انك توعك وعكا شديدا قال
اجل يوعك الرجلان منكم واشتكى اى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقاه جبريل بسم
الله ارقيك من كل شيء يوذيك من كل نفس او عين حاسد الله يشفيك واصابه الحر والقر
بضم اوله اى البرد اذ لم يخص بهما احد دون احد قال عمر لابي مسعود بلغني انك
تفتي ولي حارها من تولى قارها كنى بالحر عن الشدة والشر وبالبرد عن الهين والخير
اى ول شديدها من تولى هينها وول شرها من تولى خيرها وادركه الجوع والعطش
كغيره من البشر ولحقه الغضب منه تعالى اذا راى او بلغه ما يكره اى الملل والسام
وناله الاعيا والتعب كما ينال غيره من البشر هذا وسيل الزهري عن رجل جامع
امرأة كيف يورث فقال من حيث يخرج الما الدافق وفيه قيل

ومهمة اعيى القضاة عناوها • تذر الفقيه يشك شك الجاهل
عجلت قبل حنيذها بشوايها • وقطعت محردها بحكم فاصل

شبهه لما سئل عنها له بالفتوى بلا تان في جوابه برجل نزل به ضيف فعجل قراه بما قطع
له من كبد الذبيحة ولحمها ولم يحبسه حتى ينضج بما اى يشوى بما له لان تعجيل القرى
عندهم محمود وصاحبه ممدوح ومسه الضعف والكبر اى الشيخوخة فانه يورث
الوهن والهرم وسقط كما رواه الشيخان فجحش شقه اى خدش جلد جانبه الايمن كما
جا في الرواية الاخرى وشجه الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ضرب الراس
فينشق ثم استعمل في غيرها من الاعضا اى جرح وجهه ابن قمية قماه الله وكسروا رباعيته
اى احدى ثنايا اسنانه وسقي السم وسحر هذه الاحاديث تقدمت كلها بما بينها لسببيه
وتداوى لبعض اوجاعه تشريعا لامته واذنا لهم فيه وروى الشيخان وغيرهما
من طرق انه احتجم وانتشر اى ارتقى اذ النشرة الرقية من سحر وغيره وقد ورد كما مر
انه صلى الله عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل بسم الله ارقيك الخ وقالت عايشة
اذ سحر الا تنتشر فقال اما الله فقد شفاني وتعوذ كما رواه الترمذي والنساي عن

ابي

ابي سعيد بلفظ كان يتعوذ من اعين الجان واعين الانس فلما نزلت المعوذتان
اخذ بهما وترك ما سواهما وروى الشيخان عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات ثم قضى نحبه لازم له فاذا مات فقد قضاه فتوفي
صلى الله عليه وسلم اى توفاه الله ولحق بالرفيق الاعلى الذي ساله عند موته كما رواه
البخاري وغيره عن عايشة اللهم الرفيق الاعلى من النبيين والملايكة وخلص من دار
الامتحان افتعال من محنته اذا اختبر بالمحن والشدايد والبلوى مما يورث القلب حرقا
ويزيده ارتماضا وقلقا وهذه اى ما مر مما ذكر سمات البشر جمع سمة اى علامات
كون البشر يبتلى بها فيقسم بها والسومة والسمة والسيما العلامة قلبت واوه يا
لكسر ما قبلها ثم ونقص التي لا محيص اى لا مخلص ولا مفر عنها واصاب غيره من الانبيا
ما هو اعظم منها اى مما اعتراه من نوايب الايام فقتلوا قتلا بغير حق كيحيى بن زكريا
حز عنقه ووالده بالميشار حزلتين ورموا في النار كابراهيم صلى الله عليه وسلم
فكانت عليه بردا وسلاما وجرجيس احرق وطبخ ثم قام سالما واوشروا بالمياشير
جمع ميشار بغيرهم لغة فيه كزكريا كما تروشر فلقتين ومنهم اى من الانبيا من
وقاه الله ذلك اى من الانبيا من صانه وستره مما اصيب غيرهم منهم وفي الحديث
توفي احدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة في بعض الاوقات ومنهم من عصمه من
القتل كعيسى اذ تمالات اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه اليه ويطهره
من صحبتهم فقال لبعض اصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب
ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقي عليه شبهه فقتل وصلب وعصم عيسى كما عصم
بعد من الظروف الغايية قطع عن مضاف اليه اى كما منع نبينا اى بعد عيسى او بعد
ان تالبت عليه قريش فنزلت والله يعصمك من الناس فلين لم يكفهم نبينا ربه
او صل الفعل مفعوله والحق بفاعله متاخرا ضميره فليس من الاضمار
قبل الذكر لورود الضمير فاعلا وعوده الى صاحبه متقدما لفظا لا رتبة اى ان
كان ربه لم يصنه ويمنعه يد ابن قمية بكسر اوله وثانيه مشددا بعده هزة يوم احد
حتى شج وجهه وكسر رباعيته صلى الله عليه وسلم ولا حجبه عن اعين عداه عند
دعوته اهل الطايف اذ عرض نفسه على ابن عبد ياليل ودعاه الى الاسلام واستنصره
فابى ورموا رجليه بالحجارة فذميتا وطفق يقيهما بشباته فلقد اخذ ربه تبارك
وتعالى على عيون قريش باخفايه عنهم ليلة ارادوا قتله فامر عليا ان ينام على
فراشه ثم خرج عليهم ونثر على راس كل واحد منهم ترابا وكذا اخذ على عيونهم عند
خروجه الى غار جبل ثور عن يمين مكة وامسك عنه على ما تقدم سيف غورث بن
الحارث والذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم نزل بمكان كثير العضاه فعلق
سيفه بشجرة ونام في ظلها فجا غورث فاخترطه وقال له صلى الله عليه وسلم
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فجعله سيفه محاذا لاستيلايه عليه
تلك الساعة وامسك عنه صلى الله عليه وسلم حجر ابي جهل عمرو بن هشام حين اراد
ان يرميه به وامسك عنه سراقة بن مالك بن جعشم بساخة رجليها بالارض فوقاه
الله شره كما افاده حديث الهجرة ولين لم يقه سحر لبيد ابن الاعصم اليهودي في مشط

ومشاطة وجف طلعة ذكر في رواية البخاري فلقد وقاه مما هو أعظم خطرا من سحر
مثل سم اليهودية بشاة محنوذة بخيبر فأكل منها وبعض أصحابه فلم يضره
ومات به بشر بن البراء فقتلها به كذا روي وهكذا سائر أنبيائه صلوات الله وسلامه
عليهم منهم مبتلى كأيوب لشهادة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل متفاوتين
فيه لأن منهم معافى منه وقليل ما هم وذلك أي ابتلاؤهم من تمام حكمته ليظهر بامتحانه
إياهم بالبلاء شرفهم لصبرهم عليه في هذه المقامات المتفاوتة فيه ومبين أمرهم
ويتم كلمته فيهم أي بمضيها عليهم بما صبروا على أذى قومهم ثم كانت لهم العاقبة الحسنى
لشهادة ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا
لهم الغالبون وليحقق بامتحانهم بأنواع البليات بشريتهم ويرتفع بعد معرفة أنها
من عوارض أجسام البشر الالتباس عن أهل الضعف إزالة لما يتوهمونه فيهم من أنهم
لا يصيبهم بلاء ولا تغشاهم شدة استعظاما لمواهبهم واستبعادا له ومن ثم قصر
نبينا صلى الله عليه وسلم على وصفه بالرسالة قطع قلب أصنافا وبيانا لكونهم
ممن يريعهم ذلك لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب الخوارق للعادات كبرد النار لإبرهيم
وقلب العصا حية لموسى وخلق الطير من الطين لعيسى وانشقاق القمر لنبينا على
أيديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم إذ بالغوا في تعظيمه حتى اعتقدوا أنه ابن الله
تبارك وتعالى من مريم وقالوا إن فيه لاهوتية وناسوتية أي هو من الإله ومن
الناس افتراء على الله وقد ضلوا وما كانوا مهتدين ومنهم من قال إن الله تعالى جوهر
واحد ثلاثة أقانيم أي أصول أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأراد
بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة وكفى شاهد
صدق بكذبهم أن الإلهية ثلاثة الله والمسيح ومريم قوله تعالى وإذ قال الله يا عيسى
ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وليكون في محنتهم
مصدر مضاف مفعول له أي محنة الله إياهم تسلية لأممهم بعدهم إذا نالهم شيء من بلايا
موبقة ورزايا مكربة ووفور لأجورهم من الوفر وهو الكثير وفي الحديث الحمد لله
الذي لا يعزه المنعم أي لا يكثره من الوافر الكثير يقال وفر يفر كوعده يعده زنة
وإعلاء عند ربهم تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن إليهم به من الطاعة في
التبليغ وفي كل ما أمروا به فآمنوا بهم وعابوا ما عداهم صلوات الله وسلامه عليهم
من المحن فأين يتسلى بهم من أصابه شيء من ذلك وقال بعض المحققين وهذه
الطوارئ بالهمز جمع طارئ من طرأ يطرأ إذا ورد وأقبل مفاجأة وقد لا يهمز فيقال
البلايا المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود أي التي قصد بها أي بأجسامهم
مقاومة البشر مفاعلة من القيام معهم ليبلغوهم ما أرسلوا به إليهم ويدعوهم إليه
ومعاناة بني آدم بمخالطتهم مباشرة لهم وقياما عليهم لا صلاحهم لمشاكلة الجنس ومشابهته
له ومن ثم لم تكن الرسل من غير بني آدم وأما بواطنهم صلوات الله وسلامه عليهم
فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه أي مبرأة ومبعدة عما لا يجوز عليهم كالجنون ولو
منقطعا وقيد الغالبية مؤذن بجواز عليهم ما لا يشين كالإغماء لحظة أو لحظتين كما
في الخصائص من الروضة لشهادة حديث البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال

الذي

الذي توفي فيه هو يعود أعلى من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن فوضع في مخضب وصب
عليه منهما ثم ذهب ليتوضأ فغمي عليه متعلق أي بواطنهم بالرفيق الأعلى اسم جاعلي
بمعنى فاعل يستوي فيه الواحد والجمع يجوز أن يريد به الله تعالى إذ يقال الله رفيق
بعباده من الرفق والرأفة وأن يريد به الأنبياء الساكنين أعلى عليين وفي حديث
عائشة إذ خير صلى الله عليه وسلم بين الدنيا وبين ما عند الله فقال بل الرفيق
الأعلى وفي حديث البخاري والحقني بالرفيق الأعلى والملائكة لأخذها أخبار
السماء وغيرها عنهم وتلقيهما الوحي أي ما أرسلوا به منهم من قالت أي بعض المحققين
وقد قال صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان بما عراهما من النوم بحيث لا إحساس
ولا شعور ولا ينام قلبي أي غالبا إذ قد يغشى قلبه النوم كما وقع له في الوادي المؤذن به
ظاهر حديث البخاري عن بلال وهذا الحديث وحديث إني لست كهيئتكم وحديث إني
لست أنسى لتقدم بيانهما وعزوهما إلى راويهما فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
سره وباطنه وروحه وهي هنا ما يقوم به البدن وبه الحياة إذ قد أطلق على القرآن
والوحي والرحمة وجبريل بخلاف جسمه وظاهره وأنهما يعتريهما الآلام والأسقام كغيره
من البشر وأن الآفات جمع آفة وهي ما تحل بظاهره صلى الله عليه وسلم فقط من ضعف
وجوع وسهر ونوم لا يحل منها أي من هذه المذكورات شيء بباطنه بخلاف غيره من البشر
في حكم الباطن فإنما تخله ظاهرا وباطنا لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه أي
غمرهما وعطلهما وهو صلى الله عليه وسلم في نومه وإن استغرق النوم جميع أعضائه إلا قلبه
فهو حاضر القلب كما هو في يقظته حاضر المشاعر رواه سعيد بن منصور في سننه عن
عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في حديث مبيته عند خالته ميمونة زوجه
صلى الله عليه وسلم وصلاته بالليل معه صلى الله عليه وسلم وفيه ثم وضع رأسه
حتى أغفى وسمعت نخيخه وأصله في البخاري ثم جاء بلال فاستيقظ فقام فصلى بأصحابه
زاد البخاري ولم يتوضأ أي بعد انتباهه من إغفائه أي نومه قال سعيد
ابن جبير فقلت لابن عباس ما أحسن هذه فقال إنها ليست لك ولا لأصحابك
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحفظ من الحدث في نومه يكون قلبه يقظان
لشهادة حديث إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك غيره إذا حل به شيء مما ذكر
وجاع ضعف لذلك أي من أجل الجوع جسمه وخارت قوته أي ذهبت بضعفه فبطلت
بالكلية جملته أي جميع أعضائه وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك أي
لا يغشاه ولا يعتنا به شيء منه بخلافهم فإنه يعتريهم ويرهقهم لقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث البخاري في الوصال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني يخلقه
في قوة الآكل والشارب كذلك أي ومثل ما قال بعض المحققين إن الطوارئ والتغيرات
تختص بأجسام الأنبياء أقول إنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأحوال كلها ما من
وصب بيان للأحوال وسماها أحوالا مجازا مرسلا لما تسبب لما ينتقل عما من حال
إلى حال والوصب دوام الألم ولزومه وقد يطلق على التعب وفي حديث
عائشة أنا وصبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مرضته في وصبه أي دبرته فيه
وسحر وغضب لله تعالى إذا انتهكت حرماته ولا يغضب لنفسه لم يجر على باطنه ما يخل به

اى باطنه مما خلا بظاهره ولا فاض من فاض الاناء اذا امتلأ حتى سال من جوانبه
منه اى مما كان يحمل بظاهره على لسانه وجوارحه ما لا يليق به من هذيانات المرضى
وخرافاتهم لا يعتريه غيره من البشر مما لا يكاد يسلم منه احد من شدة الالم

فصل

في الرد على من نفى الشريعة المحمدية ونزلها عن الحق الى الارض
اخلد فان قلت جاءت الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سحر بشهادة
حديث البخاري عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن
الاعصم في مشط ومشاطة هي الشعر الذي يسقط من تسريح اللحية والرأس بالمشط
حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله لما ازهق ظاهره من الالم الوارد عليه
وفي رواية حتى كان يخيل اليه انه يأتي النساء ولا يأتيهن اى يظن انه واقعهن والحال
انه لم يجامعهن واذا كان هذا من التباس الامر اى اشتباهه واختلاطه على المسحور
فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الالتباس عليه وعلى اى كيفية يرد وكيف
جاز اى السحر عليه وقد مر معنى الاستفهام بكيف وهو معصوم جملة حالية من المجرور
قبلها افادت التعجب من جواز السحر عليه مع عصمته صلى الله عليه وسلم من كل امر يشينه
فاعلم امر لكل من يتأتى توجيهه اليه لم يرد به معينا وفقنا الله واياك اعتراض
دعاء بين اعلم وبين ما سد مسد معموليه وهو ان هذا الحديث الذي اسنده هنا الى
عائشة صحيح متفق عليه رواية الشيخين وقد طعنت فيه الملحدة اى عابته الطائفة
الزائغة عن الحق وتذرعت به بذال معجمة اى جعلت حديث عائشة لسخف اى رقة
وضعف عقولها وتلبيسها على امثالها ذريعة اى وسيلة الى التشكيك في الشرع وقد
نزه الله اى طهر وبعد الشرع والنبي عما يدخل في امره اى دينه صلى الله عليه وسلم
لبسا يصير به ملتبسا بغير ما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض
رهنا لكونه مسببا عنه مبالغة فيه وعارض من العلل يجوز عليه صلى الله عليه وسلم
ويعروه ذلك كانواع الامراض مما لا ينكر عروضه له صلى الله عليه وسلم ولا يقدح في نبوته
صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه يقع في مخيلته فعل الشيء ولا يفعله
فليس في هذا اى التخيل منه ما يدخل عليه داخلة من عيب وفساد وغش في شيء من
تبليغه او في شيء من شريعته او يقدح في صدقه تبليغا وتشريعا لقيام الدليل والاجماع
على عصمته من هذا اى مما يدخل عليه داخلة فيما ذكر واما هذا اى الذي يدخل عليه ما ذكر
فيما ذكر من تبليغ او شريعة او قدح في صدقه فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها اى من اجل دنياه بل يطروه لذلك عظم اجره وكثر مضاعفا
اصنافا كثيرة وهو صلى الله عليه وسلم فيها اى دنياه عرضة للآفات كسائر البشر
فانهم معروضون ومعتقدون لها تغيير بعيد الها مفصحة عن معقد رهواذ كالانواع عرضة
لها فلا يبعد ان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم من امورها ما لا حقيقة له مما يخيل اليه
انه فعله ثم ينجلي عنه وينكشف كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر
هذا الرواية الثانية من السؤال في اوله من قولها المعتبرة اعني حتى يخيل اليه وهو احد
انه يأتي اهله ولا يأتيهن لان اتيانهن مما يلائمه تخيله لانه من امر دنياه
سفيان الظاهر انه ابن عيينة اذ هو المراد به عند الاطلاق عند ائمة الحديث وقد قال وهذا اشد

ما يكون

ما يكون من السحر والا لم يعرض له هذا التخيل ولم يأت عن احد من رواة الحديث في
حديث منها اى من احاديث سحره صلى الله عليه وسلم انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف
ما اخبر انه فعله اى لم ينقل عنه انه قال حالة سحره فعلت كذا وكذا والحال ان منها
ما لم يفعله لعصمته من الخلف في الاخبار وانما كانت هذه السوانح خواطر وتخيلات
منزهة عنها اقواله وافعاله وقد قيل ان المراد بالحديث اى حديث حتى يخيل
اليه انه كان يتخيل الشيء انه فعله والحال انه لم يفعله لكنه يخيل لا يعتقد صحته
ليقظة قلبه وثباته على دينه لشهادة حديث دعائه في سجوده اللهم ثبت قلبي
على دينك فتكون اعتقاداته كلها على السداد والاستقامة في الامور كلها والعدل
فيه واقواله على الصحة اذ لا خلف في اخباره بها وهذا القول يرضى فضل وما هو بالهزل
هذا ما وقفت عليه لائمتنا الاشعرية اذ المالكية اوهما من الاجوبة على هذا الحديث
اى حديث سحره صلى الله عليه وسلم مع ما اوضحناه من معنى كلامهم جوابا عن الحديث
وزدناه بيانا من تلويحاتهم مما اشاروا به من غير تصريح ولكل وجه منها مقنع من
قنع بالكسر يقنع قنوعا وقناعة اذا رضي لا من قنع بالفتح يقنع قنوعا اذا سأل وفي الحديث
عز من قنع وذل من طمع وفيه كل المقانع من اصحاب بمهملة جمع مقنع وزن جعفر
من قولهم فلان مقنع في العلم وغيره اى رضي فيه ثمن ثقة وجمع نظرا الى انه اسم
ومن منع نظر الى انه مصدر لكنه قد ظهر لي في الحديث اى حديث السحر
تأويل اجلى مما ذكر من التأويلات السالفة وابعد عن مطاعن ذوي الاضاليل جمع
ضليل من المعاني مبالغة في الضلال اى المنهمكين فيما يضلهم وعن علي وقد سيل
عن اشعر الشعراء فقال الملك الضليل يعني امرأ القيس كان يلقب به يستفاد ذلك
التأويل الاجلى من نفس الحديث اى حديث السحر وهو ان عبد الرزاق المصنف لى رواه
في مصنفه عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه
عنهما اى عن سعيد وعروة سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشط
ومشاطة وفي رواية ومشاقة وجف طلع فجعلوه في بئر هي بئر ذروان فاستخرجه اى النبي
صلى الله عليه وسلم بنفسه او بمأموره من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر
كما رواه عبد الرزاق عن معمر عن عطاء حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة
اى منع من قربانها سنة فبينما ظرف زمان للمفاجأة كبينما وتضاف كما مر الى جملة
اسمية وفعلية وتحتاج الى جواب يتم به المعنى ولا يحسن فيه اذ ولا اذا هو نائم
اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه فقال احدهما ماله فقال
الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم في جف طلعة ذكر تحت في بئر
ذروان وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان سحر عن عائشة
دون غيرها من نسائه سنة حتى انكر بصره بالنسبة الى ما كان عليه قبل ان يسحر
من صحة بصره وقوته لا فقد الطيبا بشهادة حديث ابن المسيب وغيره الماركاد ينكر
بصره اى قارب ان يفقده ولم يفقده وروى البيهقي بسند ضعيف ومحمد بن سعد
كاتب الواقدي فيما اظن عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس
اى منع عن النساء وحيل بينه وبينهن وبين الطعام والشراب فهبط اى نزل عليه ملكان

فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه كما مر فقد استبان اى ظهر وانكشف
لك من مضمون هذه الروايات اى السحر الذى سحر به لبيد انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله الذى به يعقل الامور ويميز بها بين ما يشبهها
انه لم يرد عنده شئ على خلاف اعتقاده وانما اثر اى السحر فى بصره حتى كان ينكره
كما مر وحبسه عن وطئ نسائه ويكون معنى قوله يخيل اليه اى يقع فى مخيلته انه ياتى
اهله ولا ياتيهن اى يظهر له من نشاطه اى من قوته ومتقدم عادته القدرة على اتيان
النسا فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر بضم الهمزة يقال لفلان اخذة ياخذ
بها الرجال عن النسا اى تمنعه وتحبسه عن قربانهن فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى
اى يغشى من اخذ بضم الهمزة وتشديد المعجمة من التاخيذ مبالغة فى اخذه ومنعه
واعترض اى حيل بينه وبين مراده ولعله الضمير للشان يفسره لمثل هذا اشار
سفيان اولسفيان واضمر قبل الذكر لتقدمه رتبة اى ولعل سفيان اشار
لمثل هذا بقوله وهذا اشد ما اى شئ عظيم يكون من السحر ويكون قولها اى عائشة
انه يخيل اليه بما وقع فى مخيلته انه اتى الشئ وما فعله من باب ما اختل من بصره
اذ كان ينكره كما ذكر فى الحديث من انه كان يخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله فيظن انه
راى شخصا من بعض ازواجه او يظن انه شاهد فعلا اى رآه ظنا منه انه صدر
من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه من وهن فى بصره وضعف نظره لا لشئ طرأ
عليه فى ميزه وتفرقته بين الاشيا واذا كان هذا اى ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم
لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ظاهرا ما يدخل عليه صلى الله عليه وسلم
لبسا يخالط عقله ولا يميز به شيا ولا يجد به الملحد الزايغ عن الحق المعترض
بطعنه فى حقيقة الشريعة انسا اى تبصرا واستعلاما مما يلحد اليه يقال
انست منه كذا اى علمت واستانست استعلمت وفى حديث ام اسماعيل
فلما جا اسماعيل صلى الله عليه وسلم كانه انس شيا اى ابصر ورأى شيا لم يعهده

فصل

هذه اى المذكورات فى الفصل قبله حاله
اى النبى صلى الله عليه وسلم فى جسمه الشريف ظاهرا وباطنا واما احواله فى امور
الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها اى نوردها على طريقها المتقدم بالعقد بمعنى الاعتقاد
والقول والفعل اما العقد منها اى من احواله فى امور الدنيا فقد يعتقد الشئ على
وجه من امور الدنيا على وجه ليظهر له فى بادئ الراى ثم يظهر خلافه او يكون منه
على شك لا يترجح عنده من طرفيه شئ لاستوائهما عنده او يكون منه على ظن يترجح
عنده احد طرفيه عنده هذا بخلاف امور الشرع فانه يعتقدها على ما هى عليه فى نفس
الامر اذ ما هى الا وحى يوحى وقد اوردنا شاهدا على انه صلى الله عليه وسلم قد
يعتقد الشئ من امور الدنيا على وجه ويظهر له خلافه هو حديث مسلم قدم النبى صلى
الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل بضم الباء اى يلقحونها بطلع ذكورها
فقال ما تصنعون استفهام تقريرى اى حملا للمخاطب على الاقرار بما يعرفه والجاية
اليه قالوا كنا نصنعه اى نابره ليتم قال لعلكم لو لم تفعلوا اى لو تركتم تابيرها كان خيرا
من تابيرها فتركوه فنفضت النخل طلعها او ثمرها بعد انعقاده فذكروا ذلك له

صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر لا ادرى امر دنياكم اذا امرتكم بشئ من دينكم
فخذوا واستمسكوا به واذا امرتكم بشئ من راى فانما انا بشر اقول الشئ من دنياكم
والامر بخلافه وفى رواية لمسلم عن انتم اعلم بامر دنياكم اى بجميع احوالها بشهادة
الاضافه اليها لافادتها العموم ونفى رغبته صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وفى
حديث اخر عنه رواه مسلم عن طلحة انما ظننت ظنا اى راجحا لا جازما تاكيد لاثبات
الظن على موضوعه ويحط ظنا بالضعف اى ظنا ضعيفا فلا تواخذونى بالظن ولا
تجدوا على فى انفسكم بما ظننته خيرا لكم من تركهم التابير فظهر خلافه وفى حديث
رواه البزار باسناد حسن عن ابن عباس فى قصة الخرص اى حزر ما على النخل
من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا اى تقديره لهما فقال صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر اى انا مقصور على الوصف بالبشرية وقد اصيب فى امور الدنيا فما
حدثتكم عن الله فهو حق وصواب دايما وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل
نفسى فانما انا بشر اخطى واصيب وهذا وارد على ما قدرناه انفا من انه صلى الله
عليه وسلم قد يعتقد الشئ من امور الدنيا على وجه قد يظهر خلافه فيما قاله من
قبل نفسه فى امور الدنيا وفيما ظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
فى شرع شرعه اى اظهره وبينه وسنة سنها اى طريقة مما امر به وندب اليه
او نهى عنه قولا وفعلا مما لم يرد به القران الكريم لشهادة حديث ابى داود
عن المقدام بن معدى كرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انى اوتيت
القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله الا لا يحل الحمار الاهلى ولا كل ذى
ناب من السباع ولا اللقطة معاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم
عليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه وحديث عن العرباض بن
سارية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايحسب احدكم
متكيا على اريكته يظن ان الله لم يحرم الا ما فى هذا القران الا وانى قد امرت
ووعظت ونهيت عن اشيا انها لمثل القران او اكثر وان الله لم يحل لكم ان تدخلوا
بيوت اهل الكتاب الا باذن ولا ضرب نسايهم ولا اكل ثمارهم اذا اعطوكم
الذى عليهم وما حكى ابن اسحاق فيما فعله صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه من
امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر الباطرفيه اى فى
ابعدها عنه قال له الحباب بن المنذر كما تقدم وقد رواه البيهقى عن عروة
والزهرى اهذا منزل انزلكه الله استفهام تقريرى حملا للمخاطب على الاقرار
بما استفهم عنه بعد الهمزة ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراى والحرب والمكيدة
قال اى النبى صلى الله عليه وسلم لا اى لم ينزلنى الله فيه بل هو الراى
والحرب والمكيدة من كاده يكيده اذا اراده بسوء والمكيد الاحتيال والاجتهاد
وبه سميت الحرب كيدا وعن ابن عمر غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة
فلم يلق كيدا اى حربا قال اى الحباب بن المنذر فانه ليس بمنزل الا فادرت
النمض اى قم وانتقل بنا حتى ناتى ادنى ما من القوم يعنى قريشا ثم نغور بمهملة

فوا ومشددة اى هم ويشدد ماوراه من القليب بضم اوله وثانيه جمع قليب وهو
البير التي لم تطو فتشرب ولا يشربون فقالت اى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للحباب اشرت بالراى وفعل ما قاله اى الحباب وقد قال له الله تعالى وشاورهم في الامر
اى الذى لم ينزل عليك فيه وحى استظهارا برايهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لمقاديرهم
مع علم الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجا اليهم في شيء من ذلك بل
اراد ان يستن به من بعده وعنه صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم الا هدوا
لارشد امرهم واراد اى النبي صلى الله عليه وسلم مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر
المدينة فاستشار الانصار كما رواه البزار عن ابى هريرة بلفظ جاء الحارث
الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا ثمر المدينة
والا ملاناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى استامر السعود يعنى سعد بن عبادة
وسعد بن معاذ فشاورهما فقالا لا والله ما اعطينا الدنية من انفسنا في الجاهلية
فكيف وقد جاء الله بالاسلام فلما اخبروه برايهم من المنع من اعطائهم الدنية في الاسلام
الاولى من منعهم اعطاها في الجاهلية رجع عنه لعلمه بان ما راياه هو الراى الجزل
والقول الفصل لمثل هذا اى ما ذكر من الحباب بن بدر والانصار وغيرهم واشباهه
من امور الدنيا مما لم يكن له به اعتناء ولا التفات وهى التى لا مدخل فيها لعلم ديانة
ولا اعتقادها ولا تعليمها مما لم يؤمر به بيانا وتعليما يجوز عليه فيها ما ذكرنا من
انه صلى الله عليه وسلم قد يعتقد شيئا على وجه ويظهر خلافه اذ ليس في هذا الحال
نقيصة تغص عليه ولا محطة له عن رفيع منزلته من حط الشيء يحطه اذا انزله
والقاه وانما هى امور اعتيادية اعتادها الناس والفوها يعرفها من جربها
مرة بعد اخرى وجعلها همه ودابه وديدنه وشغل نفسه بها اى بامور الدنيا
وعاناها والنبي صلى الله عليه وسلم لا التفات له اليها لانه مشحون القلب اى
مملوءه بمعرفة الربوبية على ما يليق بذات ربه تعالى من اجلال وتشريف
وتكريم وتنزيه ملان الجوانح جمع جانحة وهى الضلوع مما يلي الصدر كنى بها عن نفسه
اطلاقا لاسم البعض على الكل مجازا مرسلا بعلوم الشريعة التي ارسله الله بها الينا
مقيد البال اى القلب بمصالح الامة الدينية نسبة الى دينه الذى دان به امته
اى قهرهم على طاعته والعمل به فاطاعوه وعملوا به وفيه قول الاعشى
يخاطبه صلى الله عليه وسلم يا سيد الناس وديان العرب والدنيوية ولكن
هذا اى ما يعتقده على وجه ويظهر خلافه كما وقع له مع الانصار في تابير النخل
انما يكون في بعض الامور الدنيوية ويجوز في النادر من امورها وفيما سبيله
التدقيق والتحرير في حراسة الدنيا اى مما يحترس ويحتفظ فيه من معرضة من امورها
واستثمارها اى تحصيل ثمرتها ونتيجتها المترتبة عليها لا في الكثير من امورها
المؤذن بالبله والغفلة عن امور الدين بالانهماك في تحصيل لذة مما يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد تواتر بالنقل
من جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا
مفصلة لا يعزب عنه شيء منها ومعرفة دقائق مصالحها مما به صلاح العالم وسياسة

فرق

فرق اهلها عربا وعجما على اختلاف اخلاقهم وعقولهم وطبايعهم ولغاتهم سهولة
وحزونة مما هو واعلم لتواتر في البشر اى بنى ادم سموا البشر لبدو ابشارهم بخلاف
ابشار غيرهم من الحيوانات فانها مستورة باوبار واصواف واستعاره به تمكن
العجز بهم واستيلائه عليهم تمكن الظروف ثم استعاره في تحريك الاستعارة
في المصدر واصلبه وفي الحرف تبعا كما في ولاصلبنكم في جذوع النخل

فصل واما ما يعتقده اى النبي صلى الله عليه وسلم في امور
احكام افعال البشر الصادرة منهم الجارية على يديه تشريعا من ربه وقضاياهم
المرفوعة منهم اليه ومعرفة المحق منهم من المبطل وعلم المصلح من المفسد اى
من يداخل باصلاح وافساد فبهذا السبيل اى ما ذكرها هنا من معتقده ومعرفته
لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما واسنده هنا من طريق ابى
داود الى ولعل بعضكم الحن بحجته من اللحن وهو في الاصل الميل عن الاستقامة
يقال لحن في كلامه اذا مال عن صحيح النطق واراد ان يكون اعرف وافطن منها من
بعض فاقضى له على نحو بالتنوين مما اسمع من كلامه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء
فيما ظهر له على وجه قد يكون الامر بخلافه فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة
من النار لبناء احكام الشريعة على الظاهر وغلبة الظن هذه رواية هشام بن عروة
عن ابيه وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من المبالغة في
التبليغ يقال بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد في الامر اى اجهد نفسه
في ايصال كلامه الى ذهن سامعه من بعض فاحسب انه صادق اى اظن صدقه
فيما قاله وقد سد ما اشتمل عليه مؤولا ان ومدخولها من مسند ومسند اليه
مسد مفعولى احسب فاقضى له بما اظنه انه يستحقه وهو صلى الله عليه وسلم تجرى
احكامه على الظاهر من الامور والاحوال العارضة وعلى موجب غلبات الظن بشهادة
الشاهد الباء سببية واللام لعموم الشاهدين ويمين الحالف ومراعاة الاشبه مما
يظنه حقا ومعرفة العفاص هو وعاء يجعل فيه الشيء والوكاء ما يربط به فمه كنى
بهما عما يظهر له من نحو كلام الخصمين مما به يظن حقيقة ما ادعى به فهذه الامور
مؤذنة بغلبة ظن لا بيقين والا من نحو خطابهما مع مقتضى حكمة الله في ذلك
من اقتداء من بعده في حكمه جريا على الظاهر وغلبة الظن فانه صلى الله عليه وسلم
لا اطلاع له على الغيب وان الله تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده التى لا يعلمها
سواه ومخبآت ضمائر امته جمع مخبآت مما هو مستور وفي الحديث
ابتغوا الرزق في خبايا الارض كنى بها عن الزرع لان البذر اذا القى فيها فقد
خبى وكانت العرب تتمثل عند البيت حثا على الزرع والتوكل على الله ورغبة في رعايه
تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما ان تجاب وترزقا
فتولى الحكم بينهم على تقدير مشيئته تعالى لاطلاعه صلى الله عليه وسلم على سرائرهم
ومخبآت ضمائرهم بمجرد يقينه وعلمه لكنه تعالى لم يشأ اطلاعه على ذلك فامتنع
توليه صلى الله عليه وسلم بمجرد ذلك فيرفع المقدم في الشرطية ارتفع تاليه
مع ما يترتب عليه لان لو للشرط مع القطع بانتفائه فانتفى بانتفائه ذلك وهذا

معنى قولهم لى لانتفاء الثانى لانتفاء الاول دون حاجة له وافتقار الى اعتراف
بالحق من احد المتخاصمين اليه صلى الله عليه وسلم او بينة يقيمها من طلبت منه ليقضى
له بحقه بها او يمين يحلفها من توجهت عليه ليفوز بحقه او شبهة ترجح الحق على المبطل
كل ذلك على تقدير مشيئة الله اطلاعه صلى الله عليه وسلم ولكن لما امر الله امته اى
النبى صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به فى افعاله الصادرة عنه وكل منها
حميد ولو فى ساعة غضبه لعصمته واحواله اى ان ساعاته وقضاياه المرفوعة اليه
من احاد امته ليحكم فيها بما اراه الله وسيره المأثورة اى المروية عنه وكان هذا
اى ما امر الله امته باتباعه فيه لو كان مما يختص اى النبى صلى الله عليه وسلم بعلمه
ويؤثره اى الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به فى شئ من ذلك لنبو علومهم
عن الاطلاع عليها او تربه ولا قامت بعده حجة على مخالف امر من امور دينه
بقضية من قضاياه لاحد من احكام الله فى شريعته لانا لا نعلم ما اطلع هو عليه مما
اوثر به هو فى تلك القضية المرفوعة اليه ليحكم بما اراه الله به لحكمه هو اذن فيها
وقت ورودها عليه بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم
الغائبة عن كل واحد من امته سريرة الاخر وهذا المكنون الذى اطلعه الله عليه
من سرائرهم مما لا تعلمه الامة اذ لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجرى
الله احكامه الشرعية على ظواهرهم التى يستوى فيها هو اى النبى صلى الله عليه وسلم
وغيره من البشر فى زمنه وبعده ليتم قضاء امته فى تبيين قضاياه التى له فى كل قضية
منها حكم وتنزيل احكامه على قواعد شريعته ويأتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا من
ذلك اى من قضاياه وتنزيل احكامه على علم ويقين من سنته وطريقته التى ديتهما لامته
ان البيان بالفعل اوقع فى النفس طمانينة منه اى من البيان بالقول وارفع ن
لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول اى البيان بالفعل اوقع وارفع لاحتمالات الالفاظ
ولتاويلات المتاولين بشهادة ما افادته الاضافة والتعريف فيهما من العموم
فاسم التفضيل قاض للبيان بالفعل بالاوقعية والارفعية دون القول وان اشتركا
فيه او كان حكمه اى النبى صلى الله عليه وسلم عن الظاهر اجلى فى البيان لكل احد
واوضح فى وجوه الاحكام ليبينها من توكيتها شبه الاحكام لاختلافها بالوجوه
واضافها اليها تاكيدا للتشبيه على طريقة لجين الماء اى فى الاحكام المختلفة التى
هى كالوجوه او شبهها بذى وجوه استعارة مكنية واثبت لها الوجوه تخييلا
بان المشبه من جنس المشبه به تناسيا للتشبيه حتى كانه صار نسيا منسيا قضاء
لحق البلاغة واكثر فائدة لموجبات التشاجر بفتح الجيم والخصام الناشئ عنهما
الدعاوى المترتب عليهما فصل الخصام الرادع عن الاختلاف والتنازع وفى الحديث
اياكم وما شجر بين اصحابى اى ما جرى بينهم من الاختلاف والكل مأجورون لصدوره
عن اجتهاد منهم لوضع الحق فى محله للمصيب اجران وللمخطئ اجر وليقتدى بذلك
اى باحكامه صلى الله عليه وسلم التى صدرت عنه على الظاهر حكام امته وتوثيق بما
يؤثر عنه اى تمسك بما يروى عنه صلى الله عليه وسلم وينضبط قانون شريعته
اى امرها الكلى المنطبق على جزئيات موضوعه لتعرف منه احكامها من وجوب وندب

واباحة

وابَاحة وحرمة وكراهة وخلاف الاولى وطى ذلك عنه ولم يطلعه عليه هو ايضا
من علم الغيب الذى استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا من خلقه الا من
ارتضى من رسول بيان للمرتضى فيعلمه منه بما شاء ليكون معجزة له او بالفراسة او
المراد بالرسول الملك واما الولى اذا اخبر بشئ ظهر على يديه من الغيب فهو غير
جازم به واخباره به ظنا واعتمادا منه على رؤيته له وافقها ويستاثر اى عالم
الغيب ويختص بما يشاء ولا يقدح هذا اى عدم اطلاعه احدا على ما استاثر به فى
نبوته اى المرتضى للنبوة والرسالة ولا يفصم عروة من عصمته شبه عصمته
بذى عرى لصفاء دائم استعارة مكنية ثم اثبت لها العروة تخييلا تخييلا
فصل واما اقواله اى النبى صلى الله عليه وسلم الدنيوية
الصادرة منه فى امور الدنيا من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله
او فعله مستقبلا وماضيا فقدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه لا يصدر فيه منه
منه لعصمته فى اخباره فى كل حال بكونه عليما وعلى اى وجه من وجوه احوال عمدا او
سهو وصحة او مرض ورضى وغضب فانه اى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه
الوجوه كلها معصوم منه اى من الخلف فى اخباره هذا اى فيما ذكر فيما طريقه
الخبر المحض الذى لم يرد تعريضا به لشئ خلاف ظاهره من معاريض الكلام تورية
فاما المعاريض جمع معراض من التعريض ضد التصريح من القول يقال عرفت ذلك
فى معراض كلامه ومعرضه بحذف الالف وفى الحديث الا فى المعاريض ن
لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز وروده منه اى من
النبى صلى الله عليه وسلم فى الامور الدنيوية لا سيما كلمة استثناء مركبة من سى
وما ثم ان جعلت ما موصولة رفع الاسم بعدها خبر مبتدا اضمر بعدها تقول
اكرمنى القوم سيما اخوك وان جعلت زائدة جر ما بعدها بسى مثل تقول قام
القوم سيما اخيك اى ولا مثل اخيك وروى قول امرئ القيس

ولا سيما يوم بدارة جلجل

مرفوعا ومجرورا لقصد المصلحة لنفع يتوقع كتوريته صلى الله عليه وسلم
عن وجه مغازيه بلفظه له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد فكان صلى الله
عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها اى سترها واوهم انه يريد غيرها واصله
من الورى اى الخفى البيان وراء الظهر لئلا يأخذ العدو حذره وكما اى ومثل التورية
ما روى من ممازحته ودعابته غاير بينهما ومعناهما واحد لاختلاف لفظيهما ن
تلويحا بانه مدلولهما بشهادة حديث انه صلى الله عليه وسلم كان فيه دعابة
ومنه قوله لجابر هلا بكرا تلاعبها وقول عمر وقد ذكر عنده
الخلافة لولا دعابة فيه لبسط امته وانشراح صدورهم تانيسا لهم وتقريبا
ببشر وبشاشة وطلاقة وجه وتطييب قلوب المؤمنين من اصحابه من بيانية
لا تبعيضية وتاكيدا فى محبتهم فيه وميلا اليه ومسرة نفوسهم كقوله لبعض
اصحابه كما رواه ابو داود والترمذى وصححه عن انس لاحملنك على ابن الناقة
اراد البعير الكامل لا الفصيل وان احتمله اللفظ قريبا تمليحا وتزيينا للكلام

وقوله فيما رواه ابن ابي حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهري للمرأة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينيه بياض استفهام تقريري حملا لها على الاقرار بانه بها مريدا ابدا البياض المحمود في العين لا المفسد لها وان احتمله اللفظ بعيدا وهذا اي ما قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينيه بياض اذ لا تكون بدون ذلك غالبا وقد قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اني لا امزح ولا اقول الا حقا لعصمته من المجون وغيره اسنز واحتا بالكذب هذا اي مزاحه على وجه الحقيقة كله فيما بابه الخبر بمعنى الاخبار بما للنسبة خارج كما هو الذي بعينيه بياض او لا كالوعد بلا حملك على ابن الناقة ونحوه فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر باللام او بالصيغة والنهي كذلك في الامور الدنيوية فلا يصح القول بصدوره منه لعصمته ولا يجوز ان يامر احد النبي او ينهاه عنه وهو صلى الله عليه وسلم يبطن خلافه جملة حالية اوادت باعتبار ما وليته من النفي براءة افئدة ضميره ونزاهتها من ذلك وقد قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود والنسائي عن سعيد بن ابي وقاص ما كان لنبي اي ما صح وما استقام ان تكون له خائنة الاعين بان يومئ بالعين سمي خائنة لظهور ما يضمر في النفس به ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين اي ما يخان به فخائنة مصدر بمعنى خيانة لما ورد بلفظ اسم الفاعل كالعافية بمعنى المعافاة ومن ثم لم يحسن ان تكون اضافتها الى الاعين بمعنى من فكيف ان تكون له خائنة قلب انكار تولده منه نفيهما فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ راى زينب بنت جحش بنت عمته بعد ان زوجها لزيد فوقعت في نفسه صلى الله عليه وسلم فقال سبحان الله مقلب القلوب يخفا نفسه لما قبل ذلك فسمعت تسبيحه فذكرته كلك لزيد ففطن له ثم كره صحبتها ورغب عنها له صلى الله عليه وسلم فقال له اريد ان افارقها فقال ارابك منها شئ فقال لا والله ولكنها تعاظم علي لشرفها وتؤذيني ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب لي زينب قال فانطلقت اليها فاذا هي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في نفسي فلم استطع النظر اليها لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم في نكاحها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل واذ تقول للذي انعم الله بالاسلام الذي هو اجل النعم وانعمت عليه بالعتق امسك عليك زوجك يعني زينب واتق الله ولا تطلقها على ارادة نهيه له تنزيها لا تحريما لان الاولى لهما امساكها وتخفي في نفسك ما اعلمك الله به ما الله مبديه من انه تعالى سيزوجها لك وتخشى الناس مقالتهم باطلاق الشتم فيك والله احق ان تخشاه فيما قلت لزيد والواو في وتخفي وتخشى والله لا حق للحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا ارادة ان يطلقها خاشيا الناس فيك حقيقا في ذلك ان تخشى الله او للعطف اي واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس

والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك فكانه تعالى اراد منه صلى الله عليه وسلم حين استشارته في مفارقتها ان يسكت او يقول له انت اعلم بشانك كراهة ان يخالف سره صلى الله عليه وسلم في ذلك علانيته لارادته تعالى من انبيائه تساوي ظاهرهم وبواطنهم والتصلب في الامور والاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم لعمر اذ اراد قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان بن عفان في شفاعته له او قول عمر لو كانت عينك الى عينيك هلا تشير الى فاقتله ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم فلما قضى زيد منها اي من زينب وطرا ولم يبق له فيها ارب وتاءت عنها همته وطابت عنها نفسه رغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانقضت عدتها زوجناكها فامنت الايمة والضيعة وفازت بالشرف بجعلها من امهات المؤمنين لما اراد الله من المصلحة العامة المفادة بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم تنبيها باتخاذهم ابنا اذا قضوا منهن وطرا اي فعل ذلك نفيا للحرج عنهم وبيانا للجواز ان ينكح الرجل حليلة دعيه وقد كان صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا فكان يقال زيد بن محمد فقال الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله فاعلم خطاب لكل من يتاتى توجيه الامر اليه اكرمك الله اعتراض من الدعاء بالاكرام ولا تسترب اي ولا تخالج ريبة في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم بل نزهه عن هذا الظاهر المفاد من الآية وتخفي في نفسك اي حبها وتعلق قلبه بها وردادته مفارقة زيد لها وان يامر زيدا بامساكها وهو اي والحال ان النبي صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه اياها كما ذكر جماعة من المفسرين غافلين عن ان ما قالوا انه اخفاه غير ما اخفاه واصح ما قيل في هذا اي الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم ما حكاه اهل التفسير كابن ابي حاتم عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب بنت جحش بن رياب ستكون من ازواجه امهات المؤمنين ولم يخفه استهجانا للتصريح به ولا حذرا من قاله الناس فيه بل لما جبل عليه جنابه الكريم من الحيا والتحفظ بما يستحي من الاطلاع من الناس عليه مع كونه مباحا ما سعانا اخير بيانه لا مقالة فيه ولا عيب عند الله فيه وربما كان فعله سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ولولم يتحفظ لسلوه الناس بالسنتهم الا من عصمه الله كما ورد ان نفرا من اصحابه مكثوا في بيته بعد انتشار الناس منه وليمتها مستانسين بالحديث فتاذى صلى الله عليه وسلم منه وكان الحيا يصده ان يامرهم بالانتشار لشهادة ولا مستانسين لحديث ان ذلك كان يوذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو امرهم ان ينتشروا لشق عليهم فلما شكاها اليه زيد لتعاظمها بشرف نسبها وفخر حسبها فانها من اسد ولد الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال له امسك عليك زوجك واتق الله ولا تمضها بتكبرها عليك واخفى منه في نفسه استحياء منه مع كونه مباحا ما اعلمه الله به من انه سيزوجها له صلى الله عليه وسلم ما الله مبديه ومظهره مصلحة عامة للعباد

هي مما افاده كما مر قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا
قضوا منهن وطرا اتمام التزويج وطلاق زيد لها وذكرهنا ما روى عمرو بن فايد
الاهوازى وكان كما قال الدارقطنى وغيره قد ربما متروك الحديث ولم اد رمن رواه
غيره عن الزهرى قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يعلم النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصح
هذا الذي روى عن الزهرى قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا اختتاما للاية
وكان امر الله مفعولا اعتراض افاد ان ما اراد الله تكوينه واقع مكونا وتمثيلا لما
اراد كونه واقعا من تزويجها له ومن نفي الحرج على المؤمنين في حمل ازواج المتبنين
كازواج التبنين في تحريمهن عليهم بعد فراقهن اى لا بد لك ان تتزوجها لامتناع خلف
الارادة ويوضح هذا ان الله هذا لم يبد من امر مهما اى لم يظهر من شانه صلى الله عليه وسلم
مع زينب غير زواجه لها فدل ما ابداه تعالى انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم
مما كان اعلمه به لا غير وقوله تعالى في القصة المذكورة في شانه صلى الله عليه وسلم وشان
زيد وزينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اى ليس عليه ضيق وباس واثم في
فعله ما قسم الله له واوجب ووسع عليه في باب النكاح وغيره سنة الله اسم مفعول
في موضع مصدر مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبي من الحرج اى سن ذلك سنة في
الذين خلوا من قبل من الانبياء الماضين نفيا للحرج عنهم فيما اباحه لهم من نكاح وغيره
وقد كانت تحتهم المهاير والسرارى فكان لداود مائة امراة وثلثمائة سريه ولسليمان
ثلاثمائة امراة وسبعمائة سريه وكان امر الله قدرا مقدورا اى قضاء مقضيا وامرا مبتوتا
فذلك قوله ما كان على النبي من حرج على انه اى النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عليه حرج
في الامر المفروض له بما لا انتم بتركه قال الامام محمد بن جرير الامام الطبرى ما كان
الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعله اى مثل فعل الله لمن قبله من الرسل قال تعالى
سنة الله في الذين خلوا اى مضوا من قبل من النبيين يقال احل لهم من نكاح وغيره
ولو كان ما اخفاه على ما روى في حديث عبد بن حميد عن قتادة من وقوعها اى زينب
من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومن محبته طلاق زيد لها لكان فيه
اعظم الحرج وحاشاه منه ولكان فيه ما لا يليق به من مد عينيه اى تطويل نظرهما
حتى لا يكاد يرده استحسانا لما نهي عنه وتمنيا ان يكون له من زهرة الحياة الدنيا
اى زينتها وبهجتها وكان هذا اى وقوعها من قلبه ومحبته طلاق زيد لها لو وجد
لكان نفس الحسد المذموم المنزه صلى الله عليه وسلم عنه الذي لا يرضى ولا يتسم
اى يتصف به الاتقيا فكيف سيد الانبيا لتجب والنكار لتجويزه اقتسامه صلى الله عليه وسلم
بما لا يرضى الاتقيا قال القشيرى وهذا اى القول بوقوعها من قلبه ومحبته طلاق زيد
لها اقدام عظيم من قايله وقلة بل عدم معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله
الوريف وبجاهه المنيف وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته اميمة بنت عبد
المطلب ولم يزل يراها منذ ولدت الى ان بلغت مبلغ النسا ولا كان النسا يحتجبن منه
لانه اولى بالمؤمنين من انفسهم واعصمته وهو الذي زوجها لزيد مولاه بن حارثة الكلبي
وانما جعل الله طلاق زيد لها الى تزوج النبي لها لازالة حرمة التبني مفعولا لاجلها

طلاقهما

طلاقهما وتزويجه صلى الله عليه وسلم بزوجة من تبناه اى اتخذه ابنا رفعا لاعتقاد
احد من المؤمنين ان يثبت بينه وبين من تبناه ما يثبت بين الاب وابنه من حرمة
حليلة كل على الاخر وابطال سنته اى التبني فلا يكون المتبنى ابنا على الحقيقة كما
قال اى الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى لم يكن ابا رجل منكم حقيقة
يثبت بينهما ما يثبت بين الاباء والابناء من الاحكام المحرمة دون ما يجب له
صلى الله عليه وسلم عليهم من توقير وتعظيم ودون ما يجب لهم عليه صلى الله عليه وسلم
من شفقة ونصيحة وزيد مولاه واحد من رجالكم الذين ليسوا ابناء واولادا له صلى
الله عليه وسلم حقيقة فحكمه حكم رجالكم والادعاء والتبني انما هو من باب التقريب
والاختصاص لا غير وقال لكيلا علة لقوله زوجناكها اى شرعنا ذلك وفعلناه
حذرا من ان يكون على المؤمنين حرج في نكاح ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا او نحوه اى نحو ما قاله القشيرى ابى بكر محمد بن الحسن بن فورك بضم الفا
ولا ينصرف للعلمية والعجمة وقال ابو الليث السمرقندى بفتح الميم وسكون
الرا فان قيل ما فائدة امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها اى امساك
زينب فهي اى فائدة امره بالامساك ان الله اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها
زوجته فنهاه اى نهى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها اذ لم يكن بينهما
اى بين زيد وزينب الفة واستيناس واتفاق فكانت لشرفها تفخر عليه وتتعاظم
وتؤذيه فكرهها لذلك واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يريد طلاقها فامره
بامساكها واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انها ستصير زوجته فلما طلقها
زيد خشي اى النبي صلى الله عليه وسلم قول الناس يتزوج امراة ابنه تبنيا فزوجه
الله بها ليباح مثل ذلك لامته فيتزوج منهم من يتبنى زوجة من تبناه كما قال
تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في نكاح ازواج ادعيائهم اى متخذيهم ابنا
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة اى منعا وزجرا لها
ورد النفس عن هواها اى تقواها وهذا اى القيل انما يعتبر اذا جوزنا عليه
اى النبي صلى الله عليه وسلم انه راها فجاة من تجيئه الامر فجاة بالضم والمد
وفاجاه مفاجاة اذا جاءه بغتة وقيده بعضهم بفتح الفا وسكون الجيم
وبالقصر على الامر اى بغتة من غير تقدم قصد واستحسنها ومثل هذا اى ما ذكر
من رؤيته صلى الله عليه وسلم اياها واستحسانه لها لا نكرة فيه بالتحريك
اسم من الانكار لنفقة من الاتفاق لما طبع عليه ابن ادم اى خلق عليه وجبل
عليه من الاخلاق التي لا يكاد يزولها من خير وشر وفي الحديث كل
الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب اى يخلق عليهما لا لهما من
استحسانه للحسن وميل طبعه اليه ونظرة الفجاة معفو عنها لوقوعها بغتة
بغير قصد ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وبتقوى الله فيها ولا يبيعها وانما
تنكر تلك الزيادات التي ذكرها بعض المفسرين في القصة من انه صلى الله عليه وسلم
اخفى عنه تعلق قلبه بها او ارادته مفارقته لها اما لا يليق بعظيم قدره صلى
الله عليه وسلم والتفويل والاعتماد على ما ذكرناه مما يليق به صلى الله عليه وسلم

عن زين العابدين علي بن حسين هو ابن علي بن ابي طالب ان الله كان اعلم نبيه
ان زينب ستكون من ازواجه وحكاه السمرقندي كما تقدم انفا وهو قول ابن عطاء
واستحسنه القاضي والقشيري وعليه عوله واعتمده القاضي ابو بكر بن فورك
كما تقدم وقال انه اى ما عول عليه ابن فورك معنى ذلك اى الذي ذكر بما يليق به صلى
الله عليه وسلم عند المحققين من اهل التفسير قال اى ابن فورك والنبي صلى الله
عليه وسلم منزه اى مبرء ومبعد عن استعمال النفاق في ذلك باخفائه خلاف
ما يظهر واظهاره خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك اى استعمال النفاق
بذلك لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج اى باس وضيق بل سعة فيما فرض الله له
وخصه به من نكاح وحرمه وقال ابن فورك ومن ظن ذلك اى انه اخفى عنه
تعلق قلبه بها او ارادته مفارقتها بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا خطا
بينا وليس اى ما قيل انه اخفاه مما يليق به معنى الخشية هنا اى في قوله تعالى
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وانما معناه الاستحياء اى يستحيى منهم تفاديا
وتحاشيا من ان يقولوا تزوج زوج ابنه زيد اذ كان قد تبناه وان خشيته صلى الله
عليه وسلم من الناس انما كانت حذرا من ارجاف المنافقين باخبار سوء تزلزله
غير ثابتة ولتشنيعهم من السفه بسكوت ثانيه كما ترى الشرور الفتنة باكاذيب
على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء جهلا منهم
انهم ابناء الاصلاب لشهادة وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم اى دون من تبنيتم
فعتبه الله على هذا اى على استحيائه منهم ان يقولوا ذلك ونزهه عن الالتفات
اليهم فيما احله لهم من نكاح حلائل من تبنوه دون حلائل ابناء اصلابهم كما عتبه على
مرضات ازواجه في سورة التحريم اذ قد ورد انه صلى الله عليه وسلم شرب
عسلا عند زينب فتواطات عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك رائحة
مغافير فقال انما شربت عند زينب عسلا فقالتا جرست نحله العرفط
فحرم شربه فلاطفه ربه تعالى بقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك من
عسل وغيره تبتغي حال او علة لتحرم اى مبتغيا او لابتغاء مرضات ازواجك ○
بحرمته وليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور رحيم قد غفر لك ورحمك فلم
يؤاخذك كذلك قوله هنا ملاطفة له على مراعاته للناس استحياء منهم وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه وقد روى كما في جامع الترمذي
وصححه عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحى الله
اليه لكتم هذه الاية اى اية زيد وزينب لما فيها من عتبه واما اخفاه من اعلام
الله له ان زينب ستصير من ازواجه

فصل

فيما ورد عنه صلى
الله عليه وسلم في مرض موته وذنته لنفسه فان قلت لم يرد به مخاطبا معينا
قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم مما لا يليق برفيع مقامه في اقواله في جميع
احواله اى اموره وشؤونه وانه لا يصح منه وقوعها فيها اى في اقواله خلف
لقول منها ولا اضطراب فلا يرد منها شيء على وجه مختلفة متساوية في عمد بعزم
وتصميم ولا في سهو اى ذهول ولا في صحة من العاهات ولا في مرض مما ولا في

جد بكسر الجيم من جد يجد جدا ضد الهزل ولا في مزح ولا في رضى ضد السخط ولا في
غضب كرر لا تاكيد النفي وقوع الخلف والاضطراب في شيء مما ذكر في احوال العصمة
منها اى ذلك فما معنى الحديث الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في وصيته الذي اسند
هنا من طريق البخاري ورواه مسلم ايضا عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى دنا موته بنفسه لو العذار وفي البيت رجال من قرابته واصحابه
فقال هلموا اى تعالوا العلماء على لغة الراوي كيتيم فانهم يثنون ويجمعون ويؤنثون
واهل الحجاز يقولون هلم مبنيا على الفتح للواحد مذكر المؤنث وللاثنين والجمع لشهادة
قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا اما لبيان مهمات الدين
او لبيان محل الخلافة وفقا للنزاع وحثا على الاتفاق على ما كان يكتبه فكانه صلى الله
عليه وسلم ظهر له الوحي او اوحي اليه ان الخير في كتابته ثم بدا ثم ظهر له او اوحي
اليه ان الخير في تركه لن تضلوا ولن تحرجوا الى ما لا تهتدون اليه بعده اى بعد
الكتاب اذا عرفتم ما فيه وعملتم به فقال بعضهم هو عمر كما سياتي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا كتاب الله وفي رواية
لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا اى فوقع بينهم التنازع والاختلاف فقالوا في
البخاري اهجر بصيغة الماضي استفهام للهجر بضم الهاء على من توقف في امتثال امر
صلى الله عليه وسلم بالكتابة اى لم يختلف كلامه ولم يتغير من الوجع كما يقع للمرضى
ممن لا ينتظم كلامهم لاستحالته منه لعصمته صحة ومرضا رضى وسخطا قال صلى
الله عليه وسلم اني لا اقول في الغضب والرضى الا حقا فكيف يتوقف فيما طلب ابطن
انه صلى الله عليه وسلم كغيره يقول في مرضه الهذيان فانكار صدور الهجر منه بانكار
حاله التي يرد عليها ما انكار لوجوده على وجه برهاني من حيث ان حال الشي تابعه
لذاته فانكارها انكار لذاته بطريق الكناية الابلغ لا انكار الهجر استفهموه اى
استخبروه عما اراده افعله اولى ام تركه وليس قولهم اهجر اخبارا عنهم لنزاهته
صلى الله عليه وسلم مما لا يليق من فحش او هذيان فقال اى النبي صلى الله عليه وسلم
دعوني مما انتم فيه من التنازع واللغط فالذي انا فيه من مراقبة ربي والانتظار
رسله الي والتاهب للقائه والحاقي بالرفيق الاعلى ويحتمل غير ذلك كما سياتي
خير وافضل مما انتم فيه من التنازع والاختلاف كما في مستخرج الاسماعيلي
من طريق ابن خلاد عن سفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر انكارا على من
اختلف عنده من هجر اذا ترك اى يترك كتابته ويعرض عنها لا يتركها ويروى
كما في البخاري هجر ماضيا حذفت همزته بمعنى رواية اهجر فيما مر ويروى
اهجر بالضم لما تقصد والهجر غيبته همزة الاستفهام وفيه اى في الحديث فقال
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
من احسبه الشيء اذا كفاه اى هو محسبنا اى كافينا فهو بمعنى اسم الفاعل فاضافته
حقيقية لا تفيد تعريفا لشهادة تدبر المتقين فيه ووصفا النكرة به
في مثل هذا رجل حسبنا اى محسب لنا وهذا من عمر من حسن نظره وصحة
فهمه اذ قد خشي ان يكتب لهم ما يعجزون او حذر انسداد باب الاجتهاد

وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار عليه تلويح بتصويب قوله عندنا كتاب الله
حسبنا اشارة منه الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وكثر اللغط هو صوت
مع ضجة لا يفهم معناه فقال اى النبي صلى الله عليه وسلم قوموا عني وفي رواية في
الصحيح واختلف اهل البيت ممن كان فيه من الصحابة واختصموا اى تجادلوا
وتجاذبوا الكلام فمنهم من يقول من قال عمر عندنا كتاب الله حسبنا شفقة عليه
منه عليه صلى الله عليه وسلم مما به من شدة الوجع وكربه ولما قام عنده
من ان ما اراد كتابته مما لا ضرورة اليه وقد علمت ان في تركه صلى الله عليه وسلم
الانكار عليه تلويحا بتصويبه ولا يعارضه قول ابن عباس ان الرزية كل الرزية
ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لانه كان افقه من ابن
عباس ان الله قد اكمل دينه فامن الضلال على الامة بجزمه بالامتناع من الكتابة
لما ظهر له ومن ثم اختلفوا قال ايمتنا اى المالكية او الاشعرية في هذا اى حديث
ابن عباس النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض الطارئة على جسمه
دون باطنه كغيره من الانبياء وما يكون من عوارضها من شدة وغشي اى اغماء مما
يطرا على جسمه الشريف وجسمه الكريم معصوم ان يكون منه اثناء ذلك اى خلال
تلك الامراض التي تعرض له ما اسم يكون موصولا او موصوفا يطعن في معجزته
قدحا فيها ويودي الى فساد وذم وعيب في شريعته صلى الله عليه وسلم مما شرعه
الله لنا من الدين يقال شرع يشرع شرعا وقد شرع اذا اظهره وبينه والشريعة
في الاصل موردة الماشية على الماء من هذيان اى كثرة كلام وتوسع فيه مع قلة
جدواه او اختلال برهن او فساد في كلام وعلى هذا القول بانه صلى الله عليه وسلم
معصوم مما ذكر لا يصح ظاهر رواية من روى هجر ان معناه هذى اى كثر كلامه بلا
جدوى هذا ولعل قايله ممن قرب عهده بالاسلام ويروى ان شدة الوجع تدهش
وتحير فيما يراد تجوزا وتوسعا منه ومن ثم قال بعضهم انه قد غلبه الوجع
يقال هجر يهجر هجرا بالفتح اوله وسكون ثانيه اذا هذى واهجر يهجر هجرا بضم
اوله وسكون ثانيه اذا افحش اى اتى بكلام يفحش ذكره واهجر بضم الهمزة وسكون
الها تخدير هجروا انما الاصح والاولى اللائق برفيع درجات مقامه الكريم اهجر
ماضيا بالفتح على طريق الانكار على من قال لا يكتب ورد القول مع وجود ما يدعو
الى الكتابة من كونه صلى الله عليه وسلم ماضي العزم ثابت العقل حسن
التصرف معصوما في اقواله وافعاله وهكذا رويناه اى اهجر ماضيا بفتحات
مع همزة انكار في صحيح البخاري من رواية جمع من الرواة اى رواة صحيح البخاري
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام بتخفيف اللام شيخ البخاري
عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بفتحات مع همزة انكار بخطه في كتابه
من صحيح البخاري وكذا اضبطه بما عنده من هذه الطرق كلها عن الزهري وغيره
وكذا رويناه بفتحات وهمزة انكار عن مسلم في حديث سفيان بن عيينة
ورويناه ايضا عن غيره اى غير مسلم اهجر على الانكار وهو اصح من رواية هجر
ويهجر بتنزيهه صلى الله عليه وسلم من الهجر بالضم بمعنى الهذيان والمناورة

لا ترد انكارا على من قال لا يكتب اى كيف يترك امرك ويجعل كمن هجر في كلامه مع
عصمته من ان يهجر والا صحت الروايات فصدورها من قايلها انما هو بغير
تثبت وتحقق بل قالها حيرة ودهشا لشدة ما راه منه صلى الله عليه وسلم
في هذه الحالة المؤذنة بعوانة وذهاب نفسه من تعاظم المصيبة به وتعاظم الفتن
والضلال بعده وكنى بالهجر عن شدة الوجع وقول عمر عندنا كتاب الله حسبنا
انما كان ردا على من نازعه لا ردا لامره صلى الله عليه وسلم وقد تحمل عليه اى على الهجر
الكلا رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام اى همزة الاستفهام الانكاري
والتقدير اهجر او يحمل هجرا بضم الها واهجر مبنيا للمفعول على انه قاله حيرة ودهشة
لا يدري كيف يبتدي لعظم ما شاهد من حاله صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه
ولما راى من هول المقام الذي اختلف فيه عليه وهو الامر الذي هم بالكتاب
فيه لاتفاق الكلمة والتعاضد والتناصر والسهم للخليفة بعده ووصية خصوصا
بقرباه رعيتوما بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم
وسائر المسلمين وغير ذلك حتى لم يضبط هذا اى القايل لفظه واجرى الهجر
بالضم كما سبق مجرى شدة الوجع وتزايد الالم اذ كان يوعك الرجلان اشفاقا
عليه صلى الله عليه وسلم لا انه اعتقد ان يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على
حراسته حذرا عليه من ان يرهقه مكروه والله يقول اى اشفقوا عليه مع قوله
والله يعصمك من الناس ان يغالوك بما يضرونك واما على رواية اهجر بفتح الهمزة
وضم الها وهي رواية المستملي احد رواة البخاري في الصحيح في حديث ابي محمد
سعيد بن جبير عن ابن عباس فقد يكون هذا اى لفظ الهجر بضم الها راجعا الى
المختلفين عنده اى النبي صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم منكرا ذلك البعض
عليهم بقوله جيتم باختلافكم على رسول الله وما اختلافكم بين يديه هجرا ومنكرا
مما قبحه الشرع لانحرافه عن الحق والهجر بضم الها الفحش في المنطق فلا يليق ايراده
بين يديه صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلماء في هذا الحديث اى حديث هلموا اكتب
لكم وكيف اختلفوا بعد امره بالكتاب ليكتب لن يضلوا بعده فقالت بعضهم
اى لبعض العلماء الذين اختلفوا اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم حين صدورها
عنه ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين تلوح على صفحات ارادته تعين كلا
وتميزه عن الاخر فلعله قد ظهر من قراين قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم هلموا
اكتب لكم كتابا ما فهموا فاعل ظهر انه اى قوله هلموا لم يكن عزمة وحتما لازما
بل هو امر رده الى اختيارهم بشهادة اختلافهم في كتابته ومراجعتهم له فيه اذ كانوا
يراجعونه فيما لم يجزم فيه بحتم كمراجعتهم له صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
في الحلاق وكتاب الصلح بينه وبين قريش لا فيما امر به عزمة وبعضهم اى
بعض اصحابه لم يفهم ذلك اى كون اوامره يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها
بقراين فقال استفهموه اى استخبروه عما اراد بقوله هلموا اكتب لكم فلما اختلفوا
كف عنه اى عن طلب الاستفهام اذ لم تكن اى لم توجد منه عزمة توجب امتثال
امره بالكتاب ولما راى هذا الذي كف من صواب راى عمر ثم هولا اى القايلون

اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ايجابا بمعنى ندبهما من مباحهما قالوا ويكون امتناع
عمر كما مر اما اشفاقا عليه من تكليفه ما يشق عليه والزامه في تلك الشديد
الالم املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك توذن بتكليفه الاملا كما قال
اى عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع فلا ينبغي انه يكلف املا كتاب لنا
كتاب الله حسبنا وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يقومون بها
فيحملون في الحرج اى الاثم فكانهم لشدة ملابسته ولزومه لهم بالمخالفة له صلى الله
عليه وسلم مستغرقون فيه ظرفا لهم ورأى عمر ان الارفق بالامة والاوفق لهم في تلك
الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر الصحيح المقرون بشرائطه بحسب مادته وصورته
تحصيلا وترتيبا للمقدمات مع ملاحظة المطلوب والتوجه اليه وازالة ما يختلف
الادراك من الموانع كالغفلة وطلب الصواب به فانه اذا لم يعقبه ما ينافيه من
الموانع افاده بطريق جرى العادة عند الاشعرى بناء على ان جميع الممكنات عنده
مستندة الى الله تعالى ابتداء اى بلا واسطة لانه القادر المختار فيكون المجتهد
منه المصيب للحكم الشرعي والمخطي له كل منهما ماجورا باجتهاده لذلك اجران ○
ولهذا اجر واحد وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة اى دين الاسلام ورسوخ
قواعده واحكام دعائمه الراسخة للاساس شامخة البنا كشجرة طيبة اصلها ثابت
وفرعها في السما واعلم ايضا ان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم اى اموره مما
تحتاجون اليه في تكاليفكم من نقل الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع واصول
الاجتهاد وقوانين القياس واعلم ايضا قوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم ○
بكتاب الله ان تمسكوا به ويعملوا باوامره ونواهيه وما ورد به من مكارم اخلاق
ومحاسنها وادابه وعترتي بمثناة فوقية لبني اهل بيته الذين حرمت عليهم
الزكاة وعوضوا عنها خمس الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد وردت ○
معنعنة في الحديث وعترتي اهل بيتي وقول عمر حسبنا كتاب الله اى كافينا
في الهداية للتي هي اقوم ردا على من نازعه في امر الكتاب واكتفى بكتاب الله ○
لا ردا منه على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان يأتوا بما يكتب لهم فيه كتابا
وقد قيل خشي عمر تطرق المنافقين اى توصلهم ومن في قلبه مرض اى حقد وبغض
وحسد الى الطعن في ذلك مما اراده وان يتقولوا اى يتكلموا في ذلك الاقاويل الباطلة
افتراء من عند انفسهم سمي بما تقولوه اقاويل تحقيرا لشانه وتصغيرا لامره
كادعاء الرافضة الوصية بالخلافة لعلي بمفتريات وذلك في اكابر الصحابة جهلا
وعنادا بل فخر علي اذ لم يكن يغفل بامر الموصى له بناء عليهم مذعنا منقادا للحق
ولبيعتهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل في الجنة ورسوله لثنائهما
عليهم بانهم خير امة اخرجت للناس وبانهم رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا واتخذهم
رسول الله اصحابا واحبابا وانصارا واعوانا واختانا واصهارا مع علمه
بحالهم ابتداء وانتهاء ومن رام مزيدا على هذا فعليه بكتابنا مقاصد المقاصد
وقيل انه اى قوله صلى الله عليه وسلم ملوا كان من النبي صلى الله عليه وسلم على
طريق المشورة بامره به له ان يشاورهم في الامر فيما لم ينزل عليه فيه وحي استظهارا

وتطييبا

وتطييبا لقلوبهم ورفعا لقدرهم وارادة لان يستن به من بعده وكان منه ايضا
على طريقة الاختبار والامتحان لهم هل يتفقون على ذلك الذي اراده من كتابة
الكتاب ام يختلفون فلما اختلفوا وتنازعوا امرهم بينهم وقالت طائفة اخرى
معنى الحديث اى حديث وصيته صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه ان يكتبه لهم لا انه
ابتدا الامر به بل اقتضاه اى طلبه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم في كتابته
لهم وكره ذلك غيرهم اى غير من طلب ذلك منه صلى الله عليه وسلم للعلل التي
ذكرناها آنفا من عمر وغيره واستدل لمذهبنا المقول في هذه القصة اى قصة
كتابة الكتاب لمزيد منه صلى الله عليه وسلم ولكارهه بقول العباس لعلي
في حديث البخاري عن ابن عباس انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان كان الامر اى امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا علمناه ولا منازعنا
فيه احد وكراهته على هذا القول من عمه العباس وقوله لعمه لا افعل واستدل
اى على كراهته ذلك بقوله اى النبي صلى الله عليه وسلم دعوني فان الذي انا فيه
خير اى الذي على حد ما مر من حذف ان لا داعي للتاكيد بما هنا انا فيه اى الامر من
انتظارى رسول ربي الخ او من اشارتي عليكم بكتابة كتاب خير مما تدعوني
اليه من ارسال الامر بلا كتابة كتاب يتضمن الوصية مما اراده وخير من تركتكم
اى من تركي لكم وكتاب الله اى معه اذ ربما اختلفتم فيه كما اختلف الذين من
قبلكم فيما خذ بكم الى التنافس والتنازع فتفشلوا فتذهب ريحكم فلعله
صلى الله عليه وسلم اراد كتابته لهم حذرا من ذلك وشفقة وابقاء عليهم
وان تدعوني عطف على دعوني اى وان تركتم لي ما طلبتم مني من كتابتي لكم
كتابا خير ايضا وذكر انه الذي طلب اى النبي صلى الله عليه وسلم كتابته
امر الخلافة بعده وتعيين ذلك اى تعيين امرها ومن يكون خليفة

فصل

فان قلت فما وجه حديثه صلى الله عليه وسلم الذي
اسنده هنا من طريق مسلم اللهم اى يا الله انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
عدل عن التكلم الى الغيبة للمبالغة في الاستكانة والخضوع لربه تعالى استدرارا
للرحمة واهتماما بنجاح قصده وقبول دعائه واني اتخذت افتعل من تخذ
يتخذ كسمع يسمع ادغمت احدى تائيه في الاخرى لا من اخذ يتخذ لانه افتعال منه
فاوه همزة لا تدغم في التاء وقول الجوهري الاتخاذ افتعال من الاخذ
الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وتسكينها وتوهموا لكثرة استعماله بلفظ الافتعال
ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل فقالوا تخذ يتخذ واهل العربية على خلافه وعدل
الى التكلم استلذاذا بمناجاة ربه ومن ثم ربطا للكلام مع الاحبة عندك عهدا
لن تخلفنيه فاسألك ايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها جواب ما تضمنه
اى من الشرط وانث باعتبار المذكورات او قوله كفارة مقالة للمبالغة كعلامة
وضرابة من الصفات الغالبة في باب الاسمية وهي الخصلة التي من شانها ان تكفر
الذنوب وتمحوها وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة اى قربا ذكر جميل وعمل صالح لا ترتب

ذات ومكان لانه من صفات الاجسام والله منزه عن ذلك وقربه تعالى من عبده
انما هو منه قرب طاعة ونعمه وبره اليه وتزايد منته اليه وفيض مواهبه عليه
وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس اي المدعو عليه لها باهل وفي رواية
ايما رجل من المسلمين سببته اي شتمته او لعنته اللعن من الخلق الدعا والسب ومن الله الطرد
والابعاد عن ساحة رحمته او جلدته فاجعلها له زكاة اي طهرة من ذنوبه وبركة في
معاشه وصلاة ورحمة وضع الصلاة وهي في الاصل للتعطف والحنو موضع الرافة
وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم اي اجعلها له رافة بعد رافة
ورحمة بعد رحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم استفهام عن حال صحة
لعنته التي تردد عليها اي على اي حالة تردد صحة ان يلعن من لا يستحق اللعن وعلى اي حال
تردد صحة ان يجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك اللعن والسب والجلد عند
الغضب وهو معصوم جملة حالية لازمة افادت استمرار اتصافه صلى الله عليه وسلم
بالعصمة اي يتاتى منه فعلها معصوما منها فاعلم لم يرد به معينا بل كل من يتاتى
توجيهه اليه شرح الله صدرك اعتراض دعائي بين اعلم وبين ما تسد مسد مفعوليه
اعني ان قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم او ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره
مما لم يطلعه الله عليه فانه صلى الله عليه وسلم انما كان على الظاهر من الامر كما قال
فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه انما كان يحكم به والحكمة التي ذكرناها فيما
مضى من ان احكامه كانت جارية عليه وعلى موجبات غلبات الظن لتقتدي به
في ذلك امته فهو صلى الله عليه وسلم فيما ظهر له يجلده او اوديه بسبه او لعنه مما
اقتضاه من جواز ذلك عنده بحال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه وسلم تعاديا بدعائه
لما صدر منه من لعن وغيره على مقتضى حال الظاهر لشفقته على امته ورافته
ورحمته جمع بينهما لما تقدم للمؤمنين التي وصفه الله بهما بقوله بالمؤمنين
رؤف رحيم وحذرا اي خوفه ان يقتل اي الله تعالى فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل
اي الله دعاه عليه او لعنه له رحمة فهو معنى قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم
ليس اي المدعو عليه لها باهل كثيرا ما تزاد الباء في ليس اليس الله بكاف
عبده اليس الله بعزيز ذي انتقام اليس الله باحكم الحاكمين لا انه صلى الله عليه وسلم
اي يحمله ويغريه الغضب ويستفزه الضجر اي يستخفه الملل والسآمة الى ان
يفعل مثل ذلك اللعن والسب والجلد بمن لا يستحقه وهذا معنى صحيح مقبول
لا يفهم غيره ولا يفهم من قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب مما يعتري ابن ادم من ثوران الدم وفورانه مما هو متوهم
حمله واغراه على ما لا يجب ان يفعله حاشاه صلى الله عليه وسلم ان يفعله
بل يجوز ان يكون المراد بهذا اي باغضب كما يغضب البشر ان الغضب لله هو الذي
حمله واغراه على معاقبته بلعنه وسبه اذ قد ورد ما تريبا انتقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وانه ما كان
يحتمل ويجوز عفوه صلى الله عليه وسلم منه اي عمن عاقبه بلعن او غيره
او كان ممن خير بين المعاقبة والعفو عنه وقد يحتمل اي دعاوه صلى الله عليه وسلم

لمن عاقبته انه خرج مخرج الاشفاق على من عاقبه بلعن او غيره وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله شفقة منه عليهم ان يعاقب احدا منهم وقد يحمل ما ورد
من دعواته على غير واحد في غير موطن بل على كثيرين في مواطن كثيرة على غير العقد
والقصد فلا يجزم بها ولم يقصد بها الدعا بل كانت صادرة منه على ما جرت به عادة
العرب ولا يريدون وقوع الامر بمن خاطبوه اذ قد يطلقون اللفظ ويستعملونه
ومما من فعله بل يقولون للشيء اذا امدحوا قاتله الله ولا اب له ولا ام له لا يريدون
به الذم وويل امه وفي الحديث ويل امه مسعر حرب وذلك ان تنظر الى القول
وقائله فان كان وليا فهو الولا وان خشن وان كان عدوا فهو البلا وان حسن
وليس المراد بها اي بدعوته صلى الله عليه وسلم على غير واحد الاجابة كقوله لعائشة
فيما رواه الشيخان وغيرهما تربت يمينك وقوله لمعاوية فيما رواه مسلم عن ابن
عباس رضي الله عنهما لا اشبع الله بطنه زاد البيهقي في الدلائل فما شبع بطنه ابدا
وقوله لصفية فيما رواه الشيخان عن عائشة عقري حلقي اي عقرها الله
وحلقها اي اصابها بوجع في حلقها كذا رواه المحدثون غير منون لجريانه على موت
الغضبى والمعروف في اللغة التنوين لانه من مصادر حذف افعالها لفظا اي عقرها
الله عقرا او حلقها حلقا ويقال للامر يعجب منه عقرا حلقا وللمراة المؤذية المشومة
وغيرها من دعواته مما لا يريد هو وغيره به ذما بل مدحا كقول جذيمة انعم صباحا
تربت يداك فانه دعا له لذكره بعد له نعم صباحا حثا له على استعمال ما وصاه به
وقد ورد في صفته اي النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث مما رواه البخاري وغيره
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا من الفحش وهو قذع الكلام ورديه مما يقبح ذكره
مبالغة فيه للاستدار قبحه كالذنوب والمعاصي قولا وفعلا والمراد نفي اصله
عن ساحة رفيع مقامه وان اذنت المبالغة بثبوت اصله وقال انس فيما
رواه البخاري عنه لم يكن اي النبي صلى الله عليه وسلم سبابا مبالغة من السب
اي الشتم ولا فحاشا ولا لعانا اي مبالغا في اللعن اي البعد عن رحمة الله والمراد نفيه
وكان اي النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحدنا عند المعتبة من العتب بفتح
اوله وكسره اسمه اي يخاطبنا مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة واعتبني اذا عاد
الى مسرتي واستعتب اي طلب ان يرضى عنه ما له ترب جبينه قيل اراد به دعا له
بكثرة السجود واما قوله لبعض اصحابه ترب نحرك فقتل شهيدا فمحمول على ظاهره
فيكون حمل الحديث اي حديث ترب جبينه على هذا المعنى من ان يقتل ثم اشفق صلى الله
عليه وسلم على من دعا عليه حذرا من موافقة امثالها اي الدعوة التي قتل بها
صاحبها شهيدا اجابة قدره كما قال في الحديث السابق الوارد في ذلك ان
يجعل ذلك للمقول له مما مر من اذى وغيره زكاة وصلاة ورحمة وقربة تقربه بها اليه
زلفى وقد يكون ذلك اي دعاوه صلى الله عليه وسلم له اشفاقا على المدعو عليه
وتانيسا وتاليفا وطمانينة له لئلا يلحقه من استشعار الخوف اي ادراكه ومن
الحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تقبل دعائه ما يحمله فاعل يلحق
على الياس والقنوط جمع بينهما للمغايرة بينهما اذ الثاني اشد ياسا من الاول

وقد يكون ذلك سؤالا منه اى النبى صلى الله عليه وسلم لربه من جلده اوسبه على حق
بوجه صحيح ان يجعل له كفارة لما اصابه واقترفه من الذنوب وتحية لما احترمه
اى اكتسبه منهما وان تكون عقوبته فى الدنيا سبب العفو عنه والغفران لذنوبه
كما جاء فى الحديث الاخر فيما رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا
ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصونى
فى معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب به
فى الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله فهو الى الله ان شاء
عاقبه وان شاء عفى عنه فان قلت ـــــ فما معنى حديث الزبير الذى رواه
البخارى وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين تخاصمه اى تنازعه واختلافه مع
الانصارى فى سراج الحرة جمع شرجة وهى مسيل الما من الحرة الى السهل اسق مفعول
قوله صلى الله عليه وسلم يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال الانصارى للنبى صلى الله
عليه وسلم ان كان ابن عمتك علة لقوله اسق اى للزبير ذلك من اجل انه ابن عمتك
فهى صفية بنت عبد المطلب فتلون وجه النبى صلى الله عليه وسلم اى تغير من لون
الى لون اخر ثم قال اى النبى صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم احبس اى الما حتى
يبلغ الجدار اريد به هنا ما وضع حول المزرعة من البنا او اريد به اصل الجدار وروى
بالضم جمع جدار وبذال المعجمة من جدر الحساب بالفتح والكسر اراد به مبلغ تمام
السقى مستوفيا لحق الزبير فالجواب ـــــ انه صلى الله عليه وسلم
منزه اى مبرء ومبعد عن ان يقع بنفس مسلم منه امر يريب اى ولا يظن به صلى الله عليه وسلم
انه يصدر منه ما يسوء احدا او يزعجه ويولمه من رابنى هذا الامر وارابنى اذا رايت
منه ما تكره ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اى بعثه ودعاه اولا بقوله
اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين الى الاقتصاد على بعض حقه على طريق المتوسط بين
الافراط والتفريط وعلى وجه الصلح فلما لم يرض بذلك اى الذى ندب الزبير اليه
الاخر اى الانصارى بقضاء رسول الله له على الزبير وطلب وذلك مما لم يجب بل ولا
يجوز ان يقال له فى حقه صلى الله عليه وسلم استوفى جواب لما اى اخذ النبى صلى الله
عليه وسلم حقه تاما وافيا وذكر فى الحديث اى البخارى فى اخر حديث الزبير مع
الانصارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وقد جعل المسلمون
هذا الحديث اى حديث الزبير مع الانصارى اصلا فى قضية اى الزبير فى باب الصلح
على التساهل فيما بينهم بترك المحكوم له بعض حقه وان سقط المحكوم عليه واتمم
الحاكم فى حكمه الحق استوفى الحاكم للمحكوم له حقه كحكمه صلى الله عليه وسلم للزبير اذ قد
استوفى له حقه اذ اغضبه الانصارى وقبه ويوخذ منه الاقتدا به صلى الله
عليه وسلم فى كل ما فعله فى حال غضبه ورضاه وان كان صلى الله عليه وسلم قد
نهى فيما رواه الشيخان عن ابى بكرة ان يقضى القاضى وهو غضبان جملة حالية
افادت ان القاضى غير معصوم فلا يقضى حال غضبه بخلافه صلى الله عليه وسلم
فان فى حكمه فى حال الغضب والرضى سوا لكونه فيهما اى الغضب والرضى معصوما

لا يصدر

لا يصدر عنه حيف ولا جور مما لا يليق بجنابه الكريم وغضبه فى هذا اى فى امر
الزبير مع الانصارى انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء فى الحديث الصحيح المتقدم
انه كان لا يغضب الا لله وكذلك ورد فى الحلية لابى نعيم عن ابن عباس الحديث
فى افادته مصدر مضاف الى فاعله اى ام عائشة ان تغيض لنفسه من نفسه
صلى الله عليه وسلم لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه اى على تعمد بل وقع فى الحديث نفسه
اى حديث قوله وضل منى بالغضب فلا ادرى احمدا كان ضربك لى ام اردت ضرب
للناقة فضربتنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اعيذك اى احفظك فى حفظ الله وكنفه
يا عائشة ان يتعمد رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت من الخطاب الى الغيبة
استدعا بذكر اسمه صريحا موضع ضميره لان انه اول مترددى عائشة وجزم
ما بينهما وكذلك فى حديثه الاخر مع الاعرابى ولا ادرى من رواه حين طلب اى
النبى صلى الله عليه وسلم الاقتصاص من نفسه الشريفة للاعرابى فقال الاعرابى له
صلى الله عليه وسلم قد عفوت اى تجاوزت عنك ولم اواخذك بضربك لى وفى
حديث ابى بكر سلوا الله العفو والعافية والمعافاة الدايمة فالعفو محو الذنب
بترك المواخذة والعافية الصحة من الاسقام والبلايا والمعافاة ان يعافيك
الله من الناس وهو السهل المتيسر اى ارم اى يحتمل اخلاقهم ويقبل منهما ما سهل
وتيسر ولا يستقضى عليهم وكان صلى الله عليه وسلم قد ضربه اى ضرب الاعرابى
بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد مرة علة لضربه والنبى صلى الله عليه وسلم ينهاه
كل مرة من تعلقه بزمامها اورد ينهاه مضارعا كانه يرى سامعه حالة تعلقه
به تعجيبا له منه واستدعا لانكاره عليه وتقبيحه فعله ومثله قوله ويقول
له حيث اورده مضارعا نبصرا للسامع حال اهتمامه صلى الله عليه وسلم ببيانه
تعجيبا له من قوله له تدرك حاجتك وهو يابى قبول قوله ذلك له فضربه ثلاث
مرات بعد ظرف غاى وقطع عما اضيف هو اليه منويا اى بعد نهيه له وقوله
تدرك حاجتك ولا يتوهم ان ضربه له كان انتقاما لنفسه بل كان تاديبا له
وتشريعا وارشادا له ولغيره اجتناب مثل ذلك عند لقبحه وهذا اى ضربه
الذى وقع عليه منه صلى الله عليه وسلم لمن لم ينزجر ويرتدع ويقف عند نهيه
ويرى انه صواب وموضع ادب يقتبس منه ويستضا به لكنه صلى الله عليه وسلم
اشفق اذ كان حق نفسه علة لاشفاقه واعتراض بين اشفق ومتعلقه اعنى
من الامر اى الشاذ والحال ان افاد ان ضربه له انما كان من اجل كونه حق نفسه
هذا وحاشاه ان يكون ضربه من اجل ذلك بل لما ذكرناه انفا حتى عفا اى الاعرابى
عنه صلى الله عليه وسلم غاية للاشفاق من امر ضربه للاعرابى وان كان تاديبا
وزجرا له عن تعلقه بناقته مع نهيه له عنه واما حديث سواد بن عمرو بن عطية
الانصارى الذى رواه ابو القاسم البغوى فى معجم الصحابة وابن سعد
وعبد الرزاق فى جامعه عن الحسن اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وانا متخلق
الواو للحال وقدم المسند اليه للتاكيد اى اتيته حال تخلقى بالخلوق هو طيب
مركب من زعفران وغيره وقد ورد الخبر باباحته وبالنهى عنه وهو الكثر والظاهر

عائشة منه صلى الله عليه وسلم
ان عائشة قالت له
اى للنبى صلى الله
عليه وسلم

والظاهر انه ناسخ لاباحته لانه من طيب النسا وهن اكثر استعمالا له فقال ورس ورس
انكارا للتخلقة به وهو نبت اصفر يصبغ به فخطط وغشيني بقضيب في يده
اي ضربني به في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله اي اسالكه فكشف لي
عن بطنه لا قتص منه وهذا منه صلى الله عليه وسلم غاية الانصاف مع كونه
اولى بالمؤمنين من انفسهم وانما ضربه لمنكر راه عليه تاديبا وزجرا له عنه
ولعله صلى الله عليه وسلم لم يرد بضربه الا تنبيهه على ما راه عليه مما لا يليق فلما كان
اي وجد ابجاع لم يعتمده بضربه اياه طلب اي النبي صلى الله عليه وسلم التحلل منه
بالعفو عنه فصل واما افعاله الدنيوية فحكمه مستد اليها اي في افعاله
الدنيوية الصادرة عنه من توقي المعاصي بيان لحكمه او حال من ضميره اي
متقيا ومجتنبا لما من وقى الشي يقيه اذا تجنبه او صانه وستره عن الاذى
وفي حديث معاذ واتق كرايم اموالهم اي تجنبها ولا تاخذ منها في الزكاة
شيا لكرامتها على اصحابها وعزتها عندهم واصل اتقى اوتقى قلبت الواو
يا لكسر ما قبلها ثم ابدلت تا ثم ادغمت والمكروهات جمع مكروه تنزيها
لشمادة العطف وهو ما ورد فيه نهي مخصوص فان استفيد من عموم
النهي عن ترك المندوبات فخلاف الاولى ما قدمناه خبر المبتدا اي من عصمته منها
وان كان قد صدر منه فعل بعض المكروهات كشربه وبوله قايما لعذر فيه عنهما
فانه بيان للجواز وحكمه فيها من جواز السهو والغلط في بعضها اي افعاله
كتسليمه من ركعتين احدى صلاتي العشا سهوا في حديث ذي اليدين ما ذكرناه
فيما مر او كله اي ما جاز صدوره عنه مما مر غير قادح في النبوة بل هو في حقه
فاضل غير مكروه بل ان هذا اي صدور ذلك عنه على الندور اذ عامة افعاله اي غالبها
بل كلها على السداد اي القصد في الامر والعدل فيه والاستقامة على جادة الحق والصواب
بل اكثرها اي اكثر افعاله او كلها جارية مجرى العبادات والقرب جمع قربة بما يتقرب
الى الله من ذكر وعمل صالح وفي حديث صفته هذه الامة في التوراة قربانهم دماؤهم
اي يتقربون الى الله باراقة الدماء في الجهاد وكان قربان غيرهم من الامم ذبح بهيمة
الانعام وقربان فعلان مصدر قرب يقرب على ما بينا فيما من جريانها مجرى العبادات
والقرب اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها اي من افعاله الدنيوية لنفسه
الا ضرورية وما يحتاج اليه يقيم وامن جسمه وبغية قوته وفيه مصلحة ذاته
التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ببيان احكامها وتنفيذها والدعوة الى
الايمان والعمل بها ويسوس امته بتولية امورهم وقيامه عليهم بما يصلحهم
وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك اي من افعاله الدنيوية فبين معروف
بين الناس بما لا ينكرونه من احسان منه اليهم وحسن صحبته مع اهله واصحابه
او بر يوسعه على محتاج اليه او كلام حسن يقوله الذي يصغي اليه او يا تاه فيلين
قلبه الى ذكر الله او يسمعه من غيره فيسر به او تالف شارد نافر خارج عن طاعة
الله وطاعة رسوله فيداريه ويستحليه ليثبت ويثبت قلبه على الاسلام
كما وقع له مع صفوان بن امية اعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فاسلم

وحسن اسلامه وقالت لقومه ان محمدا يعطي عطا من لا يخشى الفقر والله ما كان على
وجه الارض نسمة ابغض الي منه فلم يزل يعطيني حتى ما راحب الناس الي ولعطي
الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الابل وقالت اي اعطى رجالا
حديثوا عهد بكفر اتالفهم او قهر معاند بغلبته صلى الله عليه وسلم عليه لزيغه عن قصد
الاستقامة ورده الحق باطلا تكبرا وعتوا كبيرا ومدارات حاسد بملاينته وحسن
صحبته واحتمال اذاه وفي الحديث راس العقل بعد الايمان بالله مداراة
الناس وكل هذا اي ما كان بينه وبين الناس لاحق بصالح اعماله صلى الله عليه وسلم
مع كونه مزايا نفعها متعديه الى غيره منتظم في زالي وظايف عباداته صلى
الله عليه وسلم شبهها لتناسقها وتناسبها في النفع لكونها وجوه خير بخرز
نظم في سلك نامي صالح اعماله وقد كان صلى الله عليه وسلم يخالف في ما يخص
من افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال العارضة له ويعد من اعدا
بهي للامور اشباههما فيركب في تصرفه وتوجهه لما قرب الحمار اذ لا كلفة في ركوبه
مع ايذانه بنفي التكبر عنه صلى الله عليه وسلم وفي اسفاره الراحلة لصبرها
على مشقة الاسفار ويركب البغلة في معارك الحرب لشجاعته وقوة قلبه
فكان ركوبه دليلا على الثبات فيها مع كونها لا تصلح للكر والفر كان على كنا اذا اشتد
الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه لنا وقاية من العدو
وقيل للبرا افررتم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر
ويركب الخيل ويعدها اي يهيئها ليوم الفزع هو في الاصل الخوف استعير للاغاثة
والنصرة اذ من شانه الاغاثة والدفع عن الحريم فيركبها لسرعة الاغاثة بها واجابة
الصارخ اي المصوت للاعلام بحادث للاعانة عليه وكذلك يفعل العقلا من امور الدنيا
مساعدة مفعول له ما فعله من امور الدنيا معاونة لامته وسياسة وكراهة خلافها
اي لمخالفة امته وان كان قد يرى غيرها خيرا منه اي من تركه وقد يفعل هذا اي ما يرى
تركه خيرا من فعله في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه دون الاخر فعلا او
تركا كخروجه باصحابه من المدينة لاحد لمحاربة ابي سفيان من حرب وقريش به وكان
مذهبه والخيرة له التحصين بها ولا يخرج منها وتركه قتل المنافقين جمع منافق
وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب باسمه الخاص وهو من يخفي كفره ويظهر اسلامه
وان كان اصله في اللغة معروفا وهو من خلاف ما يظهر يقال نافق ينافق
منافقة ونفاقا من النافقا احدى باب حجر اليربوع اذا اراد الحارس ان يصيده
من بابه الاصلي اذهب انه قد اقبل عليه ثم نكص هاربا الى نافقائه فيخرج منه
وهو على يقين من امرهم في النفاق وذبا من وفرخ في ضمايرهم موالفة لغيرهم
ممن يرجى مخالطته بشاشة الايمان في قلوبهم تفاديا من نفرتهم عنه بقتلهم
ورعاية عطف على موالفة وكلاهما مفعول من اجله بترك قتلهم ملاحة للمؤمنين
من قرابتهم وحفظا لخواطرهم وكراهة لان يقول الناس اخبارا عنه صلى الله عليه وسلم
ان محمدا يقتل اصحابه كما جا في الحديث فيما رواه البخاري في قصة راس النفاق
وعلمه عبد الله بن ابي وقوله في غزوة بني المصطلق بالمريسيع لئن رجعنا الى المدينة

ليحرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله فسمعه زيد بن ارقم وهو حدث فقال له انت والله الذليل المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن وقومه ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب وقال فان كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فمر به سعد بن معاذ او محمد بن مسلمة او عباد بن بشر فليقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وتركه اي النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن عايشة بنا الكعبة على قواعد ابراهيم التي بناها هو وابنه اسماعيل عليهما مراعاة لقلوب قريش مفعول لاجله ترك بناها على ما عليه الان وتعظيمهم لتغييرها عن هيئتها التي بنوها عليها وحذرا من نفار قلوبهم اي تولبهما عن قبول الخير وحذرا من ترك ما ستقدم عدا وتهم للدين واهله فقال لعايشة لولا حدثان بكسر اوله مصدر حدث يحدث حدوثا وحدثانا اي قرب عهد قومك بالكفر والخروج والدخول في الاسلام ولم يثبت في قلوبهم لاتممت البيت بادخال الحجر بكسر الحا فيه على قواعد ابراهيم التي بناه عليها وقد كانت قريش اخرجت الحجر منه حين قصرت بهم النفقة فلما بلغ عبد الملك حديث عايشة هذا قال لبيتنا تركنا ما ابن الزبير وما صنع وكان صلى الله عليه وسلم يفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله كما مر ان الحباب بن المنذر هو الذي اشار عليه به من ادنى مياه بدر الى اقربها من العدو من قريش وتغويره صلى الله عليه وسلم ما استغنى عنه من العيون تضييقا عليهم لجراتهم على الله ورسوله وعتوهم وكقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدى معي ولا قلدته واشعرته اذ يقتله ذلك لزمه ان لا يحل حتى ينحره ولا ينحر الا يوم النحر فلا يصح له فسخ الحج بعمرة ومن لم يكن معه له هدى لا يلزمه ذلك بل له فسخه بعمرة وانما قال ذلك تطييبا لقلوب اصحابه وحذرا من ان يشق عليهم ان يحلوا وهو محرم وليعلموا ان قبول ما دعاهم اليه من فسخه بعمرة افضل وانه لولا الهدى لفعله وكان صلى الله عليه وسلم يبسط وجهه كناية عن الابتشاش طلقا متهللا للكافر والعدو رجا استيلافه ليسلم ذلك وياتس هذا ولا ينفر ويصبر للجاهل على فراطه عتوا وتكبرا ويقول كما رواه الشيخان عن عايشة ان من اشرار الناس من اتقاه الناس اصله اوتقاه قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ثم ابدلت تاء وادغمت اي من تحفظوا منه وسالوه موادعة له لشره اي من اجله ويبذل بذال معجمة اي يعطي من ذكر الرغايب جمع رغيب وهو في الاصل الواسع يقال واد رغيب وحوض رغيب اي يبذل العطا كثيرا وفي الحديث افضل العمل منح الرغايب لا يعلم حسبان اجرها الا الله تعالى هي الابل الواسعة الدر الكثيرة النفع ليحبب اليه شريعته اي ما شرعه الله لعباده من الدين اي اظهره وبينه وسنه لهم وافترضه عليهم ويحبب اليه دين ربه الذي دانهم به اي قهرهم على طاعته يقال دنتهم فدانوا اي قهرتهم فاطاعوا ويتولى في منزله ما يتولى اي يقوم فيه تواضعا منه صلى الله عليه وسلم بما يقوم به الخادم من مهنته اي مهنة منزله بفتح اولهما هي الرواية قال الزمخشري كسرها عند الاثبات خطا وقال الاصمعي هي بفتح الميم الخدمة ولا تكسر وكان القياس ان ترد مثل جلسة وخدمة الا انما وردت على فعلة واحدة ويتسمت من السمت وهو الهيئة

المسنة

المسنة اي يلتحف في ملاته بضم اوله والمداي ازاره حتى لا يبدو اي يظهر منه صلى الله عليه وسلم شيء من اطرافه لفرط حيائه اذ كان اشد حياء من العذراء في خدرها وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير تادبا وتوقيرا له وسكونا ورزانة منهم اذ لم يكن عندهم طيش ولا خفة لان الطير لا تقع الا على ساكن ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم اي بمذاكرتهم ايام داو اوايلهم الماضين وما جرى بينهم كيوم بعاث كان قبل الاسلام فيه حرب بين الاوس والخزرج او بحديث اول متكلم منهم ويتعجب بما يتعجبون منه مما يطرا لهم ويعظم موقعه عندهم ويخفى عليهم سببه تانيسا لهم واستجلابا لخواطرهم ويضحك مما يضحكون منه مما يكون منشا للضحك مباحا قد وسع الناس بشره بطلاقة وجه وبشاشة خاطر وسعهم عدله لا يصدر عنه حيف على احد ولا ميل عنه ولا يستفزه الغضب اي لا يستخفه ولا يحمله على انتقام من احد الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله يقول ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين باضماره في نفسه خلاف ما يظهره فاذا اوما بعينه كما مر فقد خالف ظهور تلك الحالة من جملة العين يسمى خاينة الاعين قال تعالى يعلم خاينة الاعين اي ما يجولون فيه من مسارقة النظر الى ما لا يحل والخاينة بمعنى الخيانة فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعايشة في الداخل عليه هو عيينة بن حصن الفزاري كما رواه البخاري ومسلم عنها بيس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول اي سهله بلطف وخشوع ووقار وضحك معه فلما ذهب من عنده سالته عايشة عن ذلك الذي صنعه معه من الانة القول له وضحكه معه قال ان من شر الناس جواب لما من اتقاه الناس لشره اي من اجل شره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن اي ما يضمر ويقول في ظهره لبعدها به ما قالت بيس ابن العشيرة فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم من الانة القول له وضحكه معه كان استيلافا اي تالفا ومداراة له ولمثله من اجلاف العرب وعتاتهم وتطييبا لنفسه ازالة لما ينفره عن الانقياد والاذعان للاسلام ليتمكن ايمانه وتخالط بشاشته قلبه ويدخل في الاسلام بسبب اتباعه واشياعه ومطاوعوه ويراه مثله في الجلافة والعتو فينجذب وينقاد مذعنا الى الاسلام ومثل هذا الذي قاله في ظهره بعد ذهابه على هذا الوجه اي وجه الاستيلاف قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية بتوليه صلى الله عليه وسلم امور الناس وقيامه عليهم بما يصلحهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يستالفهم باموال الله العريضة الكثيرة جدا فكيف لا يتالفهم بالكلمة اللينة بل كان يتالفهم عما وانكار نفي التالف بهما افاد اثبات تالفهم عما والفا انباءت عن شرط مقدر اي اذا كان يتالفهم بما ذكر فهي بالاولى ان يتالفهم بهما فاصغوا في ابن امية بن خلف الجمحي لقد اعطاني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي غاية لورود محبته عليه وعظمتها من قلبه لا لعطائه صلى الله عليه وسلم لما كان جزيل مواهبه فايضا في كل اوان بكل زمان له ولغيره عفوا بلا سؤال بسماداه قوله لام سلمة وقد قالت له اراك ساهم الوجه امن علة قال لا ولكن السبعة دنانير التي

ايتنا بها امس بتيتها في حضر الفراش فبت ولم اقسمها جفوا لاحق بما قيل في حزم
صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عني وعاوده ظني فلم يخب *
كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج في الطلب *
وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم فيه اي في عيينة بن حصن الداخل عليه
بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه من لوم الطباع وخشية
النفس لمن لم يعلم بحاله ليحذر حاله ويحترز منه ولا يثق بجانبه كل الثقة لا سيما وشانه
وحاله انه كان احمق مطاعا متبوعا لقومه لا يالون جهدا في طاعته ومثل هذا
اي قوله صلى الله عليه وسلم بئس ابن العشيرة اذا كان يقال لضرورة ودفع
مضرة واذا لم يكن ذلك القول بغيبة بل انتقال كان جائزا بل كانت واجبا
في بعض الاحيان جمع حين وهو الوقت وفي حديث ـــــ الاذان كانوا يتحينون
الصلاة اي وقتها كعادة المحدثين اي رواة حديثه صلى الله عليه وسلم في
تجريح الرواة بكذب او تدليس او سوء حفظ او غيره وعادة المزكين في تجريح
الشهود بالطعن في الفريقين وردة قولهم وعن بعض التابعين كثرت هذه
الاحاديث واستمرجت اي فسدت وقلت صحاحها حتى احوجت اهل العلم بها
الى جرح بعض رواتها ورد روايته وعن عبد الملك بن مروان وعظتكم فلم تزدادوا
على الموعظة الا استمراجا اي الا ما ورثكم الجرح والطعن عليكم فان قيل
فما معنى المعضل اي المعنى سده الضيق حيلة في الخروج عن عهدته من ما اعضلني الشي
اذا اعياني الوارد في حديث بريرة الذي رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم
لعائشة والحال انها قد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولا
اي ولا عتقها فانهم كاتبوها فعجزت فاتت عائشة تستعين بها فقالت ان اراد
اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك ويكون ولاؤك لي فابوا فقال اي النبي صلى
الله عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولا هذا هو المعضل ففعلت اي اشترتها
وشرطت لهم الولا واعتقتها ثم قام اي النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال
ما بال اقوام اي ما حالهم وشانهم يشترطون شروطا ليست في كتاب الله عالم يرد
شرعيتها احكاما ليعمل بها كل شرط ليس في كتاب الله اي ولا في سنة رسوله
صلى الله عليه وسلم فهو باطل غير معتد به والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها
بشرائها بالشرط اي بشرط الولا لهم وعليه باعوها معتمدين ولولاه اي لولا شرط
الولا لهم ما والله اعلم اعتراض من لولا وجوابها افاض تفويض علم ذلك اليه تعالى
لما باعوها من عائشة لم يبيعوها قبل ظرف غائي قطع عن مضاف اليه
منويا اي قبل بيعها بدون شرط الولا الا ان يكون لهم حتى شرطوا ذلك عليها
غاية لعدم بيعها منها بدونه ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو اي والحال انه صلى
الله عليه وسلم قد حرم الغش والخديعة قلنا امره لها ان يشترط لهم الولا ليس غشا
ولا خديعة بل تسجيلا عليهم والزاما لهم الحجة باقامتها عليهم تبكيتا لهم
واظهارا لقبح صنيعهم وبيانا لحرمته تشريعا منه ليزجر غيرهم عنه
وايضا فانه اكرمه الله اعتراض دعائي افاد الدعاء لكل من يتصدى لتوجيه الامر

اليه باكرام الله له ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه في محل نصب لسدها مسد مفعولي
اعلم انه مبرا مبعد عما يقع في مثال الجاهل وخاطرهم من هذا اي من كون امره لها بشرطه
لهم غشا وخديعة بل لما ذكرناه على القول بثبوت زيادة امره لها ان يشترطه
لهم وليتنزهه صلى الله عليه وسلم عن ذلك على القول بعدم ثبوتها ما قد انكر فاعل
ينزهه قوم هذه الزيادة التي هي قوله لعائشة اشترطي لهم الولا اذ ليست في اكثر
طرق الحديث اي حديث بريرة ومع ثبوتها فلا اعتراض بها اذ قد تقع لهم بمعنى
عليهم وكفاك شاهدا لصدق ذلك ما قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال
وان اسأتم فلها اي عليهم وعليها وعلى هذا القول بان لهم بمعنى عليهم لشهادة
الايتين فالمراد اشترطي عليهم الولا لك فانما هو لمن اعتق ويكون قيام النبي صلى الله
عليه وسلم ووعظه زجرا وردعا لما سلف لهم من شرط الولا لانفسهم قبل ذلك اي
قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لهم ولغيرهم انه لمن اعتق لا ينتقل الا بالارث
ومن ثم نهى صلى الله عليه وسلم عن بيعه وهبته وهجنا ان اورده جوابا عن قوله
صلى الله عليه وسلم لها اشترطي لهم الولا ان قوله اشترطي لهم الولا ليس
واردا على معنى الامر وان كان صيغة امر اذ كثيرا ما ترد ولا يراد بها الامر
لشهادة كن فيكون فانه ورد تمثيلا لسرعة التكوين بمجرد الارادة
بدون قول كن خلافا للماتريدي وشيعته اذ التكوين عند الاشعري وانما
امر اعتباري يعقل عند تعلق القدرة بالمقدور لكن انما ورد قوله لها اشترطي
لهم الولا على معنى التسوية بين ان يشترط ولا لشهادة ما ورد في بعض طرقه
اشترطي ولا تشترطي فانما الولا لمن اعتق وانما ورد ايضا على معنى الاعلام
بان شرطه لهم لا ينفع لعدم وروده ما يجيزه بعد بيانه صلى الله عليه وسلم لهم قبل
اي قبل قوله لها اشترطيه لهم ان الولا لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم
قال اشترطي او لا تشترطي ان تشترطه فانه شرط غير نافع لعدم انتقاله بالبيع
والى هذا ذهب ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود الداودي
وغيره من العلماء وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم اي تحقيره وتقبيحه لهم وتقريعه
لهم على ذلك اي على امتناعهم من بيعها الا ان يكون لهم الولا يدل على علمهم به اي ببيان
شرطه لهم غير نافع قبل هذا اي توبيخه وتقريعه لهم الوجه الثالث
معنى قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اشترطي لهم الولا اي اظهري
لهم حكمه انه لمن اعتق لا يتخطاه الى غيره وان شرطه له ويبين عندهم سنته اي طريقته
وحاله التي يرد عليها ان الولا لمن اعتق وان شرطه لغيره كما تقدم مرارا وردت
السامة والضجر ثم بعد هذا اي بعد شرط الولا لهم قام اي النبي صلى الله عليه وسلم
مقاما مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه من ان شرطه لهم لا يجري نفعا فان
قيل فما معنى فعل اي نبي الله بن نبي الله بن نبي الله ابن نبي الله يوسف بن يعقوب
بن اسحاق بن خليل الله ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم باخيه بنيامين
اذ جعل السقاية التي كانت يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به يتعاطى منهما
على دسها في رحله ليتاتى له اخذه في دينهم بجعله سارقا اذ كان حكم السارق في

الا يسترق سنة فلما استفتوا فى جزائه قالوا فهو جزاؤه تقريرا للحكم اى فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه و لما اخرجت من رحله اخذه باسم سرقتهما ظاهرا اخراجها من وعائه وما جرى على اخوته فى ذلك من الاستحيا وفرط الخجل و لوعة الوجل لتوسمهم بالسرقة والكذب المنافيين لحالهم الكريمة وسماتهم الجميلة مما اذن بامتحانهم فى كرتى مجيئهم كردهم بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم ودخولهم وافواه رواحلهم مكفوفة حذرا من ان تاكل لاحد زرعا او طعاما ومداخلتهم الملك وقد علموا منهم ذلك ومن ثم استشهدوا بعلمهم اذ قالوا لهم انكم لسارقون فلم يسرقوا بقولهم تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فاعلم اكرمك الله ان الاية المؤذنة بجعله السقاية فى رحل اخيه تدل على ان فعله يوسف كان ناشيا عن امر الله له به لقوله تعالى كذلك اى مثل ذلك التدبير كدنا ليوسف كيدا اوحيناه اليه لياخذ اخاه فى دين ابيه حيث ما كان له صلى الله عليه وسلم لياخذ اخاه فى دين الملك اذ كان من دينه ضرب السارق وتغريمه مثل ما سرق دون الاسترقاق الا ان يشاء الله جعل ذلك الحكم حكم ملك مصر فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشية الله واذنه فاذا كان ذلك باذن الله وتعليمه فلا اعتراض به على اى وجه كان فيه مما وقع ما فيه وايضا فان يوسف صلى الله عليه وسلم كان اعلم اخاه بنيامين انى انا اخوك فلا تبتئس اى لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وروى انه قال ليوسف فانا لا افارقك فقال لقد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل فقال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم اقول لك سرقته ليتأتى لى ردك الى بعد تسريحك معهم قال افعل فكان ما جرى عليه بعد هذا عن وفقه ورغبته فى اقامته عند اخيه شقيقه يوسف وكان على يقين من عقبى الخبر التى كانت بعد فراقهما ابيهما هى اجتماعهما به وما ترتب عليهما من حبور لربه اى لبنيامين بشقيقه يوسف وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك اى بموافقته ليوسف ورغبته فى اقامته عنده واما قوله تعالى حكاية ايتها العير اى اصحاب الابل ذوات الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجى انكم لسارقون فليس من قول يوسف صلى الله عليه وسلم فيلزم فى معنى المخبر لترتبه على منفى ولا يلزم كونهم عليه جواب كل شبهة هى لو كان من قوله لزمه ان يصفهم بما هو برى الله منه من كونهم سارقين موكدا بان واسمية الجملة فيحتاج الى الجواب لكنه لم يحتج اليه فلم يكن منه ولعل قائله انحسن له التاويل لانه انما من كان ظن على صورة الحال اذ ذلك اى ظن بعلمهما انهم سارقون نظرا لفعلهم قبل اى قبل الان بيوسف وبيعهم له وفيه ما فيه لانهم لم يسرقوه بل ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه بل القوه فى غيابة الجب ورجعوا ولا يلزم احدا من العلما الاعتذار عن زلات غيرهم اى غير الانبيا لعدم عصمته ولا يامن ان يقع منه ما يجوز

فصل فى بيان الحكمة فى اجرا الامراض على ظواهر ابدان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وابتلائهم بشجون البلا

وشوون الامتحان فان قيل فما الحكمة فى اجرا الامراض مما لم يؤلم من الاسقام ويبرم من الالام وشدتها عليه اى بنبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبيا على جميعهم افضل الصلاة وعليهم السلام واما الوجه فى ابتلائهم الله اى ابتلا الله اياهم به من البلا بيان لضمير به وامتحانهم بما امتحنوا اى اختبروا وجربوا به فصبروا على ما ابتلوا به كايوب صلى الله عليه وسلم ابتلاه فصبر حتى عافاه بر اذ ناداه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين ويعقوب صلى الله عليه وسلم ابتلاه بفقد يوسف صلى الله عليه وسلم صغيرا فلزمه الحزن بتتابعه عليه ثم بفقد اخيه شقيقه وضعف بصره من بكايه عليهما حتى ردهما عليه ويحيى صلى الله عليه وسلم ابتلاه بقتله وزكريا والده صلى الله عليه وسلم ابتلاه بنشره جزلتين وعيسى صلى الله عليه وسلم ابتلاه بارادة اليهود قتله وصلبه فنجاه من خبثهم وابراهيم صلى الله عليه وسلم ابتلاه بالقائه بالمنجنيق عريانا فى النار فكانت عليه بردا وسلاما ويوسف صلى الله عليه وسلم ابتلاه بفراق ابيه والقا اخوته فى الجب وبيعه ثم بالسجن بضع سنين وغيرهم من الانبيا صلى الله وسلم عليهم كنوح وهود وصالح وموسى وداود ابتلاهم بما نصه فى كتابه العزيز من قصصهم وهم اى فعل بهم ذلك والحال انهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه اجتباهم من بينهم لشرف ما بهم وكرم ثوابهم فاعلم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه وفقنا الله واياك اعتراض دعا لى ولمخاطبه ونوع من شعب البلاغة تنز بما ودعا وغيرها ان الله فعال اى الله تعالى تمت كلمة عدل وكلماته امرا ونهيا ووعدا ووعيدا او غير ذلك صدقا لا مبدل لكلماته اى لا احد يبدل منها شيئا بما صدق يبتلى عباده كما قال لهم ثم جعلناكم خلايف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اى لنظهر الكاين من عملكم حسنه وقبيحه شكره وكفره فنجازيكم على حسب عملكم و كما قال لهم الذى خلق الموت والحياة اى خلق ما يصح معه الاحساس او ما يوجب كون الشى حيا والموت عدم ذلك فيه فمعنى خلقهما ايجاد ذلك المصحح واعدامه او تقديرهما ليبلوكم اى ليعاملكم ايها المكلفون معاملة من يختبره بالتكليف ايكم احسن عملا مبتدا وخبر وقع موقع ثانى مفعول فعل البلوى المتضمن معنى العلم فاخرجه من باب التعليق لعدم وقوعه موقع مفعوليه سادا مسدهما اى ايكم اصوب واخلصه ومن ورد فوقنا احسن عقلا واسرع الى طاعة الله واورع عن محارمه والمراد اعطاكم الحياة التى بها تقدرون على العمل وتتمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو الداعى الى اختياركم صالحه لما وراه من البعث والجزا الوادع عن اختيار قبيحه ومن ثم قدمه على الحياة وام حسبتم ان تدخلوا الجنة لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى ولم يجاهدوا فنزل نفى علمه بجهادكم منزلة نفيه لانتفا العلم بانتفا معلومه الذى يتعلق به فهى نهى لم مع افادتها زيادة توقع الفعل فى المستقبل يقال وعدنى ان يفعل كذا ولم يفعل ولما بروانا اتوقع فعله فدلت هنا على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب بان مضمرة على ان الواو للجمع وقرى بالرفع على انها للحال واى ولما يجاهدوا وليست هذه الاية

مماساقه للابتدا ولنبلونكم بامرنا لكم بالجهاد والتكاليف الشاقة حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلوا اخباركم اى ما يخبر عن اعمالكم
من ايمان بالله ورسوله وموالاة للمؤمنين صدقا وكذبا فيظهر حسنها وقبحها
اذ الخبر بحسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح فاستجابه تبارك وتعالى
اياهم اى انبياءه او من ذكر فى الايات قبله بضروب من المحن اجناسا وانواعا
زيادة فى مكانتهم عنده تعالى وزيادة فى رفع درجاتهم اى مراتبهم العالية حسا
ورتبة واسبابا لاستخراج حالات الصبر قوة او ضعفا منهم عليها لتنعرف
كمالهم وعظم قدرهم عند ربهم والرضى منهم بما قضى عليهم من سرا وضرا والشكر
عليها والتسليم له تعالى والقبول لما فعل سبحانه والتوكل عليه تعالى والتفويض
فى جميع الامور اليه والدعا والتضرع منهم تفعل من الضراعة وهى التذلل
والتملق وتاليدا لبصائرهم جمع بصيرة وهى ما تدرك المعانى الباطنة كالباصرة
للمحسوسات الظاهرة فى رحمة الممتحنين بالبلاء اى فى رحمتهم لهم والشفقة
على المبتلين امتحانا واختبارا فيتسلوا بهم اى الممتحنون والمبتلون فى المحن
بما جرى عليهم اى على الانبيا ويقتدوا بهم فى الصبر هو الجرب المنتهى لمن احدقت به مكاره
دهر ليس عنهن مذهب • ويمحو الهفات فرطت منهم وحاشاه ان يفرط منهم شرا
وفسادا اوغفلات باستيلا شغل قلب سلفت لهم ليلقوا الله بابتلائه لهم
بذلك طيبين مهذبين اى مصفين بواطن مهذبين ظواهر وليكمل اجرهم عند
ربهم اكمل وثوابهم اوفر اى الكثر واجزل اى اتم والظاهر ان الاجر والثواب ما يكون
منه تعالى فضلا فى مقابلة صدقة لوجهه او صبر على بلا ونحو ذلك وقد يكون
الثواب بما يقابل به الصدقة وقد اسند هنا شاهد الكونهم صلوات الله وسلامه
عليهم اشد الناس بلاء من طريق الترمذى ورواه النسائى وابن ماجة
والحاكم عن سعد قلت يا رسول الله اى الناس اشد بلاء ثم الامثل فالامثل اى الافضل
فالافضل من غيره طردا او عكسا بشهادة الفا بترتيب الامثلية للاول
ثم للثانى او بالعكس يبتلى الرجل على حسب دينه وقدره فما يبرح ولا يزال
به البلا حتى يتركه يمشى على الارض ما عليه خطيئة اى ذنب يؤاخذ به وكما قال
تعالى وكاين اصله اى عربة الكاف والنون تنوين اثبت خطا خلاف القياس
اى وكم من نبى قتل والحال انه معه ربيون كثير اى ربانيون علما اتقيا او
عابدون لربهم جمع ربى منسوب الى الربة اى الجماعة للمبالغة فما وهنوا اى فتروا
وما انكسر حدهم لما وهنوا اصابهم فى سبيل الله من قتل نبيهم او بعضهم
وما ضعفوا بقتله عن جهاد عدوهم فى الدين وما استكانوا اى وما خضعوا
للعدو ليفعل بهم ما يريد وهذا تعريض بما اصاب الصحابة من الوهن بارجاف
من قال يوم احد الا ان محمدا قد قتل حتى استكانوا الى راس النفاق عبد
الله بن ابى فى طلب الامان لهم من ابى سفيان بن حرب والله يحب الصابرين
وينصرهم على اعدائهم وما كان قولهم الا ان قالوا اى الا قولهم ربنا اغفر لنا
ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا فى جهاد اعدائنا وانصرنا على القوم الكافرين

اى

اى وما كان قولهم مع ثباتهم وصلابة دينهم وكونهم ربانيين الا هذا القول اعنى
اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وان ما اصابهم الى سوء عمالهم هضما واستقصارا
لها وقدم الاستغفار على تثبيت الاقدام فى مواطن الحرب والنصرة على عدوهم
ليكون عن خضوع وزكا فيكون اقرب الى الاجابة وقدم خبر كان على اسمها لانه اعرف
لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فاتاهم الله باستغفارهم اياه تعالى والتجائهم
اليه ثواب الدنيا عزا ونصرا وغنيمة وطيب ذكر وحسن ثواب الاخرة لحضه بالحسن
ايذانا بفضله وبانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين اى كل محسن وروى
الترمذى وصححه عن ابى هريرة ما يزال البلا بالمؤمن فى نفسه وماله وولده حتى
يلقى الله غاية لنزوله به فيمن ذكر وما عليه خطيئة بمحوها به كرامة تعالى وفضلا
وروى الترمذى ايضا وحسنه عن انس اذا اراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة فى
الدنيا ليخرج منها وليس عليه ذنب يؤاخذ به واذا اراد بعبد الشر امسك عنه
بتعجيل العقوبة فيها بل يتركه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة فيجازى به او يعفى
عنه وفى حديث اخر رواه الديلمى عن ابى هريرة اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه
اى تذلله وخضوعه وحكى السمرقندى بسكون الميم والراء والنون ان اكرم من كان اكرم
على الله بلاؤه اشد من بلا غيره من اهل البلوى كى يتبين فضله على غيره
ويستوجب الثواب فضلا منه تعالى بوعده اذ لا يخلفه كما روى عن لقمان انه قال
لابنه يا بنى الذهب والفضة يختبران بالنار ليعلم طيبهما من خبيثهما والمؤمن يختبر
بالبلا ايصبر ام يضجر وقد حكى ان ابتلا يعقوب بيوسف صلى الله عليه وسلم كان سببه
التفاته اليه وهو كان فى صلاته اليه وهو نايم محبة له مفعول لاجله الا لتفاته ولا
اقول بان هذا سببه لنزاهته صلى الله عليه وسلم عن قطعه به كمال الاقبال على
ربه فيها وقيل بل اجتمع اى يعقوب يوما هو ويوسف مفعول معه على اكل حمل
مشوى بفتح المهملة والميم وهو الجذع من الضان له سنة او اقل وهما يضحكان
الواو للحال اى ضاحكين وكان لهما جار يتيم شم ريحه واشتهاه وبكا وبكت جدة
له عجوز لبكائه شفقة منها عليه وبينهما جدار ولا علم ليعقوب وابنه يوسف
به فعوقب بالبكا على يوسف الى ان سالت حدقتاه هذا وانما كما قال تعالى
ابيضت عيناه من الحزن ولم تسل حدقتاه والقول بانهما سالتا اسق واشد
انكارا له من القول بالتفاته فى صلاته مع ان الانسان لا يؤاخذ بما لم يعلم
سيما اذا لم يجب عليه فلما علم بكا اليتيم وجدته كان بقية حياته يامر
مناديا ينادى على سطحه الا من كان من الناس غنيا او فقيرا مفطرا فليتغد
عند آل يعقوب اى بنيه واهل بيته او عنده نفسه والاول اتم تعظيما لشانه
وعوقب يوسف بالسجن بضع سنين بالمحنة التى نص الله عليها فى سورته
ولقد همت به وهم بها وكنى عنه بالمحنة استهجانا للتصريح بما تضمنه وروى
عن الليث بن سعد ان سبب بلا ايوب النبى صلى الله عليه وسلم انه دخل مع اهل
قريته على ملكهم فكلموه فى ظلمه واغلظوا عليه فى القول له الا ايوب فانه رفق به
رفق من يرجو ويطمع انه يثمر رفقه نجح قصده فهو يجتهد بطوقه عسى انه يرتدع

عن طلبه لما انه رفق به مداهنة له محافظة على زرعه لنزاهة مقامه عن ذلك لأن
الله ان يبتلي من يشا بما يشا فعاقبه ببلايه محبة له واعظاما لاجره ورفعة
لمحله وارادة الخير لشهادة حديث من يرد الله به خيرا يصب منه اي يبتليه
بمكروه ليثيبه عليه وان سبب محنة سليمان لما ذكرنا فيما سبق من تنبيه في كون
الحق في جنب اصهاره لاختصامهم او للعمل بالمعصية في داره مما افترته اليهود
من اباطيلهم من انه قتل ملك صيداون واصطفى ابنته جرادة فاسلمت وكانت لا
يرقا لها دمع حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها كسوته
حيا وكانت تسجد له مع ولايدها كما كان في حياته ولا علم عنده فاخبره اصف بذلك
فكسر الصورة وعاقب جراده وهذه اي المحن التي امتحن الله بها انبياءه ليعظم
لهم من الثواب ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فائدة شدة
الوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ كان كما ورد يوعك كرجلان منا قالت عائشة
كما رواه الشيخان ما رايت الوجع على احد من الناس اشد منه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا و رويا ايضا عن عبد الله لعله ابن مسعود
او ابن عمر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا
فالم به الوجع وجعا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل بفتح اوله
وثانيه من اخوات نعم وبمعناه جوابا لقول عبد الله انك لتوعك اي نعم
كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك اي اجرى مرتان من اجل ان وعكك كوعك رجلين
وفي حديث ابن ماجة والحاكم عن ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله
عليه وسلم ليختبر حماه اشتد يده من ام لا فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال انا معشر الانبيا منصوب على الاختصاص او المدح
يضاعف لنا البلا اي يزاد وليس محصورا في الواحد يقال ضعف الشي يضعف
اذا زاد وضعفته واضعفته اذا زدته ان هي مخففة من الثقيلة لشهادة اللام
في خبرها وضمير الشان اسمها اي انه كان النبي ليبتلى بالقمل يا لمه حتى يقتله
لرفعة درجاته عند ربه وان كان ليبتلي بالفقر كذلك وان كانوا اي الانبيا
ليفرحون بالبلا كما يفرحون بالرخا لقوة يقينهم بعظيم ما ادخر لهم عنده ما لا عين
رات ولا اذن سمعت وروى الترمذي وحسنه عن انس عنه صلى الله عليه وسلم
ان عظم الجزاء مع عظم البلا بكسر المهملة وفتح الظا فيهما ويجوز ضمهما مع سكون الظا
فمن كان بلاؤه اعظم فجزاؤه اعظم وان الله اذا احب عبدا ابتلاه اختبارا له
وهو اعلم بالرضا لهم فمن رضي قضاه بما ابتلاه به فله الرضى من الله تعالى وجزيل
الثواب ومن سخط اي كره قضاه به ولم يرضه فله السخط واليم العذاب وقد قال
المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به اي عاجلا وذلك ان المسلم يجزى
بمصايب الدنيا فتكون له كفارة لشهادة قول ابي بكر حين نزل اي قوله من يعمل
سوا فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال اما تحزن اما تمرض اما تصيبك اللاوا قال
بلى يا رسول الله قال هو ذاك هذا لمن اراد له خيرا فانه يعجل له كما مر في حديث
السن عقوبته في الدنيا وقد يكون اجلا لمن اراد له شرا فانه كما مر فيه يمسك عنه

كما يوعك

وروى

وروى هذا اي قول المفسرين في من يعمل سوءا يجز به كما رواه احمد والحاكم عن عايشة
وابي ومجاهد وفي حديث البخاري قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد
الله به خيرا يصب منه روي مبنيا للفاعل وللمفعول اي ينزل به مكروها ليثاب
عليه وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم من رواية عايشة ما من
مصيبة ويقال مصوبة ومصابة وجمعها مصايب ومصاوب تصيب المسلم الا يكفر
الله بها عنه ذنوبه اي يكفرها الا هو حتى الشوكة يشاكها في جسمه فانه يكفر بها عنه
وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشيخين من رواية ابي سعيد ما يصيب
المومن من نصب اي تعب وفي حديث فاطمة بضعة مني ينصبني ما انصبها
اي يتعبني ما اتعبها ولا وصب اي دوام وجع ولزومه وقد يراد به التعب وفتور
البدن ومنه قول فارعة لاخيها امية هل تجد شيا فقال لا الا توصيبا اي
فتورا ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم يمنع نفسه من الخروج ومنه قول
عايشة لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه
فاذا اغتم كشفها عن وجهه حتى الشوكة يشاكها في عضو من اعضايه الا كفر الله بها
من خطاياه التي كان زلهما وفي حديث الشيخين عن ابن مسعود ما من مسلم
يصيبه اذى الا حات بمهملة ومثناة فوق مشددة اي ساقط الله عنه خطاياه
كما تحت اي الله ورق الشجر وفي رواية كما تحات عنه ذنوبه اي تساقطت
وورد ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضرا بين الشجر الذي تحات ورقه من
الضرب اي تساقط من الصقيع وحكمة اخرى في اجرا الامراض وشدتها على
اجسام الانبيا اوعصمتها الله في الامراض لاجسامهم وغيرهم ممن اراد به خيره
وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم فدى لهم بابي وامي لتضعيف
علة لفعل محذوف اذن به ما ذكر من الابتداع وتعاقب الاوجاع وشدتها اي فعل
ذلك من اجل ان تضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم ويخف
عليهم مونة النزع اي نزع ارواحهم واخراجها من ابدانهم وشدة السكرات اي
الغمرات التي تعروهم عند النزع بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس ومن ثم كان
خلاف موت الفجاة بضم الفا وفتح الجيم والمد وبفتحها وسكون الجيم والقصر
واخرم الذي يعرى ذا الحياة بغتة بدون تقدم سبب له وفي الحديث
موت الفجاة راحة للمومن واخذة اسف للفاجر اي غضب وسخط له كما يشاهد
من اختلاف احوال الموتى في الشدة التي تعتريهم عند النزع واللين والصعوبة
والسهولة بمعنى الاول وما قبلها بمعنى الشدة وفي الحديث من كذب علي
فقد اسمر على مكانه في جهنم اي سهل عليه تبوؤه واتخاذه وقد روى الشيخان
عن كعب بن مالك وجابر قال اي النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومن مثل
الخامة من الزرع اي الطاقة الغضة اللينة منه والفها منقلبة عن واو
لتحركها وانفتاح ما قبلها تفيوها الريح اي تحركها وتميلها هكذا وهكذا اي
من حيث اتتها كما في حديث مسلم من رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح
تكفوها فاذا سكنت اي الريح اعتدلت اي قامت الخامة على ساقها معتدله وكذلك

المؤمن يكفا بالبلا من حيث اتاه ومثل الكافر كمثل الارزة بسكون الراء وفتحها شجرة
الارزن وقيل الصنوبر صما معتدلة اى مكتنزة لا تخلخل فيهما ولا يمحاف حتى يقصمه
الله اى ياخذه بغتة بلا تقدم بلا ولا الم والقصم بالقاف كسر الشيء مع ابانة وبالفا
كسر بدونها ومعناه ان المؤمن مرزء مصاب بفقد احبته واعتبار احبته وبالبلا
والامراض بتصريفه مصدر مضاف لمفعوله اى بتصريف الله فيه وله بين كفه ان شاء
اى قدرها عليه مطاح اى منقاد مذعن لذلك الذى اصيب به لين الجانب برضاه اى
سهل الجانب بشدة حرارته وقلة سخط اى تضجره وتبرمه مما ارهقه من البلا
كالخامة خامة الزرع وانفيادها للرياح اى طاعتها لها وتمايلها لهبوبها وترجحها
بهبوب بعد زاى تمايلها وورد ايضا يقال ترجح فلان ترجحا اى ذبذبة مما عراه
من الوهن فى عظامه من الم او سكر او جزع وكان الاسود بن يزيد يصوم فى اليوم الشديد
الحر الذى يرجح فيه الجمل الاحمر اى به فيه من شدة حر وخص الاحمر لانه اصبر
قال يزيد الرقاشى المريض يرجح والعرق من جبينه يرشح وكان عبد الرحمن بن الحارث
اذا نظر الى مالك بن انس رضى الله عنه قال اعوذ بالله من شر ما ترجح اليه اى تحرك
له وطلبه من حيث اتتها من ميامنها قبولا او دبورا او شمالا او نكبا حارة او باردة
عاصفة او لينة عنها ولو اقح ازاح الله اى ازال وزنا ومعنى عن المؤمن رياح البلايا
وهى ما يعرو ذا الحياة من الشدايد امتحانا واختبارا واعتدل صحيحا كما اعتدلت
خامة الزرع عند سكون الرياح رجع اى المؤمن الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه
برفع بلائه عنه ونجاته منه كورقة الشجرة عنها منتظرا رحمته وثوابه عليه اى
على شكره ربه فاذا كان اى المؤمن بمنزلة السنبل من تواردا الرزايا وترادف
البلايا لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله فى اى وقت كان ولا اشتد عليه
سكراته ونزعه عند خروج روحه لعادته بما تقدم من مقاساة الالام ومعاناة
الاسقام ومعرفة ما فيهما من الاجر المترتب عليهما بالصبر عليهما وتوطين نفسه
على المصايب وعلى رقتها وضعفها لها بتوالى المرض وتماديه عليه وشدته
وان لم يتوال والكافر شانه وحاله بخلاف هذا المؤمن شانا وحالا فهو اى الكافر
معافى غالب حاله ممتنع بصحة جسمه اى متنعم بها كالارزة الصما التى لا جوف
لها ولا تاثر فيه لا يعتريه شيء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة اى
على حين غفلة من عاقبة امره فيكون عاقبته خسرا وعلى اخذه بغتة اى فجاة
من غير لطف ولا رفق بل بعنف وشدة تضرب الملايكة وجهه ودبره فكان موته
اشد عليه حسرة لمنيره لشدته اشد وكانت مقاساته مع قوة نفسه وصحة
جسمه اذ لم يرهقهما ما يضعفهما من الاسقام اشد الما وعذابا عند قبض روحه
ولعذاب الاخرة اشد اقتباس من القران الكريم من غير اسقار انه منه اذ
هو شرطه فقصمه لحينه على غرة كانجعاف الارزة وانقلاعها اذ لا تزال قايمة
على ساقها معتدلة لا يصيبها شيء حتى يقصمها بغتة وكما قال تعالى فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون اى غافلون باشتغالهم بامر دنياهم قال فكلا ممن ذكر
قبل من اعدايه اخذنا بذنبه فمنهم من كقوم لوط ارسلنا عليه حاصبا فى ذريع

عاصفة

عاصفة حصبهم به ومنهم كثمود من اخذتهم الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين
ومنهم كقارون من خسفنا به الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله
وما كان من المنتصرين ومنهم من كقوم فرعون كلهم اغرقنا فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون فلعجا اى الله جميعهم اى اخذهم كلهم بالموت على حال
عتو اى فرط تجبر وتكبر وغفلة عما اراد بهم وفجعهم به اى بالموت على غير استعداد
ولا متهيئين لعادهم ولهذا اى ولفجاته جميعهم على غير استعداد كره السلف من
ايمة الهدى موت الفجاة بضم الفا والمد وبفتحها وسكون الجيم والقصر وسن فى حديث
سعيد بن منصور فى سننه وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت عن ابراهيم النخعى و
التيمى كانوا يكرهون اخذه كاخذة الاسف بفتح همزتها والسين اى الغضبان اسفا
اذا اشتد غضبه يريد اى ابراهيم موت الفجاة المسماة بغتة وحكمة
ما لقيه فى اعتوار الامراض وشدتها على الانبيا وغيرهم من خلص عباده هى ان الامراض
كلها نذير الممات ولقدر شدتها اى الامراض شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من اصابته تلك الامراض قلبه معلقا بالمعاد اى ما يعاد اليه يوم القيامة فهو
اما مصدر او ظرف فيستنصل اى يتخلص ويتجنب من كل ما يخشى تبعاته بكسر الباء بمعنى
تبعته ومواخذته به من قبل الله وقبل العباد بكسر قافهما وفتح الباء اى من جهتهما
ويودى الحقوق المتعلقة به الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية بما ترك
الى من يثق به فيمن يخلفه من ولد ومال او امر بعهده الى من يريد وهذا نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم المغفور اللام فيه اسم موصول صلته مدخولها اى الذى
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اى جميع ما صدر منك وما سيصدر
مما يعد ذنبا بالنسبة الى علو مقامك وان لم يكن ذنبا حقيقة قد طلب التنصل
اى التخلص فى مرضه ممن كان له عليه مال دينا او قرضا او حق فى بدنه يورث
قصاصا وارشا واقاد من نفسه وماله اى اعطى القود منهما مستحقه وامكن
من القصاص من نفسه على ما ورد فى حديث الفضل بن عمه العباس كما مر اذ فيه
انه صلى الله عليه وسلم انه ضرب اعرابيا بعود كان بيده فقال يا رسول
الله القصاص غير مريد له فكشف له عن بطنه فالتزمه تبركا به وفى حديث
الوفاة كما مر واوصى بالثقلين كتاب الله وعترته لمشاة بين عيبته وراثيه
وسماها ثقلين اعظاما لقدرها وتفخيما لشانهما ولان الاخذ والعمل بهما ثقيل
اذ بهما صلاح الدنيا وعمارتها كما عبرت بالثقلين الانس والجن واوصى ايضا
بالانصار عيبته بلفظ الانصار كرشى وعيبتى اى خاصتى وموضع سرى جريا
على عادة العرب من كنايتهم عن القلوب والصدور بالعياب لانها مستودع
السراير كما ان العياب مستودع الثياب وهو جمع عيبة وعا من جلد يحفظ
فيه المتاع ودعا اصحابه فى مرض موته الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده
فاختلفوا وتنازعوا فقال دعونى فانه لا ينبغى عندى التنازع وذلك
اما فى النص على الخلافة او الله اعلم بمراده الذى اراد ان يكتبه ثم راى كما
تقدم ان السكوت عنه افضل وخيرا من كتابته وهكذا اى مثل ما مر عنه صلى الله عليه وسلم

من تنصل ووصية وغيرهما من سيرته سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه
المتقين تأسيا به صلى الله عليه وسلم وتمسكا بسنته وهذا اى ما ذكر من سيرة
عباد الله واوليائه اقتفاء لسيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم كله يحرمه غالبا الكفار
لانهم فى مقام املاء الله لهم اى امهالهم حتى تنصرم اجالهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم
استنزالا من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة درجة اى سنستدنيهم
قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم بتواتره
تعالى نعمة عليهم منهمكين فى غيهم كلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا
عصيانا فتدرجهم فى المعاصى بترادف نعمه ظنا منهم ان تواترها اثره وتقريب وانما هو
خذلان وتبعيد قال تعالى ما ينظرون اى ما ينتظرون الا صيحة واحدة هى النفخة
الاولى تأخذهم اى تبغتهم امنين غافلين عنها لا يخطر ببالهم وهم يخصمون
اى يختصمون فى معاملاتهم ومتاجرهم وغيرهما اى يخصم بعضهم بعضا واصل يختصمون
سكنت التاء بتنقل حركتها الى الخاء قبلها فى قراءة ابى عمرو واسلمها ثم ادغمت
ثم كسرالخاء فى قراءة غيره لالتقاء الساكنين فلا يستطيعون توصية فى شىء من امورهم ولا
الى اهلهم يرجعون بل يموتون حيث فجاتهم الصيحة ولذلك اى ولكون موت الفجاة
مذموما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو يعلى وابن ابى الدنيا عن انس
فى رحل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب تعجب وتعجيب من موته فجاة المحروم
من حرم وصيته تلويح بالحث على الوصية لئلا يحصل لمن مات فجاة حرمانها وذلك لانها
الا وصيته عنده اى ما الاحوط والاحزم له الا هذا وما المعروف فى مجارى
العادات الحسنة الا هذا الا انها فرض وقيل ان الله حكم على عباده بوجوبها
ثم نسخت المواريث وبقى حق الموصى فى ماله ان يوصى لمن اراد بما قدره بالثلث
وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث احمد عن عائشة بسند صحيح موت
الفجاة راحة للمؤمن من مقاساة سكرات الموت واخذه اسف اى غضب للكافر او
الفاجر شك من احد رواته اى المنهمك فى المعاصى والمحارم وذلك اى وكون موت
الفجاة لما ذكر لان الموت يأتى المؤمن وهو غالبا اى فى غالب احواله واوقاته
مستعد متهيئ له منتظر لحلوله به فيما ان ارم عليه كيف ما جاء وعلى اى وجه غشيه
وافضى الى راحته من ام الدنيا واذاها اى ضارا بيتما وبينما فضا متسع كما قال
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابى قتادة مستريح ومستراح منه
قيل ما هما قال اما المستريح فالمؤمن يموت فيستريح من نصب الدنيا واما
المستراح منه فالظالم يموت فيستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب
ويأتى الكافر والفاجر منيته من منى الله عليه بمعنى منيا اذا قدره اى موته سمى
منية لانه مقدر بوقت مخصوص على غير استعداد وتهيئ ولا اهبة ولا مقدمات
اما من قدم اللازم بمعنى تقدم فتكون دالها مكسورة او المتعدى فتكون مفتوحة
منذرة اى مؤذنة له بما اتاه من امور الاخرة مزعجة اى مقلقة له بل تأتيهم
بغتة مقتبس من سورة الانبياء اى فجاة فتبهتهم اى تغلبهم ويقال للمغلوب
فى المحاجة مبهوت فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون اى لا يمهلون وان كانت

الدنيا دار الامهال فكان الموت اشد شىء عليه وفراق الدنيا افظع اى اشق واشنع
امر صعب به اى اصابه شىء شديد واكره شىء له ارهقه والى هذا المعنى الذى يجاوب
نزعه ويقلقه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله كما رواه الشيخان عن عبادة بن
الصامت من احب لقاء الله برؤية ما له عند موته مما اعد له فى الجنة احب الله
لقاءه اى اراد مصيره اليه ومنحه ما عنده ومن كره لقاء الله برؤيته له عند موته
ما اعده له من سخطه كما ورد فى الحديث تفسيره بذلك كره الله لقاءه فلم يغفر لهم ولو
ولم يأنس بمرغوب

القسم الرابع

المتمم لاقسام الكتاب فى تعريف وجوه الاحكام الشرعية الموجبة حلول
النكال بمن تنقصه صلى الله عليه وسلم بما يؤذن بتحقيره وبتوبيخه وسبه اى شتمه
قد تقدم ما يجب من الحقوق جمع حق وهو الثابت اللازم من حق الشىء اذا ثبت
له صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير اى بتجبيل وتعظيم واكرام اعظاما
واحتراما وبحسب هذا بفتح سينه اى وباعتبار ما يجب له ويتعين حرم الله
اذاه فى كتابه الكريم وفرقانه القديم واجمعت الامة على قتل منتقصه
من المسلمين وسابه واما الكافر فلم يجمعوا على قتله اذا انتقصه او سبه
بل قالت بعضهم يقتل وقال بعضهم ينتقض عهده ثم يبلغ مأمنه قال الله
تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله باقترافهم ما يكرهانه ولا يرضيانه من
كفر ومعاص او يؤذون رسوله بانواع المكاره لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته
فى الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا لهم مع ايلامهم به وقال اى الله تعالى
والذين يؤذون الله ورسوله لهم عذاب اليم بايذائهم وقال وما كان اى ما صح
لكم ان تؤذوا رسول الله بفعلكم ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
اى بعد وفاته او فراقه لهن ان دخل بهن او لا تعظيما لشانه وتفخيما لامره ان ذلكم
كان عند الله عظيما اى ذنبا بليغا اذ ان لوجوب حرمته صلى الله عليه وسلم حيا
وميتا وبما به طيب نفسه وسرور قلبه واستقرار شكر ربه عليه وقال تعالى
فى تحريم التعريض له بدون تصريح بما لا يليق بشريف جنابه يا ايها الذين امنوا لا
تقولوا راعنا وقولوا انظرنا اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم ما تقوله
ونحفظ وان اليهود كان لهم كلمة يتسابون بها فلما سمعوا قول المؤمنين له
راعنا انتهزوا الفرصة وخاطبوه به كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك
اى الغه الينا ولا تغفل عنا واسمع منا او يعرضون بالكلمة يريدون الرعونة بمعنى اى
الحمق فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وامروا بما يؤدى معناها مما ليس فيه وهو
انظرنا بمعنى ليتأن وانتظرنا وقطع الذريعة اى الوسيلة بنهى المؤمنين عنها لئلا
يتوصل الكافر والمنافق الى سبه صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمة والاستهزاء به
وقيل انما نهاهم لما فيها من قلة بل من عدم الادب وعدم توقيره صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه الواجب له لانها فى لغة الانصار ارعنا نرعك فنهوا عنها لمشروطة رعايته

لهم فسمّوا عن ذلك اذ مضمونه انهم لا يرعونه الا رعايته لهم فكان ذلك موجبا لنهيهم
عنه وهو صلى الله عليه وسلم له الرعاية تامة بجامعه وتوقيرا له بكل حال في كل مكان وزمان
وقد نهى عن التكني بكنيته اي ابي القاسم فقال تسمّوا باسمي يعني محمدا لانه اشرف اسمائه
ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه مفعول لاجلهما علة نهيه عن التكني بكنيته
اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لما رواه الشيخان عن انس لرجل نادى يا ابا القاسم
فقال لم اعنك بذا اي انما دعوت هذا فنهى اي النبي صلى الله عليه وسلم عن التكنية
بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره الصادرة ممن لم يدعه لئلا يتخذ المنافقون والمستهزئون
يهود او نصارى او مشركون ذريعة اي وسيلة يتوصلون بها الى اذاه والازدراء به
احتقارا او انتقاصا له من زريت عليه زرايه اذا عبته وازريت به اذا قصرت
به وتهاونت فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا تعنيتا له بنون مكسورة
بعد العين فتاء مثناة تحتية فمثناة فوقية من العنت اريد به هنا الانكسار وادخال
المشقة عليه وذلك تعنيتا واستخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم على عادة المجان جمع
ماجن وهو من لا يبالي ما صنع واليه الاشارة باحد معنى حديث اذا لم تستحي
فاصنع ما شئت على عادة المستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل سبيل
ما يتطرق منهم اليه بكل وجه فلم يجعل لهم الى اذاه سبيلا فحمل محققو العلماء بلا دليل
شرعي مع ترجيح لا مرجح له نهيه عن هذا اي عن التكني بكنيته على مدة حياته واجازوه
اي التكني بها بعد وفاته لذلك لارتفاع العلة التي هي ايذاؤه بعدها هذا وليس ارتفاعها
بكاف في تجويزه بعدها مع صراحة عموم النهي المطلق عنه الشامل لما قبلها وما
بعدها كيف وقد غير عمر في خلافته اسما كثيرا من اولاد الصحابة ممن كان اسمه محمدا
بغيره كاسم ابن اخيه غيره بعبد الرحمن مع انه صلى الله عليه وسلم اذن في التسمية
به فلان يمتنع من التكنية بكنيته مع النهي عنها اولى ومن منعه بها مطلقا من اطلع
دون غيره على دقائق الكتاب والسنة اعني ناصر مذهب الشافعي بالشهادة قول محمد بن
الحسن صاحب ابي حنيفة لم تزل اصحاب الحديث نياما حتى ايقظهم الشافعي وللناس
في هذا الحديث اي حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي مذاهب ليس هذا موضعها والمشهور
منها ثلاثة تقدم اثنان والثالث الجواز مطلقا وحمل النهي على التنزيه ومما ذكرناه
من جوازه بعد وفاته هو مذهب الجمهور ورد الصواب بان الصواب المنع مطلقا لما ذكرنا
من صراحة عموم النهي المطلق وتغيير عمر اسما كثيرة من اولاد الصحابة ممن تسمى
محمدا مع اذنه صلى الله عليه وسلم في التسمي به اذ نهاه الله تعالى وذلك اي نهيه
عن التكني بكنيته في حالة انما كان على طريق تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم وعلى
سبيل الندب والاستحباب جمع بينهما لمغايرة بينهما اذ الندب عنده اكد من
الاستحباب لا على التحريم دعوى مجردة عن البينة لصدورها على خلاف الاصل
من ان نهيه انما كان للايذاء المؤذن بوجوب الكف عن التكني بها اذ الاصل حمل لفظ
النهي على حقيقته من التحريم حتى يقوم ما يصرفه عنها وقوله ولذلك اي ولكون النهي
عن التكني بها كان على طريق تعظيمه وتوقيره لم ينه عن اسمه اي عن التسمي به لانه قد كان
الله بدل من ضمير انه اي لانه الله قد كان منع من ندائه به اي باسمه بقوله لا تجعلوا دعاء

الرسول

الرسول اي نداءه باسمه بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي كنداء كل باسم الآخر وانما كان المسلمون
يدعونه بكنيته فيقولون يا ابا القاسم بعضهم بدل من ضمير يدعونه اي يدعوه
بعضهم بها في بعض الاحوال لا ينتهض بينه لصحة دعواه اي نهيه صلى الله عليه وسلم
عن التكني بها على طريق تعظيمه وتوقيره كنهي الله عن جعلهم دعاءه بينهم كدعاء
بعضهم بعضا على طريقهما لفقد الجامع بينهما لان ذلك انما ورد نهيه عنه لما كان
يترتب عليه من ايذائه صلى الله عليه وسلم وهذا لم يرد من اجل ترتب ايذائه بل
لاجل توقيره وتعظيمه فافترقا فكان ذلك موجبا للكف عنه تحريما وهذا تأدبا
له تعظيما وتوقيرا على دعواه مع ان الشافعي قد سوى بينهما في الحرمة
لان المتبادر من اللفظ في النهي وغيره الى الفهم هو الحقيقة اعني الحرمة لا سيما
الزم للنهي ومما كان الزم لشيء كان اقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ
وقد روى الحاكم والبزار وابو يعلى بسند حسن قال انس عنه صلى الله
عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه اي النبي صلى الله عليه وسلم وتنزيهه
اي تبعيد اسمه وتقديسه عن ذلك اي عن ان يتسمى به غيره اي تنزه اسمه صلى
الله عليه وسلم تنزيها له اذ لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم
استفهام انكاري حذفت همزته وافاد كراهة التسمية به بانكار الاقدام عليهما
وروي عن عمر انه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى مبنيا للمفعول احد باسم النبي صلى
الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري وحكى محمد بن سعد كاتب
الواقدي عن عبد الرحمن بن ابي ليلى انه اي عمر نظر الى رجل هو ابن اخيه ابوه
عبد الحميد بن زيد بن الخطاب اسمه محمد ورجل يسبه يقول له فعل الله بك يا محمد
وصنع وتمادى في سبه فقال عمر عند ذلك لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا
هي المنبهة على تحقق ما بعدها المركبة من حرفي تأكيد همزة استفهام انكاري
وحرف نفي والانكاري اذا عم نفيا اذهبه وزاد تحقيقا ومن ثم لا تكاد
تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم كان ارى محمدا يسب بك
والله لا تدعى محمدا ابدا ما دمت حيا تعظيما لاسمه كتسماه صلى الله عليه وسلم
وسماه اي سمى عمر ابن اخيه محمدا عبد الرحمن ثم ارسل الى بني طلحة بن عبيد
الله وهم سبعة اكبرهم وسيدهم اسمه محمد فاراد ان يغير اسمه فقال محمد بن
طلحة فوالله يا امير المؤمنين ان من سماني محمدا لمحمد فقال قوموا فلا سبيل
الى تغيير شيء سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا وروى ابن سعد
ايضا قال دخل عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي
على عمر بن الخطاب بن نفيل وكان اسمه موسى فسماه عبد الرحمن حين اراد
ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء الكرام عليهم بذلك اي بتغيير اسمائهم
وغير اسماءهم اي اسماء الانبياء او اسماء من تسمى باسمائهم وروي ان عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام كان اسمه ابراهيم فسماه عبد الرحمن وقال لا تسموا باسماء
الانبياء الكرام عليهم بذلك اي بتغيير اسمائهم وغير اسماءهم اي اسماء الانبياء او اسماء من تسمى
باسمائهم وروى ان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان اسمه ابراهيم فسماه

عبد الرحمن وقال لا تسموا باسما الانبيا ثم امسك اى عمر عن منعه من ذلك
والصواب جواز هذا كله اى التسمى باسمائهم وبعد رجوع عمر عن منعه منه وقد سمى
جماعة منهم اى من الصحابة ابنه محمدا الحديث سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى وكناه بابى
القاسم ممن اجل انه اى النبى صلى الله عليه وسلم اذن لعلى فى ذلك اى فى تسمية ولده
محمدا او تكنيته بابى القاسم رواه ابو داود والترمذى عن على بلفظ قال اى على
يا رسول الله ارايت ان ولد لى ولد بعدك اسميه محمدا او اكنيه بكنيتك قال نعم
وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اى ما اذن فيه لعلى اسم المهدى وكنيته
رواه ابو داود والترمذى وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ المهدى يواطى اسمه اسمى
واسم ابيه اسم ابى ولم ادر من زاد الكنية فى روايته وقد سمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم به اى باسمه محمد بن طلحة بن عبيد قيل وكناه بكنيته ومحمد بن عمرو بن حزم
ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصارى وغير واحد سماه صلى الله عليه وسلم
محمدا كمحمد بن خليفة قال الذهبى وكان اسمه عبد مناف ومحمد بن نبيط بن جابر
ولد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ومحمد بن معلا بن العلا وقال ما ضر احدكم
ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وفى نسخة وثلاثة وقد فصلت الكلام فى هذا القسم
اى الرابع وبه ختم الكتاب على ما بين كما قدمنا اوله فى التراجم الباب
الاول فى بيان ما هو فى حقه اى النبى صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض
بلا تصريح او نص صريح وما حكم من لوح اليه بشئ من ذلك اعلم وفقنا الله واياك
اعتراض بين اعلم وبين ما سد مسد مفعوليهما اعنى ان جميع من سبه صلى الله
عليه وسلم اى شتمه وفى الحديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
او عابه بما لا يليق به او الحق به نقصا فى نفسه اى عزاه الى ذاته الشريفة
او الحق به نقصا فى دينه او فى خصلة من خصاله وحالة من حالاته او
عرض به او قال فى حقه ما لا يليق به تعريضا لا تصريحا او شبهه بشئ على طريق السب
اى الشتم او الازرا عليه تهاونا به ونقصا وعيبا او التصغير لشانه او الاحتقار
لعظيم قدره وحاله او الغض منه اى الخفض من قدره والنقص والعيب له فهو
بواحدة مما ذكر ساب له صلى الله عليه وسلم والحكم فيه حكم الساب انه يقتل كما نبينه فيما
يرد عليك ان شا الله تعالى ولا تستثنى فصلا من فصول هذا الباب بل نذكرها واردا
على ما قصدناه ولا نمترى اى لا نشك فيه انه من هذا الباب صريحا كان او تلويحا
اى اشارة وكذلك حكم من لعنه القتل مع رجوع لعن من لعنه اليه واللعن الطرد
والابعاد عن رحمة الله وفى الحديث اللعانون لا يكونوا شفعا يوم
القيامة او دعا او تمنى مضرة له راغبا فى ادخالها عليه وايصالها اليه او نسب
اليه ما لا يليق بمنصبه الشريف ومقامه المنيف على طريق الذم بما نسبه اليه
او عبث اى لعب ومجن فى جهته العزيزة اى المنيعة من النظر اليها بشئ من ذلك
ويستحق من الكلام والهجر بضم اوله وسكون ثانيه اى فحش ومنكر من القول شنكره
الشريعة وزور اى كذب باطل منحرف عن الحق او عيره بمهملة مفتوحة فمثناة تحت
مشددة فراى عابه بشئ مما جرى عليه من البلا والمحن او غمصه بمعجمة مفتوحة

ومهملة

ومهملة بينهما ميم استصغره احتقارا له ببعض العوارض البشرية الجايزة عليه
وعلى الانبيا والمعهودة لديه ولديهم لا ينكر وغيرها وهذا كله اجماع من العلما على قتل
من صدر منه شئ مما ذكر فى حقه صلى الله عليه وسلم من لدن الصحابة اى من ايامهم
وهلم جرا من الجر اعنى السحب اى استمر الاجماع واتصل من عصرهم الى الان وانتصب
جرا على المصدر او الحال قال ابو بكر محمد بن ابراهيم ابن المنذر النيسابورى اجمع
عوام اهل العلم اى كلهم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل صونا وتحميا
لشانه وتعظيما لشرف منصبه

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم

وممن قال ذلك اى قال من سبه يقتل مالك والليث واحمد واسحاق وهو اى القول
يقتل من سبه مذهب الشافعى اورده بعضهم بالا عاطف استيناف لتقوية لقولهم ردا
لازدهم به ولا تقبل توبته عند هولا ويمثله اى مثل قول من ذكر بعدم قبول التوبة
قال ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا الكوفى مولى تيم الله بن ثعلبة واصحابه كابى
يوسف ومحمد وزفر وابو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى واهل الكوفة من عطف
العام على بعض افراده وابو عمرو الاوزاعى فى المسلم فلا تقبل توبته عندهم دون الكافر
لكنهم قالوا هى اى سبه ردة وانثه باعتبارها لان الضمير اذا وقع بين مذكر ومؤنث
جاز تذكيره وتانيثه وحكى مثله اى مثل قول هولا انه ردة الوليد بن مسلم احد الاعلام
بالشام عن مالك وحكى ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى مثله اى مثل القول بانه ردة
عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه بشئ ينقصه به او برئ منه اى قطع موالاته
ومحبته صلى الله عليه وسلم او كذبه فى قول من اقواله اذ ما ينطق عن الهوى فقال
سحنون فيمن سبه بشئ ذلك ردة كالزندقة من التوبة القايلين بتناسخ
الارواح ودوام الدهر واراحهم تنتقل ابدا وعلى هذا اى على قول سحنون ان
سبه ردة كالزندقة وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره فقيل يستتاب وقيل لا
ووقع الخلاف ايضا هل قتله حد مما اجترحه واجترمه او كفر بما ارتكبه
كما سنبينه فى الباب الثانى ان شا الله تعالى هذا والزنديق قيل من لا يعتقد
ملة من الملل المعروفة ثم استعمل فى كل من عطل الاديان وانكر الشرايع وفيمن
اظهر الاسلام واخفى غيره وفى المعان من الروضة هو من لا ينتحل دينا وقال فى
المهمات ومما ذكره هنا خالفه فى باب صفة الايمة والفرايض وقتل المرتد فقال
هو من يظهر الاسلام ويخفى الكفر ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه اى دم من سبه
صلى الله عليه وسلم بين علما الامصار اى البلدان الكبار وسلف الامة اى متقدمى
الصدر الاول من الصحابة وتابعيهم وقد ذكر غير واحد المصادق من اثنين
الى جم غفير من العلما الاجماع على قتله وتكفيره بجراته على كرم شرفه المنيف
واشار ابن حزم الظاهرى الى الخلاف فى تكفير المستخف به اى المستصغر لشانه
صلى الله عليه وسلم والمعروف ما قدمناه انفا عن غير واحد ان الاجماع على قتله
وتكفيره قال محمد بن سحنون اجمع العلما فى جميع الامصار على ان شاتمه صلى
الله عليه وسلم المتنقص له كافر لايذان شتمه وتنقصه بكفره وعلى ان الوعيد

بالنكال جعلا به لغيره عبرة جاز عليه بعذاب الله له في الدارين وحكمه في الدار الدنيا عند الائمة القتل مما يردع غيره عن فعل ما جعل القتل جزاء له ومن شك في كفره وعذابه كفر بتكذيبه القرآن قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم واحتج ابراهيم بن حسين الفقيه في مثل هذا اى شاتم منتقصه بقتل خالد بن الوليد ابن المغيرة مالك بن نويرة اليربوعي كان النبي صلى الله عليه وسلم ولاه صدقات قومه اذ كان كبيرهم ثم منعوا الزكاة في خلافة ابي بكر فارسل اليه خالدا فقال انا آتي بالصلاة دون الزكاة فقال له خالد اما علمت انهما معا لا تقبل احداهما دون الاخرى فقال مالك وقد كان صاحبكم يقول ذلك فقال له خالد وما تراه صاحبا لك والله لقد هممت ان اضرب عنقك فقال او بذلك امرك صاحبك قال خالد وهذه بعد تلك من امر ضرار بن الازور فضرب عنقه لقوله للنبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم مرة بعد اخرى ولفهم خالد استصغار مالك له صلى الله عليه وسلم واستهزائه به بشهادة قوله وهذه بعد تلك مسكرا عليه اتيانه بها مرة بعد اخرى هذا ولا التفات الى ما قيل غيره لك فرثاه اخوه متمم بابيات منها

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ... اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اى قتل شاتمه ومنتقصه صلى الله عليه وسلم اذا كان مسلما لخروجه بذلك عن ربقة الاسلام المؤذن بوجوب احترامه وعصمة دمه وقال ابن القاسم عن مالك بن انس بن ابي عامر امام دار الهجرة في كتاب سحنون والمبسوطة والعتبية وحكاه اى ما قاله ابن القاسم عن مالك مطرف هو عبد الله بن مطرف بن اخت مالك عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب بنوع من انواع السب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل حدا قولا واحدا ولم يستتب وقال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه قولا او فعلا او تنقصه استصغارا له وتهاونا به فانه يقتل وحكمه عند الامة اهل ملة الاسلام كافة القتل كالزنديق وقد فرض الله علينا خير امة اخرجت للناس توقيره وبره بانواعهما من تفخيم لشانه وتعظيم لقدره وتنويه باسمه وانقياد لامره واذعان لما نافة محله وفي المبسوطة عن عثمان بن كنانة من شتم بواحد من افراد الشتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب برفعه على جذع حيا ولم يستتب وللامام اى ولي الامر سلطانا او نائبا مخير في صلبه حيا او قتله حيا ومن رواية ابي مصعب احمد بن بكر العوفي الزهري واسماعيل بن عبيد الله ابن ابي اويس هو ابن اخت ملك انهما سمعا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم باى نوع من انواع السب او شتمه او عابه او تنقصه لشيء مما ذكر قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب لان حده القتل وان تاب وفي كتاب محمد بن ابراهيم بن المواز اخبرنا اصحاب مالك انه اى مالكا قال من سب

رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب لشهادة حديث من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقتله جماعة باذنه صلى الله عليه وسلم فيحتاج من قال لا يقتل الكافر بسبه صلى الله عليه وسلم الى الجواب عن هذا الحديث وقال اصبغ بن الفرج الفقيه المصري يقتل اى من سب نبينا على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف صحتها باطنا وقال عبد الله بن الحكم فقيه المالكية بمصر من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب لحديث كعب بن الاشرف السابق وروى الامام ابو محمد عبد الله ابن وهب عن مالك عن ابن انس احد الائمة الاعلام انه من قال رداء النبي صلى الله عليه وسلم وروى زره وسخ واراد بقوله وسخ عيبه قتل لازدرائه بعظيم قدره واحتج علماؤنا على انه من دعا على نبي من الانبياء بالويل اى الهلاك والحزن ومشقة العذاب او دعا عليه بشيء من المكروه مما يشق ويتضرر منه والمكروه ضما وفتحا المشقة انه يقتل بلا استتابة اى تطلب منه توبة وافتى القابسي لما اجاب من ساله فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال بمهملة فميم مشددة يتيم ابي طالب بالقتل لظهور استهانته بذلك وافتى ابن ابي زيد القيرواني بقتل رجل سمع قوما مصدر قام وصف به ثم غلب على الرجال دون النساء لقيامهم عليهم بالامور ليس لهن القيام بها يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة ومناقبه المنيفة اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية اى ليس بحسنهما فقال لهم اى الذي افتى ابن ابي زيد بقتله تريد تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته كذب والله قبحه الله ولا حياه ولا بياه قال ابن ابي زيد ولا تقبل توبته ان تاب وليس يخرج اى ما قاله هذا القائل من قلب سليم الايمان بل هو عديمه وقال احمد بن ابي سليمان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود يقتل لاستنقاصه واستهزائه به وقال اى ابن ابي سليمان في رجل قيل له ردا لما قال له لا وحق رسول الله قسم لو يعلم عظيم لجري على موجبه بل خالف فقال فعل الله برسول الله كذا او ذكر كلاما قبيحا بما لا يليق وبما لا يليق به فقيل له انكارا عليه ما تقول يا عدو الله ابعدك الله عن سعة رحمته وبوائك من جهنم مقيلا فقال كلاما هو اشد من كلامه الاول قبحا ثم قال انما اردت برسول الله العقرب صارفا لما ورد من كلامه صريحا في بابه ووجد نفاذا في موضوعه فلا يكون كناية في غيره فقال ابن ابي سليمان الذي سئل عنه بما قاله في حقه صلى الله عليه وسلم وانا شريكك يريد في قتله وثوابه قال حبيب بن الربيع اى يحيى بن حبيب القروي لان ادعاءه التاويل في لفظ صراح في بابه واحد انفاذا في موضوعه دعوى بلا بينة لا يقبل لانه استهانة له صلى الله عليه وسلم وهو اى هذا القائل غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له ولا معاضد ولا ناصر فوجب اباحة دمه لتقصيره في توقيره وافتى ابن عتاب في عشار اى مكاس ياخذ من اموال الناس من ضرائب للسلطان بغير حق يسمونها عشرا لرجل ادا اى اعط المكس واشك الى النبي اني اخذت منك وقال

اى العشار ايضا بعد ذلك ان سالك منك العشر او جهلت حرمته فقد سال وجهل
النبي بالقتل اى بقتل العشار لجراته على جنابه الكريم بكلامه القبيح وافتى فقهاء
الاندلس بفتح الهمزة وفتح الدال وضم اللام بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
اى بجعله على جذع وبمد يده بما شهد عليه به من استخفافه بالنبي صلى الله عليه وسلم
بكلام الذى بالاستخفاف بما لا يليق به صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه صلى الله عليه وسلم
اثناء مناظرته اى خلال مباحثته فى العلم باليتيم وختن حيدرة اى ابى فاطمة زوج
على بن ابى طالب من حماقته وسخافة عقله وسوء خلقه الغالب على كثير من الناس
وزعمه اى الطليطلي ان زهده اى النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قصدا او اختيارا
بل كان عجزا او اضطرارا ولو قدر على الطيبات اكلها متماديا فيما استخف به الشرف
المنيف الى هذا الذى قاله قاتله الله ما اجراه على مقالته هذه الشنيعة وكيف
نقوه بها مع قول بعضهم تلويحا بمعنى ما ورد

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فاراها ايما شمم

وافتى فقهاء القيروان كابن ابى زيد واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان
شاعرا مجيدا المتشعر ماهرا متفننا فى كثير من العلوم شرعية وادبية وعقلية
وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابى العباس بن طالب للمناظرة والمباحثة فى العلوم
فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب اى باب الاستخفاف بالجناب الشريف
فى الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاحضر اى القاضي ابو
العباس له اى لابراهيم الفزاري اى لاجله القاضي يحيى بن عمر وغيره وامر
اى ابو العباس بقتله وصلبه فطعن بالسكين حتى هلك وصلب منكسا راسه لاسفل
ثم انزل من صلبه واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه اى ابراهيم الفزاري المصلوب
بعد قتله لما رفعت خشبته التى صلب عليها وزالت عنها الايدى استدارت وحولته
عن القبلة فكان تحويلها له عنها اية للجميع من الحاضرين وكبر الناس اعتبارا
وخشية وحذرا من العثور ونعوذ بالله فيما يوجب ذلك وجاء كلب فولغ فى دمه
اى شرب بلسانه منه يقال ولغ يلغ ويلغ فتحا وكسرا واكثر ما يكون الولوغ فى
السباع وفى الحديث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليدى
قوما قتلهم خالد بن الوليد فاعطاهم ميلغة الكلب اى اناءه الذى يلغ فيه اى
اعطاهم قيمة كل شئ ذهب حتى قيمة ميلغته فقال القاضي يحيى بن عمر صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم لم اعلم من رواه والظاهر
انه لا اصل له مع ما فيه من ركة التركيب وقال القاضي ابن المرابط من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم خوفا من عدوه فانه يستتاب اى يطلب منه
ان يرجع عن ذلك فان تاب قبلت توبته والا بان لم يتب قتل لانه اى قوله
هزم تنقص يورث استهانة به صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز ذلك عليه فى
خاصيته لبراءة ساحة مقامه الكريم منه اذ هو على بصيرة من امره وثباته
فى نفسه وعلى يقين من عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس فكيف ينهزم معها
وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب مالك هو ابن انس الامام واصحابه ان

من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما موصول حرفي او نكرة موصوفة اى الذى
او شيئا فيه نقص قتل دون استتابة اى بغير طلب منه رجوعه عن ذلك
لاستحقاقه القتل وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد
صلى الله عليه وسلم باذى او نقص مصرحا او معرضا وان قل اى ذلك الذى
يؤذيه به او ينقصه به فقتله واجب قال تعالى والذين يؤذون رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة وقال صلى الله
عليه وسلم من اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه فهذا كله
اى باب ما يؤذيه صلى الله عليه وسلم بانواعه مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب
قتل قائله لكمال ما اذاه به لم يختلف فى ذلك اى فى قتله بما قاله مما يؤذيه صلى
الله عليه وسلم متقدمهم ولا متاخرهم بل اجمعوا على قتله وان اختلفوا فى حكم
قتله على ما اشرنا اليه فيما ذكرناه مما تلى عليك ونبينه بعد ان شاء الله تعالى
وكذلك اى مثل ما تقدم عن هؤلاء الائمة اقول حكم من غمصه بمعجمة ومهملة بينهما ميم
اى احتقره وعابه بما لا يليق به او عيره برعاية الغنم استهانة وحطا له عن كريم منزلته
او السهو او النسيان مما به الغفلة وصدورهما منه نادرا انما كان ليسن لامته ويبين
لهم ما تركه لهم او السحر اى صرف الشئ عن وجهه من نفس شريرة خبيثة او ما اصابه
من جرح فى بعض ايام لقائه العدو كيوم احد كسرت رباعيته وشج وجهه او هزيمة
لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة فى زمنه اى امر شاق دهمه فيه او غيره
بالميل الى نسائه بحيث تودى نسبته اليه الى عدم المروة فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه
صلى الله عليه وسلم القتل صونا لكمال منصبه ان ينسبه الى نقص

فصل

فى بيان الحجة فى ايجاب قتل من سبه او عابه او غمصه بعيب فالحجة الموجبة لقتل
من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم من القران لعنه تعالى لموذيه فى الدنيا والاخرة
اى لعن الله فيهما لمن سبه واذاه ان ابعده عن رحمته وطرده عن حضيرة قدسه
ومنه ايضا قرانه تعالى فيه اذاه صلى الله عليه وسلم كقتله وفى رواية لعنه
فسوق وحكم الكافر غير معصوم الدم القتل فقال اى الله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله بفعلهم ما يكرهانه ولا يرضيانه من كفر وانكار نبوة ومخالفة
شريعة وما اصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكروه او يؤذون
رسول الله فقط وذكر الله تعظيما وتمهيدا لذكره صلى الله عليه وسلم لعنهم الله فى
الدنيا والاخرة اى طردهم وابعدهم من رحمته فيهما وقال اى الله تعالى فى قاتل
المؤمن مثل ذلك اى مثل قوله فى الذين يؤذون الله ورسوله فمن لعنته مصدر
مضاف الى مفعوله اى من طرده وابعده اى قاتل المؤمن عن رحمة الله فى الدنيا
القتل قال الله تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين نصب على الشتم
او الحال اى لا يجاورونك فى المدينة الا ملعونين اينما ثقفوا اى وجدوا وظفر بهم
اخذوا وقتلوا تقتيلا وفى الحديث اشد الناس عذابا يوم القيامة من قتله
نبي كافر كقتله صلى الله عليه وسلم ابى بن خلف لان قتله تطهير له من حد
كماعز والغامدية رجما وقال اى الله تعالى فى المحاربين له تعالى ولرسوله

صلى الله عليه وسلم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
وذكر عقوبتهم ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض
فمن جمع بين القتل واخذ المال وقطعت يده لاخذه ورجله لاخافته السبيل ومن افرد الاخافة
نفي من الارض ذلك اي ما ذكر من قتلهم وغيره لهم خزي اي ذل وفضيحة في الدنيا وقد يقع
القتل بمعنى اللعن قال تعالى قتل الخراصون اي لعن الكذابون المقدرون واصل الدعاء
بالقتل الهلاك ثم جرى مجرى اللعن والقبح وقاتلهم الله اي قاتل من قالت عزير ابن الله
والمسيح ابن الله وهم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لمن ركب
شنعا قاتله الله ما اعجب فعله انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق اي لعنهم الله ولانه
فرق بين اذاهما اي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبين اذى المؤمنين
بشهادة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا
واثما مبينا وقد يكون في اذى المؤمنين ما دون مطلق من الضرب والنكال اي العقوبة
لمن نكل به تنكيلا ونكل جعله عبرة لغيره فكان حكم موذي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
اشد من ذلك اي من اذى المؤمنين وهو اي حكمه الاشد القتل لموذيهما وقال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم من الاختلاف ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا اي ضيقا مما قضيت بينهم ولا تضيق صدورهم من حكمك او لا يجدون في انفسهم
شكا منه لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا اي يذعنوا منقادين
لما قضيت به لا يعارضونه بشيء يقال سلم لامر الله واسلم له اي سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها
سالمة له تسليما مصدر موكد لفعله بمنزلة تكريره لتحقيق معنى التاكيد فكانه
قيل وينقادوا لحكمك ظاهرا وباطنا انقيادا لا شبهة فيه فسلب اي الله اسم
الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه لعدم انقياده واذعانه ولم يسلم له
بابايه ما حكم به ومن تنقصه فقد ناقض هذا او وجد في نفسه حرجا من قضائه
ولم يسلم له وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
تعظيما لشانه ورفعة لمحله صلى الله عليه وسلم

فانه لم يدع شأوا لمستبق ۰ من الدنو ولا مرقى لمستنم ۰

الى ان تحبط اي تبطل اعمالكم من حبطت الدابة حبطا بالتحريك اي هلاكا اذا اصابت
المرعى طيبا فافرطت فيه اكلا فانتفخت فماتت وفي الحديث وان مما ينبت
الربيع ما يقتل حبطا او يلم اي يقرب ان يقتل او يدنو من الهلاك لانه ينبت احرار
العشب فتكثر منه الماشية وروي بالمعجمة ولا يحبط الاعمال اي لا يبطلها الا الكفر
ردة والموت عليها خلافا للقول لمالك وابي حنيفة تحبطها وان رجع مسلما لقوله
تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
لما يفوتهم من ما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الايمان ومن ثواب الاخرة بالموت
عليها والكافر يقتل بما استحق به القتل قال تعالى واذا جاؤوك اي اليهود
والمنافقين حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك يا محمد بل السام اي الموت
عليهم واللعنة ويقولون في انفسهم لولا اي هلا ان كان نبيا لا يدعو علينا يعذبنا
الله بما نقول له السام عليكم قال الله عز من قايل حسبهم جهنم اي يكفيهم

عذابا

عذابا يصلونها تعذيبا لهم ونكالا لهم وقال تعالى ومنهم اي من المنافقين الذين يؤذون
النبي وما يؤذون الا انفسهم ويقولون هو اذن يصدق كل ما سمعه ويقبل قول كل احد
سمي بالجارحة اعني آلة السماع فكان جملته اذن سامعة كما سموا الربيئة عينا تسمية
للكل باسم جزئه مجازا مرسلا قل اذن خير جودة وصلاحا كانه قيل نعم هو اذن ولكن
نعم الاذن هو يؤمن بالله اي يصدق به لما قام عنده من القواطع ويؤمن للمؤمنين
اي يقبل من نصحهم ويتجاوز عن مسيئهم ويسلم لهم ما يقولون لصدقهم فعدى فعل
الايمان اولا بالباء لقصد التصديق وثانيا باللام لقصد السماع كما في وما انت بمؤمن
لنا ولو اي بمستمع ورحمة للذين امنوا منكم ظاهرا اي المنافقون حيث يسمع منكم
ويقبل ايمانكم الظاهري ولا يفضحكم ولا يفشي لكم سرا ولا يفعل بكم ما يفعل
بالمشركين مراعاة لما راى من المصلحة في الابقاء عليكم فهو كما قلتم اذن الا انه اذن
خير لكم لا اذن شر فسلم لهم قولهم انه اذن لكن فسره بما هو مدح له وثناء عليه
وان كانوا قصدوا به مذمته وتقصيره في الفهم والفطنة وانه من اهل الغرة
وسلامة القلوب ثم قال اي الله تعالى والذين يؤذون رسول الله بمطاعنتهم
فيه وتقولهم عليه لهم عذاب اليم اي مؤلم فاسند اليه مجازا عقليا وقال تعالى ولئن
سالتهم اي المنافقين وهم سايرون بين يديك في غزوة تبوك عن قولهم انظروا
لهذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات ليقولن
لا والله يا نبي الله ما كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك انما كنا نخوض ونلعب
فيما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم
تستهزءون استفهام تقريري تنزيلا لهم منزلة كونهم معترفين باستهزائهم
توبيخا لهم على استهزائهم بمن لا يليق به الاستهزاء الزاما للحجة عليهم بعد قبول
اعتذارهم لبشهادة لا تعتذروا اي لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة قد
كفرتم باستهزائكم مظهرين كفركم بعد ايمانكم ظاهرا وقال اهل التفسير كفرتم
بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اذن هذا واما الاثار الواردة فمنها
ما اسنده هنا من طريق الدارقطني ورواه الطبراني بسند ضعيف عن علي
عنه صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه لانتهاكه له حرمته بسبه
ومن سب اصحابي فاضربوه تعزيرا له وتوبيخا وفي الحديث الصحيح الذي رواه
البخاري وغيره امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف من يهود خيبر وقوله
عطف على امر النبي من لكعب بن الاشرف فانه كما رواه الشيخان عن جابر رضي
وفي رواية لهما اذى الله ورسوله فكان وبال اذاه لهما عليه ووجه اي بعث
وارسل اليه من قتله غيلة بكسر المعجمة اي خفية من الاغتيال وهو ان يخدع
الرجل ويقتل بموضع لا يراه فيه احد دون دعوة منه صلى الله عليه وسلم له الى
الاسلام بخلاف غيره اي غير كعب بن الاشرف من المشركين فان قتله كان بعد دعوة
له الى الاسلام وعلل اي النبي صلى الله عليه وسلم قتله اي قتل كعب باذاه له كما هو
قد ذكر اي تعليل قتله به على ان قتله اياه انما كان لغير الاشراك بل كان قتله
له للاذى الذي وصل منه اليه صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل قتل كعب

غيلة قتل ابي رافع من يهود المدينة رواه البخاري قال البراء بن عازب اى
ابو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين اعداءه عليه ويؤلبهم على عداوته
بغضا وحسدا وكذلك اى وقتل امر بقتل من ذكر امر يوم الفتح اى فتح مكة بقتل ابن
خطل وهو متعلق باستار الكعبة رواه ابن اسحاق والبيهقي عن عبد الله بن ابي
بكر بن عمرو بن حزم مرسلا ورواه الشيخان عن انس بلفظ امر بقتل ابن خطل ورواه
ابو داود والبيهقي عن سعد بن ابي وقاص لما كان فتح يوم مكة امن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة وامرأتين وامراة ايضا بقتل جاريتيه اللتين
كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وتنشدان الاشعار فيهما وحاشاه صلى الله
عليه وسلم من السب وفي حديث اخر لا ادري من رواه ان رجلا كان يسب صلى
الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي اى من يقوم مقامي بما يغنيني عن الاهتمام
بشأنه فقال خالد انا يا رسول الله فبعثه اى النبي صلى الله عليه وسلم اليه فقتله
وكذلك لم يقل بضم اول وكسر ثانيه من اقال عثرته اى هلكته اى هلكته جماعة ممن
وحد الضمير اعتبار اللفظ من يؤذيه من الكفار كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
لمبالغتهم في ايذائه ويؤلب عليه منهم قبل الفتح اى من قريش قبل فتح مكة وعهد
فقتلوا من عهد بقتله الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه مثل كعب بن زهير
ابن ابي سلمى بضم السين وقد روى البزار بسند ضعيف عن ابن عباس ان عقبة
ابن ابي معيط نادى داعيا على صوته يا معاشر جمع معشر اى جماعات قريش هم من ولد
النضر بن كنانة او ولد فهر بن مالك بن النضر سموا قريشا باسم دابة في البحر
تاكل حيواناته وقد قيل فيهما

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا ... تترك يوما لذي جناحين ريشا

وقيل سموا به لجمع قصي بن كلاب لهم بمكة بعد تفرقهم في القبائل او التقرش التجمع
من تقرش المال اذا جمعه ما لي اقتل من بينكم صبرا هو في الاصل ان يؤخذ ذو روح
فيرمى حتى يموت ثم توسعوا فيه فكل من قتل لا خطأ ولا في معركة ولا حرب فمقتول صبرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك وكذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهانة له واحتقارا وذكر عبد الرزاق في جامعه عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلا
ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من جفاة الناس واجلافهم فقال من يكفيني
عدوي اى يرعى من سبني فخرج خالد بن الوليد فقتله وروى ابن ابي شيبة عن ۝
الشعبي ان رجلا من المسلمين اعمى كان ياوي الى امرأة يهودية تطعمه وتسقيه
وتحسن اليه ولا تزال تؤذيه في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها في ليلة
من الليالي خنقا فرفع ذلك له صلى الله عليه وسلم وسبه وتقع فيه فقتلتها لذلك
فاهدر صلى الله عليه وسلم دمها وروي كما في جامع عبد الرزاق عن سعيد بن جبير
ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وتقول عليه ببعض الاقاويل فبعث عليا ۝
والزبير ليقتلاه كذا روي مختصرا وروى البيهقي عن سعيد بن جبير قال جاء رجل
الى قرية من قرى الانصار فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني وامرني ان

تزوجني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال
اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد
لدغته حية فقتلته ثم رواه من وجه اخر موصولا عن عطاء بن السائب عن
عبد الله بن الحارث وسمى الرجل الذي كذب جرجد الجندعي وروى ابن قانع بقاف
ونون بينهما الف ان رجلا قال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا
فقتلته جزاه الله عن دينه ومروته خيرا ولا سألت له بدر فلم يشق ذلك اى
قتله اياه على النبي صلى الله عليه وسلم ولا كرهه وبلغ المهاجر بن ابي امية كما رواه
ابنا سعيد وعساكر وكان اميرا باليمن نيابة لابي بكر ان امرأة هناك اى باليمن
في الردة اى في زمن ردة العرب في خلافته غنت بسبه صلى الله عليه وسلم فقطع
اى المهاجر يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت ذلك من قطع
يد ونزع ثنيتها لامرتك بقتلها فاكتفى بفعله اذ وقع لان حد تنقص الانبياء لمن
تنقصهم ليس يشبه الحدود المترتبة على اسبابها مما اذهبوا لقتل وقد ترك يزيد بيانه
وعن ابن عباس ولم اعلم من رواه هجت امرأة من خطمة بمعجمة فمهملة قبيلة من العرب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها اى من يكفينيها فقال رجل من قومها انا يا رسول
الله اكفيكها فغدا عليها فقتلها فقال اى النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتطح فيها عنزان
اى لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لان النطاح ليس من شأن العنوز بل من شأن ۝
التيوس والكباش اى لا يجري فيها خلف ونزاع وروى ابو داود والحاكم وصححه والبيهقي
في سننه عن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد يوطئها اياها فراشا تسب النبي صلى
الله عليه وسلم فيزجرها منعا لها وحثا على ترك سبها فلا تنزجر ولا تنكف ولا ترعوى
فلما كانت ذات ليلة جعلت اى طفقت واخذت تقع فيه وتشتمه فقتلها بارك الله فيه
واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اى بانه قتلها فاهدر دمها اى ابطله فلم تدرك بثار
وفي حديث ابي برزة الاسلمي فيما رواه ابو داود وصححه الحاكم ورواه البيهقي في سننه
قال كنت عند ابي بكر فغضب على رجل من المسلمين اغضبه عليه وحكى القاضي اسماعيل
ابن اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد وغيره فيه اى في حديث ابي برزة انه اى
الرجل سب ابا بكر ورواه النسائي عنه بلفظ اتيت ابا بكر وقد اغلظ الواو للحال
من ابي بكر اى حال اغلاظه لرجل في القول فرد عليه اى الرجل على ابي بكر قال اى ابو
برزة فقلت يا خليفة رسول الله دعني امر من تدع حذف حرف المضارعة وسكن
اخره ثم الحق به نون الوقاية ويا المتكلم اى اتركني اضرب عنقه فقال اجلس
فليس ذلك اى قتله وغيره لغضب عليه الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخوته
الانبياء قال ابن نصر ولم يخالف عليه اى على ما قاله ابو بكر احد فاستدل الائمة
بهذا الحديث اى حديث ابي برزة على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما اغضبه من قول او فعل مما لا يليق به او اذاه او سبه ومن ذلك اى ومن
قول ابي بكر ليس ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما افاده كتاب عمر بن عبد
العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص الى عامله بالكوفة وقد استشاره
الواو للحال اى استرشده في قتل رجل سب عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز

انه لا يحل قتل امرئ مسلم يسب احد بلا موجب له الا رجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى او غيره من الانبياء لانهم خيرته من خلقه فمن سبه او غيره منهم فقد حل دمه وسال
هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن ابى جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
مالكا ما تقول في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له اى ذاكر انه او معذرا
ان يذكر له ان فقهاء العراق افتوه اذ سألهم عنه اى اجابوه بجلده اى بضرب به
حد المشتم فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها انه لم يستغفر و
له ويعتقد لا بواحق قدره من شتم الانبياء قتل حدا وان تاب كما يقتضيه ظاهر اطلاقه
حد او ان تاب كما يقتضيه ظاهر اطلاقه ومن سب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلد جلد الفرية كذا وقع في هذه الحكاية ان فقهاء العراق افتوا الرشيد بجلده رواه غير
واحد من اصحاب مناقب مالك ممن اعتنى بجمعها كابى نعيم ولا ادرى من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر من انه يجلد ولا يقتل وقد ذكرنا مذهب اهل العراق
من قولهم بقتله فيما تقدم ولعلهم اى من افتاه بجلده دون قتله ممن لم يشتهر
بعلم او ممن لا يوثق بفتواه لمن يتشنع بما ليس له او ممن يميل بهواه حذف المفعول
للهوى اليه لتذهب النفس كل مذهب ممكن او يكون ما قاله اى الرشيد يحمل على غير
السب الموجب لقتله مما لا يؤدى الى القتل فيكون الخلاف جاريا فيه هل هو سب فيقتل
او غير سب فيجلد او يكون قد رجع وتاب عن سبه فلم يقله اى الرشيد لمالك على اصله
اى على الوجه الذي ورد عليه لكن قوله او يكون قد رجع وتاب مؤذن بقبول توبته
ولو ذكر لمالك لم يحل بقتله وقد مر ما اذ بانه يقتل مطلقا وان تاب وقبلت
توبته لا ان حده القتل بشهادة قوله والا فالاجماع قد انعقد على قتل من سبه في الجملة
كما قدمناه وان كان منهم من قال فان تاب قبلت توبته ولا يقتل ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار اى الاستدلال بشئ على شئ والتأمل ان من سبه او تنقصه
صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء فقد ظهرت علامة مرض قلبه وسوء اعتقاده
وظهر برهان سر طويته وكفره ولهذا اى ولكن قتل من سبه او تنقصه بظهور علامة
مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ما حكم له كثير من العلماء بالردة لعدم قطعهم بكفره
وان حكم بظاهر لا وهي اى عدم الحكم بالردة وانث الضمير نظرا الى ما بعده رواية
الشاميين عن مالك والاوزاعي وهي ايضا قول الثوري وابي حنيفة والكوفيين
عطف العام على بعض افراده والقول الاخر انه اى سبه وتنقصه صلى الله عليه وسلم
دليل على عدم الكفر فيقتل حدا على هذا القول لان حده القتل وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا ومستمرا على قوله غير منكر له ولا مقلع اى ولا معرض عنه ولا
تارك له فهذا كافر يقتل كفرا وقوله الذي تمادى فيه اما صريح كفر كالتكذيب به صلى
الله عليه وسلم وبما جاء به من ربه تعالى ونحوه كنسبة ابليس ربه تعالى الى الجور
اذ امره بالسجود لآدم زاعما انه خير من ادم فامره تعالى له بالسجود في زعمه جور لكونه
امرا بالسجود لآدم زاعما انه خير من ادم فامره تعالى لمن هو دونه بشهادة ۝
قال اى ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين او غير صريح كفر بل هو
من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بما اى بكلمات الاستهزاء وترك توبته وعدم

اعراضه

اعراضه عنهما دليلا مستحيلا له لذلك اى الاستهزاء والذم وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا
خلاف قال تعالى في مثله اى مثل هذا المعترف بكلمات الاستهزاء والذم يحلفون اى
المنافقون كالجلاس بن سويد يحلفون بالله ما قالوا استهزاء بمن كان قولك محمد
لمن تخلف منا عن غزوة تبوك وهو اشرافنا حقا انه سيفتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات وكفروا بعد اسلامهم اى اظهروا كفرهم بعد اظهارهم اسلامهم وقالت
اهل التفسير هي اى كلمة الكفر قولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير فقال
عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف بالله ما قال فنزلت فتاب وحسنت توبته
وقيل هي قول بعضهم هو علم النفاق ورأسه عبد الله بن ابى بن سلول اذ لقى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق بالمريسيع ماء لهم فهزمهم وقتل منهم وازدحم
جهجاه ابا للمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم
سنانا فقال ابن ابي لجعال وانت هناك اى انت في تلك المنزلة بحيث تلطم حليفي ثم
قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك يأكلك
مثل يضرب لمن يحسن الى احد فيسئ اليه وليس هذا محله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز يريد نفسه منها الاذل يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم
عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا
عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن ارقم فقال له انت والله الذليل
المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن وقوة من اصحابه فقال له ابن ابي انما كنت
العب فاخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق
فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر
انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ثم قال صلى الله
عليه وسلم لابن ابي انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك ۝
الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فقال من حضر شيخنا وكبيرنا
لا تصدق عليه قول غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت تكذيبا لابن ابي لحق رسول
الله صلى الله عليه وسلم زيدا فعرك اذنه وقال له وفت اذنك يا غلام ان الله ۝
قد صدقك وكذب المنافق ولما اراد ان يدخل المدينة قال له ابنه مؤمنا مخلصا
وراءك يا منافق والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله هو الاعز وانا الاذل فلم يزل
به حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خله يدخل وقيل قال له ان لم تقر لله ۝
ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد
قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وقيل ان قائل مثل هذا اى مثل قول ابن
ابي ان كان مستترا به حكمه حكم الزنديق يقتل لاخفائه الكفر واظهاره الايمان فهو
تقية ولانه قد غير بمثل قوله ذلك دينه فصار كالمرتد وقد قال صلى الله عليه وسلم
من غير دينه اى الاسلامي بانتقاله الى باطل كذا من باطل الى مثله فاضربوا عنقه

ان لم يعد الى دين الاسلام ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم مزية على امته لتوذن
بعظم قدره وسيادته ورفعة محله وساب الحر من امته يحد حدا او تعزيرا فكانت
العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل لا حده وان تاب سابه عند البعض
وقبلت توبته لعظم قدره ومجاوزته حدا لا يدرك شاوه وشفوفه اى زيادة منزلته
على غيرها من الشف وهو الزيادة وفي حديث الربا ولا تشفوا احدهما على الاخر
اذا كانا من جنس واحد وقد يطلق على النقصان فهو من الاضداد اذ يقال شف
الدرهم اذا زاد او نقص واشفه غيره شفه

فصل

فان قلت خطاب لكل من يتاتى توجيهه اليه فلم هي لام الاضافة دخلت على ما الاستفهامية
كغيرها من حروف الجر عليها مثل لم وفيم وعلام حذفت الفهما لكثرة الاستعمال لم يعاقب
النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له داعيا عليه بالموت السام اى الموت
عليكم كما رواه البخاري وغيره ولقد فطنت عائشة اذ كانت اليهود يمرون به فيقولون
له السام عليك يا ابا القاسم فقالت عليكم السام والذام واللعنة وحينئذ قال صلى
الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم يعني الذي يقولونه لكم ردوه
عليهم قال الخطابي عامة المحدثين يروون وعليكم بواو العطف وكان ابن عيينة
يرويه بغير واو وهو الصواب لانه اذا نه يرد ما قالوه عليهم خاصة واثباتها يوذن
بالاشتراك معهم فيه لانها لمطلق الجمع وهذا دعا عليه مفصح بايذايه صلى الله عليه وسلم
فدته نفسي وابي وامي ولا قتل الاخر وهو ذو الخويصرة حرقوص عمر كذبين اوله واخره
الذي قال له كما رواه البخاري في قسمة قسمها ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه
الله افترا منه عليه صلى الله عليه وسلم قد ضل وما كان من المهتدين وقد تاذي
صلى الله عليه وسلم من ذلك اى مما قاله ذو الخويصرة له وقال لقد اوذي موسى صلى
الله عليه وسلم باكثر من هذا فصبر على ما اذاه بنو اسرائيل لحمل قارون الموسمة
بالرشوة على قذفه بنفسها واغتامهم له بقتل اخيه هارون اذ ذهب معه الى الطور
فمات هناك فحملته الملائكة فمرت عليهم فعرفوا انه لم يقتله وبعيب في جسده من
برص وادرة فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ولا قتل المنافقين الذين
كانوا يوذونه في اكثر الاحيان ظرف لايذايه متعلق بيوذونه فاعلم وفقنا الله ○
واياك اعتراض دعاى بين اعلم وبين ما سد مسد معموليه اعني ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اول الاسلام اى في ابتدائه يتالف الناس ممن كان حديث عهد
باسلام اى يتانسهم ويداريهم بما يصل منه اليهم من مال وغيره ليثبتوا على الاسلام
هذا وان كان في نفسه مقبولا فلم يكن اول الاسلام بل كان بالمدينة بعد الهجرة
فلو قال كان اول الهجرة لربما قبل ويغيد قلوبهم اى يلفتها ويجذبها اليه بحسن
بيانه وطيب كلامه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم اى يحسنه ويرغبهم
فيه ويداريهم ملاطفة لهم ورفقا بهم ويقول لاصحابه انما بعثتم مبشرين اى مسهلين
مسامحين بلا تعسير وتشديد ولم تبعثوا منفرين للناس عن الاسلام وغيره
مما يحملهم على النفور من غلظة وشدة وفظاظة ويقول يسروا ولا تعسروا اى
سهلوا ولا تشددوا وسكنوا ولا تنفروا اى اقروا الناس على ما هم عليه من هدى

وحسن

وحسن حال وسمت صالح ويقول كما مر في قصة علم النفاق لا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وكان اى النبي صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين اى يحسن
صحبتهم ويستميلهم حذرا من ان ينفروا عنه وفي الحديث راس العقل بعد الايمان بالله
مداراة الناس ويجمل صحبتهم اى يحسنها قولا وفعلا بخلق جميل ويغضي عنهم كناية عن ترك
مواخذتهم بما يصدر منهم من غض طرفه اذا ارخاه مطرقا ولم يفتح عينه وعن ام سلمة
جاديات المتشاعض الاطراف ويحتمل من اذاهم من زايدة او تبعيضية ويصبر على جفاهم
من غلظة وسوء صنيعهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر منا لهم عليه لانا مامورون بعدم
اكرامهم وزجرهم عن تظاهرهم بفعل ما لا يليق وكان يرفقهم ويوصلهم بالعطا والاحسان
اليهم تفاديا من نفرتهم عنه وبذلك اى بما ذكر من مداراته لهم وغيرها امره الله
فقال ولا تزال تطلع على خاينة تصدر عنهم مما هو دابهم ودينهم اقتدا باسلافهم
اذ كانوا يخونون الرسل وهم لا يخونونك بنكثهم عهودك وهمهم بالفتك بك اى على
خيانة منهم او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خاينة ويقال رجل
خاينة كرجل راوية للمبالغة وقرئ على خيانة منهم الا قليلا وهم من امن منهم
فاعف عنهم واصفح حث له على مخالفتهم بحسن خلق حسن وقيل عن مومنيهم ولا تواخذهم
بما سلف منهم وقال ادفع اى السيئة التي وردت عليك منهم عداوة وحسدا بالحسنة
التي هي احسن من اختيها فاذا اعترضتك حسنتك فالحسنة هي ان تعفو عنه والتي هي
احسن هي احسن اليه باساته اليك كان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده فاذا
دفعت سيئته الذي بينك وبينه عداوة بحسنتك التي هي احسن من اختيها لا يليقها
في الدفع كانه ولي حميم مضاف بمثابة الصفا وذلك اى ما امره الله به يتالف به ويميل
به القلوب اليه لحاجة الناس للتالف اول الاسلام واوايل الهجرة والى جمع الكلمة عليه
واجتماعها فيه صلى الله عليه وسلم لانه مورد الهدى ومصدره فلما استقر به صلى
الله عليه وسلم دين الحق واظهره الله على الدين كله قتل من ناواه وبارزه والب عليه
عداه ممن قدر عليه واشتهر امره عداوة كفعله صلى الله عليه وسلم بابن خطل اذ قيل
له يوم فتح مكة انه متعلق باستار الكعبة فقال اقتلوه وقتل من عهد اى اوصى بقتله
يوم الفتح اى فتح مكة وقتل من امكنه قتله غيلة بكسر المعجمة اى خفية من الاغتيال
وهو ان يخدع ثم يوصل الى موضع لا يراه فيه احد وورد ان عمر قتل بصبي قتل غيلة سبعة
من يهود كابن ابي الحقيق وابن الاشرف وغيرهما اى غير يهود وقتل من امكنه قتله
غلبة منه صلى الله عليه وسلم عليه كابي عزة الجمحي من لم ينظمه قبل اى قبل قتله
سلك صحبته صلى الله عليه وسلم ولم ينظمه قبله الانخراط اى الدخول في جملة مظهري
الايمان به صلى الله عليه وسلم ممن كان يوذيه ويول عليه كابن الاشرف وابي رافع
والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط هذا وفي ذكره ابن الاشرف هنا مع من
قتله غلبة نظر وانما قتل غيلة كما مر وكذلك بدرا اى سقط واهدر دم جماعة سواهم
اى غير من ذكر مثل كعب بن زهير وابن الزبعرى بزاي مكسورة وبا مفتوحة وغيرهما
ممن اذاه حتى القوا بايديهم اى اقتضوها منا وصلهم اليه صلى الله عليه وسلم
ولقوه مسلمين فعفى عنهم واولاهم معروفه وبواطن المنافقين كانت عنه

مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم انما كان على الظاهر تشريعا للامة ولحكم مهمة
بدون اذن الاطلاع لهم على البواطن هذا ولقد كان يعرف ما في ضمائرهم وانما يتعرض لهم حذرا
من تحدث الناس كما قال صلى الله عليه وسلم ان محمدا يقتل اصحابه اي في الظاهر
فليسوا في الحقيقة باصحاب له واكثر تلك الكلمات التي كانت تصدر عنهم مما كان يؤذيه
صلى الله عليه وسلم انما كان يقولها القائل منهم خفية وكان يقولها مع امثاله من
المنافقين ويحلفون عليها اذ نميت عنهم ببنائه للمفعول من النمي اعني الرفع والتبليغ
ان كان على وجه الاصلاح وطلب الخير خففت او على وجه الافساد والنميمة شددت
كذا عن ابي عبيد وابن قتيبة وغيرهما قال الحلبي اكثر المحدثين يروونها مخففا
وينكرونها اذا قيل لهم قلتم كذا ويحلفون بالله ما قالوا كما مر عن ابن ابي وابن سويد
وغيرهما في غزوة بني المصطلق بالمريسيع ولقد قالوا كلمة الكفر استهزاء به في
اخباره اصحابه انه سيفتح قصور الشام وحصونها كما مر وكان اي النبي صلى الله عليه وسلم
مع هذا اي قولهم كلمة الكفر يطمع في فيئتهم ورجوعهم تفسير لما قبله اذ الفيء في الاصل
الرجوع الى الاسلام وكان صلى الله عليه وسلم يطمع في توبتهم من نفاقهم فيصبر
على هناتهم اي شدائد شرورهم وعظام فسادهم واحدها هنة وتجمع ايضا على
هنوات ويصبر ايضا على جفوتهم اي غلظة طبعهم وفحش قولهم كما صبر اولوا
العزم من الرسل اي الجد والثبات والصبر ومن ان كانت تبعيضية فهم كما مر بعض
الانبياء ثم قيل هم نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده
واسمعيل واسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده يوسف ويوسف على الجب
والسجن وايوب على الضر وموسى على اذى فرعون وقومه وداود على بكائه
على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وان كانت بيانية
فكلهم اولوا عزم حتى فاء اي رجع كثير منهم باطنا بعد نفاقه كما فاء ولا حاله
تناقضه ظاهرا واخلص سرا كما ظهر جهرا الموالاة ظاهرة بالسنة اخلاصا ونفع الله بعد
اي بعد اخلاصهم بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء كالجلاس بن سويد واعوانا وحماة
وانصارا يؤازرونه اي يقوونه ويعاضدونه اصحابه في حمايته كما جاءت به الاخبار
وبهذا وبما ورد بتركه صلى الله عليه وسلم قتل المنافقين من استتار بواطنهم
انما كان على الظاهر كما مر اجاب بعض ائمتنا عن هذا السؤال اول الفصل وقال لعله
صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنده من اقوالهم ما رفع اليه وانما ورد بطريق الاحاد نقله الواحد
ومن لم يصل رتبة الشهادة كزيد بن ارقم ناقل قصة ابن ابي صغيرا في هذا الباب اي
باب ما يوجب قتل من سب نبيا من الانبياء من صبي وعبد او امرأة ممن لا تقبل شهادته
في سفك دم والدماء لا تستباح الا بعدلين هذا وان تعجب فعجب رضى المصنف بعموم
هذا الجواب فاقلاله عن بعض ائمة المالكية مع نزول القرآن بتكذيب قول من حلف
انه لم يقل وقد قال كابن ابي وابن سويد كما مر في قصتهما لكن ابن سويد تاب بعد ذلك
واخلص دينه لله وعلى هذا اي على جواب بعض ائمتنا يحمل امر اليهود في السلام وانهم
لووا به اي فتلوا بالسلام السنتهم ولم يبينوه ووضعوا ما اضمروه من الدعاء عليه ۝
بالسام بما يؤذيه موضع ما اظهروه من السلام لانه منهم ووقاحة ونفاقا الا ترى كيف

بهمت عليه عائشة اذ فطنت له والنبي صلى الله عليه وسلم بقولها لهم عليكم السام والذام
وفي رواية واللعنة تحسبا لهم فقال مهلا يا عائشة ألم تسمعي ما اقول لهم وعليكم
فان الله يستجيب لي فيهم ولا يستجيب لهم في وقال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا
وعليكم اي ردوا الذي يقولونه لكم عليهم قال الخطابي عامة المحدثين يروونه وعليكم
بواو العطف وكان ابن عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب كما مر لانه اذا حذفها صار ذلك
بيان ما قالوه مردود بعينه عليهم خاصة واثباتها بالتشريك معهم فيما قالوه ولو كان
اي اليهودي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم السام عليكم صرح بذلك لم تنفرد
اي عائشة بعلمه دونه صلى الله عليه وسلم ولهذا اي ولكونه لم يصرح بالسام مضمرا
له خبثا ولأمة نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم القبيح وقلة بل عدم
صدقهم في سلامهم وخيانتهم الشنيعة ووقاحتهم العظيمة تركا للحرمة وروغانا عن
ايلاء الجميل مما اظهروه من اتمامه السلام الى ما اظهروه من دعائهم عليه بالسام
ليّا وطعنا في الدين اعراضا وتكذيبا به فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول
السام اي الموت عليكم فقولوا عليكم او وعليكم بواو العطف المؤذنة بالتشريك الموافق
تركها لرواية ابن عيينة التي صوبها الخطابي فيما مر رد الدعاء بعينه عليهم حذرا
مما يؤذن به واو العطف من التشارك فيه وكذلك اي مثل ما اجاب به ذلك البعض
قال بعض اصحابنا من المالكية البغداديين كالقاضي عبد الوهاب وابن خويزمنداد
وابن الجلاب ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه اي مع علمه بنفاقهم
باطلاع الله له عليه فيهم ولم يأت احد من رواة الاخبار ونقلة الآثار انه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك لما ذكر تركهم ولم يقتلهم وكذلك بينة عليه ما وردت به سورتا
المنافقين وبراءة من البحث على اسرارهم واظهار نفاقهم وبيانه تفضيحا لهم وتوبيخا
وتبكيتا وتنكيلا وخزيا ومذمة عليهم وتسجيلا وايضا كان اي نفاقهم سرا وباطنا
تنفعه به مع حسنه ما حكاه من بعض ائمة واصحابه البغداديين جوابا عن تركه
قتلهم مما لا يجدي نفعا وما كان ينبغي شغفه به لاظهار سورتي براءة والمنافقين
له صلى الله عليه وسلم ما كانوا يسرونه من نفاقهم وظاهرهم الاسلام والايمان ۝
بما سر ما بمعنى واحد اذ لا يعقل مسلم غير مؤمن ولا مؤمن غير مسلم وان كان من
اهل الذمة اي الذمام والحفاظ بالعهد والجوار اي الامان من الاجارة يجيره اذا
امنه والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد اي بعد كونهم قريبي عهدهم به
الخبيث منهم من الطيب وقد شاع اي فشا وذاع وملأ الاسماع عن المذكورين من باطن
وفرخ في ضمائرهم النفاق في العرب كون من هو متهم بالنفاق ومن جملة المؤمنين
باظهارهم الاسلام ظاهرا تقية ومن جملة اصحاب سيد المرسلين المفادين عموم حديث
البخاري انا سيد الاولين والآخرين ومن جملة انصاره الذين بحكم ظاهرهم انهم
مؤمنون وهذا هو الحامل له صلى الله عليه وسلم على ترك قتلهم ومن ثم قال لعمر اذ قال
له دعني اضرب عنق هذا المنافق لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فلو قتلهم
لنفاقهم وهم يبدو واي يظهر للناس منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم من النفاق لوجد
المنفر جواب لو ما يقول مما يتوصل به الى ترك الدخول في الاسلام ولارتاب الشارد

من شرد البعير يشرد شرودا اذا نفر وذهب في الارض وفي الحديث لتدخلن الجنة اجمعون الا من شرد على الله اي الخارج عن طاعته وفارق الجماعة والمرجفون اي الحايد عن القصد المراد للحق مع العلم به بعينه وتقوله الاقاويل الكاذبة المنفردة من والمرتاع اي خاف من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وارتاع ايضا من الدخول في الاسلام غير واحد ممن ضعف يقينه ونجم سوء عقده وجبنه وحملان من دخل غلطا كان لهم الامن وهم ممتدون ولقد زعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل للمنافقين انما كان للعداوة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم وطلب اخذ الترة بكثير الشناة فوق اي البتقة والنقص وقد رأيت ما حررته من ان امرهم كان سرا وباطنا وانه صلى الله عليه وسلم انما يحكم بالظاهر وكان ظاهرهم الاسلام وشاع انهم من جملة المؤمنين منسوبا لمالك بن انس الامام وبه رد ناصر السنة الشافعي على من زعم ان من حلف انه لا يلبس من غزل فلانة فنسجته وباعته منسوجا ثم اشترت بثمنه طعاما فاكل منه فانه يحنث لنبوه عن مبنى احكامه صلى الله عليه وسلم الذي هو الظاهر دون الباطن تشريعا للحكام بعده لعدم اطلاعهم على البواطن ولهذا اي ولظهور كونهم من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين قال صلى الله عليه وسلم كما مر لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم في حقهم ولا ادري من رواه اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا اي عدم اجراء احكامه عليهم من حيث بواطنهم بخلاف اجراء احكام الظاهر عليهم مع بيانه لما بعدها مثل حدود الزنا جلدا او رجما والقتل قودا واحدا وشبهه كحد السرقة والقذف وشرب الخمر لظهورها واستواء الناس فيها علما ومعرفة ما نما من الاحكام الشرعية الواجبة وقال ابن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا وكفاك ببيان انه لا اظهار لا بل انما لم يقتلهم بعضهم لظهور كونهم متسمين بالايمان متسمين باصحابه صلى الله عليه وسلم ومن ثم جعل علة تركه قتلهم تحدث الناس انه يقتل اصحابه وقال ابن الصفار وقال قتادة في تفسير قوله لئن لم ينته المنافقون جمع منافق من النفاق وهو اسم اسلامي لم تعرف العرب معناه الشرعي وهو اخفاء الكفر واظهار الايمان وان كان اصله لغة معروفا عندهم ماخوذ من نافقاء اليربوع احد بابي جحره اذا طلب من احدهما خرج هاربا من الاخر فيقال نافق اليربوع وقيل ماخوذ من النفق اي السرب يستتر فيه لستره كفره والذين في قلوبهم مرض لضعف ايمانهم وقلة ثباتهم عليه والمرجفون في المدينة باخبار سوء مفتريات بين ايديهم وارجافهم عن سراياه صلى الله عليه وسلم يقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كذا ليؤذوا به المؤمنين من الرجفة وهي الزلزلة يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقته لتزلزله بعدم ثبوته اي لئن لم ينتهوا عن عداوتهم وكيدهم عما يفترونه من الاخبار لنغرينك اي لنامرنك ان توقع بهم نكالا تجعلهم عبرة لغيرهم ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك جوابا ثانيا للقسم وثم لم يعطف عليه بالفاء لعدم تسببه عنه اي بان تضطرهم الى الجلاء عن المدينة والرحيل لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يلتقطون انفسهم وعيالهم لان الجلا عن الاوطان كان عليهم اعظم واقطع من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا مبعدين عن رحمة الله مطرودين

فدخل

فدخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما في لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه اي لا تدخلوها الا غير ناظرين ادراكه او وقته اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين خلوا من قبل ممن كان قبلكم يا فئة الانبياء يقتلوا اينما وجدوا وظفر بهم ولن تجد لسنة الله تبديلا بل هي جارية على سنن واحد في جميع الامم قال اي قتادة معناه اذا اظهروا النفاق وقد ظهر من بعضهم كما مر ثم من تاب وحكى ابن سلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم من فقهاء التابعين بالمدينة ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم جميعا فيما تجاهدهم به من قتال ومحاجة وعن الحسن وقتادة وجاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم نسخت ما كان قبلها مما اذن بمسالمتهم وعدم التعرض لهم وقال بعض مشايخنا من فقهاء المالكية او متكلمي الاشعرية لعل اذ الخويصرة حرقوص القايل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قسم قسمة هذه قسمة ما اريد بها وجه الله بل كانت جارية على قانون العدل في منهاج الشريعة ولعل فوق له قبل ذلك اعدل لم يفهم منه الطعن عليه في قسمته ولا التهمة له فيها وانما فهم منه انه رآها برأيه الفاسد انما صدرت منه صلى الله عليه وسلم من وجه الغلط في الرأي وحاشاه من ذلك في امور الدنيا والاجتهاد لعصمته في جميع حالاته وفي مصالح اهلها اي اهل الدنيا فلذا لم يعاقبه هذا وانما ترك عقابه حذرا من قالة الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكقوله في آخر الحديث يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون في الدين الحديث وكذلك اي ومما قيل في حرقوص من الاعتذار يقال في اليهود اذ قالوا له صلى الله عليه وسلم مظهرين السلام عليه السام عليكم للسين فيه صريح سب ولا دعا الا بما لا بد منه لكل مخلوق من الموت وقيل اعتذارا عن اليهود ايضا في قولهم له السام عليكم المراد به تسامون دينكم اي تملونه وتضجرون منه والسام والسآمة الملل والضجر والتبرم من سئم مهموزا والرواية بلا همز لاختلاف صيغتيهما واوا وهمزا وههنا على زعم هذا القايل ان السام مهموزا بمعنى الضجر والملل دعا على سآمة الدين ليس بصريح سب له صلى الله عليه وسلم ولهذا اي ولكونه ليس بصريح سب ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره ولم يصرح بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اي قول اليهود السام عليكم ليس بتعريض بالسب له صلى الله عليه وسلم وانما هو تعريض بالاذى وقد لا يعزب عنك ان هذا بخلاف ما قدمنا ان الاذى والسب في حقه سوا فيقتل من اجترا بواحد منهما عليه صلى الله عليه وسلم وقال ابن نصر مجيبا عن هذا الحديث اي حديث السام عليكم ببعض ما تقدم مما اذن بعدم التسوية بين السب والاذى في حقه صلى الله عليه وسلم ثم قال اي ابن نصر ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل الذمة فينتقض عهده ويبلغ مامنه او الحرب فيهدر دمه ولا يترك موجب الادلة من القتل بسب او شتم للامر المحتمل لواحد منهما والاولى في ذلك كله مما ذكر توجيها لتركه صلى الله عليه وسلم قتلهم والاظهر من هذه الوجوه لقصد الاستيلاف له كغيرهم على الدين لعلهم يدخلون له ويؤمنون به وكذلك اي ولكون المراد الايتلاف والمداراة على الدين

ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج للتالف والاستيناس ليثبتوا على الاسلام
ولئلا ينفر الناس عنه صلى الله عليه وسلم ولما ذكرنا بمعناه عن مالك فيما مر وقررنا قبل
اى قبل ما ذكره بمعناه عن مالك وقد صبر صلى الله عليه وسلم على سحر من لبيد بن الاعصم
اليهودي وعلى سمه من المراة بشاة خيبر وهو اعظم من سبه اذ قد صار به الى حيث انه كان
يخيل له انه فعل الشئ وما فعله الى ان نصره الله عليهم غاية لصبره على ما اوذى به من سحر وغيره
واذن له في قتل من حينه بمهملة فيا تحتية مشددة اى على قتله في حين معلوم وانزالهم
من صياصيهم اى حصونهم وكما يمتنع به فهو صيصه وقذف اى القى فثبت وركن في قلوبهم
الرعب اى الخوف فاوعز صدورهم وملاها وكتب على من شاء منهم الجلاء من ارضه الى حيث
شاء لتطهير الارض المدينة منهم وازاحة للمسلمين من جوارهم وكتب عليهم اخراجهم من ديارهم
وخرب بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين بالنقض والهدم لما اراد الله من استيصال شافتهم
وان لا يبقى بالمدينة من دورهم دار ولا منهم ديار وكاشفهم اى ابرز لهم ما جهلوه من مواجهتهم
به بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وقال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير
فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ في طوائفهم وحكم فيهم سيوف المسلمين واحتاجوهم قتلا
غيلة وصبرا واجلاهم اى اخرجهم من جوارهم ازاحة لهم منهم فان قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح من رواية البخاري وغيره عن عايشة ما انتقم اى النبي صلى الله عليه وسلم
لنفسه في شئ يؤتى اليه ويواجه به ولم يعاقب احدا على مكروه قط الا ان تنتهك حرمة الله
مبالغة في خرق حرمة الشرع ومخالفته فينتقم لله حين تتعدى حدوده فاعلم ان هذا اى
ما افاده الحديث من تركه صلى الله عليه وسلم الانتقام لنفسه لا يقتضى انه لم ينتقم
ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه المذكورات من حرمات الله التى انتقم لها ممن صدرت
منه في حقه صلى الله عليه وسلم كابي عزة الجمحي وابى رافع وكعب بن الاشرف وانما يكون ما لم
ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب لمن اعرابي جاف او معاملة من احد منهم من القول والفعل
بالنفس والمال مما لم يقصدوا عليه به اذاه لكن صدر على وجه الغلط والحماقة والجلافة
مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او مما جبل البشر عليه من الغفلة كجبذه
بجيم فبا موحدة فذال معجمة الاعرابي رداه حتى اثر في عنقه وقال كما رواه البخاري
مر لى من مال الله الذى عندك وكرفع صوت الاعرابي الاخر عنده وقال هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله وكجحد الاعرابي كما رواه البخاري شراه اى شراء النبي صلى الله عليه وسلم
شهادة خزيمة بشهادتين وكما كان من تظاهر زوجتيه عايشة وحفصة او غيرهما كما مر بيانه
واشباه هذا الذى ذكر مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر رجا صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك اى بعد اذاه بما ذكر اسلامه لعفوه عن ابن سعنه فاسلم كما مر
وعن اليهود الذى سحره يعنى لبيد بن الاعصم وعن الاعرابي الذى اراد قتله يعني غورث
ابن الحارث وعن اليهودية التى سمته في شاة بخيبر وقيل قتلها ببشر بن البراء وليس
هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب من اليهود والنصارى والمنافقين ممن جاوره ○
بالمدينة وغيرهم فصفح عنهم لانه صلى الله عليه وسلم كان اهل التقوى واهل المغفرة رجا استيلافهم
واستيلاف غيرهم بهم من العرب فصل تقدم الكلام مرارا كثيرة مما تسام
النفس تكراره في قتل القاصد لسبه والازدراء به وغمصه بمعجمة ومهملة بينهما ميم واصله

ازرى

ازرى قلبت ياؤه والا لجا ونحا الزاى اى احتقره وعابه باى وجه كان من ممكن وجوده
او محال ممتنع وجوده فهذا وجه لا اشكال فيه ولا توقف في قتل متعاطيه الوجه
الثانى لاحق في كونه مثله او قريبا منه في البيان والجلاء وهو ان يكون القايل لما
قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والازدراء انتقاصا واستخفافا
به ولا معتقدا له ولكنه تكلم به في جهته اى النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او
سبه او تكذيبه صلى الله عليه وسلم في شئ مما جاء به من الدين او اضافة ما لا يجوز عليه
او نفى ما يجب له عنه مما هو في حقه نقيصة مثل ان ينسب اليه كبيره وحاشا صلى الله
عليه وسلم من ذلك كله او مداهنة ومحاباة تساهلا في تبليغ الرسالة او حكم بين الناس
او يغض من مرتبته او من شرف نسبه او من وفور علمه وقرارته وكثرته او من زهده
وتقلله وتجافيه عن مضاجع الغرور او يكذب بما اشتهر به من امور اخبر بها وتواتر
اى تواصل الخبر بها عن جميع يؤمن توافقهم على الكذب عنه عن قصد لرد خبره او ياتى
بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته اى النبي صلى الله عليه وسلم
وان ظهر بدليل حاله اى حال الاتى بسفه او غيره مما ذكر انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد
سبه صلى الله عليه وسلم اما لجهالة حملته على ما قاله او ضجر وسامة تبرما او سكر
ولوطا في التعدية او قلة مراقبة وقلة ضبط لسانه وعجرفة اى مجازفة في كلامه
بلا تامل وتدبر وتهور في كلامه لا يجدى نفعا فحكم هذا الوجه اى الثانى حكم الوجه
الاول وهو القتل دون تلعثم اى بلا توقف اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان اى خطابه ولا بشئ مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته اى في ابتدا
جبلته وطبعه سليما من افات الكفر والمعاصى مستمرا على لزوم مقتضاها من الطاعات
الا من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يواخذ بما اكره عليه وبهذا اى بما افاده
الوجه الثانى من ان من تكلم في حقه صلى الله عليه وسلم بما ذكر يحذوه القتل
افتى الاندلسيون اى علماء الاندلس من اصحاب مالك على ابن حاتم في نفيه الزهد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان اغناه عما اورثه القتل في الدنيا والخزى
في الاخرة وقال ابن سحنون في الماسور بايدى الكفار يسب النبي صلى الله عليه وسلم
في ايدى العدو يقتل لتجريه على شريف جنابه الكريم الا ان يعلم تنصره او اكراهه
فلا يقتل اذ لا مواخذة لمكره بما اكره عليه لشهادة حديث رفع عن امتى الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه وعن ابن ابى زيد لا يعذر من تكلم بما لا يليق بشريف
جنابه بدعوى ذلل في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسى فيمن شتم النبي صلى الله
عليه وسلم في سكره اى تعديا يقتل لانه يظن به انه يعتقده ويظن به انه كان ○
يفعله في صحوه وايضا فانه اى قتله لشتمه صلى الله عليه وسلم حد لا يسقطه
السكر كالقذف والقتل وساير الحدود الفارقة بين الحلال والحرام المانعة من
قربان الحرام كالزنا والمترتب عليها كالرجم لانه ادخله على نفسه باجترائه عليه
صلى الله عليه وسلم بما لا يليق به لان من شرب الخمر على علم الظرفية مجازية استقرار
لها على تشبيهها لتمكنه من العلم بتمكن راكب بمركوبه حال من ضمير شرب اى حالما
زوال عقله بها واتيان ما ينكر من حيث هو سكر متادرا منه فهو كالقاصد لما يكون

بسببه القتل وما شياعنه وعلى هذا اى القول الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
اذا طلق واعتق وقتل حال سكره والزمناه الحدود اى واخذناه بها اذا اصدرت منه
مع ما يترتب عليها الجلد بالقذف والقطع بالسرقة والرجم بالزنا ولا يعترض على هذا
اى ما ذكر من ان من سكر يواخذ حال سكره متعمدا بحديث حمزة بن عبد المطلب الذى
رواه البخارى ومسلم عن على ان حمزة قبل ان تحرم الخمر كان فى شرب وبغنا الدار سار
فان لعلى اراد ان ياتى عليهما باذخر يبيعه ليستعين بثمنه على تزوج فاطمة وعندهم
جارية تغنيهم فقالت ٠ الا يا حمز للشرف النواء ٠ فخرج اليهما فبقر خواصرهما
وجب اسنمتهما فاخبر على النبى صلى الله عليه وسلم فجاء فلما رآه حمزة صعد نظره اليه
وخاطبه ثملا بما لا يليق مثل قوله له صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابى فعرف
صلى الله عليه وسلم انه ثمل اى سكران فانصرف ولم يواخذ بما صدر منه لان الخمر حينئذ
غير محرمة بل كان هذا سببا لتحريمها فلم يكن فى جنايته اثم وكان حكم ما يحدث عنها
من سكر من شىء مما معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون العاقبة
واما ضمان الشارفين فمن خطاب الوضع فلا فرق بينه وبين النائم فى ضمان
ما اتلفاه ولعله اذ ذاك لم يكن شرع تعلق الضمان باتلافهما او سومح او غرم بعد ذلك

فصل الوجه الثالث ان يقصد احد من الناس الى تكذيبه صلى الله
عليه وسلم فيما قاله اذ كان ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والى تكذيبه
فيما اتى به مما اوحى اليه وامر بتبليغه او بنفى نبوته او رسالته او وجوده بانه
لم يوجد فى زمن من الازمنة او يكفر به سرا انتقل بقوله ذلك الذى يصير به
كافرا صلى الله عليه وسلم الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر بالاجماع يجب قتله
ثم ينظر بعد الحكم بكفره فان كان مصرحا بذلك بعد الحكم بكفره كان حكمه اشبه بحكم المرتد
وقوى الخلاف فى استتابته هل يستتاب ام لا على ما تقرر وعلى القول الاخر باستتابته
لا تسقط القتل عنه توبته لاجل حده بسبب نبى من الانبياء عند بعضهم كابى بكر الفارسى
منا القتل وان تاب وقبل قضا لحق النبى ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله عن المتنقص
من كذب او غيره ان كان مستترا اى متسترا بذلك المستتر به فحكمه حكم
الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا معشر المالكية كما سنبينه ان شاء الله
تعالى قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد فلم يستقم على ايمانه ولم يمتثل امره
ونهيه فقد كذب به فهو مرتد لرجوعه عن دينه الحق حلال دمه الا ان يرجع عن براءته
منه وتكذيبه وقال ابن القاسم فى المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى او لم يرسل
الى الناس كافة او لم ينزل عليه قرآن كريم وفرقان قديم وانما هو شىء يقوله تلقفا
وعزاه الحديبية وحاشاه من ذلك فلقد والله جاءهما بيضا نقية لم يشبها شك فادى
الرسالة ونصح الامة وجاهد فى الله حق جهاده فمن قال ذلك يقتل لانه كافر
بما اذن بتكذيبه له صلى الله عليه وسلم قال اى ابن القاسم ومن كفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان جحد رسالته ونبوته وما جاء به وانكره اى انكروه
من المسلمين فهو بمنزلة المرتد يقتل ان لم يتب وكذلك من اعلن بتكذيبه اى
اظهره جهرا انه كالمرتد يستتاب فان تاب والا قتل وكذلك قال اى ابن القاسم

الذى كفره مع

فيمن

فيمن تنبا اى زعم انه نبى وزعم انه يوحى اليه انه كالمرتد فى استتابته وقال
سحنون بفتح اوله وقد يكسر فعلون لعله من السحنة وهى بشرة الوجه وهيئته
وحاله قال ابن القاسم سواء دعا الى ذلك اى الى انه نبى يوحى اليه سرا او جهرا
فانه يكون كالمرتد قال اصبغ بن الفرج وهو اى من زعم انه نبى يوحى اليه كالمرتد
لانه قد كفر بكتاب الله لاخباره بانه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مع
الفرية اى الكذب على الله اذ ما يفترى الكذب الا الذى لا يؤمن بآيات الله ٠
وقال اشهب فى يهودى تنبا اى زعم انه نبى اذ زعم انه ارسل الى الناس فقد
والله خاب وخسر او قال بعد نبينا نبى انه يستتاب ان كان معلنا بذلك اى مظهرا
له فان تاب قبلت توبته والا يتب قتل وذلك اى وقتله انما يعتبر لانه مكذب
بما افتراه للنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فيما رواه الثقات لا نبى بعدى
اى لا نبيا بعده احد فلا يرد عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم لاخباره بمكثه فى اخر
الزمان اربعين سنة يحكم بشريعتنا ومفتر بما زعمه على الله فى دعواه عليه الرسالة
والنبوة مع قوله تعالى فى حق نبينا ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقال ابن سحنون
من شك فى حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى فهو كافر
جاحد لما جاء به عن ربه تعالى وقال اى ابن سحنون من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الامة اى امة نبينا وعلمائهم القتل وقال ابن ابى سليمان من قال
ان النبى صلى الله عليه وسلم اسود قتل لاشعاره بتنقيصه واستهانته ولم يكن
اسود وقال اى نحوه اى نحو ما قاله ابن ابى سليمان عثمان الحداد وقال اى ابن
ابى سليمان وابو عثمان او قال انه مات قبل ان يلتحى اى قبل ان يبرز لحيته
الكريمة او انه اى النبى صلى الله عليه وسلم كان بتاهرت ولم يكن بتهامة اى مكة
واخلافهما قتل لان هذا اى ما ذكر من انه مات قبل ان يلتحى وكان بتاهرت لا بتهامة
نفى صفته بذم قال ابن ربيع تبديل صفته بصفة غيرها سواء كانت صفة مدح
او ذم لشمائله الطاهرة وتبديل مواضعه الشريفة بغيرها كفر والمظهر له كافر
لاشاعته ما لا يليق بشرف منصبه وفيه الاستتابة فان تاب والا قتل والمستتر له
راضيا به زنديق يقتل دون استتابة لا بعلامه باطنه من خلاف ما يصمم
من انه على ما الناس عليه من الانقياد والاذعان وقبول ما جاء به صلى الله عليه وسلم
به لا المحمل واعتقاد اتصافه بصفات الكمال من غير تبديل لها مع اضماره خلاف

فصل الوجه الرابع ان ياتى من الكلام المحتمل لان يوصف صلى الله
عليه وسلم به بمحمل ظاهره يليق بكريم ذاته او بلفظ من القول المشكك يوقع مثله
فى الشك هل يمكن حمله اى محمل ذلك المشكك على النبى صلى الله عليه وسلم ووصفه
به او على غيره ممن يمكن حمله عليه او يتردد به فى المراد به من سلامته من المكروه
او سلامته من شره لا تليق بكريم ذاته صلى الله عليه وسلم فهنا هنا متردد النظر اى مقام
تردده فى المراد وحيرة العبر جمع عبرة ما يعتبر ويستدل به على غيره ومتردد مظنة
اختلاف المجتهدين فى المحمل والمشكك مما يحتاج الى الفحص والتامل نظرا واستدلالا
ليميزوا بين ما يليق بكريم ذاته صلى الله عليه وسلم وصفا وما لا يليق به فيوردونه

موردة قتلا او غيره بحسب اجتهادهم ووقفه استبرا المقلدين لهم فيما يحكمون به
اجتهادا من قتل وغيره ليهلك من هلك عن بينة واضحة لا شبهة في بطلانها لما عضد
من الدلايل والشواهد المؤذنة بمكون من وصفه صلى الله عليه وسلم بما لا يقرره من
ذلك حق قدره ويحيى من حي بوصفه له بما يليق بشريف ذاته وكريم محله عن بينة حق
فيتميز من منهج منهم تعظيمه وقدره حق قدره وعلت حرمته صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى اى منع يد قدحه عن عرضه اى عن موضع المدح منه صلى الله عليه وسلم وصانه
عن تنقصه ونكبه فجسر اى قدم بجتراء على القتل والحكم به ومنهم من عظم حرمة
سفك الدم ودرا الحد اى دفعه بالشبهة على الناظر فيه لاحتمال القول فيه لبيان الحكم
قال صلى الله عليه وسلم ادروا الحد بالشبهات وقد اختلف ايمتنا من المالكية
في رجل اغضبه غريمه فقال له عزيمة بعد ان اغضبه صلى الله عليه وسلم على محمد فقال
له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه بل صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ما تعاقب
الجديدان وتتابع السلوان فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
منتقصا له او شتم الملايكة الذين يصلون عليه صلى الله عليه وسلم قال سحنون
لا اذا كان على ما وصفت من الغضب الذي اغضبه به غريمه لانه لم يكن حال غضبه
له مضمرا للشتم لاحد منهم ولا من غيرهم وقال البرقي واصبغ لا يقتل لانه انما شتم
الناس يعني المصلين عليه وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره ولا غيره بما تقدم
بالغضب من شتم النبي صلى الله عليه وسلم اى الشان اى ولكن لما احتمل الكلام عنده
ولم تكن اى لم توجد معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم برفع شرف
مقامه عن ان يصاب بمكروه او شتم الملايكة ولا مقدمة اما من قدم اللازم بمعنى
تقدم او المتعدى بمعنى قدمت تصرفه عن ان يؤخذ به ويحمل عليهما لكلامه القرينة
الحالية المفادة من قوله لا صلى الله على من صلى عليه تدل على ان مراده الناس ولا ريب
انهم غيرها اى غير الملايكة ولا مقدمة تفيد ان قوله لا صلى الله على من صلى عليه
لا يحمل قوله لاخر له صل على النبي فحمل قوله لا صلى الله على من صلى عليه وسبه لمن صلى
عليه اى على النبي صلى الله عليه وسلم من الناس لان لا جل امر الاخر له بهذا اى بقوله
صل على النبي عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو اى قول سحنون مطابق لعلة صاحبيه
البرقي واصبغ التي هي لانه انما شتم الناس وذهب الحارث بن مسكين وغيره في مثل هذا
اى قوله لا صلى الله على من صلى عليه الى القتل لشموله ظاهرا لشتم كل من صلى عليه في اى مكان
وزمان من ملايكة وغيرهم وتوقف القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق
اى خان قرنان لعله من قيود الناس الزناة الى المومسات ولو كان نبيا مرسلا وامر له
الله تعالى اجر السانه على الخنا فامر اى القابسي بشده بالقيود والتضييق عليه حتى
تستفهم البينة غاية لامر لشده اى لتخبر بما تعلم عن جملة الفاظه ليفهم منها مراده
عما وما تدل منها على مقصده هل اراد الفنادق الان اى الموجودة في زمنه فمعلوم
انهم ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اهون مما قاله لجريا اخف من ان يريد عموم كل صاحب
فندق قال اى القابسي ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق تنزله المارة
به والعزبا من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبيا والرسل

صلوات

صلوات الله وسلامه عليهم من اكتسب المال فلعل احدا منهم بنى فندقا لله تعالى
تنزله المارة قال اى القابسي ودم المسلم لا يقدم عليه بالحكم باراقته الا بامر
بين لا يؤذن بالاقدام على اراقته كقذف الرافضة فيتهم الله عايشة رضي الله عنها
فانه قاض بتكذيب ما نزل ببراتها من القرآن في سورة النور وما ترد
اليه التاويلات مما يمكن تاويله لا بد من انعام النظر اى اطالته والتفكر فيه
هذا معنى كلامه اى كلام القابسي لا لفظه وحكى عن ابن ابي زيد ابي محمد
القيرواني فيمن قال لعن الله العرب ولعن بني اسرائيل ولعن بني ادم نعوذ
بالله من اللعن فضلا عن كثرته قال صلى الله عليه وسلم اللعانون لا يكونون
شفعا يوم القيامة وذكر اى هذا اللاعن انه لم يرد بلعنه ذلك الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم وانما اراد الظالمين منهم ان عليه الادب
هذا ما حكى عن ابن ابي زيد وقال بقدر اجتهاد السلطان لظاهره وان
ادى الى التلف وكذلك افتى اى ابن ابي زيد فيمن قال لعن الله من حرم
المسكر وقال لا اعلم من حرمه ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وافتى
ابن ابي زيد ايضا فيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن ما جا به من النهي
عن بيعه له فقال ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن الماثورة عنه
صلى الله عليه وسلم فعليه الادب الوجيع اى الموجع فالاسناد اليه عقلي
لانه لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله عليه الصلاة والسلام وانما
لعن من حرمه من الناس هذا او الذي حرمه ونهى عنه منهم مؤمن لا ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى عن ربه تبارك وتعالى وما افتى به نحو على نحو فتوى سحنون
واصحابه في المسئلة المتقدمة فيمن قيل له صل على محمد فقال لا صلى الله على من
صلى عليه ومثل هذا كثير اى احيانا كثيرة ما زيدت للتاكيد يجري في كلام الناس
ومحاوراتهم من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير وابن مائة كلب وشر تقود الى
اعظم من ذلك مما يورث القذف كقول بعضهم لبعض الاطفال يا ولد الزنا يا ابن الزانية
وشبهه من هجر القول اى فاحشه وقبيحه ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من
ابايه واجداده جماعة من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم ولعل هذا العدد
المنصوص عليه هنا من الالف والماية منقطع الى ادم صلى الله عليه وسلم اى منفصل به
من انقطع اليه ولعله يريد الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ لو كان
بمعناه لعداه بمن فينبغي الزجر عنه اى عما ذكر عن سفها الناس من قبيح قول بعضهم
لبعض وتبيين ما جهل قايله منه اى من كونه هجرا او فحشا وشدة الادب فيه
ولو علم بانها للمقول انه اى الساب قصد سب من في ابايه احد من الانبيا
على علم منه به لقتل لجراته على سب خاصة عباد الله وقد يضيق القول في نحو هذا
لو قال احد لرجل هاشمي من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي جد عبد الله بن ابي
النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم
نحو ذلك كما قال ابن ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن بني اسرائيل وقال
اردت الظالمين منهم دون الانبيا وقال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم

سنهاجی

فلم تكن اى لم توجد ثم قرينة فى المسيلتين اى مسالتى قوله القبيح فى ابايه او فيمن نسله اوولده يقتضى تخصيص بعض ابائه دون بعض واخراج النبى صلى الله عليه وسلم ممن شبه منهم وحيث انتفت القرينة المؤذنة بالمراجعة صلى الله عليه وسلم ممن سب منهم كان حده القتل ما لم يتب وقد اختلف مشايخنا اى المالكية فيمن قال لشاهد وقد شهد عليه بشىء ثم قال له اى قال الشاهد للمشهود عليه تتهمنى استفهام تقريرى او انكارى حذفت همزته فقال الاخر اى المشهود عليه الانبيا يتهمون هذا هو مقول القول فكيف انت اى اولى بان تتهم فكان شيخنا ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ اى لقبحه وشناعته وفى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم ياكل البشع اى الخشن الكريه الطعم لانه لم يكن يذم طعاما قط وكان ابن منصور يتوقف عن القتل ولا يقدم عليه لاحتمال اللفظ عنده ان يكن خبرا عمن اتهمهم من الكفار فقد كذبوهم بما قالوا لو وافق ابن الحاج هو محمد بن الحاج صاحب المدخل بنحو هذا اى التوقف ابن منصور وشد القاضى ابو محمد تصفيده اى تقييده وتوثيقه من صفده اى قيده وفى الحديث اذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين اى شدت واوثقت بالاغلال والصفد والصفاد القيد واطال سجنه ثم استحلفه حلفه على تكذيب ما شهد به اذ اى حين دخل فى شهادة بعض من شهد عليه وهن اى ضعف اسقطها عن الاعتبار ثم اطلقه وشاهدت شيخنا ابن عيسى ايام قضايه اتى برجل هاتر رجلا اسمه محمدا اى قاوله وقابحه فى القول من الهتر وهو الباطل والسقط فى الكلام وفى الحديث المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان اى يتقاولان ويتقابحان فى تقاولهما ثم قصد كلبا فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف اى جماعة من الناس فامر ان يمضى به الى السجن وتقصى بقاف وصاد مهملة اى بالغ فى التتبع والبحث عن حاله وهل يصحب من يستراب اى يظن به الريبة وسوء العقيدة فلما لم يجد اى شيخه ابن عيسى ما يقوى به الريبة باعتقاده ضربه بالسوط لتعزيره لجراته على فعل ما لا ينبغى واطلقه من السجن فصل

الوجه الخامس ان لا يقصد فيما ياتى من محل كلامه نقصا ولا يذكر عيبا اى قبيحا يرميه به صلى الله عليه وسلم انترا عليه ولا سبا بمهملة وبا موحدة اى شتما لكنه فى كلامه الاتى به ينزع اى يجذب ويميل بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه وسلم الى ما يصرفه عن ان يفهم منه نقص او سب او يستشهد فى كلامه ذلك ببعض احواله صلى الله عليه وسلم الجايزة عليه فى الدنيا على طريق ضرب المثل اعتبار الشىء بغيره وتمثيله به لما فيه من بيان المعنى ودفع الحجاب عن الغرض المطلوب ودفع ما يوهم خلافه وعلى طريق الحجة لنفسه او لغيره اعلاما للتاسى به صلى الله عليه وسلم او على طريق التشبه به صلى الله عليه وسلم بذكر ذلك الجايز عليه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا او يذكره عند هضيمة اى نقيصة نالته اى حصلت له صلى الله عليه وسلم او ودوكه عند غضاضة لحقته وعنيشة صلى الله عليه وسلم فذلك كله على طريق التاسى به اى الاقتداء من هذا القايل شيا من ذلك به صلى الله عليه وسلم ولا على طريق التحقيق لوقوعه لامحاله بل على مقصد الترفيع والتعظيم لنفسه ولغيره او على سبيل التمثيل لنفسه او لغيره

صلى

صلى الله عليه وسلم وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او على قصد الهزل اى اللعب والتندير بقوله اى الاملاح كقول القايل ان قيل فى السو فقد قيل فى النبى صلى الله عليه وسلم هذا او من قايد سواد ب اذ الانبيا لا يذكرون الا بما يليق بكريم مقامهم او ان كذبت بالبنا للمفعول وتا المتكلم فقد كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا وتالله لم يذنبوا ولم يكذبوا لعصمتهم وما صدر منهم مما ظاهره ذنب فانما هو لامر ما ريض بشى عن شى كقول خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فعله كبيرهم هذا اذ لم يرد به اسناد الفعل الصادر عنه الى كبيرهم بل اراد به تقريره واثباته لنفسه على اسلوب تعريضى تبكيتا لهم والزامهم الحجة وتنبيها على ان ما نحت من حجر وغيره لا يقدر على كسر شى ومن كانت هذه حاله فكيف يعبد فلما بكتهم والزمهم الحجة رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون لا من ظلمتموه بقولكم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين او انا اسلم من السنة الناس ان ينسبوا الى ما افعله ولم تسلم منهم انبيا الله ورسله فكيف اسلم انا منهم او صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل على ما ناواه اقوامهم لهم او لصبر ايوب صلى الله عليه وسلم على بلائه او قد صبر نبى الله صلى الله عليه وسلم عن عداه بكسر المهملة جمع عدو وحلم بكسر ثانيه من الحلم اى الاناة والتثبت فى الامور وهو من شعار العقلا اى تانى وصبر الى ان ظفره الله بهم فقتل وعفا كيوم فتح مكة على اكثر ما صبرت وكقول المتنبى اذا قام بنخلة من قرى بعلبك حذرا من الحرب بين حمص وحلب وحماه من قصيدة نظمها بنخلة من بحر الخفيف من عروضه المخبونه وضربها الصحيح ومن قافية المتواتر

ما مقامى بارض نخلة الا . كمقام المسيح بين اليهود

انا فى امة تداركها الله . غريب كصالح فى ثمود

اذ قد شبه نفسه فى الاول المؤذن به مقامه بينهم بالمسيح بن مريم وهم باليهود وبالثانى بصالح فى ثمود وهذا من زخرف القول وبهرجته مبالغة فى تشبيه نفسه بما عز وراءه ولم يقصد به سبا ولا نقصا لهما ولا استهزاء به ومثله اى مثل قول المتنبى من بحره وعروضه وضربها وقافيته من اشعار المتعجرفين فى القول المتجاوزين فيه الحد مبالغة وتغالبا المتساهلين فى الكلام كقول ابى العلا احمد بن سليمان المعرى

كنت موسى وافته بنت شعيب . غير ان ليس فيكما من فقير

فانه شبه فيه ممدوحه صلى الله عليه وسلم معرضا بالاساة على كليم الله جملة بترفيع شانه وشريف مكانه على ان اخر البيت شديد بجراته فى الاساة عليه صلى الله عليه وسلم وداخل فى باب الازرا اى الاحتقار والانتقاص من زريت عليه رايه اذا عبته والتحقير بالنبى موسى صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال ممدوحه عليه وهو ممدوحه مع زوجته اى على حال موسى صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله اى قول ابى العلا المعرى من بحر الكامل من عروضه الصحيحة وضربها المقطوع المجنون البيت الاول وقافيته متواتره

لولا انقطاع الوحى بعد محمد . قلنا محمد عن ابيه بديل

هو مثله فى الفضل الا انه . لم ياته برسالة جبريل

هذا افراط في الجمل بفضل الانبيا على غيرهم صلوات الله وسلامه عليهم لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه افضل الخلق على الاطلاق ما كان عن هذه الوصمة القبيحة الورطة الشنيعة فصد ر البيت الثاني لتشبيه غير النبي صلى الله عليه وسلم وهو ممدوحه في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم جهلا منه وعدم مبالات به والعجز يحتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة وهي كون جبريل لم يات ممدوحه برسالة نقصت بقاف مشددة الممدوح والوجه الاخر استغناوه عنهما اى عدم احتياج الممدوح الى رسالة مع جبريل وهذه اشد تنقصا لهما اذ ليس اهلا لهما ونحوه اى نحو قول ابي العلاء الاخر من بحر الرمل من عروضه المحذوفة وضربها الصحيح وقافيته متواترة .

• واذا ما رفعت راياته • صفقت بين جناحي جبرئين •

اى اضطربت برياح النصر بينهما وهذا اجترا على هذا الملك العظيم وقول الاخر من اهل العصر اى زمن المصنف من بحر المنسرح من عروضه المطوية وضربها المقطوع وقافيته متواترة

• فر من الخلد واستجار بنا • فصبر الله قلب رضوان •

اى على فراقه اذ لم يجاوره فيها وهذه محرفة كاذبة وكقول حسان المصيصي بالتخفيف من شعرا الاندلس بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال وضم اللام في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد على الله ووزيره ابي بكر بن زيدون من بحر الطويل من عروضه المقبوضة وضربها المماثل لها وقافيته متداركة

• كان ابا بكر ابو بكر الرضي • وحسان حسان وانت محمد •

اى كان وزيرك ايها الممدوح ابا بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك حسان المصيصي حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وكانك انت ايها الممدوح محمد النبي صلى الله عليه وسلم ونعوذ بالله من هذا التشبيه المؤذن بتسوية المشبهين والمشبه بهم في الفضل بينا وابي بكر وحسان بن ثابت الى امثال هذا الذي ذكرناه من المتجرفين وانما اكثرنا بشواهدها مع اشمئزازنا من حكايتها لتعريف امثالنا علة لتكثير شاهدها ولتساهل كثير من الناس شعرا وغيرهم في ولوج هذا الباب الضنك اى الضيق المظلم ولتساهل كثير من الناس شعرا وغيرهم واستخفافهم هذا العبء بكسر المهملة واسكان الباء وبعدها همزة اى تثقيل هذا الامر وقلة بل وعدم علمهم بعظم ما فيه من الوزر والاثم الكثير منه مما ذكروه في اشعارهم مما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا اى صغيرا وجزع بعضهم عند موته فقيل له لم جزعت فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم اى كبيرة لا سيما اى لا سى الذي هم الشعرا المجازفون في اشعارهم واسرهم فيه تصريحا والمسامحة فيه تسريحا اى اطلاقا ابن هاني الاندلسي وابو العلا احمد بن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما اى ابن هاني والمعري الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد احينا فيما مضى عنه وعرضنا الان الكلام في الفصل الذي سقنا امثلته فيه نظما ونثرا لان هذه اى الامثلة كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملايكة والانبيا نقصا يوذن بقتل قايله

او تقريره

او تقريره ولست اعني عجزي بيتي المعري فقط بل جميع ما ذكرناه من الامثلة ولا قصد قايلها ازراه اى احتقارا وانتقاصا وغضا فهو وان لم يقصد شيا من ذلك فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزب اى ولا قوى ولا اشد حرمة الاصطفا ولا عزز حظوة الكرامة بضم المهملة وكسرها اى عزتها وعظمها حتى شبه من شبه ممن ذكر من الانبيا والملايكة وغيرهم في كرامة بجايزة نالها من ممدوحه او معرة من عرة اذاها ما يكرهه وليس عليه اى مكروه او مشقة قصد الانتقا والتبري منها او ضرب مثل للتسهيل المراد او رفع الحجاب عنه وحمل المتوهم كالشاهد لتطييب مجلسه اى القايل ترغيبا في مجالسته او اغلا اى مغالاة ومبالغة في وصفه لتحسين كلامه وترويجه عند الناس بمن عظم الله خطره وشرف قدره من انبيايه واوليايه والزم كل احد توقيره وبره بطاعته له انقيادا او اذعانا وامتثالا واجتنابا ونهى عن جهر القول له بقوله تعالى لا تجهروا له بالقول ونهى عن رفع الصوت عنده بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اى نبينا صلى الله عليه وسلم فحق هذا القايل الذي لم يقصد بقوله نقصا ولم يذكر عيبا ولا سبا لكن كلامه يذكر بعض اوصافه ينزع الى ما يصرفه عن ان يفهم منه سبا او نقصا اذ درى الا درء عنه القتل الادب والسجن بحد ضرب وجيع وتوبيخ قطيع وقوة تعزيره بحسب سفه مقاله بضم المعجمة اى قبحه ومقتضى قبح ما نطق به وما لوف عادته لمثله اى لمثل ما نطق به او ندوره ومقتضى قرينة كلامه حالية او مقالية او بحسب ندمه على ما فرط وسبق منه ولم تزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وتقوله وقد انكر امير المومنين هارون الرشيد على ابي نواس من ناس ينوس نوسا اى تحرك وكان للعباس صفيرتان على راسه تنوسان اى تتحركان وكل ما تحرك متدليا فقد ناس وفي حديث ام زرع واناس من حلي اذني اى احلاهما قرطة وشنوفا تنوس بهما قوله المنكر من بحر الطويل من عروضه المقبوضة وضربها المحذوف وقافيته متواترة .

• فان يك في سحر فرعون فيكم • فان عصى موسى بكف خصيب •

اى وان يكن في مملكتكم ارض مصر بقية من سحره فلا هي تجدي نفعا مع وجود عصى موسى بكف اميرها خصيب تلقف ما يافكون فوبخه بذلك وقال له يا ابن اللخنا وهو النتن يقال لخن السقا اذا تغير ماوه اى يا ابن المنتنة او يا ابن التي لم تختن ينقطع بظرها انت المستهزي بعصى موسى صلى الله عليه وسلم بجعلك اياها ملك خصيب واخرجه من عسكره من ليلته التي سمع منه ذلك فيها وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه اى على ابي نواس ايضا وكفر به او قارب ان يكفره قوله من بحر البسيط من عروضه المخبونة وضربها المقطوع وقافيته متواترة في محمد الامين ابن هارون الرشيد وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم

• تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها • خلقا وخلقا كما قد الشراكان •

قاتله الله ما اجراه على الكذب وتقول الباطل وقد انكر عليه ايضا قوله

من بحر المديد المحذوف عروضه وضربه المخبونان وقافيته من المتراكب
كيف لا يدنيك من امل • من رسول الله من نفره •
اى من رهطه من لفظه لان من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه
بكسر الجيم وجمعه موجبات ومنه الملهم انى اسالك موجبات رحمتك كالاكرام له
اجلاله والمشى فى الظلم الى المساجد وفى المطر والبرد اليهما مما يوجبه ترغيبا فى
تعظيمه وانافة منزلته اى منزلتهما ان يضاف وينسب اليه صلى الله عليه وسلم
ولا يضاف هو صلى الله عليه وسلم وينسب الى احد فالحكم فى امثال هذا الذى اورده ناه
من كلام هو لا المعجر فين وغيرهم ما بسطناه فى طريق الفتيا فيما مر من ان كلا يقتضى عليه
بحسب ما صدر منه على هذا المنهج الذى سلكناه جاز فيناامام مذهبنا مالك بن انس
امام دار الهجرة النبويه واصحابه حقيقة ومجازا فنى النواد رمن رواية ابن ابى مريم
عنه اى عن مالك فى رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرنى بالفقر استفهام انكارى حذفت
همزته وقد رعى النبى صلى الله عليه وسلم اى الغنم على قراريط لقريش فقال اى مالك
قد عرض بذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى غير موضعه مما لا يليق بذكره صلى الله
عليه وسلم فيه ارى ان يودب لتزعوى امثاله وترتدع عن مثل ذلك قال اى مالك
ولا ينبغى لاهل الذنوب اذا عيروا او وبخوا او عوتبوا ان يقولوا قد اخطا الانبيا
قبلنا فيجتنبوا ذلك تكريما لهم وتعظيما وقال عمر بن عبد العزيز بن مروان بن
الحكم لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا لما اتسموا به من البراعة والبلاغة بخلاف
من ابوه عجمى لما اتصفوا به من اللكنة والفهاهة فقال كاتب من كتابه له اى لعمر بن
عبد العزيز قد كان ابو النبى صلى الله عليه وسلم كافرا هذا حماقة وجهالة اذ لا مناسبة
بين عربية اى الكاتب وكفر ابى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اى عمر بن عبد العزيز
له جعلت هذا يعنى قوله كان ابو النبى كافرا مثلا تكشف به وتبين عدم اشتراط كونه
اى الكاتب عربيا فعزله بسواديه فى مقام لا يليق ان يذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم
بان اباه كان كافرا وقال له لا تكتب لى ابدا محلا وتاديبا له ولامثاله وقد كره
سحنون ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند التعجب كقول من تعجب من شى
صلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد واللهم صل وسلم على سيدنا محمد الا على طريق الثواب
والاحتساب بدون شائبة ريا وسمعة توقيرا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما
مفعول لاجلهما الصلاة والسلام عليه على تلك الطريق كما امرنا الله تعالى بها ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وسئل القابسى عن رجل قال لرجل قبيح
وجهه كانه وجه نكير احد فتانى القبر وقال لرجل عبوس او كالح قبيح المنظر
جهم المحيا كانه وجه مالك الغضبان خازن النار فقال اى القابسى اى شى اراد بهذا
اى بقوله كانه وجه نكير ووجه مالك وهما ملكان فالذى اراد روع اى خوف وفزع
دخل عليه والم به حين راه من وجهه اى وجه المقول له ام عاف النظر اليه اى كرهه
لدمامة خلقه قصرا وهزالا وكان باسامة دمامة فقال النبى صلى الله عليه وسلم
قد احسن الله بنا اذ لم يكن جارية فان كان هذا اى عدم النظر اليه فهو شديد
فى الاساءة والاستهانة لانه جرى مجرى التحقير والتهوين اى الاهانة او التهاون

فهو

فهو خليق بان ينال له اشد عقوبة تنكيلا وزجرا له ولغيره وليس فيه تصريح السب
للملك وانما السب واقع اولا وبالقصد على المخاطب لا على الملك وفى الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء جمع سفيه من السفه وهو الخفة اى المتسفهين انفسهم لخفة
عقولهم وسخافتهما قال اى القابسى واما ذكر مالك خازن النار فقد جفا من حفات
القدر اذارات ما اجتمع فى فمها من الزبد والوسخ اى رمى الذى ذكره ونفوه به من قوله
كانه وجه مالك الغضبان عند ما انكره من عبوس الاخر اى المقول له الا ان يكون المقيس
ممن له يد وسلطان ويرهب بعبوسه وكلح وجهه فيشبهه القايل على طريق الذم لهذا
الذى له يد فى فعله ولزومه فى صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه فى فعله من
اذ هو ممن قال فيهم عليها ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون
فيقول كانه لله يغضب غضب مالك خازن النار فيكون قوله ذلك اخف وما كان ينبغى
له التعرض لمثل هذا التشبيه بقوله كانه وجه مالك الغضبان فى هذا المقام ولو كان
هذا القايل قد ابنى على العبوس بعبسه واحتج بصفة مالك خازن النار ذم الملك ولو
قصد ذمه لقتل حدا لا كفرا وقال ابو الحسن القابسى ايضا فى شاب معروف بالخير والاصلاح
قال لرجل شيا فقال له الرجل اسكت زجرا له عما قال فانك امى اى على اصل ولادة امك
لك وفى الحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اى اصل ولادة امهم لهم لم
يتعلموا كتابا ولا حسابا على جبلتهم الاولى وعند الفقها هو من لا يحسن الفاتحة فقال
الشاب اليس استفهام تقريرى بحمل المخاطب على الاقرار بان كان النبى صلى الله عليه وسلم
اميا فشنع بالبنا للمفعول فقال اى شنع عليه وذم وكفره الناس جهلا منهم باطلاقهم
تكفيره بما قال واشفق الشاب اى خاف على نفسه مما قال واظهر الندم عليه اى على
ما صدر منه من سوء مقاله فقال ابو الحسن القابسى اما اطلاق القول بالكفر
عليه فخطا لانه لم يقصد سبا ولا نقصا له صلى الله عليه وسلم لكنه مخطى فى استشهاده
مستظهرا فى احتجاجه لكونه اميا بصفة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بين اميتهما
اذ كون النبى صلى الله عليه وسلم اميا انما هو اية له وفضيلة فيه وكون هذا اى الشاب
اميا انما هو نقيصة فيه وجهالة برفيع محله صلى الله عليه وسلم ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبى صلى الله عليه وسلم قياسا لوصفه بامية على وصفه بامية صلى الله عليه وسلم
لكنه اذا استغفر الله تبارك وتعالى وتاب واعترف بانه مخطى ولجا اى اعتضد واستند
الى الله فيترك لان قوله اليس كان النبى اميا لا ينتهى الى حد القتل وما طريقه ومرجعه الادب
من اقوال المجرمين فى اقوالهم فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه بعدم التعرض
له بسوء ونزلت ايضا مسيلة استفتى فيها اى طلب الجواب عنها بعض قضاة الاندلس
شيخنا القاضى ابا محمد بن منصور فى رجل تنقصه رجل اخر بشى من القول اخرجه
به فقال له انما تريد تنقصى بقولك ذلك لى وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص
فبرهقهم غضبا حتى النبى صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من جهل الجاهلين فافتاه
باطالة سجنه وايجاع ادبه ضربا شديدا اذ لم يقصد السب له صلى الله عليه وسلم بقوله
ذلك وكان بعض فقها الاندلس افتى بقتله اخذا له بظاهر قوله فصل
الوجه السادس ان يقول ذلك حاكيا عنه واثرا عن غيره اى راويا وناقلا عن

له من سواه فهذا اى الامر الناقل له ينظر فى صورة حكايته وقرينة مقالته المؤذنة بغرض الباعث له على نقله ويختلف الحكم المقتضى عليه به باختلاف ذلك من صورة حكايته وقرينة مقالته على اربعة وجوه واحكام الوجوب والندب والكراهة والتحريم يدل بعض من كل وهذا حديث اجمالى يرد عليك مفصلا فان كان اى الامر ونا قل اخبر به عن وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف لقايل حالا وصفة والانكار والاعلام بقوله ليعرف ما يترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ وتبكيت وتقبيح وعلى وجه التنفير منه والتجريح له بما يطعن فيه ويرد به قوله ليجتنب فهذا على الاختيار على وجه ما ذكر مما ينبغى امتثاله اى الانقياد له والاقدام عليه ليعمل به ويحمد فاعله اى اثره على وجه ما ذكر وكذلك ينبغى امتثاله ويحمد فاعله ان كان فى كتاب او فى مجلس على طريق الرد والنقض لقوله اى الرفع والابطال على قايله والفتيا بما يلزمه من قتل وتعزير وحبس وهذا اى ما حكى ردا ونقضا على قايله وفتيا بما يلزمه منه ما يجب بيان حكمه ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكى الذى حكاه ردا ونقضا وفتيا وبحسب حالات المحكى عنه فان كان القايل الحاكى لذلك الذى حكاه ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او يؤخذ عنه رواية الحديث النبوى او يقطع بوطئته بحكمه او شهادته بعدالته او تعتمد فتياه فى الحقوق لعلمه بما يليق وحقيقته عنده وجب على سامعه او سامع قوله حكما او فتيا الاشادة من اشاد البناء او اشاد فهو مشاد ومشيد اذا رفعته وطولته ثم استعير لرفع الصوت بما اريد رفعه به اى الاشاعة بما سمع منه ورفع ذكره والتنفير الناس عنه تحذيرا منه والشهادة عليه بما قاله ليجتنب ووجب على من بلغه ذلك الذى صدر عنه انكاره وبيان كفره ان كفر بما صدر منه وفساد قوله لقطع ضرره بما عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين من ردع منتقصه وروعه شانيه بارهاق ذاته وازهاق روحه قتلا او ضربا وحبيا وحبسا قطعيا وكذلك ان كان هذا القايل ممن يعظ العامة اى يذكرهم بايام الله وينهاهم عن زيادة ما نهى الله منه وحرمه او يؤدب الصبيان ويعلمهم القرآن وجب على سامعه اشادته وعلى من بلغه انكاره وبيان كفره وفساد قوله لما من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتاكد من هؤلاء الايجاب لانكاره وبيان كفر قايله باشادته واشاعته فى الناس لحق النبى صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته بالذب عنهما ما امكن فان لم يكن القايل بهذا السبيل بان لم يكن ممن يؤخذ عنه العلم ورواية الحديث فالقيام بحق النبى صلى الله عليه وسلم واجب ذباعن رفيع منزلته وكرم مقامه وحماية عرضه المتين لا يتهاون فيه بحال ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن اذ لا تفاوت فى اذيته حق قدره قبل موته وبعده لكنه اى القيام بحقه صلى الله عليه وسلم فرض كفاية اذا قام به ظهر به الحق وفصلت بضم الفاء وكسر المهملة مخففة القضية وبان الامر فلم يخف على احد شانه سقط عن الباقين الفرض وبقى الاستحباب وهو احد الاقوال فيما اذا انسخ الوجوب والحق انه يبقى الجواز اى عدم الحرج وقيل الاباحة وقيل الندب فى تكثير الشهادة على من صدر منه فى حقه صلى الله عليه وسلم قول غير لايق وعضد مصدر عضد اى نصر التحذير منه وقد اجمع السلف من ايمتنا

حفاظ الحديث وغيرهم على بيان المتهم فى الحديث ليحذر من الاخذ عنه حتى ان يحيى بن معين رءى طابقا لا لبيت يقول فلان كذاب فلان وضاع للحديث فلان لا تاخذوا عنه تقتيل فيه

ولابن معين فى الرجال مقالة سيبا وعنها والمليك شهيد

فكيف بمثل هذا من القيام فى حقه صلى الله عليه وسلم فهو اولى بوجوب تكثير الشهادة على من وقع فى حقه صلى الله عليه وسلم وقد سيل ابو محمد بن ابى زيد عن شاهد يسمع مثل هذا ممن حكاه عن غيره ايسعه ان لا يودى شهادته عند حاكم تعامل قايله بما يليق به مما يقتضيه قوله قال اى ابن ابى زيد ان رجا اى السامع وترجح عنده ان نفاد الحكم يقوم بشهادته ويتم فليشهد بما سمعه وعلى اى وجه حكى وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به هذا السامع عنده ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك ذبا عنه صلى الله عليه وسلم واقامة لحقه ونصرة له واما الاباحة لحكاية قوله الذى او رد على سبيل السب والازرا لغير هذين المقصدين من الاخبار به على وجه الشهادة والتعريف بقايله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له وعلى طريق الرد والنقض على قايله بما يلزمه فلا ادرى لهذا اى لما يحكى من قوله على سبيل الاباحة مدخلا فى الباب بل ترك حكايته على وجه الاباحة فليس لاحد التفكه بعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بجانبه الكريم الذى يصونه من نفسه وحسبه ويحامى عنه ان ينتقص ويثلب ولبس التمضمض بسوء ذكره لاحد صونا الشريف عرضه عما لا يليق به شبه تكرر ذكر عرضه بتفكه اكل فاكهة ثم تمضمض متمضمض مرة بعد اخرى بما استعارة تحقيقية ثم قرنها بملايم المشبه اعنى قوله لسوء ذكره لا احد لا ذاكرا له لفظا ولا اثر اله رواية عن احد لغرض شرعى بمباح خبر ليس وكثيرا ما تدخل الباء فيه زايدة لتاكيد النفى واما ذكره به للاغراض المتقدمة كالشهادة والانكار على قايله والرد عليه والنقض لقوله فمتردد كما قد علمت بين الايجاب والاستحباب وقد حكى مقالات المفترين من الافترا اعنى الكذب والاختلاف عليه تبارك وتعالى وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم فى كتابه القرآن الكريم فى مواطن كثيرة على وجه الانكار لقولهم المفترى المختلق وعلى وجه الرد عليهم بما تلاه سبحانه علينا فى محكم كتابه الكريم المحكم نظما رضيا لا يعتريه تبديل وتحريف ولا خلل كالبنا المحكم وكذلك وقع من امثاله اى امثال ما تلى علينا فى محكم كتابه العزيز فى احاديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحة بنقل الثقة الضابطين مثله عنه صلى الله عليه وسلم انتهى الينا على الوجوه المتقدمة من الانكار والتحذير والوعيد وغيرها او من الوجوب والندب والكراهة والتحريم واجمع السلف من ايمتنا الاعلام من الصحابة ومن بعدهم والخلف لهم المتاخرون عنهم من ايمة الهدى على ذكر حكايات مقالات الكفرة والملحدين الزايغين عن منهج الحق فى كتبهم اى كتب ايمة الهدى وفى مجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها اى يرفعوا ويزيلوا ما يشتبه عليهم ويريهم انه حق فربما وركبوا مما ما لا يجوز مما ينكر عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا الذى حكاه ايمة الهدى من مقالات الكفرة وغيرهم على الحارث بن اسد المحاسبى

بما حكاه في الرعاية فقد صنع احمد بن محمد بن حنبل مثله اي مثل الحارث في رده اي
في رده على الجهمية اصحاب جهم بن صفوان من المبتدعة وفي رده على القايلين بان
القران مخلوق من المعتزلة هذه الوجوه من رده على من ذكر من اهل البدع السايغة
بمهملة وبمعجمة اي الجايزة الحكاية لمقالات الكفرة فاما ذكرها على غير هذا من حكاية
سبه والازدراء بمنصبه الرفيع رتبته العلا منزلته على وجه الحكايات والاسمار من السمر
بفتح ميمه وهو التحدث ليلا واصله لون القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه والطرف اي
ذرب اللسان وطلاقته بذكره صلى الله عليه وسلم وطرف الانسان لسانه وذكره
وعن قبيصة بن جابر ما رايت اقطع طرفا من عمرو بن العاصي اي امضى لسانا منه
واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث بمعجمة مفتوحة فمثلثة اي الهزيل من غث
في حديثه واغث اذا افسده قال ابن عباس من لامه على الحق يا ابن عمك يعني عبد الملك
ابن مروان فغثك خير من سمين غيرك والسمين ومضاحك المجان بتشديد الجيم
جمع ماجن في اللهو والسخرية ونوادر السخفا جمع سخيف من السخف بضم المهملة
وسكون المعجمة اي رقة العقل وضعفه والخوض في قيل وقال مما يتحدث به المجالسون
من قولهم قيل كذا وكذا بنيا على كونهما فعلين ماضيين تضمنا الضمير واعربا على
اجرايهما مجرى الاسما خاليين منه وادخال اللام عليهما ومالا يعني الخايض فيه
شيا ولا يجد به نفعا فكل هذا المحكي من سبه صلى الله عليه وسلم والازدرا بمنصبه
الشريف لا يسوغ الخوض في شي منه وبعضه اشد في المنع والعقوبة المصادر منه
ذلك قتلا او ضربا وجبها وحبسا اوهما من بعض فما كان من قايله الحاكي له على غير
قصد به شيا او على غير معرفة منه بمقدار ما حكاه شدة واشدية او لم يكن ما كان
من قايله الحاكي له عادة ودابه وديدنه او لم يكن الكلام المحكي من البشاعة
حيث هو ليتبع اي كره قطيع ولم يظهر على حاكيه استحسانه بجعله حسنا عنده
واستصوابه بجعله صوابا عنده فلم يظهر منه اعتقاد كونه حسنا او لا صوابا
زجر عن ذلك اي عما كان ذكره وهذا جواب لما تضمنه ما من الشرط ونهي عن العود
اليه صونا لمنصبه الشريف عن حكاية ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم وان
قوم ذا قله على سبيل الحكاية ببعض الادب فهو مستوجب له خليق به وان كان
لفظه اي لفظ الحاكي او المحكي حيث هو اي بلغ غايته كان الادب له اشد ممن لم يكن
محكيه حيث هو وقد حكي ان رجلا سال مالكا امام دار الهجرة عمن يقول القران مخلوق
فقال اي مالك قايله كافر فاقتلوه فقال اي سايله انما حكيته عن غيري لا اني انا
الذي اقوله فقال مالك انما سمعناه منك وهذا اي امر مالك بقتل السايل بمجرد
اعتقاده ان القايل بمخلوقيته بدون ثبوت اعتقاده مخلوقيته عجيب لانه ممن يقول
لا نكفر احدا من اهل القبلة قال المصنف وهذا من مالك على طريق الزجر اي الردع
الكف عن السؤال عنه وهو ايضا عجيب بل اعجب لان القتل زجرا عن السؤال
عنه لم يقل به احد والتغليظ للزجر بدليل انه اي مالكا لم ينفذ قتله ولم يبالغ في
الامر بقتله وهذا العذر عنه بعيد يرده تكفير مالك له وانه انما كان بعد تكفيره
اياه وان اتهم هذا فيما حكاه سبا وان راى بمنصبه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك

انه

انه اختلقه اي افتراه معتقدا له ونسبه الى غيره او كان ذلك اي سؤاله ذلك عن غيره
عادة له يد يما دابا وديدنا او ظهر منه لاحد استحسانه لذلك لحكايته على تلك الوجوه او كان
مولعا اي مكثرا بمثله والاستخفاف اي سرعة التوجه له والتحفظ لمثله في المبادرة
لتحصيله وطلبه حرصا عليه كذا ان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه من رواية اشعار
هجوه صلى الله عليه وسلم فحكم هذا الحاكي فيما حكاه على ما مر حكم الساب نفسه لا حكم كونه
حاكيا فاذن يؤاخذ بقوله ذلك وان اورده على طريق الحكاية لتهمته فيما ذكر ولا تنفعه
نسبته اي ما اتهم فيه الى غيره فيبادر بقتله ويعجله به سريعا الى الهاوية امه من
قولهم اذا دعوا على احد بهلكه هوت امه فاذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه
فالهاوي اي سقط نكلا وحزنا وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر
بيت من الشعر صدرا او عجزا مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو اي حفظه المفاد
من الفعل كفر يستتاب حافظه فان تاب والا قتل وقد ذكر بعض من الف في
الاجماع اي اجماع مجتهدي امته صلى الله عليه وسلم اجماع المسلمين على تحريم رواية
ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم من شعر وغيره وتحريم كتابته وقراءته وتركه متى
وجد بدون اتلاف بمحو رحم الله اسلافنا المتقين حفظ شي منه او روايته
المتحرزين عن ذلك صونا لدينهم عن حكاية شي منه فقد اسقطوا من احاديث المغازي
والسير كثيرا انما كان هذا سبيله من هجوه في شعر او غيره وتركوا روايته صونا
لمنصبه الشريف من ان يذكر بشي منه الا اشياء يسيرة ذكروها غير مستبشعة
ولا مستغنى عنها على نحو الوجوه الاول من وجوب وندب وكراهة وتحريم ليروا من يعقل
ويعتبر نقمة الله من قايلها كيف تحل بساحته وليروا اخذه تبارك وتعالى المفتري
عليه صلى الله عليه وسلم بذنبه الذي افتراه واجترا به عليه وهذا ابو عبيد القاسم
ابن سلام قد تحرى اي اجتهد وبذل وسعه فيما اضطر والجي اليه الاستشهاد به
في اثبات المسايل من الامها من اشعار العرب في كتبه فكنى من كنوت وكنيت عنه اذا وريت
عنه بغيره عن اسم المهجو ولم يصرح به تقيا دينا عن ذكره به واستبرا لدينه وتحفظا وصيانة
وحماية لنفسه من المشاركة في ذم احد ممن هجي منهم برواية او نشر واذاعته فكيف
بما يتطرق او يتوصل به الحاكي الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم فهو احق واحرى
ان لا يذكر بشي هذا سبيله صونا للكريم ساحته الشريف

فصل

الوجه السابع ان يذكر ما يجوز عليه صلى الله عليه وسلم مما لا يشينه ولا يعيبه
ايراده او يختلف في جوازه عليه كما نسبه لحظة او لحظتين وان يذكر ما يطرا عليه
صلى الله عليه وسلم من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه على وجه يليق به فيغ
منزلته عند ربه او يذكر ما امتحن اي اختبر صلى الله عليه وسلم به تعظيما
لاجره ورفعة في درجاته وصبر في ذات الله اي في طاعته وانقياده لما يريده به
على شدته من مقاساة اعدايه وعلى ما حملوه من اذاهم له ومعرفة ابتدا حاله
وسيرته الحسنة المرضية وما لقيه من بوس زمنه من شدايد موجعة والاضافة
الى الزمن لكونه ظرفه وما مر عليه من معاناة عيشته وضيقه وصبره على لاوايه
كل ذلك اي ما يجوز عليه او اختلف في جوازه عليه او ما يطرا عليه من الامور

البشرية وغير ذلك ان يذكر على طريق الرواية ومذاكرة العلم ليؤتسى به فى اقوالهم
وافعالهم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا لانهم مخبرون عن الله وبما ارسلوا
به وبما اطلعوا عليه من الغيب فشرطت عليه حذرا لمن اتهامهم فيما اخبروا به ○
وتكذيبهم فيه وهم مبرؤن من ذلك وذكر ما يجوز عليهم مما لا يزرى بهم ذكره
فهذا اى ما ذكرنا فن جمعه فنون جمعه افانين اى نوع خارج عن هذه
الفنون الستة المذكورة فى الفصول الستة السابقة اذ ليس فيه اى فى هذا الفن
غمص بمعجمة ومهملة بينهما ميم ساكنة اى عيب واحتقار ولا نقص ولا ازرا
ولا استخفاف اى استهزا واستهانة لا فى ظاهر اللفظ ولا فى مقصد اللافظ لفقد
احتمال ما يفيده اللفظ من معناه لكن يجب ان يكون الكلام فيه اى فيما ذكرنا من
هذا الفصل مع اولى العلم وفهما طلبته الذين جمع فهم اسم فاعل مبالغة من الفهم
ممن يفهم مقاصده او يحقق فوائده ليكون فيه على بصيرة فى تعظيمهم ويؤدى كلا
منهم حق قدره ويجنب ببنائه لمفعوله اى يباعد ويصان ذلك اى ما ذكرنا عن
من عساه لا يفقهه اى لا يفهمه او يخشى بالبنا للمفعول به اى بما اورد هنا اذا ذكر
له فتنة فيقع فيما لا يرضى فقد كره بعض السلف تعليم النسا سورة يوسف عليه وعلى
ابايه وعلى جميع الانبيا الصلاة والسلام لما انطوت عليه من تلك القصص مما
هيمهن بذلهما وعشقا من شغفا التى كان فى بيتها به ومراودتها له ودهش النسوة
عند رويته وغفلتهن عما بايديهن من السكاكين حتى قطعتها لبسكاكين كانت معهن
لوفور حسنه وبها وجهه ورشاقة قده وتناهى شأنه لضعف معرفتهن ○
ونقص عقولهن وادراكهن اى نقص وصول فهما منهن الى المدركات فلا يكد تعلمهن
ما ينفعهن لشهادة حديث ما رايت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل
الحازم من احداكن فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه بما يجوز عليه
وعلى الانبيا باستيجاره لقريش لرعاية الغنم فى ابتدا حاله فذكر لفظ خبر المبتدا
بلفظ كنت ارعى الغنم على قراريط لقريش وقال كما رواه الشيخان عن جابر
والبخارى عن ابى هريرة ما من نبى الا وقد رعى الغنم ربانية من الله تعالى
لهم على السكينة والتواضع وخفض الجناح وتدريبا للسياسة فى ابتدا احوالهم
ليعرفوا كيف يسوسون اممهم واخبرنا الله بذلك اى بالاستيجار لرعى الغنم
عن موسى صلى الله عليه وسلم بقوله تبارك وتعالى حكاية عن شعيب صلى الله
عليه وسلم انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان
اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك قال نبينا صلى الله عليه وسلم
فقضى موسى اقضى الاجلين اى العشر وهذا اى ذكر الاستيجار لرعى الغنم لا غضاضة
من غض طرفه اى كسره واطرق ولم يفتح عينه اى لا خفض ولا نقص ولا هضم ○
فيه جملة واحدة لمن ذكرهم على وجهه بدونه غضاضة بخلاف من قصد به اى بالاخبار
عنهم اغتم دعوها الغضاضة والتحقير فانه يقضى عليه بما يستحقه بل كانت اى
رعاية الغنم عادة جميع العرب وهنا سؤال على طريق الاستيناف البيانى
ومن ثم فصله عن الجواب كانه قيل الرعى للانبيا لهما فايدة فقال نعم فى ذلك

للانبيا

للانبيا حكمة بالغة نهاية الصواب او من الله اليهم تكرمة لهم ولطفا بهم وتدريج من
الله تعالى لهم الى بلوغ كرامته اليهم وتدريب اى تدريج وتعويد برعيها لسياسة
اممهم بها اى مع ما سبق لهم من الكرامة بالنبوة والرسالة فى الازل وتقدم العلم
وكذلك اى ومثل اخباره صلى الله عليه وسلم عن نفسه باستيجاره لرعى الغنم
فى مبتدا خبره قد ذكر الله يتمه لموت ابيه جنينا وقد اتت عليه ستة اشهر وموت
امه ابن ثمان سنين فكفله جده عبد المطلب ثم عمه ابو طالب اذ كان شقيق ابيه
فاحسن تربيته قال تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عايلا فاغنى على طريق المنة بتعداده النعمة احسانا وانعاما وفضلا عليه و على
طريق التعريف بكرامته له تمامه وايوا وهداية واغنا فذكر الذاكر لها اى لكرامته
بما ذكر من وجدانه يتيما فاواه وضالا فهداه وعايلا فاغناه على وجه تعريف حاله
التى كان عليها اولا مرة وعلى وجه الخبر عن مبتدايه وعلى وجه التعجب من منح الله
جمع منحة او مصدر مضاف الى فاعله اى اعطايه او عطيته قبله بقاف مضمومة
فبا موحدة مفتوحة اى تقليبه وعنده وعظيم منته من اضافة الصفة الى موصوفها
لمجرد وقطينه لكنها لما قدمت عليه انخلعت من التابعية وصارت كاسم جامد
غير صفة ثم اضيفت اليه للبيان اضافة الشى الى جنسه الذى يتخصص هو به
ليس فيه اى فى ذكر ما ذكر على تلك الوجوه غضاضة يغض منها اهانة له واحتقارا
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته الرسالة الى من ارسل اليهم اذ قد اظهره
الله على صناديد قريش جمع صنديد اى كل عظيم غالب من عظمايهم اشرافا وروسا
واروهة وعلى من ناواه من اشرافهم شيا فشيا اى اظهارا بعد اظهار حتى ملكه
تمام الظفر بهم فعفى يوم فتح مكة عنهم ومن عليهم ووصل رحمه منهم وامتنهم
خصوصا وعموما وجعل لابى سفيان ما يميزه به عنهم فقال من دخل دار ابى
سفيان فهو آمن ومن دخل داره واغلق بابه فهو امن وقال لهم ما كنتم تقولون
انى فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقا
وتمادى اى زاد وذاع وارتفع وشاع حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
كناية عن حيازة ممالكهم وملك امرها وحفظها وتدبيرها فهو مالك مقاليدها
واستباحة ممالك كثير من الامم وغيرهم اى غير صناديد قريش وغيرهم ممن
ناواه باظهار الله له عليهم وتاييده بنصره وتقويته وتعزيره له وبالمومنين
والف بين قلوبهم بايجاد التوافق والتحابب بينهم والتوادد وامالة التباغض
والتحاسد وتكليفهم الحب فيه والبغض فيه مما لا يقدر عليه الا مالك القلوب
ومقلبها كيف شا بعد ازالة ما نشاوا عليه من حمية الجاهلية والانطوا على
الغضب والعصبية لا يكاد يأتلف منهم قلبان فصاروا انصار الله ولرسوله
اعوانا صبارا وامداده يوم بدر بالملايكة المسومين بكسر الواو ابن كثير
وابو عمرو وعاصم اى معلمين انفسهم او خيلهم قيل بصوف ابيض فى نواصيها
واذنابها وفتحها غيرهم اى معلمين قيل بعمايم صفر قد ارخوها على اكتافهم
وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلوا فيه كذلك ولو كان اى النبى صلى الله

عليه وسلم ابن ملك او ذا اشياع جمع شيعة وهي في الاصل فرقة من الناس ن
يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد بمعنى واحد ثم
على كل من شايع عليا واهل بيته وتولاهم حتى صار اسما خاصا بهم اي ذا اوليا
وانصار يوالونه وينصرونه متقدمين عليه في الزمان لحسب جواب لو اي
لظن كثير من الجهال ان ذلك اي كونه ذا اشياع تقديرا موجب ظهوره ودعوى
الناس الى اتباعه ومقتضى علوه شانا وحالا ولهذا اي ولحسبان كثير من الجهال
على تقدير ان كونه ابن ملك او ذا اشياع موجب ظهوره ومقتضى علوه قال هرقل
بكسر اوله وفتح ثانيه واسكان ثالثه عظيم الروم حين سال ابا سفيان بن
حرب بايليا عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري هل في ابايه من ملك
فقال ابو سفيان لا ثم قال اي هرقل ولو كان في ابايه ملك لقلنا رجل يطلب
ملك ابيه وان اليتم بضم اوله واصله الانفراد ثم استعمل في فقد الاب قبل بلوغ
ولده يقال يتم الصبي بالكسر ييتم فهو يتيم وجمعها ايتام ويتامى فاذا الغاز ال
عنهما اسم اليتيم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة كالتوراة ٥
والانجيل واخبار الامم السالفة اي الماضية وكذا وقع ذكره صلى الله عليه وسلم
بصفة اليتم في كتاب ارميا كان من كتاب انبيا بني اسرايل صلى الله عليه وسلم
وعمدا اي ما ليتم ذكره سيف بن ذي يزن ملك اليمن لعبد المطلب جده بقوله
يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وكذا ذكره بحيرى بفتح اوله وسكون ٥
ثالثه وبرا بعدها الف تانيث الواهب لابي طالب عمه كما ستره مزيد
بيان وكذلك اذا وصف بانه امي فان فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته انه
مرسل الى الناس كافة كما وصفه الله به اي بانه امي بقوله تعالى فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي اي على اصل ولادته لم يتعلم كتابة بل من خصايصه انه
كان يحرم عليه التوصل الى معرفتها والى معرفة الشعر فهي اي صفته بانه صلى
الله عليه وسلم امي مدحة له صلى الله عليه وسلم وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزته اذ كان لا يكتب ولا يقرا ومعجزته من القران انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم التي لا يتوصل اليها فاتاه صلى الله عليه وسلم مع ما منح وفضل به
من ذلك اي من المعارف والعلوم بدون معرفة طريقهما من اكبر المعجزات
ووجود مثل ذلك من رجل هو كامل في الرجولية ولم يكتب الخط ولم يدارس الخط ٥
لم يقرا الخط ولم يكتب الخط ولم يدارس اي يقارى احدا ممن يقرا ولا لقن
اليه شي من ذلك هو مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجز البشر عن التحلي بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وليس في ذلك اي في كونه صلى الله عليه وسلم اميا
لا يقرا ولا يكتب نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراة المعرفة اولا وبالذات
استغنى عن الواسطة التي هي القراة والكتابة واستغنى عن السبب المراد ثانيا
وبالعرض والامية التي هي عدم القراة والكتابة نقيصة اي النبي صلى الله عليه وسلم
لنقيصة مزرية به لا بما سبب الجهالة وعنوان الغباوة بضم اوله ويجوز كسره
اي علامة قلة الفطنة وفي الحديث قلة الفقه خير من كثير العبادة

في غيره م

صبحان

فسبحان من باين امره اي النبي صلى الله عليه وسلم من امر غيره اي جعله مباينا له
وجعل شرفه فيما فيه محطة لمن سواه عن رفيع درجاته شرفا ورتبة وجعل حياته
فيما فيه هلاك من عداه من عداه شق قلبه واخراج حشوته التي كانت فيه
اعني العلقة السودا كما رواه البخاري فان اخراجهما كان تمام حياته وكان غاية
قوة نفسه وكان ثبات روعه بضم اوله اي نفسه وخلده وهو اي شق قلبه
واخراج حشوته فيمن سواه منتهى اسباب هلاكه وحتم موته وفنايه اذ بمجرد شقه
ازهاق روحه وهلم جرا الى ما يروى مما روي من اخباره وسيره المؤذنة بان حاله
مباين لحال غيره ومما ينبوك بذلك تقلله من الدنيا في جميع احواله يقظة ونوما
صبرا او غيره عبادة وتبليغا ومن الملبس من عطف ما تناوله في ما قبله عليه
والمطعم والمركب وتواضعه لوقار ولين جانب وخفض جناح ومهنة نفسه بفتح
الميم من مهنة القوم امتهنهم وامتهنتهم اذا ابتذلتهم في الخدمة وقد تكسر قال
الزمخشري وهو عند الاثبات خطا قال الاصمعي هي بفتح الميم الخدمة ولا تكسر
وكان القياس لو قيل الجلسة والخدمة الا انه جا على فعلة واحدة اي بذله نفسه
في اموره وخدمة بيته زهدا في الدنيا اي تركا لها الا ما لا بد منه وسيل الزهري
عن الزهد فيهما فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره على ما رزقه ولا الحرام صبره اي
لا يقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ولا صبره على ترك الحرام ورغبة منه صلى
الله عليه وسلم عن الدنيا لا فيهما لعدم جدواها مع ان الحرص عليهما والرغبة فيهما سوم
وتسوية بين حقيرها وخطيرها اي عظيمها ما له قدر ومزية لسرعة فنا امورها مما
لا بقا له من نمو وزيادة وتقلب احوالها

• فلا تدوم على حال تكون به • كما تلون في اثوابها الغول •

كل هذا المتلو عليك من فضايله التي لا تحصى كثرة من المزايا الغير الاختيارية
ومن ماثره جمع ماثرة بالضم من شريف مفاخره وجموم مكارمه مما يروى عنه
ويبوثر ومن شرفه مما يعد من مفاخره وعنه صلى الله عليه وسلم بعثت
لا تمم مكارم الاخلاق لمن اورد مستمتا شيا مورده مفعل من ورد الماء يرده ورودا
اذا احضره ومنه قوله تعالى وان منكم الا واردها اي ممن اتى لشي منه في موضعه
وقصد به مقصده مما يليق بتعظيم قدره صلى الله عليه وسلم كان حسنا يمدح
به ويجل عليه ومن اورده على غير وجهه مما يوذن بشي هل في حقه او احتقاره له
او تنقص به وعلم به اي بما اورده على غير وجهه سو قصده لحق فيما يعامل به
تنكيلا له وزجرا لما اوردناه بالفصول الستة التي قدمناها وكذلك اي
وسبيل ما اورد على غير وجهه ما ورد من اخباره اي النبي صلى الله عليه وسلم
واخبار ساير الانبيا اي باقيهم عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره
اشكال كحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وليست كذبات حقيقة بل هي
كما قدمناه مرارا معاريض بكت بها قومه ونحوه يقتضي اي الاشكال امورا لا تليق
بهم بحال من الاحوال ويحتاج الى تاويل يصرفها عن المفهوم من ظاهرها وتردد احتمال
اي الظن مما يليق بكريم قدرهم العظيم فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح

استثناء مفرغ من اعم الاشياء افاد ظاهره وجوب التحدث به مع ان الاولى تركه ما لم تدع ضرورة اليه بل اعلى مراتبه الجواز اى عدم الحرج فضلا عن ان يكون مندوبا او واجبا ولا يروى منهما الا المعلوم الثابت الممكن تاويله مما لا اشكال فيه هذا او رحم الله مالكا الا تسامح فلقد ترك التحدث بمثل ذلك من المعنى لحديث البخارى وغيره ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له وقد سئلت عنه فاجبت بانه وارد على منهج التمثيل لعادته تعالى فى عباده معتنيا بهم مراعيا احوالهم من اجابة داع واعطاء سائل وغفران لمستغفر بعادة ملك نزل لمحاويج ضعفاء فقراء عطفا عليهم فلبى داعيهم واعطى سائلهم وعفا عن مسيئهم تمثيلا ينزهه تعالى عن الحركة والترك بشهادة ما اعترض بين الفعل وظرفه من جملتى تبارك وتعالى تنزيها له عن الانتقال من علو الى سفل بل هو انتقال من مقتضى الجلال اى العظمة من القهر والغلبة وعدم المبالاة الى مقتضى الجمال اى العطفة الرحمة من القبول والاحسان والغفران وهذا من التمثيل الذى يرفع المجاز الى ذروة البلاغة بان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باخوات لها اذا تلاحقن لم تر احسن ديباجة ولا ابهج رونقا منه وهو المجاز المرشح فانه لما مثلت عادته تعالى فى تفضلاته على عباده بعادة الملك فى عطفه على رعيته استعير له الفعل بالنزول ثم قفى بذكر التحريض على الدعاء والسؤال والاستغفار وما يتحقق ما يترتب عليه من الفضل اجابة وعطاء وغفرانا وقال اى مالك ما اى ليس يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا الموهم للتشبيه المعنى فقيل له اى لمالك اى ابن عجلان يحدث بها اى بما ورد منهما عنه صلى الله عليه وسلم كحديث خلق الله ادم على صورته وحديث ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة وحديث اذا كان احدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فان الله بينه وبين القبلة امثال الحديث رحم الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها فرب مبلغ اوعى له من سامع فقال اى مالك لم يكن اى ابن عجلان من الفقهاء مع انه كان شيخه ومن اعلام التابعين بالمدينة روى عن ابيه وانس بن مالك وغيرهما وروى عنه امير المؤمنين فى الحديث شعبة بن الحجاج ويحيى بن سعيد القطانى وغيرهما وليت الناس من علماء الامصار وافقوه اى وافقوا مالكا على ترك التحدث بها وليتهم ساعدوه عليهما ذكرا ورواية فالكره ليس تحته عمل دعوى بلا بينة ومن ثم لم يوافقه احد على كراهة التحدث بها انه لم يعلمها صلى الله عليه وسلم لاصحابه عبثا ولا اخبر بها عن ربه لتترك سدى ولا اوردها من قبل نفسه وما هى الا وحى يوحى كمتشابه القرآن لتوزع عنه لمن هو اوعى لها من سامعها منه مع انه لا فرق بين متشابه الوحيين فى الوحى والتبليغ اذ كل منهما وحى من الله فيلزم من كراهة التحدث بها كراهة تعليم الناس متشابه القرآن وترك تلاوته مع امره صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه بشهادة حديث بلغوا عنى وانما ورد ذلك ابتلاء للراسخين فى العلم ليقعدوا باتعاب نظرهم وقدح ذكرهم بالحق الذى يجب ان يحمل عليه من بيان معانيه ورده الى المحكم لينالوا به قوة ايقان مع جزيل المثوبات ورفيع الدرجات ولو ورد الحكيمين لتعلقوا بسهولة ماخذه واحرصوا عما يحتاج اليه

فى الاستنباط من النظر والاستدلال فينسد باب التاويل ولم تظهر مطابقة المتشابه للمحكم به فلم يجريا على سنن واحد مع انهما سواء فقد جاريان به تعليه وقد حكى عن جماعة من السلف بل عنهم اى من السلف على الجملة من حيث مجموعهم لا جميعهم انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل يوخذ منه حكم شرعى ليس هذا من ذلك وقد تلى عليك ما اذا تاملته ادركت وجه الفرق بينهما والنبى صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم هو فى الاصل مصدر قام فوصف به ثم غلب على الرجال دون النساء ومن ثم قوبلن به فى حديث ان نابنى الشيطان شيئا فى صلاتى فليسبح القوم ولتصفق النساء سموا به لانهم قوامون عليهن بما لا يقوم به عرب يعرفون كلام العرب على وجهه بدون صرفه عن ظاهره الا لموجب يدعو اليه ويتصرفون فى حقيقته باستعمال اللفظ فيه ومجازه باستعماله فى غيرها عقليا ولغويا ومرسلا واستعارة تحقيقية ان ذكر المشبه به مرشحة ومجردة ومطلقة ومكنية ان سكت عنه وكنى عنه بشئ من لوازمه ليثبت للمشبه ليخيل به انه من جنسه اصلية اى وقعت فى مصدر وتشبيها اخرى لتسمى تبعية اما باستعارة حرف كما فى ولاصلبنكم فى جذوع النخل او فعل كما فى ولما سكت عن موسى الغضب او اسم فاعل كما فى الحال ناطقة بكذا او اسم تفضيل كما نطق فى

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ، فلسان حالى بالشكاية انطق

وتبليغه بما يطابق مقتضى الحال مع فصاحته كلمات وتركيبا وايجازه الجامع لقلة لفظه وكثرة معانيه ولم تكن فى عصرهم اى لم توجد وتنسب اليهم مشكلة لمعرفتهم باسباب كلامهم وافانينه ثم جاء وطرأ عليهم من غلبت عليه العجمة ودخلته الامية فهو على جبلته الاولى من ولادة امه له لم يتعلم اساليب كلامهم فلا يكاد يفهم من مقاصدها اى مقاصد العرب التى اودعتها فى كلامها باحسن اسلوب واوجز تركيب الا نصها وصريحها دون دقايقها ورموزها ولا يتحقق اشارتها الى غرض الايجاز ابتناء له على الاطناب بحسب مقامات الكلام ولا الى غرض وحيها وحى الملاحم خيفة الرقباء ولا الى غرض تلميحها وتلويحها بكلمات خطابية اوهم بها ارادتها اختلاف معانيهما مع تعارضها بما يلائمها فيهما فتفرقوا اى من غلبت عليه العجمة فى تاويلهما اى تاويل الاحاديث الموهمة للتشبيه المشكلة المعنى شذر مذر بفتح اولهما وكسره فيهما منونين اسما واحدا اى ذهبوا فى كل جهة وعن عايشة ان حمير شردا للشرك شذر مذر اى فرق اهله وبددهم فى كل وجه فمنهم مذر بدل من الشذر لا بد من التبذير وهو اتباع وهذا كله مجرد دعوى نصرة لمذهبه اذ لا عاضد له من الكتاب والسنة بل قد وردت السنة بتبليغ حديثه عموما بشهادة لمقواعى رب مبلغ اولى له من سامع وكانت العرب الفئة واجرته فى محاوراتهم مصارفين له الى معنى لا يليق ومن ثم صاغ صلى الله عليه وسلم لهم من ابين ما الفوه من كلامهم مما لا يفهم الا بايراده بعبارة منه رعاية لجزالة معناه وفخامته ثم جاء بعدهم من تتبع تراكيبهم وخواص معانيهما فكشف القناع عن وجوه لطايفهما ونبه على رموز عوارفهما واستخرج كنوز دقايقهما من خفى مكامنها واوضح غوامض حقايقهما من وفى شاتهما فانكار فهمهم مقاصدها ومعرفتهم استنادها

محمد لما شاع من تأويلها وافصل للافهام وترع الاسماع فمنهم اى ممن تعرض فى
تأويله شذر مذر ومن آمن به اى بالوهم للتشبيه المشكل المعنى منزها لله تعالى عن
شناعة ما يفهمه ظاهره ثم منهم من فوض معناه اليه تعالى ممن يقف على الا الله وهم
اكثر سلفنا وهو اسلم ومنهم من اوله وهم خلفنا وهو اعلم اى احرج الى زيادة علم
لتأويله فيؤول حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث
الليل الآخر بما ذكر فيما مر وحديث مسلم ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
كقلب رجل واحد يصرفه كيف يشاء وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل بان الاول ورد تمثيلا وتصويرا لكنه جلالة
شأنه وتوقيفا على عظمة قدرته من غير ذهاب الى تصور بين ولا اصابع ولا تصرف
بما لا الى دلالة على كنه قدرته الباهرة وان قلوبهم مع كثرتها التى تتحير فى حصرها
الافهام ولا تكتنه مقدارها الاوهام هين عليه لسرعة تصرفه فيها كيف يشاء
هوانا لا يوصل الى ساحته الى الوقوف عليه لا ارادة بمدة العبارة وخص الاصابع
بالذكر كناية عن اجراء القدرة بجريان الاصابع واليد لكونه بها دبان الثانى ورد
كناية عن الجود بدون اعتقاد بسط ولا يد ولا فرق عند قائله بينه وبين ما كنى
عنه فالمكنى به اعنى ان الله يبسط يده والمكنى عنه اعنى الجود عبارتان متعقبتان
على معنى واحد هو انه تعالى جواد بتوبته على عبده المسيء هذا وكثيرا استعملوه
حيث لا يد ولا بسط فى مثل جواد لا يعطى الا بالاشارة حتى لو اعطى جزلا لقالوا
ما ابسط يده بالنوال ومنهم من كفر باتباعه له ابتغاء الفتنة بحمله له على ما لا يطابق
الحق معتقدا له ليفتتن به الناس ويضلهم عن دينهم فاما ما لا يصح من هذه
الاحاديث الموهمة للتشبيه فواجب انه لا يذكر منها شئ فى حق الله وحق انبيائه
صلوات الله وسلامه عليهم لا سيما ان كان فى نفس الامر كذب فالتحدث بها حرام
لحديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وان لم تكن فى
نفسها كذلك فينبغى ان لا يتحدث بها لاحتمال كونها كذبا وان لا يتكلف الكلام
على بيان معانيها والصواب طرحها ورفض ابراز لمحات رموزها وترك الشغل
بها لعدم جدواها فى فضائل الاعمال الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة
المقاد اى ما تنقاد به لينتفع به من قدت الدابة اقودها قودا ومقادا فكانها
لاشكالها كالدابة الجموح لا تكاد تذعن للنفع بها لضعف مقادها واهية الاسناد
لكون رواته او بعضهم ذوى وهى اى سقوط لعلة قادحة فى عدالته او لشذوذ
من وهى الثوب يهى وهيا اذا بلى وتخرق وفى الحديث المؤمن واه راقع
بالقاف اى مذنب تائب وفى رواية واه راقع شبهه بمن يهى ثوبه فيرقعه فكانه
يوهى دينه بمعصية ثم يرقعه بتوبته وقد انكر الاشياخ على القاضى ابى بكر محمد
ابن فورك بضم الفا غير منصرف للعلمية والعجمة تكلفه فى مشكل الكلام على احاديث
ضعيفة اسنادا ومتنا موضوعة لا اصل لها يستند فيها اليه اذ الموضوع هو
المختلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شر الاحاديث الضعيفة لا يجوز ذكره
روايته وغيرها الا ببيان كونه موضوعا ان علم وضعه كأن يقول هو كذب او باطل

او مختلق

او مختلق لشهادة حديث من حدث عنى بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين
يرى روى مبنيا للمفعول اى يظن والكاذبين روى مثنى ومجموعا وكفى به وعيدا
شديدا لمن روى حديثا يظن انه كذب ولم يبينه وقد بالغ ابو محمد الجوينى فكفر
نكفره واضعه ويعرف الوضع بالاقرار وركاكة اللفظ او منقولة من اهل الكتاب يهود
ونصارى لا سيما اليهود فقد افتروا على الانبياء افتراءات كثيرة كداود فى تزويجه
وسليمان فى قصة الجسد والخاتم اذ هم الذين يلبسون بكسر اليا مخففا من لبس
بفتحها الامر لبسا اذا خلط بعضه ببعض وربما شدد للتكثير اى يخلطون الحق
بالباطل لا يميز بينهما الا ذو قدم صدق فى الدين وكان يكفيه يعنى ابن فورك
طرحها ونبذها وراءه ظهريا وكان يكفيه اى يكفيه عن الكلام عليها التنبيه على
ضعفها ليجتنب ولا يتجشم ابراز احتمالاتها فى معرض التأويل اذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها ازالة اللبس الذى بها كان بين واجتثاثها مبتدا اى اقتطاعها من
اصلها وطرحها اى نبذها اكشف الا خبر المبتدا اى ابين للبس اشفى للنفس من
ازالة علة الاشكال بتجشم التأويل من الشفا وهو البرء من المرض فنقل من
شفا الاجسام الى شفا النفوس وفى حديث الملدوغ فشفوا له بكل شئ اى عالجوه
فوضع شفوا موضع عالجوا

فصل

وما يجب على المتكلم فيما
يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم مما يعزى اليه ويوصف به وما لا يجوز عليه صلى الله
عليه وسلم ومما يجب على الذاكر من حالاته صلى الله عليه وسلم فى اوقاته وتصرفاته
ما قدمناه فى الفصل المتقدم آنفا قبل هذا الفصل مما طرا وامكنت اضافته اليه
وما امتحن به صلى الله عليه وسلم فى ذات الله وصبر على شدته وغير ذلك مما
يؤثر على طريق المذاكرة فيما وقع له من اوليائه من فرح عليه وما جرى له مع
اعدائه من شدة شين وعلى طريق التعليم للغير انتفاعا واغتباطا ان يلتزم
فاعل يجب فى كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الاحوال البشرية
العارضة له صلى الله عليه وسلم الواجب فى حقه صلى الله عليه وسلم من توقيره
وتعظيمه حق توقيره وتعظيمه وان يراقب هذا المتكلم والمذاكر حال لسانه
ولا يهمله اى يلغى بما لا يتخيل فيه ولا توقير وان تظهر عليه علامات الادب
عند ذكره توقيرا وتشريفا وتكريما فاذا ذكر ما قاساه صلى الله عليه وسلم من
الشدائد كمنصرفه من الطائف من عند ابن عبد ياليل اذ كان استنصر
على قومه فابى فجعلوا يرمون عظام ساقيه وقدميه بالحجارة فدته نفسى وامى
وابى ظهر عليه الاشفاق عليه صلى الله عليه وسلم وظهر عليه الارتماض
اى شدة الاحتراق والغيظ على عدوه الخائب الحارب وظهر عليه مودة الفدا
له صلى الله عليه وسلم بالانفس والاباء والامهات مما غشيه من المكاره وقدر
فاغفر فداء لك ما اقتفينا فالفداء اذا كسر مد وقصر واذا فتح قصر فقط
تقول فداك ابى قال الجوهرى ومن العرب من يكسر منونا اذا جاوره لام
الجر خاصة فيقال فداء لك لانه نكرة يريدون به معنى الدعا والفدية والفدا بمعنى
وروى فى المتن مرفوعا على الابتدا ومنصوبا على المصدر وتفديته به مجاز

عن تعظيمه وتبجيله واكباره اذ لا يعدى من المكاره الا من تلحقه والله منزه عن
ان يلحقه مكروه لو قدر عليه اى على العدا فداه صلى الله عليه وسلم وظهر عليه مودة
النصرة له لو امكنته واذا اخذ اى شرع في ابواب العصمة وتكلم على مجارى اعماله
صلى الله عليه وسلم الجارية على منهج الحق والسداد واقواله المصادرة منه صلى
الله عليه وسلم على لسانه الصدق والصواب تحرى واجتهد في تاديتهما وتوخى
احسن اللفظ وادب العبارة متوجها بتاج الصيانة عن ردى الكلام ما امكنه واجتنبه
بشنيع ذلك مما يمجه ويأباه الطبع وهجر من العبارة اى ترك ما يقبح ان يتكلم به في حقه
صلى الله عليه وسلم كلفظ الجهل والكذب والمعصية فلا يقول في خلال عبارته
جهل او كذب او عصى صونا لمنصبه الشريف ومقامه المنيف واذا تكلم في الاقوال
لزم الادب والوقار وقال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار مصدرا خبر
ولا يقول يجوز عليه الكذب في قول او خبر لا يقول ذلك بخلاف ما وقع سهوا
او غلطا ونحوه من العبارة فلا لوم عليه ان صدر منه على وجه من ذلك ولا
مؤاخذة لعدم تعمده ويجتنب الكذب جملة واحدة فلا يقربه ولا بما اشتق منه
ولا بما يرادفه كالمين واذا تكلم على العلم من حيث يجوز اتصافه صلى الله عليه وسلم
به قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم من قبل ربه تبارك وتعالى وهل يمكن ان
لا يكون عنده علم بعض الاشياء تادبا معه صلى الله عليه وسلم وتكريما له ولا يقول
هل يمكن ان يكون جاهلا لبعض الاشياء او يقول يجهل بعضها لا يقوله لقبح اللفظ
وبشاعته واستهجانه واذا تكلم في الافعال التي صدرت منه صلى الله عليه وسلم
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي لا يجوز منه في شيء من ذلك
وهل يجوز منه صلى الله عليه وسلم موافقة الصغائر فهو اى قوله موافقة
الصغائر بالترك اولى وادب بالمدح الادب من قوله هل يجوز ان يعصى ويذنب
او يفعل كذا وكذا اى انه لا يجوز ان يقال في حقه صلى الله عليه وسلم من انواع المعاصى
فهذا اى هجر ما يقبح من العبارة تحاشيا له عنه وتعاديا لا بد منه من حق توقيره
صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزيره بزاى وراء اى توقيره واعظام لكريم
ذاته وعظيم صفاته وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا ولم يتركها تادبا معه
صلى الله عليه وسلم فقبح منه ما لم يتحفظ منه ووجدت بعض الجائرين المائلين
عن القصد قوله بتشديد الواو من التقول تفعل من القول لان فيه تكلف
ممن تقوله اى زعم لاجل ترك تحفظه في العبارة انه قال ما لم يقله وشنع
اى ذلك البعض عليه اى على من لم يتحفظ في العبارة بما اباه ويكفر قائله
اى قائل ما اباه به واذا كان مثل هذا اى الاستعمال بالتحفظ في العبارة والادب
بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم بعضهم بعضا فاستعماله
اى التحفظ في العبارة والادب في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب وجوب
فرض لا وجوب تاكيد من وجب يجب وجوبا اذا ثبت ولزم وهما عند امامنا
ناصر السنة الشافعي مترادفان منقولان من معناهما لغة اى التقدير
والثبوت الى معنى واحد هو شرعا ما يمدح فاعله ويذم تاركه سواء ثبت بدليل

قطعي

قطعي او ظني ولا نزاع له في تفاوت مفهوميهما لغة بان الفرض التقدير والوجوب
الثبوت ولا في تفاوت ما ثبت بقطعي كمحكم الكتاب وما ثبت بظني كمحكم خبر الاحاد
فان جاحد الاول كافر وتارك العمل به ان كان سالما فاسق دون الثاني اى لا كافر
ولا فاسق وفرق ابو حنيفة وشيعته بينهما فقالوا ما ثبت بقطعي ففرض وما
ثبت بظني فواجب لان التفاوت بين الكتاب وخبر الاحاد يوجب التفاوت بين
مدلوليهما اولان الفرض ما علم قطعا انه مقدر علينا والواجب ما سقط علينا
بطريق الظن فلا يكون المظنون مقدرا علينا ولا المعلوم قطعا ساقطا علينا قلنا
بعد تسليم ملاحظة المفهوم لغة لا نسلم امتناع ثبوت كون الشيء مقدرا علينا
ظنا وكونه ساقطا علينا قطعي بشهادة استفاضة استعمال الفرض فيما ثبت بظني
والواجب فيما ثبت بقطعي واشاعته ومن ثم خالفوا قاعدتهم من اطلاقهم الفرض
على ما ثبت بظني كقولهم الوتر فرض وتعديل الاركان فرض والتيمم فرض عملا
وكقولهم الصلاة والزكاة واجبة فاطلقوا الواجب على ما هو فرض علما وعملا
وعلى ظني هو في قوة الفرض في العمل كالوتر وعلى ظني هو دون الفرض في العمل
وفوق السنة كتعيين الفاتحة حتى لا تفسد الصلاة بتركها قالوا ويجب سجود
السهو هذا والحق ما ذكرناه من ان الوجوب لغة هو الثبوت واما مصدر الواجب
بمعنى الساقط فانما هو الوجبة وبمعنى المضطرب هو الوجيب قال

وللفؤاد وجيب تحت ابهره * لدم الغلام وراء الغيب بالحجر

والتزامه اكد بالمد من اكدته واكدته اكيدا وتوكيدا وتاكيدا اذا
شددته ووثقته فجودة العبارة اما انها تقبح الشيء او تحسنه اى تجعله ذا قبح
او حسن او قبيحا او حسنا وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر ويكبره عظيما ويهونه
اى يجعله هينا حقيرا ولهذا اى ولكون تحرير العبارة وتهذيبها يعظم الامر
او يهونه قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا لاظهاره المعنى المراد
بابلغ عبارة واوجز اشارة تحسينا او تقبيحا كغلب احد خصميه هو الحق بحجته
من خصمه الباطل حقا او الحق باطلا بجودة بيانه كما ان الساحر قلب الشيء في عين
الانسان دون قلب حقيقته كحبال سحرة فرعون اذ خيل لموسى صلى الله عليه وسلم
انها حيات تسعى وها هو البليغ لا يزال يمدح حتى يصرف قلوب سامعيه الى حب
ممدوحه ويذم حتى يصرفها عنها فاما ما اورده الى المتكلم فيما يجوز عليه صلى الله
عليه وسلم وما لا يجوز عليه على جهة النفي لشيء مما تلي عليك عنه والتنزيه له صلى
الله عليه وسلم منه فلا حرج ولا جناح عليه في تسريح العبارة بدون احتراز عن
شيء في اى اسلوب كان اذ المقصود نفي ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم عنه
وتنزيهه منه وتصريحا فيه في معرض اى تركيب كقوله لا يجوز عليه صلى الله
عليه وسلم الكذب جملة ولا يجوز عليه اتيان الكبائر بوجه من الوجوه
الموصلة اليهما ولا يجوز عليه الجور في الحكم بين الناس على حال من الاحوال
التي لا يجوز وروده عليهما ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره
خلال ما يورده على جهة النفي والتنزيه له صلى الله عليه وسلم عنه عند ذكره

واردا على جهة النفي والتنزيه مجردا الا من التوقير والتعظيم والتعزير فكيف عند ذكر مثل هذا مما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم على جهة الحكاية فوجوب توقيره وتعظيمه اولى واوجب وقد كان السلف من ائمة الدين كزين العابدين بن الحسين وجعفر الصادق ومحمد بن المنكدر فظهر عليهم حالات شديدة من تغير لون وبكاء ورعدة وغيرها عند مجرد ذكره بدون ذكر شيء من ذلك وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك من ظهور التعظيم والتوقير والتعزير عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقال اعداه تبارك وتعالى ومقال من كفر بآياته جاحد الها وافترى على الكذب فكان يخفض بها صوته في تلاوته تلك الآي المحكي فيها مقال اعداه تعالى اعظاما لربه واجلالا له تعالى واشفاقا على نفسه حذرا من التشبه بمن كفر انكارا لمن لا يعرفه تعالى ولا يعترف به او جحودا مثل كفر من يعرفه بقلبه ولا يعترف بلسانه او عنادا ككفر ابي جهل يعرفه ويعترف به ولا يدين به او نفاقا ككفر ابن النفاق ابن ابي يقر به بلسانه ولا يعتقده بقلبه

الباب الثاني

من القسم الرابع في تصريف وجوه الاحكام في حكم سابه وشانئه اي شاتمه ومبغضه بغضا وحسدا ومنتقصه ومؤذيه وفي عقوبته لشيء مما ذكر وفي ذكر استتابته وفي حكم وراثته ما تركه من مال وغيره بعد موته قد قدمنا ما هو سب في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا فيما قدمنا اجماع العلماء على قتل فاعل شيء من ذلك وقائله وذكرنا تخيير الامام في قتله وصلبه وبعد اي بعد ما ذكرناه فاعلم ايها المتوجه اليه الخطاب ان مشهور مذهب مالك واصحابه ومشهور قول السلف صحابة وتابعين وغيرهم وجمهور العلماء قتله خبر ان وقد سدت هي وهو مع اسمها مسد مفعولي اعلم وانما يقتل حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه اي مما قاله فادى الى قتله ولهذا اي ولكونه يقتل حدا لا تقبل عندهم توبته مما صدر منه ولا تنفعه استقالته ولا فيئته اي رجوعه عنه كما قدمناه وحكمه حكم الزنديق يبطن عقايد كفر يسر الكفر ويظهر الايمان في هذا القول اي مشهور مذهب مالك واصحابه وغيرهم ممن ذكر وقال غيره تقبل توبته ولا يقتل وسواء كانت توبته على هذا القول المشهور بقتله بعد القدرة عليه والشهادة على قوله المؤدي الى قتله عندهم او جاء تائبا من قبل نفسه بدون استتابة لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود فانه لا يسقط منها شيء بها قال القابسي اذا اقر بالسب له صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وتاب منه واظهر التوبة قبلت منه وقتل بالسب لانه اي القتل حده وقال ابن ابي زيد مثله اي يقتل لانه حده واما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه عنده تعالى وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم غيره من الانبياء صلى الله وسلم عليهم من الموحدين لم تزل من ازال يزيل ازالة توبته عنه القتل وسوى معنى قول القابسي وابن ابي زيد وكذلك اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا من قبل نفسه بدون استتابة والجاء اليها فحكى ابن القصار في ذلك اي في مجيئه

تائبا

تائبا لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف انه خشي اي خاف الظهور والاطلاع الناس عليه بجحوده زنديقا فبادر لذلك بالتوبة فجاء تائبا ومنهم من قال لا اقبل توبته لاني استدل على صحتها اي صحة توبته بمجيئه من قبل نفسه تائبا فكانا وقفنا على باطنه بخلاف ما اسرته البينة من وثاق قبول شهادتها عليه وهذا القول بقبول توبته قول اصبغ بن الفرج فقيه مصر من شيوخ البخاري ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى من هذه المسئلة اي مسئلة الزنديق اذا جاء تائبا فانه حق الله تعالى وهو مبني على المسامحة تجري فيها الخلاف ومسئلة سابه صلى الله عليه وسلم لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم من انها حق آدمي مبني على المشاحة فلا يجري فيها خلاف لانه اي سبه صلى الله عليه وسلم حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه صلى الله عليه وسلم لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين لابتنائها على المشاحة والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه والعلم بانه زنديق فعند مالك والليث بن سعد واسحاق بن راهويه واحمد بن محمد بن حنبل لا تقبل توبته ظاهرا فلا تسقط عنه القتل وعند الشافعي تقبل توبته وتسقط عنه قتله واختلف فيه عند ابي حنيفة وصاحبه ابي يوسف فقيل تقبل وقيل لا وحكى الامام محمد بن المنذر عن علي بن ابي طالب انه اي الزنديق يستتاب بعد القدرة عليه قال ابن سحنون ولم يزل بفتح اوله وضم ثانيه مبنيا للفاعل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين هو حق الى غيره هو دين باطل وانما فعل شيئا حده عندنا القتل وان تاب ونفعته توبته ولا عفو فيه لاحد كالزنديق فان حده لا عفو فيه لانه لم ينتقل من ظاهر في الحقية الى ظاهر في الباطلية وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي محتجا لسقوط اعتبار توبته اي توبة من سبه صلى الله عليه وسلم والفرق بينه اي بين من سبه صلى الله عليه وسلم وبين من سب الله تبارك وتعالى على مشهور القول باستتابته اي استتابة من سبه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ان النبي بشر والبشر جنس تلحقه المعرة من عر بمعنى عراه اذا دهاه بما يكرهه ويشق عليه وهو في الاصل الجرب ومن ثم سميت السماء جربا لكثرة النجوم فيها تشبيها لها على طريقة الاستعارة المكنية ببدن انسان اجرب ثم اثبت لها الجرب تخييلا اي الاذى المكروه الا من اكرمه الله بنبوته فلا تلحقه معرة لكرامته على الله وشرفه عنده والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا لا خلاف فيه اجماعا وليس من جنس من تلحقه المعرة فبدلا مفهوم له لنزاهة عزته عن ان يكون من جنس تلحقه معرة او لا تلحقه وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد هو المقبول فيه التوبة لان المرتد معنى ينفرد به المرتد ويختص بمعرته لا حق فيه اي في الارتداد لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه اي بسببه اياه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او لقذف يوجب له حده فان توبته وان قبلت من حيث ارتداده لا تسقط عنه القتل

لانه حد ولا تسقط عنه حد القذف ايضا رجما وجلدا وايضا فان توبة المرتد
اذا قبلت فانما تسقط عنه ردته وتثبت اسلامه ولا تسقط ذنوبه التي اقترفها
زمن ردته من زنا وسرقة وغيرهما كشرب مسكر ولم يقتل ساب النبي صلى الله
عليه وسلم لكفره لانه لم يسبق له اسلام لكن انما يقتل لمعنى هو انافة قدره وشرف
منصبه وكرم جنابه مما يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة اى مما عراه ودهاه
مما يكره ويشق عليه من الموذي به اى بقتله وذلك اى مما يرجع الى تعظيم حرمته اذا
انتهكت لا تسقطه التوبة لان سبه اى النبي صلى الله عليه وسلم كلمة تقتضي الكفر
ولكن بكلمة ترجع الى انتهاك حرمته صلى الله عليه وسلم بمعنى الازراء والاستحقاق
الموروث للعر والاذى المتكلي اولان بتوبته واظهار انابته اى رجوعه الى دين الحق
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته لا غيره اذ لا يشاركه في اصل
العلم بالسرائر احد سواه وبقي حكم السب للنبي صلى الله عليه وسلم فيقتل حدا لا كفرا
وقال ابو عمران الفارسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بخروجه
عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حيث هو حق ادمي تلحقه به المعرة
لا يسقط عن المرتد فلا يستتاب لردته كذا قال والاولى القول باستتابته لتنفعه
توبته عند الله وان يقتل حدا ان تاب وكلام شيوخنا هؤلاء المالكية المذكورين
انفا وغيرهم مبني على القول بقتله اى ساب صلى الله عليه وسلم حدا لا كفرا وهو اى
القول بانه يقتل حدا لا كفرا يحتاج الى تفصيل فان سبه بما لا يقتضي كفرا قتل
حدا ولذا ان سبه بما يقتضيه وتاب والا قتل كفرا واما على رواية الوليد
ابن مسلم عن مالك ومن وافقه اى وافق مالكا الا الوليد عنه على ذلك ممن ذكرناه
فيما مر وقال به كثيرون من اهل العلم فقد صرحوا انه اى سبه له صلى الله
عليه وسلم ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل به مبني للمفعول اى عوقب
ليجعل عبرة لغيره اذ النكال العقوبة التي تنكل الناس اى تمنعهم عن فعل ما جعلت
له جزا وان ابى التوبة قتل فحكمه اى حكم مالك لمن سبه صلى الله عليه وسلم
بحكم الزنديق مطلقا بوجوب استتابته وقتله مطلقا في هذا الوجه الذي
رواه الوليد عن مالك ووافقه عليه غيره والوجه الاول اشهر من رواية
الوليد في مذهب مالك وهو قول جمهور العلماء واظهر لما قدمناه من انه يقتل
حدا لا كفرا ان تاب ونحن نبسط الكلام فيه اى في سبه صلى الله عليه وسلم
فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه اى به حدا لا كفرا وانما نقول
ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد به عليه من السب له صلى الله عليه وسلم
ومع اظهاره الاقلاع اى التحول والارتحال عنه واظهاره التوبة منه فيقتله
حدا لثبات كلمة الكفر بالشهادة عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا انتهاك
حرمته واستهانة منصبه الشريف وتحقيره اى تحقير سابه صلى الله عليه وسلم
المنكر لما شهد به عليه مع اظهاره التوبة والاقلاع تحقيرا لما عظم الله من حقه
صلى الله عليه وسلم واجرينا حكمه اى الساب المنكر في ميراثه وغيره مما له من
الحقوق حكم الزنديق اذا ظهر بالبنا للمفعول اى اطلع عليه بانه زنديق وانكر

زندقته وتاب منها فيورث مالا وحقا وان قتل حدا على المشهور من مذهب مالك
كالزنديق والمسر كفره يطلع عليهما فينكران ويتوبان والمعتمد من مذهب امام السنة
الشافعي اذا اطلع على احد منهم فانكر وتاب قبلت توبته ولم يقتل فان قيل فكيف
يثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بالبنا للمفعول له بكلمة الكفر ولا تحكم عليه بحكمه من
الاستتابة وتوابعها سؤال ورد تعجبا وتعجيبا وانكارا بكيف لما ذكره بانكار حاله
التي يرد هو عليها بطريق الكناية الابلغ من طريق الصراحة قلنا جوابا له نحن
وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل اعتراض بين السؤال وجوابه افاد اثبات حكم
الكافر له اعني القتل ظاهرا واذا ثبت له القتل ظاهرا امؤاخذة له بما شهد عليه
به فلا نقطع ونجزم عليه بذلك اى بالكفر لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد عليه به من سب وتنقص واستهانة وغير ذلك او زعمه بالجراءة او لدعواه
ان ذلك وقع منه وهلا بفتح ثانيه من وهل الى الشيء يهل بالكسر في الشيء وعنه
يوهل ومنه حديث ابن عمر وهل للبس اى كان منه غلطا ومعصية وانه مقلع اى
مبادر بالاعراض عن ذلك الصادر منه نادم عليه اى على ما شهد عليه به حذرا مما
يورث من اثارة الرحمة ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر كالقتل على بعض
الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه اى خصائص الكفر الموجبة للحكم عليه به
كقتل تارك الصلاة كسلا او عمدا وناجدا لا كفرا وجحد كفرا لا حدا واما من علم انه
سبه معتقدا استحلاله فلا شك في كفره بذلك اى باعتقاده استحلاله مع حرمته
اجماعا وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا اى مكفرا لصدوره منه كتكذيبه او
تكفيره ونحوه كقذفه ووصفه بالجور فهذا مما لا اشكال فيه بالحكم عليه بالكفر يقتل
حدا وان تاب اى مما اورثه وضمه الكفر وطوقه اغلاله لانا لا نقبل توبته كذبع
القتل عنه ونقتله بعد التوبة حدا لا كفرا لقوله المتحتم له دركات ورطة الكفر
ومقدم كفره الصادر منه •

• لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم •

هذا وقال الشافعي تقبل توبته واقلاعه عنه ولا يقتل وامره اى شانه وحاله
بعد قتله تائبا الى الله المطلع على صحة اقلاعه بتوبته مما يرديه لو لم يتب العالم
بسره لا يعزب عنه شيء وكذلك بل اولى انه يقتل من قذفه او احتقره ولم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه مما صدر منه وصمم اى عزم جازما عليه لا يرعوي
عنه ولا يلوي الى غيره فهذا كافر بلا خلاف في كفره فعلى هذه التفصيلات التي تليت
عليك اخذ كلام العلماء القائلين بقتل من صدر منه شيء من ذلك وان تاب كمالك
واصحابه وبعض اصحاب الشافعي كابي بكر الفارسي فانه قال من قذف نبيا قتلناه •
وان تاب وبه اقول ونزل مختلف عباراتهم التي مالهما واحد في الاحتجاج على قتله
عليهما اى على التفصيلات المذكورة المؤذنة بقتله تاب ام لم يتب لكن من تاب
قتل عندهم حدا لا كفرا ومن لم يتب قتل كفرا لا حدا واجرى اختلافهم في الموارثة
عليهما كاجراء احكام الاسلام على من تاب وان حكم بقتله من الصلاة عليه ودفنه
في مقابر المسلمين وارثه لورثته دون من لم يتب فيتنزل ذلك على ترتيبهما نوقع

لك مقاصدهم مما تمالى على سمعه وفكرك ان شاء الله عز وجل حالان من الاسم الكريم لا زمان له **فصل** اذا قلنا بالاستتابة لساب نبي من الانبياء حيث لم يصح منه على رواية الوليد بن مسلم عن مالك فيهما كالمرتد كالزنديق يستتاب فان تاب نكل به والا قتل فالاختلاف فيهما اى فى الاستتابة على الاختلاف فى توبة المرتد اذ لا فرق بينهما عند مالك ومن وافقه على رواية الوليد عنه خلاف مشهور فى ۞ مذهبه وقد اختلف السلف اى متقدموا الامة من الصدر الاول فى وجوبها اى الاستتابة وفى صورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم ان المرتد عن دينه الى باطل يستتاب من ردته وجوبا وحكى ابن القصار انه اى ما ذهب اليه الجمهور من استتابة المرتد اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر بن الخطاب فى الاستتابة لكى يرجع من ردته ولم ينكره اى قول عمر واحد منهم بل اجمعوا على عدم انكاره وهو قول عثمان ابن عفان وعلى هو ابن ابى طالب وعبد الله بن مسعود وبه اى قول من تقدم من الصحابة قال عطاء بن ابى رباح عبر بالاسلوب انتقالا من الصحابة الى التابعين وابراهيم النخعى وسفيان بن عبد سعيد الثورى وابو عبد الله مالك بن انس ۞ واصحابه اى مقلدوه عاصروه ام لا وابو عمرو الاوزاعى وناصر السنة ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى المطلبى وابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه الحنظلى واصحاب الراى ابو حنيفة ومن تبعه ومن تمشى صنوه نادرهم وحفاظ الحديث يسمون اصحاب القياس به لاخذهم بارائهم فيما اشكل من الحديث وفيما لم يرد فيه حديث ولا اثر وذهب طاوس هو ابن كيسان اليمنى وعبيد بن عمير ابن قتادة المدينى والحسن بن ابى الحسن البصرى فى احد الروايتين عنه انه اى ساب النبى صلى الله عليه وسلم وشاتمه ومنتقصه لا يستتاب وقاله اى ما ذهب اليه من ذكر انه لا يستتاب عبد العزيز بن ابى سلمة الماجشون وذكر عن معاذ هو ابن جبل الانصارى وانكره سحنون عن معاذ وحكاه ابو جعفر احمد بن محمد الطحاوى عن ابى يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى وهو اى القول بعدم الاستتابة قول اهل الظاهر داود بن محمد الظاهرى واتباعه هذا ام القائلون بعدمها قالوا وتنفعه ان تاب توبته عند الله ولكن لا تدرا اى لا تدفع عنه القتل لانه حده لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن ابن عباس من بدل دينه فاقتلوه وحكى عن ابى محمد عطا بن ابى رباح انه كان هذا اى الساب ممن ولد فى الاسلام اى ولد مسلما لم يستتب ويستتاب الاسلامى اى من ولد فى الكفر ثم اسلم وجمهور العلما على ان المرتد والمرتدة فى ذلك اى فى وجوب استتابتهما كالامر سواء وروى كما فى مصنف ابن ابى شيبة عن على موقوفا عليه لا تقتل المرتدة قيل لحديث النهى عن قتل النسا قلنا هو عام خص بالجهاد لشهادة حديث وجد النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته امراة مقتولة فنهى عن قتلهن ۞ وتسترق اى المرتدة وقاله اى قول على بعدم قتلها او باسترقاقها عطا وقتادة ابن دعامة وروى عن ابن عباس لا تقتل النسا فى الردة لعله اراد زمن ردة العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وبه اى بما روى عن ابن عباس قال ابو حنيفة

لا تقتل المرتدة هذا وانما اخذ بعموم نهيه صلى الله عليه وسلم عن قتل النسا لا بما قاله ابن عباس وقد تلى عليك خصوص عموم النهى عن قتلهن بالجهاد وتقتلن بالردة لشهادة عموم لعرم فى حديث من بدل دينه فاقتلوه لهن نصا واشارة الى ان علة ۞ قتل من ارتد تبديل الدين من ذكر او انثى فتخصيص ابى حنيفة من لا نكاية له كالصبى والذى والاعمى والاعرج من عموم حديث النهى عن قتلهن الشامل له عموم حديث من بدلت دينه فاقتلوه خلاف الاصل ومن ثم قال مالك الحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك اى فى قتل كل منهم بالردة سوا واما مدتها اى مدة الاستتابة فمذهب الجمهور من العلما وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيهن فان تاب والا قتل وقد اختلف فيه اى فى مذهب الجمهور المروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام وهو احد قولى الشافعى ۞ والصحيح من مذهبه انه يستتاب فى الحال فان تاب والا قتل ايضا اى مما روى عن عمر قول احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه واستحسنه مالك بن انس وقال لا ياتى الاستظهار الا بخير وليس عليه اى على الاستظهار والتثبت والتانى فى الامور جماعة الناس لوجهم واستحالهم فيها قال ابن ابى زيد يعنى مالكا بقوله وليس عليه جماعة الناس فى الاستينا اى التربص والتانى ثلاثا وقال مالك ايضا الذى اخذ به فى استتابة المرتد قول عمر يحبس ثلاثا ويعرض عليه التوبة كل يوم فان تاب قبلت توبته والا قتل وقال ابن القصار فى تاخيره اى المرتد ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك اى التاخير ثلاثا واجب او مستحب فظاهر مذهبه كما فى شرح المختصر لبهرام الوجوب وروى عنه الاستحباب واستحسن الاستتابة اصحاب الراى اى ۞ القياس كابى حنيفة لاخذهم به وروى عن ابى بكر الصديق مبالغة فى صدقه وتصديقه بلا توقف انه استتاب امراة ارتدت اى طلب منها الرجوع الى الاسلام فلم تتب فقتلها ظاهره انه استتابها مرة وقال الشافعى يستتاب مرة فان لم يتب مكانه قتل واستحسنه اى قول الشافعى صاحبه المزنى وقال ابو بكر محمد بن شهاب الزهرى يدعى الى الاسلام ثلاث مرات يحتمل فى ثلاثة ايام او يوم او ساعة فان ابى قتل وروى عن على يستتاب شهرين فان ابى قتل وهذا البعد وابعد منه ما قاله ابراهيم النخعى يستتاب ابدا معاوية اخذ سفيان بن سعيد الثورى وزاد ما رجيت توبته اى مدة رجا منها وحكى ابن ۞ القصار عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات فى ثلاثة ايام او فى ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة يحتمل ان يكون ذلك تخييرا من ابى حنيفة او شكا من ابن القصار او من المعم وفى كتاب محمد هو ابن المواز عن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد يدعى ۞ المرتد اى يطلب منه الرجوع الى الاسلام ثلاث مرات فى ثلاثة ايام كما هو مذهب مالك فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا القول باستتابته اياما ثلاثة هل يهدد بقتل او جوع او عطش وتشدد عليه الاستتابة ليتوب ام لا يهدد ولا يشدد عليه ايامها فقال مالك ما علمت فى الاستتابة ليتوب امرا تجويعا ولا تعطيشا ويولى له من الطعام ما لا يضره فلا يستاب بما يورثه رهقا وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل والتنكيل الوبيل وفى كتاب الطابنى يوعظ تلك الايام اى ايام استتابته ويذكر بالجنة وبنعيمها مما هو عقبى الذين اتقوا ويخوف بالنار واليم عقابها مما هو عقبى الذين

اتفقوا ويحجر بالنار رشقوا وقال الاصبغ اى موضع حبس فيه مع الناس او وحده اذا اوثق
سواه لا المقصود حفظه كى يرجع الى الاسلام ويوقف ماله اذا اخيف تلفه على المسلمين
لم ادر ما محترزه بالظرف المؤذن بانه اذا لم يخف تلفه لم توقف بل هو موقوف بسبب
ردته مطلقا فان لم يتب تبين زوال ملكه عنه وكافيا ويطعم منه ويسقى منه لبقا
مهجته كى يتوب وكذلك يستتاب ثلاثا فى ثلاثة ايام عند مالك وعند الشافعى ع
فى الحال ابدا كلما ارتد وقد استتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احد ثلاثة من ع
الصحابة بكل منهم كان اسمه بنبهان لا اعلم الذى ارتد منهم اربع مرات او خمسا ورواه
البيهقى بسند مرسل وقال استتاب رجلا ارتد اربع مرات اسمه بنبهان قال ابن
وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع الى الردة وهو قول الشافعى واحمد وقال
اسحاق بن راهويه يقتل فى الرابعة اى بدون استتابة وقال اصحاب الراى ان لم يتب
من قبل نفسه فى الرابعة قتل دون استتابة تعرض عليه وان تاب فى الرابعة ضرب
ضربا وجيعا ولم يخرج حتى يظهر عليه خشوع التوبة وهو عجيب لمخالفته قل
الذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال ابو بكر محمد ابن المنذر
لا نعلم احدا من العلما اوجب على المرتد فى المرة الاولى من ردته ادبا اذا رجع عنها
الى الاسلام بالتوبة وهو اى عدم وجوب الادب على المرتد اذا رجع مذهب مالك
والشافعى وابى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى **فصل** هذا حكم من
ثبت عليه شئ من ذلك بما يجب ثبوت من بيانية لما شملته ما مثل اقرار ممن صدر
منه شئ من ذلك مما اورث تكراره سامة وضجرا او عدول لم يتهموا فى عد التهم ولم
يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه لنقص عدد او وصفة بما شهد عليه الواحد
او اللفيف اى الطايفة والجماعة من الناس او ثبت قوله باقراره او شهادة
مقبولة لكن احتمل ولم يكن صريحا فى كونه كفرا وكذلك اى وحكم من لم تتم الشهادة ع
عليه ان تاب على القول بقبول توبته او قول الشافعى وغيره فهذا يدرا عنه القتل ع
ويتسلط عليه اجتهاد الامام تعزيرا وتنكيلا وضربا وجيعا بقدر شهرة حاله
وقوة الشهادة عليه لتفضل اولين فى الشهود وضعفها لا تهام او عداوة فيتقابل
بقدره شدة وضعفا وكثرة السماع عنه لما عزى اليه وصورة حاله من التهمة فى
الدين اله قدم صدق فيه ام لا والنبز من نبزه ونزبه ومن ثم يقال نبز ونزب
وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون اى يتداعون بلقب سوء يورث من يدعى به
كراهة تحقيرا له وقد مثل بالسفه والمجون اى الخلاعة وعدم المبالات بما يصدر منه
روى ان قوما من تميم استهزوا ببلال وخباب وصهيب فنزل ولا تنابزوا
بالالقاب فمن قوى امره بما فاه به من سب او استهزا او استهانة او ردة اذاق
اى الامام ونايبه شديد النكال اى العقوبة المانعة من فعل ما جعلت له جزاء
شبه ما يدرك من الم النكال وضرره بما يدرك باذاقة المر والبشع من تغير الطبع
ونفرته ثم اشتق منه اذاق فجرت الاستعارة فى المصدر اصلية ثم سرت منه
الى الفعل تبعا من التضييق والشد فى القيود الى الغاية التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه
شدة فى القيود والتضييق عليه القيام لضرورته مما لا بد منه ولا يقعده عن صلاته

ومعدماتما

ومعدماتما كاحضار الماق استعماله فى اعضائه وهو اى اذاقه من شديد النكال
حكم من وجب عليه القتل ممن تمت الشهادة بما شهد به عليه او كان قوله الموجب
لقتله ولم يكن قوله صريحا فى وجوب قتله ووقف عن قتله لمعنى اوجبه اى اوجب
الوقوف عنه هو عدم الشهادة عليه وتربص به اى انتظر واستوضح امره لاشكال
اوقع فى الذهن ترددا فى قتله وعايق اقتضاه امره وشانه وحالات الشدة فى
نكاله مباشرة تختلف بحسب حاله قوة وضعفا وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعى
انها اى مقالته الغير الصريحة ردة فاذا تاب نكل نكالا شديدا او لا مالك فى العتبية وكتاب
محمد هو ابن المواز من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه لشهادة قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وافتى ابن عتاب فيمن سب النبى صلى الله عليه وسلم بما لا يليق
بكريم منزلته عند ربه وشريف منصبه فشهد عليه شاهدان عدل احدهما دون الاخر
بالادب الوجيع متعلق بافتى اى اجاب بانه يستحق ذلك والتنكيل الردع والسجن
الطويل زمانا الضيق مكانا حتى تظهر توبته الضع فيهما ام لا وقال القابسى فى
مثل هذا اى من شهد عليه اثنان عدل احدهما دون الاخر ومن كان اقصى امره القتل
فعاق عن قتله عايق اشكال فى القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن بل يبقى فيه مدة ولا
يستطال سجنه ولو كان فيه اى فى السجن من المدة ما عسى ان يقيم فلا بد له من النكال
او القتل فيجعل فى قيد ويحمل عليه من القيد ما لا يطيق ولا يكلف ما لا يطيق وقال
اى القابسى فى مثله ممن اشكل امره ولم يتضح يشد فى القيود شدا وثيقا او يضيق
عليه فى السجن حتى يظهر امره والا ينظر فيما يجب عليه من تنكيل او قتل وقال اى
القابسى فى مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق اى تصب الدما الا بالامر الواضح الذى
لم يشب باشكال وفى الادب بالسوط والسجن نكال للسفها وردع لهم عمن ع
الاقدام على ما يورثهم الوبال ويعاقب عقوبة شديدة ليرتدع عما يورده ٨٥
المهمات فاما اذا لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحهما
ما اسقطهما اى اسقط شهادتهما عنه ولم يسمع ذلك اى ما شهدا به من الامر
الواضح من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم من قتل ونكال وغيرهما عنه
وكانه لم يشهد عليه بذلك الامر الواضح الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويظن صدوره
منه من سب واستخفاف لنبى ويكون الشاهدان من اهل التبريز من البروز اى
الظهور اى من اهل العدالة فاسقطهما بعداوة برزت له منهما او لهما منه
قبل فهو وان لم ينفذ الحكم المترتب على ما صدر منه من سب او غيره عليه
لشهادتهما فلا يدفع الظن اى لا يكون ظن الحاكم بما اقامه مسقطا لشهادتهما
دافعا صدقهما بانه صدر منه لبروز عداوتهما وللحاكم فى تنكيله موضع اجتهاد
شبه تنكيله بمكان رحب فاستعار له فى الظرفية او شبه ملابسة المعنى ع
العقوبة للفظه بملابسة فى للظرف ثم انتزع منه موضعا مع كونه هو وجعله
معدا لعقوبته فيه **فصل** هذا اى ما تلى عليك مما تاملته اوردك
مشارع انه حكم المسلم فاما الذمى اذا صرح بسبه اى النبى صلى الله عليه وسلم
او عرض بسب او استهزا اى قال فى حقه ما ليس بصريح وفى حديث سمرة

من عرّض عرّضنا له بتاديب لا يبلغ الحد ومن صرّح به حددناه ولو قتلا او استخف
بقدره العلي صلى الله عليه وسلم او وصفه بغير الوجه الذي كفر به كليس بذي تقوى او عل
او ورضي فلا خلاف في قتله عندنا ائمة المالكية ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة غلا في عنقه
حقيقة لزمه ببذل له الجزية عن يد وهو صاغر او العهد صلحا على امر يعود نفعه على المسلمين
وكذا لم نعطه الامان على هذا اي على انه يسبه او يعرض به او يستخف بغير ما كفر به
وهو اي قتله بذلك ان لم يسلم قول عامة العلماء اي جميعهم الا ابا حنيفة والثوري
واتباعهما قالوا لا يقتل لان ما هو عليه من الشرك اعظم لما صدر منه مما يقتل به
قالوا ولكن يؤدب ويعزر تاديبا دون الحد وتعزيرا يمنعه من معاودة ما صدر منه
واستدل بعض شيوخنا المالكية على قتله اي الذمي بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم اي نقضوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهد المؤكد بها
وطعنوا في دينكم اي عابوه فقاتلوا ائمة الكفر اي زعماء الرياسة والمتقدم فيه بحيث
لا يشق على كافر غبارهم وقد وضعهم موضع ضميرهم تلويحا بانهم اذا نكثوا مع كونهم
كفارا تمرضا وطغيانا ورفضا لمقالة الكرام الاوفيا وطعنا في دين الاسلام قتلوا
لان العهد انما يعقد على ان لا طعن فيه فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج عن الذمة
انهم لا ايمان لهم بفتح الهمزة في قراءة ابي عمرو جمع يمين اريد بها التي بايعوا عليها
اثبتها اولا لهم ثم نفاها عنهم ثانيا لانها في الحقيقة كلا ايمان وبه اخذ ابو حنيفة
ان يمين الكافر كلا يمين وعند الشافعي هي يمين ومعنى لا ايمان لهم لا يوفون بها
بشهادة وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن قتالكم
لهم بعد علمكم منهم ارتكاب تلك العظائم الموبقة لاجل انتهائهم عما ارتكبوه هذا
من عموم كرمه وعموم برحمته على من اساء فاد ويستدل ايضا على قتل الذمي
بسبه له صلى الله عليه وسلم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف بل لعن
لعله لام راس الكفر واشباهه من روسه كابي رافع من اليهود وابي وامية ابني
خلف من قريش ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا اي على ان يسب النبي صلى
الله عليه وسلم ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم اي على ما يليق به صلى الله عليه وسلم
مما به ينقض عهدهم ويوجب لهم القتل فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد والذمة وفعلوه
فقد نقضوا ذمتهم اي عهدهم الذي عقد لهم وصاروا كفارا اهل حرب فيقتلون لكفرهم
على التشريف الرفيع بما يرديهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم
التي الزمنا الله بها جلدا او رجما ومن القطع في سرقة اموالهم اي اموال المسلمين
والقتل لمن قتلوه منهم اي من المسلمين وان كان ذلك حلالا عندهم لعداوتهم
لهم في الدين ومن ثم قيل

كل العداوة قد ترجى مودتها . الا عداوة من عاداك في الدين

فكذلك اي ومثل اتيانه ما لم يعط الذمة والعهد عليه في قتله به سب النبي
صلى الله عليه وسلم يقتلون به لاقدامهم على ما اوردهم دار البوار وورد
لاصحابنا من ائمة المالكية ظواهر تقتضي الخلاف في قتل الذمي وعدمه اذا ذكر
اي النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به كتكذيبه له صلى الله عليه وسلم

فيما

فيما جاءوا به من الدين ستقف عليها اي على ما ورد لاصحابنا به من الظواهر المقتضية لقتله
من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد فيما ياتي وحكى ابو مصعب فيها اي في الظواهر
الخلاف عن اصحابه اقرانه وغيرهم المدنيين واختلفوا اذا سبه صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله اقتباس لقوله صلى
الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله لا زيادة له في كلامه من غير اشعار
بانه حديث وهو شرطه اي يقطع ويمحو ما كان قبله من كفر ومعاص وذنوب بخلاف
المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم تاب فانا نقتله على ما مر بخلاف الكافر اذا
سبه ثم اسلم فان اسلامه كما قيل يسقط قتله لانا نعلم باطن الكافر في بغضه له
صلى الله عليه وسلم وتنقصه بقلبه له صلى الله عليه وسلم لكنا منعناه اذ كان في
قبضتنا من اظهاره اي اظهار ما يكن قلبه فلم يزدنا ما اظهره اذ كان في قبضتنا
المخالفة للامر بتركه المانع منه ولم يزدنا الا نقضا للعهد الذي عوهد عليه من الكف
عن ذلك وغيره فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام ما قبل اي ما قبل رجوعه لما
اجترحه من السيئات لشهادة قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه ان حكمه بجعله حكم ظاهره وكان ظننا ايضا
بباطنه خلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل رجوعه عن سبه صلى الله عليه وسلم بتوبته
ولا استنمنا اي ولا ارتفعنا الى ذروة سنام باطنه ولا اطلعنا عليه اذ قد بدت
سرائره بخلاف ظننا به وما ثبت عليه اي على المسلم من الاحكام الواجبة فهي باقية
عليه لا يسقطها شي التعديه بانتهاك حرمته صلى الله عليه وسلم وقيل لا يسقط
اسلام الذمي الساب له صلى الله عليه وسلم قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه له وحده كما مر في قتل من سبه وان تاب لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والعرة به من العر وهو الجرب يقال عره بمعنى عراه اي غشيه ودهاه
ما يكرهه ويشق عليه فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه لجراته واقدامه
على من شرف بنواحي التكريم وزوايا التعظيم كما وجب عليه اي على الذمي من حقوق
المسلمين قبل اسلامه من قتل وقذف لزماه بما اوجبهما لصدوره عنه
واذا كنا لا نقبل توبة المسلم اذا تاب من سبه له صلى الله عليه وسلم فالاحرى
والاخلق ان لا نقبل توبة الكافر من باب اولى قال مالك امام دار الهجرة في كتاب
عبد الله بن حبيب وفي المبسوط وفي كتاب ابن القاسم وابن الماجشون وفي
كتاب عبد الله بن عبد الحكم او ابنه محمد وفي كتاب اصبغ بن الفرج فيمن شتم نبينا
صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او شتم نبيا من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم قتل لجراته على خواص عباده وخيرته من خلقه الا ان يسلم فلا يقتل وقاله
اي قول مالك هذا ابن القاسم في العتبية وعند محمد هو ابن المواز ومحمد بن سحنون
وقال اصبغ بن الفرج وسحنون لا يقتل ولا يقال له اسلم ولا يقال له لا تسلم
ولكن ان اسلم من قبل نفسه فذلك اي اسلامه له توبة تدرا عنه القتل
وفي كتاب محمد هو ابن المواز اخبرنا اصحاب مالك الاخذون برايه انه قال
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم

من سبّ او كافر قتل لانتهاكه حرمة اصفيائه وروى لنا عن مالك كما فى كتاب ابن حبيب
وغيره زيادة بعد قوله فاقتلوه الا ان يسلم الكافر فلا يقتل وروى عبد الله بن وهب
عن عبد الله بن عمر ان راهبا تناول النبى صلى الله عليه وسلم بما لا يليق بشرف ذاته فقال
ابن عمر هلا حرف تنديم افاد ما تولد منه مركبا من هل ولا من التمنى باستعماله فى الماضى
فى مقام يمتنع فيه التصديق بوجوب القتل اى ليتكم قتلتموه وروى عيسى بن مين
عن ابن القاسم انه قال فى ذمى من اهل الكتابين قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل
اليكم كذب والله كانت عامة بشهادة وما ارسلناك الا كافة للناس وانما نبينا
موسى او عيسى قال لا شىء عليه لان الله اقرهم بالجزية على مثله لشهادة قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين
الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون واما ان سبه
الذمى فقال ليس بنبى ولم يرسل الى احد من الناس او لم ينزل عليه قران وانما هو
اى القران شىء تقوله من عنده على الله او نحو هذا مما لا يليق به فيقتل تنكيلا
لامثاله وقمعا عن الاقدام على ذلك هذا ولقد شهد على كلب من النصارى فى زماننا
قال ان داود يعنى النبى صلى الله عليه وسلم نطفة خبيثة فاوقدت له نار وقذف
فيها فاحرقته قال ابن القاسم واذا قال النصرانى ديننا خير من دينكم انما دينكم
دين الحمير ونحو هذا من القبيح كما وقع لبعضهم الخنازير انه قال استهزاء اى شىء نبيكم
واى شىء نبيكم فشهد على اثنين منهم فحرقا عندهم رستة الصالحية بالنار او سمع
المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله رسول الله فقال كذلك الله فعى هذا اى فيما قاله
ابن القاسم ان قاله منهم احد الادب الموجع والسجن الطويل فكالاله وردعا لامثاله
قال اى ابن القاسم واما ان شتم النبى صلى الله عليه وسلم شتما يعرف صريحا غير مبهم
فانه يقتل الا ان يسلم فيعصم دمه وماله الا ما يجب عليه فى الاسلام قاله مالك
الامام ومن تابعه غير مرة بصدق ببينتين فاكثر ولم يقل يستتاب فان تاب والا
قتل قال ابن القاسم ومحل قوله اى قول مالك الا ان يسلم عندى ان اسلم طايعا
مختارا لا امرا وبغيره وهو مخالف لما قاله اصبغ وسحنون فى احتمال كونه مامورا
وقال ابن سحنون فى سؤالات سليمان بن سالم التى انشاها فيما يتعلق بذلك ۞
فى اليهودى يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت انه يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن
الطويل تنكيلا له يمنعه هو وغيره من ذلك وامثاله وفى النوادر لابن ابى زيد
رواية سحنون عنه اى عن مالك من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذى كفروا به ضربت عنقه كما مر نقلا عنه الا ان يسلم فلا يضرب عنقه الا
لان الاسلام يجب ما قبله قال ابن سحنون فان قيل لم قتلته اى الذمى
بسبه النبى صلى الله عليه وسلم ومن دينه اى دين الذمى الكتابى سبه صلى
الله عليه وسلم وتكذيبه قيل جواب عن السؤال لانا لم نعطهم العهد على
شىء من ذلك ولا على قتلنا ولا اخذ اموالنا بل على الكف عن ذلك وبذل الجزية
لنا عن يد وهم صاغرون فاذا اقتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله اى قتلنا واخذ اموالنا فلذلك اظهاره سب نبينا صلى الله عليه وسلم

بقتله

بقتله به وان اعتقد حله لاقدامه على ما لا يباح بوجه مع بطلان اعتقاده حله
قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم منا على سبه اى
النبى صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك اى اخذها على اقرارهم على سبه صلى الله
عليه وسلم فى قول قايل كذلك ينتقض العهد فمن سب منهم لمنتكه حرمة
الجناب المنيع والجناب الرفيع ويحل لنا دمه وقال ابن سحنون وكما لم يحصن
الاسلام من سبه ويعصمه من القتل كذلك لا تحصن الذمة بل اولى هذا وما ذكره
ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه انه يقتل بالوجه الذى كفر به مخالف لقول ابن ۞
القاسم فيما خفف بدريه عنهم عقوبتهم فيه مما به كفروا فقتل ثم هو مخالف له
لكنهما جنحا الى انهما لا داعى الى ترك قتله ولا ضرورة مع ما يورثه اقرارهم
على سبه من وهن الاسلام وسب اهله وان كان فى الضرب الوجيع والحبس
الطويل ردع لهم فالقتل اردع وانجع ومن ثم قال المتنبى
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
ويدل على انه اى ما قاله ابن سحنون عنه وعن ابيه خلاف ما روى عن المدنيين
من اصحاب مالك فى ذلك المختلف فيه قتلا وعدما فحكى ابو مصعب اتيت
بضم الهمزة وتاء المتكلم بنصرانى قال والذى اصطفى عيسى على محمد لاعتقادهم فيه
بالحلالة ابن عبد الله لعدتم جا واشيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا فاختلف على فيه ولم يترجح لى فى امره شىء ثم عن لى فضربته
ضربا وجيعا حتى قتلته او عاش بعد ضربه يوما وليلة وامرت من جره برجله
بعد موته وطرحه على مزبلة بمكان الزبل اى السرجين يلقى فيه فاكلته الكلاب
لانه لا حرمة له وسئل ابو مصعب عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا
لاعتقادهم الهيته افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين فقال اى ابو
مصعب يقتل لا اختلاف فهم الكذب ان الذين يفترون على الكذب لا يفلحون ۞
وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصرانى بمصر شهد عليه انه قال مسكين
محمد اهانة له واذرا به لا يخبركم انه فى الجنة انت بذلك فانه
الصادق البار ماله لم ينفع نفسه والكلاب تاكل ساقيه هذا لمجرد افتراء منه خزاه الله
واشقاه لو قتلوه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم استراح منه الناس فدينه لعينه
قال مالك ارى ان تضرب عنقه وتلقى على جيفته الكلاب قال اى مالك ولقد
كدت اى قاربت ان لا اتكلم فيها اى فى مسئلة ابن القاسم عن هذا الكلب ثم رايت انه
لا يسعنى ولا يجوز لى الصمت عن التكلم بالحق فيهما بما يستحقه هذا الخبيث من القتل
فشبه الصمت بظرف رحب وهو مع سعته لا يسعه لما وجب عليه من امضاء الحق
على وجهه فسكت عن المشبه به ودل عليه بما هو من رواد فه تخييلا قال ابن كنانة فى
المبسوطة من شتم النبى صلى الله عليه وسلم اى سبه من اليهود والنصارى فارى
للامام اى السلطان ان يحرقه بالنار نكالا بما كسب وردعا لغيره وما احسنه ۞
لولا حديث لا يعذب بالنار الا الله وان شاء اى الامام قتله ثم حرقه وان شاء
اى الامام احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا فى سبه من التهافت وهو السقوط قطعة قطعة

اى اذا تكرر منهم فسبه تكرر سبه منهم بالمعنت بمعنى لسقط شيا فشيا ثم اشتق منه
تمافت فجرت الاستعارة فى المصدر واصلية وفى الفعل تبعية قال ابن كنانة ولقد
كتبت الى مالك من مصر وذكر اى ابن كنانة مسئلة ابن القاسم التى سئل عنها فى
نصرانى شهد عليه بمصر انه قال مسكين محمد كما مر آنفا عنه فى المبسوطة قال
اى ابن القاسم فامرنى مالك ان اكتب فكتبت ان يقتل وان تضرب عنقه اى يقتل
بضرب عنقه ثم قلت له اى لمالك واكتب ثم يحرق فقال اى مالك انه لحقيق بذلك
وما اولاه به اى بحرقه بعد ضرب عنقه فكتبته بيدى احتراس بديعى دفع به ما يتوهم
من المجاز بين يديه فما انكره ولا عابه لبروزه عن امره تلويحا ونفذت الصحيفة
الى مصر بذلك اى بما امر مالك به فيقتل وحرق بالنار وافتى عبيد الله يحيى اوله
مصغرا فى جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين مذهبا لازمنا اى افتى معهم فسبه ○
ملابسة المعية للفظ بملابسة فى للظرف فاستعارها لها بقتل نصرانية استهلت
اى رفعت صوتها بالنداء بنفى لقد جاءت شيئا ادا وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
فى النبوة وافتى فيهم ايضا بقبول اسلامهما بعد ذلك ودرء القتل عنهما به
اى باسلامهما لشهادة حديث الاسلام يجب ما قبله وآية قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وبه قال غير واحد من ايمة المالكية المتاخرين منهم ابو الحسن
القابسى وابن الكاتب تمسكا بالآية والحديث وقال ابن الجلاب من سب الله ورسوله
من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب لان سبهما كرحومة الميت رسوله بما يجب عليه الكف
عنه وحكى القاضى ابو محمد عبد الوهاب المالكى فى الذمى يسب اى الله او رسوله او هما
روايتين عن مالك فى درء القتل عنه وعدمه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه كان ينسب اليه ما لا يليق به افتراء عليه كالزنا او السرقة وشرب الخمر
من حقوق العباد لا يسقط عن الذمى اسلامه لابتناء حقوقهم على المشاحة وانما
تسقط عنه اى عن الذمى باسلامه حدود الله لابتنائها على المسامحة فاما حد القذف
فحق للعباد لا يسقط الا باقامته سواء كان لنبى او غيره من العباد المحترمين فاوجب
الله ورسوله له على الذمى اذا قذف النبى من الانبياء اسم حد القذف ولكن انظر
امر لكل من يتاتى توجيهه اليه ماذا يجب عليه هل حد القذف فى حق النبى من الانبيا
هو القتل وبه قال القابسى من الشافعية وان قبلت توبته لزيادة حرمته على
غيره ممن ليس نبيا ام يسقط اى قتله باسلامه ويحد ثمانين جلدة فقيل لا وقيل نعم

فصل فى ميراث من قتل بسبب النبى من الانبيا ا يورث عنه ام لا

وفى غسله ايجب ام لا وفى الصلاة عليه فذهب سحنون الى انه لجماعة
المسلمين كالفى من قبل بكسر اوله وفتح ثانيه اى من جهة ان شتم النبى صلى الله عليه وسلم
كفر شبه كفر الزنديق باضماره عقايد مكفره وقال اصبغ بن الفرج ميراثه لورثته
من المسلمين ان كان مستترا اى مسرا او تكلم اى لشتمه صلى الله عليه وسلم ولشتمه
يظهره لاحد وان كان مظهرا له مستهلا له اى معلنا بشتمه رافعا صوتا به فميراثه
للمسلمين فيا على ما مر آنفا ويقتل على كل حال ولا يستتاب وعند الشافعى يستتاب
وجوبا فان تاب والا قتل قال القابسى ان قتل وهو منكر للشهادة عليه بانه

شتمه

شتمه صلى الله عليه وسلم فالحكم فى ميراثه على ما اظهر من اقراره يعنى اى القابسى ان
ميراثه لورثته والقتل ثبت عليه بالشهادة عليه بشتمه له صلى الله عليه وسلم ○
ليس اى القتل من الميراث اى ما يورث عنه فى شىء حال من ضمير الميراث والظرفية
مجازية لتشبيهها الملابسة المعية للفظه بملابسة فى للظرف وكذلك اى ومثل
ما قاله القابسى لو اقر بالسب واظهر التوبة قتل جواب لو اذ هو اى قتله حد
بسبه له صلى الله عليه وسلم وحكمه اى هذا المقتول بسببه فى سبه وفى سائر احكامه
اى باقيها حكم اسلامه من صلاة خلفه وعليه ميتا وغسله وتكفينه ودفنه فى قبورنا
ومعاملة ومناكحة ولو اقر بالسب له صلى الله عليه وسلم وتمادى عليه اى استمر
على سبه له صلى الله عليه وسلم وابى التوبة منه اى الى الرجوع عن سبه فقتل
ابعده الله على ذلك حال من ضمير قتل اى متماديا ولتمكنه من التمادى واستقراره
عليه وتمسكه به شبهت حاله بحال من اعتلى شيئا فركبه تمثيلا اخرجه عن حكم الاسلام
وكان كافرا لتماديه على ما اراده من سبه له صلى الله عليه وسلم من غير رجوع عنه
وميراثه للمسلمين فيا لا ارثا وقول ابى الحسن القابسى فى المجاهر بسبه المتمادى
فيه بين لا اشكال فيه ولا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد بسبه واستهانته
له صلى الله عليه وسلم غير تائب بتماديه ولا مقلع عما هو متماد عليه وهو اى
قول القابسى مثل قول اصبغ بن الفرج وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه
للمسلمين وكذلك اى مثل قول اصبغ فى كتاب سحنون فى الزنديق يتمادى على
قوله السب بدون توبة ولا اقلاع مثل قول اصبغ على ما مر ومثله قول ابن
القاسم فى العتبية ولجماعة من اصحاب مالك فى كتاب عبد الملك بن حبيب
فيمن اعلن اى اظهر كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه اى حكم الشاب حكم المرتد
لا ترثه ورثته من المسلمين تنزيلا له منزلته فى الكفر ولا يرثه ورثته من
اهل الدين الذى ارتد اليه من دينه لان ماله صار بردته فيا للمسلمين ولا
تجوز وصاياه ولا عتقه لخروج ماله بردته عن ملكه موقوفا وقال اصبغ ○
ابن الفرج اى قال لما قاله ابن القاسم ان حكمه حكم المرتد لا يورث سواء قتل على
ذلك اى على اعلانه كفره او مات عليه معلنا له وقال ابن ابى زيد وانما يختلف
فى ماله الزنديق الذى يضمر عقايد باطله ويستعمل بالتوبة معلنا بما مذعنا للحق
فلا يقتل منه توبته ظاهرا وان نفعته عند الله تعالى وقال ناصر السنة
الشافعى تقبل وتدفع عنه قتله ويورث وتمضى وصيته وعتقه لحديث هلا
شققت عن قلبه فاما المتمادى المستمر على باطله من زندقة وغيرها مؤذنا بقتله
فلا خلاف فى انه لا يورث لعناده بتماديه وقال اى ابن ابى زيد فيمن سب الله
تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة اى لم تقم عليه او اقيمت عليه ولم تقبل انه
يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابرنا وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانه بقرينة سياق
الكلام او اعلن اى اظهر دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين فيا
وقال يقول مالك ان ميراث المرتد فيا ولا ترثه ورثته من الايمة الاعلام

ربيعة الراى شيخه والشافعى ناصر السنة تلميذه وصاحبه ابو ثور وعبد الرحمن بن
ابى ليلى العراقيات واختلف فيه اى فيما قاله مالك وتوبع عليه عن احمد بن محمد بن حنبل
فقيل قال به وقيل لا وقال على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود وسعيد
ابن المسيب والحسن بن ابى الحسن البصرى وعامر بن شراحيل الشعبى وعمر بن عبد
العزيز بن مروان بن الحكم الاموى والحكم بن عتيبة وابو عبد الرحمن الاوزاعى والليث
ابن سعد واسحاق بن راهويه وابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ترثه ورثته
من المسلمين وقيل ذلك اى ما ترثه ورثته من المسلمين منه فيما كسبه قبل
ارتداده فللمسلمين فىء وتفصيل ابى الحسن القابسى فى باقى جوابه على ما تراه انفا
حسن بين وهو على راى اصبغ ان ميراثه لورثته المسلمين ان كان مسرا لذلك وان كان
مظهرا له مستهلا به فميراثه فيئا للمسلمين وخلاف قول سحنون اى ميراثه لجماعة المسلمين
لان شتمه النبى صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق واختلافهما اى اصبغ وسحنون
على قولى مالك فى ميراث الزنديق فمرة ورث ورثته من المسلمين سواء قامت
عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف به واظهر التوبة وقاله اصبغ بن الفرج فقيه
مصر ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه اى اصحاب مالك لانه مظهر للاسلام
بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين يظهرون الاسلام ويضمرون الكفر كما ورد
عمن كان فى عهده صلى الله عليه وسلم منهم وروى ابن نافع عنه اى عن مالك
فى العتبية وكتاب محمد هو ابن المواز ميراثه لجماعة المسلمين فيئا لانه ماله تبع
لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه اى اصحاب مالك وقاله اشهب
والمغيرة وعبد الملك بن الماجشون او ابن حبيب ومحمد هو ابن المواز وذهب
ابن القاسم فى العتبية انه اى المرتد ان اعترف بما شهد به عليه وتاب فقتل فلا
يورث وهذا عجيب كيف لا يورث وقد تاب وان لم يقر حتى قتل او مات ورث
لان الاصل بقاؤه على الايمان قال اى ابن القاسم وكذلك اى ومثل من لم يقر
بما شهد عليه حتى قتل او مات ورث كل من اسر كفرا ولم يظهره حتى قتل او مات
فانهم يتوارثون موارثة الاسلام الوارد فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن نصرانى يسب النبى صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل ترثه ورثته من اهل دينه ام المسلمون فقال انه اى ماله للمسلمين فيئا
ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين كما ورد به الحديث ولكن ماله لهم
لانه فيؤهم لنقضه العهد هذا الذى ذكر معنى قوله اى قول ابن الكاتب واختصاره
اى ايراده مختصرا والله اعلم الباب الثالث فى حكم من سب الله
اى ذكره بما لا يرضيه كنسبة الكذب والعجز اليه تعالى وفى حكم من سب ملائكته
وانبيائه وكتبه وآل النبى وازواجه وامهات المؤمنين مما لا ينبغى ذكرهم به واصحابه
عطف العام على بعض افراده تفخيما لشانه وتنويها لفضله لان فيهم من هو افضل
كابى بكر لا خلاف لاحد ممن دان الله بالاسلام ان ساب الله تعالى من المؤمنين كافر
بسبه له بما لا يليق بكرم جلاله لمبارزته له ومحادته قال تعالى ان الذين يحادون
الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اى اخزوا واحلال الدم بتجاوزه الى ما لا يجوز

نسبته

نسبته اليه وخرج بكونه مسلما الذمى ونحوه اذا سبه بما يعتقده ويتدين به كجعله له
شريكا او ولدا فانه لا يقتل لكن يلزمهم الامتناع من اظهاره كما يمنعون من اظهار الخمر
والخنزير والناقوس واعيادهم وقراءة التوراة والانجيل واحداثهم الكنائس فى بلاد
الاسلام فان اظهروا شيئا من ذلك منعوا وعزروا ولا ينتقض عهدهم اما اذا سبه
تعالى بما لا يعتقده كلعنه وتجهيله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فانه يقتل بافترائه عليه
تعالى واختلف فى استتابته ايستتاب ام لا فقال ابن القاسم فى المبسوط وفى كتاب
محمد هو ابن عبد السلام سحنون ومحمد هو ابن المواز ورواه ابن القاسم عن مالك
فى كتاب ابن يحيى من سب الله تبارك وتعالى من المسلمين بما لا يليق بجلاله قتل ولم
يستتب تعظيما لشانه تعالى وتنزيها لساحة عزه عن ان يترك من اجترا عليه
بسب بلا اذاقة نكال الا ان لا يكون سبه له تعالى افتراء على الله مصحوبا بارتداده الى
دين غير دين الاسلام دان به اى اتخذه دينا واظهره فيستتاب اى يومر بالرجوع الى
الاسلام فان تاب قبلت توبته وان ارتد الى دين ولم يظهره لم يستتب وقتل اذ لعله
لو استتيب اظهر التوبة واخفى الكفر كالزنديق وقال مطرف هو ابن اخت مالك
وعبد الملك لعله ابن حبيب او الماجشون فى المبسوطة مثله اى مثل ما مر من التفصيل
وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل المسلم الذى كفرناه بالسب حتى
يستتاب كما قال الشافعى فان تاب والا قتل وكذلك اليهودى والنصرانى اى كل
يهودى ونصرانى لا يقتل بسبه حتى يستتاب فان تابوا قبل منهم توبتهم وان لم يتوبوا
قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك اى ما تقدم من سبه الكفر له كله كالافتراء بالردة
الى دين دان به واظهره فيستتاب وهو اى هذا التفصيل الذى حكاه القاضى بن نصر
عن المذهب اى مذهب مالك وافتى ابن ابى زيد فيما حكى عنه فى رجل لعن رجلا ولعن
الله تبارك وتعالى فقال اى اللاعن انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى فقال
اى ابن ابى زيد يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره لاحتمال كذبه مع ظهور كفره واما فيما
بينه وبين الله فمعذور استصحابا بالايمان مع جزمه به واختلف فقهاء قرطبة بضم
القاف والطاء بينهما راء ساكنة مدينة معروفة بالمغرب وهى الآن فى ايدى الكفار
دار حرب بعد ان كانت دار اسلام وعلم فى مسئلة هارون بن حبيب بفتح الحاء المهملة
اخى عبد الملك بن حبيب الفقيه وكان اى هارون ضيق الصدر كثير التبرم مصدر
تبرم به وبرم به اذا سئمه وابرمه اذا امله واضجره وكان قد شهد عليه بشهادات
تقتضى تكفيره منها انه قال عند استقلاله من مرض قد عراه لقيت فى مرضى هذا ما لو
قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا قاله لما غشيه من شدة مرضه فافتى ابراهيم بن حسين
بقتله لانه مضمن اى مضمون قوله تجوير من الجور ضد العدل لله تعالى وتظلم منه تبارك
وتعالى على الجور والظلم والتعريض فيه اى فيما يتضمن وصفه بالجور والظلم كالتصريح
فى وصفه تعالى عما وتنزهه عن ان يتصف بما لا يليق بجلاله وافتى اخوه عبد الملك
وابراهيم بن حسن وفى نسخة ابن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضى
بطرح القتل عنه ولا يتحتم قتله الا ان القاضى سعيد بن سليمان راى عليه التثقيل
فى الحبس والشدة فى الادب تعزيرا له وتنكيلا ولا يقتل لاحتمال كلامه الكفر الموجب

لقتله وعدمه واحتمال صرفه الى التشكي هذا وقد حكى النووي في الروضة مما افتوا
به ولم يرجح منهما رايا لكن قوله اولا وقد حكى القاضي عياض جملة من الالفاظ المكفرة
يقتضي ترجيح راى من افتى بقتله فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة كالمخزومي
ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم اى مستندهم الداعي لهم الى قولهم بانه يستتاب فان تاب
قبل والا قتل هو انه اى سبه تعالى كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله من عباده
فاشبه قصدا لكفر بغير السب تعالى عن ذلك واشبه ايضا اظهار الانتقال من دين
الاسلام كما مر الى دين اخر من الاديان دان به مخالفا لدين الاسلام سواء اظهره ام لا
ووجه من قال لا يستتاب كابن القاسم وسحنون والموازي اى مستندهم الداعي لهم
الى ترك استتابته هو انه اى سابه تعالى لما اظهره اى سب مولاه تبارك وتعالى
بعد اظهاره الاسلام قبل من الظروف الزمانية الغائية مبني على الضم لقطعه عن
مضافه المنوي اى لما ظهر منه سب ربه تعالى بعد اظهاره الاسلام وقبل اظهاره
السب اتهمناه جواب لما اى اوقعناه في التهمة بالكفر وظننا ان لسانه لم ينطق به
الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا السب وينطق به بدون اعتقاده فحكمه اى
لقائله حكم الزنديق ولم يقبل توبته اذ قد يتمادى على اخفاء كفره واظهاره الاسلام وهذا
يفهم منه ان الزنديق هو من يظهر الاسلام ويخفي كفره وصرح به النووي في صفة الائمة
والردة من الروضة فلا فرق بينه وبين المنافق اذ هو ايضا كذلك والحق ان الزنديق
من اخفى عقايد كفر اتفاقا فهو من لا ينتحل دينا وبهذا فارق المنافق لثبوته على
عقيدة كفر واحدة كما قال الشافعي مطلقا اى سواء كان كفره لمجرد السب او بردة
الى دين دان به واظهره او لا وسواء تكررت ردته واسلامه او لا وسواء كان ظاهر
الكفر او زنديقا واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب يعني الارتداد فهذا المنتقل
من دين الى اخر بردته قد علم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه فيستتاب فان تاب
والا قتل والربقة في الاصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة او يدها لحفظها
فشبه الاسلام بالحبل الذي فيه الربق على طريقة الاستعارة المكنية واثبت
له الربقة تخييلا وصرفا للنفس عن توهم تشبيهه به حتى كانه من جنسه قضاء
لحق البلاغة وهو مقتبس من حديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه والجماعة هم اهل السنة ومفارقتهم ببدعة بخلاف الاول المتمسك
به اى بالاسلام فانه بمجرد سبه الله تعالى لم يعلم انه خلع ربقته من عنقه لتمسكه
بظاهره او حكم هذا يعني الذي انتقل من دين الى اخر واظهر السب حكم المرتد فلا علم انه
خلع ربقته من عنقه يستتاب على المشهور عند اكثر العلماء كالشافعي وابي حنيفة واحمد
وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل في اوايل الباب وذكرنا الخلاف
في فصول لاحقة بعد

فصل

واما من اضافه الى الله تبارك وتعالى
ما اى الذي او شيئا لا يليق به ليس على طريق السب حال من الضمير قبله اى حال كون
ذلك المنسوب اليه تعالى غير متمكن من استعمال طريق سبه تعالى ولا على طريق
الردة وقصد الكفر لكن ذلك الذي يضاف اليه وليس مما ذكرناه يكون على طريق
التاويل الفاسد والاجتهاد المؤدي الى الضلال والخطا المفضي الى الهوى والبدعة

تمثيل

تمثيل لتمكنه من الفساد ولزومه له بحال من اعتقد شيئا وركبه والمراد بالبدعة
هنا بدعة الضلال وهي ما يخرج مرتكبها بفعلها عن طاعة الله لدخولها تحت عموم
ما نهى الله ورسوله عنه واما ما دخل تحت عموم ما ندب الله ورسوله اليه فقد تكون
واجبة كنظم الادلة على طريق المتكلمين للرد على من تنكب الى الضلال ومندوبة
كصلاة التراويح وتصنيف العلوم الشرعية ومقدماتها وبناء المدارس والربط
ومباحة كالتبسط في انواع الاطعمة ومحرمة ومكروهة من تشبيه بيان لما لا يليق
به تعالى كتشبيه المجسمة له تعالى عما زعموا انه على صورة شاب في جهة العلو
مماسا للعرش او محاذيا له او نعت اى وصف له تعالى بجارحة كالوجه والعين
والجنب والاستواء مما ورد من الوحيين من ذلك مثل كل شيء هالك الا وجهه
ولتصنع على عيني تجري باعيننا يد الله فوق ايديهم والسماء بنيناها بايد يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله الرحمن على العرش استوى ورد تمثيلا وتصويرا للمعاني
العقلية بالصور الحسية وابرازها في معرض ما الفوه من ابراز تراكيبهم في
محاوراتهم ليفهموها والى هذا ذهب ايمة الخلف وكثير من ايمة السلف ومن ثم
بالغ صاحب الكشاف في الانكار على من فسر الاستواء بالاستيلاء واليمين واليد
بالنعمة والايدي بالقدرة وقال في الرحمن على العرش استوى انه لما كان الاستواء على العرش
الذي هو سرير الملك لما كان مما يرادف الملك كنى به عنه ولما امتنع المعنى الحقيقي
صار الاستواء كناية عن الملك وكذا والسماء بنيناها بايد تمثيل وتصوير لعظمته
وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالايدي الى حقيقة او مجاز وكذا والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تصوير لعظمته
وتوقيف على كنه جلاله وان هذه الاجرام العظام الثقال هينة عليه هوانا
لا يقف سامعه عليه الا باراده بعبارة مثل ذلك من غير ذهاب بالقبضة
واليمين الى حقيقة او مجاز او نفي صفة كمال كنفي المعتزلة صفاته القديمة الذاتية
حذرا منهم من تعدد القدماء ولم يعلموا ان المحذور من تعددها هو تعدد قدماء
ذوات لا ذات وصفات ولم يحترز بكمال عن شيء لان صفاته كلها كمال فهذا
الذي اضيف اليه تعالى على التاويل مما اختلف السلف والخلف في تكفير قايله
ومعتقده والحق عند الاشعري واكثر اصحابه واكثر الفقهاء كابي حنيفة لا يكفر لان
خطاه في تاويله ليس بقادح في اسلامه وصحته لا تتوقف على اعتقاد الحق فيه
اذ لو كان قادحا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ان يبحثوا عن اعتقاد
من اسلم هذا وبعدم تكفيره اشعر قول الشافعي لا ارد شهادة اهل الاهواء الا
الخطابية لاستحلالهم الكذب واختلف قول مالك واصحابه في ذلك هل يكفر معتقده
ام لا وسياتي قريبا ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا وانفردوا وامتنعوا منعزلين
عن اهل الحق لاستقرار ذلك بمخالفتهم [illegible] وانهم يستتابون فان تابوا ○
وعادوا الى الاسلام قبلوا والا قتلوا حذرا من ان ينشا منهم تمكين من فساد يثير
فتنة يعسر ازالتها وانما اختلفوا اى اصحاب مالك متى في المنفرد منهم اى من
نسب اليه تعالى شريكا تشبيها او وصفا بجارحة او نفيا لصفة فاكثر قول مالك

واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم توجيها لرجوعهم عن ذلك والقول الفصل فيهم المبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم اى اعراضهم عنا ورجوعهم ويستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ بمهملة مفتوحة ومعجمة بينهما باموحدة مكسورة فالمثناة تحتية كان يتبع مشكل القرآن ويسأل عنه فضربه ومنع من مجالسته وهذا اى القول بالمبالغة في عقوبتهم في قول ابن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون فيبالغ في عقوبة من سلك طريقهم منهم وتقلد رايهم وفي اطالة سجنه حتى تظهر توبته ويستبين رجوعه وهو ايضا قول سحنون في جميع اهل الاهوا وهم اثنتان وسبعون فرقة غير الفرقة الناجية اهل السنة وبه اى وبالقول بالمبالغة في عقوبتهم مع اطالة سجنهم فسر قول مالك في الموطا من التوطئة وهي التمهيد والتذلل وفراش وطي لا يؤذي جنب صاحبه وفي الحديث الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون ما رواه بدل من قول مالك اه فسر بعض اصحابه وهو قائلهم رواية عن عمر بن عبد العزيز وجده مروان بن الحكم وعمه عبد الملك بن مروان من قولهم في القدرية يستتابون اى ويبالغ في عقوبتهم واطالة سجنهم فان تابوا وظهر اقلاعهم قبلوا والا قتلوا وقال عيسى لعله ابو عيسى الغافقي عن ابن القاسم في اهل الاهوا من الاباضية بهمزة مكسورة فباموحدة وضاد معجمة طائفة من الخوارج اصحاب عبد الله بن اباض ظهر في خلافة مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية زعموا ان من خالفهم كافر غير مشرك تجوز مناكحته والقدرية اتباع واصل بن عطا الغزال سموا قدرية لانكارهم القدر وان العبد يخلق فعله الشر دون الخير ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة لمشاركتهم المجوس في اثبات خالق للخير وخالق للشر وقال انهم خصماء الله في القدر بشهادة حديث ينادي يوم القيامة لتقم خصماء الله فتقوم القدرية لاعتقادهم ان العبد يقدر على ما لا يريده الله مع كراهته له فلزمهم ان يقع في ملكه تعالى ما لا يريده وشبههم ممن خالف الجماعة اهل السنة الذين هم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ومأواهم من اهل البدع بيان لمن خالفهم كالبصرية والاسماعيلية والازارقة ومن اهل التحريف لكتاب الله تعالى بتاويل باطل على مقتضى آرائهم الفاسدة يستتابون مطلقا سوا اظهروا ذلك اى معتقدهم او اسروه فان تابوا قبلت توبتهم والا قتلوا وميراثهم لورثتهم لان قتلهم انما هو لارتكابهم البدعة وقال مثله اى مثل قول عيسى ايضا ابن القاسم في كتاب محمد لمحمد ابن المواز في القدرية وغيرهم من المبتدعة مخالفي اهل السنة قال اى ابن القاسم او محمد عنه واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه من الاعتقاد الباطل فان تابوا خلي سبيلهم وان عادوا في بدعتهم قتلوا وميراثهم لورثتهم ومثله اى ومثل ما قال ابن القاسم في كتاب محمد له في المبسوط في الاباضية من الخوارج كما مر اتباع عبد الله بن اباض كفروا عليا واكثر الصحابة والقدرية اصحاب واصل بن عطا الغزال راس المعتزلة وسائر اهل البدع يستتابون فان تركوا معتقدهم والا قتلوا حدا لا كفرا قال اى ابن القاسم وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا اى وبقول ابن القاسم عمل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف

قال

قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب عن ذلك قبل والا قتل كفرا لانكاره تكليمه مع وروده في القرآن وابن حبيب وغيره من اصحابنا بمهملة مذهب واعتقاد لا صحبة زمان يرى تكفيرهم اى اهل البدع وتكفير امثالهم من اعتقد السوء من الخوارج وهم تسع فرق منهم المحكمية الذين خرجوا على علي بسبب التحكيم وكفروه والقدرية خصماء الله مجوس هذه الامة والمرجية معتقدي ارجاء العذاب اى تأخيره عن العاصي كقولهم لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وقد روى ايضا عن سحنون مثله اى مثل قول ابن حبيب وغيره بتكفير من ذكر فيمن قال ليس لله كلام انه كافر لتكذيبه عليه تعالى بانكار كلامه واختلفت الروايات عن مالك فاطلق القول بتكفير من ذكر من المبتدعة في رواية الشاميين ابي مسهر عبد الله بن مسهر ومروان ابن محمد الطاطري بمهملتين الثانية مفتوحة كان يبيع ثيابا بيضا يقال لها الطاطرية فنسب اليها وقد شوور اى مالك شاوره بعض الناس في زواج القدري ممن يرى القدر ويقولون الامور انف ولا قدر فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ترغيبا وترهيبا وروى عنه ايضا اى عن مالك انه قال اهل الاهوا كلهم كفار لارتكابهم عقايد لم يأذن الله بها وقال اى مالك من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من اعضاء جسده يد او محل سمع او بصر او نحو ذلك قطع ذلك العضو الذي اشار اليه منه لانه شبه الله بنفسه وقال اى مالك فيمن قال القرآن مخلوق هو كافر فاقتلوه ان اراد كلامه القديم القائم بذاته تعالى وان اراد كلامه الدال عليه كفرناه واستتيب فان تاب والا قتل وقال اى مالك في رواية ابن نافع يجلد تعزيرا ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب ويقبل ان تاب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه اى عن مالك يقتل ولا تقبل توبته وقال القاضي ابو عبد الله البرنكاني بباء موحدة فراء ساكنة فنون مفتوحة بوزن الزعفراني نسبة الى نوع من الاكسية والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة المالكية العراقيين جوابه اى جواب مالك فيمن قال القرآن مخلوق مختلف فقال يقتل المستبصر الداعية الذي له خبرة بامور الشريعة وعلى هذا الخلاف الذي ذكره القاضيان قوله في اعادة الصلاة التي صليت خلفهم على ظن اسلام الامام فبان كافرا فقال مرة تعاد ومرة لا تعاد وهذا ونقل الشيخ ابو حامد الاسفرايني والماوردي عن نص الشافعي ان من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتدا او زنديقا وجوب الاعادة ورجحه عامة اصحابه وحكى الامام الحافظ ابو بكر ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري لحكمه صلى الله عليه وسلم بانهم خصماء الله ومجوس هذه الامة كما ورد واكثر اقوال السلف تكفيرهم لاثباتهم كثيرا من الخالقين وممن قال به اى بتكفيرهم الليث بن سعد الفهمي مولاهم وابن عيينة وابن لهيعة بفتح اوله وكسر ثانيه وروي عنهم ذلك اى عن السلف التكفير فيمن قال بخلق القرآن ويجري فيه تفصيلنا السابق الا انه يقال اذا اطلق القرآن فالمراد به القديم لا النظم الدال عليه وقاله اى قال بتكفير من قال بخلق القرآن ائمة اعلام عبد الله بن المبارك والاودي ووكيع هو ابن الجراح وجعفر بن غياث وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين

من الأيمة الأعلام وهو اى ما قاله هؤلاء الأيمة من قول اكثر المحدثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والفقهاء والمتكلمين فيهم اى فيمن ذكر من المبتدعة وفى الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة اسم مفعول وفاعل اى اضلهم الله او اضلوا غيرهم واصحاب البدع المتاولين بتاويل باطل يوفق اغراضهم على ما يريدون وهو قول احمد بن محمد بن حنبل وكذلك قالوا اى من ذكر من الايمة بالتكفير فى حق الواقفية الذين ليسوا مثبتا ولين وفى حق الشاك فى هذه الاصول احقة هى ام باطلة وممن روى عنه بالبنا للمفعول معنى القول الاخر بترك تكفيرهم اى الفرق المذكورة على بن ابى طالب وعبد الله ابن عمر والحسن البصرى وهو اى القول بترك تكفيرهم راى جماعة من الفقهاء النظار كالشافعى اذ قد حكى عنه فى الروضة لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابية لحلهم شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم والمتكلمين واحتجوا لعدم تكفيرهم بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء بحا مهملة وراين بينهما واو وفى الاخر همزة ممدودة قرية على ميلين من الكوفة اجتمع فيها الخوارج على على وتعاقدوا على رايهم الباطل على قتاله فقتلهم ولم يبق منهم الا قليل واحتجوا ايضا بتوريثهم ورثة من عرف بالقدر ومن مات منهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم فى كل زمان الى زماننا هذا قال القاضى اسماعيل بن اسحاق الحافظ وانما قال مالك فى القدرية انما فى القدر وسائر اهل البدع اى باقيهم يستتابون فان تابوا قبلت توبتهم والا قتلوا لانه اى معتقدهم الباطل من الفساد فى الارض بترويج الباطل واضلال الضعفاء به كما قال اى مالك فى المحارب ان راى الامام قتله قتله وان لم يقتل احدا وفساد المحارب انما هو فى الاموال ومصالح الدنيا مما يعود نفعه عليه وان كان اى فساده قد يدخل فى امر الدين من سبيل الحج والجهاد بيان لامر الدين وفساد اهل البدع معظمه فى الدين بما ينشا من تاويلهم الباطل لعقائد القاصرين وقد يدخل فى امر الدين بما يلقون بين المسلمين من العداوة مما يورث البغضاء والتنافر والتشاجر بينهم وربما ادى الى القتال

فصل فى تحقيق القول فى اكفار المتاولين

لما اعتقدوا او موهوه بصرفه الى ما لا يودى فى زعمهم الى كفر كقول المعتزلة بنفى زيادة الصفات الذاتية وقدمها فرارا من تعدد القدما ولم يعلموا ان المحذور تعدد ذوات قديمة لا ذات وصفات قد ذكرنا مذاهب السلف من الصحابة وغيرهم فى اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين فاكثرهم كفرهم لمروقهم من الدين ببدعهم مروق السهم من الرمية معتمدين تاويلا باطلة ومنهم من لم يكفرهم لعذرهم بالتاويل وان كان باطلا من قال قولا يوديه مساقه الى الكفر كقول من قال ان الله لا يريد القبائح مؤولا له بان ارادة القبائح قبيحة وهو اذا وقف عليه اى على ما قاله وبين له انه يلزم منه ان اكثر ما يقع من عباده خلاف مراده قهرا عليه تعالى وان القبيح هو فعل القبيح لا خلقه وارادته لا يقول بما يوديه قوله اليه من الكفر كراهة له وتقيدا بالاسلام به وعلى اختلافهم اى اختلاف السلف اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك اى فى تكفيرهم فمنهم من صوب

التكفير

التكفير الذى قال به الجمهور من السلف لاعتقادهم ما يودى اليه من بدع قطعية وآراء شنيعة ومنهم من اباه اى ابى التكفير ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين بعد دخولهم فى عدادهم بتوحيدهم وشهادتهم بالرسالة قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا وفى رواية حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا وفى رواية وانى رسول الله وفى رواية حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله وهو اى القول بعدم تكفيرهم قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة بارتكابهم بدعا واهواء مفسقة ضلال بتمسكهم فى ذلك بتاويل باطلة ويتوارثون من موتى اقاربهم المسلمين او من يثبت منهم ويحكم لهم باحكامهم مما لهم وعليهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال اى سحنون وهو اى القول بعدم اعادة من صلى خلفهم قول جميع اصحاب مالك كابن الماجشون والمغيرة وابن كنانة واشهب قال اى سحنون لانه اى من صلى خلفه منهم مسلم وذنبه بارتكابه ما يفسقه لم يخرجه عن الاسلام وان كان كبيرة واضطرب الاخرون فى ذلك ايكفرون بما قالوه مما يورد مساقه الى كفر ووقفوا المجيبين عن القول بالتكفير اى عدمه لانهم وان قالوا بما يودى مساقه الى كفر فلعلهم اذا وقفوا عليه احجموا عنه او ووقفوا المجيبين عن ضده الى القول بالتكفير لظاهر ما قالوه بما يسوق اليه واختلاف قولى مالك فى ذلك اى فى التكفير وعدمه وتوقفه عن اعادة الصلاة اذا صليت خلفهم منهم اى مما اضطرب فيه اولئك الاخرون والى نحو من هذا الاختلاف والتوقف من مالك ذهب القاضى ابو بكر الباقلانى امام اهل التحقيق تحاميا من التصريح باسم الكفر والحق انما اى مسالة القول بالتكفير من الغويصات التى لا تدرك الا باتعاب فكر وامعان نظر اذ القوم لم يصرحوا باطلاق اسم الكفر عليهم لما معهم من التاويل لما قالوه مما يودى مساقه الى الكفر وانما قالوا قولا يودى اليه واضطرب قوله اى قول القاضى على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال اى القاضى الباقلانى فى بعض كلامه انهم اى اهل البدع على راى من كفر بالتاويل لا تحل لاحد منا لاحد اهل السنة مناكحتهم ولا يحل لنا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم لموته فى اعتقاد من يكفرهم على الكفر ويختلف فى موارثتهم على الخلاف فى ميراث المرتد على ما تقرر عن ابن القاسم وغيره وقال ايضا اى القاضى ابو بكر نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم اى اهل البدع والاهواء من المسلمين واكثر ميله اى القاضى ابى بكر الى ترك التكفير وكذلك اضطرب فيه اى فى القول بتكفيرهم قول شيخه طريقة ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة لا تتفاوت باختلاف الاشخاص وهو اى الكفر الجهل بوجود البارى تعالى وتقدس عن ان يكون مجهولا وقال اى الاشعرى مرة من اعتقد ان الله جسم او انه المسيح بن مريم او انه بعض من يلقاه فى الطرق فليس بعارف به تبارك وتعالى وهو كافر ولمثل هذا اى ما قاله الاشعرى من عدم التكفير ذهب ابو المعالى امام الحرمين عبد الملك بن ابى محمد الجوينى الشافعى

في اجوبته لابي محمد عبد الحق الاشبيلي وكان الوالي للحال قد سأله عن المسألة التي ميل الاشعري فيها الى عدم التكفير اكثر فاعتذر له بان الغلط فيها بالقول بالتكفير يصعب لان ادخال كافر في الملة اي الاسلامية او اخراج مسلم منها عظيم في الدين فوجب الاحجام عن القول بالتكفير وقال غيرهما اي الاشعري وابي المعالي من المحققين الذي يجب القول به هو الاحتراز من التكفير في اهل التاويل وان كان تاويلهم خطا في نفس الامر فان استباحة دما المصلين الموحدين خطر لا يقدم عليه لعظمه والخطا في ترك الف كافر في نفس الامر مع الحكم باسلامه ظاهرا اهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد في نفس الامر لم يحكم بكفره وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا قالوها يعني الشهادة بوحدانيته تعالى وبرسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وصلوا وزكوا عصموا اي منعوا وحقنوا مني دماهم جمع دم واصله دمو واموالهم الا بحقها استثنا مفرغ من عام والعصمة متضمنة للنفي ليصح تفريغ الاستثنا اذ هو شرطه اي لا تهدر دماؤهم ولا تستباح اموالهم بسبب من الاسباب الا بحق الاسلام كفعل الواجبات وترك المنهيات فانها واجبة بحقه وقد التزمها المؤمنون بايمانهم فان فعلوا وتركوا بنية صالحة فهم مؤمنون حقا او تقية وخوفا عصموها مني وحسابهم على الله اي اليه تعالى لانه الذي يتولى سرائرهم من ايمان وكفر ونفاق واما رسوله صلى الله عليه وسلم فانما امر ان يحكم بمقتضى ظواهر افعالهم واقوالهم وحرف الجر وان اشعر بالايجاب فهو انما على طريقة التشبيه اي هو كالواجب عليه تعالى بمقتضى اخباره بوقوعه تفاديا بالخلف فيه واما واجب عليه تعالى شرعا بمقتضى وعده اذ لا يخلف وعده وان زعم المعتزلة وجوبه عليه تعالى عقلا وعموم الحديث موذن بقبول توبة المرتد والزنديق وجاحد مجمع عليه وجوبا كالصلاة هذا واشتراط التلفظ بالشهادة انما هو لاجرا الاحكام الشرعية عليه في الدنيا وكف القتل عنه والا فمن امن بقلبه ولم يتلفظ بها فهو مؤمن عند الله وبه قال مشايخنا الاشعرية والماتريدية واكثر محققي اتباعهما لشهادة كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقلبه مطمئن بالايمان اللهم ثبت قلبي على دينك وقيل لابد من التلفظ بها وعليه كثيرون وعزي لابي حنيفة فهو عند هؤلاء شطر واولئك شرط وهذا الخلاف في قادر ترك التلفظ بها لا على وجه الابا فالعاجز مؤمن اجماعا والقادر المصر على تركه مع مطالبته به كافر اجماعا لما عليه من ملابس الانكار فالعصمة للدما والاموال مقطوع بها مع الشهادة بان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا ترتفع اي العصمة ويستباح خلافها من دم او مال الا بقاطع من الادلة ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه اي على ما يستباح موذن باباحته والفاظ الاحاديث الواردة في الباب في الكفار المتاولين معرضة للتاويل لعدم صراحتها باكفارهم فاجتنابها في التصريح بكفر القدرية وفي قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم

لاسم

لاسمهم اي القدرية في الاسلام بشهادة حديث ينادي يوم القيامة ليقم اعدا الله فتقوم القدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة اي لقولهم بان العبد يخلق افعاله فهم كهم في قولهم بخالقين وفي تسميته اي النبي صلى الله عليه وسلم والمراد رجح رواه ن الرافضة بالشرك لعلهم علاتهم القايلون بالهية علي وسموا شركا لتمكنهم منه ولزومهم له وفي اطلاق اللعنة عليهم اي على الرافضة كالمجوس وكذلك الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان وغيرهم من اهل الاهوا كالشيعية والزيدية سليمانية وبترية ن رجا روديه فقد يحتج بها من يقول بالتكفير قضا بظواهرها وقد يجيب الاخر اي القايل بعدم التكفير بانه الضمير للشان يعسر قد ورد مثل هذه الالفاظ اي الفاظ الاحاديث المعرضة للتاويل في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ زجرا وتنفيرا عما زجر عنه كحديث من اتى عرافا فصدقه فهو كافر او فقد كفر وكفر دون كفر واشراك دون اشراك للتفاوت بين من قضي بكفره ظاهرا وكفر من قضي بكفره بتكذيبه لنبيه او باقراره وقد ورد مثله اي مثل الحديث الوارد في غير الكفرة في الزنا وعقوق الوالدين والزواج كحديث ——— لا يزني حين يزني وهو مؤمن وحديث من ادرك ابويه او احدهما فلم يدخلاه الجنة ومن باتت زوجها ساخطا عليها لم ترح رايحة الجنة وورد مثله في غير معصية واذا كانت الحديث الوارد لامرين محتملا للامرين من كفر وغيره فلا يقطع باحدهما الا بدليل لامتناع الترجيح بدون مرجح قاطع او غير قاطع قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج فيما رواه مسلم عن ابي ذر هم شر البرية من برا الله الانام اي خلقهم لا على مثال ولهذه اللفظة مزيد اختصاص بخلق الحيوان وقلما تستعمل في غيره من المخلوقات يقال برا الله النسمة وخلق السموات والارض وهذه اي كلمة هم شر البرية صفة الكفار لوصفهم بالاشرية وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ورواه البيهقي هم شر قتيل تحت اديم السما الاديم في الاصل الجلد استعير لظاهر السما طوبى فعلى من الطيب ضمت الطا فقلبت الياء واوا اي الجنة او شجرة فيها لمن قتلهم اذ قتلهم علي يوم النهروان شر قتلة ولم يبق منهم الا من هرب او طوبى لمن قتلوه لفوزه بالشهادة وضرهم بالشقاوة وقال فيما رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد مبالغة في الامر بقتلهم اي كقتل عاد في الشدة والا فهم قتلوا بالريح العقيم ولا قدرة علينا الا بالله ح وظاهر هذا القول منه صلى الله عليه وسلم هو لا سيما وقد ذكرهم مع تشبيههم بعاد قوم هود صلى الله عليه وسلم المؤذن بكفرهم كالمشبه به فيحتج به اي بتشبيههم بهم من يرى تكفيرهم لتشبيههم بكفار هلكوا بالدبور فيقول يحتج ممن لا يرى تكفيرهم له اي لمن يراه انما ذلك من قتلهم اي لم يشبهوا بعاد من حيث تكفيرهم بل من حيث الامر بقتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله اي دليل خروجهم وبغيهم عليهم من الحديث نفسه يعني قوله صلى الله عليه وسلم يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هنا حد واجب وفي الشرع هو لا كفر وذكر عاد تشبيهها لتشبيه لقتلهم بالقتل لعاد وحله لا تشبيه للمقتول من الخوارج بالمقتول من عاد حتى يلزم الكفر

وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره كمن ترك الصلاة كسلا فانه حكم بقتله لا بكفره ويعارضه
اى يعارض من لا يرى تكفيرهم من يراه بقول خالد فى الحديث فيما رواه الشيخان عن
ابى سعيد دعنى اضرب عنقه يا رسول الله فقال اى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعله يصلى وذلك دل على انه مؤمن اذ لعل فى كلام الله وكلام رسوله للتحقيق فان احتج
اى من يرى بتكفيرهم بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم جمع حنجرة
وهى راس الغلصمة الذى يرى ناتيا خارج الحلق وكذا قوله يمرقون من الدين مروق السهم
من الرمية فعيلة بمعنى مفعولة اى مرمية مما يرى فيخرج منه السهم من صيد او غيره ثم لا يعود
اليه حتى يعود السهم على فوقه بضم الفاء اى موضعه من الوتر وكذا قوله فيما رواه
الشيخان عن ابى سعيد سبق اى السهم بمروقه سريعا الفرث والدم يدل على انه اى
الذى يقرا القرآن ذلك المجاوز قراءته حنجرته لم يتعلق من الاسلام بشئ كما ان السهم
بمروقه سريعا لم يعلق بشئ منهما وعن ام سلمة بنت على قالت لا اهل الكوفة اى كبد
فريتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغرث اتفنيت الكذب بالغمر ولا ذى احاجم
الاخرون الذين لا يكفرونهم عما احتجوا به لترك تكفيرهم ان معنى لا يجاوز حناجرهم
لا يفهمون معانيه او لا يمتثلون اوامره ولا يجتنبون نواهيه وهذا احسن جوابا
وعارضوهم عطف على جواب الشرط اعنى اجابهم الاخرون بقوله صلى الله عليه وسلم
ويتمارى فى الفوق اى يتردد فى موضعه من الوتر هل يثبت وهذا يقتضى الشك
فى حال الحكم بكفرهم ام لا وان احتجوا اى من يرى تكفيرهم بقول ابى سعيد فى هذا
الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج فى هذه الامة قوم
يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابى سعيد
والقائه اللفظ اذ قال فى دون من مؤذن بانهم كفار ليسوا من الامة
اجاب الاخرون ممن لا يرى تكفيرهم بان العبارة بفى لا تقتضى تصريحا
بكونهم من غير الامة وان كان ظاهرها يقتضيه بخلاف لفظة من التى هى للتبعيض
ولا تقتضى تصريح كونهم من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر الغفارى وعلى
وابى امامة سهل بن حنيف فى هذا الحديث اى حديث الخوارج يخرج من امتى وسيكون
من امتى بما هو صريح فى كونهم منهم وحروف المعانى دون حروف المبانى مشتركة
فى الدلالة على معانيها ينوب فيها بعضها عن بعض اما بلا تضمين مما لا يتعدى
به من الافعال معنى ما يتعدى به منها كما فى حديث كف عليك هذا اى منك لسانك
فاستعير على لمن او بتضمين كف معنى امسك فعدى بعلى فلا تعويل الفاء هنا مفصحة
عن مقدر اى واذا كانت مشتركة فلا اعتماد فعدى بعلى فلا تعويل الفاء هنا مفصحة
عن مقدر اى واذا كانت مشتركة فلا اعتماد على اخراجهم اى الخوارج من الامة
بفى فى الرواية الاولى ولا تعويل ايضا على ادخالهم فيها بمن فى الرواية الثانية
لاحتمال ورود كل من فى ومن فيهما بمعنى الاخرى كما فى هذا اذ راع فى ارض اى منها
وفى اذ نودى للصلاة من يوم الجمعة اى فيه لكن ابا سعيد اجاد ما شا فى التنبيه
عليه اى على اخراجهم من الامة بظاهر فى دون من انهم ليسوا منهم وهذا اى تعبير
ابى سعيد بفى دون من مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعانى بايراد

الفاظها الدالة بدون احتمال على غيرها واستنباطها اى اخراجها من القوة الى الفعل
من الالفاظ الموضوعة لها الدالة عليها وتحريرهم لها حفظا لها عما يوهم احتمالها غير
ما وضعت له من المعانى ولتوقيهم فى الرواية تمام التوقى باجتنابهم له هذه المذاهب التى
ذكرت فيما مر هى المعروفة لاهل السنة واما ما لغيرهم من الفرق فيما كالمعتزلة والشيعة
فقد ورد لهم فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اى دقيقة خفيفة عقول اصحابها
اى عقولهم كقول جاحظ هو ابن صفوان من المعتزلة وقول محمد بن شبيب منهم ايضا ان
الكفر بالله هو الجهل به وجوده لا يكفر احد بغيره لذلك اى بغير الجهل به وجودا وقال ابو
الهذيل منهم ايضا ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله مؤذن بتشبيهه بخلقه وتجويرا له
من الجور وهو الميل عن الاستقامة تعالى عن ذلك فى فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر
وقال ايضا كل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر بانه تعالى واحد لا شريك
له وهذا مؤذن بكفر من قال بتعدد صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة والارادة
مع انه لا يتعدد ورد فى القول بتعدد ذات واحدة مع صفات وذلك منه غلو ومبالغة
تفضيا برجوع كفره لهم عليه بتشبيهاته حديث من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك حار
اى رجع عليه ما نسبه اليه وقال بعض المتكلمين ان كان اى المتاول ممن
عرف الاصل وبنى عليه تاويله وكان تاويله فيما هو من اوصاف الله بما لا يليق
به فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب اى باب ما يؤدى الى كفر ففاسق خارج عن
طاعة الله الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل وبنى تاويله رجما بالغيب على ما لم يعرفه
من صفاته تعالى فهو مخطئ فى تاويله لعدم اصابته الحق اثم فاسق غير كافر لقيام
عذره بجهله وذهب العنبرى من المعتزلة الى تصويب اقوال المجتهدين فى اصول
الدين فيما كان من مسائله عرضة للتاويل كتاويل المعتزلة انه تعالى متكلم بخلقه
الكلام فى جسم وفارق اى العنبرى فى ذلك الذى قاله من تصويبه اقوال
المجتهدين فى اصول الدين فرق الامة اى امة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناجية وغيرها اذ اجمعوا سواه اى العنبرى على ان الحق فى اصول الدين واحد
لقطيعة براهينه والمخطئ فيه اثم عاص فاسق لمخالفة الحق وانما الخلاف فى تكفيره
وما نكون مما دام تاويل لان خطاه ليس قادحا فى اسلامه وحكى الباقلانى
ابن الطيب المالكى مثل قول العنبرى عن داود الاصبهانى امام الظاهرية
قال الباقلانى ويحكى عنهما اى عن داود والعنبرى انهما قالا ذلك اى تصويب
المجتهدين فى اصول الدين فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحق
وان خطاه فى نفس الامر من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول
الذى قاله ابو عمرو الجاحظ وثمامة بن اشرس من المعتزلة ان كثيرا من العامة
والنساء والبله جمع الابله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير من غلبت
عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس لا عقل لهم امر دنياهم فجهلوا حذق
التصرف فيها واقبلوا على اخرتهم فشغلوا انفسهم بها فاهلوا لان يكونوا اكثر اهل
الجنة البله اما الابله لا عقل له ففير مراد بالحديث وعن الزبرقان فان خير
اولادنا الابله المعقول اراد انه لشدة حيائه كالابله وهو عقول

ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لهم عليهم اذ لم يوبخهم على قولهما بما يوقظهم
وينبههم على النظر فيما نصبه من الادلة الموصولة الى المعرفة المؤذنة بالحجة لا عليهم
فلم يكن لهم المتاع اسم مؤنث على فعال كمتاد ومثال لا جمع لمنع لانه مصدر بمعنى منعهم
الاستدلال المودي الى المطلوب فلم تكن لله تعالى عندهما عليهم حجة وهو قول مرفوض
لاقتدارهم في الجملة على معرفة اوايل الادلة التي تتسارع الى الافهام ولا يكلفون
تفاصيلها ولا تلخيص العبارة عنها وايضا فمن نشا في دار الاسلام وتواتر عنده
حال النبي صلى الله عليه وسلم وما ظهر على يديه من المعجزات او تفكر في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار فمن اهل النظر والاستدلال ومن ثم قالت
وذا بل هذا كله كالجاحظ وثمامه لا قرب الاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى
واليهود والمجوس كما يلوح به والله اعلم قوله

وان نارا بالتنزيل محراب مسجد ... فما بارباب الانجيل هيكل بيعة
وان عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء في الاخبار من الف حجة
فما عبد واعزى وما كان قصدهم ... سواي وان لم يظهروا عقد نية

والله اعلم بما اراد بذلك وبالاجماع على كفر كل من فارق دين المسلمين بردة
قولا او فعلا او وقف اي توقف في تكفيرهم او شك اي تردد فيه قال القاضي
ابو بكر الباقلاني لان التوقيف من الله ورسوله والاجماع اتفقا على كفرهم
فمن وقف اي توقف وتردد في ذلك فقد كذب النص الوارد من الله ورسوله بكفرهم
والتوقيف به عليه او شك فيه فقد رفضهما ولم يعتبرهما فيه والتكذيب والشك
فيه اي في كفر من كفرهم لا يقع كل منهما الا من كافر لعدم اعتباره لهما فصل
في بيان ما هو من المقالات كفر جمع مقالة من القول والميم زايدة وما يتوقف ويختلف
فيه الكفر هو ام لا وما ليس بكفر اجماعا اعلم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه وما
بعده سد مسد مفعوليه ان هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع اي ما شرعه
الله تعالى لعباده اي بينه لهم وامرهم بالعمل به وقد شرع اذا اظهره شبهه بموارد
الشاربة تشبيها بليغا او موكدا اي الشرع الذي هو كالمورد لرجوع الناس في
وقايعهم اليه ولا مجال اي سعة للعقل فيه والفصل البين اي الظاهر الذي لا مجال
لرده الفاصل بين من يحكم بكفره وغيره ان كل مقالة صدرت من احد وصرحت والعياذ
بالله بنفي الربوبية او صرحت بنفي الوحدانية او صرحت بثبوت عبادة احد غير الله او
عبادة احد مع الله فهي اي المقالة كفر جعلها نفسها كفرا مجازا مرسلا لانها
منشاؤه كمقالة الدهرية القايلين بان الدهر وهو الزمان الطويل ومدة الحياة
الدنيا هو المؤثر في هلاك الانفس منكرين ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله
وكان من شان العرب ذمه وسبه عند النوازل والحوادث ويقولون ابادهم
الدهر واصابتهم قوارعه وحوادثه واشعارهم ناطقة بشكواه وذكر الله عنهم
في تنزيله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر
فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذمه وسبه بقوله لا تسبوا الدهر فان الدهر
هو الله لا غير فتقدير الرواية الاولى فان جالب هذه الحوادث ومنزلها هو الله

لا الدهر

لا الدهر وتقدير الرواية الثانية فان الله هو الجالب لها فوضع فيها موضع الجالب
لها لاشتهاره عندهم بانه الجالب وردا لاعتقادهم ذلك وسائر فرق الاثنين القايلين
ان لمحدث العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا فلا بد لكل منهما من فاعل ضرورة امتناع كون
الواحد خيرا شريرا ثم بينهم بقوله من الديصانية بمهملتين الاولى مكسورة بينهما يا
والمانوية وفي نسخة والمانية نسبة الى ماني الزنديق ظهر في زمان سابور بن اردشير
وادعى النبوة وقال ان للعالم اصلين قديمين نورا هو مبدا الخير وظلمة هو مبدا الشر
صدقه فلما تولى بهرام سلخه وحشاه تبنا وقتل اصحابه الا من هرب الى الصين
ودعا الى دينه فاجيب وقد ذكرهم المتنبي في شعره فقال

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر ان المانوية تكذب

واشباههم ممن عبد غير الله من الصابئين من صبا اذا خرج من دين الى اخر
وهم فرقة عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملايكة لاعتقادهم
تاثيرها في عالم العناصر مدبرة للامور قديمة بالزمان شفعا للعباد عند الله
مقربة لهم اليه زلفى والنصارى قالوا انما هو تعالى جوهر واحد ثلاثة اقانيم
اقنوم الاب اي الذات واقنوم الابن اي العلم واقنوم روح القدس اي الحياة
فان صح عنهم ذلك فمعناه الله ثالث ثلاثة والا فمعناه الهة ثلاثة والذي افاده
القران تصريحهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم
بشهادة قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقوله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ولقد اشتهر عندهم انهم قالوا فيه لاهوتية
من جهة الاب وناسوتية من جهة الام لشهادة قوله انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم شيئا انه ولد لها انفصل بما اتصال لا ولادة
باتهامهم وانما اتصاله به تعالى فانما هو من حيث انه رسوله وايجاده بابداعه
جسدا حيا بلا اب فنفى اتصاله به تعالى اتصالا لا ابنا بالابا فهو بما افاده قوله
في الاية رسول الله والمجوس القايلين بخالقين يزدان وهو مبدا الخير واهرمن وهو
الشيطان مبدا الشر واختلفوا في قدمه وحدوثه من يزدان كما مر وفي الحديث القدرية مجوس
هذه الامة قيل لمضاهاتهم المجوس في قولهم باصلين نور وظلمة فالخير من فعل النور
والشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى الانسان
والشيطان مع ان الله هو الخالق لهما الا بمشيته تعالى فهما مضافان اليه خلقا
وايجادا اولا واليهما عملا واكتسابا والذين اشركوا بعبادة الاوثان اي الاصنام
او بعبادة الملايكة او بعبادة الشياطين او بعبادة الشمس والنجوم او
بعبادة النار او بعبادة احد غير الله من اهل الهند والصين لاعتقادهم جميعا
انه تعالى ولله المثل الاعلى جسم في احسن صورة وكذا الملايكة فنحتوا صورا وبالغوا
في تحسينها وتزيينها وعبدوها ولكونهم اذا مات فيهم من له عند الله منزلة كاملة
اتخذوا تمثالا على صورته وعظموه ليشفع ويتوسلوا اليه تعالى به او لاعتقادهم
كونها مؤثرة في عالم العناصر مدبرة للامور قديمة بالزمان شفعا للعباد عنده
تعالى مقربا هم اليه زلفى وكذلك اي ومثل من ذكر في الكفر القرامطة هم الاسماعيلية

لانتسابهم الى امامة اسماعيل بن جعفر الصادق و واصل دعوتهم الى ابطال الشرايع لان
طايفة من المجوس عند استيلاء الاسلام وغلبته على الممالك وضعفهم عن دفعه راموا
تاويلها على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم ليستدرجون بها ضعفاء المسلمين استدراجا
يورثهم اختلافا واضطرابا في شريعتهم وراسهم حمدان قرمط من قرى واسط فلقبوا
بالقرامطة سابع سبعة القاب ورتبوا في الدعوة الى ذلك مراتب باطلة استبدعوها
وخرافات عاطلة اخترعوها لا فايدة في ذكرها منها اباحة المحرمات والترغيب في
اللذات وتاويل الاحكام كقولهم الوضوء موالاة الامام الذي هو الحجة والتيمم الاخذ
عن ماذونه في غيبته والصلاة الرسول والاحتلام افشاء شيء من اسرارهم الى من ليس
من اهله بلا قصد والغسل تجديد العهد والزكاة تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه
من الدين والكعبة والصفا النبي والباب والمروة علي والميقات الاساس والتلبية
اجابة المدعو والطواف موالاة الائمة السبعة ثم يتصدى الامام يؤدي عن الله وحجة
يؤدي عنه وذو مصة يمص العلم من الحجة والابواب هم دعاة اكبرهم يرفع درجات المومنين
ودونه ياخذ العهود ومكلف يحتج ويرغب كالكلب الصايد ومومن يتبع الداعي والجنة
راحة الابدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف الى غير ذلك مما هو
مثل حديث خرافة واصحاب الحلول من النصارى والباطنية وبعض المتصوفة
كما سياتي واصحاب التناسخ القايلين بانتقال الارواح من ابدانها الى ابدان
اخر في الدنيا من الباطنية هم الاسماعيلية وهذا من القابهم السبعة كما مر ولقبوا
به لقولهم بباطن القران دون ظاهره المفهوم منه لغة اذ هو المراد منه ولنسبته
اليه كنسبة اللب الى القشر وظاهره عذاب بمشقة التكاليف وباطنه مؤد الى
تركها وتمسكوا فيه بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب وهذا مذهب المنصورية ايضا والطيارية ويسمون
الجناحية من الروافض اصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
ذي الجناحين قالوا الارواح تتناسخ وروح الله كانت في ادم ثم في شيث ثم
في الانبياء والائمة حتى انتهت الى علي واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله بن
معاوية المذكور وهو في جبل باصبهان وسيخرج وانكروا القيامة واحلوا المحرمات
وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته لا عتقد انه غير حي او غير قديم
كالهشامية اصحاب هشام بن الحكم وهشام سالم فانهم اتفقوا على انه تعالى
عما يقولون علوا كبيرا جسم ثم اختلفوا فقال ابن الحكم هو طويل عريض عميق
متساو طوله وعرضه وعمقه وهو كسبيكة بيضاء صافية يتلالا من جانب وله لون وطعم
ورايحة وليست هذه الصفات غيره ويقوم ويقعد وله مشابهة بالاجسام ويعلم
ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه اليه وهو سبعة اشبار باشبار نفسه مماسة
للعرش بلا تفاوت بينهما وارادته حركة لا عينه ولا غيره ولا تدل عليه الاعراض
بل الاجسام لمشابهته لها والايمة معصومون دون الانبياء لانهم يوحى اليهم ويتنزلون
اليه بخلافهم لا يوحى اليهم فوجب ان يكون الامام معصوما وقال ابن سالم هو
على صورة الانسان له يد ورجل وحواس خمس وانف واذن وعين وفم ووفرة

سوا نصفه الاعلى مجوف والاسفل مصمت ليس بلحم ولا دم فوصفهم له بذلك
يدل عندهم على انه محدث ومصور سبحانه وتعالى عن ذلك او ادعى له تعالى ولدا
او صاحبة اي زوجة كالنصارى لما مر او والدا او انه تعالى متولد من شيء او انه
تعالى كاين عنه اي عن شيء او ادعى ان معه تعالى في الازل شيئا قديما غيره
وغير صفاته فانها قديمة بالزمان بمعنى عدم المسبوقية به لما ثبت من ان ما سواه
وصفاته حادث ومن زعم انها قديمة بالذات اراد انها قديمة بذات الواجب
بالذات اعني الله تعالى بمعنى انها لا تفتقر الى غيره او ادعى ان ثم اي في الوجود
صانعا للعالم سواه كالمشركين عربا ومجوسا وديصانيه ومانويه لما مر او ادعى
ان له مدبرا غيره فذلك اي المدعى المعاد بالفعل كله كفر مؤذن بان معتقده
كافر باجماع المسلمين كالالهيين من الفلاسفة القايلين بالوجود المطلق الباحثين
في العلم الالهي عن ذات الواجب وما يتعلق به وعن الاجسام واحوالها
والمنجمين الباحثين عن النجوم واحوالها قيل للاسكندر الرومي كنا عند منجم
في بستانه فارانا النجوم نهارا واحدا فوقع في بير فيه وهو لا يدري فقال
من تعاطى علم ما فوقه جهل علم ما تحته والطبايعيين القايلين بتاثير الطبيعة
في الايجاد والتدبير وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اي الصعود من
صعد الى فوق صعودا اذا طلع لا من اصعد في الارض اذا سار اليه تعالى عن ذلك
وادعى مكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة كابن سبعين
والعفيف التلمساني والشمس التبريزي ومن حشى حشوهم كلهم قالوه
وزعموا ان السالك اذا امعن في سلوكه وخاض لجة الوصول فربما حل الله
سبحانه وتعالى فيه كالنار في الفحم واتحد به فيرتفع الامر والنهي ويظهر من
العجايب والغرايب ما لا يتصور من البشر وعن بعض متصوفة اهل مصر
انه كان يقول لاصحابه طوفوا ببيت الرب يعني قلبه فيدوروا حوله
والنصارى قالوا لا ترى ان اقنوم العلم اتحد بعيسى صلى الله عليه وسلم
وتدرع بناسوت جسده بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكانية وبطريق
الاشراق كالشمس في كوة بلور عند النسطورية وبطريق الانقلاب لحما
ودما بحيث صار الاله هو المسيح عند اليعقوبية وهذه الاراء سابقة ولاحقة
وكلها هذيانات فسادها غني عن بيانها هنا ولاوليائه تعالى مقام
يسمونه الفنا في التوحيد وشرحنا به شرح كتابنا مقاصد المقاصد وكذلك
نقطع بكفر من قال بقدم العالم اي بازليته بمعنى عدم مسبوقيته به او بقائه
اي قال انه باق ابدا لا يفنى او شك في ذلك اي في كونه قديما او باقيا
لا يفنى على مذهب بعض الفلاسفة ولم يعتقد حدوثه والدهرية القايلين باستناد
الحوادث الى الدهر ومن قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الدنيا
كما مر في الاشخاص من بدن الى بدن اخر وتعذيبها وتنعيمها فيها اي في الاشخاص
بحسب زكاتها اي طيبها وخبثها لخبث اصلها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية لله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما

كان يقول ما نبأ الله احدا من خلقه او جحد نبوة نبي خصوصا او جحد نبوة احد من الانبيا ممن نص الله عليهم بعد علمه بانه نبي فهو كافر بلا ريب لجحده ذلك كالبراهمة ومعظم اليهود منكري نبوة عيسى صلى الله عليه وسلم والاروسية من النصارى قيل فرقة من رهط هرقل وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس كان في الزمن الاول قتلوا نبيا بعث اليهم والغرابية من الروافض لقبوا رافضة لانهم بايعوا زيد بن علي وقالوا له تبرأ من الشيخين فتركوه ورفضوه وردوا وضوا عنه والغرابية منهم الزاعمين ان عليا كان هو المبعوث وانه جبريل بالرسالة فغلط وبلغها محمدا صلى الله عليه وسلم التسمية لعلي كالغراب بالغراب وكالمعطلة جمع معطل اسم فاعل من العطل وهو فقد الشي سمي به لتعطيله الوجود عن صانعه والقرامطة والاسماعيلية تقدم ذكرهم واختلفوا القابا كما مر والعنبرية من المعتزلة وفي نسخة والعبيدية من بني عبيد بن بنت القداح اليهودي اسلمت امه فتزوجها شريف فزعم عبيد انه ابنه ودعا الناس الى ان بايعوه بالخلافة فطلبت فلحق بالمغرب وبويع له ثم تولى من بنيه بمصر اربعة عشر خليفة ثم اخذها منهم نور الدين الشهيد وان كان بعض هولاء الطوايف المذكورين قد اشتركوا في كفر اخر مع من قبلهم ككفر بعض الرافضة بتكفيرهم الصحابة وقذف عايشة مع مشاركتهم من قال بالمبين في كفره باعتقادهم الهية علي واولاده او حلول الله تبارك وتعالى فيهم وكذلك من دان اي اقر وخضع واقر بالوحدانية وصحة النبوة واقر بصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لما لم يلتزم ما هو من لوازم النبوة من عصمة الانبيا وغيرها وجوز على الانبيا الكذب فيما اتوا به عن الله من الدين سوا ادعى في ذلك الذي زعم جوازه عليهم من الكذب المصلحة بزعمه ام لم يدعها فهو كافر بتجويزه ذلك عليهم من العلما وان ادعى فيه المصلحة كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة والاباحية ممن نكب عن منهج الحق وقال بما اداه مما مر من مقالات اوليك الفرق الزايغة لقولهم انهم فيما كفروا به فان هولاء الفرق كلهم زعموا ان ظواهر الشرع مما ورد بالمعاد وغيره واكثر ما جاءت به الرسل الى قومها من الاخبار عما كان فيما مضى من الزمان وعما يكون فيما ياتي منه من امور الاخرة والحشر اي بجمع من القبور والجنة والنار وليس منها اي من الاخبار التي جاءت به الرسل شي على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها فصرفوها عن ظواهرها الحقة الى اغراضهم الباطلة رومًا لابطال الدين والحاد افيه قالوا وانما خاطبوا اي الرسل بها الخلق على جهة المصلحة لهم ليكفوا عما لا يليق بكمال الانفس مما يرديها وتقصر به عن غاية الشرف والكمال اذ لم يمكنهم اي الرسل في مخاطبة الخلق بها التصريح بتلك المصلحة لقصور افهامهم اي الخلق عن ادراكها وهذه دعوى كاذبة بتقولهم على الرسل بما لا يليق بكريم مقامهم فمضمن بضم الميم وتشديد الثانية مفتوحة بينها المفعول اي مضمون مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي جمع امر ونهي اي ترك فعل المامور به وترك اجتناب المنهي عنه وتكذيب الرسل واتباع الارتياب اي الشك والتهمة فيما اتوا صلوات الله وسلامه عليهم

به منهما وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب من اضافه الى الجنس اي نسب اليه العمد من الكذب فيما بلغه عن ربه واخبر به خيرا امة اخرجت للناس او شك وارتاب تهمة منه في صدقه او سبه صلى الله عليه وسلم اي شتمه كما مر كثيرا او قال انه لم يبلغ ما انزل اليه وحذف المعلم به اختصارا كما في والله يدعوا الى دار السلام اي كل احد الى الجنة ولا يدخلها الا من هداه الله واضافها الى اسمه الكريم تشريفا وتعظيما لشانها اي هي دار السلامة لسلامة اهلها من كل سوء وسلام الملايكة عليهم او افشائه بينهم او استخف به او باحد من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم او ازرى عليهم احتقارا لهم او اذاهم كما تقدم كثيرا او قتل نبيا منهم او حاربه فهو لبشهاد تهما وكفياك صدقا انه كافر باجماع من العلما وكذلك نكفر من ذهب مذهب القدما فيما قالوا معتقدين ان في كل جنس نذيرا اليهم مرسلا او ان فيهم نبيا غير مرسل من القردة والخنازير والدواب والدود ونحوهم المعواه ان في كل جنس نذيرا او نبيا بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وذلك الذي زعمه يؤذن بالكذب على الله تعالى ويؤدي الى ان توصف انبيا هذه الاجناس مما ذكر من الحيوانات بصفاتهم المذمومة من صور قبيحة وشيم لئيمة وفيه اي فيما نعمه ان هذا القايل من الازرا والعيب على هذا المنصب اي منصب النبوة بفتح اوله وكسر ثالثه المنيف من ناف يتوف اذا طال ومنه قول عايشة نصف ابا ها ذاك طود منيف اي جبل عال مشرف ما نكره من الجوامع لجمعها مع قلتها معاني كبيرة فيه تؤذن باحتقارهم وانتقاصهم ونسبة العيب اليهم مما لا يليق بشرف محل النبوة وعظم شانه مع اجماع المسلمين على خلافه اي خلاف مذهب القدما واجماع المسلمين على تكذيب قايله ومعتقده مذهبا وكذلك نكفر من عرف الاصول الصحيحة بما تقدم من الالهية والوحدانية والنبوة واعترف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود مع ان الوارد من صفاته الحسنى انه كان ازهر اللون وان وجهه كورقة مصحف او مات قبل ان يلتحي لما فيه من الاستخفاف به والاستهزاء او قال ليس هو الذي كان بمكة اي قبل هجرته منها الى المدينة لما فيه من جحدها وكفاك شاهدا بها قوله تعالى مدحا للانصار يحبون من هاجر اليهم القاطع بوقوعها له من مكة اليها وقال ليس هو الذي كان في الحجاز الصقع المعروف سمي حجازا لحجزه او ليس بقرشي لايذانه بتكذيبه صلى الله عليه وسلم في قوله انا افصح من ينطق بالضاد بيد اني من قريش وهم ولد النضر بن كنانة وهو الاشهر من قول من قال هم من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وذلك كله مما يقضي بكفره لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي له او لوصفه بها او لوجود ذاته صلى الله عليه وسلم وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا كاصحاب مسيلمة والاسود العنسي او ادعى نبوة احد بعده اي بعد نبينا كالعيسوية من اليهود اصحاب عيسى بن اسحاق بن يعقوب الاصبهاني القايلين بتخصيص رسالته اي نبينا صلى الله عليه وسلم الى العرب والخرمية بمعجمة مضمومة فراء مشددة من التناسخية والاباحية وفي نسخة بجيم مفتوحة فراء ساكنة القايل بتواتر الرسل لا ينقطعون ما دامت الدنيا وكبعض الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده اي بعد النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وكذلك يكفر من قال كل امام عندهم يقوم مقامه اي مقام النبي

صلى الله عليه وسلم في النبوة والحجة وكالبزيعية بموحدة مفتوحة فيا ونون بينهما الف
منهم اي من البزيعية اصحاب سنان بن اسماعيل المنهدي من غلاة الرافضة القايلين
بنبوة بزيغ وبيان وان الله احل في علي وادى دعليا و ادعى النبوة لنفسه كالمختار بن
ابي عبيد الثقفي وجوز اكتسابها اي النبوة والبلوغ بصفا القلب بالرياضة الى مرتبتها
كالفلاسفة وغلاة المتصوفة قالوا اذا امعن المسالك وذاق حلاوة العرفان والوصول
ادركها وكذلك من ادعى منهم اي من الفلاسفة وغلاة المتصوفة انه يوحى اليه لكفره
وان لم يدع النبوة كعبد الله بن ابي سرح من قريش كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب عليما حكيما او املى عليه عليما حكيما كتب
غفورا رحيما اذا قيل والله يقول انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما نزل ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الى فتبارك الله احسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم
اكتبها كذلك نزلت فشك وقال لين كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولين كان كاذبا لقد
قلت كما قال ولحق بمكة مرتدا فاهدره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ له عثمان
عام الفتح امانا فاسلم وحسن اسلامه وكان اخاه لامه وولاه زمن خلافته مصرا او ادعى
انه يصعد الى السما بفتح عينه وفي ماضيه بكسرها عكس عهد يعهد يقال صعد اذا علا
واصعد في الارض اذا سار ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين
مجانبا للحق مصاحبا للكذب فهولا الطوايف المذكورون كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن نفسه باعلام الله له في تنزيله انه خاتم
النبيين ولا نبي بعده نبيا ولا يرد عيسى لانه نبي قبله وينزل بعده ويحكم بشريعته
ويصلي الى قبلته واخبر عن الله انه خاتم النبيين و اخبر ايضا انه ارسل كافة للناس
لشهادة وما ارسلناك الا كافة للناس اي رسالة لهم محيطة بهم اذ شملتهم
لهم بكفهم عن ان يخرج منها احد منهم وعن الزجاج وما ارسلناك الا جامعا
للناس في الابلاغ والانذار فجعله حالا من الكاف فتا وله للمبالغة كراوية
وعلامة وجعله حالا من المجرور رهقد ما عليه خطا لان تقدم حال المجرور عليه
كتقدمه على الجار ولا يستوي لركيكه في مثل هذا المقام الا بارتكاب خطايات
بجعل اللام بمعنى الى فلابد له من ارتكابهما واجمعت الامة التي هي خير امة اخرجت
للناس على حمل هذا الكلام اي اخباره عن نفسه وعن ربه انه خاتم النبيين ولا نبي
بعده وانه ارسل للناس كافة على ظاهره وان المفيد ان مفهومه هو المراد به ظاهر
دون تاويل يصرفه عن وضعه الاصلي الى ما اوله لترك على ظاهره ولا تخصيص
يخصه بمعنى غير مفهومه فلا شك في كفر هولا الطوايف كلهما لتكذيبهم الله ورسوله
يوم ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قطعا اجماعا وسمعا عن الله ورسوله
كتابا وسنة وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب القديم
وحمل على خلاف ما ورد به من المعنى المحكم كحمل بعض المتصوفة قوله تعالى في قوم
نوح مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا على ما حاصله اغرقوا في المحبة فادخلوا
نارها مع هديانات كثيرة صارفة عن ذنوبهم لعصيانهم الى مدحهم جهلا
منه بزهد اكتا جامعا لشرف مناقب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما او خص

حديثا

حديثا مجمعا على نقله و مجمعا على حمله على ظاهره لا يبين للتاويل على خلاف معناه سبيل
كتكفير الازارقة من الخوارج بابطال الرجم للمحصن الحر المكلف بايلاجه في فرج
حرام لا دبر زوجته وفرج بهيمة للاجماع على كفرهم ولم يشترط الشافعي الاسلام
في الرجم لحديث الموطا وغيره ان اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل
وامراة من يهود قد زنيا فرجمهما وشرطه ابو حنيفة ومالك مع شهادة الحديث
برده برجمهما كافرين واحتج ابو حنيفة بحديث من اشرك بالله فليس بمحصن مع
ان المراد انه مهدر الدم ما لم يعصمه بدمه او امان او معهد لا انه ليس بمحصن اذا
زنى كافرا ولهذا اي ولقولنا بتكفير الخوارج بما ذكر نكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل جمع ملة وهو الدين اي اتبع سنتها دينا غير دينهم يتعبد به او وقف فيهم
اي توقف في تكفير من ذكر او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك التوقف او
الشك او التصحيح الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه اي سوى
الاسلام فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك ووضعه موضع ضمير الاسلام تفخيما
لشانه ولكمال العناية به وكذلك نقطع بتكفير كل قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل
هذه الامة وابقاعهم في الضلال غير مستند بن والى تكفير جميع الصحابة كقول
الكميلية من الرافضة قيل والصواب كما قال الامام الرازي ومن غلاة الروافض
الكاملية اتباع ابي كامل القايلين بتكفير جميع الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم
اذ فوضوا الخلافة الى ابي بكر ولم يقدموا عليا عليه وكفروا عليا اذ لم يتقدم ويطلب
حقه ولو بمحاربتهم في التقدم على ابي بكر فهولاء اي الكميلية كفروا من وجوه
لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد كفروا الصحابة جميعا وبتكفيرهم لهم انقطع نقلها
ونقل القران اذ ناقلوه وهم الصحابة الى الامة في زعمهم كفرة فلم يصح نقلهم ذلك اليهم
فبطل الشرع والى هذا اي تكفيرهم الصحابة والله اعلم اعتراض بين اسم الاشارة
وما بعدها فادن علم ما لم يتحققه الى من لا يخفى عليه شي اشار مالك في احد قوليه
بقتل من كفر الصحابة بناء على كفر من قال لمسلم يا كافر كاذبا بالشهادة ظاهر
حديث مسلم من قال لاخيه كافر فقد باء به احدهما اي ان كان كما قال والا حار
عليه وقول الاخر لا يقتل لانه كبيرة لم يخرج عن اصل الايمان ثم كفروا من
وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكذبهم عليه على مقتضى قولهم انه عهد
الى علي بالخلافة بعده وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم يعلم انه اي علي يكفر بعده
اي بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهذه جملة حالية افادت انه صلى الله عليه وسلم
عهد اليه حال علمه بانه يكفر على قولهم الباطل بتركه التقدم على ابي بكر ومحاربته
له وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر كالقا مصحف
والعياذ بالله بقاذورة وان كان صاحبه الذي فعل ذلك الجميع على انه لا يصدر
الا من كافر مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل الحاكم بان من يصدر عنه مثله
كافر كالسجود للصنم مما اتخذ الها من دون الله تعالى وقيل ما كان له جسم او صورة
فان لم يكن له جسم او صورة فهو وثن او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي
الى الكنايس جمع كنيسة وهي معبد اليهود والسعي الى البيع جمع بيعة بكسر اوليهما

وهي معتبد النصارى مع اهلهما متعلق بالسعي اى بسعي مهم حال تحليه بزيهم اى تلبسه
به من شد الزنانير جمع زنار وهي ما تشد به النصارى اوساطهم او فحص الرؤس بفا
فمهملات من فحص الارض اذا كشفها اى حلق اوساطها وتركها كمفاحيص القطا اى اماكنها
التي تجثم فيها وتبيض كانما تفحص عنه التراب اى تكشفه وفي الحديث من بنى لله
مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال لامراء
جيش مؤتة ستجدون آخرين للشيطان في رؤسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف انه
استوطن رؤسهم كما تستوطن القطا مفاحصها فقد اجمع المسلمون ان هذا اى فعل
ما ذكر كلا او بعضا لا يوجد ولا يصدر الا من كافر واجمعوا ايضا على ان هذه الافعال
علامة على الكفر وثبوته لمن صدرت منه وان صرح صاحبها بالاسلام لانه بذلك كالماجن
المتلاعب بالدين وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل لمسلم ظلما
او شرب الخمر او الزنا بالزاي والنون مما حرم الله ولا بد ان يكون استحلاله له
بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة كالمس من القرامطة اصحاب حمدان قرمط وبعض
غلاة المتصوفة الزاعمين انهم وصلوا الى الله ورفع عنهم التكليف فلم يؤاخذ بفعل
محرم هذا وقد وشحنا كتابنا شرح المنفرجة بما نقل عمن ادركته منهم انه قال
اسقط الله عني التكليف فاستباح فطر رمضان والخلوة بالاجنبيات من النسا وكذلك
نقطع بتكفير من كذب بآيات الله واحاديث رسول الله بعد عرفان صحتهما وانكر قاعدة
من قواعد الشرع مما بني هو عليه المؤذن به حديث بني الاسلام على خمس شهادة ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج
وانكر ايضا ما عرف يقينا بالنقل المتواتر عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب من
فعل الرسول صلى الله عليه وسلم او كان مشهورا الحل او التحريم ووقع الاجماع المتصل الذي
لم يتخلله عدم اجماع عليه مما لم يخف على احد من العام والخاص حتى الحق بالضرورات
كمن انكر وجوب الصلوات الخمس وانكر ايضا عدد ركعاتها وسجداتها فانه يكفر بانكاره
وجوب ذلك للاجماع عليه ويقول انما اوجب الله علينا الصلاة على الجملة جملة حالية
من ضمير انكر لخلوها من ضمير صاحبها فربطها بالواو اى اجبها من بيان كونها خمسا
ومن غير بيان عدد ركعاتها وسجداتها واورد الفعل مضارعا ليحكي الحال التي وقع فيها
انكاره لذلك تبصيرا للسامع تلك الصورة مع شناعتها الدالة على كفره لسوء اعتقاده
كما هو ديدنهم في كل مقام فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم السامع او غير
ذلك كما قول تأبط شرا

بأني قد رأيت الغول تهوي ۞ بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت ۞ صريعا لليدين وللجران

فانه قصد ان يصور لقومه حالته التي زعم انه شجع فيها نفسه على الغول كانه يبصرهم
اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة لها تعجيبا لهم من جراءته على الاهوال وثباته عند
الشدائد بمشاهدة قوله فاضربها بلا دهش احترازا عما فيه الماعسي يتوهم انه ضربها
دهشا ويقول هذا المنكر ايضا ولكونها خمسا وعلى هذه الصفات المعتبرة فيها ؟
والشروط المعتبرة لصحتها لطهارة من وضوء وغسل وتيمم ومن بدن وسترة ومكان

ومن

ومن دخول وقت واستقبال لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي وان اشتملت
عليها اجمالا آية اقم الصلاة لدلوك الشمس على القول بان الدلوك هو الزوال وان قلنا
هو الغروب لم تشتمل الظهر والعصر واجلى منها في الدلالة على وجوبها آية واقم
الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل جمع زلفة من ازلفه اذا قربه وازدلفت
اليه اى اقمها غدوة وعشية وساعات قريبة من آخر النهار واول الليل فالغدوة
هي الفجر والعشية الظهر والعصر اذ ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشا
ونصب طرفي النهار على الظرفية لاضافتهما الى الوقت فاعطيا حكم ما اضيفا اليه
قيل وزلفا بمعنى وقرئ بضم اوله وفتح ثانيه فحقها ان تعطف على الصلاة اى اقمها
ظرفية واقم زلفا من الليل بمعنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله في بعض الليل
قالت هذا المنكر لوجوبها والخبر الوارد به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر
واحد لا يفيد القطع قلنا نعم ولكن يجب العمل به اجماعا بنصها دلالة آية وما آتاكم
الرسول فخذوه وقد حذر الله من مخالفته فقال فليحذر الذين يخالفون عن
امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وكذلك اجمع على تكفير من قال من
الخوارج ان الصلاة طرفي النهار اى غدوة وفيها صلاة الفجر وعشية وفيها صلاة
الظهر والعصر وهي دون الظهر لا انها في طرف النهار ويزيدون بانه فيهما ويسمون
الاطرافية اذ عذروا اهل الاطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بما يعرفونه
من وجه عقلا على تكفير الباطنية وهم كالاسماعيلية في قولهم ان الفرائض
صلوات وغيرها اسما رجال امروا بولايتهم كقولهم كما مر الوضوء عبارة عن موالاة
الامام الذي هو الحجة والتيمم هو الاخذ من المأذون في غيبة الامام والصلاة
هو الناطق الذي هو الرسول الى آخر ما تقدم منهم من الخرافات والخبائث والمحارم
اسما رجال امروا بالبراءة منهم الى غير ذلك من الهذيانات الخرافية وقول بعض
المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفيت نفوسهم اى نفوس صاحبها
افضت بها اى وصلت العبادة بنفوسهم الى اسقاطها اى الفرائض عنهم واباحة
كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع اى تكاليفها عنهم بارتفاع الامر والنهي بحيث لا يؤاخذ
احدهم بترك مأمور به وفعل منهي عنه وهذه منهم هذيانات فسادها غني
عن بيانه وفي هذا المقام مزيد بيان لاحوال اولياء الله تعالى اوردناه في شرح
كتابنا مقاصد المقاصد وكذلك اجمع على التكفير ان انكر مكة والبيت او المسجد
الحرام او انكر صفة الحج اركانا وواجبات ومحظورات وغير ذلك وقال الحج واجب
في القرآن فول وجهك شطر المسجد الحرام ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا واستقبال القبلة كذلك واجب في القرآن فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولكن كونه اي الحج على هذه الهيئة
المتعارفة عند الناس من احرام متجردا ووقوف وطواف وسعي وحلق او تقصير
وغير ذلك وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام الوارد بها ان اول بيت
وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والبادي لا ادري هل هي اى مكة والبيت والمسجد الحرام

تلك الامكنة المتعارفة ام غيرها ولعل لنا قلين ان النبى صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا او وهموا فى ان ما هى تلك الامكنة وكفاك بعدا منهم
شاهدا عليهم بانه يلزمهم من قولهم به احتمال غلط ناقل اخباره وافعاله واقواله
وتقريراته الينا وذلك مما يؤدى الى ابطال الشريعة التى لا عوج فيها ولا امتى
ومثله اى المنكر لما ذكر لا مرية فى تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك اسما وامكنة
وكان ممن خالط المسلمين وامتدت صحبته بكثرة مخالطته لهم الا ان يكون حديث عهد
باسلام عراه بعد كفر فيقال له سبيلك الذى يوردك معرفتها ان تسأل عن هذا
الذى لم تعلمه بعد بالضم ظرف غاى لقطعه عن محذوف يضاف هو اليه اى بعد انك
الذى انت فيه كافة معمول تسأل اى جميع المسلمين فلا تجد فيهم ولا بينهم خلافا
كافة عن كافة اى جميع كل قرن منا الى معاصرى النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه
الامور المذكورة انفا هى كما قيل لك من ان تلك البقعة بين جبال تهامة من ذات
عرق الى البحر وجده هى مكة والبيت الذى هو فيها هو الكعبة سمى كعبة لعلوه
وارتفاعه قال

ان الذى سمك السما بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول •

اى بيت العز والشرف هو الكعبة والقبلة التى صلى اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون من سائر النواحى وحجوا اليها من كل فج عميق وطافوا وان تلك الافعال
من احرام وطواف وسعى ووقوف وحلق ورمى جمار ونحو ذلك هى صفات عبادة
الحج وهى ايضا المراد فى قوله ولله على الناس حج البيت وقوله صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس حجوا وقوله الحج عرفة ومنى اى هذه الافعال المذكورة انفا التى فعلها
النبى صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك المؤذن به قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون اى لاجل عبادتى لشهادة الحصر المؤذن به الاثبات بعد النفى
وابان حدودها المضروبة الموقتة للمكلفين ايجابا ولزوما فيقع لك بسؤالك عما لم تعلم
العلم بان المذكورات هى على ما ذكر كما وقع لهم العلم بما تقدم ذلك ولا ترتاب نفى
لا تمى لشهادة الالف بذلك بعد بقول من انكر ما ذكر فيلا كون الحج وغيره مما ذكر
على هذه الهيئة المتعارفة هل هى تلك ام غيرها بعد ان عرفتها بسؤالك عنها
والمرتاب فى ذلك والمنكر بعد البحث عنها وبعد معرفتها وبعد صحبة المسلمين الدالين
على ذلك كله والمنادين اليه كافر باتفاق الامة والائمة لا يعذر بقوله لا ادرى ولا
ولا يصدق فيه بل ظاهره اى قوله لا ادرى التستر عن التكذيب له فيه اذ لا يمكن انه لا يدرى
بعد البحث عنها وصحبة المسلمين وايضا فانه اذا جوز هذا المنكر على جميع الامة الوهم
والغلط فيما نقلوه من ذلك بيان لما المكنى عنها عما انكره بلا ادرى لتستر عن تكذيبه
واجمعوا على انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله واجمعوا ايضا على انه تفسير
مراد الله به اى بما دل على ما اجمعوا عليه انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى
فسر به مراد الله من صفة الصلاة والحج ووجوبهما ومنى ومكة والبيت والمسجد الحرام
ونحو ذلك فقد ادخل الاسترابة جواب الشرط انتقال من الريبة فى جميع الشريعة
اذ هم الناقلون لها وللقرآن الينا وبادخال الريبة فى جميعها يلزم منه ان قد

انحلت

انحلت عرى الدين مع وثاقتها او امر انفصامها جمع عروة وهى فى الاصل الحبل استعير
تمثيلا للمعنى المفهوم بالمشاهد المعلوم لتصور السامع حتى كانه يشاهده وينظر اليه
فيحكم اعتقاده فيه ويتيقنه به كرة اى جملة ولم يبق منها عروة ومن قال هذا اى انكر
ما اجمعوا عليه من ما مر من انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد
الله فيحق كافر بانكاره ما اجمعوا عليه وكذلك اى ومثل من كفر بما انكره مما ذكر يكفر
من انكر القرآن او انكر كلمة او حرفا او غير شيئا منه ببدل او نقص او زاد فيه شيئا
كقول الباطنية والاسماعيلية هى كما ترى فرقة واحدة لهم القاب سبعة منها ما ذكر
قالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم ونسبة الباطن الى الظاهر
كنسبة اللب الى القشر فظاهره يعذب بالمشقة فى الاكتساب وباطنه مرد الى ترك
العمل بظاهره وتمسكوا فى هذه المهملات بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب او زعم انه اى القرآن ليس بحجة
للنبى صلى الله عليه وسلم او زعم انه ليس فيه حجة تقام لثبوت حكم او نفيه
ولا هو فى نفسه معجزة كقول المردارية اتباع عيسى بن صبيح المردار الناس
قادرون على مثل القرآن واحسن منه بلاغة ونظما مع ما ورد قطعا من انحاء
ما طولبت من العرب العرباء بمعارضته فلم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض
من فصحائهم لشهادة وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من
مثله وهو صادق بانا اعطيناك الكوثر فهو بزعمه ذلك كافر وكقول هشام بن عمرو
الفوطى ومعمر الصيمرى من المعتزلة انه اى القرآن لا يدل على الله ولا هو حجة لرسوله
صلى الله عليه وسلم ولا يدل على حلال وحرام ولا على ثواب وعقاب ولا على حكم
وادب مع ورود ذلك كله تعجيبا لهم وتنكيتا وتوبيخا وتبكيتا ولا محالة فى
كفرهما قبحهما الله بذلك القول الكذب الذى تقولاه على الله ورسوله وكذلك نكفرهما
بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم حجة له قاطعة
تدل على صدق دعواه الرسالة وعلى انها الى الناس كافة لا فى انكارهما كونها حجة
له صلى الله عليه وسلم نفيا لثبوت رسالته وتكذيبا لدعواه اياها مع نزاهته
صلى الله عليه وسلم وبراءة شرف ذاته من ذلك مقتهما الله مما تقولاه على الجناب
الشريف والمقام المنيف مما خسرا به الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين
او بانكارهما ان يكون فى خلق السموات والارض دليل على الله وجودا والهية وتوحيدا
لمخالفتهم فى ذلك الكذب بانكارهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم
الشاهدين باحتجاجه صلى الله عليه وسلم على شكر كون القرآن حجة له فى صدق
دعواه الرسالة وانه فيه حجة ومعجزة او لا فى سائر معجزاته حجة له او ان فى
السموات والارض دليلا على الله بعد اكله حجج له قواطع لصدقه صلى الله عليه وسلم
وبصريح القرآن اى بكونه حجة ومعجزة له وفى خلق السموات والارض دليل
على الله كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اقتربت الساعة وانشق القمر
محمد رسول الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الله لا اله الا
هو انما الله اله واحد وكذلك نكفر من انكر شيئا مما نص فيه القرآن كانكاره القيامة

بعد علمه انه اى النص من القرآن الذى فى ايدى الناس ومصاحف المسلمين يتروونه
فى كل اوان ولم يكن جاهلا بها بانه منه ولا قريب عهد بالاسلام ولا احتج الاوان
الثلاث المحال اى من انكر ذلك المنصوص عليه فى القرآن جاهلا غير قريب عهد
بالاسلام محتجا لانكاره اما بانه لم يصح النقل للقرآن الينا عنده ولا بلغه العلم به
او لتجويزه الوهم على ناقله فيكفر بالبناء للمفعول وتشديد الفاء مفتوحة اى هذا المذكور
بالطريقين اى الاجماع والنقل عنه صلى الله عليه وسلم لانه مكذب للقرآن ومكذب
للنبى صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه التى لا تسمع عند ذلك وكذلك يكفر
من انكر الجنة والنار اوهما ايجادا يوم القيامة لا الآن وان ورد ما يدل على
ايجادهما الآن وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين مما لا لانه علمه
ظنية وان كان قطعيا او انكر البعث من القبور للاموات وانكر الحساب
والقيامة فهو كافر بالاجماع للنص عليه كتابا وسنة ونفخ فى الصور فاذا هم
من الاجداث الى ربهم ينسلون يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة يوم يقوم الحساب
وحديث الشفاعة العظمى شاهد بذلك كله واجماع الامة اى امة الاجابة
لا امة الدعوة على صحة نقله اى النص متواترا وكذلك نكفر من اعترف بذلك
اى بالجنة والنار وما بعدهما ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر فى الموقف القبور
والنشر اى الخروج من والثواب والعقاب على الاعمال معنى غير ظاهره كقول
بعض المتصوفة المتسمين بالاسلام فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا
نارا اى نار المحبة فصرف اللفظ عما وضع له مدحا لقوم نوح بلا دليل موجب
لتاويله مع كون اللفظ صريحا فى بابه ووجد نفادا فى موضوعه وانها لذات وآلام
ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة
بذلك كما مر عنهم فاغنى عن ذكره هنا وزعم من قال المراد بهما معنى غير ظاهرها
ان معنى القيامة هو الموت الذى هو عدم الحياة التى بوجودها الاحساس
او ما به الشئ حيا او هو فنا اى عدم بعض وانتقاص هيئة الافلاك اى
بغيرها وانتقالها عن اوضاعهما وتحليل العالم اى خروجه عن نظامه وابانة اوصال
بعضهما عن بعض كقول بعض الفلاسفة بذلك ممن ينكر البعث وكذلك نقطع
بتكفير غلاة الرافضة كالنصيرية والاسحاقية فى قولهم لا يبعد ان يظهر
الله فى صورة بعض الكملة واولى الناس بذلك على واولاده الذين هم خير البرية
واكملهم علما وعملا اذ قد صدر عنهم فى العلوم والاعمال ما هو فوق طاقة
البشر وحتى ثم زعموا ان الائمة منهم افضل من الانبيا نعوذ بالله من ان نجهل فوق
جهل الجاهلين فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير جمع خبر
كقتل عمار بصفين وانكر البلاد النائية كالعراق وخراسان التى لا ترجع الى
ابطال الشريعة التى شرعها الله وبينه لعباده وكلفهم به ولا يفضى الى انكار قاعدة
اى امر كلى منطبق بالقوة على جزئيات موضوعه من قواعد الدين كانكار غزوة
تبوك او غزوة موتة بالهمز وعدمه تخفيفا من البلقاء حوران الشام كانت فى جمادى

الاولى

الاولى سنة ثمان من الهجرة او انكار وجود ابى بكر الصديق وعمر الفاروق او انكار
قتل عثمان ذى النورين مع اشاعته واذاعته وانكار خلافة على المرتضى مما علم
ذلك كله بالنقل ضرورة وليس فى انكاره جحد شريعة ولا مما يرجع الى انكار قاعدة
من الدين الا انكار وجود ابى بكر فانه يفضى الى تكذيب القرآن لشهادة قوله تعالى
ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فلا سبيل الى القول
بترك تكفيره بجحد وجود ابى بكر خاصة واما ما عداه مما ذكر معه فلا سبيل الى تكفير
جاحده شيا من ذلك وانكار وقوع العلم به اذ ليس فى ذلك اكثر من المباهتة
من ابهمته اذا تلقاه بامر قبيح هو منه برى فانه يبهت ويتحير كانكار هشام بن عمرو بن
الفوطى المبالغ فى انكار العدد اكثر من مبالغة سائر المعتزلة وعباد الصيمرى
منهم وقعة الجمل مع تواتر نقلهما اذ خرج جماعة من الصحابة مع عايشة فى
هودج على جمل اخذا بخطامه كعب بن المسود بن مخرمة الى البصرة للصلح بين على
ومعاوية وتسكين الفتنة فنشب بينهم الحرب فلتة من غير قصد هذا وغلط
وقد غلطه مغلطاى فى نسبة انكارها الى ابن حزم وانكارهما محاربة على من خالفه
من الخوارج اذ نزعوا ايديهم من طاعته بعد ما بايعوه وقاتلوا معه من ناواه
زعما وكذبا منهم انه كفر حاشاه الله من ذلك برضاه بالتحكيم حيث اتفق هو
ومعاوية لطول الحرب بينهما على تحكيم ابى موسى الاشعرى من قبل على وعمرو
وابن العاصى من قبل معاوية والرضى بما يريانه فى امر الاخرة فاجتمع الخوارج
على عبد الله بن وهب الراسبى وساروا الى النهروان فسار اليهم وقتل منهم
كثيرا وكان مصيبا فى ذلك كله لما ثبت من امامته ببيعة اهل الحل والعقد
له بالاجماع ولما تكاثر من الاخبار فى كون الحق معه ووقع من الاتفاق على
انه افضل اهل زمانه واحق بالامامة ومخالفوه بغاة لا فسقة لخروجهم على
الامام الحق بشبهة هى ترك القصاص من قتلة عثمان واتخاذه لهم خواص وبطانة
لهم مع مطالبتهم له ان يسلمهم لهم فلم يقدر لشوكتهم وشدة شكيمتهم ووفور
كثرتهم وجزمهم بالخروج على من طالبهم بدمه فادى نظره الصايب الى تاخير
الامر حذرا للفتنة والاخلال ووضع امر الامامة موضعه فاما ان ضعف بتشديد عينه
اى ضعف المنكر نقل ما عرف بالتواتر من اجل تهمة الناقلين ووهم بتشديد الهاء عطف
على ضعف المسلمين اجمع اى جميعهم فتكفره بذلك لسريانه وافضائه الى ابطال الشريعة
فاما من انكر الاجماع الظنى المجرد عن قرائن كونه قطعيا الذى ليس طريقه النقل
المتواتر بل طريقه الاحاد المفيد كونه ظنيا عن الشارع فاكثر الفقهاء والنظار
فى هذا الباب اى باب التكفير او الاجماع الظنى قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع
الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليهم عموما لانه حجة اجماعا وان كانت
طريقه احادا وحجتهم اى من قال بالتكفير من الفقهاء والنظار من الكتاب
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول اى يعاديه ويجادله من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين الذين هم عليه من الدين القيم لايذانه بانه حجة لا يجوز
مخالفته الكتاب والسنة بشهادة جمعه تعالى بين مشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين

في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد المفاد بقوله نوله ما تولى اي نجعله واليا
لما تولاه وندعه وما اختاره مما لا يرضى الله ورسوله ونصله جهنم من صليته بالنار
اذا شويته فاذا احرقته قلت صليته بتشديد لامه وساءت مصيرا اي مرجعا من صرت
اليه امير مصيرا وهو شاذ والقياس مصارا كمعاش وجهنم من السنة صلى الله
عليه وسلم من خالف الجماعة اي جماعة المسلمين اهل الحق وفي رواية من فارق الجماعة
بترك السنة واداء الحقوق واتباع البدعة والبغاة والمحاربين فقد خلع من خلع
ثوبه اذا نزعه والقاه اي نزع ربقة الاسلام من عنقه هي في الاصل عروة تجعل في يد
البهيمة او عنقها لتمسكها فشبه الاسلام لمنعه المكلف من المجاوزة الى ما لا ينبغي بها
واضافها اليه على طريقة التشبيه المؤكد اي خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة لها
من الضياع او شبه ما يلزمه من احكامه وحدوده واوامره ونواهيه المانعة له
بالربقة المانعة لها على طريقة الاستعارة التحقيقية واثبت لها الخلع ترشيحا للمجاز
وحكوا اي الفقهاء والنظار في ذلك الاجماع على تكفير من خالف الاجماع الذي يختص
بنقله العلماء فلم يقطعوا بتكفيره ولا بعدمه وذهب قوم آخرون الى التوقف في تكفير
من خالف الاجماع الكائن عن نظر كالقياس لان الاجتهادي الماخوذ من تعريف لا بد
له من مستند كتكفير شيطان القدرية ابراهيم بن سيار النظام لانكاره الاجماع
والقياس وانما البسه الحجة لا بقوله هذا انه خالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق
للاجماع قبحه الله قال القاضي ابو بكر الباقلاني القول عندي ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده تعالى والايمان به تعالى هو العلم بوجوده وانه اي الشان لا يكفر
احد بقول ولا رأي مما يكفر به الا ان يكون هو الجهل بالله فيقضى عليه بالكفر به فان عصى
الله بقول او فعل نص الله او رسوله عليه واجمع المسلمون على انه اي ما عصى الله
به من قول او فعل نص الله او رسوله لا يوجد ويصدر الا من كافر كانكار رسالته
صلى الله عليه وسلم لكافة الناس مما نص الله عليه ورسوله او يقوم دليل على ذلك
اي على انه لا يوجد الا من كافر بل لما قارنه اي قارن فعله او قوله من الكفر حال قوله
او فعله فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها هو الجهل بالله وجوده والثاني
ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله به او يجمع المسلمون على ان ذلك اي
الذي اتاه او قاله او اخبر الله ورسوله به او اجمع على انه لا يكون الا من كافر كالسجود
للصنم والمشي الى الكنائس تعبدا ليهود وقد يطلق على معبد النصارى ايضا
بالتزام الزنار شد وسطه به مع اصحابها في اعيادهم حال ان متداخلا
او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله كالانكار وجوب فرض من فرائض الله عليه او القاء
مصحف بقاذورة لا يمكن معه العلم بالله فهذان الضربان اي الجهل بالله والاتيان
بفعل وقول يخبر الله ورسوله او يجمع على انه لا يكون الا من كافر وان لم يكونا جهلا به
فهما علم للايمان على ان قطعهما كافر منسلخ من الايمان ليبقى في قلبه حبة
خردل منه فاما من نفى صفة من صفات الله الذاتية القديمة الثبوتية او
جحدها مستبصرا ومتيقنا غير شاك في جحدها كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا
مريد ولا متكلم وشبه ذلك كليس سميعا ولا بصيرا مما هو من صفات الكمال الواجبة

له تعالى

له تعالى ولبثت بجارحه فقد نص ائمتنا اي المالكية على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى
الوصف بهما واعراه عنهما اي خلاه تعالى منهما بلا وصف تعالى عن ذلك علوا كبيرا
قال المصنف وعلى هذا اي القول بنفي وصفه تعالى بهما حمل قول سحنون من قال
ليس لله كلام فهو كافر وهو اي سحنون لا يكفر المتأولين النافين قدمها وزيادتها
على ذاته تعالى وقالوا انه تعالى خلق الكلام في الشجرة وكلم موسى ويخلق القرآن
وحدوثه وانه مركب من حروف واصوات تفاديا من تعدد القدماء فاما من جهل
صفة من هذه الصفات الذاتية كالعلم والقدرة والارادة ونفاها غير مستبصر
فاختلف العلماء في تكفيره فكفره بعضهم وحكي اي تكفيره عن ابي جعفر محمد بن جرير
الطبري الشافعي وغيره وقال به ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري مرة وهو احد
قوليه وذهبت طائفة الى ان هذا اي جهله صفة من صفاته تعالى لا يخرجه عن
اسم الايمان فهو مؤمن ان شاء الله واليه اي الى القول بان جهله لهما لا يخرجه عنه
رجع شيخ السنة ابو الحسن الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اي نفيهما مع جهله
اي لنفيهما مع جهله بهما اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا بل اعتقادا لم يقطع
بصوابه ظنه دينا وشرعا ولا عبرة بظن بان خطاؤه وانما نكفر من اعتقد ان مقالته
اي قوله حق واحتج هؤلاء اي الذاهبون الى انه لا يكفر من نفى صفة من صفاته تعالى
جاهلا بها بحديث الشيخين عن ابي هريرة من قول القائل لبنيه عند موته
احرقوني ثم انظروا يوما راحا اي ذا ريح شديد فذروني فيه فوالله لئن قدر الله
علي وفي رواية في تفسير ابن ابي حاتم عن الشعبي لعلي اضل الله بفتح اوله وكسر
ثانيه من ضلني فلان فلم اقدر عليه بذهابه عني اي لعلي اخفى عليه بذهابي عنه
فانما هو ذنبان بني وترابه فقال الله عليه مع انه قالت في الحديث فغفر الله له
لعذره بجهله بها مع وروده قدر بمعنى ضيق كما في فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق وفي
الرواية الثانية لعلي اغيب من عذاب الله قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن
معرفتهم الصفات وكوشفوا عنها اي طلب منهم الكشف عن بيانها لما وجد من
يعلمها الا القليل من خواصهم وعجزهم عن معرفتها عماه وفي حبالة الجهل بها عباره
لا يصح عليهم بخلاص بل علقوا فيها ولات حين مناص وقد اجاب الفريق الاول
الاخر الذاهب الى تكفير من نفى صفة جاهلا لها عن هذا الحديث اي حديث لئن قدر
الله علي بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر من القدر اي الحكم والقضاء فلا يكون شكه
في القدرة على احيائه ومجازاته بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر بل يكون شكه
ذلك في نفس البعث الذي لا يعلم الا ممن ارسل بشرع امر بتبليغه اليهم
ولعله اي البعث لم يكن ورد عندهم بشرع يقطع عليه به فلا يكفر من شك
لفقد ان ورد عندهم به شرع عليه فيكون الشك فيه اي في البعث حينئذ
كفرا فاما ما لم يرد به اي البعث شرع فهو من مجوزات العقول فقد يقال لا كفر بالشك
فيه لعدم العلم به او يكون قدر بمعنى ضيق لوروده في القرآن الكريم
ويكون ما فعله بنفسه من وصية بنيه باحراقه ازراء عليها اي اهانة وتنقيصا عليها
وغضبا عليها لعصيانها بخروجها من طاعة الله وقيل ما قاله حين وصى بحرقه لئن

قد رأته على غير عاقل لكلامه ولا حافظ له ولا ضابط للفظه بل صدر منه بلا روية وتأمل مما استولى عليه من الجزع والهلع والتبرم والخشية على نفسه وشدة الخوف التي اذهلت لبه وحيرت عقله فلم يواخذه به اى بقوله لئن قدر الله على وقيل كان هذا الذى قاله في زمن الفترة اى انقطاع الرسالة ما بين رسولين من الرسل فلام الفترة حنسية او بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم فهى عهدية ومنه حديث البخارى وفتر الوحى اى انقطع سنتين ونصف وكان ايضا حيث ينفع مجرد التوحيد قبل ارسال الرسل وفسا بعيدا ولم تبلغه دعوة رسول ونظر في خلق السموات والارض فوحد واصل حيث للمكان وقد يستعار للزمان وقيل هذا اى قوله لئن قدر الله على من مجاز كلام العرب الذى صورته الشك انما ما استعمل له في غير ما وضع له ومعناه التحقيق ولا شك ويسمى تجاهل العارف هو ان يسأل عارف عما يعلمه سوال من لا يعلمه لمبالغة في المعنى وايهام ان شدة الشبه بين المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به كقولك اوجهك هذا ام بدر مع علمك بان الوجه غير البدر الا انك لما اردت المبالغة في وصفه بالحسن قلت مستفهما اوجه هو ام بدر فافهم شدة الشبه بينهما فان خلا السوال له عما يعلمه عن الشبه لم يكن تجاهلا كما في وما تلك بيمينك يا موسى اذ لم يكن لمبالغة في الشبه بل ليريه عظم ما يخترعه تبارك وتعالى من عصاه اليابسة حية نضناضة اى متحركة وفي حديث ابى بكر انه دخل عليه وهو ينضنض لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد وليقرر في نفسه ما بين المقلوب عنه والمقلوب اليه من المباينة البعيدة تنبيها على قدرته الباهرة وعجيب صنعه وانيق ابتداعه ومنهم من لم ير فيه بينهما شبها كقول الخارجية

ايا شجر الخابور ما لك مورقا ٭ كانك لم تجزع على ابن طريف ٭

وله امثلة في كلامهم اى كلام العرب كقوله

تالله يا ظبيات القاع قلن لنا ٭ ليلاى منكن ام ليلى من البشر

وقوله تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله للترجى لهما اى اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة راج طامع ان يثمر عمله ويبخع سعيه رجاءه يتذكر اى يتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى مما تصفان له مما يجره الى الهلكة وهذا الذى هو من باب المثال جار على مذهب من لا يرى فيه بينهما شبها اذ لا تشابه بين تذكره وخشيته لكمال انتفا تشابههما هذا وارسالهما اليه مع علمه تعالى بانه لا يؤمن انما هو لالزامه الحجة وقطع معذرته لشهادة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقوله قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله امره او لا ان يقرر هم بمن يرزقهم ثم امره ثانيا بالاجابة والاقرار عنهم تلويحا بانهم معترفون بقلوبهم بان الله رازقهم آبين ان ينطقوا به فيلزمهم ان يونخوا ابزكم عبادة من يرزقهم وايثارهم عبادة من لا يقدر على شئ ثم امره ثالثا ان يقول لهم وانا او اياكم اى احد فريقينا من وحد الرازق ومن اشرك به غيره لعلى هدى او في ضلال مبين مع اشعاره بمن هو منهما على هدى ومن هو في الضلال

وتخولف

وتخولف بين حرفي الجر تلويحا بان صاحب الهدى كانه مستقل على جواد ليسرع به متوجها حيث شاء والضال كانه مرتبك في ظلام منغمس فيه لا يدرى اين يتوجه وهذا المثال وارد على مذهب من يرى فيه شبها بينهما لتشابه الفريقين في العبادة صورة فبينهما شبه مناسبة ومنه قول حسان بن ثابت الانصارى لابى سفيان بن حرب يوم احد قبل اسلامه ٭

اتهجوه ولست له بكفو ٭ فشركما لخيركما فدا ٭

يرى بخيرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي تمثيله بما ورد من القرآن الكريم مع تسميته له تجاهل العارف نوع تهاون بالادب مع الله تعالى كما في المفتاح ويسمى مساق الشئ مساق غيره لنكتة لكان صوابا واما من اثبت الوصف ونفى الصفة حذرا مما يلزم من اثباتها اذ كانت حادثة لزم قيام الحوادث بذاته تعالى وخلوه عنها في الازل وصدورها عنه قصدا واختيارا وذلك كله باطل اتفاقا وان كانت قديمة لزم تعدد القدما وهو كفر ولم يدر ان الكفر انما هو تعدد ذوات قدما لا ذات واحدة مع صفات فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم لا كلام له وهكذا القادر ولا قدرة له مريد ولا ارادة له على مذهب المعتزلة في نفيهم الصفات الثبوتية عندنا اهل الحق الحاكم بثبوتها واتصافه تعالى بها اذ لا يعقل شئ من العالم الا من له العلم وله معلوم متعلق به علمه فمن قال باخذهم بالمال اى بالمرجع لما يوديه اليه قوله اى قولنا فيهما عالم ولا علم له ويسوقه اليه مذهبه من انه يلزم من نفى العلم نفى الوصف بعالم على وجه برهانى كفر لانه اذا انتفى العلم انتفى وصف عالم عن موصوفه به ضرورة انتفا الوصف بالمشتق بانتفا المشتق منه اذ لا يوصف بعالم المشتق الا من له علم هو المشتق منه المشروط في صدق عالم عليه ووصفه به قيامه به فكانهم اى النافين للصفة المؤذنة بنفى الوصفية بعالم صرحوا عنده اى عند القايل بالمال بما يودى اليه قولهم من لزوم نفى الوصف المشتق لنفى المشتق منه وهكذا عند هذا القايل بالمال سابر الفرق من المشبهة وغيرها كمن نفى علمه تعالى بالاشيا قبل ايجادها يجرى فيهما ما ذكر فيمن اثبت الوصف ونفى الصفة ممن شبهه كابن سالم بما يوديه اليه تشبيهه ويوول اليه من كونه تعالى ولله المثل الاعلى كالانسان له اعضا وحواس خمس ووفرة سودا ونصفه الاعلى مجوف دون الاسفل كفر ومن لم يواخذهم اى مواخذتهم بمال قولهم ولا الزمهم بموجب مذهبهم اى ما فهم من فحوى كلامهم مما ذهبوا اليه مما لا يليق بجلال ذاته تعالى لم ير اكفارهم لانهم اذا وقفوا بقاف مشددة مكسورة اى اطلعوا على هذا اى على ما آل اليه قولهم عالم ولكن لا علم له من نفى علمه تعالى قالوا لا نقول انا اصلنا ليس بعالم سلبا معطلا له تعالى عن العلم بل هو كما قال ابو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة عالم بعلم هو ذاته مريد بارادة هى ذاته متكلم بكلام لا في محل وهو كن ٥ لان تكون الاشيا بها فلا يتصور لها محل وبعضه في محله كالامر والنهى والخبر والاستخبار لا عالم بعلم ومتكلم بكلام وحى بحياة زايدة على ذاته وهكذا ونحن وانتم ننتفى من القول بالمال الذى الزمتموه لنا من قولنا عالم بعلم

ولكن لا علم له من انتفاء علمه تعالى ونعتقد نحن اي معاشر المعتزلة وانتم اهل السنة
بانه اي ما آل اليه قولهم كفر بل نقول ان قولنا عالم ولكن لا علم له لا يؤول اليه
اي انتفاء علمه تعالى على ما اصلناه اخذا ممن اعتقد من الفلاسفة انه تبارك
وتعالى يريد بارادة حادثة لا في محل واحد من جميع جماعته لا تعدد فيه اصلا بل
جميع صفاته راجعة الى السلوب والاضافات فعلى هذين المأخذين ممن راى اخذهم
بالمآل ومن لم يؤاخذهم به اختلف الناس في اكفار اهل التاويل فمنهم من اكفرهم
ومنهم من لم يكفرهم واذا فهمته اي التاويل على نسق ما مر اتضح لك الموجب
لاختلاف الناس في ذلك اي في اكفارهم وعدمه والصواب ترك اكفارهم
واليه جنح الائمة واقتضاه قول ناصر السنة الشافعي اقبل شهادة اهل الاهوا
الا الخطابية لانهم يرون الشهادة لبعضهم بعضا واجرا احكام الاسلام عليهم
من حرمة ابدان وعصمة دم وقتال الا بحق الاسلام في قصاصهم لهم ومنهم وحدهم
شربا وسرقة وجلدا ورجما وتعزيرا لهم ومنهم ووارثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم
منهم ولهم والصلاة عليهم اذا ماتوا ودفنهم في مقابر المسلمين والصلاة وراهم
وان كانت وراء غيرهم افضل وسائر معاملاتهم مما يتعلق بالدين وغيره لكنه
يغلظ عليهم تعزيرا لهم بوجيع الادب ضربا وحبسا وشديد الزجر والهجر حتى تلين شكيمتهم
وتنقاد عريكتهم فيذعنوا للحق ويرجعوا عن بدعتهم هيهات هيهات لرجوعهم عنها
وهذه الحالات كانت سيرة الصدر الاول من صالحي الامة فيهم اهانة لهم وتقبيحا فقد كان
فشا على زمن الصحابة والتابعين من قال هذا القول من القدر كمعبد الجهني ومن قال
كما في صحيح مسلم به وواصل بن عطا وعمرو بن عبيد ورأي الخوارج من خروجهم على علي وتكفيرهم
له وافترائهم عليه بقولهم انزل الله فيه ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة
الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام وفي ابن ملجم ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات حتى قال فيهم كلبهم عمران بن حطان اذ قتل عليا

يا ضربة من تقي ما اراد بها ۞ الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه ۞ اوفى البرية عند الله ميزانا

كذب عدو الله عمران فهذا القول مما قيل فيه قبحه الله

يا ضربة من شقي لم يزل ابدا ۞ مما عليه اله الحق غضبانا
اني لاعلم ان الله جاعله ۞ اوفى البرية عند الله خسرانا

ورأى اصحاب الاعتزال وقد مر ما فيه غنى عن اعادته هنا فما ازاحوا بالراي
من الازاحة اي فما ازالهم الصدر الاول مع هجرهم لهم قبرا عن مقابر
المسلمين ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا من موروثه مبتدعا او غيره عزروهم
واذلوهم بالضرب والنفي باخراجهم من ديارهم والقتل لمن استحقه منهم على قدر
احوالهم الموجبة لذلك لانهم باعتقادهم ما يخالف الحق مما لا يكونون به فساقا
لخروجهم بذلك عن طاعة الله ضلالا عن الحق بعدم قبولهم عصاة لا يستجيبون
اذا دعوا الى ما يحييهم اصحاب كبائر موبقة لهم بما اجترحوه وبما كسبوه عند المحققين
واهل السنة عطف تفسيري ممن لم يقل بكفرهم اي كفر ارباب الاراء الباطلة بمتمسكوا

بهم من التاويل خلافا لمن راى غير ذلك من هجرهم وضربهم وقتلهم على قدر احوالهم
او لمن راى اكفارهم ممن قال بالمآل قال القاضي ابو بكر الباقلاني واما مسائل
الوعد والوعيد مما ادى قول المعتزلة بخلقه اخذا للاول من قولهم يجب على الله
تعذيب العاصي مع قوله تعالى تكذيبا لهم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وغيره
مما اذن بوعده تعالى المغفرة لمن يشاء من عصاة المؤمنين وهو تعالى لا يخلف
الميعاد والثاني من صريح قولهم بجواز خلف الوعيد لانه محض كرم مع قوله تعالى
لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي والرؤية رؤية
المؤمنين ربهم في الاخرة انكرها المعتزلة والمخلوق انكر مخلوقيته له تعالى المفوضة
اذ قالوا ان الله خلق محمدا وفوض اليه خلق الدنيا فهو الخالق لها بما فيها ومنهم من
انكر مخلوقية المنزلة تعالى واثبتها للشيطان وغيرهم وخلق الافعال انكر مخلوقيتها
له تعالى الجبائي واشياعه واثبتوها للعباد وبقاء الاعراض بانواعها والحق عند
امامنا الاشعري ومتابعيه انه لا يبقى اكثر من زمن واحد لا بناء كلها على التقضي
والتجدد كالحركات والازمنة والاصوات وبقاؤها عبارة عن تجدد امثالها كلما
انقضى واحد تجدد مثله بمجرد ارادته تعالى بوقته الذي خلقه فيه ولهذا مزيد
بيان اوردناه في شرح مقاصد نافي مقصد الاعراض والتوليد التي قالت المعتزلة
ان حركة النظر في الدليل تولد العلم عقيبها كحركة اليد تولد حركة المفتاح للفتح وشبهها
من الدقائق كالقول بفناء العرض بالعرض فالشيء جواب اما من اكفار المتاولين
فيما اوضح من القول باكفارهم اذ ليس في الجهل بشيء منها او بصرفها عن معانيها
الحقة الى ما اولوها به من اعتقاداتهم الباطلة جهل بالله تعالى كنفي المعتزلة
قدم صفاته تعالى الذاتية هربا من تعدد القدماء مبالغة في التوحيد جهلا منهم
ان المحذور من تعددها هو التعدد ذوات لا تعدد صفات مع ذات واحدة ولا اجمع
المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها اي مما نقل عن القاضي ابي بكر فصل
هذا اي ما ذكر سابقا حكم المسلم الساب لله تعالى عما يقولون علوا كبيرا واما الذمي
فروي عن ابن عمر ولا ادري من رواه انه قيل له في ذمي اي عنه انه تناول
بمجاز عن تكلم بما لا يجوز ان يقدم عليه من حرمة الله مما لا يحل الوقوع به كالمحرم
يدخل في حرمة الحج او الحرم ومنه قول الراعي قتلوا ابن عفان الخليفة محرما
اي لم يحل من نفسه ما يؤذى به فهو معصوم ممتنع لحرمته على من اراده بسوء
غير ما به كفر مما هو عليه من دينه وحاج اي وحال فيه دحضا للحق وترويجا
للباطل فخرج ابن عمر عليه بالسيف فهرب وقال عليه ولم يقتله لانه لو رفع
يده ليضربه كان مستعليا عليه وقال مالك في كتاب عبد الملك بن حبيب
في المبسوطة وقال ابن القاسم في المبسوطة للقاضي اسماعيل بن اسحاق
ابن اسماعيل بن حماد بن زيد وكتاب محمد بن سحنون من شتم الله تبارك
وتعالى من اليهود والنصارى جمع نصراني والياء في نصراني للمبالغة
كهي في احمري اي من سبه تبارك وتعالى منهم بغير الوجه الذي به كفروا
ولم يعاهدوا عليه قتل وان لم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم فلا يقتل

قال في المبسوطة ان كان اسلامه طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا
هو دينهم وعليه عوهدوا من بيانية لما ضرب عقد الذمة لهم عليه الذي هو دعوى
الصاحبة والشريك والولد لله تبارك وتعالى وغيرها كشرب الخمر وبيعها وضرب
الناقوس واما غير هذا الذي عوهدوا عليه من الفرية اي الكذب المختلق والشتم
والسب فلم يعاهدوا عليه فهو لصدوره عنهم نقض للعهد الذي عقد لهم عليه مما به
كفروا قال ابن القاسم في كتاب محمد لعله ابن سحنون ومن شتم من اهلها باي غير
الوجه الذي ذكر في كتابه مما يليق بجلاله تبارك وتعالى قتل الا ان يسلم فلا يقتل
لدخوله في السلم طوعا وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
من اصحاب مالك ورواة مذهبه لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا
هذا هو المناسب لكرمه تعالى وعادته في عباده من قبول توبتهم اذا اقلعوا عن
ذنوبهم وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات وان تاب بعد ان
استتيب لم يقتل والا قتل وقال مطرف هو ابن عبد الله وعبد الملك بن الماجشون
مثل قول مالك قتل ولم يستتب وقال ابن ابي زيد القيرواني من سب الله
بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم قال ابن القاسم وقد ذكرنا في الفصل
الثالث من الباب الثاني في حكم سابه صلى الله عليه وسلم قول ابن الجلاب
البغدادي الضرير وقول ابن نباتة وقول الاندلسيين بفتح الهمزة وضم اللام
في النصرانية وفتياهم بقتلهما بسبهما بالوجه الذي كفرت به لله ورسوله متعلق بسبهما
واجماعهم على ذلك اي على قتلهما بفتياهم به وهو اي اجماعهم على قتلهما بسبهما لهما
نحو القول الاخر في سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم اي من الكفار بالوجه الذي
كفر به فانه يقتل الا ان يسلم طوعا ولا فرق في ذلك اي في قتله بالوجه الذي كفر به
بين سب الله تبارك وتعالى به وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم
على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم الذي عاهدناهم عليه ولا غيره ولا يسمعونا
شيئا منه فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم فيجري عليهم حكم
نقضه من قتلهم لما اظهروه واسمعوناه من سب الله تبارك وتعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم واختلف العلماء في الذمي من ذي الكتابين اذا تزندق باظهاره
دينه مبطنا عقايد باطلة هي كفر اتفاقا فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم
واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه خرج من دين كفر الى دين كفر وقال ابن الماجشون
يقتل لانه اي لما اضمره مما هو كفر اتفاقا دين لا يقر عليه احد ولا توخذ عليه جزية
ممن انتقل من دين باطل الى مثله قال الشافعي فلا يقر عليه فان لم يسلم بلغ
المامن وصار حربيا وقال ابن حبيب لا اعلم من قاله غيره من العلماء ان الذمي
اذا تزندق يقتل فصل هذا اي ما ذكر في الفصل قبل حكم من صرح
بسبه تبارك وتعالى واضافه الى ما لا يليق بجلاله والهيته تبارك وتعالى
اليه فاما مفتري الكذب ومختلقه عليه سبحانه بادعاء الالهية او الرسالة منه
تعالى الى ملاء من الناس او النافي ان يكون الله خالقه او يكون اسم ربه بل رب
غيره او قال ليس لي رب او ليس لغيري رب والمتكلم بما لا يعقل من ذلك اي مما ذكر

من ادعاء الالهية او الرسالة او نفي كون الله خالقه او ربه او انه لا رب له في سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قايل شيء من ذلك ومدعيه مع سلامة عقله لافترايه
على الله الكذب انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله ويوم القيامة ترى
الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وسيرد عليك حكم من زال عقله بسكر او جنون
لا فقد العقل بكفرهم مع سلامة عقله لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته
اي رجوعه عما افتراه على ربه وتنجيه من القتل فيئته اي رجوعه وذكرها مع الانابة
تفننا في العبارة لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولم يرفه اي لا يخفف ولا ينعم ويفنس له
عن شديد العقاب والالم ليكون ذلك مزجرا وردعا لمثله عن قوله ذلك المفترى على
الله وله اي للمفتري عن العودة لكفره بما افتراه على الله اوالجملة عليه تعالى
الا من يتكرر ذلك الافتراء منه وعرف استهانته بعدم مبالاته بما اتى به فهو دليل
على سوء طويته لما اضمر فيه من قبيح الاعتقاد ودليل على كذب توبته وصار بما
دل على ذلك كالزنديق الذي يبطن عقايد كفر لا نامن معه ما بالمنه من ان يضمر فيه
شيئا من ذلك ولا يقبل رجوعه حذرا من عماديه على قبح تروطيه وحكم السكران حكم
الصاحي في مواخذته لحد ورشيء من ذلك منه تغليظا عليه بتعديه بسكره واما
المجنون والمعتوه اي المصاب بعقله كالمجنون فما علم انه قاله في حال غمرته بمعجمة
مفتوحة فميم ساكنة من غمرة الماء اذا اعطاه فكانه لمخامرة الجنون ومخالطته
له مغمور بزوال عقله وذهاب ميزه اي تمييزه بين الاشيا بالكلية فلا نظر فيه
بحكم كفر عليه لعذره بجنونه الا ان يكون متسببا في مخامرته له بمزيل لعقله وتمييزه
فيصير كالسكران متعمدا وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله
وسقط تكليفه ادب على ذلك الذي فعله مما ذكر ليزجر وامثاله كما يؤدب على قبايح
الافعال منه او من غيره ويوالي ادبه اي يتابع مرارا على ذلك حتى ينكف وينزجر عنه
كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وليستقيم طبعها وقد حرق علي بن ابي
طالب من ادعى له الالهية هو عبد الله بن سبا واتباعه اذ قال له انت الاله حقا
فنفاه الى المداين وزعم ان ابن ملجم لم يقتله وانما قتل شيطانا تصور بصورته
وهو في السحاب سوطه البرق وصوته الرعد واذا سمعوه قالوا السلام
عليك يا امير المومنين قالوا وسينزل ويملا الارض عدلا وقتل عبد الملك بن مروان
ابن الحكم بن ابي العاص بن امية الحارث بن سعد المتنبي كذابا وصلبه وفعل ذلك
اي مثل عبد الملك بن مروان غير واحد من الخلفاء والملوك بنوا باوغير نواب باشباههم
ممن تنبا واجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم ممن تنبا لاستحقاقهم ذلك بافترايهم
الكذب على الله انه نباهم ولتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اختاره
بانه لا نبي بعده والمخالف في ذلك اي في تكفيرهم من كفرهم مفعول المخالف اي من
خالفه في قوله بكفره فهو كافر لجحده كفرهم المسبب عن الكذب على الله وعن
تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمع فقها بغداد ايام خلافة ابي
الفضل جعفر المقتدر بالله ابن ابي العباس احمد المعتضد العباسي من
المالكية بيان لمن اجمع من فقهايها وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحسين

ابن منصور الحلاج لدعواه الالهية والقول بالحلول كجمع من المتصوفة المنتمين
الى الاسلام قالوا ان السالك اذا وصل فنى بما حل الله فيه كالماء في العود الاخضر بحيث
لا تمايز ولا تغاير ولا اثنينية وصح ان يقول هو انا وانا هو مع امتناعه حقيقة
لصيرورة احد شيئين بعينه الاخر والاخر بعينه هو بحكم العقل لشهادة الضرورة
بدون احتياج الى الاستدلال ولا يمتنع مجازا بان يكون بطريق وحدة اما اتصالية
لجمع مائين في اناء واحد او اجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طينا واما
بطريق كون وفساد كصيرورة ماء هواء بالغليان هوا واحدا واستحالة اي
تغير كصيرورة جسم بعد كونه سوادا ابياضا او عكسه وقوله انا الحق وما في
الجبة الا الله فقتل بذلك مع تمسكه في الظاهر من حاله بالشريعة ولم يقبلوا توبته
لبعد تحول المبتدع من بدعته استقرارا وكذلك حكموا اي فقهاء بغداد من المالكية
في ابن ابي الغراقر بمهملة فزاي وبعد الالف قاف فراء وكان على نحو مذهب الحلاج
بادعائه الالهية بعد هذا اي بعد قتل الحلاج وصلبه ايام ابي العباس احمد
الراضي بالله بن المقتدر بالله وقاضي القضاة ببغداد ابو الحسين وابن ابي عمر
المالكي فافتوا باباحة دمه ثم احرق بالنار وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم في
المبسوطة من تنبأ قتل لكذبه على الله وتكذيبه لرسوله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه وجحد انه ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد
فيستتاب فان تاب والا قتل وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب وفي كتاب
محمد اما ابن سحنون واما ابن المواز والعتبية فيمن تنبأ يستتاب سرا او علنا
ما زعمه وهو كالمرتد فان تاب والا قتل وقال اشهب في يهودي تنبأ وادعى
انه رسول الينا ان كان معلنا استتيب فان تاب منه قبل منه والا قتل
كالاله وقال ابن ابي زيد فيمن لعن بارئه من برا الله الخلق اوجدهم لا على عمد
مثال وزعم ان لسانه زل وانما لعن الشيطان يقتل بكفره عملا بالظاهر وقوله
ولا يقبل عذره لخبث طويته اليهود وعمتهم اي كذبهم وافترائهم المخبر لمن بهت
به وهذا الذي قاله ابن ابي زيد على القول بعدم قبول التوبة واما على القول
بقبولها فلا يقتل لاشعار دعواه زلل لسانه بتوبته وقال ابو الحسن القابسي
في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب على ما مر وهو مخالف لما افتى
به فقهاء بغداد المالكية في الحلاج وابن غراقر من عدم قبول توبتهما بدعواهما
الالهية الا ان يقول فيما زعماه صاحيين والحاقه بالصاحي انما هو للتغليظ
عليه تعديا بسكره فان عاد الى مثل قوله انا الله انا الله طولب مطالبة الزنديق
فلا نامن باطنه لظهور خبث طويته وكذبه في طويته ولا نقبل رجوعه حذرا
من غائلته لان هذا اي عود السكران الى قوله انا الله موذن بانه مسبب عنه
كفر المتلاعبين مجونا وتهاونا واستخفافا كما سياتي

فصل

واما من تكلم بشيء من سقط القول اي رديه ودنيه وسخف اللفظ بمهملة
مضمومة فمعجمة ساكنة هو في الاصل خفة العقل ورقته استعير لوصف
لفظ قايله به وصفا للفظ بصفة اله بتمييزه لصدوره ممن لم يضبط كلامه

واهمل

واهمل لسانه لخفة عقله بما يقتضي الاستخفاف بعظمة الله وجلالة مولاه اي
عظمته كرر معنى ايقاظا لمن لا يقدره تعالى حق قدره الا بتكرير ما يوذن بكمال ذاته
او تمثل في بعض الاشيا ببعض ما عظم الله من ملكوته كقوله

• لبيت فلان كعبة الجود فايضا • يطوف به العافون يبغون نايله •

او نزع بزاي معجمة فمهملة اي اخذ من الكلام لمخلوق وخاطبه بما لا يليق الا في حق
خالقه تبارك وتعالى كقوله لعظيم يا ذا الجلال والاكرام غير قاصد الكفر والاستخفاف
ولا عامد للالحاد اي العدول والميل عن الحق فان تكرر هذا منه وعرف به بادائه عليه
دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه فلم يقدره حق قدره لجراته مع جهله
بعظيم عزته وكبريائه من الكبر بكسر اوله وسكون ثانيه اي عظمته وتعاليه عن صفات
مخلوقاته وفي حديث الاذان الله اكبر اي الكبير وضع افعل موضع فعيل كما في قول
الفرزدق

• ان الذي سمك السما بنا لنا • بيتا دعايمه اعز واطول •

اي عزيزة طويلة وهذا اي ما دل على تلاعبه كفر لا مرية فيه ولا شك لكنه مما
دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه انه لا مرية في كفره ان كان ما اورده
يوجب الاستخفاف والنقص لربه تبارك وكذا افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل
بقتل المعروف بابن اخي عجب وفي نسخة بابن اخت عجب غير منصرف للعلمية والتانيث
معنى زوجة امير قرطبة عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكان اي ابن اخيها او اختها
خرج يوما فاخذه المطر مجازا عن نزل عليه فكانه تناوله بيده تشبيها له بذي يد
استعارة مكنية جعل لها بالبيد فقال اي ابن اخيها بدا الخراز يرش جلوده بيتا
مثناة تحت وفي نسخة يرش بنا موحدة وكان بعض الفقها بها اي بقرطبة ابو زيد
صاحب الثمانية بمثلثة مضمومة وياء مشددة وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى
توقفوا في اراقة دمه فلم يقبلوا على شيء من قتل او عدمه واشاروا الى انه اي قوله بدا
العبث ومجون من القول يكفي فيه الادب الاليم والتوبيخ المليم وافتى بمثله اي بمثل
ما اشاروا به من اذ عمته من القول حينئذ اي حين قوله بدا القاضي موسى بن
زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي اي قتله متعلق بي اطالب به يوم القيامة ايشتم
رب عبدناه ثم لا ننتصر له بيانا لما يجب له تعالى على شاتمه من الحكم اذ ليس محتاجا
الى من ينصره انا اذا انا لم تنصره لعبيد سوء ما نحن له بعابدين حق عبادته وان تعجب
فعجب من ابن حبيب اذا افتى حين شهد على اخيه اذ قال ثم لقيت في مرضي هذا
ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله بعدم قتله مع ما تضمنه قوله من نسبة
الجور والظلم اليه تعالى فكانه قال غاية امري اني لو قتلتهما قتلت بهما ولم استوجب
ما عاقبني الله به في مرضي هذا كما تضمن قول ابن اخي عجب استهانة ربه واستخفافه
بقوله بدا الخراز يرش جلوده ورفع المجلس الى الامير عبد الرحمن بن الحكم الاموي
وكانت عجب عمة او خالة هذا المطلوب القايل ذلك القول من حظايا اي لمن اقرب
حلايله منه واسعدهن به من حظيت المراة عند زوجها بالضم والكسر اي سعدت ودنت
من قلبه بحبه لها وعن عايشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال

فاى نشائه كانت احظى منى اى اقرب اليه منى واسعد به واعلم باختلاف الفقهاء فخرج
الاذن له بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه اصبغ بن خليل وامر بقتله فقتله وصلب بحضرة
الفقيهين ابن حبيب وخليل وعزل القاضى موسى بن زياد لتهمته بالمداهنة
ومصانعته وليّنه فى هذه القصة اى قصة ابن اخى عجب ووبخ اى ابن عبد الرحمن
وعتب بقية الفقهاء وسبّهم وقبّح توقفهم عن سفك دمه واما من صدرت عنه فى ذلك
الهنة اى الخصلة الواحدة مما لا يليق بجلاله والفلتة النادرة اى الزلة الصادرة
بغتة بلا تروّ ولا يلهى عن الاستقامة مالم يكن ذلك الصادر فلتة تنقصا وازدرا
فيعاقب عليهما ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها بحسب
ما يليق به من مراتب الناس وشرح سببها الباعث عليها من قصد وداعية ومقارنتها
مما يؤذن بتوبيخ او ضرب وحبس او غير ذلك وسئل ابن القاسم عن رجل نادى
باسمه فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك من لب والب بالمكان اذا اقام به والب على كذا اى
لم يفارقه ولم يستعمل الا بلفظ التثنية فى معنى التكرير اى اجابة بعد اجابة ونصبه
على المصدر بعامل لا يظهر فكانه قال لبا بعد لباب فقال اى ابن القاسم
ان كان جاهلا وقاله على وجه سفه اى خفة وطيش واضطراب استقامة فلا شىء عليه
ويردع ليكف عن ذلك ان الجاهل يزجر تنبيها له وحثا على ترك ما لا يجوز له تعالى
ويعلم ما يحمله يجرى على موجب علمه والسفيه من خف عقله فى طيش وعدم
استقامة يؤدب بما يليق به من صفع وحبس ونحوهما ولو قالها اى المجيب لبيك
اللهم لبيك على اعتقاد انزاله اى المجاب منزلة ربه لكفر اى المجيب بما لا ارتقا به مرقى
لا يرتقى ورتبة لا تنال مطلقا هذا مقتضى قوله اى ابن القاسم وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء اى خفاف الاحلام منهم ومتهميهم جمع متهم تفعول من
التهمة فعلة من الوهم ابدلت واوها تاء وقد تفتح الهاء اى من يظن به منهم ما ينسب
اليه فى هذا الباب اى باب الخفة والتهاون فى الامور واستخف عظيم هذه الحرمة
اى حرمة الله تبارك وتعالى قالوا اى سخفاء الشعراء من ذلك بما ننزه ويجب
كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره لبشاعته وقبح معناه ولولا انا قصدنا
نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا لما فيه من انتهاك حرمة
واستهانة قدر مما حكيناه فى هذه الفصول المتقدمة واما ما ورد فى هذا الذى
يثقل علينا ذكره من اهل الجاهلية اى الحالة التى كانت عليها العرب العاربة قبل
الاسلام من الجهل بالله ورسوله وشرايع الاسلام الدين والمفاخرة بالانساب
والتجبر والكبر واغاليط اللسان جمع اغلوطة افعولة من الغلط كاحدوثة واعجوبة
مما يغالط به العلماء ليزلوا فيهيج به شر وفتنة وقد نهى عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعدم نفعها فى الدين ولا تكاد تكون الا فيما لا يقع كقول بعض الاعراب
من بحر الرجز مما لا تجوز نسبته اليه سبحانه وتعالى رب العباد بحذف حرف
النداء تخفيفا لكثرة الاستعمال ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا اى
ما ظهر لك فى بادى رأيك اى اوله فلم تسقناه انزل علينا الغيث لا ابا لكا
يستعمله فلا كافى لك بغيرك وسمعك سمعه سليمان بن عبد الملك يقولها فى سنة

بجذبه

بجذوبه تحمله على محمل حسن فقال اشهد انه لا اباله ولا صاحبة ولا ولد فى
اشباهها اى الرجز السخيف من كلام الجهال بالله ورسوله واحكام شريعته
الرادعة لامثاله عن ارتكاب مثل ذلك ومن كلام من لم يقومه عن اوده ثقاف تاديب
الشريعة والعلم الثقاف فى الاصل ما يقوم به اعوجاج الرماح استعير لما يقيم
الانسان ويهذبه من محاسن الشريعة وفى حديث عائشة تصف اباها واقام
اوده بثقافه اى سوى اود المسلمين فى هذا الباب اى باب السخافة والتهاون فى
الكلام نقل ما يصدر ممن ثقف لقف اى ذكى فطن خبير بالامور الا من جاهل فى محل
رفع بدلا من ضمير يصدر لان قل ما يصدر غير موجب وقد اكد نفى كثرته بما المزيدة
اى لا يصدره كثيرا الا جاهل يجب تعليمه ما يقومه من ثقاف الشريعة والعلم ويجب
زجره عن سخيف الكلام وسقطه والاغلاظ له عن العود الى مثله قال الخطابى
وهذا اى ما يصدر من سخفا القول نوع من القول اى مبالغة فى المجاوزة عن
الاستقامة وفى الحديث من اطاع ربه فلا هوارة عليه اى لا هلاك وفيه
من اتقى الله وقى المهورات جمع هورة اى المهالك وخطب الحسن بالبصرة فقال
من يتق الله لا هوارة عليه فلم يدروا ما قال فقال يحيى بن يعمر اى لا ضيعة عليه
والله تبارك وتعالى منزه ومبرء ومبعد عن هذه الامور لانه تعالى كما قال
صلى الله عليه وسلم يحب معالى الامور ويبغض سفسافها فهو فى الاصل ما يرتفع
من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا نثر ثم استعير لرديها وحقيرها من كل شىء وفى
حديث ان الله رضى لكم مكارم الاخلاق وكره لكم سفسافها وقد روينا عن عون بن
عبد الله بن عتبة الهذلى الكوفى الزاهد انه قال ليعظم احدكم ربه منزها له عن
ان يذكر اسمه فى كل شىء حتى لا يقرنه مع خبيث كان يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا
وكان شيخنا برهان الدين الناجى ينهى عن ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على شىء لا يليق قرنه به كان يقول اللهم صل على محمد يا عنب او يا خبز او يا بطيخ
وكان بعض من ادركنا من مشايخنا المالكية المغاربة قلما يذكر اسم الله الا فيما
يتصل بطاعته استثناء مفرغ من عام غير موجب وما مزيدة لتاكيد نفى الكثرة
اى لا يذكر اسمه تعالى كثيرا فى شىء الا اذا اقترن بطاعته فيذكره وكان اى ذلك
البعض من مشايخنا يقول للانسان جزيت خيرا صونا لاسمه تعالى عن الابتذال
وتعظيما له وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى حذرا امتهانه
فى غير قربة يتقرب بها اليه تعالى من الصلاة كالكلمات لصلاة وحدثنا
الثقة لا اعرفه والنون يجوز ان تكون للتعظيم لنفسه وان تكون له ولمن معه
ان الامام ابا بكر محمد بن اسماعيل القفال الكبير مصنف محاسن الشريعة
الشاشى الشافعى قال العبادى فيه افصح الاصحاب قلما واثبتهم فى دقايق
العلوم قدما واشهرهم بيانا واقواهم جنانا واعلاهم اسنادا وارفعهم عمادا
كان يعيب على اهل الكلام اى علماء اصول الدين سمى كلاما لما ذكرنا فى شرح كتابنا
مقاصد المقاصد كثرة خوضهم فيه اى فى اسمه تعالى عن ان يسمى به غيره وذكر
صفاته تشبيهه اجراءهم له مجرى على السنتهم بما عذب استعارة مكنية واثبت له الخوض تخييلا

اجلالا لاسمه تعالى واعظاما وتنزيها عما له علة لعيبه عليهم كثرة خوضهم فيه ويقول
اى الامام ابو بكر القفال الشاشى هؤلاء يعنى اهل الكلام يتمندلون باسه اى يتداولونه
ويتناقلونه بينهم كالمنديل لكثرة تداوله السنتهم له جل وعز جملتان لازمتان سيما انما
افادتا تعظيمه وتنزيهه عن كثرة تداوله المؤذنة باستهانته كالمنديل تعالى عن ذلك
علوا كبيرا ويبذل له اى ابو بكر الشاشى الكلام فى هذا الباب اى باب كثرة الكلام تنزيله
فى باب ساب النبى صلى الله عليه وسلم فيكون حكمهم حكم سابه صلى الله عليه وسلم قتلا
او تخيير الامام فيه وفى صلبهم على الوجوه التى فصلناها فيما اغنى عن ذكرها هنا
وهذا مشكل مع تعظيمهم له تعالى فى كل مقام غاية التعظيم ويصفونه بصفات الكمال
وينزهونه عن سمات النقص والزوال

فصل وحكم من سب سائر

انبياء الله وملائكته جمع ملاك فى الاصل بلام ساكنة بعدها همزة نقلت حركتها
الى اللام قبلها ثم حذفت لكثرة الاستعمال فبقى ملك وقد تحذف هاء جمعه فيقال
ملائك وقيل اصله مالك بتقديم همزته من الالوكة اعنى الرسالة ثم قدمت اللام
وجمع وحكم من استخف بهم وكذبهم فيما اتوا به عن الله تبارك وتعالى من الاحكام
الشرعية وانكرهم وجحدهم بان الله لم ينبئ احدا ولم يرسل رسولا كقول مالك
ابن الصيف ما انزل على بشر من شئ اذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم البشر فى التوراة
ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فمن صدر منه شئ من
ذلك فحكمه حكم نبينا صلى الله عليه وسلم فى وجوب قتله حدا لا كفرا اجماعا او
تخيير الامام فى قتله وصلبه وان تاب لانه حده القتل ولا تنفعه توبته عند الله
على مساق ما قدمناه من ائمة القول فيه قال الله تعالى استدلالا على ان حكم الذين م
سائر الانبياء والملائكة حكم نبينا صلوات الله وسلامه عليهم فيما مر ان الذين
يكفرون بالله ورسله بشرا وملائكة ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ايمانا
وكفرا بشهادة قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود كفروا بعيسى
ومحمد وبالانجيل والقران والنصارى كفروا بمحمد والقران ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك اى بين الايمان والكفر سبيلا اى دينا وسطا وقد اخطؤا واخطاؤهم
فاحش حيث لا واسطة بينهما اولئك هم الكافرون الكاملون فى الكفر حقا
تاكيد لمضمون الجملة اى حق كونهم كاملين فيه حقا او صفة لمصدر الكافرين
اى هم الذين كفروا كفرا حقا يقينا ثابتا لا ريب فيه وقال تعالى حال لازمة
من ضمير قال اى متعاليا عما لا يليق بجلال وجهه لصفاته وكمال افعاله قولوا
خطاب للمؤمنين او للكافرين امنا بالله لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وما
انزل الينا وهو القران وغيره من الاحكام وما انزل من الصحف وغيرها الى ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط حفدة يعقوب ذرية ابنائه الاثنى عشر
جمع سبط وهو الحافد وكان الحسنان سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اوتى
موسى وعيسى التوراة والانجيل وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم
يستوى فيه الواحد والجمع مذكرا ومؤنثا ومن ثم دخله بين اى لا نؤمن ببعضهم ونكفر
ببعض كاليهود والنصارى وقال اى الله تبارك وتعالى آمن الرسول بما انزل

اليه

اليه من ربه والمؤمنون كل ضميره الذى ناب عنه التنوين ان عطف ما قبله
على الرسول عائد اليهما اى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وان جعل ما قبله
مبتدا فهو مبتدا ثان وضميره للمؤمنين وخبره آمن وهما خبر الاول اى كل واحد منهما
من يقولون لا نفرق بين احد من رسله بل نؤمن بكلهم فاحد دل على اكثر من واحد بشهادة
دخول بين عليه فانه لا يدخل الا على متعدد قال مالك هو ابن انس فى كتاب
عبد الملك بن حبيب وفى كتاب محمد لعله ابن سحنون وفى كتاب عبد الرحمن بن
القاسم وقاله ابن الماجشون و محمد بن عبد الله بن عبد الحكم واصبغ بن الفرج
وسحنون من شتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم او شتم احدا منهم او تنقصه
قتل ولم يستتب وان تاب ولا تنفعه توبته لان حده القتل ومن سبهم من اهل الذمة
كاليهود والنصارى قتل الا ان يسلم فلا يقتل تالفا له ليحسن اسلامه وروى سحنون
عن ابن القاسم انه قال من سب الانبياء او احدا منهم من النصارى واليهود بغير
الوجه الذى به كفروا فاضرب عنقه ولا يستتاب لانه لا ترجعه لانه لم يعاهد عليه الا ان
يسلم اى يذعن وينقاد الى الحق وقيده فى المبسوطة تطوعا وقد تقدم الخلاف فى هذا
الاصل اى فيمن سب الله بغير هذا الوجه فقال ابن القاسم فى كتاب محمد الا ان يسلم
كما هنا وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل حتى يستتاب
مسلما او كافرا فان تاب والا قتل وقال القاضى سعيد بن سليمان فى
بعض اجوبته من سب الله تبارك وتعالى وملائكته قتل لجراءته واقدامه على الجناب
الرفيع وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل لانهم كما قال الله
عباد مكرمون وكرام بررة وفى النوادر لابن ابى زيد عن مالك هو ابن انس فيمن
قال ان جبريل اخطا بالوحى بتاديته الى محمد صلى الله عليه وسلم وانما النبى على
ابن ابى طالب استتيب فان تاب لم يقتل والا لم يتب قتل لكذبه على جبريل
صلى الله عليه وسلم وهذا اى القول بتخطئة جبريل بتبليغ الرسالة من على
الى محمد صلى الله عليه وسلم قول الغرابية من الروافض سموا بذلك اى بالغرابية
لقولهم كان النبى صلى الله عليه وسلم اشبه بعلى من الغراب بالغراب والذباب
بالذباب فغلط جبريل بتبليغ الرسالة من على الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ابو حنيفة واصحابه من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم بما يؤذنه
باستخفاف حرمته او برئ منه موالاة ومحبة وايمانا به فهو مرتد يستتاب فان
تاب والا قتل وقال القابسى فى الذى قال لاخر كان وجهه وجه مالك الغضبان
خازن النار شبه وجهه بوجهه لما يلوح عليه من مخايل الغضب اطلاقا لاسم
البعض على الكل مبالغة فى وصفه به مع انتفاء علم بغضبه الا ما توهمه لملازمته
للنار من اتصافه به وليس بلازم اذ هو ممن لا يعصى الله ما امره فهو منشرح صدره
بطاعة ربه وان لازم النار ولو عرف انه قصد بقوله كان وجهه مالك الغضبان
ذم الملك يعنى مالكا قتل لظهور تنقصه له واستخفافه حرمته بذلك وهذا كله فيمن
تكلم فيهم اى فى الانبياء والملائكة بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه
فى كتابه الذى نعبد بتلاوته وبين لنا فيه المنافع الدينية والدنيوية والاحكام الشرعية

او حققنا علمه انه منهم بالخبر المتواتر الذي رواه عدد يؤمن تواطيهم على الكذب
و بالخبر المشهور مما رواته ثلاثة فاكثر المتفق عليه بالاجماع القاطع بانه منهم
كجبريل وميكائيل ومالك خازن النار وخزنة الجنة وخزنة جهنم والزبانية واحدها
زبنية بكسر اوله فسكون ثانيه ففتح ثالثه مخففا من الزبن وهو الدفع اريد بهم
ملايكة العذاب لدفعهم من امروا به الى النار وحملة العرش المذكورين في ايات كثيرة من
القران من الملايكة ومن سمي فيه اي في القران من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
وكعزرائيل واسرافيل ورضوان بباب الجنان والحفظة ومنكر ونكير فتاني القبر
لفظاعتهما وشدة نكارتهما من الملايكة المتفق على قبول الخبر بهما مما ورد في
السنة الشريفة فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من
الملايكة او الانبيا كهاروت وماروت انهما من الملايكة ام لا والخضر ولقمان وذي
القرنين ومريم ابنة عمران واسية ابنة مزاحم وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس
اي البير المطوي قيل كذبوه ورسوه اي دسوه فيها حتى مات وقيل نبيهم حنظلة
ابن صفوان كانوا مبتلين بالعنقا اعظم طير كان سميت عنقا لطول عنقها وكانت
تسكن جبلا لهم يقال له فتخ تخطف صبيانهم اذا اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة
فاخذتها صاعقة فقتلوه فاهلكوا وزرادشت بزاي معجمة مفتوحة او مضمومة
فراء ودال مهملتين بينهما الف فشين معجمة فتا مثناة فوق الذي تدعي المجوس
والمورخون نبوته وصاحب كتاب المجوس فليس الحكم في سابهم ومنتقصهم بما
يشينهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه من الانبيا والملايكة اذ لم تثبت لهم
تلك الحرمة التي تثبت لاوليك الكرام البررة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم
ويودب بما يليق به من ضرب وحبس واهانة ونحو ذلك بقدر حال المقول فيه
لاسيما من عرفت صديقيته من ابنية المبالغة كضحيك ونطيق اي عرف فرط صدقه
وكثرة تصديقه بغيوب الله واياته المثبتة في الافاق ومن عرف فضله منهم
وان لم تثبت نبوته لكرامته ومكانته عند ربه واما انكار نبوته اي نبوة من لم
يجمع على كونه من الانبيا او انكار كون الاخر من الملايكة فان كان المتكلم في ذلك
القول فيه منهم من اهل العلم فلا حرج اي لا باس ولا اثم عليه لاختلاف العلما
المجتهدين في ذلك اي في كونهم من الانبيا او الملايكة وان كان المتكلم في ذلك من
عوام الناس زجر عن الخوض هو في الاصل المشي في الما ثم استعير للتلبس بالامر
والتصرف فيه اي نهي ومنع عن التكلم في مثل هذا المقام اذ ليس اهلا للتكلم فيه وقد شبه
التكلم فيه بالما استعارة مكنية واثبت له الخوض تخييلا لانه من جنس الما ونوعا
من انواعه قصدا لحق البلاغة وتناسيا التشبيه وصرفا للنفس عن توهمه
لو شبه تمكن المتكلم من التكلم فيه لتمكن الخايض في الما ثم اثبت له فوقعت
الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعا له فان عاد الى التكلم فيه ادب
بقدر حال المقول فيه اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا المقام لخطر الكلام فيه مما ليس
تحته عمل لاهل العلم فكيف بالعامة اي لهم التكلم فيه فانهم عماه وفي ايدي الجهل عناه

فصل اعلم ان من استخف بالقران او بالمصحف او بشي منه او من القر[ان]

اوسبهما

اوسبهما بما لا يليق بكرمهم ذاتهما او جحده اي القران الكريم او جحد حرفا منه او اية
او كذب به او كذب بشي منه او بشي مما صرح به فيه من حكم كاقيموا الصلاة واتوا
الزكاة واتموا الحج والعمرة لله او خبر كاباء ابليس السجود لادم وخبر نوح وغيره من
الانبيا او اثبت ما نفاه القران كاثبات ايمان اكثر الناس المنفي بقوله تعالى وما
اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين او نفى ما اثبته اي القران كنفي الميمونية من الجارحة
من الجوارح سورة يوسف منه بزعمهم الباطل الكاذب انما قصة فسق لا يجوز
كونها قرانا على علم منه اي زاعم شي من ذلك اي عالما بان ما افكه مما هو من القران
ليس منه او من عكسه او يشك في شي من ذلك اي مما ذكر فهو كافر عند اهل العلم
باجماع منهم قال الله تعالى ان الذين كفروا بالذكر اي القران لما جاءهم وانه
لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله محفوظ بشهادة انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل ضرب لنفي تعلقه به عنه
اي لا يتوصل اليه ولا يجد اليه سبيلا فلا ترى طعن طاعن فيه الا ممحوقا ولا تاويل
مبطل الا مسحوقا تنزيل من حكيم حميد اي لا ينزل الا محكما او لا يعتريه باطل وقد اسندنا
هنا ما افاد ان المرا في القران كفر من طريق ابي داود عن احمد بن محمد بن حنبل الى ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرا في القران كفر وفي رواية لا تماروا
في القران فان مرا فيه كفر وانما من التمادي والتجاحد فقد يؤول بمعنى الشك والريبة
بشهادة قول ابي عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في اللفظ كان يقرا
الرجل على حرف فيقول الاخر ليس هو كما قرات وكلاهما مقرو بهما فاذا جحد كل واحد منهما
قراءة الاخر لم يخرجه ذلك الى الكفر لنفيه حرفا انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
او من المماراة بمعنى المجادلة ولهذا قال وقد يؤول بمعنى الجدال في الايات التي فيها
ذكر القدر ونحوه على مذهب اهل البدع واصحاب الاهوا والارادون ما تضمنته
من الاحكام كالحلال والحرام لوقوعه بين الصحابة فمن بعدهم اظهارا للحق فيتبع
لا المغالبة والتعجيز وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه لتكذيبه الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وكذلك اي وكجحده اية من كتاب الله ان جحد اي جحده التوراة
والانجيل وكتب الله المنزلة على الاجمال او كفر بهما او لعنهما او سبهما او استخف
بهما اهانة لهما فهو كافر لانهما كلام الله النفسي المنافي للسكوت والافة وان اختلفت
عباراتهما الدالة عليه بحسب اللغات وقد اجمع المسلمون على ان المتلو بالسنتنا
في جميع اقطار الارض جمع قطر اي نواحيها وجوانبها وعن عايشة تصف اباها
قد جمع حاشيته وضم قطريه اي جانبيه عن الانتشار والتبدد المسموع باذاننا
المكتوب في المصاحف برقومه واشكاله بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان اي جانبا
وقايته من جلد وغيره من اول الحمد الى اخر قل اعوذ برب الناس لم يذكر البسملة
اوليهما بنا على انها ليست من القران في اوايل السور عند مالك تبعا لقرا المدينة
والشام والكوفة وفقهايهما والحق انها من الفاتحة وكررت في اوايل السور
للفصل وعليه قرا مكة وفقهاوها والشافعي واصحابه لحديث ابن خزيمة والحاكم

عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا الفاتحة وعد البسملة اية منها
وحديث الدارقطني وغيره عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قراتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القران وام الكتاب وبسم الله
الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر وفى رواية له فى جزئه وجوب القراءة خلف الامام
انه صلى الله عليه وسلم قال للمسيء صلاته ثم اقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العالمين الى اخرها وهذه الاحاديث وان كانت احادا انما تفيد الظن فالعمل بها
واجب اجماعا اذ ما احد من ايمة الهدى الا وجميع مسايل مذهبه باخبار الاحاد
او بامارات قطعيه دلالتها عليها ظنية ونحن نعتقد بشهادة ما افاد من الاحاديث
انما تفيد العلم كالمتواتر لقراين حفتها منها كتابتها فى الامام العثماني بقلمه
ومداده الذى اجمع عليه الصحابة مع مبالغتهم فى تجريده عما ليس قرانا حتى جردوه
عن امين واسماء السور ربما لا يخفى على من علم سبب كتابتها بحالهم وقد بينه البخاري
ومن خفايه على بعض المجتهدين لنشا خلاف فيما بينهم ومنها ما افاده قوله
تعالى اقرا باسم ربك الذى خلق اعتنا من هذه السورة لشهادة قوله فى الكشاف
محل باسم ربك النصب اى اقرا مفتتحا باسم ربك اى قل بسم الله الرحمن الرحيم
ثم اقرا وقد اجاب صاحب السنة الشافعى عن حديث كانوا يفتتحون القراءة
بالحمد لله رب العالمين بانه من اسماء الفاتحة اى كانوا يفتتحون بالسورة المسماة بالحمد
لله فلا يكون حجة انها ليست منها فلا ريب انه كلام الله ووحيه المنزل به جبريل
من عند الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه
اى فى مجموعه من سور وايات وما اشتملت عليه من امر ونهى واخبار ومواعظ وغير
ذلك حق اى ثابت لا ريب فيه وان من نقص منه حرفا واحدا قاصدا لذلك
اى لنقصه منه كنقص بعض كفاة الكفرة الفجرة غير اذا قرا ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف
الذى وقع عليه الاجماع انه اى الحرف الذى زيد او نقص من القران او ليس من القران
عامدا فاعله زيادة او نقصا لكل هذا كافر فاجراه لا يجترى على ذلك من فى قلبه
ادنى حبة خردل من ايمان ولهذا اى من اجل ان جميع ما فى القران حق وان
من زاد فيه او نقص منه كافر راى مالك الامام قتل من سب عايشة بالفرية
التى افكت عليها وانما هلك ابلغ الكذب والافتراء لانه بسببه لقايه خالق القران
المنزل ببراءتها مما افك عليها به كل اية موذنة بتعظيم شان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتنزيهها مما افترى عليها به وتطهيرا لاهله صلى الله عليه وسلم وتهويل
عظيم لمن تكلم به او سمعه ولم ينكره وباحكام وفوايد دينية واداب لا تخفى ومن خالف
القران قتل اى لانه كذب بما فيه مما نزل ببراءتها ونزاهة شانها وبتكذيب من خاض
فيه تحقيقا لعظم ذنب من تولى كبره كراس النفاق عبد الله بن ابى بن سلول وزيد
ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن عشى
صنو نارهم وقال ابن القاسم من قال ان الله تبارك وتعالى لم يكلم موسى صلى الله عليه وسلم
تكليما يقتل لتكذيبه لقوله تعالى فيه وكلم الله موسى تكليما وقاله اى قول ابن القاسم

انه يقتل عبد الرحمن بن مهدي من اصحاب الشافعى وقال محمد بن سحنون فيمن قال
المعوذتان بكسر الواو قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ليستا من القران
تضرب عنقه لنفيه لهما منه مع ثبوتهما فى المصاحف العثمانية هذا وما نقل عن ابن
مسعود كان من المصحف ففى اسناده عاصم بن عبدلة وكان كما قال يحيى بن
سعيد ردى الحفظ وقال الدارقطني سيء الحفظ فهو وان قرنه البخاري فى ◎
المتابعات بعبيدة دون البنت فى الحديث ثقة فى القراءات الا ان يتوب ولا تضرب
عنقه وكذلك كل من كذب بحرف منه اى من القران تضرب عنقه الا ان يتوب
قال اى ابن سحنون وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى
صلى الله عليه وسلم تكليما وشهد اخر عليه اى على من قال ذلك انه قال ان الله
لم يتخذ ابراهيم خليلا تضرب عنقه لانهما اجتمعا بما شهدا عليهما به عليه على انه كذب
النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من ورود تكليمه تبارك وتعالى موسى تكليما
واتخاذه ابراهيم خليلا فى القران وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل
التوحيد وينسب نفسه اليه متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل الكريم
والفرقان القديم كفر يوجب قتل جاحده وكان ابو العالية اذا قرى عنده
غير ما يقرا هو مما نزل به القران لم يقل ليس كما قرات ويقول تفاديا من ان يكفر شيا
منه اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك اى قول ابى العالية ابراهيم النخعى والتيمى
فقال اراه بضم الهمزة اى اظنه سمع انه من بدل من الضمير اى انه من كفر بحرف منه
فقد كفر به كله لان الكفر ببعضه يوذن بالكفر بكله وقال ابن مسعود فى مصنف
عبد الرزاق من كذب باية من القران فقد كفر به كله لان تكذيبها تكذيب لقايلها
تبارك وتعالى وقال اصبغ بن الفرج المصرى من كذب ببعض القران فقد كذب
به كله ومن كذب به كله فقد كفر به كله ومن كفر به فقد كفر بالله بعد ايمانه فعليه غضب
من الله وله عذاب عظيم وسيل القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف اى اليهودى له
بالتوراة ليتخلص مما ادعى به عليه فقال الاخر لعن الله التوراة فشهد عليه شاهد
بذلك ثم شهد اخر انه سالة عن القضية الواقعة بينهما فقال اى اللاعن انما لعنت
توراة اليهود اى التى يتدارسونها بينهم فقال ابو الحسن القابسى الشاهد
الواحد لا يكفى فى انه يوجب القتل اذ لا يثبت به فى باب الشهادة حكم والثانى
علق الامر بصفة بل علق لعنه بموصوف مضافا اليهم هو ما بايديهم منها مما يحتمل
التاويل تبديلا وتحريفا لها عما من حيث هى اذ لعله اى اللاعن انه لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله مما نزله الى موسى صلى الله عليه وسلم لتبديلهم وتحريفهم
وصرف كلما عن مدلولها الى غيره كما قال بعض مختارى موسى صلى الله عليه وسلم اذ كلمه ربه
بالطور مما امر به ونهى عنه سمعنا الله يقول فى اخره ان شيتم فافعلوا وان شيتم فلا تفعلوا
فلا باس ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة لعنا مجردا عن تعليقه بموصوف وصفة
واضافته اليهم لضاق التاويل وصرف لعنه اليها ظاهرا وتكلمه وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ بمعجمة فنون مشددة فباء موحدة وذال معجمة بينهما واو
المقرى احد ايمة المقرين المتصدرين بها اى ببغداد مع ابى بكر احمد بن موسى

ابن مجاهد لقراءته واقرائه الناس بشواذ جمع شاذ لم تتواتر نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم
من الحروف اي اللغات التي نزل بها القرآن الكريم كلغة قريش وتميم وهذيل وفي الحديث
نزل القرآن على سبعة احرف كلها كاف شاف وقد تنازع الفضلاء شواذ مما ليس في المصحف
الامام العثماني وقد عقد عليه بالرجوع عنه وكذا عقد عليه اي عما كان يصدر عنه من قراءته
الشواذ واقرائه للناس بها وعلى التوبة منه سجلا اي كتابا عظيما اشهد عليه فيه من
حضر بذلك اي برجوعه عنه وتوبته على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة
بعد ضربه بين يديه باذنه وممن افتى فيه بذلك ابو بكر الابهري المالكي مع فقهاء
بغداد وافتى ابن ابي زيد القيرواني بالادب فيمن قال لصبي يتعلم القرآن لعن الله معلمك
وما علمك وقال اي اللاعن اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال اي ابن ابي زيد
اما من لعن القرآن فانه يقتل لجراءته على القرآن الكريم والفرقان القديم مع ما اذن
به من رجوعه عما عليه حديث من لعن مسلما ليس مستحقا للعن رجعت على قائلها

فصل سب آل بيته صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة وولديهما

والعباس وجعفر وعقيل وآلهم عند كثيرين وليث سطري ثم يجيبون عن حديث
لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد لذلك قال الشافعي على انهم صلبيه بنوا هاشم
وبنوا المطلب عبد مناف وعوضهم عنها خمس خمس الغنائم لشهادة قسمه صلى
الله عليه وسلم له بينهم تاركا بني عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف ايضا
لمفارقتهم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم نحن وبنوا المطلب شيء واحد وشبك بين
اصابعه لم تفترق جاهلية ولا اسلاما وسب ازواجه واصحابه صلى الله عليه وسلم
وتنقصهم حرام لكرامتهم عند ربهم ورفعة محلهم مع ثنائه عليهم في كتابه العزيز
في مواضع كثيرة منها محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما ملعون اي مطرود مبعد عن رحمة الله فاعله وقد اسند
هنا لما اذن بالتحذير من الوقيعة فيهم من رواية الترمذي حديث الله الله في اصحابي
الله الله في اصحابي كرره مع وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تاكيد التحذير
عن اتخاذهم غرضا بعده صلى الله عليه وسلم وتفخيما لشانهم وقد تقدم عليه وعلى
ما بعده ما اغنى عن اعادته هنا لا يقبل الله من اي ممن سبهم واحدا منهم
صرفا اي توبة او نافلة ولا عدلا اي فدية او فريضة وحديث لا تسبوا اصحابي
فانه يجيء قوم الضمير للشان يفسره ما بعده اي فانه قوما يجيئون في اخر الزمان يسبونهم
لا ادري من رواه فلا تصلوا عليهم اي اذا ماتوا ولا تصلوا معهم نهي تنزيه لتجويز
اكثر الايمة امامة المبتدع ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم
مبالغة في اهانتهم لان حكم المبتدع الاهانة والترك وحديث من سب اصحابي
فاضربوه تعزيرا له واهانة وتنكيلا به لردع امثاله وقد اعلم صلى الله عليه وسلم ان سبهم
واذاهم يؤذيه صلى الله عليه وسلم واذاه حرام يوشك ان يحل بمسببه وقال لا تؤذوني

في اصحابي اي لا تؤذوهم فيمسني بسبب اذاهم الاذى والتسبب عنه جعلهم ظرفا له ومن
اذاهم فقد اذاني علة للنهي عن اذاهم وقال لا تؤذوني في عائشة تقدم بمعناه ويجري
فيه ما قلناه في لا تؤذوني في اصحابي وقال في فاطمة اي حقها هي بضعة مني يؤذيني من
اذاها تقدم بمعناه وقد اختلف العلماء في هذا اي فيما يستحقه مؤذيهم من النكال فمشهور
مذهب مالك الاجتهاد في ايقاع النكال به والادب الموجع قال مالك من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم قتل لجراءته على الشرف الرفيع والجناب المنيع ومن شتم اصحابه ادب تنكيلا
له وتبكيتا وقال ايضا اي مالك من شتم احدا منهم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو
ابن العاصي بن وائل السهمي ميزه بابيه عن عمرو ولم يذكر عليا لان محبيه كثيرون
فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل لتكذيبه القرآن فيما اثنى عليهم من حديث اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وحديث لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه لغة في النصف اي نصف المد بضم الميم وهو ربع الصاع وانما قدر
به لانه اقل ما كانوا يتصدقون به عادة وروي بفتحها وهو الغاية يقال لا يبلغ مده
اي لا يلحق شأوه اي غايته وان شتمهم بغير هذا مما ذكر من مشاتمة الناس
بعضهم بعضا مما يجري بينهم نكل به نكالا شديدا لتلين شكيمته وتنقاد للادب قرونته
فيصير سلسا مطواعا عديم الوقيعة في اولياء الله وقال ابن حبيب من غلا اي تعالى
من الشيعة اي الذين شايعوا عليا وقالوا انه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تخرج عنه الخلافة ولا عن بنيه الا بظلم الى بغض عثمان والبراءة منه اي بالغ وتجاوز في
حقه بما لا يرضى وتبرأ منه ادب ادبا شديدا زجرا له عن العود اليه ولامثاله
عن ان يصدر عنهم شيء منه ومن زاد على ما غلا به منهم وتجاوز الى بغض ابي بكر
وعمر فالعقوبة عليه اشد لما زاده في حقهم مما لا يرضى ويكرر ضربه ويطال سجنه
حتى يموت توبيخا له ونكالا وهو انابة ولا يبلغ به اي ما عوقب به القتل الا في سب
النبي صلى الله عليه وسلم لهتكه حرمة شرفه المنيف وقال ابن سحنون ومن كفر احدا
من الصحابة عثمان او عليا او غيرهما يوجع ضربا وهو مخالف لما مر عن مالك انه اذا
قال كانوا اي الصحابة على ضلال وكفر قتل وحكى ابن ابي زيد عن سحنون من قال
في ابي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي المرتضى انهم كانوا على
ضلالة وكفر قتل كما مر عن مالك نكالا بما افتراه عليهم ومن شتم غيرهم من الصحابة
بمثل هذا اي بان قال لم يكونوا على هدى بل على كفر نكل به النكال الشديد لافكه عليهم ذلك
وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد نكالا بما اجترأ به عليه ومن سب عائشة
قتل قيل له اي لمالك لم يقتل بسبها وقد قلت في ابيها يجلد من سبه قال اي مالك
من رماها بما افترى عليها فقد خالف القرآن النازل ببراءتها وقال ابن شعبان عنه
اي عن مالك لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين
تذكيرا لما تحلوا به من الايمان الرادع لهم عن العود لمثله الصاد عن كل قبيح وتهييجا
لقبولهم الاتعاظ فمن عاد لمثله فقد كفر لتضمن وعظه تبارك وتعالى كراهة
عودهم لمثله لما اتفق عليها وخوضهم فيه مع تضمنه ايضا النهي عنه وحكى
ابو الحسن الصقلي بفتح المهملة والقاف ان القاضي ابا بكر بن الطيب الباقلاني امام

المتكلمين قال الله تعالى اذا ذكر ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه تنزيهاً لنفسه
عما نسبوه اليه تعالى كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون نزلت في
خزاعة اذ قالوا الملائكة بنات الله في آي كثيرة سبح ذاته تنزيهاً له في مثل وجعلوا
لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وذكر ما نسبه المنافقون
الى الصديقة بنت الصديق عايشة مما افكوه عليها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم
قدم الظرف على فعله تنزيلا للظروف منزلة اشيا لتوسعهم فيها منزلة انفسها لوقوعها
فيها ولزومها لها ولوجوب كفهم عن تكلمهم بالافك فوجب تقديمه لانه هنا اهم
ما يكون اي ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا اي الافك عليها سبحانك التعجب
من عظم ما انكر لتضمن تسبيحه له من ان الاصل فيه ان يسبح الله عند روية العجيب
من صنعه تعالى ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان تتصف زوجة
نبيه بقبيح او سبح نفسه في تبريتها من السوء كما سبح نفسه في تبريته من السوء
وصفه موضع المضمر تقبيحاً لشانه وتلويحاً بوجوب التبري منه وهذا اي قول
القاضي ابي بكر ان الله سبح نفسه في براءة عايشة من السوء كما سبح نفسه في براءته منه
يستشهد لقول مالك يقتل من سب عايشة ومعنى هذا اي قول مالك يقتل من سبها
والله اعلم اعتراض بين المبتدأ وخبره افاد انه تعالى هو الذي يعلم حقايق الامور على
وجهها قطعاً وغيره ظناً ان الله لما عظم سبها في ايات براءتها من افكهم كقوله سبحانك
هذا بهتان عظيم كما عظم سبه تبارك وتعالى بمثل ما انهم من افكهم ليقولون ولد
الله وانهم لكاذبون وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه
واذاه باذاه في قوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله وكان حكم موذيه
تعالى القتل كان موذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك اي القتل كما قدمناه غير مرة
وشتم رجل عايشة بالكوفة احدى المصرين هي والبصرة ويقال لها كوفة الجند اي
بجمعهم لان سعد لما اراد ان يبنيها قال لهم تكوفوا في هذا الموضع اي اجتمعوا فيه
فسميت كوفة وقيل كان اسمها قديماً كوفان فقدم ذلك الشاتم لعايشة الى موسى بن
عيسى العباسي فقال من حضر اي شتمه لها من الناس فقال ابن ابي ليلى انا الكفاية
لجلالة قدره اذ كان من الايمة الاعلام فجلده حد القذف ثمانين جلدة وحلق راسه
وسلمه للحجامين يعذبونه باخراج دمه وروى كما في تاريخ الخطيب وابن عساكر
عن عمر بن الخطاب انه قطع لسان ابنه عبيد الله اذ شتم المقداد بن الاسود ؏
تبياً فان اباه غيره فكلم بضم الكاف مبنيا للمفعول اي عمر في ذلك ليترك قطعه فقال
دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد طرف دعاء مقطوع عن مضاف اليه منوي
وهو ثم بني على الضم اي بعد قطع لسانه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تكريماً لشانهم
وتشريفاً لمقامهم وروى ابو ذر الهروي ان عمر اتي باعرابي يهجو الانصار ويفري اعراضهم
بلسانه فقال لولا ان له صحبة لكفيتموه ورواه ايضا محمد بن قدامة المروزي في كتاب
الخوارج عن ابي سعيد الخدري بسند رجاله ثقات وقال مالك من انتقص احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم استخفافاً بهم واستهانة لهم فليس له في هذا الفيء الماخوذ من
الكفار بلا ايجاف خيل وركاب نصيب قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء

المهاجرين

المهاجرين الى المدينة الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والايمان
من قبلهم عطف على الفقراء اي سكنوها واتخذوها منزلا وهم الانصار والذين جاءوا من
بعدهم اي هاجروا بعدهم وهم التابعون يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وهذا مبني على ان الفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما بعده وان المبدل منه
في حكم الطرح والاولى جعله متعلقا بمحذوف اي اعجبوا لهم في تركهم اهلهم واموالهم
وديارهم مبتغين فضل الله ورسوله مريدين نصرة دينه في مدح الله لهم بالصدق في ذلك
والذين تبوءوا الدار واخلصوا الايمان في محبتهم من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم من
حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم بالفيء ولو كان بهم خصاصة والذين جاءوا من
بعدهم في طلبهم المغفرة من الله ولاخوانهم السابقين لهم بالايمان ومبنى على مذهبه من ان
الفيء لا يخمس كما تخمس الغنيمة وهو مخالف لصدر الاية والحق انه يخمس كما يشهد بشهادة
ان الله بين لرسوله فيها ما يصنع بما افاء الله عليه من اهل القرى وامره ان يضع خمسه
حيث يضع خمس الغنايم مقسوما على ذريته من رسول الله وذوي قرباه واليتامى
والمساكين وابن السبيل وكان له صلى الله عليه وسلم مدة حياته خاصة ينفق منه
على عياله نفقة سنتهم وما بقي منه فللمصالح واما قسمه صلى الله عليه وسلم بين
المهاجرين خاصة لفقرهم وخلتهم في ذلك الوقت لاخراجهم من ديارهم واموالهم
حبا لله ولرسوله وطلبا لرضاه ونصرة رسوله ولم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة ابا
ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة لفقرهم وقالت
للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم فيه وان شئتم
كانت لكم دياركم واموالكم ولا تاخذوا وصفة شيئا فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا
ونوثرهم به نزلت ويوثرون على انفسهم هذا ودعوى ان اهل الحرب يملكون اموال
المسلمين بتغلبهم عليهم لتسمية الله تعالى المهاجرين فقرا ممنوعة اذ لا يلزم من
تسميته تعالى فقرا زوال ملكهم عن اموالهم لانه تعالى انما سماهم فقرا باعتبار الحالة
التي كانوا عليها من عدم وضيق عيش تنزيلا لها لعدم قدرتهم عليها في تلك الحال
منزلة المعدوم لحيلولة كفار قريش بينهم وبينها قهرا فكما لا يملك الغاصب ما غصبه
لا يملك حربي مال مسلم اخذه منه قهرا لشهادة قوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين
على المومنين سبيلا وحديث الشافعي في الام ان ام الدرداء اسرها في ركب من الصحابة
فيه ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيف قبل اسلامهم فتغفلتهم ام الدرداء
فركبتها فلما بلغت المدينة اخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فلو ملكوها
كانت غنيمة لهما ولوجب تخميسها وقد يستدل بحديث العرنيين في البخاري وغيره
اذ قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا ابل الصدقة ثم نزعت منهم قهرا
فلو ملكوها لوجب عليه صلى الله عليه وسلم تخميسها فمن تنقصهم استهانة لهم فلا حق
له في فيء المسلمين لخروجه من الاصناف الثلاثة وفي كتاب ابن شعبان من قال
في واحد منهم اي من الصحابة انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا
حدين حد له وحد للامة لعله اراد بالاول التعزير تنكيلا له وزجرا له عن ان يعود

ولا اجعله لقاذف جماعة بكلمة لفضله على غيره لسمو له فضيلة صحبته له صلى الله عليه وسلم
ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه وهي رواية تقدمت فاضربوه
قال اي ابن شعبان ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية اي الكذب لانه
اي قذف ام احدهم كافرة سب له يستحق به التاديب الاليم فان كان احد من ولد هذه الصحابية
حيا وابوه ميتا قام مقامه في استيفا الحد والا اي وان لم يكن له احد من ولده حيا
فمن قام به استيفاؤه من المسلمين كان على الامام او نايبه قبول قيامه ونصرته معاونة
على البر والتقوى قال اي ابن شعبان وليس هذا اي ما ذكر في حق من قذف امه من
الصحابة من وجوب الحد على من قذفها كحقوق غير الصحابة لحرمة هولا اي الصحابة بنبيهم صلى
الله عليه وسلم ولو سمعه الامام اي السلطان او نايبه واشهد عليه كان اي الامام
ولي القيام به اي بالحد استيفاله قال اي ابن شعبان ومن سب غير عايشة من
زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ففيهما قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسبب سب حليلته التي اصطفاها بكلمة الله وصارت زوجة له. ثانيهما القول الاخر يجلد
حد المفتري لشمول حرمته لهن بدخولهن تحت كنفه قال اي ابن شعبان وبالاول
اي القول بالقتل اقول وروى ابو مصعب عن مالك فيمن سب من انتسب الى النبي صلى
الله عليه وسلم قرابة او صحبة او مولى له انه يضرب ضربا وجيعا ويشهر بين الناس
ليعلم حاله ويحبس حبسا طويلا حتى تظهر توبته لانه اي سببه له استخفاف بحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيجب تنكيله لردع امثاله وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه
مالقة من مدن العرب وهي الآن والله اعلم بايدي الفرنج في رجل انكر تحليف امراة
توجه عليها يمين واريد تحليفها بالليل لكونها مخدرة وقال لو كانت بنت ابي بكر
الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله اي قول الذي انكر تحليفها بالليل
بعض المتسمين بالفقه اي المتصفين به فقال ابو المطرف ذكرهم اي قوله لو كانت
لابنة ابي بكر في مثل هذا اي الآن يجب عليه به الضرب الشديد والسجن الطويل
لجراته على حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة ابيها الصديق رضي الله عنه
والفقيه الذي صوب قوله احق باسم الفسق ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي
اي فتواه بتصويبه قوله جرحة ثانية فيه اسقطت عدالته فجعلها لنفسه جرحة
لتنبيهما عنهما مبالغة في تفسيقه ويبغض في الله اهانة له ورفضا لجانبه
وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر حد في سببه وجوابه لظهورها
عنده انه ان كان اراد ان شهادته في مثل هذا لا يجوز ولا يكفي فيه الشاهد
الواحد فلا شي عليه ويردع لكفاله ولامثاله عن ذكره الا بمقام مناسب وان كان
اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به الضرب الموت او يبلغ هو بالضرب الموت لتنقيص
اقرب الخلق بعد الانبيا بشهادة حديث والله ما طلعت شمس على احد ولا غربت
على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر المخصص لعموم حديث ما اقلت
الغبرا ولا اظلت الخضرا افضل من ابي بكر وذكروها اي قول ابي عمران وانث الضمير
باعتبار ما بعده لانه اذا اكتنفه مذكر ومؤنث جاز تذكيره وتانيثه رواية
عن مالك او غيره من اصحابه قال المؤلف هنا انتهى القول بنا فيما حررناه من الباعث

لنا

لنا على تاليف هذا الكتاب وانجز اي تم وانقضى الغرض الذي اردنا ابرازه في
معرض احسن تاليف انتحيناه اي قصدناه واعتمدناه واستوفى اي القول الشرط الذي
شرطناه مما اوردناه في الاقسام الاربعة ارجو ان يكون في كل قسم منه للمريد ممن يريده
مقنع يقتنع به ويرضاه وهو مصدر ميمي لا يثنى ولا يجمع وقد ثني وجمع نظرا الى سميته
وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع اي مخرج من النزع وهو الجذب قد سفرت فيه عن
نكت تستغرب وتستبدع لقلة استعمالهما وجريهما على اللسان بحيث تعد بديعة وردت
لا على مثال وتقدم على صدر هذه الفقرة في اخر الخطبة ما لا مزيد عليه وكرعت من
الكرع وهو شرب الماء بفيه كالدابة لادخالها اكارعها فيه وكره الكرع في السنن لذلك
في مشارب من التحقيق اي التحرير شبهها بما يشرع فيه واخرجها من باب الاستعارة
بمن البيانية لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع هو في الاصل مورد الشاربة
من ابل وغيرها ثم استعير لكل ما فيه نفع تشبيها له به واودعته اي ضمنته غير
ما فصل زيدت فيه ما التاكيد بمعنى كثرة ما اودعه فيه وددت من الوداد المحبة
وفك الادغام لتعذره مع التا المدغم فيها الثانية المنقلبة عن الدال الثانية
وعن ابن عمر انه بالغ في الاحسان الى اعرابي فقيل له ان الاعراب يرضون بالقليل
فقال ان ابا هذا كان ودود العمر ان ضم واوه فقد رضعناف اي ذا ود له وان كسرت
فلان الود بالكسر الصديق اي احبيب لو وجدت من بسط الكلام فيه او وجدت
مقتدى به فيه يعيد فيه اي يعيد لي ما اودعته عن كتابه او عن فيه اما مشافهة
لا كتفي بما ادونه عنه او عن كتابه عما اودنه بغيري كي ينتفع به وينفع غيره
والى الله جزيل الضراعة اي كثرة الخضوع والتذلل لا الى غيره بشهادة تقديم
الجار والمجرور في المنة منه تعالى بقبول لما منه تفضل به مما اودعته غير ما فصل
خالصا لوجهه الكريم اي ذاته والعفو عما تخلله اثنا تراكيبه وخلال اساليبه
من تزين وتصنع لغيره اي غير وجهه الكريم وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه
لما اودعناه اي لاجل ما اوردناه فيه من شرف مصطفاه وامين وحيه ولاجل ما
اعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصايصه التي خصه الله تعالى بها دون غيره مما وجب
له وندب وابيح وحرم عليه وكرم ووسايله التي يتوصل بها الى الله وان يحمي اعراضنا
عن النار الحامية بحماية كريم عرضه صلى الله عليه وسلم بما رويناه من شرفه المنيف
وكرمه الوريف وان يجعلنا ممن لا يزاد بمعجمة ومهملة بينهما الف اي لا يصد اذا
زيد المبدل دينه بردته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم عن حوضه وان يجعله
لنا ولمن تهمم باكتسابه واكتتابه سببا يصلنا باسبابه التي لا انفصام لها وان يجعله
ذخيرة محفوظة لديه تعالى نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت محضرا من خير محضرا
ينفعنا ذلك اليوم نحوز بها رضاه اي نحوزه ونستبديه ونحوز بها جزيل ثوابه
وان يخصنا بخصيصى بها رضاه بالف مقصورة مصدر بمعنى الخصوصية يقال
خصه يخصه خصوصا وخصوصية اي بمن هو من خواص زمرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وجماعته وان يحشرنا مع الرعيل اي الجمع الاول من اهل السعادة واهل
الباب الايمن من اهل شفاعته ويحمده اي نثني عليه بجماعة ثنايا في نعمه

ويكافي مزيده على ما هدى الله من جمعه والهم وفتح البصيرة هي ما لادراك المعاني
كالبصر لادراك المحسوسات لدرك حقايق ما اودعناه وفهم ونستهديه اى نلوذ
به ونلجا اليه جل اسمه من دعا لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع انه الجواد بتخفيف
الواو لا غيره لشهادة تعريف الجزءين وحديث غير ابى جواد ماجد الذى لا يخيب
من امله وارتجى خيوره التى لا تحصى كثرة ولا تستقصى ولا ينتصر على عدوه من
خذله اى من منعه وحرمه نصره ولا يرد دعوة القاصدين اليه الراغبين فيما عنده
لشهادة حديث ان الله الى يستحيى ان يرد يد عبده صفرا اذا رفعهما اليه ولا يصلح
عمل المفسدين بل يمحقه تلفا ويدمره تدميرا وهو حسبى مبتدا وخبر وحسب
مصدر فى موضع اسم الفاعل اى محسبى وكافى يقال احسبنى الشئ اى كفانى ٭
ونعم الوكيل عطفا ما على جملة هو حسبى والمخصوص محذوف اى ونعم الموكول
اليه هو او على حسبى اى وهو نعم الوكيل فالمخصوص هو الضمير المتقدم وهو من ٭
عطف الجملة على المفرد لتضمنه معنى الفعل كما فى فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وهو
على كل فهو من عطف الانشا على الاخبار وهو جايز فى الجمل التى لها محل من الاعراب كما ٭
فى تفسير سورة نوح من الكشاف سوا حكيت بعد القول ام لا اذ لا يشك من به مسكة
فى حسن قولك زيد ابوه عالم وما افسقه وخالد ابوه بخيل وما اجوده وكفاك
بعد الجواز شاهدا قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل هذا وقد تم كتاب
الاصطفا لبيان معانى الشفا بيانا بديعا موشحا من العلوم بما يناسب كل مقام
تبيانا مريعا بشرايف تركيب كريم لا مقطوعا فضله ولا ممنوعا ولطايف ترتيب
نميم لا قلقا فصاحه ولا مدفوعا واسلوب انيق تسابق الحاظه الى الافهام معانيه
واعجوب رشيق تبادر الى الاذهان حكمة مبانيه فذونك شرحا عناية الله مشرعه
ومصدره وتوليه تعالى اياى بكرامته مبتجه ومطهره قد سفرت فيه عن وجوه
رغايب تشرق بنور التوفيق مغمره وعرايب انيسة تزهر بهداية التدقيق مثمره
ساطعا بما عنوانه لامعا بما برهانه ناطقا بما ان توقظ الوسنان ومما ان تشحذ
الاذهان فالحمد لله على ما منح من ابراز حقايقه مسفره وفتح من احرازه فوايده
ضاحكة مستبشرة اللهم فتقبله منى واجر على السنة الافهام فصل خطابه واعلى
على الوية الاذهان بديع صوابه فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والاخرة
توفنى مسلما والحقنى بالصالحين انت حسبى ونعم الوكيل وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
اجمعين وسلام على
المرسلين والحمد لله
رب العالمين
تم
تم